ربع التفسير الكبير

من سورة الانبياء الى سورة حم السجدة

تمسك بالشرع الشريف احوج العباد الى الغني المنان ... علي بن ... خان

عفي عنه

مفتي قاضي زاده

دخل هذا المجلد المبارك في ملك ... الفقير الى الله الغني ... [illegible] ... الواعظ ... اصلح الله العواقب

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الاعظم والخاقان المعظم مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان السلطان الغازي محمود خان وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع وتدبر ... تعالى ... حرره الفقير احمد شيخ زاده المفتش باوقاف الحرمين الشريفين غفر لهما

سورة الانبياء بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى

اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم واسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم افتأتون السحر وانتم تبصرون اعلم ان قوله تعالى اقترب للناس حسابهم فيه مسائل المسألة الاولى التقرب لا يعقل الا في المكان والزمان والتقرب المكاني هاهنا ممتنع فتعين التقرب الزماني والمعنى اقترب للناس زمان حسابهم المسألة الثانية لقائل ان يقول كيف وصف بالاقتراب وقد مضى دون هذا القول قريب من ستمائة عام والجواب من وجوه احدها انه مقترب عند الله والدليل عليه قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون وثانيها ان كل آت قريب وان طالت اوقات ترقبه وانما البعيد هو الذي انقرض قال الشاعر فلا زال ما تهواه اقرب من غد ولا زال ما تخشاه ابعد من امس وثالثها ان المقابلة اذا كانت … ثم استعمل منها شيء فانه لا يقال انه اقترب الاجل اما اذا كان الماضي اكثر من الباقي فانه يقال اقترب الاجل فعلى هذا الوجه قال العلماء ان فيه دلالة على قرب القيامة وعلى هذا الوجه قال عليه السلم بعثت انا والساعة كهاتين وعلى هذا الوجه قال عليه السلم ختمت النبوة بي كل ذلك لاجل ان الباقي في مدة التكليف اقل من الماضي المسألة الثالثة انما ذكر تعالى هذا الاقتراب لما فيه من المصلحة للمكلفين فيكون اقرب الى التلافي والتحرز خوفا من ذلك المسألة الرابعة انما لم يعين الوقت لاجل ان كتمانه اصلح كما ان كتمان وقت الموت اصلح المسألة الخامسة الفائدة في تسمية يوم القيامة بيوم الحساب ان الحساب هو الكاشف عن حال المرء فالخوف من ذلك اعظم المسألة السادسة يجوز ان يكون المراد بالناس من له مدخل في الحساب وهم المكلفون دون من لا مدخل له فيه ثم قال ابن عباس رضي الله عنهما المراد بالناس المشركون وهذا من اطلاق اسم الجنس على البعض للدليل القائم وهو ما تلوه من صفات المشركين اما قوله وهم في غفلة معرضون فاعلم انه تعالى وصفهم بامرين الغفلة والاعراض اما الغفلة فالمعنى انهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم مع اقتضاء عقولهم انه لا بد من جزاء المحسن والمسيء ثم اذا نبهوا عن سنة الغفلة ورقدة الجهالة بما يتلى عليهم من الآيات والنذر اعرضوا وسدوا اسماعهم اما قوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ففيه مسائل المسألة الاولى قرأ ابن ابي عبلة محدث بالرفع صفة للمحل المسألة الثانية انما ذكر الله تعالى ذلك بيانا لكونهم معرضين وذلك لان الله تعالى يجدد لهم الذكر وقتا فوقتا ويظهر لهم الآية بعد الآية والسورة بعد السورة ليكرر على اسماعهم التنبيه والموعظة لعلهم يتعظون فما يزيدهم ذلك الا لعبا واستسخارا المسألة الثالثة المعتزلة احتجوا على حدوث القرآن بهذه الآية فقالوا القرآن ذكر والذكر محدث فالقرآن محدث بيان ان القرآن ذكر قوله تعالى في صفة القرآن ان هو الا ذكر للعالمين وقوله وانه لذكر لك ولقومك وقوله ص والقرآن ذي الذكر وقوله انا نحن نزلنا الذكر وقوله ان هو الا ذكر وقرآن مبين وقوله وهذا ذكر مبارك انزلناه بيان ان الذكر محدث قوله في هذا الموضع ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث وقوله في سورة الشعراء ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث ثم قالوا فثبت بمجموع هاتين المقدمتين المنصوصتين ان القرآن محدث والجواب من وجهين الاول ان قوله تعالى ان هو الا ذكر للعالمين وقوله وهذا ذكر مبارك اشارة الى المركب من الحروف والاصوات وذلك مما لا نزاع فيه بل حدوثه معلوم بالضرورة انما النزاع في قدم كلام الله بمعنى آخر الثاني ان قوله ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث لا يدل على حدوث كل ما كان ذكرا بل على ان ذكرا ما محدث كما ان قول القائل لا يدخل هذه البلدة رجل فاضل الا يبغضونه فانه لا يدل على ان كل من دخلها يجب ان يكون فاضلا بل على ان في الرجال من هو فاضل واذا كان كذلك فالآية لا تدل الا على ان بعض الذكر محدث فيصير نظم الكلام … ذكر وبعض الذكر محدث وهذا لا ينتج شيئا كما ان قول القائل ان زيدا حيوان وبعض الحيوان فرس لا ينتج شيئا فظهر ان الذي ظنوه قاطعا لا يفيد ظنا ضعيفا فضلا عن القطع اما قوله الا استمعوه وهم يلعبون

لاهية

لاهية قلوبهم ففيه مسائل المسألة الاولى ان ذلك ذم للكفار وزجر لغيرهم عن مثله لان الانتفاع بما يسمع استماعه لا … حصلوا على مجرد الاستماع الذي قد تشاركه فيه البهيمة لا الانسان ثم اكد تعالى ذمهم بقوله لاهية قلوبهم واللاهية من لهى عنه اذا ذهل وغفل وانما قدم ذكر اللعب على اللهو كما في قوله تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو تنبيها على ان اشتغالهم باللعب الذي معناه السخرية والاستهزاء معلل باللهو الذي معناه الذهول والغفلة فانهم انما اقدموا على اللعب لذهولهم عن الحق المسألة الثانية قال صاحب الكشاف وهم يلعبون لاهية قلوبهم حالان مترادفان ومتداخلان ومن قرأ لاهية بالرفع فالحال واحدة لان لاهية قلوبهم خبر بعد خبر لقوله وهم واما قوله واسروا النجوى الذين ظلموا ففيه سؤالات السؤال الاول النجوى وهي اسم من التناجي لا تكون الا خفية فما معنى قوله واسروا والجواب معناه وبالغوا في اخفائها او جعلوها بحيث لا يفطن احد لتناجيهم السؤال الثاني لم قال واسروا النجوى الذين ظلموا الجواب ابدل الذين ظلموا من واو اسروا اشعارا بانهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما اسروا به او جاء على لغة من قال اكلوني البراغيث او هو منصوب المحل على الذم او هو مبتدأ خبره اسروا النجوى قدم عليه والمعنى وهؤلاء اسروا النجوى فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا على فعلهم بانه ظلم اما قوله هل هذا الا بشر مثلكم افتأتون السحر وانتم تبصرون ففيه مسائل المسألة الاولى قال صاحب الكشاف هذا الكلام كله في محل النصب بدلا من النجوى اي واسروا هذا الحديث ويحتمل ان يكون التفسير لاسروا النجوى فقالوا هذا الكلام المسألة الثانية انما اسروا هذا الحديث لوجهين احدهما انه كان ذلك شبه التشاور فيما بينهم والتحاور في طلب الطريق الى هدم امره وعادة المتشاورين ان يجتهدوا في كتمان سرهم عن اعدائهم والثاني يجوز ان يسروا نجواهم بذلك ثم يقولوا لرسول الله والمؤمنين ان كان ما تدعونه حقا فاخبرونا بما اسررناه المسألة الثالثة انما طعنوا في نبوته بامرين احدهما انه بشر مثلهم والثاني ان الذي اتى به سحر وكلا الطعنين فاسد اما الاول فلان النبوة يتوقف صحتها على المعجزات والدلائل لا على الصور اذ لو بعث الملك اليهم لما علم كونه نبيا بصورته وانما كان يعلم بالعلم فاذا ظهر ذلك على من هو بشر وجب ان يكون نبيا بل الاولى ان يكون المبعوث الى البشر بشرا لانه الى القبول من اشكاله اقرب … به انفس واما الثاني فهو ان ما اتى به الرسول من القرآن وغيره … ظاهر الحال لا تمويه فيه ولا لبس وقد كان عليه السلام يتحداهم بالقرآن مدة من الزمان حالا بعد حال وهم ارباب الفصاحة والبلاغة وكانوا في نهاية الحرص على ابطال امره واقوى الامور في ابطال امره معارضة القرآن فلو قدروا على المعارضة لامتنع ان لا ياتوا بها لان الفعل عند توفر الدواعي وارتفاع الصارف واجب الوقوع فلما لم يأتوا بها دلنا ذلك على انه في نفسه معجز وانهم عرفوا حاله فكيف يجوز ان يقال انه سحر والحال على ما ذكرناه وكل ذلك يدل على انهم كانوا عالمين بصدقه الا انهم كانوا يموهون على ضعفائهم بهذا القول وان كانوا … مكابرين

قوله تعالى قال ربي يعلم القول في السماء والارض وهو السميع العليم بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما ارسل الاولون ما آمنت قبلهم من قرية … افهم يؤمنون

قال ربي يعلم القول في السماء والارض وهو السميع العليم فيه مسائل المسألة الاولى قرئ قال ربي حكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم المسألة الثانية انه تعالى لما اورد هذا الكلام عقيب ما حكى عنهم وجب ان يكون كالجواب لما قالوه فكأنه قال انكم وان اخفيتم قولكم وطعنكم فان ربي عالم بذلك وانه من وراء عقوبته فتوعدهم بذلك لكي لا يعودوا الى مثله المسألة الثالثة قال صاحب الكشاف فان قلت هلا قيل يعلم السر لقوله واسروا النجوى قلت القول عام يشمل السر والجهر فكان في العلم به العلم بالسر وزيادة فكان آكد في بيان الاطلاع على نجواهم من ان يقول يعلم السر كما ان قوله تعالى يعلم السر آكد من ان يقول يعلم القول ثم بين ذلك الآكد في سورة الفرقان في قوله قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض فليس بواجب ان يجيء بالآكد في كل موضع

3

القتال وهذا نفي من بلوه ومن نشا منهم المومنون ومن بني بقايه مصلحة بالمفترين المراد انه لقوم
وعقله جل جلاله بانه انما يهلك بعذاب الاستيصال من كذب الرسل دون نفس الرسول ودون من صدق بهم
وحصل الوفا بما وعدهم فانه من حيث يكشف عن الصدق ومعنى ما اهلكنا المسرفين اي بعذاب الاستيصال وليس
المراد عذاب الآخرة لانه اخبار عما مضى ... ثم بين تعالى بقوله لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم عظم نعمه
عليهم بالتنزيل ... ذكركم ... وجوه احدها ذكر كم شرفكم و...
انه لذكر لك ولقومك ... المراد فيه ذكركم ... والمراد بالذكر
الوعد والوعيد ... المومنين ... والمراد ذكر دينكم ...
لتفوزوا بالجنة ... افلا تعقلون ... الحيوة
... من لوازم العقل والتدبر ... الحوف ... العقل

قوله تعالى

... وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وانشانا
بعدها قوما آخرين فلما احسوا باسنا اذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه ومساكنكم لعلكم
تسألون قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين اعلم انه تعالى ...

[illegible]

قوله تعالى

[illegible]

والطاعمون فكم اما لانهم كانوا اسخيا ينفقون اموالهم رياء الناس وطلب الثناء او كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما
الى تهكم وتوبيخا الى توبيخ اما قوله فما زالت تلك دعواهم فقال صاحب الكشاف تلك اشارة الى يا ويلنا لانها دعوى كانه قيل فما زالت
تلك الدعوى دعواهم والدعوى بمعنى الدعوة قال تعالى وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين فان قيل لم سميت دعوى قلنا لانهم كانوا يدعون
الويل كانهم قالوا تعالى يا ويل فهذا وقتك وتلك مرفوع او منصوب اسما او خبرا وكذلك دعواهم قال القفال لم يزالوا يكررون هذه الكلمة
فلم ينفعهم ذلك كقوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا اما قوله حتى جعلناهم حصيدا فالحصيد الزرع المحصود اي جعلناهم
مثل الحصيد شبههم به في استئصالهم كما تقول جعلناهم رمادا اي مثل الرماد والنبات اذا قطع يبس
... والمعنى جعلناهم خامدين والمراد انهم هلكوا بذلك العذاب حتى لم يبق حس
ولا حركة وجفوا كما يجف الحصيد وخمدوا كما تخمد النار

قوله تعالى

وما خلقنا السماء والارض
وما بينهما لاعبين لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق
ولكم الويل مما تصفون اعلم ان في الاية مسائل المسالة الاولى في تعلق هذه الاية بما قبلها وجهان الاول انه تعالى لما بين
اهلاك القرية لاجل تكذيبهم اتبعه بما يدل على انه فعل ذلك عدلا منه ومجازاة على ما فعلوا فقال وما خلقنا السماء والارض
وما بينهما لاعبين اي ما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من العجائب والغرائب كما تسوي
الجبابرة سقوفهم وفرشهم للعب واللهو وانما سويناها للفوائد الدينية والدنيوية اما الدينية فليتفكر
المتفكرون فيها على ما قال ويتفكرون في خلق السموات والارض واما الدنيوية فلما يتعلق بها من المنافع التي لا تعد ولا تحصى
وهو كقوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا وقوله ما خلقناهما الا بالحق الثاني الغرض منه تقرير نبوة محمد عليه السلام
والرد على منكريه لانه اظهر المعجز عليه فان كان محمد كاذبا كان اظهار المعجز عليه من باب اللعب وذلك منفي عنه وان كان صادقا
فهو المطلوب وحينئذ يفسد كل ما ذكروه من المطاعن المسالة الثانية قال القاضي عبد الجبار دلت الاية على ان اللعب
ليس من قبله تعالى اذ لو كان كذلك لكان لاعبا فان اللاعب في اللغة اسم لفاعل اللعب فنفي الاسم الموضوع للفعل
يقتضي نفي الفعل والجواب يبطل ذلك بمسالة الداعي على ما مر غير مرة اما قوله لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا
ان كنا فاعلين فاعلم ان قوله لاتخذناه من لدنا معناه من جهة قدرتنا وقيل اللهو بلغة اليمن الولد وقيل المراة وقيل من
لدنا اي من الملائكة لا من الانس ردا لولادة المسيح وعزير فاما قوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فاعلم ان بل
للاضراب عن اتخاذ اللهو واللعب وتنزيه لذاته كانه قال سبحاننا ان نتخذ اللهو واللعب بل من عادتنا وموجب حكمتنا ان نغلب
اللعب بالجد وندحض الباطل بالحق واستعار لذلك القذف والدمغ تصويرا لابطاله به فجعله كانه جرم صلب كالصخرة مثلا
قذف به على جرم رخو اجوف فدمغه اما قوله تعالى ولكم الويل مما تصفون ففيه تهديد لمن كذب الرسول ونسب القرآن
الى السحر والاضغاث الى غير ذلك من الاباطيل ... مما تصفون

قوله تعالى

وله من في السموات
والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون
المسالة الاولى في تعلق هذه الاية بما قبلها وجهان الاول انه تعالى لما نفى اللعب عن نفسه ونفي اللعب لا يصح الا بنفي
الحاجة ونفي الحاجة لا يصح الا بالقدرة التامة لا جرم عقب تلك الاية بقوله وله من في السموات والارض لدلالة ذلك
على كمال الملك والقدرة الثاني وهو انه تعالى لما حكى كلام الطاعنين في النبوات واجاب عنها وبين ان غرضهم
من تلك المطاعن التمرد وعدم الانقياد بين في هذه الاية انه تعالى منزه عن طاعتهم لانه هو المالك لجميع المحدثات
والمخلوقات ولاجل ان الملائكة مع جلالتهم يطيعونه ويخشونه فكيف يليق بالبشر الضعيف التمرد عن طاعته المسالة
الثانية قوله وله من في السموات والارض معناه ان كل المكلفين في السموات والارض فهم عبيده وهو الخالق لهم
والمنعم عليهم باصناف النعم فيجب على الكل طاعته والانقياد لحكمه المسالة الثالثة دلالة قوله ومن عنده لا يستكبرون
عن عبادته على ان الملك افضل من البشر من وجوه قد تقدم بيانها في سورة البقرة المسالة الرابعة ان من عنده
هم الملائكة باجماع الامة ولانه تعالى وصفهم بانهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهذا لا يليق بالبشر وهذه

العندية

4

العندية عندية الشرف والرتبة لا عندية المكان والجهة لانه تعالى ... مع كمال شرفهم ونهاية جلالهم
لا يستكبرون عن عبادته فكيف يليق بالبشر الضعيف التمرد عن طاعته المسالة الخامسة قال الزجاج لا يستحسرون
لا يتعبون ولا يعيون قال صاحب الكشاف فان قلت الاستحسار مبالغة في الحسور فكان الابلغ في وصفهم
ان ينفي عنهم ادنى الحسور قلت في الاستحسار بيان ان ما هم فيه يوجب غاية الحسور واقصاه وانهم احقاء لتلك
العبادات الشاقة بان يستحسروا فيما يفعلون اما قوله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون فالمعنى ان تسبيحهم
متصل دائم في جميع اوقاتهم لا يتخلله فترة بفراغ او بشغل آخر وعن عبد الله بن الحرث بن نوفل قال قلت لكعب
ارايت قول الله يسبحون الليل والنهار لا يفترون ثم قال جاعل الملائكة رسلا افلا تكون الرسالة مانعة لهم عن هذا
التسبيح وايضا قال اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين فكيف يشتغلون باللعن حال اشتغالهم بالتسبيح
اجاب كعب فقال التسبيح لهم كالتنفس لنا فكما ان اشتغالنا بالتنفس لا يمنعنا من الكلام فكذلك اشتغالهم
بالتسبيح لا يمنعهم من سائر الاعمال فان قيل هذا القياس غير صحيح لان الاشتغال بالتنفس انما لم يمنع من الكلام لان التنفس
غير آلة الكلام اما التسبيح واللعن فهما من جنس الكلام فاجتماعهما محال والجواب اي استبعاد في ان يخلق الله لهم
السنة كثيرة ببعضها يسبحون الله وببعضها يلعنون اعداء الله او يقال معنى قوله لا يفترون معناه انهم لا يفترون عن
العزم على ادائه في اوقاته اللائقة به كما يقال ان فلانا مواظب على الجماعات لا يفتر عنها لا يراد به انه ابدا
مشتغل بها بل يراد به انه مواظب على العزم على ادائها في اوقاتها

قوله تعالى

ام اتخذوا آلهة من
الارض هم ينشرون لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسال عما يفعل وهم يسالون
ام اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون وما ارسلنا
من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون اعلم انه تعالى لما تكلم من اول السورة الى هاهنا في النبوات وما يتصل بها
في بيان التوحيد ونفي الاضداد والانداد اما قوله تعالى ام اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون ففيه مسائل المسالة
الاولى قال صاحب الكشاف ام هاهنا هي المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة قد آذنت بالاضراب عما قبلها والانكار
لما بعدها والمنكر هو اتخاذهم آلهة من الارض ينشرون الموتى ولعمري ان من اعظم المنكرات ان ينشر الموتى بعض الموات
فان قلت كيف انكر عليهم اتخاذ آلهة تنشر وما كانوا يدعون ذلك لآلهتهم بل كانوا في نهاية البعد عن هذه الدعوى
فانهم كانوا مع اقرارهم بالله بانه خالق السموات والارض منكرين للبعث ويقولون من يحيي العظام وهي رميم فكيف يدعون
للجماد الذي لا يوصف بالقدرة البتة قلت لانهم اشتغلوا بعبادتها ولا بد للعبادة من فائدة هي الثواب فاقدامهم على عبادتها
يوجب عليهم الاقرار بكونهم قادرين على الحشر والنشر والثواب والعقاب فذكر ذلك على سبيل التهكم بهم والتجهيل يعني
اذا كانوا غير قادرين على ان يحيوا ويميتوا ويضروا وينفعوا فاي عقل يجوز اتخاذهم آلهة المسالة الثانية
قوله من الارض كقولك فلان من مكة او من المدينة تريد مكي او مدني ومعنى نسبتها الى الارض الايذان بانها الاصنام
التي تعبد في الارض لان الآلهة كلها على ضربين ارضية وسماوية ويجوز ان يراد بها آلهة من جنس الارض لانها اما ان
تكون منحوتة من بعض الحجارة او معمولة من بعض جواهر الارض المسالة الثالثة النكتة في هم معنى الخصوصية
كانه قيل ام اتخذوا آلهة لا يقدر على الانشار الا هم وحدهم المسالة الرابعة قرا الحسن ينشرون وهما لغتان انشر الله
الموتى ونشرها اما قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ففيه مسائل المسالة الاولى قال اهل النحو الا هاهنا بمعنى غير
[illegible] ولا يجوز ان يكون بمعنى الاستثناء لانا لو حملناه على الاستثناء لكان
المعنى لو كان فيهما آلهة ليس معهم الله لفسدتا وهذا يوجب بطريق المفهوم انه لو كان فيهما آلهة معهم الله ان لا يحصل
الفساد وذلك باطل لانه لو كان فيهما آلهة فسواء لم يكن الله معهم او كان فالفساد لازم ولما بطل حمله على الاستثناء
ثبت ما ذكرناه المسالة الثانية قال المتكلمون القول بوجود الهين يفضي الى المحال فوجب ان يكون
القول بوجود الهين محالا انما قلنا انه يفضي الى المحال لانا لو فرضنا وجود الهين فلا بد وان يكون كل واحد منهما قادرا على كل

المقدورات ولو كان كذلك لكان كل واحد قادرا على تحريك جسم بعينه وتسكينه فلو فرضنا اراد احدهما تحريكه والاخر تسليمه
فاما ان يقع المرادان وهو محال لاستحالة الجمع بين الضدين او لا يقع واحد منهما وهو محال لان المانع من وجود مراد كل واحد
منهما مراد الاخر فلا يمتنع مراد هذا الا عند وجود مراد ذلك وبالعكس فلو امتنعا معا لوجدا معا وذلك محال
او يقع مراد احدهما دون الثاني وذلك ايضا محال لوجهين احدهما انه لما كان كل واحد منهما قادرا على ما لا نهاية له امتنع كون احدهما
اقدر من الاخر بل لا بد وان يستويا في القدرة واذا استويا في القدرة استويا في المقدور فيلزم ترجيح الممكن من غير مرجح
وثانيهما انه اذا وقع مراد احدهما دون الاخر فالذي وقع مراده يكون قادرا والذي لم يقع مراده يكون عاجزا والعجز
نقص وهو على الله محال فان قيل الفساد انما يلزم عند اختلافهما في الارادة وانتم لا تدعون وجوب اختلافهما
في الارادة بل اقصى ما تدعونه ان اختلافهما في الارادة ممكن واذا كان الفساد مبنيا على اختلافهما في الارادة وهذا
الاختلاف ممكن والمبني على الممكن ممكن فكان الفساد ممكنا لا واقعا فكيف جزم الله تعالى بوقوع الفساد قلنا
الجواب من وجهين الاول لعله سبحانه اجرى الممكن مجرى الواقع بناء على الظاهر من ان الرعية تفسد بين الملكين
لما يحدث بينهما من التغالب والثاني وهو الاقرب ان لا نبني لزوم الفساد على الوجه الذي ذكرناه بل من وجه اخر فنقول
لو فرضنا الهين لكان كل واحد منهما قادرا على جميع المقدورات فيفضي الى وقوع مقدور من قادرين مستقلين من
وجه واحد وهو محال لان استناد الفعل الى الفاعل انما كان لامكانه فاذا كان كل واحد منهما مستقلا بالايجاد فالفعل لكونه مع هذا
يكون واجب الوقوع فيستحيل استناده الى هذا لكونه حاصلا منهما جميعا فيلزم استغناؤه عنهما واحتياجه اليهما معا
وذلك محال وهذه حجة تامة في مسالة التوحيد فالقول بوجود الالهين يفضي الى امتناع وقوع المقدور باحدهما
واذا كان كذلك وجب ان لا يقع البتة وحينئذ يلزم وقوع الفساد فيبطل القول بوجود الالهين بوجوب وقوع
الفساد قطعا وايضا لو قدرنا الهين فاما ان يتفقا او يختلفا فان اتفقا على الشيء الواحد فذلك الواحد مقدور لهما
ومراد لهما فيلزم وقوعه بهما وهو محال وان اختلفا فاما ان يقع المرادان او لا يقع واحد منهما او يقع احدهما دون الثاني والكل محال
فثبت ان الفساد لازم على كل التقديرات فان قيل لم لا يجوز ان يتفقا على الشيء الواحد ولا يلزم الفساد لانه انما يلزم لو اراد كل
واحد منهما ان يوجده هو وهذا محال فاما اذا اراد كل واحد منهما ان يكون الموجد احدهما بعينه فهناك لا يلزم وقوع
ذلك الاثر بقدرة احدهما وارادته اولى من وقوعه بقدرة الثاني لكنا قد فرضنا قدرة كل واحد منهما وارادته
مستقلة بالتاثير وان كان بالثالث فيدل ان يكون الوجود فيه امرا ثابتا فذلك المعلل كان يقتضي استحالة كونه
متعلق الارادة وان كان حادثا فهو نفس الاثر ونعبر هذا القسم هو القسم الثاني الذي ذكرناه واعلم انك لو وقفت
على حقيقة هذه الدلالة عرفت ان جميع ما في العالم العلوي والسفلي من المحدثات والمخلوقات فهو دليل وحدانيته
تعالى لانه لو اراد احدهما ان يكون صفيا والاخر ان يكون ... بل وجود كل واحد من الجواهر والاعراض دليل تام على
التوحيد من الوجه الذي بيناه وهذه الدلالة قد ذكرها الله في مواضع من كتابه واعلم ان هاهنا ادلة اخرى
على وحدانية الله تعالى احدها وهو الاقوى ان يقال لو فرضنا موجودين واجبي الوجود لذاتهما فلا بد وان يشتركا
في الوجوب فلا بد وان يمتاز كل واحد منهما عن الاخر بتعينه وما به المشاركة غير ما به المباينة فيكون كل واحد منهما مركبا
مما به المشاركة ومما به الممتاز به عنه وكل مركب فهو مفتقر الى الغير وكل مفتقر الى الغير فهو ممكن لذاته فواجب الوجود
لذاته ممكن الوجود لذاته وهذا خلف فواجب الوجود لذاته ليس الا الواحد وكل ما عداه فهو محدث وكيف جعل
هذه الدلالة تفسيرا للاية لانا لما دللنا على انه يلزم من فرض موجودين واجبين ان لا يكون شيء منهما
واجبا فاذا لم يوجد الواجب لم يوجد شيء من هذه الممكنات فحينئذ يلزم الفساد في كل العالم وثانيها انا لو قدرنا الهين
لوجب ان يكون كل واحد منهما مشاركا للاخر في الالهية فلا بد وان يتميز كل واحد عن الاخر بامر ما والا لما حصل التعدد
فما به المباينة اما ان يكون صفة كمال او لا يكون فان كان صفة كمال فالخالي عنه يكون خاليا عن الكمال فيكون ناقصا
والناقص لا يكون الها وان لم يكن صفة كمال فالموصوف به يكون موصوفا بما لا يكون صفة كمال فيكون ناقصا ويمكن ان يقال

ما به المباينة ان كان معتبرا في تحقق الالهية فالخالي عنه لا يكون الها وان لم يكن معتبرا في الالهية لم يكن الاتصاف به
واجبا فيفتقر الى المخصص فالموصوف به مفتقر ومحتاج وثالثها ان يقال لو فرضنا الهين لكان لا بد وان يكونا بحيث
يمكن العقل من التمييز بينهما لكن الامتياز في المعقول لا يحصل الا بالتباين في المكان او في الزمان او في الوجوب والامكان وكل
ذلك على الاله محال فيمتنع حصول الاثنينية ورابعها ان هذين الالهين اما ان يكون كل واحد منهما كافيا في تدبير العالم او لا فان كان كافيا
كان الثاني ضائعا غير محتاج اليه وذلك نقص والناقص لا يكون الها وان لم يكن كافيا فهو ناقص ايضا فلا يكون الها
وخامسها ان العقل يقتضي احتياج المحدث الى الفاعل ولا امتناع في كون الفاعل الواحد مدبرا لكل العالم فاما
ما وراء ذلك فليس عدد اولى من عدد فيفضي ذلك الى وجود اعداد لا نهاية لها وذلك محال فالقول
بوجود الاله محال وسادسها ان احد الالهين اما ان يقدر على ان يخفي نفسه بدليل يدل عليه فلا يقدر عليه غيره او
لا يقدر عليه والاول محال لان دليل الصانع ليس الا المحدثات وليس في حدوث المحدثات ما يدل على تعين احدهما
دون الثاني والثاني محال لانه يقتضي كونه عاجزا عن تعريف نفسه على التعيين والعاجز لا يكون الها وسابعها
ان احد الالهين اما ان يقدر على ان يستر شيئا من افعاله عن الاخر او لا يقدر فان قدر لزم كون المستور عنه جاهلا
وان لم يقدر لزم كونه عاجزا وثامنها لو قدرنا الهين لكان مجموع قدرتيهما اقوى من قدرة كل واحد
منهما وحده فيكون كل واحد منهما متناهيا والمجموع ضعف المتناهي فيكون الكل متناهيا وتاسعها
العدد ناقص لاحتياجه الى الواحد والواحد الذي يوجد من جنسه عدد ناقص لان العدد ازيد منه والناقص
لا يكون الها فالاله واحد لا محالة وعاشرها انا لو فرضنا معدوما ممكن الوجود ثم قدرنا الهين فان
لم يقدر واحد منهما على ايجاده كان كل واحد منهما عاجزا والعاجز لا يكون الها وان قدر احدهما دون الاخر فهذا
الاخر لا يكون الها وان قدرا جميعا فاما ان يوجداه بالتعاون فيكون كل واحد منهما محتاجا الى اعانة الاخر فيكون
كل واحد منهما عاجزا وان قدر كل واحد على ايجاده بالاستقلال فاذا اوجده احدهما فاما ان يبقى الثاني قادرا
عليه وهو محال لان ايجاد الموجود محال وان لم يبق فحينئذ يكون الاول قد ازال قدرة الثاني وعجزه
فيكون مقهورا تحت تصرفه فلا يكون الها فان قيل الواحد اذا اوجده فقد زالت قدرته عنه فيلزم العجز
قلنا الواحد اذا اوجده فقد نفذت قدرته فنفاذ القدرة لا يكون عجزا اما الشريك فانه ما نفذت قدرته البتة
بل زالت قدرته بسبب قدرة الاول فيكون تعجيزا وحادي عشرها ان نقرر هذه الدلالة على وجه اخر فنعين
جسما ونقول هل يقدر كل واحد منهما على خلق الحركة فيه بدلا من السكون وبالعكس فان لم يقدر كان عاجزا وان قدر
فنعود الى الدلالة الاولى فنقول اذا خلق احدهما فيه حركة امتنع على الثاني خلق السكون فالاول ازال قدرة
الثاني وعجزه فلا يكون الها وهذان الوجهان يدلان على العجز بالنظر الى قدرتهما والدلالة الاولى انما تفيد
العجز بالنظر الى ارادتهما وثاني عشرها انهما لما كانا عالمين بجميع المعلومات كان علم كل واحد منهما متعلقا
بعين معلوم الاخر فوجب تماثل علمهما والذات القابلة لاحد المثلين قابلة للمثل الاخر فاختصاص كل واحد منهما
بتلك الصفة مع جواز اتصاف الاخر على البدل يستدعي مخصصا يخصص كل واحد منهما بعلمه وقدرته فيكون
كل واحد منهما عبدا مفتقرا فانقطعا وثالث عشرها ان الشركة عيب ونقص والفردانية والتوحيد
صفة كمال ونرى الملوك يكرهون الشركة في الحقير المختصر اشد الكراهية ونرى انه كلما كان الملك اعظم كانت
النفرة عن الشركة فما ظنك بملك الله وملكوته فلو اراد احدهما استخلاص الملك لنفسه فان قدر عليه كان المغلوب
فقيرا عاجزا فلا يكون الها وان لم يقدر عليه كان في اشد الكراهية فلا يكون الها ورابع عشرها انا لو قدرنا الهين
لكان اما ان يحتاج كل واحد منهما الى الاخر او يستغني كل واحد منهما عن الاخر او يحتاج احدهما الى الاخر والاخر يستغني
فان كان الاول كان كل واحد منهما ناقصا لان المحتاج ناقص وان كان الثاني كان كل واحد منهما مستغنيا عنه والمستغنى عنه

نافعين المنون ان البلدة اذا كان له رئيس والناس يعقلون مصالح البلد من غير رجوع منهم اليه ومن غير التفات
منهم اليه فعند ذلك الرئيس نافعا فالاله هو الذي يستغنى به ولا يستغنى عنه وان احتاج احدهما الى الاخر من غير
عكس كان المحتاج ناقصا والمحتاج اليه هو الاله واعلم ان هذه الوجوه ظنية اقناعية والاعتماد على
الوجوه المتقدمة اما الدلايل السمعية فمن وجوه احدها قوله تعالى هو الاول لان الاول هو الفرد
السابق ولذلك لو قال اول عبد اشتريته فهو حر فلو اشترى اولا عبدين لم يحنث لان شرط الاول ان يكون فردا
وهذا ليس بعده فلو اشترى بعد ذلك واحدا لم يحنث لانه ليس سابقا فلما وصف الله تعالى نفسه بكونه اولا
وجب ان يكون فردا سابقا ووجب ان لا يكون له شريك وثانيها قوله وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو فالنص
يقتضي ان لا يكون احد سواه عالما بالغيب وهو على خلاف النص وثالثها ان الله تعالى صرح بكلمة لا اله الا الله في
سبعة وثلثين موضعا في كتابه وصرح بالوحدانية في مواضع نحو قوله انما الله اله واحد وقل هو الله احد
وكل ذلك صريح في الباب ورابعها قوله كل شيء هالك الا وجهه حكم بهلاك الكل سواه ومن عدم بعد وجوده
لا يكون قديما ومن لا يكون قديما لا يكون الاها وخامسها قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقوله
ولعلا بعضهم على بعض وقوله لابتغوا الى ذي العرش سبيلا وسادسها قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف
له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير ولو كان له شريك لكان ذلك الشريك جالبا للنفع ودافعا للضر فيبطل
الحصر المذكور في الاية وقالوا في اية اخرى ان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله
وفي اية اخرى قل افرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل
هن ممسكات رحمته وسابعها قوله تعالى قل ارأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله
غير الله يأتيكم به وهذا الحصر يدل على نفي الشريك وثامنها قوله الله خالق كل شيء فلو وجد الشريك لم يكن
خالقا فلم يكن فيه فايدة واعلم ان كل مسألة لا يتوقف صدق الرسل عليها فانه يمكن اثباتها بالسمع والوحدانية
لا يتوقف صدق الرسل عليها فلا جرم يمكن اثباتها بالدليل السمعية واعلم ان من طعن في دلالة التمانع فسر
الاية بان المراد لو كان في السما والارض الهة كما يقول عبدة الاوثان لزم فساد العالم لانها جمادات
لا تقدر على تدبير العالم فيلزم فساد العالم وقالوا هذا اولى لانه تعالى حكى عنهم فقال ام لهم الهة من الارض هم
ينشرون ثم ذكر الدلالة على فساد هذا ثم يجب ان يختص الدليل به اما قوله تعالى فسبحان الله رب العرش
عما يصفون ففيه مسايل المسألة الاولى انه سبحانه وتعالى لما اقام الدلالة القاطعة على التوحيد قال بعده
فسبحان الله رب العرش عما يصفون اي هو منزه لاجل هذه الادلة عن وصفهم بان معه الاها وفيه تنبيه
على ان الاشتغال بالتسبيح انما ينفع بعد اقامة الدلالة على كونه تعالى منزها وعلى ان طريقة التقليد طريقة
مهجورة والله اعلم المسألة الثانية لقايل ان يقول اي فايدة لقوله فسبحان الله رب العرش عما يصفون
جوابه ان هذه المناظرة انما وقعت مع عبدة الاصنام الا ان الدليل الذي ذكره الله تعالى يعم جميع المخالفين
ثم انه تعالى بعد ذكر الدليل العام نبه على نكتة خاصة لعبدة الاصنام وهي انه كيف يجوز للعاقل ان يجعل الجماد
الذي لا يعقل ولا يحس شريكا في الالهية لخالق العرش العظيم وموجد السموات والارضين ومدبر الخلايق
من النور والظلم واللوح والقلم والذات والصفات والجماد والنبات وانواع الحيوانات اجمعين اما
قوله تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فاعلم انه مشتمل على بحثين احدهما انه تعالى لا يسأل عن شيء من افعاله
ولا يقال له لم فعلت والثاني ان الخلايق مسؤولون عن افعالهم اما البحث الاول ففيه مسايل المسألة الاولى
في تعلق هذه الاية بما قبلها ان عمدة من اثبت لله شريكا ليس الا طلب اللمية في افعال الله تعالى وذلك
لان الثنوية والمجوس وهم الذين اثبتوا الشريك لله تعالى قالوا رأينا في العالم خيرا وشرا ولذة والما وحيوة
وموتا وصحة وسقما وغنى وفقرا وفاعل الخير خير وفاعل الشر شرير ويستحيل ان يكون الفاعل الواحد خيرا وشريرا

ولو كان له شريك لكان عالما بالغيب

معا

معا فلا بد من فاعلين ليكون احدهما فاعلا للخير والاخر للشر فرجع حاصل هذه الشبهة الى ان مدبر العالم
لو كان واحدا فلم خص هذا بالحيوة والصحة والغنى وخص ذلك بالموت والالم والفقر فيرجع حاصله الى طلب
اللمية لا جرم انه سبحانه بعد ان ذكر الدليل على التوحيد ذكر ما هو النكتة الاصلية في الجواب عن شبهة القايلين بالشريك لان
التمسك بالجدل في المناظرة ان يتبع الانسان ذكر الدليل المثبت للمطلوب ثم يذكر بعده ما هو الجواب عن شبهة الخصم المسألة
الثانية في الدلالة على انه سبحانه لا يسأل عما يفعل قال اهل السنة فانهم استدلوا عليه بامور احدها انه لو كان كل شيء فعله
بعلة لكانت عليته تلك العلة معللة بعلة اخرى ولزم التسلسل فلا بد في قطع السلسلة من الانتهاء الى ما يكون غنيا
عن العلة واولى الاشياء بذلك ذات الله تعالى وصفاته مبرأة عن الافتقار الى المبدع والمخصص فكذا فاعليته وجب ان
تكون منزهة عن الاستناد الى الموجد والمؤثر وثانيها ان فاعليته لو كانت بعلة لكانت تلك العلة اما ان تكون واجبة
او ممكنة فان كانت واجبة لزم من وجوبها وجوب كونه فاعلا وحينئذ يكون موجبا بالذات لا فاعلا بالاختيار وان
كانت ممكنة كانت تلك العلة فعلا لله تعالى ايضا فتفتقر فاعليته لتلك العلة الى علة اخرى ولزم التسلسل وهو محال
وثالثها ان علة فاعلية الله تعالى للعالم ان كانت قديمة وجب ان يكون فاعليته للعالم قديمة فيلزم قدم العالم
وان كانت محدثة افتقرت الى علة اخرى ولزم التسلسل ورابعها ان من فعل فعلا لغرض فاما ان يكون متمكنا من
تحصيل ذلك الغرض بدون تلك الواسطة او لا يكون متمكنا منه فان كان متمكنا منه كان توسط تلك الواسطة عبثا وان
ان لم يكن متمكنا منه كان عاجزا والعجز على الله محال اما العجز علينا فغير ممتنع فلذلك كان فعالنا معللة بالاغراض
ولكن ذلك في حق الله تعالى محال وخامسها انه لو كان فعله معللا بغرض لكان ذلك الغرض اما ان يكون عايدا
الى الله او الى العباد والاول محال لانه منزه عن النفع والضرر واذا بطل ذلك تعين ان الغرض لا بد وان يكون عايدا
الى العباد ولا غرض للعباد الا حصول اللذة وعدم حصول الالم والله تعالى قادر على تحصيلها ابتداء من غير شي
من الوسايط واذا كان كذلك استحال ان يفعل شيئا لاجل شيء وسادسها انه لو فعل فعلا لغرض لكان وجود
ذلك الغرض وعدمه بالنسبة اليه اما ان يكون على السوية او لا يكون فان كان على السوية استحال ان يكون غرضا وان
لم يكن على السوية لزم كونه سبحانه ناقصا بذاته كاملا بغيره وذلك محال فان قيل وجود ذلك الغرض وعدمه وان كان
بالنسبة اليه على السوية فاما بالنسبة الى العباد فالوجود اولى من العدم فلهذا تحصيل تلك الاولوية على السوية وعدم التسوية
الاول وسابعها ان الموجود اما من سبحانه او ملكه ومن تصرف في ملك نفسه لا يقال له لم فعلت ذلك وثامنها ان من
يقول لغيره لم فعلت ذلك فهذا السؤال انما يحسن حيث يحتمل ان يقدر السايل على منع المسؤول عنه عن فعله وذلك
من العبد في حق الله تعالى محال فانه لو فعل اي فعل شاء فالعبد كيف يمنعه عن ذلك بان يهدده بالعقاب والا يلام
وذلك على الله محال او بان يهدده باستحقاق الذم والخروج عن الحكمة والاتصاف بالسفاهة على ما يقوله المعتزلة
وذلك ايضا محال لانه سبحانه المحمود والمستحق لصفات الحكمة والجلال فثبت بالصفات القويمة الخارجية
ثبتت بهذه الوجوه انه لا يجوز ان يقال لله تعالى في افعاله لم فعلت ذلك وان كل شي صنعه فلا علة لصنعه واما المعتزلة
فانهم سلموا انه لا يجوز ان يقال لله لم فعلت هذا الفعل ولكنهم بنوا ذلك على اصل اخر وهو انه تعالى عالم بقبح
القبايح وعالم بكونه غنيا عنها ومن كان كذلك فانه يستحيل ان يفعل القبيح واذا عرفنا ذلك عرفنا اجمالا ان
كل ما يفعله الله فهو حكمة وصواب واذا كان كذلك لم يجز للعبد ان يقول لله لم فعلت هذا اما البحث
الثاني وهو قوله تعالى وهم يسألون فهذا يدل على كون المكلفين مسؤولين عن افعالهم وفيه مسايل المسألة
الاولى ان الكلام في هذا السؤال اما في الامكان العقلي او في الوقوع السمعي اما الامكان العقلي فالخلاف فيه
مع منكري التكليف واحتجوا على قولهم بوجوه احدها ان التكليف اما ان يتوجه على العبد حال استواء داعيته
الى الفعل والترك او حال رجحان احدهما على الاخر والاول محال لان حال الاستواء يمتنع الترجيح وحال امتناع
الترجيح يكون تكليفا بالمحال والثاني محال لان حال الرجحان يكون الراجح واجب الوقوع فيكون التكليف عبثا

وامتناع ما هو ممتنع الوقوع تكليف بما لا يطاق وثانيهما قالوا كل ما علم الله انه لا يقع فهو واجب الوقوع فيكون التكليف به عبثا
وكل ما علم الله عدمه كان ممتنع الوقوع فيكون التكليف تكليفا بما لا يطاق وثالثها قالوا سؤال العبد اما ان يكون
لفايدة او لا لفايدة فان كان لفايدة فان عادت الى الله فهو محال لان سؤاله لما كان سببا لتوجه العذاب لم يكن هذا نفعا
عايدا الى العبد بل ضررا عايدا اليه وان لم يكن في السؤال فايدة كان عبثا وهو غير جائز على الحكيم بل كان الضرر له وهو غير
جائز على الرحيم والجواب عنها من وجهين احدهما ان غرضكم من ايراد هذه الشبهة النافية للتكليف ان تلزمونا نفي
التكليف فكانكم كلفتمونا بنفي التكليف وهو مناقض لما انتم عليه وان سلمنا ذلك لكم فهذه الشبهات على حرف
واحد وهو ان التكاليف كلها تكليف بما لا يطاق ولا يجوز من الحكيم ان يوجبها على العباد فيرجع حاصل هذه الشبهات
الى الله تعالى لم كلفت عبادك الا انا قد بينا انه سبحانه لا يسأل عما يفعل فظهر بهذا ان قوله لا يسأل
عما يفعل والتابع لقوله وهم يسألون فتأمل في هذه الدقائق العجيبة لتقف على طرف من اسرار علم القرآن
واما الوقوع السمعي فلما دل ان قوله وهم يسألون وان كان شاملا بقوله فوربك لنسألنهم اجمعين ونحوه
وقفوهم انهم مسؤولون الا انه قد فسره بقوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان والجواب ان يوم القيامة
يوم طويل وفيه مقامات فيصرف كل واحد من السلب والايجاب الى مقام آخر دفعا للتناقض المسألة الثانية
قالت المعتزلة انه تعالى لو كان هو الخالق للحسن والقبيح لوجب ان يسأل عما يفعل بل كان يذم بما من حقه الذم
كما يحمد بما من حقه الحمد وثانيها انه كان يجب ان لا يسأل عن المعاصي اذ كان لا فاعل سواه
وثالثها انه كان لا يجوز ان يسألوا عن عملهم اذ لا عمل لهم ولا يمكنهم ان يعدلوا عنها من حيث
خلقها واوجدها فيهم ورابعها انه تعالى صرح في كثير من المواضع انه تقبل حجة العباد عليه كقوله رسلا
مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وهذا يقتضي ان لهم عليه الحجة قبل بعثة الرسل وقوله ولو انا
اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى ونظاير
هذه الايات كثيرة وكلها يدل على ان حجة العبد متوجهة على الله تعالى وسادسها قال ثمامة اذا وقف
العبد يوم القيامة فيقول الله ما حملك على معصيتي فيقول على مذهب الجبر يا رب انك خلقتني كافرا وامرتني
بما لا اقدر عليه وحلت بيني وبينه ولا شك انه على مذهب الجبر يكون صادقا فيقول الله تعالى هذا يوم ينفع
الصادقين صدقهم فحسبان سمع هذا الكلام تقبل له ومن بدعة تقول هذا ادحج تعالى ثمامة الشيخ
اذا سمعه الله الكلام بلا حجة فقد علم انه منعه مما لو لم يمنعه لانقطع في يده وهذا نهاية الانقطاع والجواب
عن هذه الوجوه التي بينا فيها انه سبحانه طلب لمية افعال الله واحكامه اما ان يكون لاحد ان يطلبه
هذا استعظاما لكفرهم اي صفتم الله بان له شريكا فهاتوا برهانكم على ذلك اما من جهة العقل او
من جهة النقل فانه سبحانه لما ذكر دليل التوحيد اولا وقرر اصل الدليل عليه طالبهم بحجة شبهات القائلين
بالتشبيه ثانيا اخذ بطالبهم بدلائل شبهتهم المثنا اما قوله هذا ذكر من معي وذكر من قبلي ففيه مسائل
المسألة الاولى في تفسيره وفيها اقوال احدها هذا ذكر من معي اي هذا هو الكتاب المنزل على من معي
وهذا ذكر من قبلي اي الكتاب المنزل على من تقدمني من الانبياء وهو التوراة والانجيل والزبور والصحف
وليس في شيء منها اني اذنت بان تتخذوا الها من دوني بل ليس فيها الا اني انا الله لا اله الا انا كما قال بعد
هذا وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون هذا قول ابن عباس واختيار
القفال والزجاج والثاني قول سعيد بن جبير وقتادة ومقاتل والسدي ان قوله وذكر من قبلي صفة القرآن
فانه كما يشتمل على احوال هذه الامة فكذا يشتمل على احوال الامم السالفة الثالث ذكر القفال وفيه ان المعنى قل لهم
هذا الكتاب الذي جئتكم به قد اشتمل على بيان احوال من معي من المخالفين والموافقين وعلى بيان احوال من قبلي
من المخالفين والموافقين فاختاروا لانفسكم كان الوجه فيه التهديد المسألة الثانية قال صاحب الكشاف

قوله

قرئ هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بالتنوين ومن مفعول منصوب بالذكر كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة
يتيما ذا مقربة وهو الاصل والاضافة من اضافة المصدر الى المفعول كقوله غلبت الروم وهم من بعد غلبهم سيغلبون
وقرئ من معي ومن قبلي على من الاضافة في هذه القراءة وادخال الجار على مع غريب والعذر فيه انه اسم هو ظرف
نحو قبل وبعد فدخل من عليه كما تدخل على اخواته وقرئ ذكر معي وذكر قبلي فاما قوله بل اكثرهم لا يعلمون الحق
فهم معرضون فمعناه انه سبحانه لما طالبهم بالدلالة على ما ادعوه وبين انه لا دليل لهم البتة
عليه لا من جهة العقل ولا من جهة السمع ذكر بعده ان وقوعهم في هذا المذهب الباطل ليس لاجل دليل ساقهم
اليه بل لان ما هو اصل الشر والفساد كله وهو عدم العلم ثم ترتب على عدم العلم الاعراض عن استماع
الحق وطلبه المسألة الثانية قال صاحب الكشاف قرئ الحق بالرفع على توسيط التوكيد بين السبب
والمسبب والمعنى ان اعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل اما قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه
لا اله الا انا فاعبدون فاعلم ان نوحي ويوحى قراءتان مشهورتان وهذه الآية مقررة لما سبقها من آيات
التوحيد

قوله تعالى

وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم
بامره يعملون يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم اني اله
من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين اعلم انه سبحانه لما بين بالدلائل الباهرة كونه منزها عن الشريك
والضد والند اردف ذلك ببراءته عن اتخاذ الولد فقال وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة
بنات الله واضافوا الى ذلك انه تعالى صاهر الجن على ما حكى الله عنهم فقال وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ثم انه
سبحانه نزه نفسه عن ذلك بقوله سبحانه لان الولد لا بد وان يكون شبيها بالوالد فلو كان لله ولد لاشبهه من بعض
الوجوه فلا بد وان يكون مخالفا له من وجه آخر وما به المشاركة غير ما به المباينة فيلزم التركيب في ذات الله سبحانه وكل
مركب ممكن فاتخاذه الولد يدل على كونه ممكنا غير واجب وذلك يخرجه عن حد الالهية ويدخله في حد العبودية ولذلك نزه
نفسه اما قوله بل عباد مكرمون فاعلم انه سبحانه وتعالى لما نزه نفسه عن الولد اخبر عنهم بانهم عباد والعبودية
تنافي الولادة الا انهم مكرمون مفضلون على سائر العباد وقرئ مكرمون وقوله لا يسبقونه بالقول فيه نسبته
استعير والمعنى انهم يتبعون قوله ولا يقولون شيئا حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله وكما ان قولهم تابع لقوله فعملهم
ايضا كذلك مبني على امره لا يعملون عملا ما لم يؤمروا به ثم انه سبحانه ذكر ما يجري مجرى السبب لهذه الطاعة فقال
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والمعنى انهم لما علموا كونه سبحانه عالما بجميع المعلومات علموا كونه عالما بظواهرهم و
بواطنهم فكان ذلك داعيا لهم الى نهاية الخضوع وكمال العبودية وذكر المفسرون فيه وجوها احدها قال ابن عباس
يعلم ما قدموا واخروا من اعمالهم وثانيها ما بين ايديهم الآخرة وما خلفهم الدنيا وقيل على عكس ذلك وثالثها
ما كان قبل ان خلقهم وما كان بعد ما خلقهم والمقصود من الكل المعنى انهم يتقلبون تحت قدرته وملكوته
وهو محيط بهم واذا كانت هذه حالتهم فكيف يجترؤون على العبادة وكيف يتقدمون بين يديه ولا يشفعون
بما لم يأذن الله فيه ثم كشف عن هذا المعنى فقال ولا يشفعون الا لمن ارتضى اي لمن هو عند الله مرضي ومن
خشيته مشفقون خائفون لا يأمنون مكره وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى جبريل عليه السلام ليلة المعراج
ساقطا كالحلس من خشية الله ونظيره قوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن اما قوله ومن يقل منهم اني
اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين فالمعنى ان كل من يقول من الملائكة ذلك القول فانا نجازيه بذلك الجزاء بل
بهذا الجزاء ويعبر عليهم قالوا ذلك وما قالوه وهو قريب من قوله لئن اشركت ليحبطن عملك وها هنا مسائل
المسألة الاولى هذه الصفات تدل على العبودية فتنافي الولادة من وجوه احدها انهم مطيعون في الطاعة الى حيث لا يقولون
ولا يعملون الا بامره وهذه من صفات العبيد لا من صفات الاولاد وثانيها انه سبحانه لما كان عالما باسرار الملائكة
وهم لا يعلمون اسرار الله وجب كون الاله المستحق للعبادة هو هو لا الملائكة وهذه الدلالة هي بعينها ذكرها عيسى عليه السلام

فى قوله تعالى تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك وهو اعلم وثالثها انهم لا يشفعون الا لمن ارتضى ومن كان كذلك او
ولدا الا لو لا يكون كذلك ورابعها انهم على نهاية الاشفاق والوجل وذلك ليس الا من صفات العبيد وخامسها
تنبيهه تعالى بقوله ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم على ان حالهم حال سائر العبيد المكلفين
فى الوعد والوعيد فكيف يصح كونهم الهة المسئلة الثانية احتجت المعتزلة بقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى
على ان الشفاعة فى الآخرة لا تكون لاهل الكبائر لانه لا يكون الله مرتضيا لهم والجواب قال ابن عباس
رضى الله عنهما والضحاك الا لمن ارتضى اى الا لمن قال لا اله الا الله واعلم ان هذه الآية من اقوى الدلائل لنا فى اثبات
الشفاعة لاهل الكبائر وتقريره هو ان من قال لا اله الا الله فقد ارتضاه الله فى ذلك ومتى صدق عليه انه
ارتضاه الله لان المركب متى صدق فقد صدق لا محالة كل واحد من اجزائه واذا ثبت ان الله سبحانه قد ارتضاه
وجب اندراجه تحت هذه الآية فثبت بالتقرير الذى ذكرناه ان هذه الآية من اقوى الدلائل لنا على ما قاله ابن عباس
رضى الله عنهما المسئلة الثالثة هذه الآيات تدل على امور ثلثة احدها انها تدل على كون الملائكة مكلفين من حيث قال
لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون ومن حيث قال مشفقون من خشية الوعيد وثانيها تدل على ان الملائكة
معصومون لانه قال وهم بامره يعملون وثالثها قال القاضى عبد الجبار قوله كذلك نجزى الظالمين يدل على ان
كل ظالم يجزيه الله جهنم كما توعد الملائكة به وذلك يوجب القطع على انه تعالى لا يغفر لاهل الكبائر فى الآخرة
والجواب انه ان هذا العموم مشعر بالوعيد معارض بعمومات الوعد

قوله تعالى

اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى افلا يؤمنون
وجعلنا فى الارض رواسى ان تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن
آياتها معرضون وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون اعلم انه سبحانه وتعالى شرع الآن
فى الدلائل الدالة على وجود الصانع وهذه الدلائل ايضا دالة على كونه منزها عن الشريك لانها دالة على حصول
النظم العجيب فى العالم ووجود الالهين يقتضى وقوع الفساد فهذه الدلائل تدل من هذه الجهة على التوحيد فيكون
كالتوكيد لما تقدم ومنها ما يفيد الرد على عبدة الاوثان من حيث ان الاله القادر على مثل هذه المخلوقات الشريفة كيف يجوز
فى العقل ان يعدل عن عبادته الى عبادة حجر لا يضر ولا ينفع فهذا وجه تعلق هذه الآية بما قبلها واعلم انه
سبحانه ذكر ههنا ستة انواع من الدلائل النوع الاول قوله اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا
ففتقناهما وفيه مسائل المسئلة الاولى قرأ ابن كثير الم ير بغير الواو والباقون بالواو وادخال الواو يدل
على العطف لهذا القول على ما تقدمه قال صاحب الكشاف قرئ رتقا بفتح التاء وكلاهما فى معنى المفعول
كالخلق والنقض اى كانتا مرتوقتين فان قلت الرتق صالح ان يقع موقع مرتوقتين لانه مصدر فما بال الرتق
قلت هو على تقدير موصوف اى كانتا شيئا رتقا المسئلة الثانية لقائل ان يقول المراد من الرؤية فى قوله
تعالى اولم ير الذين كفروا اما الرؤية واما العلم والاول مشكل اما اولا فلان القوم ما رأوها كذلك البتة
واما ثانيا فلقوله سبحانه وتعالى ما اشهدتهم خلق السموات والارض واما العلم فمشكل لان الاجسام قابلة للفتق
والرتق فى انفسها فالحكم عليها بالرتق اولا وبالفتق ثانيا لا سبيل اليه الا بالسمع والمناظرة مع الكفار المنكرين
للرسالة لا سبيل اليها فكيف يجوز مثل هذا الاستدلال والجواب المراد من الرؤية هو العلم وما ذكروه من
السؤال فدفعه من وجوه احدها انا نثبت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بسائر المعجزات ثم نستدل بقوله
ثم نجعلها دليلا على حصول النظام فى العالم وانتفاء الفساد عنه وذلك يستلزم الدلالة المذكورة فى التوحيد
وثانيها ان يحمل الرتق والفتق على امكان الرتق والفتق والعقل يدل عليه لان الاجسام يصح عليها الاجتماع
والافتراق فاختصاصها بالاجتماع دون الافتراق او بالعكس يستدعى مخصصا وثالثها ان اليهود والنصارى
كانوا عالمين بذلك فانه جاء فى التوراة ان الله تعالى خلق جوهرة ثم نظر اليها بعين الهيبة فصارت ماء

ثم خلق

ثم خلق السموات والارض منها وفتق بينها وكان بين علماء اليهود وبين العرب نوع صداقة بسبب الاشتراك فى عداوة
محمد صلى الله عليه وسلم فاحتج الله عليهم بهذه الحجة بناء على انهم يقبلون قول اليهود فى ذلك المسئلة الثالثة انما قال
كانتا ولم يقل كن رتقا لان السموات لفظ الجمع والمراد به الواحد الدال على الجنس قال الاخفش السموات نوع والارض
نوع ومثله ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ومن ذلك قولهم اصلحنا بين القومين ومرت بنا غنمان اسودان لان هذا
القطيع غنم وذلك غنم المسئلة الرابعة الرتق فى اللغة السد يقال رتقت الشىء فارتتق والفتق الفصل بين
الشيئين الملتزقين قال الزجاج والرتق مصدر والمعنى كانتا ذواتى رتق قال المفضل انما لم يقل كانتا رتقين
كقوله وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام فان كل واحد جسد كذلك فههنا جعل كل واحد رتقا المسئلة
الخامسة اختلف المفسرون فى المراد من الرتق والفتق على اقوال احدها وهو قول الحسن وقتادة وسعيد بن جبير
ورواية عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهم ان المعنى كانتا شيئا واحدا ملتزقين ففصل الله بينهما ورفع السماء الى
حيث هى واقر الارض وهذا القول يوجب ان خلق الارض مقدم على خلق السماء لانه تعالى لما فصل بينهما
ترك الارض حيث هى واصعد الاجزاء السماوية قال كعب خلق الله السموات والارض ملتصقتين ثم خلق
ريحا توسطتهما ففتقتهما بها وثانيها وهو قول ابى صالح ومجاهد ان المعنى كانت السموات مرتتقة
فجعلها سبع سموات وكذلك الارضون وثالثها وهو قول ابن عباس والحسن واكثر المفسرين ان السموات كانتا
رتقا بالاستواء والصلابة ففتق الله السماء بالمطر والارض بالنبات والشجر ونظيره قوله والسماء ذات الرجع والارض
ذات الصدع ورجحوا هذا الوجه على سائر الوجوه بقوله بعد ذلك وجعلنا من الماء كل شىء حى وذلك لا يليق
الا وللماء تعلق بما تقدم ولا يكون كذلك الا اذا كان المراد ما ذكرنا فان قيل هذا الوجه مرجوح لان المطر لا ينزل
من السموات بل من سماء واحدة وهى سماء الدنيا قلنا انما اطلق عليه لفظ الجمع لان كل قطعة منها سماء كما يقال
ثوب اخلاق وبرمة اعشار واعلم ان على هذا التأويل يجوز حمل الرؤية على الابصار ورابعها قول
ابى مسلم الاصفهانى يجوز ان يراد بالفتق الايجاد والاظهار كقوله فاطر السموات والارض وكقوله بل ربكم رب
السموات والارض الذى فطرهن فاخبر عن الايجاد بلفظ الفتق وعن الحال قبل الايجاد بلفظ الرتق اقول
وتحقيقه ان العدم نفى محض فليس فيه ذوات واعيان متباينة بل كانه امر واحد متصل متشابه فاذا وجدت
الحقائق فعند الوجود والتكوين تتميز بعضها عن بعض وينفصل بعضها عن بعض فبهذا الطريق حسن جعل الرتق
مجازا عن العدم والفتق عن الوجود وخامسها ان الليل سابق على النهار لقوله وآية لهم الليل نسلخ
منه النهار فكانت السموات والارض مظلمة اولا ففتقهما الله باظهار النهار المبصر فان قيل
فاى الاقاويل احق قلنا الظاهر يقتضى ان السماء على ما هى عليه كانتا رتقا ولا يجوز كونهما كذلك
الا وهما موجودان والرتق ضد الفتق واذا كان الفتق هو المفارقة فالرتق يجب ان يكون هو الملازمة وبهذا
الطريق صار الوجه الرابع والخامس مرجوحا ويصير الوجه الاول اولى الوجوه ويتلوه الوجه الثانى وهو ان كل
واحد منهما كانتا رتقا ففتقهما بان جعل كل واحد سبعا ويتلوه الثالث وهو انهما كانتا صلبتين من غير
فطور وفرج ففتقهما لينزل المطر من السماء ويظهر النبات على الارض المسئلة السادسة دلالة هذه
الوجوه على اثبات الصانع وعلى وحدانيته ظاهرة لان احدا لا يقدر على مثل ذلك وفيه غرابة انه سبحانه خلقهما رتقا
لما فيه من المصلحة للملائكة ثم لما اسكن الله الارض اهلها جعلها فتقا لما فيه من منافع العباد النوع الثانى من الدلائل
قوله تعالى وجعلنا من الماء كل شىء حى المسئلة الاولى قال صاحب الكشاف قوله وجعلنا لا يخلو اما
ان يتعدى الى واحد او الى اثنين فان تعدى الى واحد فالمعنى خلقنا من الماء كل شىء حى لفرط احتياجه اليه وحبه له
وقلة صبره عنه كقوله خلق الانسان من عجل وان تعدى الى اثنين فالمعنى صيرنا كل شىء حى بسبب من الماء
لا بد له منه ومن ههنا نحو من فى قوله عليه السلام ما انا من دد ولا الدد منى وقرئ حيا وهو المفعول الثانى

المسألة الثانية لقائل ان يقول كيف قال خلقنا من الماء كل حيوان وقد قال والجان خلقناه من قبل من نار السموم وجاء في
الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق الملائكة من النور وقال تعالى في حق عيسى عليه السلم واذ تخلق من الطين كهيئة الطير
فتنفخ فيه فيكون طيرا وقال في حق آدم صلوات الله عليه خلقه من تراب والجواب اللفظ وان كان عاما الا ان القرينة المخصصة
قائمة فان الدليل لا بد وان يكون محسوسا للكفار ليتوصلوا به الى المقصود وهذا الطريق يخرج عنه الملائكة والجن وآدم و
قصة عيسى عليه السلم لان الكفار لم يروا شيئا من ذلك المسألة الثالثة اختلف المفسرون فقال بعضهم المراد من قوله كل
شي حي الحيوان فقط وقال آخرون بل يدخل فيه النبات والشجر لانه من آثار الماء صار ناميا وصار فيه الرطوبة والخضرة
والنور والثمر وهذا القول اليق بالمعنى المقصود لانه كانه قال تعالى ففتقنا السما لانزال المطر وجعلنا منه كل شي حي من
الارض من النبات وغيره حجة القول الاول ان النبات لا يسمى حيا قلنا لا نسلم والدليل عليه قوله تعالى كيف يحيي
الارض بعد موتها اما قوله افلا يؤمنون فالمراد افلا يؤمنون بان يتدبروا هذه الادلة فيعلموا بها الخلاق الذي
لا يشبهه غيره ويتركوا طريقة الشرك النوع الثالث قوله تعالى وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم المسألة الاولى
ان تميد بهم اي كراهة ان تميد ولان لا تميد بهم فحذف لا واللام وانما جاز حذف لا لعدم الالتباس كما يزاد ذلك في قوله
لئلا يعلم اهل الكتاب المسألة الثانية الرواسي الجبال والرواسي من الداخلة في الارض المسألة الثالثة قال ابن عباس
رضي الله عنهما ان الارض بسطت على الماء فكانت تتكفأ باهلها كما تتكفأ السفينة لانها بسطت على الماء فارساها الله
بالجبال الثقال النوع الرابع قوله تعالى وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون المسألة الاولى قال صاحب الكشاف
الفج الطريق الواسع فان قلت في الفجاج معنى الوصف فما لها قدمت على السبل ولم تؤخر كما في قوله تعالى لتسلكوا
منها سبلا فجاجا قلت لم تتقدم وهي صفة ولكنها جعلت حالا كقولهم لعزة موحشا طلل قديم والفرق من جهة
المعنى ان قوله سبلا فجاجا اعلام بانه سبحانه جعل فيها طرقا واسعة واما قوله فجاجا سبلا فهو اعلام بانه
سبحانه حين خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما ابهم في الآية الاولى المسألة الثانية في قوله فيها قولان
احدهما انها عائدة الى الجبال اي وجعلنا في الجبال الرواسي فجاجا سبلا اي طرقا واسعة في الجبال وهو قول مقاتل
والضحاك ورواية عطاء عن ابن عباس وعن ابن عمر رضي الله عنهم قال كانت الجبال منضمة فلما اغرق الله قوم نوح
فرقها فجاجا وجعل فيها طرقا والثاني انها عائدة الى الارض اي وجعلنا في الارض فجاجا وهي المسالك والطرق وهو قول الكلبي
المسألة الثالثة قوله لعلهم يهتدون معناه لكي يهتدوا اي لكي يهتدوا الى مقاصدهم في بلادهم والمسألة الرابعة في يهتدون قولان الاول
ليهتدوا الى البلاد والثاني ليهتدوا الى وحدانية الله تعالى بالاستدلال بها قالت المعتزلة وهذا الاول يدل على انه
تعالى اراد من جميع المكلفين الاهتداء والكلام عليه قد تقدم وبينه قول ... انا لا نقصد الى البلاد ولا نهتدي
الى وحدانية الله تعالى مشترك في مفهوم واحد هو اصل الاهتداء فحمل اللفظ على ذلك المشترك مستقلا في تكثير
معا النوع الخامس قوله تعالى وجعلنا السما سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون فيه مسائل المسألة
الاولى سمى السما سقفا لانها للارض كالسقف للبيت المسألة الثانية في المحفوظ قولان احدهما انه محفوظ من
الوقوع والسقوط الذي يجري مثله على سائر السقوف كقوله ويمسك السما ان تقع على الارض الا باذنه وقال ومن آياته ان
تقوم السما والارض بامره وقال تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ... وحفظهما الثاني
محفوظا من الشياطين قال تعالى وحفظناها من كل شيطان رجيم ثم ههنا قولان احدهما انه محفوظ بالملائكة من
الشياطين والعقل على القول الاول اولى لان حمل الآية عليه مما يزيد هذه النعمة عظما لانه سبحانه وتعالى كالمتكفل بحفظه
وسقوطه عن المكلفين بخلاف القول الثاني لانه لا يخاف على السما من استراق السمع للجن المسألة الثالثة قوله تعالى
وهم عن آياتها معرضون معناه هم عما وضع الله فيها من الادلة والعبر في حركاتها وكيفية حركاتها وجهات حركاتها
ومطالعها ومغاربها واتصالات بعضها ببعض وانفصالاتها على الحساب القويم والترتيب العجيب الدال على
الحكمة البالغة والقدرة الباهرة المسألة الرابعة قرئ عن آيتها على التوحيد والمراد الجنس اي هم متفطنون

لما يرد

لما يرد عليهم من السما من المنافع الدنيوية كالاستضاءة بقمريها والاهتداء بكواكبها وحيي الارض بامطارها وهم عن كونها آية
بينة على وجود الخالق ووحدانيته معرضون النوع السادس قوله وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك
يسبحون المسألة الاولى اعلم انه سبحانه لما قال وهم عن آياتها معرضون فصل تلك الآيات هاهنا لانه تعالى لو خلق السما ولم يخلق
الشمس والقمر ليظهر بهما الليل والنهار ويظهر بهما من المنافع بتعاقب الحر والبرد لم تتكامل نعم الله على عباده بل انما يكمل ذلك
بسبب حركاتها فلهذا قال تعالى كل في فلك يسبحون وتقريره ان يقول ... للاجرام الفلكية حركات مختلفة فمنها حركة تشملها
باسرها آخذة من المشرق الى المغرب وهي حركة الشمس اليومية ثم زعم جمهور الفلاسفة واصحاب الهيئة ان هاهنا حركة اخرى من
المغرب الى المشرق قالوا وهي ظاهرة في السبعة السيارة خفية في الثابتة واستدلوا عليه بانا وجدنا الكواكب السيارة
كلما كانت اسرع حركة اذا قارنت ... بها حركة ثم تبعد بعد ذلك عنه نحو المشرق وهذا في القمر ظاهر جدا فانه يظهر
بعد الاجتماع بيوم او يومين من ناحية المغرب على بعد من الشمس ثم يزداد كل ليلة بعدا منها الى ان يقابلها على قريب
من نصف شهر وكل كوكب كان شرقيا عنه على طريقته في ممر البروج يزداد كل ليلة قربا منه ثم اذا ادركه ستره بطرفه الشرقي
وينكشف لذلك الكوكب بطرفه الغربي فعرفنا ان لهذه الكواكب السيارة حركة من المغرب الى المشرق هذا ما لو ... في هذا المقام
فيه وقلنا ان ذلك محال لان الشمس مثلا لو كانت متحركة بذاتها من المغرب بحركة بطيئة ولا شك انها متحركة بسبب الحركة اليومية
من المشرق الى المغرب لزم كون الجرم الواحد متحركا حركتين الى جهتين مختلفتين دفعة واحدة وذلك محال لان الحركة
الى جهة تقتضي حصول المتحرك في الجهة المنتقل اليها فلو تحرك الجسم الواحد دفعة واحدة الى جهتين لزم حصوله دفعة
واحدة في مكانين وهو محال فان قيل لم لا يجوز ان يقال الشمس حال حركتها الى الجانب الشرقي تنقطع حركتها الى الجانب
الغربي وبالعكس واما تمثيلكم ... ينتقض بما اذا حركت الرحى الى جانب والنملة التي عليها تتحرك الى خلاف ذلك
الجانب قلنا اما اولا فلا يستقيم على اصولكم لان حركات الافلاك مصونة عن الانقطاع عندكم واما ثانيا فنقول هذا يحتمل
وما ذكرناه برهان قاطع ولا تعارضان اما الذي احتجوا به على ان للكواكب حركة من المغرب الى المشرق فهو ضعيف فانه
فلم لا يجوز ان يقال ان جميع الكواكب متحركة من المشرق الى المغرب الا ان بعضها ابطأ من البعض فيتخلف بعضها عن بعض
فبسبب ذلك التخلف نظن انها تتحرك الى خلاف تلك الجهة مثلا الفلك الاعظم استدار من اول اليوم الاول الى اليوم الثاني دورة
تامة الا مقدار ثانية فيظن ان تلك الثوابت تحركت من الجهة الاخرى مقدار ثانية وكذا القول في زحل الا انه يتخلف بمقدار
ثانية وعلى هذا التقدير فجميع الحركات شرقية واسرعها الحركة اليومية ثم يليها في السرعة تلك الثوابت ثم يليها زحل وهكذا
الى ان ينتهي الى فلك القمر فهو ابطأ الافلاك حركة وهذا الذي قلناه مما يشهد له البرهان المذكور فهو اقرب الى ترتيب الوجود
فان على هذا التقدير تكون نهاية الحركة للفلك المحيط وهو الفلك الاعظم ونهاية السكون للجرم الذي هو في غاية البعد وهو الارض
ثم كل ما كان اقرب الى الفلك المحيط كان اسرع في حركته وما كان ابعد كان ابطأ فثبت بما ذكرنا ان قولهم في حركات الافلاك
اعلم انا وان قلنا ان حركاتها في عرضها ... وذلك باختلاف ميولها الى الشمال والجنوب اذا ثبت هذا فنقول لو لم يكن للكواكب
حركة في الميل لكان التأثير مخصوصا ببقعة واحدة وكان سائر الجوانب تخلو عن المنافع الحاصلة منه وكان الذي يقرب منه
متشابه الاحوال وكانت القوة هناك لكيفية واحدة فان كانت حارة افنت الرطوبات فاحالتها كلها الى النارية وبالجملة
يكون الموضع المحاذي لممر الكواكب على كيفية وخط ما لا يحاذيه على كيفية اخرى والخط المتوسط بينهما على كيفية اخرى
فيكون في موضع شتاء دائم ويكون فيه الهواء والسحاب وفي موضع آخر صيف دائم يوجب الاحتراق وفي موضع ربيع او خريف
لا يتم فيه نضج ولو لم تكن عودات متتالية ولو كانت الكواكب تتحرك بطيئا لكان الميل قليل المنفعة والتأثير شديد الافراط
وكان يعرض في سائر ... ولو لم يكن ميل ولو كانت الكواكب اسرع حركة من هذه لما كملت المنافع وما تمت واما اذا كان هناك
ميل يحفظ الحركة في جهة مدة ثم ينتقل الى جهة اخرى بمقدار الحاجة ويبقى في كل جهة دهرا فلذلك تأثيره بحيث يبقى مصونا
عن الافراط والتفريط وبالجملة فالعقول لا تقف على القليل من اسرار المخلوقات فسبحان الخالق المدبر بالحكمة البالغة
والقدرة الغير المتناهية المسألة الثانية انه لا يجوز ان يقال كل في فلك يسبحون الا ويدخل في الكلام مع الشمس والقمر النجوم

لست بمعنى الجمع ومعنى الكل حصارت النجوم وانا لم نكن مذكورة اولا كانما مذكورة بعود هذا الضمير اليها المسئلة الثالثة
الفلك في كلام العرب كل شيء دائر وجمعه افلاك واختلف العقلاء فيه فقال بعضهم الفلك ليس بجسم وانما هو مدار
هذه النجوم وهو قول الضحاك وقال الاكثرون بل هي اجسام تدور النجوم عليها وهذا اقرب الى ظاهر القرآن ثم اختلفوا
في كيفيته فقال بعضهم الفلك موج مكفوف تجري الشمس والقمر والنجوم فيه وقال الكلبي ماء مجموع ملفوف
تجري فيه الكواكب واحتج بان السباحة لا تكون الا في الماء قلنا لا نسلم فانه يقال في الفرس الذي يمد يديه في
الجري سابح وقال جمهور الفلاسفة واصحاب الهيئة انها اجرام صلبة لا ثقيلة ولا خفيفة غير قابلة للخرق والالتئام
والنمو والذبول فاما الكلام على الفلاسفة فهو مذكور في الكتب اللائقة به والحق انه لا سبيل الى معرفة صفات السموات
الا بالخبر المسئلة الرابعة اختلف الناس في حركات الكواكب والوجوه الممكنة فيها ثلثة فانه اما ان يكون الفلك ساكنا
والكوكب يتحرك فيه كحركة السمكة في الماء الراكد واما ان يكون الفلك متحركا والكوكب يتحرك فيه ايضا اما مخالفا لجهة حركته
او موافقا لجهته اما بحركة مساوية لحركة الفلك في السرعة والبطء او مخالفة واما ان يكون الفلك متحركا والكوكب ساكنا
اما الراي الاول فقالت الفلاسفة انه باطل لانه يوجب خرق الفلك وهو محال واما الراي الثاني فحركة الكوكب
ان فرضت مخالفة لحركة الفلك فذلك ايضا يوجب الخرق ولو كانت حركتها الى جهة حركة الفلك فان كانت مخالفة لها
في السرعة والبطء لزم الانخراق وان استويا في الجهة والسرعة والبطء فالخرق ايضا لازم لان الكوكب يتحرك بالعرض
بسبب حركة الفلك فتبقى حركته الذاتية زائدة فيلزم الخرق فلم يبق الا القسم الثالث وهو ان يكون الكوكب مغروزا
في الفلك واقفا فيه والفلك يتحرك فيتحرك الكوكب بسبب حركة الفلك واعلم ان مدار هذا الكلام على
امتناع الخرق على الافلاك وهو باطل بل الحق ان الاقسام الثلاثة ممكنة والله تعالى قادر على الممكنات والذي
يدل عليه لفظ القرآن ان تكون الافلاك واقفة والكواكب تكون جارية فيها كما تسبح السمكة في الماء المسئلة الخامسة
قال صاحب الكشاف فكل التنوين فيه عوض من المضاف اليه اي كلهم في فلك يسبحون المسئلة السادسة احتج
ابو علي بن سينا على كون الكواكب احياء ناطقة بقوله يسبحون قال والجمع بالواو والنون لا يكون الا للعقلاء و
بقوله تعالى والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين والجواب انما جعل واو الضمير للعقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة
قال صاحب الكشاف فان قلت الجملة ما محلها قلت محلها النصب على الحال من الشمس والقمر او لا محل لها لاستئنافها
فان قلت لكل واحد من القمرين فلك على حدة فكيف قيل جميعهم يسبحون في فلك قلت هذا كقولهم كساهم الامير
حلة وقلدهم سيفا اي كل واحد منهم **قوله تعالى** وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افائن مت
فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون واذا رآك الذين كفروا
ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي يذكر الهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون اعلم انه سبحانه لما استدل
بالاشياء الستة التي شرحناها في الفصل المتقدم وكانت تلك الاشياء من اصول النعم الدنيوية اتبعه بما نبه
على ان هذه الدنيا جعلها كذلك لا لتبقى ولا تدوم او تبقى فيها من خلقه للدنيا بل خلقها سبحانه وتعالى
للابتلاء والامتحان ولكي يتوصل بها الى الآخرة التي هي دار الخلود فاما قوله تعالى وما جعلنا لبشر
من قبلك الخلد ففيه ثلثة اوجه احدها قال مقاتل ان اناسا كانوا يقولون ان محمدا لا يموت فنزلت
هذه الآية وثانيها كانوا يتربصون به ريب المنون فيشمتون بموته فنفى الله تعالى عنه الشماتة بهذه الآية
يعني قضى الله ان لا يخلد في الدنيا بشرا فلا انت ولا هم الا عرضة للموت فان مت انت ايبقى هؤلاء وفي معناه قول
القائل فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا وثالثها انه يحتمل انه لما ظهر انه عليه السلام
خاتم الانبياء جاز ان يقدر مقدر انه لا يموت اذ لو مات لتغير شرعه فنبه الله تعالى على ان حاله كحال
غيره من الانبياء عليهم السلم في الموت اما قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت ففيه ابحاث البحث الاول
ان هذا العموم مخصوص فانه تعالى نفس كما قال تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك مع ان الموت لا يجوز عليه وكذا

الجمادات لها نفوس وهي لا تموت والعام المخصوص حجة فيبقى معمولا به فيما عدا هذه الاشياء وذلك يبطل
قول الفلاسفة في ان الارواح البشرية والعقول المفارقة والنفوس الفلكية لا تموت البحث الثاني الذوق ههنا
لا يمكن اجراؤه على ظاهره لان الموت ليس من جنس الطعام حتى يذاق بل الذوق ادراك خاص فيجوز
جعله مجازا عن اصل الادراك واما الموت فالمراد منه ههنا مقدماته من الآلام العظيمة لان الموت
قبل دخوله في الوجود يمتنع ادراكه وحال وجوده تصير النفس ميتا والميت لا يدرك شيئا البحث الثالث انه
ذائقة الموت في معنى الانفصال لانه لما يستقبل كقوله غير محلي الصيد وهديا بالغ الكعبة اما
قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون ففيه مسائل المسئلة الاولى الابتلاء لا يتحقق الا مع التكليف
فالآية دالة على حصول التكليف ويدل على انه سبحانه وتعالى لم يقتصر بالمكلف على ما امر ونهى وان كان فيه صعوبة
بل ابتلاه بامرين احدهما ما سماه خيرا وهو نعم الدنيا من الصحة واللذة والسرور والتمكن من المرادات
والثاني ما سماه شرا وهو المضار الدنيوية من الفقر والالم وسائر الشدائد النازلة بالمكلفين فبين تعالى
ان العبد مع التكليف يتردد بين هاتين الحالتين لكي يشكر على المنح ويصبر على المحن فيعظم ثوابه اذا قام
بما يلزم المسئلة الثانية انما سمى ذلك ابتلاء وهو عالم بما سيكون من اعمال العاملين قبل وجودهم لانه في صورة
الاختبار المسئلة الثالثة قال صاحب الكشاف فتنة مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه المسئلة الرابعة
احتجت التناسخية بقوله والينا ترجعون فان الرجوع الى موضع مسبوق بالكون فيه والجواب انه مذكور
مجازا المسئلة الخامسة المراد من قوله والينا ترجعون انهم الى حكمه ومحاسبته ومجازاته يرجعون فبين بذلك
بطلان قولهم في نفي البعث والمعاد واستدلت التناسخية بهذه الآية وقالوا الرجوع الى موضع مسبوق
بالكون فيه فدل على انا كنا موجودين قبل دخولنا في هذا العالم واستدلت المجسمة بانا اجسام نرجع الى
الله تعالى فيقتضي كون الله تعالى جسما والجواب عنه تقدم في مواضع كثيرة والله اعلم اما قوله تعالى واذا رآك
الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا فهو رجوع الى شرح كفرهم ومعنى ان يتخذونك ما يتخذونك الا هزوا
وقال السدي ومقاتل نزلت في ابي جهل مر به النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابو سفيان مع ابي جهل فقال ابو جهل لابي سفيان
هذا نبي بني عبد مناف فقال ابو سفيان وما تنكر ان يكون نبيا في بني عبد مناف فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
قولهما فقال لابي جهل ما اراك تنتهي حتى ينزل بك ما نزل بعمك الوليد بن المغيرة واما انت يا ابا سفيان
فانما قلت ما قلت حمية فنزلت هذه الآية ثم فسر الله سبحانه وتعالى ذلك بقوله اهذا الذي يذكر الهتكم والذكر
يكون بخير وبخلافه فاذا دلت الحال على احدهما اطلق ولم يقيد كقولك للرجل سمعت فلانا يذكرك فان كان الذاكر صديقا فهو ثناء
وان كان عدوا فذم ومنه قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم والمعنى انه يبطل كونها معبودة ويقبح عبادتها واما
قوله تعالى وهم بذكر الرحمن هم كافرون فالمعنى انهم يعيبون عليه ذكر الاصنام التي لا تضر ولا تنفع بالسوء وهم
بذكر الرحمن الذي هو المنعم الخالق المحيي المميت كافرون ولا فعل اقبح من ذلك فيكون الهزء واللعب والذم عليهم
من حيث لا يشعرون ويحتمل ان يراد بذكر الرحمن القرآن والكتب والمعنى تعالى اعلم انه تعالى ابان الى القوم الذين
كانوا يفعلون ذلك الفعل والسيئة اباه لاختصاصهم به وانهما ثانيهما فانهما تاكيدا وتعظيما لفعلهم والله اعلم
قوله تعالى خلق الانسان من عجل ساريكم آياتي فلا تستعجلون ويقولون متى هذا الوعد
ان كنتم صادقين لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون بل
تاتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا
منهم ما كانوا به يستهزئون اما قوله تعالى خلق الانسان من عجل ففيه مسائل المسئلة الاولى المراد من الانسان
قولان احدهما انه النوع والثاني انه شخص معين اما القول الاول فتقريره انهم كانوا يستعجلون عذاب الله وآياته
الملجئة الى العلم والاقرار ويقولون متى هذا الوعد فاراد تعالى زجرهم عن ذلك فقدم اولا ذم الانسان على افراط العجلة

ثم نهاهم كانه قال لا يبعد منكم ان تستعجلوا فانكم مجبولون على ذلك فان قيل مقدمة الكلام لابد ان يكون
مناسبة للكلام وكون الانسان مخلوقا من العجل يناسب كونه معذورا فيه فلم رتب على هذه المقدمة
قوله فلا تستعجلون قلنا لان العايق كلما كان اشد كانت القدرة على مخالفته اكمل فكانه سبحانه وتعالى
نبه بهذا على ان ترك الاستعجال حالة شريفة عالية مرغوب فيها اما القول الثاني فهو ان المراد شخص معين
ففيه وجهان احدهما ان المراد ادم عليه السلم وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والسدي والكلبي
ومقاتل والضحاك وروى ابن جريج وليث بن ابي سليم عن مجاهد قال خلق الله ادم بعد كل شي من اخر نهار
يوم الجمعة فلما دخل الروح راسه ولم يبلغ اسفله قال يا رب استعجل بخلقي قبل غروب الشمس قال الليث
فلذلك قوله خلق الانسان من عجل وقال السدي لما نفخ فيه الروح فدخل في راسه عطس فقالت له الملائكة
قل الحمد لله فقال ذلك فقال الله له رحمك ربك فلما دخل الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة فلما دخل
الروح في جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل ان يبلغ الروح رجليه الى ثمار الجنة فهذا هو المراد والمراد
اراده العجلة وثانيهما قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطا نزلت الاية في النضر بن الحارث
والمراد بالانسان هو واعلم ان القول الاول اولى لان الوصف اولى وذلك لانه اذا حملنا لفظ الانسان
على النوع المسالة الثانية من المفسرين من اجرى هذه الاية على ظاهرها ومنهم من قلبها اما الاولون فلهم
قولان احدهما قول المحققين وهو ان قوله خلق الانسان من عجل اي خلق عجولا وذلك على المبالغة كما تقول للرجل الذكي
هو نار تشتعل والعرب قد تسمي المرء بما يكثر منه فتقول ما انت الا اكل ونوم وما هو الا اقبال وادبار
قال الشاعر ... اذا ما ادركت حتى اذا غفلت فانما هي اقبال وادبار وهذا الوجه متاكد بقوله تعالى وخلق الانسان
عجولا قال المبرد خلق الانسان من عجل اي من شانه العجلة كقوله خلقكم من ضعف اي ضعفا قال ابو عبيدة
العجل الطين بلغة حمير وانشد والنخل ينبت بين الما والعجل والقول الثالث من عجل اي من عجل
من الامر وهو قوله كن ... عن ضعف عن الحسن اما الذين قلبوها فقالوا المعنى خلق العجل
من الانسان كقوله ويوم يعرض الذين كفروا على النار اي تعرض النار عليهم والقول الاول اقرب الى الصواب
وابعد من القول هنا القلب لانه اذا امكن حمل الكلام على معنى صحيح وهو على ترتيبه فهو اولى من ان يحمل على انه مقلوب والعنا ...
وقوله خلقنا العجلة من الانسان فيه وجوه من المجاز فما الفائدة في تغيير النظم الى ما يجري مجراه في المجاز المسالة
الثالثة لقائل ان يقول القوم استعجلوا الوعد على وجه التكذيب ومن هذا حاله لا يكون مستعجلا على الحقيقة فلما استعجالهم
على هذا الوجه ادخل في الذم لانه اذا ذم المرء على استعجاله لما المعلوم ثباته يلزم على استعجال ما لا يكون معلوما
كان اولى وايضا فان استعجالهم بما توعدهم من عذاب الاخرة او هلاك الدنيا يتضمن استعجال الموت وهم عالمون
بذلك فكانوا مستعجلين في الحقيقة اما قوله تعالى ساريكم اياتي فلا تستعجلون فيه اختلفوا في المراد بالايات
احدها انها هي الهلاك المعجل في الدنيا والعذاب في الاخرة ولذلك قال فلا تستعجلون اي انه سياتي لا محالة في وقته
وثانيها انها ادلة التوحيد وصدق الرسول وثالثها انها اثار القرون الماضية بالشام واليمن والاول اقرب الى النظم
اما قوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فاعلم ان هذا هو الاستعجال المذموم المذكور على سبيل
الاستهزا وهو كقوله ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاهم العذاب فبين تعالى انهم يقولون ذلك
لجهلهم وغفلتهم ثم انه سبحانه وتعالى ... دفع هذا الحزن عن قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهين الاول
ان بين ما لصاحب هذا الاستهزا من العذاب الشديد فقال لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم
النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون فقال صاحب الكشاف جواب لو محذوف وحين مفعول به ليعلم اي
لو يعلمون الوقت الذي يسالون عنه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب شديد تحيط بهم فيه النار من
قدام ومن خلف فلا يقدرون على دفعها من انفسهم ولا يجدون ايضا ناصرا ينصرهم كقوله فمن ينصرني من باس الله

ان جانا

ان جانا لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزا والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذي هونه عليهم وانما خص
حصل الجواب لاجل ما تقدم يدل عليه بل هذا الجنس ومثاله ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون ... ان ...
الجبال او تقطعت به الارض وانما خص الوجوه والظهور لان مس العذاب لهما اعظم موقعا ولكثرتهما تستعمل
كثيرا في دفع المضرة عن النفس ثم انه تعالى لما بين شدة هذا العذاب بين ان وقت مجيئه غير معلوم لهم بل تاتيهم بغتة
وهم لها غير محتسبين ولا عارفين ... فتبهتهم اي تدهشهم وتحيرهم فلا يستطيعون حيلة في
ردها ولا هم ينظرون اي يمهلون لتوبة او معذرة واعلم ان الله تعالى انما لم يعلم
المكلفين وقت الموت والقيامة لما فيه من المصلحة لان المرء مع كتمان ذلك اشد حذرا واقرب الى التلافي ثم انه سبحانه
ذكر الوجه الثاني في دفع الحزن عن قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين
سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون اي عقوبة استهزائهم وحاق ... معنى ... وفي هذا تسلية للنبي
صلى الله عليه وسلم والمعنى ان الهلاك يحيق بهولا كما حاق باوليك المستهزئين والله اعلم

قوله تعالى قل من يكلؤكم
بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون ام لهم الهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم
منا يصحبون بل متعنا هولا واباهم حتى طال عليهم العمر افلا يرون انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون
اعلم انه تعالى لما بين ان الكفار في الاخرة لا يكفون عن وجوههم النار ... وصفهم به اتبعه
بانهم في الدنيا ايضا لولا ان الله تعالى يحرسهم ويحفظهم لما بقوا في السلامة فقال لرسوله قل لهولا الكفار
الذين يستهزءون ويغترون بما هم عليه من يكلؤكم بالليل والنهار وهذا كقول الرجل لمن حصل في قبضته
ولا مخلص له منه الان من يحرسك مني وهل لك مخلص مني والكالي الحافظ واما قوله من الرحمن ففيه مسالة
الاولى في معناه وجهان احدهما من يحفظكم من الرحمن اي مما ينزله بكم من عذاب يستحقونه وثانيهما
من باس الله في الاخرة ... انه لا حافظ لهم ولا دافع
عنهم الا الموت لو اراد بهم ذلك ... لما عاشوا ولما تمتعوا بالدنيا المسالة الثانية انما خص
هنا اسم الرحمن بالذكر تلقينا للجواب حتى يقول العاقل انت الكالي يا الهنا لكل الخلايق برحمتك
كما في قوله ما غرك بربك الكريم انما خص اسم الكريم تلقينا المسالة الثالثة انما ذكر الليل والنهار لان لكل واحد
من الوقتين افات تختصون به والمعنى من يحفظكم بالليل اذا نمتم وبالنهار اذا تصرفتم في معايشكم المسالة
بل هم عن ذكر ربهم معرضون فالمعنى انه تعالى مع انعامه عليهم ليلا ونهارا بالحفظ فهم عن ذكر ربهم الذي هو الادلة
العقلية والنقلية ولطايف القران معرضون فلا يتاملون في شي منها ليعرفوا انه لا كالي لهم سواه ويتركوا عبادة
الاصنام التي لا حظ لها في حفظهم ولا في الانعام عليهم اما قوله ام لهم الهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر انفسهم
ولا هم منا يصحبون فاعلم ان الميم صلة بمعنى الهم الهة تمنعهم من دوننا فالتقدير الهم الهة تمنعهم من دوننا
وتم الكلام ثم وصف الهتهم بالضعف فقال لا يستطيعون نصر انفسهم فهذا خبر مبتدا محذوف اي هم لا ... الالهة
لا تستطيع حماية انفسها ... وحماية النفس اولى من حماية الغير فاذا لم تقدر على حماية انفسها فكيف تقدر على حماية
غيرها واما قوله ولا هم منا يصحبون ففيه قولان الاول قال المازني اصحبت الرجل اذا منعته فقوله ولا هم منا يصحبون
من ذلك لا من الصحبة والثاني ان الصحبة ههنا بمعنى النصرة والمعونة وكلها سوا في المعنى فقال صحبك الله و
نصرك الله وقال الفارسي صحبه الله وحفظه الله فالمعنى ولا هم منا يصحبون بالنصرة ولا بالاعانة والحاصل ان
ما لا يكون قادرا على دفع الافات ولا يكون مصحوبا من الله بالاعانة كيف يقدر على شي ثم انه سبحانه وتعالى بين تفضله
عليهم مع كل ذلك بقوله بل متعنا هولا واباهم حتى طال عليهم العمر يعني ... حملهم على الاعراض ... طول المهلة
بعد طالت اعمارهم في الغفلة فنسوا عهدنا وجهلوا موقع نعمتنا اما قوله تعالى افلا يرون انا ناتي الارض
ننقصها فالمعنى افلا يرى هولا المشركون بالله المستعجلون للعذاب اثار قدرتنا في اتيان الارض من جوانبها ناخذ

الواحد بعد الواحد وتنتقص البلاد والقرى مما حول مكة وتزيدها في ملك محمد وتميت رؤساء المشركين الممتعين
بالدنيا وينقص من الشرك باهلاك اهلها افما كان لهم عبرة في ذلك فيؤمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم
ويعلموا انهم لا يقدرون على الامتناع من امر الله وارادته فيهم ولا يقدرون على مغالبته ثم قال افهم الغالبون
يعني افهؤلاء هم الغالبون ام نحن وهو استفهام بمعنى التقريع والتقرير والمعنى بل نحن الغالبون وهم المغلوبون
وقد مضى الكلام في هذه الاية في سورة الرعد وفي تفسير النقصان وجوه احدها قال ابن عباس ومقاتل والكلبي
ننقصها ننقص البلدان وثانيها قال ابن عباس في رواية اخرى بنقصان اهلها وبركتها وثالثها قال عكرمة
بخراب القرى وموت اهلها ورابعها بموت العلماء وهذه الرواية ان صحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلا نعدل عنها والا فالاظهر من الاقاويل ما يتعلق بالغلبة فلذلك قال افهم الغالبون والذي يليق بذلك انه
ننقصها عنهم ونزيدها في اهل الاسلام قال القفال هذه الاية في كتاب ربك فكيف يدخل فيهم العلماء والفقهاء فبين
تعالى ان كل ذلك من العبر التي لو استعملوا عقلهم لاعرضوا عن جهلهم

قوله تعالى

قل انما انذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين ونضع
الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين
اعلم انه سبحانه لما كرر في القرآن الادلة وبالغ في التنبيه عليها على ما تقدم اتبعه بقوله قل انما انذركم بالوحي
اي بالقرآن الذي هو كلام ربكم فلا تظنوا ان ذلك من قبلي بل الله آتانيه وامرني بانذاركم فاذا تممت ما الزمني
[illegible] فلم يقع منكم القبول والاجابة فالوبال عليكم يعود ومثلهم من حيث لم ينتفعوا بما سمعوا من الانذار مع كثرته
وتواليه بالصم الذين لا يسمعون اصلا اذ الغرض [illegible] بل التمسك به من الاقدام على واجب والتحرز
من محرم ومعرفة الحق فاذا لم يحصل هذا الغرض صار كانه لم يسمع قال صاحب الكشاف ولا يسمع الصم ولا تسمع
الصم بالياء والتاء اي لا تسمع انت او لا يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يسمع الصم من اسمع فان قلت الصم لا يسمعون
دعاء المبشر كما لا يسمعون دعاء المنذر فكيف قيل اذا ما ينذرون قلت اللام في الصم اشارة الى هؤلاء المنذرين كائنة
للعهد لا للجنس والاصل ولا يسمعون اذا ما ينذرون فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامهم وسدهم
اسماعهم اذا انذروا اي هم على هذه الصفة من الجراءة والجسارة على التصام من آيات الانذار ثم بين تعالى ان حالهم
سيتغير الى ان يصيروا بحيث اذا شاهدوا اليسير مما انذروا به فعنده يسمعون ويعتذرون ويعترفون حين
لا ينفعهم وهذا هو المراد بقوله ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين واصل النفح من
الريح اللينة والمعنى ولئن اصابهم شيء قليل من عذاب ربك كالرائحة من [illegible] لتنادوا بالويل و
اعترفوا على انفسهم بالظلم قال صاحب الكشاف في المس والنفحة ثلاث مبالغات لان النفح في معنى القلة والنزارة
يقال نفحته الدابة وهو رمح يسير ونفحه بعطية رضخه ولبناء المرة ثم بين سبحانه وتعالى ان جميع ما ينزل بهم في الآخرة
لا يكون الا عدلا بهم ولا ظلما لهم في الدنيا فلن يظلموا في الآخرة [illegible] سبحانه وتعالى ونضع الموازين القسط
ليوم القيامة وصفها الله تعالى بذلك لان الميزان قد يكون مستقيما وقد يكون بخلافه فبين ان تلك الموازين تجري على حد العدل
والقسط واكد ذلك بقوله فلا تظلم نفس شيئا وههنا مسائل المسألة الاولى في وضعها احتمالان قال الفراء القسط من
صفة الموازين وان كان موحدا وهو كقولك للقوم انتم عدل وقال الزجاج ونضع الموازين ذوات القسط وقوله
ليوم القيامة اي لاهل يوم القيامة وقيل لاهل يوم القيامة المسألة الثانية في وضع الموازين قولان احدهما
قال مجاهد هذا مثل والمراد بالموازين العدل ويروى مثله عن قتادة والضحاك والمعنى بالوزن القسط بينهم
في الاعمال فمن احاطت حسناته بسيئاته ثقلت موازينه بمعنى ان حسناته تذهب سيئاته ومن احاطت سيئاته
بحسناته فقد خفت موازينه اي ذهبت حسناته بسيئاته حكاه ابن جرير هكذا عن ابن عباس رضي الله عنهما
الثاني وهو قول ائمة السلف انه سبحانه يضع الموازين الحقيقية ويزن بها الاعمال عن الحسن هو ميزان له كفتان

ولسان

12

ولسان قال جبريل عليه السلام ويروى ان داود عليه السلام سأل ربه ان يريه الميزان فلما رآه غشي عليه
ثم افاق فقال يا الهي من الذي يقدر ان يملأ كفته حسنات فقال يا داود اني اذا رضيت عن عبدي ملأتها
بتمرة ثم على هذا القول في كيفية وزن الاعمال طريقان احدهما ان توزن صحائف الاعمال والثاني ان تجعل
في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة فان قيل اهل القيامة اما
ان يكونوا عالمين بكونه سبحانه عادلا غير ظالم او لا يعلموا ذلك فان علموا ذلك كان مجرد حكمه كافيا في
معرفته ان الغالب هو الحسنات او السيئات فلا فائدة في وضع الميزان البتة وان لم يعلموا ذلك لم تحصل
الفائدة في وزن الصحائف لاحتمال انه سبحانه جعل احدى الصحيفتين اثقل والاخرى اخف ظلما فثبت ان وضع الميزان
على كل التقديرين خال عن الفائدة جوابه على قولنا انه لا يسأل عما يفعل وايضا فيه ظهور حال الولي
من العدو في مجمع الخلائق فيكون للاول اعظم السرور وللآخر اعظم الغم ويكون ذلك
بمنزلة نشر الصحف وغيره اذا ثبت هذا فنقول الدليل على وجود الموازين الحقيقية ان حمل هذه اللفظة على
مجرد العدل مجاز وصرف اللفظ عن الحقيقة الى المجاز من غير ضرورة غير جائز لا سيما وقد جاءت الاحاديث
الكثيرة بالاسانيد الصحيحة في هذا الباب المسألة الثالثة [illegible] بان هذه الآية [illegible] ذلك تعالى
[illegible] ليوم القيامة [illegible] والجواب [illegible] المراد منه انه لا [illegible] المسألة الرابعة
انما جمع الموازين لكثرة من توزن اعمالهم وهذا [illegible] ويجوز ان يرجع الى الجزاء [illegible] تعالى
وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها [illegible] المجازاة والمكافأة لانهم اتوه بالاعمال واتاهم
بالجزاء وقرأ حميد اثبنا بها من الثواب وفي حرف ابي جئنا بها المسألة السادسة انث ضمير المثقال لاضافته الى الحبة
كقولهم ذهبت بعض اصابعه المسألة السابعة زعم الجبائي ان من استحق مائة جزء من العقاب فأتى بطاعة يستحق بها
خمسين جزءا من الثواب فهذا الاقل يحبط بالاكثر ويبقى الاكثر كما كان واعلم ان هذه الآية تبطل قوله لانه تعالى
تمدح بان اليسير من الطاعة لا يسقط ولو كان الامر كما قال الجبائي لسقطت الطاعة من غير فائدة المسألة الرابعة
قالت المعتزلة في قوله فلا تظلم نفس شيئا دلالة على ان مثل ذلك لو فعله الله تعالى لكان قد ظلم فيدل من هذا الوجه على
انه تعالى [illegible] في الدنيا الا للمنافع والمصالح والجواب [illegible] في ملك
الغير [illegible] الله تعالى محال لانه المالك المطلق ثم الذي يدل على استحالة الظلم عليه عقلا ان الظلم عند الخصم مستلزم
الجهل او الحاجة المحالين على الله تعالى ومستلزم المحال محال فالظلم على الله محال وايضا فلان الظالم سفيه خارج عن
الالهية فلو صح منه الظلم لصح خروجه عن الالهية [illegible] من الكائنات لا من الواجبات وذلك يقدح
في الالهية المسألة الخامسة ان قيل الحبة اعظم من الخردلة فكيف قال حبة من خردل قلنا الوجه فيه ان تفرض
الخردلة كالدينار ثم نعتبر الحبة من ذلك الدينار والغرض المبالغة في ان شيئا من الاعمال صغيرا كان او كبيرا غير ضائع عند
الله اما قوله تعالى وكفى بنا حاسبين فالغرض منه التحذير فان المحاسب اذا كان في العلم بحيث لا يمكن ان يشتبه عليه
شيء وفي القدرة بحيث لا يعجز عن شيء فحقيق بالعاقل ان يكون اشد خوفا منه ويروى عن الشبلي انه رؤي في المنام فقيل له ما فعل
الله بك فقال حاسبونا فدققوا ثم منوا فاعتقوا

قوله تعالى

ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان
وضياء وذكرا للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون وهذا ذكر مبارك انزلناه افانتم له منكرون
اعلم انه سبحانه لما تكلم في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد شرع في قصص الانبياء عليهم السلام تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فيما يناله من قومه وتقوية لقلبه على اداء الرسالة والصبر على كل عارض وذكر ههنا منها القصة الاولى قصة موسى عليه السلام و[illegible]
[illegible] لما امر رسوله ان يقول انما انذركم بالوحي اتبعه بانه عادة الله في الانبياء قبله فقال ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان
وضياء وذكرا [illegible] المراد بالفرقان [illegible] هو التوراة فكان فرقانا [illegible] تفرق به بين الحق والباطل و
كان ضياء اذ كان لغاية وضوحه يتوصل به الى طريق الهدى وسبيل النجاة في معرفة الشرائع وكان ذكرا اي موعظة [illegible]

[illegible]

اليه في دينهم ومصالحهم او الرفيات الواردة في قوله وضياء فروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قرأ ضياء بغير واو وهو حال
عن الفرقان واما القراءة المشهورة فالمعنى آتيناهم الفرقان وهو التوراة وآتينا بما فيها من الشرائع والمواعظ ضياء وذكرا القول
الثاني ان المراد من الفرقان ليس التوراة ثم فيه وجوه احدها عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الفرقان هو النصر الذي اوتي موسى كقوله
وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم بدر حتى فرق بين الحق والباطل وثانيها هو البرهان الذي فرق به دينه الحق عن الاديان
الباطلة عن ابن زيد وثالثها فلق البحر عن الضحاك ورابعها الخروج عن الشبهات عن محمد بن كعب واعلم انه تعالى لما خص
الذكر بالمتقين كما في قوله هدى للمتقين اما قوله تعالى الذين يخشون ربهم بالغيب ففيه وجهان احدهما ان الذين جر
على الصفة ويجوز على المدح او رفع عليه وفي معنى الغيب وجوه احدها يخشون عذاب ربهم فيأتمرون باوامره وينتهون
عن نواهيه وايمانهم بالله غيبي استدلالي فالعباد يعملون لله في الغيب والله لا يغيب عنه شيء عن ابن عباس
رضي الله عنهما وثانيها يخشون ربهم وهم غائبون عن الآخرة واحكامها وثالثها يخشونه في الخلوات اذا غابوا عن الناس
وهذا هو الاقرب والمعنى ان خشيتهم من عذاب الله لازم لقلوبهم [illegible] ان ذلك [illegible] في الملأ دون الخلاء وهم
من عذاب الساعة وما يجري فيها من الحساب والسؤال مشفقون [illegible] من معصية الله ثم قال
وهذا ذكر مبارك انزلناه [illegible] هذا القرآن المنزل [illegible] لكثرة منافعه وغزارة
علومه [illegible] افانتم له منكرون فالمعنى انه لا انكار في انزاله وفي عجائب ما فيه فقد آتينا موسى وهرون التوراة
ثم هذا القرآن يجري مجراه في العلم العجيب والبلاغة البديعة واشتماله على الدلائل العقلية وبيان الشرائع فمثل هذا الكتاب
مع كثرة منافعه [illegible] القصة الثالثة قصة ابراهيم عليه السلام

قوله تعالى

ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد
كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين اما قوله تعالى ولقد آتينا ابراهيم رشده ففيه
مسائل المسألة الاولى في الرشد [illegible] الا انه النبوة واحتجوا عليه بقوله وكنا به عالمين قالوا لانه تعالى انما يخص
بالنبوة من يعلم من حاله انه في المستقبل يقوم بحقها ويجتنب ما لا يليق بها ويحترز عما ينفر قومه من القبول والثاني
انه الاهتداء لوجوه الصلاح في الدين والدنيا قال تعالى فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم ويدخل تحت ذلك
تدخل النبوة فالاهتداء تحت الرشد اذ لا يجوز ان يبعث نبي الا وقد دله الله على ذاته وصفاته ودله ايضا على
مصالح نفسه ومصالح قومه وكل ذلك من الرشد المسألة الثانية احتج اصحابنا في ان الايمان مخلوق لله سبحانه تعالى
بهذه الاية فانه لو كان الرشد هو التوفيق والبيان فقد فعل الله تعالى ذلك بالكفار فيجب ان يكون قد آتاهم رشدهم
اجاب الكعبي بان هذا يقال فيمن قبل لا فيمن رد وذلك كمن اعطى المال لولدين فقبله احدهما وثمره ورده الاخر او اخذه
ثم ضيعه فيقال اغنى فلان ابنه [illegible] مثله [illegible] هذا الجواب [illegible] الا اذا اصلنا قبوله جزءا
من مسمى الرشد وذلك باطل لان المسمى اذا كان مركبا [illegible] لم يكن [illegible] الفاعل [illegible] ذلك المسمى
الى ذلك الفاعل فكان يلزم ان يكون اضافة الرشد الى الله تعالى بالمنقول لكن النقل [illegible] ولقد آتينا ابراهيم رشده
صريح في ان ذلك الرشد انما حصل من الله تعالى [illegible] المسألة الثالثة قال صاحب الكشاف الرشد والرشد والرشد
كالعدم والعدم ومعنى اضافته اليه انه رشد مثله وان له شأنا [illegible] اما قوله تعالى من قبل ففيه وجوه احدها
آتيناه ابراهيم من قبل موسى عليهما السلام عن ابن عباس وابن جرير رضي الله عنهم وثانيها من قبل بلوغه حين كان في السرب
وظهرت له الكواكب فاستدل بها وهذا على قول من حمل الرشد على الاهتداء والا لزمه ان يحكم بنبوته عليه السلام قبل البلوغ
عن مقاتل وثالثها من قبل [illegible] عليه السلام [illegible] عن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية
الضحاك اما قوله تعالى وكنا به عالمين فالمراد انه سبحانه علم منه احوالا بديعة واسرارا عجيبة وصفات قد رضيها
حتى اهله لان يكون خليلا له وهذا كقولك في رجل كبير انا عالم بفلان فان هذا الكلام في الدلالة على عظمته ادل مما اذا
شرحت حاله [illegible] اما قوله تعالى اذ قال لابيه وقومه فقال صاحب الكشاف اذ اما ان تعلق بآتينا او برشده او بمحذوف

الا اذكر

13

الا اذكر من اوقات رشده هذا الوقت اما قوله ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون ففيه مسائل المسألة الاولى التمثال
اسم للشيء المصنوع مشبها بخلق من خلق الله واصله من مثلت الشيء بالشيء اذا شبهته به واسم ذلك الممثل تمثال
المسألة الثانية ان القوم كانوا عباد اصنام على صور مخصوصة كصور الانسان [illegible] عليه السلام بهذا القول [illegible]
[illegible] ليورد [illegible] من شبهة فيبطلها عليهم المسألة الثالثة قال صاحب الكشاف لم ينو للعاكفين
مفعولا واجراه مجرى ما لا يتعدى [illegible] فاعلون العكوف لها وان قلت هلا قيل عليها عاكفون كقوله
يعكفون على اصنام لهم قلت لو قصد التعدية لعداه بصلته التي هي على اما قولهم وجدنا آباءنا لها عابدين فاعلم
ان القوم لم يجدوا في جوابه الا طريقة التقليد الذي يوجب مزيد النكير عليهم اذا كانوا على خطأ [illegible] لم يعصمهم من هذا
الخطأ ان آباءهم سلكوا هذا الطريق فلا جرم اجابهم ابراهيم عليه السلام بقوله لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين
[illegible] الا [illegible] بكثرة المتمسكين به فلما حقق عليه السلام ذلك عليهم ولم يجدوا من كلامه مخلصا ورأوه
على الانكار [illegible] الغلبة [illegible] وكانوا يستبعدون ان يجترئ احد على الانكار عليهم مع كثرتهم وطول العهد بمذهبهم فعند
ذلك قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين [illegible] بهذا الكلام [illegible] على الانكار عليهم جادا في
ذلك [illegible] عليه السلام الى بيان التوحيد

قوله تعالى

قال بل ربكم رب السموات والارض
الذي فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين وتالله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا الا كبيرا
لهم لعلهم اليه يرجعون قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم
اعلم ان القوم لما اوهموا انه كالمازح [illegible] اظهر [illegible] ثانيا [illegible]
الطريقة القولية فهي قوله قال بل ربكم رب السموات والارض فهذه الدلالة تدل على ان الخالق لها هو المستحق للعبادة
هو الذي [illegible] على [illegible] بالعقاب والثواب [illegible]
الطريقة الى الطريقة التي [illegible] في قوله لم تعبد ما لا يسمع [illegible] قال صاحب الكشاف الضمير
في فطرهن للسموات والارض او التماثيل وكونه للتماثيل ادخل في تضليلهم واثبت للاحتجاج عليهم اما قوله وانا
على ذلكم من الشاهدين ففيه وجهان الاول ان المقصود منه المبالغة في التأكيد والتحقيق كقول الرجل اذا بالغ
في مدح [illegible] اشهد انه كريم [illegible] الثاني انه عليه السلام بقوله وانا على ذلكم من الشاهدين ادعى
اني قادر على اثبات ما ذكرته بالحجة واني لست مثلكم فاقول ما لا اقدر على اثباته بالحجة كما لم تقدروا
على الاحتجاج [illegible] ولم تزيدوا على [illegible] وجدتم عليه آباءكم واما الطريقة الفعلية فقوله وتالله
لاكيدن اصنامكم [illegible] فان القوم لما لم [illegible] بالدلالة العقلية عدل الى ان اراهم عدم
الفائدة في عبادتها المسألة الاولى قال صاحب الكشاف قرأ معاذ بن جبل رضي الله عنه بالله [illegible]
بمعنى تولوا [illegible] عنه مدبرين [illegible] الامر
والتاء بدل من الواو المبدلة منها والتاء فيها زيادة معنى وهو التعجب كأنه تعجب من تسهيل الكيد على يده وتأتيه
لان ذلك كان امرا مقنوطا منه لصعوبته المسألة الثانية ان قيل لم قال لاكيدن اصنامكم والكيد هو
الاحتيال على الغير في ضرر لا يشعر به وذلك لا يتأتى في الاصنام جوابه قال ذلك توسعا لما كان عندهم
ان الضرر يجوز عليهم وقيل المراد لاكيدنكم في اصنامكم لانه بذلك الفعل قد انزل بهم الغم المسألة الثالثة
في كيفية اول القصة وجهان احدهما قال السدي كانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا
لها ثم عادوا الى منازلهم فلما كان هذا الوقت قال آزر لابراهيم عليه السلام لو خرجت معنا فخرج معهم
فلما كان ببعض الطريق القى نفسه وقال اني سقيم اشتكي رجلي فلما مضوا وبقي ضعفاء الناس نادى
وقال تالله لاكيدن اصنامكم واحتج هذا القائل بقوله تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم وثانيها قال الكلبي
كان ابراهيم عليه السلام من اهل بيت ينظرون في النجوم وكانوا اذا خرجوا الى عيدهم لم يتركوا الا مريضا

فلما هم ابرهيم بالذي هم به من كسر الاصنام نظر قبل يوم العيد الى السما وقال لاصحابه اراني اشتكي غدا فذلك
قوله فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم واصبح من الغد معصوبا راسه فخرج القوم لعيدهم ولم يتخلف
احد غيره فقال اما والله لاكيدن اصنامكم وسمع رجل منهم هذا القول فحفظه عليه ثم ان ذلك الواحد
اخبر غيره وانتشر ذلك في جماعة فلذلك قال تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم واعلم ان كلا الوجهين ممكن
ثم تمام القصة ان ابرهيم عليه السلام لما دخل بيت الاصنام وجد سبعين صنما مصطفة وثم صنم عظيم مستقبل
الباب وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسرها كلها بفاس في يده حتى لم يبق
الا الكبير ثم علق الفاس في عنقه اما قوله تعالى فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون ففيه
مسايل المسلة الاولى ان قيل لم قال فجعلهم وهذا جمع لا يليق الا بالناس جوابه من حيث اعتقدوا فيها
انها كالناس في انها تعظم وتتقرب اليها ولعله كان فيهم من يظن انها تضر وتنفع المسلة الثانية
قال صاحب الكشاف جذاذا قطاعا من الجذ وهو القطع وقرى بالكسر والفتح وقرى جذذا جمع جذيذ
المسلة الثالثة ان قيل ما معنى الا كبيرا لهم قلنا يحتمل الكبير في الخلقة ويحتمل في التعظيم ويحتمل في الامرين اما
قوله تعالى لعلهم اليه يرجعون فيحتمل رجوعهم الى ابرهيم عليه السلام ويحتمل رجوعهم الى الكبير اما الاول
فتقريره من وجهين الاول ان المعنى لعلهم يرجعون الى ابرهيم فيعدلون عن الباطل والثاني انه غلب في ظنه انهم
لا يرجعون الا اليه لما تسامعوا من انكاره لدينهم وسبه لالهتهم فيبكتهم بما اجاب به من قوله بل فعله
كبيرهم هذا فسلوهم اما اذا قلنا الضمير راجع الى الكبير ففيه وجهان الاول ان المعنى لعلهم يرجعون اليه
كما يرجع الى العالم في حل المشكلات فيقولون ما لهولا مكسورة وما لك صحيح والفاس على عاتقك وهذا قول الكلبي
وانما قال ذلك بنا على كثرة جهالتهم فلعلهم كانوا يعتقدون فيها انها تجيب وتتكلم والثاني انه عليه السلم قال ذلك
مع علمه انهم لا يرجعون اليه استهزا بهم وان قياس حال من يسجد له ويوهل للعبادة ان يرجع اليه في حل المشكل
المسلة الرابعة ان قيل اوليك الاقوام اما ان يقال انهم كانوا عقلا او ما كانوا عقلا فان كانوا عقلا وجب
ان يكونوا عالمين بالضرورة ان تلك الاصنام لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر فاي حاجة في اثبات ذلك الى
كسرها اقصى ما في الباب ان يقال القوم كانوا يعظمونها كما يعظم الواحد منا المصحف والمسجد والمحراب
وكسرها لا يقدح في كونها معظمة من هذا الوجه وان قلنا انهم ما كانوا عقلا وجب ان لا تحسن المناظرة معهم ولا
بعثة الرسل اليهم والجواب انهم كانوا عقلا وكانوا عالمين بالضرورة انها جمادات ولكن لعلهم كانوا يعتقدون
فيها انها تماثيل الكواكب وانها طلسمات موضوعة بحيث ان كل من عبدها انتفع بها وكل من استخف بها
ناله منها ضرر شديد ثم ان ابرهيم عليه السلم كسرها مع انه ما ناله منها البتة ضرر فكان فعله دالا على فساد مذهبهم
اما قوله تعالى قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين اي من فعل هذا الكسر والحطم لشديد الظلم معدود في الظلمة
اما لجراته على الالهة الحقيقة بالتوقير والاعظام واما لانهم راوا افراطا في كسرها وتماديا في الاستهانة بها
اما قوله تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم ففيه مسايل المسلة الاولى قال الزجاج ارتفع ابرهيم على وجهين
احدهما على معنى يقال هو ابرهيم والثاني على النداء على معنى يقال له يا ابرهيم قال صاحب الكشاف والصحيح انه فاعل
يقال لان المراد الاسم دون المسمى المسلة الثانية ظاهر الاية يدل على ان القايلين هم الواحد منهم انهم كانوا
من قبل قد عرفوا شانه وسمعوا منه ما قاله في الهتهم فغلب على ظنهم انه الفاعل ولو لم يكن الا قوله ما هذه التماثيل
المذكور لكفى

قوله تعالى

قالوا فاتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون قالوا انت فعلت
هذا بالهتنا يا ابرهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فسلوهم ان كانوا ينطقون فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم
انتم الظالمون ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هولا ينطقون قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيا
ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون اعلم ان القوم لما شاهدوا كسر الاصنام وقيل

ان فاعله

ان فاعله ابرهيم عليه السلم قالوا فاتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون قال صاحب الكشاف على اعين
في محل الحال بمعنى معاينا مشاهدا اي بمرأى منهم ومنظر فان قلت ما معنى الاستعلا في على قلت هو وارد على طريق
المثل اي يثبت اتيانه في الاعين ويتمكن ثبات الراكب على المركوب وتمكنه منه اما قوله تعالى لعلهم يشهدون ففيه
وجهان احدهما انهم كرهوا ان ياخذوه بغير بينة فارادوا ان يجيوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون عليه
بما قاله فيكون حجة عليه بما فعل وهذا هو قول الحسن وقتاده والسدي وعطا عن ابن عباس رضي الله عنهما
والثاني وهو قول محمد بن اسحق اي يحضرون فيبصرون ما يصنع به فيكون ذلك زاجرا لهم عن الاقدام على مثل فعله
وفيه قول ثالث وهو قول الكلبي ومقاتل ان المراد مجموع الوجهين يشهدون عليه بفعله ويشهدون عقابه اما
قوله تعالى قالوا انت فعلت هذا بالهتنا يا ابرهيم فاعلم ان في الكلام حذفا وهو فاتوا به وقالوا انت فعلت فطلبوا
منه الاعتراف بذلك ليقدموا على ايذايه فظهر منه ما انقلب به الامر عليهم حتى تمنوا الخلاص منه فقال بل
فعله كبيرهم هذا وقد علق الفاس على رقبته لكي يورد هذا القول فيظهر جهلهم في عبادة الاوثان فان قيل
قوله بل فعله كبيرهم كذب والجواب للناس فيه قولان احدهما وهو قول كافة المحققين انه ليس بكذب وذكروا
في الاعتذار عنه وجوها احدها ان قصد ابرهيم عليه السلم لم يكن الى ان ينسب الفعل الصادر عنه الى الصنم وانما
قصد تقريره لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضي وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق
وانت شهير بحسن الخط انت كتبت هذا وصاحبك امي لا يحسن الخط ولا يقدر الا على خرمشة فاسدة فقلت له
بل كتبته انت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزا به لا نفيه عنك واثباته للامي او المخرمش لان اثباته
والامر داير بينكما للعاجز منكما استهزا به واثبات للقادر وثانيها ان ابرهيم عليه السلم غاظته تلك الاصنام
حين ابصرها مصطفة مرتبة وكان غيظه من كبيرها اشد لما راى من زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه لانه
هو السبب في استهانته وحطمه لها والفعل كما يسند الى مباشره يسند الى الحامل عليه وثالثها ان يكون حكاية
لما يلزم على مذهبهم كانه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على
هذا واشد منه وهذه الوجوه الثلاثة ذكرها صاحب الكشاف ورابعها انه كناية عن غير مذكور اي فعله من فعله و
كبيرهم ابتدا الكلام ويروى عن الكسائي انه كان يقف عند قوله بل فعله ثم يبتدي فيقول كبيرهم هذا فسلوهم والمعنى
بل فعله كبيرهم وعنى نفسه لان الانسان اكبر من كل صنم وسادسها ان يكون في الكلام تقديم وتاخير كانه قال بل فعله
كبيرهم هذا ان كانوا ينطقون فسلوهم فتكون اضافة الفعل الى كبيرهم مشروطا بكونهم ناطقين فلما لم يكونوا ناطقين امتنع
ان يكونوا فاعلين وسابعها قرا محمد بن السميقع فعله كبيرهم بمعنى فلعله اي فلعل الفاعل كبيرهم القول الثاني
وهو قول طايفة من اهل الحكايات ان ذلك كذب واحتجوا بما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه لم يكذب ابرهيم الا ثلث كذبات
كلها في ذات الله قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي اختي وفي خبر اخر ان اهل الموقف اذا
سالوا ابرهيم الشفاعة قال اني كذبت ثلث كذبات ثم قرروا قولهم من جهة العقل وقالوا الكذب ليس قبيحا لذاته
فان النبي اذا هرب من ظالم واختفى في دار انسان فجا الظالم وسال عن حاله فانه يجب الكذب فيه واذا كان
كذلك فاي بعد في ان ياذن الله تعالى في ذلك لمصلحة لا يعرفها الا هو واعلم ان هذا القول مرغوب عنه اما الخبر
الاول فلان يضاف الكذب الى رواته اولى من ان يضاف الى الانبيا والدليل القاطع عليه انه لو جاز ان يكذبوا
لمصلحة ويأذن الله تعالى فيه فلنجوز هذا الاحتمال في كل ما اخبروا عنه وفي كل ما اخبر الله عنه وذلك يبطل الوثوق
بالشرايع ويطرق التهمة الى كلها ثم ان ذلك الخبر لو صح فهو محمول على المعاريض على ما قال عليه السلم ان في المعاريض
لمندوحة عن الكذب فاما قوله تعالى اني سقيم فلعله سقيم قلب وسيقع الكلام فيه في موضعه واما
قوله بل فعله كبيرهم فقد ظهر الجواب عنه اما قوله لسارة انها اختي فالمراد انها اخته في الدين واذا امكن حمل الكلام على
ظاهره من غير نسبة الكذب الى الانبيا عليهم فحينيذ لا يحكم بنسبة الكذب اليهم الا زنديق اما قوله فرجعوا الى انفسهم

فقالوا انكم انتم الظالمون فيه وجوه احدها ان ابرهيم عليه السلم لما نبههم بما اورد عليهم على قبح طريقتهم تنبهوا فعلموا ان عبادة
الاصنام باطلة وانهم على غرور وجهل في ذلك والثاني قال مقاتل فرجعوا الى انفسهم فلاموها وقالوا انكم انتم الظالمون لابرهيم حيث
تزعمون انه كسرها مع ان الفاس بين يدي الصنم الكبير والثالث المعنى انتم الظالمون لانفسكم حيث سالتم عن ذلك حتى اخذ يستهزئ
بكم في الجواب والرابع هو اولى اما قوله تعالى ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فقال صاحب الكشاف نكسته قلبته
فجعلت اسفله اعلاه المسئلة الاولى في المعنى وجوه احدها انهم استقاموا حين رجعوا الى انفسهم واتوا بالفكرة الصالحة
ثم انتكسوا وانقلبوا حتى رجعوا عن تلك الحالة فاخذوا في المجادلة بالباطل وان هؤلاء مع تقاصر حالها عن حال الحيوان الناطق
الهة معبودة وثانيها قلبوا على رءوسهم حقيقة لفرط اطراقهم خجلا وانكسارا وانخزالا مما بهتهم به ابرهيم فما احاروا
جوابا الا ما هو حجة عليهم لابرهيم حين جادلهم ان تقلبوا في الحجة فاحتجوا على ابرهيم بما هو الحجة لابرهيم عليه السلم فقالوا لقد علمت
ما هؤلاء ينطقون فاقروا بهذه الحيرة التي لحقتهم بالمعنى نكست حجتهم فاقيم الخبر مقام الخبر عن حجتهم المسئلة
الثانية قرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا على لفظ ما لم يسم فاعله اي نكسوا انفسهم على رءوسهم قرأه رضوان بن عبد المعبود اما قوله تعالى
قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون فالمعنى ظاهر قال صاحب الكشاف
اف صوت اذا صوت به دل على ان صاحبه متضجر فاف ابرهيم عليه السلم اضجره ما راى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم
وبعد وضوح الحق وزهوق الباطل فتافف بهم بحيث قال ابرهيم ذلك وقد عرف صحته قولهم ويحتمل انه قال لهم ذلك بعد ما ظهرت الحجة
ولزمهم ذلك اوهبنا ما ... افلا تعقلون ... قالوا حرقوه وانصروا

قوله تعالى

الهتكم ان كنتم فاعلين قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين ونجيناه ولوطا الى
الارض التي باركنا فيها للعالمين اعلم ان الله تعالى لما بين ما اظهره ابرهيم من دلائل التوحيد وابطال ما كانوا عليه من عبادة التماثيل اتبعه
بما دل على جهلهم وانهم قالوا حرقوه وانصروا الهتكم وههنا مسائل المسئلة الاولى ليس في القران من القائل لذلك والمشهور انه نمرود بن
كنعان بن سنجاريب بن نمروذ بن كوش بن حام بن نوح وقال مجاهد سمعت ابن عمر يقول انما اشار بتحريق ابرهيم رجل من الكرد من اعراب
فارس وروى ابن جريج عن وهب عن شعيب الجبائي قال ان الذي قال حرقوه رجل اسمه هيزن فخسف به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم
القيامة المسئلة الثانية واما كيفية القصة فقال مقاتل لما اجتمع نمرود وقومه لاحراق ابرهيم حبسوه في بيت وبنوا
بنيانا كالحظيرة وذلك قوله قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم ثم جمعوا له الحطب الكثير حتى ان المراة لو مرضت قالت ان عافاني
الله لاجمعن حطبا لابرهيم ونقلوا له الحطب على الدواب اربعين يوما فلما اشتعل النار اشتدت وصار الهوا بحيث لو مر الطير
في اقصى الجو لاحترق ثم اخذوا ابرهيم ورفعوه على راس البنيان وقيدوه ثم اتخذوا منجنيقا ووضعوه فيه مقيدا مغلولا
فصاحت السماء والارض ومن فيها من الملائكة الا الثقلين صيحة واحدة ربنا ليس في ارضك احد يعبدك غير ابرهيم وانه
يحرق فيك فاذن لنا في نصرته فقال سبحانه ان استغاث بشيء منكم فاغيثوه وان لم يدع غيري فانا اعلم به وانا وليه
فخلوا بيني وبينه فلما ارادوا القاءه في النار اتاه خازن الرياح فقال ان شئت طيرت النار في الهوا فقال ابرهيم لا حاجة لي
اليكم ثم رفع راسه الى السماء فقال اللهم انت الواحد في السماء وانا الواحد في الارض ليس في الارض احد يعبدك غيري حسبي الله ونعم
الوكيل فقيل انه حين القي في النار قال لا اله الا انت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم وضعوه في المنجنيق
ورموا به الى النار فاتاه جبريل فقال هل لك من حاجة قال اما اليك فلا قال فسل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي
فقال الله تعالى يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم وقال السدي انما قال ذلك جبريل وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية
مجاهد لو لم يتبع بردها سلاما لمات ابرهيم من بردها قال ولم يبق يومئذ في الدنيا نار الا طفئت ثم قال
السدي واخذت الملائكة بضبعي ابرهيم واقعدوه في الارض فاذا عين ماء عذب وورد احمر ونرجس ولم
تحرق النار منه الا وثاقه وقال المنهال بن عمرو اخبرت ان ابرهيم عليه السلم لما القي في النار كان فيها اما اربعين
يوما او خمسين يوما وقال ما كنت اطيب عيشا مني اذ كنت فيها وقال ابن اسحق بعث الله ملك الظل في صورة ابرهيم
فقعد الى جنب ابرهيم يؤنسه واتاه جبريل بقميص من حرير الجنة وقال يا ابرهيم ان ربك يقول اما علمت ان النار لا تضر

اجابى ثم نظر نمرود من صرح له واشرف على ابرهيم فراه جالسا في روضة وراى الملك قاعدا الى جنبه وما حوله
نار تحرق الحطب فناداه نمرود يا ابرهيم هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال قم فاخرج فقام يمشي حتى خرج منها
قال نمرود من الرجل الذي رايته معك في صورتك قال ذاك ملك الظل ارسله ربي ليونسني فيها فقال نمرود اني مقرب
الى الهك قربانا لما رايت من قدرته وعزته فيما صنع بك واني ذابح له اربعة الاف بقرة فقال ابرهيم عليه السلام
لا يقبل الله منك ما كنت على دينك هذا فقال نمرود لا استطيع ترك ملكي ولكن سوف اذبحها له ثم ذبحها له ثم كف
عن ابرهيم وروت هذه القصة على وجه اخر وهو انهم بنوا لابرهيم عليه السلم بنيانا والقوه فيه ثم اوقدوا عليه النار
سبعة ايام ثم اطبقوا عليه ثم فتحوا عنه من الغد فاذا هو عرق يعرق عرقا فقال لهم هاران ابو لوط ان النار
لا تحرقه لانه سحر النار لكن اجعلوه على شيء واوقدوا تحته فان الدخان يقتله فجعلوه فوق بئر واوقدوا
تحته فطارت شرارة في لحية ابي لوط فاحرقته المسئلة الثالثة انما اختاروا المعاقبة بالنار لانها اقوى
العقوبات ولهذا قالوا ان كنتم فاعلين اي ان كنتم تنصرون الهتكم نصرا شديدا فاختاروا اشد العقوبات وهي الاحراق
اما قوله تعالى قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم ففيه مسائل المسئلة الاولى قال ابو مسلم الاصفهاني في تفسير
قوله قلنا يا نار كوني المعنى انه سبحانه وتعالى جعل النار بردا وسلاما لا ان هناك كلاما كقوله ان نقول له كن فيكون اي
نكونه وقد احتج عليه بان النار جماد فلا يجوز خطابه والاكثرون على انه وجد ذلك القول ثم هؤلاء لهم قولان احدهما
وهو قول السدي ان القائل هو جبريل عليه السلام والثاني وهو قول الاكثرين ان القائل هو الله تعالى وهذا هو اليق واقرب الى
الظاهر وقوله النار جماد فلا يكون في خطابها فائدة قلنا لم لا يجوز ان يكون المقصود من ذلك الامر مصلحة عائدة الى
الملائكة المسئلة الثانية اختلفوا في ان النار كيف بردت على ثلثة اوجه احدها ان الله تعالى ازال عنها ما فيها من الحر
والاحراق وابقى ما فيها من الاضاءة والاشراق والله على كل شيء قدير وثانيها ان الله سبحانه وتعالى خلق في جسم ابرهيم كيفية
مانعة من وصول اذى النار اليه كما يفعل بخزنة جهنم في الاخرة كما انه ركب بنية النعامة بحيث لا يضرها ابتلاع الحديد
المحمى وبدن السمندل بحيث لا يضره المكث في النار وثالثها انه خلق بينه وبين النار حائلا يمنع من وصول اثر النار اليه قال
المحققون والاول اولى لان ظاهر قوله يا نار كوني بردا ان نفس النار صارت باردة حتى سلم ابرهيم من تاثيرها لا ان النار
بقيت كما كانت فان قيل النار اسم للجسم الموصوف بالحرارة واللطافة فاذا كانت الحرارة جزءا من مسمى النار امتنع كون النار باردة فاذا وجب
ان يقال المراد من النار الجسم الذي هو احد اجزاء مسمى النار وذلك مجاز فلم كان مجازكم اولى من المجازين الاخرين قلنا المجاز [النار]
الذي ذكرناه يبقى معه حصول البرد ومع المجازين الاخرين ذكرتموهما لا يبقى ذلك فكان مجازنا اولى اما قوله سلاما على ابرهيم
فالمعنى ان البرد اذا افرط اهلك كالحر بل لا بد من الاعتدال ثم في حصول الاعتدال ثلثة اوجه احدها انه يقدر الله تعالى
بردها بالمقدار الذي لا يؤثر وثانيها ان بعض النار صار بردا وبقي بعضها على حرارته فتعادل الحر والبرد وثالثها
انه تعالى جعل في جسمه مزيد حر فسلم من ذلك البرد بل انتفع به والتذ وههنا سؤالات السؤال الاول اكل النيران
زالت حرارتها وصارت بردا بعينها ام الحواب المذكور مواضع المانعية فلا بد ولن يحصل هذا البرد في المانعية
ولم منه همومه في كل افرادها الماهية وقيل بل اختصت بتلك النار لان الغرض انما تعلق ببرد تلك النار وفي النار
منافع للخلق فلا يجوز تعطيلها والمراد خلاص ابرهيم لا ايصال الضرر الى سائر الخلق السؤال الثاني هل يجوز ما ذكر
عن الحسن من انه سلام من الله على ابرهيم الجواب الظاهر انه لما جعل النار بردا جعلها سلاما عليه حتى يخلص
فالذي قاله يبعد وفيه تشتت الكلام المرتب السؤال الثالث ايجوز ما روى من انه لو لم يقل وسلاما لاتت البرد عليه
الجواب ذلك بعيد لان برد النار لم يحصل منها وانما حصل من جهة الله تعالى فهو القادر على الحر والبرد فلا يجوز
ان يقال كان البرد يعظم لولا قوله سلاما السؤال الرابع ايجوز ما قيل من انه كان في النار انعم عيشا منه في ساير
احواله قلنا لا يمتنع ذلك لما فيه من مزيد النعمة عليه وكما يجوز ان يكون انما صار انعم عيشا هناك
لعظم ما ناله من السرور بخلاصه من ذلك الامر العظيم ولعظم سروره بالظفر باعدائه وبما ظهر من دين الله اتصل

قوله واراد وا به كيدا فجعلناهم الاخسرين اي ارادوا ان يكيدوه فما كانوا الا مغلوبين غالبوه بالجدال
فغلظ سرير بها الظهور فلقنه الله الحجة المبكتة ثم عدلوا الى القوة والجبروت فنصره ثم انه سبحانه وتعالى
اتم النعمة عليه بان نجاه ونجى لوطا معه وهو ابن اخيه وهو لوط بن هاران الى الارض التي باركنا فيها
للعالمين وفي الخبر ان هذه الواقعة كانت في حدود بابل فنجاه الله من تلك البقعة الى الارض المباركة
ثم قيل انها مكة وقيل بيت المقدس لقوله تعالى الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله والسبب في بركتها اما
في الدين فلان اكثر الانبياء بعثوا منه وانتشرت في العالمين شرائعهم واثارهم الدينية واما في الدنيا فان الله تعالى
بارك فيها بكثرة الماء والشجر والثمر والخصب وطيب العيش وقيل ما من ماء عذب الا وينبع اصله من تحت الصخرة
التي ببيت المقدس

قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين و
جعلناهم ائمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة وايتاء الزكوة وكانوا لنا عابدين
اعلم انه تعالى بعد ذكره انعامه على ابرهيم وعلى لوط بان نجاهما الى الارض المباركة اتبعه بذكر غيره
من النعم وانما جمع بينهما لان في كون لوط معه كانت نعمة من القرابة والشركة في النبوة من مزيد انعام ثم انه سبحانه
ذكر النعم التي افاضها على ابرهيم ثم النعم التي افاضها على لوط اما الاول فمن وجوه احدها ووهبنا له اسحق
ويعقوب نافلة واعلم ان النافلة العطية خاصة وكذلك النفل ويسمى الرجل الكثير العطايا نوفلا ثم للمفسرين
فيها قولان الاول انه هنا مصدر من وهبنا له مصدر من غير لفظه ولا فرق بين ذلك وبين قوله ووهبنا له هبة
اي وهبناه عطية وفضلا من غير ان يكون جزاء مستحقا وهذا قول مجاهد وعطاء الثاني وهو قول
ابي بن كعب وابن عباس وقتادة والفراء والزجاج رضي الله عنهم ان ابرهيم لما سال الله تعالى
ولدا بالدعاء هب لي من الصالحين فاجاب الله دعاه ووهب له اسحق واعطاه يعقوب من غير
دعائه وكان ذلك نافلة كالشي المتطوع به من الادميين فكانه قال ووهبنا له اسحق اجابة لدعائه
ووهبنا له يعقوب نافلة على ما سال كالصلوة النافلة التي هي زيادة على الفرض وعلى هذا النافلة يعقوب
خاصة والوجه الاول اقرب لانه تعالى جمعهما ثم ذكر قوله نافلة فاذا صلح ان يكون وصفا لهما فهو اولى
النعمة الثانية قوله تعالى وكلا جعلنا صالحين اي وكلا من ابرهيم واسحق ويعقوب مرسلين هذا قول الضحاك وقال
اخرون عاملين بطاعة الله مجتنبين محارمه والوجه الثاني اقرب لان لفظ الصلاح يتناول الكل والله سبحانه قال بعد
هذه الاية واوحينا اليهم فلو حملنا الصلاح على النبوة لزم التكرار واحتج اصحابنا بهذه الاية على ان افعال العباد
مخلوقة لله تعالى لان قوله تعالى جعلناهم صالحين يدل على ان ذلك الصلاح من قبله اجاب الجبائي بانه
لو كان كذلك لما وصفهم بكونهم صالحين ولكونهم ائمة ولكونهم عابدين ولما مدحهم بذلك ولما اثنى عليهم واذا ثبت
ذلك فلا بد من التاويل وهو من وجهين الاول انه سبحانه اتاهم من لطفه وتوفيقه ما صلحوا به
الثاني انه سماهم بذلك كما يقال زيد فسق فلانا وفلان كفره اذا وصفه بذلك وكما يقال عدلتا عند
الناس وكما يقال في الحاكم زكى فلانا وعدله وجرحه اذا حكم بذلك واعلم ان هذين الوجهين مع انه اثنيا
اعيانهم على المدح بالذم فالانوار المعهود ان نعارضه بمسالة الداعي والعلم واما الحمل على اللطف فباطل لان
فعل الالطاف عام في المكلفين فلا بد في هذا التخصيص من مزيد فائدة وايضا فلان قوله جعلته صالحا كقوله
جعلته متحركا فحمله على تحصيل شي سوى الصلاح ترك للظاهر واما الحمل على التسمية فمتواضعا مجاز اقصى ما في الباب
انه قد صار اليه عند العرف في بعض المواضع وهاهنا لا ضرورة الى ان يرجعوا مرة اخرى الى فصل المدح والذم
وحينئذ نرجع الى مسلتي الداعي والعلم النعمة الثالثة قوله تعالى وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا فيه سوال
احدها اي جعلناهم ائمة يدعون الناس الى دين الله والخيرات بامرنا واذننا السوال الثاني هل
الامامة هي النبوة والاول اولى لئلا يلزم التكرار واحتج اصحابنا بهذه الاية على ان فعل العبد في خلق الله تعالى

بقوله

بقوله وجعلناهم ائمة وتقريره ان معنى الثاني على ان الدعوة الى الحق والمنع عن الباطل لا يجوز الا بامر الله وان الامر
لو لم يكن معتبرا لما كان في قوله بامرنا فائدة النعمة الرابعة قوله واوحينا اليهم فعل الخيرات وهذا يدل
على انه سبحانه خصهم بشرف النبوة وذلك من اعظم النعم على العباد قال الزجاج حذفت الهاء من اقامة لان الاضافة عوض
منه وقال غيره الاقام والاقامة مصدر قال ابو القاسم الانصاري الصلوة اشرف العبادات البدنية وشرعت
لذكر الله والزكوة اشرف العبادات المالية ومجموعهما التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله واعلم انه سبحانه وتعالى
وصفهم اولا بالصلاح لانه اول مراتب السائرين الى الله ثم ترقى فوصفهم بالامامة ثم ترقى فوصفهم بالنبوة
والوحي واذا كان الصلاح المذكور هو العصمة اذ اول مراتب النبوة دل ذلك على ان الانبياء معصومون فان
المحروم عن ذلك المراتب كيف يحرز عن النهاية ثم انه سبحانه لما بين اصناف نعمه عليهم بين بعد ذلك اشتغالهم
بعبودية الله فقال وكانوا لنا عابدين كانه سبحانه لما وفى بعهد الربوبية في الاحسان والانعام فهم ايضا
وفوا بعهد العبودية وهو الاشتغال بالطاعة والعبادة القصة الثالثة قصة لوط صلوات الله عليه

قوله تعالى ولوطا اتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث انهم كانوا
قوم سوء فاسقين وادخلناه في رحمتنا انه من الصالحين اعلم انه سبحانه وتعالى لما ذكر ما انعم به على
ابرهيم اتبعه بذكر نعمه على لوط لما جمع بينهما من قبل وفيه مسائل المسلة الاولى في الواو في قوله ولوطا قولان
احدهما وهو قول الزجاج انه عطف على قوله واوحينا اليهم والثاني قول ابي مسلم انه عطف على قوله اتينا ابرهيم
رشده ولا بد من مضمر في قوله ولوطا فكانه قال واتينا لوطا فاخر ذكره المسلة الثانية في اصناف النعم
وهي اربع احدها الحكم والحكمة وهي التي يجب فعلها او فصل بين الخصوم وقيل هي النبوة وثانيها العلم
واعلم ان دخول التنوين عليهما يدل على علو شان ذلك الحكم وذلك العلم وثالثها قوله ونجيناه من القرية
التي كانت تعمل الخبائث والمراد اهل القرية لانهم الذين يعملون الخبائث دون نفس القرية ولان الهلاك بهم
نزل فنجاه الله تعالى منهم ثم انه سبحانه وتعالى بين بقوله انهم كانوا قوم سوء فاسقين ما اراد بالخبائث
وانهم كانوا يقدمون عليه ظاهرا ورابعها قوله وادخلناه في رحمتنا انه من الصالحين وفي تفسير الرحمة
قولان الاول انه النبوة اي لما كان صالحا للنبوة ادخله في رحمته لكي يقوم بحقها عن مقاتل الثاني انه
الثواب عن ابن عباس والضحاك رضي الله عنهم وحكى ابو سال انه عليه السلم لما اتاه الله الحكم وخلصه من خلطا
السوء فتحت عليه ابواب المكاشفات وتجلت له انوار الالهية وهي بحر لا ساحل له وهي الرحمة الحقيقية
القصة الرابعة قصة نوح عليه السلم

قوله تعالى ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه
واهله من الكرب العظيم ونصرناه من القوم الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين اما قوله
اذ نادى ففيه مسائل المسلة الاولى المعنى اذكر نوحا اذ نادى والمراد بهذا النداء دعاؤه على قومه بالعذاب ويؤكده حكاية
الله تعالى عنه ذلك كان على الاجمال بقوله اني مغلوب فانتصر ونظيره على التفصيل قوله وقال نوح رب
لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ودل عليه ايضا انه تعالى اجابه بقوله فاستجبنا له ونجيناه من الكرب العظيم
وهذا الجواب يدل على ان المذكور كان هو المطلوب في السوال فدل ذلك على ان نداه ودعاه كان بنجيه مما يلحقه
من جهتهم من ضروب الاذى بالتكذيب والرد عليه وان ينصره عليهم وبان يهلكهم فلذلك قال بعده
المسلة الثانية المحققون على ان ذلك النداء كان بامر الله تعالى لانه لو لم يكن باذنه لم يؤمن ان يكون الصلاح ان لا يجاب اليه
فيصير ذلك سببا لنقصان حال الانبياء ولان الاقدام على مثل هذا الطلب لو لم يكن بالامر لكان ذلك مبالغة في الضرر وقال ابو امر
انه عليه السلم لم يكن ماذونا في ذلك قال انس انه ما من نبي يتحسر احد في خلاء الله حسرة ادم ونوح عليهما السلم فحسرة ادم
على قبول وسوسة ابليس وحسرة نوح على دعائه على قومه فاوحى الله اليه لا تتحسر فان دعوتك وافقت قدري اما
قوله فنجيناه واهله من الكرب العظيم فالمراد بالاهل هاهنا اهل دينه وفي تفسير الكرب وجوه احدها انه العذاب النازل

بالكفار وهو الغرق وهو قول اكثر المفسرين وثانيها انه تكذيب قومه اياه وما لقي منهم من الاذى والثالث انه مجموع
الامرين وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وهو الاقرب لانه عليه السلم كان يدعوهم الى الله مدة طويلة وكان ينال منهم
كل مكروه فكان الغم يتزايد بسبب ذلك وعندما علم الله تعالى اياه انه يغرقهم وامره باتخاذ الفلك كان ايضا على
غم وخوف من حيث لم يعلم من الذي يتخلص من الغرق ومن الذي يغرق فازال الله تعالى عنه الكرب العظيم بان خلصه
مع جميع من امن به منهم اما قوله ونصرناه من القوم فنقول قرأ ابي ونصرناه على القوم ثم قال المبرد [illegible] ونصرناه
من مكروه القوم قال الله تعالى فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا به وقال ابو عبيدة من بمعنى على وقال
صاحب الكشاف انه نصر الذي مطاوعه انتصر وسمعت هذليا يدعو على سارق اللهم انصرهم منه اي اجعلهم منتصرين
منه اما قوله تعالى انهم كانوا قوم سوء فالمعنى انهم كانوا قوم سوء لاجل ردهم عليه وتكذيبهم له فاغرقناهم اجمعين بين
ذلك الوجه الذي خلصهم منهم. والقصة الخامسة قصة داود وسليمان عليهما السلام **قوله تعالى**
وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا اتينا حكما
وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من باسكم فهل انتم شاكرون ولسليمان
الريح عاصفة تجري بامره الى الارض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا
لهم حافظين اعلم ان قوله وداود وسليمان وايوب وزكريا وذا النون كله نسق على ما تقدم من قوله ولقد اتينا ومن
قوله ولوطا اتيناه واعلم ان المقصود ذكر نعم الله تعالى على داود وسليمان فذكر اولا النعمة المشتركة بينهما ثم ذكر ما يختص
كل واحد منهما من النعم اما النعمة المشتركة فهي قصة الحكومة ووجه النعمة فيها ان الله تعالى زينهما بالعلم والفهم في
قوله وكلا اتيناه حكما وعلما ثم هذا ينبه على ان العلم افضل الكمالات واعظمها وذلك لان الله تعالى قدم ذكره هاهنا على
سائر النعم الجليلة مثل تسخير الجبال والطير والريح والجن فاذا كان العلم مقدما على امثال هذه الاشياء فما ظنك بغيرها وهاهنا
مسائل المسألة الاولى قال ابن السكيت النفش ان تنتشر الغنم بالليل ترعى بلا راع وهذا قول جمهور المفسرين وعن الحسن
يكون ذلك ليلا ونهارا المسألة الثانية اكثر المفسرين على ان الحرث هو الزرع وقال بعضهم هو الكرم والاول اشبه بالعرف
المسألة الثالثة احتج من قال اقل الجمع اثنان بقوله لحكمهم مع ان المراد داود وسليمان وجوابه لم لا يجوز ان يكون المضاف الى الحاكم
والمحكوم له والمحكوم عليه فاذا اضيف الحاكم الى المتحاكمين كان المجموع اكثر من الاثنين وتمام الكلام عليها في هذه المسألة
الرابعة في كيفية القصة وجهان قال اكثر المفسرين دخل رجلان على داود عليه السلام احدهما صاحب حرث والاخر صاحب غنم
فقال صاحب الحرث ان غنم هذا دخلت حرثي وما ابقت منه شيئا فقال داود عليه السلام اذهب فان الغنم لك فخرجا فمرا على
سليمان عليه السلام فقال كيف قضى بينكما فاخبراه فقال لو كنت انا القاضي لقضيت بغير هذا فاخبر بذلك داود عليه السلام
فدعاه وقال كيف كنت تقضي بينهما فقال ادفع الغنم الى صاحب الحرث فيكون له منافعها من الدر والنسل والوبر حتى اذا كان
الحرث من العام المستقبل كهيئته يوم اكل دفعت الغنم الى اهلها وقبض صاحب الحرث حرثه قال ابن مسعود وشريح ومقاتل
رضي الله عنهم ان راعيا نزل ذات ليلة بجنب كرم فدخلت الاغنام الكرم وهو لا يشعر فاكلت القضبان وافسدت
الكرم فذهب صاحب الكرم من الغد الى داود عليه السلم فقضى له بالغنم لانه لم يكن بين ثمن الكرم وثمن الاغنام تفاوت
فخرجوا ومروا بسليمان فقال كيف قضى بينكما فاخبراه به فقال غير هذا ارفق بالفريقين فاخبر داود بذلك فدعا
سليمان وقال له بحق النبوة والابوة الا اخبرتني بالذي هو ارفق بالفريقين فقال تسلم الغنم الى صاحب الكرم حتى
يرتفق بمنافعها ويعمل الراعي في اصلاح الكرم حتى يصير كما كان ثم ترد الغنم الى صاحبها فقال داود انما القضاء ما قضيت
وحكم بذلك قال ابن عباس رضي الله عنه حكم سليمان بذلك وهو ابن احدى عشرة سنة وهاهنا امور لا بد من البحث عنها
السؤال الاول هل في الاية دلالة على انهما عليهما السلام اختلفا في الحكم ام لا فان قلنا انهم اختلفا فكيف
وانه تعالى يقول وكلا اتينا حكما لكنه تنبيه على ان سليمان عليه السلم الجواب الصواب انهما اختلفا والدليل اجماع الصحابة رضي الله عنهم
[illegible] قال الله تعالى وكنا لحكمهم شاهدين ثم قال ففهمناها سليمان ولولا التعقيب [illegible] الحكم

حابنا

17

سائلنا هل هذا الفهم يتناول الحكم الثابت الان فلما قال ففهمناها سليمان وجب [illegible] لتخصيص سليمان بذلك الفهم فائدة
واذا حملناه على ان هذا هو المطلوب السؤال الثاني سلمنا انهما اختلفا في الحكم ولكن كان الحكمان صادرين عن النص
او عن الاجتهاد الجواب الامران جائزان عندنا وزعم الجبائي انهما كانا صادرين عن النص ثم انه فارق بين ذلك على ان
الاجتهاد غير جائز من الانبياء واحتج على ان الاجتهاد وان كان جائزا في الجملة ولكنه غير جائز في هذه المسألة اما الاول
فقد تكلمنا فيه في كتاب المحصول في الاصول ولنذكر هاهنا اصول الكلام من الطرفين احتج الجبائي على ان الاجتهاد
غير جائز من الانبياء باحد امور احدها قوله تعالى قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي وقوله وما ينطق
عن الهوى وثانيها ان الاجتهاد طريقه الظن وهو قادر على ادراك اليقين فلا يجوز مصيره الى الظن كالمعاين للقبلة لا يجوز
له ان يجتهد وثالثها ان مخالفة الرسول توجب الكفر لقوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ومخالفة
المجتهدات لا تكفر توجب الكفر ورابعها لو جاز ان يجتهد في الاحكام لكان لا يتوقف في شيء منها فلما توقف في مسألة
الظهار واللعان المعدودة الوحي دل على ان الاجتهاد غير جائز عليه وخامسها ان الاجتهاد انما يجوز المصير اليه عند فقد
النص لكن فقدان النص في حق الرسول كالممتنع فوجب ان لا يكون الاجتهاد وسادسها لو جاز الاجتهاد من الرسول لجاز
ايضا من جبريل عليه السلم وحينئذ لا يحصل الامان بان هذه الشرائع التي جاء بها جبريل من نصوص الله او من اجتهاد جبريل عليه السلم
والجواب عن الاول قوله تعالى قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي لا يدل على ما هو المراد لانه وارد في
ابدال اية باية لانه عقيب قوله وقال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقران غير هذا او بدله ولا مدخل للاجتهاد في ذلك واما
قوله تعالى وما ينطق عن الهوى فبعيد لان من يجوز له الاجتهاد يقول ان الذي اجتهد فيه هو عن وحي على الجملة وان
لم يكن كذلك على التفصيل ولان الاية واردة في الاداء عن الله لا في حكم الشرع لكنه ما لعمل والجواب عن الثاني ان الله
تعالى اذا قال له اذا غلب على ظنك كون الحكم معللا في الاصل بكذا ثم علمت او ظننت قيام ذلك المعنى في صورة اخرى فها هنا
الحكم مقطوع به والظن غير واقع فيه بل في طريقه والجواب عن الثالث انا لا نسلم ان مخالفة المجتهدات جائزة مطلقا بل
جواز مخالفتها مشروط بعدم صدورها من المعصوم والدليل عليه انه يجوز على الامة ان يجمعوا اجتهادا ثم يمتنع
مخالفتهم وحال الرسول كذلك والجواب عن الرابع لعله عليه السلم كان ممنوعا عن الاجتهاد في بعض الانواع او كان ماذونا
مطلقا لكنه لم يظهر له في تلك الصورة وجه الاجتهاد فلا جرم توقف والجواب عن الخامس لم لا يجوز ان يحبس النص عنه في بعض
الصور يحصل بحصول شرط جواز الاجتهاد والجواب عن السادس ان هذا الاحتمال مدفوع باجماع الامة على خلافه فسقط هذا
الكلام عن شبه المنكرين والدليل على جواز الاجتهاد وعلى وقوعه وجوه احدها انه عليه السلم اذا غلب على ظنه ان الحكم في الاصل
معلل بمعنى ثم علم او ظن قيام ذلك المعنى في صورة اخرى فلا بد ان يغلب على ظنه ان حكم الله تعالى في هذه الصورة مثل ما في
الاصل وعنده مقدمة يقينية وهي ان مخالفة حكم الله سبب لاستحقاق العقاب فيتولد منهما ظن استحقاق العقاب لمخالفة هذا
الحكم المظنون وعند هذا اما ان يقدم على الفعل والترك معا وهو محال لاستحالة الجمع بين النقيضين او يتركهما وهو محال
لاستحالة الخلو عن النقيضين او يرجح المرجوح على الراجح وهو باطل ببديهة العقل او يرجح الراجح على المرجوح فذاك هو العمل
بالقياس وهذه النكتة هي التي عليها التعويل في العمل بالقياس وهي قائمة ايضا في حق الانبياء عليهم السلام وهاهنا يتوجه عليه
جواز الاجتهاد من جبريل صلوات الله عليه وثانيها ان قوله تعالى فاعتبروا يا اولي الابصار امر للكل بالاعتبار فوجب اندراج الرسول
عليه السلام فيه لانه امام المعتبرين وافضلهم وثالثها ان الاستنباط ارفع درجات العلماء فوجب ان يكون للرسول فيه مدخل والا لكان
كل واحد من احاد المجتهدين افضل منه في هذا الباب فان قيل انما يلزم لو لم يكن درجته اعلى من هذا فاما اذا كان الامر كذلك
لانه كان يستدرك الاحكام وحيا على سبيل اليقين فكان ارفع درجة من الاجتهاد الذي ليس قصاراه الا الظن قلنا
لا يمنع ان يجد النص في بعض المواضع فلو لم يمكن من الاجتهاد لكان اقل درجة من المجتهد الذي يمكنه ان يتوصل الى الحكم من الاجتهاد
واما قولنا انه وقع فلان الله تعالى لما امره بالاجتهاد كان ذلك سبيلا للقطع بالحكم ورابعها قال عليه السلم العلماء ورثة الانبياء فوجب
ان يثبت للانبياء درجة الاجتهاد ليرثها العلماء عنهم ولكن هذا تمام القول في هذه المسألة وخامسها انه تعالى قال عفا الله عنك

لما اذنت لهم فبتلك اللاذنة كان باذن الله تعالى استحال ان يقول لم اذنت وان كان بقول النفس فهو غير جائز
وان كان بالاجتهاد فهو المطلوب الجواب عن الثاني على الجبائي لوجوه نا الاجتهاد من الانبيا في هذه المسئلة
وجب ان لا يجوز لوجوه احدها ان الذي وصل الى صاحب الزرع من ضرر الماشية من منافعها مجهول المقدار فكيف
يجوز في الاجتهاد جعل احدهما عوضا عن الاخر وثانيها ان اجتهاد داود عليه السلم ان كان صوابا لزم ان لا ينقض
وان كان الاجتهاد سقط بالاجتهاد وان كان خطا وجب ان يبين الله تعالى توبته كما بين ما حكاه عن الانبيا عليهم السلم
فلما مدحهما بقوله وكلا اتينا حكما وعلما دل على انه لم يقع الخطا من داود عليه السلم وثالثها لو حكم بالاجتهاد لكان الحاصل
هناك ظنا لا علما لكن الله تعالى قال وكلا اتينا حكما وعلما ورابعها كيف يجوز ان يكون من الاجتهاد وقد قال ففهمناها
سليمان والجواب عن الاول ان الجهالة في القدر لا تمنع من الاجتهاد كالجعالات وحكم المصراة وعن الثاني لعله كان
خطا من باب الصغاير وعن الثالث انا بينا ان عند تمسك بالقياس فالظن واقع في طريق اثبات الحكم فاما الحكم
فمقطوع به وعن الرابع انه اذا تامل واجتهد وادا اجتهاده الى ما ذكرنا كان الله تعالى فهمه من حيث نصب له طريق
ذلك فهذا جملة الكلام في بيان انه لا يمتنع ان يكون اختلاف داود وسليمان عليهما السلام في ذلك الحكم انما هو بسبب
الاجتهاد واما بيان انه لا يمتنع ايضا ان يكون اختلافهما بسبب النص فبطريقين لو ان داود صلوات الله عليه
كان مامورا من قبل الله تعالى في هذه المسلة بالحكم الذي حكم به ثم انه سبحانه نسخ ذلك بالوحي الى سليمان عليه السلام خاصة
وامره ان يعرف داود ذلك فصار ذلك الحكم حكمهما جميعا وقوله ففهمناها سليمان اي اوحينا اليه فان قيل فهذا باطل
لوجهين الاول لما انزل الله الحكم اولا على داود وجب ان ينزل النسخ ايضا على داود لا على سليمان الثاني ان الله تعالى
مدح كل واحد منهما على الفهم ولو كان ذلك على سبيل النص لم يكن في فهمه كبير مدح انما المدح الكبير في حق الخاطر والحذاقة
في الاستنباط والله اعلم السوال الثالث بينتم انه يجوز ان يكون اختلافهما لاجل النص وان يكون لاجل الاجتهاد فاي
القولين اولى الجواب الاجتهاد راجح لوجوه احدها انه روى في الاخبار الكثيرة ان داود صلوات الله عليه لم يكن قد بت
الحكم في ذلك حتى سمع من سليمان ان غير ذلك اولى وفي بعضها ان داود عليه السلم ناشده لكي يورد ما عنده وكل ذلك لا يليق
بالنص لانه لو كان نصا لكان يظهره ولا يكتمه السوال الرابع بينوا انه كيف كان طريق الاجتهاد الجواب ان
وجه الاجتهاد فيه ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما من ان داود عليه السلم قدر الضرر في الكرم فكان مساويا لقيمة الغنم وكان عنده
ان الواجب في ذلك الضرر ان تزال المسلة من النوع فلا جرم سلم الغنم الى المجنى عليه كما قال ابو حنيفة رحمه الله في العبد اذا جنى
على النفس يدفعه المولى بذلك او يفديه واما سليمان عليه السلم فان اجتهاده ادى الى انه يجب مقابلة الاصول بالاصول
والزوايد بالزوايد واما مقابلة الاصول بالزوايد فغير جايز لانه يقتضى الحيف والغبن ولعل منافع الغنم في تلك
السنة كانت موازية لمقدار ما ثم يحكم به كما قال الشافعي رضي الله عنه فيمن غصب عبدا فابق من يده انه يضمن القيمة فينتفع بها
المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر ترادا السوال الخامس على تقدير ان يثبت قطعا
ان الحكم المخالفة كانت مبنية على الاجتهاد فهل تدل هذه القصة على ان المصيب واحد او الكل مصيبون والجواب
اما القايلون بان المصيب واحد فمنهم من استدل بقوله تعالى ففهمناها سليمان قال لو كان الكل مصيبا لم يكن لتخصيص سليمان
عليه السلم بهذا التفهيم فايدة واما القايلون بان الكل مصيبون فمنهم من استدل بقوله وكلا اتينا حكما وعلما ولو كان المصيب
واحدا ومخالفه مخطيا لما صح ان يقال وكلا اتينا حكما وعلما واعلم ان الاستدلالين ضعيفان اما الاول فلانه تعالى لم يقل انه
فهمه الصواب يحتمل انه فهمه الناسخ ولم يفهم ذلك داود لانه لم يبلغه فكان كل واحد منهما مصيبا فيما حكم به على ان ظاهر الاية انما دل على
ان داود وسليمان عليهما ما كانا مصيبين في ذلك الحكم لكن في شرعهما واما الثاني فلانه تعالى لم يقل انه كلا
اتينا حكما وعلما بما حكم به بل يجوز ان يكون اتاه حكما وعلما بوجوه الاجتهاد وطرق الاحكام على انه لا يلزم من كون المجتهد مصيبا في شرعهم
ان يكون كذلك في شرعنا السوال السادس هل في هذه الواقعة في شرعنا ما حكمها الجواب قال
الحسن البصري هذه الاية محكمة والقضاة بذلك يقضون الى يوم القيامة واعلم ان اكثر العلماء يزعمون انه منسوخ بالاجماع

ثم اختلفوا

18

ثم اختلفوا في حكمه فقال الشافعي رضي الله عنه ان كان ذلك بالنهار لا ضمان لان لصاحب الماشية ان يسيب ماشيته بالنهار
وحفظ الزرع بالنهار على صاحبه وان كان ليلا يلزم الضمان لان حفظها بالليل عليه وقال ابو حنيفة رحمه الله عليه لا ضمان ليلا
كان او نهارا اذا لم يكن متعديا بالارسال لقوله عليه السلم العجما جبار واحتج الشافعي رحمه الله عليه بما روى عن البرا بن عازب
رضي الله عنه انه قال كانت لي ناقة ضارية فدخلت حايطا فافسدت فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى بحفظ
الحوايط بالنهار على اهلها وان حفظ الماشية بالليل على اهلها وان على اهل الماشية ما اصابت ماشيتهم بالليل هذا تمام القول
في هذه الاية النوع الثاني انه تعالى ذكر بعد ذلك من النعم التي خص بها داود وسليمان صلوات الله عليهما امورا فاولها قوله وسخرنا مع داود
الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين وفيه مسايل المسلة الاولى في تفسير هذا التسبيح وجهان احدها ان الجبال كانت تسبح
ثم ذكروا وجوها احدها قال مقاتل اذا ذكر داود ربه ذكرت الجبال والطير ربها معه وثانيها قال الكلبي اذا سبح
داود اجابته الجبال وثالثها قال سليمان بن حيان كان داود عليه السلم اذا وجد فترة امر الله الجبال فسبحت فيزداد
نشاطا واشتياقا القول الثاني وهو اختيار بعض اهل المعاني انه يحمل التسبيح على تسبيح الجبال والطير بما به قوله وان
من شي الا يسبح بحمده وتخصيص داود عليه السلم بذلك انما كان بسبب انه عليه السلم كان يعرف ذلك ضرورة فيزداد يقينا وتعظيما
والقول الاول اقرب لانه لا ضرورة في صرف اللفظ عن ظاهره اما المعتزلة فقالوا لو حصل الكلام في الجبل لحصل اما بفعله او
بفعل الله تعالى فيه والاول محال لان بنية الجبل لا تحتمل الحيوة والعلم والقدرة وما لا يكون حيا عالما قادرا يستحيل منه الفعل
والثاني محال لان المتكلم عندهم من كان فاعلا للكلام لا من كان محلا للكلام فلو كان فاعل ذلك الكلام هو الله تعالى لكان
المتكلم هو الله تعالى لا الجبل فثبت انه لا يمكن اجراوه على ظاهره فعند هذا قالوا معنى وسخرنا مع داود الجبال فقوله
يا جبال اوبي معه ومعناه تصرفي معه وسيري بامره ومعنى يسبحن من السبح الذي هو السباحة خرج اللفظ فيه
على الاكثر ولو لزم الجبل لسيحي فلما كثر قيل يسبحن معه اي يسيرن معه كقوله ان لك في النهار سبحا طويلا اي متصرفا ومذهبا
اذا ثبت هذا فنقول انه سيرها من التسبيح لدلالة على تنزيه الله تعالى وعلى سايرها يزل عنه واعلم ان مدار هذا القول على ان
بنية الجبل لا تقبل الحيوة وهذا ممنوع وعلى ان المتكلم من فعل الكلام وهو ايضا ممنوع المسلة الثانية اما الطير فلا امتناع
في ان يصدر عنها الكلام ولكن اجمعت الامة على ان المكلفين اما الجن او الانس او الملايكة فيمتنع فيها ان تبلغ في العقل الى
درجة التكليف بل يكون حالها كحال الطفل في ان يومر وينهى وان لم يكن مكلفا فصار ذلك معجزة من حيث جعلها في الفهم بمنزلة
المراهق وايضا فيه دلالة على قدرة الله وعلى تنزيهه عما لا يجوز فيكون القول فيه كالقول في الجبال المسلة الثالثة قال صاحب
الكشاف يسبحن حال بمعنى مسبحات او استيناف كان قايلا قال كيف سخرهن فقال يسبحن والطير اما معطوف
على الجبال واما مفعول معه فان قلت لم قدمت الجبال على الطير قلت لان تسخيرها وتسبيحها اعجب وادل
في الاعجاز لانها جماد والطير حيوان اما قوله وكنا فاعلين فالمعنى انا قادرون على ان نفعل هذا وان كان عجبا عندكم
وقيل يفعل ذلك بالانبيا عليهم السلام النوع الثالث قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من باسكم فهل انتم
شاكرون المسلة الاولى اللبوس اللباس يجعلكم قرى بالنون والياء والتاء وتخفيف الصاد وتشديدها فالنون لله عز وجل
والتاء للصنعة او اللبوس على تاويل الدرع والياء لله عز وجل او لداود او اللبوس المسلة الثانية قال قتادة اول
من صنع الدرع داود وانما كانت صفايح فحلقها وسردها ذكر الحسن ان لقمان الحكيم عليه السلم
حضره وهو يعمل الدرع فاراد ان يسال عما يفعل ثم كف حتى فرغ منه فقال الصمت حكم وقليل فاعله فقال ان الله تعالى له
لان الحديد له يعمل منه بغير نار كانه طين المسلة الثالثة الباس شدة الحرب والمراد في الاية والمعنى ليمنعكم
وتحصنكم من باسكم اي من الجرح والقتل والسيف والسهم والرمح المسلة الرابعة فيه دلالة على ان اول من عمل الدرع
داود ثم تعلم الناس منه فتوارث الناس عنه فعمت النعمة بها كل المحاربين من الخلق الى اخر الدهر فلزمهم شكر الله
على هذه النعمة فقال فهل انتم شاكرون ان تشكروا الله على ما يسر عليكم من هذه الصنعة واعلم انه سبحانه لما ذكر النعم التي خص
بها داود ذكر بعده النعم التي خص بها سليمان عليه السلم بها قال قتادة ورث الله سليمان من داود عليهما السلم ملكه ونبوته وزاده عليه

امرين سخر له الريح والشياطين اما الاول فقوله ولسليمان الريح عاصفة تجري بامره ثم جعلها هاهنا طايعة له منقادة له
يعني انه اذا ارادها عاصفة كانت عاصفة واذا ارادها لينة كانت لينة والله تعالى مسخرها في الحالتين فان قيل
العاصف الشديدة الهبوب وقد وصفها الله تعالى بالرخا في قوله رخا حيث اصاب فكيف الجمع الجواب من وجهين
الاول انها كانت في نفسها رخية طيبة كالنسيم فاذا امرت ابعدت به في مدة يسيرة على ما قال غدوها شهر و
رواحها شهر فكان اجتماعها الامرين رخا في نفسها وعاصفة في عملها مع طاعتها لسليمان عليه السلم وهبوبها على
حسب ما يريد ويحكم الله الى له والثاني انها كانت في وقت رخا وفي وقت عاصفا لهبوبها على حكم ارادته
المسئلة الخامسة فرق الريح والرياح اهل الحال فان قيل بالحق صاده وسخر بامره داود الجبال وما الحكمة في
سليمان ولسليمان الريح ذكر في حق داود عليه السلم شكله مع وفي حق سليمان اللام قلنا هذا التعيب ايضا في قوله
يا جبال اوبي معه وقال في حق سليمان الريح تجري بامره فما القايلة في هذا قلت داود عليه السلم لما تطوع بالتسبيح سبحت الجبال
قلنا يحتمل ان الجبل لما اشتغل بالتسبيح حصل له نوع شرف فما اضيف بلام الملك اما الريح فلم يصدر عنه الا
ما يجري مجرى الخدمة فلا جرم اضيف الى سليمان بلام الملك وهذا افنا غير ... الى الارض التي باركنا
فيها المعنى الى بيت المقدس قال الكلبي كانت من اصطخر الى الشام يركب عليها سليمان واصحابه اما قوله
وكنا بكل شي عالمين اي بعلمنا بالاشياء صح منا ان ندبر هذا التدبير في رسلنا وفي خلقنا وان نفعل هذه
المعجزات القاهرة الامر الثاني قوله ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك
وكنا لهم حافظين المسئلة الاولى المراد انهم يغوصون له في البحار فيستخرجون الجواهر ويتجاوزون ذلك الى
الاعمال والمهن وبنا المدن والقصور واختراع الصنايع العجيبة كما قال يعملون له ما يشا من محاريب و
تماثيل وافاد الصناعات كاتخاذ الحمام والنورة والطواحين والقوارير والصابون المسئلة الثانية
قوله تعالى ومن الشياطين من يغوصون له يعني سخرنا لسليمان من الشياطين من يغوصون له فيكون من في
موضع النصب نسقا على الريح قال الزجاج ويجوز ان يكون في موضع رفع من جهتين احدهما النسق على الريح المعنى
ولسليمان الريح وله من يغوصون له من الشياطين ويجوز ان يكون رفعا بالابتدا ولكن له هو الخبر المسئلة
الثالثة يحتمل ان يكون من يغوص منهم هو الذي يعمل سائر الاعمال ويحتمل انهم فرقة اخرى والكل داخل في
لفظة من ولكن الاول هو الاقرب المسئلة الرابعة ليس في الظاهر الا انه سخرهم لكنه قد روي انه تعالى
سخر كفارهم دون المومنين وهو الاقرب لوجهين احدهما اطلاق لفظ الشياطين والثاني قوله وكنا لهم حافظين
فان المومن اذا سخر في امر لا يحتاج ان يحفظ لئلا يفسد وانما يجب ذلك في الكافر المسئلة الخامسة في قوله
وكنا لهم حافظين وجوه احدها انه تعالى وكل بهم جمعا من الملايكة او جمعا من مومني الجن والثاني
سخرهم الله تعالى بان حبب اليهم طاعته وخوفهم من مخالفته وثالثها قال ابن عباس رضي الله عنهما
يريد سلطانه مقيم عليهم يفعل بهم ما يشا فان قيل وعن اي شي كانوا محفوظين قلنا انه فيه اوجه
احدها انه تعالى كان يحفظهم عليه لئلا يذهبوا ويتركوه وثانيها قال الكلبي كان يحفظهم من ان يهيجوا
احدا في زمانه وثالثها كان يحفظهم من ان يفسدوا ما عملوا وكان دابهم انهم يعملون بالنهار ثم يفسدونه
في الليل المسئلة السادسة سال الجبائي نفسه وقال كيف يتهيا لهم هذه الاعمال واجسامهم رقيقة لا يقدرون
على عمل الثقيل وانما يمكنهم الوسوسة واجاب بانه سبحانه كثف اجسامهم خاصة وقواهم وزاد في عظمهم ليكون
ذلك معجزة لسليمان عليه السلم فلما مات سليمان عليه السلم ردهم الى الخلقة الاولى لانه لو تقاهم على الخلقة الثانية
لصار شبهة على الناس ولو ادعى متنبي النبوة وجعله دلالة لكان كمعجزات الرسل فلذلك ردهم الى خلقتهم
الاولى واعلم ان هذا الكلام ساقط من وجوه احدها لم قلتم ان الجن من الاجسام ولم لا يجوز وجود محدث
ليس بمتحيز ولا قايم بالمتحيز ويكون الجن منهم فان قلت لو كان الامر كذلك لكان مثلا للباري تعالى قلت

هل ضعف

هذا ضعيف لان الاشتراك في اللوازم الثبوتية لا يدل على الاشتراك في الملزومات فكيف اللوازم السلبية سلمنا انه
جسم لكن لم لا يجوز حصول القدرة على هذه الاعمال الشاقة في الجسم اللطيف وكلامه بنا على ان البنية شرط وليس في يده
الا الاستقرا الضعيف سلمنا انه لا بد من تكثيف اجسامهم لكن لم قلت انه لا بد من ردها الى الخلقة الاولى بعد موت
سليمان قوله انه يفضي الى التلبيس قلنا التلبيس غير لازم لان المتنبي اذا جعل ذلك معجزة لنفسه فللمدعي ان يقول
لم لا يجوز ان يقال ان قوة اجسامهم كانت معجزة لنبي اخر وعلى هذا التقدير لا يمكن المتنبي من الاستدلال به
واعلم ان اجسام هذا العالم اما كثيفة او لطيفة اما الكثيف فاكثف الاجسام الحجارة والحديد وقد جعلهما الله
معجزة لداود عليه السلم فانطق الحجر ولين الحديد وكل واحد منهما كما يدل على التوحيد والنبوة يدل على صحة الحشر
لانه لما قدر على احيا الحجارة فانه يقدر على احيا العظام الرميمة واذا قدر ان يجعل في اصبع داود عليه السلام
قوة النار مع كون الاصبع في نهاية اللطافة فانه يقدر ان يجعل في التراب اليابس جسما حيوانيا والعظم البالي
وفي هذا العالم الهوا والنار وقد جعلهما الله معجزة لسليمان عليه السلم اما الهوا فقوله فسخرنا له الريح واما النار فلان
الشياطين مخلوقون من النار وقد سخرهم الله تعالى ثم كان يامرهم بالغوص في المياه والنار تنطفي بالماء
ومع ذلك ما كان يضرهم وذلك يدل على قدرته على اظهار الضد من الضد القصة السادسة قصة ايوب صلوات
الله عليه **قوله تعالى** وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين فاستجبنا
له فكشفنا ما به من ضر واتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين اعلم ان في امر ايوب
صلوات الله عليه وما ذكره الله تعالى من شانه هاهنا وفي غيره من المواضع من العبر والدلايل ما ليس في غيره لانه تعالى
مع عظم نفسه ابتلاه بمثل المرض العظيم بما لم يبتل به غيره ولما صبر على ذلك اعتبارات الدنيا من زوجه والاخرة وان
الواجب على المرء ان يصبر على ما يناله من البلا فيها ويجتهد في القيام بحق الله ويصبر على حالتي الشدة والرخا المسئلة الاولى
قال وهب بن منبه رضي الله عنه كان ايوب صلى الله عليه رجلا من الروم وهو ايوب بن اموص وكان من ولد عيص بن
اسحق وكانت امه من ولد لوط وكان الله تعالى قد اصطفاه وجعله نبيا وكان مع ذلك اعطاه من الدنيا حظا
وافرا من النعم والدواب والبساتين واعطاه اهلا وولدا من رجال ونسا رحيما بالمساكين يكفل الايتام والارامل ويكرم
الضيف وكان معه ثلثة نفر قد امنوا به وعرفوا فضله وقال وهب وان لجبريل عليه السلم بين يدي الله مقاما ليس لاحد من الملايكة
مثله في القربة والفضيلة وهو الذي يتلقى الكلام فاذا ذكر الله تعالى عبدا بخير تلقاه جبريل عليه السلام ثم يلقاه ميكايل ثم من
حوله من الملايكة المقربين فاذا شاع ذلك فيهم صلوا عليه ثم صلت عليه ملايكة السموات والارض وكان ابليس يقف منهن
حيث ما اراد من هنالك وصل الى ادم عليه السلم حتى اخرجه من الجنة ولم يزل على ذلك حتى رفع عيسى عليه السلام
فحجب من اربع وكان بعد ذلك يصعد في ثلث الى زمان نبينا صلى الله عليه وسلم فحجب عن ذلك من جميع السموات الا من استرق
السمع فلما سمع ابليس تجاوب الملايكة بالصلوة على ايوب ادركه الحسد فصعد سريعا حتى وقف من الله موقفا كان
يقفه فقال يا رب انك انعمت على عبدك فشكرك وعافيته فحمدك ثم لم تجربه بشدة ولا بلا وانا لك زعيم لين ضربته
بالبلا ليكفرن بك فقال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ماله فانقض لعنه الله حتى وقع الى الارض وجمع
عفاريت الشياطين وقال لهم ماذا عندكم من القوة فاني سلطت على مال ايوب قال عفريت اعطيت من القوة ما اذا
شيت تحولت اعصارا من نار فاحرقت كل شي اتي عليه فقال ابليس فات الابل ورعاتها فذهب ولم يشعر الناس حتى
ثار من تحت الارض اعصار من نار لا يدنو منها شي الا احترق فلم يزل يحرقها ورعاتها حتى اتى على اخرها فذهب ابليس
على صورة واحد من اولئك الرعاة الى ايوب فوجده قايما يصلي فلما فرغ من الصلوة قال يا ايوب هل تدري ما الذي صنع ربك
الذي اخترته بابلك ورعاتها فقال ايوب انها ماله اعارنيه وهو اولى به اذا شا نزعه قال ابليس فان ربك
ارسل عليها نارا من السما فاحترقت ورعاتها كلها وترك الناس مبهوتين متعجبين منها فمن قايل يقول كان ايوب يعبد شيا
وما كان الا في غرور ومن قايل يقول لو كان اله ايوب يقدر على شي لمنعه من وليه ومن قايل يقول بل هو الذي فعل ما فعل ليشمت به

علقوه وينحج به صديقه فقال ايوب الحمد لله حين اعطاني وحين نزع مني عريانا خرجت من بطن امي وعريانا اعود في التراب
وعريانا احشر الى الله ولو علم الله فيك ايها العبد خيرا لنقل روحك مع تلك الارواح وصرت شهيدا واجرني فيك ولكنه علم
منك شرا فاخرك فرجع ابليس الى اصحابه فقال عفريت اخر عندي من القوة ما اذا شئت صحت صوتا لا يسمعه ذو روح
الا خرجت روحه فقال له ابليس فات الغنم ورعاتها فانطلق فصاح بها فماتت وماتت رعاتها فخرج ابليس متمثلا بقهرمان
الرعاة الى ايوب فقال له القول الاول ورد عليه ايوب الرد الاول فرجع ابليس صاغرا وقال عفريت اخر عندي من
القوة ما اذا شئت تحولت ريحا عاصفة انلع كل شي اتيت عليه فقال اذهب الى الحرث والثيران فاتاهم فاهلكهم ثم خرج
ابليس متمثلا حتى جا ايوب وهو يصلي وقال مثل قوله فرد عليه ايوب الرد الاول فجعل ابليس يصيب امواله شيا فشيا حتى
اتى على جميعها فلما راى ابليس صبره على ذلك وقف الموقف الذي كان يقفه عند الله فقال الهي هل انت مسلطي على ولده فانها
الفتنة المضلة قال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ولده فاتى اولاد ايوب في قصرهم فلم يزل بهم حتى تداعى
من قبل القصر ثم جا الى ايوب عليه السلم متمثلا بالمعلم وهو جريح مشدوخ الراس يسيل دمه ودماغه فقال لو رايت بنيك كيف
انقلبوا منكوسين على رووسهم [illegible] فلم يزل يقول هذا ونحوه حتى رق ايوب فبكى وقبض قبضة من
التراب ووضعها على راسه فاغتنم ابليس ذلك فصعد ابليس [illegible] فقال يا الهي انما يهون على ايوب خطر
المال والولد لعلمه انك تعيد له المال فهل انت مسلطي على جسده فاني زعيم لو ابتليته في جسده ليكفرن بك
فقال انطلق فقد سلطتك على جسده وليس لك سلطان على عقله وقلبه ولسانه فانقض عدو الله سريعا فوجد ايوب ساجدا
لله تعالى فاتاه من قبل الارض فنفخ في منخره نفخة اشتعل جسده وخرج به من قرنه الى قدمه ثاليل وقد وقعت فيه حكة
لا يملكها فكان يحك باظفاره حتى سقطت اظفاره ثم حكها بالمسوح الخشنة ثم حكها بالفخار والحجارة فلم يزل حتى تقطع لحمه
وتغير وانتن فاخرجه اهل القرية وجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشا ورفضه الناس كلهم غير امراته رحمة بنت افرائيم
بن يوسف فكانت تتعهده بما يصلحه ثم ان وهبا طول في الحكاية الى ان قال ان ايوب عليه السلم اقبل على الله تعالى مستغيثا متضرعا اليه
فقال رب لاي شي خلقتني يا ليتني كنت حيضة [illegible] ليتني عرفت الذنب الذي اذنبت والعمل الذي عملت فصرفت وجهك الكريم
عني الم اكن للغريب دارا وللمسكين قرارا ولليتيم وليا وللارملة قيما الهي انا عبد ذليل ان احسنت فالمن لك وان اسات فبيدك عقوبتي
جعلتني للبلا غرضا وللفتنة نصبا وسلطت علي ما لو سلطته على جبل لضعف من حمله الهي تقطعت اصابعي [illegible]
وتناثرت لهواتي [illegible] ذهب المال فصرت اسال بكفي فيطعمني من كنت اعوله [illegible] الامام ابو القسم
الانماطي رحمه الله في [illegible] هذا الكلام [illegible] غنم ابليس [illegible]
[illegible] ارحم الراحمين [illegible] فاستجبنا له
[illegible] عن انس رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ايوب عليه السلم بقي في البلا ثماني عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد الا رجلين من اخوانه كانا يغدوان
اليه ويروحان فقال احدهما للاخر ذات يوم والله لقد اذنب ايوب ذنبا ما اذنبه احد من العالمين فقال له صاحبه وما ذاك
قال منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله ولم يكشف ما به فلما راحا الى ايوب لم يصبر حتى ذكر ذلك لايوب عليه السلم فقال ايوب
لا ادري ما تقولان غير ان الله تعالى يعلم اني كنت امر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله فارجع الى بيتي فاكفر عنهما كراهية
ان يذكر الله الا في حق [illegible] دخلا عليه قالا لو كان لايوب عليه السلم عند الله خير ما ابتلاه بهذه الحالة
قال فما شق على ايوب عليه السلم شي مما ابتلي به ما شق عليه مما سمع منهما فقال اللهم ان كنت تعلم اني لم ابت شبعانا وانا اعلم مكان جائع
فصدقني [illegible] اللهم ان كنت تعلم اني لم البس قميصا وانا اعلم مكان عار فصدقني [illegible] ثم خر ايوب
ساجدا [illegible] حتى تكشف ما بي [illegible] الرواية [illegible] ايوب عليه السلم
فبينما [illegible] سبع سنين [illegible] وكانت تاتيه
بطعام [illegible] ايوب عليه السلم والصبر على البلاء فصرخ ابليس [illegible] من صبر ايوب عليه السلم فاجتمع جنوده [illegible]

وقالوا

وقالوا له ما اخرجك قال اعياني هذا العبد الذي سالت الله تعالى ان يسلطني عليه وعلى ماله وولده فلم ادع له مالا ولا ولدا ولم يزدد بذلك
الا صبرا وحمدا لله ثم سلطت على جسده فتركته ملقى في كناسة ما يقربه الا امراته فقد [illegible] فلا يفتر عن الذكر والحمد
فاستعنت بكم لتعينوني عليه فقالوا له اين مكرك اين عملك الذي اذ اهبطت به من مضى قال بطل ذلك كله في ايوب
فاشيروا علي قالوا ارايت ادم حين اخرجته من الجنة من اين اتيته قال من قبل امراته قالوا فشانك بايوب
من قبل امراته فانه لا يستطيع ان يعصيها لانه لا يقربه احد غيرها قال اصبتم فانطلق حتى اتى امراته
[illegible] رجل فقال اين بعلك يا امة الله [illegible] وتركت الدواب في جسده [illegible]
ان يسمع ذلك كله جزع فوسوس اليها وذكرها ما كان لها من النعم والمال وذكرها جمال ايوب وشبابه قال الحسن
[illegible] فلما صرخت علم انه قد جزعت فاتاها بسخلة فقال ليذبح هذا لي ايوب [illegible] تقربه يا ايوب
[illegible] ابن الولد [illegible] العيد [illegible] الرماد
[illegible] علي [illegible] ما كنا فيه من المال والولد والصحة [illegible] الله [illegible]
[illegible] ابتلانا بهذا البلا [illegible]
[illegible] البلا [illegible] والله لئن شفاني الله لاجلدنك مائة جلدة امرتيني ان اذبح
لغير الله وحرام علي ان اذوق بعد هذا شيا من طعامك وشرابك الذي تاتيني به فطردها فذهبت فلما
نظر ايوب في شانه وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق وقد ذهبت امراته خر ساجدا وقال رب اني مسني
الضر وانت ارحم الراحمين فقال ارفع راسك فقد استجيب لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل
منها فلم يبق [illegible] دائه الا سقط منه ثم ضرب برجله مرة اخرى فنبعت عين اخرى فلم يبق في جوفه داء الا
خرج وقام صحيحا وعاد اليه شبابه وجماله حتى صار احسن مما كان ثم كسي حلة فلما قام جعل يلتفت فلا يرى شيا
مما كان له من الاهل والمال الا وقد اضعفه الله حتى ذكر ان الماء الذي اغتسل منه تطاير على صدره جرادا من ذهب
فجعل يضمه بيده فاوحى الله اليه يا ايوب الم اغنك قال بلى ولكن [illegible] فخرج منها حتى جلس
على مكان مشرف ثم ان امراته قالت هب انه طردني افاتركه حتى يموت جوعا وتاكله السباع لارجعن اليه فلما رجعت
ما رات تلك الكناسة ولا تلك الحالة واذا الامور قد تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وذلك بعين ايوب
وهابت صاحب الحلة ان ياتيه ويسال عنه فارسل اليها ايوب ودعاها فقال ما تريدين يا امة الله فبكت
وقالت اردت ذلك المبتلي الذي كان ملقى على الكناسة قال لها ايوب ما كان منك فبكت وقالت بعلي فقال
تعرفينه اذا رايتيه قالت وهل يخفى على احد فتبسم وقال ها انا هو فعرفته بضحكه فاعتنقته ثم قال
انك امرتيني ان اذبح سخلة لابليس واني اطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله فرد علي ما ترين
الرواية الثالثة قال الضحاك ومقاتل بقي في البلا سبع سنين وسبعة اشهر وسبعة ايام وسبع ساعات
وقال وهب بن منبه رضي الله عنه بقي في البلا ثلث سنين فلما غلب ايوب عليه السلم ابليس عليه اللعنة ذهب ابليس لعنه الله
الى امراته على هيئة ليست كهيئة بني ادم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس فقال لها انت صاحبة
ايوب قالت نعم قال هل تعرفيني قالت لا قال فانا اله الارض وانا صنعت بايوب ما صنعت وذلك انه
عبد اله السما وتركني فاغضبني ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليه وعليك جميع ما لكما من مال وولد
فانه عندي [illegible] وهب [illegible] انه قال لو ان صاحبك اكل طعاما ولم يسم الله لعوفي
مما به من البلا [illegible] ثم تبينا لك [illegible] حتى ارجع لكما المال والولد و
[illegible] فرجعت الى ايوب عليه السلم فاخبرته بما قال لها فقال لها ايوب عليه السلم اتاك عدو الله ليفتنك
ثم اقسم لئن عافاني الله لاضربنك مائة جلدة وقال عند ذلك مسني الضر يعني من طمع ابليس في سجودي له ودعوة

زوجتي له ودعائه اياها واياك الى الكفر الرواية الرابعة قال وهب رضي الله عنه كانت امراة ايوب
تعمل للناس وتاتيه بقوته فلما طال عليه البلاء وسئمها الناس فلم يستعملوها فالتمست ذات يوم شيئا من
الطعام فلم تجد شيئا فجزت قرنا من راسها فباعته برغيف فاتته به فقال لها اين قرنك فاخبرته بذلك فحينئذ
قال مسني الضر الرواية الخامسة قال اسمعيل السدي لم يقل ايوب مسني الضر الا لاشياء ثلثة احدها
قول الرجلين له لو كان عملك الذي كنا نرى لله تعالى لما اصابك الذي اصابك والثاني كانت لامراته ثلث ذوائب
فعمدت الى احداها فقطعتها وباعتها فاعطوها بذلك خبزا ولحما وجاءت الى ايوب عليه السلم فقال من اين هذا
فقالت كل فانه حلال فلما كان من الغد لم تجد شيئا فباعت الثانية وكذلك فعلت في اليوم الثالث وقالت كل فانه
حلال فقال لا آكل ما لم تخبريني فاخبرته فبلغ ذلك من ايوب ما الله به عليم وقيل انما باعت لان ابليس تمثل لقوم
في صورة بشر وقال لئن تركتم ايوب في قريتكم فاني اخاف ان يعدي اليكم ما به من العلة فاخرجوه الى باب
البلد ثم قال لهم ان امراته تدخل في بيوتكم وتعمل وتمس زوجها اما تخافون ان يعدي اليكم علته فحينئذ
لم يستعملها احد فباعت ضفيرتها والثالث حين قالت له امراته ما قالت فحينئذ دعا الرواية السادسة
قيل سقطت دودة من فخذه فردها الى موضعها وقال قد جعلني الله طعمة لك فعضته عضة شديدة
فقال مسني الضر فاوحى الله اليه لولا اني جعلت تحت كل شعرة صبرا لما صبرت المسئلة الثانية
اعلم ان المعتزلة قد طعنوا في هذه القصة من وجوه قال الجبائي ذهب بعض الجهال الى ان ما كان به
من المرض كان فعلا للشيطان سلطه عليه لقوله تعالى مسني الشيطان بنصب وعذاب وهذا جهل اما اولا
فلانه لو قدر على احداث الوجع والاسقام وضدها من العافية لتهيا له فعل الاجسام ومن هذا حاله
يكون الها ثانيا واما ثانيا فلان الله تعالى اخبر عنه وعن جنوده بانه قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان
دعوتكم فاستجبتم لي فالواجب تصديق خبر الله تعالى دون الرجوع الى خبر وهب بن منبه رضي الله عنه
واعلم ان هذا الاعتراض ضعيف لان المذكور في الحكاية ان الشيطان نفخ في منخره فوقعت الحكة فيه فلم
ان القادر على النفخ [illegible] هذه الحكة لا بد ان يكون قادرا على خلق الاجسام وهل هذا الا محض التحكم
فاما التمسك بالنص فضعيف لانه انما يقدم على هذا الفعل مع علمه انه لو اقدم عليه لما منعه الله تعالى وهذه
الحالة لم تحصل الا في حق ايوب عليه السلم على الحكاية عليه من انه استاذن ربه فاذن الله له فاذا كان كذلك
لم يكن بين ذلك النص وبين هذه الحكاية مناقضة وثانيها قالوا ما روي انه عليه السلم [illegible] عند امور
مخصوصة فبعيد لان الثابت في العقل انه يحسن من المرء ان يسال ربه ذلك [illegible] ويفزع اليه كما يحسن
منه المداراة واذا جاز ان يسال ربه عند المرض ما [illegible] من اخوانه واهله جاز ايضا ان يسال ربه
من قبل نفسه فان قيل افلا يجوز [illegible] تعالى [illegible] بان يسال الكشف [illegible]
يجوز ذلك بان يعلم ان ابتلاءه بذلك مخصوصة من مصالحه ومصالح غيره فلا محالة [illegible] عليه السلم [illegible]
للمسالة في هذا الموضع الخاص فان [illegible] الرتبة [illegible] من حيث [illegible]
قالوا انهما ذلك الرجل الى حد [illegible] في هذه الحكاية المسئلة الرابعة
قال صاحب الكشاف في قوله تعالى اني مسني الضر ناداه باني مسني الضر وذكر انه ارحم الراحمين بالكرم على
احتمال [illegible] والضر بالفتح الضرر في كل شيء وبالضم الضرر في النفس من مرض وهزال
المسئلة [illegible] انه عليه السلم [illegible] في السؤال حيث ذكر [illegible] الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح
بالمطلوب [illegible] الجواب [illegible] لو شكى الى الله
[illegible] في شكواه راضيا بقضاء الله اذ ليس من شرطه استحلاء البلاء الم تسمع الى
قول يعقوب انما اشكو بثي وحزني الى الله [illegible] ارحم الراحمين فالدليل على انه سبحانه ارحم الراحمين

امور احدها ان كل من رحم غيره فاما ان يرحمه طلبا للثناء في الدنيا او للثواب في الآخرة او دفعا للرقة الجنسية عن الطبع
وحينئذ يكون مطلوبه بذلك الراحم حقيقة نفسه اما الحق سبحانه فانه يرحم عباده من غير طلب زيادة او نقصان من الثناء
ومن صفات الكمال فكان سبحانه ارحم الراحمين وثانيها ان كل من رحم غيره [illegible] رحمه الله لان من اعطى غيره
طعاما او ثوبا او دفع عنه بلاء فلولا انه سبحانه خلق المطعوم والملبوس [illegible] لما قدر احد على اعطاء ذلك الشيء
بعد وصول ذلك التطعيم فلولا انه سبحانه جعله سببا للراحة لما حصل النفع بذلك فاذا من رحم العباد [illegible] برحمة الله و
لمعونته برحمته فيما بين الطرفين كالقطرة في البحر فوجب ان يكون هو ارحم الراحمين وثالثها انه لولا ان الله سبحانه خلق
في قلب العبد تلك الدواعي والارادات لاستحال صدور ذلك الفعل عنه فكان الراحم هو الحق سبحانه من حيث انه
الذي خلق تلك الداعية فثبت انه سبحانه ارحم الراحمين فان قيل كيف يكون ارحم الراحمين مع انه سبحانه ملأ الدنيا
من الآفات والاسقام والامراض والآلام وسلط البعض على البعض بالذبح والكسر [illegible] وكان قادرا على ان
يغني كل واحد [illegible] الآخر [illegible] الجواب [illegible] سبحانه [illegible] فعال لما يريد [illegible]
فاصله ليس لدفع مشقة وانتفاعه ليس لجلب منفعة بل لا يسال عما يفعل اما قوله تعالى فاستجبنا له فانه
يدل على انه [illegible] لكن هذا الدعاء يجوز ان يكون [illegible] على سبيل [illegible] كما يقال [illegible] واردت
او احببت ان تفعل كذا ويجوز ان يكون على سبيل التفريج وان كان من ضره ذلك [illegible] عادته التي كان عليها
واحواله وبين تعالى انه آتاه اهله [illegible] ففيه قولان احدهما
وهو قول ابن مسعود وابن عباس وقتادة ومقاتل والكلبي وكعب رضي الله عنهم ان الله تعالى احيى
له اهله بعينهم [illegible] اعيانهم والثاني روى ليث قال ارسل مجاهد الى عكرمة وساله عن الآية فقال
قيل له ان اهلك لك في الآخرة فان شئت عجلناهم لك في الدنيا وان شئت كانوا لك في الآخرة وآتيناك مثلهم
في الدنيا فقال يكونون لي في الآخرة واوتى مثلهم في الدنيا والقول الاول اولى لان قوله وآتيناه اهله يدل
بظاهره على انه تعالى اعادهم في الدنيا واعطاه معهم مثلهم ايضا واما قوله وذكرى للعابدين فمعناه ولاجل
ان الله تعالى فعل ذلك لكي يتفكر فيه فيكون داعية للعابدين في الصبر والاحتساب وانما خص العابدين بالذكر
لانهم يختصون بالانتفاع بذلك القصة السابعة **قوله تعالى** واسمعيل وادريس
وذا الكفل كل من الصابرين وادخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين اعلم انه تعالى لما ذكر صبر ايوب
وانقطاعه اليه اتبعه بذكر هؤلاء فانهم كانوا ايضا من الصابرين على الشدائد والمحن والعبادة واما
اسمعيل عليه السلم فانه صبر على الانقياد للذبح وصبر على المقام ببلد لا زرع فيه ولا ضرع ولا بناء وصبر في بناء
البيت فلا جرم اكرمه الله واخرج من صلبه خاتم النبيين واما ادريس فقد تقدمت قصته في سورة مريم
قال ابن عمر رضي الله عنهما بعث الى قومه داعيا لهم الى الله فابوا فاهلكهم الله تعالى ورفع ادريس
الى السماء السابعة واما ذو الكفل ففيه مسائل المسئلة الاولى في [illegible] قال الزجاج الكفل في اللغة
الكساء الذي يجعل على عجز البعير والكفل ايضا النصيب واختلفوا في انه لم سمي بهذا الاسم على وجوه احدها
وهو قول الحسن كان له ضعف عمل الانبياء عليهم السلم في زمانه وضعف ثوابهم وثانيها قال ابن عباس رضي الله عنه
ان نبيا من انبياء بني اسرائيل آتاه الله الملك والنبوة ثم اوحى اليه اني اريد قبض روحك فاعرض ملكك
على بني اسرائيل فمن تكفل لك انه يصلي بالليل حتى يصبح ويصوم بالنهار فلا يفطر ويقضي بين الناس ولا يغضب
فادفع ملكك اليه فقام ذلك النبي في بني اسرائيل واخبرهم بذلك فقام رجل وقال انا اتكفل لك فقال في القوم
من هو اكبر منك فاقعد ثم صاح الثانية والثالثة فقام الرجل وقال انا اتكفل لك بهذه الثلاث فدفع اليه ملكه
ووفى بما ضمن فحسده ابليس فاتاه وقت ما يريد ان يقيل فقال ان لي غريما قد مطلني حقي وقد دعوته الى [illegible]
فارسل معي من ياتيك به فارسل معه وقعد حتى فاتته القيلولة وعاد الى صلاته وصلى ليلته الى الصباح ثم اتاه

من الغد عند القيلولة فقال انا الرجل الذي استأذنتك عليه هو في موضع كذا فلا تبرح حتى آتيك فذهب وبقي
مرابطا حتى فاتته القيلولة ثم اتاه فقال له هرب مني فمضى ذو الكفل الى صلوته فصلى ليلته حتى اصبح
فلما كان عند القيلولة اتاه فقال ان الرجل في موضع كذا فقال اذن انوم اليه فما زال السيد يرده حتى فاتته القيلولة
فصلى ليلته حتى اصبح فاتاه ابليس وعرفه نفسه وقال حسدتك على عصمة الله اياك فاردت ان اخرجك حتى لا تفي
بما تكفلت فشكر الله على ذلك ونبأه وثانيها قال مجاهد لما كبر اليسع عليه السلم قال لو اني استخلفت رجلا
على الناس حتى انظر كيف يعمل فجمع الناس وقال من يتقبل مني حتى استخلفه بثلاث يصلي بالليل ويصوم
بالنهار ويقضي فلا يغضب وذكر على نحو ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما من فعل ابليس وتشبهه عليه القيلولة
بلعنه ايام وزاد ان ذا الكفل قال للبواب في اليوم الثالث قد غلب علي النعاس فلا تدع احدا يقرب هذا الباب
حتى انام فاني قد شق علي النعاس فجاء ابليس فلم ياذن له البواب فدخل من كوة في البيت وتسور منها فاذا هو
يدق الباب من داخل فاستيقظ الرجل وعاتب البواب فقال اما من قبلي فلم تؤت فقام الى الباب فاذا هو
مغلق وابليس على صورة شيخ معه في البيت فقال له اتنام والخصوم ببابك فعرفه وقال انت عدو الله قال نعم اعييتني في كل
شي ففعلت هذه الامور لاغضبك فعصمك الله مني فسمي ذا الكفل لانه وفى بما تكفل به المسئلة الثانية قال
ابو موسى الاشعري رضي الله عنه ومجاهد ذو الكفل لم يكن نبيا ولكن كان عبدا صالحا وقال الحسن والاكثرون انه من
الانبيا وهذا هو الاولى لوجوه احدها ان ذا الكفل يحتمل ان يكون لقبا وان يكون مفيدا والاقرب ان يكون مفيدا لان الاسم
اذا امكن حمله على ما يفيد فهو اولى من اللقب اذا ثبت هذا فنقول الكفل هو النصيب والظاهر ان الله تعالى انما سماه
بذلك على سبيل التعظيم فوجب حمل ذلك الكفل على كفل الثواب فهو انما سمي بذلك لان عمله وثواب عمله كان ضعف
عمل غيره وضعف ثواب غيره ولقد كان في زمنه انبيا على ما روي ومن ليس بنبي لا يكون افضل من الانبيا وثانيها انه
تعالى قرن ذكره باسمعيل وادريس والغرض ذكر الفضلا من عباده ليتأسى بهم وذلك يدل على نبوته وثالثها
ان السورة ملقبة بسورة الانبيا فكل من ذكر الله فيها فهو نبي المسئلة الثالثة قيل ان ذا الكفل زكريا وقيل يوشع
وقيل الياس ثم قالوا خمسة من الانبيا عليهم السلم سماهم الله باسمين اسرائيل ويعقوب والياس وذو الكفل عيسى والمسيح
يونس وذا النون محمد واحمد اما قوله تعالى كل من الصابرين اي على القيام بامر الله واحتمال الاذى في نصرة دينه وقوله
وادخلناهم في رحمتنا قال مقاتل الرحمة النبوة وقال آخرون بل تتناول جميع اعمال البر القصة السادسة قصة يونس
عليه السلم **قوله تعالى** وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله
الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين اعلم ان فيها مسايل
المسئلة الاولى انه لا خلاف ان ذا النون هو يونس صلوات الله عليه لان النون هو السمكة وقد ذكرنا ان الاسم اذا دار بين
ان يكون مفيدا وبين غيره فحمله على المفيد اولى خصوصا اذا علم الفائدة التي لذلك الوصف المسئلة الثانية اختلفوا في ان
رسالته عليه السلم هل كانت قبل التقام السمكة اياه او بعده اما القول الاول فقال ابن عباس رضي الله عنهما
كان يونس عليه السلم وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك وسبى منهم تسعة اسباط ونصفا وبقي سبطان ونصف فاوحى
الله تعالى الى شعيا النبي ان اذهب الى حزقيل الملك وقل له حتى توجه نبيا قويا امينا فاني القي في قلوب اولئك ان
يرسلوا بني اسرائيل فقال له الملك فمن ترى وكان في مملكته خمسة من الانبيا فقال يونس فانه قوي امين فدعاه
الملك وامره ان يخرج فقال يونس هل امرك الله باخراجي قال لا قال فهل سماني لك قال لا قال فهاهنا انبيا غيري فالحوا
عليه فخرج مغاضبا للملك ولقومه فاتى بحر الروم فوجد قوما هيأوا سفينة فركب معهم فلما تلججت السفينة تكفأت
بهم وكادوا ان يغرقوا فقال الملاحون هاهنا رجل عاص او عبد آبق لان السفينة لا تفعل هذا من غير ريح الا وفيها رجل
عاص ومن رسمنا انا اذا ابتلينا بهذا البلاء ان نقرع فمن وقعت عليه القرعة القيناه في البحر ولان يغرق واحد خير من ان
تغرق السفينة فاقترعوا ثلاث مرات فوقعت القرعة فيها كلها على يونس عليه السلم فقال انا الرجل العاصي والعبد الآبق والقى نفسه

ونظيرها احاط بكل يونس عليه السلم ... بتاج ... عليه السلم بجمهور ...

في البحر

في البحر فجاء حوت فابتلعه فاوحى الله تعالى الى الحوت لا تؤذ منه شعرة فاني جعلت بطنك سجنا له ولم اجعله طعاما
ثم لما نجاه الله تعالى من بطن الحوت ونبذه بالعراء كالفرخ المنتوف ليس عليه شعر ولا جلد فانبت الله عليه شجرة من يقطين
يستظل بها ويأكل من ثمرها حتى اشتد فلما يبست الشجرة حزن عليها يونس عليه السلم فقيل له اتحزن على شجرة ولم تحزن
على مائة الف او يزيدون حيث لم تذهب اليهم ولم تطلب راحتهم ثم اوحى الله تعالى اليه وامره ان يذهب اليهم فتوجه يونس عليه السلم
نحوهم حتى دخل ارضهم وهم منه غير بعيد فاتاهم يونس وقال لملكهم ان الله ارسلني اليك لترسل معي بني اسرائيل فقالوا
ما نعرف ما تقول ولو علمنا انك صادق لفعلنا ولقد اتيناكم في دياركم وسبيناكم فلو كان كما تقول لمنعنا الله منكم
فطاف فيهم ثلاثة ايام يدعوهم الى ذلك فابوا عليه فاوحى الله اليه قل لهم ان لم يؤمنوا جاءهم العذاب فابلغهم فابوا فخرج
من عندهم فلما فقدوه ندموا على فعلهم فانطلقوا يطلبونه فلم يقدروا عليه ثم ذكروا امرهم وامر يونس للعلماء الذين كانوا في
دينهم فقالوا انظروا واطلبوه في المدينة فان كان فيها فليس مما ذكر من نزول العذاب شي وان كان قد خرج فهو كما قال فطلبوه
فقيل لهم انه خرج العشي فلما ايسوا اغلقوا باب مدينتهم فلم يدخلها بقرهم وغنمهم وعزلوا الوالدة عن ولدها وكذا الصبيان والامهات
ثم قاموا ينتظرون الصبح فلما انشق الصبح رأوا العذاب ينزل من السماء فشقوا جيوبهم ووضعت الحوامل ما في بطونها وصاح الصبيان
وثغا الاغنام والبقور فرفع الله العذاب عنهم فبعثوا الى يونس فآمنوا به وبعثوا معه بني اسرائيل فعلى هذا كانت رسالة
يونس بعدما نبذه الحوت ودليل هذا القول قوله في سورة والصافات فنبذناه بالعراء وهو سقيم
وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه الى مائة الف او يزيدون وفي هذا القول رواية اخرى وهي ان جبريل عليه السلم قال ليونس
انطلق الى اهل نينوى وانذرهم ان العذاب قد حضرهم فقال التمس دابة فقال الامر اعجل من هذا فغضب وانطلق الى السفينة
وباقي الحكاية كما مر الى ان التقمه الحوت فانطلق الى ان وصل الى نينوى فالقاه هناك اما القول الثاني فهو ان نبوته تقدمت التقام الحوت
كان بعدما بعثه الى اهل نينوى ليبلغهم رسالة الله اليهم قالوا انهم لما لم يؤمنوا اوعدهم بالعذاب فلما كشف العذاب عنهم بعدما توعدهم
خرج منهم مغاضبا ثم ذكروا في سبب خروجه وغضبه امورا احدها انه استحيى ان يكون بين قوم قد جربوا عليه الخلف فيما وعد
وانه كان من عادتهم قتل الكاذب وثانيها انه دخلته الانفة وثالثها انه لما لم يرد العذاب باولئك والاكثرون على القول بانه قبل التقام الحوت
ذهب يونس مغاضبا بعد ان ارسله الله اليهم وبعد رفع العذاب عنهم المسئلة الثالثة احتج القائلون بجواز الذنب على
الانبيا بهذه الاية من وجوه احدها ان اكثر المفسرين على انه ذهب يونس مغاضبا لربه وهذا قول ابن مسعود وابن عباس والحسن
والشعبي وسعيد بن جبير ووهب واختيار ابن قتيبة ومحمد بن جرير واذا كان كذلك فمعلوم ان مغاضبة الله من اعظم
الذنوب ثم على تقدير ان هذه المغاضبة لم تكن مع الله تعالى بل كانت مع ذلك الملك او مع القوم فهو ايضا كان محظورا لان الله تعالى
قال فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت وذلك يقتضي ان ذلك الفعل من يونس كان محظورا وثانيها قوله فظن ان لن نقدر
عليه وذلك يقتضي كونه شاكا في قدرة الله وثالثها قوله اني كنت من الظالمين والظلم من اسما الذم لقوله تعالى الا لعنة
الله على الظالمين ورابعها انه لو لم يصدر منه الذنب فلم عاقبه الله بان القاه في البحر في بطن الحوت وخامسها قوله
تعالى فالتقمه الحوت وهو مليم والمليم هو ذو الملامة ومن كان كذلك فهو مذنب وسادسها قوله ولا تكن
كصاحب الحوت فلو لم يكن صاحب الحوت مذنبا لما نهى عن التشبه به واذا كان مذنبا فقد حصل الغرض وسابعها
انه قال ولا تكن كصاحب الحوت وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل فعلم انه لم يكن من اولي العزم وهذا خارج عن
نص الاية والجواب عن الاول انه ليس في الاية من غاضبه ولكن نقطع على انه لا يجوز على نبي الله ان يغاضب ربه
لان ذلك صفة من يجهل كون الله مالكا للامر والنهي والجاهل بالله لا يكون مؤمنا فضلا عن ان يكون نبيا واما ما روي انه خرج
مغاضبا لامر يرجع الى الاستعداد وتناول الثقل فيهما بما يرجع الى انبيا غيره الا ان الله تعالى اذا امرهم بشي فلا يجوز ان يخالفوه
لقوله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم وقوله فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك الى قوله ثم لا
يجدوا في انفسهم حرجا واذا كان في الاستعداد فالله امره ان يبقى ذلك فيهم واذا ثبت انه لا يجوز صرف هذه المغاضبة الى الله تعالى
وجب ان يكون المراد انه خرج مغاضبا لغير الله والغالب انه انما يغاضب من يعصيه فيما يأمره به فيحتمل قومه او الملك او هما جميعا

ومعنى مغاضبته لقومه أنه أغضبهم بمفارقته لخوفه حلول العذاب عليهم عندها وقرئ مغضبا فأما قوله
مغاضبة القوم أيضا محظورة لقوله تعالى ولا تكن كصاحب الحوت قلنا لا نسلم أنه كانت محظورة إلا إذا ما الذنب فلان
الله تعالى أمره بتبليغ تلك الرسالة إليهم وأما الفرار بأن شق عليهم أحيانا فظاهر لعدم استعمل الركن فلم يكن خروجه
من بينهم معصية وأما الغضب فلا نسلم ذلك لأنه لما لم يكن منهيا عنه قبل ذلك فظن أن ذلك جائز من حيث
أنه لم يفعله إلا غضبا لله وأنفة لدينه وبغضا للكفر وأهله بل كان الأولى له أن يصابر وينتظر من الله تعالى
الإذن في المهاجرة عنهم ولذلك قال تعالى ولا تكن كصاحب الحوت كأنه تعالى أراد لمحمد صلى الله عليه وسلم أفضل
المنازل وأعلاها والجواب عن الشبهة الثانية هو التمسك بقوله تعالى فظن أن لن نقدر عليه أن من ظن
عجز الله تعالى كان كافرا ولا خلاف فإنه لا يجوز نسبة ذلك إلى آحاد المؤمنين فكيف إلى الأنبياء فإذن لا بد فيه من
التأويل وفيه وجوه أحدها فظن أن لن نضيق عليه من قوله الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
أي يضيق ومن قدر عليه رزقه أي من ضيق عليه وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه أي ضيق
معناه أن نضيق عليه واعلم أن حمل هذا التأويل تفسير الآية حجة لنا وذلك أن يونس ظن أنه مخير
إن شاء أقام وإن شاء خرج وأنه تعالى لا يضيق عليه في اختياره وكان في المعلوم أن الصلاح كان في تأخر
خروجه وهذا من الله تعالى بيان لما يجمل تحرك العذر له من حيث خرج لا على تعمد المعصية لكن بظنه أن الأمر
في خروجه موسع يجوز أن يقدم ويؤخر وكان الصلاح خلاف ذلك وثانيها أن يكون هذا من باب التمثيل بمعنى فكانت
حاله ممثلة بحال من ظن أن لن نقدر عليه في خروجه من قومه من غير انتظار لأمر الله وثالثها أن يفسر
القدر بالقضاء فالمعنى فظن أن لن نقضي عليه بشدة وهو قول مجاهد وقتادة والضحاك والكلبي وهو
رواية العوفي عن ابن عباس واختيار الفراء والزجاج ونقدر بمعنى نقدر يقال قدر الله الشيء قدرا
وقدره تقديرا فالقدر بمعنى التقدير وقرأ عمر بن عبد العزيز والزهري فظن أن لن نقدر بضم النون
والتشديد من التقدير وقرأ عبيد بن عمير وقتادة بالتشديد على المجهول وقرأ يعقوب يقدر عليه بالتخفيف
على المجهول ويروى أنه دخل ابن عباس على معاوية فقال معاوية لقد ضربتني أمواج القرآن البارحة فغرقت
فيها فلم أجد لنفسي خلاصا إلا بك فقال وما هي يا معاوية فقرأ هذه الآية وقال أو يظن نبي الله أن
لا أقدر عليه فقال ابن عباس هذا من القدر لا من القدرة ورابعها فظن أن لن نقدر أي فظن أن لن نعمل
فيه قدرتنا لأن بين القدرة والفعل مناسبة فلا يبعد جعل أحدهما مجازا عن الآخر وخامسها أنه استفهام
بمعنى التوبيخ أفظن أن لن نقدر عليه وسادسها على قول من يقول إن هذه الواقعة كانت
قبل رسالة يونس كان هذا الظن حاصلا قبل الرسالة فلا يبعد صدور مثل هذا من الأنبياء والرسل قبل ذلك لكن
ريبه بوسوسة الشيطان ثم إنه يرده بالحجة والبرهان والجواب عن الشبهة الثالثة التمسك بقوله إني
كنت من الظالمين فهو أن نقول لو حملناه على ما قبل النبوة فلا كلام ولو حملناه على ما بعدها ففيه وجوه التأويل
أنا لو أجريناها على ظاهرها لوجب القول بكون النبي مستحقا للعن وهذا لا يقوله مسلم وإذا وجب التأويل
نقول لا شك أنه كان تاركا للأفضل مع القدرة على تحصيل الأفضل فكان ذلك ظلما والجواب عن الرابع أنا لا نسلم
أن تلك عقوبة إذ الأنبياء لا يجوز أن يعاقبوا بل المراد المحنة لكن كثيرا من المفسرين يذكرون في كل محنة تحصل
من أجل ذنب أنه عقوبة والجواب عن الخامس أن الملامة كانت بسبب ترك الأفضل المسألة السابعة قال
صاحب الكشاف في الظلمات أي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم
في ظلمات وقوله يخرجهم من النور إلى الظلمات ومنهم من أخبر أنواعا مختلفة من الظلمات فقال كان في
ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت وإن كان في النهار أضيف إليه ظلمة أمعاء الحوت وإن جوزنا أن ابتلع الحوت
الذي هو في بطنه أو لأن الحوت إذا عظم غوصه في قعر البحر كان ما فوقه من البحر في ظلمة أو لأن الحوت الذي

ابلعه

ابتلعه غاص في الأرض السابعة فإن صح ذلك فلا كلام وإن قيل إن ذلك لكثرة ... في الظلمات فما تقدمه
نفخ عن ذلك أما قوله تعالى أن لا إله إلا أنت فالمعنى بأنه لا إله إلا أنت ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم
ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له وعن الحسن ما نجاه الله إلا بإقراره على نفسه بالظلم أما قوله
سبحانك فهو تنزيه عن كل النقائص ومنها العجز وهذا يدل على أنه ما كان مراده من قوله فظن أن لن نقدر
الظن بالعجز وإنما قال سبحانك لأن تقديره سبحانك أن تفعل جورا أو شهوة للانتقام أو عجزا عن تخليصي عن
هذا الحبس بل فعلته بحق الإلهية ومقتضى الحكمة أما قوله إني كنت من الظالمين فالمعنى ظلمت نفسي بفراري
من قومي بغير إذنك كأنه قال كنت من الظالمين وأنا الآن من التائبين فاكشف عني المحنة يدل عليه قوله
فاستجبنا له ونجيناه من الغم ومنه بقوله لا إله إلا أنت كمال الربوبية ووصف نفسه بقوله
إني كنت من الظالمين بضعف البشرية والقصور في أداء حق العبودية وهذا القدر يكفي في السؤال على ما قال
المتنبي وفي النفس حاجات وفيك فطانة سكوتي كلام عندها وخطاب روى عبد الله بن رافع
مولى أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما أراد الله تعالى حبس يونس أوحى إلى الحوت أن خذه ولا
تخدش لحما ولا تكسر له عظما فأخذه وهوى به إلى أسفل البحر فسمع يونس حسا فقال يونس ما هذا
فأوحى الله إليه هذا تسبيح دواب البحر قال فسبح فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا مثله أما قوله تعالى
ونجيناه من الغم أي من غمه بسبب كونه في بطن الحوت وبسبب خطيئته وكما أنجينا يونس من كرب
الحبس إذ دعانا كذلك ننجي المؤمنين من كربهم إذا استغاثوا بنا روى سعد بن أبي وقاص عن النبي عليه السلام
قال دعوة ذا النون في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ما دعا بها عبد مسلم قط وهو مكروب إلا
استجاب الله دعاءه قال صاحب الكشاف قرئ ننجي وننجي والنون لا تدغم في الجيم قال صاحب الكشاف ومن تمحل
لصحته فجعله فعل وقال نجي النجاء المؤمنين فأرسل الياء وأسنده إلى مصدره ونصب المؤمنين بالنجاء فمتعسف بارد

قوله تعالى

التعسف المسألة التاسعة قصة زكريا عليه السلام وزكريا إذ نادى ربه
رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون
في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين اعلم أنه تعالى بين انقطاعه عليه السلام إلى ربه ولما مسه
الضر بتفرده أحسن في دعائه ... على أمر دينه ودنياه ... فدعا الله تعالى
دعاء مخلص عارف بأنه قادر على ذلك وإن انتهت الحالة به وبزوجته من كبر وغيره إلى اليأس من ذلك بحكم العادة وقال
ابن عباس كان سنه مائة وسن زوجته تسعا وتسعين أما قوله وأنت خير الوارثين ففيه وجهان أحدهما أنه عليه السلام
إنما ذكره في جملة دعائه على وجه الثناء على ربه ليكشف عن علمه بأن مآل الأمور إلى الله تعالى والثاني كأنه عليه السلام
قال إن لم ترزقني من يرثني فلا أبالي فإنك خير الوارثين وأما قوله فاستجبنا له أي فعلنا ما أراده لأجل
سؤاله وفي ذلك إعظام له ولذلك يقول العلماء إن الاستجابة ثواب لما فيه من الإعظام أما قوله ووهبنا له
يحيى فهو كالتفسير للاستجابة وفي تفسير قوله وأصلحنا له زوجه ثلاثة أقوال أحدها أصلحناها بأن أزلنا عنها المانع
بالعادة وهو العقر بالولادة والثاني أنه أصلحها في أخلاقها فقد كانت على طريقة من سوء الخلق وسلاطة اللسان
مؤذية وجعل ذلك من نعمه عليه والثالث أنه سبحانه جعلها مصلحة في الدين فإن صلاحها في الدين من أكبر أعوانه في
كونه داعيا إلى الله فكأنه عليه السلام طلب من ربه المعونة على الدين والدنيا بالولد والأهل جميعا وهذا كأنه أدخل
إلى الظاهر لأنه إذا قيل أصلح الله فلانا فالأظهر ما يتصل بالدين واعلم أن قوله ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه
يدل على أن الواو لا تفيد الترتيب لأن إصلاح الزوج مقدم على هبة الولد مع أنه تعالى أخره في اللفظ ثم بين تعالى ما عداه
ما ذكرناه فقال إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ... ولده وأهله فبين أنه آتاهم ما طلبوه وعضد
بعضهم ببعض من حيث كانت طريقتهم أنهم يسارعون في الخيرات والمسارعة في طاعة الله تعالى من أكبر ما يمدح به

المرء لانه يدل على حرص عظيم على الطاعة اما قوله تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا ففيه وجهان احدهما لقوله
يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه والمعنى انهم ضموا الى فعل الطاعات والمسارعة فيها امرين احدهما الفزع الى الله
لمكان الرغبة في ثوابه والرهبة من عقابه والثاني الخشوع وهو المخافة الثابتة في القلب فيكون الخاشع هو
الحذر الذي لا ينبسط في الامور خوفا من الاثم **قوله تعالى** القصة العاشرة قصة مريم عليها السلم
والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين واعلم انه تعالى لما ذكر
التي احصنت فرجها ثم قوله فيه قولان احدهما انها احصنت فرجها احصانا كليا من الحلال والحرام جميعا كما قالت ولم يمسسني
بشر ولم اك بغيا والثاني من نفخة جبريل حين نفخ في درعها قبل ان تعرفه وهذا دليل على ان الظاهر من اللفظ يدل عليه
اما قوله فنفخنا فيها من روحنا ظاهره يقتضي ما يدل على احياء مريم والجواب من وجوه احدها معناه فنفخنا الروح في
عيسى فيها اي احييناه في جوفها يقول نفخ الروح في فلان اي في المزمار في بيته وثانيها جعلنا النفخ في مريم
من جهة روحنا وهو جبريل عليه السلم لانه نفخ في جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها ثم قال تعالى واختصر الكلام ما خص به
مريم وعيسى من الآيات فلذلك جعلناها وابنها آية للعالمين اما مريم فآياتها كثيرة احدها ظهور الحبل فيها من غير ذكر
فصار ذلك آية معجزة خارجة عن العادة وثانيها ان رزقها كانت تأتيها به الملائكة من الجنة وهو قوله تعالى
انى لك هذا قالت هو من عند الله وثالثها ورابعها قال الحسن انها لم تلقم ثديا قط وتكلمت هي ايضا في صباها
كما تكلم عيسى عليه السلم واما آيات عيسى عليه السلم فقد تقدم بيانها فثبت انه سبحانه جعلهما آية للناس يستدلون بها
الآيات ويستدلون بها على قدرته وحكمته سبحانه وتعالى فان قيل هلا قيل آيتين كما قال وجعلنا الليل والنهار
آيتين قلنا لان حالهما بمجموعهما آية واحدة وهي ولادتها اياه من غير فحل وهنا آخر القصص **قوله تعالى**
ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون وتقطعوا امرهم بينهم كل الينا راجعون فاعلم انه سبحانه لما ذكر الانبياء
اشارة الى ملة الاسلام اي ان ملة الاسلام هي ملتكم التي يجب ان تكونوا عليها لا تنحرفون عنها ملة واحدة غير مختلفة وانا الهكم اله
واحد فاعبدون وتقطعوا الحسن اتفقوا على البدل من هذه ورفع امة خبرا وعنه رفعهما جميعا خبرين لهذه او نوى للثاني مبتدأ اما
قوله تعالى وتقطعوا امرهم بينهم والاصل وتقطعتم الا ان الكلام صرف الى الغيبة على طريقة الالتفات كانه عليهم ما افسدوه
الى آخرين ونعى عليهم فعلهم ويقول لهم الا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء والمعنى جعلوا امر دينهم فيما بينهم قطعا
كما يتوزع الجماعة الشي ويتقسمونه فيصير لهذا نصيب ولذلك نصيب تمثيلا لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقا واحزابا
شتى اما قوله فقد توعدهم بان هؤلاء الفرق المختلفة اليه يرجعون فهو محاسبهم ومجازيهم وروي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال تفرقت بنو اسرائيل على احدى وسبعين فرقة هلكت سبعون وخلصت فرقة وان امتي ستفترق
على ثلاث وسبعين فرقة تهلك اثنتان وسبعون فرقة وتخلص فرقة قالوا يا رسول الله من تلك الفرقة قال الجماعة
الجماعة الجماعة فهذا الخبر يبين ان المراد بقوله ان هذه امتكم الجماعة المتمسكة بما بينه الله تعالى في هذه السورة من
التوحيد والنبوات فان قول الرسول في الناجية انها الجماعة اشارة الى هذا فان قيل قوله في تعريف الفرقة الناجية
انها الجماعة لغو اذ لا فرقة تمسكت بباطل او حق الا وهي جماعة من حيث العدد وانما الغرض بنعم في صحة الخبر فثبت
ان اذا فالاثنين والسبعين فرقة اصول الاديان فلن يبلغ هذا القدر وان اراد الفروع فانها تتجاوز ذلك القدر الى
اضعاف ذلك وقيل ايضا روي ضد ذلك وهي انها كلها ناجية الا فرقة واحدة والجواب الى ان تفترق امتي فيعالج ما
وليس فيه دلالة على ان افتراقها في هذا الحد بل الاحوال لا يجوز ان يزيد وينقص **قوله تعالى** فمن يعمل
من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون حتى اذا فتحت
ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في
غفلة من هذا بل كنا ظالمين اعلم انه سبحانه وتعالى لما ذكر امر الامة من تفرقهم وانهم اجمعوا راجعون الى حيث
لا امر الا له اتبع ذلك بقوله فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه ان من جمع بين ان يكون مؤمنا وبين ان يعمل الصالحات

تدخل في الاول العلم والتصديق بالله ورسوله وفي الثاني فعل الواجبات وترك المحظورات فلا كفران لسعيه
اي لا بطلان لثواب عمله وهو كقوله تعالى ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا فالكفران
مثل في حرمان الثواب كما ان الشكر مثل في اعطائه وقوله فلا كفران المراد نفي الجنس ليكون في نهاية المبالغة لان نفي الماهية يستلزم
نفي جميع افرادها اما قوله تعالى وانا له كاتبون معناه فانا لسعيه كاتبون وقيل معناه حافظون لنجازي عليه
وقيل كاتبون اما في ام الكتاب او في الصحف التي تعرض يوم القيامة والمراد بذلك ترغيب العباد في التمسك بالطاعة اما قوله
وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون فاعلم ان قوله وحرام خبر فلا بد له من مبتدأ وهو اما قوله انهم لا يرجعون او شي اخر
اما الاول فالتقدير ان عدم رجوعهم حرام اي ممتنع واذا كان عدم رجوعهم ممتنعا كان رجوعهم واجبا فهذا الرجوع اما ان يكون
المراد منه الرجوع الى الآخرة او الى الدنيا اما الاول فيكون المعنى ان رجوعهم الى الحياة في الدار الآخرة واجب ويكون الغرض منه ابطال
قول من ينكر البعث وتحقيق ما تقدم انه لا كفران لسعي احد فانه سبحانه وتعالى سيعطيه الجزاء على ذلك يوم القيامة وهو تاويل
ابي مسلم بن بحر واما الثاني فيكون المعنى ان رجوعهم الى الدنيا واجب لكن من المعلوم انهم لم يرجعوا الى الدنيا فعند هذا ذكر المفسرين
وجهين الاول ان الحرام قد يجي بمعنى الواجب والدليل عليه الآية والاستعمال والشعر اما الآية فقوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم
عليكم الا تشركوا به شيئا وترك الشرك واجب وليس بمحرم واما الشعر فقول الخنساء وان حراما لا ارى الدهر باكيا على شجوه الا بكيت على صخر
يعني وان واجبا واما الاستعمال فلان تسمية احد الضدين باسم الآخر مجاز مشهور كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها واذا
ثبت هذا فالمعنى انه واجب على اهل كل قرية اهلكناها انهم لا يرجعون ثم ذكروا في تفسير الرجوع امرين احدهما انهم لا يرجعون
عن الشرك ولا يتوبون عنه وهو قول مجاهد والحسن والثاني انهم لا يرجعون الى الدنيا وهو قول قتادة ومقاتل والوجه الثاني
ان يترك قوله وحرام على ظاهره ويجعل لا في قوله لا يرجعون صلة زائدة كما في قوله ما منعك الا تسجد والمعنى حرام على قرية اهلكناها
انهم يرجعون او يكون المعنى وحرام عليهم رجوعهم عن الشرك وهذا قول طائفة من المفسرين هذا كله اذا جعلنا قوله وحرام
خبرا لقوله انهم لا يرجعون اما اذا جعلناه خبرا لشي آخر فالتقدير وحرام على قرية اهلكناها ذلك وهو المذكور في الآية المتقدمة
من العمل الصالح والسعي المشكور غير المكفور ثم علل فقال انهم لا يرجعون عن الكفر فكيف لا يمتنع ذلك هذا على قراءة انهم بالكسر والقراءة
بالفتح يصح حملها ايضا على هذا اي لانهم لا يرجعون اما قوله حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون ففيه ضروب
الوعد الحق فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا ففيه مسايل المسئلة الاولى ان حتى متعلقة بحرام فالمعنى على تاويل ابي مسلم فالمعنى ان
رجوعهم الى الآخرة واجب حتى يبلغ وجوبه الى حيث انه اذا فتحت ياجوج وماجوج واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة ابصار
الذين كفروا والمعنى انهم يكونون اول الناس حضورا في محفل القيامة فحتى متعلقة بحرام وهي غاية له ولكنها غاية من جنس
التي يكون لها ذلك الحاج حتى المشاة وحتى ههنا هي التي يحكى بعدها الكلام والكلام المحكي هي هذه الجملة من الشرط و
الجزاء اعني قوله اذا فتحت ياجوج وماجوج واقترب الوعد الحق فهناك تتحقق شخوص ابصار الذين ظلموا فان قيل
الشرط هو مجموع فتح ياجوج وماجوج واقتراب الوعد والجزاء هو شخوص ابصار الذين ظلموا وذلك غير جائز لان الشرط والجزاء
انما يحصل في آخر ايام الدنيا والجزاء انما يحصل يوم القيامة والشرط والجزاء لا بد وان يكونا متقاربين قلنا التفاوت
القليل يجري مجرى المعدوم واما التاويلات الباقية فالمعنى انه يستمر رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيامة المسئلة
الثانية حرف اذا فتحت سد ياجوج فحذف المضاف لان ياجوج وماجوج مؤنثان بمنزلة القبيلتين وقيل اذا فتحت جهة
ياجوج المسئلة الثالثة مما قيلنا ان من جنس الانس قال الناس عشرة اجزاء تسعة اجزاء منها ياجوج وماجوج يخرجون
حين يفتح السد المسئلة الرابعة قيل السد يفتحه الله ابتداء وقيل اذا جعل الله الارض دكا زالت الصلابة من اجزاء
الارض فحينئذ ينفتح السد اما قوله وهم من كل حدب ينسلون فيحتمل ان الكلام والمعنى اذا فتحت ياجوج وماجوج واقترب الوعد
شخصت ابصار الذين ظلموا والحدب النشز من الارض ومنه حدبة الظهر وقرا ابن عباس من كل جدث ينسلون
اعتبارا بقوله فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون وقرى بضم السين ثم فيه قولان احدهما قال اكثر المفسرين انهم كناية عن ياجوج
وماجوج وقال مجاهد انه كناية عن جميع الخلايق يخرجون من قبورهم من كل موضع فيحشرون الى موقف الحساب والاول

هو الوجه والا لتفكك النظم ولان ياجوج وماجوج اذا ذكروا على ما ورد في الخبر ولا بد من ان ينشروا فيظهر اقبالهم على
الناس من كل موضع مرتفع واما قوله تعالى واقترب الوعد الحق فلا شبهة ان الوعد الحق هو الموعود الذي هو يوم القيامة
واما قوله فاذا هي فاعلم ان اذا ههنا للمفاجاة وهي تقع في المجازات سادة مسد الفاء كقوله اذا هم يقنطون و
اذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتاكد ولو قيل اذا هي شاخصة او فهي شاخصة كان سديدا واما
لفظ هي فقد ذكر النحويون فيها ثلاثة اوجه احدها انه كناية عن الابصار والمعنى فاذا ابصار الذين كفروا
شاخصة ابصارهم كني عن الابصار ثم اظهر الثاني انها كناية عما لا يذكر ثم فسرها موضعها هو كقولك انا الله ومثله فانها
لا تعمى الابصار وهي جائزة التانيث لان الابصار مؤنثة وجاز التذكير للعماد وهذا قول الفراء وقال سيبويه الضمير
للقصة بمعنى فاذا القصة شاخصة يعني ان القصة ان ابصار الذين كفروا تشخص عند ذلك ومعنى الكلام ان
القيامة اذا قامت شخصت ابصار هؤلاء من شدة الاهوال فلا تكاد تطرف من شدة ذلك اليوم ومن توقع ما يخافون
ويقولون يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا يعني في الدنيا حيث كذبناه وقلنا انه غير كائن بل كنا ظالمين انفسنا
بتلك الغفلة وبتكذيب محمد عليه السلام وعبادة الاوثان واعلم انه لا بد في قوله يا ويلنا من حذف فالتقدير
يقولون يا ويلنا **قوله تعالى** انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون
لو كان هؤلاء الهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون اعلم ان قوله انكم خطاب لمشركي
مكة وعبدة الاوثان اما قوله وما تعبدون من دون الله فروي انه عليه السلام دخل المسجد وصناديد قريش
في الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجلس اليهم فعرض له النضر بن الحرث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى افحمه
ثم تلا عليهم انكم وما تعبدون من دون الله الاية فاقبل عبد الله بن الزبعرى فراهم يتهامسون فقال فيم خوضكم فاخبره
الوليد بن المغيرة بقول رسول الله فقال ابن الزبعرى انت قلت ذلك قال نعم قال خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود عبدوا عزيرا
والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة ثم عند ذلك ذكروا اشياء احدها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سكت ولم يجب فضحك القوم فنزل قوله تعالى ونزل قوله تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون
وقالوا االهتنا خير ام هو ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون ونزل في عيسى والملائكة ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
هذا قول ابن عباس الرواية الثانية انه عليه السلام اجاب عن السؤال فقال بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله سبحانه
وتعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى يعني عزيرا والمسيح والملائكة واعلم ان سؤال ابن الزبعرى باطل لان خطاب الرسول
كان مع مشركي مكة وهم كانوا يعبدون الاصنام فقط وما كانوا يعبدون المسيح والملائكة وكلمة ما لا تتناول
العقلاء واما قوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد فمحمول على الشيء فتقديره ههنا ان الله انكم والذين تعبدون
من دون الله لكن لفظ التي لا تفيد العموم فلا يتوجه سؤال ابن الزبعرى وثالثها ان من عبد الملائكة لا يدعي انهم الهة وقال
سبحانه لو كان هؤلاء الهة ما وردوها ورابعها هب انه يفيد العموم لكنه مخصوص بالدلائل العقلية والسمعية في
حق الملائكة والمسيح وعزير لبراءتهم من الذنوب والمعاصي ووعد الله اياهم بكل مكرمة وهذا هو المراد من قوله سبحانه
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى وخامسها الجواب الذي ذكره صلى الله عليه وسلم وهو انهم كانوا يعبدون الشياطين فان قيل رسوله
الشياطين عقلاء ولفظ ما لا تتناول العقلاء فكيف ذكر الرسول ذلك قلنا انه عليه السلام ما كان يسلم انه يتناول العقلاء فقوله
انما عنى من هذا الوجه فاما ما قيل انه عليه السلام سكت عند ايراد ابن الزبعرى هذا السؤال فخطأ لانه لا يليق به انه
عليه السلام يسكت عن هذه الاجوبة التي ذكرها المفسرون لانه اعلم منهم باللغة وتفسير القرآن فمن جوز ان تخطر هذه الاجوبة
لغيره ولا يتنبه لها هو عليه السلام فان قيل فقد انتظر عليه السلام انتظار البيان قلنا لما كان البيان حاضرا معه لم يجز
عليه السكوت لكي لا يتوهم عليه الانقطاع من سؤالهم ومن الناس من اجاب عن سؤال ابن الزبعرى بان قال ان الله تعالى
يصور لهم في النار ملكا على صورة من عبدوه وحينئذ تبقى الاية على ظاهرها واعلم ان هذا ضعيف من وجهين اولها ان القوم
لم يعبدوا تلك الصورة وانما عبدوا اشياء اخر لم يحصل معهم في النار والثاني ان الملك لا يصير حصب جهنم في الحقيقة ولا يصح

ان يدخلها

ان يدخلها فان خزنة النار يدخلونها مع انهم ليسوا حصب جهنم المسألة الثانية الحكمة في انهم قرنوا بالهتهم امور
احدها انهم لا يزالون بمقارنتهم في زيادة غم وحسرة لانهم ما وقعوا في ذلك العذاب الا بسببهم والنظر الى وجه العدو
باب من العذاب وثانيها انهم قدروا انهم يشفعون لهم في الاخرة في دفع العذاب فاذا وجدوا الامر على عكس
ما قدروا لم يكن شيء ابغض اليهم منهم وثالثها ان القاءها في النار يجري مجرى الاستهزاء بعبادها ورابعها قيل
ما كان منها حجرا او حديدا يحمى فيلزق بعبادها وما كان خشبا يجعل جمرة يعذب بها صاحبها اما قوله حصب جهنم
فالحصب الخفاف الحصب الرمي وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر وقرئ حطب وحضب متحركا
وساكنا اما قوله تعالى انتم لها واردون فانما جاء اللام في لها لتقدمها كقولك انت لزيد ضارب كقوله تعالى
للذين هم لربهم يرهبون والمعنى انكم فيها داخلون والمعنى انه لا بد وان تردوها ولا
معدل لكم عن دخولها اما قوله تعالى لو كان هؤلاء الهة ما وردوها فاعلم ان قوله وما تعبدون الاصنام التي
لا تعقل قطعا وهذا الكلام بالنبي امر اليق لمن اشار اليه هؤلاء ويحتمل ان يريد الشياطين او الاصنام فتغلب ان ذكروا
بعبارة العقلاء وبين الله تعالى على ان من قذف في النار لا يمكن ان يكون الها وههنا سؤال وهو ان قوله
لو كان هؤلاء الهة ما وردوها لكنهم وردوها فهم ليسوا الهة هذه الحجة اما ان تذكرها لنفسه او لغيره فان ذكرها
لنفسه فلا فائدة فيه لانه كان عالما بانها ليست الهة وان ذكرها للغير فاما ان يذكرها لمن يصدق بنبوته او
ذكرها لمن يكذب بنبوته فان ذكرها لمن صدق بنبوته فلا حاجة الى هذه الحجة لان كل من صدق بنبوته لم يقل بالهية هذه
الاصنام وان ذكرها لمن كذب بنبوته فذلك المكذب لا يسلم ان هذه الالهة يردون النار ويكذبون ذلك فيكون ذكر
هذه الحجة ضايعا كيف كان وايضا فالقائلون بالهيتها لم يعتقدوا فيها كونها الها بل قالوا انها تماثيل الكواكب او صور الشفعاء
وذلك لا يمتنع من دخولها في النار ثم انه سبحانه وصف ذلك العذاب بامور ثلاثة احدها الخلود فقال وكل
فيها خالدون يعني العابدين والمعبودين وهو تفسير لقوله انكم وما تعبدون من دون الله وثانيها قوله تعالى
لهم فيها زفير قال الحسن الزفير هو اللهيب اي يرتفعون بسبب لهب النار حتى اذا ارتفعوا وارادوا الخروج
ضربوا بمقامع الحديد فهووا الى اسفلها سبعين خريفا وقال الخليل الزفير ان يملأ الرجل صدره غما ثم يتنفس قال
ابو مسلم قوله لهم عام لكل معذب فنقول لهم زفير من شدة ما ينالهم والضمير في قوله وهم فيها لا يسمعون يرجع
الى المعبودين اي لا يسمعون صراخهم وشكواهم ومعناه انهم لا يغيثونهم وشبهه سمع الله لمن حمده
اي اجاب الله دعاه وثالثها قوله وهم فيها لا يسمعون وفيه وجهان احدها انه محمول على الاصنام خاصة
على ما حكيناه عن ابي مسلم والثاني انه محمول على الكفار ثم هنا يحتمل وجوها احدها ان الكفار يحشرون
صما عميانا زيادة في عذابهم وثانيها انهم لا يسمعون ما ينفعهم لانهم انما يسمعون اصوات المعذبين او كلام
من يتولى تعذيبهم من الملائكة وثالثها ما ذكره ابن مسعود ان الكفار يجعلون في توابيت من نار والتوابيت في
توابيت اخرى فلذلك لا يسمعون شيئا ورابعها ضعيف ان اهل النار يسمعون كلام اهل الجنة فلذلك يستغيثون بهم على
ما ذكره الله تعالى في سورة الاعراف **قوله تعالى** ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون
لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت انفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون
اعلم ان من الناس من زعم ان ابن الزبعرى لما اورد ذلك السؤال على الرسول عليه السلام بقي ساكتا حتى انزل الله تعالى
هذه الاية جوابا عن سؤاله لان هذه الاية كالاستثناء من تلك الاية واما نحن فقد بينا فساد هذا القول وذكرنا
ان سؤاله لم يكن واردا حتى يحتاج في دفع سؤاله الى نزول هذه الاية واذا ثبت هذا لم يبق ههنا الا احتمالان احدهما
انه تعالى لما شرح عقاب الكفار اردفه بشرح ثواب الابرار فلهذا السبب ذكر هذه الاية
عقيب تلك الاية فهي عامة في حق كل المؤمنين الثاني ان هذه الاية نزلت في تلك الواقعة لتكون كالتاكيد في دفع
سؤال ابن الزبعرى ثم من قال العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وهذا هو الحق اجراها على عمومها فتكون الملائكة

والمسيح وعزير عليهم السلام داخلين فيه لأن الآية مختصة بهم ومن قال العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب يحتج بقوله
إن الذين لا صيغة عموم أما قوله تعالى سبقت لهم منا الحسنى قال صاحب الكشاف الحسنى الخصلة المفضلة في الحسن
تأنيث الأحسن وهي إما السعادة وإما البشرى بالثواب وإما التوفيق للطاعة والحاصل أن مثبتي العفو حملوا
الحسنى على وعد العفو ومنكروا العفو حملوه على وعد الثواب ثم إنه سبحانه شرح من أحوال ثوابهم أمورًا خمسة أحدها
قوله أولئك عنها مبعدون قال أهل العفو أولئك عنها مبعدون واحتجوا عليه بوجهين الأول قوله وإن منكم
إلا واردها فأثبت الورود والورود هو الدخول فدل على أن هذا الإبعاد هو الإخراج الثاني أن الإبعاد إنما يصح لو
كانا متقاربين لأنهما لو كانا متباعدين استحال إبعاد أحدهما عن الآخر لأن تحصيل الحاصل محال واحتج
القاضي عبد الجبار على فساد هذا الوجه بأمور أحدها أن قوله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى يقتضي أن الوعد
بثوابهم قد تقدم في الدنيا وليس هذا حال من يخرج من النار لو صح ذلك وثانيها أنه تعالى قال أولئك
عنها مبعدون فكيف يدخل في ذلك من وقع فيها وثالثها قوله لا يسمعون حسيسها وقوله لا يحزنهم الفزع
الأكبر يمنع من ذلك والجواب عن الأول لم لا يجوز أن يكون المراد من قوله إن الذين سبقت لهم منا الحسنى هو أن الوعد
بثوابهم قد تقدم ولم لا يجوز أن يكون المراد ومن الحسنى تقدم الوعد بالثواب في حق من يخرج من النار
ثابت عند المحافظة بالأطراد ويجوز الجمع بين استحقاق الثواب والعقاب بعفو المانع وثانيها أن قوله أولئك عنها
مبعدون لا يمكن إجراؤه على ظاهره إلا في حق من كان في النار وعن الثالث أن قوله لا يسمعون حسيسها مخصوص
بما بعد الخروج أما قوله لا يحزنهم الفزع الأكبر فالفزع الأصغر دائم يدل عليه فلا أقل من أن لا يدل على ثبوته
ولا على عدمه والوجه الثاني في تفسير قوله أولئك عنها مبعدون أن المراد أن الذين سبقت لهم منا الحسنى لا يدخلون
النار ولا يقربونها البتة وعلى هذا القول يبطل قول من يقول إن جميع الناس يردون النار ثم يخرجون إلى
الجنة لأن هذه الآية تمنعه وحينئذ يجب التوفيق بينه وبين قوله وإن منكم إلا واردها وقد تقدم
الصفة الثانية قوله تعالى لا يسمعون حسيسها والحسيس الصوت الذي يحس وفيه سؤالات الأول
أي وجه في أن لا يسمعوا حسيسها من البشارة ولو سمعوه لم يتغير حالهم قلنا المراد تأكيد بعدهم عنها
لأن من لم يدخلها وقرب منها قد يسمع حسيسها السؤال الثاني أليس أن أهل الجنة يرون أهل النار فكيف
لا يسمعون حسيس النار الجواب إذا حملناه على التأكيد زال هذا السؤال الصفة الثالثة
قوله وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون والشهوة طلب النفس اللذة يعني نعيمها مؤبد قال العارفون للنفوس
شهوة وللقلوب شهوة وللأرواح شهوة وقالوا سبقت العناية في البداية فظهرت الولاية في النهاية
الصفة الرابعة قوله لا يحزنهم الفزع الأكبر وفيه وجوه أحدها أنه النفخة الأخيرة لقوله تعالى ويوم
ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله وثانيها أنه الموت قالوا إذا استقر أهل
الجنة في الجنة وأهل النار في النار بعث الله جبريل عليه السلام ومعه الموت في صورة كبش أملح فيقول لأهل
الدارين أتعرفون هذا فيقولون لا فيقول هذا الموت ثم يذبحه ثم ينادي يا أهل الجنة خلود لا موت
أبدًا وكذلك لأهل النار واحتج هذا القائل بأن قوله لا يحزنهم الفزع الأكبر إنما ذكره بعد قوله وهم فيها
خالدون فلا بد وأن يختص حكمه بالخلود والفزع الأكبر الذي ينافي الخلود هو الموت وثالثها قال سعيد بن
جبير هو إطباق النار على أهلها فيفزعون لذلك فزعة عظيمة وقال القاضي عبد الجبار الأولى في ذلك أنه
الفزع من النار عند مشاهدتها لأنه لا فزع أكبر من ذلك فإذا بين تعالى أن ذلك لا يحزنهم فقد صح أن المؤمن
آمن من أهوال يوم القيامة وهذا ضعيف لأن عذاب النار على مراتب فعذاب الكفار أشد من عذاب الفساق
وإذا كانت مراتب التعذيب بالنار متفاوتة كانت مراتب الفزع منها متفاوتة فلا يلزم من نفي الفزع الأكبر نفي الفزع
من النار الصفة الخامسة قوله وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون قال القفال المعنى تستقبلهم الحفظة

الذين

الذين كتبوا أعمالهم ويقولون لهم مبشرين هذا يومكم الذي كنتم توعدون

قوله تعالى

يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدًا علينا إنا كنا فاعلين ولقد كتبنا في الزبور
من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون إن في هذا لبلاغًا لقوم عابدين وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين
اعلم أن التقدير لا يحزنهم الفزع الأكبر يوم نطوي السماء كطي السجل أو تتلقاهم الملائكة يوم نطوي وقرئ
تطوى السماء على البناء للمفعول والسجل بوزن العتل والسجل بوزن الدلو وروي فيه الكسر المسألة الثانية
في السجل قولان أحدهما أنه اسم الطومار الذي يكتب فيه والكتاب أصله المصدر كالبناء ثم يوقع على المكتوب ومن جمع فمعناه
للمكتوبات أي لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة فيكون معنى طي السجل للكتاب كون السجل ساترًا لتلك الكتابة ومخفيًا لها لأن
الطي هو ضد النشر الذي يكشف والمعنى نطوي السماء كما يطوى الطومار الذي يكتب فيه القول الثاني أنه ليس اسمًا للطومار ثم قال
ابن عباس السجل ملك يطوي كتب بني آدم إذا رفعت إليه ويروى عن علي رضي الله عنه وروى أبو الجوزاء عن ابن عباس
أنه اسم كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا بعيد لأن كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا معروفين وليس فيهم
من سمي بهذا وقال الزجاج هو الرجل بلغة الحبشة وعلى هذا الوجه فهو كما يقال كطي زيد الكتاب واللام في الكتاب
زائدة كما في قوله ردف لكم وإذا قلنا المراد بالسجل الطومار فالمصدر وهو الطي مضاف إلى المفعول والفاعل محذوف
والتقدير كطي الطاوي السجل وهذا الأخير هو قول الأكثرين أما قوله تعالى كما بدأنا أول خلق نعيده المسألة الأولى
قال الزجاج انقطع الكلام عند قوله الكتاب ثم ابتدأ فقال كما بدأنا ومنهم من قال إنه تعالى لما قال وتتلقاهم الملائكة هذا
يومكم الذي كنتم توعدون عقبه بقوله يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب فيعرف اليوم بذكر وصفه ثم عرفه بوصف
آخر فقال كما بدأنا أول خلق نعيده المسألة الثانية قال صاحب الكشاف أول خلق مفعول نعيد الذي يفسره نعيده
والكاف مكفوفة بما والمعنى نعيد أول الخلق كما بدأناه تشبيهًا للإعادة بالابتداء فإن قلت ما بال خلق منكرًا قلت
هو كقولك أول رجل جاءني تريد أول الرجال ولكنك وحدته ونكرته إرادة تفصيلهم رجلًا رجلًا فكذلك معنى أول خلق
أول الخلق بمعنى أول الخلائق لأن الخلق مصدر لا يجمع المسألة الثالثة اختلفوا في كيفية الإعادة فمنهم من قال
إن الله تعالى يفرق أجزاء الأجسام ولا يعدمها ثم إنه يعيد تركيبها فذلك هو الإعادة ومنهم من قال إنه تعالى
يعدمها بالكلية ثم إنه يوجدها بعينها مرة أخرى وهذه الآية دالة على هذا الوجه لأنه سبحانه وتعالى شبه الإعادة
بالابتداء ولما كان الابتداء ليس عبارة عن تركيب الأجزاء المتفرقة بل عن الوجود بعد العدم وجب أن تكون الإعادة
كذلك واحتج القائلون بالمذهب الأول بقوله تعالى والسماوات مطويات بيمينه فدل هذا على أن السماوات حال
كونها مطوية تكون موجودة وبقوله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض وهذا يدل على أن أجزاء الأرض باقية
لكنها جعلت غير الأرض أما قوله وعدًا علينا ففيه قولان أحدهما أن وعدًا مصدر مؤكد لأن قوله نعيده عدة
للإعادة الثاني أن يكون المراد حقًا علينا بسبب الإخبار عن ذلك وتعلق العلم بوقوعه مع أن وقوع ما علم الله وقوعه
واجب ثم إنه تعالى حقق ذلك بقوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر المسألة الأولى قرأ حمزة بضم الزاي
والباقون بفتحها بمعنى المزبور كالحلوب والركوب يقال زبرت الكتاب أي كتبته والزبور بضم الزاي جمع زبر
كقشر وقشور ومعنى القراءتين واحد لأن الزبور هو الكتاب المسألة الثانية في الزبور والذكر وجوه أحدها
وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد والكلبي ومقاتل وابن زيد أن الزبور هو الكتب المنزلة والذكر الكتاب الذي هو أم الكتاب
في السماء لأن فيها كتابة كل ما سيكون اعتبارًا للملائكة وكتب الأنبياء من ذلك الكتاب تنسخ وثانيها أن الزبور هو
القرآن والذكر هو التوراة وهو قول قتادة والشعبي وثالثها الزبور زبور داود والذكر هو الذكر الذي
أنه عليه السلام قال كان الله ولم يكن معه شيء ثم خلق الذكر وعمل فيه ورابعها قول من قال الذكر العلم أي كتبنا
ذلك في الزبور بعد أن كنا عالمين علمًا لا يجوز السهو والنسيان علينا فإن من كتب شيئًا والتزمه وأمكن جواز السهو
عليه فإنه لا يعتمد أما من لم يجز عليه السهو والخلف فإذا التزم شيئًا كان ذلك الشيء واجب الوقوع أما قوله أن الأرض

يرثها عبادي الصالحون فيه وجوه احدها الارض ارض الجنة وعباد الله الصالحون هم المومنون العاملون بطاعة الله والمعنى انه تعالى كتب في كتب الانبيا وفي اللوح المحفوظ انه سيورث الجنة من كان صالحا من عباده وهو قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والسدي وابي العالية وهو كقوله [illegible] واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشا [illegible] ان الارض التي يختص بها الصالحون لانها لهم خلقت وغيرهم اذا حصل معهم في الجنة فعلى وجه التبع فاما ارض الدنيا فلانها للصالح وغير الصالح [illegible] ان هذه الارض مذكورة عقيب الاعادة وبعد الاعادة لا ارض يختص بها الصالحون الا الجنة واما القول الثاني [illegible] انها ارض الجنة وانها [illegible] والثاني ان المراد ارض الدنيا فانه سبحانه وتعالى يورثها المومنين في الدنيا وهو قول الكلبي وابن عباس في بعض الروايات ودليل هذا القول قوله تعالى ليستخلفنهم في الارض وقوله تعالى قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشا من عباده وقال تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها [illegible] الارض المقدسة يرثها الصالحون [illegible] امة محمد عليه السلم [illegible] عيسى عليه السلام اما قوله تعالى ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين ففيه اشارة الى المذكور في هذه السورة من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة والبلاغ الكفاية ما يبلغ به البغية وقيل في العابدين انهم العالمون وقيل العاملون والاولى انهم الجامعون بين الامرين لان العلم كالشجر والعمل كالثمر والشجر بدون الثمر غير مفيد والثمر بدون الشجر غير كاين اما قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ففيه مسايل المسالة الاولى انه عليه السلم كان رحمة في الدين وفي الدنيا اما في الدين فلانه عليه السلم بعث والناس في جاهلية وضلالة واهل الكتابين كانوا في حيرة من امر دينهم لطول مكثهم وانقطاع تواترهم ووقوع الاختلاف في كتبهم فبعث الله محمدا حين لم يكن لطالب الحق سبيل الى الفوز والثواب فدعاهم الى الحق وبين لهم سبيل الصواب وشرع لهم الاحكام وميز الحلال من الحرام ثم انما ينتفع بهذه الرحمة من كانت همته طلب الحق فلا يركن الى التقليد ولا الى العناد والاستكبار وكان التوفيق قرينا له قال الله تعالى قل هو للذين امنوا هدى وشفا الى قوله وهو عليهم عمى واما في الدنيا فلانهم تخلصوا بسببه من كثير من الذل والقتال والحروب ونصروا ببركة دينه فان قيل كيف كان رحمة وقد جا بالسيف واستباحة الاموال قلنا الجواب من وجوه احدها انما جا بالسيف لمن استكبر وعاند ولم يتفكر ولم يتدبر ومن اوصاف الله الرحمن الرحيم ثم هو منتقم من العصاة وقال ونزلنا من السما ما مباركا ثم قد يكون سببا للفساد وثانيها ان كل نبي من قبل نبينا اذا كذبه قومه اهلكهم الله بالخسف والمسخ والغرق وانه تعالى اخر عذاب من كذب رسولنا الى الموت او الى القيامة قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم [illegible] وثالثها انه عليه السلم كان في نهاية حسن الخلق قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم وقال ابو هريرة قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع على المشركين قال انما بعثت رحمة ولم ابعث عذابا وفي رواية حذيفة انما انا بشر اغضب كما يغضب البشر فايما رجل سببته او لعنته فاجعلها اللهم عليه صلاة يوم القيامة ورابعها قال عبد الرحمن بن زيد الا رحمة للعالمين يعني المومنين خاصة قال الامام ابو القاسم الانصاري والقولان يرجعان الى معنى واحد لما بينا انه كان رحمة للكل لو تدبروا في ايات الله وايات رسوله فاما من اعرض واستكبر فانما وقع في المحنة من قبل نفسه كما قال وهو عليهم عمى المسالة الثانية قالت المعتزلة لو كان تعالى اراد من الكافر الكفر ولم يرد منهم القبول من الرسول بل اراد منهم الرد عليه وخلق ذلك فيهم ولم يخلقهم الا لذلك كما يقوله اهل السنة لوجب ان لا يكون ارساله رحمة [illegible] عذابا عليهم [illegible] الكفار من حيث لم يعجل عذابهم في الدنيا كما عجل عذاب ساير الامم [illegible] كونه رحمة للجميع على هذا [illegible] للمومنين ايضا [illegible] رحمة للكافرين في الوجه

الذي صار رحمة للمومنين وايضا فان الذي ذكرتم من نعم الدنيا كانت حاصلة للكفار قبل بعثته عليه السلم لحصولها بعد بل كانت نعمهم في الدنيا قبل بعثته عليه السلم اعظم لان في بعثته نزل عليهم الغم والخوف منه ثم امر بالجهاد الذي [illegible] فيه [illegible] فلا يكون هذا هو المراد والجواب ان نقول لما علم الله تعالى ان ابا لهب لا يومن البتة واخبر عنه انه لا يومن كان امره بالايمان امرا بان يقلب علمه جهلا وخبر الصدق كذبا وذلك محال فكان مامورا بالمحال وان كانت البعثة مع هذا القول رحمة فلم لا يجوز ان يقال البعثة رحمة مع انه خلق الكفر في الكافر ولان قدرة الكافر ان لم تصلح الا للكفر فقط فالسوال عليكم لازم وان كانت صالحة للضدين توقف الترجيح على مرجح من قبل الله تعالى قطعا للتسلسل وحينيذ يعود الالزام ثم نقول لم لا يجوز ان يكون رحمة للكفار بمعنى تاخير العذاب والاستيصال عنهم فعلى هذا لما كان رحمة للجميع على حد واحد لم يكن رحمة للكفار من الوجه الذي كان رحمة للمومنين فلما ليس في الاية انه عليه السلم رحمة للكل باعتبار واحد او باعتبارين مختلفين فدعواكم تعين الوجه ولهذا تحكم [illegible] نعم الدنيا كانت حاصلة للكفار من قبل [illegible] ولكنه عليه السلم لما بعث حصل الخوف للكفار من نزول العذاب فلما اندفع ذلك عنهم بسبب حضوره كان ذلك رحمة في حق الكفار المسالة الثالثة تمسكوا بهذه الاية في انه عليه السلم افضل من الملايكة قالوا لان الملايكة من العالمين فوجب بحكم هذه الاية ان يكون عليه السلم رحمة للملايكة فوجب ان يكون افضل منهم والجواب انه معارض بقوله تعالى في صفة الملايكة ويستغفرون للذين امنوا وذلك رحمة منهم في حق المومنين والرسول عليه السلم داخل في المومنين وكذلك قوله ان الله وملايكته يصلون على النبي

قوله تعالى

قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون فان تولوا فقل اذنتكم على سوا وان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين قل رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون اعلم انه تعالى لما اورد على الكفار الحجج في ان لا اله سواه من الوجوه التي تقدم ذكرها وبين انه ارسل رسوله رحمة للعالمين اتبع ذلك بما يكون اعذارا وانذارا في مجاهدتهم والاقدام عليهم فقال قل انما يوحى الي [illegible] قال صاحب الكشاف انما لقصر الحكم على شي او لقصر الشي على حكم كقولك انما زيد قايم وانما يقوم زيد وقد اجتمع المثالان في هذه الاية لان انما يوحى الي مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما الهكم اله واحد بمنزلة انما زيد قايم وفايدة اجتماعهما الدلالة على ان الوحي الى رسول الله مقصور على اثبات وحدانية الله تعالى وفي قوله فهل انتم مسلمون ان الوحي الوارد على هذا السنن يوجب ان تخلصوا التوحيد له [illegible] ان يكون التوحيد بالسمع [illegible] الحصر لزم ان يقال انه لم يوح الى الرسول شي الا التوحيد ومعلوم ان ذلك فاسد قلنا المقصود منه المبالغة اما قوله فان تولوا فقل اذنتكم على سوا فقال صاحب الكشاف اذن منقول من اذن اذا علم ولكنه كثر استعماله في الجري مجرى الانذار ومنه قوله فاذنوا بحرب من الله ورسوله اذا عرفت هذا فالمفسرون ذكروا وجوها احدها ان المعنى اعلمتكم الانذار على السوا الى الحرب مجاهرة كقوله فانبذ اليهم على سوا [illegible] ان حالهم مخالف لساير الكفار في المجاهدة فعرفهم بذلك انهم كالكفار في ذلك وثانيها ان المراد فقد اعلمتكم ما هو الواجب عليكم من التوحيد وغيره على سوا في الابلاغ والبيان [illegible] والغرض منه ازاحة العذر لئلا يقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا وثالثها على سوا على اعلان واظهار ورابعها على مهل والمراد اني لا اعاجل بالحرب الذي اذنتكم به بل امهل واوخر رجا الاسلام منكم اما قوله وان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون من القيامة ومن عذاب الدنيا [illegible] الجزاء [illegible] المراد [illegible] قريب ام بعيد [illegible] كانه تعالى امره بان ينذرهم بالجهاد الذي سيوحى اليه [illegible] من بعد ولم يعرف الوقت فلذلك امره ان يقول انه لا يعلم قربه ام بعده فنبه بذلك على ان السورة مكية وكان الامر بالجهاد بعد الهجرة وثانيها ان ما توعدون به من غلبة المسلمين عليكم كاين لا محالة ولا بد ان يلحقكم بذلك الذلة والصغار وان كنت لا ادري متى يكون ذلك لان الله تعالى لم يطلعني عليه اما قوله تعالى انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون فالمقصود منه الامر بالاخلاص وترك النفاق

انه تعالى اذا كان عالما بالضماير وجب على العاقل ان يبالغ في الاخلاص اما قوله وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين ففيه وجوه
احدها لعل تاخير العذاب عنكم فتنة لعل ايام الوقت الذي ينزل عليكم العذاب فيه فتنة لكم اي بلية واختبار لكم ليرى صنيعكم
وهل تحدثون توبة ورجوعا عن كفركم ام لا وثانيها قول الحسن لعل ما انتم فيه من الدنيا بلية لكم والفتنة البلوى والاختبار ورابعها
لعل تاخير الجهاد فتنة لكم اذا انتم دمتم على كفركم لانه يودي الى العذاب العظيم فيكون فتنة وانما قال ما ادري لانه يجوز ان يومنوا فلا يكون تبقيتهم
فتنة بل يكشف عن نعمة ورحمة وخامسها ان يكون المراد وان ادري لعل ما بينت واعلمت واوعدت فتنة لكم لانه زيادة في عذابكم
ان لم يومنوا لان الموضع عن الايمان مع البيان حالا بعد حال يقتضي عذابه اشد واذا متعه الله بالدنيا يكون ذلك عليه اتما
قوله تعالى قل رب احكم بالحق فالمسالة الاولى قرئ رب احكم على الاكتفاء بالكسرة وربُّ احكم على الضم ورب احكم على افعل التفضيل
ورب احكم من الاحكام المسالة الثانية قل احكم بالحق فيه وجوه احدها اي افصل بيني وبين قومي بالحق اي بالعذاب كانه قال اقض
بيني وبين من كذبني بالعذاب وقال قتادة امر الله تعالى ان يقتدي بالانبياء
في هذه الدعوة وكانوا يقولون ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق فلا جرم حكم الله تعالى عليهم بالقتل يوم بدر وثانيها
افصل بيني وبينهم بما يظهر الحق للجميع وهو ان تنصرني عليهم واما قوله وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون ففيه
اعلم ان الشرك [illegible] يصفونه به وهو من الباطل والكذب كانه سبحانه قال قل داعيا الي رب احكم بالحق
وقل متوكلا [illegible] ربنا الرحمن المستعان على ما تصفون فقرا ابو عامر يصفون بالياء المنقوطة من تحت [illegible]
[illegible] الكفار [illegible] على دفع اباطيلهم [illegible]
[illegible] الشوكة والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم ونصر رسول الله والمومنين
كانوا يطمعون ان تكون لهم [illegible]
وختم هذه السورة بقوله قل رب احكم بالحق لانه عليه السلام كان قد بلغ الغاية في البيان لهم
[illegible] النهاية [illegible] فامره تعالى اياه بذلك تسلية له وتعريفا ان المقصود مصلحتهم فاذا ابوا
الا التمادي في كفرهم فعليك بالانقطاع الى ربك ليحكم بينك وبينهم بالحق اما بتعجيل العذاب بالجهاد او بغيره واما
بتاخيره فان امرهم وان تاخر فما هو كائن قريب وما روي انه عليه السلام كان يقول ذلك في حروبه كالدلالة على
انه تعالى امره بان يقول هذا القول كالاستعجال للامر بجهادهم وبالله التوفيق

سورة الحج

مكية عشر ستة آيات ومن هنا نحفظ ان الصراط الحميد

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى

يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل
حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد اعلم انه تعالى امر الناس بالتقوى فدخل
فيه ان يتقي كل محرم ويتقي ترك كل واجب وانما دخل فيه الواجبات لان المتقي انما يتقي ما يخافه من عذاب الله
فيدع لاجله المحرم ويفعل الواجب ولا يكاد يدخل فيه النوافل لان المكلف لا يخاف بتركها وانما يرجو بفعلها الثواب
واذا قال اتقوا ربكم فالمراد اتقوا عذاب ربكم اما قوله ان زلزلة الساعة شيء عظيم ففيه مسايل المسالة الاولى الزلزلة شدة
حركة الشيء قال صاحب الكشاف ولا تخلو الساعة من ان تكون على تقدير الفاعلة لها كانها هي التي تزلزل الاشياء على المجاز
الحكمي فتكون الزلزلة مصدرا مضافا الى فاعله او على تقدير المفعول كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهي الزلزلة
المذكورة في قوله اذا زلزلت الارض زلزالها المسالة الثانية اختلفوا في وقتها فعن علقمة والشعبي ان هذه
الزلزلة تكون في الدنيا ويكون بعدها طلوع الشمس من مغربها وقيل هذه الزلزلة هي التي تكون منها الساعة وروي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في حديث الصور انه قرن عظيم ينفخ فيه ثلث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق
ونفخة القيام لرب العالمين وانه عند نفخة الفزع يسير الله الجبال وترجف الراجفة تتبعها الرادفة
قلوب يومئذ واجفة وتكون الارض كالسفينة تضربها الامواج او كالقنديل المعلق ترجحها الرياح
وقال مقاتل وابن زيد هذا في اول يوم من ايام الآخرة واعلم انه ليس في اللفظ دلالة على شيء من هذه الاقسام

لان هذه

28

ان هذه الاضافة تصح وان كانت الزلزلة قبلها وتكون من امارتها واشراطها وتصح اذا كانت فيها ومعها كقولنا
آيات الساعة وامارات الساعة المسالة الثالثة روي ان هاتين الآيتين نزلتا بالليل والناس يسيرون فنادى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمع الناس حوله فقراها عليهم فلم ير اكثر باكيا من تلك الليلة فلما اصبحوا لم يحطوا السرج
ولم يضربوا الخيام ولم يطبخوا القدور والناس من بين باك وجالس حزين متفكر فقال عليه السلام اتدرون اي ذلك اليوم
قالوا الله ورسوله اعلم قال ذلك يوم يقول الله تعالى لآدم عليه السلام قم فابعث بعث النار من ولدك فيقول وما بعث
النار فيقول الله تعالى من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون الى النار وواحد الى الجنة وعند ذلك يشيب الصغير وتضع كل ذات
حمل حملها وترى الناس سكارى فكبر ذلك على المسلمين وبكوا وقالوا فمن ينجو يا رسول الله فقال ابشروا وسددوا وقاربوا فان معكم خليقتين ما كانتا في قوم الا كثرتاه ياجوج وماجوج
ثم قال اني لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبروا وحمدوا الله ثم قال اني لارجو ان تكونوا ثلث اهل الجنة فكبروا
وحمدوا الله ثم قال اني لارجو ان تكونوا ثلثي اهل الجنة ان اهل الجنة مائة وعشرون صفا ثمانون منها امتي وما المسلمون في الكفار
الا كالشامة في جنب البعير او كالشعرة البيضاء في الثور الاسود ثم قال ويدخل من امتي سبعون الفا الجنة بغير حساب
فقال عمر سبعون الفا قال نعم ومع كل واحد سبعون الفا فقام عكاشة بن محصن وقال يا رسول الله ادع الله ان
يجعلني منهم فقال انت منهم فقام رجل من الانصار فقال مثل قوله فقال سبقك بها عكاشة فخاض الناس في السبعين
الفا فقال بعضهم هم الذين ولدوا على الاسلام وقال بعضهم هم الذين آمنوا وجاهدوا مع الرسول فاخبروا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بما قالوا فقال عليه السلام هم الذين لا يكتوون ولا يكترون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى
ربهم يتوكلون المسالة الرابعة انه سبحانه امر الناس بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها باهول صفة
والمعنى ان التقوى تقتضي دفع مثل هذا الضرر العظيم عن النفس ودفع الضرر عن النفس معلوم الوجوب فيلزم ان تكون التقوى
واجبة المسالة الخامسة احتجت المعتزلة بقوله ان زلزلة الساعة شيء عظيم وصفها بانها شيء مع انها معدومة واحتجوا ايضا
بقوله تعالى ان الله على كل شيء قدير فالشيء الذي قدر الله عليه اما ان يكون موجودا او معدوما والاول محال والا لزم كون القادر
قادرا على ايجاد الموجود فاذا بطل هذا ثبت ان الشيء الذي قدر الله عليه معدوم فالمعدوم شيء واحتجوا ايضا بقوله تعالى
ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله اطلق اسم الشيء على المعدوم في الحال والمعدوم شيء والجواب عن الاول ان
الزلزلة عبارة عن الاجسام المتحركة وهي جواهر قامت بها اعراض وتحقق ذلك في العدم محال فالزلزلة يستحيل ان تكون شيئا
حال عدمها فلا بد من التاويل بالاتفاق ويكون المعنى انها اذا وجدت صارت شيئا وهذا هو الجواب عن الباقي المسالة السادسة وصف الله الزلزلة بالعظم ولا اعظم مما عظمه الله اما قوله تعالى يوم ترونها فيحتمل ان
يرجع الى الزلزلة وان يرجع الى الساعة لتقدم ذكرهما والاقرب رجوعها الى الزلزلة لان في مشاهدتها الخوف الشديد
واعلم انه سبحانه وتعالى ذكر من اهوال ذلك اليوم امورا ثلثة احدها قوله تعالى تذهل كل مرضعة عما ارضعت اي
تشغلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر مع دهشة فان قيل لم قال مرضعة دون مرضع قلنا المرضعة هي التي في
حال الارضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع التي شانها ان ترضع وان لم تباشر الارضاع في حال وصفها به فقيل
مرضعة ليدل على ان ذلك الهول اذا وجب به هذا وقد التقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة
وقوله عما ارضعت اي عن ارضاعها او عن الذي ارضعته وهو الطفل فتكون ما بمعنى من على هذا التاويل وثانيها
قوله وتضع كل ذات حمل حملها والمعنى يسقط ولدها لتمام او لغير تمام من هول ذلك اليوم وهذا يدل على ان هذه الزلزلة
انما تكون قبل البعث قال الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحوامل ما في بطونها لغير تمام قال القفال
يحتمل ان يقال ان من ماتت حاملا او مرضعة بعثت حاملا او مرضعة تضع حملها من الفزع ويحتمل ان يكون المراد من ذهول
المرضعة ووضع الحامل على جهة المثل كما قد تاول قوله يوما يجعل الولدان شيبا وثالثها قوله وترى الناس سكارى
المراد تراهم كانهم سكارى بالغم من ان تراهم سكارى او ترى ما بهم والناس بالنصب والرفع اما النصب فظاهر واما الرفع فلانه
جعل الناس اسم ترى وانثه على تاويل الجماعة وقرئ سكرى وبسكرى وهو نظير جوعى وعطشى في جوعان وعطشان

وسكارى نحو كسالى وعجالى عن الاعمش سكرت وسكرى بالفتح وهو عرف المسالة الثانية المعنى وتراهم سكارى على التشبيه
وما هم بسكارى على التحقيق ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله هو الذي اذهب عقولهم وطيرة تمييزهم وقال ابن عباس
وما هم بسكارى من الشراب ... قبل نزول الزلزلة ...
والحزن وتراهم سكارى من الخوف وما هم بسكارى من التكلم ... الناس على حال ...
... الزلزلة تحمل الناس ... معلقة ...
... المسالة الثالثة ... يقولون ... اليوم تحصل لكل ...
كل واحد منهم ... المسالة ... ونحمل للكلاح ... سبحانه

ومن الناس من يجادل **قوله تعالى**

... المسالة ...
في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير ...
[illegible]

قوله تعالى

[illegible]

فلا حاجة الى ذلك على السقط الذي قبله ونقر في الارحام ما نشا وذلك كالدلالة على انه ما لا نتمه في الارحام وهو السقط
قلنا ان هذا كالمنع من صحة ما ذكرنا لكن المضغة مخلقة وغير مخلقة لانه بعد ان تم خلقة البعض وبعض خلقة البعض
سبحانه تكامل ذلك بل فيه ما يقره الله تعالى في الرحم وفيه ما لم تتم وانما نبه بذلك على ان خلقة الانسان تكمل من
هذا الوجه قد دخل فيه السقط اما قوله تعالى لنبين لكم ففيه قولان احدهما لنبين لكم ان تغيير المضغة الى الخلقة هو
اختيار الفاعل المختار ولولاه لما صار بعضه مخلقا وبعضه غير مخلق وثانيهما ليتبين لكم انكم في مبعث البعث
فانا اخبرناكم انا خلقناكم من كذا وكذا لنبين لكم ما يزيل ذلك الريب في امر بعثكم فان القادر على هذه الاشياء كيف
يكون عاجزا عن الاعادة واما قوله ونقر في الارحام ما نشا الى اجل مسمى فالمراد منه ان يبلغه الله حد الولادة والاجل
المسمى هو الوقت المضروب للولادة وهو اخر ستة اشهر او تسعة او سنتين او اربع كما شا وقدر الله تعالى بان تكمل
ذلك صار الولد متمما المرتبة الخامسة قوله ثم نخرجكم طفلا وانما وحد الطفل لان الغرض الدلالة على الجنس
ويحتمل كل واحد منكم طفلا كقوله والملائكة بعد ذلك ظهيرا المرتبة السادسة قوله ثم لتبلغوا اشدكم الاشد
كمال القوة والعقل والتمييز وهو من الفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد كانها شدة في غير شي واحد فبنيت لذلك
على لفظ الجمع والمراد والله اعلم ثم يسهل في تربيتكم واغذيتكم لتبلغوا اشدكم فنبه بذلك على الاحوال
من خروج الطفل من بطن امه الى بلوغه الاشد وبين ذلك من الحالات وسايط ذكر بعضهم انه ليس بين حال الطفولية
وبين ابتداء حال بلوغ الاشد واسطة حتى يكون ان سلغ في السن وكمن كما لم يدخل في حال الاشد المرتبة
السابعة قوله ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيا والمعنى ان منكم من يتوفى
على قوته وكماله ومنكم من يرد الى ارذل العمر وهو الهرم والخرف فيصير كما كان في اوان الطفولية ضعيف البنية
سخيف العقل قليل الفهم فان قيل كيف قال لكيلا يعلم من بعد علم شيا مع انه يعلم بعض الاشيا كالطفل قلنا
المراد انه يزول عقله فيصير كانه لا يعلم شيا لان مثل ذلك يذكر في النفي لاجل المبالغة ومن الناس من قال هذه
الحالة لا تحصل للمومنين لقوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وهو ضعيف لان
معنى قوله ثم رددناه اسفل سافلين هو دلالة الذم فالمراد به ما يجري مجرى العقوبة ولذلك قال الا الذين امنوا وعملوا
الصالحات فلهم اجر غير ممنون فهذا تمام الاستدلال بحال خلقة الناس على ذلك ثم قوله سبحانه وتعالى وترى الارض
هامدة وهمودها ذهابها وخلوها عن النبات والخضرة فاذا انزلنا عليها الما اهتزت وربت والاهتزاز الحركة
على سرور فلا يكاد يقال اهتز فلان لكيت وكيت الا اذا كان ذلك الامر من المحاسن والمنافع فقوله اهتزت
وربت المتحركت بالنبات وانتفخت اما قوله وانبتت من كل زوج بهيج فهو مجاز لان الارض لا تنبت
شيا بل الله تعالى هو المنبت لذلك لكنه يضاف اليها توسعا ومعنى من كل زوج من كل نوع من انواع النبات
من زرع وغرس والبهجة حسن الشي ونضارته والبهيج بمعنى المبهج قال المبرد هو الشي المشرق الجميل ثم انه
سبحانه لما قرر هذين الدليلين رتب عليهما ما هو المطلوب والنتيجة وذكر امورا خمسة احدها قوله
ذلك بان الله هو الحق والحق هو الموجود الثابت فكانه سبحانه بين ان هذه الوجوه دالة على وجود الصانع
وحاصلها راجع الى ان حدوث هذه الاعراض المتنافية وتواردها على الاجسام يدل على وجود الصانع
وثانيها قوله وانه يحيي الموتى وهذا تنبيه على انه لما لم يستبعد من الاله ايجاد هذه الاشيا فكيف
يستبعد منه اعادة الاموات وثالثها قوله تعالى وانه على كل شي قدير يعني ان الذي يصح منه ايجاد هذه
الاشيا لا بد وان يكون واجب الاتصاف لذاته بالقدرة ومن كان كذلك كان قادرا على الاعادة وثانيها
قوله وان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور والمعنى انه سبحانه لما اقام الدلايل على
ان الاعادة في نفسها ممكنة وانه سبحانه قادر على كل الممكنات وجب القطع بكونه قادرا على الاعادة واذا ثبت الامكان
والصادق اخبر عن وقوعه فلا بد من القطع بوقوعه واعلم ان تحرير هذه الدلالة على الوجه التحقيقي ان نقول

الاعادة

الاعادة في نفسها ممكنة والصادق اخبر بوقوعها فلا بد من القطع بوقوعها اما بيان الامكان فالدليل عليه ان هذه
الاجسام بعد تفرقها قابلة لتلك الصفات التي كانت قابلة لها حال كونها مجتمعة قبله والباري سبحانه وتعالى عالم بكل
المعلومات قادر على الممكنات فوجب القطع بامكان الاعادة انما قلنا ان تلك الاجسام بعد تفرقها قابلة لتلك الصفات
لانا لو فرضنا انه لم يثبت لها كانت قابلة لها في شي من الاوقات لانه لا يبقى الا ايقة لم يزل ولم يكن لها في شي من الاوقات
لما كانت متحيزة قابلة في شي من الاوقات لكنها كانت متحيزة قابلة لها قبل نوجها تكون قابلة ابدا لتلك الصفات واما ان الباري تعالى
يمكنه تحصيل ذلك الممكن فلانه سبحانه عالم بكل المعلومات فيكون عالما باجزا كل واحد من المكلفين على التعيين وقادرا على كل
الممكنات فيكون قادرا على ايجاد تلك الصفات في تلك الذوات فثبت ان الاعادة ممكنة في نفسها فاذا اخبر الصادق بوقوعها
وجب القطع بذلك فهذا هو الكلام في تقرير هذه الدلالة فان قيل فاي منفعة لذكر مراتب خلقة الحيوان وخلقة النبات
في هذه الدلالة قلنا انه يدل على انه سبحانه وتعالى قادر على الممكنات وعالم بكل المعلومات ومتى صح
ذلك فقد صح كون الاعادة ممكنة فان الخصم لا ينكرها الا بنا على انكار احد هذين الاصلين ولذلك فان الله
سبحانه حيث اقام الدلالة على البعث في كتابه ذكر معه كونه عالما كقوله بل عجبوا ان جاءهم منذر وكقوله قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشاها اول مرة
وهو بكل خلق عليم

قوله تعالى

ومن الناس من يجادل في الله بغير علم
ولا هدى ولا كتاب منير ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب
الحريق ذلك بما قدمت يداك وان الله ليس بظلام للعبيد القراءة قرئ عطفه بكسر العين وفتحها والحسن وحده
بفتح العين ليضل قرئ بضم اليا وفتحها وقرئ ونذيقه بالنون وقرا زيد بن علي واذيقه
المعاني المسالة الاولى اختلفوا في ان المراد بقوله ومن الناس من يجادل في الله من هو على وجوه احدها
قال ابو مسلم الاية الاولى وهي قوله ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد واردة في الاتباع
المقلدين وهذه الاية واردة في المتبوعين المقلدين فان كلا المجادلين جادل بغير علم وان كان احدهما
تبعا والاخر متبوعا وبين ذلك قوله ولا هدى ولا كتاب منير فان مثل ذلك لا يقال في المقلد وانما يقال فيمن
يخاصم بنا على شبهة فان قيل كيف يصح ما قلتم والمقلد لا يكون مجادلا قلنا قد يجادل تصويبا لتقليده وقد يورد الشبهة
الظاهرة اذا تمكن منها وان كان معتمده الاصلي هو التقليد وثانيها ان الاية الاولى نزلت في النضر وهذه
الاية في ابي جهل وثالثها ان هذه الاية نزلت ايضا في النضر وهو قول ابن عباس وفائدة التكرير المبالغة في الذم
وايضا ذكر في الاية الاولى اتباعه تقليدا بغير حجة وفي الثانية مجادلته في الدين واضلاله غيره بغير حجة
والوجه الاول اقرب لما تقدم المسالة الثانية الاية دالة على ان الجدال مع العلم والهدى والكتاب المنير
حق على ما تقرر في المسالة الثالثة المراد بالعلم العلم الضروري وبالهدى الاستدلال والنظر لانه يهدي الى المعرفة و
بالكتاب المنير الوحي والمعنى انه يجادل من غير مقدمة ضرورية ولا نظرية ولا سمعية وهو كقوله ويعبدون من دون الله
ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم ولا كتاب منير وقوله ايتوني بكتاب من قبل هذا اما قوله ثاني عطفه
ليضل عن سبيل الله فاعلم ان ثني العطف عبارة عن الكبر والخيلا كتصعير الخد ولي الجيد وقوله
ليضل عن سبيل الله فاما القراءة بضم اليا فدلالة على ان هذا المجادل فعل الجدال واظهر التكبر لكي يتبعه غيره
فيضله عن طريق الحق فجمع بين الضلال والاضلال واما القراءة بفتح اليا فالمعنى انه لما ادى جداله
الى الضلال جعل كانه غرضه ثم انه سبحانه وتعالى شرح حاله في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فيوم بدر
وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في النضر بن الحارث وانه قتل يوم بدر واما الذين لم يخصصوا
هذه الاية بواحد معين قالوا المراد بالخزي في الدنيا امر المومنين بذمه ولعنه ومجاهدته واما
الاخرة فبقوله ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ثم بين تعالى ان هذا الخزي المعجل وذلك العقاب
المؤجل انما هو بما قدمت يداه قالت المعتزلة هذه الاية تدل على مطالب الاول دلت الاية على انه انما وقع في ذلك

الثواب بسبب عمله وفعله ولو كان فعله خلقا لله تعالى لكان يجب خلقه الله تعالى منه السعد لاستحق
به فلا يكون ذلك العقاب بسبب فعله فاذا عاقبه عليه كان ذلك محض الظلم وذلك على خلاف النص الثالث
ان قوله بعد ذلك وان الله ليس بظلام للعبيد دليل على انه سبحانه انما لم يكن ظالما بفعل ذلك العقاب لاجل ان
المكلف فعل فعلا استحق به ذلك العقاب وهذا يدل على انه لو عاقبه لا بسبب فعل يصدر من جهته لكان ظالما
وهذا يدل على انه لا يجوز تعذيب اطفال الكفرة باثم الآباء لانه سبحانه تمدح بانه لا يفعل الظلم ومن حيث
يكون قادرا عليه خلاف ما يقوله النظام وان يصح ذكر ذلك منه خلاف ما يقوله اهل السنة الرابع انه لا يجوز
الاستدلال بهذه الآية على انه تعالى لا يظلم لان علمهم بصحة نبوة النبي موقوف على نفي الظلم فلو اثبتنا
ذلك بالدليل السمعي لزم الدور والجواب عن الكل المعارضة بالعلم والداعي

قوله تعالى

ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على
وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال
البعيد يدعو لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير القراءة في خاسر الدنيا والآخرة بالنصب
والرفع فالنصب على الحال والرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وفي حرف عبد الله منصره ... اعلم
انه تعالى لما بين حال المظهرين للشرك المجادلين فيه على ما ذكرنا عقبه بذكر المنافقين فقال ومن الناس من
يعبد الله على حرف وفي تفسير الحرف وجهان الاول ما قاله الحسن وهو ان المرء في باب الدين معتمده القلب واللسان
فاذا اتفقا على الحق فقد كمل في الدين واذا اظهر بلسانه الدين لبعض الاغراض وفي قلبه النفاق جاز ان يقال
فيه على وجه الذم يعبد الله على حرف الثاني قوله على حرف اي على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم
على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمأنينة كالذي يكون على طرف من العسكر فان احس بغنيمة قر
واطمأن والا فر وطار على وجهه وهذا هو المراد بقوله فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب
على وجهه لان الثابت في الدين انما يكون لو كان الغرض منه اصابة الحق وطاعة الله والخوف من عقابه فاما
اذا كان غرضه الخير المعجل فانه يظهر الدين عند السراء ويرجع عنه عند الضراء فلا يكون الا منافقا مذموما
وهو مثل قوله مذبذبين بين ذلك وكقوله فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم المسألة الثانية قال الكلبي
نزلت هذه الآية في اعراب كانوا يقدمون على رسول الله بالمدينة مهاجرين من باديتهم فكان احدهم اذا صح
بها جسمه ونتجت فرسه مهرا حسنا وولدت امرأته غلاما وكثر ماله وماشيته رضي به واطمأن اليه وان
اصابه وجع وولدت امرأته انثى واجهضت رماكه وذهب ماله وتأخر عنه الصدقة اتاه الشيطان
وقال له ما جاءتك هذه الشرور الا بسبب هذا الدين فينقلب عن دينه وهذا قول ابن عباس وسعيد بن
جبير والحسن ومجاهد وقتادة وقال الضحاك نزلت في المؤلفة قلوبهم منهم عيينة بن
بدر والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس قال بعضهم لبعض ندخل في دين محمد فان اصبنا خيرا
عرفنا انه حق وان كان غير ذلك عرفنا انه باطل وقال ابو سعيد الخدري اسلم رجل من اليهود
فذهب بصره وماله وولده فقال يا رسول الله اقلني فاني لم اصب من ديني هذا خيرا ذهب بصري
ومالي وولدي فقال عليه السلام ان الاسلام لا يقال ان الاسلام يسبك كما تسبك النار خبث الحديد والذهب والفضة
ونزلت هذه الآية واما قوله وان اصابته فتنة انقلب على وجهه ففيه سؤالان الاول كيف قال
وان اصابته فتنة انقلب على وجهه والخير ايضا فتنة لانه امتحان قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير
فتنة والجواب مثل هذا كثير في اللغة لان النعمة بلاء وابتلاء لقوله تعالى فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه
ونعمه ولكن انما يطلق اسم البلاء على ما يثقل على الطبع وكذلك الخير كله فتنة لكن اكثر ما يستعمل فيما يثقل
السؤال الثاني اذا كانت الآية في المنافق فما معنى قوله انقلب على وجهه وهو في الحقيقة لم يسلم حتى ينقلب ويرتد

الجواب

الجواب المراد انه اظهر بلسانه خلاف ما كان اضمره فصار يذم الدين عند الشدة وكان من قبل يمدحه وذلك انقلاب على
الحقيقة السؤال الثالث مثال الخير هو الشيء ... فان اصابه خير اطمأن به كان يجب ان يقول وان اصابه
شر انقلب على وجهه الجواب انما كان ... لسبب ... لم يقل تعالى وان اصابه شر بل وصفه بما يفيد فيه
النتيجة اما قوله خسر الدنيا والآخرة وذلك لانه يخسر في الدنيا العزة والكرامة واصابة الغنيمة واهلية الشهادة والامامة
والقضاء ولا يبقى ماله ودمه مصونا واما في الآخرة فيفوته الثواب الدائم ويحصل العقاب الدائم وذلك هو الخسران
المبين اما قوله تعالى يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ولا ريب انه المشرك الذي يعبد الاوثان وهذا
كالدلالة على ان الآية لم ترد في اليهود لانه ليس ممن يدعو من دون الله الاصنام والاقرب انها واردة في المشركين
الذين انقطعوا الى الرسول على وجه النفاق وبين تعالى ان ذلك هو الضلال البعيد واراد به عظم ضلالهم وكفرهم
ويحتمل ان يعني بذلك بعد ضلالهم عن الصواب لانه حقيقة وان كان شركا وانه خطأ فيعمه العدول عن
الحق من بعض ما يستعير الضلال البعيد من ضلال من ابعد في التيه ضالا فطالت وبعدت مسافة ضلالته
اما قوله تعالى يدعو لمن ضره اقرب من نفعه المسألة الاولى اختلفوا في تفسيره على وجهين احدهما ان المراد
رؤساؤهم الذين كانوا يفزعون اليهم لانه يصح منهم ان يضروا وحجة هذا القول ان الله تعالى بين في الآية
الاولى ان الاوثان لا تضرهم ولا تنفعهم وهذه الآية تقتضي كون المذكور فيها ضارا نافعا فلو كان المذكور في
هذه الآية هو الاوثان لزم التناقض القول الثاني ان المراد الوثن ثم اجابوا عن التناقض بامرين احدهما
انها لا تضر ولا تنفع بانفسها ولكن عبادتها سبب الضرر وذلك يكفي في اضافة الضرر اليها كقوله تعالى
انهن اضللن كثيرا من الناس فاضاف الاضلال اليهم من حيث كانوا سببا للضلال فكذا ههنا نفى الضرر عنهم
في الآية بمعنى كونها فاعلة واضاف الضرر اليهم في هذه الآية بمعنى ان عبادتها سبب الضرر وثانيها كانه سبحانه
بين في الآية الاولى انها في الحقيقة لا تضر ولا تنفع ثم قال في الآية الثانية انها بالعرض تضر وتنفع ولو سلمنا كونها
ضارة نافعة لكن ضررها اكثر من نفعها واما ان الكفار اذا انتفعوا علموا ان الله لا يحصل منها نفع ولا ضرر
في الدنيا وانهم في الآخرة ... العذاب العظيم بسبب عبادتها فكانهم يقولون لمعبوديهم في الآخرة ان ضرركم
اعظم من نفعكم المسألة الثانية اختلف النحويون في اعراب قوله لمن ضره اما قوله لبئس المولى ولبئس العشير
فالمولى هو الولي والناصر والعشير الصاحب والمعاشر واعلم ان هذا الوصف بالرؤساء اليق لانه في الاكثر لا يكاد
يستعمل في الاوثان فبين تعالى انهم يعدلون عن عبادة الله الذي هو خير الناصرين في الآخرة الى عبادة الاصنام
والمطاعة الرؤساء فقوله لبئس المولى والمراد ذم من انتصر بهم والتجأ اليهم

قوله تعالى

ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد
من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده
ما يغيظ وكذلك انزلناه آيات بينات وان الله يهدي من يريد اعلم انه سبحانه وتعالى لما بين في
الآية السالفة حال عبادة المنافقين وحال معبودهم بين في هذه الآية صفة عبادة المؤمنين وصفة
معبودهم اما عبادتهم فقد كانت على الطريق اللائق ... عليه واما معبودهم ... اما المؤمنون
فعبادتهم حقيقة ومعبودهم يعطيهم اعظم المنافع وهو الجنة ومن كمال الجنة التي تحوي الزرع والشجر
ان تجري من تحتها الانهار وبين تعالى انه يفعل ما يريد بهم من انواع الفضل والاحسان زيادة على اجورهم كما قال تعالى
ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واحتج اصحابنا رحمهم الله في خلق الاعمال بقوله سبحانه ان الله يفعل ما يريد
قالوا اجمعنا على ان الله سبحانه وتعالى يريد الايمان ولفظة ما للعموم فوجب ان يكون فاعلا للايمان بقوله
ان الله يفعل ما يريد اجاب الكعبي عنه بان الله يفعل ما يريد ان يفعله لا ما يريد ان يفعله غيره والجواب ان قوله
ما يريد عام فمن قولنا ما يريد ان يفعله ومن قولنا ما يريد ان يفعله غيره والتقييد خلاف النص اما قوله من كان يظن ان

لن ينصره الله فالهاء الى من يرجع فيه وجهان الاول وهو قول ابن عباس والكلبي ومقاتل والضحاك وقتادة
وابن زيد والسدي واختيار الفراء والزجاج انه راجع الى محمد عليه السلام يريد ان من ظن ان لن ينصر الله محمدا في الدنيا
باعلاء كلمته واظهار دينه وفي الآخرة باعلاء درجته والانتقام ممن كذبه والرسول عليه السلام وان لم يجر له ذكر في
هذه الآية ففيها ما يدل عليه وهو ذكر الايمان وقوله ان الله يدخل الذين آمنوا والايمان لا يتم الا بالله وبرسوله
وسبب النزول هاهنا على قول مقاتل انه من الذين كان يظن ان الله لا ينصر محمدا والثاني انه لما معنى قوله فليمدد
بسبب الى السماء ثم ليقطع اما الاول فذكروا فيه وجوها احدها كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم على المشركين
يستبطئون ما وعد الله رسوله من النصر فنزلت فيهم وثانيها قال مقاتل نزلت في نفر من اسد وغطفان قالوا
نخاف ان الله لا ينصر محمدا فينقطع الذي بيننا وبين حلفائنا من اليهود فلا يميروننا وما اشبه ذلك وثالثها ان حساده
واعداءه كانوا يتوقعون ان لا ينصره الله وان لا يعينه على اعدائه فمتى شاهدوا ان الله تعالى نصره
غاظهم ذلك اما البحث الثاني فاعلم ان في لفظ السبب قولان احدهما انه الحبل وهؤلاء اختلفوا في السماء
فمنهم من قال هو سقف البيت ومنهم من قال هو السماء الحقيقية فقالوا المعنى من كان يظن ان الله لا يعطيه النصر
وانه لا يظفر بمطلوبه فليستقص وسعه في ازالة ما يغيظه بان يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ
حتى مد حبلا الى سمائه فاختنق فلينظر انه ان فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغيظه وهل هذا القول اختلفوا في
القطع فقال بعضهم سمي الاختناق قطعا لان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه وسمي فعله كيدا لانه
وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره او على سبيل الاستهزاء لانه لم يكد به محسوده انما كاد به نفسه والمراد
في هذه الآية ليس يذهب ما يغيظ وهذا قول الكلبي ومقاتل وقال ابن عباس رضي الله عنهما فليشدد الحبل في عنقه
وفي سقف البيت ثم ليقطع الحبل حتى يختنق ويهلك وهذا كله اذا حملنا السماء على سقف البيت وهو قول اكثر
المفسرين وقال آخرون المراد منه نفس السماء فانه يمكن حمل الكلام على نفس السماء فهو اولى من حمله على سماء البيت لان
ذلك لا يتم منه الا متعذرا لان الوصول ليس للغرمان ينفعل ذلك الا الوصول ان يكون ذلك الكيد مانعا عن الغيظ الذي
هو ما عم الله تعالى هو اذا كان ذلك محالا كان المذكور ابعد من الامكان كان اولى بان يكون هو المراد ومعلوم
ان مد الحبل الى السماء والارتقاء فيه ابعد من ان يفعله الى سقف البيت لان ذلك ممكن اما الذين
قالوا السبب ليس هو الحبل فقد ذكروا فيه وجهين الاول كانه قال فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع بذلك السبب
المسافة ثم لينظر فانه يعلم مع تحمل المشقة فيما ظنه خاسر الصفقة كانه لم يفعل شيئا وهو قول ابي مسلم
الثاني كانه قال فليطلب سببا يصل به الى السماء فليقطع نصر الله لنبيه ولينظر هل يتهيأ له الوصول الى
السماء بحيلة وهل يتهيأ له ان يقطع بذلك نصر الله عن رسوله فاذا كان ذلك ممتنعا كان غيظه عديم الفائدة
واعلم ان المقصود معلوم على كل هذه الوجوه فانه زجر للكفار عن الغيظ فيما لا فائدة فيه وهو في معنى قوله
فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء مبينا بذلك انه لا حيلة له في الآيات التي اوردها الرسول
القائل ان الهاء في قوله ينصره الله راجع الى من في اول الآية لانه المذكور ومن حق الكناية ان ترجع الى مذكور
اذا امكن ذلك ومن قال بذلك حمل النصر على الرزق قال ابو عبيدة وقف علينا سائل من بني بكر فقال من
ينصرني نصره الله اي من يعطني اعطاه الله فكانه قال من كان يظن ان لن يرزقه الله في الدنيا والآخرة
فلهذا الظن يعدل عن التمسك بدين محمد كما وصفه تعالى في قوله ومن الناس من يعبد الله على حرف فليبلغ غاية
الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يقلب القسمة ولا يجعله مرزوقا اما قوله وكذلك انزلناه آيات بينات فالمعنى ومثل
ذلك الانزال انزلنا القرآن كله آيات بينات اما قوله وان الله يهدي من يريد فهو دليل على ان الهداية غير واجبة عليه
بل هي معلقة بمشيئته سبحانه ووضع الادلة عند الخصم واجب فثبت ان المراد منه خلق المعرفة قال القاضي عبد الجبار
لا اعتبار هنا يحتمل وجوها احدها تكلف من يريد الايمان من كلف احدا شيئا فقد وصفه له وبينه وثانيها

ان يكون

ان يكون المراد يهدي الى الجنة والثواب من يريد ممن آمن وعمل صالحا وثالثها ان يكون المراد ان الله
يلطف بمن يريد ممن علم انه اذا لطف به ثبت على ايمانه كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وهذا الوجه
هو الذي اختاره الحسن الا انه بقوله ان الله يهدي من يقبل لا من لا يقبل والوجهان الاولان ذكرهما ابو علي والجواب
عن الاول ان الله تعالى ذكر ذلك بعد بيان الادلة والجواب عن الشبهات فلا يجوز حمله على محض التكليف
واما الوجهان الاخيران فمدفوعان لانهما عندكم واجبان على الله وقوله يهدي من يريد يقتضي عدم الوجوب

قوله تعالى ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس و
الذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شيء شهيد الم تر ان الله يسجد له من في السموات
ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب
ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء القراءة قرئ مكرم بالفتح وقرئ حقا اي حق عليه العذاب
حقا فمن مكرم ثم بفتح الراء بمعنى الاكرام اعلم انه تعالى لما قال وان الله يهدي من يريد اتبعه في هذه
الآية ببيان من يهديه ومن لا يهديه واعلم ان المخالفين في المبدأ اصولية الا طبقات ثلاث
احدها الطبقة المشاركة في نبوته منه كالخلاف بين المجبرة والقدرية في خلق الافعال البشرية والخلاف في
نفي الصفات والرؤية ونفاتها وثانيها الذين يخالفونه في النبوة ولكن يشاركونه في الاعتراف بالفاعل المختار كالخلاف
من الحنيفية اليهود والنصارى في نبوة محمد وعيسى وموسى عليهم السلام وثالثها الذين يخالفونه في الاله وهؤلاء هم السوفسطائية
المتوقفون في الحقائق والدهرية الذين لا يعترفون بوجود مؤثر في العالم والفلاسفة الذين يثبتون مؤثرا موجبا
لا مختارا فاذا كانت اصل الاختلافات الرائغة في اصول الاديان محصورة في هذه الاقسام الثلاثة ثم لا شك ان اعظم جهات
الخلاف هو من جهة القسم الاخير منها وهذا القسم الاخير باقسامه الثلاثة لا يوجدون في العالم ظاهرين متظاهرين
بعقائدهم ومذاهبهم لم يكونوا مشتهرين اما القسم الثاني وهو الاختلاف الحاصل بسبب الانبياء فمنهم ان المعترفين
بالفاعل المختار اما ان يكونوا معترفين بوجود الانبياء او لا يعترفون بذلك اما المعترفون بذلك فاما ان يكونوا اتباعا
لمن كان نبيا في الحقيقة او لمن كان متنبيا اما اتباع الانبياء عليهم السلام فهم المسلمون واليهود والنصارى والصابئون
اما اتباع المتنبي فهم المجوس واما المنكرون للانبياء على الاطلاق فهم عبدة الاصنام وهم المسمون بالمشركين ويدخل
فيهم البراهمة على اختلاف طبقاتهم فثبت ان الاديان الحاصلة في ابناء هذه الستة التي ذكرها الله تعالى في
هذه الآية قال قتادة ومقاتل الاديان ستة واحد لله وهو الاسلام وخمسة للشيطان وتمام الكلام في هذه الآية
قد تقدم في سورة البقرة اما قوله ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ففيه مسائل المسالة الاولى قال الزجاج هذا خبر
لقوله ان الذين آمنوا كما تقول ان اخاك ان الدين عليه لكثير قال جرير ان الخليفة ان الله سربله سربال ملك
به ترجى الخواتيم المسالة الثانية الفصل مطلق يحتمل الفصل بينهم في الاحوال والاماكن جميعا فلا يجازيهم جزاء واحدا
بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد وقيل يفصل بينهم يقضي بينهم اما قوله ان الله على كل شيء شهيد فالمراد انه
يفصل بينهم وهو عالم بما يستحقه كل منهم فلا يجري في ذلك الفصل ظلم ولا حيف اما قوله سبحانه الم تر ان الله يسجد
له ففيه اسئلة السؤال الاول ما الرؤية هاهنا والجواب انها العلم اي الم تعلم ان الله يسجد له من في السموات و
انما عرف ذلك بخبر الله لا انه رآه السؤال الثاني ما السجود هاهنا قلنا فيه وجوه احدها قال الزجاج اجود الوجوه
في سجود هذه الامور انها تسجد مطيعة لله تعالى وهو كقوله تعالى للسماء والارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا
طائعين انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وان منها لما يهبط من خشية الله وان من شيء الا يسبح بحمده وسخرنا مع داود الجبال
والمعنى ان هذه الاجسام لما كانت قابلة لجميع الاعراض التي يحدثها الله تعالى فيها من غير امتناع البتة اشبهت الطاعة و
الانقياد وهو السجود فان قيل هذا التأويل يبطله قوله تعالى وكثير من الناس فان السجود بالمعنى الذي ذكرتموه عام في كل
الناس فاسناده الى كثير منهم يكون تخصيصا من غير فائدة فالجواب من وجوه احدها ان السجود بالمعنى الذي ذكرناه

وان كان نعتا في حق الكل الا ان بعضهم تمرد وتكبر وترك السجود في الظاهر فهذا الشخص وان كان ساجدا بذاته لكنه متمرد
بظاهره واما المؤمن فانه ساجد بذاته وبظاهره فلاجل هذا الفرق حصل التخصيص بالذكر وثانيها ان تقطع
قوله وكثير من الناس عما قبله ثم فيه ثلثة اوجه الاول ان يقول تقدير الاية ولله يسجد من في السموات ومن في الارض
ويسجد له كثير من الناس فيكون السجود الاول بمعنى الانقياد والثاني بمعنى الطاعة والعبادة وانما فعلنا ذلك
لانه قامت الدلالة على انه لا يجوز استعمال اللفظ المشترك في معنييه جميعا الثاني ان يكون قوله وكثير من الناس مبتدا
وخبره محذوف وهو مثاب لان خبر مقابله يدل عليه وهو قوله حق عليه العذاب الثالث ان يبالغ في تكثير
المحقوقين بالعذاب فيعطف كثير على كثير ثم يخبر عنهم بحق عليهم العذاب كانه قيل وكثير من الناس حق
عليهم العذاب وثالثها ان يحمل على استعمال اللفظ المشترك في مفهوميه جميعا فنقول المراد بالسجود في حق الاحيا
العقلا العبادة وفي حق الجمادات الانقياد ومن ينكر ذلك يقول ان الله تعالى تكلم بهذا اللفظ مرتين
فعنى به في حق العقلا الطاعة اولا وفي حق الجمادات الانقياد ثانيا السوال الثاني قوله الم تر ان الله يسجد
له من في السموات ومن في الارض لفظ العموم فيدخل فيه الناس فلم قال مرة اخرى وكثير من الناس الجواب لو اقتصر على ما تقدم
لاوهم ان كل الناس يسجدون كما ان كل الملايكة يسجدون فبين ان كثيرا منهم يسجد طوعا دون كثير منهم فانه يمتنع عن
ذلك وهم الذين حق عليهم العذاب القول الثاني في تفسير السجود ان كل ما سوى الله تعالى فهو ممكن لذاته والممكن لذاته
لا يترجح وجوده على عدمه الا عند الانتهاء الى الواجب لذاته كما قال وان الى ربك المنتهى وكما ان الامكان لازم للممكن حال
حدوثه وبقائه فافتقاره الى الواجب حاصل حال حدوثه وحال بقائه وهذا الافتقار الذاتي اللازم للماهية ادل
على الخضوع والتواضع من وضع الجبهة على الارض فان ذلك علامة وضعية للافتقار فيتطرق اليها الصدق والكذب
اما نفس الافتقار الذاتي فانه ممتنع التغير والتبدل فجميع الممكنات ساجدة بهذا المعنى لله اي خاضعة
متذللة معترفة بالفاقة اليه والحاجة الى تخليقه وتكوينه وعلى هذا تاولوا قوله وان من شي الا يسبح
بحمده وهذا قول القفال رحمه الله القول الثالث ان سجود هذه الاشيا سجود ظلها كقوله تعالى يتفيؤ ظلاله
عن اليمين والشمايل سجدا لله وهو قول مجاهد اما قوله وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب فقال ابن عباس في
رواية عطا رضي الله عنهم وكثير من الناس يوحده وكثير حق عليه العذاب ممن لا يوحده وروي عنه انه قال وكثير
من الناس في الجنة وهذه الرواية تؤكد ما ذكرنا ان قوله وكثير من الناس مبتدا وخبره محذوف وقال اخرون الوقف على قوله
وكثير من الناس ثم استانف فقال وكثير حق عليه العذاب [illegible]
بقوله ان الله يفعل ما يشاء انه الذي يصح منه الاكرام والهوان يوم القيامة بالثواب والعقاب قوله تعالى
هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر
به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وذوقوا عذاب
الحريق ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب
ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد القراءة روي عن الكسائي خصمان بكسر
الخاء قطعت بالتخفيف كان الله يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب وقرا الاعمش ردوا فيها
الحسن يصهر بتشديد الهاء للمبالغة ولؤلؤا بالنصب على ويؤتون لؤلؤا كقوله وحورا عينا ولؤلؤا بقلب
الهمزة الثانية واوا اعلم انه سبحانه لما بين ان الناس قسمان منهم من يسجد لله ومنهم من حق عليه العذاب ذكر ههنا
كيفية اختصامهم المسالة الاولى احتج من قال اقل الجمع اثنان بقوله هذان خصمان اختصموا والجواب الخصم صفة
وصف بها الفوج والفريق فكانه قيل هذان فوجان او فريقان يختصمان وقوله هذان للفظ واختصموا في
المعنى كقوله ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا المسالة الثانية ذكروا في تفسير الخصمين وجوها احدها ان المراد
طائفة المؤمنين وجماعة الكفار وان كل الكفار يدخلون في ذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما
رجع

ذاته

رجع الى اهل الاديان الستة فخلصهم اي في دينه وصفاته وثانيها روي ان اهل الكتاب قالوا نحن احق بالله واقدم
منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم فقال المؤمنون نحن احق بالله امنا بمحمد وامنا بنبيكم وبما انزل الله من كتاب
وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسدا فهذه خصومتهم في ربهم وثالثها روي عن
قيس بن عباد عن ابي ذر الغفاري كان يحلف بالله ان هذه الاية نزلت في ستة نفر من قريش تبارزوا يوم
بدر حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن المغيرة وقال علي رضي الله عنه
انا اول من يجثو للخصومة بين يدي الله تعالى ورابعها قال عكرمة هما الجنة والنار قالت النار خلقني
الله لعقوبته وقالت الجنة خلقني الله لرحمته فقص الله تعالى على محمد من خبرهما ذلك والاقرب هو الاول
لان السبب وان كان خاصا فالواجب حمل الكلام على ظاهره وقوله هذان كالاشارة الى من تقدم ذكره وهم اهل الاديان
الستة وايضا ذكر صنفين اهل طاعته واهل معصيته ممن حق عليه العذاب فوجب رجوع ذلك
اليهما فمن خص به مشركي العرب واليهود من حيث قالوا في نبيهم وكتابهم ما حكيناه فقد اخطا وهذا هو الذي
يدل على قوله ان الله يفصل اراد به الحكم وان ذلك التخاصم يقتضي ان يكون الواقع بعده حكما فبين تعالى حكمه في
الكفار وذكر من احوالهم امورا ثلثة احدها قوله قطعت لهم ثياب من نار والمراد بالثياب احاطة النار بهم كقوله
لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وقال سعيد بن جبير من نحاس اذيب بالنار اخذا من قوله سرابيلهم
من قطران واخرج الكلام بلفظ الماضي كقوله ونفخ في الصور وجاءت كل نفس لما كان من امر الاخرة فهو
كالواقع وثانيها قوله يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود الحميم الماء الحار قال ابن
عباس رضي الله عنهما لو سقطت منه قطرة على جبال الدنيا لاذابتها يصهر اي يذاب اي اذا صب الحميم على
رؤسهم كان تاثيره في الباطن نحو تاثيره في الظاهر فيذيب امعاءهم واحشاءهم كما يذيب جلودهم وهو ابلغ وثالثها
قوله ولهم مقامع من حديد المقامع السياط وفي الحديث لو وضعت مقمعة منها في الارض فاجتمع عليها
الثقلان ما اقلوها والاعادة لا تكون الا بعد الخروج والمعنى كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم فخرجوا اعيدوا فيها
ومعنى الخروج ما يروى عن الحسن ان النار تضربهم بلهيبها فترفعهم حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا
فيها سبعين خريفا وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق والحريق الغليظ من النار العظيم الاهلاك ثم انه سبحانه وتعالى ذكر حكمه
في المؤمنين من اربعة اوجه احدها المسكن وهو قوله ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار
وثانيها الحلية وهو قوله يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير فبين تعالى انه يوصلهم في الاخرة
الى ما حرم عليهم في الدنيا من هذه الامور وان كان من [illegible] ان المحلل للنسا في الدنيا [illegible]
بالاضافة الى ما سيحصل لهم في الاخرة وثالثها الملبوس وهو قوله ولباسهم فيها حرير ورابعها قوله وهدوا الى الطيب من
القول وفيه وجوه احدها ان شهادة ان لا اله الا الله هو الطيب من القول كقوله ومثل كلمة طيبة وقوله اليه يصعد
الكلم الطيب وهدوا الى صراط الحميد كقوله وانك لتهدي الى صراط مستقيم وثانيها قال السدي وهدوا الى الطيب
من القرآن وثالثها قال ابن عباس في رواية عطا رضي الله عنهم هو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده ورابعها
انهم اذا صاروا الى الدار الاخرة هدوا الى البشارات التي تاتيهم من قبل الله بدوام النعيم والسرور والسلامة وهو
معنى قوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم وعندي فيه وجه خامس وهو ان العلائق البدنية
جارية مجرى الحجاب للارواح البشرية في الاتصال بعالم القدس فاذا فارقت ابدانها انكشف الغطا ولاحت
الانوار الالهية فظهور تلك الانوار هو المراد من قوله وهدوا الى الطيب من القول قوله تعالى
ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه
بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم اعلم انه سبحانه وتعالى بعد ان فصل بين الكفار والمؤمنين ذكر عظم حرمة البيت
وعظم كفر هؤلاء فقال ان الذين كفروا بما جاء به محمد ويصدون عن سبيل الله وذلك بالمنع من الهجرة والجهاد

لانهم كانوا يصدون عن ذلك وفيه اشكال وهو انه كيف عطف المستقبل وهو قوله ويصدون على الماضي وهو قوله كفروا الجواب
عنه من وجوه احدها انه يقال فلان يحسن الى الفقرا ويعين الضعفا ولا يراد به حال ولا استقبال وانما يراد استمرار وجود احسان
منه في جميع ازمنته واوقاته فكانه قيل ان الذين كفروا ومن شانهم الصد عن سبيل الله ونظيره قوله ان الذين امنوا وتطمين
قلوبهم وثانيها قال ابو علي الفارسي المعنى ان الذين كفروا فيما مضى وهم الان يصدون ويدخل فيه انهم يفعلون ذلك في الحال والمستقبل
اما قوله والمسجد الحرام يعني ويصدون عن المسجد الحرام قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية في ابي سفيان
بن حرب واصحابه حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة الحديبية عن المسجد الحرام وعن ان يحجوا او يعتمروا
وينحروا الهدي فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قتالهم وكان محرما بعمرة ثم صالحوه على ان يعود في العام القابل اما قوله
الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد المسالة الاولى قال ابو علي الفارسي اي جعلناه للناس منسكا ومتعبدا و
قوله سواء العاكف فيه والباد على انه خبر ابتدا مقدم المعنى العاكف والباد فيه سواء [illegible] به المسجد الحرام الذي جعلناه
للناس والنصب العاكف فيه والباد سواء بالنصب ايقاع الجعل عليه لان الجعل يتعدى الى المفعولين المسالة الثانية العاكف
المقيم به والحاضر والبادي الطارئ من البدو وهو النازع اليه من غربته وقال بعضهم يدخل في العاكف الغريب اذا جاور
ولزم التعهد له كمكث اهله المسالة الثالثة اختلفوا في انهما في اي شي يستويان فقال ابن عباس في بعض الروايات
انهما يستويان في سكنى مكة والنزول بها فليس احدهما احق بالمنزل الذي يكون فيه من الاخر الا انه لا يخلف احد سبق الى المنزل
وهو قول قتادة وسعيد بن جبير ومن مذهب هولاء ان كرا دور مكة وبيعها حرام واحتجوا عليه بالاية بان المسجد
اسم للبيت [illegible] فاذا ثبت هذا ان ارض مكة لا تملك فانها لو ملكت لم يستو العاكف فيها والبادي فلما استويا ثبت ان سبيله سبيل
المساجد واحتجوا ايضا بقوله عليه السلام مكة مناخ لمن سبق اليه وهذا مذهب ابن عمر وعمر بن عبد العزيز ومذهب ابي حنيفة
واسحق الحنظلي رضي الله عنهم وعلى هذا المراد بالمسجد الحرام الحرم كله لان اطلاق لفظ المسجد الحرام والمراد منه البلد جايز
بدليل قوله سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام وههنا قد دل الدليل عليه فان قوله العاكف فيه [illegible] والمقيم
وانما يكون في البلد لا في المسجد [illegible] الثاني المراد جعل الله الناس في العبادة في
المسجد سواء ليس للمقيم ان يمنع البادي وبالعكس قال عليه السلام يا بني عبد مناف من ولي منكم من امور الناس شيا فلا يمنعن
احدا طاف بهذا البيت او صلى اية ساعة شاء من ليل او نهار وهذا قول الحسن ومجاهد وقول من اجاز بيع دور مكة وقد جرت
مناظرة بين الشافعي واسحق الحنظلي بمكة وكان اسحق لا يرخص في كرا بيوت مكة فاحتج الشافعي رضي الله عنه بقوله تعالى الذين
اخرجوا من ديارهم بغير حق فاضاف الديار الى مالكيها او الى غير مالكيها وقال عليه السلام يوم فتح مكة من اغلق بابه فهو آمن وقال عليه السلام
وهل ترك لنا عقيل من ربع وقد اشترى عمر بن الخطاب دار السجن اترى انه اشتراها من مالكها او من غير مالكها قال اسحق فلما
علمت ان الحجة لزمتني تركت قولي اما الذين قالوه من حمل لفظ المسجد على مكة بعيد لان قوله العاكف يضعف ذلك لان العاكف قد
يراد به الملازم للمسجد المعتكف فيه على الدوام او في الاكثر فلا يلزم ما ذكروه ويحتمل ان يراد بالعاكف المجاور للمسجد الممكن في كل وقت
من التعبد فيه فلا وجه لصرف الكلام عن ظاهره مع هذا الاحتمال اما قوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه ففيه مسايل المسالة
الاولى قرئ يرد بفتح اليا من الورود ومعناه من اتى فيه بالحاد ظالما وعن الحسن ومن يرد الحاده بظلم والمعنى من يرد
ايقاع الحاد فيه فاضافه الى الاتساع في الظرف كمكر الليل والنهار ومعناه من يرد ان يلحد فيه ظالما المسالة الثانية
الالحاد العدول عن القصد واصله من الحاد الحافر وذكر المفسرون في تفسير الالحاد وجوها احدها انه الشرك يعني من لجا
الى حرم الله ليشرك به عذبه الله وهو قول عطا عن ابن عباس وقول عطاء بن ابي رباح وسعيد بن جبير وقتادة
ومقاتل وثانيها قال ابن عباس نزلت في عبد الله بن سعد حيث استسلمه النبي عليه السلام فارتد مشركا وفي قيس بن ضبابة
وقال مقاتل نزلت في عبد الله بن خطل حيث قتل الانصاري وهرب الى مكة كافرا فامر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله يوم الفتح وثالثها
قيل هو استحلال الحرام [illegible] دخول مكة بغير احرام وارتكاب ما لا يحل للمحرم [illegible] عن مجاهد وسعيد بن جبير و
سادسها المنع من عمارته وسابعها عن عطا قول الرجل في المبايعة لا والله وبلى والله وعن عبد الله بن عمر انه كان له فسطاطان احدهما

والحل

في الحل والاخر في الحرم فاذا اراد ان يعاقب اهله عاقبهم في الحل فقيل له فقال كنا نحدث ان من الالحاد فيه ان يقول الرجل
لا والله وبلى والله وهو قول المحققين ان الالحاد بظلم عام في كل المعاصي لان كل ذلك صغيرا وكبيرا يكون هناك اعظم منه في ساير
البقاع حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه لو ان رجلا بعدن هم بان يعمل سيئة عند البيت اذاقه الله عذابا اليما وقال مجاهد
تضاعف السيات فيه كما تضاعف الحسنات فان قيل كيف يقال ذلك مع ان قوله نذقه من عذاب اليم [illegible] المعاصي
قلنا لا نسلم فان كل عذاب يكون اليما الا انه يختلف مراتبه على حسب اختلاف المعصية المسالة الثالثة البا في قوله
بالحاد فيه قولان احدهما وهو اختيار صاحب الكشاف ان قوله بالحاد بظلم حالان مترادفان ومفعول يرد
متروك ليتناول كل متناول كانه قال ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما نذقه من عذاب اليم يعني ان الواجب
على من كان فيه ان يضبط نفسه ويسلك طريق السداد والعدل في جميع ما يهم به ويقصده الثاني قال ابو عبيدة مجازه و مجا
من يرد فيه الحادا والبا من حروف الزوايد المسالة الرابعة لما كان الالحاد بمعنى الميل من امر الى امر بين تعالى ان المراد
بهذا الالحاد ما يكون ميلا الى الظلم فلهذا قرن الظلم بالالحاد لانه لا معصية كبرت او صغرت الا وهي ظلم ولذلك قال تعالى ان الشرك
لظلم عظيم اما قوله سبحانه نذقه من عذاب اليم فهو بيان الوعيد المسالة الاولى قيل الاية نزلت في ابن خطل وذلك
المراد بالعذاب ان الرسول عليه السلام قتله يوم الفتح ولا وجه للتخصيص لان الكلام العام [illegible] العذاب في
الاخرة فانه من اعظم ما يتوعد به المسالة الثانية ان هذه الاية تدل على ان المرء يستحق العذاب بارادته للظلم كما يستحقه
على عمل جوارحه المسالة الثالثة ذكروا في خبر ان المذكور في اول الاية وجوها الاول ان الذين كفروا ويصدون
ومن يرد فيه بالحاد نذقه من عذاب اليم عايد الى الكل الثاني انه محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره
ان الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب اليم وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك

قوله تعالى

واذ بوانا لابرهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيا وطهر بيتي للطايفين والقايمين والركع السجود واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا
وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها
واطعموا البايس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق اعلم ان قوله واذ بوانا لابرهيم مكان
البيت اذكر حين جعلنا لابرهيم مكان البيت مباءة اي مرجعا يرجع اليه للعبادة [illegible] رفع البيت الى السما ايام الطوفان
وكان من ياقوتة حمرا فاعلم الله ابرهيم مكانه بريح ارسلها فكنست ما حوله فبناه على وضعه الاول وقيل ان ابرهيم من وضع
البيت [illegible] سحابة على قدر البيت الحرام في العرض والطول وفيها راس يتكلم وله لسان و
عينان يا ابرهيم ابن على قدري وحيالي فاخذ في البنا وذهبت السحابة وههنا سوالات السوال الاول [illegible] ان معنى
[illegible] للنبي عن الشرك والامر بتطهير البيت [illegible] الجواب انه سبحانه لما قال جعلنا البيت مرجعا لابرهيم
مكانه فكانه قيل ما معنى كون البيت مرجعا فاجيب عنه بان معناه [illegible] وطهر البيت من الشرك [illegible]
ليطهر البيت عن الاوثان [illegible] اصنام السوال الثاني ان ابرهيم عليه السلام لما لم يشرك بالله فكيف قال لا تشرك بي الجواب
المعنى لا تجعل في العبادة لي شريكا ولا تشرك بهذا البيت [illegible] البيت
السوال الثالث [illegible] ذلك المكان كان صحرا [illegible]
الا ان يقال امر ابرهيم ببنا البيت [illegible] بتطهيره عن الاقذار [illegible] وكانوا وضعوا فيه اصناما [illegible] فامره الله [illegible]
ذلك البنا [illegible] التطهير عن الاوثان [illegible] عما لا ينبغي من الشرك
وقول الزور اما قوله للطايفين والعاكفين فقال ابن عباس الطايفين بالبيت من غير اهله والقايمين اي المقيمين بها والركع السجود
اي المصلين من الكل [illegible] القايمون هم المصلون لان المصلي لا بد وان يكون في صلاته جامعا بين القيام والركوع والسجود اما
قوله تعالى واذن في الناس بالحج المسالة الاولى قرا ابن محيصن واذن [illegible] المسالة الثانية
[illegible] المامور بهذا التاذين [illegible] اكثر المفسرين انه هو ابرهيم عليه السلام قالوا لما فرغ ابرهيم من بنا البيت قال الله سبحانه اذن في الناس بالحج
قال يا رب وما يبلغ صوتي قال عليك الاذان وعلي البلاغ فصعد ابرهيم الصفا وفي رواية اخرى ابا قبيس وفي اخرى على المقام

قال ابرهيم كيف اقول قال جبريل قل لبيك اللهم لبيك فهو اول من لبى وفي رواية اخرى صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس
ان الله كتب عليكم حج البيت العتيق فسمعه ما بين السما والارض فما بقي شي سمع صوته الا اقبل يلبي ويقول لبيك
اللهم وفي رواية اخرى ان الله يدعوكم الى حج بيته الحرام ليثيبكم به الجنة ويجيركم من النار فاجابه يومئذ من كان
في اصلاب الرجال وارحام النسا وكل من وصل اليه صوته من حجر او شجر او مدر او تراب قال مجاهد فما حج انسان ولا يحج
احد حتى تقوم الساعة الا وقد اسمعه ذلك النداء فمن اجاب مرة حج مرة ومن اجاب مرتين او اكثر فيحج مرتين او اكثر بتلك
المقادير عن ابن عباس قال لما امر ابرهيم بالاذان تواضعت له الجبال وخفضت وارتفعت له القرى [illegible] القاضي عبد الجبار
تبعد قولهم انه اجابه الحجر والمدر لانه لا علم لهم فكيف يمكن ان يومن بالحج دون الجهاد فاما ان يسمع اهل الشرق والغرب
نداه فلا يمتنع اذا قواه الله ورفع الموانع ومثل ذلك قد يجوز في زمان الانبيا القول الثاني ان المامور بقوله واذن هو
محمد عليه السلام وهو قول الحسن واختيار اكثر المعتزلة واحتجوا عليه بان ما جا في القرآن وامكن حمله على ان محمدا هو المخاطب
به فهو اولى وتقدم قوله واذ بوانا لابرهيم لو حمل لم يكن قوله واذن يرجع اليه اذ قلنا ان من قوله واذ بوانا الى
واذكر يا محمد اذ بوانا فكم [illegible] تعالى واذن فاليه يرجع الخطاب وعلى هذا القول ذكروا في تفسير قوله واذن وجوها
وجوها احدها ان الله تعالى امر محمدا ان يعلم الناس الحج وثانيها ذلك الحجاج امره الله ان يعلن التلبية فيعلم الناس انه حاج
فيحجوا معه ثالثها في قوله ياتوك [illegible] ان يحج فيقتدى به وانما انه امنا بالرجل من الحج من الله تعالى
للرسول اما قوله ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق المسئلة الاولى الرجال الرجالة واحد كقيام وقايم وقرى
رجالا بضم الرا مخفف الجيم ومثقله ورجالى كعجالى عن ابن عباس [illegible] وعلى كل ضامر اى ركبانا والضمور الهزال ضمر يضمر
ضمورا والمعنى ان الناقة صارت ضامرة لطول سفرها وانما قال ياتين لدلالة جماعة الابل [illegible] وعلى كل ضامر معناه على كل ضامر
فجعل الفعل على معنى كل ولو قال ياتى على اللفظ صح [illegible] صفة للرجال والركبان والفج الطريق بين الجبلين ثم يستعمل في ساير الطرق
اتساعا والعميق البعيد قرا ابن مسعود معيق يقال بير بعيدة العمق والمعيق المسئلة الثانية المعنى واذن ليأتوك
رجالا وعلى كل ضامر اى اذن لياتوك على هاتين الصفتين او لكنه لما اذن فانهم ياتونك على هاتين الصفتين المسئلة
الثالثة بدا الله تعالى بذكر المشاة تشريفا لهم روى سعيد بن جبير باسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال للحاج الراكب
له بكل خطوة تخطوها راحلته سبعون حسنة وللماشي سبعماية حسنة من حسنات الحرم قيل يا رسول الله وما حسنات الحرم
قال كل حسنة بماية الف حسنة المسئلة الرابعة انما قال ياتوك رجالا لانه هو المنادى فمن اتى مكة حاجا فكانه اتى ابرهيم
عليه السلام لانه يجيب نداه اما قوله ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات ففيه مسائل المسئلة الاولى انه تعالى لما امر
بالحج في قوله واذن في الناس بالحج ذكر حكمة ذلك الامر بقوله ليشهدوا منافع لهم واختلفوا فيها فبعضهم حملها على منافع الدنيا وهي ان
يتجروا في ايام الحج وبعضهم حملها على منافع الآخرة وهي العفو والمغفرة وبعضهم حملها على الامرين جميعا وهو اولى
المسئلة الثانية كنى عن الذبح والنحر بذكر اسم الله لان اهل الاسلام لا ينفكون عن ذكر اسم الله اذا نحروا وذبحوا وفيه تنبيه على
ان الغرض الاصلي فيما يتقرب به الى الله ان يذكر اسمه وان يخالف المشركين في ذلك فانهم كانوا يذبحونها للنصب و
الاوثان قال مقاتل اذا ذبحت فقل بسم الله والله اكبر اللهم منك واليك وتستقبل القبلة وقال الكلبي اذا نحر قال ان صلاتي ونسكي ومحياي
ومماتي لله رب العالمين فكان المتقرب بها وباراقة دمايها متقرب بجعوله من [illegible] نفسه بما يعادلها
فكانه يبذل تلك الشاة بدل مهجته طلبا لمرضاة الله واعترافا بان تقصيره كان يستحق مهجته المسئلة الرابعة
اكثر العلما صاروا الى ان الايام المعلومات عشر ذي الحجة والمعدودات ايام التشريق وهذا قول مجاهد وعطا و
وقتادة والحسن ورواية سعيد بن جبير عن ابن عباس واختيار الشافعي وابي حنيفة واحتجوا بانها معلومة عند
الناس لحرصهم على علمها من اجل ان وقت الحج في اخرها ثم للمنافع اوقات في العشر معروفة كيوم عرفة والمشعر الحرام
وكذلك الذبائح ووقتها وهو يوم النحر وقال ابن عباس في رواية عطا انها يوم النحر وثلثة ايام بعده وهو اختيار ابي مسلم
فقال انها كانت معروفة عند العرب بعدها وهي [illegible] ابو يوسف ومحمد [illegible] الانعام وقال صاحب الكشاف

البهيمه

البهيمة مبهمة في كل ذات اربع في البر والبحر فبينت بالانعام وهي الابل والبقر والضأن والمعز اما قوله فكلوا منها
فمن الناس من قال انه امر وجوب لان اهل الجاهلية ما كانوا ياكلون منها ترفعا على الفقرا فامر المسلمون بذلك لما فيه
من مخالفة الكفار ومساواة الفقرا واستعمال التواضع وقال الاكثرون انه ليس على الوجوب ثم قال العلما من اهدى او ضحى
فحسن ان ياكل النصف ويتصدق بالنصف لقوله فكلوا منها واطعموا البايس الفقير ومنهم من قال ياكل الثلث ويدخر الثلث و
يتصدق بالثلث ومذهب الشافعي ان الاكل مستحب والاطعام واجب فان اطعم جميعها اجزاه وان اكل جميعها لم يجزه هذا
فيما كان تطوعا فاما الواجبات كالنذور والكفارات والجبرانات للنقصان مثل دم القران ودم التمتع ودم الاسا و
دما الحلق والقلم فلا ياكل منها اما قوله واطعموا البايس الفقير الذي اضعفه الاعسار وهو ماخوذ من [illegible]
قال ابن عباس البايس الذي ظهر بوسه في ثيابه وفي وجهه والفقير الذي لا يكون كذلك فتكون ثيابه نقية ووجهه وجه غني
اما قوله ثم ليقضوا تفثهم قال الزجاج ان اهل اللغة لا يعرفون التفث الا من التفسير وقال المبرد اصل التفث في كلام العرب
كل قاذورة تلحق الانسان فيجب عليه نقضها والمراد هاهنا قص الشارب والاظفار ونتف الابط والعانة والمراد من القضا
ازالة التفث وقال القفال قال نفطويه سالت اعرابيا فصيحا ما معنى قوله ثم ليقضوا تفثهم فقال ما افسر القران ولكنا
نقول للرجل ما تفثك وما ادرنك ثم قال القفال وهذا اولى من قول الزجاج لان القول قول المثبت [illegible] اما
قوله وليوفوا نذورهم فمعناه [illegible] الوجه [illegible] من انواع المناسك [illegible] المراد [illegible] رجوع
بالنذر الذي هو القول وهو انه اذا نذر حجا او عمرة [illegible] وغيره [illegible] لم يمكن الحج
[illegible] امر الله بالوفا بذلك اما قوله وليطوفوا فالمراد طواف الواجب وهو طواف الافاضة والزيارة وانما يكون ذلك
بعد الوقوف ورمي الجمار والحلق [illegible] النحر [illegible] وسمى البيت العتيق لوجوه احدها العتيق القديم لانه اول بيت وضع للناس
عن الحسن وثانيها لانه اعتق من الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله وهو قول ابن عباس وابن الزبير ولما قصده
ابرهة فعل به ما فعل فان قيل فقد تسلط الحجاج عليه قلنا ما قصد التسليط على البيت وانما تحصن به عبد الله بن الزبير فاحتال
لاخراجه ثم بناه وثالثها لانه لم يملك قط عن ابن عيينة ورابعها اعتق من الغرق عن مجاهد وخامسها [illegible]
عتاق الطير والخيل واعلم ان اللام في ليقضوا وليوفوا وليطوفوا لام الامر وفي قراءة ابن كثير ونافع [illegible] والاكثرين بكسرها
اللامات وفي قراءة ابي عمرو وتحريكها بالكسر **قوله تعالى** ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه
واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور حنفا لله غير مشركين به ومن يشرك
بالله فكانما خر من السما فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب
قال صاحب الكشاف ذلك خبر مبتدا محذوف اى الامر والشان ذلك كما يقدم الكاتب جملة من كلامه في بعض المعاني فاذا
اراد الخوض في معنى اخر قال هذا وقد كان كذا والحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله تعالى بهذه الصفة من مناسك الحج
وغيرها فيحتمل ان يكون عاما في جميع تكاليفه ويحتمل ان يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وعن زيد بن اسلم الحرمات خمس الكعبة
الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمشعر الحرام وقال المتكلمون ولا تدخل النوافل في حرمات الله فهو خير له عند
ربه اى فالتعظيم خير له ومعنى التعظيم العلم بانه يجب القيام بمراعاتها وحفظها وقوله عند ربه يدل على الثواب المدخر لانه
لا يقال عند ربه فيما قد حصل من الخيرات قال الاصم فهو خير له من التهاون بذلك ثم انه تعالى عاد الى بيان احكام الحج فقال واحلت لكم
الانعام فقد كان يجوز ان يظن ان الاحرام اذا حرم الصيد وغيره فالانعام ايضا تحرم فبين ان الاحرام لا يوثر فيها ثم استثنى
منه ما يتلى في كتاب الله من المحرمات من النعم في سورة المايدة وهو قوله غير محلي الصيد وانتم حرم وقوله حرمت عليكم
الميتة [illegible] ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ثم انه لما حث على تعظيم حرماته اتبعه بالامر باجتناب الاوثان وقول الزور
لان توحيد الله وصدق القول اعظم الحرمات وانما جمع الشرك وقول الزور في سلك واحد لان الشرك من باب الزور لان
المشرك زاعم ان الوثن يحق له العبادة فكانه قال فاجتنبوا عبادة الاوثان التي هي راس الزور واجتنبوا قول الزور كله
ولا تقربوا شيئا منه لتماديه في القبح والسماجة وما ظنك بشي من قبيله عبادة الاوثان وسمى الاوثان رجسا للنجاسة لكن

لان وجوب تجنبها الزم من وجوب تجنب الرجس ولان عبادتها اعظم من التلوث بالنجاسات فلذلك اهتم انما وصفها بذلك
لاستعادتهم في القربات لن يتنزهوا عن سقوط الدماء عليها وهذا بعيد وقيل وصفها بذلك استحقارا واستخفافا وهذا انسب
وقوله من الاوثان بيان للرجس وهو بمنزلة قولك عندي عشرون من الدراهم لان الرجس لما كان مبهما بين بما هو المراد كانه
فكانه قيل فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان لان بعضها ليس كذلك والزور من الزور وهو الانحراف كما ان الافك
من افكه اذا صرفه والمفسرون ذكروا في قول الزور هذا ضلالات وهي قولهم هذا حلال وهذا حرام وما اشبه ذلك من افترائهم وثانيها شهادة الزور
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه صلى الصبح فلما سلم قام قائما واستقبل الناس بوجهه وقال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله
وتلا هذه الاية وثالثها الكذب والبهتان ورابعها قول اهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك
تملكه وما ملك اما قوله حنفاء لله فقد تقدم ذكره وذلك انه الاستقامة على طريقة ... والميل الى الحق عن
البعض والمراد في هذا الموضع ما قيل انه الاخلاص فكانه قال تمسكوا بهذه الامور التي امرت وتثبتوا على وجه العبادة
لله وحده لا على وجه اشراك غير الله به فلذلك قال غير مشركين به وهذا يدل على ان الواجب على المكلف ان ينوي بما ياتيه
العبادة والاخلاص فبين الله مثلين للكفر لا مزيد عليهما في باب ان الكافر صار لنفسه عند ما يغلب لها ... ومن يشرك بالله
فكانما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق قال صاحب الكشاف ان كان هذا تشبيها مركبا فكانه قيل
من اشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس وراءه هلاك بان صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير
فتفرق اجزاءه في حواصلها او عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة وان كان تشبيها مفرقا فقد شبه الايمان
في علوه بالسماء والذي ترك الايمان واشرك بالله كالساقط من السماء والاهواء التي تتوزع افكاره بالطير المختطفة والشيطان
الذي يطوح به في وادي الضلال بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة وقرئ فتخطفه بكسر الخاء والطاء وبكسر
التاء مع كسرهما وهي قراءة الحسن واصلها تختطفه وقرئ الرياح ثم انه سبحانه اكد ما تقدم فقال ذلك ومن يعظم شعائر الله
واختلفوا فقال بعضهم يدخل فيه كل عبادة وقال بعضهم بل المناسك في الحج وقال بعضهم بل المراد الهدايا خاصة والاصل في
الشعائر الاعلام التي بها يعرف الشيء فالشعائر هي الهدايا وتعظيمها على وجهين احدهما ان يختارها عظام الاجرام
حسانا سمانا غالية الاثمان ويترك المكاس في شرائها فقد كانوا يغالون في ثلاث ويكرهون المكاس فيهن الاضحية
والهدي والرقبة روي عن ابن عمر عن ابيه رضي الله عنهما انه اهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار فسال رسول الله
ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك فقال بل اهدها واهدى رسول الله مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه
برة من ذهب والوجه الثاني في تعظيم شعائر الله ان يعتقد ان طاعة الله في التقرب بها وانه يهديها الى بيته المعظم
امر عظيم لا بد ان يهتم به ويسارع فيه فانها من تقوى القلوب اي ان تعظيمها من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت
هذه المضافات ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها لانه لا بد من راجع من الجزاء الى من ليرتبط به وانما ذكرت القلوب لان
المنافق قد يظهر التقوى من نفسه ولكن لما كان قلبه خاليا عنها لا جرم لا يكون مجدا في اداء الطاعات اما المخلص الذي يكون
التقوى متمكنة من قلبه فانه يبالغ في اداء الطاعات على سبيل الاخلاص فان قيل ما الحكمة في ان الله تعالى بالغ في تعظيم ذبح
الحيوانات هذه المبالغة الجواب

قوله تعالى لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها
الى البيت العتيق ولكل امة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام فالهكم اله واحد فله اسلموا وبشر المخبتين
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما اصابهم والمقيمي الصلوة ومما رزقناهم ينفقون اعلم ان قوله لكم فيها منافع
الى اجل ... ان يحمل الشعائر على الهدي ... منافع الركوب ... ومن حمل ذلك على سائر الواجبات تقول لكم فيها
اي في التمسك بها منافع الى اجل ينقطع التكليف عنده والقول الاول هو قول جمهور المفسرين ولا شك انه اقرب وعلى هذا القول
فالمنافع مفسرة بالدر والنسل والاوبار والركوب ... ثم فيها قولان ... الى اجل مسمى يعني ... لكم ان تنتفعوا باهلها
سميتها هديا بان تركبوها اذا احتجتم اليها وتشربوا البانها ان اضطررتم اليها الى اجل مسمى يعني الى ان تنحروها وهذه هي
الرواية الثانية عن ابن عباس واختيار الشافعي وهذا القول اولى لانه تعالى قال لكم فيها اي في الشعائر ولا تسمى شعائر قبل ان تسمى

هديا

هديا وروى ابو هريرة انه عليه السلام مر برجل يسوق بدنة وهو في جهد فقال عليه السلام اركبها فقال يا رسول الله انها هدي فقال
اركبها ويلك وعن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اركبوا الهدي بالمعروف حتى تجدوا ظهرا واحتج ابو حنيفة على انه
لا يملك منافعها بانه لا يجوز له ان يؤاجرها للركوب فلو كان مالكا لمنافعها لملك عقد الاجارة عليها كمنافع سائر المملوكات وهذا
ضعيف لان ام الولد لا يمكنه بيعها ويمكنه الاستمتاع بها فكذا ههنا اما قوله ثم محلها الى البيت العتيق فالمعنى ان لكم في الهدايا منافع
كثيرة في دنياكم واعظم هذه المنافع محلها الى البيت العتيق اي وجوب نحرها او وقت وجوب نحرها منتهية الى البيت كقوله
هديا بالغ الكعبة وبالجملة نقول محلها يعني حيث يحل نحرها واما البيت العتيق فالمراد الحرم كله ودليله قوله تعالى فلا يقربوا
المسجد الحرام بعد عامهم هذا اي الحرم كله فالمنحر على هذا القول مكة ولكنها نزهت عن الدماء الى منى ومنى من مكة قال عليه
السلام كل فجاج مكة منحر وكل فجاج منى منحر وقال القفال هذا انما يختص بالهدايا التي بلغت منى فاما الهدي المتطوع به اذا عطب قبل
بلوغ مكة فان محله موضعه اما قوله تعالى ولكل امة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله عليه فالمعنى شرعنا لكل امة من الامم السالفة
من عهد ابرهيم عليه السلام ان ... من انواع القربان ... على اهل القبلة في ذلك ان تذكروا اسمه تقدست اسماؤه على
النسائك وما كانت العرب تذبحه للصنم يسمى العتر والعتيرة كالذبح والذبيحة قرأ اهل الكوفة الا عاصما منسكا بكسر السين
وقرأ الباقون بالفتح وهو مصدر بمعنى النسك والمكسور بمعنى الموضع اما قوله فالهكم اله واحد ففيه ... وجهان
احدها ان الاله واحد وانما اختلفت التكاليف باختلاف الازمنة والاشخاص لاختلاف المصالح الثاني فالهكم اله واحد لا تذكروا
على ذبائحكم غير اسمه فله اسلموا اي اخلصوا له الذكر خاصة بحيث لا يشوبه اشراك البتة والمراد الانقياد لله في جميع تكاليفه
ومن انقاد لله كان مخبتا فلذلك قال بعده وبشر المخبتين والمخبتين المتواضعين الخاشعين قال ابو مسلم حقيقة المخبت من صار في خبت
من الارض يقال اخبت الرجل اذا صار في الخبت كما يقال انجد واتهم واشام والخبت هو المطمئن من الارض ... عبارات
احدها المخبتين الذين لا يظلمون عن ابن عباس وقتادة وثانيها المجتهدين في العبادة عن الكلبي وثالثها المخلصين عن مقاتل
ورابعها المطمئنين الى ذكر الله والصالحين عن مجاهد وخامسها الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا عن عمرو بن اوس ثم
وصفهم فقال الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فتظهر عليهم الخوف من عقاب الله والخشوع والتواضع ثم لذلك الوجل اثاران
احدهما الصبر على المكاره وذلك هو المراد بقوله والصابرين على ما اصابهم وعني ما يكون من قبل الله تعالى لانه الذي يجب الصبر
عليه كالامراض والمحن والمصائب فاما ما يصيبهم من قبل الظلمة فالصبر عليه غير واجب بل لو امكنه دفع ذلك لزمه الدفع ولو
بالمقاتلة والثاني الاشتغال بالخدمة واعز الاشياء عند الانسان نفسه وماله اما الخدمة بالنفس فهي الصلوة وهي المراد من قوله
والمقيمي الصلوة واما المال فهو المراد من قوله ومما رزقناهم ينفقون قرأ الحسن والمقيمي الصلوة بالنصب على تقدير النون وقرأ
ابن مسعود والمقيمين الصلوة على الاصل **قوله تعالى** والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير
فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون لن ينال الله لحومها
ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين اعلم انه تعالى ... المسئلة الاولى
... البدن جمع بدنة ... سميت بذلك ... لعظم ... وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
... البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة ... فهذا تختص بالابل فانها تنحر
... البدن الا ... البدنة التي تتقرب بها الى الله في الحج والعمرة لانه انما سميت بذلك لعظم البدن ...
... الشاة فلا يدخل وان كانت تجزئ في النسك لانها صغيرة الجسم ... المسئلة الثانية قرأ الحسن والبدن
بالضم ... كثمرة وثمر ... ابن ابي اسحق ... على لفظ الوقف وقرئ بالرفع والنصب كقوله والقمر قدرناه المسئلة
الثالثة اذا ... البدنة ... هل يجوز له نحرها في غير مكة قال ابو حنيفة ومحمد يجوز وقال ابو يوسف لا يجوز الا بمكة واتفقوا فيمن
نذر ان ... ذبحه بمكة ... جزورا انه ينحره حيث شاء وقال ابو حنيفة البدنة بمنزلة الجزور فوجب ان يجوز له
نحرها حيث شاء ... الهدي فانه تعالى قال هديا بالغ الكعبة فجعل بلوغ الكعبة من صفة الهدي واحتج ابو يوسف بقوله والبدن جعلناها
لكم من شعائر الله فلما كان اسم البدنة يفيد كونها قربة كان كاسم الهدي اجاب ابو حنيفة بانه ليس كل ما كان ذبحه قربة يختص بالحرم

فان الاضحية قربة ومن جاز في ساير الاماكن اما قوله جعلناها لكم فاعلم انه سبحانه لما خلق الانعام فانما
بان يمسك منها في الحج جاز ان يقول جعلناها لكم من شعاير الله اما قوله لكم فيها خير فالكلام فيه ما تقدم في قوله
ولكم فيها منافع واذا كان قوله لكم فيها خير كالترغيب فالاولى انه يراد به الثواب في الاخرة وما خلق العاقل
بالحرص على شي شبهه تعالى بان يخبر بان فيه منافع اما قوله فاذكروا اسم الله عليها ففيه حذف اي اذكروا
اسم الله على نحرها قال ابن عباس ان يقال عند النحر بسم الله والله اكبر ولا اله الا الله والله اكبر اللهم منك و
اليك اما قوله صواف فالمعنى قايمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفون الفرس وهو
ان يقوم على ثلاث وينصب الرابعة على طرف سنبكه لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلاث وقرئ صوافي اي خوالص
لوجه الله لا تشركوا بالله في التسمية على نحرها احدا كما كان يفعله المشركون وعن عمرو بن عبيد صوافنا بالتنوين عوضا من
حرف الاطلاق عند الوقف وعن بعضهم صواف نحو مثل العرب اعط القوس باريها ولا يبعد ان يكون الحكمة في اصطفافها
ظهور كثرتها للناظرين فتقوى به نفوس المحتاجين ويكون التقرب بنحرها عند ذلك اعظم اجرا واقرب ظهور
التكبير واعلاء اسم الله وشعاير دينه اما قوله فاذا وجبت جنوبها فاعلم ان وجوب الجنوب وقوعها على الارض
من وجب الحايط وجبة اذا سقط ووجبت الشمس وجبة غربت والمعنى اذا سقطت على الارض وذلك عند
خروج الروح منها فكلوا منها وقد ذكرنا اختلاف العلما فيما يجوز اكله منها واما القانع والمعتر فالقانع السايل
يقال قنع اليه قنوعا اذا سال قال ابو عبيد هو الرجل يكون مع القوم يطلب فضلهم ويسال معروفهم وهو قول
الثاني والمعنى الثاني القانع هو الذي لا يسال من القناعة يقال قنع يقنع قناعة اذا رضي بما قسم له وترك السوال
اما المعتر فقيل انه المتعرض بغير سوال وقيل انه المعترض بالسوال قال الازهري قال اهل اللغة المعتر
الذي يطيف بك يطلب ما عندك سالك او سكت عن السوال وقال ابن الاعرابي يقال عروت فلانا واعتريته
وعررته واعتررته اذا اتيته تطلب معروفه وعن ابو عبيدة وقيل ان القانع هو الراضي بما يدفع اليه
من غير سوال والحاح والمعتر هو الذي يعترض ويطلب ويعتريهم حالا بعد حال فيسال ما يدل على انه يمنع
ما يدفع اليه اتماما وقرا الحسن والمعتري وقرا ابو رجا القنع وهو الراضي لا غير يقال قنع فهو قنع وقانع اما
قوله كذلك سخرناها لكم فالمعنى انها اجسم واعظم واقوى من السباع وغيرها مما يمتنع علينا التمكن منه فالله تعالى
جعل الابل والبقر على الصفة التي يمكننا تصريفها على ما نريد وذلك نعمة عظيمة من الله تعالى في الدين والدنيا
ثم لما بين تعالى هذه النعمة قال بعده لعلكم تشكرون والمراد لكي تشكروا فالمعتزلة هنا استدلوا على انه سبحانه
اراد من جميعهم ان يشكروا واستدلوا على انه يريد كل الطاعة ممن اطاع وعصى لا كما يقوله اهل السنة
من انه تعالى لم يرد ذلك الا من المعلوم انه يطيع والكلام عليه تقدم غير مرة اما قوله لن ينال الله لحومها
ولا دماوها ففيه مسايل المسالة الاولى لما كان يفعله اهل الجاهلية على ما روي في التفسير انهم كانوا
يلوثون بدمايها ولحومها الوثن وحيطان الكعبة فبين تعالى ان المقصود من النحر ما ليس بنال لن ينال الله
لحومها ولا دماوها ولكن يناله التقوى منكم فبين ان الذي يصل اليه تعالى ويرتفع اليه من عمل المهدي نحره
في نحرها وما شاكله من فرايضه دون نفس اللحم والدم ومعلوم ان شيا من الاشيا لا يوصف بانه يناله سبحانه
فالمراد وصول ذلك اليه حيث يكتب كقوله اليه يصعد الكلم الطيب المسالة الثانية قالت المعتزلة دلت الاية
على ان الذي يستحق به المرء فعله دون الجسم الذي ينحره ودلت ايضا انه سبحانه غني عن كل ذلك
وانما المراد ان يجتهد العبد في امتثال امره ودلت ايضا انه لما لم ينتفع باجسام النعم واللحوم والدما
واستحق ثوابه وجب ان يكون بفعله ثوابه وان كان يفعله فيه بمنزلة اللحوم ودلت ايضا انه لما شرط القبول
بالتقوى وصاحب الكبيرة غير متق فوجب ان لا يكون عمله مقبولا وانه لا ثواب له والجواب
اما الاولان فحقان واما الثالث فمعارض بالداعي والعلم واما الرابع فصاحب الكبيرة وان لم يكن

متقيا

متقيا مطلقا ولكنه متق فيما اتى به من الطاعة على سبيل الاخلاص فوجب ان يكون طاعته مقبولة وعند
تتقبل الاية حجة عليهم المسالة الرابعة كلهم قرؤوا لن ينال الله ولكن يناله بالياء الا يعقوب فانه قرا بالتاء في الحرفين وهذا
من انث فيعود ذلك الى اللفظ ومن ذكر فللحايل بين الاسم والفعل اما قوله كذلك سخرها لكم فالمراد انه انما سخرها
لكم لتكبروا الله وهو التعظيم بما نفعله عند النحر قبله وبعده على ما هدانا ودلنا عليه وبينه لنا ثم قال بعده
على دوام الوعيد لمن امتثل امره وبشر المحسنين كما قال من قبل وبشر المخبتين والمحسن هو الذي يفعل الحسن من الاعمال
ويتمسك به فيصير محسنا الى نفسه بتوفر الثواب عليه **قوله تعالى** ان الله يدافع عن الذين
امنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين اخرجوا
من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات
ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز الذين ان مكناهم في الارض
اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور اعلم انه تعالى
لما بين ما يلزم في الحج ومناسكه وما فيه من منافع الدنيا والاخرة وقد ذكر من قبل ان الكفار صدوهم اتبع ذلك
بما يزيل الصد ويومن منه ويمكن من الحج فقال ان الله يدافع عن الذين امنوا وفيه مسايل المسالة الاولى قرا ابو جعفر
وشيبة ونافع بالالف ومثله ولولا دفاع الله الناس وقرا ابن كثير وابو عمرو بغير الف فيهما وقرا ابن كثير
وابو عمرو بغير الف فيهما وقرا حمزة والكسائي وعاصم ان الله يدافع بالالف ولولا دفع بغير الف فمن قرا يدافع فمعناه
يبالغ في الدفع عنهم وفي كتاب الخليل دفع الله المكروه عنك دفعا ودافع عنك دفاعا والدفاع احسنهما المسالة
الثانية ذكر ان الله يدافع عن الذين امنوا ولم يذكر ما يدفعه حتى يكون افخم واعظم واعم وان كان في الحقيقة انه يدافع
باس المشركين فلذلك قال بعده ان الله لا يحب كل خوان كفور فنبه بذلك على انه يدفع عن المومنين كيد من هذا
صفته المسالة الثالثة قال مقاتل ان الله يدفع كفار مكة عن الذين امنوا بمكة هذا حين امر المومنين بالكف عن كفار
مكة قبل الهجرة حين اذوهم فاستاذنوا النبي عليه السلم في قتلهم سرا فنهاهم المسالة الرابعة هذه الاية
بشارة للمومنين باعلايهم على الكفار وكف بوايقهم عنهم ونظيره قوله لن يضروكم الا اذى وقوله انا لننصر رسلنا
والذين امنوا وقال انهم لهم المنصورون وقوله واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب اما قوله لا يحب كل خوان كفور فالمعنى
انه سبحانه جعل العلة في انه يدافع عن الذين امنوا ان الله لا يحب من يعاديهم من الخوان الكفور وهو الخوان في امانة الله
الكفور لنعمته ونظيره قوله لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم قال مقاتل اقروا بالصانع وعبدوا غيره فاي
خيانة اعظم من هذا اما قوله تعالى اذن للذين يقاتلون ففيه مسايل المسالة الاولى قرا اهل المدينة والبصرة وعاصم في رواية حفص
اذن بضم الالف والباقون بفتحها اي اذن الله لهم في القتال وقرا اهل المدينة وعاصم يقاتلون بفتح التاء وقرا ابن
كثير وحمزة والكسائي اذن بفتح الالف يقاتلون بكسر التاء قال الفراء والزجاج يعني اذن الله للذين يحرصون على
قتال المشركين في المستقبل ومن قرا بفتح التاء فالتقدير اذن للذين يقاتلون في القتال المسالة الثانية في الاية محذوف
والتقدير اذن للذين يقاتلون في القتال فحذف الماذون فيه لدلالة يقاتلون عليه اما قوله بانهم ظلموا فالمراد
انهم اذنوا في القتال بسبب كونهم مظلومين وهم اصحاب رسول الله كان مشركو مكة يوذونهم اذى شديدا وكانوا
ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال
حتى هاجر فانزل الله هذه الاية وهي اول اية اذن فيها بالقتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين اية وقيل نزلت
في قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركو مكة فاذن في مقاتلتهم اما قوله وان الله على نصرهم لقدير فذلك وعد
منه تعالى بنصرهم كما يقول المرء لغيره ان اطعتني فانا قادر على مجازاتك لا يعني بذلك القدرة بل يريد انه سيفعل
ذلك اما قوله الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق فاعلم انه تعالى لما بين انهم انما اذنوا في القتال لاجل انهم ظلموا فسر
ذلك الظلم بقوله الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله فبين تعالى ظلمهم لهم بهذين الوجهين احدهما

انهم اخرجوهم بسبب انهم قالوا ربنا الله وكل واحد من الوجهين عظيم فى الظلم فان قيل كيف استثنى من غير الحق قولهم
ربنا الله وهو من الحق قلنا معنى الكلام انهم اخرجوا بغير موجب سوى التوحيد الذى ينبغى ان يكون موجب الاقرار والتمكين
لا موجب الاخراج والتسيير ومثله هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله ثم بين سبحانه بقوله ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض لهدمت ان عادته جل جلاله انه يحفظ دينه بهذا الامر قرأ نافع لهدمت بالتخفيف وقرأ الباقون
بالتشديد وههنا سؤالات السؤال الاول ما المراد بهذا الدفاع الذى اضافه الى نفسه الجواب هو انه هل
تعالى للكفار وحكايته تعالى ذلك ولولا دفاع الله اهل الشرك بالمؤمنين من حيث اذن لهم فى جهادهم ونصرهم على
دينهم لاستولى اهل الشرك على اهل الاديان وعطلوا ما يبنونه من مواضع العبادة ولكنه دفع عن هؤلاء بان امر
باهل الشرك على اهل الاديان ... الصوامع والبيع والصلوات
لهذا التدبير ليتفرغ اهل الدين للعبادة وبنا البيوت لها ولهذا المعنى ذكر الصوامع والبيع والصلوات
وان كان يعمل اهل الاسلام وذكر المفسرون وجوها اخر احدها قال الكلبى يدفع بالنبيين عن المؤمنين وبالمجاهدين
عن القاعدين عن الجهاد وثانيها روى ابو الجوزاء عن ابن عباس قال يدفع الله بالمحسن عن المسى وبالذى يصلى عن الذى
لا يصلى وبالذى يتصدق عن الذى لا يتصدق وبالذى يحج عن الذى لا يحج وعن ابن عمر عن النبى عليه السلام ان الله يدفع بالمسلم
الصالح عن مائة من اهل بيته ومن جيرانه ثم تلا هذه الاية وثالثها قال الضحاك عن ابن عباس يدفع بدينه الاسلام
وباهله عن اهل الذمة ورابعها قال مجاهد يدفع عن الحقوق بالشهود وعن النفوس بالقصاص السؤال الثانى
لم اجمع الله بين مواضع عبادات اليهود والنصارى وبين مواضع عبادة المسلمين الجواب لا اختلاف فيه عنه
اختلفوا فى ذلك لان العلماء اختلفوا فى المواضع اجمع مواضع المؤمنين ... فيها وفى
الحسن المراد بهذه المواضع اجمع مواضع المؤمنين وانه يدفع عنهم بان يعلى كلمته ... تلك الدفع لهدم فى زمن
نوح لهدمت ... قال الزجاج ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت فى شرع كل نبى المكان الذى يصلى فيه
موسى الكنائس التى كانوا يصلون فيها فى شرعه وفى زمن عيسى الصوامع وفى زمن نبينا المساجد فعلى هذا انما دفع عنهم
حين كانوا على الحق قبل التحريف وقبل النسخ وثانيها المراد لهدمت هذه الصوامع فى ايام الرسول لانها على كل حال
يجرى فيها ذكر الله تعالى فليست بمنزلة عبادة الاوثان السؤال الثالث ما الصوامع والبيع والصلوات والمساجد
الجواب ذكروا وجوها احدها الصوامع للنصارى والبيع لليهود والصلوات للصابئين والمساجد للمسلمين عن ابى
العالية وثانيها الصوامع للنصارى وهى التى بنوها فى الصحارى والبيع لهم ايضا وهى التى يبنونها فى البلد والصلوات
لليهود قال الزجاج وهى بالعبرانية صلوثا وثالثها الصوامع للصابئين والبيع للنصارى والصلوات لليهود عن
قتادة ورابعها انها باسرها اسماء المساجد عن الحسن اما الصوامع فلان المسلمين قد يتخذون الصوامع واما البيع فاطلق
هذا الاسم على المساجد على سبيل التشبيه واما الصلوات فالمعنى انه لولا ذلك الدفع لانقطع الصلوات ولخربت
المساجد السؤال الرابع فى الصلوات كيف تهدم حتى حملها على تاويل من قال على صلوات المسلمين الجواب
من وجوه احدها المراد بهدم الصلوات ابطالها واهلاك من يفعلها كقولهم هدم فلان احسان فلان اذا قابله
بالكفر دون الشكر وثانيها المراد مكان الصلوات لانه الذى يصح هدمه كقوله واسأل القرية اى اهلها وثالثها
لما كان الاغلب فيما ذكر ما يصح ان يهدم جاز ضم ما لا يصح اليه كقولهم متقلدا سيفا ورمحا وان كان الرمح لا يتقلد
السؤال الخامس قوله يذكر فيها اسم الله كثيرا مختص بالمساجد او عائد الى الكل الجواب قال الكلبى ومقاتل
عائد الى الكل لان الله يذكر فى هذه المواضع كثيرا والاقرب انه مختص بالمساجد تشريفا لها بان ذكر الله يحصل
فيها كثيرا السؤال السادس لم قدم الصوامع والبيع فى الذكر على المساجد الجواب لانها اقدم فى الوجود
وقيل اخرها فى الذكر كما فى قوله فمنهم سابق بالخيرات ولان اول الفكر اخر العمل فلما كانت رسولنا وامتنا
خير الرسل والامم لا جرم كانوا اخرهم ولذلك قال عليه السلام نحن الاخرون السابقون اما قوله ولينصرن الله
من ينصره ففيه وعد لهم من ينصره بتلقى الجهاد بالقبول بالنصرة لان الله تعالى ذكر ذلك وقال المراد من ينصر
ساير دينه وانما قال ذلك لان نصرة الله تعالى على الحقيقة لا تصح وانما المراد من ينصر الله بنصرة دينه

كما قال

كما قال ان تنصروا الله ينصركم اما ذلك فى قوله تعالى ولينصرن الله من ينصره حاله ونصر الله تعالى للعبد
ان يقويه على اعدائه حتى يكون هو الظافر ويكون قائما بايضاح الادلة والبينات ويكون الاعانة على المعارف والطاعات
وفيه ترغيب فى الجهاد من حيث وعدهم النصر ثم بين سبحانه انه قوى على هذه النصرة التى وعدها المؤمنين فانه لا يجوز عليه المنع
ويجوز بقوله عزيز لان العزيز هو الذى لا يضام ولا يمنع مما يريده ثم انه سبحانه وصف الذين اذن لهم فى القتال فى الاية
الاولى فقال الذين ان مكناهم فى الارض والمراد من هذا التمكين السلطنة ونفاذ القول على الخلق لان المتبادر الى الفهم من قوله
مكناه فى الارض ليس الا هذا ولانا لو حملناه على اصل القدرة لكان كل العباد كذلك وحينئذ يبطل ترتيب الامور الاربعة
عليه المذكورة فى معرض الجزاء لانه ليس كل من كان قادرا على الفعل تحصل منه هذه الاشياء اذا ثبت هذا فنقول المراد بذلك هم المهاجرون
لان قوله الذين ان مكناهم فى الارض صفة لمن تقدم وهو قوله الذين اخرجوا من ديارهم والانصار ما اخرجوا من ديارهم
فيصير معنى الاية ان الله تعالى وصف المهاجرين بانه ان مكنهم فى الارض واعطاهم السلطنة فانهم اتوا بالامور
الاربعة وهى اقام الصلوة واتاء الزكوة والامر بالمعروف والنهى عن المنكر لكن قد ثبت ان الله تعالى مكن الائمة الاربعة
من الارض واعطاهم السلطنة عليها فوجب كونهم آتين بهذه الامور الاربعة واذا كانوا آمرين بكل معروف وناهين
عن كل منكر وجب ان يكونوا على الحق فمن هذا الوجه دلت هذه الاية على امامة الاربعة ولا يجوز حمل الاية على على رضى الله
عنه وحده لان الاية دالة على الجمع وفى قوله ولله عاقبة الامور دلالة على ان الامر يستقر لمن ذكر من سلطنتهم وملكهم
كاين ما كان ثم ان الامور ترجع الى الله بالعاقبة فانه سبحانه هو الذى لا يزول ملكه ابدا وهذا انما يدل على ما قلناه وهو مؤكد

قوله تعالى

وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم وقوم لوط واصحاب
مدين وكذب موسى فامليت للكافرين ثم اخذتهم فكيف كان نكير فكاين من قرية اهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية
على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد افلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او اذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار
ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور اعلم ان الله تعالى لما بين فيما تقدم اخراج الكفار المؤمنين من ديارهم بغير حق واذن
فى مقاتلتهم وضمن للرسول النصرة وبين ان لله عاقبة الامور اردفه بما يجرى مجرى التسلية للرسول فى الصبر على ما هم عليه
من اذيته واذية المؤمنين بالتكذيب وغيره فقال وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم سائر الامم انبياءهم وذكر الله تعالى
سبعة منهم فان قيل فلم قال وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى فالجواب من وجهين الاول ان موسى ما كذبه قومه
بنو اسرائيل وانما كذبه غير قومه وهم القبط الثانى كانه قيل بعدما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى ايضا مع وضوح
اياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره اما قوله فامليت للكافرين يعنى امهلتهم الى الوقت المعلوم عندى ثم اخذتهم
بالعقوبة فكيف كان نكيرى استفهام تقرير اى فكيف كان انكارى عليهم بالعذاب اليس كان واقعا قطعا ام ابدلتهم
بالنعمة نقمة وبالكثرة قلة وبالحيوة موتا وبالعمارة خرابا اليس اعطيت الانبياء جميع ما وعدتهم من النصرة على
اعدائهم والتمكين لهم فى الارض فينبغى ان يكون عادتك يا محمد الصبر عليهم فانه تعالى انما يمهل لمصلحة فلا بد من الرضا
والتسليم وان شق ذلك على القلب واعلم ان هذا وان كان يحصل التسلية لمن حاله دون حال الرسول فكيف لك
مع منزلتك لكنه فى عظيم دينك بعثك اليهم فحين انهم ما يريده فيما اجرى الله تعالى عادته بان يصبره حالا بعد حال وقد تقدم
ذكر هؤلاء المكذبين ثم بين عذاب الاستئصال فهلكوا وههنا بحث وهو ان هذه الاية تدل على انه سبحانه نقل
ونبه كل ما فعل بهم ويتبعهم ان عذاب الاستئصال فانه لا يفعله بقوم محمد وان كان قد مكنهم من قتل اعدائهم
وسبيهم بالحرب التى بسببها عذاب الاستئصال عن هذه الامة ان ذلك العذاب مشروط بامرين احدهما ان عند
الله حدا من الكفر من بلغه عذبه ومن لم يبلغه لا يعذبه والثانى ان الله لا يعذب قوما حتى يعلم انه لا يؤمن منهم احد
فاما اذا اهلك الحرمان ولم يبلغوا ذلك الحد من الكفر وعلم الله ان فيهم من يؤمن فانه لا يعذبهم
مندرجين على ان الحرب الله وعاهم بعدهم عذاب الاستئصال ... حتى اذا استيأس الرسل
اى من اجابة القوم ومن لنوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن واذا اعتقهم الله فانه ينجى المؤمنين كقوله

ان الكلام في هذه المسألة قد تقدم فلا فائدة في اعادته فان قيل كيف يوصف
فلما جاء امرنا اى العذاب نجينا هودا واعلم ... بهما قاله من قتل ... الكفار بكثرة امثالها
لا منزله بالكفار من الهلاك العاجل ثم نكبة لنا اذا كانت ... وكانت دكم ... الكثير وقيل
قوله وكاين من قرية اهلكناها منه ... ان المسلمة الاولى ما بعضهم المراد من قوله وكانت ... من المكذبين وانه عجل
انما معناه ورب قرية ... في الزجر وكانه تعالى لما بين حال قوم من المكذبين ... واهل الكوفة والمدينة
اهلكناهم اتبعه بما دل به على ان ذلك مثال وانه ... المسألة الثانية قرا ابن كثير واهل الكوفة والمدينة
اهلكناها بالنون وقرا ابو عمرو ويعقوب اهلكتها ... واختار ابو عبيد لقوله في الاية الاولى فامليت
للكافرين ثم اخذتهم المسألة الثالثة قوله اهلكناها اى اهلها وقوله وهي ظالمة على ما ذكرنا يحتمل ان يكون
المراد اهلاك نفس القرية فيدخل تحت هلاكها هلاك من فيها الا ان العذاب النازل اذا بلغ ان يهلك القرية
فنفس ... حصل هلاك من فيها وان كان الاول اقرب اما قوله فهي خاوية على عروشها ففيه سؤالات
السؤال الاول ما معنى هذه اللفظة ... صاحب الكشاف كل مرتفع اظلك من سقف بيت او خيمة او ظلة
فهو عرش فالخاوي الساقط من خوى النجم اذا سقط او الخالي من خوى المنزل اذا خلا من اهله فان
فسرنا الخاوي بالساقط كان المعنى انها ساقطة على سقوفها اى خرت سقوفها على الارض ثم تهدمت
حيطانها فسقطت فوق السقوف وان فسرناه بالخالي كان المعنى انها خالية عن الناس مع بقاء عروشها و
سلامتها ... ويمكن ان يكون خبرا بعد خبر كانه قيل هي خالية وهي على عروشها على معنى ان السقوف سقطت
الى الارض فصارت في قرار الحيطان وبقيت الحيطان قائمة فهي مشرفة على السقوف الساقطة وبالجملة فالاية
دالة على انها تغيرت ... السؤال الثاني ما محل هذه الجمل من الاعراب الجواب ... فهي خاوية
الجواب ... على انها معطوفة على اهلكناها وهذا الفعل ليس له محل ... والثانية في محل النصب على الحال
... المعنى فكاين من قرية اهلكناها وهي كانت ظالمة وهي الان خاوية ... بئر معطلة
وقصر مشيد فالمسألة الاولى في المعطلة من عطله بمعنى عطله ومعنى المعطلة انها عامرة فيها الماء
... الاستقا الحاصل انها عطلت اى تركت اى لا يستقى منها لهلاك اهلها وفي المشيد قولان احدهما انه المجصص
لان الجص بالمدينة يسمى الشيد والثاني انه المرفوع المطول والمعنى انه تعالى بين ان القرية مع تكلف بنائهم
لها اذا ظلموا ... هذا الوصف كذلك البئر التي كلفوها وصارت ... فمارت
معطلة بلا شارب ... الذي حكموه بالجص ... خاليا ... بلا ساكن وجعل
ذلك تعالى عبرة لمن تدبر ... على ان ... على المعنى ... ان ... خاوية مع
عروشها ومعلوم انه اذا كانت كذلك كانت ادخل في الاعتبار ... وانكم لتمرون عليهم مصبحين
المسألة الثالثة روى ان هذه بئر نزل عليها صالح مع اربعة الاف نفر ممن امن به ونجاهم الله من العذاب
وهم بحضرموت وانما سميت بذلك لان صالحا حين حضرها مات وثم بلدة عند البئر اسمها حاضوراء
بناها قوم صالح وامروا عليها جلهس بن جلاس وجعلوا وزيره سنحاريب واقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا
صنما وارسل الله اليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه في السوق فاهلكهم الله وعطل بئرهم وخرب قصورهم
... ابو القاسم ... وهذا عجيب لاني زرت قبر صالح بالشام ... فكيف ...
ان حضرموت ... تعالى ... الى الارض ... بها او اذان يسمعون بها
فالمقصود منه ذكر ما يتكامل به ذلك الاعتبار لان الرؤية لها حظ عظيم في الاعتبار وكذلك استماع الاخبار
فيه مدخل ولكن لا يكمل هذان الا بتدبر القلب لان من عاين وسمع ثم لم يتدبر ولم يعتبر لم ينتفع البتة
ولو تفكر ... لم ينتفع ولهذا قال فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور كانهم لما ... بمنزلة ... بها
لكن العمى في قلوبهم حيث لا يستعملونها بعد ... وههنا سؤالات السؤال الاول هل في الابصار ... الفعل ...

على السائل ايضا الجواب يحتمل انهم ما ساروا فحثوا على السير ليروا مصارع من اهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا اثارهم فيعتبروا
ويحتمل ان يكونوا قد ساروا وراوا ذلك ولكنهم لم يعتبروا فجعلوا كانهم لم يسافروا ولم يروا السؤال الثاني
ما معنى العقل في قوله فانها لا تعمى الابصار الجواب هذا العقل هو العقل ... ان يجعلوا ... ذكر ... قوله ان ...
فانه ... يكون ... الابصار السؤال الثالث ... ذكر الصدور مع ان كل واحد يعلم ان القلب
لا يكون الا في الصدور الجواب ان المتعارف ان العمى مكانه الحدقة فلما اريد اثباته للقلب على خلاف المتعارف
احتيج الى زيادة بيان كما تقول ليس المضاء للسيف ولكنه للسانك الذي بين فكيك فكانك قلت ما نفيت المضاء عن السيف
واثبته للسانك سهوا ولكن تعمدت ... ويحتمل فيه وجه اخر وهو ان القلب قد يجعل كناية عن الخاطر والتدبر كقوله تعالى
ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وعند قوم ان محل الفكر هو الدماغ فالله تعالى بين ان محل ذلك هو الصدر السؤال
الرابع هل تدل الاية على ان العقل هو العلم وعلى ان محل العلم هو القلب الجواب نعم لان المقصود من قوله فتكون لهم قلوب يعقلون بها العلم
وقوله يعقلون بها كالدلالة على ان القلب اله لهذا العقل فوجب جعل القلب محلا للعقل ويسمى الجهل بالعمى لان الجاهل لكونه
متحيرا يشبه الاعمى قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده
وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون وكاين من قرية امليت لها وهي ظالمة ثم اخذتها والي المصير
قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين اعلم انه تعالى حكى عن عظم ما هم عليه من التكذيب انهم يستعجلون العذاب
مما قد يستعجلونك بالعذاب ... وذلك دلالة على انه عليه السلام كان يخوفهم بالعذاب ان استمروا على كفرهم ... لانهم لو
... بالملائكة ... قوله تعالى ولن يخلف الله وعده ... العذاب اذا كان ... الكفر ... الدنيا
... ان ... يستعجل عذاب الاخرة ... ان يوما عند ربك ... من
العذاب ... كالف سنة ... سبحانه انهم لو عرفوا حال عذاب الاخرة
وانه بهذا الوصف لما استعجلوه ... والوجه الثاني ان المراد طول ايام الاخرة
في المحاسبة ... معناه الى ... ما تقدم ... الايام العصيبة ... كانت مستطيلة ... فكيف
... الايام المستطيلة اذا ... ثم ان العذاب ... الجزاء ... سبحانه ... لم يستعجل
والوجه الثالث ان اليوم الواحد والف سنة بالنسبة اليه على السواء لانه القادر الذي لا يعجزه شيء فاذا لم يستبعدوا
امهال يوم فلا يستبعدوا ايضا امهال الف سنة اما قوله وكاين من قرية امليت لها وهي ظالمة فالمراد وكم من قرية
اخرت اهلاكهم مع استمرارهم على ظلمهم فاغتروا بذلك التاخير ثم اخذتهم بان انزلت العذاب بهم ومع ذلك فعذابهم
مدخر لهم اذا صاروا الي ... قوله والى المصير ... فان قيل لم قال فكاين من قرية اهلكناها وهي ظالمة
... ههنا وكاين من قرية امليت ... الاولى بالفاء وهذه بالواو ... قلنا الاولى وقعت بدلا عن قوله فكيف كان نكير
واما هذه فحكمها ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو اعني قوله ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف
سنة اما قوله قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين فالمعنى انه تعالى امر رسوله بان يديم لهم التخويف والانذار
وان لا يصده ما يكون منهم من الاستعجال للعذاب على سبيل الهزء عن ادامة التخويف والانذار وان يقول لهم انما
بعثت للانذار فاستهزاؤكم بذلك لا يمنعني منه قوله تعالى فالذين امنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في اياتنا معاجزين اولئك اصحاب الجحيم اعلم انه تعالى لما امر
الرسول عليه السلام بان يقول لهم انما انا لكم نذير مبين اردف ذلك بان امره بوعدهم ووعيدهم لان الرسول انما يكون منذرا
بذكر الوعد للمطيعين والوعيد للعاصين فقال فالذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة فدل بذلك على ان
العمل الصالح خارج عن مسمى الايمان وهو ... المعتزلة ... ان كل ... الاعمال بالعلم
... في العمل الصالح اذا كل واحد منهم ... سبحانه ان يجمع بينهما فالله تعالى يجمع
له بين المغفرة والرزق الكريم اما المغفرة فالراكمي عبارة عن غفران الصغائر او عن غفران الكبائر بعد التوبة

الواجب انتى عمنا ان يتى المالك ثمرد لا لنه على
او عن عصانها قبل التوبه ولا اد احات عند الخصم واذا [illegible] الى التواب وكرمه تحمل الركم للصفات
المفوعن اصحاب الكبائر من اهل القبله واما الرزق الكريم فهو ثواب [illegible] وارتكاب المآثم والدناه
السلبية بعوان الاثبات فعنالك بصفى عن المحاسب وتحمل المشاق والاتيان بها عن ثواب المصر مقرونة بالمعظم والتبجيل
سيما وان يكن للصفات الثبوتيه يعول كريمة المراد ابها خالصا عن شوايب الضرر فما الذين سعوا في اياتنا
ودلالي جعل الكريم دالا على كل هذه الصفات فمنها شرح حال المومنين واما حال الكفار فما الذين سعوا في ابطالها
معاجزين والمراد اجتهدوا في ردها والتكذيب بها حيث سموها سحرا وشعرا واساطير الاولين وما كان غرضهم
جهده في ابطاله سعى فيه توسعا من حيث بلغ في بذل الجهد النهاية كما اذا بلغ الماشي نهاية طاقته فسماه سعيا
وذكر الايات واراد التكذيب بها مجازا وقال صاحب الكشاف يقال سعيت في امر فلان اذا اصلحته او افسدته بسعيه
اما المعاجز فمعناه عاجزته اي طمعت في اعجازه وحملوا في المراد معاجزين فقد اراد الرسول والمومنين وان
معا الثاني لانهم انكروا الله سبحانه استخال منه ان يطمعوا في اعجازه وان المتوه فيعدان يعتقدوا انهم يعجزونه
وبغلبونه ويصح فيهم ان يظنوا ذلك في الرسول بالحيل والمكايد اما الذين قالوا المراد معاجزين لله فذلك لان دعوهم
احدها المراد بمعاجزين مقوتين لتوهم عن عقابهم وحسابهم من حيث جحدوا البعث بانهم بانهم يثبطون
عن التصديق بالله ويثبطونهم بسبب الرعب والتعجيز بالله بادخال الشبه في قلوب الناس و
عزيمهم عن التصديق بالله وبتثبيطهم بسبب مغالب لمن يعمل ذلك الشي ومن تاول الايه على ذلك
الجواب عن الادلان من يحد اهل التي لا يوصف بانه مغالب لمن يعمل ذلك الشي ومن تاول الايه على ذلك
يجب ان يكون مراده انهم ظنوا مغالبه الرسول فيما كانت يقوله من امر الحشر والنشر والجواب عن الثالث
انا المغالبه في الحقيقه ترجع الى الرسول والامه لا الى الله تعالى اما قوله اولئك اصحاب الجحيم فالمراد انهم يدومون
فيها وتشبهم من حيث الدوام بالصاحب فان قيل انه عليه السلم في قوله الايه بشر المومنين او انذر الكافرين فانما كان
الناس ان يعاتل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين لما بين الكلام مسوق الى المشركين ويا ايها الناس نداء لهم وهم
الذين قيل فيهم انكم سكروا ووصفوا بالاستعجال وانما اتى ذكر المومنين وثوابهم في البين زيادة لغيظهم وايذايهم

قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله
ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسيه قلوبهم
وان الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيومنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهاد
الذين امنوا الى صراط مستقيم ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تاتيهم الساعه بغته او ياتيهم عذاب يوم عقيم الملك
يومئذ لله يحكم بينهم فالذين امنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك لهم
عذاب مهين اما قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته
فيه مسائل المسله الاولى من الناس من قال الرسول هو الذي يحدث الرسل والنبي هو الذي لم يرسل
ولكنه الهم او راى في النوم ومن الناس من قال كل رسول نبي اما ليس كل نبي كان رسولا وهو قول الكلبي والفرا
وقالت المعتزله كل رسول نبي وكل نبي رسول ولا فرق بينهما واحتجوا على فساد القول الاول بوجوه احدها هذه
الايه فانها داله على ان النبي قد يكون مرسلا وكذلك قوله تعالى وما ارسلنا في قريه من نبي وثانيها ان الله تعالى
خاطب محمدا بالنبي مره وبالرسول فدل على انه لا منافاة بين الامرين على هذا القول الاول المنافاة
حاصلة وثالثها انه تعالى نص على انه خاتم النبيين ورابعها ان اشتقاق لفظ النبي اما من النبا وهو الخبر
او من النبوه وهو الارتفاع والمعنيان يحصلان الا بقبول الرساله اما القول الثاني فاعلم ان شيا من تلك
الوجوه لا تبطل هذا القول لان هذه الايه داله عليه لانه عطف النبي على الرسول وذلك يوجب المغايره وهو من باب
عطف العام على الخاص وقال في موضع اخر وكم ارسلنا من نبي في الاولين وذلك يدل على انه كان نبيا فجعله
الله مرسلا روى انه سئل عن الانبيا فقال مائه الف واربعه وعشرون الفا فقيل كم الرسل منهم فقال ثلثمايه وثلثه عشر جما غفيرا

الانبيا فعال يا رسول الله ما اولهم فقال ادم فقال يا رسول الله انبي مرسل قال نعم ثم ذكر ان الفرق بين الرسول والنبي امور
احدها ان الرسول من الانبيا من جمع الى المعجزه الكتاب المنزل عليه والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وانما
امر ان يدعو الى كتاب من قبله والثاني ان من كان صاحب المعجزه وصاحب الكتاب ونسخ شرع من قبله فهو الرسول ومن لم يكن
مستجمعا لهذه الخصال فهو النبي غير الرسول وهولا يلزمهم لانهم لا يجعلون اسحق ويعقوب وايوب ويونس وهارون
وداود وسليمان رسلا لانهم ما جاووا بالكتاب الناسخ والثالث ان من جاءه الملك ظاهرا وامره بدعوة الخلق فهو الرسول
ومن لم يكن كذلك بل راى في النوم كونه رسولا او اخبره واحد من الرسل بانه رسول الله فهو النبي الذي لم يكن رسولا
وهذا هو الاولى المسله الثانيه ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الايه ان الرسول عليه السلم لما راى اعراض قومه عنه
وشق عليه ما راى من مباعدتهم عما جاءهم به تمنى في نفسه ان ياتيهم من الله ما يقارب بينه وبين قومه وذلك لحرصه على
ايمانهم فجلس ذات يوم في نادي من اندية قريش كثير اهله واحب يومئذ ان لا ياتيه من الله شي فينفروا عنه وتمنى
ذلك فانزل الله تعالى سوره والنجم اذا هوى فقراها رسول الله حتى بلغ افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة
الاخرى القى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى منها الشفاعه ترتجى فلما سمعت قريش ذلك فرحوا ومضى
رسول الله في قراءته فقرا السوره كلها فسجد وسجد المسلمون بسجوده وسجد جميع من في المسجد من المشركين فلم يبق
في المسجد مومن ولا كافر الا سجد سوى الوليد بن المغيره وابو احيحه سعيد بن العاص فانهما اخذا حفنة
من البطحا ورفعاها الى جبهتيهما وسجدا عليها لانهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا السجود وتفرقت قريش
وقد سرهم ما سمعوا وقالوا قد ذكر محمد الهتنا باحسن الذكر فلما امسى رسول الله اتاه جبريل عليه السلم فقال ماذا صنعت
تلوت على الناس ما لم اتك به عن الله وقلت ما لم اقل لك فحزن رسول الله حزنا شديدا وخاف من الله خوفا عظيما
حتى نزل قوله وما ارسلنا من قبلك من رسول الايه هذه روايه عامة المفسرين الظاهرين اما اهل التحقيق فقد قالوا
هذه الروايه باطله موضوعه واحتجوا عليه بالقران والسنه والمعقول اما القران فوجوه احدها قوله تعالى ولو تقول
علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين وثانيها قوله قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى
الي وثالثها قوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى فلو انه قرا عقيب هذه الايه قوله تلك الغرانيق العلى لكان قد ظهر كذب الله
تعالى في الحال وذلك لا يقوله مسلم ورابعها قوله وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذا لاتخذوك
خليلا وكلمه كاد عند بعضهم معناه انه قرب ان يكون الامر كذلك مع انه لم يحصل وخامسها قوله ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن
اليهم شيا قليلا وكلمه لولا تفيد انتفا الشي لانتفا غيره فدل على ان ذلك الركون القليل لم يحصل وسادسها قوله لنثبت به فوادك
وسابعها قوله سنقريك فلا تنسى اما السنه فهي ما روى عن محمد بن خزيمه انه سيل عن هذه القصه فقال هذا
من وضع الزنادقه وصنف فيه كتابا وقال الامام ابو بكر احمد بن الحسين البيهقي هذه القصه غير ثابته من جهه النقل ثم اخذ يتكلم
ان رواة هذه القصه مطعون فيهم ايضا فقد روى البخاري في صحيحه انه عليه السلم قرا سوره والنجم وسجد فيها المسلمون والمشركون
والانس والجن وليس فيه حديث الغرانيق وروى هذا الحديث من طرق كثيره وليس فيها البته حديث الغرانيق اما المعقول
فمن وجوه احدها ان من جوز على الرسول تعظيم الاوثان فقد كفر لان من المعلوم بالضروره ان اعظم سعيه كان في نفي الاوثان
وثانيها انه عليه السلم ما كان يمكنه في اول الامر ان يصلي ويقرا القران عند الكعبه امنا لاذى المشركين له حتى كانوا ربما مدوا ايديهم
اليه وانما كان يصلي اذا لم يحضروها ليلا او في اوقات خلوه وذلك يبطل قولهم وثالثها ان معاداتهم للرسول كانت اعظم
من ان يقروا بهذا القدر من القراءه دون ان يقفوا على حقيقة الامر فكيف اجمعوا على انه عظم الهتهم حتى خروا سجدا مع انه
لم يظهر عندهم موافقته لهم ورابعها قوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته وذلك لان احكام الايات بازاله
ما يلقيه الشيطان عن الرسول اقوى من نسخه بهذه الايات التي تبقى الشبهه معها فاذا اراد الله احكام الايات ايلا يلتبس ما ليس
بقران قرانا فبان يمنع الشيطان من ذلك اصلا اولى وخامسها وهو من اقوى الوجوه انا لو جوزنا ذلك ارتفع الامان عن شرعه و
جوزنا في كل واحد من الاحكام والشرايع ان يكون كذلك ويبطل قوله تعالى بلغ ما انزل اليك من ربك فانه لا فرق في العقل بين النقصان

والله يعصمك من الناس فانه لا فرق في العقل بين النقصان عن الوحي وبين الزيادة فيه فبهذه الوجوه عرفنا على سبيل الاجمال ان هذه
القصة موضوعة اكثر ما في الباب ان جمعا من المفسرين ذكروها لكنهم ما بلغوا حد التواتر وخبر الواحد لا يعارض الدلائل العقلية و
النقلية المتواترة ولنشرع الآن في التفصيل فنقول التمني جاء في اللغة لامرين احدهما تمني القلب والثاني القراءة قال الله تعالى ومنهم
اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني اي الا قراءة لان الامي لا يعلم القرآن من المصحف وانما يعلمه قراءة وقال حسان
تمنى كتاب الله اول ليله وآخرها لاقى حمام المقادر قيل انما سميت القراءة امنية لان القارئ اذا انتهى الى آية رحمة
تمنى حصولها واذا انتهى الى آية عذاب تمنى ان لا يبتلى بها وقال ابو مسلم التمني هو التقدير وتمنى هو تفعل من منيت
والمنية وفاة الانسان للوقت الذي قدره الله ومنى الله لك اي قدر وقد لكنه قال رواة اللغة الامنية القراءة واحتجوا
ببيت حسان وذلك راجع الى الاصل الذي ذكرناه فان التالي مقدر للحروف يذكرها شيئا فشيئا فالحاصل من هذا البحث
ان الامنية اما القراءة واما الخاطر اما اذا فسرناها بالقراءة ففيه قولان الاول ان الله تعالى اراد بذلك ما يجوز
ان يسهو الرسول فيه ويشتبه على القارئ دون ما رووه من قوله تلك الغرانيق العلى الثاني المراد منه وقوع
هذه الكلمة في قراءته ثم اختلف القائلون بهذا على وجوه الاول ان النبي عليه السلام لم يتكلم بقوله تلك الغرانيق العلى
ولا الشيطان تكلم به ولا احد تكلم به لكنه عليه السلام لما قرأ سورة والنجم اشتبه الامر على الكفار فحسبوا بعض
الفاظه ما رووه من قولهم تلك الغرانيق العلى وذلك على حسب ما جرت العادة به من توهم بعض الكلمات على غير ما يقال
وهذا الوجه ذهب اليه جماعة وهو ضعيف لوجوه احدها ان التوهم في مثل ذلك انما يصح فيما قد جرت العادة
بسماعه فاما غير المسموع فلا يقع ذلك فيه وثانيها انه لو كان كذلك لوقع هذا التوهم لبعض السامعين دون
البعض فان العادة مانعة من اتفاق الجمع العظيم في الساعة الواحدة على خيال واحد فاسد في المحسوسات وثالثها
لو كان كذلك لم يكن مضافا الى الشيطان الوجه الثاني قالوا ان ذلك الكلام كلام شيطان الجن وذلك بان تلفظ
بكلام من تلقاء نفسه اوقعه في درج تلك التلاوة في بعض وقفاته ليظن انه من جنس الكلام المسموع من الرسول
قالوا والذي يؤكده انه لا خلاف في ان الجن والشياطين متكلمون فلا يمتنع ان يأتي الشيطان بصوت مثل صوت الرسول
فيتكلم بهذه الكلمات في اثناء كلام الرسول وعند سكوته فاذا سمع الحاضرون تلك الكلمة بصوت مثل صوت
الرسول وما رأوا شخصا آخر ظن الحاضرون انه كلام الرسول ثم هذا لا يكون قادحا في النبوة لما لم يكن فعلا
له وهذا ايضا ضعيف فانك اذا جوزت ان يتكلم الشيطان في اثناء كلام الرسول بما يشتبه على كل السامعين
كونه كلاما للرسول بقي هذا الاحتمال في كل ما يتكلم به الرسول فيفضي الى ارتفاع الوثوق عن كل الشرع فان
قيل هذا الاحتمال قائم في الكل ولكنه لو وقع لوجب في حكمة الله تعالى ان يشرح الحال فيه كما في هذه الواقعة
ازالة للتلبيس قلنا لا يجب على الله تعالى ازالة الاحتمالات كما في المتشابهات واذا لم يجب على الله ذلك
يمكن الاحتمال في الكل الوجه الثالث قال بعضهم المتكلم بذلك بعض شياطين الانس وهم الكفرة فانه عليه السلام
لما انتهى في قراءة هذه السورة الى هذا الموضع وذكر اسماء آلهتهم وقد علموا من عادته انه يعيبها قال بعض من حضر
تلك الغرانيق العلى فاشتبه الامر على القوم لكثرة لغط القوم وكثرة صياحهم وطلبهم تغليطه واخفاء قراءته
ولعل ذلك كان في صلاته لانهم كانوا يقربون منه في حال صلاته ويسمعون قراءته ويلغون فيها وقيل انه عليه السلام كان
اذا تلا القرآن على قريش توقف في فصول الآيات فالقى بعض الحاضرين ذلك الكلام في تلك الوقفات فتوهم القوم
انه من قراءة الرسول ثم اضافه الله تعالى الى الشيطان لانه بوسوسته يحصل اولا ولانه سبحانه جعل ذلك المتكلم
نفسه شيطانا وهذا ايضا ضعيف لوجهين احدهما انه لو كان كذلك لكان يجب على الرسول عليه السلام ازالة الشبهة
وتصريح الحق وتبكيت ذلك القائل واظهار ان هذه الكلمة منه صدرت ولو فعل ذلك لكان ذلك اولى بالنقل
فان قيل انما لم يفعل الرسول عليه السلام ذلك لانه كان قد ادى السورة بكمالها الى الامة دون هذه الزيادة فلم يكن ذلك مؤديا الى
اللبس كما لو سها في الصلاة بعد ان ردها الى اللبس قلنا ان القرآن لم يكن مستقرا على حالة واحدة في زمان حياته

لانه كان

لانه كان يلحق الآيات بالسور فلم تكن تأدية تلك السورة بدون هذه الزيادة سببا لزوال اللبس وايضا فلو كان كذلك
لما استحق العتاب من الله على ما رواه القوم الوجه الرابع وهو ان المتكلم بهذا هو الرسول عليه السلام ثم هذا يحتمل ثلاثة
اوجه فانه اما ان يكون قال هذه الكلمة سهوا او قسرا او اختيارا اما الوجه الاول وهو ما روي انه عليه السلام كان يصلي عند
المقام فنعس وجرى على لسانه هاتان الكلمتان فلما فرغ من السورة سجد وسجد كل من في المسجد وفرح المشركون
بما سمعوا واتاه جبريل عليه السلام واستقرأه فلما انتهى الى الغرانيق قال لم آتك بهذا فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى ان نزلت عليه هذه الآية وهذا ضعيف ايضا لوجوه احدها انه لو جاز هذا السهو لجاز في سائر المواضع وحينئذ تزول الثقة عن
الشرع وثانيها ان الساهي لا يجوز ان يقع منه مثل هذه الالفاظ المطابقة لوزن السورة وطريقتها ومعناها فانا نعلم بالضرورة ان
واحدا لو انشد قصيدة لما جاز ان يسهو حتى يتفق منه بيت شعر في وزنها ومعناها وطريقتها وثالثها هب انه تكلم
بذلك سهوا فكيف لم ينتبه لذلك حين قرأها على جبريل عليه السلام وذلك ظاهر اما الوجه الثاني وهو انه عليه السلام تكلم بذلك
قسرا وهو الذي قال قوم ان الشيطان اجبر النبي عليه السلام على التكلم به فهذا ايضا فاسد لوجوه احدها ان الشيطان لو قدر على ذلك
في حق النبي عليه السلام لكان اقتداره علينا اكثر فوجب ان يزيل الشيطان الناس عن الدين ولجاز في اكثر ما يتكلم به الواحد
منا ان يكون ذلك باجبار الشيطان وثانيها ان الشيطان لو قدر على هذا الاجبار لارتفع الامان عن الوحي لقيام
هذا الاحتمال وثالثها انه باطل بدلالة قوله تعالى حاكيا عن الشيطان وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم
فاستجبتم لي فلا تلوموني وقال تعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه
على الذين يتولونه وقال الا عبادك منهم المخلصين ولا شك انه عليه السلام كان سيد المخلصين اما الوجه الثالث وهو
انه عليه السلام تكلم بذلك اختيارا وهاهنا وجهان احدهما ان نقول ان هذه الكلمة باطلة والثاني ان نقول انها ليست
كلمة باطلة اما على الوجه الاول فذكروا فيه طريقين الاول قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء ان شيطانا
يقال له الابيض اتاه على صورة جبريل عليه السلام والقى عليه هذه الكلمة فقرأها فلما سمع المشركون ذلك اعجبهم فجاء جبريل
عليه السلام واستعرضه فقرأ السورة فلما بلغ الى تلك الكلمة قال جبريل انا ما جئتك بهذه قال رسول الله انه اتاني
آت على صورتك فالقاها على لساني الطريق الثاني قال بعض الجهال انه عليه السلام لشدة حرصه على ايمان القوم ادخل
هذه الكلمة من عند نفسه ثم رجع عنها وهذان القولان لا يرغب فيهما مسلم البتة لان الاول يقتضي انه عليه السلام ما كان
يميز بين الملك المعصوم والشيطان الخبيث والثاني يقتضي انه كان خائنا في الوحي وكل واحد منهما خروج عن الدين
اما الوجه الثاني وهو ان هذه الكلمة ليست باطلة فهاهنا ايضا طرق الاول ان يقال الغرانيق هم الملائكة وقد كان
ذلك قرآنا منزلا في وصف الملائكة فلما توهم المشركون انه يريد آلهتهم نسخ الله تلاوته الثاني ان يقال المراد منه
الاستفهام على سبيل الانكار فكانه قال اشفاعتهن ترتجى الثالث ان يقال انه ذكر تعالى الاثبات واراد النفي
كقوله يبين الله لكم ان تضلوا اي لئلا تضلوا كما قد يذكر النفي ويراد به الاثبات كقوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم
الا تشركوا به شيئا والمعنى ان تشركوا وهذان الوجهان الاخيران يعترض عليهما بانه لو جاز ذلك بناء على هذا التأويل
فلم لا يجوز ان يظهروا كلمة الكفر في جملة القرآن او في الصلاة بناء على هذا التأويل لكن الاصل في الدين ان لا يجوز
عليهم شيء من ذلك لان الله تعالى قد نصبهم حجة واصطفاهم للرسالة فلا يجوز عليهم ما يطعن في ذلك او ينفر
وقيل ان مثل ذلك في التنفير اعظم من الامور التي جنبه الله تعالى منها كالفظاظة والكتابة وقول الشعر فهذه الوجوه المذكورة في
قوله تلك الغرانيق العلى قد ظهر على القطع كذبها فهذا كله اذا فسرنا التمني بالتلاوة اما اذا فسرناه بالخاطر
وتمني القلب فالمعنى ان النبي عليه السلام متى تمنى بعض ما يتمناه من الامور وسوس الشيطان اليه بالباطل ويدعوه الى
ما لا ينبغي ثم ان الله تعالى ينسخ ذلك ويبطله ويهديه الى ترك الالتفات الى وسوسته ثم اختلفوا في كيفية تلك
الوسوسة على وجوه احدها انه تمنى مجيء ما تتقرب به الى المشركين من ذكر آلهتهم بالثناء قالوا انه عليه السلام كان يحب
ان يتألفهم وكان يتردد ذلك في نفسه فعندما لحقه النعاس زاد تلك الزيادة من حيث كانت في نفسه وهذا ايضا

ما قال مجاهد من انه عليه السلم كان يتمنى انزال الوحي اليه على سرعة دون
يعنا فرح عن البين وبيانه ما تقدم وثانيها والتمنا انه يحمل عليه السلام
لعرفنسخ الله ذلك بان عرفه ان انزال ذلك بحسب المصالح في الحوادث والنوازل وغيرها
عن نزول الوحي كان يتفكر في تاويله اذا كان مجملا فيلقي الشيطان في جملته ما لم يرده فبين تعالى انه ينسخ ذلك بالابطال
ويحكم ما اراده بادلته واياته ورابعها معنى الاية اذا تمنى اذا اراد فعلا مقربا الى الله القى الشيطان في فكره ما يخالفه
فيرجع الى الله في ذلك وهو كقوله ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وكقوله
واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ومن الناس من حمل الامنية على تمني القلب لانه لو كان كذلك
لم يكن ما يخطر بباله عليه السلم فتنة للكفار وذلك يبطله قوله ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض
والقاسية قلوبهم والجواب ابعد انه اذا قوى التمني اشتغل الخاطر به فحصل السهو في الافعال الظاهرة بسببه فيصير
ذلك فتنة للكفار فهذا القول ثاني في هذه المسلة المسلة الثالثة يرجع حاصل البحث الى الرعون من هذه الاية
بيان ان الرسل الذين ارسلهم الله وان عصمهم عن الخطا مع العلم فلم يعصمهم من جواز السهو ووسوسة الشيطان
بل حالهم في جواز ذلك كحال ساير البشر فالواجب ان لا يتبعوا الا فيما يفعلونه عن علم فذلك هو المحكم وقال ابو مسلم
معنى الاية انه لم يرسل نبيا الا اذا تمنى كانه قيل وما ارسلنا الى البشر ملكا وما ارسلنا اليهم نبيا الا منهم وما ارسلنا
نبيا خلا عند تلاوته الوحي من وسوسة الشيطان وان يلقي في خاطره ما يضاد الوحي ويشغله عن حفظه فيثبت
الله النبي على الوحي وعلى حفظه ويعلمه صواب ذلك ويبطل ما يكون من الشيطان قال وفيما تقدم من قوله يا ايها الناس
انما انا لكم نذير مبين تقوية لهذا التاويل كانه تعالى امره ان يقول للكافرين انا نذير لكم لكني من البشر لا من الملائكة ولم يرسل
الله مثلي ملكا وانما ارسل رجالا قد يوسوس الشيطان اليهم فان قيل هذا انما يصح لو كان السهو لا يجوز على الملائكة
اذا كانت الملائكة اعظم درجة من الانبيا لم يلزم من استيلائهم بالوسوسة على الانبيا استيلاهم بالوسوسة على الملائكة
واعلم انه سبحانه لما شرح حال هذه الوسوسة اردفه بذكر امرين احدهما ان الله ينسخ ذلك ويبطله فقوله تعالى
فينسخ الله ما يلقي الشيطان فالمراد انه يزيله ويبطله فهو النسخ اللغوي لا النسخ الشرعي المستعمل في الاحكام واما
قوله ثم يحكم الله اياته فاذا حمل التمني على القراة فالمراد به ايات القران والا فيحمل احكام الادلة التي لا يجوز فيها
الغلط البحث الثاني انه ما اثر تلك الوسوسة ثم انه سبحانه شرح اثرها في حق الكفار اولا ثم في حق المومنين
ثانيا اما في حق الكفار فهو قوله ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة فالمراد به تشديد التعبد لانه عند ما تظهر
من الرسول عليه السلم الاشتباه في القراة سهوا يلزمهم البحث عن ذلك ليميزوا السهو من العمد وليعلموا ان العمد
صواب والسهو قد لا يكون صوابا اما قوله للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم ففيه سوالان السوال الاول
لم قال فتنة للذين في قلوبهم مرض ولم خصهم بذلك الجواب لانهم مع كفرهم محتاجون الى كثرة التدبر واما
المومنون فقد تقدم علمهم بذلك فلا يحتاجون الى التدبر السوال الثاني ما مرض القلب الجواب انه الشك والشبهة
وهم المنافقون كما قال في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم فهم المشركون المصرون على جهلهم ظاهرا وباطنا ثم اخبر
نزله وان الظالمين لفي شقاق بعيد يريد وان هولا المنافقين والمشركين واصله وانهم فوضع الظاهر موضع
الضمير قضا عليهم بالظلم والشقاق المشاقة والمعاداة والمباعدة سوا واما في حق المومنين فهو قوله
وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك ومن الكتابة ثلاثة اوجه احدها انها عايدة الى نسخ الله القاه الشيطان
عن الكلبي وثانيها انه الحق اي القران عن مقاتل وثالثها ان تمكن الشيطان من ذلك الالقا هو الحق
اتا على قولنا فلانه سبحانه وتعالى اي شي فعل فقد تصرف في ملكه وملكه فكان حقا واما على قول المعتزلة فلانه
سبحانه حكيم فتكون كل افعاله صوابا فيومنوا به فتخبت له قلوبهم اي تخضع وتسكن لعلمهم بان المقتضي كاين
وكل ما يتعلق اخذه وان الله لهاد الذين امنوا الى صراط مستقيم لهاد الذين امنوا الى صراط مستقيم امنوا الى الرشاد لو اما يتشابه في الدين بالتاويلات الصحيحة ويطلبوا
لما اشكل منه المحمل الذي تقتضيه الاصول المحكمة حتى لا تلحقهم حيرة ولا تعتريهم شبهة ولا يتزلزل الذين امنوا

بالسوين وها تبين سبحانه حال الكافرين اولا ثم حال المومنين ثانيا عاد الى شرح حال الكافرين مرة اخرى وقال ولا يزال
الذين كفروا في مرية منه اي من القران او من الرسول وذلك يدل على ان الاعصار الى قيام الساعة لا تخلو ممن هذا
وصفه اما قوله تعالى حتى تاتيهم الساعة بغتة ان فجاة من دون ان يشعروا فجعل الساعة غاية لكفرهم وانهم يومنون
عند اشراط الساعة على وجه الالجا اما اليوم العقيم ففيه قولان احدها انه يوم بدر وانما وصف يوم الحرب
بالعقيم على سبيل المجاز وفيها قولان احدها انه لا خير لهم فيه يقال ريح عقيم اذا لم تنشى مطرا ولم تلقح شجرا والثاني
انه لا مثل له في عظم امره لقتال الملائكة فيه القول الثاني انه يوم القيامة وانما وصف بالعقيم لوجوه
احدها انهم لا يرون فيه خيرا وثانيها انه لا ليل فيه فيستمر كانه استمرت المراة على تلك الولادة وثالثها ان كل ذات
حمل تضع حملها في ذلك اليوم فكيف يحصل الحمل فيه وهذا القول اولى لانه لا يجوز ان يقول تعالى ولا يزال الذين
كفروا ويكون المراد الى يوم بدر لان من المعلوم انهم في مرية بعد يوم بدر فان قيل لما ذكر الساعة فلو حملتم اليوم
العقيم على يوم القيامة لزم التكرار قلنا ليس كذلك لان الساعة من مقدمات القيامة واليوم العقيم هو نفس ذلك
اليوم على ان الامر لو كان كما قاله لم يكن تكرارا لان في الاول ذكر الساعة وفي الثاني ذكر عذاب ذلك اليوم ويحتمل
ان يكون المراد بالساعة وقت موت كل احد وبعذاب يوم عقيم القيامة اما قوله الملك يومئذ لله فمن اقوى
ما يدل على ان اليوم العقيم هو ذلك اليوم والمراد بذلك انه لا مالك له في ذلك اليوم سواه فهو بخلاف ايام
الدنيا التي ملك الله الامور غيره وبين انه الحاكم بينهم لا حاكم سواه وذلك زجر عن معصيته ثم بين كيف يحكم
بينهم وانه يصير المومنين الى جنات النعيم والكافرين الى عذاب مهين وهو تعالى وان وصف الجنة والنار فبان
التنوين في يومئذ عن اي جملة هو قلنا تقديره الملك يوم يومنون او يوم تزول مريتهم لقوله تعالى
ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تاتيهم الساعة **قوله تعالى** والذين هاجروا في
سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وان الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا يرضونه
وان الله لعليم حليم ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله ان الله لعفو غفور ذلك بان
الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وان الله سميع بصير ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه هو الباطل
وان الله هو العلي الكبير اعلم انه تعالى لما ذكر ان الملك له يوم القيامة وانه يحكم بينهم ويدخل المومنين الجنات
اتبعه بذكر الوعد الكريم للمهاجرين وافردهم بالذكر تفخيما لشانهم فقال عز من قائل والذين هاجروا واختلفوا
فيما يريد بذلك فقال بعضهم من هاجر الى المدينة طالبا لنصرة الرسول وتقربا الى الله تعالى وقال اخرون
بل المراد من جاهد وخرج مع الرسول او في سراياه لنصرة الدين ولذلك ذكر القتل بعده ومنهم من حمله على الامرين
واختلفوا من وجه اخر وقال قوم المراد قوم مخصوصون روي عن مجاهد انها نزلت في طوائف خرجوا من مكة
الى المدينة للهجرة فتبعهم المشركون فقاتلوهم وظاهر الكلام للعموم ثم انه سبحانه وتعالى وصف رزقهم وسكنهم
اما الرزق فقوله تعالى ليرزقنهم الله رزقا حسنا وان الله لهو خير الرازقين المسلة الاولى لا شبهة ان
الرزق الحسن هو نعيم الجنة وقال الاصم انه العلم والفهم كقول شعيب عليه السلم ورزقني منه رزقا حسنا
الى الدنيا وفي الاخرة الجنة وقال الكلبي رزقا حسنا حلالا وهو الغنيمة فهذه الوجوه ضعيفة لانه تعالى
جعل جزاء على هجرتهم في سبيل الله بعد القتل والموت وبعدهما لا يكون الا نعيم الاخرة المسلة الثانية لا بد من
شرط اجتناب الكباير في كل وعد في القران لان هذا المهاجر لو ارتكب كبيرة لكان حكمه في المشية على قولنا وكان خارجا
عن ان يكون اهلا للجنة قطعا على قول المعتزلة فان قيل فما فضل على ساير المومنين في الوعد ان كان كلهم
قلنا فضلهم نظرا الى ان ثوابهم اعظم ولذلك قال تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل ومعلوم ان من هاجر
مع الرسول وفارق دياره واهله لنصرته ونصرة دينه مع شدة قوة الكفار وظهور صولتهم صار فعله كالسبب لقوة
الدين وعلى هذا الوجه عظم محل الانصار حتى صار ذكرهم والثنا عليهم تاليا لذكر المهاجرين لما اووه ونصروه

المسألة الثالثة اختلفوا في معنى قوله وان الله لهو خير الرازقين مع العلم ان كل الرزق من عنده على وجوه احدها المتقادف
انما كان يسبانه سبحانه مختص بان يرزق بما لا يقدر عليه غيره وثانيها انه لم يلطف الحاجة الى الامل في الرزق وغيره انما يرزق بما تقدم
من الرزق فجملة الله تعالى وثالثها ان غيره ينقل الرزق من يد الى يد غيره لا انه يفعل نفس الرزق ورابعها
ان غيره اذا رزق فانما يرزق لاستفادة به اما لاجل ان يخرج عن الواجب واما لاجل ان يستحق به حمدا او ثناء واما
لاجل دفع الرقة الجنسية فكان الواحد منا اذا رزق فقد طلب العوض اما الحق سبحانه فان كماله صفة ذاتية له فلا يستفيد
من شيء كمالا زائدا فكان الرزق الصادر منه محض الاحسان وخامسها ان غيره انما يرزق لو حصل في قلبه ارادة
ولكنا الفعل وتلك الارادة من الله فالرازق في الحقيقة هو الله وسادسها ان المرزوق يكون تحت منة الرزق
ومنة الله تعالى اسهل تحملا من منة الغير فكان هو خير الرازقين وسابعها ان الغير اذا رزق فلولا ان الله
اعطى ذلك الانسان انواع الحواس واعطاه السلامة والصحة والقدرة على الانتفاع بذلك الرزق لما امكنه الانتفاع
به فرزق العبد لا بد وان يكون مسبوقا برزق الله وملحوقا به حتى يحصل الانتفاع به واما رزق الله فانه لا حاجة
به الى رزق غيره فثبت انه سبحانه خير الرازقين المسألة الرابعة قالت المعتزلة الاية تدل على امور لانه احدها
ان غير الله قد يرزق وثانيها ان غير الله يصح منه ان يرزق ولولا كونه قادرا لما صح ذلك وثالثها ان الرزق لا يكون الا حلالا
لانه لو كان حراما لما كان خير الرازقين ودالة على كونهم ممدوحين والجواب اتباع في كون العبد قادرا فان عندنا المدح الحاصل من ... في الفعل
معنى الاستلزام واما الكلام في الرزق فقد مر المسألة الخامسة لما قال تعالى ثم قتلوا او ماتوا فسوى بينهما في
الوعد ظن قوم ان حال المقتول في الجهاد والميت على فراشه سواء وهنا ان اخذوه من الظاهر فلا دلالة فيه لان الجمع بينهما في الوعد
لا يدل على تفضيل ولا تسوية كما ان الجمع بين المؤمنين لا يدل على ذلك وان اخذوه من دليل آخر فهو حق فانه روى انس ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال المقتول في سبيل الله والمتوفى في سبيل الله بغير قتل هما في الخير والاجر شريكان ولفظ الشركة مشعر بالتسوية
والا لم يبق لتخصيصهما بالذكر فائدة وروي ان طوائف من اصحاب رسول الله قالوا يا رسول الله هؤلاء الذين
قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فانزل الله تعالى هاتين
الايتين وهذا يدل على التسوية لانهم لما طلبوا مقدار الاجر فلولا التسوية لم يكن الجواب مفيدا اما المدخل فقوله سبحانه
ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم المسألة الاولى قرئ مدخلا بضم الميم وهو من ادخل ومن قرأ
بالفتح فالمراد الموضع المسألة الثانية قيل في المدخل الذي يرضونه انه خيمة من درة بيضاء لا فصم فيها ولا وصم لها سبعون الف
مصراع وقال ابو القاسم القشيري هو ان يدخلهم الجنة من غير مكروه تقدم وقال ابن عباس رضي الله عنهما انما قال يرضونه لانهم
يرون في الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيرضونه ومثله في عيشة راضية وقوله ارجعي الى ربك
راضية مرضية وملكهم طيبه ورضا ... المسألة الثالثة ان قيل ما معنى وان الله لعليم حليم
وما تعلقه بما تقدم قلنا انه يحتمل انه عليم بما يستحقونه فيفعله بهم ويزيدهم ويحتمل ان يكون المراد انه عليم بما يرضونه فيعطيهم
ذلك في الجنة اما الحليم فالمراد انه بحلمه لا يعجل العقوبة فيمن يقدم على المعصية بل يمهل ليقع منه التوبة ويستحق الجنة فاما
قوله ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله ان الله لعفو غفور المسألة الاولى تقدير الكلام فيه
الامر ذلك وقال الزجاج اي الامر ما قصصنا عليكم من انجاز الوعد للمهاجرين الذين قتلوا او ماتوا المسألة الثانية قوله
ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه معناه قاتل من كان يقاتله ثم كان المقاتل مبغيا عليه بان اضطر الى الهجرة ومفارقة
الوطن وابتدئ بالقتال قال مقاتل نزلت في قوم من المشركين لقوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فقال بعضهم لبعض
ان اصحاب محمد يكرهون القتال في الشهر الحرام فاحملوا عليهم فناشدهم المسلمون ان يكفوا عن قتالهم لحرمة الشهر فابوا وقاتلوهم
فذلك بغيهم عليهم وثبت المسلمون لهم فنصروا عليهم فوقع في انفس المسلمين من القتال في الشهر الحرام فانزل الله تعالى هذه الاية
وعفا عنهم وغفر لهم وههنا سؤالات السؤال الاول اي تعلق لهذه الاية بما قبلها الجواب كانه سبحانه وتعالى قال مع اكرامي
لهم في الاخرة بهذا الوعد لا ادع نصرهم في الدنيا على من بغى عليهم السؤال الثاني ايرجع ذلك الى المهاجرين خاصة او اليهم والى المؤمنين

الجواب

43

الجواب الاقرب انه يعود الى الذين هاجروا لانه تقدم ذكرهما ويتصل به قوله تعالى لينصرنه الله وبعد القتل والموت لا يمكن ذلك
في الدنيا السؤال الثالث المراد بالمعاقبة المذكورة الجواب من وجهين احدهما المراد ان فعله مشاكل ... مع المهاجرين
[illegible] من طلبهم [illegible] بعضهم المعتدي فيرى تعالى ان [illegible] مثل ما فعل فيهم [illegible] الغيرة الذي
[illegible] على مقابلة الكفار على التقابل لان ظاهر [illegible] الثاني ان [illegible] الاية في القصاص و
الجراحات [illegible] عن القتال السؤال الرابع لم سمى ابتداء فعلهم بالعقوبة الجواب اطلاق اسم العقوبة
على الاول للتعلق الذي بينه وبين الثاني كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها ويخادعون الله وهو خادعهم السؤال الخامس اي
تعلق لقوله ان الله لعفو غفور بما تقدم الجواب من وجوه احدها ان الله ندب المعاقب الى العفو عن الجاني بقوله فمن عفا
واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى [illegible] فلما لم يأت بهذا المندوب فهو نوع اساءة
فكانه سبحانه قال انه عفو غفور عن هذه الاساءة وثانيها انه سبحانه وان ضمن له النصر على
الباغي لكنه عرض مع ذلك بما كان اولى به من العفو فلوح به بذكر هاتين الصفتين وثالثها انه سبحانه دل بذكر العفو والمغفرة
على انه قادر على العقوبة [illegible] السؤال السادس اي تعلق لقوله ذلك بان الله
يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل الجواب من وجهين احدهما [illegible] ذلك النصر بسبب انه قادر ومن ايات قدرته
البالغة كونه خالق الليل والنهار ومتصرفا فيهما [illegible]
على النصرة [illegible] سبحانه مع ذلك [illegible] في الدنيا ما يفعله [illegible] الليل والنهار و[illegible]
[illegible] السؤال السابع ما معنى ايلاج الليل في النهار وايلاج النهار في الليل الجواب فيه وجهان احدهما
تحصيل ظلمة هذا في مكان ضياء ذلك بغيبوبة الشمس وضياء ذلك في مكان ظلمة هذا بطلوعها كما يضيء البيت بالسراج ويظلم
بفقده والثاني انه سبحانه يزيد في احدهما ما ينقص من الاخر من الساعات السؤال الثامن اي تعلق لقوله وان الله
سميع بصير بما تقدم الجواب المراد انه كما يقدر على ما لا يقدر عليه غيره فكذلك يدرك المسموع والمبصر ولا يجوز المنع
عليه ويكون ذلك كالتحذير من الاقدام على ما لا يرضاه لانه سميع بصير السؤال التاسع اي تعلق لقوله ذلك بان الله هو الحق
وان ما يدعون من دونه هو الباطل بما تقدم الجواب فيه وجهان احدهما المراد ان ذلك الوصف الذي تقدم ذكره من القدرة على هذه الامور
انما حصل لان الله هو الحق اي هو الموجود الواجب لذاته الذي يمتنع عليه التغير والزوال فلا جرم اتى بالوعد
والوعيد وثانيها ان المشتغل بعبادته هو المحق والمشتغل بعبادة غيره مبطل كما قال ليس له دعوة في الدنيا
ولا في الاخرة السؤال العاشر اي تعلق لقوله وان الله هو العلي الكبير بما تقدم الجواب معنى العلي القاهر
المقتدر الذي لا يغلب فنبه بذلك على انه القادر على الضر والنفع دون سائر من يعبد مشركا بذلك على عبادتهم زاجرا عن
عبادتهم ومعنى الكبير هو العظيم في قدرته وسلطانه وذلك ابطال لما يقوله [illegible] المسألة الثالثة [illegible]
[illegible] عن الغيب [illegible] المسألة الرابعة قال الشافعي رضي الله عنه
من حرق حرقناه ومن غرق غرقناه وقال ابو حنيفة رضي الله عنه بل يقتل بالسيف واحتج الشافعي رضي الله عنه
بهذه الاية فان الله تعالى جوز للمظلوم ان يعاقب بمثل ما عوقب به ووعده النصر عليه المسألة الخامسة قرأ
نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء ههنا وفي لقمان والمؤمن والعنكبوت وقرأ ابن كثير وابو عمرو كلها بالياء على الخبر
والوجه [illegible] من الخطاب الى الاخبار ومن اختار الخطاب

قوله تعالى

الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ان الله لطيف خبير له ما في السموات وما في الارض وان الله
لهو الغني الحميد الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض والفلك تجري في البحر بامره ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه
ان الله بالناس لرؤوف رحيم وهو الذي احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ان الانسان لكفور اعلم انه تعالى لما دل على قدرته
من قبل بما ذكره من ولوج الليل في النهار [illegible] على نعمة اتبعه بانواع اخر من الدلائل على قدرته ونعمته وهي ستة اولها
قوله الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح [illegible] المسألة الاولى [illegible] الم تر

ملثه احدها ان المراد هو الرويه الحقيقيه قالوا لان الما والنازل من السما يرى بالعين واخضرار النبات على الارض
مرئى واذا امكن حمل الكلام على حقيقته فهو اولى وثانيها المراد الم تر على سبيل الاستفهام وثالثها المراد الم تعلم
والقول الاول ضعيف لان الما وان كان مرئيا الا ان كون الله منزلا له من السما غير مرئى اذا ثبت هذا
وجب حمله على العلم لان المقصود من تلك الرويه هو العلم لان الرويه اذا لم يقترن بها العلم كانها لم تحصل المسله
الثانيه قرى مخضرة كمبقلة ومسبعة اي ذات خضر وههنا سوالات السوال الاول
لم قال فتصبح الارض مخضرة ولم يقل فاصبحت والجواب لنكتة فيه وهي افادة بقا اثر المطر زمانا بعد زمان
كما تقول انعم على فلان عام كذا فاروح واغدو شاكرا له ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع
السوال الثاني لم رفع ولم ينصب جوابا للاستفهام الجواب لو نصب لاعطى عكس ما هو الغرض لان معناه
اثبات الاخضرار فينقلب بالنصب الى نفي الاخضرار مثاله ان تقول لصاحبك الم تر انى انعمت عليك فتشكر
ان نصبته فانت ناف لشكره شاك تفريطه فيه وان رفعته فانت مثبت للشكر السوال الثالث اى دلالة في
ذلك دلالة على قدرته على قوله ان الله لطيف خبير الجواب من وجوه احدها اراد انه رحيم بعباده
ولرحمته فعل ذلك حتى عظم انتفاعهم به لان الارض اذا اصبحت مخضرة والسما اذا امطرت كان ذلك سببا لعيش
الحيوانات اجمع وثانيها [illegible] عالم بمقادير مصالحهم فيفعل على قدر ذلك من دون زيادة ونقصان
وثالثها قال ابن عباس لطيف بارزاق عباده خبير بما في قلوبهم من القنوط وقال الكلبي لطيف في افعاله
خبير باعمال خلقه وقال مقاتل لطيف باستخراج النبت خبير بكيفية خلقها الدلالة الثانية قوله تعالى
له ما في السموات وما في الارض وان الله لهو الغني الحميد والمعنى ان كل ذلك منقاد له غير ممتنع من التصرف فيه وهو غني
عن الاشيا كلها وعن حمد الحامدين لنفسه لانه كامل لذاته والكامل لذاته غنى عن كل ما عداه في كل الصفات ولكنه لما خلق
الحيوان فلا بد في الحكمة من مطر ونبات فخلق هذه الاشيا رحمة للحيوانات فانعم عليهم لا لحاجة به الى ذلك واذا كان
كذلك كان انعامه خاليا عن غرض عايد اليه فكان مستحقا للحمد فكانه قال انه لكونه غنيا لم يفعل ما فعله الا للاحسان
ومن كان كذلك كان مستحقا للحمد [illegible] الدلالة الثالثة قوله الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض وذلك
لكم فانها كلها مسخرة لكم ولا اشد من الحجر والحديد ولا اكثر هيبة من النار وقد سخرها لكم وسخر الحيوانات [illegible]
بها من حيث الاكل والركوب والحمل عليها والانتفاع بالنظر اليها فلولا تسخيره تعالى الابل والبقر مع قوتهما حتى يذللهما
الضعيف من الناس ويتمكن منهما لما كان ذلك نعمة الدلالة الرابعة قوله تعالى والفلك تجري في البحر بامره [illegible]
ان المراد وسخر لكم الفلك لتجري في البحر وكيفية تسخير الفلك هو من حيث سخر الما والرياح لجريها فلولا صفتهما على
ما هما عليه حتى لو كانت تغوص او تقف فيه [illegible] فنبه تعالى على نعمته لكم بان خلق ما تعمل منه السفن وبان بين كيف
تعمل وانما قال بامره [illegible] سبحانه لما كان مجريها بالريح نسب ذلك الى امره توسعا لان ذلك يتبعه تعظيمه باكثر
[illegible] الدلالة الخامسة قوله ويمسك السما ان تقع على الارض
الا باذنه ان الله بالناس لرؤف رحيم واعلم ان النعم المتقدمة لا تكمل الا بهذه لان السما مسكن [illegible] فوجب ان يكون
وما كان كذلك [illegible] لولا مانع يمنع منه وهذه الحجه مبنيه على ظواهر الاوهام وقوله ان تقع فيه [illegible]
الكوفيين لا تقع وقال البصريون كراهة ان تقع وهذا [illegible] على مسلة [illegible] وهي ان الارادات والكراهات
هل تتعلق بالعدم [illegible]
اما قوله ان الله بالناس لرؤف رحيم فالمعنى ان المنعم بهذه النعم الجامعة لمنافع الدنيا والدين قد بلغ الغاية في
الاحسان والانعام فهو اذا رؤف رحيم الدلالة السادسة قوله وهو الذي احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ان الانسان
لكفور والمعنى ان من سخر له هذه الامور وانعم بها عليه فهو الذي احياه فنبه بالاول على انعام الدنيا علينا بكل ما تقدم
ونبه بالاماتة والاحيا الثاني على نعم الدين علينا [illegible] سبحانه خلق الدنيا [illegible] النعم على هذا الوجه

معنى

معنى يتبين ذلك انه لولا امر الاخر لم يكن للزراعات ونكلفوها ولا لركوب الحيوان وذبحها الى غير ذلك معنى يتبين بل كان تعالى
يخلقه ابتداء من دون تكلف الزرع والسقي فانما اجرى العادة بذلك ليعتبر به في باب الدين ولما فصل تعالى هذه النعم فقال ان
الانسان لكفور وهذا كما يعدد المرء نعمه على ولده ثم يقول ان الولد لكفور لنعم الوالد زجرا له عن الكفران وبعثا له على
الشكر فلذلك اورد تعالى ذلك في الكفار فبين انهم دفعوا هذه النعم وكفروا بها وجهلوا خالقها مع وضوح امرها ونظيره
قوله وقليل من عبادي الشكور قال ابن عباس رضي الله عنهما الانسان ههنا هو الكافر وقال ايضا هو الاسود بن عبد الاسد
وابو جهل والعاص وابي بن خلف والاولى تعميمه في كل المنكرين

قوله تعالى

لكل امة
جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك في الامر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم وان جادلوك فقل الله اعلم
بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون اعلم انه تعالى لما قدم ذكر نعمه وبين انه رؤف رحيم بعباده
وان كان منهم من يكفر ولا يشكر اتبعه بذكر نعمه بما كلف فقال لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه وفيه مسايل المسله
الاولى انما حذف الواو في قوله لكل امة لانه لا تعلق لهذا الكلام بما قبله فلا جرم حذف العاطف المسله الثانيه في المنسك
اقوال احدها قال ابن عباس رضي الله عنهما [illegible] لفظ المنسك مختص بالذبائح عن مجاهد [illegible]
[illegible] مكانا معينا [illegible] الطاعات ورابعها المنسك هو الشريعة والمنهاج وهو قول ابن عباس
في رواية عطا واختيار القفال وهو اقرب لقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولان المنسك ماخوذ من النسك
وهو العبادة واذا وقع الاسم على كل عبادة فلا وجه للتخصيص فان قيل هلا حملتموه على الذبح لان المنسك في العرف لا يفهم
منه الا الذبح وهلا حملتموه على موضع العبادة وعلى وقته والجواب عن الاول لا نسلم ان المنسك في العرف مخصوص بالذبح و
الدليل عليه ان سائر ما يفعل في الحج يوصف بانها مناسك قال عليه السلم خذوا عني مناسككم وعن الثاني ان قوله هم ناسكوه
اليق بالعبادة منه بالوقت والمكان المسله الثالثه زعم قوم ان المراد من قوله هم ناسكوه من كان في زمن الرسول [illegible]
شرع كاليهود والنصارى ولا يمتنع ان يكون المراد كل من تعبد من الامم سواء بقيت او لم يبق لان قوله هم ناسكوه [illegible]
[illegible] اما قوله فلا ينازعنك في الامر وقرى فلا ينزعنك اي اثبت في دينك ثباتا [illegible]
عنه واما ينازعنك فهو [illegible] وهو قول الزجاج انه نهي له عن منازعتهم كما تقول لا يضاربنك فلان اي لا تضاربه
[illegible] المراد [illegible] عليهم اتباعك وترك مخالفتك [illegible] على شرعك وعلى انه ناسخ لكل ما قبله [illegible] تعالى
كل امة بقيت منها بقية ان تستمر على تلك العادة والزمان فحول الى اتباع الرسول عليه السلم فلذلك قال وادع الى ربك انك
لعلى هدى مستقيم [illegible] فادعهم الى شرعك [illegible] والمراد [illegible]
ادلة الدين ومراده [illegible] ادعهم الى هذا الدين [illegible] طريقته واضحة ولما قال وان جادلوك
والمعنى فان عدلوا عن النظر في هذه الادلة الى طريقة المراء والتمسك بالعادة فقد بينت واظهرت [illegible] فقل الله اعلم
بما تعملون انه ليس بعد ايضاح الادلة الا هذا الجنس الذي يجري مجرى الوعيد والتحذير من يوم القيامة الذي يتردد
بين جنة وثواب لمن قبل ونار وعقاب لمن رد وانكر

قوله تعالى

الم تعلم ان الله يعلم
ما في السما والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم
وما للظالمين من نصير واذا تتلى عليهم اياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم اياتنا
قل افانبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير اعلم انه تعالى لما قال من قبل الله يحكم بينكم
يوم القيامة اتبعه بما به يعلم ان الله سبحانه عالم بما يستحقه كل احد فيقع الحكم منه بينهم بالعدل لا بالجور فقال لرسوله
الم تعلم ان الله يعلم ما في السما والارض وههنا مسايل المسله الاولى قوله الم تعلم وان كان لفظه الاستفهام لكن معناه تقوية
قلب الرسول عليه السلم والوعد له وايعاد الكافرين بان كل فعلهم محفوظ عند الله لا يضل عنه ولا ينسى المسله الثانيه
الخطاب مع الرسول والمراد سائر العباد لان الرسالة لا تثبت الا بعد العلم بكونه تعالى عالما بكل المعلومات اذ لو لم يثبت ذلك
لجاز ان يشتبه عليه الكاذب بالصادق فحينئذ لا يكون اظهار المعجز دليلا على الصدق واذا كان كذلك استحال ان

لكون الرسول عالما بذلك فيتعين المراد ان يكون خطابا مع الغير اما قوله ان ذلك في كتاب ففيه قولان احدها

قول ابي مسلم ان معنى الكتاب الحفظ والضبط والشد يقال كتبت المزادة اكتبها اذا خرزتها فحفظت بذلك

ما فيها ومعنى الكتاب بين الناس حفظ ما يتعاملون به فالمراد من قوله ان ذلك في كتاب انه محفوظ عنده والثاني وهو

قول الجمهور ان كل ما يحدثه الله في السموات والارض كتبه في اللوح المحفوظ قالوا وهذا اولى لان القول الاول

[illegible]

قوله تعالى

[illegible]

معلوما من قبل جاز ذلك فيه ويكون ذكره بمنزلة اعادة امر قد تقدم اما قوله فاستمعوا له ان تدبروه حق تدبره

لان نفس السماع لا ينفع وانما ينفع بالتدبر واعلم ان الذباب لما كان في غاية الضعف احتج الله تعالى به على ابطال

[illegible]

قوله تعالى

[illegible]

الملايكة جبريل وميكاييل واسرافيل وعزرايل والحفظة صلوات الله عليهم واما كل الملايكة فبعضهم رسل الى
البعض فهذا السوال الثاني قال في سورة الزمر لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء فدل
على ان ذلك يجب ان لا يكون مصطفى وهذه الاية دلت على ان بعض الملايكة وبعض الناس من المصطفين فيلزم بمجموع الايتين اثبات
الولد الجواب ان قوله لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى يدل على ان كل ولد مصطفى ولا يدل على ان كل مصطفى ولد فلا يلزم
من دلالة هذه الاية على وجود مصطفى كونه ولدا وفي هذه الاية وجه اخر وهو ان المراد تبكيت من عبد غير الله من الملايكة
كانه سبحانه ابطل في الاية الاولى قول عبدة الاوثان وفي هذه الاية ابطل قول عبدة الملايكة فبين ان علو درجة الملايكة
ليس لكونهم الهة بل لان الله اصطفاهم لمكان عبادتهم فكانه تعالى بين انهم ما قدروا الله حق قدره اذ جعلوا الملايكة
معبودين مع الله ثم بين سبحانه بقوله ان الله سميع بصير انه يسمع ما يقولون ويرى ما يفعلون ولذلك اتبعه بقوله
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم قال بعضهم ما تقدم في الدنيا وما تاخر وقال الحسن ما بين ايديهم امر الاخرة وما خلفهم امر الدنيا
ثم اتبعه بقوله والى الله ترجع الامور وتمام يعلم ما بين ايديهم اشارة الى العلم التام وقوله والى الله ترجع الامور
اشارة الى القدرة التامة والتفرد بالالهية والحكم ومجموعهما يتضمن نهاية الزجر عن الاقدام على المعصية

قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا في الله
حق جهاده هو اجتبيكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابرهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون
الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهدا على الناس فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى
ونعم النصير اعلم انه سبحانه لما تكلم في الالهيات ثم في النبوات اتبعه بالكلام في الشرايع وهو من اربعة اوجه
اولها تعيين المامور وثانيها اقسام المامور به وثالثها ذكر ما يوجب قبول تلك الاوامر ورابعها تاكيد ذلك التكليف اما
النوع الاول وهو تعيين المامور فهو قوله يا ايها الذين امنوا وفيه قولان احدهما ان المراد منه كل المكلفين سواء كان مومنا او
كافرا لان التكليف عام في كل المكلفين فلا معنى لتخصيص المومنين بذلك والثاني ان المراد منه المومن
فقط لان اللفظ صريح فيه ولانه تعالى قال بعد ذلك هو اجتبيكم وقوله هو سماكم المسلمين
وقوله لتكونوا شهدا على الناس كل ذلك لا يليق الا بالمومنين اقصى ما في الباب ان يقال لما كان ذلك
واجبا على الكل فاي فايدة في تخصيص المومنين لكنا نقول تخصيصهم بالذكر لا يدل على نفي ذلك عما عداهم بل قد دلت
هذه الاية على كونهم على التخصيص مامورين بهذه الاشيا ودلت ساير الايات على كون الكل مامورين بها ويمكن ان يقال
فايدة التخصيص انه لما جا الخطاب العام مرة بعد اخرى ثم انه ما قبله الا المومنون خصهم الله بهذا الخطاب
ليكون ذلك كالتحريض لهم على المواظبة على ما قبلوه وكالتشريف لهم في ذلك الافراد والتخصيص اما النوع
الثاني وهو المامور به فقد ذكر الله تعالى امورا اربعة اولها الصلوة وهو المراد من قوله اركعوا واسجدوا
وذلك لان اشرف اركان الصلوة هو الركوع والسجود والصلوة هي المختصة بهذين الركنين فكان ذكرهما جاريا
مجرى ذكر الصلوة وذكر ابن عباس ان الناس كانوا في اول اسلامهم يركعون ولا يسجدون حتى نزلت هذه الاية
الثاني قوله واعبدوا ربكم وذكروا وجوها احدها اعبدوه ولا تعبدوا غيره وثانيها اعبدوا ربكم في ساير
المامورات والمنهيات وثالثها افعلوا الركوع والسجود وساير الطاعات على وجه العبادة لانه لا يكفي ان تفعل
فانه ما لم تقصد به عبادة الله تعالى لا ينفع في باب الثواب فلذلك عطف هذه الجملة على الركوع والسجود الثالث
قوله وافعلوا الخير قال ابن عباس يريد صلة الرحم ومكارم الاخلاق والوجه عندي في هذا الترتيب ان الصلوة
نوع من انواع العبادة والعبادة نوع من انواع فعل الخير لان فعل الخير ينقسم الى خدمة المعبود الذي هو عبارة
عن التعظيم لامر الله والى الاحسان الذي هو عبارة عن الشفقة على خلق الله ويدخل فيه البر والمعروف والصدقة
على الفقرا وحسن القول للناس فكانه سبحانه قال كلفتكم بالصلوة بل كلفتكم بما هو اعم منها وهو العبادة بل
كلفتكم بما هو اعم من العبادة وهو فعل الخيرات ثم قال لعلكم تفلحون اي لكي تفلحوا والفلاح الظفر بنعيم الاخرة

وقال الامام

وقال الامام ابو القاسم الانصاري لعل كلمة الترجي فان الانسان قلما يخلو في اداء فرايضه من تقصير وليس هو على
يقين من ان ما اتى به هل هو مقبول عند الله والعواقب ايضا مستورة وكل ميسر لما خلق له النوع الرابع
قوله وجاهدوا في الله حق جهاده قال صاحب الكشاف في الله اي في ذات الله ومن اجله يقال هو حق عالم
وجد عالم اي عالم حقا وجدا ومنه حق جهاده وهاهنا سوالات السوال الاول ما وجه هذه
الاضافة وكان القياس حق الجهاد فيه او حق جهادكم كما قال وجاهدوا في الله حق جهاده الجواب الاضافة
تكون بادنى ملابسة فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث انه مفعول لوجهه ومن اجله صحت اضافته اليه
السوال الثاني ما هذا الجهاد الجواب فيه وجوه احدها انه قتال الكفار خاصة ومعنى حق جهاده ان لا تفعلوا
العبادة لا رغبة في الدنيا من حيث الاسم او الغنيمة والثاني ان تجاهد اخرا كما جاهدوا اولا فقد كان جهادهم
في الاول اقوى وكانوا فيه اشد شكيمتهم يوم بدر روي عن عمر انه قال لعبد الرحمن بن عوف اما علمت
انا كنا نقرا وجاهدوا في الله حق جهاده في اخر الزمان كما جاهدتم في اوله قال عبد الرحمن ومتى ذاك
يا امير المومنين قال اذا كانت بنو امية الامرا وبنو مغيرة الوزرا واعلم انه يبعد ان يكون هذه الزيادة
من القران والا لنقل كنقل نظايره ولعله ان صح ذلك عن الرسول فانما قاله كالتفسير للاية وروي عن
ابن عباس انه قرا وجاهدوا في الله حق جهاده كما جاهدتم اول مرة فقال عمر رضي الله عنه من الذي
امرنا بجهاده فقال قبيلتان من قريش مخزوم وعبد شمس فقال صدقت والثالث قال ابن عباس
حق جهاده لا تخافوا في الله لومة لايم الرابع قال الضحاك واعملوا لله حق عمله الخامس
استفرغوا وسعكم في احيا دين الله واقامة حقوقه بالحرب واليد واللسان وجميع ما يمكن وردوا
انفسكم عن الهوى والميل السادس قال عبد الله بن المبارك حق جهاده مجاهدة النفس والهوى
رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك قال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر والاولى ان يحمل
ذلك على كل التكاليف فكل ما امر به ونهى عنه فالمحافظة عليه جهاد السوال الثالث هل يصح ما نقل عن
مقاتل والكلبي ان هذه الاية منسوخة بقوله فاتقوا الله ما استطعتم كما ان قوله اتقوا الله حق تقاته منسوخ بذلك
الجواب هذا بعيد لان التكليف مشروط بالقدرة لقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها فكيف يقول الله
وجاهدوا في الله على وجه لا يقدر عليه وكيف وقد كان الجهاد في الاول مضيقا حتى لا يصح ان يفر الواحد
من عشرة ثم خففه الله بقوله الان خفف الله عنكم فنحو ذلك يجب على وجه لا يطاق حتى يقال
انه منسوخ النوع الثالث بيان ما يوجب قبول هذه الاوامر وهو ثلثة الاول قوله هو اجتبيكم
ومعناه ان التكليف تشريف من الله للعباد فلما خصكم بهذا التكليف فقد خصكم باعظم التشريفات فاختاركم
لخدمته والاشتغال بطاعته فاي رتبة اعلى من هذا واي سعادة فوق هذا وقيل في اجتبيكم خصكم
بالهداية والمعونة والتيسير اما قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج روي ان ابا هريرة رضي الله عنه
قال كيف قال الله وما جعل عليكم في الدين من حرج مع انه منعنا عن الزنا والسرقة فقال ابن عباس
بلى ولكن الاصر الذي كان على بني اسرايل وضع عنكم وهاهنا سوالات السوال الاول ما الحرج في اصل اللغة
الجواب روي عن ابن عباس انه قال لبعض هذيل ما تعدون الحرج فيكم قال الضيق وعن عايشة سالت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال الضيق السوال الثاني ما المراد من الحرج في الاية الجواب
قيل من الاعيان الرخص فيه فمن لم يستطع ان يصلي قايما فليصل جالسا ومن لم يستطع ذلك فليوم واباح
للصايم الفطر في السفر والقصر فيه وايضا فانه سبحانه لم يبتل عبدا بشي من الذنوب الا وجعل له مخرجا
منه اما بالتوبة او بالكفارة وعن ابن عمر من جاءته رخصة فرغب عنها كلف يوم القيامة ان يحمل مثل
... حتى يفصل بين الناس وعن النبي عليه السلام اذا اجتمع امران فاحبهما الى الله ايسرهما وعن كعب ... الله

[illegible]

للمؤمن

للمؤمن خاصة [illegible]

[illegible]

الفاسق [illegible] وخلق المنتهى [illegible] سلط عليه شياطين [illegible]

في الفجور [illegible]

عليك وان بطل يسقط [illegible] بالكلية والله اعلم

سورة المؤمن مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم
في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكوة فاعلون والذين هم لفروجهم
حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين
هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون

[illegible]

عنه كونه مناجاة او المقصود منه مجرد الحروف والاصوات ولا شك في خفائه فهنا القسم فانه يحرك اللسان بالهذيان
ليس فيه غرض صحيح فثبت ان المقصود منه المناجاة وذلك لا يتحقق الا اذا كان اللسان معبرا عما في القلب من
التضرعات فاي سؤال في قوله اهدنا الصراط المستقيم وكان القلب غافلا عنه بل اقول لو حلف انسان وقال
والله لاشكرن فلانا واثني عليه واساله حاجة ثم جرت الالفاظ الدالة على هذه المعاني على لسانه في النوم
لم يبر في يمينه ولو جرى على لسانه في ظلمة الليل وذلك الانسان حاضر وهو لا يعرف حضوره ولا يراه لا يصير بارا
في يمينه ولا يكون كلامه خطابا معه ما لم يكن حاضرا بقلبه ولو جرت هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر في بياض النهار
الا ان المتكلم غافل لكونه مستغرق الهم بفكر من الافكار ولم يكن له قصد توجيه الخطاب عليه عند نطقه لم يحنث
بانا في يمينه ولا شك في ان المقصود من القراءة والاذكار والحمد والثناء والتضرع والدعاء والمخاطب هو الله فاذا كان
القلب محجوبا بحجاب الغفلة وكان غافلا عن جلال الله وكبريائه ثم ان لسانه يتحرك بحكم العادة فما ابعد ذلك عن القبول
واما الركوع والسجود فالمقصود منه التعظيم ولو جاز ان يكون تعظيما لله تعالى مع انه غافل عنه لجاز ان يكون
تعظيما للصنم الموضوع بين يديه وهو غافل عنه ولانه اذا لم يحصل التعظيم لم يبق الا مجرد حركة الظهر والراس وليس فيها
من المشقة ما يصير لاجله عماد الدين وفاصلا بين الكفر والاسلام ويقدم على الحج والزكاة والجهاد وسائر الطاعات
الشاقة ويجب القتل بسببه على الخصوص وبالجملة فكل عاقل يقطع بان هذه الاعمال العظيمة ليس اعمالها
الظاهرة الا ان يقترن بها مقصود المناجاة فدلت هذه الاعتبارات على ان الصلاة لا بد فيها من الحضور
وسادسها ان الفقهاء اختلفوا في انه اذا سلم عند الجماعة هل ينوي الحضور ام الغيب
والحضور فاذا احتيج الى التدبر في معنى السلام الذي هو الخاتمة فكيف لا يحتاج الى التدبر في معنى التكبير
والتسبيح التي هي الاشياء المقصودة من الصلاة واحتج المخالف بان اشتراط الحضور والخشوع على خلاف اجماع
الفقهاء [illegible] ان الحضور عندنا ليس شرطا للاجزاء بل شرط القبول
والمراد من الاجزاء ان لا يجب القضاء والمراد من القبول حكم الثواب والفقهاء انما يبحثون عن حكم الاجزاء لا عن
حكم الثواب وغرضنا في هذا المقام هذا ومثاله في الشاهد ان يستعار من غيره ثوبا ثم رده على الوجه الاحسن
فقد خرج عن العهدة واستحق المدح واذا رماه اليه على وجه الاستخفاف خرج عن العهدة لكنه استحق الذم كذا
من عظم الله تعالى حال اداء العبادة صار فعله للعوض مستحقا للثواب ومن تهاون بها صار فعله للعوض طاهرا
لكنه استحق الذم وثانيها انا نبين هذا الاجماع اما المتكلمون فقد اتفقوا على انه لا بد من الحضور والخشوع واحتجوا عليه
بان السجود لله تعالى طاعة وللصنم كفر وكل واحد منهما يماثل الاخر في ذاته ولوازمه فلا بد من امر لاجله صار
السجود في احدى الصورتين طاعة وفي الاخرى معصية قالوا وما ذاك الا القصد [illegible] والمراد من القصد ايقاع
تلك الافعال لداعية الامتثال وهذه الداعية لا يمكن حصولها الا عند الحضور فلهذا اتفقوا على انه لا بد
من الحضور واما الفقهاء فذكر الفقيه ابو الليث رحمه الله في تنبيه الغافلين ان تمام القراءة ان يقرا بغير
لحن وان يقرأ بالتفكر واما الغزالي رحمه الله فانه نقل عن ابي طالب المكي عن بشر الحافي انه قال من لم يخشع
فسدت صلاته وعن الحسن كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة اسرع وعن معاذ بن جبل من عرف
من على يمينه وشماله متعمدا وهو في الصلاة فلا صلاة له وروي ايضا مسندا انه عليه السلام ان العبد ليصلي الصلاة
لا يكتب له سدسها ولا عشرها وانما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها وقال عبد الواحد بن زيد اجمعت العلماء على
انه ليس للعبد من صلاته الا ما عقل منها فادعى فيه الاجماع اذا ثبت هذا فنقول [illegible] ان الفقهاء باسرهم حكموا بجوازه
[illegible] واهل الورع [illegible] فيه الامر فهلا اخذت بالاحتياط فان بعض العلماء اختار الامامة فقيل
له [illegible] رضي الله عنه وان في اتباع الامام ان [illegible]
ابو حنيفة فاخترت الامامة طلبا للخلاص عن هذا الاختلاف المسئلة الثالثة قوله تعالى والذين هم عن اللغو

معرضون

معرضون في اللغو قولان احدها انه يدخل فيه كل ما كان حراما او مكروها او كان مباحا ولكن لا يكون بالمرء اليه
ضرورة وحاجة وثانيها انه عبارة عن كل ما كان حراما فقط وهذا التفسير اخص من الاول وثالثها انه عبارة
عن المعصية في القول والكلام خاصة وهذا اخص من الثاني ورابعها انه المباح الذي لا حاجة اليه واحتج هذا
القائل بقوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم فكيف يحمل ذلك على المعاصي التي لا بد فيها من المؤاخذة واحتج
الاولون بان اللغو انما سمي لغوا [illegible] كثير التوبيخ لا تسمعوا لهذا
القرآن والغوا فيه [illegible] لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما ثم انه سبحانه
وتعالى مدحهم بانهم يعرضون عن هذا اللغو والاعراض عنه هو بان لا يفعل ولا يرضى به ولا يخالط من يأتيه وعلى
هذا الوجه قال تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما فاعلم انه سبحانه وتعالى لما وصفهم بالخشوع في الصلاة اتبعه
الوصف بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الانفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف
الصفة الرابعة قوله تعالى والذين هم للزكاة فاعلون وفي الزكاة قولان احدهما قول ابي مسلم ان فعل
الزكاة يقع على كل فعل محمود مرضي كقوله قد افلح من تزكى وقوله فلا تزكوا انفسكم ومن جملته ما يخرج من حق المال
وانما سمي بذلك لانها تطهر من الذنوب لقوله تعالى تطهرهم وتزكيهم بها والثاني وهو قول الاكثرين انه الحق الواجب
في الاموال خاصة وهذا هو الاقرب لان هذه اللفظة قد اختصت في الشرع بهذا المعنى فان قيل انه
لا يقال في الكلام الفصيح انه فعل الزكاة قلنا [illegible] الزكاة اسم مشترك بين عين ومعنى فالعين
القدر الذي يخرجه المزكي من النصاب الى الفقير والمعنى فعل المزكي الذي هو التزكية وهو الذي اراده الله فجعل
المزكين فاعلين له ولا يسوغ فيه غيره لانه ما من مصدر الا يعبر عن معناه بالفعل [illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible] فى هاتين الصورتين [illegible] ذكرت حكمها [illegible] بالنيات والثاني ان سلمنا
[illegible] حفظ الفروج عن الكل الا فى [illegible] اما قوله تعالى [illegible]
ان الاستثنا [illegible] انه عام دخله التخصيص بالدليل فيبقى [illegible] حجة
[illegible] المعنى [illegible] الصفة [illegible] تعالى والذين هم [illegible]
[illegible] والذين هم على صلواتهم [illegible] قوله تعالى ان الله يامركم
ان تؤدوا الامانات الى اهلها [illegible] والموفون بعهدهم اذا عاهدوا
[illegible] ان تؤدوا الامانات الى اهلها [illegible] المؤمن عليها الامانة
[illegible] وقوله تعالى [illegible] عهد
[illegible] الى ما يقرب به [illegible] اما على [illegible] الله تعالى [illegible] الثالث عهد
البنا [illegible] القائم عن [illegible] واصلاح [illegible] الرجل [illegible] التى [illegible]
[illegible] فى كتابه [illegible] تعالى يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم
[illegible] العبادات [illegible] الامانات [illegible] كالصوم وغسل الجنابة
فى [illegible] العبادات التى [illegible] العبادات [illegible] الامانات [illegible]
[illegible] اعظم الناس خيانة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الخشوع [illegible]
[illegible] المحافظة [illegible]
[illegible] والمحافظة [illegible]
[illegible] تعالى [illegible] الاموال
[illegible] السوال [illegible]
[illegible] الجنة [illegible] ان الله اشترى من المؤمنين
[illegible] الجنة [illegible]
[illegible] عن الرسول عليه السلم [illegible]
[illegible] الجنة [illegible]
[illegible]
[illegible] الجنة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الجنة [illegible]
[illegible] آدم عليه السلام
[illegible] الصفات [illegible]
[illegible] الله تعالى [illegible] العبادات [illegible] والذين هم [illegible]
[illegible]
[illegible] السوال [illegible] الثالث [illegible] قوله تعالى [illegible]
الجواب [illegible] الجنة [illegible]
[illegible] الخوف [illegible] قوله تعالى [illegible] ذلك [illegible]
السوال [illegible] الجنة [illegible]

وروى

49

وروى ابو موسى الاشعرى عن النبى عليه السلم قال الفردوس مقصورة الرحمن فيها الاشجار والانهار وروى ابو امامه انه
عليه السلم انه قال سلوا الله الفردوس فانها سرة الجنة وان اهل الفردوس يسمعون اطيط العرش السوال الخامس
هل تدل الايه على ان هذه الصفات هى التى لها [illegible] يكونون مومنين ام لا الجواب اقوى الحجاج ان لم يكن فما على
مذهبه ان الايمان اسم شرعى موضوع لاداء كل الواجبات وعندنا ان الايه لا تدل على ذلك لانه قال قد افلح المومنون
الذين هم فى صلاتهم خاشعون [illegible] الناس [illegible] الفعل فان هذا لا يدل على ان الزكاة والعبادة داخلان فى
مسمى الايمان [illegible] السوال السادس روى انه عليه السلم قال لما خلق الله تعالى جنة عدن قال لها تكلمى فقالت
قد افلح المومنون وقال كعب خلق ادم بيده وكتب التوراة بيده وغرس طوبى بيده ثم قال تكلمى فقالت قد افلح المومنون وعن
انه عليه السلم قال اذا احسن العبد الوضوء وصلى الصلاة لوقتها وحافظ على ركوعها وسجودها [illegible] حفظك الله
كما حافظت على [illegible] لصاحبها واذا اضاعها [illegible] ضيعتنى [illegible] الثوب الخلق [illegible]
وجه صاحبها [illegible] الجواب [illegible] الجنة [illegible]
[illegible] قوله تعالى [illegible]
ان [illegible] الجواز [illegible] الجنة [illegible]
[illegible] السوال السابع
[illegible] الجواب [illegible]
تعالى [illegible] الجنة [illegible]
[illegible] بالجنة [illegible]
[illegible] الجنة [illegible] قوله تعالى [illegible]
قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا
العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين اعلم انه سبحانه لما
امر بالعبادة فى الايه المتقدمة [illegible] بعبادة الله تعالى [illegible] الله تعالى [illegible]
[illegible] بصفات الجلال والوحدانية [illegible]
احوال الخلقة [illegible] قوله [illegible] تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين
والسلالة الخلاصة لانها تسل من بين الكدر [illegible] واختلفوا اهل التفسير فى
الانسان فقال ابن عباس وعكرمة وقتادة ومقاتل المراد منه ادم عليه السلم فادم استل من الطين وخلقت ذريته
من ماء مهين ثم جعلنا الكناية راجعة الى الانسان الذى هو ولد ادم [illegible] ادم عليه السلم [illegible]
الانسان هاهنا هو ولد آدم والطين هاهنا اسم ادم عليه السلام والسلالة هى [illegible] المتولدة [illegible] التى
لما اجتمعت وحصلت فى اوعية المنى صارت منيا [illegible] لقوله تعالى [illegible] الانسان من طين ثم جعل
نسله من سلالة من ماء مهين [illegible] الانسان انما يتولد من النطفة وهى انما تتولد [illegible] الرابع وذلك
انما يتولد من الاغذية وهى اما حيوانية او نباتية والحيوانية تنتهى الى النباتية والنبات انما يتولد من صفو الارض
والماء [illegible] الانسان [illegible] من سلالة من طين [illegible] عليه اطوارا فى الخلقة [illegible]
[illegible] الى الكلمات [illegible] قوله ثم جعلناه نطفة
فى قرار مكين [illegible] الانسان [illegible] جعل جوهر [illegible] نطفة فى اصلاب الاباء
[illegible] الى رحم المراة [illegible] الرحم [illegible] النطفة والمراد بالقرار موضع النطفة
المستقر [illegible] وصف الرحم [illegible]
[illegible] قوله ثم خلقنا النطفة علقة اى [illegible] النطفة [illegible] الى صفات العلقة

ومن الدم الجامد المرتبه الرابعه قوله ثم خلقنا العلقه مضغه اي جعلنا ذلك اللحم الجامد مضغه الى
[illegible] ويرى ما يعترف وتسمى التحويل خلقا لانه سبحانه نفى بعض اعراضها و تخلق
نطفه لم كانها مقدار ما يمضغ كالعزنه [illegible] سبحانه وتعالى يخلق فيها اجزا انا بيه المرتبه الخامسه
اعراضا غيرها فسمى خلق الاعراض خلقا لها كانه سبحانه وتعالى [illegible] والمراد منه الجمع كقوله والملك صفا صفا
قوله ثم خلقنا المضغه عظاما اي صيرناها كذلك وقرا ابن عامر عظما والمراد منه الجمع [illegible]
المرتبه السادسه قوله فكسونا العظام لحما وذلك لان اللحم يستر العظم فجعله كالكسوه لها المرتبه
السابعه قوله ثم انشاناه خلقا اخر اي خلقا مباينا للخلق الاول مباينه ما ابعدها حيث جعله حيوانا وكان جمادا
وناطقا وكان ابكم وسميعا وكان اصم وبصيرا وكان اكمه واودع باطنه وظاهره بل كل عضو من اعضايه و
كل جزء من اجزايه عجايب نظره وغرايب حكمه لا يحيط به وصف الواصفين ولا شرح الشارحين وروى العوفي
عن ابن عباس انه سبحانه تصريفه اياه بعد الولاده في اطواره من الطفوليه وما بعدها الى استوا الشباب و
خلق الفهم والعقل وما بعده الى ان يموت ودليل هذا القول انه عقبه بقوله ثم انكم بعد ذلك لميتون وهذا
المعنى مروي ايضا عن مجاهد وابن عمر وانما قال انشاناه لانه جعل انشا الروح واتمام خلقه انشا له والوالي الايه
دالة على بطلان قول النظام في ان الانسان هو الروح لا البدن فانه سبحانه بين ان الانسان هو المركب من هذه
الصفات وفيها دلاله ايضا على بطلان قول الفلاسفه الذين يقولون ان الانسان شي لا ينقسم وانه ليس بجسم اما
قوله فتبارك الله اي فتعالى الله لان البركه يرجع معناها الى الامتداد والزياده وكل ما زاد على الشي فقد
علاه ويجوز ان يكون المعنى بالبركه كثرة الخير من قبله وقيل اصله من البروك وهو الثبات فكانه
قال البقا والدوام والبركات كلها منه فهو المستحق للتعظيم والثنا قوله احسن الخالقين اي احسن المقدرين
[illegible] المعتزله لولا ان غير الله قد يكون خالقا
لما جاز ان يقال الله احسن الخالقين وها هنا مسايل المسيله الاولى قالت المعتزله
لان اذا قلنا لمعنى [illegible] يحكم ويرحم لم يجز ان يقال انه احكم الحاكمين
وارحم الراحمين والخلق في اللغه هو كل فعل وجد من فاعله مقدرا لا على سهو وغفله والعباد يفعلون ذلك
[illegible] الذي اعلم لو لم يطلق على العبد مع العقل كما انه يجوز ان يقال
رب الدار ولا يقال العبد لسيده ربنا [illegible] وصف عيسى عليه السلام بانه يخلق
من الطين كهيئة الطير فانا نجيب عنه من وجهين احدهما ان ظاهر الايه يقتضي انه سبحانه احسن الخالقين الذين هم
جمع فحمله على عيسى خاصه لا يصح والثاني انه اذا صح وصف عيسى بانه يخلق صح ان غير الله سبحانه يخلق وانما
اذا صح وصف عيسى بانه يخلق صح وصف غيره من المصورين ايضا بانه يخلق واجابوا اصحابنا بان هذه الايه
[illegible] قوله الله خالق كل شي فوجب حمل هذه الايه على انه احسن الخالقين في اعتقادكم وظنكم كقوله وهو
اهون عليه اي هو اهون عليه في اعتقادكم وظنكم والجواب الثاني ان الخالق هو المقدر لان الخلق هو
التقدير فالايه تدل على انه سبحانه احسن المقدرين والتقدير يرجع معناه الى الظن والحسبان وذلك
[illegible] سبحانه محال [illegible] المسيله الثانيه الجواب الثالث ان الايه [illegible]
[illegible] الله خالق [illegible] المسيله الثانيه [illegible] على ان كل ما خلقه حسن
[illegible] الكفر والمعصيه
[illegible] من الناس من حمل الحسن على الاحكام والاتقان في التركيب
[illegible] نحن نعلم انه يحسن من الله تعالى كل الاشيا [illegible]
[illegible] الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عبد الله بن سعد بن ابي سرح
كان يكتب هذه الايات لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الى قوله خلقا اخر عجب من ذلك فقال فتبارك الله احسن الخالقين
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب فهكذا نزلت فشك عبد الله وقال ان كان محمد صادقا فيما يقول فانه يوحى

الى

50

الي كما يوحى اليه وان كان كاذبا فلا خير في دينه فهرب الى مكه فقيل انه مات على الكفر وقيل انه اسلم يوم الفتح وروى
سعيد بن جبير عن ابن عباس انه لما نزلت هذه الايه قال عمر بن الخطاب فتبارك الله احسن الخالقين فقال رسول الله
عليه السلام هكذا انزلت يا عمر وكان عمر يقول وافقني ربي في اربع الصلاه خلف المقام وضرب الحجاب على النسوه وقولي لهن
لتنتهين او ليبدلنه الله خيرا منكن فنزل قوله عسى ربه ان طلقكن والرابع قلت فتبارك الله احسن الخالقين فقال
هكذا انزلت يا [illegible] هذه الواقعه كانت سبب السعاده لعمر وسبب الشقاوه لعبد الله كما قال تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا
فان قيل فعلى كل الروايات قد تكلم البشر ابتدا بمثل نظم القران وذلك يقدح في كونه معجزا كما ظنه عبد الله والجواب
هذا غير مستبعد فلذلك تقدره العدد الذي لا يظهر فيه الاعجاز فسقطت شبهة عبد الله المرتبه الثامنه
قوله ثم انكم بعد ذلك لميتون قرا ابن ابي عبله وابن محيصن لمايتون والفرق بين الميت والمايت ان الميت كالحي صفه ثابته
واما المايت فيدل على الحدوث تقول زيد ميت الان ومايت غدا كقولك يموت ونحوهما ضيق وضايق في قوله وضايق
به صدرك المرتبه التاسعه قوله ثم انكم يوم القيامه تبعثون فانه سبحانه جعل الاماته التي هي اعدام الحياه
والبعث الذي هو اعاده ما يفنيه ويعدمه دليلين ايضا على اقتدار عظيم بعد الانشا والاختراع وهاهنا سوالات
السوال الاول ما الحكمه في الموت وهلا وصل نعم الاخره وثوابها بنعيم الدنيا حتى يكون ذلك في الانعام ابلغ والجواب
هذا كالمفسده في حق المكلفين لانه متى عجل للمرء الثواب فيما يحمله من المشقه في الطاعات صار اتيانه بالطاعات لاجل
طاعه الله بل لاجل ذلك الثواب ولكانه لو قيل لمن يصلي ويصوم اذا فعلت ذلك ادخلناك الجنه في الحال فانه يفعل ذلك الفعل لا
لطلب الجنه فلا جرم اخره الله تعالى وبعده بالاماته والاعاده ليكون العبد عابدا لربه طاعته لا لطلب الانتفاع
السوال الثاني هذه الايه تدل على نفي عذاب القبر لانه قال ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامه تبعثون
ولم يذكر بين الامرين الاحيا في القبر والاماته والجواب من وجهين الاول انه ليس في ذكر الحياتين نفي الثالثه والثاني
ان الغرض من ذكر هذه الاجناس الثلاثه الاحيا والاماته والاعاده والذي ترك ذكره فهو من جنس الاعاده السوال الثاني
من الدلايل الاستدلال بخلقه السموات وهو قوله تعالى ولقد خلقنا فوقكم سبع طرايق اي سبع سموات وانما قيل لها طرايق
لتطارقها بمعنى كون بعضها فوق بعض يقال طارق الرجل نعليه اذا اطبق نعلا على نعل وطارق بين ثوبين اذا لبس
ثوبا على ثوب هذا قول الخليل والزجاج والفرا قال الزجاج هو كقوله سبع سموات طباقا وقال علي بن عيسى سميت بذلك
لانها طرايق الملايكه في العروج والهبوط والطير وقيل لانها طرايق الكواكب فيها مسيرها والوجه في انعام علينا بذلك
انه تعالى جعلها موضعا لارزاقنا بانزال الماء منها وجعلها مقر الملايكه ولانها موضع الثواب ولانها مكان ارسال
الانبيا ونزول الوحي اما قوله وما كنا عن الخلق غافلين ففيه وجوه احدها ما كنا غافلين بل كنا للخلق حافظين
من ان تسقط عليهم الطرايق السبع فتهلكهم وهذا قول سفيان بن عيينه وهو كقوله ان الله يمسك السموات والارض
ان تزولا وقوله انما خلقناها فوقهم لننزل عليهم الارزاق والبركات منها عن الحسن وثالثها انا خلقناها وما اشا
يبدل خلقنا لها على كمال قدرتنا ثم بين كمال العلم بقوله وما كنا عن الخلق غافلين يعني عن اعمالهم واقوالهم وضمايرهم
وذلك يفيد نهاية الزجر ورابعها وما كنا عن خلق السموات غافلين بل نحن لها حافظون لئلا تخرج عن التقدير الذي اردنا
كونها عليه كقوله تعالى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت واعلم ان هذه الايات داله على كثير من المسايل احدها
انها داله على وجود الصانع فان انقلاب هذه الاجسام من صفه الى صفه اخرى يضادها لا بد له من اسباب نفتقر بها على تلك الصفه
تدل على انه لا بد من محول ومغير وثانيها يدل على فساد القول بالطبيعه فان شيا من تلك الصفات لو حصل بالطبيعه
لوجب بقاوها وعدم تغيرها ولو قلت انما تغيرت تلك الصفات لتغير تلك الطبيعه افتقرت تلك الطبيعه الى خالق
وموجد وثالثها يدل على ان المدبر قادر عالم لان الموجب والجاهل لا يصدر عنه هذه الافعال العجيبه ورابعها
يدل على انه عالم بكل المعلومات قادر على كل الممكنات وعالما بكل المعلومات وجب ان يكون قادرا على اعاده التركيبات الى تلك
الاجزا كما كانت وبان ذلك انه سبحانه تعالى يخلق الخلق بما يطيق وان كان ذكر هذه الدلايل عقيبا

النوع الثالث الاستدلال بنزول الامطار وكيفية تاثيراتها في النبات فقوله تعالى وانزلنا من السما ما بقدر فاسكناه في الارض وانا على ذهاب به لقادرون فانشانا لكم به جنات من نخيل واعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تاكلون وشجرة تخرج من طور سينا تنبت بالدهن وصبغ للاكلين اعلم ان الما في نفسه نعمة وانه مع ذلك سبب لحصول النعم فلا جرم ذكره الله اولا ثم ذكر ما يحصل به من النعم ثانيا اما قوله وانزلنا من السما ما فقال بعض المفسرين انه تعالى ينزل الما في الحقيقة من السما وهذا هو الظاهر من اللفظ ويؤكده قوله وفي السما رزقكم وما توعدون وقال بعضهم المراد السحاب وسماه سما لعلوه والمعنى ان الله تعالى اصعد الاجزا المائية من قعر الارض ومن البحار الى السما حتى صارت عذبة صافية بسبب ذلك التصعيد ثم ان تلك الذرات تاتلف وتتكثف ثم ينزله الله تعالى على قدر الحاجة اليه ولولا ذلك لم ينتفع بتلك المياه لتفرقها في قعر الارض ولا بما البحر لملوحته ولانه لا حيلة في اجرا مياه البحار على وجه الارض لان البحار هي الغاية في العمق واعلم ان هذه الوجوه انما نتحملها من ينكر الفاعل المختار فاما من اقر به فلا حاجة به الى شي منها اما قوله بقدر فمعناه بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون الى المنفعة في الزرع والغرس والشرب او بمقدار ما علمنا من حاجتهم ومصالحهم اما قوله فاسكناه في الارض فقيل جعلناه ثابتا في الارض قال ابن عباس انزل الله تعالى من الجنة خمسة انهار سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل ثم يرفعها عند خروج ياجوج وماجوج ويرفع ايضا القران اما قوله وانا على ذهاب به لقادرون اي كما قدرنا على انزاله فكذلك نقدر على رفعه وازالته قال صاحب الكشاف وقوله على ذهاب به من اوقع النكرات واحزها للمفصل والمعنى على وجه من وجوه الذهاب به وطريق من طرقه وفيه ايذان باقتدار المذهب وانه لا يتعايى عليه شي اذا اراده وهو ابلغ في الايعاد من قوله قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بما معين ثم انه سبحانه لما نبه على عظم نعمته بخلق الما ذكر بعده النعم الحاصلة من الما فقال فانشانا لكم به جنات من نخيل واعناب ثم ذكر تعالى النخيل والاعناب لكثرة منافعهما فانهما يقومان مقام الطعام ومقام الادام ومقام الفاكهة رطبا ويابسا وقوله لكم فيها فواكه كثيرة اي في الجنات فكما ان فيها النخيل والاعناب ففيها الفواكه الكثيرة وقوله ومنها تاكلون قال صاحب الكشاف يجوز ان يكون هذا من قولهم فلان ياكل من حرفة يحترفها ومن صنعة يغتلها يعنون انها طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه كانه قال وهذه الجنات وجوه ارزاقكم ومعايشكم منها تتعيشون اما قوله وشجرة فهي عطف على جنات وقرئ مرفوعة على الابتدا اي ومما انشئ لكم شجرة [illegible] الطور الجبل [illegible] سينا وسينون قال صاحب الكشاف طور سينا وطور سينين لا يخلو اما ان يضاف فيه الطور الى بقعة اسمها سينا وسينون واما ان يكون اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف اليه كامرئ القيس وبعلبك فيمن اضاف فمن كسر سين سينا فقد منع الصرف للتعريف والعجمة او التانيث لانها بقعة وفعلا لا يكون الفه للتانيث كعلبا وحربا ومن فتح فلم يصرفه لان الالف للتانيث كصحرا وقيل هو جبل فلسطين وقيل بين مصر وايلة ومنه نودي موسى عليه السلم وقرا الاعمش سينا على القصر اما قوله تعالى تنبت بالدهن ففي موضع الحال اي تنبت وفيها الدهن كما يقال ركب الامير بجنده اي ومعه الجند وقرئ تنبت وفيه وجهان احدهما ان انبت بمعنى نبت قال زهير رايت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطينا لهم حتى اذا انبت البقل والثاني ان مفعوله محذوف اي تنبت زيتونها وفيه الدهن [illegible] ادام للاكلين لانهما تغمسان في البلاد وانتشر [illegible] اما قوله وصبغ للاكلين فعطف على الدهن [illegible] والصبغ والصباغ ما يصبغ به اي يغمس فيه الخبز [illegible]

الرابع الاستدلال باحوال الحيوانات فقوله وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تاكلون وعليها وعلى الفلك تحملون اعلم انه سبحانه ذكر [illegible] قوله نسقيكم مما في بطونها والمراد منه جميع وجوه الانتفاع [illegible] من بين الفرث والدم باذن الله تعالى [illegible] على قدرة الله تعالى وحكمته كان ذلك معلوما [illegible] في الدنيا وانفعها [illegible] الالبان

التي

التي تخرج من بطونها الى الضروع فجعلها شرابا طيبا واذا تدبر فيها الانسان [illegible] وذلك يدل على عظيم قدرة الله تعالى قال صاحب الكشاف تسقيكم بالفتح مفتوحة اي تسقيكم الانعام وثانيها قوله ولكم فيها منافع كثيرة وذلك بيعها والانتفاع باثمانها وما يجري مجرى ذلك وثالثها قوله ومنها تاكلون يعني كما تنتفعون بها وهي حية تنتفعون بها بعد الذبح ايضا بالاكل ورابعها قوله وعليها وعلى الفلك تحملون لان وجه الانتفاع بالابل في المحمولات على البر بمنزلة الانتفاع بالفلك في البحر ولذلك جمع بين الوجهين في انعامه لكي يشكر على ذلك ويستدل به واعلم انه سبحانه وتعالى لما بين بالدلائل التوحيد اردفها بالقصص كما هو العادة في سائر السور وهي هاهنا القصة الاولى قصة نوح عليه السلم

قوله تعالى

ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ولو شا الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين ان هو الا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين [illegible] ثم ان نوحا كان اسمه يشكر ثم سمي نوحا لوجوه احدها لكثرة ما ناح على نفسه حين دعا على قومه بالهلاك فاهلكهم بالطوفان فندم على ذلك وثانيها لمراجعته ربه في شان ابنه وثالثها انه مر بكلب مجذوم فقال له اخسا يا قبيح فعوتب على ذلك فقال الله أعبتني اذ خلقته ام عبت الكلب وهذه الوجوه متكلفة لان الاعلام لا تفيد صفة في المسمى اما قوله اعبدوا الله فالمعنى انه سبحانه ارسله بالدعا الى عبادة الله وحده ولن يكون انه يدعوهم الى ذلك الا وقد دعاهم الى معرفته اولا لان العبادة مع الجهل بالمعبود لا تصح اما قوله ما لكم من اله غيره فالمراد ان عبادة غير الله لا تجوز اذ لا اله سواه ومن حق العبادة ان تحسن لمن انعم بالخلق والاحيا وما يتبعهما فاذا لم يصح ذلك الا منه تعالى [illegible] وقرئ غيره بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ ثم انه لما لم ينفع فيهم هذا الدعا واستمروا على عبادة غير الله حذرهم بقوله افلا تتقون لان ذلك زجر ووعيد باتباع العقوبة لمن يعبد غيره ثم انه سبحانه حكى عنهم شبههم في انكار نبوة نوح عليه السلم الشبهة الاولى قولهم ما هذا الا بشر مثلكم وهذه الشبهة تحتمل وجهين احدهما انه لما كان مساويا لسائر الناس في القوة والفهم والعلم والغنى والفقر والصحة والمرض امتنع كونه رسولا لله لان الرسول لا بد وان يكون معظما عند الله وحبيبا له والحبيب لا بد وان يختص عن غير الحبيب بمزيد الدرجة والعزة فلما فقدت هذه الاشيا علمنا انتفا الرسالة والثاني انه يقال ان هذا الانسان مشارك لكم في جميع الامور ولكنه احب الرياسة والمتبوعية فلم يجد اليهما سبيلا الا بادعا النبوة فصار ذلك شبهة لهم في القدح في نبوته وهذا الاحتمال متعين بقوله تعالى حكاية عنهم يريد ان يتفضل عليكم اي يريد ان يطلب الفضل عليكم ويراسكم كقوله تعالى وتكون لكما الكبريا في الارض الشبهة الثانية قولهم ولو شا الله لانزل ملائكة وشرحه ان الله تعالى لو شا ارشاد البشر لوجب ان يسلك الطريق الذي يكون اشد افضا الى المقصود ومعلوم ان بعثة الملائكة اشد افضا الى هذا المقصود من بعثة البشر لان الملائكة لعلو شانهم وشدة سطوتهم وكثرة علومهم فالخلق ينقادون لهم ولا يشكون في رسالتهم فلما لم يفعل ذلك علمنا انه ما ارسل رسولا البتة الشبهة الثالثة قولهم ما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين وفيه وجهان احدهما ان يكون الاشارة الى نوح عليه السلم اي ما سمعنا بمثل هذا الكلام او بمثل هذا الذي يدعي وهو بشر انه رسول الله وشرح هذه الشبهة انهم كانوا لا يعولون في شي من مذاهبهم الا على التقليد والرجوع الى قول الآبا فلما لم يجدوا في نبوة نوح عليه السلم هذه الطريقة حكموا بفسادها والثاني يحتمل ان يريدوا انه لم يبعث الى الخلق رسول قبله [illegible] ويحتمل ان يريدوا انه [illegible] دعاهم الى عبادة الله وحده لان اباهم كانوا على عبادة الاوثان الشبهة الرابعة قولهم ان هو الا رجل به جنة والجنة الجنون او الجن فان جهال العوام يقولون في المجنون زال عقله بعمل الجن وهذه الشبهة من باب الترويج على العوام فانه عليه السلم كان يفعل افعالا على خلاف عاداتهم فكانوا يقولون للعوام انه مجنون ومن كان مجنونا فكيف يجوز ان يكون رسولا الشبهة الخامسة قولهم فتربصوا به حتى حين وهذا يحتمل ان يكون متعلقا بما قبله

الا انه مجنون فاصبروا الى زمان حتى تظهر عاقبة امره فان افاق والا قتلتموه ويحتمل ان يكون كلاما مستانفا
بعد ان حكى قول القوم عنهم اصلا فانه ان كان نبيا حقا فالله ينصره ويقوى امره فحينئذ نتبعه وان كان كاذبا
فالله يخذله ويبطل امره وحينئذ نستريح منه فهذا مجموع الشبه التي حكاها الله عنهم واعلم انه سبحانه ما ذكر
الجواب عنها لركاكتها ووضوح فسادها وذلك لان كل عاقل يعلم ان الرسول لا يصير رسولا لكونه من جنس الملك و
انما يصير كذلك بتميزه من غيره بالمعجزات فسوا كان من جنس الملك او من جنس البشر فعند ظهور المعجز عليه يجب ان
يكون رسولا بل جعل الرسول من جملة البشر اولى لما بينا ان الجنس الى الجنس اميل واما الغنى والموانسة
واما قولهم يريد ان يتفضل عليكم فان اراد انه اراد ان يتفضل حتى يلزمهم الانقياد له طاعة فهذا واجب في الرسول
وان اراد انه يترفع عليهم على سبيل التجبر والتكبر فالانبيا منزهون عن ذلك واما قولهم ما سمعنا بهذا فهو استدلال
بعدم التقليد على عدم وجود الشي فلا يدل عدم وجود الشي نفسه فكيف يدل على عدمه واما قولهم به جنة فقد كذبوا لانهم
كانوا يعلمون بالضرورة كمال عقله واما قولهم فتربصوا فضعيف لانه ان ظهرت الدلالة على نبوته فهي المعجز وجب
عليهم قبول قوله ولا يجوز توقف ذلك الى ظهور دولته لان الدولة لا تدل على الحقية ولا يجب تحصيل المعجز بحسب دولة
سوا ظهرت الدولة اولم تظهر ولما كانت هذه الاجوبة في نهاية الظهور لا جرم تركها الله سبحانه وتعالى **قوله**
تعالى قال رب انصرني بما كذبون فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا ووحينا فاذا جاء امرنا وفار
التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون
فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين وقل رب انزلني منزلا مباركا وانت خير
المنزلين ان في ذلك لايات وان كنا لمبتلين اما قوله بما كذبون ففيه وجوه احدها انصرني باهلاكهم فكانه قال
اهلكهم بسبب تكذيبهم اياي وثانيها انصرني بدل ما كذبون كما تقول هذا بذاك ومكانه والمعنى ابدلني من غم تكذيبهم سلوة
النصرة عليهم وثالثها انصرني بانجاز ما وعدتهم من العذاب وهو ما كذبوه فيه حين قال لهم اني اخاف عليكم عذاب
يوم عظيم فلما اجاب الله دعاه قال فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا اي بحفظنا وكلاءتنا كان معه من الله
حفاظا يكلونه بعيونهم لئلا يتعرض له ولا يفسد عليه مفسد عمله ومنه قولهم عليه من الله عين كالئة وهذه الاية
دالة على فساد قول المشبهة في تمسكهم بقوله عليه السلم ان الله خلق ادم على صورته فتمسكوا بعين مع ذلك واختلفوا
في انه عليه السلم كيف صنع الفلك فقيل انه كان نجارا وكان عالما بكيفية اتخاذها وقيل ان جبريل عليه السلم علمه عمل السفينة
ووصف كيفية اتخاذها وهذا هو المراد بقوله باعيننا ووحينا اما قوله فاذا جاء امرنا فاعلم ان لفظ الامر كما هو
حقيقة في طلب الفعل بالقول على سبيل الاستعلا فكذا هو حقيقة في الشان العظيم والدليل عليه انك اذا قلت هذا امر
بقي الذهن مترددا بين المفهومين وذلك يدل على كونه حقيقة فيهما وتمام تقريره مذكور في كتاب المحصول من الاصول ومن
الناس من قال انما سماه امرا على سبيل التعظيم والتفخيم مثل قوله ثم استوى الى السماء فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها اما قوله وفار التنور
فالاكثرون على انه هو التنور المعروف روي انه قيل لنوح اذا رايت الما يفور من التنور فاركب انت ومن معك السفينة
فلما نبع الما من التنور اخبرته امراته فركب وقيل كان تنور ادم وكان من حجارة فصار الى نوح واختلف في مكانه فعن
الشعبي في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان نوح عمل السفينة في وسط المسجد وقيل بالشام بموضع يقال
له عين وردة وقيل بالهند والقول الثاني ان التنور وجه الارض عن ابن عباس والثالث انه اشرف موضع في الارض
اي اعلاه عن قتادة والرابع وفار التنور اي طلع الفجر عن علي رضي الله عنه وقيل ان فوران التنور كان عند طلوع الفجر
والخامس هو مثل قولهم حمي الوطيس والسادس انه الموضع المنخفض من السفينة الذي يسيل الما اليه عن الحسن والقول
الاول هو الصواب لان العدول عن الحقيقة الى المجاز من غير دليل لا يجوز واعلم انه تعالى جعل فوران التنور علامة لنوح
عليه السلم حتى يركب عنده السفينة طلبا لنجاته ونجاة من امن من قومه اما قوله فاسلك فيها اي فادخل فيها يقال سلك فيه
دخله واسلكه غيره واسلكه من كل زوجين اثنين من الحيوان الذي يحضره في الوقت اثنين الذكر والانثى لكي

لا يستطع نسل ذلك الحيوان وكل واحد منهما زوج لا كما تقوله العامة من ان الزوج هو الاثنان روي انه لم يحمل الا ما يلد
ويبيض وقرئ من كل بالتنوين اي من كل امة زوجين واثنين تاكيد وزيادة بيان اما قوله واهلك الا من سبق عليه القول
اي وادخل اهلك ولفظ على انما يستعمل في المضار قال تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت واعلم ان هذه الاية تدل
على امرين احدهما انه سبحانه امره بادخال سائر من امن به وان لم يكن من اهله وقيل المراد باهله من امن دون من يتصل به
نسبا او سببا وهذا ضعيف لانه لما استثنى منهم من سبق عليه القول والثاني قوله ولا تخاطبني في الذين
ظلموا يعني كنعان فانه سبحانه لما اخبر باهلاكهم وجب ان ينهاه عن ان يساله في بعضهم لانه ان اجابه اليه فقد
صير خبره الصدق كذبا وان لم يجبه اليه كان ذلك تحقيرا لنوح عليه السلم فلذلك قال انهم مغرقون اي الغرق نازل
بهم لا محالة اما قوله فاذا استويت انت ومن معك على الفلك قال ابن عباس رضي الله عنهما كان في السفينة ثمانون انسانا
نوح وامراته سوى التي غرقت وثلاثة بنين سام وحام ويافث وثلاث نسوة لهم واثنان وسبعون انسانا فكل الخلايق
نسل من كان في السفينة اما قوله تعالى فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين ففيه مسايل المسالة الاولى انما قال فقل
ولم يقل فقولوا لان نوحا كان نبيا لهم واماما لهم فكان قوله قولا لهم مع ما فيه من الاشعار بفضل النبوة واظهار كبرياء
الربوبية وان رتبة تلك المخاطبة لا يترقى اليها الا ملك او نبي المسالة الثانية في الاستفادة علمكم الله ان تقولوا عند
ركوب السفينة بسم الله مجريها ومرسيها وعند ركوب الدابة سبحان الذي سخر لنا هذا وعند النزول وقل رب انزلني منزلا
مباركا وانت خير المنزلين وقال لنبينا وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق وقال واذا قرات القران فاستعذ
بالله كانه سبحانه امرهم ان لا يغفلوا عن ذكره وعن الاستعاذة به في جميع احوالهم المسالة الثالثة
هنا مبالغة عظيمة في تقبيح صنيعهم حيث اتبع النهي عن الدعاء لهم الامر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم كقوله تعالى
فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وانما جعل سبحانه استواهم على السفينة نجاة من الغرق لانه
سبحانه كان عرفه انه بذلك ينجيه ومن معه فصح ان يقول نجانا من حيث حصل امنا بهذا الفعل ووصف
قومه بانهم ظالمون لان الكفر ظلم منهم لانفسهم كقوله ان الشرك لظلم عظيم ثم انه سبحانه بعد ان امره بالحمد على هلاكهم
امره بان يدعو لنفسه فقال وقل رب انزلني منزلا مباركا فذكر منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال كقوله ليدخلنهم مدخلا
يرضونه واختلفوا في المنزل على قولين احدهما انه السفينة بعد ركوبها لان سبب الخلاص [illegible]
[illegible] على قومه من الهلاك والثاني انه نزله الله بعد خروجه من السفينة منزلا من الارض مباركا [illegible]
[illegible] في حال استقراره في السفينة [illegible]
[illegible]
يحفظ من انزله في سائر احواله ويدفع عنه المكاره بحسب ما تقتضيه الحكمة ثم بين سبحانه ان فيما ذكر من
قصة نوح وقومه لايات ودلالات وعبرا في الدعاء الى الايمان والزجر عن الكفر فان اظهار تلك المياه العظيمة
ثم الذهاب بها [illegible] على كل الامور [illegible] على صدق نوح عليه السلم بدل
على المعجز العظيم وافناء الكفار وبقاء الارض لاهل الدين من اعظم انواع العبرة واما قوله وان كنا
لمبتلين فيحتمل ان يكون المراد وان كنا لمبتلين فيما قبل وان يكون وان كنا لمبتلين فيما بعد وهذا الثاني اقرب لانه
كالحقيقة في الاستقبال فاذا حمل على ذلك احتمل وجوها احدها ان يكون المراد والمكلفين في المستقبل اي لنبتلي من
كلفنا ان يعتبر بهذا الذي ذكرناه وثانيها ان يكون المراد لنعاقب من كذب الانبياء مثل ما فعلنا بقوم نوح
وثالثها ان يكون المراد [illegible]
[illegible] القرون [illegible] القصة الثانية قصة هود وصالح عليهما السلام

قوله تعالى ثم انشانا من بعدهم قرنا اخرين فارسلنا فيهم رسولا منهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره افلا تتقون وقال الملا من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الاخرة واترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم ياكل

سيما ما كلون منه ويشرب مما تشربون ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين قال رب انصرني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين فاخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين اعلم ان هذه القصة في بعضهم قوم نوح عليه السلم وقيل ابن عباس واكثر المفسرين واحتجوا عليه بحكايته تعالى قول هود واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ومجيء قصة هود عقيب قصة نوح في سورة الاعراف وسورة هود والشعراء وقال بعضهم المراد بهم صالح وثمود لان القوم الذين ذكرهم ثم الذين هلكوا بالصيحة اما كيفية الدعوة فكما تقدم في قصة نوح عليه السلم وهاهنا سؤالات السؤال الاول حق ارسل ان يعدى بالى كاخواته التي هي وجه [illegible] لم عدي في القران بالى تارة وبفي اخرى كقوله كذلك ارسلناك في امة وما ارسلنا في قرية فارسلنا فيهم رسولا الى عاد ربي منهم [illegible] الجواب لم يعد في كما عدت بالى ولم تجعل صلة مثله ولكن الامة او القرية جعلت موضعا للارسال وعلى هذا المعنى جاء بعث في قوله ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا السؤال الثاني [illegible] سيقولون [illegible] عليه بعد اقامة الحجة عليهم [illegible] الذي ذكرتم به الجواب [illegible]

[illegible]

بالطرف

بالطرف ويعرضون خبر عن الاول في قراءة ابن مسعود انكم اذا متم المسئلة الثالثة في هيهات بالفتح والكسر كلها منونة [illegible] على لفظ الوقف المسئلة الرابعة في قوله ان هي الا حياتنا ضمير لا تعلم ما يعني به الا بما يتلوه من بيانه واصله ان الحياة الا حياتنا الدنيا ثم وضع هي موضع الحياة لان الخبر يدل عليه ومنه هي النفس تحمل ما حملت والمعنى لا حياة الا هذه الحياة لان ان النافية دخلت على هي التي في معنى الحياة الدالة على الجنس [illegible] ثم اعلم ان ذلك الرسول لما يئس من قبول القوم [illegible] الى الله تعالى [illegible] فاجابه الله تعالى الى ما سئل وقال عما قليل ليصبحن نادمين [illegible] والندامة على ترك القبول [illegible] الى ان قال فاخذتهم الصيحة بالحق وذكروا في الصيحة وجوها احدها ان جبريل عليه السلم صاح بهم وكانت الصيحة عظيمة فماتوا عندها وثانيها الصيحة هي الرجفة عن ابن عباس وثالثها الصيحة هي نفس العذاب والموت [illegible] ورابعها انه العذاب المصطلم [illegible] الشاعر

[illegible]

قوله تعالى

[illegible]

فانه ماخوذ من الوتر وهو الفرد فان المواصلة تقع على الفترات مصدر لا اسم اقيم مقام الحال والمعنى متواترة
اما قوله كلما جاء امة رسولها كذبوه فالمعنى انهم سلكوا في تكذيب انبيائهم مسلك من تقدم ذكره ممن اهلكه الله
بالغرق والصيحة فلذلك قال فاتبعنا بعضهم بعضا اي بالاهلاك وجعلناهم احاديث فلم يبق منهم الا الحديث
ومنه احاديث رسول الله ويحتمل والمعنى انه سبحانه بلغ في اهلاكهم [illegible]
فيهم بعيدا لا اثر ولم يبق منهم الا الحديث الذي يذكر ويعتبر به ويكون جمع احدوثة مثل الاضحوكة والاعجوبة
وهي ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا ثم قال فبعدا لقوم لا يومنون على سبيل الدعاء والذم والتوبيخ ودل ذلك
على انهم كما اهلكوا عاجلا فهلاكهم بالعذاب آجلا على التابيد مترتب وذلك وعيد شديد ﴿ القصة الرابعة
قصة موسى عليه السلام **قوله تعالى** ثم ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا وسلطان مبين
الى فرعون وملائه فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا انومن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون فكذبوهما
فكانوا من المهلكين ولقد اتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون اعلم ان قوله باياتنا قال ابن عباس يريد الايات
التسع وهي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار البحر والسنين ونقص من الثمرات وقال الحسن باياتنا
اي بديننا واحتج بان المراد بالايات لو كان هو المعجزات والسلطان المبين ايضا هو المعجز لكان عطفا للشيء
على نفسه والاقرب هو الاول لان لفظ الايات اذا ذكر في الرسل فالمراد منها المعجزات واما الذي احتج به فالجواب
عنه من وجوه احدها ان المراد بالسلطان المبين يحتمل ان يكون اشرف معجزاته وهو العصا لانه قد تعلقت بها معجزات شتى
من انقلابها حية وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربها وكونها حارسا وشمعة
وشجرة مثمرة ودلوا ورشا فلاجل استبداد العصا بهذه الفضائل افردت بالذكر كقوله وجبريل وميكال وثانيها يجوز ان
يكون المراد بالايات نفس تلك المعجزات وبالسلطان المبين كيفية دلالتها على الصدق وذلك لانها وان شاركت ايات
سائر الانبياء في كونها ايات فقد فارقتها في قوة دلالتها على صدق موسى عليه السلام وثالثها ان يكون المراد
بالسلطان المبين استيلا موسى عليه السلام عليهم في الاستدلال على وجود الصانع واثبات النبوة وانه ما كان يقيم لهم
قدرا ولا وزنا واعلم ان الاية تدل على ان معجزات موسى عليه السلام كانت معجزات هارون ايضا وان النبوة لما
كانت مشتركة بينهما فكذلك المعجزات ثم انه سبحانه حكى عن فرعون وقومه صفتهم ثم ذكر شبهتهم اما صفتهم
فامران احدهما الاستكبار والانفة والثاني انهم كانوا قوما عالين اي رفيعي الحال في امور الدنيا و
يحتمل الاقتدار بالكثرة والقوة واما شبهتهم فهي قولهم انومن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون
قال الكسائي لم يقل مثلينا كما قال انكم اذا مثلهم ولم يقل امثالهم وقال كنتم خير امة ولم يقل خيار امة
كل ذلك لان الايجاز احب الى العرب من الاكثار والشبهة مبنية على امرين احدهما كونهما من البشر وقد تقدم
الجواب عنه والثاني ان قوم موسى وهرون كانوا كالخدم والعبيد لهم قال ابو عبيدة العرب تسمي كل من
دان للملك عابدا له ويحتمل ان يقال انه كان يدعي الالهية فادعى للناس العبادة وان طاعتهم له عبادة على
الحقيقة ثم بين سبحانه انه لما خطرت هذه الشبهة ببالهم صرحوا بالتكذيب وهو المراد من قوله فكذبوهما
ولما كان ذلك التكذيب كالعلة لكونهم من المهلكين لا جرم رتبه عليه بفاء التعقيب فقال فكانوا من المهلكين اي فحكم
عليهم بالغرق فان حصول الغرق لم يكن حاصلا عقيب التكذيب انما الحاصل عقيب التكذيب حكم الله تعالى بكونهم
كذلك في الوقت اللائق به اما قوله ولقد اتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون فقال القاضي معناه انه سبحانه خص
موسى بالكتاب الذي هو التوراة لان ذلك الكتاب لكي يهتدوا به فلما اصروا على الكفر مع البيان العظيم استحقوا
ان يهلكوا واعترض صاحب الكشاف عليه فقال لا يجوز ان يرجع الضمير في لعلهم الى فرعون وملائه لان التوراة
انما اوتيت بنو اسرائيل بعد اغراق فرعون وملائه بدليل قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى
بل المعنى الصحيح ولقد اتينا موسى الكتاب لعلهم يعملون بشرائعها ومواعظها فذكر موسى والمراد آل موسى كما يقال هاشم وثقيف

فالمراد

والمراد قومهما ﴿ القصة الخامسة قصة عيسى ومريم عليهما السلام **قوله تعالى**
وجعلنا ابن مريم وامه اية واويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين اعلم ان ابن مريم هو عيسى عليه السلام جعله
الله اية بان خلقه من غير ذكر وانطقه في المهد في الصغر واجرى على يده ابرا الاكمه والابرص واحيا الموتى واما
مريم فقد جعلها الله اية لانها حملته من غير ذكر وقال الحسن تكلمت مريم في صغرها كما تكلم عيسى عليه السلام وهو قولها
هو من عند الله ان الله يرزق من يشا بغير حساب ولم تلقم ثديا قط قال القاضي لو ثبت ذلك فهو معجزة لزكريا
عليه السلام لانها لم تكن نبية قلنا القاضي انما قال ذلك لان عنده الارهاص غير جائز وكرامات الاوليا غير جائزة
وعندنا هما جائزان فلا حاجة الى ما ذكره او يقال انه جعلها اية بنفس الولادة لانه ولد من غير ذكر وولدته من
غير ذكر فاشتركا جميعا في هذا الامر العجيب الناقض للعادة والذي يدل على ان هذا التفسير اولى وجهان احدهما انه
تعالى قال وجعلنا ابن مريم وامه اية فيجب ان تحمل على ما ظهر فيهما لا انه ظهر على يديهما وهذا اولى من ان يحمل على الايات
التي ظهرت على يديه نحو احيا الموتى وذلك ان الولادة فيه وفيها اية فيهما وكذلك ان نطقه في المهد وما عدا ذلك من الايات
ظهر على يديه انه اية فيه الثاني انه تعالى قال اية ولم يقل ايتين وحمل هذا اللفظ على الامر الذي لا يتم الا بمجموعهما
اولى وذلك هو امر الولادة لا المعجزات التي كان عيسى عليه السلام مستقلا بها اما قوله واويناهما الى ربوة فالربوة
ما ارتفع والربوة والرباوة في جميعها الحركات الثلاث وهي الارض المرتفعة ثم قال قتادة وابو العالية هي ايليا ارض بيت
المقدس وقال ابو هريرة انها الرملة وقال الكلبي وابن زيد هي حمص وقال الاكثرون انها دمشق وقال مقاتل
والضحاك غوطة دمشق والقرار المستقر من الارض المستوية المنبسطة وعن قتادة ذات ثمار والمعنى انه لاجل الثمار
يستقر فيها ساكنوها والمعين الماء الظاهر الجاري على وجه الارض فنبه سبحانه على كمال نعمه عليهما بهذا اللفظ على اختصار
ثم في المعين قولان احدهما انه مفعول لانه لظهوره مدرك بالعين من عانه اذا ادركه بعينه وقال الفرا والزجاج
ان شئت جعلته فعيلا من الماعون ويكون اصله من المعن والماعون فاعول منه قال ابو علي والمعن السهل الذي ينقاد
ولا يتعاصى والماعون ما سهل على معطيه وقال الواحدي وسبب ايوائهما انها فرت بابنها عيسى الى الربوة وبقيت بها اثنتي عشرة
سنة وانما ذهب بهما ابن عمها يوسف ثم رجعت الى اهلها بعد ان مات ملكهم وها هنا اخر القصص **قوله تعالى**
يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم
فاتقون فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون فذرهم في غمرتهم حتى حين ايحسبون انما نمدهم به من مال
وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون اعلم ان ظاهر قوله يا ايها الرسل خطاب مع كل الرسل وذلك غير ممكن
لان الرسل انما ارسلوا متفرقين في ازمنة مختلفة فكيف يمكن توجيه هذا الخطاب اليهم فلهذا الاشكال اختلفوا
في تاويله على وجوه احدها ان المعنى الاعلام بان كل رسول نودي في زمانه بهذا المعنى ووصي به ليعتقد
السامع ان امرا نودي له جميع الرسل ووصوا به حقيق ان يوخذ به ويعمل عليه وثانيها ان المراد نبينا عليه السلام
لانه ذكر ذلك بعد انقضا اخبار الرسل وانما ذكر على صيغة الجمع كما يقال للواحد ايها القوم كفوا عنا اذاكم
ومثله الذين قال لهم الناس وهو نعيم بن مسعود وثالثها انه خاطب محمدا بذلك ليبين له ان الرسل باسرهم
لو كانوا حاضرين مجتمعين لما خوطبوا الا بذلك ليعلم رسولنا ان هذا التثقيل ليس عليه فقط بل هو لازم على
جميع الانبيا عليهم السلام ورابعها وهو قول محمد بن جرير ان المراد به عيسى عليه السلام لانه انما ذكر بعدما ذكر مكانه الجامع
للطعام والشراب ولانه روي ان عيسى عليه السلام كان ياكل من غزل امه والقول الاول اقرب لانه اوفق للفظ ولانه
روي عن ام عبد الله اخت شداد بن اوس انها بعثت الى رسول الله بقدح من لبن في شدة الحر عند فطره وهو صائم
فرد الرسول اليها وقال من اين لك هذا فقالت من شاة لي ثم رده وقال من اين هذه الشاة فقالت اشتريتها بمالي
فاخذه ثم انها جاءته وقالت يا رسول الله لم رددته فقال عليه السلام بذلك امرت الرسل ان لا ياكلوا الا طيبا ولا يعملوا الا
صالحا اما قوله تعالى من الطيبات ففيه وجهان احدهما انه الحلال وقيل طيبات الرزق حلال وصاف وقوام فالحلال

الدار العصر ... فيه والعسافي الدراع شى لسه نه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل والثاني انه المستلذ
المستلذ من الماكل والفواكه فبين تعالى انه وان ثقل عليهم بالنبوة فيما الزمهم القيام بحقها فقد اباح لهم اكل
الطيبات كما اباح لغيرهم واعلم انه سبحانه كما قال للمرسلين يا ايها الرسل كلوا من الطيبات قال للمؤمنين يا ايها
الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واعلم ان تقديمه كلوا من الطيبات على قوله واعملوا صالحا
كالدلالة على ان العمل الصالح لا بد وان يكون مسبوقا باكل الحلال اما قوله اني بما تعملون عليم فهو تحذير من مخالفة
ما امرهم به واذا كان ذلك تحذيرا للرسل مع علو شأنهم فبان يكون تحذيرا لغيرهم اولى اما قوله وان هذه
امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون فقد فسرناه في سورة الانبياء وفيه مسائل المسألة الاولى المعنى انه
كما يجب اتفاقهم على اكل الحلال والاعمال الصالحة فكذلك هم متفقون على الدين الواحد وعلى الاتقاء
من معصية الله فان قيل لما كانت شرائعهم مختلفة فكيف يكون دينهم واحدا قلنا المراد من الدين ما لا يختلفون
فيه من معرفة ذات الله تعالى وصفاته واما الشرائع فان الاختلاف فيها لا يسمى اختلافا في الدين فكما يقال
في الحائض والطاهر من النساء ان دينهن واحد وان افترق تكليفهما فكذا ههنا ويدل على ذلك قوله وانا ربكم
فكانه نبه بذلك على ان دين الجميع واحد فيما يتصل بمعرفة الله واتقاء معاصيه فلا مدخل للشرائع وان
اختلفت في ذلك المسألة الثانية قرئ وان بالكسر على الاستيناف وان بمعنى ولان وان مخففة من الثقيلة
وامتكم مرفوعة معها اما قوله تعالى فتقطعوا امرهم بينهم زبرا فالمعنى فان امم الانبياء عليهم السلام تقطعوا
امرهم بينهم وفي قوله تقطعوا معنى المبالغة في شدة اختلافهم والمراد بامرهم ما يتصل بالدين اما قوله زبرا
فقرئ زبرا جمع زبور اي كتبا مختلفة يعني جعلوا دينهم اديانا وزبرا قطعا استعيرت من زبر الفضة
والحديد وزبرا مخففة الباء كرسل في رسل والمعنى تفرقوا ... والمجوس واليهود والنصارى
اما قوله كل حزب بما لديهم فرحون فمعناه ان كل فريق منهم مغتبط بما اتخذه دينا لنفسه معجب به يرى
انه المحق الرابح وان غيره المبطل الخاسر ولما ذكر الله تعالى تفرق هؤلاء في دينهم اتبعه بالوعيد وقال
فذرهم في غمرتهم حتى حين والخطاب لنبينا عليه السلام يقول فدع هؤلاء الكفار في جهلهم والغمرة الماء الذي
يغمر القامة فكانما هم فيه من الجهل والحيرة صار غامرا لساتر المعقول وعن علي رضي الله عنه في غمراتهم حتى
حين وذكروا في الحين وجوها احدها الى حين الموت وثانيها الى حين المعاينة وثالثها الى حين
العذاب فالعادة في ذلك تذكر الكلام والمراد به الحالة التي تنتهي بها الغمرة والندامة وذلك يحتمل اذا
عرفهم الله تعالى بطلان ما كانوا عليه وعرفهم سوء منقلبهم ويحتمل ايضا عند المحاسبة في الاخرة ويحتمل
عند نزول العذاب بالمسابقة ... يحمله على كل ذلك ولما كان القوم في نعم عظيمة في الدنيا جاز ان يظنوا
ان تلك النعم كالثواب المعجل لهم على اديانهم بين سبحانه ان الامر بخلاف ذلك فقال ايحسبون انما نمدهم
به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات ... ويبادر وسرع بالباء والفاعل هو الله سبحانه ...
احسنا ان هذا العطا ليس الا استدراجا لهم في المعاصي واستحقاقا ... ثم يحسبونه مسارعة
في الخيرات وبل استدراك لقوله ايحسبون يعني بل هم اشباه البهائم لا فطنة لهم ولا شعور حتى يتفكروا
في ذلك ليعلموا ان ذلك استدراج او مسارعة في الخير وهذه الاية كقوله فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم ...
اوحى الله تعالى الى نبي من الانبياء ايفرح عبدي ان ابسط له في الدنيا وهو ابعد له مني ويجزع ان اقبض
عنه الدنيا وهو اقرب له مني ثم تلا ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين وعن الحسن لما اتي عمر رضي الله عنه
بسوار كسرى فاخذه ووضعه في يد سراقة فبلغ منكبه فقال عمر اللهم اني قد علمت ان نبيك عليه السلام
كان يحب ان يصيب مالا لينفقه في سبيلك فزويته عنه نظرا ثم ان ابا بكر كان يحب ذلك اللهم لا يكن ذلك
مكرا منك بعمر ثم تلا ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين الوجه الثاني ... سبحانه انما اعطاهم ذلك ...

ليكونوا

ليكونوا فارغي البال متمكنين من الاشتغال بطلب الحق فاذا اعرضوا عن الحق والحالة هذه كان لزوم الحجة عليهم
اقوى فلذلك قال بل لا يشعرون **قوله تعالى** ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم
بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون اولئك
اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون اعلم انه تعالى لما ذم من تقدم ذكره بقوله ايحسبون انما نمدهم
به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون بين بعده صفات من يسارع في الخيرات ...
وهي اربع الصفة الاولى قوله ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والاشفاق يتضمن الخشية مع زيادة رقة
وضعف ومنهم من قال جمع بينهما للتاكيد ومنهم من حمل الخشية على العذاب والمعنى الذين هم من عذاب ربهم مشفقون
وهو قول الكلبي ومقاتل ومنهم من حمل الاشفاق على اثره وهو الدوام في الطاعة والمعنى الذين هم من خشية ربهم دائمون
في طاعته جادون في طلب مرضاته والتحقيق ان من بلغ في الخشية الى حد الاشفاق وهو كمال الخشية كان في نهاية
الخوف من سخط الله عاجلا ومن عقابه آجلا وكان في نهاية الاحتراز عن المعاصي الصفة الثانية قوله والذين
هم بآيات ربهم يؤمنون واعلم ان آيات الله تعالى هي المخلوقات الدالة على وجوده والايمان بها هو التصديق
بها والتصديق بها ان كان بوجودها فذلك معلوم بالضرورة وصاحبه لا يستحق المدح وان كان التصديق بكونها آيات
ودلائل على وجود الصانع فذلك مما لا يتوصل اليه الا بالنظر والفكر وصاحبه لا يكون عارفا بوجود الصانع
وصفاته واذا حصلت المعرفة بالعلم حصل الاقرار باللسان ظاهرا وذلك هو الايمان الصفة الثالثة قوله
والذين هم بربهم لا يشركون وليس المراد منه الايمان بالتوحيد ونفي الشريك لله تعالى لان ذلك داخل في قوله والذين هم
بآيات ربهم يؤمنون بل المراد منه نفي الشرك الخفي وهو ان يكون مخلصا في العبادة لا يقدم عليها الا لوجه الله وطلب رضوانه
الصفة الرابعة قوله والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة معناه يعطون ما اعطوا فدخل فيه كل حق يلزم ايتاؤه
كان ذلك من حق الله كالزكاة والكفارة وغيرهما او من حقوق الادميين كالودائع والديون والعدل والانصاف
ويبين ان ذلك انما ينفع به اذا فعلوه وقلوبهم وجلة لان من يقدم على العبادة وهو وجل من تقصيره واخلاله بنقصان
او غيره فانه يكون لاجل ذلك الوجل مجتهدا في ان يوفيها حقها في الاداء وسألت عائشة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالت الذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة هو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق وهو على ذلك يخاف الله تعالى
فقال عليه السلام لا يا ابنة الصديق ولكن هو الرجل يصلي ويصوم ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله تعالى واعلم ان ترتيب
هذه الصفات في نهاية الحسن لان الصفة الاولى دلت على حصول الخوف الشديد الموجب للاحتراز عما لا ينبغي والصفة الثانية
دلت على تحصيل الايمان بالله تعالى والصفة الثالثة دلت على ترك الرياء في الطاعات والصفة الرابعة دلت على ان المستجمع
لتلك الصفات الثلاث يأتي بالطاعات مع الوجل والخوف عن التقصير وذلك هو نهاية مقامات الصديقين رزقنا الله سبحانه
الوصول اليها فان قيل ايقولون ان قوله وقلوبهم وجلة يرجع الى كل ما تقدم من الخصال قلنا
بل الاولى ان يرجع الى الخصال المتقدمة لان ... اذ المراد ... على من يقصر ...
في توفيتها حقها فاما قوله والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم فالقول فيه اظهر اذ المراد بذلك ان الذي اتوه ...
... وانهم يقدمون عليه مع الوجل انه سبحانه ... ذلك الوجل ... علمهم
بانهم الى ربهم راجعون ... والمسائلة ... واتباع الاعمال ... البلغة ...
التام من جهة الكمال انه سبحانه لما ذكر هذه الصفات للمؤمنين المخلصين قال بعده اولئك يسارعون في الخيرات
وفيه وجهان احدهما ان المراد يرغبون في الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها لئلا تفوت عن وقتها ولكيلا تفوتهم
دون الاخترام والثاني انهم يتعجلون في الدنيا انواع النفع ووجوه الاكرام كما قال فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن
ثواب الاخرة واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين لانهم اذا سورع بها لهم فقد سارعوا في نيلها وتعجلوها
وهذا الوجه احسن طباقا للآية المتقدمة لان فيه اثبات ما نفي عن الكفار للمؤمنين وفرق بين يسارعون في الخيرات

اما قوله وهم لها سابقون فالمعنى فاعلون السبق لاجلها او سابقون الناس لاجلها او اياها سابقون اي ينالونها
قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر ومعنى وهم لها كقوله انت لها وهي لك ثم قال وهم لها سابقون

قوله تعالى

ولا نكلف نفسا الا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون بل قلوبهم في
غمرة من هذا ولهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون لا تجأروا اليوم
انكم منا لا تنصرون اعلم انه سبحانه لما ذكر كيفية اعمال المؤمنين المخلصين ذكر حكمين من احكام اعمال العباد فالاول
قوله ولا نكلف نفسا الا وسعها وفي الوسع قولان احدهما انه الطاقة عن المفضل والثاني انه دون الطاقة وهو قول المعتزلة
ومقاتل والضحاك والكلبي واحتجوا عليه بان الوسع انما سمي وسعا لانه يتسع عليه فعله ولا يصعب ولا يضيق عليه
ان اولئك المخلصين لم يكلفوا اكثر مما عملوا فان المعنى انهم لم يستطيعوا ان يعملوا الا ما عملوا ومنهم من يستطيع حالا
يومي آيا لانا لا نكلف نفسا الا وسعها واستدلت المعتزلة به في نفي تكليف ما لا يطاق وقد تقدم القول فيه الثاني قوله
ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون ونظيره قوله هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق وفيه قولان احدهما ونظيره
واعلم انه تعالى شبه الكتاب بمن يصدر عنه البيان فان الكتاب لا ينطق لكنه يعرب بما فيه كما يعرب النطق اذا كان
محقا فان قيل هؤلاء الذين يعرض عليهم ذلك الكتاب اما ان يكونوا محلا للكذب على الله او يجوزون ذلك عليه
فان كانوا عليه فانهم يصدقونه في كل ما يقولون سواء وجد الكتاب او لم يوجد وان جوزوا عليه لم يصدقوا بذلك الكتاب
لجواز انه سبحانه كتب فيه خلاف ما حصل فعلى التقديرين لا فائدة في ذلك الكتاب قلنا يفعل الله ما يشاء وعلى انه
لا يبعد ان يكون ذلك مصلحة للمكلفين من الملائكة اما قوله وهم لا يظلمون فنظيره قوله ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم
ربك احدا فقالت المعتزلة الظلم اما ان يكون بالزيادة في العقاب او بالنقصان من الثواب او بان يعذب على ما لم يعمل او بان
يكلفهم ما لا يطيقون فالآية دالة على كون العبد موجدا لفعله والا لكان تعذيبه عليه ظلما ودالة على انه سبحانه لا يكلف ما لا يطاق
والجواب انه لما كلف ابا لهب ان يؤمن والايمان يقتضي تصديق الله في كل ما اخبر عنه ومما اخبر عنه انه لا
يؤمن فقد كلفه بان يؤمن بانه لا يؤمن فيلزمكم كل ما ذكرتموه اما قوله تعالى بل قلوبهم في غمرة من هذا ففيه قولان احدهما
انه راجع الى الكفار وهم الذين تقدم ذكرهم بل قلوبهم في غمرة من هذا لا للمؤمنين اذ المراد في غمرة من هذا الذي
بيناه في القرآن او من هذا الكتاب الذي ينطق بالحق او من هذا الذي هو وصف المشفقين ولهم اي لهؤلاء الكفار اعمال من دون ذلك
اي اعمال سوى ذلك اي سوى جهلهم وكفرهم ثم قال بعضهم اراد اعمالهم في الحال وقال بعضهم بل اراد المستقبل
وهذا ارجح لان قوله هم لها عاملون الى استقبال اقرب وانما قال هم لها عاملون لانها مثبتة في علم الله تعالى وفي حكم الله
وفي اللوح المحفوظ فوجب ان يعملوها ليدخلوا بها النار لما سبق لهم من الشقاوة القول الثاني وهو اختيار
ابي مسلم ان هذه الآيات من صفات المشفقين كانه سبحانه قال بعد وصفهم ولا نكلف نفسا الا وسعها ونهايته ما اتى به
هؤلاء المشفقون ولدينا كتاب يحفظ اعمالهم ينطق بالحق فلا يظلمون بل نوفر عليهم ثواب كل اعمالهم بل قلوبهم في غمرة
من هذا هو ايضا وصف لهم بالحيرة كانه قال وهم مع ذلك الوجل والخوف كالمتحيرين في جعل اعمالهم مقبولة او مردودة
ولهم اعمال من دون ذلك اي لهم ايضا من النوافل ووجوه البر سوى ما هم عليه اما اعمالا عملوها في الماضي او سيعملونها
في المستقبل ثم انه سبحانه رجع بقوله حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب الى وصف الكفار واعلم ان قول ابي مسلم اولى لانه
اذا امكن رد الكلام الى ما يتصل به من ذكر المشفقين كان اولى من رده الى ما بعد منه خصوصا وقد يرغب المرء في فعل الخير
بان يذكر ان اعماله محفوظة كما يحذر بذلك من الشر وقد يوصف الرجل لشدة فكره في امر آخرته بان قلبه في غمرة ويراد انه قد
استولى عليه الفكر في قبول عمله او رده وفي انه هل اداه كما يجب او قصر فان قيل فما المراد بقوله من هذا وهو
اشارة الى ما ذا قلنا هو اشارة الى اشفاقهم ووجلهم بينا انها مستوليان على قلوبهم اما قوله تعالى حتى اذا اخذنا مترفيهم
العذاب فقال صاحب الكشاف حتى هذه هي التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام الجملة الشرطية واعلم انه لا شبهة ان
المترفين منهم راجع الى من تقدم ذكره من الكفار لان العذاب لا يليق الا بهم وبين سبحانه ان المترفين منهم اذا انزل بهم

العذاب يجأرون وفي هذا العذاب وجهان احدهما ان المراد بالعذاب ما نزل بهم يوم بدر والثاني انه عذاب الآخرة
وهذا اقرب لان الذي بين سبحانه ان القوم عند هذا العذاب يجأرون اي يرفعون صوتهم بالاستغاثة ويضجون لشدة
ما هم عليه وقال لهم على وجه التبكيت لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون فلا ينفع عنكم ما تريدون الا بكم ولذلك سحانه علل
انهم سيلقون يوم القيامة الى هذه الدرجة من الحسرة والندامة بعد ما كانوا مالئين في الدنيا على ترك الكفر وقلة التعليم على الايمان
والطاعة فانهم الآن لا يستمعون لذلك

قوله تعالى

قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم
تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون افلم يدبروا القول ام جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون ام يقولون
به جنة بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل اتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم
معرضون ام تسألهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين اعلم انه سبحانه لما بين انه لا ينصر اولئك الكفار اتبعه بعلة ذلك
وهي انه متى تليت آيات الله عليهم اتوا بامور ثلاثة احدها انهم كانوا على اعقابهم ينكصون وهذا مثل يضرب فيمن تباعد
عن الحق كل التباعد فقوله فكنتم على اعقابكم تنكصون اي تنفرون عن تلك الآيات وعمن يتلوها كما يذهب الناكص على عقبيه
بالرجوع الى ورائه وثانيها قوله مستكبرين به وفيه قولان الاول انهم يقولون لا يظهر علينا احد لانا اهل الحرم فكانوا
يقولون لا يظهر علينا احد لانا اهل الحرم والذي سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت وانه لم تكن لهم مفخرة الا انهم
ولاته والقائمون به والثاني انه راجع الى القرآن اي مستكبرين بهذا التراجع والتباعد الذي هو الاستكبار تسمية او بسبب ان تسمع القرآن
وبالطعن فيه وهذا قول من يقول الكفار كانوا عند تلاوة القرآن عليهم يكثرون الطعن فيه وكانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون
وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا وسب رسول الله وثالثها قوله تهجرون والسامر نحو الحاضر في
الاطلاق على الجمع وقرئ سمرا وسمارا وتهجرون وتهجرون من اهجر في منطقه اذا افحش والهجر بالضم الفحش ومن هجر
الذي هو بالفتح يهجر هجرا اذا هذى والهجر بالفتح الهذيان ثم انه سبحانه لما وصف حالهم رد عليهم بان بين ان اقدامهم
على هذه الامور لا بد وان يكون لاحد امور اربعة احدها ان لا يتأملوا في دليل نبوته وهو المراد من قوله افلم يدبروا
القول يعني القول الذي هو القرآن وكانوا عرفوا انه قد مكنوا من التأمل فيه من حيث كان مباينا لكلام الغير
في الفصاحة ومبرأ عن التناقض مع طوله ومن حيث ينبئ عما لا يعرفونه من اخبار العالم وعن الوحدانية فلم لا يتدبرون
فيه ليتركوا الباطل ويرجعوا الى الحق وثانيها ان يعتقدوا ان مجيء الرسل امر على خلاف العادة وهو المراد من قوله ام جاءهم
ما لم يأت آباءهم الاولين وذلك لانهم عرفوا بالتواتر ان الرسل كانت تتواتر على الامم وتظهر المعجزات عليها وكانت الامم من مصدق
ناج ومن مكذب هالك معذب بالاستئصال افما دعاهم ذلك الى تصديق الرسل وثالثها ان لا يكونوا عالمين بامانته وحسن
حاله قبل ادعائه النبوة وهو المراد من قوله ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون نبه سبحانه بذلك على انهم عرفوا منه قبل
ادعائه الرسالة كونه في نهاية الامانة والصدق وغاية الفرار عن الكذب والاخلاق الذميمة فكيف كذبوه بعد ان اتفقت
كلمتهم على تسميته بالامين ورابعها ان يعتقدوا فيه الجنون فيقولوا انما حمله على ادعائه الرسالة جنونه وهو المراد من قوله
ام يقولون به جنة وهذا ايضا ظاهر الفساد لانهم كانوا يعلمون بالضرورة انه اعقل الناس والمجنون كيف يمكنه ان يأتي بمثل
ما اتى به من الدلائل القاطعة والشرائع الكاملة ولقد كانت في المبغضين له عليه السلام من تمام ذلك ووجه دخولها على انهم
نسبوه الى ذلك من حيث كان يطمع في ايمانهم ولا كان ذلك يبعد منه عندهم فنسبوه الى الجنون لذلك فالتأني
انهم لما ذكروا هذا المعلوم لكي لا ينفردوا له ناصر وانكر عليهم لما استخفا راله ثم انه سبحانه بعد ان عد هذه الوجوه
ونبه على فسادها قال بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون من حيث تمسكوا بالتقليد ومن حيث علموا انهم لو اقروا
بمحمد لزالت عنهم مناصبهم ولاختلت رياساتهم فلذلك كرهوه فان قيل قوله واكثرهم للحق كارهون يدل على ان اقلهم لا يكره الحق فلما
كان فيهم من يترك الايمان انفة من توبيخ قومه وان يقولوا ترك دين آبائه لا كراهة للحق كما يحكى عن ابي طالب
ثم بين سبحانه ان الحق لا يتبع الهوى بل الواجب على الخلق ان يطرحوا الهوى ويتبعوا الحق وبين سبحانه ان اتباع الهوى
يؤدي الى الفساد العظيم فقال ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن وفي تفسيره وجوه الاول ان القوم كانوا

يرون ان الحق في اتخاذ آلهة مع الله لكن لو صح ذلك لوقع الفساد في السموات والارض على ما قررناه في دليل التمانع في قوله
لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا والثاني ان اهواهم في عبادة الاوثان وتكذيب محمد عليه الصلاة والسلام وهما منشأ
المفاسد والحق هو الاسلام فلو اتبع الاسلام قولهم لعلم الله حصول المفاسد عند بقاء هذا العالم وذلك يقتضي تخريب
العالم وافناءه الثالث ان اراءهم كانت متناقضة فلو اتبع الحق اهواهم لوقع التناقض ولاختل نظام العالم
عن الغفلة اما قوله بل اتيناهم بذكرهم فقيل انه القرآن والادلة وقيل بل اتيناهم بفخرهم الرسول وكل القول
يتقارب لان في مجيء الرسول اتيان الادلة وفي مجيء الادلة اتيان الرسول فاما قوله بذكرهم فالمراد بالذكر وقيل
الذكر هو الوعظ والتحذير وقيل هو الذي كانوا يتمنونه ويقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا
عباد الله المخلصين وقيل بذكرهم [illegible] عليه السلام [illegible] منهم حتى يكون ذلك سببا للشرف قال
ام تسألهم خرجا فخراج ربك خير قال ابو عمرو بن العلاء الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك اداؤه والخرج
والوجه ان الخرج اخص من الخراج كقولك خراج القرية وخرج الكرة زيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذلك حسنت
قراءة من قرأ خرجا فخراج ربك يعني ام تسألهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من عطاء الخالق خير
ثم انه سبحانه [illegible] التهمة بعيدة عنه [illegible] بين سبحانه
ان [illegible] انهم محجوجون [illegible] قوله تعالى وهو خير الرازقين
على ان احدا من عباده لا يقدر على مثل نعمه ورزقه [illegible] على ان العباد
قد يرزق بعضهم بعضا ولولا ذلك لما جاز ان يقال خير الرازقين **قوله تعالى** وانك لتدعوهم
الى صراط مستقيم وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون
اعلم انه سبحانه لما زيف طريقة القوم اتبعه ببيان صحة ما جاء به الرسول [illegible] الصراط المستقيم
[illegible] دل الدليل على صحته [illegible] الاستقامة [illegible] من الطريق المستقيم وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط
لناكبون اي لعادلون عن هذا الطريق لان طريق الاستقامة واحد وما يخالفه فكثير واما قوله تعالى ولو رحمناهم
وكشفنا ما بهم من ضر فيه وجهان احدهما المراد ضرر الجوع وسائر مضار الدنيا وثانيهما المراد مضرة القتال والسبي
والنهب [illegible] بين انهم قد بلغوا في التمرد والعناد المبلغ الذي لا ينجع فيه [illegible] العذاب [illegible] الرد
الى الدنيا وانهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه [illegible] بما هم عليه من الكفر اما قوله للجوا في طغيانهم يعمهون
فالمعنى لتمادوا في ضلالهم وهم متحيرين **قوله تعالى** ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا
لربهم وما يتضرعون حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار
والافئدة قليلا ما تشكرون وهو الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل
والنهار افلا تعقلون اختلفوا في قوله ولقد اخذناهم بالعذاب على وجوه احدها انه لما اسلم ثمامة بن
اثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة من اهل مكة فاخذهم الله بالسنين حتى اكلوا العلهز جاء ابو سفيان
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين ثم قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع
والمعنى اخذناهم بالجوع فما اطاعوا وثانيها انه هو الذي نالهم يوم بدر من القتل والاسر يعني ان ذلك مع شدته
ما دعاهم الى الايمان [illegible] وثالثها المراد من عذاب الامم الخالية [illegible]
الحسن [illegible] الدنيا اقرب الى الخلق [illegible] الدنيا
[illegible] كذلك وهذا يدل على انهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه اما قوله حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب
شديد [illegible] حتى اذا فتحنا عليهم بابا من الجوع الذي هو اشد من القتل والاسر [illegible] عذبوا
بنار جهنم [illegible] يبلسون كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون والابلاس
اليأس من كل خير وقيل السكوت مع التحير [illegible] السؤال [illegible] الجواب [illegible]

من الكبر

[illegible] من الكون [illegible]
[illegible] السؤال الثاني لم جاء استكانوا بلفظ الماضي ويتضرعون بلفظ المستقبل الجواب [illegible] المعنى امتحناهم
فما وجدنا منهم عقيب المحنة استكانة وما من عادة هؤلاء ان يتضرعوا حتى يفتح عليهم باب العذاب الشديد وقرئ فتحنا
السؤال الثالث [illegible] المجانسة [illegible] مناسبة بين قوله وهو الذي انشأ لكم السمع [illegible] الجواب
كانه سبحانه لما بين مبالغة الكفار في الاعراض عن سماع الادلة ورؤية العبر والتامل في الحقائق قال للمؤمنين وهو الذي
اعطاكم هذه الاشياء ووفقكم عليها تنبيها على ان من لم يعمل هذه الاعضاء فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها كما قال فما اغنى عنهم
سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله تنبيها على ان [illegible] هؤلاء
المؤمنين [illegible] انه سبحانه [illegible] عظم نعمه [illegible] احدها اعطاء السمع والابصار والافئدة [illegible] هذه
[illegible] الاستدلال مرتب عليها ثم بين انه يقل منهم الشاكرون [illegible]
[illegible] لكنه كما يقال للكفور الجاحد للنعمة ما اقل شكر فلان وثانيها قوله وهو الذي ذرأكم في الارض [illegible]
[illegible] ويحتمل [illegible] بعضكم من بعض [illegible] كقوله [illegible]
[illegible] الارض [illegible] يوم القيامة [illegible]
[illegible] وهو الذي يحيي ويميت [illegible] النوم
[illegible] بانه سبحانه [illegible] المقصود منها [illegible] قوله وله اختلاف الليل والنهار
[illegible] ثم انه سبحانه [illegible] النظر [illegible] افلا تعقلون [illegible] الزجر
والتهديد [illegible] افلا تعقلون **قوله تعالى** بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا ائذا متنا وكنا ترابا
وعظاما ائنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين اعلم انه سبحانه
لما اوضح القول في دلائل التوحيد عقبه بذكر المعاد فقال بل قالوا مثل ما قال الاولون في انكار البعث مع وضوح
الادلة ونبه بذلك على انهم انما انكروا ذلك تقليدا للاولين وذلك يدل على فساد القول بالتقليد ثم حكى الشبهة عنهم
[illegible] قولهم اذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون [illegible] قولهم لقد وعدنا نحن وآباؤنا
هذا من قبل كانهم قالوا ان هذا الوعد كما وقع منه عليه السلام فقد وقع قديما من سائر الانبياء ثم لم يوجد مع طول
العهد وظنوا ان الاعادة تكون في دار الدنيا ثم قالوا لما كان كذلك فهو من اساطير الاولين والاساطير جمع اسطار
جمع سطر [illegible] **قوله تعالى** قل لمن الارض
ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا
تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون بل اتيناهم بالحق وانهم لكاذبون
اعلم انه يمكن ان يكون المقصود من هذه الآيات الرد على منكري الاعادة وان يكون المقصود الرد على عبدة الاوثان وذلك لان القوم
كانوا مقرين بالله وقالوا نعبد الاصنام لتقربنا الى الله زلفى ثم انه سبحانه احتج عليهم بامور ثلاثة احدها قوله قل لمن الارض
ومن فيها ووجه الاستدلال به على الاعادة ان الله تعالى لما كان خالقا للارض ولمن فيها من الاحياء [illegible]
[illegible] على عبادة الاوثان [illegible]
الارض وكل من فيها [illegible] افلا تذكرون [illegible] الترغيب في التدبر ليعلموا
بطلان ما هم عليه وثانيها قوله من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ووجه الاستدلال [illegible] كما تقدم وانما قال
افلا تتقون تنبيها على ان اتقاء عذاب الله لا يحصل الا بترك عبادة الاوثان والاعتراف بجواز الاعادة وثالثها قوله
تعالى قل من بيده ملكوت كل شيء فانه سبحانه لما ذكر الارض اولا والسماء ثانيا عمم الحكم ههنا فقال من بيده ملكوت كل شيء و
يدخل في الملكوت الملك والملك على سبيل المبالغة وقوله وهو يجير ولا يجار عليه [illegible] اجرت فلانا على فلان اذا اغثته منه
ومنعته يعني وهو يغيث من يشاء ممن يشاء ولا يغيث احدا منه اما قوله تعالى فانى تسحرون فالمعنى فكيف تخدعون عن توحيده

وطاعته في الخادع هو السلطان والهوى ثم بين تعالى بقوله بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون أنه قد بالغ في الحجاج عليهم
بلا [illegible] ذلك كاذبون وذلك كالوعيد والتهديد وذلك أتيناهم وأتيتهم بالنصح والفهم وههنا
سؤالات السؤال الأول قرئ [illegible] بالرفع [illegible] ومن بيده ملكوت كل شيء سيقولون لله في مصاحف
أهل الحرمين والكوفة والشام وفي مصاحف أهل البصرة فما الفرق الجواب [illegible] من ربه ولمن
[illegible] السؤال الثاني كيف قال إن كنتم تعلمون ثم حكى عنهم سيقولون لله [illegible] الجواب [illegible]
[illegible] إن كنتم تعلمون [illegible] في الحجاج على وجه التوكيد لعلمهم والبعث [illegible]
بالرد منه لك **قوله تعالى** ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق
ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون قل رب إما تريني ما يوعدون رب
فلا تجعلني في القوم الظالمين وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون اعلم
أنه سبحانه ادعى أمرين أحدهما أنه ما اتخذ الله من ولد وهو كالتنبيه على أن ذلك من قول هؤلاء الكفار فإن جمعا
منهم كانوا يقولون الملائكة بنات الله والثاني قوله وما كان معه من إله وهو قولهم باتخاذ الأصنام آلهة ويحتمل
أن يريد به إبطال قول الثنوية ثم إنه سبحانه ذكر الدليل المعتمد بقوله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا
بعضهم على بعض والمعنى [illegible] ولانفرد كل واحد منهم بما خلق [illegible]
ملك الآخر ولغلب بعضهم على بعض كما ترى حال ملوك الدنيا ممالكهم متمايزة وهم متغالبون وحيث لم تر أثر التمايز
في الممالك والتغالب فاعلموا أنه إله واحد بيده ملكوت كل شيء فإن قيل إذا لا تدخل إلا على كلام هو جزاء وجواب
فكيف وقع قوله لذهب جزاء وجوابا ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل قلنا الشرط محذوف تقديره ولو كان معه آلهة
وإنما حذف لدلالة قوله وما كان معه من إله عليه ثم إنه سبحانه نزه نفسه عن قولهم بقوله سبحان الله عما يصفون من إثبات الولد
والشريك أما قوله عالم الغيب والشهادة فقرئ بالجر صفة لله وبالرفع خبر مبتدأ محذوف والمعنى أنه سبحانه هو المختص
بعلم الغيب والشهادة فغيره وإن علم الشهادة فلن يعلم معها الغيب والشهادة التي يعلمها لا يتكامل بها النفع إلا مع العلم بالغيب
وذلك كالوعيد لهم فلذلك قال فتعالى عما يشركون ثم أمر سبحانه بالانقطاع إليه [illegible] بقوله رب إما تريني ما يوعدون
رب فلا تجعلني في القوم الظالمين أي إن كان لا بد من أن تريني ما تعدهم من العذاب
في الدنيا أو في الآخرة فلا تجعلني معهم [illegible] فإن قيل كيف يجوز أن يجعل الله نبيه المعصوم مع الظالمين
حتى يطلب أن لا يجعله معهم قلنا يجوز أن يسأل العبد ربه ما علم أنه يفعله وأن يستعيذ به مما علم أنه لا يفعله إظهارا
للعبودية وتواضعا لربه وما أحسن قول الحسن في قول الصديق وليتكم ولست بخيركم كان يعلم أنه خيرهم ولكن المؤمن
يهضم نفسه وإنما ذكر رب مرتين مرة قبل الشرط ومرة قبل الجزاء مبالغة في التضرع أما قوله وإنا على أن نريك ما نعدهم
لقادرون ففيه وجهان أحدهما أنهم كانوا ينكرون الموعد بالعذاب ويضحكون منه فقيل لهم إن الله قادر على
إنجاز ما وعد ويحتمل عذابا في الدنيا مؤخرا عن أيامه عليه السلام فلذلك قال بعضهم هو يوم بدر وبعضهم فتح
مكة [illegible] والثاني أن المراد عذاب الآخرة أما قوله ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم
بما يصفون فالمراد منه [illegible] أنه عليه السلام أن يعامل به الكفار فأمره بأن [illegible] الأول
وأن يدفعهم بالكلام الجميل كالسلام [illegible] على أحسن الوجوه وبين له أنه أعلم بحالهم منه عليه السلام وأنه سبحانه
لما لم ينتقم منهم [illegible] لم يكن هو عليه السلام [illegible] على هذه الطريقة قال صاحب الكشاف قوله ادفع بالتي هي
أحسن السيئة أبلغ من أن يقال بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل والمعنى الصفح عن إساءتهم ومقابلتها بما أمكن
من الإحسان حتى إذا اجتمع الصفح والإحسان [illegible] كانت حسنة مضاعفة بإزاء سيئة [illegible]
منسوخ بآية السيف [illegible] **قوله**
تعالى وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون

لعلي

58

لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون اعلم أنه سبحانه وتعالى لما
أدب رسوله بقوله ادفع بالتي هي أحسن السيئة أتبعه بما به يقوى على ذلك وهو الاستعاذة بالله من أمرين أحدهما
من همزات الشياطين والهمزات جمع الهمزة وهي الدفع والتحريك الشديد وهو كالهز والأز ومنه مهماز الرائض وهمزاته
في كيده بالوسوسة ويمكن ذلك منه في الرسول بوجهين أحدهما [illegible] الشياطين بالوسوسة والآخر بأن يبعث
أعداءه على إيذائه ولذلك القول في المؤمنين لأن الشيطان يكيدهم بهذين الوجهين [illegible] وسأله
أن يعيذه من الشيطان فإنه [illegible] متيقظا [illegible] وقد يكون نفس هذا الانقطاع إلى الله داعية
للتمسك بالطاعة زاجرة عن المعصية قال الحسن كان عليه السلام يقول بعد استفتاح الصلاة لا إله إلا الله ثلاثا الله أكبر
ثلاثا اللهم إني أعوذ بك من همزات الشياطين همزه ونفثه ونفخه فقيل يا رسول الله ما همزه قال الموتة التي تأخذ ابن آدم أنه
المجنون الذي تأخذه [illegible] قيل فما نفثه قال الشعر قيل فما نفخه قال الكبر وثانيهما قوله وأعوذ بك رب أن يحضرون [illegible]
أحدها أن يحضروني عند قراءة القرآن [illegible] وقال [illegible] الاستعاذة بالله من نفس حضورهم [illegible]
إلى وسوستهم [illegible] أعوذ بالله [illegible] رسول الله [illegible]
[illegible] فقال إذا أدركت القوم [illegible] من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين
وأن يحضرون وأما قوله إذا جاء أحدهم الموت ففيه مسائل المسألة الأولى [illegible]
[illegible] على سوء الذكر [illegible] بالتأكيد [illegible] مستعينا بالله
على الشيطان [illegible] المسألة الثانية اختلفوا في قوله حتى إذا جاء أحدهم الموت [illegible] على إنزاح الكفار
الكفار وقال الضحاك كنت جالسا عند ابن عباس فقال من لم يزك ولم يحج سأل الرجعة عند الموت فقال رجل إنما
يسأل ذلك الكفار فقال ابن عباس رضي الله عنهما أنا أقرأ عليك به قرآنا وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت
فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب [illegible] إذا الموت جمع كل شيء كان يمنعه [illegible]
فيقول رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت [illegible] سبحانه إذا عرف المؤمن [illegible]
شاهد [illegible] ولولا ذلك لكان [illegible] ما ذكر ابن
عباس رضي الله عنهما من قوله تعالى وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب
[illegible] المسألة الثالثة اختلفوا في وقت مسألة الرجعة [illegible] على أنه
يسأل في حال المعاينة [illegible] إلى الله تعالى [illegible]
[illegible] من القبيح [illegible] فكذلك سؤال الرجعة
ويقول رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت [illegible] وهو في النار [illegible] هذا القائل
[illegible] لما أخبر الله تعالى في كتابه عن أهل النار أنهم يسألون الرجعة [illegible]
[illegible] المعاينة [illegible] حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون [illegible] حضور الموت
[illegible] المعاينة [illegible] المسألة الرابعة اختلفوا في قوله سبحانه وتعالى ارجعون فقال بعضهم المراد به
الملائكة الذين يقبضون الروح وهم جماعة فلذلك ذكره بلفظ الجمع وقال آخرون بل المراد هو الله تعالى [illegible]
[illegible] ذكر بلفظ الجمع للتعظيم [illegible] حرمت النساء سواكم ومن يقول
بالأول يجعل ذكر الرب للقسم [illegible] عند المعاينة [illegible] ارجعون [illegible] السؤال الأول كيف
يسألون الرجعة وقد علموا صحة الدين [illegible] ومن الدين أن لا رجعة الجواب أنه وإن كان كذلك فلا يمتنع أن يسألوه
[illegible] من المتكلم [illegible] علم أنه لا [illegible] للرجعة فلا يمتنع [illegible] على سبيل [illegible]
السؤال الثاني فما معنى قوله لعلي أعمل صالحا [illegible] الجواب ليس المراد بلعل الشك
فإنه في هذا الوقت باذل للجهد في العزم على الطاعة إن أعطي ما سأل بل هو مثل من قصر في حق نفسه وعرف سوء عاقبته

ذلك التفسير منقول مكتوب من المدارك لعلي تدارك فيقول هذه الكلمة مع كونه جازما بانه سيتدارك ويحتمل ايضا
ان يراد المستقبل اذا لم يعزم وان ردوا الكلام الموضوع للرجا بالعقد من التنبيه قيد تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا
عنه السؤال الثالث المراد بقوله فيما تركت الجواب قال بعضهم فيما خلفت من المال ليصير عند الرجعة مؤديا لحق
الله تعالى منه والمعقول عن قوله تركت التركة والاقرب ان المراد اعمل صالحا فيما قصرت فيه من العبادات
البدنية كالصلاة والحقوق وهذا اقرب كانهم تمنوا الرجعة ليصلحوا ما افسدوه ويطيعون في كل ما عصوا السؤال
الرابع ما المراد بقوله كلا الجواب فيه وجهان احدهما انه كالجواب لهم في المنع مما طلبوه كما يقال لطالب الامر المستبعد
هيهات روي انه عليه السلام قال اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان لا بل
قدوما الى الله واما الكافر فيقال نرجعك فيقول ارجعون لعلي اعمل صالحا [illegible]
[illegible] فيما تركت فيقول الجبار كلا الثاني [illegible] على وجه الاخبار بانهم
[illegible] وان هذا الخبر حق [illegible] انها كلمة [illegible] قوله انها كلمة هو قائلها
الاول انه لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة عليه والثاني انه قائلها وحده لا يجاب اليها ولا يسمع منه اما قوله
تعالى ومن ورائهم برزخ فالبرزخ هو الحاجز المانع كقوله تعالى بينهما برزخ لا يبغيان [illegible]
[illegible] الى يوم يبعثون [illegible]

قوله تعالى

يوم البعث [illegible] فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت
موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار
وهم فيها كالحون الم تكن اياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون اعلم انه سبحانه لما قال ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون
ذكر احوال ذلك اليوم فقال فاذا نفخ في الصور [illegible] يظهر صوت عظيم [illegible]
علامة لخراب الدنيا [illegible] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قرن ينفخ فيه [illegible] والمراد من الصور مجموع
الصور فالمعنى فاذا نفخ في الصور ارواحها وهو قول الحسن [illegible]
[illegible] ان النفخ في الصور استعارة والمراد منه البعث والحشر [illegible]
[illegible]
انه سبحانه [illegible] الوالد والولد [illegible]
[illegible] ذلك من وجوه احدها ان من حق النسب ان يقع به التعاطف والتراحم كما يقال في الدنيا اسالك بالله والرحم
ان تفعل كذا فبين سبحانه ان ذلك [illegible] لكل احد من اهل النار [illegible]
النسب [illegible] الدنيا [illegible] وثانيها ان من حق النسب
ان يحصل به التفاخر في الدنيا [illegible]
ذكره سبحانه عن الخوف والشدة فكل امرئ مشغول بنفسه عن [illegible] وفصيلته التي تؤويه [illegible]
قال ابن عباس [illegible] يوم القيامة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] يا رسول الله [illegible] يوم القيامة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] انه اذا نفخ في الصور نفخة

واحدة

واحدة شغلوا بانفسهم عن التساؤل فاذا نفخ فيه اخرى اقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد
الرحمن والثاني المراد لا يتساءلون بحقوق النسب [illegible] لا يسالون [illegible] الكفار وذلك لشدة خوفهم واما
قوله فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون فهو صفة اهل الجنة اذا دخلوها ثم اعلم انه سبحانه بين انه بعد النفخ في الصور يكون
المحاسبة وشرح احوال السعداء والاشقياء ونبه بما بين سبحانه انه ليس في الاخرة الا ثقل الموازين وخفتها وجب
ان يكون كل مكلف لا بد ان يكون من اهل الجنة واهل الثواب او من اهل النار فيبطل بذلك القول بان فيهم من لا يستحق
الثواب والعقاب [illegible] ثم انه سبحانه شرح حال السعداء [illegible] فاولئك
هم المفلحون وفي الموازين اقوال [illegible] الحسنة [illegible] والظاهر [illegible]
كقوله تعالى والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا فهو خالد في جهنم
وثانيها قال ابن عباس الموازين جمع موزون وهي الموزونات من الاعمال الصالحات التي لها وزن وقدر عند
الله من قوله فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا وثالثها انه ميزان له لسان وكفتان توزن فيه الحسنات في احسن
الصور والسيئات في اقبح صورة فمن ثقلت حسناته سيق الى الجنة ومن ثقلت سيئاته فالى النار وتمام الكلام
في هذا الباب قد تقدم في سورة الانبياء واما الاشقياء فقد وصفهم الله بامور اربعة احدها انهم خسروا انفسهم قال
ابن عباس رضي الله عنهما غبنوها بان صارت منازلهم للمؤمنين وقيل امتنع انتفاعهم بانفسهم لكونهم في العذاب
وثانيها انهم في جهنم خالدون [illegible] الكفار [illegible] قال صاحب الكشاف في جهنم خالدون بدل من
خسروا انفسهم او خبر بعد خبر لاولئك او خبر مبتدا محذوف وثالثها قوله تلفح وجوههم النار قال ابن عباس
[illegible] وجوههم [illegible] قال الزجاج اللفح والنفح واحد الا ان اللفح اشد تاثيرا ورابعها وهم فيها
كالحون والكالح الذي تقلصت شفتاه [illegible] كما ترى الرؤوس المشوية وعن النبي عليه السلام
انه قال تشويه النار فتتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط راسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته
[illegible] ثم انه سبحانه لما شرح كيفية عقابهم حكى ما يقال لهم عند ذلك توبيخا وهو قوله الم تكن اياتي
تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون [illegible] فلا جرم صرتم مستحقين لما انتم فيه من العذاب بسوء افعالكم
قال المعتزلة الاية تدل على انهم انما وقعوا في ذلك العذاب بسوء افعالهم ولو كان فعل العبد بخلق الله لما صح ذلك
والجواب ان القادر على الطاعة والمعصية ان صدرت المعصية عنه لا لمرجح البتة كان صدورها عنه اتفاقيا
لا اختياريا فوجب ان لا يستحق العقاب وان كان لمرجح فذلك المرجح ليس من فعله والا لزم التسلسل فحينئذ
يكون صدور الطاعة عنه اضطراريا لا اختياريا فوجب ان لا يستحق الثواب

قوله تعالى

قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسؤوا فيها ولا تكلمون
انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكري
وكنتم منهم تضحكون اني جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم الفائزون اعلم انه سبحانه لما قال الم تكن اياتي تتلى عليكم
فكنتم بها تكذبون ذكروا ما يجري مجرى الجواب عنه وهو من وجهين الاول قولهم ربنا غلبت علينا شقوتنا [illegible]
[illegible] المسالة الاولى قال صاحب الكشاف غلبت علينا ملكتنا من قولك غلبني فلان على كذا اذا اخذه منك
والشقاوة سوء العاقبة [illegible] والشقوة من الشقا كالجرية من الجري
والمصدر [illegible] وقد يجي لفظ فعلة والمراد به الهيئة والحال فيقال جلسة حسنة وركبة وقعدة وذلك من
الهيئة ويقال عاش فلان عيشة طيبة ومات ميتة كريمة وهنا هو الحال والهيئة فعلى هذا المراد من الشقوة
حال الشقا المسالة الثانية [illegible] المراد ان طلبنا اللذات المحرمة وحرصنا على العمل القبيح ساقنا الى هذه
الشقاوة فاطلق اسم المسبب على السبب وليس هذا باعتذار منهم لعلمهم بانه لا عذر لهم فيه ولكنه اعتراف بقيام حجة
الله عليهم في سوء صنيعهم [illegible] انك حملت الشقاوة على طلب تلك اللذات المحرمة فطلب تلك اللذات حصل باختيارهم اولا

باختيارهم فان حصل باختيارهم فذلك الاختيار محدث فان استغنى عن المؤثر فلم لا يجوز في كل الحوادث ذلك و
حينئذ ينسد عليك باب اثبات الصانع وان افتقر الى محدث فمحدثه اما العبد او الله فان كان هو العبد فذلك
باطل لوجوه احدها ان قدرة العبد صالحة للفعل والترك فان توقف صدورها عنها الى مرجح آخر عاد الكلام فيه
ولزم التسلسل وان لم يتوقف على المرجح فقد جوزتم رجحان احد طرفي الممكن على الآخر لا لمرجح وذلك يسد باب اثبات
الصانع وثانيها ان العبد لا يعلم كمية تلك الافعال ولا كيفيتها والجاهل بالشيء لا يكون محدثا له والا لبطلت دلالة الاحكام
والاتقان على العلم وثالثها ان احدا لا يرضى بان يختار الجهل بل يقصد ان يحصل العلم فالكافر انما قصد تحصيل العلم
فان كان الموجد لفعله هو لوجب ان لا يحصل الا ما قصد ايقاعه لكنه لم يقصد الا العلم فكيف حصل الجهل ثبت ان الموجد
للدواعي والبواعث هو الله ثم ان الداعية ان كانت سابقة الى الخير كانت سعادة وان كانت سابقة الى الشر كانت شقاوة
الوجه الثاني للمعتزلة في الجواب ... وكانوا ضالين وهذا الضلال الذي جعلوه كالعلة في اقدامهم على التكذيب ان كان
هو نفس ذلك التكذيب لزم تعليل الشيء بنفسه ولما بطل ذلك لم يبق الا ان يكون ذلك الضلال عبارة عن شيء آخر يترتب عليه
فعلهم وما ذاك الا خلق الداعي الى الضلال ثم ان القوم لما اوردوا هذا العذر قال الله سبحانه اخسئوا فيها ولا
تكلمون وهذا موضع قولنا في ان المناظرة مع الله غير جائزة ... لا يسأل عما يفعل ... وقالوا ربنا غلبت
علينا شقوتنا دالة على انه لا عذر لهم الا هذا فلو كان كفرهم من خلقه تعالى بارادته وعلمه وذلك لكانوا
بان يذكروا ذلك احرى والى العذر اقرب ... ان الله ذكره ليبين انه لا عذر لهم ... معرفة الدلالات
فلا جرم قيل اخسئوا فيها اما قوله ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون والمعنى اخرجنا من هذه الدار
الى الدنيا فان عدنا الى ما نهيتنا عنه فانا ظالمون فان قيل كيف يجوز ان يطلبوا ذلك وقد علموا ان عقابهم
دائم قلنا يجوز ان يلحقهم السهو عن ذلك في احوال شدة العذاب فيسألون الرجعة ويحتمل ان يكون مع علمهم بذلك
يسألون ذلك على وجه الغوث والاستراحة اما قوله اخسئوا فيها وانزجروا كما تنزجر الكلاب اذا زجرت يقال
خسأ الكلب وخسأ بنفسه واما قوله ولا تكلمون فليس هذا نهيا لانه لا تكليف في الآخرة بل المراد لا تكلمون
في رفع العذاب فانه لا يرفع ولا يخفف قيل هو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير
والعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون وعن ابن عباس ان لهم ست دعوات اذا دخلوا النار قالوا الف
سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول مني فينادون الفا ربنا امتنا اثنتين فيجابون ذلك بانه اذا
دعي الله وحده فينادون الفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فينادون الفا ربنا اخرجنا
نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فيجابون او لم نعمركم فينادون الفا ربنا اخرجنا منها فيجابون اخسئوا فيها ولا تكلمون
ثم لا يكون لهم فيها الا زفير وشهيق ثم بين سبحانه وتعالى انه انما خسأهم بأمر يتصل بالمؤمنين وهو انه كان فريق
من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا فوصفهم بالكفر
والجهل منتهيا الى الهزء بالمؤمنين ... بالضم بمعنى الهزء ... المدينة
والكوفة بالضم في جميع القرآن ... بالكسر ههنا وفي ص بالضم ... سيبويه والخليل
هما لغتان ... والكسر بمعنى الاستهزاء بالقول والضم بمعنى التسخير بالفعل
انساكم ذكري ... دخل ... كانوا يستهزئون باصحاب محمد ... كبلال
وخباب وعمار وصهيب والمعنى اتخذتموهم هزؤا حتى انسوكم ... ذكري ... الله دل ذلك
على ... ثم بين سبحانه انه جزاهم ... بان وصف ما جازاهم به ... المؤمنين
... انهم هم الفائزون ... بالكسر على الاستئناف
... والنصب على انه في موضع المفعول الثاني ... جزيتهم
... اجزيتهم ... لانهم هم الفائزون قوله تعالى قال

كم لبثتم

كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فاسأل العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون افحسبتم
انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم اعلم ان في هذه الآية مسائل
المسألة الاولى قال ... وحفص عن عاصم قل كم لبثتم ... على الامر ... الباقون قال كم لبثتم ... وقرأ حمزة والكسائي انكم
... وفي بعضها مصحف اهل الكوفة ... المسألة الثانية الغرض من هذا السؤال التبكيت والتوبيخ
فقد كانوا ينكرون لبثا في الآخرة اصلا ولا يعدون اللبث الا في دار الدنيا ويظنون ان بعد الموت يدوم الفناء ولا اعادة
فلما حصلوا في النار وايقنوا انها دائمة وانهم فيها مخلدون سألهم كم لبثتم في الارض منبها لهم على ما ظنوه دائما
طويلا وهو يسير بالاضافة الى ما انكروه فحينئذ تحصل لهم الحسرة على ما كانوا يعتقدونه في الدنيا من حيث ايقنوا
خلافه وليس الغرض من السؤال بل الغرض ما ذكرنا فان قيل فكيف يصح في جوابهم ان يقولوا لبثنا يوما او بعض يوم ولا يقع من
اهل النار الكذب قلنا لعلهم نسوا ذلك لكثرة ما هم فيه من الاهوال وقد اعترفوا بهذا النسيان حيث قالوا فاسأل العادين
قال ابن عباس انساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين وقيل مرادهم بقوله لبثنا يوما او بعض يوم تصغير لبثهم
وتحقيره بالاضافة الى ما وقعوا فيه وعرفوه من دوام العذاب المسألة الثالثة اختلفوا في ان السؤال عن اي لبث
وقع فقال بعضهم عن لبثهم احياء في الدنيا وكذلك المراد انهم امهلوا حتى يتمكنوا من العلم والعمل فاجابوا بان قدر لبثهم
كان يسيرا بناء على ان الله اعلمهم ان الدنيا متاع قليل وان الآخرة هي دار القرار وهذا القائل احتج على قوله بانهم كانوا
يزعمون ان لا حياة سواها فلما احياهم الله في النار وعذبوا سألوا عن ذلك توبيخا لانه الى التوبيخ اقرب ومنهم
من قال المراد اللبث في حال الموت واحتجوا على قولهم بامرين الاول ان قوله في الارض يفيد الكون في القبر ومن كان حيا
فانه يقرب ان يقال انه على الارض ... ضعيف لقوله ... في الارض الثاني قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم
المجرمون ما لبثوا غير ساعة ثم بين سبحانه انهم كذبوا في ذلك واخبر عن المؤمنين فقالوا لقد لبثتم في كتاب الله الى
يوم البعث المسألة الرابعة احتج من انكر عذاب القبر بهذه الآية فقال قوله كم لبثتم في الارض ... انهم احياء
فوق الارض وقد ... انهم اموات في بطن الارض فلو كانوا معذبين في القبر لعلموا ان مكثهم في الارض طويل فما كانوا
يقولون لبثنا يوما او بعض يوم والجواب من وجهين احدهما ان الجواب لا بد وان يكون بحسب السؤال وانما سئلوا عن موت
لا حياة بعده الا في الآخرة وذلك لا يكون الا بعد عذاب القبر والثاني يحتمل ان يكونوا سئلوا عن قدر اللبث الذي اجتمعوا فيه
فلا يدخل في ذلك تقدم موت بعضهم على البعض فيصح ان يكون جوابهم لبثنا يوما او بعض يوم عند انفسنا اما قوله فاسأل العادين
ففيه وجوه احدها المراد به الحفظة فانهم كانوا يحصون الاعمال واوقات الحياة ويحصون ايضا اوقات موتهم وتقدم من
تقدم وتأخر من تأخر ... عكرمة فاسأل العادين الذين يحسبونها فاسأل الملائكة الذين يعدون
ايام الدنيا وساعاتها ... سل من يعرف عدد ذلك فانا قد نسيناه ... الحيف ... الظلمة
فانهم يقولون مثل ما قلنا ... العادين اي الذين ... فانهم يستقصرونها ... اما قوله تعالى
ان لبثتم الا قليلا فالمعنى انهم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم على معنى ان لبثنا في الدنيا قليلا فكانه قيل لهم صدقتم ما لبثتم
فيها الا قليلا فانها ... تطهر ... الغرض من هذا السؤال توبيخهم تلك ايام الدنيا في مقابلة ايام الآخرة فاما قوله
تعالى لو انكم كنتم تعلمون ... هذا الوجه لانه اراد انه قليل لو علمتم البعث والحشر لكنكم لما انكرتم ذلك كنتم تعدونه
طويلا ثم انه تعالى زادهم في التوبيخ اعظم بقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون وفيه مسائل المسألة
الاولى قال صاحب الكشاف عبثا حال اي عابثين كقوله لاعبين او مفعول له اي ما خلقناكم للعبث المسألة الثانية
انه سبحانه لما شرح صفات القيامة ختم الكلام فيها بامر الدلالة على وجود البعث لانه لولا القيامة لما تميز المطيع عن
العاصي والصديق عن الزنديق وحينئذ يكون خلق هذا العالم عبثا واما الرجوع الى الله فالمراد الى حيث لا مالك
ولا حاكم سواه لا انه رجوع من مكان الى مكان لاستحالة ذلك على الله ثم انه تعالى نزه نفسه عن العبث بقوله فتعالى
الله الملك الحق والملك هو الذي يحق له الملك لان كل ما سواه ... ملكه ... واما الحق ... كل شيء منه

وانه او انا نشاك بنزول ملكه وبتنزيله الا سواه وان ما عداه فصير الى الفناء وما يبقى لا يكون الها وبين
تعالى انه رب العرش الكريم فالكرسي والعرش ههنا السموات فانها من العرش الذي يطوف به الملائكة ويحتمل ان يعني
به الملك العظيم وقال الاكثرون المراد هو العرش حقيقة وانما وصفه بالكريم لان الرحمة تنزل منه والخير والبركة او لنسبته
الى اكرم الاكرمين كما يقال بيت كريم اذا كان ساكنوه كراما وقرئ الكريم بالرفع ونحوه ذو العرش المجيد **قوله
تعالى** ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر
وارحم وانت خير الراحمين اعلم انه سبحانه لما بين انه هو الملك الحق لا اله الا هو اتبعه بان من ادعى الها
آخر فقد ادعى باطلا من حيث لا برهان لهم ونبه بذلك على ان كل ما لا برهان فيه لا يجوز اثباته وذلك يوجب صحة
النظر وفساد التقليد ثم ذكر ان من قال بذلك فجزاؤه العقاب العظيم بقوله فانما حسابه عند ربه كانه قال ان عقابه
بلغ الى حيث لا يقدر احد على حسابه الا الله وقوله انه لا يفلح الكافرون معناه حسابه عدم الفلاح جعل فاتحة السورة
قد افلح المؤمنون وخاتمتها انه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة ثم امر الرسول بان يقول رب اغفر
وارحم وانثنى عليه بانه ارحم الراحمين وقد تقدم بيان انه سبحانه ارحم الراحمين فان قيل كيف تتصل هذه الخاتمة
بما قبلها قلنا انه سبحانه لما شرح احوال الكفار في جهلهم في الدنيا وعذابهم في الآخرة امر بالانقطاع اليه والالتجاء
الى غفرانه ورحمته فانهما العاصمان عن كل الآفات والمخافات [illegible] ان سورة افلح واخرها من كنوز
العرش من عمل بثلاث آيات من اولها واتعظ باربع من آخرها فقد نجا وافلح والله اعلم بالصواب

سورة النور

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله سبحانه وتعالى**

سورة انزلناها وفرضناها وانزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون قرأ العامة سورة بالرفع
وقرأ طلحة بن مصرف بالنصب اما الذين قرؤوا بالرفع فالجمهور قالوا الابتداء بالنكرة لا يجوز والتقدير هذه سورة
انزلناها وقيل سورة انزلناها مبتدأ موصوف والخبر محذوف اي فيما اوحينا اليك سورة انزلناها وقال
الاخفش لا يبعد الابتداء بالنكرة فسورة مبتدأ وانزلناها خبره ومن نصب فعلى معنى الفعل بمعنى اتبعوا سورة
او اتل سورة وانزلنا سورة واما معنى السورة ومعنى الانزال فقد تقدم فان قيل الانزال انما يكون من صعود الى نزول
فما معنى قوله تعالى في جميع القرآن الجواب من وجوه احدها ان جبريل عليه السلام كان يحفظها من اللوح ثم ينزل بها عليه
صلى الله عليه فلهذا جاز ان يقال انزلناها وثانيها انه تعالى انزلها من ام الكتاب الى السماء الدنيا [illegible]
ثم انزلها بعد ذلك نجوما على لسان جبريل وثالثها معنى انزلناها اي اعطيناها الرسول كما يقول العبد اذا كلم سيده
رفعت اليه حاجتي كذلك يكون من السيد الى العبد الانزال قال الله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح
يرفعه اما قوله وفرضناها فالمشهور قراءة التخفيف وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالتشديد اما قراءة التخفيف فالفرض
هو القطع والتقدير قال الله تعالى فنصف ما فرضتم اي قدرتم [illegible] القرآن [illegible] ان السور كلها
[illegible] فانه لا يدخل في الوجود وتحصيل الحاصل محال فوجب حمله [illegible] وانما ذكر ذلك لان
اكثر ما في هذه السورة من باب الاحكام والحدود فلذلك خصها بهذا الكلام واما قراءة التشديد فقال الفراء
التشديد للمبالغة والكثرة اما المبالغة فمن حيث انها حدود واحكام فلا بد من المبالغة في ايجابها ليحصل الانقياد
لقبولها واما الكثرة فلوجهين احدهما ان الله بين فيها احكاما مختلفة والثاني انه سبحانه اوجبها على كل المكلفين
الى آخر الدهر اما قوله وانزلنا فيها آيات بينات ففيه وجوه احدها انه سبحانه ذكر في اول السورة انواعا من الاحكام
والحدود وفي آخرها دلائل التوحيد فقوله وفرضناها اشارة الى الاحكام التي بينها اولا ثم قوله وانزلنا فيها آيات
بينات اشارة الى ما بين من دلائل التوحيد الذي يؤكد هذا التأويل قوله لعلكم تذكرون فان الاحكام والشرائع ما كانت
معلومة لهم ليؤمروا بتذكرها واما [illegible] من الحدود والشرائع
[illegible]

كما اشتمل

كما اشتمل على الواجبات فقد اشتمل على كثير من المباحات بان بينها الله تعالى ولما كان بيانه سبحانه لها مفصلا وصف
الآيات بانها بينات اما قوله تعالى لعلكم تذكرون فقرئ بتشديد الذال وتخفيفها ومعنى لعل فقد تقدم في
سورة البقرة قال القاضي لعل بمعنى كي وهذا يدل على انه سبحانه اراد من جميعهم ان يتذكروا والجواب انه سبحانه لو اراد
ذلك منا لحصل [illegible] الجانب المعصية ولو لم يوجد تلك المنوية لزم وقوع الفعل لا لمرجح ولو جاز ذلك
لجاز انسداد باب اثبات الصانع [illegible] وجود المرجح [illegible] كذلك وجب حمل لعل على [illegible] البرهان
المذكور في سورة البقرة واعلم انه سبحانه ذكر في هذه السورة احكاما كثيرة الاول **قوله تعالى**
الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله و
اليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين اعلم ان قوله الزانية والزاني رفعهما على الابتداء والخبر محذوف
عند الخليل وسيبويه على معنى فيما فرض عليكم الزانية والزاني اي فاجلدوهما ويجوز ان يكون الخبر فاجلدوا وانما
دخلت الفاء لكون الالف واللام بمعنى الذي وتضمنه معنى الشرط تقديره التي زنت والذي زنى فاجلدوهما كما تقول من زنى
فاجلدوه وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وقرئ والزان بلا ياء واعلم ان الكلام في هذه الآية على نوعين
احدهما ما يتعلق بالشرعيات والثاني ما يتعلق بالعقليات ونحن نأتي على البابين بتوفيق الله تعالى
النوع الاول الشرعيات اعلم ان الزنا حرام وهو من الكبائر ويدل عليه امور احدها ان الله تعالى قرنه بالشرك
وقتل النفس في قوله ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما وقال ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا
وثانيها انه تعالى اوجب المائة فيه بكمالها بخلاف حد القذف وشرب الخمر وشرع فيه الرجم ونهى المؤمنين
عن الرأفة وامر بشهود الطائفة للتشهير واوجب كون تلك الطائفة من المؤمنين لان الفاسق بين صلحاء قوم اخجل
وثالثها ما روى ابو حذيفة عن النبي عليه السلام انه قال يا معشر الناس اتقوا الزنا فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا
وثلاث في الآخرة اما التي في الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر اما التي في الآخرة فسخط الله
سبحانه وسوء الحساب وعذاب النار وعن عبد الله قال قلت يا رسول الله اي الذنب اعظم عند الله
قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية ان يأكل معك قلت ثم اي قال ان
تزني بحليلة جارك فانزل الله تصديقها والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق
ولا يزنون واعلم انه يجب البحث في هذه الآية عن امور احدها عن ماهية الزنا وثانيها عن احكام الزنا وثالثها
عن الشرائط المعتبرة في كون الزنا موجبا لتلك الاحكام ورابعها عن الطريق الذي يعرف به حصول الزنا وخامسها ان
المخاطبين بقوله فاجلدوا من هم وسادسها ان الرجم والجلد المأمور بهما في الزنا كيف يكون حالهما البحث
الاول عن ماهية الزنا قال بعضهم انه عبارة عن ايلاج فرج في فرج مشتهى طبعا محرم قطعا وفيه مسائل المسألة
الاولى اختلفوا في ان اللواطة هل ينطلق عليها اسم الزنا ام لا فقال بالاول الشافعي واحتجوا عليه بالنص والمعنى اما النص
فما روى ابو موسى الاشعري انه عليه السلام قال اذا اتى الرجل الرجل فهما زانيان واما المعنى فهو ان اللواطة مثل الزنا
صورة ومعنى اما الصورة فلان الزنا عبارة عن ايلاج فرج في فرج مشتهى طبعا محرم قطعا والدبر ايضا فرج
لان القبل انما سمي فرجا لما فيه من الانفراج وهذا المعنى حاصل في الدبر اكثر ما في الباب ان في العرف لا تسمى اللواطة
زنا ولكن هذا لا يقدح في اصل اللغة كما يقال هذا طبيب وليس بعالم مع ان الطب علم واما المعنى فلان الزنا
قضاء للشهوة في محل مشتهى طبعا على جهة الحرام المحض وهذا موجود في اللواطة لان القبل والدبر يشتركان
في المعاني التي تتعلق الشهوة بها من الحرارة واللين وضيق المدخل ولذلك فان من يقول بالطبائع لا يفرق
بين المحلين وانما المفرق هو الشرع في التحريم والتحليل فهذا حجة من قال اللواطة داخلة تحت اسم الزنا واما
الاكثرون من اصحابنا فقد سلموا ان اللواطة غير داخلة تحت اسم الزنا واحتجوا بوجوه احدها العرف المشهور من ان
هذا لواط وليس بزنا وبالعكس والاصل عدم التغيير وثانيها لو حلف لا يزني فلاط لا يحنث وثالثها ان الصحابة اختلفوا في حكم

اللواط وكانوا عالمين باللغة فلو سمي اللواط زنا لاعرفاه ممن نقل الكتاب في حد الزنا من الاختلاف في الاجتهاد واما الحديث فهو محمول
على الاثم بدليل قوله عليه السلام واذا اتت المراة المراة فهما زانيتان وقال عليه السلام اليدان تزنيان والعينان تزنيان
واما القياس فبعيد لان الشرع لو كان سمى فرجا لما فيه من الاشتهاء لكان يجب ان يسمى كل ما فيه اشتهاء فرجا ولو كان
الفم والبطن ايضا يسمى الفرج فرجا لظهوره ثم لا يسمى كل ظاهر فرجا ويسمى الجبين جبينا لاستتاره وما يسمى كل مستتر
جبينا واعلم ان الذي يفعل اللواط فللشافعي قولان احدهما عليه حد الزنا ان كان محصنا يرجم وان كان غير محصن يجلد
مائة ويغرب عاما والثاني يقتل الفاعل والمفعول به سواء كان محصنا او لم يكن لما روى ابن عباس ان من عمل عمل قوم
لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به ثم في كيفية قتله اوجه احدها تحز رقبته كالمرتد وثانيها يرجم بالحجارة
وهو قول مالك واحمد واسحق وثالثها يهدم عليه جدار يروى ذلك عن ابي بكر رضي الله عنه ورابعها يرمى من اعلى
جبل حتى يموت روي ذلك عن علي رضي الله عنه وانما ذكروا هذه الوجوه لانه تعالى عذب قوم لوط بكل ذلك
قال تعالى فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل وعند ابي حنيفة لا يحد اللوطي بل يعزر واما المفعول
فان كان عاقلا بالغا طائعا فان قلنا على الفاعل القتل فيقتل المفعول به وان قلنا على الفاعل
حد الزنا فعلى المفعول جلد مائة وتغريب عام محصنا كان او غير محصن وقيل ان كانت امراة محصنة فعليها الرجم وليس
بصحيح لانها لا تصير محصنة بالتمكين في الدبر فلا يلزمها حد المحصنات كما لو كان المفعول ذكرا حجة الشافعي
على وجوب الحد من وجوه الاول ان اللواط اما ان يساوي الزنا في الماهية او يساويها في لوازم هذه الماهية واياما كان
كذلك وجب الحد بيان الاول قوله عليه السلام اذا اتى الرجل الرجل فهما زانيان فاللفظ دل على كون اللايط زانيا و
اللفظ الدال بالمطابقة على ماهية دال بالالتزام على جميع لوازمها ودلالة المطابقة والالتزام مشتركا في اصل الدلالة
فاللفظ الدال على حصول الزنا دال على حصول جميع اللوازم ثم بعد هذا ان تحقق مسمى الزنا في اللواط دخل تحت قوله الزانية
والزاني فاجلدوا وان لم يتحقق مسمى الزنا وجب ان يتحقق لوازم مسمى الزنا لما بينا ان اللفظ الدال على حقيقة ماهية
دال على تحقق جميع تلك اللوازم
لو لزم الزنا وجوب الحد فوجب ان يتحقق ذلك في اللواط الزنا في الباب انه ترك العمل بذلك في قوله عليه السلام
واذا اتت المراة المراة فهما زانيتان لكن لا يلزم من ترك العمل هناك تركه ههنا الثاني ان اللايط يجب قتله
من جهة انه يقتل لما بينا بيان الاول قوله عليه السلام من عمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل منهما والمفعول وبيان الثاني
انه لما وجب قتله وجب ان يكتفى بالحد لما جاز قتله لقوله عليه السلام لا يحل دم امرئ مسلم الا لاحدى معان ثلث
وههنا لم يوجد كفر بعد ايمان ولا قتل نفس بغير حق فلو لم يوجد الزنا بعد الاحصان لوجب ان لا يقتل واذا ثبت انه وجد
الزنا بعد الاحصان وجب الرجم بهذا الحديث الثالث نقيس اللواط على الزنا والجامع ان الطبع داع اليه لما فيه
من اللذة وهو قبيح فيناسب الزاجر والحد يصلح زاجرا عنه قالوا الفرق من وجهين احدهما انه وجد في الزنا
داعيان فكان وقوعه اكثر فكان الحاجة الى الزجر اتم الثاني ان الزنا يفضي الى اشتباه الانساب ولا كذلك هنا
ووطء العجوز الشوهاء واحتج ابو حنيفة بوجوه احدها ان اللواط ليس بزنا على ما تقدم فوجب ان لا يقتل لقوله عليه السلام
لا يحل دم امرئ مسلم الا لاحدى معان ثلث وثانيها ان اللواط لا يساوي الزنا في الحاجة الى شرع الزاجر والى الجناية
فلا يساويه في الحد بيان عدم المساواة في الحاجة ان اللواط لم يكن يرغب فيه الفاعل بكل ولا يرغب فيه المفعول
طبعا بخلاف الزنا فان الداعي حاصل من الجانبين واما عدم المساواة في الجناية فلان في الزنا اضاعة النسب
ولا كذلك اللواط اذا ثبت هذا فوجب ان لا يساويه في العقوبة لان الدليل ينفي شرع الحد لكونه ضررا ترك العمل
به في الزنا فوجب ان يبقى في اللواط على الاصل الثالث ان الحد كما لا يجب على الفم فلا يتعلق باللواط
المهر فكذا لا يتعلق الحد والجواب عن الاول ان اللواط وان لم يكن مساويا للزنا في ماهيته لكن يساويه في الاحكام الثاني
ان اللواط وان كان لا يرغب فيه المفعول لكن ذلك بسبب اشتمال الفاعل عليه فان الانسان حريص على ما منع

الثالث

62

الثالث انه لابد من الجامع المسألة السابعة اجمعت الامة على حرمة اتيان البهيمة وللشافعي في عقوبته اقوال
احدها يجب حد الزنا فيرجم المحصن ويجلد غير المحصن ويغرب والثاني انه يقتل محصنا كان او غير محصن
لما روى عن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها معه فقيل لابن عباس
ما شأن البهيمة فقال ما اراه قال ذلك الا انه كره ان يوكل لحمها وقد عمل بها ذلك العمل والقول الثالث وهو الاصح
وهو قول ابي حنيفة ومالك والثوري واحمد ان عليه التعزير لان الحد شرع للزجر عما تميل النفس اليه وهذا الفعل
لا تميل النفس اليه وضعفوا حديث ابن عباس لضعف اسناده وان ثبت فهو معارض بما روي انه عليه السلام
نهى عن ذبح الحيوان الا لماكلة المسألة الثامنة السحق من النسوان واتيان الميتة والاستمناء باليد لا يشرع
فيها الا التعزير البحث السابع عن احكام الزنا اعلم انه كان في اول الاسلام عقوبة الزاني الحبس الى الممات
في حق الثيب والاذى بالكلام في حق البكر قال الله تعالى واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة
منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا واللذان ياتيانها منكم فآذوهما فان
تابا واصلحا ثم نسخ ذلك فجعل حد الثيب من الزنا الرجم وحد البكر الجلد والتغريب ولنذكر ههنا مسائل المسألة
الاولى الخوارج انكروا الرجم واحتجوا فيه بوجوه احدها قوله تعالى فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب فلو وجب
الرجم لوجب نصف الرجم على الرقيق لكن الرجم لا نصف له وثانيها ان الله سبحانه ذكر في القران انواع المعاصي من الكفر
والقتل والسرقة ولم يستقص في احكامها كما استقصى في بيان احكام الزنا الا ترى انه تعالى نهى عن الزنا بقوله
ولا تقربوا الزنا ثم توعد عليه بالنار ثانيا بالنار كما في كل المعاصي ثم ذكر الجلد ثالثا ثم خص الجلد بوجوب
احضار المؤمنين رابعا ثم خصه بالنهي عن الرافة عليه بقوله ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله خامسا ثم اوجب
على من رمى مسلما بالزنا ثمانين جلدة سادسا ولم يجعل ذلك على من رماه بالقتل والكفر وهما اعظم منه ثم قال سابعا
ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا ثم ذكر ثامنا من رمى زوجته اوجب التلاعن واستحقاق غضب الله ثم ذكر تاسعا
ان الزانية لا ينكحها الا زان او مشرك ثم ذكر عاشرا ان الزنا مخصوص بالشهود الاربع فمع المبالغة في استقصاء احكام الزنا
قليلا وكثيرا لا يجوز اهمال ما هو اجل احكامها واعظم آثارها ومعلوم ان الرجم لو كان مشروعا لكان اعظم الآثار فحيث
لم يذكره الله تعالى في كتابه دل على انه غير واجب وثالثها قوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا يقتضي وجوب الجلد
على كل الزناة وايجاب الرجم على البعض بخبر الواحد يقتضي تخصيص عموم الكتاب بخبر الواحد وهو غير جائز لان الكتاب
قاطع في متنه وخبر الواحد غير قاطع في متنه والمقطوع راجح على المظنون والجواب جمهور المجتهدين على وجوب
رجم المحصن لما ثبت بالتواتر انه عليه السلام فعل ذلك قال الرازي روى الرجم ابو بكر وعمر وعلي وجابر بن عبد الله وابو سعيد
الخدري وابو هريرة وبريدة الاسلمي وزيد بن خالد في آخرين من الصحابة وبعض هؤلاء الرواة روى خبر رجم ماعز
وبعضهم خبر اللخمية والغامدية وقال عمر رضي الله عنه لولا ان يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لاثبتها
في المصحف والجواب عما احتجوا به اولا انه مخصوص بالجلد فانه يتنصف فلا يلزم تخصيص المتواتر بخبر الواحد بل هو
بالخبر المتواتر لما بينا ان الرجم منقول بالتواتر وايضا فقد بينا في اصول الفقه ان تخصيص القران بخبر الواحد جائز
والجواب عن الثاني لا يستبعد تجدد الاحكام الشرعية بحسب تجدد المصالح فلعل المصلحة التي تقتضي وجوب الرجم
حدثت بعد نزول تلك الايات ثم الجواب عن الثالث نقل عن علي رضي الله عنه انه كان يجمع بين الجلد والرجم وهو اختيار
احمد واسحق وداود واحتجوا عليه بوجوه احدها ان عموم هذه الاية يقتضي وجوب الجلد والخبر المتواتر يقتضي
وجوب الرجم ولا منافاة فوجب الجمع وثانيها قوله عليه السلام البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب
جلد مائة ورجم بالحجارة وثالثها ما روى ابو بكر الرازي في احكام القرآن عن ابن جريج عن ابن الزبير عن جابر ان
رجلا زنى بامراة فامر به النبي عليه السلام فجلد ثم اخبر النبي عليه السلام انه كان محصنا فامر به فرجم ورابعها روي ان عليا
جلد شراحة الهمدانية ثم رجمها وقال جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله واعلم ان اكثر المجتهدين

يتفقون على ان المحصن يرجم ولا يجلد واحتجوا عليه بامور احدها قصة العسيف فانه عليه السلام قال
يا انيس اغد على امراة هذا فان اعترفت فارجمها ولم يذكر الجلد ولو وجب الجلد مع الرجم لذكره وثانيها ان قصة
ماعز وردت من جهات مختلفة ولم يذكر في شيء منها مع الرجم جلد ولو كان الجلد معتبرا مع الرجم لجلده النبي عليه
السلام ولو جلده لنقل كما نقل الرجم اذ ليس احدهما بالنقل اولى من الاخر وكذا في قصة الغامدية حين اقرت
بالزنا فرجمها رسول الله بعد ان وضعت ولو جلدها لنقل ذلك وثالثها ما روى الزهري عن عبيد الله بن
عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال قال عمر قد خشيت ان يطول بالناس زمان حتى يقول قائل ما نجد الرجم
في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة انزلها الله وقد قرانا الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة رجم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فاخبر ان الذي فرضه الله هو الرجم ولو كان الجلد واجبا مع الرجم لذكره
اما الجواب عن التمسك بالاية فهو انها مخصوصة في حق المحصن وتخصيص عموم القران بالخبر المتواتر [illegible]
واما قوله عليه السلام الثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة فلعل ذلك كان قبل قوله يا انيس اغد على امراة
هذا فان اعترفت فارجمها واما انه عليه السلام جلد امراة ثم رجمها فلعله عليه السلام لم يعلم احصانها فجلدها ثم لما علم
احصانها رجمها وهذا الجواب عن فعل علي رضي الله عنه فهذا ما عندي من التكلف في هذه الاجوبة المسالة الثانية قال
الشافعي رضي الله عنه يجمع بين الجلد والتغريب في حد البكر وقال ابو حنيفة رحمه الله عليه يجلد واما التغريب فمفوض
الى راي الامام وقال مالك يجلد الرجل ويغرب وتجلد المراة ولا تغرب حجة الشافعي ما روى عبادة انه عليه السلام قال خذوا عني
خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم بالحجارة وروى
عليه ايضا ما روى ابو هريرة وزيد بن خالد ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان ابني كان عسيفا
عند هذا فزنا بامراته فافتديت منه بوليدة ومائة شاة ثم اخبرني اهل العلم ان على ابني جلد مائة وتغريب عام
وان على امراة هذا الرجم فاقض بيننا فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لاقضين بينكما بكتاب الله اما الغنم و
الوليدة فرد عليك وان على ابنك جلد مائة وتغريب عام ثم قال لرجل من اسلم اغد يا انيس على امراة هذا فان
اعترفت فارجمها واحتج ابو حنيفة على نفي التغريب بوجوه احدها ان ايجاب التغريب يقتضي نسخ الاية ونسخ القران
بخبر الواحد لا يجوز وتقرير النسخ من ثلثة اوجه الاول انه سبحانه رتب الجلد على فعل الزنا بالفا وحرف الفا للجزاء
ثم ان ائمة اللغة قالوا النحويين سموا ما ذكر شرطا وجزاء وقرنوا الشرط بالذي دخل عليه كلمة ان والجزاء بالذي
دخل عليه حرف الفاء والجزاء اسم لما تقع به الكفاية ماخوذ من قولهم جازاني اي كافاني وقال عليه السلام
يجزيك ولا يجزي احدا بعدك اي يكفيك ومنه قول القائل اجزات شاة عن بقرة اي كفت واذا ثبت انه للكفاية
فالحد اذا لم يجب معه شيء اخر فايجاب شيء اخر يقتضي نسخ كونه كافيا الثاني انه تعالى ذكر في الاية لما كان هو الجلد
فلو كان ذلك هو كمال الحد فلو جعلنا النفي معتبرا مع الجلد كان الجلد بعض الحد لا كل الحد فيفضي الى نسخ
كونه كل الحد الثالث ان بتقدير كون الجلد كمال الحد فانه يتعلق بذلك رد الشهادة ولو جعلناه بعض الحد لزال ذلك
الحكم فثبت ان ايجاب التغريب يقتضي نسخ الاية وثانيها قال ابو بكر الرازي لو كان النفي مشروعا مع الجلد لوجب
على النبي عليه السلام عند تلاوة الاية توقيف الصحابة عليه لئلا يعتقدوا عند سماع الاية ان الجلد هو كمال الحد ولو كان
كذلك لكانت شهرته مثل شهرة الاية فلما لم يكن خبر النفي بهذه المنزلة بل كان وروده من طريق الاحاد علم انه غير معتبر
وثالثها ما روى ابو هريرة عن النبي عليه السلام انه قال في الامة اذا زنت فاجلدوها فان زنت فاجلدوها فان زنت
فاجلدوها ثم بيعوها ولو بضفير وفي رواية اخرى فليجلدها الحد ولا يثرب عليها وجه الاستدلال انه لو كان النفي
ثابتا لذكره مع الجلد ورابعها انه لو كان شرع التغريب في حق الامة [illegible] لجاز ان يكون مشروعا لانه يلزم منه
الاضرار بالسيد من غير جناية صدرت منه وهو ممتنع [illegible] وانه قال عليه السلام فبيعوها ولو بضفير ولو وجب نفيها
لما جاز بيعها لان المكنة من تسليمها الى المشتري [illegible] والجائز لا يمكن شرعا لقوله تعالى فعليهن نصف ما على

المحصنات

63

المحصنات من العذاب وخامسها ان التغريب لو كان مشروعا في حق الرجل لكان اما ان يكون مشروعا في حق
المراة او لا يكون والثاني باطل لان التساوي في الجناية قد وجد في حقهما واذا كان مشروعا في حق المراة فاما
ان يكون مشروعا في حقها وحدها او مع ذي محرم والاول غير جائز للنص والمعقول اما النص فقوله عليه السلام
لا يحل لامراة ان تسافر من غير ذي محرم واما المعقول فلان الشهوة غالبة في النساء ولهذا [illegible] الدين انما يكون
في الخواص من الناس فاذا الغالب ان يعدم الزنا من النساء بوجود الحفاظ من الرجال والحياء من الاقارب و
بالتغريب تخرج المراة من ايدي الحفاظ والرقباء ثم يقل حياؤها لبعدها عن معارفها فينفتح عليها باب الزنا وربما
كانت فقيرة فيشتد فقرها في السفر فيصير مجموع ذلك سببا لفتح باب هذه الفاحشة العظيمة عليها ولا جائز ان
يقال انا نغربها مع الزوج او المحرم لان عقوبة غير الجاني لا تجوز لقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى و
سادسها ما روي عن عمر انه غرب ربيعة بن امية بن خلف في الخمر الى خيبر فلحق بهرقل فقال عمر
لا اغرب بعدها احدا ولم يستثن الزنا وروي عن علي انه قال في البكرين اذا زنيا يجلدان ولا ينفيان وان نفيهما
من الفتنة وعن ابن عمر ان امة له زنت فجلدها ولم ينفها ولو كان النفي معتبرا في حد الزنا لما خفي ذلك
على اكابر الصحابة وسابعها ما روي ان شيخا وجد على بطن جارية يحنث بها في خربة فاتي به الى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال اجلدوه مائة فقيل انه اضعف من ذلك فقال خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه
بها وخلوا سبيله ولو كان النفي واجبا لنفاه فان قيل انما لم ينفه لانه كان ضعيفا عاجزا عن الحركة قلنا
كان يمكن ان يكترى له دابة من بيت المال [illegible] عليها فان قيل هب انه كان يضعف عن الركوب قلنا من قدر
على الزنا كيف لا يقدر على الاستمساك وثامنها ان التغريب نظير القتل لقوله تعالى ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم
فنزلهما منزلة واحدة فاذا لم يشرع القتل في زنا البكر وجب ان لا يشرع ايضا نظيره وهو التغريب والجواب عن الاول
انه ليس في كلام الله الا ادخال حرف الفاء على لفظ الجلد فاما ان الذي دخل عليه هذا الحرف فانه يسمى جزاء وليس هذا من كلام
الله ولا من كلام رسوله بل هو قول بعض الادباء فلا يكون حجة اما قوله ثانيا لو كان النفي مشروعا لما كان الجلد
كل الحد قلنا لا نزاع في انه زال [illegible] الا ان اثبات كل شيء [illegible] زوال العلم الذي كان ان الزائد
هنا ليس [illegible] الزائد بمحض البراءة الاصلية ومثل هذه الازالة لا يمتنع اثباتها بخبر الواحد والقياس
ان الزائد بمحض العدم الاصلي وذلك لان ايجاب الجلد مقدم مشترك بين ايجاب الجلد مع ايجاب التغريب ودون ايجابه
مع نفي التغريب والقدر المشترك بين القسمين لا اشعار له بواحد من القسمين فاذا ايجاب الجلد لا اشعار فيه البتة بايجاب
التغريب ولا بعدم ايجابه الا ان نفي التغريب كان معلوما بالعقل نظرا الى البراءة الاصلية فالذي يعد الجلد وحده مجزئا
لكونه وحده كمال الحد وتعلق رد الشهادة عليه يكون ذلك تابعا لنفي وجوب الزيادة فلما كان النفي معلوما بالعقل جاز
قبول خبر الواحد فيه كما ان البراءة الاصلية لو كانت حجة لتوقف على ادائها الخروج عن عهدة التكليف وقبول الشهادة فلم لا يجوز
[illegible] الخروج عن العهدة وقبول الشهادة على اداء الزكاة مع انه يجوز اثباته بخبر الواحد والقياس
فكذا ههنا اما قوله ثالثا ان الجلد كمال الحد فعليها رد الشهادة وعدمها متعلق رد الشهادة فلم لا يقبل فيهما في اثبات الزيادة
خبر الواحد لان [illegible] وجوب الزيادة [illegible] شرعي متواتر والجواب عن الثاني انه لو صح ما ذكره لوجب في كل ما خصص
آية عامة ان يبلغ في الاشتهار مبلغ تلك الاية ومعلوم انه ليس كذلك والجواب عن الثالث ان قوله ثم بيعوها لا يفيد التعقيب
فلعلها تنفى ثم بعد النفي تباع والجواب عن الرابع ما رواه ابو عيسى في جامعه انه عليه السلام جلد وغرب
وان ابا بكر جلد وغرب والجواب عن الخامس [illegible] عليه السلام قال اذا زنت
امة احدكم فليجلدها الحد ولم يامر بالتغريب ولان التغريب [illegible] على العبد لانه نقل من بلد الى بلد ولان
منافع العبد [illegible] المسالة الثالثة [illegible] تعالى فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب
[illegible] المولى لا يحتمل العبد [illegible] ويجلد العبد في الزنا والقذف [illegible] المولى [illegible]

فيه قولان اصحهما يؤدب بعقوبة لانه يقبل التنصيف كما يجلد نصف حد الاحرار والثاني يؤدب بسنة لان المؤنث لا يحاش
وحكى معنى يرجع الى الطبع يستوي فيه الحر والعبد كمدة الايلا والعنة والجواب عن السادس ان المراه لا تؤدب
وحدها لمنع محرم فانه لم يتبع المحرم بالحد فمهما اعطى اجرته من سلطان ولذا لكن انما محرم لتزويج النساء التقاف
كما يجب عليها الحد في البالغ فهن وهو الموسع عليها بالسلمنا ملتبسة ثم نا نكر الزنا بالايلاف والمؤانسة ووقاع العلب
والكرهة اشيا يبطل بالكرهة فان الانسان يقع في الوحشة والنفرة والنفير فلا يتوقع للزنا والجواب عن
الرابع ان ... سنبعا دفي لم يكن ... فان البلوى بجي من ركوب الدابة فتقدر على الزنا والجواب عن الثامن انه منتقض
بالحرب اذا وقع على سبيل التخويف المسئله الثالثه اتفقت الامة على ان قوله سبحانه وتعالى الزانية والزاني يفيد
الحكم في كل الزناة لكنهم اختلفوا في كيفية دلالة اللفظ عليه فقال بالاحنف لفظ الزاني يفيد العموم والمختار انه ليس كذلك ويدل
عليه امور احدها ان الرجل اذا قال لبست الثوب وشربت الماء لا يفيد العموم وثانيها انه لا يجوز تاكيده بما يوكد به الجمع
فلا يقال جاني الرجل اجمعون وثالثها انه لا ينعت بنعوت الجمع فلا يقال جاني الرجل الفقرا وتكلم الفقيه الفضلا فاما قولهم
اهلك الناس الدرهم البيض والدينار الصفر فمجاز بدليل انه لا يطرد وايضا فان كان الدينار للعموم حقيقة
وجب ان يكون الدينار الصفر مجازا كما ان الدينار العصفر لما كان حقيقة كان الدينار الصفر مجازا ورابعها ان الزاني
جزء من هذا الزاني فالجاب جلد هذا الزاني فلو كان ايجاب جلد الزاني ايجابا لجلد كل زان لزم ان يكون ايجاب جلد
هذا الزاني موجبا لايجاب جلد كل زان ولما لم يكن كذلك بطل ما قالوه فان قيل لم لا يجوز ان يقال اللفظ المطلق انما
يفيد العموم بشرط العرا عن لفظ التعيين لان قال اللفظ المطلق وان لم يفد العموم الا ان لفظ التعيين يفيد
الخصوص قلنا اما الاول فباطل لان العدم لا مدخل له في التاثير واما الثاني فلانه يقتضي التعارض وهو خلاف الاصل
وخامسها انه يقال انا نعلم الضحاك فلو كان للعموم من قولنا انا نعلم كل ان لنزل ذلك منزلة انا نعلم
كل انسان من الضحاك وذلك منافض لانه يقتضي حصر الانسانية في كل واحد من الناس ومعنى الحصر هو ان يثبت
فيه لا في غيره فيلزم ان يصدق على كل واحد من اشخاص الناس انه هو الضحاك الى غيره واحتج المخالف بوجهين الاول انه
يجوز الاستثناء منه لقوله تعالى ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات والاستثنا يخرج من الكلام
ما لولاه لدخل فيه الثاني ان الالف واللام للتعريف وذلك لتعريف الماهية فان ذلك قد حصل باصل الاسم او للتعريف
واحد بعينه فانه ليس في اللفظ دلالة عليه فالتعريف لا واحد بعينه من مراتب الخصوص فانه ليس بعض المراتب
اولى من البعض فوجب حمله على جميع الكل والجواب عن الاول ان ذلك الاستثنا مجاز بدليل انه يصح ان يقال رايت
الانسان الا المومنين وعن الثاني انه يبطل بدخول الالف واللام على صيغة الجمع فانه يحملها هناك للتاكيد
فكذا هاهنا ومن الناس من قال انه الزانيه والزاني وان كان لا يفيد العموم بحسب اللفظ لكنه يفيده بحسب
التنبيه وذلك من وجهين الاول ان ترتيب الحكم على الوصف يفيد كون ذلك الوصف علة لذلك الحكم لا سيما اذا كان
الوصف مناسبا وهاهنا كذلك فيدل على كون الزنا علة لوجوب الجلد فيلزم اشتراك اينما حصل الزنا انه يحصل
وجوب الجلد ضرورة ان العلة لا تنفك عن المعلول الثاني انه لو لم يكن قوله الزانيه والزاني اما ان يكن كل الزناة
او البعض فان كان الثاني صارت الايه مجملة وذلك يمنع من امكان العمل به لكن العمل به ممكن والاتيان بالواجب
لا به فنود الحج حمله على العموم حتى يمكن العمل به البحث الثاني في الشرائط المعتبرة في كون الزنا موجبا
للرجم او الجلد لقوى ... اجمعوا على ان كون الزنا موجبا للحد الحكمي مشروط بالعقل والبلوغ بل هما
معتبران في كل العقوبات اما كونها موجبة للرجم فلا بد مع العقل والبلوغ من امور اخر الشرط الاول الحرية
واجمعوا على ان الرقيق لا يجب الرجم البته الشرط الثاني التزوج بنكاح صحيح فلا تحصل الاصابة بملك اليمين
ووطي الشبهة ولا بالنكاح الفاسد الشرط الثالث الدخول ولا بد منه لقوله عليه السلم الثيب بالثيب وانما تصير ثيبا
بالوطي وهاهنا مسالتان المسلة الاولى هل يشترط ان يكون الاصابة بالنكاح بعد البلوغ والحرية والعقل فيه وجهان

64

احدهما انه شرط حتى لو اصاب عبد امته بنكاح صحيح او في حال الجنون والصغر ثم كمل حاله فزنا يجب عليه الرجم
لانه وطي يحصل به التحليل للمزوج الاول فيحصل به الاحصان كالوطي في حال الكمال وان النكاح يجوز ان يكون قبل الكمال
فكذلك الوطي والثاني وهو الاصح وهو ظاهر النص وبه قال ابو حنيفة انه يشترط ان تكون الاصابة بالنكاح بعد البلوغ والحريه
والعقل لانه لما شرط اكمل الاصابات وهو ان يكون بنكاح صحيح شرط ان تكون الاصابة في حال الكمال المسلة
الثانيه هل يعتبر ان يكون الاصابه الكمال في الطرفين او يعتبر في كل واحد منهما كماله نفسه دون صاحبه فيه قولان
احدهما يعتبر في الطرفين حتى لو وطي الصبي بالغه حرة عاقلة فانه لا يحصنها وهو قول ابي حنيفة ومحمد والثاني انه يعتبر
في كل واحد منهما كماله بنفسه وهو قول ابي يوسف حجة القول الاول انه وطي لا يحصن احد الواطيين فلا
يحصل الاخر كوطي الامة حجة القول الثاني انه لا يشترط كونهما على صفة الاحصان في النكاح فكذا عند الدخول
الشرط الرابع الاسلام ليس شرطا في كون الزنا موجبا للرجم عند الشافعي وابي يوسف وقال ابو حنيفة شرط احتج
الشافعي بامور اولها قوله عليه السلم اذا قبلوا الجزية فاعلمهم ان لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين ومن جملة ما على المسلمين
كونه بحيث يجب عليه الرجم عند ما تدل على الزنا فوجب ان يكون الذمي كذلك تحصيل التسوية وثانيها ما حدث ... عن
نافع عن ابن عمر انه عليه السلم رجم يهوديا ويهودية زنيا فاما ان يقال انه عليه السلم حكم بذلك بشرعه او بشرع من
قبله فان كان الاول فالاستدلال بين وان كان الثاني فكذلك لانه صار شرعا له وثالثها ان زنا الكافر مثل زنا المسلم فوجب
عليه ما يجب على المسلم وذلك لان الزنا محرم قبيح مناسب للزجر وايجاب الرجم يصلح زاجرا فوجب ... الا العاقبات والكفر
والاعمال والكفر لو كان لا يوجب تغليط الجناية فلا يوجب تخفيفها واحتج ابو حنيفة بوجوه احدها التمسك بعموم قوله
والزانيه والزاني فيكون الحكم فيها هو الجلد المعين متقوى في الذمي دون الرجم لو الرجم حجارة فتقوبه عظيمة فلا يجب
الا بجناية عظيمة والجناية تعظم بمزيد النعم في حق الجاني عند ارتكابها اما العقل فلان المعصية كفران النعمة
وكلما كانت النعم اكثر واعظم كان كفرانها اقبح واعظم واما الشرع فلانه قال الله تعالى قال في حق نساء النبي يا نسا
النبي من يات منكن بفاحشة مبينه يضاعف لها العذاب ضعفين فلما كانت نعم الله في حقهن اكثر كان العذاب في حقهن
اكثر وقال في حق الرسول لقد كدت تركن اليهم شيا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات وانما عظمت
معصيته لان النعم في حقه اعظم ومن نعم النبوة ومن المعلوم ان نعم الله في حق المسلم المحصن اكثر منها في حق الذمي
فكان معصية المسلم اعظم فوجب ان يكون عقوبته اشد وثانيها ان الذمي لو زنى بعد الاحصان فلا يجب عليه القتل
بيان الاول وهو ان المسلم بعد ... فانه شرك بالله فلا يكون محصنا ... يجب عليه القتل لقوله
عليه السلم لا يحل دم امري مسلم الا باحدى معان ثلاث ... ان الكافر لا يكون محصنا كذلك لقوله عليه السلم ... اذا زنى
فقد اخبر بانا علمهم انه لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين ... اجمعنا على ان احصان الموطوءة معتبر فيه الاسلام
فكذا احصان الذي يرجم ... الجامع ما ذكرنا من كمال النعم والجواب عن الاول انه خص عنه الثيب المسلم فكذا
الثيب الذمي وما ذكره من ان النعم على المومن اكثر ... ثم ان سلم حصلت بسبب العبد ... للعفو
الزانيه ... لم ... سببا للعذر ... لم يكن سببا لزيادة العقوبه وعن الثاني لا نسلم ان الذمي مشرك
سلمناه لكن الاحصان قد اريد به التزويج لقوله تعالى والمحصنات من النسا والمحصنات من النسا يعني متزوجات او ان
هذا ... الذمي ... يحصن ... لقوله ... بعد احصان ... على هذا الوصف
فدل على ان الحكم بالوصف علة والوصف ... في حق الذمي فوجب كونه مثلا ... الثالث انه ... العار
كرامة للمقذوف والكافر لا يكون ... الكرامة ... ما يلزم ... بالجلد ... المسئله
الاولى اتفقوا على ان الرقيق لا يرجم واتفقوا على انه يجلد وثبت نص الكتاب انما على الاما نصف ما على المحصنات
من العذاب فلا جرم اتفقوا على ان الامة تجلد خمسين جلدة اما العبد فقد اتفقوا الجمهور على انه ايضا يجلد خمسين
الا اهل الظاهر فانهم قالوا عموم قوله الزانيه والزاني يقتضي ... على العبد ... الامة ... ورد النص بالتنصيف

في حق الامة فلو قلنا العبد عليه كان تخصيصا لعموم الكتاب بالقياس وانه غير جايز ومنهم من قال ان الامة اذا تزوجت
فعليها خمسون جلدة واذا لم تتزوج فعليها الماية لظاهر قوله فاجلدوا كل واحد منهما ماية جلدة وذكروا ان قوله فاذا احصن
اي تزوجن فعليهن نصف ما على المحصنات المسئلة الثانية قال الشافعي وابو حنيفة الذمي يجلد وقال مالك لا يجلد لنا وجوه
احدها عموم قوله الزانية والزاني وثانيها قوله عليه السلم اذا زنت امة احدكم فليجلدها وقوله اقيموا الحدود على ما ملكت ايمانكم
ولم يفرق بين الذمي والمسلم وثالثها انه عليه السلم رجم اليهوديين فان كان ذلك الرجم من شرع محمد فقد حصل المقصود وان كان
من شرعهم فلما فعله الرسول صار من شرعه وهذه المسئلة ترجع الى ان الكفار مخاطبون بفروع الشرايع
البحث الخامس فيما يثبت به الزنا اعلم ان ذلك لا يحصل الا من طريقين اما ان يراه الامام
بعينه او بان يقر او بان يشهد عليه الشهود اما الوجه الاول وهو ما اذا راه الامام قال الامام محيي السنة رحمه الله
في كتاب التهذيب اختلفوا في ان القاضي هل يقضي بعلم نفسه قيل اذا ادعى رجل على رجل حقا وقام عليه بينة والقاضي
يعلم انه قد ابراه او ادعى انه قتل اباه وقد راه القاضي حيا بعد ذلك او ادعى نكاح امراة وقد سمع القاضي انه
طلقها لا يجوز ان يقضي به [illegible] وهل يجوز للقاضي ان يقضي بعلم نفسه قيل ان ادعى على [illegible] وقد راه القاضي
اقرضه او سمع المدعى عليه اقر به فيه قولان اصحهما وبه قال ابو يوسف ومحمد والمزني انه يجوز ان يقضي بعلمه لانه لما جاز ان
يحكم بشهادة الشهود وهو [illegible] على ظن فلان يجوز بما راه وسمعه وهو منه على علم اولى [illegible]
[illegible]
من النكول ورد اليمين والقول الثاني انه لا يقضي بعلمه وهو قول ابن ابي ليلى لان [illegible] شرط في القضا ولم يوجد ههنا
في المال اما العقوبات فينظر ان كانت العقوبة من حقوق العباد كالقصاص وحد القذف هل يحكم فيه بعلم نفسه
مرتب على المال ان قلنا هناك لا يقضي فها هنا اولى وان قلنا يقضي ففيه قولان والفرق ان مبنى حقوق الله على المساهلة والمسامحة
[illegible] لم يحصل العلم للقاضي في بلد ولايته [illegible] وقال ابو حنيفة ان حصل له العلم في بلد ولايته في زمان
ولايته له ان يقضي بعلمه [illegible] العلم لا يختلف باختلاف [illegible] فوجب ان لا يختلف الحكم باختلافها
والطريق الثاني الاقرار قال مالك والشافعي [illegible] وقال ابو حنيفة لا بد من الاقرار اربع مرات
في اربع مجالس وقال احمد لا بد من الاقرار اربع مرات [illegible] مجالس او في مجلس واحد حجة الشافعي
امران الاول قصة العسيف وانه قال عليه السلم فان اعترفت فارجمها وذلك يدل على ان الاعتراف مرة واحدة كاف
الثاني انه لما اقر بالزنا وجب الحد عليه لقوله عليه السلم انما نحكم بالظاهر [illegible] يوجب الظهور [illegible] ههنا
وذلك لان العاقل لا يقر [illegible] بالزنا [illegible] لانه سبب العار في الحال والالم الشديد في المال والعاقل يحترز عن الكذب
[illegible] اجتماع [illegible] فثبت انه انما اقدم على هذا الاقرار لكونه صادقا واذا ظهر صدقه [illegible] تحت
[illegible] واحتج ابو حنيفة بوجوه [illegible]
وجوه الاول انه عليه السلم اعرض عنه في المرة الاولى ولو وجب عليه الحد [illegible] حد الله
بعد كمال الحجة لا يجوز الثاني انه عليه السلم قال انك شهدت على نفسك اربع مرات ولو كان [illegible] مثل الاربع في ايجاب
الحد كان هذا القول لغوا الثالث [illegible] ابو بكر الصديق انه قال لماعز بعدما اقر ثلاث مرات لو اقررت الرابعة
لرجمك رسول الله والرابع عن بريدة الاسلمي قال كنا معاشر اصحاب رسول الله نتحدث لو لم يقر ماعز اربع مرات
ما رجمه رسول الله والخامس انهم قاسوا الاقرار على الشهادة [illegible] الزنا الا باربع شهادات [illegible]
والجامع السعي في كتمان هذه الفاحشة [illegible] الزنا [illegible] اربع [illegible] اللعان [illegible]
بالاقرار اربع مرات [illegible] الجواب
عن الاول انه ليس في الحديث الا انه عليه السلم حكم [illegible] الاربع وذلك لا ينافي جواز الحكم [illegible] وعن الثاني ان
[illegible] لسقط الحد عن ماعز [illegible] لان الزنا ثبت لما سقط كما لو شهد [illegible]

ما سقط

65

ما سقط الحد عن ماعز حين لم يثبت الزنا [illegible] الشهادة [illegible] اجمعوا انه لا بد من اربع شهادات
ويدل عليه قوله تعالى فاستشهدوا عليهن اربعة منكم والكلام فيه سياتي ان شاء الله تعالى في قوله ثم لم ياتوا باربعة شهداء
البحث السادس في ان المخاطب بقوله فاجلدوا من هو اجمعت الامة على ان المخاطب بذلك هو الامام ثم احتجوا بهذا
على وجوب نصب الامام [illegible] الواجب
المطلق [illegible] وكان مقدورا للمكلف فهو واجب فكان نصب الامام واجبا وقد مر بيان هذه الدلالة في قوله
والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما [illegible] المسئلة الاولى قال الشافعي للسيد اقامة الحد على مملوكه
وهو قول [illegible] وعند ابي حنيفة ومحمد وزفر لا يملكه وقال مالك يحده
المولى في الزنا وشرب الخمر والقذف ولا يقطعه في السرقة وانما يقطعه الامام وهو قول الليث احتج الشافعي بوجوه
احدها قوله عليه السلم اقيموا الحدود على ما ملكت ايمانكم وعن ابي هريرة قال قال عليه السلم اذا زنت امة احدكم فليجلدها
[illegible] قال الشيخ ابو بكر الرازي لا دلالة في هذه الاخبار [illegible] اقيموا الحدود على ما ملكت ايمانكم
هو كقوله الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما ماية جلدة ومعلوم ان [illegible] الى الامام لاقامة الحد فالمخاطبون
باقامة الحد هم الايمة وسائر الناس مخاطبون برفعه الى الامام حتى يقيموا الحد وكذلك قوله اقيموا الحدود على ما ملكت
ايمانكم على هذا المعنى فاما قوله اذا زنت امة احدكم فليجلدها فانه ليس كل جلد حدا [illegible] على وجه
[illegible] والجواب ان قوله اقيموا امر باقامة الحد [illegible] هذا اللفظ على
رفع الواقعة الى الامام [illegible] عن الظاهر [illegible] انه ترك الظاهر في قوله فاجلدوا لكن لا يلزم من ترك
الظاهر هناك تركه ها هنا واما قوله فليجلدها [illegible] المراد هو التعزير فباطل لان الجلد المذكور عقيب الزنا [illegible] منه
الا الحد وثانيها ان السلطان [illegible] الحد عليه [illegible] السلطان
[illegible] ولاية السادة على العبيد [illegible] ولاية السلطان على الرعية [illegible]
[illegible] النكاح [illegible] على السلطان في ولاية النكاح [illegible] على
السلطان [illegible] السيد يملك [illegible] لم يملكه الامام [illegible] المولى [illegible]
[illegible] اجمعنا على ان السيد يملك [illegible]
[illegible] ابو بكر الرازي على مذهب ابي حنيفة بوجوه احدها [illegible] ذكره ابو بكر الرازي [illegible] قوله الزانية والزاني
فاجلدوا كل واحد منهما ماية جلدة ولم تفرق [illegible] الاية بين المحدودين من الاحرار والعبيد [illegible]
الايمة هم المخاطبين باقامة الحدود على [illegible] والعبيد [illegible] الموالي [illegible]
الشهود على عبده بالسرقة فيقطعه فلو رجعوا عن شهادتهم لوجب [illegible] الشهود [illegible]
الشهود [illegible] بحكم الحاكم بالشهادة لانه لو لم يحكم بشهادتهم لم يضمنوا شيئا [illegible]
[illegible] عليهم وذلك [illegible] ليس لاحد من الناس ان يحكم لنفسه فعلمنا ان المولى لا يملك سماع البينة على
عبده [illegible] الحد [illegible]
[illegible] والجواب عن الاول [illegible] الاجماع على ان
[illegible] الاجماع على ان [illegible] الامام [illegible] عين النزاع والجواب
[illegible] محيي السنة [illegible]
[illegible] رواية البويطي [illegible] في الزنا [illegible]
الحد [illegible]
[illegible]
[illegible] الامام والثاني [illegible] المسئلة الثانية [illegible] الامام

فليس لاحاد الناس اقامة هذه الحدود بل اولى ان يتعينوا واحدا من الصالحين ليقوم به المسله الثالثه الخارجي المتغلب
هل له اقامه الحدود قال بعضهم له ذلك وقال الشافعي ليس له ذلك لان اقامه الحد متوجه على الولاه وانه يتولاه ثمه ابعد من
ان يتوقى ذلك الرجل من الصالحين الحبس المسالك في كيفيه اقامه الحد اما الجلد فاعلم ان المذكور في الايه هو الجلد وهذا قدر
شرك بين الجلد الشديد والجلد الخفيف والكل على كل اعضا او على بعض الاعضا فحسبنا لا يكون في الايه اشعار بشي من هذا التبري
بل بعض الايه لا يكون الا في الجلد لكن لا كان انتشار خارجا عن الوجه لما فيه من الغربه فيحصل بحجج عن العهد بل يلها التخفيف في لفظ
الجلد فانه الى انه لا ينبغي ان يجاوز الالم الى اللحم لان الجلد ضرب جلده كسر الحطب وتحلس وعا سه ولا اتلا ما عرفنا ان المقصود
منه الزجر والزجر يحصل بالجلد الخفيف لاجرم تكلم العلما في صفه الجلد على سبيل القياس ثم هاهنا مسايل المسله الاولى المحصن يجلد
مع ثيابه لا يجرد ولكن يستعمل نحت يصل الالم اليه وينزع منه ثيابه الحشو والفرو وروي ان ابا عبيده بن
الجراح اتي برجل في حد فذهب الرجل ينزع قميصه وقال ما ينبغي لجسدي المذنب ان يضرب وعليه قميص فقال
ابو عبيده لا تدعوه ينزع قميصه فضربه عليه اما المراه فلا خلاف فانه لا يجوز تجريدها بل يربط عليها ثيابها حتى
لا ينكشف وتلي ذلك منها امراه المسله الثانيه لا يمد ولا يربط بل يترك حتى يتقي بيديه ويضرب الرجل قايما و
المراه جالسه قال ابو يوسف ضرب ابن ابي ليلى المراه الغاذيه قايمه فخطاه ابو حنيفه المسله الثالثه
يضرب بسوط وسط لا جديد يجرح ولا خلق بولم ويضرب ضربا بين ضربين لا شديد ولا واهيا وروي ابو عثمان
النهدي قال اتي عمر برجل في حد ثم جي بسوط فيه شده فقال اريد الين من هذا فاتي بسوط فيه لين فقال
اريد اشد من هذا فاتي بسوط بين السوطين وقيل به المسله الرابعه يفرق الضرب على اعضايه ولا يجمعها في موضع
واحد واتفقوا على انه يتقي المقاتل كالوجه والبطن والفرج ويضرب على الراس هذا قول الشافعي وقال ابو حنيفه
لا يضرب على الراس ويقول على حجه الشافعي قال ابو بكر رضي الله عنه اضرب على الراس فان الشيطان فيه
وعن عمر انه ضرب على راسه حين سال عن الذاريات على وجه التعنت حجه ابي حنيفه اجمعنا على انه
لا يضرب على الوجه فكذا على الراس والجامع الحكم والمعنى اما الحكم فلان الشين الذي يلحق الراس سائر الوجه
كالذي يلحق الوجه بدليل ان الموضحه والشجاج حكمها في الراس والوجه واحد وفارقنا سائر البدن لان
الموضحه فيما سوى الراس والوجه انما يجب فيها حكومة عدل ولا يجب فيها ارش الموضحه الواقع في الراس والوجه
فوجب استوا الراس والوجه في وجوب صونهما عن الضرب واما المعنى فهو انه انما نهى عن ضرب الوجه
لما كان فيه من الخوف على البصر وذلك موجود في الراس لان ضرب الراس يظلم منه البصر وربما حدث منه اختلاط
العقل الجواب ان اصحابنا بان الفرق بين الوجه والراس ثابت لان الضرب اذا وقع على الوجه فعظم الجبهه رقيق
فربما انكسر بخلاف عظم القفا فانه في نهايه الصلابه واما الانف ففي نهايه اللطافه فالضرب عليها
يورث العمى وايضا فالضرب على الوجه يكسر الاسنان لانها عظام لطيفه
ويبقى على الخدين فيها الجنايات وبهما يرى الحاسد على المضروب على المضروب ويبقى اثرها في غايه الخطر بخلاف الراس فان الجرح
النابغ وكل ذلك لا يوجد في العري على الراس المسله الخامسة لو فرق سياط الحد بشرط الا يحصل به التنكيل
على الزجر كل يوم سوطا او سوطين لا يحسب ولو ضرب كل يوم عشرين او اكثر يحسب وقيل لا لا يحتز في المسله
السادسه لو وجب الحد على الحبلى لا يقام حتى تضع الحمل روي عن عمران بن الحصين ان امراه من جهينه اتت رسول الله
وهي حبلى من الزنا فقالت يا نبي الله اصبت حدا فاقمه علي فدعا نبي الله وليها فقال احسن اليها فاذا وضعت
فاتني بها ففعل فامر بها نبي الله صلى الله عليه وسلم فشدت عليها ثيابها ثم امر بها فرجمت ثم صلى عليها وليس المقصود
التاديب دون الاتلاف المسله السابعه اذا وجب الحد على المريض نظر ان كان يرجى زواله من صداع
او مرض فلا يقام حتى يبرا كالحبلى لو اقيم عليه الحد ربما لا يقام عليه حد لو هي بها عضو لا لو كان مرضا
لا يرجى زواله كالسل والزمانه فلا يؤخر ولا يضرب بالسياط لانه يموت وليس المقصود موته وذلك بخلاف
سواء

سوا كان زناه في حال الصحه ثم مرض او في حال المرض بل يضرب باثكال عليه ماية شمراخ فيقوم ذلك مقام جلده
كما قال تعالى في قصه ايوب وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث عندا حنيفه تضرب السياط دليلنا ما روي
ان رجلا مقعدا اصاب امراه فامر النبي عليه السلام فاخذوا له ماية شمراخ فضربوه بها ضربه واحده ولان المسلم اذا كانت
تحلفه حسنات وسيئات فالحرز لولي ذلك المسله الثامنه تقام الحد في وقت اعتدال الهوا فان كان في حر شديد او
حر او برد نظر ان كان الحد رجما يقام عليه كما يقام في المرض لان المقصود قتله وقيل ان كان الرجم ثبت عليه باقراره
يؤخر الى اعتدال الهوا فان كان في شده الحر والبرد ان كان يعرض به رجوعه الى ثمة ربما رجع عن اقراره في خلال الرجم
وبعدا اثر الرجم في جسمه فتعين شده الحر والبرد والمرض على هلاكه كلافا لو ثبت بالبينه فانه لا يسقط وان
كان الحد جلدا ام جلد الحريف انه يؤخر في شده الحر والبرد كما لا يقام في حال المرض فلا الرجم منه مايل المسله ١٣ الى بالله
الشافعي ومالك يجوز للامام ان يحضر حد الرجم وكذا الشهود لا يلزمهم الحضور وقال ابو حنيفه ان ثبت الزنا
بالبينه وجب على الشهود ان يبدوا بالرجم ثم الامام ثم الناس وان ثبت باقراره بدا به الامام ثم الناس حجه الشافعي ان
النبي عليه السلام امر برجم ماعز والغامديه ولم يحضر رجمهما المسله التاسعه اذا ثبت الزنا باقراره فمتى رجع ترك
وقبل به تعطيل الحد ادم تبع دينه قال ابو حنيفه والشافعي واحمد واسحاق وقال الحسن وابن ابي ليلى وداود لا يقبل
رجوعه وعن مالك قولان حجة الاول ان ماعزا لما مسته الحجارة هرب فقال عليه السلام هلا تركتموه
المسله العاشره تحفر للمراه الى صدرها حتى لا تنكشف ويرمي الرجل لا يحفر له لما روى ابو سعيد الخدري ان
ماعزا اتى رسول الله فقال اني اصبت فاحشه فاقمه علي فرده النبي عليه السلام مرارا قال ثم سال قومه فقالوا ما نعلم
به باسا فامرنا ان نرجمه فانطلقنا به الى بقيع الغرقد فما اوثقناه ولا حفرنا له قال فرميناه بالعظام
والمدر والخزف فاشتد واشتددنا خلفه حتى اتى عرض الحره فانتصب لنا فرميناه بجلاميد الحره
حتى سكت وجه الاستدلال انه قال فما اوثقناه ولا حفرنا له ودل انه هرب ولو كان في حفره لما امكنه ذلك
المسله الحاديه عشر اذا مات في الحد تغسل ويكفن ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين هذا ما اردنا ذكره في بيان الاحكام
الشرعيه المتعلقه بهذه الايه اما المباحث العقليه فاعلم ان من الناس من قال الاشكال البدن مركب
من اجزا كثيره فاما ان يقوم بكل جز منها حياه وعلم وقدره على حده او يقوم بكل الاجزا حياه وقدره وعلم واحد فالقدره فلعل والثاني
محال لاستحاله قيام العرض بالمحال الكثيره فتعين الاول وذلك لان لكل كان كل جز من اجزا البدن حيا على حده
وعالما وقادرا على حده اذا ثبت هذا فنقول النائي في النوع الثالث بكل حز منها حكم اما ان يامر بعذاب اللحوم والزنا
فالحال كانت هنا كالفاعل للزنا مجمعا غيفا ثم سمي بعد ذلك يكون الالم لتلك الاجزا الزانيه انها كانت
برية عن فعل الزنا فان قال قايل هذا لا يدفع منه حجه الاول بل انه ليس كل يلتذ من اجزا البدن فاعلا على حده
وحيا على حده فذلك محال بل الحيوه والعلم والقدره تقوم بالجزا والعدم يوجب هلم الحيوه والعالميه والقادريه
لمجموع الاجزا فيكون المجموع حيا واحدا عالما قادرا واحدا وعلى هذا التقدير يندفع السوال الجواب
اما الاول فضعيف وذلك لان العلم اذا قام بجز واحد فما لم يحصل لمجموع الاجزا عالميه واحده فيلزم قيام
الصفه الواحده بالمحال الكثيره وهو محال لم يوجد في كل جز منها عالميه على حده فيعود المحذور المذكور واما
الثاني ففيه انه البعد لانه اذا كان الفاعل للقبيح هو الكل يضرب هو الحد واعلم ان المقصود من
احكام الشرع رعايه المصالح وهي نعلم ان شرع الحد فيه الزجر وكان المقصود حاصلا اما قوله تعالى
ولا تاخذكم بهما رافه في دين الله ففيه مسايل المسله الاولى الرافه الرحمه وقرا العامه بسكون الهمزة
وقرا ابن كثير بفتح الهمزه ودلاله على نظيره المسله الثانيه يحتمل ان يكون المراد لا تاخذكم رافه بان تعطلوا الحد
فيفصل فيه المعنى لا تعطلوا حدود الله ولا تتركوا اقامتها للشفقه والرحمه وهذا قول مجاهد وعكرمه وسعيد بن جبير
والحسن والنخعي والزجاج ويحتمل ان لا ياخذكم رافه بان تخففوا الجلد وهو قول سعيد بن المسيب والحسن وقتاده

ويحتمل كلام العرب وان الاول اولى لان الذي تقدم ذكره هو العرب بشرى الجلد ولم يذكر صفته فما يعقبه يجب ان يكون راجعا
اليه ولكن برسول الله اسوة في ذلك حيث قال لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وبنته بقوله في دين الله
على انه اذا وجب اقامة الحد فلا تأخذكم الرحمة في خلافه اما قوله تعالى ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر فهو من باب
التهييج والهاب الغضب لله تعالى ولدينه قال الجبائي تقدير الآية ان كنتم مؤمنين فلا تتركوا اقامة الحدود
وهذا يدل على ان الاشتغال باداء الواجبات من الايمان خلاف ما تقوله المرجئة والجواب ان الاية لا تحصل
الا اذا حكم الايمان بطبعه انه اولى ان لا يقام تلك الحدود وحينئذ تكون منكرا للدين فيخرج عن الايمان
وفي الحديث يؤتى بوال نقص من الحد سوطا فيقول رحمة لعبادك فيقول له انت ارحم به مني فيؤمر به الى
النار ويؤتى بمن زاد سوطا فيقول لينتهوا عن معاصيك فيقول انت احكم به مني فيؤمر به الى النار اما
قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ففيه مسائل الاولى قوله وليشهد امر فظاهره للوجوب لكن الفقهاء
قالوا يستحب حضور الجمع والمقصود اعلان اقامة الحد لما فيه من الردع ولما فيه من دفع التهمة عمن يجلد وقيل
اراد بالطائفة الشهود ويستحب حضورهم ليعلم بقاؤهم على الشهادة المسئلة الثانية اختلفوا في اقل الطائفة
على اقوال احدها انه رجل واحد وهو قول النخعي ومجاهد واحتجا بقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين
اقتتلوا وثانيها انه اثنان وهو قول عكرمة وعطاء فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة وكل ثلثة فرقة والخارج
عن الثلثة واحد او اثنان والاحتياط توجب الاخذ بالاكثر وثالثها انه ثلاثة وهو قول الزهري وقتادة قالوا
الطائفة هي الفرقة التي يمكن ان تكون حلقة كانها الجماعة الحافة حول الشيء وهذه الصورة اقل ما لا بد في حصولها
الثلاثة ورابعها انه اربعة بعدد شهود الزنا وهو قول ابن عباس والشافعي وخامسها انه عشرة وهو قول
الحسن البصري لان العشرة هي العدد الكامل المسئلة الثالثة تسميته عذابا يدل على انه عقوبة ويجوز ان يسمى عذابا
لانه منع المعاودة كما سمي نكالا لذلك وبينه تعالى بقوله من المؤمنين على ان الذين يشهدون يجب ان يكونوا ههنا
المؤمنين لانهم اذا كانوا كذلك عظم موقع حضورهم في الانزجار وعظم موقع اخبارهم عما شاهدوه فيخاف المجلود
من حضور الشهود فيكمل معنى الانزجار الحكم الثاني قوله تعالى الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية
لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين قرئ لا ينكح بالجزم على النهي وقرئ وحرم بفتح الحاء ثم ان في الاية
سؤالات السؤال الاول قوله الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة ظاهره خبر ثم انه ليس الامر كذلك فانا نرى وهذا الظاهر
يدل على ان الزاني قد ينكح المؤمنة العفيفة والزانية قد ينكحها المؤمن العفيف السؤال الثاني انه قال وحرم ذلك على المؤمنين
وليس كذلك فان المؤمن يحل له التزوج بالمراة الزانية والجواب اعلم ان المفسرين لاجل هذين السؤالين ذكروا
وجوها احدها وهو احسنها ما قاله القفال وهو ان اللفظ وان كان عاما لكن المراد منه الاعم الاغلب وذلك ان الفاسق
الخبيث الذي من شانه الزنا والفجور لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء وانما يرغب في فاسقة خبيثة مثله
او في مشركة والفاسقة الخبيثة لا يرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال وينفرون عنها وانما يرغب فيها
من هو من جنسها من الفسقة والمشركين وهذا على الاعم الاغلب كما لا يفعل الخير الا الرجل التقي وقد يفعل
بعض الخير من ليس بتقي فكذا ههنا واما قوله وحرم ذلك على المؤمنين فالجواب من وجهين احدهما ان نكاح المؤمن الممدوح
عند الله الزانية ورغبته فيها وانخراطه بذلك في سلك الفسقة المتسمين بالزنا محرم عليه لما فيه من التشبه بالفساق
وحضور موقع التهمة والتسبب لسوء المقالة فيه والغيبة ومجالسة الخطائين كم فيها من التعرض لاقتراف الاثام فكيف
بمزاوجة الزواني والفجار الثاني ان صرف الرغبة بالكلية الى الزواني وترك الرغبة في الصالحات محرم
على المؤمنين لان قوله الزاني لا ينكح الا زانية معناه ان الزاني لا يرغب الا في الزانية فهذا الحصر محرم على المؤمنين
ولا يلزم من حرمة هذا الحصر حرمة التزوج بالزانية فهذا هو المعتمد في تفسير الاية الوجه الثاني ان الالف واللام
في قوله الزاني وان دخل على المؤمنين وان كان للعموم ظاهرا لكنه ههنا مخصوص بالاقوام الذين نزل فيهم قال مجاهد

وعطاء بن ابي رباح وقتادة قدم المهاجرون المدينة وفيهم فقراء ليس لهم اموال ولا عشائر وفي المدينة نساء
بغايا يكرين انفسهن وهن يومئذ اخصب اهل المدينة ولكل واحدة منهن علامة على بابها كعلامة البيطار
ليعرف انها زانية وكان لا يدخل عليها الا زان او مشرك فرغب في كسبهن ناس من فقراء المسلمين وقالوا نتزوج بهن
الى ان يغنينا الله عنهن فاستاذنوا رسول الله فنزلت هذه الاية فتقدير الاية اولئك الزواني لا ينكحون
الا تلك الزانيات وتلك الزانيات لا ينكحها الا اولئك الزواني وحرم ذلك كما حرمن باعيانهن على المؤمنين
الوجه الثالث في الجواب ان قوله الزاني لا ينكح الا زانية وان كان خبرا في الظاهر لكن المراد النهي والمعنى كل
من كان زانيا فلا ينبغي ان ينكح الا زانية وحرم ذلك على المؤمنين فهكذا كان الحكم في ابتداء الاسلام وعلى هذا الوجه ذكروا
قولين احدهما ان ذلك الحكم باق الى الآن حتى يحرم على الزاني والزانية التزوج بالعفيفة والعفيف وبالعكس وبهذا
مذهب ابو بكر وعمر وعلي وابن مسعود وعائشة ثم هؤلاء منهم من سوى بين الابتداء والدوام فقال كما لا يحل للمؤمن
ان يتزوج بالزانية فكذلك لا يحل له اذا زنت تحته ان يقيم عليها ومنهم من فصل لان في جملة ما يمنع من الابتداء
ما لا يمنع من دوام النكاح كالاحرام والعدة القول الثاني ان هذا الحكم صار منسوخا ثم اختلفوا في ناسخه فعن الجبائي
ان ناسخه هو الاجماع وعن سعيد بن المسيب انه منسوخ بعموم قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء وانكحوا الايامى
منكم والمحققون قالوا ان هذين الوجهين ضعيفان اما الاول فلانه ثبت في اصول الفقه ان الاجماع لا ينسخ ولا ينسخ
به فان الاجماع الحاصل عقيب الخلاف لا يكون حجة والاجماع في هذه المسئلة مسبوق بخلاف ابي بكر وعمر وعلي
فكيف يصح واما قوله فانكحوا ما طاب لكم فهو لا يصلح ان يكون ناسخا لانه لا بد من ان يشترط فيه ان لا يكون هناك مانع
من النكاح من نسب او رضاع وغيرهما فلما قال الرسول ... بعده يتزوج الزانية من المؤمنين كما لا ... يتزوجها
من ... ونقول ان للزنا تاثيرا في الفرقة ... لا نرى انه لو قذفها بالزنا ثبتت الفرقة على
بعض الوجوه فلا يبعد ... يوجب الحد ... من حق الزنا ان يورث العار ... فيفارق
غيره واحتج هؤلاء الذين ... عن جابر ... امراة هل له ان يتزوجها فاجابه ابن عباس ... من
سرق ثم ... ثم اشتراه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن ذلك فقال اوله سفاح واخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال
الوجه الرابع ان يحمل النكاح على الوطء والمعنى ان الزاني لا يطا حين يزني الا زانية او مشركة وكذا الزانية وحرم
ذلك على المؤمنين يعني حرم الزنا على المؤمنين وهذا تاويل ابي مسلم قال الزجاج هذا التاويل فاسد من وجهين احدهما انه
ما ورد النكاح في كتاب الله الا بمعنى التزوج ولم يرد البتة بمعنى الوطء الثاني ان ذلك يخرج الكلام عن الفائدة لانا
لو قلنا المراد ان الزاني لا يطا الا الزانية فالاشكال عائد لانا نرى ان الزاني قد يطا العفيفة حين يتزوج بها
ولو قلنا المراد ان الزاني لا يطا الا الزانية حين يكون وطؤه زنا فهذا الكلام لا فائدة فيه فهذا مجامع الكلام في هذا
المقام السؤال الثاني اي فرق بين قوله الزاني لا ينكح الا زانية وبين قوله والزانية لا ينكحها الا زان الجواب
الكلام الاول يدل على ان الزاني لا يرغب الا في نكاح الزانية وهذا لا يمنع من ان يرغب في نكاح الزانية غير الزاني فلا جرم
بين ذلك بالكلام الثاني السؤال الثالث لم قدمت الزانية على الزاني في الاية المتقدمة وههنا بالعكس والجواب
سيقت تلك الاية لعقوبتهما على جنايتهما فالمراة هي المادة في الزنا واما الثانية فمسوقة لذكر النكاح والرجل اصل فيه لانه
هو الراغب الطالب الحكم الثالث القذف **قوله تعالى** والذين يرمون المحصنات
ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون الا الذين
تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم اعلم ان ظاهر الاية لا يدل على الشيء الذي به رموا المحصنات
وذكر الرمي لا يدل على الزنا اذ قد يرميها بسرقة وشرب خمر وكفر بل لا بد من قرينة دالة على التعيين وقد اتفق العلماء على ان المراد
الرمي بالزنا وفي الاية قرائن تدل عليه احدها تقدم ذكر الزنا وثانيها انه تعالى ذكر المحصنات وهي العفائف فدل
ذلك على ان المراد بالرمي رميها بضد العفاف وثالثها قوله ثم لم ياتوا باربعة شهداء يعني على صحة ما رموهن به ومعلوم ان

ان هذا العدد من الشهود غير مشروط الا في الزنا ورابعها انعقاد الاجماع على انه لا يجب الجلد بالرمي بغير الزنا
فوجب ان يكون المراد هو الرمي بالزنا اذا عرفت هذا فالكلام في هذه الآية يتعلق بالرمي والرامي والمرمي البحث
الاول في الرمي وفيه مسايل المسالة الاولى الفاظ القذف ثلثة صريح وكناية وتعريض فالصريح ان يقول يا زانية او زنيت او زنى
قبلك او دبرك ولو قال زنى بدنك ففيه وجهان احدهما ليس صريحا لانه يتولى زنى فرجك لان حقيقة الزنا من الفرج فلا يكون صريحا
البدن الا المعونة والثاني انه صريح لان الفعل انما يصدر من جملة البدن والفرج آلة في الفعل واما الكنايات
فتل ان يقول يا فاسقة يا فاجرة يا خبيثة يا مواجرة يا ابن الحرام او امراتي لا ترد يد لامس فهذا لا يكون قذفا الا
بالنية فلو قال عنيت ان ينكر المقول له وتحلف فان نكل ردت اليمين
عليه وكذلك لو قال العربي يا نبطي او للعلوي يا لستَ ابن فلان اذ لم يرد به القذف فهو حقيقة لانه يحتمل ان يكون
به نبطي الولد واللسان وادعت ام المقول له انه اراد القذف فالقول قوله مع يمينه اما التعريض فليس بقذف
وان اراد وذلك مثل قوله يا ابن الحلال اما انا فما زنيت ولست امي بزانية وهذا قول الشافعي وابي يوسف
ومحمد وزفر وابن شبرمة والثوري والحسن بن صالح وقال مالك في التعريض الحد وقال احمد اسحق هو قذف في حال الغضب
دون حال الرضا لنا ان التعريض بالقذف محتمل للقذف ولغيره والاصل براءة الذمة فلا يرجع
منه بالشك ولان الحد لا يجب بالشبهات ولان الحدود شرعت على خلاف النص الثابت
عن النبي عليه السلام ادرؤا الحدود بالشبهات احتج مالك على رواية عن الزهري عن سالم
للتعريض فالقول في الحامل بالتعريض واحتج المالكية بان عمر استشار في التعريض فقال بعضهم قال الآخر
مدح اباه وامه فقد عرض فجلده عمر ثمانين والجواب ان عمر احتج بعد ذلك فقال تاليا مدح اباه وامه وقال اخرى يلكان
والله ما ابي بزان ولا امي بزانية فاستشار عمر الناس في ذلك فدل على انه لم يكن عندهم
انه مدح غير يقين فجلده عمر ثمانين والجواب ان مشاورة عمر الصحابة في حكم التعريض دلالة على انهم اختصوا واختلفوا
توقيف وانهم قالوا اذا اجتهادا المسالة الثانية في عدد القذف اعلم ان القاذف يتعدد بعدد المقذوف الا ان يجب
حد لها ان سبقت جماعة فانه يقذف واحدا منهم لم يرد ابالكل دفعة ولصقات والمذهب ان المقذوف بالقذف بانواع مختلفة ان تعدد
الا حد واحد ولو قذف الثاني بعد ما حد للاول وجب للثاني ولو قذفه بزنيات مختلفة بان قال زنيت بزيد
ثم بالزنا يعمر وفهل يتعدد الحد ام لا فيه قولان احدهما يتعدد اعتبارا باللفظ لانه من حقوق العباد فلا يتداخل فيه
التداخل كالديون والثاني وهو الاصح يتداخل فلا يجب الا حد واحد لانهما حدان من جنس واحد والمستحق واحد فيجب ان
يتداخل كحدود الزنا ولو قذف زوجته مرارا فالاصح انه يكتفي بلعان واحد لان اللعان في حق الزوج كالحد فلا يتعدد اما
اذا قذف جماعة بكلمة واحدة بان قال انتم زناة فقال ابو حنيفة يجب عليه حد واحد لكل واحد وقال الشافعي في الجديد يجب لكل واحد
حد واحد واحتج ابو بكر الرازي على قول ابي حنيفة بالقران والسنة والقياس اما القران فهو قوله تعالى والذين
يرمون المحصنات والمعنى ان كل واحد من المحصنات يجب عليه الجلد فذلك يقتضي ان من قذف جماعة من المحصنات
لم يجلد اكثر من ثمانين فمن اوجب على قاذف جماعة المحصنات اكثر من حد واحد فقد خالف الآية واما السنة فما روى
عكرمة عن ابن عباس ان هلال بن امية قذف امراته عند النبي عليه السلام بشريك بن سحما فقال النبي عليه السلام البينة او
حد في ظهرك فلم يوجب النبي عليه السلام على هلال الا حدا واحدا مع انه قذف امراته وشريك بن سحما وان لاعن
اللعان فانه اقام اللعان في الزوجات مقام الحد في الاجنبيات واما القياس فهو ان سائر ما يوجب الحد اذا وجد
منه مرارا لم يجب الا حد واحد كمن زنى مرارا او شرب مرارا فكذا هاهنا والمعنى الجامع دفع مزيد الضرر
والجواب عن الاول ان الذين صيغة جمع وقوله والمحصنات صيغة جمع والجمع اذا قوبل بالجمع يقابل الفرد بالفرد
فيصير المعنى كل من رمى محصنا واحدا وجب عليه الحد وهذا حكم وهو لا يتمشى الا ... ولان قوله
والذين يرمون المحصنات على ترتيب الجلد على رمي المحصنات وترتب الحكم على الوصف لا سيما اذا كان
مناسبا فانه يقتضي ان يكون علة فدلت الآية على ان رمي المحصن من حيث انه هو المقتضي لوجوب الجلد اذا ثبت هذا فنقول
اذا قذف واحدا صار ذلك القذف موجبا للحد فاذا قذف الثاني وجب ان يكون القذف الثاني موجبا للحد ايضا ثم موجب

الصنف

الصنف الثاني لا يجوز ان يكون مع الحد الاول لان ذلك يقتضي تحصيل الحاصل وهو محال فثبت ان الموجب الثاني لم يجب
بالقذف الثاني حد ثان اقصى ما في الباب انه يرد على هذه الدلالة حد الزنا فانه لم يتولد منه تعدد الحد لكن هذا يشكل
الدليل ان حد الزنا اغلظ من حد القذف وعند ظهور الفارق يتعذر الجمع واما السنة فلا دلالة فيها على هذه المسالة
لانه ربما لم يطالبه ولعله ولا في هذه المسالة تفصيل سياتي واما القياس فباطل لان حد القذف حق الآدمي بدليل انه
لا يحد الا بمطالبة المقذوف وحقوق الآدمي لا تتداخل بخلاف حد الزنا فانه حق الله تعالى هذا كله اذا قذف
جماعة كل واحد منهم بكلمة واحدة على حدة اما اذا قذفهم بكلمة واحدة فقال انتم زناة او زنيتم ففيه قولان اصحهما
وهو قوله الجديد يجب لكل واحد حد كامل لانه من حقوق العباد فلا يتداخل ولانه ادخل على كل واحد منهم معرة فصار
كما لو قذفهم بكلمات والقديم لا يجب للكل الا حد واحد اعتبارا باللفظ فان اللفظ واحد والاصح الاول لانه ادخل المعرة
على كل واحد ثم اذا اوجبنا حدا واحدا فلو قال لرجل يا ابن الزانيين فقد قذف ابويه بكلمة واحدة فعليه حدان المسالة الثالثة نبيح القذف
القذف ينقسم الى محظور ومباح وواجب وجملة الكلام انه اذا لم يكن ولد ينفيه فلا يجوز هل يباح ام لا ينظر ان
رآها تزني او اقر عنده فله ان يقذفها وله ان يسكت ... ادرك انها زنت من ثقة فهو كما لو رآها
الناس ... وتدارك الزوج بحيث منعها ان ترى رجلا فيباح له القذف لتاكد التهمة
ويجوز ان يمسكها ويستر عليها لما روي ان رجلا قال يا رسول الله ان لي امراة لا ترد يد لامس قال طلقها قال
اني احبها قال فامسكها ... اما اذا سمع من لا يوثق بقوله او استفاض بين الناس ولكن الزوج لم يره معها
او رآه معها ... لم يحل له ان يقذفها ... وما ... او لريبة الطلب
يجوز ما ستر المراة قال الله تعالى والذين جاؤا ... منكم اما اذا كانت ولد يريد نفيه نظر
فان علم انه ليس منه بان لم يكن وطيها الزوج او وطيها لكنها اتت به لاقل من ستة اشهر من وقت الوطي او لاكثر من
اربع سنين ... يجب عليه نفيه باللعان لانه ممنوع من استلحاق نسب الغير كما هو ممنوع من نفي نسبه لما روي عن النبي عليه
السلم انه قال ايما امراة ادخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شيء ولن يدخلها الله جنته فلما حرم على
المراة ان تدخل على قوم من ليس منهم كان الرجل ايضا كذلك اما اذا احتمل ان يكون منه بان اتت به لاكثر من ستة اشهر
من وقت الوطي ولدون اربع سنين ... اما ان ... استبراها بحيضة ... بعد الاستبرا
لم يحل له القذف والنفي لان ... اللزنا قال النبي عليه السلم ايما رجل جحد ولده وهو ينظر اليه احتجب الله منه
وفضحه على رؤس الاولين والآخرين ... وان اتت به لاكثر من ستة اشهر من وقت الاستبرا يباح له القذف والنفي ولا
انه يحتمل انها ... على الحبل ... ولد الزنا ... ان كان ابيض فاتت به اسود ... لم يكن
بينهما الزنا فليس له نفيه لما روي ابو هريرة ان رجلا قال للنبي عليه السلم ان امراتي ولدت غلاما اسود فقال هل لك
من ابل قال ... الوانها قال ... فقال فهل فيها اورق قال نعم قال فانى ذلك قال لعله عرق نزعه قال فلعل هذا نزعه عرق
دان ... بهما ... يباح ... اصلهما لان الولد ينزع الى
... والشبهة ... البحث الثاني في الرامي وفيه مسايل المسالة الاولى اتفقوا على ان العبد
اذا قذف ... حرا ... ولكن
... على العبد ... سقط السوط ... كان للرجل
... المسالة الثانية اذا ... اساء ... او
... ولذلك ... والكتبة ... الصبي
... الى القذف ... في المحصنة والحق
العبد ... المسالة الثالثة ... اختلفوا ... الوليد
العبد حرا ... الشافعي وابو حنيفة وابو يوسف ومحمد وزفر وعثمان ... الثوري عن جعفر بن محمد

عن ابيه ان عليا قال يجلد العبد في القذف اربعين وعن عبد الله بن عامر انه قال ادركت ابا بكر وعمر وعثمان ومن
بعدهم من الخلفا وكلهم يضربون المملوك في القذف اربعين وقال الاوزاعي جلد عمر بن [illegible] ومروان عن ابن سعيد
ويسلك انه جلد عمر بن عبد العزيز العبد في القذف ثمانين وهذا [illegible] على حرف واحد وهو ان هذه الاية صريحة في ايجاب
الثمانين ثم رد هذا الحد الى النصف فقوله تعالى فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات
من العذاب ينص على ان حد الامة نصف حد الحرة ثم قاسوا العبد على الامة في تنصيف حد الزنا ثم قاسوا تنصيف حد
القذف العبد على تنصيف حد الزنا في حقه فرجح حاصل العراقي يخصص عموم الكتاب بهذا القياس المسالة الرابعة اتفقوا
على دخول الكافر تحت عموم قوله والذين يرمون المحصنات لان الاسم يتناوله قل اما انه ما لهم زنا الذي اذا قذف المسلم يجلد
ثمانين [illegible] عن المرعى وسموا المحصنة بالعفيفة اسم الاحصان يقع على المتزوج وعلى العفيف والشرط في نذح
لقوله تعالى في مريم والتي احصنت فرجها وهو امها فهو ومن منع ... فاذا تزوجت منعهم الاحصان دعيا المتزوج
تمنعه عن كل ما لا يحل ويستتبع عليه فاما المسلة التي ظاهر الاية يتناول جميع العفايف سوا كانت مسلمة او كافرة
وسوا كانت حرة او رقيقة الا ان الفقها قالوا شرط الاحصان خمسة الاسلم والعقل والبلوغ والحرية والعفة من الزنا
وانما اعتبرنا الاسلام لقوله عليه السلم من اشرك بالله فليس بمحصن وانما اعتبرنا العقل والبلوغ لقوله عليه السلم
رفع القلم عن ثلث وانما اعتبرنا الحرية لان العبد ناقص الدرجة فلا يعظم عليه التعيير بالزنا وانما اعتبرنا العفة
عن الزنا لان الحد مشروع لتكذيب القاذف فاذا كان المقذوف زانيا فالقاذف صادق والقذف ذلك ... وكذلك اذا كان
المقذوف وطي امراة بشبهة او نكاح فاسد لان فيه شبهة الزنا كما فيه شبهة الحد وكما ان قاصد الشبهتين اسقطت
الحد عن الرجل فكذلك الحد يسقط عن قاذفه ايضا ثم يتوسل من يقذف كافرا او مجنونا او صبيا او مملوكا او من قذف
بامراة فلا حد عليه بل يعزر لاذاه حتى لو زنا في عنفوان شبابه مرة ثم تاب وحسنت حاله او شاخ في الصلاح
لم يحد قاذفه وكذلك لو زني كافر او رقيق ثم اسلم وعتق وصلحت حاله بعده فاذف لا حد عليه كذلك
لو زنا في حال صغره او جنونه ثم بلغ وافاق ثم قذفه فان تكن حد قاذفه الصبي والمجنون لا يكون زنا ولو قذف
محصنا فلم يحد القاذف حتى زنا المقذوف سقط الحد عن قاذفه لان تصدر الزنا منه يورث ريبه في حاله فيما مضى
لان الله تعالى كريم لا يهتك ستر عبده في اول ما يرتكب المعصيه فبظهوره يعلم انه كان متصفا به من قبل وروى
ان رجلا زنى في عهد عمر فقال والله ما زنيت الا هذه فقال عمر كذبت ان الله لا يفضح عبده في اول مرة فذلك
المرقى داود بن ... الزنا الطارى لا يسقط الحد عن القاذف المسالة السادسة قال الحسن البصري قوله والذين
يرمون المحصنات يتناول الرجال والنسا وسائر العلما انكروا ذلك لان لفظ المحصنات جمع المونث فلا يتناول
الرجال بل الاجماع دل على انه لا فرق في هذا الباب بين المحصنين والمحصنات المسالة السابعة روى غير
المحصن لا يوجب الحد بل يوجب التعزير الا الركن الاعظم وهو ما يقذف به فلا حد هناك دلالة على ذلك مجموع
الكلام في تعريف سبحانه والذين يرمون المحصنات اما قوله سبحانه ثم لم ياتوا باربعة شهدا معنه تحالف الحدث
الاول اعلم ان الله تعالى حكم في القاذف اذا لم ياتي باربعة شهدا احكاما ثلثه احدها جلده ثمانين وثانيها بطلان
الشهاد وثالثها الحكم بتفسيقه الى ان يتوب واختلف اهل العلم في كيفية ثبوت هذه الاحكام بعد اتفاقهم
على وجوب الحد بنفس القذف عند عجزه عن اقامة البينه على الزنا فقال قايلون قد بطلت شهادته ولزمه
التفسيق قبل اقامة الحد عليه وهو قول الشافعي والليث بن سعد وقال ابو حنيفة ومالك وابو يوسف ومحمد
وزفر شهادته مقبوله ما لم يحد وقال ابو بكر الرازي وهذا يقتضي من قولهم انه غير موسوم بسمة الفسق ما لم
يقع الحد به لانه لو لزمته سمة الفسق لما جازت شهادته اذ كانت سمة الفسق مبطله شهاده من وسم بها ثم احتج
على ابي بكر على صحة قول ابي حنيفه بامور احدها قوله سبحانه والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعه شهدا
فاجلدوهم ثم قال ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا ثم رتب على بطلان الشهادة على مجموع القذف والعجز عن اقامة الشهاده

ثم علمنا

ثم علمنا هذا الحكم على القذف وحده فتدخ ذلك في كونه معلقا على القرين وذلك خلاف الاية وايضا فوجوب الجلد
حكم مرتب على مجموع امرين فوجب ان لا يحصل بمجرد حصول احدهما كالوكالة فان الامراة ان دخلت الدار وكلمت فلانا فانت
طالق فانه لا يحصل الجزاء باحدهما وثانيها ان القاذف لا يحكم عليه بالكذب بمجرد قذفه واذا لم يكن كذلك وجب ان لا ترد
شهادته بمجرد القذف بيان الاول من طرق اربعه الاول انه بمجرد قذفه لو وجب كونه كاذبا لوجب ان لا تقبل بعد ذلك
بينته على الزنا لانا وقعنا الحكم بكذبه والحكم بكذبه في قذفه حكم ببطلان شهادة من شهد بصدقه في ذلك القذف فلما
علمنا اجمعوا على قبول بينته ثبت انه لم يحكم عليه بالكذب بمجرد قذفه الثاني انه اذا قذف امراته بالزنا لم يحكم
بكذبه بنفس قذفه والا لما جاز ايجاب اللعان بينه وبين امراته ولما امر بان يشهد بالله انه لصادق فيما رماها به
مثل تابع الحكم بكذبه ولما قال النبي عليه السلم بعد اللعان الله يعلم ان احدكما كاذب فهل منكما تايب فاخبر
ان احدهما بغير عينه هو الكاذب ولم يحكم بكذب القاذف وفي ذلك دليل على ان نفس القذف لا يوجب كونه كاذبا الثالث
قوله تعالى لولا جاوا عليه باربعة شهدا فاذ لم ياتوا بالشهدا فاولئك عند الله هم الكاذبون فلم يحكم بكذبهم بنفس القذف
فقط فثبت بهذه الوجوه انا لا نقطع بكونه كاذبا فلم نحكم عليه بكونه كاذبا بمجرد القذف واذا كان كذلك وجب ان لا تبطل
شهادته بمجرد القذف لانه كان عدلا ثقة والعارض منه غير معلوم لما كان يوجب ان يبقى على عدالته فوجب ان يكون
مقبول الشهادة وثالثها قوله عليه السلم المسلمون عدول بعضهم على بعض الا محدودا في قذف جعل النبي عليه السلم شاهدا عدالة القاذف
ما لم يحد ورابعها ما روى عكرمة عن عبد الله ابن عباس قال لما قذف هلال بن امية امراته قال رسول الله يجلد هلال
وتبطل شهادته في المسلمين فاخبر ان بطلان شهادته متعلق بوقوع الجلد به وذلك يدل على ان مجرد القذف لا يبطل الشهاده
وخامسها ان المالكي زعم ان شهود القذف اذا جاوا متفرقين قبلت شهادتهم فان القذف لو ابطل شهادته لوجب
ان لا يقبل بعد ذلك ان يشهد معه بلا نه قد تعلق بقذفه ووجب تكذيبه وفي قبول شهادته اذا جاوا متفرقين
ما يوجب ان لا تبطل شهادتهم بنفس القذف وجواب الشافعي رحمه الله ان الله تعالى رتب على القذف مع عدم الاتيان بالشهدا
الاربعة امورا ثلاثة معطوفا بعضها على البعض بحرف الواو وهو لا يقتضي الترتيب فوجب ان لا يكون رد الشهاده
مرتبا على اقامة الحد بل يجب ان يثبت رد الشهادة سوا اقيم عليه الحد او لم يقم الثاني كيفية الشهاد على الزنا
قال الله تعالى واللاتي ياتين الفاحشة من نسايكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم وقال سعد بن عبادة يا رسول الله ارايت لو وجدت مع امراتي رجلا امهله حتى اتي باربعة شهدا قال نعم ثم فيها مسايل
المسالة الاولى الزنا هل يثبت بشهادة رجلين فيه قولان الاول لا يثبت الا باربعة شهدا كفعل الزنا والثاني يثبت
كسائر الافعال لان المنحل [illegible] الاطلاع عليه المسالة الثانية اذا شهدوا على فعل الزنا يجب ان يذكروا الزاني ومن زنا
بها لانه قد يراه على جارية ابنه فيظنه زنا ويجب ان يشهدوا انا راينا ذكره يدخل في فرجها دخول الميل في المكحلة فلو
شهدوا مطلقا انه زنى فلا يثبت لانهم ربما يرون المفاخذة زنا ولهذا قال ابو بكرة زيادا في الحد [illegible] ميتفر
ولو شهدوا على نفس الزنا هل يشترط ان يبينوا فيه وقتها حتى لا يحسب انهم كالشهود والثاني لا يجب كما في القذف المسالة الثالثة
رضي الله عنه لا فرق بين ان يجيء الشهود متفرقين او مجتمعين وقال ابو حنيفة رحمه الله اذا شهدوا متفرقين لا يثبت
وعليهم حد القذف حجة الشافعي من وجوه الاول ان الاتيان باربعة شهدا قدر مشترك بين الاتيان بهم مجتمعين او
متفرقين واللفظ الدال على ما به الاشتراك لا اشعار له بما به الامتياز فلا دلالة فيه على كونهم متفرقين او مجتمعين لا بالنفي
فوجب ان يخرج عن العهدة الثاني كل حكم ثبت بشهادة الشهود اذا جاوا مجتمعين ثبت اذا جاوا متفرقين كسائر الاحكام
وبل هذا اولى لانهم اذا جاوا متفرقين كان ابعد عن التهمة وعن ان يتلقن بعضهم من بعض ولذلك قلنا اذا وقعت
ريبة للقاضي في شهادة الشهود فرقهم لنظر على صورة لا تتلقى شهادتهم الثالث انه لا يشترط ان يشهدوا معا
في حالة واحدة بل اذا اجتمعوا عند القاضي ثم يتقدم واحد بعد واحد ويشهد فانه تقبل شهادتهم فكذا اذا اجتمعوا على
بابه ثم كان يدخل واحد بعد اخر حجة ابي حنيفة رحمه الله من وجوه الاول ان الشاهد الاول لما شهد فقد قذفه ولم ياتي

من

بأربعة الشهدا موجب عليه الحد لقوله والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهدا اقتضى الى الباب ان عجزوا
عن ذلك القذف بلفظ الشهادة وذلك لا عبرة به لانه يؤدى الى اسقاط حد القذف اصلا لان كل قاذف لا يعجز عن لفظ
الشهادة فيجعل ذلك وسيلة الى اسقاط الحد عن نفسه ويحصل مقصوده من القذف الثاني ما روى ان المغيرة بن شعبة شهد
عليه بالزنا عند عمر بن الخطاب اربعة ابو بكرة ونافع ونفيع وثالث زياد وكان رابعهم زياد فقال رأيت استا تنبو ونفسا يعلو
ورجلان على عاتقه كأذني حمار ولا ادري ما وراء ذلك فجلد عمر الثلاثة ولم يسأل هل معهم شاهد آخر فلو قبل بعد
ذلك شهادة غيرهم لتوقف اذ الحدود مما يتوقف فيها احتياطا المسألة الرابعة لو شهد على الزنا اقل من اربعة
لم يثبت الزنا وهل يجب حد القذف على الشهود فيه قولان احدهما لا يجب لانهم جاءوا مجيء الشهود ولانا لو حددنا لا نسد
باب الشهادة على الزنا لان كل واحد لا يأمن ان لا يوافقه صاحبه فيلزمه الحد والقول الثاني وهو الاصح وبه
قال ابو حنيفة يجب عليهم الحد والدليل عليه الوجهان المذكوران في المسألة الثالثة المسألة الخامسة اذا قذف
رجل فجاء باربعة فساق فشهدوا على المقذوف بالزنا قال ابو حنيفة يسقط الحد عن القاذف ولا يجب الحد على الشهود
وقال الشافعي في احد قوليه يحدون وجه ابي حنيفة قوله تعالى والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء
وهذا قد اتى باربعة شهداء فلا يلزمه الحد ولان الفاسق من اهل الشهادة وقد وجدت شرائط الشهادة بالزنا من اجتماعهم
عند القاضي الا انه لم تقبل شهادتهم لاجل التهمة فكما اعتبرنا التهمة في نفي الحد عن المشهود عليه فكذلك وجب
اعتبارها في نفي الحد عنهم وجه قول الشافعي انهم غير موصوفين بالشرائط المعتبرة في قبول الشهادة فخرجوا عن
ان يكونوا شاهدين وبقوا محض القاذفين وهاهنا اخر الكلام في تفسير قوله ثم لم يأتوا باربعة شهداء
اما قوله تعالى فاجلدوهم ثمانين جلدة ففيه مسائل المسألة الاولى المخاطب بقوله فاجلدوهم هو الامام على
ما سبق في اية الزنا او المالك على مذهب الشافعي او رجل صالح ينصبه الناس عند فقد الامام المسألة الثانية
يخص من عموم هذه الاية صور احداها الوالد يقذف ولده او احدا من نوافله لا يجب عليه الحد كما لا يجب عليه القصاص
بقتله الثانية القاذف لو كان عبدا فالواجب جلد اربعين وكذلك المكاتب وام الولد ومن بعضه حر وبعضه رقيق
كحكم حد العبيد الثالثة من قذف عبيده او من قذف في قديم الايام ثم تاب فهل يجب الحد محصنه ومع ذلك
لا يجب الحد بسببها المسألة الثالثة قالوا اشد الضرب في الحدود ضرب الزنا ثم ضرب شرب الخمر ثم ضرب القاذف لان سبب
عقوبته محتمل للصدق والكذب الا انه عوقب صيانة للاعراض وزجرا عن هتكها المسألة الرابعة قال مالك
والشافعي حد القذف يورث فاذا مات المقذوف قبل استيفاء الحد وقبل العفو ثبت لوارثه حد القذف
وكذلك اذا كان الواجب التعزير فانه يورث عنه وكذلك لو ان القذف بعد موت المقذوف ثبت لوارثه
طلب الحد وعند ابي حنيفة حد القذف لا يورث ويسقط بالموت حجة الشافعي ان حد القذف حق الآدمي لانه
يسقط بعفوه ولا يستوفى الا بطلبه ويحلف فيه المدعى عليه اذا انكر واذا كان حق الآدمي وجب ان
يورث لقوله عليه السلم من ترك حقا فلورثته حجة ابي حنيفة انه لو كان موروثا لكان للزوج والزوجة
نصيب فيه لانه حق ليس في معنى المال والوثيقة فلا يورث كالوكالة والمضاربة والجواب عن الاول
ان الاصح عند الشافعي انه يرث جميع الورثة كالمال وفيه وجه ثان انه يرثه كلهم الا الزوج و
الزوجة لان الزوجية تنقطع بالموت لان المقصود من الحد دفع العار عن النسب وذلك لا يلحق الزوج و
الزوجة المسألة الخامسة اذا قذف انسانا بين يدي الحاكم او قذف امرأته برجل بعينه والرجل غائب
فعلى الحاكم ان يبعث الى المقذوف ويخبره بان فلانا قذفك وثبت لك حد القذف عليه كما لو ثبت له مال
على آخر وهو لا يعلمه يلزمه اعلامه وعلى هذا المعنى بعث النبي عليه السلم انيسا ليخبرها ان فلانا قذفها
بابنه ولم يبعثه ليتجسس عن زناها قال الشافعي وليس للامام اذا رمى رجل بزنا ان يبعث اليه يسأله
عن ذلك لان الله تعالى قال ولا تجسسوا واراد به اذا لم يكن المقذوف معينا مثل ان قال رجل بين يدي الحاكم الناس

يقولون

يقولون ان فلانا زنى فلا يبعث الحاكم اليه فيسأله اما قوله تعالى ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واختلف الفقها
فيه فقال اكثر الصحابة والتابعين اذا تاب قبلت شهادته وهو قول الشافعي وقال ابو حنيفة واصحابه و
الثوري والحسن بن صالح لا تقبل شهادة المحدود في القذف اذا تاب وهذه المسألة مبنية على ان قوله الا الذين
تابوا هل هو عائد الى جميع الاحكام المذكورة او يختص بالجملة الاخيرة فعند ابي حنيفة الاستثنا المذكور عقيب الجمل
الكثيرة مختص بالجملة الاخيرة وعند الشافعي يرجع الى الكل وهذه المسألة قد لخصناها في اصول الفقه ونذكر
ههنا ما يليق بهذا الموضع احتج الشافعي على ان شهادته مقبولة بوجوه احدها قوله عليه السلم التائب من الذنب
كمن لا ذنب له ومن لا ذنب له مقبول الشهادة فالتائب ايضا يجب ان يكون مقبول الشهادة وثانيها ان الكافر
يقذف فيتوب عن الكفر فتقبل شهادته بالاجماع فالقاذف المسلم اذا تاب عن القذف وجب ان تقبل شهادته
لان القذف مع الاسلام اهون حالا من القذف مع الكفر فان قيل المسلمون لا يغيرون بسب الكافر لانهم
شهدوا بعداوتهم والطعن فيه بالباطل فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر من الشين والشنار ما يلحقه بقذف
مسلم مثله فشدد على القاذف المسلم زجرا عن الحاق العار والشنار وايضا فالتائب من الكفر لا يجب عليه
الحد والتائب من القذف لا يسقط عنه الحد قلنا هذا الفرق ملغى بقوله عليه السلم اخبرهم ان لهم
ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين وثالثها اجمعنا على ان التائب عن الكفر والقتل والزنا مقبول الشهادة
فكذا التائب عن القذف لان هذه الكبيرة ليست اكبر من نفس الزنا ورابعها ان ابا حنيفة يقبل شهادته اذا تاب
قبل الحد مع ان الحد حق المقذوف فلا يزول بالتوبة فلان تقبل شهادته اذا تاب بعد اقامة الحد
وقد حسنت حاله وزال اسم الفسق عنه كان اولى وخامسها ان قوله الا الذين تابوا استثناء مذكور
عقيب جمل فوجب عوده اليها باسرها ويدل عليه امور احدها اجمعنا على انه لو قال عبده حر وامرأته طالق
ان شاء الله يرجع الاستثناء الى الجميع فكذا هاهنا فان قيل الفرق ان قوله ان شاء الله يدخل لمنع حكم
الكلام حتى لا يثبت منه شيء والاستثناء المذكور بحرف الا لا يجوز دخوله لرفع حكم الكلام فلو قال الا انه
يجوز ان يقول انت طالق ان شاء الله فلا يقع شيء ولو قال انت طالق الا طالقا كان الطلاق واقعا والاستثناء باطلا
لاستحالة دخوله لرفع حكم الكلام بالكلية فثبت انه لا يلزم من رجوع قوله ان شاء الله الى الجميع لما تقدم رجوع الاستثناء
الى الجميع ايضا قلنا هذا فرق في غير محل الجمع لان ان شاء الله جاز دخوله لرفع حكم الكلام بالكلية فلا جرم جاز
رجوعه الى الجمل المذكورة والاستثناء ما ورد دخوله لرفع بعض الكلام فوجب ان لا يرجع الى جميع الجمل على هذا
الوجه حتى يقتضي ان يخرج من كل واحدة من الجمل المذكورة بعضه وثانيها ان الواو للجمع المطلق فقوله فاجلدوهم
ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون صار كالجمع كانه ذكر معا لا تقدم للبعض على البعض
فلما دخل عليه الاستثناء لم يكن رجوعه الى البعض اولى من رجوعه الى الباقي اذ لم يكن لبعضها على بعض
تقدم في المعنى البتة فوجب رجوعه الى الكل ونظيره على قول ابي حنيفة قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا
وجوهكم الاية فان العطف لم يدخل على الوجه بل على مجموع هذه الامور من حيث ان الواو لا تفيد الترتيب
فكذا هاهنا ما دخلت على واحد بعينه لان حرف الواو لا يفيد الترتيب بل دخلت على المجموع فان قيل الواو
وان كانت للجمع فقد ما ذكرتموه يكون للاستئناف ومن شرطه ذلك قوله الفاسقون فيما لم يكن للجمع فيما
لا يختلف معناه وينتظم جملة واحدة فيصير الكل كالمذكور معا مثل اية الوضو فان الكل امر كانه قال فاغسلوا
هذه الاعضاء فان الكل قد تضمنه لفظ الامر واما اية القذف فان ابتداءها امر واخرها خبر فلا يجوز ان ينتظمها
جملة واحدة فكانت الواو للاستئناف فيختص الاستثناء به قلنا لم لا يجوز ان يجعل الجمل الثلاث المجموع جزاء الشرط
كانه قيل ومن يقذف المحصنات فاجلدوهم وردوا شهادتهم وفسقوهم اى فاجمعوا لهم الجلد والرد والتفسيق الا
الذين تابوا عن القذف واصلحوا فان الله يغفر لهم فينقلبون غير مجلودين ولا مردودين ولا مفسقين

وبالثالث أن قوله وأولئك هم الفاسقون عقيب قوله ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا يدل على أن العلة في عدم قبول تلك
الشهادة كونه فاسقا لأن ترتيب الحكم على الوصف مشعر بالعلية لا سيما إذا كان الوصف مناسبا وكونه فاسقا
يناسب أن لا تقبل الشهادة فإذا ثبت أن العلة لرد الشهادة ليست إلا كونه فاسقا ودل الاستثناء على زوال الفسق
فقد زالت العلة فيجب أن يزول الحكم لزوال العلة ورابعها أن مثل هذا الاستثناء موجود في القرآن قال تعالى إنما جزاء
الذين يحاربون الله ورسوله إلى قوله إلا الذين تابوا ولا خلاف أن هذا الاستثناء راجع إلى ما تقدم من أول الآية وأن التوبة
حاصلة لهؤلاء جميعا وكذلك قوله ولا تقربوا الصلاة إلى قوله فلم تجدوا ماء فتيمموا فأباح التيمم لمن وجب
عليه الاغتسال كما أباحه لمن وجب عليه الوضوء وعلى هذا الوجه ذكره أبو عبيد عن ثلاث مذاهب ... والشافعي
أصحاب أبي حنيفة على أن حكم الاستثناء مختص بالجملة الأخيرة بوجوه أحدها أن الاستثناء من الاستثناء يختص بالجملة الأخيرة
فكذا في جميع الصور طردا للباب وثانيها أن المقتضي لعموم الجمل المتقدمة قائم والمعارض هو الاستثناء و
يكفي في تصحيحه تعليقه بجملة واحدة لأن هذا القدر يخرج الاستثناء عن أن يكون لغوا فوجب تعليقه بالجملة الواحدة
فقط وثالثها أن الاستثناء لو رجع إلى كل الجمل المتقدمة لوجب أنه إذا تاب أن لا يجلد وهذا باطل بالإجماع
فوجب أن يختص الاستثناء بالجملة الأخيرة والجواب عن الأول أنا أثبتنا أن واو العطف تقتضي التشريك
فلم يكن بعض الجمل متأخرا في التقدير عن البعض فلم يكن تعليقه بالبعض أولى من تعليقه بالباقي فوجب
تعليقه بالكل والجواب عن الثالث أنه ترك العمل به في حق البعض فلم نترك العمل به في حق الباقي واحتج
أصحاب أبي حنيفة في المسألة بوجوه من الأخبار أحدها ما روى ابن عباس في قصة هلال بن أمية حين قذف
امرأته بشريك بن سحماء فقال رسول الله يجلد هلال وتبطل شهادته في المسلمين فأخبر رسول الله أن وقوع الجلد
يبطل شهادته من غير شرط التوبة في قبولها وثانيها قوله عليه السلام المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا محدودا
في قذف ولم يشترط فيه وجود التوبة منه وثالثها ما روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا تجوز شهادة محدود في الإسلام والجواب أن الأخبار هذا معارض بوجوه أحدها قوله عليه السلام
إذا علمت مثل الشمس فاشهد دل على الوجوب فإذا علم المحدود وجبت عليه الشهادة ولو لم تكن مقبولة
لما وجبت وثانيها قوله عليه السلام نحن نحكم بالظاهر وههنا قد حصل الظهور لأن دينه وعقله
وعفته الحاصلة بالتوبة تفيد كونه صادقا وثالثها ما روي عن عمر بن الخطاب أنه ضرب الذين
شهدوا على المغيرة بن شعبة منهم أبو بكرة وشبل بن معبد ونافع ونفيع ثم قال لهم من أكذب نفسه قبلت
شهادته ومن لم يفعل لم أجز شهادته فأكذب شبل ونافع أنفسهما وتابا وكان يقبل شهادتهما وأبى
أبو بكرة فكان لا يقبل شهادته وما أنكر عليه أحد من الصحابة ذلك فهذا تمام الكلام في هذه المسألة أما
قوله تعالى وأولئك هم الفاسقون فاعلم أنه يدل على أن القذف من جملة الكبائر لأن اسم الفسق لا يقع
إلا على صاحب الكبيرة والثاني أنه اسم لمن يستحق العقاب لأنه لو كان مشتقا من فعله لكانت التوبة لا تمنع من دوامه
كما لا تمنع من وصفه بأنه ضارب وبأنه رام أما قوله تعالى إلا الذين تابوا فاعلم أنهم اختلفوا في أن
التوبة عن القذف كيف تكون قال الشافعي التوبة منه إكذابه نفسه واختلف أصحابه في معناه فقال الإصطخري
يقول كذبت فيما قلت فلا أعود إلى مثله وقال أبو إسحاق لا يقول كذبت لأنه ربما يكون صادقا فيكون قوله كذبت كذبا
والكذب معصية والإتيان بالمعصية لا يكون توبة عن معصية أخرى بل يقول القذف باطل ندمت على ما قلت و
رجعت عنه ولا أعود إليه أما قوله وأصلحوا قال أصحابنا إنه بعد التوبة لا بد من مضي مدة عليه في حسن الحال
حتى تقبل شهادته وتعود ولايته ثم قدروا تلك المدة بسنة حتى تمر عليه الفصول الأربعة التي تتغير فيها الأحوال
والطباع كما يضرب للعنين أجل سنة وقد علق الشرع أحكاما بسنة من الزكاة والجزية وغيرهما وأما قوله فإن الله غفور
رحيم والمعنى أنه لكونه غفورا رحيما يقبل التوبة وهذا يدل على أن قبول التوبة غير واجب عقلا لأنه لو كان واجبا

فهو

فهو إنما يقبله عوضا وفيها لعلمه بأنه لو لم يقبله لصار سفيها ولخرج عن حد الإلهية أما إذا لم يكن واجبا فقبله
فهنالك يتحقق الرحمة والإحسان

قوله تعالى

والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء
إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين
ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين
ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم اعلم أنه سبحانه لما ذكر أحكام قذف الأجنبيات عقبه بأحكام
قذف الزوجات ثم هذه الآية مشتملة على أبحاث البحث الأول في سبب نزوله وذكروا فيه وجوها أحدها
قال ابن عباس لما نزل قوله والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء قال عاصم بن عدي الأنصاري إن دخل
رجل منا بيته فوجد رجلا على بطن امرأته فإن جاء بأربعة رجال يشهدون بذلك فقد قضى الرجل حاجته وخرج وإن قتله قتل به وإن
قال وجدت فلانا مع تلك المرأة ضرب وإن سكت سكت على غيظ اللهم افتح وكان لعاصم هذا ابن عم يقال له عويمر وله امرأة
يقال لها خولة بنت قيس فأتى عويمر عاصما فقال لقد رأيت شريك بن السحماء على بطن امرأتي خولة فاسترجع عاصم وأتى
رسول الله في الجمعة الأخرى فقال يا رسول الله ما أسرع ما ابتليت بهذا في أهل بيتي فقال رسول الله وما ذاك فقال أخبرني
عويمر ابن عمي بأنه رأى شريك بن السحماء على بطن امرأته خولة وكان عويمر وخولة وشريك كلهم بني عم عاصم فدعا رسول
الله بهم جميعا وقال لعويمر اتق الله في زوجتك وابنة عمك ولا تقذفها فقال يا رسول الله بالله لقد رأيت
شريكا على بطنها وإني ما قربتها منذ أربعة أشهر وإنها حبلى من غيري فقال لها رسول الله اتقي الله ولا تخبري إلا
بما صنعت فقالت يا رسول الله إن عويمرا رجل غيور وإنه رآني وشريكا نطيل النظر ونتحدث فحملته الغيرة
على ما قال فأنزل الله هذه الآية فأمر رسول الله حتى نودي الصلاة جامعة فصلى العصر ثم قال لعويمر قم وقل أشهد بالله
إن خولة لزانية وإني لمن الصادقين ثم قال في الثانية أشهد أني رأيت شريكا على بطنها وإني لمن الصادقين ثم قال في الثالثة
قل أشهد بالله إنها حبلى من غيري وإني لمن الصادقين ثم قال في الرابعة قل أشهد بالله أنها زانية وإني ما قربتها منذ أربعة
أشهر وإني لمن الصادقين ثم قال في الخامسة لعنة الله على عويمر يعني نفسه إن كان من الكاذبين ثم قال اقعد وقال لخولة
قومي فقامت وقالت أشهد بالله ما أنا بزانية وإن زوجي عويمر لمن الكاذبين وقالت في الثانية أشهد بالله ما رأى شريكا
على بطني وإنه لمن الكاذبين وقالت في الثالثة أشهد بالله ما أنا حبلى منه وإنه لمن الكاذبين وقالت في الرابعة
أشهد بالله أنه ما رآني على فاحشة قط وإنه لمن الكاذبين وقالت في الخامسة غضب الله على خولة إن كان عويمر من الصادقين
في قوله ففرق النبي بينهما وثانيها ما قال ابن عباس في رواية الكلبي أن عاصما ذات يوم رجع إلى أهله فوجد شريك
بن السحماء على بطن امرأته فأتى رسول الله وتمام الحديث كما تقدم وثالثها قال عكرمة عن ابن عباس لما نزل والذين
يرمون المحصنات قال سعد بن عبادة وهو سيد الأنصار لو وجدت رجلا على بطنها فإني إن جئت بأربعة من الشهداء
يكون قد قضى حاجته فقال رسول الله يا معشر الأنصار أما تسمعون ما يقول سيدكم فقالوا يا رسول الله لا تلمه فإنه
رجل غيور فقال سعد يا رسول الله إني لأعرف أنها من الله وأنها حق ولكن عجبت منه فقال عليه السلام فإن الله يأبى إلا
ذاك قال فلم يلبثوا إلا يسيرا حتى جاء ابن عم له يقال له هلال بن أمية وهو أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم
فقال يا رسول الله إني أتيت أهلي عشاء فوجدت رجلا رأيته بعيني وسمعته بأذني فكره رسول الله ما جاء به فقال هلال والله
يا رسول الله إني لأرى الكراهة في وجهك فيما أخبرتك به والله يعلم أني لصادق وإني لأرجو أن يجعل الله فرجا فقال رسول الله
إما البينة وإما الحد على ظهرك فقالوا ابتلينا بما قال سعد فبينما هم كذلك إذ نزل عليه الوحي
أربد وجهه وجسده حمرة فلما سري عنه قال عليه السلام أبشر يا هلال قد جعل الله لك فرجا فقال قد كنت أرجو ذلك
من الله فقرأ عليهم هذه الآية فقال عليه السلام ادعوها فدعيت فكذبت هلالا فقال عليه السلام الله يعلم أن أحدكما
كاذب فهل منكما تائب وأمر بالملاعنة وشهد هلال أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين فقال عليه السلام له عند الخامسة
اتق الله يا هلال فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فقال والله لا يعذبني الله عليها كما لم يجلدني رسول الله

وشهد الخامسة ثم قال رسول الله انتهلن فشهدت اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فلما اخذت
في الخامسة قال لها اتقي الله فان الخامسة هي الموجبة فتلكأت ساعة وهمت بالاعتراف ثم قالت والله لا افضح
قومي وشهدت الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ففرق رسول الله بينهما ثم قال انظروها فان جاءت
به اسحم حمش الساقين فهو لهلال وان جاءت به خدلج الساقين اورق جعدا فهو لصاحبه فجاءت به اورق جعدا
خدلج الساقين فقال عليه السلام لولا الايمان لكان لي ولها شان قال عكرمة فكان بعد ذلك اميرا على [illegible]
[illegible] ابو [illegible] ان [illegible] بالقذف [illegible] ولم يكن بالتاء لا ان الشهادات [illegible] في معنى الايمان
[illegible] اربع ان ينتصب الله في حكم المقدار والعامل فيه المصدر الاول فشهادة احدهم [illegible] محذوف الخبر تقديره
فواجب شهادة احدهم اربع شهادات وقريء ان لعنة وان غضب على تخفيفان ورفع ما بعدها وروي ان غضب الله
على نقل الفعل وقرئ بنصب الخامسة على معنى وتشهد الخامسة المسألة الثانية ما يتعلق بالاحكام والنظر فيه يتعلق
بالطرف الاول في موجب اللعان وفيه مسائل المسألة الاولى لا خلاف انه اذا رمى الرجل امراته بالزنا يجب عليه الحد ان
كانت محصنة والتعزير ان لم تكن محصنة كما في رمي الاجنبية لا يختلف عن انهما يختلفان في المخلص منه فان الاجنبي لا يسقط
الحد عن القاذف الا باقرار المقذوف او بينة تقوم على انها زنت وفي قذف الزوجة يسقط عنه الحد باحد هذين الامرين واما
اعتبار شرع اللعان في هذه الصورة دون الاجنبيات لوجهين الاول انه لا معرة عليه في زنا الاجنبية والاولى ستره اما
في زوجته فيلحقه العار والنسب الفاسد فلا يمكنه الصبر عليه وتوقيفه على البينة كالممتنع فلاجرم خص الشرع هذه
الصورة باللعان الثاني ان الغالب في المتعارف في احوال الرجل مع امراته انه لا يقصدها بالقذف الا عن حقيقة فاذا رماها
فنفس الرمي يشهد بكونه صادقا الا ان شهادة الحال ليست بكاملة فضم اليها ما يقويها من الايمان كشهادة المراة لما ضعفت
قويت بزيادة العدد والشاهد الواحد يتقوى باليمين على قول كثير من الفقهاء المسألة الثانية قال الشافعي كان حد
قاذف الاجنبيات والزوجات الجلد والدليل عليه قوله عليه السلام لهلال بن امية حين قذف امراته بشريك البينة او
حد في ظهرك فثبت بهذا ان حد قاذف الزوجة كان كحد قاذف الاجنبيات الا انه نسخ عن الازواج الجلد
باللعان فدل هنا على ان القاذف للزوجة كان الجلد ثم ان الله نسخه باللعان المسألة الثالثة قال الشافعي
اذا امتنع الزوج من اللعان فالواجب هو الجلد لكن المخلص منه باللعان كما ان الواجب في قذف الاجنبية الحد
والمخلص بالشهود فاذا نكل الزوج عن اللعان يلزمه الحد للقذف فاذا لاعن ونكلت عن اللعان يلزمها حد الزنا
وقال ابو حنيفة اذا نكل الزوج عن اللعان حبس حتى يلاعن وكذا المراة اذا نكلت حبست حتى تلاعن حجة
الشافعي وجوه احتجاجات الله بالعذاب الذي وقد الكتاب والذين يرمون المحصنات يعني غير الزوجات ثم لم ياتوا باربعة
شهداء فاجلدوهم ثم انه عطف عليه حكم الازواج فقال والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم الاية
فكما ان مقتضى قذف الاجنبيات الاتيان بالشهود او الجلد فكذا موجب قذف الزوجات الاتيان باللعان او الحد
وثانيها قوله تعالى ويدرؤا عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله والالف واللام الداخلان على العذاب
لا يفيدان العموم لانه لم يجب عليها جميع انواع العذاب فوجب صرفهما الى المعهود السابق والمعهود السابق هو الحد لانه
تعالى ذكر في اول السورة ولا ان الحد قرب المذكورات في هذه السورة العذاب بمعنى الحد فلو حملناه على الحد
لا بعينه الا ان حمله على المعهود اولى على الحبس لما انه يحكم بين غير الجنس غير معلوم ما يتنبأ بالقياس وثمانيها
على ان الحبس في حق المراة انها نقول ان كان الرجل صادقا فحدوها وان كان كاذبا فخلوها وليس حبسها
ان شهادة نفسه توجب عليه الحد لقوله تعالى والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم
ولكن شهادة الرجل ثبت في حق المراة اذا فالرجل مقبول وكلما شهادته عليه السلام لخوله والرجم اهون عليك من غضب
الله ولا نعلم للخطاب حجة ابي حنيفة اما في حق المراة فلانها ما فعلت سوى انها تركت اللعان وهذا الترك

72

ليس تنبيه على الزنا ولا اقرارها به فوجب ان لا يجوز رجمها لقوله عليه السلام لا يحل دم امرئ مسلم الحديث واذا لم يجب الرجم
اذا كانت محصنة لم يجب الجلد في غير المحصنة لانه لا قائل بالفرق وايضا فالنكول ليس بصريح الاقرار فلم يجز اثبات
الحد به كاللفظ المحتمل للزنا ولغيره المسألة الرابعة قال الجمهور اذا قال لها يا زانية وجب اللعان وقال مالك
لا يلاعن الا ان يقول رايتك تزني او ينفي حملا لها او ولدا منها حجة الجمهور ان عموم قوله والذين يرمون المحصنات
يتناول الكل ولانه لا تفاوت في قذف الاجنبية بين الكل فكذا في قذف الزوجة الطرف الثاني في الملاعن
الذي يصح منه ويصح لعانه يجري اللعان بين الرجل والذمي والمحدودين وكذا اذا كان احدهما رقيقا
او كان الزوج مسلما والمراة ذمية وقال ابو حنيفة لا يصح في صورتين احدهما ان يكون الزوجة ممن لا يجب على قاذفها
الحد اذا كان اجنبيا نحو ان يكون الزوجة مملوكة او ذمية والثاني ان يكون احدهما من غير اهل الشهادة بان يكون محدودا
في قذف او عبدا او كافرا ثم زعم ان الفاسق والاعمى مع انهما ليسا من اهل الشهادة يصح لعانهما وجه قول الشافعي
ان المقصود دفع العار عن النفس ودفع ولد الزنا وكل محتاج غير المحدود اليه فكذا المحدود الثاني اجمعنا على
انه يصح لعان الفاسق والاعمى وان لم يكونا من اهل الشهادة فكذا المراة عنهم والجامع هو الحاجة الى دفع عار
الزنا وجه قول ابي حنيفة الشرع والمعنى اما النقل فما روي عبد الله بن عمرو بن العاص انه عليه السلام قال اربع
من النساء ليس بينهن وبين ازواجهن ملاعنة اليهودية والنصرانية تحت المسلم والحرة تحت المملوك والمملوكة تحت الحر
واما المعنى فنقول اما في الصورة الاولى فلانه كان الواجب على قاذف الزوجة والاجنبية الحد بقوله والذين يرمون
المحصنات ثم نسخ ذلك عن الازواج واقيم اللعان مقامه فلما كان اللعان في الازواج قائما مقام الحد في
الاجنبيات فمن لا يجب عليه الحد لو قذفها اجنبي واما في الصورة الثانية فالوجه ان اللعان
شهادة فوجب ان لا يصح الا من اهل الشهادة وانما قلنا ان اللعان شهادة لوجهين الاول قوله تعالى فلم يكن لهم
شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات فسمى الله اللعان شهادة كما سماهم شهداء الثاني
انه حين اعترض الزوجين امرهما باللعان بلفظ الشهادة ولم يقتصر على لفظ اليمين واذا ثبت ان اللعان شهادة
وجب ان لا يقبل من المحدود في القذف لقوله تعالى ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واذا ثبت ذلك في المحدود ثبت في
العبد والكافر اما بالاجماع على انهما ليسا من اهل الشهادة او لانه لا قائل بالفرق اجاب الشافعي ان اللعان ليس
شهادة في الحقيقة بل يمين بدليل انه لا يجوز ان يشهد الانسان لنفسه ولانه لو كان شهادة لكان على المراة ان تاتي
بثماني شهادات لانها على النصف من الرجل ولانه يصح من الاعمى والفاسق ولا يجوز شهادتهما فان قيل الفاسق والفاسقة
قد يتوبان فيقبلان وكذلك العبد يعتق فيجوز شهادتهم احدا لاحدى ذلك ان العبد اذا عتق تقبل شهادته في
الحال ثم الزم ابا حنيفة ان شهادة اهل الذمة مقبولة بعضهم على بعض فينبغي ان يجوز اللعان بين الذمي
والذمية وحيث اكد ذلك كلام الشافعي ثم قال بعد ذلك وتحقيق الحد دفع وصفته ومعناه ان الزوج
لزمه ان يحلف يمينا [illegible] عمله [illegible] ولم [illegible] عن احصانها
وحريتها الطرف الثالث الاحكام المرتبة على اللعان قال الشافعي يتعلق باللعان خمسة احكام درء الحد
ونفي الولد والفرقة والتحريم المؤبد ووجوب الحد عليها وكلها تثبت بمجرد لعانه ولا تفتقر فيها الى لعانها ولا
الى حكم الحاكم فان حكم الحاكم كان تنفيذا منه لا ايقاعا للفرقة ولنتكلم في هذه المسائل المسألة الاولى
اختلف المجتهدون في وقوع الفرقة باللعان على اربعة اقوال احدها ما قال عثمان البتي انه لا تقع الفرقة الا بان يطلق الزوج
امراته بعد اللعان وثانيها قال ابو حنيفة ابو يوسف ومحمد لا تقع الفرقة بعد فراغهما من اللعان
حتى يفرق الحاكم بينهما وثالثها قال مالك والليث وزفر اذا فرغا من اللعان وقعت الفرقة وان لم يفرق الحاكم
ورابعها قال الشافعي اذا اكمل الزوج الشهادة فقد زال فراش امراته ولا تحل له ابدا حجة عثمان البتي وجوه
احدها ان اللعان ليس بصريح ولا كناية في الفرقة وجب ان لا تقع به الفرقة كسائر الاقوال التي لا اشعار لها بالفرقة

ما ذكرنا انه ان يكون الزوج صادقا في قوله وهذا لا يوجب تحريما الا ترى انه لو قامت البينة عليها لم يوجب ذلك
تحريما وكذلك اذا كان كاذبا والمرأة صادقة فثبت انه لا دلالة فيه على التحريم وانما لو تلاعنا بينهما لم يوجب التحريم
لكنا عند الحاكم ولانها ان اللعان قائم مقام الشهود في حق الاجنبيات فكما انه لا تأثير في الحصانة للشهود فكذلك
لها اسقاط الحد فكذا اللعان لا تأثير له الا في اسقاط الحد ولانها اذا كذب الزوج نفسه فحددناه اياها لم يوجب
ذلك فرقة فكذا اذا لاعنها لان اللعان قائم مقام الحد [illegible] واما تفريق النبي عليه السلم فكانه في قصة العجلاني وكان
قد طلقها ثلاثا بعد اللعان فلذلك فرق بينهما واما قول ابي حنيفة في قول الحاكم تفريق بينهما فلا بد من بيان امرين احدهما
انه يجب على الحاكم ان يفرق بينهما ودليله ما روى سهل بن سعد في قصة العجلاني في [illegible] السنة في المتلاعنين ان يفرق
بينهما والثاني ان الفرقة تحصل بحكم الحاكم والحجة عليه بوجوه احدها ما روي في قصة عويمر انه لما فرغا قال
كذبت عليها يا رسول الله ان امسكتها فهي طالق ثلاثا فطلقها ثلاثا قبل ان يامره [illegible] فهذا من وجوه احدها
انه لو وقعت الفرقة باللعان لبطل قوله كذبت عليها ان امسكتها لان امساكها غير ممكن وثانيها انه [illegible] في هذا الخبر
انه طلقها ثلاثا [illegible] رسول الله وسند الطلاق انما يكون لو لم يقع الفرقة بنفس اللعان وثالثها ما [illegible] سهل بن
سعد مضت السنة [illegible] باللعان استحال التفريق بعدها [illegible] ابو بكر الرازي قول الشافعي
خلاف الاية لانه لو وقعت الفرقة بلعان الزوج لالتعنت المرأة وهي اجنبية وذلك خلاف الاية لان الله تعالى انما اوجب اللعان
بين الزوجين [illegible] ان اللعان شهادة لا يثبت حكمها الا عند الحاكم [illegible] الا بحكم الحاكم كما لا يثبت الشهود به
الا بحكم الحاكم [illegible] اللعان يستحق بها المرأة [illegible] كما يستحق المدعي بالبينة فكما لم يجز ان يستحق المدعي ما ادعاه الا بحكم حاكم
وجب مثله في استحقاق المرأة [illegible] اللعان [illegible] التحريم [illegible] انها زنت ولو قامت البينة
على زناها [illegible] التحريم [illegible] اللعان اذا لم يوجد [illegible] دلالة التحريم وجب ان لا تقع الفرقة
فلا بد من احداث التفريق اما من قبل الزوج او من قبل الحاكم [illegible] انها لو تراضيا على البقاء على النكاح
لم [illegible] ما قلت [illegible] ان اللعان قد اوجب الفرقة [illegible] قوله تعالى ويدرؤا
عنها العذاب ان تشهد [illegible] على انه لا تأثير للعان المرأة الا في دفع العذاب عن نفسها وان كل ما يجب
باللعان من الاحكام [illegible] بلعان الزوج الثالث ان لعان الزوج [illegible] مستقل بنفي الولد [illegible] اعتبار بقوله
[illegible] الحاق [illegible] الولد [illegible] الحاق المرأة
دليلنا اذا اكذب الزوج نفسه لحق به الولد [illegible] فلم يبق [illegible] اللعان فالولد ينفى عنه واذا ثبت ان
لعانه مستقل بنفي الولد وجب ان يكون مستقلا [illegible] الفرقة [illegible] الولد [illegible] عليه السلم الولد
للفراش فما دام [illegible] الفراش [illegible] يلحق به فلما انتفى الولد عنه بمجرد لعانه وجب ان يزول الفراش عنه
بمجرد لعانه واما الاخبار التي تمسك بها ابو حنيفة فالمراد بها ان النبي عليه السلم اخبر عن وقوع الفرقة وكلم بها و
ذلك [illegible] لم يكن [illegible] الفرقة [illegible] على اللعان شهادة وليس
[illegible] بل هو يمين [illegible] واما [illegible] اللعان [illegible] الحرمة [illegible] بينته على نفي الولد [illegible]
[illegible] الولد [illegible] المسألة الثانية [illegible] مالك والشافعي وابو يوسف والثوري والحسن المتلاعنان
لا يجتمعان ابدا [illegible] عمر وعلي وابن مسعود [illegible] ابو حنيفة ومحمد اذا اكذب نفسه وحد زال تحريم العقد
وحلت له بنكاح جديد حجة [illegible] قوله عليه السلم للملاعن بعد اللعان لا سبيل لك عليها ولم يقل حتى تكذب
نفسك ولو كان الاكذاب غاية لهذه الحرمة [illegible] رسول الله [illegible] كما [illegible] في المطلقة ثلاثا فلا تحل
له من بعد حتى تنكح زوجا غيره [illegible] عمر وعلي [illegible] انهم قالوا لا يجتمع المتلاعنان ابدا وهذا
[illegible] رسول الله [illegible] الزهري عن سهل بن سعد في قصة العجلاني [illegible] انهما اذا تلاعنا
فرق بينهما ثم لا يجتمعان حجة ابي حنيفة رحمه الله تعالى [illegible] فانكحوا ما طاب لكم المسألة الثالثة

اتفق

اتفق اهل العلم على ان الولد قد ينفى عن الزوج باللعان [illegible] ينتفي نسبه باللعان واحتج
بقوله عليه السلم الولد للفراش وهذا ضعيف لان الاخبار دالة على ان النسب ينتفي باللعان واحتج بقوله عليه السلم الولد
للفراش وهذا كالمتواتر فلا يعارضه هذا الواحد المسألة الرابعة قال الشافعي لو اتى احدهما بعض كلمات
اللعان لم يتعلق به الحكم وقال ابو حنيفة الاكثر [illegible] بمنزلة الكل اذا حكم به الحاكم والظاهر مع الشافعي
لانها دلت على انه لا يدرأ العذاب عنها الا بتمام ما ذكره الشافعي [illegible] فانا نقول [illegible]
الطرف الرابع في كيفية اللعان والاية دالة عليه صريحا فالرجل يشهد اربع شهادات بالله انه [illegible] تقول
اشهد بالله انه لمن الصادقين [illegible] ثم يقول وعليه لعنة الله ان كان من الكاذبين ويتعلق بلعان
الزوج تلك الاحكام الخمسة على قول الشافعي ثم المرأة اذا ارادت اسقاط حد الزنا عن نفسها عليها ان تلاعن
ولا يتعلق بلعانها الا هذا الحكم الواحد ثم ها هنا فروع الاول اجمعوا [illegible] اللعان كالشهادة فلا يثبت الا عند الحاكم الثاني
قال الشافعي تقام الرجل حتى يشهد والمرأة قاعدة وتقام المرأة حتى تشهد والرجل قاعد ويأمر الامام من يضع يده على فيه
عند الانتهاء الى اللعنة والغضب ويقول له اني اخاف ان لم تكن صادقا [illegible] الثالث اللعان بمكة بين المقام والركن و
بالمدينة عند المنبر وببيت المقدس في مسجده وفي المواضع المعظمة ولعان المشرك في الكنيسة واما الزمان فيوم الجمعة
بعد العصر ولا بد من حضور جماعة واقلهم اربعة الطرف الخامس في سائر الفوائد [illegible] مسائل المسألة الاولى
احتج [illegible] بهذه الاية على بطلان قول الخوارج في ان الزنا والقذف كفر من وجهين الاول ان الرامي ان صدق
[illegible] وان كذب [illegible] ولا بد على قولهم من وقوع الكفر [illegible] وذلك يكون ردة يجب على هذا ان
تقع الفرقة [illegible] اللعان [illegible] حتى [illegible] الثاني [illegible] علتها
[illegible] فالواجب ان تقتل لان المرتد [illegible] لحد الزنا المسألة الثانية الاية دالة
على بطلان قول من يقول ان وقوع الزنا [illegible] يفسد النكاح حتى [illegible] الرضاع
[illegible] ولو كان كذلك لوجب [illegible] بنفس الرمي من قبل اللعان [illegible] الاجماع على ذلك
المسألة الثالثة قالت المعتزلة دلت الاية على ان القاذف مستحق للعن الله اذا كان كاذبا وانه قد فسق
وكذلك الزاني والزانية مستحقان لغضب الله وعقابه [illegible] لا يجوز ان يدعو
[illegible] واذا ثبت ذلك فقد استحق العقاب [illegible] الثواب ولا
يجتمعان [illegible] محبط [illegible] الامة مجمعة على ان من دخل
الجنة [illegible] في النار [illegible]
كونه [illegible]
الثواب المسألة الرابعة انما خصت الملاعنة [illegible]
[illegible]
ولا [illegible] الرحمة والنعمة [illegible] تعالى جعل باللعان [illegible] سبيلا الى [illegible]
ولهما سبيلا الى دفع العذاب [illegible] السبيل الى التوبة [illegible] ولولا فضل الله عليكم ورحمته
عظم [illegible] الكلام حذفا
[illegible] ومسكوت عنه [illegible] الحكم الخامس
قصة الافك **قوله تعالى** ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم
بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم الكلام في هذه الاية من وجوه
احدها [illegible] والثاني [illegible] ذكر [illegible] اشياء [illegible]
[illegible] الذين جاءوا بالافك عصبة منكم [illegible] الكذب [illegible] البهتان [illegible] المسلمون

على ان المراد ما افك به على عايشه واثما ومضاته ذلك الكذب بكونه انما الافك المعروف من حال عايشه
خلافه لوجوه احدها ان كونها زوجة الرسول المعصوم يمنع من ذلك لان الانبيا يبعثون الى الكفار
ليدعوهم ويستعطفوهم فيجب الا يكون معهم ما ينفر عنهم وكون الانسان بحيث تكون زوجته مسافحة
من اعظم المنفرات فان قيل كيف جاز ان تكون امراة الرسول كافرة كامراة نوح ولوط ولم يجز ان تكون فاجرة
وايضا فلو لم يجز لكان الرسول ملوما عند الناس بامتناعه ولو عرف ذلك لما خاف وما سار عما يشمئز عن كيفية الواقعة
قلنا الجواب عن الاول ان الكفر ليس من المنفرات اما الفجور من المنفرات والجواب عن الثاني انه صلى الله عليه وسلم
كثيرا ما كان يضيق قلبه من اقوال الكفار مع علمه بفساد ذلك قال تعالى ولقد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون
ثم ان هذا من هذا الباب وثانيها ان المعروف من عايشه قبل تلك الواقعة انما هو الصون والبعد عن
مقدمات الفجور ومن كان كذلك كان اللائق احسان الظن به وثالثها ان القاذفين كانوا من المنافقين واتباعهم
وقد عرفت ان كلام المنافق ضرب مثل الهذيان فلمجموع هذه كان ذلك القول معلوم الفساد قبل نزول الوحي
اما العصبة فقد قيل انها الجماعة من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة وهم عبد الله بن ابي راس المنافقين
وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثه وحمنه بنت جحش ومن ساعدهم اما قوله منكم فالمعنى
ان الذين اتوا بالكذب في امر عايشه جماعة منكم ايها المؤمنون لان عبد الله كان من جملة من حكم له بالايمان ظاهرا
وما بينا انه شرح حال المقذوف بقوله لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم والصحيح ان هذا الخطاب ليس مع القاذفين
بل مع من قذفوه فان قيل هذا مشكل لوجهين احدهما انه لم يتقدم ذكرهم والثاني ان المقذوفين هم عايشه
وصفوان فكيف يحمل عليهما صيغة الجمع في قوله لا تحسبوه شرا لكم والجواب عن الاول انه تقدم ذكرهم في قوله
منكم وعن الثاني ان المراد من لفظ الجمع كل من تاذى بذلك الكذب ومعلوم انه صلى الله عليه وسلم تاذى بذلك وكذلك
ابو بكر ومن يتصل به فان قيل من اي جهة يصير خيرا لهم مع انه مضرة في العاجل قلنا لوجوه احدها انهم صبروا على
ذلك الغم طلبا لمرضات الله فاستوجبوا به الثواب وهذه طريقة المؤمنين وثانيها انه لولا اظهارهم للافك
كان يجوز ان يبقى التهمة كامنة في صدر البعض وعند الاظهار انكشف كذب القوم وثالثها انه صار خيرا لهم
لما فيه من شرفهم وبيان فضلهم من حيث نزلت ثماني عشرة اية كل واحدة منها مستقلة ببراءة عايشه و
شهد الله بكذب القاذفين ونسبهم الى الافك واوجب عليهم اللعن والذم وهذا غاية الشرف والفضل
ورابعها صيرورتها بحال تعلق الكفر بقذفها وقدحها فان الله لما نص على كون تلك الواقعة افكا وبالغ
في شرحه فكل من شك فيه كان كافرا قطعا وهذه درجة عالية ومن الناس من قال قوله تعالى لا تحسبوه
شرا لكم خطاب مع القاذفين وجعل الله ذلك خيرا لهم من وجوه احدها انه صار خيرا لهم من حيث كان هذا الذكر
عقوبة معجلة كالكفارة وثانيها انه صار لهم من حيث تاب بعضهم عنده واعلم ان هذا القول ضعيف
لانه تعالى خاطبهم بالكاف ولما وصف اهل الافك جعل الخطاب بالهاء بقوله لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم
ومعلوم ان نفس ما اكتسبوه لا يكون عقوبة فالمراد لهم جزاء ما اكتسبوه من العقاب في الاخرة والمذمة في
الدنيا والمعنى ان قدر العقاب يكون مثل قدر الخوض اما قوله تعالى والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم
ففيه مسائل المسئلة الاولى كبره بالضم والكسر المسئلة الثانية ان الذي تولى كبره حسان ومسطح
فجلدهما عليه السلم حين انزل الله عذرها وجلد معهما امراة من قريش وروي ان عايشه ذكرت حسان
وقالت ارجو له الجنة فقيل اليس هو الذي تولى كبره فقالت اذا سمعت شعره في مدح الرسول
رجوت له الجنة وقال عليه السلم ان الله يؤيد حسان بروح القدس في شعره وفي رواية واي
عذاب اشد من العمى ولعل الله جعل ذلك العذاب العظيم ذهاب بصره وفي رواية ان المراد به عبد
الله بن ابي فانه كان منافقا يطلب ما يعيب به الرسول المسئلة الثالثة المراد من لفظة الكبر انه كان مبتدئا

ذلك

ذلك القول فلا جرم حصل له من العقاب مثل ما حصل لكل من قال ذلك لقوله عليه السلم من سن سنة سيئة
فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة وقيل سبب تلك الاضافة شدة الرغبة في اشاعة تلك
الفاحشة وهو قول ابي مسلم المسئلة الرابعة قال الجبائي قوله تعالى لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم
عقاب ما اكتسب ولو كان انه استحق على ذلك عقابا لما جاز ان يقول ذلك فيه دلالة على ان من لم يتب منهم
صار الى العذاب الدائم في الاخرة لان مع استحقاق العقاب لا يجوز استحقاق الثواب والجواب ان
الكلام في الحابط مر غير مرة فلا وجه الى الاعادة اما سبب النزول فقد روى الزهري عن سعيد بن المسيب
وعروة بن الزبير وعلقمة بن وقاص كلهم رووا عن عايشه قالت كان رسول الله اذا اراد سفرا اقرع بين
نسائه فايتهن خرج اسمها خرج بها معه قالت فاقرع بيننا في غزوة غزاها قبل بني المصطلق فخرج بها اسمي
فخرجت مع رسول الله وذلك بعد نزول اية الحجاب فحملت في هودج فلما انصرف رسول الله وقرب من المدينة نزل
منزلا ثم اذن بالرحيل فقمت حين اذنوا ومشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شاني واقبلت الى رحلي
لمست صدري فاذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت والتمست عقدي وحبسني طلبه واقبل الرهط
الذين كانوا يرحلون فحملوا هودجي وهم يحسبون اني فيه لخفتي واني كنت جارية حديثة فظنوا اني في
الهودج وذهبوا بالبعير فلما رجعت لم اجد في المكان احدا فجلست وقلت يعودون في طلبي فنمت وكان صفوان
بن المعطل في العسكر يتبع امتعة الناس يحمله الى المنزل الاخر لئلا يذهب شي فلما راني عرفني وقال ما خلفك عن الناس
فاخبرته الخبر فنزل حتى ركبت ثم قاد البعير وافتقدني الناس حين نزلوا وماج الناس في ذكري فبينا الناس
كذلك اذ هجمت عليهم فتكلم القوم وخاضوا في حديثي وقدم رسول الله المدينة ولم ار منه عليه السلم ما عهدته
من اللطف الذي كنت اعرف منه ولا اشعر به حتى خرجت في بعض الليالي مع ام مسطح المهمة فعثرت في مرطها
فقالت تعس مسطح فانكرت ذلك وقلت اتسبين رجلا شهد بدرا فقالت وما بلغك الخبر فقلت لها وما هو فقالت
اشهد انك من المؤمنات الغافلات ثم اخبرتني بقول اهل الافك فازددت مرضا فرجعت ابكي ثم دخل علي رسول
الله فقلت ايذن لي ان اتي ابوي فاذن لي فجئت ابوي فقلت لامي ماذا يتحدث الناس قالت يا بنية هوني
عليك فوالله لقل ما كانت امراة وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا اكثرن عليها قالت فبكيت تلك الليلة
ثم اصبحت ابكي فدخل علي ابي وانا ابكي فقال لامي ما يبكيها قالت لم تكن علمت ما نزل بها فاقبل يبكي قالت ودعا
رسول الله علي بن ابي طالب واسامة بن زيد واستشارهما في فراقي فقال اسامة يا رسول الله هم اهلك ولا نعلم
الا خيرا واما علي فقال لم يضيق الله عليك والنسا سواها كثير وان تسال الخادمة تصدقك فدعا رسول
الله بريرة وسالها عن امري قالت بريرة يا رسول الله والذي بعثك بالحق ان رايت عليها امرا قط اكثر من انها
جارية حديثة السن تنام عن عجين اهلها حتى ياتي الداجن فتاكله قالت فقام نبي الله خطيبا على المنبر فقال يا معشر
المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغ اذاه في اهل بيتي يعني عبد الله بن ابي فوالله ما علمت على اهلي الا خيرا ولقد
ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا وما كان يدخل على اهلي الا معي فقام سعد بن معاذ وقال اعذرك منه يا رسول الله ان
كان من الاوس ضربت عنقه وان كان من اخواننا الخزرج فما امرتنا فعلناه فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج
وكان رجلا صالحا ولكن اخذته الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت والله لا تقدر على قتله فقام اسيد بن حضير
وهو ابن عم سعد بن معاذ وقال كذبت لعمر الله لنقتلنه وانك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الاوس
والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا ورسول الله على المنبر فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا قالت فبكيت ليلتي فبينا هما
جالسان عندي اذ دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس عندي ولم يجلس عندي منذ قيل في ما قيل ولقد لبث شهرا
لا يوحى اليه في شاني شي ثم قال اما بعد يا عايشه فقد بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان
كنت الممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد اذا تاب تاب الله عليه قالت فلما قضى رسول الله مقالته

فامر دمعي قلت لابي اجب عني رسول الله فقال والله لا ادري ما اقول فقلت لامي اجيبي عني رسول الله فقالت
والله ما ادري ما اقول فقلت وانا جارية حديثة السن ما اقرا من القران كثيرا اني والله لقد عرفت انكم قد سمعتم
بهذا حتى استقر في نفوسكم وصدقتم به فان قلت لكم اني بريئة لا تصدقونني وان اعترفت لكم بامر والله يعلم
اني بريئة لتصدقونني والله لا اجد لي ولكم مثلا الا كما قال العبد الصالح ابو يوسف ولم اذكر اسمه فصبر جميل والله
المستعان على ما تصفون قالت ثم تحولت واضطجعت على فراشي وانا اعلم ان الله يبريني ولكن والله ما كنت
اظن ان ينزل في شاني وحيا يتلى ولشاني كان احقر في نفسي من ان يتكلم الله في بامر يتلى لكن كنت ارجو
ان يرى رسول الله في النوم رويا يبريني الله بها قالت فوالله ما قام رسول الله من مجلسه ولا خرج من اهل
البيت احد حتى انزل الله على نبيه فاخذه ما كان ياخذه من البرحاء عند الوحي وانه ليتحدر عنه مثل الجمان من العرق
في اليوم الشاتي … قالت فوالله ما فزعت وما باليت لعلمي ببراءتي … فوالله
ما سري عن رسول الله حتى ظننت ان نفسي ستخرج فرقا من ان ياتي الله بتحقيق ما قال الناس
فلما سري عنه اذا هو يضحك فكان اول كلمة تكلم بها ان قال ابشري يا عايشة اما والله لقد براك
الله فقلت بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد اصحابك فقالت امي قومي اليه فقلت والله لا اقوم ولا احمد احدا
الا الله الذي انزل براءتي فانزل الله تعالى ان الذين جاءوا بالافك عشر ايات فقال ابو بكر والله لا انفق
على مسطح بعد هذا وكان ينفق عليه لقرابته منه فانزل الله ولا ياتل اولوا الفضل منكم … الا تحبون ان
يغفر الله لكم فقال ابو بكر والله اني لاحب ان يغفر الله لي فرجع الى النفقة على مسطح … بعد ذلك
قام رسول الله على المنبر بعد ذلك وتلى القران فلما نزل ضرب عبد الله بن ابي ومسطحا وحسان وحمنة
الحد واعلم انه سبحانه لما ذكر القصة وذكر حال القاذفين والبادين منها اتبعها بما يليق بها من الاداب والزواجر
من انواع فالاول قوله لولا اذ سمعتموه ظن المومنون والمومنات بانفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين وهذا من جملة
الاداب التي كان يلزمهم ان ياتوا به ولولا معناه هلا وذلك كثير في اللغة اذا كان يلي الفعل كقوله لولا اخرتني وقوله
ولولا كانت فاما اذا ولي الاسم فليس كذلك كقوله لولا انتم لكنا مومنين ولولا فضل الله عليكم والمراد كان الواجب
على المومنين اذا سمعوا قول القاذف ان يكذبوه ويشتغلوا باحسان الظن ولا يسرعوا الى التهمة فيمن عرفوا فيه
الطهارة وههنا سوالات الاول هلا قيل لولا اذ سمعتموه ظننتم بانفسكم خيرا وقلتم ولم عدل عن الخطاب الى
الغيبة الجواب ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات وليصرح بلفظ الايمان دلالة على ان الاشتراك فيه مقتضي
ان لا يظن بالمسلم الا خيرا لان دينه يحكم بكونه … للمعصية … وعقله يدعوه الى … الاحتراز عن
القبيح وهذا يوجب حصول الظن بالاحتراز عن المعصية فاذا وجد هذا المقتضي للاحتراز ولم يوجد في مقابلته
راجح يساويه في القوة وجب احسان الظن وحرم اساءته السوال الثاني ما المراد بقوله بانفسهم
الجواب فيه وجهان الاول ان يظن بعضهم ببعض خيرا ونظيره قوله ولا تلمزوا انفسكم وقوله فاذا دخلتم
بيوتا فسلموا على انفسكم ومعناه اخوانكم المومنين … يا ابا ايوب … قال لام ايوب الا ترين
ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان اكنت تظن بحرم رسول الله سوا قال لا قالت ولو كنت بدل عايشة ما خنت
رسول الله فعايشة خير مني وصفوان خير منك وقال ابن زيد ذلك معاتبة للمومنين اذ المومن لا يفجر
بامه وعايشة ام المومنين والثاني انه جعل المومنين كالنفس الواحدة فيما يجري عليها من الامور فاذا
جرى على احدهم مكروه فكانه جرى على جميعهم … قال عليه السلام مثل المومنين في تواصلهم وتراحمهم
كمثل الجسد اذا وجع بعضه وجع كله بالسهر والحمى … قال عليه السلام المومنون كالبنيان يشد
بعضهم بعضا السوال الثالث ما معنى قوله هذا افك مبين وهل يحل لمن سمع ما لا يعرفه ان يقول هذا الجواب
من وجهين الاول ان المراد … لم يخبر بذلك عن دليل لان القاذف … يستند الى امارة ما عن حقيقة

التي

75

التي لا يعلمها الانسان فانه لكون … علم عايشة فان كونها زوجة الرسول المعصوم كالدليل القاطع في كون
ذلك كذبا الثاني قال ابو بكر الرازي هذا يدل على ان الواجب فيمن كان ظاهره العدالة ان يظن به خيرا ويوجب
ان يكون عقود المسلمين وتصرفاتهم محمولة على الصحة والجواز ولذلك قال اصحابنا فيمن وجد مع امراة اجنبية فاعترفا
بالتزويج انه لا يجوز ان يكذبهما بل يجب تصديقهما وزعم مالك انه يحدهما ان لم يقيما بينة على النكاح ومن ذلك ايضا
قال اصحابنا فيمن باع درهما ودينارا بدرهمين ودينارين انا نخالف بينهما لانا قد امرنا بحمل امر المومن
على ما يجوز … ولذلك اذا باع سيفا محلى … على ان الثمن انما يجعل الفضة بالفضة
والفضل بالسيف … لان المسلمين … ما لم يظهر منهم ريبة لانا مامورون بحسن الظن
وذلك يوجب قبول الشهادة ما لم يظهر منه الريبة وقال تعالى ان الظن لا يغني من الحق شيئا النوع الثاني

قوله تعالى لولا جاءوا عليه باربعة شهداء فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم
الكاذبون وهذا من باب الزواجر والمعنى هلا اتوا على ما ذكروه باربعة من الشهداء يشهدون
على معاينتهم ما رموها به فاذ لم ياتوا بالشهداء اي حين لم يقيموا بينة على ما قالوه فاولئك عند الله اي في حكمه
هم الكاذبون فان قيل اليس اذا لم ياتوا بالشهداء فانه يجوز كونهم صادقين كما يجوز كونهم كاذبين فلم جزم
بكونهم كاذبين والجواب من وجهين الاول ان المراد بذلك الذين رموا عايشة خاصة وهم كانوا عند الله
كاذبين الثاني ان المراد فاولئك عند الله في حكم الكاذبين فان الكاذب يجب زجره عن الكذب والقاذف اذا لم
يات بالشهود فانه يجب زجره فلما شابه الكاذب في الزجر اجرى عليه اسم الكاذب … النوع
الثالث

قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته [في الهامش: والدنيا والاخرة] لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم وهذا
من باب الزواجر ايضا ولولا ههنا لامتناع الشيء لوجود غيره ويقال افاض في الحديث واندفع وخاض والمعنى ولولا اني
الاول ولولا اني قضيت ان اتفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الامهال وان ارحم عليكم في الاخرة بالعفو لعاجلكم
بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الافك والثاني ولولا فضل الله عليكم لمسكم العذاب في الدنيا والاخرة معا …
… النوع الرابع

قوله تعالى اذ تلقونه
بالسنتكم وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم وهذا ايضا من الزواجر قال
صاحب الكشاف اذ ظرف لمسكم او لافضتم تلقونه ياخذه بعضكم من بعض يقال تلقى القول … ومنه قوله تعالى
فتلقى ادم من ربه كلمات … وتلقونه من الولق وهو الكذب وتلقونه محكية عن عايشة وعن سفيان
سمعت ابي يقرا … وكان ابوه يقرا بحرف عبد الله … واعلم ان الله تعالى وصفهم بارتكاب
ثلثة اثام وعلق مس العذاب العظيم بها احدها تلقي الافك بالسنتهم وذلك ان الرجل كان يلقى الرجل فيقول له
ما وراءك فيحدثه بحديث الافك حتى شاع وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد الا طار فيه فكانهم سعوا في اشاعة الفاحشة
وذلك من العظايم وثانيها انهم كانوا يتكلمون بما لا علم لهم به وذلك يدل على انه لا يجوز الاخبار الا مع العلم فاما
الذي لا يعلم صدقه فالاخبار عنه كالاخبار عما علم كونه … ونظيره قوله ولا تقف ما ليس لك به علم
فان قيل ما معنى قوله بافواهكم والقول لا يكون الا بالفم قلنا معناه ان الشيء المعلوم يكون علمه في القلب فيترجم
عنه اللسان وهذا الافك ليس الا قولا يجري على السنتكم من غير ان يحصل في القلب علم به كقوله يقولون بافواههم ما ليس
في قلوبهم وثالثها انهم كانوا يستصغرون ذلك وهو عظيمة من العظايم ويدل على ان القذف من الكباير …
… بقوله وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم … ان عظم المعصية لا يختلف بظن فاعلها
وحسبانه … لانه من حيث جهل كونه عظيما … في كل محرم ان يستعظم
الاقدام عليه … مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار النوع الخامس

قوله تعالى ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم

وهذا من باب الحذف هلا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا فإنما وجب عليهم الامتناع منه
لوجوه أحدها أن المقتضي لكونهم تاركين لهذا الفعل قائم وهو العقل والدين ولم يوجد ما يعارضه فوجب
أن يكون ظنهم كونهم تاركين للمعصية أقوى من ظن كونهم فاعلين لها فلو أخبر عن صدور المعصية لكان قد
رجح المرجوح على الراجح وهو غير جائز وثانيها فهو أنه يتضمن إيذاء الرسول وذلك سبب للعن لقوله
تعالى إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله وثالثها أنه سبب لإيذاء عائشة وإيذاء أبويها ومن
اتصل بهم من غير سبب عرفناه منهم عليه وذلك حرام ورابعها أنه إقدام على ما يجوز كونه سببا
للضرر مع الاستغناء عنه والعقل يقتضي التباعد عنه لأن القاذف بتقدير كونه صادقا لا يستحق
الثواب على صدقه بل يستحق العقاب لأنه أشاع الفاحشة وبتقدير كونه كاذبا فإنه يستحق العقاب
ومثل ذلك مما يقتضي صريح العقل الاحتراز عنه وخامسها أنه تضييع الوقت بما لا فائدة فيه قال
عليه السلام تخلقوا بأخلاق الله فهذه الوجوه توجب على العاقل أنه إذا سمع القذف أن يسكت عنه وأن يجتهد
في الاحتراز عن الوقوع فيه فإن قيل كيف جاز الفصل بين لولا وبين قلتم بالظرف قلنا الفائدة فيه
أنه كان الواجب عليهم أن يحترزوا أول ما سمعوا عن التكلم به أما قوله سبحانه ههنا ففيه سؤالات الأول
لماذا كيف يليق سبحانك بهذا الموضع الجواب من وجوه الأول المراد منه التعجب من عظم الأمر وإنما
استعمل في معنى التعجب لأنه يسبح الله عند رؤية التعجب من صنائعه ثم استعمل في كل متعجب منه الثاني
أن المراد تنزيه الله تعالى من أن تكون زوجة نبيه فاجرة الثالث أنه منزه عن أن يرضى بظلم هؤلاء القاذفين
الرابع أنه منزه عن أن لا يعاقب هؤلاء القذفة الظلمة السؤال الثاني لم أوجب عليهم أن يقولوا
هذا بهتان مع أنهم ما كانوا عالمين كونه كاذبا قطعا الجواب من وجهين الأول أنهم كانوا متمكنين
من العلم بكونه بهتانا لأن زوجة الرسول لا يجوز أن تكون فاجرة الثاني أنهم لما جزموا به مع أنهم ما
كانوا ظانين له بالعلم كان إخبارهم عن ذلك الجزم كذبا ونظيره قوله تعالى والله يشهد إن المنافقين
لكاذبون

النوع السادس قوله تعالى

يعظكم الله أن تعودوا لمثله
أبدا إن كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم وهذا من باب الزجر والوعظ والمعنى
يعظكم الله بهذه المواعظ التي بها تعرفون عظم هذا الذنب وأن فيه الحد والنكال في الدنيا والعذاب
في الآخرة لكي لا تعودوا إلى مثل هذا الفعل أبدا ما دمتم أحياء مكلفين وقد دخل في ذلك من قال
ومن سمع ولم ينكر لأن حالهما سواء في كونهما فعلا ما لا يجوز وإن كان من أقدم عليه أعظم ذنبا فبين
أن الوعظ بما عرفهم من هذه الطريقة أن لا يعودوا إلى مثل ما تقدم منهم وههنا مسائل المسألة الأولى
استدل المعتزلة بقوله إن كنتم مؤمنين على أن ترك القذف من الإيمان لأن المعلق على الشرط عدم عند
عدم الشرط والجواب هذا معارض بقوله إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم أي منكم أيها المؤمنون
فدل ذلك على أن القذف لا يوجب الخروج عن الإيمان وإذا ثبت التعارض حملنا هذه الآية على التهييج في
الاتعاظ والانزجار المسألة الثانية قالت المعتزلة دلت هذه الآية على أنه تعالى أراد من جميع من وعظه
مجانبة مثل ذلك في المستقبل وإن كان فيهم من لا يطيع فعلم أنه يريد منهم كلهم الطاعة
وإن عصوا وأن قوله يعظكم الله الظاهر أنه لا يجوز كما لا يجوز أن يسمى معلما لقوله الرحمن علم القرآن
وأما قوله تعالى ويبين الله لكم الآيات فالمراد من الآيات ما به يعرف المرء ما ينبغي أن يتمسك به
ثم بين أنه لكونه عليما حكيما يؤثر ما يجب أن يبينه ويجب أن يطاع لأجل ذلك لأنه لا يكون
تكليفه لأنه ندبا أمر بما ينبغي وإن المكلف إذا أطاعه فيه لا يعلم أنه أطاعه وحينئذ لا يسعى للطاعة
فأما إذا كان عليما حكيما فإنه لا يأمر إلا بما ينبغي [illegible] المستحقين فلهذا ذكر هاتين الصفتين

وخصهما

وخصهما بالذكر وههنا سؤالات الأول الحكيم هو الذي لا يأتي بما لا ينبغي وإنما يكون كذلك لو كان عالما بقبح القبيح
وعالما بكونه غنيا عنه فيكون العليم داخلا في الحكيم فكان ذكر الحكيم مغنيا عنه هذا على قول المعتزلة وأما على قول أهل السنة
والجماعة فالحكمة هي العلم فقط فذكر العليم الحكيم يكون تكرارا محضا الجواب يحمل ذلك على التأكيد السؤال الثاني
قالت المعتزلة دلت الآية على أنه إنما يجب قبول بيان الله تعالى لمجرد كونه عليما حكيما والحكيم هو الذي لا يفعل القبائح
فدلت الآية على أنه لو كان خالقا للقبائح لما جاز الاعتماد على وعده ووعيده ولا على بيانه والجواب الحكيم عندنا
هو العليم وإنما يجوز الاعتماد على قوله لكونه عالما بكل المعلومات فإن الجاهل لا اعتماد على قوله البتة السؤال الثالث
قالت المعتزلة قوله ويبين الله لكم الآيات وهذا يدل على أن أفعاله معللة بالأغراض لأن قوله لكم يجري على الظاهر لأنه
ليس الغرض نفس ذواتهم بل الغرض حصول انتفاعهم وطاعتهم فدل هذا على أنه يريد الإيمان من الكل الجواب المراد أنه
سبحانه فعل بهم ما لو فعله غيره لكان ذلك غرضا

النوع السابع قوله تعالى

إن الذين
يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون
اعلم أنه سبحانه لما بين ما على أهل الإفك وعلى من سمع منه وما ينبغي أن يتمسكوا به من آداب الدين أتبعه بقوله
إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة ليعلم أن من أحب ذلك فقد شارك في هذا الذم كما شارك فيه من فعله وليعلم أهل
الإفك كما عليهم العقوبة بالظاهر فكذلك يستحقون العقاب بما أسروه من محبة إشاعة الفاحشة وذلك
يدل على وجوب سلامة القلب للمؤمنين كوجوب كف الجوارح والقول عما يضرهم وههنا مسائل المسألة
الأولى معنى الإشاعة الانتشار يقال في هذا العقار سهم شائع إذا كان في الجميع ولم يكن منفصلا وشاع الحديث
إذا ظهر في العامة المسألة الثانية لا شك أن ظاهر قوله إن الذين يحبون يفيد العموم وأنه متناول لكل من كان
بهذه الصفة ولا شك أن هذه الآية نزلت في قذف عائشة إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فوجب
إجراؤها على ظاهرها في العموم ومما يدل على أنه لا يجوز تخصيصها بقذفة عائشة قوله في الذين آمنوا فإنه صيغة جمع
ولو أراد عائشة وحدها لم يجز ذلك والذين خصصوه بقذفة عائشة منهم من حمله على عبد الله بن أبي لأنه هو
الذي سعى في إشاعة الفاحشة المسألة الثالثة روى عمار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إني لأعرف قوما
يضربون صدورهم ضربا يسمعه أهل النار وهم الهمازون اللمازون الذين يلتمسون عورات المسلمين ويهتكون ستورهم
ويشيعون فيهم الفواحش وعنه عليه السلام لا يستر عبد مؤمن عيب مؤمن إلا ستره الله يوم القيامة ومن أقال
مسلما صفقته أقال الله عثرته يوم القيامة وعنه عليه السلام المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما
نهى الله عنه وعن عبد الله بن عمر عنه عليه السلام من سره أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يشهد
أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه وعن أنس أنه عليه السلام قال لا يؤمن العبد
حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه المسألة الرابعة اختلفوا في عذاب الدنيا فقال بعضهم إقامة الحد عليهم
وقال بعضهم هو ما حصل للمنافقين من العداوة من الناس والمؤمنين [illegible] عبد الله بن أبي وحسانا ومسطحا
وقعد صفوان لحسان فضربه ضربة بالسيف وكف بصره وقال الحسن عنى به المنافقين لأنهم قصدوا أن يغضوا
الرسول ومن أراد إيذاء الرسول [illegible] في الدنيا [illegible]
[illegible] والذين يحبون هم المنافقون فأوعدهم الله العذاب في الدنيا على يد الرسول بالمجاهدة لقوله
جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم والأقرب أن المراد بهذا العذاب ما استحقوه بإفكهم وهو الحد واللعن
والذم فأما عذاب الآخرة [illegible] ففي القيامة عذاب النار أما قوله والله يعلم و
أنتم لا تعلمون ففيه وجوه أحدها أن المراد أن محبة القلب كامنة ولا نعلمها إلا بالأمارات أما الله
سبحانه فإنه لا يخفى عليه شيء فصار هذا الذكر نهاية في الزجر لأن من أحب إشاعة الفاحشة وإن بالغ في إخفاء
تلك المحبة فهو يعلم أن الله يعلم ذلك منه وأن علمه سبحانه بذلك الذي أخفاه كعلمه بالذي أظهره ويعلم قدر الجزاء عليه

المسألة الخامسة الآية تدل على أن العزم على الذنب العظيم وإرادة الفسق فسق لأنه تعالى علق الوعيد بمحبة
إشاعة الفاحشة المسألة السادسة قال الجبائي دلت الآية على كل قاذف سيعذبه فلا ثواب له من حيث
استحق هذا العذاب بالدوام وذلك يمنع من استحقاق ضده الذي هو الثواب فبهذا الوجه يدل على صحة قوله واعلم
أن حاصله يرجع إلى مسألة المحابطة وقد تقدم الكلام عليه المسألة السابعة قالت المعتزلة إن الله بالغ في ذم
من يحب إشاعة الفاحشة فلو كان تعالى هو الخالق لأفعال العباد لما كان مشيع الفاحشة إلا هو فكان
يجب أن لا يستحق الذم على إشاعة الفاحشة إلا هو لأنه هو الذي فعل تلك الإشاعة وهو لم يفعل شيئا والكلام عليه
قد تقدم المسألة الثامنة قال أبو حنيفة المحتاج بالعجوز تستنطق أن استنطاقها إشاعة الفاحشة
وذلك ممنوع منه النوع الثامن قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته
وأن الله رؤوف رحيم وفيه وجوه أحدها أن جوابه محذوف كأنه قال لعذبكم واستأصلكم لكنه رؤوف
رحيم قال ابن عباس الخطاب لحسان ومسطح وحمنة ويجوز أن يكون الخطاب عاما والثاني جوابه في
قوله ما زكى منكم من أحد والثالث جوابه لكانت الفاحشة تشيع فتعظم المضرة وهو قول أبي مسلم
والأقرب أن جوابه محذوف لأن قوله من بعد ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم كالمنفصل من
الأول فلا يجوز أن يكون جوابا للأول خصوصا وقد وقع بين الكلامين كلام آخر والمراد أنه لولا إنعامه
بأن يبقي وأمهل ومكن من التلافي لهلكوا لكن لرأفته لا يدع ما هو للعبد أصلح وإن جنى على نفسه النوع التاسع
قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان
فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء
والله سميع عليم قرئ خطوات بضم الطاء وسكونها والخطوات جمع خطوة وهو من خطا الرجل يخطو خطوا
فإذا أردت الواحدة قلت خطوة مفتوحة الأول والجمع بفتح الأول وضمه والمراد بذلك السيرة والمعنى لا تتبعوا آثار
الشيطان ولا تسلكوا مسالكه في إشاعة الفاحشة والله تعالى وإن خص بذلك المؤمنين فهو نهي لكل المكلفين
وهو قوله ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء ومعلوم أن كل المكلفين ممنوعون من ذلك وإنما قلنا
إنه تعالى خص المؤمنين بذلك لأنه توعدهم على اتباع خطواته بقوله ومن يتبع خطوات الشيطان وظاهر ذلك
أنهم لم يتبعوا ولو كان المراد به الكفار لكانوا قد اتبعوه فكأنه سبحانه لما بين ما على أهل الإفك وما على المؤمنين
أدب المؤمنين بأن خصهم بالذكر ليشددوا في ترك المعصية لا لأن غيرهم يجوز له ذلك والفحشاء
والفحشاء ما أفرط قبحه والمنكر ما تنكره النفوس فتنفر عنه ولا ترتضيه أما قوله ولولا فضل الله عليكم
ورحمته ما زكى منكم من أحد قرأ يعقوب وابن محيصن ما زكى بالتشديد من يلي في الطاعة لله سلو الرضى
يقال زكى الزرع إذا نما والمؤمن في الصلاح في الدين بما يرضاه الله تعالى يسمى زكيا فلا يقال زكا إلا إذا وجد
زاكيا فلا يقال لمن لم يبلغ هذه الدرجة [illegible] واحتج أصحابنا في خلق الأفعال
بقوله ولكن الله يزكي من يشاء فقالوا التزكية كالتسويد والتحمير فكما أن التسويد تحصيل السواد فكذا التزكية تحصيل
الزكاء في المحل قالت المعتزلة هنا تأويلان أحدهما حمل التزكية على فعل الألطاف والثاني حملها على الحكم بكون العبد
زكيا قال أصحابنا الوجهان على خلاف الظاهر ثم الدلالة العقلية على بطلانهما أيضا أما الوجه الأول فيدل
عليه أن فعل اللطف هل يرجح الداعي أولا فإن لم يرجحه البتة لم يكن له تعلق
بالكلية فلا يكون لطفا وإن رجح فنقول المرجح لا بد وأن ينتهي إلى حد الوجوب لأنه مع ذلك القدر من الترجيح
إما أن يمتنع وقوع الفعل عنه أو يمكن أو يجب فإن امتنع كان مانعا لا داعيا وإن أمكن [illegible]
ممكن لا يلزم من فرض وقوعه محال فلنفرض [illegible] تارة وانتفاءه أخرى [illegible]
إلا أن يتوقف على انضمام شيء إليه أولا فإن توقف كان المرجح هو المجموع الحاصل بعد الانضمام فهذا القيد

فلا يكون

فلا يكون الحاصل أولا مرجحا وإن لم يتوقف كان اختصاص أحد الوقتين بالوقوع والآخر باللاوقوع ترجيحا
للممكن من غير مرجح وهو محال وأما إن كان اللطف مرجحا كان فاعل اللطف فاعلا للملطوف فيه فكان
تعالى فاعلا لفعل العبد إلا أنه تعالى قال ولكن الله يزكي من يشاء علق التزكية على الفضل والرحمة
وفعل الألطاف واجب فلا يكون متعلقا بالفضل والرحمة وأما الوجه الثاني وهو الحكم بكونه زكيا فذلك
واجب لأنه لولا الحكم به لكان ذلك كذبا والكذب على الله محال فكيف يجوز تعليقه بالمشيئة ثبت أن
قوله ولكن الله يزكي من يشاء نص في الباب أما قوله والله سميع عليم فالمراد أنه يسمع أقوالكم في
القذف وأقوالكم في البراءة وعليم بما في قلوبكم من محبة إشاعة الفاحشة ومن كراهتها وإذا كان
كذلك وجب الاحتراز عن معصيته قوله تعالى ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا
أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله
غفور رحيم اعلم أنه تعالى كما أدب أهل الإفك ومن سمع كلامهم كما قدمنا ذكره فكذلك أدب أبا بكر
رضي الله عنه لما حلف أن لا ينفق على مسطح أبدا قال المفسرون الآية نزلت في أبي بكر حين حلف لا ينفق
على مسطح وهو ابن خالة أبي بكر وكان يتيما في حجره وكان ينفق عليه فلما نزلت الآية قال لهم أبو بكر قوموا
لستم مني ولست منكم فقال مسطح ننشدك الله والإسلام والقرابة ألا تحوجنا إلى أحد فما كان لنا أول
الأمر من ذنب فقال ألم تتكلم فقال قد كان بعض ذلك عجبا من قول حسان فلم يقبل عذره وقال
انطلقوا أيها القوم فإن الله لم يجعل لكم عذرا ولا فرجا فخرجوا لا يدرون أين يذهبون وأين يتوجهون من
الأرض فبعث رسول الله إليه قد أنزل الله علي ما ينهاك فيه أن تخرجهم فأمر أبو بكر برده وقرأ رسول الله الآية
عليه فلما وصل إلى قوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم قال بلى يا رب إني أحب أن تغفر لي فذهب أبو بكر إلى
بيته وأرسل إلى مسطح وأصحابه وقال قبلت ما أنزل الله على الرأس والعين وإنما فعلت بكم ما فعلت
إذ سخط الله عليكم أما إذ عفا عنكم فمرحبا بكم وجعل له مثلي ما كان له وهاهنا مسائل المسألة الأولى
ذكروا في يأتل وجهين الأول وهو المشهور أنه من ائتلى إذا حلف افتعل من الألية والمعنى لا يحلف قال
أبو مسلم هذا ضعيف لوجهين أحدهما أن ظاهر الآية على هذا التأويل يقتضي المنع من الحلف على الإعطاء وهم أرادوا المنع
على ترك الإعطاء فهذا المتأول قد أقام النفي مكان الإيجاب وجعل المنهي عنه مأمورا به وثانيهما أنه قل ما يوجد
في الكلام افتعلت مكان أفعلت وإنما يوجد مكان فعلت وهنا آليت من الألية افتعلت فلا يقال افتعلت
من الرمث ومن عطيت أعطيت ثم قال في يأتل إنه من قولك ما ألوت جهدا إذا لم تدخر منه شيئا
ويقال فلان لا يألوك نصحا فالمعنى لا تقصروا في أن تحسنوا
إليهم ويوجد كثيرا افتعلت مكان فعلت تقول كسبت واكتسبت وصنعت واصطنعت وهذا التأويل هو
الصحيح دون الأول ويروى هذا التأويل عن أبي عبيدة أجاب الزجاج عن السؤال الأول بأن لا تحذف في اليمين
كثيرا قال الله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا يعني أن لا تبروا وقال امرؤ القيس فقلت
يمين الله أبرح قاعدا أي لا أبرح وأجابوا عن السؤال الثاني أن جميع المفسرين الذين كانوا قبل أبي مسلم
فسروا اللفظ باليمين وقول بعضهم حجة في اللغة فكيف الكل ويعضده قراءة الحسن ولا يتأل المسألة
الثانية أجمع المفسرون على أن المراد من قوله أولوا الفضل أبو بكر وهذه الآية تدل على أنه رضي الله عنه كان أفضل
الناس بعد الرسول لأن الفضل المذكور في هذه الآية إما في الدنيا وإما في الدين والأول باطل لأنه تعالى ذكره في
معرض المدح له والمدح من الله بالدنيا غير جائز ولأنه لو جاز ذلك لكان قوله والسعة تكريرا فتعين أن يكون المراد
منه الفضل في الدين فلو كان غيره مساويا له في الدرجات في الدين لم يكن هو صاحب الفضل لأن المساوي
لا يكون فاضلا فلما أثبت الله له الفضل مطلقا غير مقيد بشخص دون شخص وجب أن يكون أفضل الخلق ترك العمل به في حق

الرسول عليه السلام فيبقى معمولا به في حق الغير فان قيل نمنع اجماع المفسرين على اختصاص هذه الاية بابي بكر
قلنا كل من طالع كتب التفسير والاحاديث علم ان اختصاصها بابي بكر بالغ الى حد التواتر فلو جاز
منعه لجاز منع كل متواتر وايضا فهذه الاية دالة على ان المراد منها افضل الناس واجمعت الامة على ان
الافضل اما ابو بكر او علي فاذا بينا انه ليس المراد عليا تعينت الاية لابي بكر وانما قلنا انه ليس المراد
عليا لوجهين الاول ان ما قبل هذه الاية وما بعدها يتعلق بابنة ابي بكر فكيف يكون حديث علي [illegible]
الثاني انه وصفه تعالى بانه من اولي السعة وان عليا رضي الله عنه لم يكن من اولي السعة في الدنيا
في ذلك الوقت فثبت ان المراد منه ابو بكر قطعا واعلم ان الله تعالى وصف ابا بكر في هذه الاية بصفات
عجيبة دالة على علو شانه في الدين احدها انه سبحانه كنى عنه بلفظ الجمع والواحد اذا كني عنه بلفظ الجمع
دل على علو شانه كقوله انا نحن نزلنا الذكر انا اعطيناك الكوثر فانظر ان الشخص الذي كني بصيغة الجمع
ان يكون لعلو شانه وثانيها وصفه بانه صاحب الفضل على الاطلاق من غير تقييد لذلك بشخص دون شخص والفضل
يدخل فيه الافضال وذلك يدل على انه رضي الله عنه كما كان فاضلا على الاطلاق كان مفضلا على الاطلاق وثالثها
ان الاتقى للسعادة لا يشتري لا لغرض بل ما اعطى ليستفيد عوضا ماليا او مدحا او ثناء من سعيد والله
سبحانه وصفه بذلك فقال وسيجنبها الاتقى الى قوله الا ابتغاء وجه ربه الاعلى فقال في حق علي انما
نطعمكم لوجه الله الى قوله انا نخاف من ربنا فعلي اعطى للخوف وابو بكر ما اعطى الا لوجه ربه فدرجة
ابي بكر اعلى واكمل ورابعها انه تعالى قال اولوا الفضل والسعة الى نهايتها لا ينبغي ان يحيل حصولها في الغير
والا لما كانت مميزة على ان هذه الصفة حاصلة فيه لا في غيره البتة وخامسها انه حمل الغير على طاعة
الله وخدمة رسوله والشفقة على الاحسان الى المسلمين فكانه كان شيخا لتعظيم امر الله والشفقة على خلق
الله وكل من كان كذلك كان الله معه لقوله ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون
ومما يدل على ان [illegible] لا تحزن ان الله معنا وسادسها انما يكون الانسان موصوفا بالسعة
ولا جل انما [illegible] تدل على انه خير الناس من هذه الجهة ولقد كان رضي الله
لو كان جوادا ولهذا قال عليه السلم خير الناس من ينفع الناس
عنه جوادا ومن جوده انه اسلم بكرة اليوم فجاء بعثمان بن عفان وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وعثمان بن
مظعون الى رسول الله بعد ان اسلموا على يده وكان جوده في التعليم والارشاد في الدين كما هو مشهور فحق له ان
يوصف بانه من اهل السعة وايضا فذهب اكثر الناس اختلفوا في انه هل كان اسلامه قبل اسلام علي او بعده
ولكنهم اتفقوا على ان عليا حين اسلم لم يشتغل بدعوة الناس الى دين محمد عليه السلم وان ابا بكر اشتغل بالدعوة فكان
ابو بكر اول الناس اشتغالا بالدعوة ولا شك ان اجل المراتب في الدين هذه فوجب ان يكون افضل الناس بعد الرسول
وانه عليه السلم قال من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة فوجب ان يحصل لابي بكر
مثل اجر كل من دعوا الى الله فدل على الافضلية من هذه الجهة ايضا وسابعها ان الظلم في ذوي القربى اشد
قال الشاعر وظلم ذوي القربى اشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند وايضا فالانسان اذا احسن
الى غيره فاذا قابله ذلك الغير بالاساءة كان ذلك اشد عليه مما اذا صدرت الاساءة من الاجنبي والحسان كانا
مجتمعين في مسطح ثم انه اذى ابا بكر بهذا النوع من الاذى الذي هو اعظم انواع الاذى ثم انه لم يشتغل
عنه بتركه وان يرجع معه الى ما كان عليه من الاحسان وذلك من اعظم انواع المجاهدات ولا شك ان هذا
اصعب من مقاتلة الكفار لان هذا مجاهدة مع النفس وذاك مجاهدة مع الكفار ومجاهدة النفس اشق
ولهذا قال عليه السلم رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وثامنها ان الله تعالى لما امر ابا بكر لكلفته باولي
الفضل واولي السعة كانه تعالى يقول انت افضل من ان تقابل اساءته بشيء وانت اوسع قلبا من ان تقيم
فلا يليق بفضلك وسعة قلبك ان تقطع برك عنه بسبب ما صدر عنه من الاساءة ومعلوم ان هذا الخطاب

بدل

يدل على نهاية العلو في الدين وتاسعها ان الالف واللام يفيدان العموم والالف واللام في الفضل والسعة يدلان على
كل الفضل وكل السعة لابي بكر كما يقال فلان هو العالم يعني قد بلغ في الفضل الى ان صار كانه كل العالم وما عداه كالعدم
وههنا ايضا منقبة عظيمة وعاشرها وليعفوا وليصفحوا وفيه وجوه منها ان العفو قرنه بالتقوى وكل
من كان اقرب الى العفو كان اقرب الى التقوى ومن كان كذلك كان افضل لقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم
وثانيها ان العفو والتقوى متلازمان لهما نفس السبب اجتماعهما اما التقوى فلقوله تعالى وسيجنبها الاتقى
واما العفو فلقوله وليعفوا وليصفحوا فمن هذا الوجه يدل على ان ابا بكر كان اشبه الناس برسول الله في جميع
الاخلاق حتى في العفو والصفح وحادي عشرها انه سبحانه قال لمحمد عليه السلام فاعف عنهم واصفح وقال في حق
ابي بكر وليعفوا وليصفحوا وثاني عشرها قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم فانه سبحانه ذكره بكناية الجمع
على سبيل التعظيم وايضا فانه سبحانه علق غفرانه على اقدامه على العفو والصفح فلما حصل الشرط منه وجب ترتب
الجزاء عليه ثم قوله يغفر الله لكم صيغة المستقبل وانه غير مقيد بشيء دون شيء فدلت الاية على انه
سبحانه قد غفر له في المستقبل على الاطلاق فكان في هذا الوجه ثاني اثنين للرسول في قوله ليغفر لك
الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ودليلا على صحة امامته رضي الله عنه فان امامته لو كانت على خلاف
الحق لما كان مغفورا له على الاطلاق ودليلا على صحة ما ذكره الرسول عليه السلم في ان ابا بكر في الجنة
وثالث عشرها انه سبحانه لما قال الا تحبون ان يغفر الله لكم ووصف نفسه بكونه غفورا رحيما والغفور
مبالغة في الغفران فعظم ابا بكر حين خاطبه بلفظ الجمع الدال على التعظيم ولهذا قلنا انه سبحانه لما قال
انا اعطيناك الكوثر وجب ان يكون العطية عظيمة فدلت الاية على ان ابا بكر ثاني اثنين للرسول في هذه
المنقبة ايضا ورابع عشرها انه سبحانه لما وصفه بانه اولوا الفضل على سبيل المدح وجب ان يقال انه
كان خاليا عن المعصية لان الممدوح الى هذا الحد لا يجوز ان يكون من اهل النار ولو كان عاصيا لكان كذلك
لقوله ومن يعص الله ورسوله يدخله نارا واذا ثبت انه كان خاليا عن المعاصي فقوله يغفر الله لكم لا
يجوز ان يكون المراد غفران معصيته لان المعصية التي لم تثبت لا يمكن غفرانها واذا ثبت انه لا يمكن حمل الاية
على ذلك وجب حملها على وجه اخر فكانه سبحانه قال الا تحبون ان يغفر الله لكم لاجل تعظيمكم هذه الذنوب والعصاة
فرجع حاصل الاية الى انه سبحانه قال يا ابا بكر ان قبلت هؤلاء العصاة فانا ايضا اقبلهم وان رددتهم فانا
ايضا اردهم فكانه اعطاه مرتبة الشفاعة في الدنيا فهذا ما حضرنا في هذه الاية والله اعلم فان قيل
هذه الاية تقدح في فضيلة ابي بكر من وجه اخر وذلك لانه نهاه عن هذا الحلف فدل على صدور المعصية منه قلنا
الجواب عنه من وجوه احدها ان النهي لا يدل على وقوعه قال الله تعالى لمحمد ولا تطع الكافرين والمنافقين
ولم يدل ذلك على انه عليه السلم اطاعهم بل دلت الاخبار الظاهرة على صدور هذا الحلف منه ولكن على هذا التقدير
لا تكون الاية دالة على قولكم وثانيها هب انه صدر عنه ذلك الحلف فلم قلتم انه معصية وذلك لان الامتناع
من التفضل والاحسان خصوصا مع من يسيء الى من احسن اليه ادنى حق من يحده ويدعيه الى الافعال المحرمة
لاشغاله ولم يكن معصية لما جاز ان ينهى عنه بقوله ولا ياتل فانا نقول هذا النهي ليس نهي تحريم بل نهي عن
ترك الاولى كانه قال لا تقتصر عن فضلك وسعتك فيمتنع لاجل انقطاع هذا وكان هذا ارشاد الى ما هو الاولى لا منع من المحرم
المسألة الثالثة اجمعوا على ان المراد من قوله اولي القربى مسطح واختلفوا في الذي وقع منه ذلك
بعضهم بذلك كما فعله عبد الله بن ابي وانه عليه السلم حده وانه تاب من ذلك قال ابن عباس كان شاركا
المنكر عن ان ينهى ومنعها للعرض دارت العرض كما يخوض في المسألة الرابعة احتجوا بهذه
الاية على بطلان المحابطة قالوا لانه سبحانه وصفه بكونه من اولي الفضل بعد صدور القذف عنه وهذه صفة
مدح فدل على ان ثواب كونه مهاجرا لم يحبط باقدامه على القذف المسألة الخامسة اجمعوا على ان مسطحا

كان من البدريين وثبت بالرواية الصحيحة أنه عليه السلام قال لعل الله نظر إلى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد
غفرت لكم فكيف صدرت الكبيرة منه بعد أن كان بدريا الجواب أنه لا يجوز أن يكون المراد منه افعلوا ما شئتم
من المعاصي فإنا بالضرورة نعلم أن التكليف كان باقيا عليهم ولو حملناه على ذلك لاقتضى زوال التكليف عنهم
ولأنه لو كان كذلك لما جاز أن يحد مسطح على ما فعل فوجب حمله على أن أهل بدر لما أنه تعالى اطلع على أهل
بدر وقد علم توبتهم قال افعلوا ما شئتم من النوافل من قليل أو كثير فقد غفرت لكم وأعطيتكم الدرجات
العالية في الجنة الثاني يحتمل أن يكون المراد أنهم يوافون بالطاعة فكأنه تعالى قال قد غفرت لكم لعلمي
بأنكم توفون على التوبة والإنابة فذكر حالهم في الوقت وأراد العاقبة المسألة السادسة العفو والصفح
بمعنى حسن مندوب إليه وربما وجب ذلك ولو لم يدل عليه إلا هذه الآية لكفى ألا ترى إلى قوله ألا تحبون أن
يغفر الله لكم فعلق الغفران بالعفو والصفح وعنه عليه السلام من لم يقبل عذرا كاذبا كان أو صادقا فلا يرد
حوضي يوم القيامة ألا من كان له على الله أجر فليقم فلا يقوم إلا أهل العفو ثم تلا فمن عفا وأصلح
فأجره على الله وهذه أنفس ما يكون العبد أن يفعل حتى يصل من قطعه ويعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه
المسألة السابعة في الآية دلالة على أن اليمين على الامتناع من الخير غير جائزة وإنما تجوز إذا جعلت
داعية صارفة عنه المسألة الثامنة مذهب جمهور الفقهاء أن من حلف على يمين فرأى غيرها
خيرا منها أنه ينبغي له أن يأتي الذي هو خير ثم يكفر عن يمينه وقال بعضهم إنه يأتي بالذي هو خير
وذلك كفارته واحتج ذلك القائل بالآية والخبر أما الآية فهي أن الله تعالى أمر أبا بكر بالحنث ولم
يوجب عليه كفارة وأما الخبر فما روي عن النبي عليه السلام قال من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت
الذي هو خير وذلك كفارته أما دليل الجمهور فأمور أحدها قوله ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته
وقوله ذلك كفارة أيمانكم وذلك عام في الحنث وغيره وثانيها قوله تعالى في قصة أيوب حين حلف على امرأته
أن يضربها وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث وقد علمنا أن الحنث كان خيرا من تركه وأمره الله بذلك
ولو كان الحنث فيها كفارتها لما أمر بضربها بل كان يحنث بلا كفارة وثالثها قوله عليه السلام من حلف على يمين فرأى غيرها
خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه أما الجواب عما ذكروه أولا فهو أنه تعالى لم يذكر أمر الكفارة في قصة
أبي بكر لما ثبت من حكمه كان معلوما في سائر الآيات والجواب عما ذكروه ثانيا في قوله فليأت
الذي هو خير وذلك كفارته فمعناه تكفير الذنب لا الكفارة المذكورة في الكتاب لأنه الحكم لأنه يتمحص عن
نقض الأيمان فأمر ههنا بالحنث والتوبة وأخبر أن ذلك يكفر ذنبه الذي ارتكبه بالحلف المسألة التاسعة
روى القاسم بن محمد عن عائشة أنها قالت فضلت أزواج النبي بعشر خصال تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرا دون
غيري وأبواي مهاجران وجاء جبريل بصورتي وأمره أن يتزوج بي وكنت أغتسل معه في إناء واحد وجبريل
ينزل عليه بالوحي وأنا معه في لحاف وتزوجني في شوال وبنى بي في ذلك الشهر وقبض بين سحري و
نحري وأنزل الله عذري من السماء ودفن في بيتي وكل ذلك لم يساوني غيري فيه وقال بعضهم لقد برأ الله
أربعة بأربعة برأ يوسف بشاهد من أهلها وبرأ موسى من قول اليهود بالحجر الذي ذهب بثوبه
وبرأ مريم بإنطاق ولدها وبرأ عائشة بهذه الآية في كتابه المتلو على وجه الدهر وروي أنه لما كان في
وفاة عائشة جاء ابن عباس يستأذن عليها فقالت يجيء الآن فيثني علي فحجبه ابن الزبير فقال لها أرجع
حتى يأذن لي فأذنت له فدخل فقالت عائشة أعوذ بالله من النار فقال ابن عباس يا أم المؤمنين
ما لك وللنار قد أعاذك الله منها وأنزل براءتك تقرأ في المساجد وشهد بطيبك فقال الطيبات
للطيبين كنت أحب نساء رسول الله إليه وأنزل بسببك التيمم وروي أن عائشة وزينب تفاخرتا فقالت
زينب أنا التي أنزل تزويجي وقالت عائشة أنا التي برأني في كتابه حين حملني ابن المعطل على الراحلة فقالت

زينب

زينب لها ما قلت حين ركبتها قالت قلت حسبي الله ونعم الوكيل قالت كلمة المؤمنين

قوله تعالى

إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم ألسنتهم
وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين وفيه مسائل المسألة
الأولى اختلفوا في قوله والذين يرمون المحصنات هل المراد منه كل من كان بهذه الصفة أو المراد منه المخصوص أما
القائلون بالعموم فقالوا الصيغة عامة ولا مانع من إجرائها على ظاهرها فوجب حمله على العموم فيدخل فيه قذفة عائشة
وقذفة غيرها ومن الناس من خالف فيه وذكر وجوها أحدها أن المراد قذفة عائشة قالت عائشة رميت
وأنا غافلة وإنما بلغني بعد ذلك فبينا رسول الله عندي إذ أوحي إليه قال أبشري وقرأ إن الذين يرمون
المحصنات الغافلات وثانيها أن المراد جملة أزواج رسول الله وأنهن لشرفهن خصصن بأن من قذفهن فهذا
الوعيد لاحق به واحتج هؤلاء بأمور أولها أن قاذف سائر المحصنات تقبل توبته لقوله في أول السورة والذين
يرمون المحصنات إلى قوله وأولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا وأما القاذف في هذه الآية فإنه لا تقبل توبته
لأنه سبحانه قال لعنوا في الدنيا والآخرة ولم يذكر استثناء وأيضا فهذه صفة المنافقين في قوله ملعونين أينما ثقفوا
الثاني أن قاذف سائر المحصنات لا يكفر والقاذف في هذه الآية كافر لقوله يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وذلك
صفة الكفار والمنافقين لقوله ويوم يحشر أعداء الله إلى النار الآيات الثلاث الثالث أنه قال ولهم عذاب عظيم والعذاب
العظيم يكون عقاب الكفر فدل على أن عقاب هذا القاذف عقاب الكفر وعقاب قذفة سائر المحصنات
لا يكون عقاب الكفر الرابع روي عن ابن عباس أنه كان بالبصرة يوم عرفة وكان يسأل عن تفسير القرآن فسئل عن
تفسير هذه الآية فقال من أذنب ذنبا ثم تاب قبلت توبته إلا من خاض في أمر عائشة أجاب الأولون عنه بأن
الوعيد المذكور في هذه الآية لا بد وأن يكون مشروطا بعدم التوبة لأن الذنب سواء كان كفرا أو فسقا فإذا حصلت
التوبة عنه صار مغفورا فزال السؤال ومن الناس من ذكر فيه قولا ثالثا وهو أن هذه الآية نزلت في مشركي مكة حين
كان بينهم وبين رسول الله عهد فكانت المرأة إذا خرجت إلى المدينة مهاجرة قذفها المشركون من أهل مكة وقالوا
إنما خرجت لتفجر فنزلت فيهم والقول الأول هو الصحيح المسألة الثانية أنه سبحانه ذكر فيمن يرمي المحصنات
الغافلات المؤمنات أمورا ثلاثة أحدها كونهم ملعونين في الدنيا والآخرة وهو وعيد شديد واحتج الجبائي بأن
اللعن عاقبة في حكم القذفة ومن كان ملعونا في الدنيا فهو ملعون في الآخرة والملعون في الآخرة لا يكون من أهل
الجنة فدل ذلك على المحابطة وقد تقدم القول فيه وثانيها قوله يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا
يكسبون ونظيره قوله وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا وعندنا البنية ليست شرطا للحياة فيجوز أن يخلق
الله تعالى في الجوهر الفرد علما وقدرة وكلاما وعند المعتزلة لا يجوز ذلك فلا جرم ذكروا في تأويل هذه
الآية وجهين الأول أنه سبحانه يخلق في هذه الجوارح هذا الكلام وعندهم المتكلم فاعل الكلام فتكون
تلك الشهادة من الله تعالى في الحقيقة إلا أنه سبحانه أضافها إلى الجوارح توسعا الثاني أنه سبحانه يبني
هذه الجوارح على خلاف ما هي عليه ويلجئها أن تشهد على الإنسان وتخبر عنه بأعماله قال القاضي و
هذا أقرب إلى الظاهر لأن ذلك يفيد أنها تفعل الشهادة وثالثها قوله يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق
ولا شبهة أن تفسير دينهم ليس هو المراد لأن دينهم عليهم لا لهم وحقا عليهم والدين بمعنى الجزاء
لقولهم كما تدين تدان وقيل الدين هو الحساب كقوله ذلك الدين القيم ومعناه قوله الحق أن
الذي يوفيهم من الجزاء هو القدر المستحق لأن الحق هو المستحق وقرئ الحق بالنصب صفة للدين وبالرفع وهو
صفة الله وأما قوله ويعلمون أن الله هو الحق المبين فمن الناس من قال هو سبحانه إنما سمي
بالحق لأن عبادته هي الحق دون عبادة غيره أو الحق فيما يخاطب به والمبين من حيث يبين الصحيح
بكلامه دون غيره ومنهم من قال الحق من أسماء الله تعالى ومعناه الموجود لأن نقيضه الباطل

بعد العدم ومعنى المبين المظهر ومعناه انه بقدرته يظهر وجود الكائنات ومعنى كونه حقا انه الموجود لذاته ومعنى كونه مبينا
انه المعطي وجود غيره **قوله تعالى** الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين
والطيبون للطيبات اولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم اعلم ان الخبيثات فيه وجوه احدها الكلمات التي هي القذف
الواقع من اهل الافك ويقع ايضا على الكلام الذي هو كالذم واللعن ويكون المراد لا نفس الكلمة التي هي من اسمه تعالى بل المراد
به مضمون الكلمة ويقع ايضا على الزواني من النساء وفي هذه الاية كل هذه الوجوه محتمله فان حملناها على القذف الواقع من اهل
الافك كان المعنى الخبيثات من قول اهل الافك للخبيثين من الرجال وبالعكس والطيبات من قول منكري الافك للطيبين من
الرجال وبالعكس وان حملناها على الكلام الذي هو كالذم واللعن فالمعنى اللعن والذم يعدان للخبيثين والخبيثون معرضون
للعن وكذا القول في الطيبات اولئك اشارة الى الطيبين مبرءون مما تقول الخبيثون من خبيثات الكلمات وان حملناها على
الزواني فالمعنى الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال على معنى قوله الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والطيبات من النساء للطيبين
من الرجال والمعنى ان مثل ذلك الرمي الواقع من المنافقين لا يليق الا بالخبيثات لا بالطيبات الطيبين كالرسول وازواجه
فان قيل فعلى هذا الوجه يلزم ان لا يتزوج الرجل العفيف بزانيه فالجواب ما تقدم في قوله الزاني لا ينكح الا زانيه اولئك مبرءون
يعني الطيبات والطيبين مما يقول اصحاب الافك ومتى حمل اولئك على هذا الوجه كان لفظه كمعناه في انه جمع ومن
حمله على عايشه وصفوان وهما اثنان تكلف يعتبر عنهما بلفظ الجمع فجوابه من وجوه الاول ان ذلك الرمي قد تعلق بالنبي
عليه السلم وبعايشه وصفوان فبرأ الله كل واحد منهم الثاني ان الاحكام اندراج الرسول فانه تعالى برأه من هذا الافك به
لانه في شدة احدهما مواعلى عايشه وهذا ابين كانه تعالى بين ان الطيبات من النساء للطيبين من الرجال ولا اطيب
واطهر من الرسول وازواجه اذ لا يجوز ان يكن الا طيبات ثم بين تعالى ان لهم مغفره يعني براءة من الله ورزق كريم
في الجنة ويحمل ان يكون هذا خبرا مقطوعا به فيعلم بذلك ان ازواج الرسول عليه السلم هن معه في الجنة وقد يرد به اخبار
بذلك ويحمل ان يكون المراد شرط اجتناب الكباير والتوبه والاول اولى لانه لا يحتاج الى الشرط اذا امكن حمل الامر عليه
اما اذا امكن فلا وجه لطلب الشرط وهذا يدل على ان عايشه تصير الى الجنه خلاف مذهب الرافضة الذين يكفرونها بسبب
يوم الجمل فانهم يردون بذلك نص القرآن فان قيل القطع بانها من اهل الجنة اغراء لها بالقبيح قلنا الاغراء ان لو اخبر الرسول
قبل علمه الله بانه من اهل الجنة ولم يكن ذلك اغراء له وكذا العشرة المبشرة بالجنه فلذلك هاهنا فهذا اخر الحكم
السادس من الاستيذانات **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا
وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا
فارجعوا هو ازكى لكم والله بما تعملون عليم ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون
وما تكتمون اعلم ان الله تعالى عدل عما يتصل بالرمي والقذف وما يتعلق بهما من الحكم الى ما يليق به لان اهل الافك انما وجدوا
السبيل الى بهتانهم من حيث اتفقت الخلوة فصارت كانها طريق التهمة فاوجب الله تعالى ان لا يدخل المرء بيت غيره الا بعد
الاستيذان والسلام لان في الدخول لا على هذا الوجه وقوع التهمة وفي ذلك من المضرة ما لا خفا به فقال يا ايها الذين
الى اخره وفي الاية سوالات السوال الاول الاستيناس عبارة عن الانس الحاصل من جهة المجالسة قال تعالى
ولا مستانسين لحديث وانما يحصل ذلك بعد الدخول والسلام فكان الاولى تقدم السلام على الاستيناس فلم جاء
على العكس والجواب من وجوه احدها ما يروى عن ابن عباس وسعيد بن جبير انهما قرءا حتى تستاذنوا فاخطا
الكاتب وفي قراءة ابي حتى تستاذنوا لكم والتسليم خير لكم من تحية الجاهليه والدمور وهو الدخول بغير اذن واشتقاقه من الدمار وهو
الهلاك كان صاحبه دامر لعظم ما ارتكب وفي الحديث من سبقت عينه استيذانه فقد دمر واعلم ان هذا القول
من ابن عباس فيه نظر لانه يقتضي الطعن في القرآن الذي نقل بالتواتر ويقتضي صحة القرآن الذي لم ينقل بالتواتر
ويفتح هذا الباب يطرق الشك الى كل القرآن وانه باطل وثانيها ما روي عن الحسن البصري انه قال ان في الكلام
تقديما وتاخيرا والمعنى حتى تسلموا على اهلها وتستانسوا وهذا ايضا خلاف الظاهر وثالثها ان السلام مقدم على

الاستيناس

الاستيناس وفي قراءة عبد الله حتى تسلموا وتستاذنوا وهو ايضا خلاف الظاهر ورابعها ان يجرى الكلام على ظاهره
ثم في تفسير الاستيناس وجوه الاول حتى تستانسوا بالاذن وذلك لانهم اذا استاذنوا وسلموا انس اهل البيت ولو
دخلوا بغير اذن لاستوحشوا وشق عليهم الثاني تفسير الاستيناس بالاستعلام والاستكشاف استفعال من انس الشيء اذا
ابصره والمعنى حتى تستعلموا الحال هل يراد دخولكم ومنه قولهم استانس هل ترى احدا واستانست فلم ار احدا اي تعرفت
واستعلمت فان قيل واذا حمل على الانس ينبغي ان يتقدمه السلام كما ذكر انه عليه السلم كان يقول السلام عليكم ادخل
قلنا المستاذن ربما لا يعلم هل احد في المنزل فلا معنى لسلامه والحالة هذه والاقرب ان يستعلم بالاستيذان هل
هناك من ياذن فاذا اذن فدخل وصار مواجها له فيسلم عليه والثالث لو كان اشتقاق الاستيناس من الانس
يعني يتعرف هل ثم انسان ولا اشكال ان هذا مقدم على السلام وخامسها لو سلمنا ان الاستيناس انما يقع بعد السلام لكن الواو
لا توجب الترتيب فتقديم الاستيناس على السلام في اللفظ لا يوجب تقديمه عليه في العمل السوال الثاني ما الحكمة في ايجاب
تقديم الاستيذان والجواب الحكمة فيه ما نبه الله عليها في قوله ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة
تدل بذلك على ان الذي لاجله حرم الدخول الا على هذا الشرط هو كون البيوت مسكونة اذ لا يا من من يهجم بغير استيذان
ان يهجم على ما لا يحل له ان ينظر اليه او ما لا يحل اليه من عورة او على ما يحب القوم ان يعرفه من الاحوال وهذا من باب
عليها بالنقص فانه تعرف فيه الغير كلا بد ولم يكن برضاه وانه اشبه الغصب السوال الثالث كيف يكون
الاستيذان الجواب استاذن رجل على رسول الله عليه السلم اءلج فقال عليه السلم لامراة اسمها روضه قومي الى هذا
فعلميه فانه لا يحسن ان يستاذن فقولي له يقول السلام عليكم ادخل فسمعها الرجل فقالها فقال ادخل فدخل وسال
رسول الله عن اشيا وكان يجيب فقال هل في العلم ما لا تعلمه فقال عليه السلم لقد اتاني الله خيرا كثيرا وان من العلم
لما يعلمه الا الله وتلا ان الله عنده علم الساعة الى اخره وكان اهل الجاهلية اذا دخل بيتا غير بيته قال حييتم صباحا
وحييتم مساء ثم يدخل فربما اصاب الرجل مع امراته في لحاف واحد فصد الله عن ذلك وعن مجاهد حتى
تستانسوا هو التنحنح وما اشبه ذلك هكذا من التسبيح ونحوه السوال الرابع كم عدد الاستيذانات الجواب
روى ابو هريرة قال قال رسول الله عليه السلم الاستيذان ثلاث الاولى يستنصتون والثانية يستصلحون والثالثة
ياذنون او يردون وعن جندب قال سمعت رسول الله يقول اذا استاذن احدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع وعن ابي
سعيد الخدري قال كنت جالسا في مجلس من مجالس الانصار فجا ابو موسى فزعا فقلنا له ما افزعك فقال امرني
عمر ان اتيه فاتيته فاستاذنت ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت فقال ما منعك ان تاتيني فقلت قد جئت فاستاذنت ثلاثا
فلم يؤذن لي وقد قال عليه السلم اذا استاذن احدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع فقال لتاتيني على هذا بالبينة او
لا عاقبنك فقال ابو سعيد لا يقوم معك الا اصغر القوم قال فقام ابو سعيد فشهد له وفي بعض الاخبار ان عمر
قال لابي موسى لم اتهمك ولكن خشيت ان يتقول الناس على رسول الله وعن قتاده الاستيذان ثلاثة الاول
ليسمع الحي والثاني ليتهيأوا والثالث ان شاءوا اذنوا وان شاءوا ردوا واعلم ان هذا من محاسن الاداب
لان في اول كرة ربما منعهم بعض الاشغال من الاذن وفي الكرة الثانية ربما كان هناك ما يمنع او يقتضي المنع
فاذا لم يجب في الثالثة يستدل بعدم الاذن على مانع وربما اوجب ذلك على كراهيه فوقيه فلذلك يجب في
الاستيذانات ثلاثا ان يكون بين كل واحدة والاخرى وقت ما فاما قرع الباب بعنف والصياح
بصاحب الدار فذاك حرام لانه يتضمن الايذا وكذلك كانت قصة بني اسد وما نزل فيها من قوله ان الذين
ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون السوال الخامس كيف يقف على الباب الجواب روى
ابو سعيد انه استاذن على رسول الله وهو مستقبل الباب فقال عليه السلم لا تستاذن وانت مستقبل الباب
وروي انه عليه السلم كان اذا اتى بابا يريد ان يستاذن لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الايمن والايسر ويقول
السلام عليكم وذلك ان الدور لم تكن عليها يومئذ ستور السوال السادس ان كلمة حتى للغاية يكون

لحال ما قبلها فقوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا يقتضي جواز الدخول بعد الاستئذان وان لم يكن من صاحب
البيت اذن والجواب من وجوه احدها ان الله تعالى جعل الغاية الاستيناس ولا يحصل الا اذا حصل الاذن
وثانيها انا انما علمنا بالنقل ان الحكمة في الاستئذان ان لا يدخل الانسان على غيره بغير اذنه فانه مما يسوءه علمنا ان
هذا المقصود لا يحصل الا بعد حصول الاذن علمنا ان الاستئذان الغير المتصل به الاذن وجوده كعدمه كالعبث والثالث
انه دله فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم فحظر الدخول الا بالاذن فدل على ان الاذن شرط
في اباحة الدخول في الاية الاولى فان قيل اذا ثبت هذا فنقول انه لا بد من الاذن فهل يقوم مقامه غيره ام لا
قلنا روى ابو هريرة ان النبي عليه السلام قال الرسول الى الرجل اذنه وعن ابي هريرة ان النبي عليه السلام قال اذا دعي
احدكم فجاء مع الرسول فان ذلك له اذن وهذا الخبر يدل على معنى اصله ان الاذن محذوف في قوله تعالى حتى
تستانسوا وهو المراد من قوله والسلام ان الدعاء اذا جاء مع الرسول فانه لا يحتاج الى الاذن وقال بعضهم ان من
جرت العادة له باباحة الدخول فهو غير محتاج الى الاستئذان السؤال السابع ما حكم من اطلع على دار غيره بغير اذنه
الجواب قال الشافعي لو فقأت عينه فهي هدر وتمسك بما روى سهل بن سعد قال اطلع رجل في جحر من حجر النبي
عليه السلام ومعه مدرى يحك به راسه فقال لو علمت انك تنظر الي لطعنت بها في عينك انما الاستيذان من
النظر وروى ابو هريرة انه عليه السلام قال من اطلع في دار قوم بغير اذنهم ففقؤوا عينه فقد هدرت عينه قال
ابو بكر الرازي هذا الخبر يرده قياس الاصول فانه لا خلاف انه لو دخل داره بغير اذنه ففقأ عينه كان
ضامنا وكان عليه القصاص ان كان عامدا والارش ان كان مخطئا ومعلوم ان الداخل قد اطلع وزاد على الاطلاع
فظاهر الحديث يخالف ما حصل عليه الاتفاق فان صح فمعناه من اطلع في دار قوم ونظر الى حرمهم ونسائهم فمونع فلم يمتنع
فذهبت عينه في حال الممانعة فهي هدر فاما اذا لم يكن الا النظر ولم يقع فيه ممانعة ولا نهي ثم جاء انسان
ففقأ عينه فهذا جان يلزمه جنايته لظاهر قوله تعالى العين بالعين الى قوله والجروح قصاص واعلم
ان التمسك بقوله العين بالعين ضعيف لانا اجمعنا على ان هذا النص مشروط بما اذا لم تكن العين مستحقة فانه لو كانت
مستحقة لم يلزم القصاص فلم قلتم ان من اطلع في دار انسان لم تكن عينه مستحقة واما قوله انه لو دخل لم يجز فقأ عينه
فكذا اذا نظر قلنا الفرق بين الامرين ظاهر لانه اذا دخل علم القوم بدخوله عليهم فاحترزوا عنه وتستروا فاما اذا
نظر فقد لا يكونوا عالمين بذلك فيطلع منهم على ما لا يجوز الاطلاع عليه فلا يبعد في حكم الشرع ان يبالغ ههنا في الزجر
حسما لباب هذه المفسدة وبالجملة فرد حديث رسول الله بهذا القدر من الكلام غير جائز السؤال الثامن لما ثبت
انه لا بد من الاذن فهل يكفي الاذن كيف كان او لا بد من اذن مخصوص الجواب ظاهر الاية يقتضي قبول الاذن
مطلقا سواء كان الآذن صبيا او امراة او عبدا او ذميا فانه لا يعتبر في هذا الاذن صفات الشهادة وكذلك قبول اخبار
هؤلاء في الهدايا ونحوها السؤال التاسع هل يعتبر الاستئذان على المحارم والجواب نعم عن عطاء بن يسار ان رجلا
سال النبي عليه السلام عنه فقال النبي عليه السلام نعم اتحب ان تراها عريانة وسال رجل حذيفة استاذن على
اختي فقال ان لم تستاذن عليها رايت ما يسوءك وقال عطاء سالت ابن عباس استاذن على اختي وانا انفق
عليها قال نعم ان الله تعالى يقول واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا ولم يفرق بين من كان اجنبيا او ذا رحم واعلم
ان ترك الاستئذان على المحارم وان كان غير جائز الا انه ايسر لجواز النظر الى شعرها وصدرها وساقها ونحوها والتحقيق
فيه ان المنع من الهجوم على الغير ان كان لاجل ان ذلك الغير ربما كان منكشفا فقد دخل فيه الكل الا الزوجات
وملك اليمين وان كان لاجل انه ربما كان مشتغلا بامر يكره اطلاع الغير عليه وجب ان يعم في الكل حتى لا يكون له ان يدخل
على الزوجة والامة الا باذن السؤال العاشر اذا عرض امر في دار من حريق او هجوم سارق او ظهور منكر فهل يجب
الاستئذان الجواب كل ذلك مستثنى بالدليل هذا جملة الكلام في الاستئذان واما السلام فهو من سنة المسلمين التي
امروا بها وهو تحية اهل الجنة ومجلبة للمودة ونافٍ للحقد والضغينة عن ابي هريرة ان النبي عليه السلام قال

لما خلق

لما خلق الله ادم ونفخ فيه الروح عطس فقال الحمد لله فحمد الله باذن الله فقال له الله يرحمك ربك يا ادم اذهب
الى هؤلاء الملائكة ملأ منهم جلوس فقل السلام عليكم فلما فعل ذلك رجع الى ربه قال هذه تحيتك وتحية
ذريتك وعن علي بن ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلم على المسلم ست يسلم عليه اذا لقيه
ويجيبه اذا دعاه وينصح له بالغيب ويشمته اذا عطس ويعوده اذا مرض ويشهد جنازته اذا مات
وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سركم ان يسل الغل من صدوركم فافشوا السلام بينكم
اما قوله تعالى ذلكم خير لكم فالمعنى فيه ظاهر اذ المراد ان فعل ذلك خير لكم واولى بكم من الهجوم بغير اذن
لعلكم تذكرون اي لكي تذكروا هذا التاديب فتتمسكوا به ثم قال فان لم تجدوا فيها اي في البيوت احدا
فلا تدخلوها الا ان العلة في الصورتين واحدة وهو جواز ان يكون هناك احوال مكتومة ثم قال وان قيل لكم ارجعوا
فارجعوا وذلك لانه كما يكون الدخول قد يكرهه صاحب الدار فكذا الوقوف على الباب قد يكرهه فلا جرم كان الاولى له
ان يرجع ازالة للايحاش ولما ذكر الله تعالى حكم الدور المسكونة ذكر بعده حكم الدور التي هي غير مسكونة فقال ليس عليكم
جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة وذلك لان المانع من الدخول الا باذن زائل فيها واختلف المفسرون في المراد
من قوله بيوتا غير مسكونة على اقوال احدها وهو قول محمد بن الحنفية انها الخانات والرباطات وحوانيت البياعين
وروي ان ابا بكر قال يا رسول الله ان الله تعالى انزل عليك اية في الاستيذان وانا نختلف في تجاراتنا افلا
ندخلها الا باذن فنزلت هذه الاية وثانيها انها الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز والبول وثالثها
انها الحمامات والصحيح انه يتناول دخول الجميع بهذه الاية والعلة في ذلك انها اذا كانت كذلك فهو ماذون
بدخولها من جهة العرف بذلك فنقول انها لو كانت غير مسكونة ولكنها كانت مغصوبة فانه لا يجوز للداخل ان يدخلها
لكن الظاهر من حال الخانات انها موضوعة لدخول الداخل واما قوله والله يعلم ما تبدون وما تكتمون فهو وعيد للذين
يدخلون الخربات والدور الخالية من اهل الريبة الحكم السابع حكم النظر

قوله تعالى

قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن و
يحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا
لبعولتهن او ابائهن او اباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن او نسائهن او ما ملكت ايمانهن او التابعين
غير اولي الاربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله
جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون اعلم ان قوله تعالى قل للمؤمنين انما خصهم بذلك لان غيرهم لا يلزمه غض البصر عما لا
يحل له ويحفظ الفرج عما لا يحل لان هذه الاحكام كالفروع للاسلام فالمؤمنون مامورون بها ابتداء والكفار
مامورون قبلها بما تصير هذه الاحكام تابعة له وان كان حالهم كحال المؤمنين في استحقاق العقاب على تركها لكن المؤمن
يتمكن من هذه الطاعة من دون مقدمة والكافر لا يتمكن الا بتقديم مقدمة من قبله وذلك لا يمنع من لزوم التكليف له
واعلم انه سبحانه امر الرجال بغض البصر وحفظ الفرج وامر النساء بمثل ما امر الرجال وزاد فيهن ان لا يبدين زينتهن
الا لاقوام مخصوصين اما قوله يغضوا من ابصارهم ففيه مسائل المسالة الاولى قال الاخفش من ههنا زائدة
للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل وجوز الاخفش ان تكون مزيدة ونظيره قوله ما لكم من اله
غيره وما منكم من احد عنه حاجزين وابى سيبويه ذلك فان قيل كيف دخلت في غض البصر دون حفظ الفروج قلنا
دلالة على ان امر النظر اوسع الا ترى ان المحارم لا باس بالنظر الى شعورهن وصدورهن وكذا الجواري المستعرضات
واما امر الفرج فمضيق وكفاك فرقا ان ابيح النظر الا ما استثني منه وحظر الجماع الا ما استثني منه ويجوز ان
يراد مع ذلك يغضوا مثل ابصارهم اي ينقصوا من نظرهم فالبصر اذا لم يمكن من عمله فهو مغضوض وعلى هذا من ليست
زائدة ولا هي للتبعيض بل هي صلة الغض يقال غضضت من فلان اذا نقصت منه المسالة الثانية اعلم
ان العورات على اربعة اقسام عورة الرجل مع الرجل وعورة المراة مع المراة وعورة المراة مع الرجل وعورة الرجل مع المراة

اما الرجل مع الرجل فيجوز له ان ينظر الى جميع بدنه الا الى عورته وعورته ما بين السرة والركبة والسرة والركبة ليستا بعورة
وعند ابي حنيفة الركبة عورة وقال مالك الفخذ ليس بعورة والدليل على انه عورة ما روي عن ان النبي
عليه السلام مر به في المسجد وهو كاشف عن فخذه فقال عليه السلام غط فخذك فانها من العورة وقال لعلي رضي الله عنه
لا تبرز فخذك ولا تنظر الى فخذ حي ولا ميت فان كان في النظر الى وجهه او سائر بدنه شهوة او خوف فتنة بان
كان امرد لا يحل النظر اليه ولا يجوز للرجل مضاجعة الرجل وان كان كل واحد منهما في جانب من الفراش لما روى
ابو سعيد الخدري انه عليه السلام قال لا يفضي الرجل الى الرجل في ثوب واحد ولا تفضي المراة الى المراة في ثوب واحد
وتكره المعانقة وتقبيل الوجه الا لولده شفقة له وتستحب المصافحة لما روى انس قال قال رجل يا رسول الله
الرجل منا يلقى اخاه او صديقه اينحني له قال لا قال افيلتزمه ويقبله قال لا قال افياخذ بيده فيصافحه قال نعم
اما عورة المراة مع المراة كالرجل مع الرجل فلها النظر الى جميع بدنها الا ما بين السرة والركبة وعند خوف الفتنة لا يجوز النظر
ولا تجوز المضاجعة والمراة الذمية هل يجوز لها النظر الى بدن المسلمة قيل يجوز كالمسلمة مع المسلمة والاصح انه لا يجوز لانها
اجنبية في الدين والله تعالى يقول او نسائهن وليست الذمية من نسائنا اما عورة المراة مع الرجل فالمراة اما ان تكون اجنبية
او ذات رحم محرم او مستمتعة فان كانت اجنبية فاما ان تكون حرة او امة فان كانت حرة فجميع بدنها عورة ولا يجوز له ان ينظر
الى شيء منها الا الوجه والكفين لانها تحتاج الى ابراز الوجه للبيع والشراء والى اخراج الكف للاخذ والعطاء ونعني بالكف
ظهرها وبطنها الى الكوع وقيل ظهر الكف عورة واعلم انا ذكرنا انه لا يجوز النظر الى شيء من بدنها ويجوز النظر الى
وجهها وكفيها وفي كل واحد من القولين استثناء اما قولنا يجوز النظر الى وجهها فاعلم انه على ثلاثة اقسام لانه
اما ان لا يكون فيه غرض ولا فتنة واما ان يكون فيه غرض ولا فتنة فيه اما القسم الاول فاعلم انه لا يجوز النظر الى وجه الاجنبية
لغير غرض فان وقع بصره عليها بغتة يغض بصره لقوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم وقيل يجوز مرة واحدة اذا لم يكن محل
فتنة وبه قال ابو حنيفة ولا يجوز ان يكرر النظر اليها لقوله عليه السلام يا علي لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى
وليست لك الاخرة وعن جابر قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجاءة فامرني ان اصرف بصري ولان
الغالب ان الاحتراز عن الاولى لا يمكن اما القسم الثاني وهو ان يكون فيه غرض ولا فتنة فيه فذلك امور احدها
ان يريد نكاح امراة فينظر الى وجهها وكفيها روى ابو هريرة ان رجلا اراد ان يتزوج امراة من الانصار
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر اليها فان في اعين الانصار شيئا وقال عليه السلام اذا خطب احدكم
المراة فلا جناح عليه ان ينظر اليها اذا كان انما ينظر اليها للخطبة وقال المغيرة بن شعبة خطبت امراة فقال
عليه السلام نظرت اليها فقلت لا قال فانظر فانه احرى ان يؤدم بينكما فكل ذلك يدل على جواز النظر الى وجهها
وكفيها للشهوة اذا اراد ان يتزوجها ويدل عليه ايضا قوله تعالى لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج
ولو اعجبك حسنهن ولا يعجبه حسنهن الا بعد رؤية وجوههن وثانيها اذا اراد شراء جارية
فله ان ينظر الى ما ليس بعورة منها وثالثها انه عند المبايعة ينظر الى وجهها متاملا حتى يعرفها عند الحاجة
وثانيها ينظر اليها عند تحمل الشهادة ولا ينظر الى غير الوجه لان المعرفة تحصل به اما القسم الثالث وهو ان ينظر
اليها للشهوة فذلك محظور قال عليه السلام العينان تزنيان وعن جابر سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجاءة
فامرني ان اصرف بصري وقيل مكتوب في التوراة النظرة تزرع في القلب شهوة ورب شهوة اورثت حزنا
طويلا اما الكلام الثاني وهو انه لا يجوز للاجنبي النظر الى بدن الاجنبية فقد استثنوا عنه صورا احدها يجوز للطبيب
الامين ان ينظر اليها للمعالجة كما يجوز للختان ان ينظر الى فرج المختون لانه موضع ضرورة وثانيها يجوز
ان يتعمد النظر الى فرج الزانيين لتحمل الشهادة على الزنا وكذلك ينظر الى فرجها لتحمل شهادة الولادة والى ثدي المرضعة
لتحمل شهادة الرضاع وقال ابو سعيد الاصطخري لا يجوز للرجل ان يقصد النظر في هذه المواضع لان الزنا مندوب
الى ستره وفي الولادة والرضاع تقبل شهادة النساء فلا حاجة الى نظر الرجال للشهادة وثالثها لو وقعت في غرق او حرق

فله

فله ان ينظر الى بدنها ليخلصها اما اذا كانت الاجنبية امة فقال بعضهم عورتها ما بين السرة والركبة وقال اخرون
عورتها ما لا يبين للمهنة فخرج منه ان عنقها وراسها وساعدها ونحرها وصدرها ليس بعورة وفي
ظهرها وبطنها وما فوق ساعدها الخلاف المذكور ولا يجوز لمسها ولا لها لمسه الا لحجامة لان اللمس اقوى من النظر
بدليل ان الانزال باللمس يفطر الصائم وبالنظر لا يفطره وقال ابو حنيفة يجوز ان يمس من الامة ما يحل النظر اليه
اما اذا كانت المراة ذات محرم بنسب او رضاع فعورتها معه ما بين السرة والركبة كعورة الرجال وقال اخرون بل
عورتها ما لا يبدو عند المهنة وهو قول ابي حنيفة اما سائر القرائب فيأتي ان شاء الله في تفسير الآية
اما اذا كانت المراة مستمتعة كالزوجة والامة التي يحل له الاستمتاع بها فيجوز له ان ينظر الى جميع بدنها حتى
الى فرجها غير انه يكره ان ينظر الى الفرج وكذا الى فرج نفسه لانه يروى انه يورث الطمس وقيل لا يجوز النظر
الى فرجها ولا فرق بين ان تكون الامة قنة او مدبرة او ام ولد او مرهونة فان كانت مجوسية او مرتدة او وثنية
او مشتركة بينه وبين غيره او متزوجة او مكاتبة فهي كالاجنبية روى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده
عن النبي عليه السلام قال اذا زوج احدكم جاريته عبده او اجيره فلا ينظر الى ما بين السرة والركبة فانه عورة اما الخنثى
كالمراة في حق الرجال والمراة في ذاتي عورة بدليل انه لا يصح صلوتها مكشوفة البدن وبدن الرجل بخلافه
فلا يجوز لها ان تقصد النظر عند خوف الفتنة ولا تكرير النظر الى وجهه لما روي عن ام سلمة انها كانت عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم وميمونة اذ اقبل ابن ام مكتوم فقال احتجبا منه فقلنا يا رسول الله اليس هو
اعمى لا يبصرنا فقال عليه السلام افعمياوان انتما الستما تبصرانه وان كان محرما لها فعورته ما بين السرة والركبة وان
كان زوجها او سيدها الذي له وطؤها فله ان ينظر الى جميع بدنها غير انه يكره النظر الى الفرج كهي معه ولا يجوز للرجل
ان يجلس عاريا في بيت خال وله ما يستر عورته لانه روي انه عليه السلام سئل عنه فقال الله احق ان يستحيى منه وروي انه
عليه السلام قال اياكم والتعري فان معكم من لا يفارقكم الا عند الغائط وحين يفضي الرجل الى اهله المسألة
الثالثة قيل من في قوله يغضوا من ابصارهم للتبعيض فالمراد غض الابصار عن المحرمات وابصار المباح وقيل صلة اما
قوله تعالى ويحفظوا فروجهم فالمراد حفظها عن الزنا وقيل كل ما في القران يحفظوا فروجهم فهو عن الزنا الا هذا فانه لا ينظر اليها احد
وهذا ضعيف لانه تخصيص من غير دليل والذي يقتضيه الظاهر ان يكون المعنى حفظها عن سائر ما حرم عليهم من الزنا
والمس والنظر وعلى انه ان كان المراد بذلك تحريم الخطاب حفظ النظر والمس والوطي فلو نص الله تعالى على النظر
لكان في عموم الخطاب ما يوجب حفظ الوطي والمس كما ان قوله تعالى ولا تقل لهما اف اقتضى حظر ما فوق ذلك
من السب والضرب اما قوله تعالى ذلك ازكى لهم اي تمسكهم بذلك ازكى لهم واطهر لانه من باب ما يزكون
به ويكون ان يقال انه تعالى حقيق بالثواب للمومنين لما ارادوا من تمسكهم بذلك ولا يليق ذلك بالكافر
اما قوله تعالى وقل للمومنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن فالقول فيه على ما تقدم فان قيل
فلم قدم غض الابصار على حفظ الفروج قلنا لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه اشد واكثر
ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه اما قوله تعالى ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها فمن الاحكام التي تختص بالنساء في الاغلب
وانما قلنا في الاغلب لانه يحرم على الرجل ان يبدي زينته حليا ولباسا الى غير ذلك للنساء الاجنبيات لما فيه من الفتنة
وههنا مسائل المسألة الاولى اختلفوا في المراد بزينتهن واعلم ان الزينة اسم يقع على محاسن الخلق التي خلقها الله
وعلى ما يتزين به الانسان من فضل لباس او حلي وانكر بعضهم وقوع اسم الزينة على الخلقة لانه لا يكاد يقال في الخلقة انها
زينة وانما يقال ذلك فيما يكتسبه من كحل وخضاب وغيره والاقرب ان الخلقة داخلة في الزينة ويدل عليه وجهان
الاول ان الكثير من النساء ينفردن بخلقهن عن سائر ما يعد زينة فاذا حملناه على الخلقة وفينا العموم حقه
ولا يمنع دخول ما عدا الخلقة فيه الثاني ان قوله وليضربن بخمرهن على جيوبهن يدل على ان المراد من الزينة ما يعم الخلقة
وغيرها فكانه تعالى منعهن من اظهار محاسن خلقتهن بان اوجب سترها بالخمار اما الذين قالوا الزينة عبارة عما

من الخلقة فقد حصرها في امرين احدهما الاصباغ كالكحل والخضاب والوسمة في حاجبيها والغمرة في خديها و
الحناء في كفيها وثانيها الحلي كالخاتم والسوار والخلخال والدملج والقلادة والاكليل والوشاح والقرط وثالثها
الثياب قال الله تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد واراد الثياب المسالة الثانية اختلفوا في المراد من قوله
الا ما ظهر منها اما الذين حملوا الزينة على الخلقة فقال القفال معنى الاية الا ما يظهره الانسان في العادة وذلك من النساء
الوجه والكفان ومن الرجل الاطراف من الوجه واليدين والرجلين فامروا بستر ما لا تؤدي الضرورة الى كشفه ورخص
لهم في كشف ما اعتيد كشفه وادت الضرورة الى اظهاره اذ كانت شرائع الاسلام حنيفية سهلة سمحة ولما كان
ظهور الوجه والكفين ضروريا لا جرم اتفقوا على انهما ليسا بعورة اما القدم فليس ظهوره بضروري فلا جرم اختلفوا
فيه هل هو من العورة ام لا فيه وجهان الاصح انه عورة وفي صوتها وجهان اصحهما انه ليس بعورة لان نساء النبي
عليه السلم كن يروين الاخبار للرجال واما الذين حملوا الزينة على ما عدا الخلقة فقالوا انه سبحانه انما ذكر الزينة
لانه لا خلاف انه يحل النظر اليها حال ما لم تكن متصلة باعضاء المراة فلما حرم الله النظر اليها حال اتصالها ببدن
المراة كان ذلك مبالغة في حرمة النظر الى اعضاء المراة وعلى هذا القول يحل النظر الى زينة وجهها من الوسمة و
الغمرة وزينة بدنها من الخضاب والخواتم وكذا الثياب والسبب في تجويز النظر اليها ان سترها فيه حرج
لان المراة لا بد لها من مناولة الاشياء بيديها والحاجة الى كشف وجهها في الشهادة والمحاكمة والنكاح
المسالة الثالثة اتفقوا على تخصيص قوله ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها بالحرائر دون الاماء والمعنى فيه ظاهر
وهو ان الامة مال فلا بد من الاحتياط في بيعها وشرائها وذلك لا يمكن الا بالنظر اليها على الاستقصاء
بخلاف الحرة اما قوله تعالى وليضربن بخمرهن على جيوبهن فالخمر واحدها خمار وهي المقانع قال المفسرون ان
نساء الجاهلية كن يسدلن خمرهن من خلفهن وان جيوبهن كانت من قدام وكان ينكشف نحورهن وقلائدهن
فامرن ان يضربن مقانعهن على الجيوب لتغطي بذلك اعناقهن ونحورهن وما يحيط به من زينة الحلي والعقد
وفي لفظ الضرب مبالغة بالالصاق وعن عائشة ما رايت خيرا من نساء الانصار لما نزلت هذه الاية
قامت كل واحدة منهن الى مرطها فصدعت منه صدعة فا[illegible] على رؤسهن وقرئ جيوبهن بكسر الجيم لاجل
الياء وكذلك بيوتا غير بيوتكم اما قوله ولا يبدين زينتهن فاعلم انه سبحانه لما تكلم في مطلق الزينة تكلم
بعد ذلك في الزينة الخفية التي نهاهن عن ابدائها للاجانب وبين ان هذه الزينة الخفية يجب
اخفاؤها عن الكل ثم استثنى اثني عشر صورة احدها ازواجهن وثانيها الاباء وان علوا من جهة
الذكران والاناث كاباء الاباء واباء الامهات وثالثها اباء ازواجهن ورابعها ابناؤهن وان سفلوا من الذكران
والاناث كبني البنين وبني البنات وخامسها ابناء ازواجهن وسادسها اخوانهن سواء كانوا من الاب او الام او منهما وسابعها
بنو اخوانهن وثامنها بنو اخواتهن وهؤلاء كلهم محارم وهنا سؤالات السؤال الاول
ايحل لذي المحرم في المملوكة والكافرة ما لا يحل في المؤمنة الحرة اذا ملك المراة وهي من محارمه فله ان ينظر منها الى بطنها
وظهرها لا على وجه الشهوة السؤال الثاني كيف القول في العم والخال القول الظاهر انهما كسائر المحارم في جواز
النظر وهو قول الحسن البصري قال لان الاية لم يذكر فيها الرضاع وهو كالنسب وقال في سورة الاحزاب لا جناح عليهن
في ابائهن الاية ولم يذكر فيها البعولة ولا ابناءهم وقد ذكرهم هنا وقال الشعبي لم يذكرهما الله لئلا يصفهما العم عند ابنه والخال كذلك
ومعناه ان سائر القرابات تشترك الاب والابن في المحرمية الا العم والخال وابناءهما فاذا راها الاب فربما وصفها
لابنه وليس بمحرم وهذا من الدلالات البليغة في وجوب الاحتياط عليهن في التستر السؤال الثالث
ما السبب في اباحة نظر هؤلاء الى زينة المراة الجواب لاجل الحاجة الى المداخلة والمخالطة ولقلة توقع الفتنة
ولما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب وتحتاج المراة الى صحبتهم في الاسفار في النزول والركوب وتاسعها
قوله تعالى او نسائهن وفيه قولان احدهما المراد اللائي هن على دينهن وهذا قول اكثر السلف قال ابن عباس

ليس

٠١٣

83

ليس للمسلمات ان يتجردن بين نساء اهل الذمة ولا يبدين للكافرة الا ما يبدين للاجانب الا ان تكون امة لها لقوله او ما ملكت
ايمانهن وكتب عمر الى ابي عبيدة ان يمنع نساء اهل الكتاب من دخول الحمام مع المؤمنات وثانيهما المراد بنسائهن
جميع النساء وهذا هو المذهب وقول السلف محمول على الاستحباب والاولى وعاشرها قوله او ما ملكت ايمانهن فظاهر
الكلام يشمل العبيد والاماء واختلفوا فمنهم من اجرى الاية على ظاهرها وزعم انه لا باس عليهن ان يظهرن لعبيدهن
ويتزين لهم وهو قول عائشة وام سلمة واحتجوا بظاهر الاية وبما روى انس انه عليه السلم
اتى فاطمة بغلام وقد وهبه لها وعلى فاطمة ثوب اذا قنعت به راسها لم يبلغ رجليها واذا غطت به رجليها
لم يبلغ راسها فلما راى رسول الله ما تلقى قال انه ليس عليك باس انما هو ابوك وغلامك وعن مجاهد كن
امهات المؤمنين لا يحتجبن عن مكاتبهن ما بقي عليه درهم وعن عائشة انها قالت لذكوان انك اذا وضعتني
في القبر وخرجت فانت حر وروي ان عائشة كانت تمتشط والعبد ينظر اليها وقال ابن مسعود ومجاهد والحسن
وابن سيرين وسعيد بن المسيب ان العبد لا ينظر الى شعر مولاته وهو قول ابي حنيفة واحتجوا عليه بامور احدها
قوله عليه السلم لا يحل لامراة تؤمن بالله واليوم الاخر ان تسافر سفرا فوق ثلاث الا مع ذي محرم والعبد ليس بمحرم
فلا يجوز ان يسافر بها واذا لم يجز لها السفر معه لم يجز له النظر الى شعرها كالاجنبي وثانيها ان ملكها للعبد لا يحلل ما يحرم
عليه قبل الملك اذ لا تملك النساء الرجال وليس كملك الرجال للنساء فانهم لم يختلفوا في انها لا تستبيح بملك العبد
شيئا من التمتع كما يملكه الرجل من الامة وثالثها ان العبد وان لم يجز له ان يتزوج بمولاته الا ان ذلك التحريم عارض
كمن عنده اربع نسوة فانه لا يجوز ان يتزوج بغيرهن فلما لم تكن هذه الحرمة مؤبدة كان العبد بمنزلة سائر الاجانب اذا ثبت هذا
ظهر ان المراد من قوله او ما ملكت ايمانهن الاماء فان قيل الاماء دخلن في قوله او نسائهن فاي فائدة في اعادة ذكرها قلنا الظاهر انه عنى
بنسائهن وما ملكت ايمانهن من في صحبتهن من الحرائر والاماء وبيانه انه سبحانه ذكر احوال الرجال بعد هذا في قوله
او التابعين غير اولي الاربة فجاز ان نظن ان الرجال مخصوصون بذلك اذا كانوا ذوي المحارم او غير ذوي المحارم
ثم عطف على ذلك الاماء بقوله او ما ملكت ايمانهن كقوله شهيدين من رجالكم على الرجل من افناء الناس كذلك ها هنا
ادخل الاماء في الجملة ثم عطف عليهن الاماء فاباح لهن مثل ما اباح في الحرائر وحادي عشرها قوله تعالى او التابعين غير
اولي الاربة من الرجال وفيه مسائل المسالة الاولى قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة بهم الى النساء
لانهم بله لا يعرفون من امرهن شيئا او شيوخ صلحاء اذا كانوا معهن غضوا ابصارهم ومعلوم ان الخصي والعنين
ومن يشاكلهما قد لا يكون له اربة في نفس الجماع ويكون له اربة قوية فيما عداه من التمتع وذلك يمنع من ان يكون هو المراد
فيجب ان يحمل المراد على من المعلوم منه انه لا اربة له في سائر وجوه التمتع اما لفقد الشهوة واما لفقد المعرفة
واما للفقر والمسكنة فعلى هذه الوجوه الثلاثة اختلف العلماء فقال بعضهم هم الفقراء الذين بهم الفاقة وقال
بعضهم المعتوه والابله والصبي وقال بعضهم الشيخ وسائر من لا شهوة له ولا يمتنع دخول الكل في ذلك روى
هشام بن عروة عن ابيه عن زينب بنت ام سلمة عن ام سلمة ان النبي عليه السلم دخل عليها وعندها مخنث فاقبل على اخي
ام سلمة فقال يا عبد الله ان فتح الله لكم غدا الطائف دللتك على بنت غيلان فانها تقبل باربع وتدبر بثمان فقال
عليه السلم لا يدخلن عليكم هذا فاباح رسول الله دخول المخنث عليهن حين ظن انه لا يعرف احوال النساء واوصافهن
فلما علم انه من اولي الاربة حجبه وفي الخصي والمجبوب ثلاثة اوجه احدها استباحة الزينة الباطنة والثاني تحريمها
والثالث تحريمها على الخصي دون المجبوب المسالة الثانية الاربة فعلة من الارب كالمشية والجلسة من المشي والجلوس
والارب الحاجة والولوع بالشيء والشهوة له والاربة الحاجة في النساء والاربة العقل ومنه الاريب المسالة
الثالثة قرا ابن عامر وابو بكر عن عاصم غير بالنصب على الاستثناء او الحال والباقون بالجر [illegible]
على الوصفية وثاني عشرها قوله او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء وفيه مسائل المسالة الاولى
الطفل اسم للواحد لكنه وضع ها هنا موضع الجمع لانه يفيد الجنس ونظيره قوله تعالى ثم يخرجكم طفلا المسالة الثانية

الظهور على الشيء على وجه العلم به كقوله تعالى انهم ان يظهروا عليكم ان يشعروا بكم والثاني الغلبة عليه كقوله فاصبحوا ظاهرين فعلى الوجه الاول المعنى والطفل الذين لم يستعرفوا عورات النساء ولم يبدوا والمعنى من الصغر وهو قول ابن قتيبة وعلى الثاني المعنى لم يطيقوا ان يطأوا اتيان النساء وهو قول الفراء والزجاج المسألة الثالثة ان الصغير اذا لم يتنبه لصغره على عورات النساء فلا عورة للنساء معه وان لم يراهق يلزم ان يستر منه المراة ما بين سرتها وركبتها وفي لزوم ستر ما عداه وجهان لانه لا يتهم ان القلم غير جار عليه والثاني يلزم كالرجل لانه ربما تشتهيه و المراة قد تشتهيه واسم الطفل شامل له الى ان يحتلم واما الشيخ فان بقيت له شهوة فهو كالشاب وان لم يبق له شهوة ففيه وجهان احدهما ان الزينة الباطنة معه مباحة والعورة معه ما بين السرة والركبة والثاني ان جميع البدن معه عورة الا الزينة الظاهرة وههنا آخر الصور التي استثناها الله تعالى وهي الخنثى ونحوه لا ولا [illegible] في جواز رؤية الزينة الباطنة فهم على اقسام ثلثة فالزوج وله حرمة ليست لغيره يحل والحرم النسبية للاب والابن [illegible] دار الزوج وكذا ذي محرم والرضاع كالنسب الا انهم لم يشترطوا الى الثدي والعضد والساق والذراع ونحو ذلك والمالكية [illegible] الابنة وكذا مملوك المراة لا باس ان تقوم المراة [illegible] ان يبدو منها شعرا ولا بدنا والستر في هذا كله افضل ولا يحل للشابة ان تقوم بين يدي الغريب حتى تلبس الجلباب فهذا ضبط هذه المراتب اما قوله تعالى ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن قال ابن عباس وقتادة كانت المراة تمر بالناس وتضرب برجلها لتسمع قعقعة خلخالها ومعلوم ان الذي يغلب عليه شهوة النساء اذا سمع صوت الخلخال يصير ذلك داعية له زايدة الى مشاهدتهن وقد علل تعالى ذلك بانه ليعلم ما يخفين من زينتهن فنبه على ان الذي لاجله نهى عنه ان يعلم به زينتهن وفي الاية فوايد المسألة الاولى لما نهى عن استماع الصوت الدال على وجود الزينة فلان يدل على المنع من اظهار الزينة اولى الثانية ان المراة منهية عن رفع صوتها بالكلام بحيث يسمع ذلك الاجانب اذ كان صوتها اقرب الى الفتنة من صوت خلخالها ولذلك كرهوا اذان النساء لانه يحتاج فيه الى رفع الصوت والمراة منهية عنه الثالثة تدل الاية على حظر النظر الى وجهها بشهوة اذ كان ذلك اقرب الى الفتنة اما قوله سبحانه وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون ففيه مسائل المسألة الاولى في التوبة وجهان احدهما ان تكاليف الله تعالى في كل باب لا يقدر العبد الضعيف على مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد ولا ينفك من تقصير يقع منه فلذلك وصى المؤمنين جميعا بالتوبة والاستغفار والثاني قال ابن عباس وتوبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية لعلكم تسعدون في الدنيا والاخرة فان قيل قد صحت التوبة بالاسلام والاسلام يجب ما قبله فما معنى هذه التوبة قلنا قال بعض العلماء ان من اذنب ذنبا ثم تاب عنه لزمه كلما ذكره ان يجدد التوبة عنه لانه يلزمه ان يستمر على ندمه الى ان يلقى ربه المسألة الثانية قرئ ايه المؤمنون بضم الهاء ووجهه انها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت الالف لالتقاء الساكنين اتبعت حركتها ما قبلها المسألة الثالثة تفسير لعل قد تقدم في سورة البقرة في قوله اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم

الحكم السابع فيما يتعلق بالنكاح

قوله تعالى

وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم

اعلم ان الله تعالى لما امر بغض الابصار وحفظ الفروج بين بعد ذلك ان الذي امر به انما هو فيما لا يحل ثم بين تعالى بعد ذلك طريق الحل فقال وانكحوا الايامى وههنا مسائل المسألة الاولى قال صاحب الكشاف الايامى واليتامى اصلهما ايايم ويتايم فقلبا قال النضر بن شميل الايم في كلام العرب كل ذكر لا انثى معه وكل انثى لا ذكر معها وهو قول ابن عباس في رواية الضحاك يقول زوجوا اياماكم بعضكم من بعض المسألة الثانية قوله تعالى وانكحوا امر وظاهر الامر للوجوب على ما تقدم فيدل على ان الولي

يجب عليه

عليه تزويج موليته واذا ثبت هذا وجب ان لا يجوز النكاح الا بولي لان كل من اوجب على الولي ذلك حكم بانه لا نكاح من المولية اولا الا بالولي بل لو فعلت ذلك لفوتت على الولي التمكن من اداء هذا الواجب وانه غير جايز واقول تتطابق هذه الاية مع الحديث قوله عليه السلام اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة في الارض قال ابو بكر الرازي هذه الاية وان اقتضت الايجاب الا انه اجمع السلف على انه لم يرد الايجاب ويدل عليه امور احدها انه لو كان ذلك واجبا لورد النقل بفعله من النبي عليه السلام ومن السلف مستفيضا شايعا لعموم الحاجة اليه فلما وجدنا عصر النبي عليه السلام وساير الاعصار بعده قد كان في الايامى من الرجال والنساء من لم يزوج ولم ينكر ذلك ثبت انه ما اريد به الايجاب وثانيها اجمعنا على ان الايم الثيب لو ابت التزويج لم يكن للولي اجبارها عليه وثالثها اتفاق الكل على انه لا يجب على السيد تزويج امته وعبده وهو معطوف على الايامى فدل على انه غير واجب في الجميع بل ندب في الجميع ورابعها ان اسم الايامى ينتظم الرجال والنساء وهو في الرجال ما اريد به الاولياء دون غيرهم كذلك في النساء والجواب جميع ما ذكرتموه تخصيصات تطرقت الى الاية والعام بعد التخصيص حجة فوجب اذا التمست المراة الايم من الولي التزويج وجب وحينئذ ينتظم وجه الكلام المسألة الثانية قال الشافعي رضي الله عنه الاية تقتضي جواز تزويج البكر البالغة بدون رضاها لان الاية والحديث دلا على امر الولي بتزويجها ولولا قيام الدلالة على انه لا تتزوج الثيب الكبيرة بغير رضاها لكان جايزا له تزويجها ايضا قال ابو بكر الرازي هو لفظ الايامى لا يختص بالنساء دون الرجال على ما بينا فلما كان الاسم شاملا للرجال والنساء وقد اضمر في الرجال تزويجهم باذنهم وجب استعمال ذلك الضمير في النساء وايضا فقد امر النبي صلى الله عليه وسلم باستيمار البكر بقوله البكر تستامر في نفسها واذنها صماتها وذلك وارد في صورة الخبر فثبت انه لا يجوز تزويجها الا باذنها والجواب اما الاول فهو تخصيص للنص فلا يقدح في كونه حجة والفرق ان الايم من الرجال يتولى امر نفسه فلا يجب على الولي تعهده بخلاف المراة فان احتياجها الى من يصلح امرها في التزويج اظهر وايضا فلفظ اليتامى ولن يتناول الرجال والنساء فاذا اطلق لم يتناول الا النساء وانما يتناول الرجال اذا قيد واما الثاني فهو تخصيص الاية بخبر الواحد كلام مشهور المسألة الثالثة قال ابو حنيفة العم والاخ يليان تزويج البنت الصغيرة وجه الاستدلال بالاية كما تقدم المسألة الرابعة الناس في النكاح قسمان منهم من تتوق نفسه الى النكاح فيستحب له ان ينكح ان وجد اهبة سواء كان مقبلا على العبادة او لم يكن و لكن لا يجب ان ينكح وان لم يجد اهبته يكسر شهوته بالصوم لما روى عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء اما الذي لا تتوق نفسه الى النكاح فان كان ذلك لعلة به من كبر او مرض او عجز يكره له ان ينكح لانه يلتزم ما لا يمكنه القيام به وكذلك اذا كان لا يقدر على النفقة وان لم يكن به عجز وكان قادرا على القيام بحقه لم يكره له النكاح لكن الافضل ان يتخلى لعبادة الله وقال ابو حنيفة النكاح افضل من التخلي للعبادة حجة الشافعي وجوه احدها قوله تعالى وسيدا وحصورا مدح يحيى بكونه حصورا والحصور الذي لا ياتي النساء مع القدرة عليهن ولا يقال هو الذي لا ياتي النساء للعجز لانه مدح والعجز لا يمدح فاذا كان عيبا [illegible] واذا ثبت انه مدح في حق يحيى وجب ان يكون مشروعا في حقنا لقوله تعالى اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ولا يجوز حمل الهدى على الاصول لان التقليد فيها غير جائز فوجب حمله على الفروع وثانيها قوله عليه السلام استقيموا ولن تحصوا واعلموا ان خير اعمالكم الصلوة وتمسك ايضا بما روي عنه عليه السلام قال افضل اعمال امتي تلاوة القرآن وثالثها ان النكاح مباح لقوله عليه السلام احب المباحات الى الله النكاح وحمل الحب على الاصح في الدنيا لا ينافيه [illegible]

بين كونه احب ومن كونه مباحا والمباح ما يستوي طرفاه في الثواب والعقاب والمندوب ما رجح وجوده على عدمه
فكيف تكون العبادة افضل وثانيها ان النكاح ليس بعبادة بدليل انه يصح من الكافر والعبادة لا تصح منه فوجب ان يكون
العبادة افضل منه لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون والمسعى بالمقصود اولى [illegible]
تعالى سوى بين التسري والنكاح ثم التسري مرجوح بالنسبة الى العبادة وما ساوى المرجوح مرجوح فالنكاح
مرجوح انما قلنا انه سوى بين التسري والنكاح لقوله فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم
وكلمة او للتخيير بين الشيئين والتخيير بين الشيئين امارة التساوي كقول الطبيب للمريض كل الرمان او
التفاح واذا ثبت ان التسري مرجوح وما ساوى المرجوح مرجوح فالنكاح مرجوح وسادسها
النوافل اشق [illegible] فكانت اكثر ثوابا انما قلنا انها اشق لان ميل الطباع الى النكاح اكثر ولولا مرغبات الشرع
ما فعل هذه النوافل واذا ثبت انها اشق وجب ان تكون اكثر ثوابا لقوله عليه السلم افضل العبادات احمزها
وقوله عليه السلم لعائشة اجرك على قدر نصبك وسابعها لو كان النكاح مساويا للنوافل في الثواب مع ان
النوافل اشق منه لما كانت النوافل مشروعة لانه اذا حصل طريقان الى تحصيل المقصود وكانا في الافضاء
الى المقصود سيان وكان احدهما شاقا والآخر سهلا فان العقل يستقبح تحصيل ذلك المقصود بالطريق
الشاق مع التمكن من طريق السهل ولما كانت النوافل مشروعة علمنا انها افضل والجواب لو كان الاشتغال بالنكاح
اولى من النافلة لكان الاشتغال بالحراثة والزراعة اولى من النافلة والجامع كون كل واحد منهما سببا لبقاء هذا العالم
وتحصيل لنظامه ولما [illegible] اجمعنا على انه يقدم طلب العبادة على طلب النكاح يتقدم [illegible]
على [illegible] لاتحاد السبب وعاشرها ان النكاح اشتغال بتحصيل اللذات الحسية الداعية الى الدنيا
والنافلة قطع العلائق الجسمانية واقبال على الله تعالى فاين احدهما من الآخر ولذلك قال عليه السلم حبب الي من دنياكم
ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة رجح الصلاة على النكاح حجة ابي حنيفة [illegible] النكاح يتضمن
العدل فضل من العبادة لقوله عليه السلم عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة وثانيها النكاح سنة
مؤكدة لقوله عليه السلم من رغب عن سنتي فليس مني [illegible] العلماء انها خير من [illegible]
[illegible] حينئذ يكون النكاح افضل المسالة الخامسة قوله تعالى وانكحوا الايامى منكم [illegible] الامر
[illegible] لكنهم اجمعوا على انه لا بد فيها من شرط [illegible] قوله تعالى [illegible] ذلكم
[illegible] كثير من المفسرين على ان المراد [illegible] العبد [illegible]
ذلك من [illegible] الماضين من الوالدين [illegible] الحرية [illegible] اما قوله تعالى
والصالحين من عبادكم وامائكم ففيه مسايل المسالة الاولى ظاهر الآية [illegible]
[illegible] العبد [illegible] السيد [illegible]
[illegible] وسقوط نفقته [illegible] لازم للمولى المسالة الثانية انما خص الصالحين بالذكر
[illegible] بينهم ويحفظ عليهم [illegible]
عليهم [illegible] في المودة وكانوا مظنة للتوصية [illegible] منهم [illegible]
[illegible] الصلاح [illegible] النكاح حتى يقوم العبد بما يلزم لها [illegible]
[illegible] المسالة الثالثة ظاهر الآية يدل على ان العبد لا [illegible]
وانما يجوز [illegible] المولى [illegible] بالدليل [illegible] يتزوج [illegible] نفسه [illegible]
[illegible] السيد [illegible] المولى [illegible]
[illegible] النكاح [illegible] اما قوله تعالى ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ففيه مسائل المسالة
الاولى [illegible] ليس وعدا [illegible] بل المعنى لا تنظروا الى فقر من يخطب اليكم او فقر من تريدون

تزوجها

تزوجها فان فضل الله يغنيهم والمال غاد ورايح وليس في الفقر ما يمنع من الرغبة في النكاح فهذا معنى صحيح
وليس فيه ان الكلام قصد به وعد الغني حتى لا يجوز ان يقع فيه خلف وذلك عن [illegible] به ما يدل على انهم
راوا ذلك وعدا عن ابي بكر قال اطيعوا الله فيما امركم به من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنى وعن عمر وابن
عباس مثله قال ابن عباس التمسوا الغنى بالنكاح وشكى رجل الى رسول الله الحاجة فقال عليك بالباءة
وقال طلحة بن مطرف تزوجوا فانه اوسع لكم في رزقكم واوسع في اخلاقكم ويزيد الله في مروءتكم
فان قيل فنحن نرى من كان غنيا فتزوج فصار فقيرا الجواب من وجوه احدها ان هذا الوعد
مشروط بالمشيئة في قوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء والمطلق يحمل على المقيد
وثانيها ان اللفظ وان كان عاما الا انه يكون خاصا في بعض المذكورين دون البعض [illegible]
[illegible] المعنى بالعفاف [illegible] واستغنى به عن الوقوع في الزنا
المسالة الثانية من الناس من استدل بهذه الآية على ان العبد والامة يملكان [illegible] يغنيهم الآية
ان العبد [illegible] وعتقا فان دل ذلك على انها تملك [illegible]
راجع الى الايامى [illegible] الغنى [illegible] اما قوله والله واسع عليم فالمعنى
انه سبحانه [illegible] لا انتهاء [illegible] الى [illegible] عليم [illegible]
عليهم [illegible] من التفضل والرزق

قوله تعالى وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله اعلم انه سبحانه لما ذكر تزويج الحراير [illegible] ذكر حال من يعجز عن ذلك فقال وليستعفف
وليجتهد في العفة كان المستعفف طالب من نفسه العفاف واما قوله لا يجدون نكاحا فالمعنى لا يتمكنون من الوصول
اليه فقال [illegible] [illegible] احدنا [illegible]
[illegible] موجودا [illegible] وقد ورد [illegible] النكاح [illegible] [illegible]
فليطلب المستعفف [illegible] ان يغنيه الله من فضله [illegible] النكاح [illegible]
[illegible] الحكم الناسع في الكتابة

قوله تعالى والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا واتوهم
من مال الله الذي اتاكم اعلم انه تعالى لما [illegible] على تزويج الصالحين من العبيد والاماء [illegible]
[illegible] فكاتبوهم [illegible] الذين يبتغون الكتاب [illegible]
مسائل المسالة الاولى [illegible] والذين يبتغون [illegible] فكاتبوهم [illegible]
وذلك ان [illegible] الشرط المسالة الثانية الكتاب والكتابة [illegible] الكتابة
وجوه احدها ان اصل الكلمة من الكتب [illegible] ومنه الكتيبة [illegible] النجوم [illegible]
[illegible] ما يوجد من الكتابة [illegible] لك على نفسي ان
[illegible] الكتابة [illegible] على نفسي ان [illegible] لك [illegible]
وهذا من [illegible] الاجيل [illegible] عليه لانه لا يجوز [illegible] على مال
[illegible] ولا يجوز
لهذا المعنى [illegible] الكتاب [illegible] على من
[illegible] كتاب [illegible] المعنى [illegible] تعالى [illegible]
المسالة الثالثة [illegible] النجوم
وما يؤدي [illegible] العبد [illegible] هذا العقد
[illegible] الشافعي [illegible] ابي حنيفة ومالك

وكملك

الكتابة

[illegible]

وابو محمد ونفى لحاجته الى ذلك محتج ابي حنيفة بقوله تعالى فكاتبوهم خال عن هذا الشرط فمن ذهب الى منع الكتابة
بدون هذا الشرط واذا صحت الكتابة وجب ان يعتق بالاداء للاجماع حجة الشافعي ان الكتابة ليست عقد معاوضة محضة
لان ما في يد العبد هو ملك السيد ولان ما اكتسبه ملكه بل ردّه كانت كتابته في الصورة بعتق من لفظ التعليق
او بينه البحث الثاني ولا تجوز الكتابة الحالة عند الشافعي وتجوز عند ابي حنيفة وجه قول الشافعي ان العبد
لا يتصور له ملك يؤديه في الحال فلذا عقد حالا توجهت المطالبة عليه في الحال فاذا عجز عن الاداء لم يحصل مقصود
العقد كالسلم في شيء لا يوجد عند المحل حجة ابي حنيفة ان الكتابة تخالف السلم الى ... لانه يتصور ان يكون له ملك
في الباطن فالعجز لا يتحقق على الكتابة وجه قول ابي حنيفة ان قوله تعالى فكاتبوهم مطلقة متناول الكتابة
الحالة والمؤجلة وايضا لما كانت مال الكتابة بدلا عن الرقبة كان بمنزلة اثمان السلع المبيعة يجوز عاجلا وايضا
اجمعوا على ان قول العتق معلق على مال حال يوجب ان يكون الكتابة مثله لانه بدل عن العتق فلما كانت الالات في اصلها
العتق معلق على شرط الاداء وفي الكتابة مجمل في حالة الاطلاق حكمهما البحث الثالث قال الشافعي لا تكون الكتابة
على اقل من نجمين ويدلك على ذلك ما روي عن عثمان انه غضب على عبد فقال لاضيقن عليك
ولاكاتبنك على نجمين ولو جاز على اقل من ذلك لكاتبه على اقل لان العبء فيه اشد وانما شرطنا التنجيم لانه
عقد ارفاق ومن شيمة الارفاق التنجيم ليتيسر عليهم الاداء وقال ابو حنيفة تجوز الكتابة على نجم واحد
لان ظاهر قوله فكاتبوهم ليس فيه تقييد المسألة الرابعة تجوز كتابة المملوك عبدا كان او امة وشرط عند
الشافعي ان يكون بالغا عاقلا فان كان صبيا او مجنونا لا تصح كتابته لان الله تعالى قال والذين يبتغون الكتاب واعتبر ابتغاء
من الصبي والمجنون وعند ابي حنيفة تجوز كتابة الصبي ويقبل عنه المولى المسألة الخامسة شرط ان يكون مكلفا
مطلقا فان كان سفيها محجورا او محجورا عليه بالسفه لا تصح كتابته كما لا تصح بيعه لان قوله فكاتبوهم خطاب للملاك
عن العاقل وعند ابي حنيفة تصح كتابة المولى المسألة السادسة اختلف العلماء في ان قوله فكاتبوهم امر ايجاب او امر
استحباب فقال الظاهرية هو امر ايجاب يجب على الرجل ان يكاتب مملوكه اذا سأله ذلك بقيمته او اكثر اذا علم فيه
خيرا ولو كان في ثمنه لم يلزمه وهذا قول عمرو بن دينار وعطاء واليه ذهب داود بن علي ومحمد بن جرير
واحتجوا عليه بالاية وقالوا ظاهر الاية يقتضي انه لقوله فكاتبوهم امر وهو للايجاب ويدل عليه ايضا سبب
نزول الاية فانها نزلت في غلام لحويطب بن عبد العزى يقال له صبيح سال مولاه ان يكاتبه فابى عليه
فنزلت الاية فكاتبه على مائة دينار ووهب له منها عشرين دينارا واحتجوا ايضا بما روي ان عمر امر انسا
ان يكاتب سيرين ابا محمد بن سيرين فابى فرفع عليه الدرة وضربه وقال فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا
وحلف عليه ليكاتبنه ولو لم يكن ذلك واجبا لما ضربه بالدرة ظلما وما انكر على عمر احد من الصحابة
فجرى ذلك مجرى الاجماع وقال اكثر الفقهاء انه امر استحباب وهو ظاهر قول ابن عباس والحسن
والشعبي واليه ذهب مالك وابو حنيفة والشافعي والثوري واحتجوا عليه بقوله عليه السلام
لا يحل مال امرئ مسلم الا بطيبة من نفسه وانه لا فرق بين ان يطلب الكتابة او يطلب بيعه ممن يعتقه في الكفارة
فكما لا يجب ذلك فكذلك الكتابة وهذه طريقة المعاوضات اجمع وهاهنا سؤالات الاول كيف يصح ان يبيع ماله بماله
قلنا اذا ورد الشرع به يجب ان يكون كما اذا علق عتقه على مال يكسبه فيؤديه او يؤدى عنه صار سببا للعتق
السؤال الثاني على ان يعتق العبد بعقد الكتابة لما ملكه لولا الكتابة قلنا ثم لانه لو دفع اليه الزكاة
لم يحل له ان يأخذه واذا صار مكاتبا حل له سهم الرقاب ... اذا عجز فقال الرق ويستفيد ايضا ان الكتابة
تبعثه على الجد والاجتهاد في الكسب ولولا ذلك لم يكن ليفعل ذلك ويستفيد المولى الثواب لانه اذا باعه فلا ثواب
واذا كاتبه فعتقه ثواب ويستفيد ايضا الولاء لانه لو عتق من قبل غيره لم يكن له ولاء واذا عتق بالكتابة فالولاء
له فورد الشرع بقول الكتابة لما ذكرناه من الفوائد اما قوله ان علمتم فيهم خيرا فقد ذكروا في الخير وجوها احدها

ما روي

86

ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان علمتم فيهم حرفة فلا تدعوهم كلا على الناس والثاني انه المال وكذلك العطاء الخير المال ونقل كتب عليكم
اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا اي ترك مالا وهو قول ... وذلك عن ابن عباس والثالث عن ابن سيرين ما
اذا صلى وقال النخعي وفاء وصدقا وقال الحسن صلاحا في الدين والرابع قال الشافعي اراد بالخير الامانة والقوة
على الكسب لان مقصود الكتابة لا يحصل الا بهما فانه ينبغي ان يكون كسوبا يحصل المال ويكون امينا يصرفه في نجومه ولا
يضيعه فاذا فقد الشرطان او احدهما لا نستحب ان يكاتبه والاقرب انه لا يجوز حمله على المال لوجهين الاول ان المفهوم
من كلام الناس اذا قالوا فلان فيه خير انما يريدون به الصلاح في الدين ولو اراد المال لقال ان علمتم لهم خيرا
لانه انما يقال لفلان مال ولا يقال فيه مال الثاني ان العبد لا مال له بل المال لسيده فكيف يحمل على ما ينفق على كتابته تنبيه
بالتمام ومعنى الذي ذكره الشافعي هو ان يمكن من الكسب والحفظ لان كل ذلك مما يعين على كتابته بالتمام وقد دخل فيه تفسير
النبي عليه السلام للخير بانه عليه السلام فسره بالكسب ودخل في تفسير الشافعي واما قوله واتوهم من مال الله الذي اتاكم ففيه
مسائل المسألة الاولى اختلفوا في المخاطب بقوله واتوهم على وجوه احدها انه هو المولى يحط عنه جزءا من مال
الكتابة او يدفع اليه جزءا مما اخذ منه وهو قول اصحابنا ثم اختلفوا في قدره فمنهم من جعل الخيار اليه ومنهم من قال يحط ثلث او ربع
فنهاه ... وذلك يختلف بكثرة المال وقلته ومنهم من قال يحط ربع المال وروى عطاء بن السائب عن عبد الرحمن
انه كاتب غلاما له فترك له ربع كتابته وقال ان عليا كان يامر بذلك ويقول هو قول الله تعالى واتوهم من
مال الله الذي اتاكم فان لم يفعل فالسبع لما روي عن ابن عمر انه كاتب عبدا له بخمسة وثلاثين الفا ووضع عنه
خمسة الاف وروي ان عمر كاتب عبدا فجاءه بنجمه فقال اذهب فاستعن على اداء الكتابة فقال المكاتب
لو تركته الى اخر نجم فقال اني اخاف ان لا ادرك ذلك ثم قرأ هذه الاية وكان ابن عمر يؤخر الى اخر النجوم مخافة
ان يعجز والثاني المراد واتوهم سهمهم الذي جعل الله لهم من الصدقات في قوله وفي الرقاب وعلى هذا الخطاب
لغير السادة وهو قول الحسن والنخعي ورواية عطاء عن ابن عباس واجمعوا انه لا يجوز للسيد ان يدفع صدقته
المفروضة الى مكاتبه نفسه والثالث انه ندب من الله للسادة والناس ان يعينوا المكاتب على كتابته بما يمكنهم
وهذا قول الكلبي وعكرمة ومقاتل والنخعي وقال عليه السلام من اعان مكاتبا في فك رقبته اظله الله في ظل عرشه
وروي ان رجلا قال للنبي عليه السلام علمني عملا يدخلني الجنة فقال ... اليسا واحدا فقال لا عتق النسمة ان تنفرد
بعتقها وفك الرقبة ان تعين في ثمنها ويؤكد هذا القول وجوه احدها انه امر باعطاء شيء من مال الله والحق عليه
مثله المراد به ... كان سبيله الصدقة وصرفه في وجوه القرب وثانيها ان قوله من مال الله الذي اتاكم هو الذي
قد صح ملكه للمالك وامر باخراج بعضه ومال الكتابة ليس بدين صحيح لانه على عبده والمولى ... على عبده دين
صحيح وثالثها ان ما اتاه الله فهو الذي حصل في يده وتمكن من التصرف فيه وما اسقط عنه من العتق لم يحصل له عليه ملك
فلا يسمى الصفة بانه من مال الله الذي اتاكم اتاه فان قيل هاهنا دليل يمنع من صحة هذا التأويل وهو انه كيف
يبيع مولاه اذا كان غنيا انما خصه بالصدقة الثاني ان قوله واتوهم معطوف على قوله فكاتبوهم فيجب ان يكون
المخاطب بالاية في الموضعين واحدا وعلى هذا التاويل يكون المخاطب في الاية الاولى السادات وفي الثانية سائر
المسلمين اما الاول فان تلك الصدقة تحل لمولاه ولذلك اذا دفع الصدقة بجميع المال وعجز عن اداء الباقي كان
للمولى ما اخذه لانه لم يأخذه بسبب الصدقة ولكن بسبب عقد الكتابة كمن اشترى الصدقة من الفقير او ورثها منه و
منه قوله عليه السلام في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية واما الجواب عن الثاني فانه قد يصح الخطاب لقوم ثم يعطف
عليه بمثل لفظه خطابا لغيرهم كقوله تعالى واذا طلقتم النساء فالخطاب للازواج ثم خاطب الاولياء بقوله فلا تعضلوهن
وقوله ... موعظة والعالمون ... كذا هاهنا ... فكاتبوهم وقال لغيرهم واتوهم
اما قال الشافعي والفقهاء المسألة الثانية قال الشافعي يجب على المولى ايتاء المكاتب وهو ان يحط عنه جزءا من مال الكتابة
او يدفع اليه جزءا مما اخذ منه وقال مالك وابو حنيفة واصحابه انه مندوب اليه لكنه غير واجب حجة الشافعي ظاهر قوله

واتوهم من مال الله الذي اتاكم والامر للوجوب فقيل عليه ان قوله فكاتبوهم وقوله آتوهم امران وردا في صورة واحدة
فلم جعلت الاول ندبا والثاني ايجابا فقد ثبت ان قوله واتوهم ليس خطابا مع الموالي بل مع عامة المسلمين حجة
بنحو السنة والقياس اما السنة فما روي عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده انه عليه السلام قال ايما عبد كاتب على
مائة اوقية فاداها الا عشر اواق فهو عبد ولو كان الحط واجبا لسقط عنه بقدره وعن عروة عن عائشة
قالت جاءتني بريرة وقالت اني كاتبت اهلي على تسع اواق في كل عام اوقية فاعينيني ولم تكن قضت
من كتابتها شيئا فقالت عائشة ارجعي الى اهلك فان احبوا ان اعطيهم ذلك جميعا ويكون ولاؤك لي فعلت
فابوا فذكرت ذلك لرسول الله فقال اشتريها واعتقيها فانما الولاء لمن اعتق ووجه الاستدلال
انها ما قضت من كتابتها شيئا وارادت عائشة ان تؤدي عنها كتابتها بالكلية وذكرته لرسول الله ولم ينكر
رسول الله النكير عليها ولم يقل انها تستحق ان يحط عنها بعض كتابتها فثبت قولنا واما القياس فلو
وجب له لو كان الايتاء واجبا لكان وجوبه متعلقا بالعقد فيكون العقد موجبا له ومسقطا له وذلك
محال لتنافي الاسقاط والايجاب الثاني لو كان الحط واجبا لما احتاج الى ان يضع عنه بل كان يسقط
القدر المستحق كمن له على انسان دين ثم حصل لذلك له اخر على الاول مثله فانه يصير قصاصا ولو كان
كذلك لكانت الكتابة ايتاء اما ان يكون معلوما او مجهولا فان كان معلوما وجب ان يكون الكتابة بالف يعتق
اذا ادى تسعمائة لان الايتاء لا يكون الا بعد ادائه جميعها مشروطا بالعتق باداء بعضها وهو خلاف السلم
والكتابة بالف ... وذلك باطل لان ادى جميعها ... وان كان مجهولا لان الباقي بعد الحط مجهول فيه نظر
مال المكاتب عبد ما بقي عليه درهم وان كان مجهولا صارت الكتابة مجهولة لان الباقي بعد الحط مجهول
لمن له من كاتب عبده على الف درهم الا شيئا وذلك غير جائز الحكم العاشر الاكراه على الزنا

قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا
ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم اعلم انه تعالى لما بين ما يلزم من تزويج العبيد
والاماء وكتابتهم اتبع ذلك المنع من اكراه الاماء على الفجور وها هنا مسائل المسئلة الاولى اختلفوا
في سبب نزولها على وجوه احدها كان لعبد الله بن ابي المنافق ست جوار معاذة ومسيكة واميمة
وعمرة واروى وقتيلة يكرههن على البغاء وضرب عليهن ضرائب فشكت ثنتان الى رسول الله فنزلت الاية وثانيها
ان عبد الله بن ابي اسر رجلا فاراد الاسير جارية عبد الله وكانت الجارية مسلمة فامتنعت الجارية
لاسلامها واكرهها ابن ابي على ذلك رجاء ان تحمل من الاسير فيطلب فداء ولده فنزلت وثالثها روى ابو صالح
عن ابن عباس جاء عبد الله بن ابي الى رسول الله ومعه جارية من اجمل النساء تسمى معاذة وقال
يا رسول الله هذه لايتام فلان افلا نامرها بالزنا فيصيبون من منافعها فقال عليه السلام لا فاعاد الكلام
فنزلت الاية ورابعها جاءت جارية لبعض الناس فقالت ان سيدي يكرهني على البغاء
فنزلت الاية المسئلة الثانية الاكراه انما يحصل متى حصل التخويف بما يقتضي تلف النفس فاما باليسير
من الخوف فلا تصير مكرهة فحال الاكراه على الزنا كحاله في الاكراه على كلمة الكفر المسئلة الثالثة الوصول للمهر ...
ثم قال تعالى فتياتكم فالفتى والفتاة في اللغة ... فهذا الملك لما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات
وفي الحديث ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي المسئلة الرابعة البغاء الزنا يقال
بغت تبغي بغاء فهي بغي المسئلة الخامسة الذي نقول به ان المعلق بكلمة ان على الشيء عدم عند عدم
ذلك الشيء والدليل عليه اتفاق اهل اللغة ان كلمة ان للشرط واتفاقهم على ان الشرط ما يلزم الحكم عند انتفائه
ويجيء هاهنا عدمه المعلقين بوجهين الحكم بان المعلق بكلمة ان على الشيء عدم عند عدم ذلك الشيء
واجاب المخالف بانه لا يلزم من ... علق النهي عن الاكراه على البغاء على ارادة التحصن بكلمة ان فلو كان
الامر كذلك لزم ان لا يكون النهي عن الاكراه على الزنا اذا لم توجد ارادة التحصن وذلك باطل فانه سواء وجد

اراد

اراد التحصن او لم توجد فان المنع من الاكراه على الزنا حاصل والجواب انه لا نزاع ان ظاهر الاية يقتضي جواز الاكراه على الزنا
عند عدم ارادة التحصن ولكنه فسد ذلك لامتناع في نفسه لانه متى لم توجد ارادة التحصن في حقها لم يكن كارهة
للزنا وحال كونها غير كارهة للزنا يمتنع اكراهها على الزنا فامتنع ذلك لامتناعه في نفسه وذكر الفقهاء من ذكر
فيه جوابا آخر وهو ان غالب الحال ان الاكراه لا يحصل الا عند ارادة التحصن والكلام الوارد على سبيل الغالب لا يكون
له مفهوم الخطاب كما ان الخلع يجوز في غير حالة الشقاق ولكن لما كان الغالب وقوع الخلع في حالة الشقاق
لا جرم لم يكن لقوله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به مفهوم ومن هذا القبيل قوله واذا
ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم والقصر لا يختص بحال الخوف ولكنه اجراه على سبيل
الغالب وكذا قوله في الجوارح المكلبة ومعناه اذا اردن تحصنا لان القصة التي وردت الاية فيها كانت كذلك
على ما روينا ان جارية عبد الله بن ابي اسلمت وامتنعت عليه طلبا للعفاف فاكرهها فنزلت الاية موافقة لذلك
تخصيصا لها بالذكر والا فلكم في ذلك تحريما مطلقا على عبيدنا المسئلة السادسة انه تعالى لما منع من اكراههن على
الزنا منه ايدل على ان لهم اكراههن على النكاح فليس لها ان تمتنع على السيد اذا زوجها بل له ان يكرهها على ذلك
ولهذه الدلالة ولدليل الخطاب اما قوله ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا يعني كسبهن
واولادهن اما قوله ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم واعلم انه ليس في الاية

بيان ان المغفرة للمكره او للمكرهة لا جرم ذكروا فيه وجهين احدهما فان الله غفور رحيم بالمكرهة

لان الاكراه ازال الاثم والعقوبة لان الاكراه عذر للمكرهة اما المكره فلا عذر له فيما فعل الثاني
المراد فان الله غفور رحيم بالمكره بشرط التوبة وهذا ضعيف لان على التفسير الاول لا حاجة الى هذا الاضمار
وعلى الثاني نحتاج اليه **قوله تعالى** ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا
من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين اعلم انه سبحانه وتعالى لما ذكر في هذه السورة هذه الاحكام
وصف القرآن بصفات ثلاث احدها قوله ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات اي مفصلات وقرئ
بالكسر اي بينات في انفسها او مبينة للاحكام على معنى انها تبين للناس كما قال بلسان عربي مبين او لكونها تبين
معنى مبينة ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين وثانيها قوله ومثلا من الذين خلوا من قبلكم ومثلا من امثال
من قبلكم اي قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم يعني قصة عائشة رضي الله عنها فان قصتها تشبه قصتهما
والمثل في قوله ومثلا اي شبها من حالهم بحالكم في تكذيب الرسل يعني بينا لكم ما احللنا بهم من العقاب
لتمردهم على الله فجعلنا ذلك مثلا لكم لتعلموا انكم اذا شاركتموهم في المعصية كنتم مثلهم في استحقاق
العذاب وثالثها قوله وموعظة للمتقين والمراد به الوعيد والتحذير من فعل المعاصي

واما تخصيص المتقين فانه موعظة للكل لكنه تعالى خص المتقين بالذكر للعلة التي ذكرناها في قوله هدى للمتقين وهاهنا
آخر الكلام في الاحكام **النوع الثاني** الالهيات اعلم انه تعالى ذكر مثلين احدهما في بيان
ان دلائل الايمان في غاية الظهور والثاني في بيان ان ديانات الكفار في غاية الظلمة والخفاء اما المثل الاول فهو
قوله تعالى الله نور السموات
والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة
زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب
الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم اعلم ان الكلام في هذه الاية مرتب على فصول الفصل الاول
في اطلاق اسم النور على الله سبحانه وتعالى اعلم ان لفظ النور موضوع في اللغة لهذه الكيفية الفائضة من الشمس
والقمر والنار على الارض والجدران وغيرهما وهذه الكيفية يستحيل ان يكون الاله لوجوه احدها ان هذه الكيفية
لو كانت عبارة عن الجسم كان الدليل الدال على حدوث الجسم دالا على حدوثها ولو كانت عرضا فهي تستحق الجسم

لزم حدوث جميع الاعراض العامة ولكن هذه المقدمة انما تثبت بعد قيام الدلالة على ان الحلول على الله محال وثانيها انا سنقيم الدلالة
على ان النور جسم او هو حال في الجسم فهو منقسم لانه ان كان جسما فلا شك في انه منقسم وان كان حالا فيه فالحال في المنقسم
منقسم وعلى التقديرين فالنور منقسم وكل منقسم فانه يفتقر في تحققه الى تحقق اجزائه وكل واحد من اجزائه غيره وكل
مفتقر فهو في تحققه مفتقر الى غيره والمفتقر الى الغير ممكن لذاته محدث لغيره فالنور محدث فلا يكون الها وثالثها
ان هذا النور المحسوس لو كان هو الله لوجب ان لا يزول هذا النور لامتناع الزوال على الله تعالى ورابعها ان هذا النور
المحسوس يتبع بطلوع الشمس والكواكب وذلك على الله محال وخامسها ان هذه الانوار لو كانت ازلية لكانت اما ان تكون
متحركة او ساكنة لا جائز ان تكون متحركة لان الحركة معناها الانتقال من مكان الى مكان فالحركة مسبوقة بالحصول في المكان
الاول والازلي لا يكون مسبوقا بالغير فالحركة الازلية محال ولا جائز ان تكون ساكنة لان السكون لو كان ازليا لكان
ممتنع الزوال لكن السكون ممكن الزوال لانا نرى الانوار تنتقل من مكان الى مكان وذلك يدل على حدوث الانوار وسادسها
ان النور اما ان يكون جسما او كيفية قائمة بالجسم والاول محال لانا قد نعقل الجسم جسما مع الذهول عن كونه نيرا
وايضا الجسم قد يستنير بعد ان كان مظلما فثبت المغايرة والثاني لكن الكيفية القائمة بالجسم محتاجة الى الجسم والمحتاج
الى الغير لا يكون الها ومجموع هذه الدلائل يبطل قول المانوية الذين يعتقدون ان الاله سبحانه هو النور
الاعظم واما المجسمة المعترفون بصحة القران فيحتج على فساد قولهم بوجوه اولها قوله تعالى ليس كمثله
شيء ولو كان نورا لبطل ذلك لان الانوار كلها متماثلة الثاني ان قوله تعالى مثل نوره صريح في ان ذاته ليس
نفس النور بل النور مضاف فكذلك قوله يهدي الله لنوره من يشاء فان قيل قوله الله نور السموات يقتضي
ظاهره انه في ذاته نور وقوله مثل نوره يقتضي انه في ذاته ليس بنور وبينهما تناقض قلنا نظير هذه الاية
قولك زيد كرم وجود ثم تقول نعش الناس بكرمه وجوده وعلى هذا الطريق لا تناقض الثالث قوله
وجعل الظلمات والنور وذلك صريح في ان ماهية النور مجعولة لله تعالى فيستحيل ان يكون
سبحانه نورا فثبت انه لا بد من التاويل وللعلماء فيه وجوه احدها ان النور سبب للظهور والهداية
لما شاركت النور في هذا المعنى صح اطلاق اسم النور على الهداية وهو كقوله الله ولي
الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وقوله او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا وقال ولكن جعلناه
نورا نهدي به من نشاء من عبادنا فقوله الله نور السموات اي ذو نور السموات والنور هو الهداية ولا
تحصل الا لاهل السموات فالحاصل ان المراد والله هادي اهل السموات والارض وهو قول ابن عباس والاكثرين
وثانيها المراد انه مدبر السموات بحكمة بالغة كما يوصف الرئيس العالم بانه نور البلد فانه اذا كان مدبرهم
تدبيرا حسنا فهو لهم كالنور الذي يهتدى به الى مسالك الطرق قال جرير وانت لنا نور وغيث وعصمة
وهذا اختيار الاصم والزجاج وثالثها المراد ناظم السموات والارض على الترتيب الاحسن فانه قد يعبر بالنور
عن النظام يقال ما ارى لهذا الامر نورا ورابعها معناه منور السموات والارض ثم ذكروا في هذا القول ثلاثة
اوجه احدها انه نور السماء بالملائكة والارض بالانبياء والثاني نورها بالشمس والقمر والكواكب والثالث
انه زين السماء بالشمس والقمر والكواكب وزين الارض بالانبياء والعلماء وهو مروي عن ابي بن كعب والحسن وابي
العالية والاقرب هو القول الاول لان قوله في اخر الاية يهدي الله لنوره من يشاء يدل على ان المراد بالنور الهداية
الى العلم والعمل واعلم ان الشيخ الغزالي رحمه الله صنف في تفسير هذه الاية الكتاب المسمى بمشكاة الانوار
وزعم ان الله نور في الحقيقة بل ليس النور الا هو وانا انقل محصل ما ذكره مع زوائد كثيرة تقوي
كلامه ثم ننظر في صحته وفساده قال اعلم ان اسم النور وضع للكيفية الفائضة من الشمس
والقمر والنار على ظواهر هذه الاجسام الكثيفة فيقال استنارت الارض ووقع نور الشمس على الثوب ونور
السراج على الحائط ومعلوم ان هذه الكيفية انما اختصت بالفضيلة والشرف لان المرئيات تصير بسببها ظاهرة

متخيلة

متخيلة ثم من المعلوم انه كما تتوقف ادراك هذه المرئيات على كونها مستنيرة فكذا تتوقف على وجود العين الباصرة
اذ المرئيات بعد استنارتها لا تكون ظاهرة في حق العميان فقد ساوى الروح الباصر النور الظاهر في كونه ركنا لا بد منه في الظهور ثم ترجح عليه في ان الروح الباصرة هي المدركة وبها الادراك
واما النور الخارج فليس بمدرك ولا به الادراك بل عنده الادراك فكان وصف الاظهار بالنور الباصر احق منه بالنور
المبصر فلا جرم اطلقوا اسم النور على نور العين المبصرة فقالوا في الخفاش ان نور عينه ضعيف وفي الاعمش انه ضعف
نور بصره وفي الاعمى انه فقد نور بصره اذا ثبت هذا فنقول ان للانسان بصرا وبصيرة فالبصر هو العين الظاهرة المدركة
للاضواء والالوان والبصيرة هي القوة العاقلة وكل واحد من هذين الادراكين يقتضي ظهور المدرك فهو نور الا ان نور العين معيوب بعيوب لا يحصل شيء منها في
نور العقل فلنذكر بعض تلك العيوب وذكرنا سبعة وكيف جعلناها عشرة الاول ان القوة الباصرة لا تدرك نفسها ولا تدرك ادراكها
ولا تدرك آلتها اما انها لا تدرك نفسها ولا ادراكها فلان القوة الباصرة وادراك القوة الباصرة ليسا من الامور المبصرة بالعين
واما آلتها فهي الحدقة فالقوة الباصرة في العين لا تدرك العين فاما القوة العاقلة فانها تدرك نفسها وتدرك ادراكها وتدرك
آلتها في الادراك وهي القلب والدماغ فثبت ان نور العقل اكمل من نور البصر الثاني ان القوة الباصرة لا تدرك الكليات
والقوة العاقلة تدركها ومدرك الكليات اشرف من مدرك الجزئيات اما ان القوة الباصرة لا تدرك الكليات فلان
القوة الباصرة لم تدرك الا ما هو الموجود فيما ادركته الكل لم تكن عبارة عن كل ما يمكن دخوله في الوجود في الماضي والحاضر
والمستقبل واما ان القوة العاقلة تدرك الكليات فلانا نعقل الانسانية المشتركة بين الاشخاص الانسانية ونميزها
عن خصوصياتها وماهية المشاركة غير ماهية الممايزة فالانسانية من حيث هي انسانية امر مغاير لهذه المشخصات
فقد عقلنا الماهية الكلية واما ان ادراك الكليات اشرف فلان ادراك الكليات ممتنع التغير وادراك الجزئيات
واجب التغير لان الماهية تبقى مع تبدل افرادها ولا تنعكس فثبت ان ادراك العقل اشرف الثالث ان الادراك
الحسي جزئي متغير والادراك العقلي كلي غير متغير فوجب ان يكون العقل اشرف وايضا من احتاج في تحصيل امر الى الاحساس
فما لم يحصل احساس اخر لم يحصل له بل لو استعمل آلة الحس مرة اخرى لاحس به مرة اخرى ولكن ذلك لا يكون الا باحساس
احساس كذلك واما ان الادراك العقلي منتج فلانا اذا عقلنا امورا ثم ركبناها في عقلنا توصلنا بتركيبها
الى اكتساب علوم اخرى وهكذا كل تعقل حاصل فانه يمكن التوسل به الى تحصيل تعقل اخر الى غير النهاية فثبت
ان الادراك العقلي اشرف الرابع ان الادراك الحسي لا يتسع للامور الكثيرة والادراك العقلي يتسع لها فوجب ان يكون الادراك
العقلي اشرف اما ان الادراك الحسي لا يتسع لها فلان البصر اذا توالى عليه الوان كثيرة عجز عن تمييزها فادرك لونا
كانه حاصل من اختلاط تلك الالوان والسمع اذا توالت عليه كلمات كثيرة التبست عليه تلك الكلمات ولم يحصل التمييز واما
الادراك العقلي فيتسع لها لان كل من كانت تحصيله العلوم اكثر كانت قدرته على كسب الجديد اسهل فيوجب
الحكم بان الادراك العقلي اشرف الخامس ان القوة الحسية اذا ادركت المحسوسات القوية ثم عقيب ذلك الوقت عجزت عن ادراك
الضعيفة فان من سمع الصوت الشديد في تلك الحالة لا يمكنه ان يسمع الصوت الضعيف والقوة العقلية لا تشغلها
معقول عن معقول السادس ان القوة الحسية تضعف بعد الاربعين وتضعف عند كثرة الاذكار
من وقت استيلاء النفس على البدن الذي هو موضع الالات البدنية بخلاف القوة العقلية فانها تقوى بعد الاربعين وعند كثرة الاذكار
الموجب لخذلان البدن فدل ذلك على استغناء القوة العقلية عن هذه الالات واحتياج القوة الحسية اليها
السابع القوة الباصرة لا تدرك المرئي مع القرب القريب ولا مع البعد البعيد والقوة العقلية لا يختلف حالها
بحسب القرب والبعد فانها ترتقي الى ما فوق العرش وتنزل الى ما تحت الثرى في اقل من لحظة ولحظة بل يدرك ذات
الله وصفاته مع كونه منزهة عن القرب والبعد والجهة فكانت القوة العقلية اشرف الثامن القوة الحسية لا تدرك
من الاشياء الا ظواهرها فاذا ادرك الانسان فانما ادركت السطح الظاهر من جسمه ولا اللون القائم
بذلك السطح واما الانسان فليس الانسان عبارة عن مجرد السطح واللون فالقوة الباصرة عاجزة عن التغلغل في الباطن اما
القوة العاقلة فان ادراكها انما يتعلق بالظاهر والباطن على السوية فانها تدرك البواطن والظواهر وتغوص فيهما في اجزائها

فكانت القوة العاقلة اشرف من القوة الباصرة الثاني ان مدرك القوة العاقلة هو الله سبحانه وجميع افعاله ومدرك
القوة الباصرة هو الالوان والاشكال فوجب ان يكون نسبة شرف القوة العاقلة الى شرف القوة الباصرة كنسبة شرف
ذات الله الى شرف الالوان والاشكال الثالث القوة العاقلة تدرك جميع الموجودات والمعدومات والماهيات التي هي معها
ذات الله الى شرف الالوان والاشكال لانه لولا ان الوجود والعلم بجميعها ولا من سعان وذلك مسبوق لا محالة
الموجودات والمعدومات ولذلك كانت ادراكاتها قد احاط بجميع الامور من جميع الوجوه واما
نتصور معنى الوجود ومعنى العلم مكانه بدن التصور قد احاط بجميع الامور من بعض الوجوه واما
القوة الباصرة فانها تدرك الالوان والاضوا والاولى بها من اختص عوارض الاجسام وهي اجسام اختص من اجزائها المحاذية
فكان متعلق القوة الباصرة اختص الموجودات واما متعلق العاقلة فمن جميع الموجودات والمعدومات فكانت القوة
العاقلة اشرف الحادي عشر القوة العاقلة تقوى على توحيد الكثير وتكثير الواحد والقوة الباصرة لا تقوى على ذلك اما
ان القوة العاقلة تقوى على توحيد الكثير فذلك لانها تضم الجنس الى الفصل فتتحد منهما طبيعة نوعية واحدة
واما انها تقوى على تكثير الواحد فلانها تاخذ الانسان فتميز ماهيته واحدة فتقسمها الى مقوماتها والى عوارضها
اللازمة وعوارضها المفارقة ثم تقسم مقوماته الى الجنس وجنس الجنس والفصل وفصل الفصل وجنس الفصل
وفصل الجنس والى سائر الاجزاء المترتبة الى ان تنتهي الى اجناس وفصول لا يزال يأتي بهذا
التقسيم في كل واحد من هذه الاقسام حتى ينتهي من تلك المركبات الى البسائط الحقيقية ثم تعتبر في العوارض اللازمة
ان تلك العوارض مفردة او مركبة وان لازمة بوسائط او بلا وسائط او بغير وسط فالقوة العاقلة كانها نفذت
في اعماق الماهيات وتغلغلت فيها وميزت كل واحد من اجزائها عن صاحبها وانزلت كل واحد منها في المكان
اللائق بها واما القوة الباصرة فلا تطلع على احوال الماهيات بل انها تدرك الامر واحدا ولا تدري ما هو وكيف هو
فظهر ان القوة العاقلة اشرف الثاني عشر القوة العاقلة تقوى على ادراكات غير متناهية والقوة الحاسة لا تقوى
على ذلك بيان الاول من وجوه الاول القوة العاقلة يمكنها ان تتوسل بالمعارف الحاضرة الى استنتاج المجهولات
ثم انها تجعل تلك النتائج مقدمات في نتائج اخرى لا الى نهاية وقد عرفت ان القوة الحاسة لا تقوى على الاستنتاج اصلا
الثاني ان القوة العاقلة تقوى على تعقل مراتب الاعداد ولا نهاية لها الثالث ان القوة العاقلة يمكنها ان تعقل نفسها
وان تعقل انها عقلت وكذلك الى غير النهاية الرابع النسب والاضافات غير متناهية وهي معقولة للعقل فظهر
ان القوة العاقلة اشرف الثالث عشر الالتذاذ بالقوة العاقلة هو الله سبحانه في ادراك الحواس تفوق الحاسة
تشارك البهائم والنسبة معتبرة فكانت القوة العاقلة اشرف الرابع عشر القوة العاقلة غنية في ادراكها العقل
عن وجود المعقول في الخارج والقوة الحساسة محتاجة في ادراكها الحسي الى وجود المحسوس في الخارج والغني
اشرف من المحتاج الخامس عشر هذه الموجودات الخارجية ممكنة لذواتها وانها محتاجة الى الفاعل والفاعل لا يمكنه
ان يجعلها بسبيل الاتفاق والا لجاز تقدم العلم بان وجود هذه الاشياء في الخارج تابع للادراك العقلي واما
الحاس بها فلا شك انه تابع لوجودها في الخارج فاذا القوة الحاسة تبع لتبع القوة العاقلة السادس عشر
القوة العاقلة غير محتاجة في التعقل الى الالات بدليل ان الانسان لو اختلت حواسه الخمس فانه يعقل
ان الواحد نصف الاثنين وان الاشياء المساوية لشيء واحد متساوية واما القوى الحساسة فانها محتاجة
الى الالات جسمية والغني افضل من المحتاج السابع عشر الادراك البصري يحصل الا للشيء الذي في الجهات ثم انه
غير متصرف في كل الجهات بل يشترط ان يكون المقابل او ما هو في حكم المقابل واحترزنا بقولنا في حكم المقابل عن امور
اربعة الاول العرض فانه ليس مقابلا لانه ليس في الجهات ولكنه في حكم المقابل لاجل كونه قائما بالجسم الذي
هو مقابل الثاني رؤية الوجه في المرآة فان الشعاع يخرج من العين الى المرآة ثم يرتد منها الى الوجه فيصير
الوجه هو من هذا الاعتبار كالمقابل للنفس الثالث رؤية الانسان قفاه اذا جعل احدى المرآتين محاذية
لوجهه والاخرى لقفاه الرابع رؤيته ما لا يقابل بسبب انعطاف الشعاع في الرطوبات كما هو مشروح في كتب المناظر

داما

89

واما القوة العاقلة فانها مبراة عن الجهات فانها تعقل الجهة والجهة ليست في الجهة ولذلك يعقل ان الشيء اما ان
يكون في الجهة واما ان لا يكون في الجهة وهذا الترديد لا يصح الا بعد تعقل معنى قولنا ليس في الجهة الثامن عشر القوة الباصرة
تعجز عند الحجاب اما القوة العاقلة فانه لا يحجبها شيء اصلا فكانت اشرف التاسع عشر القوة العاقلة كالامير
والحساسة كالخدم والامير اشرف من الخادم ولنذكر الامارة والخدمة شهرة العشرين القوة الباصرة قد
تغلط كثيرا فانها تدرك المتحرك ساكنا وبالعكس كالجالس في السفينة فانه قد يدرك السفينة المتحركة ساكنة والشط
الساكن متحركا ولولا العقل لما تميز خطأ البصر عن صوابه فالعقل حاكم والحس محكوم فثبت بما ذكرنا ان الادراك
العقلي اشرف من الادراك البصري وكان الحصول الادراك يقتضي الظهور الذي هو حقيقة النور فكان الادراك
العقلي اولى بكونه نورا من الادراك البصري اذا ثبت هذا فنقول هذه الانوار العقلية انما تحصل واجب الحصول
عند سلامة الاحوال في المعقولات النظرية والثاني ما يكون مكتسبا في المعقولات النظرية اما النظرية
فتستعمل في لوازم جوهر الانسان انه حال الطفولية لم يكن عالما البتة فهذه الانوار انما حصلت بعد ان لم تكن
فلابد لها من سبب واما النظريات فمعلوم ان الفطرة الانسانية قد يعرض لها الزيغ في الاكثر واذا كان كذلك فلابد
من قائد هو سيد ومرشد فوق كلام الله وفوق لرسالة الانبياء تكون منزلته امام التنزيل عند العقل منزلة
نور الشمس عند العين الباصرة لانه به يتم الابصار فبالحري ان يسمى التنزيل نورا كما يسمى نور الشمس نورا
فنور التنزيل يشبه نور الشمس ونور العقل يشبه نور العين وبهذا الطريق يعرف قوله تعالى فامنوا بالله ورسوله
والنور الذي انزلنا وقوله قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا واذا ثبت ان بيان الرسول اقوى
من نور الشمس وجب ان يكون نفسه القدسية اعظم في النورانية من الشمس فكما ان الشمس في عالم الاجسام تفيد
النور لغيرها ولا تستفيد عن غيرها فكذا نفس النبي تستفيد الانوار العقلية لسائر الانفس البشرية
ولا تستفيد النور العقلي من شيء من الانفس البشرية ولذلك وصف الله تعالى الشمس بانها سراج حيث قال
وجعلنا فيها سراجا وقمرا منيرا ووصف محمدا بانه سراج منير واذا عرفت هذا فنقول ثبت بالشواهد العقلية
والنقلية ان الانوار الحاصلة في ارواح الانبياء مقتبسة من الانوار الحاصلة في ارواح الملائكة قال تعالى
ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده وقال نزل به الروح الامين على قلبك وقال قل نزله روح القدس
من ربك بالحق وقال علمه شديد القوى وقال ان هو الا وحي يوحى والوحي لا يكون الا بواسطة الملائكة واذا
حصلنا ارواح الانبياء اعظم استنارة من الشمس وارواح الملائكة التي هي كالمعادن لانوار عقول
الانبياء ابدى كمحل اعظم من الشمس لان المسبب لا يكون اقوى من السبب ثم نقول ثبت بالشواهد
العقلية والنقلية ان الارواح السماوية مختلفة بعضها مستفيدة وبعضها مفيدة قال تعالى في صفة جبريل
مطاع ثم امين فاذا كان هو مطاع الملائكة فالمطيعون لابد وان يكونوا تحت امره وقال وما منا الا له مقام
معلوم واذا ثبت هذا فالمفيد اولى بان يكون نورا من المستفيد للعلة المذكورة فمراتب الانوار في عالم
الارواح مثاله ان ضوء الشمس اذا وصل الى القمر ثم دخل في كوة بيت ووقع على مرآة منصوبة
على حائط ثم انعكس منها الى حائط اخر نصب عليه مرآة اخرى ثم انعكس منها الى الطست مملوء ماء موضوع على
الارض ثم انعكس منه الى سقف البيت فالنور الاعظم في الشمس التي هي المعدن وثانيا في القمر وثالثا ما دخل
الى المرآة الاولى ورابعا ما وصل الى المرآة الثانية وخامسا ما وصل الى الماء وسادسا ما وصل الى السقف وكل
ما كان اقرب الى المنبع الاول فانه اقوى مما هو ابعد منه فكذلك الانوار السماوية لما كانت مرتبة كان
كل مفيد اشد اشراقا من النور المستفيد ثم تلك الانوار لا تزال تكون مترتبة حتى تنتهي الى النور الاعظم
والروح الذي هو اعظم الارواح منزلة عند الله الذي هو المراد من قوله سبحانه يوم يقوم الروح والملائكة صفا
ثم نقول لا شك ان هذه الانوار الحسية سفلية كانت كانوار النيران او علوية كانوار الشمس والقمر والكواكب

انواره

وكذا الانوار العقلية سفلية كانت كالارواح المتعلقة التي للانبياء والاولياء او علوية كالارواح العلوية التي هي الملائكة فانها باسرها
ممكنة لذواتها والممكن لذاته يستحق العدم من ذاته والوجود من غيره والعدم هو الظلمة الحالكة والوجود هو النور فكل ما سوى
الله مظلم لذاته مستنير بانارة الله تعالى فكذا جميع معارفها بعد وجودها حاصل من وجود الله تعالى فالحق سبحانه هو
الذي اظهرها بالوجود بعد ما كانت في ظلمات العدم وافاض عليها انوار المعارف بعد ما كانت في ظلمات الجهالة فلا ظهور لشيء
الا باظهاره وخاصية النور اعطاء الاظهار والتجلي والانكشاف وعند هذا ظهر ان النور المطلق
هو الله سبحانه وان اطلاق النور على غيره مجاز اذ كل ما سوى الله فانه من حيث هو هو ظلمة محضة لانه من حيث انه
عدم محض بل الانوار اذا نظر اليها من حيث هي هي فهي ظلمات لانها من حيث هي هي ممكنات والممكن من حيث هو هو
معدوم والمعدوم مظلم فالنور اذا نظر اليه من حيث هو هو ظلمة فاما اذا التفت اليها من حيث ان الحق سبحانه
افاض عليها نور الوجود بهذا الاعتبار صارت انوارا فثبت انه سبحانه هو النور وان كل ما سواه فليس بنور
وههنا سؤالات الاول انه سبحانه لم اضاف النور الى السموات والارض فالجواب قد عرفت ان السموات والارض
مشحونة بالانوار العقلية والانوار الحسية اما الحسية فما يشاهد في السموات من الكواكب والشمس والقمر وما يشاهد
في الارض من الاشعة المنبسطة على سطوح الاجسام حتى ظهرت به الالوان المختلفة ولولاها لم يكن للالوان ظهور
بل وجود واما الانوار العقلية فالعالم الاعلى مشحون بها وهي جواهر الملائكة والعالم الاسفل مشحون بها وهي
القوى النباتية والحيوانية والانسانية وبالنور الانساني السفلي ظهر نظام العالم الاسفل كما بالنور الملكي
ظهر نظام عالم العلو وهو المعنى بقوله تعالى ليستخلفنهم في الارض وقوله ويجعلكم خلفاء الارض فاذا عرفت
هذا عرفت ان العالم باسره مشحون بالانوار البصرية الظاهرة والعقلية الباطنة ثم عرفت ان السفلية فائضة بعضها
من بعض فيضان النور من السراج وان السراج هو الروح النبوي ثم ان الانوار النبوية القدسية مقتبسة من الارواح
العلوية اقتباس السراج من النور فان العلويات مقتبس بعضها من بعض وان بينها ترتيبا في المقامات ثم ترتقي جملتها
الى نور الانوار ومعدنها ومنبعها الاول وان ذلك هو الله وحده لا شريك له فاذا الكل نوره فلهذا قال الله نور
السموات والارض السؤال الثاني واذا كان سبحانه هو النور فلم احتيج في اثباته الى البرهان اجاب
فالاول معنى كونه نور السموات والارض ثم انه بالنسبة الى النور الظاهر البصري واذا بحثت عن الرسم في ضيائها
فلست تشك في انك ترى الالوان وربما ظننت انك لا ترى مع الالوان غيرها فانك تقول لست ارى مع الحمرة غير
الحمرة الا انك عند غروب الشمس تدرك تفرقة ضرورية بين حالتين حال وقوع الضوء عليه وحال عدم وقوعه عليه فلا جرم
تعرف ان النور معنى غير اللون يدرك مع الالوان الا انه كان لشدة اتحاده لا يدرك ولشدة ظهوره يختفي وقد يكون
الظهور سبب الخفاء اذا عرفت هذا فاعلم انه كما ظهر كل شيء للبصر بالنور الظاهر فقد ظهر كل شيء للبصيرة الباطنة بالله
والله حاصل مع كل شيء لا يفارقه ولكن ههنا تفاوت وهو ان النور الظاهر يتصور ان يغيب بغروب الشمس ويحجب
بحيث يظهر انه غير اللون واما النور الالهي الذي به يظهر كل شيء لا يتصور غيبته بل يستحيل تغيره فيبقى مع الاشياء
دائما فانقطع طريق الاستدلال بالتفرقة ولو تصور غيبته لانهدت السموات والارض ولادرك عند ذلك من التفرقة ما كان
العلم الضروري به ولكن لما تساوت الاشياء كلها على نمط واحد في الشهادة على وحدة خالقها ان كل شيء يسبح بحمده
لا في بعض الاشياء وفي جميع الاوقات ارتفعت التفرقة وخفيت الطرق اذ الطريق الظاهر
معرفة الاشياء بالاضداد فما لا ضد له ولا تغير له تتشابه الاحوال فلا يستبعد ان يخفى ويكون خفاؤه لشدة جلائه فسبحان
من اختفى عن الخلق لشدة ظهوره واحتجب عنهم باشراق نوره واعلم ان هذا الكلام الذي ذكره الشيخ
الغزالي رحمه الله كلام مستطاب ولكن يرجع حاصله بعد التحقيق الى ان معنى كونه سبحانه نورا انه خالق للعالم
وانه خالق للقوى الدراكة ونحن قد بينا ان معنى كونه نور السموات والارض انه هادي اهل السموات والارض
فلا تفاوت بين ما قاله وبين الذي نقلناه عن المعتزلة في المعنى والله اعلم الفصل الثاني في تفسير قوله صلى الله عليه وسلم

ان لله

ان لله تعالى سبعين حجابا من نور وظلمة لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل ما ادركه بصره وفي بعض الروايات سبعمائة وفي
بعضها سبعين الفا فاقول لما ثبت ان الله سبحانه متجل في ذاته لذاته كان الحجاب بالاضافة الى المحجوب لا محالة والمحجوب لا بد
ان يكون محجوبا اما بالحجاب مركب من نور وظلمة واما بالحجاب من نور فقط اما المحجوبون بالظلمة المحضة فهم الذين بلغوا
في الاستغراق بالعلائق البدنية الى حيث لم يلتفتوا الى الله ... فهؤلاء المحجوبون عن وجود واجب
الوجود لذاته وذلك لانك قد عرفت ان ما سوى الله فهو من حيث هو هو مظلم وانما كان مستنيرا من حيث استفاد النور من
حضرة الله تعالى فمن اشتغل بالجسمانيات منهمكا في الشهوات فذلك اشتغال بما لا ... عن الالتفات الى جانب النور فكان حجابه
محض الظلمة ولان انواع الاستغراق بالعلائق البدنية خارجة عن الحد والحصر فكذا انواع الحجب الظلمانية خارجة عن الحد والحصر
القسم الثاني المحجوبون بالحجب الممزوجة من النور والظلمة فاعلم ان من نظر الى هذه المحسوسات فانما يعتقد فيها انها
غنية عن المؤثر او يعتقد فيها انها محتاجة فان اعتقد فيها انها غنية فهذا حجاب ممزوج من نور وظلمة ثم اصناف هذا
القسم كثيرة فان اكثر الناس من يعتقد ان الممكن غني عن المؤثر ومنهم من يسلم ذلك لكنه يقول المؤثر فيها طبايعها وحركاتها
واجرامها واتصالاتها او نسبها الى حركات الافلاك او الى محرك الافلاك وكل هؤلاء من هذا القسم القسم الثالث المحجوبون بالحجب النورانية
المحضة واعلم انه لا سبيل الى معرفة الحق سبحانه الا بواسطة الصفات السلبية والاضافية ولا نهاية لهذه الصفات و
مراتبها فالعبد لا يزال يكون مترقيا فان وصل الى درجة ودنى منها كان استغراقه في مشاهدته بتلك الدرجة حجابا له عن الترقي
الى ما فوقها ولما كانت لا نهاية لهذه الدرجات كان العبد ابدا في السير ولا ... واما الحقيقة المخصوصة فهي محجوبة
عن الكل فقد اشرنا الى كيفية مراتب الحجب فاما ان تعرف انه عليه السلام انما حصرها في سبعين الفا تقريبا او تحديدا فانه لما نابه
لتلقي الحقيقة الفصل الثالث في شرح كيفية التمثيل اعلم انه لا بد في التشبيه من المشبه والمشبه به واختلف الناس
في ان ههنا المشبه اي شيء هو وذكروا وجوها احدها وهو قول جمهور المتكلمين ونقله القاضي ان المراد الهدى الذي هو الايات
والبينات والمعنى ان هداية الله تعالى قد بلغت في الظهور والجلاء الى اقصى الغايات وصارت كمنزلة المشكاة التي تكون فيها زجاجة
صافية وفي الزجاجة مصباح يتقد بزيت بلغ النهاية في الصفاء فان قيل لم شبهه بذلك وقد علمنا ان ضوء الشمس اقوى من ذلك
قلنا انه سبحانه اراد ان يصف الضوء الكامل الذي يلوح وسط الظلمة لان الغالب على اوهام الخلق وخيالاتهم انما هو الشبهات
التي هي كالظلمات وهداية الله تعالى فيما بينها كالضوء الكامل الذي يظهر فيما بين الظلمات فهذا المقصود لا يحصل من ضوء الشمس لان ضوءها
اذا ظهر امتلأ العالم من النور الخالص واذا غاب امتلأ العالم من الظلمة الخالصة فلا جرم كان ذلك المثل ههنا اليق واولى واعلم
ان الضوء الذي عبر بها الله في هذا المثال بما يوجب كمال الضوء وذلك ان المصباح اذا لم يكن في المشكاة تفرقت اشعته اما
اذا وضع في المشكاة اجتمعت اشعته فكانت اشد انارة والذي يحقق ذلك ان المصباح اذا كان في زجاجة
صافية فان الاشعة المنفصلة عن المصباح تنعكس من بعض جوانب الزجاجة الى البعض لما في الزجاجة من الصفاء والشفافية و
بسبب ذلك يزداد الضوء والنور والذي يحقق ذلك ان شعاع الشمس اذا وقع على الزجاجة الصافية تضاعف الضوء
الظاهر حتى انه يظهر فيما يقابله مثل ذلك الضوء فاذا انعكست تلك الاشعة من كل واحد من جوانب الزجاجة الى
الجانب الاخر كثرت الانوار والاضواء وبلغت النهاية الممكنة وثالثها ان ضوء المصباح يختلف بحسب اختلاف ما
يتقد منه فاذا كان ذلك الدهن صافيا خالصا كانت حالته بخلاف حالته اذا كان كدرا وليس في الادهان التي
توقد بها ما يظهر فيه من الصفاء مثل الذي يظهر في الزيت فربما بلغ في الصفاء والرقة مبلغ الماء مع زيادة بياض فيه و
شعاع يتردد في اجزائه ورابعها ان هذا الزيت يختلف بحسب اختلاف شجرته فاذا كانت لا شرقية ولا غربية بمعنى
انها كانت بارزة للشمس في كل حالاتها يكون زيتونه اشد نضجا فكان زيته اكثر صفاء واقرب الى ان يتميز
صفوه من كدره لان زيادة الشمس تؤثر في ذلك فاذا اجتمعت هذه الامور الاربعة وتعاونت صار ذلك الضوء خالصا
كاملا فيصلح ان يجعل مثلا لهداية الله تعالى وثانيها ان المراد من النور في قوله مثل نوره القرآن ويدل عليه قوله تعالى
قد جاءكم من الله نور وهو قول الحسن وسفيان بن عيينة وزيد بن اسلم وثالثها ان المراد هو الرسول لانه المرشد ولانه تعالى

ذكرى وصفه وسراجا منيرا وبقول عطا وهناك القولان داخلان في القول الاول لان من جملة انواع الهداية انزال الكتب
وبعثة الرسل قال تعالى في صفة الكتب وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان وقال
في صفة الرسل رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وثانيها ان المراد منه ما في قلب المؤمنين من
معرفة الله تعالى ومعرفة الشرائع ودليله انه تعالى وصف الايمان بانه نور والكفر بانه ظلمة قال افمن شرح الله صدره
للاسلام فهو على نور من ربه وقال تعالى ليخرج الناس من الظلمات الى النور وحاصله ان حمل الهدى على الاهتدا والمقصود من
التمثيل ان ايمان المؤمن قد بلغ في الصفا عن الشبهات والامتياز عن ظلمات الضلالات مبلغ المذكور وهو قول ابي بن كعب
وابن عباس قال ابي مثل نور المؤمن وهكذا كان يقرا وقيل انه كان يقرا مثل نور من آمن به وقال ابن عباس مثل نوره
في قلب المؤمن وخامسها ما ذكره الشيخ الغزالي وهو انا بينا ان القوى المدركة انوار ومراتب القوى المدركة الانسانية خمس احدها
القوة الحاسة وهي التي تتلقى ما تورده الحواس الخمس وكانها اصل الروح الحيواني واوله اذ به يصير الحيوان حيوانا
وهو موجود للصبي الرضيع وثانيها القوة الخيالية وهي التي تستثبت ما اوردته الحواس وتحفظه مخزونا عندها
لتعرضه على القوة العقلية التي فوقها عند الحاجة اليه وثالثها القوة العقلية المدركة للحقائق الكلية ورابعها القوة الفكرية
وهي التي تاخذ المعارف العقلية فتؤلفها تاليفا تستنتج من تاليفها علما بالمجهول وخامسها القوة القدسية
التي يختص بها الانبيا وبعض الاوليا وتتجلى فيها لوائح الغيب واسرار الملكوت واليه الاشارة بقوله تعالى وكذلك
اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا واذا عرفت
هذه القوى فهي بجملتها انوار اذ بها تظهر اصناف الموجودات ثم ان هذه المراتب الخمس يمكن تشبيهها بالامور
التي ذكرها الله سبحانه وهي المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت اما الروح الحساس فاذا نظرت
الى خاصيته وجدت انواره خارجة من ثقب عدة كالعينين والاذنين والمنخرين فاوفق مثال له من
عالم الاجسام المشكاة واما الثاني وهو الروح الخيالي فنجد له خواص ثلاثا الاولى انه من طينة العالم السفلي
الكثيف لان المتخيل ذو مقدار وشكل وحيز محدود ومن شان العلائق الجسمانية ان تحجب عن الانوار العقلية
المحضة التي هي المعقولات الكلية المجردة والثاني ان هذا الخيال الكثيف اذا صفا ورق صار موازيا
للمعاني العقلية ومؤديا لانوارها وغير حائل عن اشراق نورها ولذلك فان المعبر يستدل بالصور الخيالية
على المعاني العقلية كما يستدل بالشمس على الملك وبالقمر على الوزير ومن يختم فروج الناس وافواههم على انه مؤذن
يؤذن قبل الصبح والثالث ان الخيال في بدايته في غاية الحاجة اليه حتى تنضبط به المعارف العقلية ولا تضطرب فنعم
المثالات الخيالية للمعارف العقلية وانت لا تجد شيئا في الاجسام يشبه الخيال في هذه الصفات الثلاث الا
الزجاجة فانها في الاصل من جوهر كثيف ولكن صفا ورق حتى صار لا يحجب نور المصباح بل يؤديه على وجهه
ثم يحفظه عن الانطفاء بالرياح العاصفة واما الثالث وهو القوة العقلية القوية على ادراك الماهيات
الكلية والمعارف الالهية فلا يخفى عليك وجه تمثيله بالمصباح وقد عرفت هذا حيث عرفت كون الانبيا
سراجا منيرا واما الرابع فهو القوة الفكرية فمن خاصيتها انها تاخذ اصلا واحدا ثم تنشعب منها الى شعبتين
كقولنا الموجود اما واجب واما ممكن ثم يجعل كل قسم من ذلك قسمين وهكذا الى ان تكثر الشعب بالتقسيمات
العقلية ثم تفضي بالآخرة الى نتائج هي ثمراتها ثم تعود فتجعل تلك الثمرات بذورا لامثالها حتى تتمادى الى ثمرات
لا نهاية لها فالحري ان يكون مثاله من هذا العالم الشجرة واذا كانت ثمارها مادة لتزايد انوار المعارف
وثباتها فبالحري ان لا تمثل بشجرة السفرجل والتفاح بل بشجرة الزيتون خاصة لان لب ثمرها هو الزيت الذي هو
مادة المصابيح وله من بين سائر الادهان خاصية زيادة الاشراق وقلة الدخان واذا كانت الماشية التي يكثر
درها ونسلها والشجرة التي يكثر ثمرها تسمى مباركة فالذي لا يتناهى الى حد محدود اولى ان تسمى شجرة مباركة
واذا كانت شعب الافكار العقلية المحضة مجردة عن لواحق الاجسام فبالحري ان لا تكون شرقية ولا غربية

واما

واما الخامس وهي القوة القدسية النبوية فهي في نهاية الشرف والصفا فان القوة الفكرية تنقسم الى ما يحتاج
الى تعليم وتنبيه والى ما لا يحتاج اليه ولا بد من وجود هذا القسم قطعا للتسلسل فبالحري ان يعبر عن هذا القسم لكماله و
صفائه وشدة استعداده بانه يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وهذا المثال موافق لهذا القسم ولما كانت هذه
الانوار مرتبة بعضها على بعض فالحس هو الاول وهو كالمقدمة للخيال والخيال كالمقدمة للعقل فبالحري ان يكون المشكاة
كالظرف للزجاجة التي هي كالظرف للمصباح وسادسها ما ذكره ابو علي بن سينا فانه نزل هذه الالفاظ الخمسة
على مراتب ادراكات النفس الانسانية فقال ان النفس الانسانية قابلة للمعارف الكلية والادراكات المجردة ثم انها هو انبيا
في اول الامر تكون خالية عن جميع المعارف فهناك تسمى عقلا هيولانيا وهي المشكاة وفي المرتبة الثانية
يحصل فيه العلوم البديهية التي يمكن التوصل بها الى اكتساب العلوم النظرية ثم ان امكان الاستدلال ان
كانت ضعيفة فهي الشجرة وان كانت اقوى من ذلك فهي زيت وان كانت شديدة القوة جدا فهي زجاجة التي كانها
كوكب دري وان كانت في نهاية القوة وهي النفس القدسية التي للانبيا فهي التي يكاد زيتها يضيء ولو لم
تمسسه نار وفي المرتبة الثالثة يكتسب من العلوم الفطرية العلوم النظرية الا انها لا تكون حاضرة بالفعل ولكنها
تكون بحيث متى شا صاحبها استحضارها قدر عليه وهذا يسمى   وهي المصباح بالفعل وفي المرتبة الرابعة
ان تكون تلك المعارف الضرورية والنظرية حاضرة بالفعل ويكون صاحبها كانه ينظر اليها وهذا يسمى عقلا مستفادا
وهو نور على نور لان الملكة نور وحصول ما عليه الملكة نور اخر ثم زعم ان هذه العلوم التي تحصل في
الارواح البشرية انما تحصل من جوهر يسمى العقل الفعال وهو مدبر ما تحت كرة القمر وهو النار وسابعها
قول بعض الصوفية وهو انه سبحانه شبه الصدر بالمشكاة والقلب بالزجاجة والمعرفة بالمصباح وهذا
المصباح انما توقد من شجرة مباركة وهي الهامات الملائكة لقوله تعالى ينزل الملائكة بالروح من امره وقوله نزل به
الروح الامين على قلبك وانما شبه الملائكة بالشجرة المباركة لكثرة منافعهم وانما وصفهم بانهم لا شرقية ولا غربية لانها
روحانية دائما ووصفهم بقوله يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار لكثرة علومها وشدة اطلاعها على اسرار ملكوت الله
وظاهرها هنا ان المشبه غير المشبه به وثامنها قال معنى مثل نوره اي مثل الايمان في قلب محمد كمشكاة فيها مصباح
فالمشكاة نظير صلب عبد الله والزجاجة نظير جسد محمد والمصباح نظير الايمان في قلب محمد او نظير النبوة في
قلبه وتاسعها قال قوم المشكاة نظير ابراهيم عليه السلام والمصباح نظير جسد محمد عليه السلام والشجرة النبوة و
الرسالة وعاشرها ان قوله مثل نوره يرجع الى المؤمن وهو قول ابي بن كعب وكان يقراها مثل نور المؤمن وهو
قول سعيد بن جبير والضحاك واعلم ان القول الاول هو المختار لانه تعالى ذكر قبل هذه الآية ولقد انزلنا اليكم
آيات مبينات فاذا كان المراد بقوله مثل نوره اي مثل هداه وبيانه كان ذلك مطابقا لما قبله ولانا لما فسرنا
قوله الله نور السموات بانه هادي اهل السموات فاذا فسرنا قوله مثل نوره بان المراد مثل هداه كان ذلك
مطابقا لما قبله الفصل الرابع في تفسير المباحث اللفظية في هذه الآية المسألة الاولى المشكاة الكوة في الجدار
غير النافذة هذا هو القول المشهور وذكروا فيه وجوها اخر قال ابن عباس وابو موسى الاشعري المشكاة القائم
الذي في وسط القنديل الذي تدخل فيه الفتيلة وهو قول مجاهد والقرظي والثاني قال الزجاج هي هاهنا
قصبة القنديل من الزجاجة التي توضع فيها الفتيلة والثالث قال الضحاك انها الحلقة التي يعلق بها القنديل و
الاول الصحيح المسألة الثانية زعموا ان المشكاة هي الكوة بلغة الحبشة قال الزجاج المشكاة من كلام العرب ومثلها
المشكاة وهي الزق الصغير المسألة الثالثة قال بعضهم هذه الآية من المقلوب مثل نوره كمصباح في مشكاة
لان المشبه به هو الذي يكون معدنا للنور ومنبعا له وذلك هو المصباح لا المشكاة المسألة الرابعة المصباح
السراج واصله من الضوء ومنه الصبح المسألة الخامسة قرئ زجاج الزجاجة بالفتح والضم والكسر قال قتادة درّي
بضم الدال وكسرها وفتحها اما الضم ففيه ثلاثة اوجه الاول ضم الدال وتشديد الياء والراء الى الياء من غير همز وهو
القراءة المعروفة ومعناه انه شبه الدر لصفائه ولمعانه قال عليه السلام انكم لترون اهل الدرجات العلى كما ترون
الكوكب الدري في افق السماء الثاني كذلك الا انه بالمد والهمز وهو قراءة حمزة وعاصم في رواية ابي بكر وقال بعض

اهل العربية الى انه لحن قال سيبويه وهذا اضعف اللغات ويحتمل انه فعول من الضوء والتلألؤ وليس منسوبا الى الدر كذلك
ابو عاصم عن القراءة انه فعيل من الدرء بمعنى الدفع وانه صفة وانه في الصفة مثل المرتقي في الاسم والثالث ضم الدال
وتخفيف الراء والياء من غير مد ولا همز اما الكسر بعده فهات لها اي قرئ بكسر الدال وتشديد الراء والمد والهمز وهي قراءة
ابي عمرو والكسائي قال الفراء هو فعيل من الدرء وهو الدفع كالسكير والفسيق فكان ضوءه يدفع بعضه بعضا من
لمعانه الخامس بكسر الدال وتشديد الراء من غير مد ولا همز عن الحسن ومجاهد وقتادة والسادس بفتح الدال
وتخفيف الراء مهموزا من غير مد رواها عن عاصم السابع كذلك الا انه غير مهموز ... بدل الهمزة
قوله تعالى توقد في القراءة المعروفة توقد بالتحتانية لها اربع مع تشديد القاف ... عن الحسن ومجاهد
وقتادة كذلك الا انه بضم الدال وذكر صاحب الكشاف يوقد بالياء المنقوطة من تحت بنقطتين والواو والقاف
وتشديدها ورفع الدال وحذف التاء لاجتماع حرفين زائدين وهو عنه وعن سعيد بن جبير يوقد مضمومة و
اسكان الواو وفتح القاف المخففة ورفع الدال وعن نافع وحفص كذلك الا انه بالتاء وعن عاصم توقد مضمومة
وفتح الواو وتشديد القاف ونصب الدال وعن ابي عمرو كذلك الا انه بالياء وعن طلحة توقد مضمومة والواو
ساكنة وكسر القاف وتخفيفها المسألة السادسة كانها كوكب دري اي مضيء ودراري النجوم عظامها
واتفقوا على ان المراد به كوكب من الكواكب المضيئة كالزهرة والمشتري والثوابت التي في العظم الاول المسألة
السابعة قوله من شجرة مباركة اي من زيت شجرة مباركة اي كثيرة البركة والنفع وقيل اول شجرة نبتت بعد الطوفان
وبارك فيها سبعون نبيا منهم الخليل وقيل المراد زيتون الشام لانها هي الارض المباركة فلهذا جعل الله هذه الشجرة
مباركة المسألة الثامنة اختلفوا في معنى وصف الشجرة بانها لا شرقية ولا غربية على وجوه احدها قال الحسن
انها شجرة الزيتون من الجنة اذ لو كانت من شجر الدنيا لكانت اما شرقية واما غربية وهذا ضعيف لانه تعالى انما ضرب
المثل بما شاهدوه وهم ما شاهدوا شجر الجنة وثانيها ان المراد شجرة الزيتون في الشام لان الشام وسط الدنيا
فلا يوصف شجرها بانها شرقية او غربية وهذا ايضا ضعيف لان من قال بان الارض كرة لم يثبت المشرق والمغرب موضعين
معينين بل لكل بلد مشرق ومغرب على حدة ولان المثل مضروب لكل من يعرف الزيت وقد يوجد في غير الشام كوجوده
فيه وثالثها انها شجرة ملتف بها الاشجار فلا تصيبها الشمس في شروق ولا غروب ومنهم من قال هي شجرة يلتف بها
ورقها التفافا شديدا فلا تصل الشمس اليها سواء كانت الشمس شرقية او غربية وليس في الشجر ما يورق غصنه من اوله
الى اخره مثل الرمان والزيتون وهذا ايضا ضعيف لان الغرض صفاء الزيت وذلك لا يحصل الا بكمال نضج الزيتون
وذلك انما يحصل في العادة بوصول اثر الشمس اليه لا بعدم وصوله ورابعها قال ابن عباس المراد الشجرة التي
تبرز على جبل عال او صحراء واسعة فتطلع الشمس عليها حالتي الطلوع والغروب وهذا قول ابن عباس وسعيد بن
جبير وقتادة واختيار الفراء والزجاج ولا ومعناه لا شرقية وحدها ولا غربية وحدها ولكنها شرقية و
غربية وهذا كما يقال فلان لا مسافر ولا مقيم اذا كان يسافر ويقيم وهذا هو المختار لان الشجرة متى كانت
كذلك كان زيتها في نهاية الصفاء وحينئذ يكون مقصود التمثيل اتم وخامسها المشكاة صدر محمد والزجاجة
قلب محمد والمصباح ما في قلب محمد من الدين توقد من شجرة مباركة يعني ابراهيم فانه ملة ابيكم ابراهيم والشجرة هي ابراهيم
ثم وصف ابراهيم فقال لا شرقية ولا غربية اي لم يكن يصلي قبل المشرق ولا قبل المغرب كاليهود والنصارى بل كان عليه
السلام يصلي الى الكعبة المسألة التاسعة وصف الله زيتها بانه يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار لان الزيت اذا كان خالصا
صافيا ثم رؤي من بعيد يرى كان له شعاعا فاذا مسته النار ازداد ضوءا على ضوء كذلك يكاد قلب المؤمن يعمل
بالهدى قبل ان ياتيه العلم فاذا جاءه العلم ازداد نورا على نور وهدى على هدى قال يحيى بن سلام قلب المؤمن يعرف
الحق قبل ان يتبين له لموافقته له وهو المراد بقوله عليه السلام اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وقال
كعب الاحبار المراد من الزيتونة محمد عليه السلام اي يكاد نوره يبين للناس قبل ان يتكلم وقال الضحاك يكاد محمد يتكلم

بالحكمة

بالحكمة قبل الوحي وقال عبد الله بن رواحة لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بديهته تنبيك بالخبر المسألة
العاشرة قوله نور على نور فالمراد ترادف هذه الانوار واجتماعها قال ابي بن كعب المؤمن بين اربع خلال ان اعطي شكر
وان ابتلي صبر وان قال صدق وان حكم عدل فهو في سائر الناس كالرجل الحي الذي يمشي بين الاموات يتقلب في خمس
من النور كلامه نور وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره الى النور يوم القيامة قال الربيع سألت ابا
العالية عن مدخله ومخرجه فقال سره وعلانيته المسألة الحادية عشرة قال الجبائي دلت الآية على ان
من جهل ومن قبله اتى والا فالادلة واضحة ولو نظروا فيها لعرفوا قال اصحابنا هذه الآية صريح مذهبنا فانه
سبحانه بعد ان بين هذه الدلائل بلغت في الظهور والوضوح الى هذا الحد الذي لا يمكن الزيادة عليه قال يهدي الله
بانتاج الادلة لنوره من يشاء يعني وضوح هذه الدلائل لا يكفي ولا ينفع ما لم يخلق الله الايمان ولا يمكن ان يكون
المراد من قوله يهدي الله ايضاح الادلة والبيانات لانا لو حملنا النور على ايضاح الادلة لم يجز حمل الهدى عليه ايضا
والا لخرج الكلام عن الفائدة فلم يبق الا حمل الهدى ههنا على خلق العلم اجاب ابو مسلم عنه من وجهين الاول انه
تعالى يهدي لنوره من يشاء محمول على زيادات الالطاف الذي هو كالعلة للتحقيقات الحاصلة للعقلاء الثاني انه
سبحانه يهدي لنوره من يشاء محمول على نور الملك الذي هو طريق الجنة ويشبهه قوله يسعى نورهم بين ايديهم
وبايمانهم بشراكم اليوم وزيفها القاضي عبد الجبار هذين الجوابين لما ذكرنا اول فان الكلام المتقدم هو في
ذكر الآيات المنزلة فاذا حملناه على الالطاف دخل الكلام فيه واذا حملناه على الزيادة لم يدخل الا البعض واذا حمل
على طريق الجنة لم يكن داخلا فيه اصلا الا من حيث المعنى لا من حيث اللفظ ولما زيف هذين الجوابين ذكر بدلا من الى
لم يبال انه تعالى هدى بذلك المعونة والبعض وهم الذين لم يهتدوا حتى التكليف واعلم ان هذا الجواب اضعف
من الجوابين الاولين لان قوله يهدي الله لنوره من يشاء يفهم منه ان هذه الآيات مع وضوحها لا تكفي ... الاستدلال
التبع المحذوف المسألة الثانية عشرة قوله تعالى ويضرب الله الامثال للناس فالمراد للمكلفين من الناس
من النبي ومن بعث اليه وانه سبحانه ذكر ذلك في معرض النعمة العظيمة واستدلت المعتزلة به فقالوا انما
يكون ذلك نعمة عظيمة لو امكنهم الانتفاع به ولو كان الكل بخلق الله لما تمكنوا من الانتفاع به وجوابه بالمعارضة بالعلم
ثم بين انه سبحانه بكل شيء عليم وذلك كالوعيد لمن لا يعتبر ولا يتفكر في امثاله ولا ينظر في ادلته فيعرف وضوحها

قوله تعالى

ويبعدها من الشبهات في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح
له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما
تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب اعلم
ان في الآية مسائل المسألة الاولى قوله تعالى في بيوت يقتضي محذوفا يتعلق به فذكروا فيه وجوها احدها
انه صفة لمشكاة فيها مصباح في بيوت اذن الله وهذا اختيار كثير من المحققين اعترض ابو مسلم بن بحر الاصفهاني
عليه من وجهين الاول ان المقصود من ذكر المصباح المثل وكون المصباح في بيوت اذن الله لا يزيد في هذا المقصود لان
ذلك لا يزيد المصباح انارة واضاءة الثاني انه قد تقدم ذكره فيه وجوه تقتضي كونه واحدا كقوله كمشكاة وقوله
فيها مصباح وقوله في زجاجة وقوله كانها كوكب دري ولفظ البيوت جمع ولا يصح كون هذا الواحد في كل البيوت
والجواب عن الاول ان المصباح الموضوع في الزجاجة الصافية اذا كان في المساجد كان اعظم وافخم فكان اضوأ
فكان التمثيل به اتم واكمل وعن الثاني انه لما كان القصد بالمثل هو الذي له هذا الوصف فيدخل تحته كل
مشكاة فيها مصباح في زجاجة يتوقد من الزيت وتكون الفائدة في ذلك ان ضوءه يظهر في هذه البيوت بالليالي
عند الحاجة الى عبادة الله تعالى فان قيل فما الذي ... رجل يرجع الى هذا وكفاية ومتاع يلزم منه كان
وان ذكر بلفظ الوصل فالمراد النوع فكذا ما ذكره الله سبحانه في هذه الآية فان انها المقدر توقد من شجرة مباركة
في بيوت اذن الله ان ترفع ويجعل المراد بالبيوت هاهنا المساجد ... والبيوت المساجد وقد اخبر الله احبار

الانبيا وذكر اماكنها فسماها محاريب بقوله اذ تسوروا المحراب ودخل عليها زكريا المحراب وقوله لقد انزلنا اليكم
ايات مبينات وانزلنا اقاصيص من بعث قبلكم من الانبيا والمومنين في بيوت اذن الله ان ترفع وخامسها
قول الفرا والزجاج انه للعطف على الاية بدلالة تعلقه [illegible] كانه قال يسبح في بيوت اذن الله ان ترفع رجال صفتهم
كيت وكيت واما قول ابي مسلم فبعيد عن العاقل عليه [illegible] اول الاية قوله ومثلا من الذين خلوا من قبلكم
المراد منه من خلا من المكذبين من الرسل لتعلقه بما تقدم من الاكراه على الزنا ابتغاء للدنيا فلا يليق ذلك بوصف
هذه البيوت بانها بيوت اذن الله ان يذكر فيها اسمه الثاني انه تعلق بما [illegible] عن تلك الاية
ما يحتمل بينهما من قوله تعالى الله نور السموات والارض [illegible] فلا يكون المعبر اليه الا عند الغرض
يحمل [illegible] الذي ذكره الثاني والزجاج لا حاجة اليه فلا يكون المعبر اليه فان قيل على قول الزجاج يتوجه عليه اشكال
[illegible] يسبح له فيها [illegible] فلم جاز ان يحمل
مثل هذه الزيادة اولى من [illegible] فلهذا الزيادة لاجل التاكيد كثيرة فكان المصير اليها اولى المسلة الثانية
اكثر المفسرين قالوا المراد من قوله في بيوت المساجد وعن عكرمة في بيوت قال هي البيوت كلها والاول اولى لوجوه
الاول ان في البيوت ما لا يمكن ان يوصف بان الله اذن ان يرفع الثاني انه تعالى وصفها بالذكر والتسبيح والصلوة وذلك
لا يليق الا بالمساجد ثم القائلون بانها المساجد ذكروا اقوالا احدها ان المراد اربع مساجد الكعبة بناها ابرهيم
واسمعيل عليهما السلم وبيت المقدس بناه داود وسليمان عليهما السلم ومسجد المدينة بناها النبي عليه السلم ومسجد قبا
اسس على التقوى بناه نبي الله صلى الله عليه وسلم وعن الحسن هو بيت المقدس يسرج فيه عشرة الاف قنديل والثاني
ان المراد بها جميع المساجد والاول ضعيف لانه تخصيص بلا دليل والاولى حمل اللفظ على جميع المساجد قال ابن عباس المساجد
بيوت الله في الارض تضي لاهل السما كما تضي النجوم لاهل الارض المسلة الثالثة اختلفوا في المراد من قوله ان ترفع
على قولين احدها ان المراد رفعها بنا كقوله بناها رفع سمكها وقوله واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت وعن
ابن عباس هي المساجد امر الله ان تبنى والثاني ترفع اي تعظم وتطهر عن الانجاس وعن اللغو من الافعال
عن الزجاج قال المراد مجموع الامرين والقول الثاني اولى لان قوله في بيوت اذن الله ان ترفع ظاهره انها كانت
بيوتا قبل الرفع فاذن الله ان ترفع المسلة الرابعة اختلفوا في المراد من قوله ويذكر فيها اسمه فالقول الاول انه
عام في كل ذكر والثاني ان يتلى فيها كتابه عن ابن عباس والثالث لا يتكلم فيها بما لا ينبغي والاول اولى لعموم اللفظ المسلة
الخامسة قرا عاصم وابن عامر يسبح بفتح البا والباقون بكسرها فعلى القراءة الاولى يكون الوقف عند الاصال ثم قال رجال
اي يسبح له فيها رجال ثم قال الزجاج رجال مرفوع بفعل مضمر دل عليه يسبح كانه قيل من يسبح فقيل يسبح له رجال
المسلة السادسة اختلفوا في هذا التسبيح فالاكثرون حملوه على نفس الصلوة ثم اختلفوا فمنهم من حمله على كل الصلوات
الخمس ومنهم من حمله على صلوة الصبح والعصر فقط كانتا واجبتين في ابتدا الحال ثم زيد فيهما ومنهم من حمله على التسبيح الذي هو تنزيه
الله عما لا يليق به في ذاته وفعله واحتج عليه بان الصلوة والزكوة قد عطفهما على ذلك من حيث قال عن ذكر الله
واقام الصلوة وايتا الزكوة وهذا الوجه اظهر المسلة السابعة الاصال جمع اصل والاصل جمع اصيل وهو العشي وانما
وحد الغدو لانه في الاصل مصدر لا يجمع والاصال اسم يجمع [illegible] بالغدو والاصال اي بالغدوات والعشيات ونزلت
والابصار في اول [illegible] قال ابن عباس ان صلوة الضحى لفي كتاب الله تعالى وما
يغوص عليها الا غواص وروى ابو هريرة عن النبي عليه السلم انه قال من غدا او راح الى المسجد يريد ان يتعلم خيرا او يعلمه
عند الله نزل يعد له في الجنة وفي رواية سهل بن سعد مرفوعا من غدا الى المسجد وراح ليتعلم خيرا او يعلمه
كان كمثل المجاهد في سبيل الله رجع غانما المسلة الثامنة اختلفوا في قوله لا تلهيهم تجارة فقال بعضهم نفى
كونهم تجارا وباعة اصلا وقال بعضهم بل اثبتهم تجارا وباعة وبين انهم مع ذلك لا تشغلهم عنها شاغل من
ضروب منافع التجارات وهذا قول الاكثرين قال الحسن اما والله لقد كانوا يتجرون ولكن اذا جاءت فرايض الله لم يلههم

عنها

عنها شي فقاموا بالصلوة والزكوة وعن سالم نظر الى قوم من السوق تركوا بياعاتهم الى الصلوة فقال هم الذين
قال الله لا تلهيهم تجارة وعن ابن مسعود مثله واعلم ان هذا القول اولى لانه لا يقال ان فلانا لا تلهيه التجارة
عن كيت وكيت الا وهو تاجر وان احتمل الوجه الاول وهاهنا سوالات الاول لما قال لا تلهيهم تجارة دخل فيه البيع
فلم اعاد ذكر البيع قلنا الجواب عنه من وجوه الاول ان التجارة جنس يدخل تحته انواع الشرا والبيع الا انه سبحانه
خص البيع بالذكر لانه في الالهاء ادخل لان الربح الحاصل في البيع يقين ناجز والربح الحاصل في الشرا شك و
مستقبل الثاني ان البيع يقتضي تبديل العرض بالنقد والشرا بالعكس والرغبة في تحصيل النقد اكثر من العكس
الثالث قال الفرا التجارة لاهل الجلب يقال تجر فلان في كذا اذا جلبه من غير بلده والبيع ما باعه على يديه السوال
الثاني لم خص الرجال بالذكر والجواب لان النسا ليس من اهل التجارات المسلة التاسعة اختلفوا في المراد بذكر
الله فقال قوم المراد الثنا على الله والدعا وقال اخرون المراد الصلوات فان قيل فما معنى قوله واقام الصلوة قلنا
عنه جوابان احدهما قال ابن عباس المراد باقام الصلوة اقامتها لمواقيتها والثاني بيان انهم لم يتركوا الصلوة تنسيا
لذكر الله ثم بذكر الله فسر الصلوة في الصلوة المسلة العاشرة قد ذكرنا في اول سورة البقرة في قوله ويقيمون
الصلوة ان اقام الصلوة هو القيام بحقها على شرطها والوجه في حذف الها قال الزجاج يقال اقمت الصلوة اقامة وكان
الاصل اقواما ولكن قلبت الواو الفا فاجتمعت الفان فحذفت احداهما لالتقا الساكنين فبقي اقمت الصلوة اقاما
فادخلت الها عوضا من المحذوف وقامت الاضافة هاهنا في التعويض مقام الها المحذوفة قال وهذا اجماع من النحويين
المسلة الحادية عشر اختلفوا فمنهم من حمله على النوافل ومنهم من حمله على ادا الصلوة في اول اوقاتها وعن
ابن عباس والاول اقرب لانه الى المعنى الشرعي اقرب المسلة الثانية عشر في الزكوة ان المراد المفروض لانه المعروف بالشرع المسمى
بذلك وقال ابن عباس المراد من الزكوة طاعة الله والاخلاص وكذا في قوله وكان يامر اهله بالصلوة والزكوة وبقوله
ماذا زكى منكم وبقوله تطهرهم وتزكيهم وهذا ضعيف لما تقدم ولانه تعالى علق الزكوة بالايتا وهذا لا يحتمل الا ما يعطى
من حقوق المال المسلة الثالثة عشر انه سبحانه وان نزههم بانهم لا يشتغلون عن ذكر الله والطاعات فذلك موصوفون
بالوجل والخوف فقال يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار وذلك الخوف انما كان لعلمهم بانهم ما عبدوا الله حق عبادته
واختلفوا في المراد بتقلب القلوب والابصار فالقول الاول ان القلوب تضطرب من الهول والفزع وتشخص الابصار كقوله
واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر الثاني انه تتغير احوالها فتفقه القلوب بعد ان كانت مطبوعا عليها
لا تفقه وتبصر الابصار بعد ان كانت لا تبصر فكانهم انقلبوا من الشك الى اليقين ومن الظن الى المعاينة كقوله وبدا لهم
من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقوله لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك الثالث ان القلوب تتقلب في
ذلك اليوم طمعا في النجاة وحذرا من الهلاك والابصار تتقلب من اي ناحية يوخذ بهم امن ناحية اليمين ام من ناحية الشمال ومن اي
ناحية يوتون كتبهم امن قبل الايمان ام من قبل الشمائل والمعتزلة لا يرضون بهذا التاويل لانهم قالوا ان اهل الثواب لا خوف
عليهم البتة في ذلك اليوم واهل العقاب لا يرجون العفو لكنا بينا فساد هذا المذهب غير مرة الرابع ان القلوب تزول
عن اماكنها فتبلغ الحناجر والابصار تصير زرقا قال الضحاك يحشر الكافر وبصره حديد وتزرق عيناه ثم يعمى و
تتقلب القلوب في الخوف من حيث لا تجد مخلصا حتى تقع في الحنجرة فلا هي تنزل ولا هي تخرج كما ظهر الخامس
قال الجبائي المراد تتقلب القلوب والابصار بتغير هيئاتها بسبب ما ينالها من العذاب فيكون مرة بهيئة ما انضج بالنار ومرة
بهيئة ما احرق قال ويحتمل ان يريد بقوله تتقلب على جمر جهنم وهو معنى قوله تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يومنوا
به اول مرة المسلة الرابعة عشر قوله ليجزيهم الله اي يفعلون هذه القربات ليجزيهم الله وبين انه يجزيهم على احسن ما عملوا وفيه
وجهان الاول المراد بالاحسن الحسنات اجمع وهي الطاعات فرضها ونفلها قال مقاتل انما ذكر الاحسن تنبيها على انه
لا يجازيهم على مساوي اعمالهم بل يغفرها لهم الثاني انه سبحانه يجزيهم جزا احسن ما عملوا على الواحد عشر الى سبعماية
الثالث قال القاضي المراد بذلك ان تكون الطاعات منهم مكفرة لمعاصيهم فانما يجزيهم تعالى باحسن الاعمال وهذا حسن ثم

على مذهبه في الاحباط والموازنة اما قوله ويزيدهم من فضله فالمعنى انه تعالى يجزيهم باحسن الاعمال ثم يتفضل على قدر
استحقاقهم بل يزيدهم من فضله على ما ذكره تعالى في سائر الآيات من التضعيف فان قيل فهذا يدل على ان لفعل الطاعة
اثرا في استحقاق الثواب لانه تعالى ميز الجزاء عن الفضل وانتم لا تقولون بذلك فانه عندكم العبد لا يستحق
على ربه شيئا قلنا نحن نثبت الاستحقاق بالوعد فذاك القدر هو الذي يستحق والزائد عليه هو الفضل ثم قال والله
يرزق من يشاء بغير حساب نبه به على كمال قدرته وكمال جوده ونفاذ مشيئته وسعة احسانه فكانه سبحانه
لما وصفهم بالجد والاجتهاد في الطاعة ومع ذلك يكونون في نهاية الخوف فالحق سبحانه يعطيهم الثواب العظيم على
طاعاتهم ويزيدهم الفضل الذي لا حد له في مقابلة خوفهم **قوله تعالى** والذين كفروا اعمالهم
كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب او
كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم
يجعل الله له نورا فما له من نور اعلم انه سبحانه لما بين حال المؤمن انه في الدنيا يكون في النور وبسببه يكون
متمسكا بالعمل الصالح ثم بين انه في الآخرة يكون فائزا بالنعيم المقيم والثواب العظيم اتبع ذلك بان بين ان الكافر يكون في
الآخرة في اشد الخسران وفي الدنيا في اعظم انواع الظلمات ثم ضرب لكل واحد منهما مثلا اما المثل الدال على خيبته في الآخرة
فهو قوله والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة فالسراب ما يتراءى للعيون وقت الضحى الاكبر في الفلوات
شبيها بالماء الجاري وليس بماء لكن الذي ينظر اليه من بعيد يظنه ماء جاريا يقال سرب الماء يسرب سروبا اذا جرى
فهو سارب واما الآل فهو ما يتراءى للعين في اول النهار فيرى الناظر الصغير كبيرا وظاهر الكلام ان الآل غير السراب
واحد واما القيعة فقال الفراء هو جمع قاع مثل جار وجيرة والقاع المنبسط المستوي من الارض وقال صاحب
الكشاف القيعة بمعنى القاع وقال الزجاج الظمآن يخفف همزه وهو الشديد العطش ثم وجه التشبيه ان
الذي يأتي به الكافر ان كان من افعال البر فهو لا يستحق عليه ثوابا مع انه يعتقد ان له ثوابا عليه وان كان من افعال
الاثم فهو يستحق عليه عقابا مع انه يعتقد انه يستحق عليه ثوابا فكيف كان فهو يعتقد ان له ثوابا عند الله تعالى
فاذا وافى عرصة القيامة ولم يجد الثواب بل وجد العقاب العظيم عظمت حسرته وتناهى غمه فيشبه حاله حال
الظمآن الذي تشتد حاجته الى الماء فاذا شاهد السراب تعلق قلبه به ويرجو به النجاة ويقوى طمعه فاذا جاءه
فاجأه اليأس فيعظم ذلك عليه وهذا المثال في غاية الحسن فكذا هذا السراب عمل الكافر [illegible]
مدته ومفارقته الدنيا فان قيل قوله حتى اذا جاءه يدل على كونه شيئا فالكلام متناقض والجواب انه لم يجده
شيئا نافعا كما يقال فلان ما عمل شيئا وان كان قد اجتهد الثاني حتى اذا جاءه اي جاء موضع السراب لم يجد السراب
شيئا فاكتفى بذكر السراب عن ذكر موضعه الثالث الكناية للسراب لانه ضباب وهباء اذ قرب منه وانتفى آثاره كالهواء
قوله ووجد الله عنده فوفاه حسابه اي وجد عقاب الله الذي توعد الكافر عنده فيغير ما كان فيه من ظن النفع
العظيم الى تيقن الضرر العظيم او وجد زبانية الله عنده ياخذونه فيتلونه الى جهنم فيسقونه الحميم والغساق
وهم الذين قال الله فيهم عاملة ناصبة ويحسبون انهم يحسنون صنعا وقدمنا الى ما عملوا من عمل وقيل نزلت
في عتبة بن ربيعة بن امية كان قد تعبد ولبس المسوح والتمس الدين في الجاهلية ثم كفر في الاسلام اما قوله
والله سريع الحساب فذاك لانه سبحانه عالم بجميع المعلومات فلا يشق عليه الحساب وقال بعض المتكلمين معناه
لا يشغله محاسبة واحد عن آخر كنحن ولو كان يتكلم بآلة كما يقوله المشبهة لما صح ذلك واما المثل الثاني فهو قوله
او كظلمات وفي تعلق او ههنا وجوه احدها ان علم الله تعالى ان اعمال الكفار ان كانت حسنة فمثلها
السراب وان كانت قبيحة فهي الظلمات وثانيها تقدير الكلام ان اعمالهم كسراب بقيعة وذلك في الآخرة
واما كظلمات في بحر وذلك في الدنيا وثالثها ان الآية الاولى في ذكر اعمالهم وانهم لا يحصلون منها على شيء والآية
الثانية في ذكر عقائدهم فانها تشبه الظلمات كما قال يخرجهم من الظلمات الى النور اي من الكفر الى الايمان يدل عليه

نزله

قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور واما البحر اللجي فهو العميق الكثير الماء البعيد القعر
وفي اللجي لغتان كسر اللام وضمها واما تقرير المثل فهو ان البحر اللجي يكون قعره مظلما جدا بسبب
غمورة الماء فاذا ترادفت عليه الامواج ازدادت الظلمة فاذا كان فوق الامواج سحاب بلغت الظلمة
النهاية القصوى فالواقع في قعر هذا البحر اللجي يكون في نهاية شدة الظلمة ولما كانت العادة في اليد من اقرب
ما يراه ومن ابعد ما يخفى انه لا يراها فاخبر تعالى انه لا يكاد يراها فبين سبحانه بهذا بلوغ تلك الظلمة
الى اقصى النهايات ثم شبه الكافر في اعتقاده وهو ضد المؤمن في قوله تعالى نور على نور وفي قوله
يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ولهذا قال ابي بن كعب الكافر يتقلب في خمس من الظلم كلامه وعمله
ومدخله ومخرجه ومصيره الى النار وفي كيفية هذا التشبيه وجوه احدها ان الله تعالى ذكر ثلاثة
انواع من الظلمات ظلمة البحر وظلمة الامواج وظلمة السحاب كذلك الكافر له ظلمات ثلاث ظلمة الاعتقاد
وظلمة القول وظلمة العمل عن الحسن وثانيها شبهوا قلبه وبصره وسمعه بهذه الظلمات الثلاث عن ابن عباس
وثالثها ان الكافر لا يدري ولا يدري انه لا يدري ويعتقد انه يدري فهذه المراتب الثلاث تشبه تلك الظلمات
ورابعها ان هذه الظلمات متراكمة فكذلك الكافر لشدة اصراره على كفره قد تراكمت عليه الضلالات حتى ان اظهر
الدلائل اذا ذكر عنده لا يفهمها وخامسها قلب مظلم في صدر مظلم في جسد مظلم اما قوله ظلمات بعضها فوق بعض
فقرأ ابن كثير سحاب ظلمات بالجر على البدل من قوله او كظلمات وعنه ايضا انه قرأ سحاب
ظلمات كما يقال سحاب رحمة وسحاب عذاب على الاضافة وقرأ الباقون سحاب ظلمات كلاهما بالرفع والتنوين
وتمام الكلام عند قوله سحاب ثم ابتدأ ظلمات اي هذه ظلمات بعضها فوق بعض اما قوله لم يكد يراها
ففيه قولان احدهما ان كاد نفيه اثبات واثباته نفي فقوله لم يكد معناه انه رآها بعد جهد كقوله وما كادوا يفعلون اي فعلوا ولكنه اثبات
في المعنى لانهم فعلوا وكذا قوله عليه السلام كاد الفقر ان يكون كفرا اثبات في اللفظ لكنه نفي في المعنى لانه لم يكفر
فكذا ههنا لم يكد يراها معناه انه رآها والثاني ان كاد معناه المقاربة فقوله لم يكد معناه لم يقارب الوقوع
ومعلوم ان الذي لم يقارب الوقوع لم يقع ايضا وهذا القول هو المختار لان الاول ضعيف لظهور ان [illegible]
اقل من هذه الظلمات فانه لا يرى شيئا فكيف مع هذه الظلمات الثاني ان المقصود من هذا التمثيل المبالغة
في حال الكفار وذلك انما يحصل اذا لم توجد الرؤية البتة مع هذه الظلمات اما قوله ومن لم يجعل الله له نورا فما له
من نور فالمعنى انه سبحانه لما وصف هداية المؤمن بانها في نهاية الجلاء والظهور عقبها بان ذلك
بمشيئة الله تعالى لمن يشاء ولما وصف ضلالة الكافر بانها في نهاية الظلمة عقبها بقوله ومن لم يجعل الله له نورا
فما له من نور والمقصود من ذلك ان يعرف ان ظهور الدلائل لا يفيد الا اذا اراد الله وان شدة ظلمة الطريق لا تمنع [illegible]
فان الكل مربوط بخلق الله وهدايته وتكوينه قال القاضي المراد بقوله ومن لم يجعل الله له نورا في الدنيا
بالالطاف فما له من نور اي لا يهتدي وحمله ومن لم يجعل الله له نورا يوم القيامة مخلصا من الخوف ونورا بالثواب
فما له من نور وهذا الكلام [illegible] **قوله تعالى** الم تر ان الله يسبح له من في السماوات
والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك السماوات والارض والى الله المصير
اعلم انه سبحانه لما وصف انوار قلوب المؤمنين وظلمات قلوب الجاهلين اتبع ذلك بدلائل التوحيد النوع الاول
ما ذكره في هذه الآية ولا شبهة في ان المراد الم تعلم لان التسبيح لا تتناوله الرؤية بالبصر وبيانه العلم بالقلب وهذا
الكلام وان كان ظاهره استفهاما فالمراد التقرير والبيان فانه تعالى قد اعلم من بعظمته ان من في السماوات
يسبح له وكذلك من في الارض ولم يعلم الله الرسول المراد من التسبيح دلالة هذه الاشياء على كونه تعالى منزها عن
النقائص موصوفا بنعوت الجلال والثاني ان يكون المراد منه انها تنطق بالتسبيح وتتكلم به والثالث ان يكون المراد منه
في حق البعض الدلالة على التنزيه وفي حق البعض النطق باللسان والقسم الاول اقرب لان القسم الثاني متعذر لان من في الارض

ممن لا يكون مكلفا لا يسبح بهذا المعنى والمكلفون منهم من لا يسبح أيضا بهذا المعنى كالكفار وأما القسم الثالث
وهو أن يقال إن من في السموات وهم الملائكة يسبحون باللسان وأما الذين في الأرض فمنهم من يسبح باللسان
ومنهم من يسبح على سبيل الدلالة وههنا يلزم استعمال اللفظ الواحد في الحقيقة والمجاز معا وهو غير جائز فلم يبق
إلا القسم الأول وذلك لأن هذه الأشياء مشتركة في أن أجسامها وصفاتها دالة على تنزيه الله سبحانه وعلى قدرته وإلهيته
وتوحيده وعدله فسمي ذلك تسبيحا على وجه التوسع فإن قيل فالتسبيح بهذا المعنى حاصل لجميع المخلوقات فما
وجه تخصيصه ههنا بالعقلاء قلنا لأن خلقة العقلاء أشد دلالة على وجود الصانع سبحانه لأن العجائب
والغرائب في خلقهم أكثر وهي العقل والنطق والفهم أما قوله تعالى والطير صافات فلقائل أن يقول ما وجه
اتصاله هنا بما قبله والجواب أنه سبحانه لما ذكر أن أهل السموات والأرض يسبحون ذكر أن الذين استقروا في الهواء
الذي هو بين السماء والأرض وهو الطير يسبحون أيضا وذلك لأن إعطاء الجرم الثقيل القوة التي بها يقوى على الوقوف في جو
السماء صافة باسطة أجنحتها بما فيها من القبض والبسط من أعظم الدلائل على قدرة الصانع المدبر سبحانه وجعل
طيرانها سجودا له سبحانه وذلك يؤكد ما ذكرنا أن المراد من التسبيح دلالة هذه الأمور على التنزيه لا النطق اللساني نهاية
أما قوله كل قد علم صلاته وتسبيحه ففيه وجوه الأول قيل كل قد علم الله صلاته وتسبيحه فالواو يدل عليه ويبقى قوله والله
عليم بما يفعلون [illegible] وهو اختيار جمهور المتكلمين والثاني يعود الضمير في الصلاة والتسبيح على لفظ كل أي إنهم يعلمون ما يجب عليهم
من الصلاة والتسبيح والثالث أن يكون الراجع على ذكر الله يعني قد علم كل مسبح وكل مصل صلاة الله التي كلفه إياها وعلى
هذين التقديرين فقوله والله عليم استئناف وروي عن أبي ثابت قال كنت جالسا عند أبي جعفر الباقر فقال لي أتدري
ما تقول هذه العصافير عند طلوع الشمس وبعد طلوعها قال لا قال فإنهن يقدسن ربهن ويسألنه قوت يومهن واستبعد المتكلمون
ذلك فقالوا الطير لو كانت عارفة بالله لكانت كالعقلاء الذين يفهمون كلامنا وإشاراتنا لكنها ليست كذلك فإنا نعلم بالضرورة
أنها أشد نقصانا من الصبي الذي لا يعرف هذه الأمور فبأن يمتنع ذلك فيها أولى وإذا ثبت أنها لا تعرف الله سبحانه استحال كونها
مسبحة له بالنطق فثبت أنها لا تسبح الله إلا على ما قدمناه [illegible] قال بعض العلماء إنا نشاهد أن الله سبحانه
ألهم الطيور وسائر الحشرات أعمالا لطيفة يعجز عنها أكثر العقلاء وإذا كان كذلك فلم لا يجوز أن يلهمها معرفته
ودعاءه وتسبيحه بيان أنه سبحانه ألهمها الأعمال اللطيفة وجوه أحدها ما في كيفية اصطياد الذباب
فإنها تستلقي في [illegible] نادرة لا تعلم [illegible] حتى تتمكن [illegible]
[illegible] وما [illegible] لأن [illegible] حتى [illegible] فيمزقه [illegible]
ويصعد [illegible] صعودا [illegible] ثم [illegible] ثم يسقي [illegible]
[illegible] وحكى [illegible] عجيبة [illegible] أمر النحل [illegible] الرياسة
وبناء البيوت المسدسة [illegible] أفاضل المهندسين [illegible] إلى من طرف من أطراف العالم
إلى الطرف الآخر [illegible] ثم كل واحد [illegible] الفرس [illegible] قالمه
وقتا ما والكلام [illegible] المعروف [illegible]
[illegible] والتماسيح [illegible] عليها كالبعوض [illegible] على [illegible] الطير
كالشوك [illegible] الطاير والسلحفاة [illegible]
[illegible] وكل [illegible] العجيب [illegible] الحبارى [illegible]
[illegible] وإنه [illegible] ذلك [illegible] من [illegible]
[illegible] السلفه [illegible] الحباري [illegible] إلى [illegible]
واختفت [illegible] حتى خرجت منه فعلم الشيخ أنه كان [illegible] من [illegible] ذلك
البقلة من الجرجير [illegible] وأما ابن عرس [illegible] في الحية بأكل [illegible] النكهة [illegible]

95

الأفعى والحيات إذا دودت بطونها أكلت سنبل القمح وإذا خرجت [illegible] بعضها بعضا [illegible]
بالصعتر الجبلي [illegible] قبل [illegible] وكان بالقسطنطينية
[illegible] كانت تنذر بالرياح قبل هبوبها وتنفع الناس بإنذاره وكانت [illegible] في داره
[illegible] الخطاف [illegible] جدا في اتخاذ العش من الطين [illegible] من الحيوان
[illegible] حتى [illegible] من الطين [illegible] وإذا [illegible]
وتربيها عن العش وإذا دنا الصياد من مكان الفراخ [illegible] القمحه [illegible] له
[illegible] إلى جانب [illegible] الخنب [illegible] على [illegible]
[illegible] الموضع الذي [illegible] دودا والزنابير [illegible] عند [illegible] عن بعض
[illegible] عن [illegible] وإذا نامت [illegible]
[illegible] الرأس [illegible] وإذا [illegible] صاح [illegible] وقال
[illegible] في هذا الباب
[illegible] والمقصود [illegible] الحيل [illegible] ذلك
[illegible] تعالى [illegible] عليه [illegible]
الناس [illegible] حل جناب [illegible]
أما قوله سبحانه ولله ملك السموات والأرض وإلى الله المصير [illegible] على تمام علم المبدأ والمعاد
[illegible] ولله ملك السموات والأرض تنبيه على أن الكل منه لأن كل ما سواه ممكن محدث والممكن والمحدث لا يوجد إلا
عند الانتهاء إلى الواجب [illegible] في هذه القضية جميع الأجرام والأعراض وأفعال العباد [illegible]
[illegible] وإلى الله المصير فهو عبارة [illegible] في معرفة المعاد [illegible] لا بد من مصير الكل إليه سبحانه [illegible]
[illegible] الوصول [illegible] إلى [illegible]
[illegible] ثم [illegible] بالناس [illegible] الحيوانية ثم [illegible] الملكية [illegible]
[illegible] ملك السموات والأرض [illegible] إلى الله المصير [illegible]
[illegible] ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال
[illegible]
[illegible] الثاني من [illegible] سابك [illegible] قوله [illegible]
[illegible] المرتفعة [illegible]
[illegible] وسكت [illegible]
[illegible] تعالى [illegible]
[illegible] ركاما
[illegible] والودق المطر [illegible] ابن عباس [illegible]
[illegible] وجبل [illegible] من خلاله
[illegible] أن قوله يزجي سحابا يحتمل أنه سبحانه [illegible] ويحتمل أن [illegible]
[illegible] ثم إنه سبحانه يؤلف بين أجزائه [illegible]
[illegible] سحابا [illegible] ثم يؤلف
[illegible] ثم إنه سبحانه يجعله ركاما وذلك
[illegible] بعضها على البعض وهذا مما لا بد منه لأن السحاب إنما يحمل الكثير [illegible]

عجايب خلقه ودلالة ملكه واقتداره قال اهل الطبايع ان تكوّن السحاب والمطر والثلج والبرد والطل والصقيع
في اكثر الامر يكون من تكاثف البخار وفي الاقل من تكاثف الهوا اما الاول فالبخار الصاعد ان كان قليلا
وكان في الهوا من الحرارة ما يحلل ذلك البخار فحينئذ يتحلل وينقلب هوا واما ان كان البخار كثيرا ولم يكن في
الهوا من الحرارة ما يحلله فتلك الابخرة المتصاعدة اما ان يبلغ في صعودها الى الطبقة البارده من الهوا او لا يبلغ
فان بلغت فاما ان يكون البرد قويا او لا يكون فان لم يكن البرد هناك قويا تكاثف ذلك البخار بذلك القدر
من البرد واجتمع وتقاطر فالبخار المجتمع هو السحاب المتقاطر والمطر والديمة والوابل انما يكون من امثال
هذه الغيوم واما ان كان البرد شديدا فلا يخلو اما ان يصل البرد الى الاجزا البخارية قبل اجتماعها او
بعد اجتماعها فان كان على الوجه الاول نزل ثلجا وان كان على الوجه الثاني
نزل بردا واما اذا لم يبلغ الابخرة الى الطبقة البارده فهي اما ان يكون كثيرة او يكون قليلة فان كانت كثيرة
فهي قد تنعقد سحابا ماطرا وقد لا تنعقد اما الاول فلذلك لاسباب خمسة احدها اذا منع هبوب الرياح
عن تفاعد الابخرة فحينئذ تنقبض وتجتمع بسبب برد الحاصل في العمق كما ان الريح ... والثاني ان
لا يكون هناك رياح متقابلة متصادمة فتمنع صعود الابخرة وحينئذ ... والثالث ان يعرض للجزا المتقدم وقوف
لثقله ... والرابع الكثيرة المدد والخامس ان برد الهوا القريب من الارض ...
وقد شاهد البخار يصعد في بعض الجبال صعودا يسيرا حتى كانه مكبة موضوعة على وهدة ويكون الناظر
اليها فوق تلك الغمامة والذين يكونون تحت الغمامة يمطرون والذين يكونون فوقها يكونون في الشمس
اذا كانت الابخرة القليلة ارتفاع قليلة لطيفة فاذا ضربها برد الليل وكثفها وعقدها ماء محسوسا نزل نزولا
ثقيلا ... ولم يجمد كان طلا ولا يجمد كان صقيعا وفيه
العقيق الى الطل نسبة الثلج الى المطر واما تكون السحاب من انقباض الهوا فذلك عندما يبرد الهوا
وحينئذ يحصل منه الاقسام المذكورة والجواب انا دللنا على حدوث الاجسام ونوسلنا بذلك الى
... ايجاد الاجسام ... المطر ... اجزا السحاب ... الطير ...
... كما ذكر ... لكن الاجسام بالاسناد ... لا بد لها من موثر ... ناصحا ...
... والحرارة والبرودة لا بد له من مخصص ...
... الطبايع ... الصواب ... السحاب ...
... الطبايع المحركة لتلك الابخرة من باطن الارض الى جو الهوا ...
... التقسيم ... تحتها ... سبحانه هو الذي جعلها ركاما ...
... سبحانه ...
ومنها ... اصلها ان في السما جبالا من برد ...
... هذا القول عليه اكثر المفسرين قال مجاهد الكلبي جبال من برد في السما والقول الثاني
ان السما هو الغيم المرتفع على روس الناس سمي بذلك لسموه وارتفاعه وان الله تعالى انزل من هذا الغيم ...
... البرد واراد بقوله من جبال السحاب العظيم لانها اذا عظمت شبهت بالجبال كما يقال ...
... بذلك ... الى ان البرد ما جاد ... السحاب ...
... ان تسمى ... الغيم جبالا ... سبحانه ... من البرد ... جسم ...
... البرد ... محمول على ... السما ...
... الجسم المخصوص ... السحاب ... الاشتقاق ... السحاب ...
بردا ... من جبال من برد ... الظاهر المسئلة الرابعة

قال ابو علي الفارسي قوله تعالى من السما من جبال فيها من برد فمن الاولى لابتدا الغاية لان ابتدا الانزال من السما
والثانية للتبعيض لان ما ينزله الله بعض تلك الجبال التي في السما والثالثة للتبيين لان جنس تلك الجبال جنس البرد ...
... الانزال محذوف ... والتقدير ينزل من السما من جبال فيها من برد ... الا انه حذف ... عليه
... تنصيب ... وتعريفه ... الطايفة ... ويعلم ... انه قد ... عليه
من ... سبحانه انه يصيب به من يشا على وفق المصلحة ... عمر ...
... عليه ومن الناس من حمل البرد على الحجر وجعل ... جاريا مجرى ... الاستيصال وذلك بعيد ...
... تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ... المسئلة ... يكاد سنا برقه على ادغام ...
برقه ... وهي المقدار من البرق ... برقه ... جمع فعلة ... كظلمات وسنا
برقه ... المقصور بمعنى الضو والممدود بمعنى العلو ... ارتفاع ... للمرتبة ... الابصار على
زيادة ... المسئلة الثانية وجه الاستدلال بقوله يكاد
سنا برقه يذهب بالابصار ان البرق الذي يكون صفته ذلك ... يكون نارا عظيمة خالصة والنار ...
... والبرد يقتضي ظهور ... ذلك ... المسئلة الثالثة
... في ... وذهب ... يزيد الى ... اصحابه الى ... فالمذكورون
احتجوا بهذه الاية اما قوله تعالى يقلب الله الليل والنهار فتقليبه ... تعاقبهما ومجي احدهما
بعد الاخر ... كقوله جعل الليل والنهار خلفة ... احدهما ... ومنهما
... في البرد ... ان ... الانعام ... اوثق
اما قوله تعالى ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار فالمعنى انه ... ذكره ... يرجع الى ... هذا الوجه
... الولف على ... يتدبر ويتفكر في هذه العبر ... على فساد التقليد

قوله

والله خلق كل دابة من ما فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع يخلق
الله ما يشا ان الله على كل شي قدير لقد انزلنا ايات مبينات والله يهدي من يشا الى صراط مستقيم هذا هو النوع
... الوحدانية وذلك انه لما استدل اولا باحوال السما ... ثانيا بالاثار العلوية استدل
... باحوال الحيوانات ... ان على هذه الاية سوالات السوال الاول لم قال الله خلق كل دابة من ما
مع ان كثيرا من الحيوانات غير مخلوقة من الما اما الملايكة وهم اعظم الحيوانات عددا فهم مخلوقون
من النور واما الجن فهم مخلوقون من النار وخلق الله ادم من التراب لقوله خلقه من تراب وقال عيسى
... من الطين ... وايضا نرى ان كثيرا من الحيوانات متولدا عن النطفة الجواب
من وجوه ... احسن ما قاله القفال ... كل دابة ... من ... خلق والمعنى ان
كل ... من ... الله تعالى ... المخلوقات ... خلق
الله تعالى ... النار والهوا والتراب ولما كان
... الاية بيان اصل الخلقة ... على هذا الوجه ...
... على وجه الارض ... والجن ولما كان ...
من هذه الحيوانات كونهم مخلوقين من الما ... لانها متولدة من النطفة ...
... لفظ الكل ... السوال الثاني ... منها ... وجا معرفا
... من الما كل شي حي والجواب انما جا ههنا منكرا لان المعنى انه خلق كل دابة من نوع
من الما ... تلك الدابة وانما جا معرفا في قوله وجعلنا من الما كل شي حي لان ... هناك كونهم مخلوقين
من هذا الجنس ... ذلك الجنس ... الى انواع كثيرة السوال الثالث ... ضمير

العقلا وكذلك قوله من يلم استعماله في غير العقلا والجواب انه تعالى ذكر لما لا يعقل مع من يعقل لهم الملائكة والانس
والجن فغلب اللفظ اللايق بمن يعقل لان جعل الشريف اصلا والخسيس تبعا اولى من العكس وتنازعنا في الكلام هنا
المقبلان لرجل وبغير السوال الرابع لم سمى الزحف على البطن مشيا وبيان صحة هذا السوال ان الصبي يوصف
بانه يحبو ولا يقال يمشي وان رضع على جدار صار الجسم الجواب ذكرنا على سبيل الاستعارة كما قالوا في الامر المستمر
قد مشى هذا الامر ويقال فلان لا يمشي له امر او على طريق المشاكلة لانه ذكر الزاحف مع الماشين السوال
الخامس انه لم حصر القسمة لانا نجد ما يمشي على اكثر من اربع مثل العناكب والعقارب والرتيلا من الحيوان
الذي له اربعة واربعون رجلا الذي يسمى دخال الاذن والجواب القسم الذي ذكرتم كالنادر فكان ملحقا بالعدم
ولان الفلاسفة يقولون بان له قوائم كثيرة الا ان اعتماده اذا مشى على اربع جهات لا غير فكانه يمشي على اربع و
لان قوله خلق الله ما يشا كالتنبيه على سائر اقسام السوال السادس لم جات الاجناس الثلاثة على هذا
الترتيب والجواب قدم ما هو اعجب وهو الماشي بغير آلة المشي من ارجل او قوائم ثم الماشي على رجلين ثم الماشي
على اربع واعلم ان قوله خلق الله ما يشا تنبيه على ان الحيوانات كلها كما اختلفت بحسب كيفية المشي فكذلك
هي مختلفة بحسب امور اخر ولنذكر ههنا بعض تلك التقسيمات التقسيم الاول الحيوانات قد تشترك في بعض
وقد تتباين بالاعضا اما الشركة فمثل اشتراك الانسان والفرس في ان لهما لحما وعصبا وعظما واما
التباين فاما ان يكون في نفس العضو او في صفته اما التباين في نفس العضو فعلى وجهين احدهما ان يكون
العضو حاصلا للاكثر ولا يكون اجزاوه حاصلة للثاني كالفرس والانسان فان الفرس له ذنب والانسان ليس
له ذنب ولكن اجزا الذنب ليست الا العظم والعصب واللحم والجلد والشعر وكل ذلك حاصل للانسان والثاني
ان لا يكون ذلك العضو حاصلا للثاني لا بذاته ولا باجزايه مثل ان للسلحفاة صدفا يحيط به وليس للانسان و
للسمك فلوس وللقنفذ شوك وليس شي منها للانسان واما التباين في صفة العضو فاما ان يكون من باب
الكمية او الكيفية او الوضع او الفعل او الانفعال اما الذي في الكمية فاما ان يتعلق بالمقدار مثل ان عين البوم
كبيرة وعين العقاب صغيرة او بالعدد مثل ان ارجل بعض العناكب ستة وارجل بعضها ثمانية او عشرة
والذي في الكيف فكاختلافها في الالوان والاشكال والصلابة واللين والذي في الوضع مثل [illegible]
النمل فانه قريب من الصدر وثدي الفرس فانه عند السرة واما الذي في الفعل فمثل كون اذن الفيل آلة للقبض
كون آلة للسمع وليس كذلك للانسان وكذلك انفه آلة للقبض دون غيره واما الذي في الانفعال
فمثل كون عين الخفاش سريعة العمى في الضوء وعين الخطاف كذلك التقسيم الثاني الحيوان اما ان يكون
مائيا بمعنى ان مسكنه الطبيعي هو الما اولا يكون كذلك اما الحيوانات المائية فتختلف احوالها
من وجوه الاول ان منها ما يكون مكانه ومتنفسه ما بالنسبة بدل التنفس في الهوا ينشق الماء ويرسل
الما الى باطنه ثم يرده ولا يعيش اذا فارقه والسمك كله كذلك ومنه ما مكانه الماء ولكنه ليس يتنفس
ولا يستنشق مثل اصناف الصدف لا تظهر للهوا ولا تستدخل الما الى باطنها الوجه الثاني ان الحيوانات
المائية بعضها ماواها مياه الانهار الجارية وبعضها مياه البطائح مثل الضفادع وبعضها ماواها ماء البحر
الوجه الثالث منها لجية ومنها شطية ومنها طينية ومنها صخرية الوجه الرابع الحيوان السابح
في الما منه ما يعتمد في غوصه على راسه وفي السباحة على جنبه كالسمك ومنه ما يعتمد في السباحة على رجليه
كالضفدع ومنه ما يمشي في قعر الما كالسرطان ومنه ما يزحف مثل ضرب من السمك لا جناح له ولا رجل واما
الحيوانات البرية فتختلف احوالها ايضا من وجوه الاول ان منها ما يتنفس من طريق واحد كالفم والخيشوم
ومنه ما لا يتنفس كذلك بل على نحو اخر مثل الزنبور والنحل الثاني ان الحيوانات البرية منها
ما له ماوى معلوم ومنها ما لا ماوى له كما انفق له واللواتي لها ماوى فبعضها ماواه شق

وبعضها

وبعضها ماواه جحر وبعضها ماواه قلة رابية وبعضها ماواه وجه الارض الثالث الحيوان الذي كل طاير
منه ذو جناحين فانه يمشي برجليه ومن جملة ذلك ما جناحه صعب عليه كالخطاف الكبير الاسود والخفاش الذي
الذي جناحه جلد او غشا فقد يكون عديم الرجل كضرب من الحيات الحبشية يطير الرابع الطير يختلف فبعضها
يتعايش معا كالكركي وبعضها يؤثر التفرد كالعقاب وجميع الجوارح التي تنازع على الطعم لاحتياجها الى
الاجتهاد للصيد ومنها ما يتعايش زوجا ويكون قطعا كالقطا ومنها ما يجمع تارة ويتفرد اخرى والحيوانات
المستودة ولا يكون مدنية ومن يكون بعده مرة ويكون تارة ... ان من بين الحيوان هو الذي لا يمكنه ان يعيش
وحده فانه اسباب معيشته وحياته تلتئم بالمشاركة المدنية والنحل وبعض الغرانيق يشارك الانسان في ذلك
لكن النحل والكراكي يطيع رئيسا واحدا والنمل له اجتماع ولا رئيس له الخامس الطير منه آكل لحم ومنه لاقط حب
ومنه آكل عشب ومنه ما يكون لبعض الطير طعم معين كالنحل فان غذاءه دهني والعنكبوت فان غذاءه الذباب وقد
يكون بعضها متفق الطعم اما القسم السابع من الحيوان الذي يكون في الماء ابيا اخرى بريا فيقال انه حيوان يكون في
البحر يعيش فيه ثم انه يبرز الى البر ويبقى فيه القسم الثامن الحيوان منه ما هو انسي بالطبع كالانسان
ومنه ما هو انسي بالمولد كالهرة والفرس ومنه ما هو انس بالقسر كالفهد ومنه ما لا يانس كالنمر والمستانس
بالقسر منه ما يسرع استيناسه ويبقى مستانسا كالفيل ومنه ما يبطئ كالاسد ومنه ما لا يمكن من كل نوع صنف
انسي وصنف وحشي حتى من الناس القسم التاسع الرابع من الحيوان ما هو مصوت ومنه ما لا صوت له وكل مصوت
فانه يصير عند الانتلام وحركة شهوة الجماع اشد تصويتا الا الانسان وايضا لبعض الحيوان شبق شديد كل
وقت كالديك ومنه عفيف له وقت معين القسم الخامس اختلاف بعض الحيوانات هذا بالطبع مثل العفيف
مثل البقر وبعضه شديد الجهل حاد الغضب كالخنزير البري وبعضها حليم خدوع كالبعير وبعضها ردي الحركات
محتال كالحية ومنها جري قوي شهم كبير النفس كريم الطبع كالاسد ومنها شكس وحشي كالذيب وبعضها محتال
مكار ردي الحركات كالثعلب وبعضها غضوب شديد الغضب سفيه الا انه ملق متودد كالكلب وبعضها شديد
الكيس مستانس كالفيل والقرد وبعضها حسود مباه عجيب كالطاوس وبعضها شديد الحفظ كالجمل والحمار القسم
السادس من الحيوان ما تناسله بان يلد انسانا او حيوانا وبعضها ما تناسله بان يلد شيئا دودا كالنحل والعنكبوت
فانها تلد دودا ثم ان اعضاءه تستكمل وبعضها تناسله بان يبيض ابتداء واعلم ان العقول قاصرة عن الاحاطة
باحوال اصغر الحيوانات على سبيل الكمال ووجه الاستدلال بها على الصانع ظاهر لانه لو كان الامر بتركيب الطبائع الاربع
فذاك بالنسبة الى الكل على السوية فاختصاص كل واحد من هذه الحيوانات باعضائها وقواها ومقادير ابدانها
واعمارها واحوالها لابد وان يكون بتدبير مدبر قاهر حكيم سبحانه وتعالى عما يقول الجاحدون واحسن كلام
في هذا الموضع قوله سبحانه يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شي قدير لانه هو الفاعل المختار العالم بالكل
فهو المطلع على احوال هذه الحيوانات فاي عقل يقف عليها واي خاطر يصل الى ذرة من اسرارها بل هو الذي
يخلق ما يشاء وكما يشاء ولا منع منه مانع ولا دافع ثم قال تعالى لقد انزلنا آيات مبينات فالادلى حمله على الادلة
والعبر وما كان التنزيل كالمشتمل على ذلك صح ان يكون هو المراد اما قوله والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
فاستدل اصحابنا به كما تقدم واما القاضي عبد الجبار فانه حمله على انه يهدي من بلغ حد التكليف دون غيره او يكون
المراد من اطاعه واستحق الثواب فيهديه الى الجنة على ما تقدم في نظائره والجواب عن هذا الجواب كما تقدم
في نظائره قوله تعالى ويقولون آمنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك
وما اولئك بالمؤمنين واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق ياتوا اليه
مذعنين افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله بل اولئك هم الظالمون
اعلم انه سبحانه لما ذكر دلائل التوحيد اتبعه بذم قوم اعترفوا بالدين بالسنتهم ولم يقبلوه بقلوبهم

وفيه مسائل المسألة الاولى قال مقاتل نزلت الآية في بشر المنافق وكان قد خاصم يهوديا في ارض وكان اليهودي
يجره الى رسول الله ليحكم بينهما وجعل المنافق يجره الى كعب بن الاشرف ويقول ان محمدا يحيف علينا
وقد مضت قصتها في سورة النساء وقال الضحاك نزلت في المغيرة بن وائل كان بينه وبين علي بن ابي طالب ارض
فتقاسما فوقع الى علي ما لا يصيبه الماء الا بمشقة فقال المغيرة بعني ارضك فباعها اياه وتقابضا فقيل للمغيرة
اخذت سبخة لا ينالها الماء فقال لعلي اقبض ارضك فانما اشتريتها ان رضيتها ولم ارضها فانها لا ينالها الماء
فقال علي بل اشتريتها ورضيتها وقبضتها وعرفت حالها لا اقبلها منك ودعاه الى ان يخاصمه الى رسول
الله فقال المغيرة اما محمد فلست آتيه ولا احاكم اليه فانه يبغضني وانا اخاف ان يحيف علي
فنزلت الآية وقال الحسن نزلت هذه الآية في المنافقين الذين كانوا يظهرون الايمان ويسرون الكفر
المسألة الثانية قوله يقولون آمنا بالله وما اولئك بالمؤمنين يدل على ان الايمان لا يحصل بالقول اذ لو كان
لما صح ان ينفي كونهم مؤمنين وقد تعلقوا بقول آمنا في الحقيقة فان قيل انه تعالى حكى عن كلهم انهم يقولون
آمنا ثم حكم على فريق منهم بالتولي فكيف يصح ان يقول في جميعهم وما اولئك بالمؤمنين مع ان الذين تولوا منهم هم البعض
قلنا ان قوله وما اولئك بالمؤمنين راجع الى الذين تولوا لا الى الجملة الاولى وايضا فلو رجع الى الاول يصح ويكون معنى
قوله ثم يتولى فريق منهم اي يرجع هذا الفريق الى الباقين فيظهر بعضهم لبعض الرجوع عما اظهروه ثم بين
سبحانه انهم اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون يعني ترك الرضى بحكم الرسول
لقوله تعالى وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين اي انهم انما يعرضون متى عرفوا الحق لغيرهم او شكوا فاما اذا
عرفوا انه لهم عدلوا عن الاعراض بل سارعوا الى الحكم واذعنوا ببذل الرضا وفي ذلك دلالة على انه ليس بهم
اتباع الحق وانما يريدون النفع المعجل وذلك ايضا نفاق ثم قال تعالى افي قلوبهم مرض ام ارتابوا
ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله ثم فيه سؤالات السؤال الاول كلمة ام للاستفهام وهو غير جائز
على الله والجواب اللفظ استفهام ومعناه الخبر كما قال جرير الستم خير من ركب المطايا
السؤال الثاني انهم لو خافوا ان يحيف الله عليهم فقد ارتابوا في الدين واذا ارتابوا ففي قلوبهم
مرض فالكل واحد فاي فائدة في التعديد الجواب قوله افي قلوبهم مرض اشارة الى النفاق وقوله ام ارتابوا
اشارة الى انهم بلغوا في حب الدنيا الى حيث يتركون الدين بسببه السؤال الثالث ان هذه
الثلاثة متغايرة لكنها متلازمة فكيف ادخل عليها كلمة ام الجواب انه تعالى اثبتهم على كل واحد
من هذه الاوصاف فكان في قلوبهم مرض وهو النفاق وكان فيها شك وارتياب وكانوا يخافون الحيف من
الرسول وكل واحد من ذلك كفر ونفاق ثم بين تعالى بقوله بل اولئك هم الظالمون بطلان ما هم عليه لان الظلم
يتناول كل معصية كما قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم اي المرء لا يخلو من ان يكون ظالما لنفسه او ظالما لغيره
وذكر [illegible] كونهم [illegible] الحيف ابطل الله ذلك بقوله بل اولئك هم الظالمون اي
لا يخافون ان يحيف الرسول عليهم لمعرفتهم بامانته وصيانته بل لانهم هم الظالمون يريدون ان يظلموا من له الحق
عليهم [illegible] في مجلس رسول الله [illegible] الحكم اليه **قوله تعالى**
انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون ومن
يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن امرتهم ليخرجن
قل لا تقسموا طاعة معروفة ان الله خبير بما تعملون قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه
ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين اعلم انه تعالى لما حكى قول المنافقين
وما قالوه وما فعلوه اتبعه بذكر ما كان يجب ان يفعلوه وما يجب ان يسلكه المؤمنون فقال تعالى انما كان
قول المؤمنين [illegible]

كونه

98

كونه [illegible] ان يقولوا [illegible] على سبيل [illegible] المتكبر [illegible] قول المؤمنين المسألة
الثانية قوله انما كان قول المؤمنين معناه كذلك يجب ان يكون قولهم وطريقتهم اذا دعوا الى حكم كتاب الله ورسوله
ان يقولوا سمعنا واطعنا فيكون مدلولهم اليه وانقيادهم له سمعا وطاعة ويعني سمعنا اجبنا على تأويل قول
المصلي سمع الله لمن حمده اي قبل واجاب ثم قال ومن يطع الله ورسوله فيما ساءه وسره ويخش الله فيما صدر عنه
من الذنوب في الماضي ويتقه فيما بقي من عمره فاولئك هم الفائزون وهذه الآية على ايجازها حاوية لكل ما ينبغي
للمؤمن ان يفعله اما قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن امرتهم ليخرجن فقال مقاتل من حلف بالله
فقد اجهد في اليمين ثم قال الناس انه تعالى لما بين كراهية المنافقين لحكم رسول الله قالوا والله لئن امرتنا
ان نخرج من ديارنا واموالنا ونسائنا لخرجنا ولئن امرتنا بالجهاد لجاهدنا ثم انه تعالى امر رسوله ان ينهاهم عن
هذا القسم بقوله قل لا تقسموا طاعة ولو كان قسمهم كما يجب لم يجز النهي عنه لان من حلف على القيام بالبر الواجب
لا يجوز ان ينهى عنه واذا ثبت ذلك ثبت ان قسمهم كان لنفاقهم وكان باطنهم خلاف ظاهرهم ومن نوى الغدر لا الوفاء
فقسمه يكون قبيحا اما قوله طاعة معروفة فهو اما خبر مبتدأ محذوف اي المطلوب منكم طاعة معروفة لا اليمين
الكاذبة او مبتدأ محذوف الخبر اي طاعة معروفة امثل من قسمكم بما لا تصدقون فيه وقيل معناه دعوا القسم
[illegible] طاعة معروفة [illegible] وقرأ [illegible] طاعة معروفة بالنصب على معنى اطيعوا
طاعة الله ان الله خبير بما تعملون لا يخفى عليه شيء من سرائركم وانه فاضحكم لا محالة ومجازيكم
على نفاقكم اما قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم فاعلم انه تعالى صرف
الكلام عن الغيبة الى الخطاب على طريقة الالتفات وهو ابلغ في تبكيتهم فان تولوا يعني ان تتولوا عن طاعة الله
وطاعة رسوله فانما على الرسول ما حمل من تبليغ الرسالة وعليكم ما حملتم من الطاعة وان تطيعوه تهتدوا الى
نصيب الحق [illegible] وما على الرسول الا البلاغ المبين والبلاغ بمعنى التبليغ والمبين الواضح لما كان اليه
الحاجة [illegible] المعصية **قوله
تعالى** وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم
الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون
اعلم ان تقدير النظم بلغ ايها الرسول واطيعوه ايها المؤمنون فقد وعد الله الذين آمنوا منكم اي الذين جمعوا
بين الايمان والعمل الصالح ان يستخلفهم في الارض فيجعلهم الخلفاء والغالبين والمالكين كما استخلف عليها من قبلهم في
زمن داود وسليمان عليهما السلام وغيرهما وانه يمكن لهم دينهم وتمكينه ذلك هو ان يؤيدهم بالنصرة والاعزاز ويبدل
من بعد خوفهم من العدو امنا بان ينصرهم عليهم فيقتلوهم ويأمنوا بذلك شرهم يعبدونني آمنين لا يشركون
بي شيئا ولا يخافون [illegible] ومن كفر بعد هذا الوعد وارتد فاولئك هم الفاسقون واعلم ان الآية مشتملة على بيان اكثر
المسائل الاصولية الدينية فلنشر الى معاقدها المسألة الاولى قوله وعد الله الذين آمنوا منكم يدل على انه سبحانه
متكلم لان الوعد نوع من انواع الكلام والموصوف بالنوع موصوف بالجنس ولانه سبحانه لما كان مالك الملك المطاع
[illegible] المسألة الثانية الآية تدل على انه سبحانه
يعلم الاشياء قبل وقوعها [illegible] انه سبحانه اخبر عن
وقوع شيء في المستقبل اخبارا على التفصيل ووقع المخبر مطابقا للخبر ومثل هذا الخبر لا يصح الا مع العلم المسألة
الثالثة الآية تدل على انه سبحانه حي قادر على جميع الممكنات لانه قال ليستخلفنهم في الارض وليمكنن لهم دينهم الذي
ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا وقد فعل كل ذلك [illegible] لا يتأتى الا من القادر على كل المقدورات
المسألة الرابعة الآية تدل على انه سبحانه هو المستحق للعبادة لانه قال يعبدونني وقالت المعتزلة الآية تدل على ان فعل الله معلل
بالغرض لان المعنى لكي يعبدوني وقالوا ايضا الآية دالة على انه سبحانه يريد العبادة من الكل لان من فعل فعلا لغرض فلا بد وان يكون

مريدا لذلك الغرض المسألة الخامسة دلت الآية على انه تعالى منزه عن الشريك لقوله لا يشركون بي شيئا وذلك يدل
على نفي الاله الثاني وعلى انه لا يجوز عبادة غير الله سبحانه وتعالى سواء كان كوكبا كما تقوله الصابئة او صنما كما تقوله
عبدة الاوثان المسألة السادسة دلت الآية على نبوة محمد عليه السلام لانه اخبر عن الغيب في قوله ليستخلفنهم في الارض
وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا وقد وجد هذا المخبر موافقا للخبر ومثل هذا الخبر معجز
والمعجز دليل الصدق فدل على صدق محمد عليه السلام المسألة السابعة دلت الآية على ان العمل الصالح خارج عن مسمى الايمان
كما تقدم لانه عطف العمل الصالح على الايمان والمعطوف خارج عن المعطوف عليه المسألة الثامنة دلت الآية
على امامة الائمة الاربعة وذلك لانه تعالى وعد الذين امنوا وعملوا الصالحات من الحاضرين في زمان محمد وهو المراد بقوله
منكم بانه سيستخلفهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وان يمكن لهم دينهم المرتضى وان يبدلهم بعد الخوف
امنا ومعلوم ان المراد بهذا الوعد بعد الرسول لان استخلاف غيره لا يكون الا بعده ومعلوم انه لا نبي بعده لانه خاتم
الانبياء فاذا المراد بهذا الاستخلاف طريقة الامامة ومعلوم ان بعد الرسول الاستخلاف الذي هذا وصفه انما كان
في ايام ابي بكر وعمر وعثمان لان في ايامهم كانت الفتوح العظيمة وحصل التمكين وظهور الدين والامن ولم يحصل ذلك
في ايام علي رضي الله عنه لانه لم يتفرغ لجهاد الكفار لاشتغاله بمحاربة من خالفه من اهل الصلاة فثبت بهذا دلالة الآية
على صحة خلافة هؤلاء فان قيل الآية متروكة الظاهر لانها تقتضي حصول الخلافة لكل من امن وعمل صالحا
ولم يكن الامر كذلك نزلنا عنه لكن لم لا يجوز ان يكون المراد من قوله ليستخلفنهم هو انه تعالى اسكنهم في
الارض ومكنهم من التصرف لان المراد منه خلافة الله وتمام ما عليه قوله كما استخلف الذين من قبلهم واستخلاف
من كان قبلهم لم يكن بطريق الامامة فوجب ان يكون الامر في حقهم ايضا كذلك نزلنا عنه لكن ههنا ما يدل
على انه لا يجوز حمله على خلافة الائمة لان من مذهبكم انه عليه السلام لم يستخلف احدا وروي عن علي رضي الله عنه
انه قال اترككم كما ترككم رسول الله فتعين حمله على لفظ الجمع على سبيل التعظيم كقوله تعالى انا انزلناه في ليلة
[illegible] الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون نزلنا عنه ولكن نحمله على الائمة الاثني عشر
والجواب عن الاول ان كلمة من للتبعيض فقوله منكم يدل على ان المراد من هذا الخطاب بعضهم وعن الثاني
ان الاستخلاف بالمعنى الذي ذكرتموه حاصل لجميع الخلق فالمذكور ههنا في معرض البشارة لابد وان يكون مغايرا له
واما قوله سبحانه كما استخلف الذين من قبلهم فالذين كانوا قبلهم قد كانوا خلفاء تارة بسبب النبوة وتارة
بسبب الامامة والخلافة حاصلة في الصورتين [illegible] وان كان يقتضي ان يكون ههنا انه عليه السلام لم يستخلف
احدا بالتعيين ولكنه قد استخلف بذكر الوصف [illegible] واختيارا فلا يمتنع في هؤلاء الاربعة انه تعالى استخلفهم
وان الرسول استخلفهم وعلى هذا الوجه قالوا لابي بكر رضي الله عنه يا خليفة رسول الله والذي قيل انه عليه
السلام لم يستخلف اريد به على وجه التعيين واذا قيل استخلف فالمراد على طريقة الوصف والامر وعن الرابع
ان حمل لفظ الجمع على الواحد مجاز وهو خلاف الاصل وعن الخامس انه باطل من وجوه احدها قوله تعالى
منكم يدل على ان هذا الخطاب كان مع الحاضرين وهؤلاء الائمة ما كانوا حاضرين الثاني انه تعالى
وعدهم القوة والشوكة والنفاذ في العالم ولم يوجد ذلك فيهم فثبت بهذا صحة امامة الائمة الاربعة وبطل قول
الرافضة الطاعنين على ابي بكر وعمر وعثمان وعلى بطلان قول الخوارج الطاعنين على عثمان وعلي ولنرجع
الى التفسير اما قوله ليستخلفنهم فلقائل ان يقول اين القسم المتلقى باللام والنون في ليستخلفنهم
جوابه هو محذوف تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او نزل وعد الله في تحققه منزلة القسم فتلقى
بما يتلقى به القسم كانه قال اقسم الله ليستخلفنهم اما قوله كما استخلف الذين من قبلهم يعني كما استخلف
هرون ويوشع وداود وسليمان وقد دخل النظم ليستخلفنهم استخلافا كما استخلف من قبلهم من بني اسرائيل انبياء
وهم كما استخلف بعضهم الناس وكسر اللام [illegible] اما قوله تعالى وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم فالمعنى

انه

انه يثبت لهم دينهم الذي ارتضى لهم وهو الاسلام وقرأ ابن كثير وعاصم ويعقوب وليبدلنهم من الابدال والباقون
بالتشديد وقد ذكرنا الفرق بينهما في قوله بدلناهم جلودا غيرها اما قوله يعبدونني لا يشركون بي شيئا فمحله
ان لم يكن [illegible] عن عبادة الله الى الشرك قال الزجاج يجوز ان يكون في موضع الحال على معنى وعد الله
الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات في حال عبادتهم واخلاصهم لله ليفعلن بهم كيت وكيت ويجوز ان يكون
استئنافا على طريق الثناء عليهم اما قوله ومن كفر بعد ذلك اي كفر هذه النعم فاولئك هم الفاسقون
العاصون

قوله تعالى

واقيموا الصلاة واتوا الزكاة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون
لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض ومأواهم النار ولبئس المصير اعلم انه تعالى لما امر بالصلاة وايتاء
الزكاة ولفظة لعل ولفظة الرحمة فالكل قد تقدم مرارا اما قوله لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض
فالمعنى لا تحسبن يا محمد الذين كفروا سابقين فائتين حتى يعجزوني عن ادراكهم وقرئ لا يحسبن بالياء وفيه
وجوه [illegible] حتى يطمعوا في مثل ذلك وهذا [illegible] ان يكون فيه ضمير الرسول لتقدم ذكره في قوله واطيعوا
الرسول والمعنى لا يحسبن الرسول الذين كفروا معجزين ثم حذف المفعول الاول [illegible]
قوله ومأواهم النار ولبئس المصير قال صاحب النظم لا يحتمل ان يكون متصلا بقوله لا يحسبن الذين كفروا لان ذلك نفي
وهذا ايجاب فهو اذا معطوف بالواو على مضمر قبله تقديره لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض بل هم مقهورون
ومأواهم النار

قوله تعالى

يا ايها الذين امنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم
منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس
عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم واذا
بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم والقواعد
من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وان يستعففن خير لهن
والله سميع عليم اعلم ان في الآية مسائل المسألة الاولى قال القاضي قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ليستأذنكم
الذين ملكت ايمانكم وان كان ظاهره للرجال فالمراد به الرجال والنساء لان التذكير يغلب على التانيث اذا اجتمعا
فيدخل تحته [illegible] يا ايها الذين امنوا ليستأذنكم [illegible] ومن ذلك قوله الذين ملكت ايمانكم لان ذلك يتناول النساء والرجال
ولا تعدي الحكم ثابت في النساء بقياس جلي وذلك لان النساء في باب حفظ العورة اشد حالا من الرجال
فهذا الحكم لما ثبت في الرجال فثبوته في النساء بطريق الاولى كما انا نثبت حرمة الضرب بالقياس الجلي على حرمة
التأفيف المسألة الثانية ظاهر قوله والذين ملكت ايمانكم يدخل فيه البالغ من العبيد والصغار وحكي عن ابن عباس
انه لا يجوز للحر ان ينظر اليه قال ابن المسيب لا تغرنكم [illegible] انما عنى بها الذكور [illegible] للمرأة ان تنظر عبدها الى شعرها
وشيء من محاسنها [illegible] الحرة البالغ من المماليك ان ينظر الى شعر مالكته وما شاكله [illegible]
الآية يدل على اختصاص عبيد المؤمنين [illegible] الحرائر باحتها ما حظره الله من دخول على جماعة المؤمنين لقوله
لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم فانه اباح لهم [illegible] الاوقات الثلاثة وجوز [illegible] لهم من [illegible] دخول
المماليك عليهم بقوله تعالى ولا جناح عليكم بعدهن طوافون عليكم المطوفين بعضكم على بعض بما عدا هذه الاوقات
الثلاثة والذكر ذلك فاذا وجد على من بلغ الحلم ان يجري على سنة من قبلهم من المالغين في الاستئذان في سائر
الاوقات وكان لهم [illegible] قوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها المسألة الثالثة
[illegible] ذكر الذين ملكت ايمانكم انما يريد به العبيد والاماء الذين كانوا بالغين يعترضون ان يجتمعوا مع هم في
الحصة ولا [illegible] لا الصغير [illegible] يمكن امرهم [illegible] للذين [illegible] العبي [illegible] العقل [illegible]
التكليف لم يكن [illegible] بعد البلوغ [illegible] لفظ العبد [illegible] الظاهر متوجها عليهم [illegible] يكون
بالحصة متوجها على الاولى [illegible] فظاهر الامر لهم [illegible] نقل [illegible] عنده

المسئلة الرابعة قال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث غلاما من الانصار الى عمر ليدعوه فوجده
نايما في البيت قد اغلق الباب ودق الباب من خلفه وحركه فلم يستيقظ فقال
الغلام اللهم ايقظه لي ودفع الباب ثم ناداه فاستيقظ ودخل الباب فانكشف من عمر شي وعرف عمر ان الغلام راى ذلك
منه فقال وددت ان الله نهى ابناءنا ونساءنا وخدمنا ان يدخلوا علينا في هذه الساعة الا باذن ثم انطلق معه
الى الرسول عليه السلم فوجده قد نزل عليه يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم فحمد الله عمر عند ذلك فقال
عليه السلم وما ذاك يا عمر فاخبره بما فعل الغلام فتعجب رسول الله من صنعه وتعرف اسمه ومدحه وقال ان الله
يحب الحليم الحيي العفيف المتعفف ويبغض البذي الجري السايل الملحف فهذه الاية احدى الايات المنزلة بسبب عمر
وقال بعضهم نزلت في اسما بنت مرثد قالت انا لندخل على الرجل والمراة لعلهما يكونان في لحاف واحد ونزل دخل عليها
غلام لها كبير في وقت كرهت دخوله فاتت رسول الله فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها فنزلت الاية
المسئلة الخامسة قال ابن عمر رضي الله عنهما ومجاهد قوله ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم عنى به الذكور دون الاناث لان قوله الذين ملكت
ايمانكم صيغة الذكور لا صيغة الاناث وعن ابن عباس هي في الرجال والنسا يستاذنون على كل حال بالليل
والنهار والصحيح انه يجب اثبات هذا الحكم في النسا لان الاناث في باب حفظ العورة ابلغ من الذكور على احواله فقد يكره
ايضا اطلاع النسا عليها ولكن الحكم ثبت في النسا بالقياس لا بظاهر اللفظ على ما بيناه المسئلة السادسة
من العلما من قال الامر في قوله ليستاذنكم على الندب والاستحباب ومنهم من قال انه على الايجاب وهذا اولى لما ثبت
ان ظاهر الامر الوجوب اما قوله تعالى والذين لم يبلغوا الحلم منكم ففيه مسايل المسئلة الاولى قال ابن عمر
انه لما يكتفى بالاحتلام في البلوغ واطلقوا ان البلوغ حتى يستوي ويحتلم
الحلم بالسن المسئلة الثانية اتفق الفقها على ان الاحتلام بلوغ واختلفوا اذا لم يحتلم حتى بلغ سبع عشرة سنة وقال الشافعي و
قال ابو حنيفة لا يكون بالغا حتى يبلغ ثماني عشرة سنة ويستكملها وفي الجارية سبع عشرة سنة وقال الشافعي و
ابو يوسف ومحمد في الغلام والجارية خمس عشرة سنة قال ابو بكر الرازي فقوله تعالى والذين لم يبلغوا الحلم منكم يدل
على بطلان قول من جعل حد البلوغ خمس عشرة سنة اذا لم يحتلم لان الله تعالى لم يفرق بين من بلغ خمس عشرة
سنة ومن قصر عنها بعد ان لا يكون قد بلغ الحلم وروي عن النبي عليه السلم من جهات كثيرة حتى يحتلم ولم يفرق بين من بلغ خمس عشرة
سنة ومن قصر بلوغها فان قيل هذا الكلام لم يبطل التقدير بثماني عشرة سنة ايضا اجاب بانا قد علمنا ان العادة
في البلوغ خمس عشرة سنة وكلما كان سبيلها على طريق العادات فقد يجوز الزيادة فيه والنقصان وقد وجدنا
من بلغ في ثنتي عشرة سنة وقد بينا ان الزيادة على العادة جايز كالنقصان منه فجعل ابو حنيفة الزيادة
كالنقصان وهي ثلث سنين وقد حكى عن ابي ثماني عشرة للغلام وهو محمول على الاستكمال ثماني عشرة سنة
والدخول في التاسع عشرة حجة الشافعي رحمه الله ما روى ابن عمر انه عرض على النبي عليه السلم يوم احد وله اربع
عشرة سنة فلم يجزه وعرض عليه يوم الخندق وله خمس عشرة سنة فاجازه اعترض ابو بكر الرازي عليه
فقال هذا الخبر مضطرب لان احدا كان في سنة ثلث والخندق في سنة خمس فكيف يكون بينهما سنة واحدة
ثم ان الاجازة في القتال لا تعلق لها بالبلوغ لانه قد لا يؤذن للبالغ لضعفه ويؤذن لغير البالغ لقوته وطاقته لحمل السلاح
ويدل على ذلك انه عليه السلم لم يسأله عن الاحتلام والسن الجواب عن الاول انه يحتمل ان يكون يوم احد في اول السنة الرابعة
من سنه واحد وابو حنيفة واصحابه لا يقولون بلوغها قال ابو بكر الرازي ظاهر هذا والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثم لم يكن لا ثبات
بلوغها اذا لم يحتلم كان في خمس عشرة بلوغها ولا لقوله عليه السلم وعن الصبي حتى يحتلم حجة الثاني ما روى
عطية القرظي ان النبي عليه السلم امر بقتل من انبت من قريظة واستحيا من لم ينبت قال فنظروا الي فلم
اكن قد انبت فاستبقاني قال ابو بكر الرازي هذا الحديث لا يجوز اثبات الشرع به ومثله لا يوصل الى
ان عطية هذا مجهول لا يعرف الا من هذا الخبر لا سيما مع اعتراضه على الاية والخبر في نفي البلوغ الا بالاحتلام
وايضا انه مختلف الالفاظ ففي بعضها انه امر بقتل من جرت عليه المواسي وفي بعضها من كبر ومن احتلم فاستحياه
المواسي

100
المواسي عليه كناية عن بلوغ القدر الذي يكون من السن ومثله يكون ثماني عشرة سنة واكثر وما الانبات فيدل على القوة
البدنية فالامر بالقتل لذلك لا للبلوغ قال الشافعي رحمه الله هذه الحالات مردودة فان عثمان سئل عن غلام
فقال هل اخضر ازاره وهذا يدل على ان ذلك كان كالامر المتفق عليه فيما بين الصحابة الحجة الثالثة عن قوم من
السلف انهم اعتبروا في البلوغ ان يبلغ الانسان في طوله خمسة اشبار روي عن علي رضي الله عنه انه قال اذا بلغ الغلام
خمسة اشبار فقد وقع عليه الحدود ويقتص له ويقتص منه وعن ابن سيرين عن انس قال اتي ابو بكر بغلام
قد سرق فامر به فشبر فنقص انملة فخلى عنه وهذا المذهب اخذ به الفرزدق في قوله
ما زال مذ عقدت يداه ازاره ودنا فادرك خمسة الاشبار واكثر الفقها لا يقولون بهذا المذهب لان الانسان
قد يكون دون البلوغ ويكون طويلا وفوق البلوغ ويكون قصيرا فلا عبرة به المسئلة الثالثة قال ابو بكر الرازي دلت هذه
الاية على ان من لم يبلغ وقد عقل يؤمر بفعل الشرايع وينهى عن ارتكاب القبايح فانه تعالى امرهم بالاستيذان في هذه
الاوقات وقال عليه السلم مروهم بالصلوة وهم ابنا سبع واضربوهم عليها وهم ابنا عشر وعن ابن عمر قال يعلم الصبي
الصلوة اذا عرف يمينه من شماله وعن ابن سيرين انه كان يامر الصبيان ان يصلوا الظهر والعصر جميعا والمغرب
والعشا جميعا فقيل له يصلون الصلوة لغير وقتها فقال هذا خير من ان يتناموا عنها وعن ابن مسعود انه اذا بلغ
الصبي عشر سنين كتبت له الحسنات ولا تكتب عليه السيئات حتى يحتلم قال ابو بكر انما يؤمر بذلك على وجه التعليم
وليعتاده ويتمرن عليه فيكون اسهل عليه بعد البلوغ واقل نفورا منه وكذلك يجنب شرب الخمر واكل لحم الخنزير وينهى
عن سائر المحظورات لانه لو لم يمنع منه في الصغر لصعب عليه الامتناع بعد الكبر وقال الله تعالى قوا انفسكم
واهليكم نارا قيل في التفسير ادبوهم وعلموهم المسئلة الرابعة قال الاخفش من الحلم حلم الرجل بفتح اللام يحلم حلما
بضم اللام ومن الحلم حلم بضم اللام يحلم حلما بكسر اللام اما قوله تعالى ثلث مرات من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم
من الظهيرة ومن بعد صلوة العشا ثلث عورات لكم ففيه مسايل المسئلة الاولى قوله ثلث مرات يعني ثلث دفعات ثم انه تعالى
فسر تلك الاوقات فقال من قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة
وقد يبيت عريانا او على حال لا يحب ان يراه غيره فيها وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلوة العشا لانه
وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم المسئلة الثانية قوله ثلث عورات لكم قرى ثلث
عورات بالرفع والنصب فالرفع على معنى هي ثلث عورات فحذف المبتدأ ومن قرأ بالنصب جعله بدلا من قوله ثلث مرات اي اوقات ثلث عورات فحذف المضاف
واعرب المضاف اليه باعرابه ومن قرأ بالرفع اي هي ثلث عورات فارتفع لانه خبر مبتدأ محذوف فسمى الله تعالى
هذه الاوقات عورات لان الانسان يختل ستره فيها والعورة الخلل ومنها اعور الفارس واعور المكان
والاعور المختل العين فسمى الله هذه الاوقات عورات لان الناس يختل تحفظهم وتسترهم فيها المسئلة
الرابعة الاية دالة على ان الواجب اعتبار العلل في الاحكام اذا امكن لانه تعالى نبه على العلة في هذه الاوقات الثلثة
من جهتين احدهما قوله تعالى ثلث عورات لكم والثاني التنبيه على الفرق بين هذه الاوقات الثلثة وبين ما عداها بانه
ليس ذلك الا لعلة التكشف في هذه الاوقات الثلثة وانه لا يؤمن من وقوع التكشف فيها وليس كذلك ما عدا هذه
الاوقات المسئلة الخامسة من الناس من قال ان قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى
تستانسوا وتسلموا على اهلها يقتضي الاستيذان في كل حال فصار ذلك منسوخا بهذه الاية في غير
هذه الاوقات الثلثة ومن الناس من قال انه لا يصح ان يراد بها المكلف لانه خطاب لمن امن وما ذكره الله تعالى
في هذه الاية هو فيمن ليس بمكلف فيمكن ان في بعض الاوقات لا يدخل الا باذن وفي بعضها بغير اذن فلا وجه لحمل ذلك
على النسخ لان ما ناوله الاية الاولى من المخاطبين ما ناوله الاية الثانية اصلا فان قيل فهذا يوجب ان يكون قوله تعالى
الذين ملكت ايمانكم يدخل فيه من قد بلغ فانه قيل لم يدخل ذلك فيها الا ان قوله يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا
غير بيوتكم حتى تستانسوا لم يدخل تحته الا البيوت نحو هذه الاضافة واذا صح ذلك لم يدخل تحته العبيد والاماء

فلا يجب النسخ ايضا على هذا القول فاما ان حمل الكلام على صغار المماليك فلا نقول فيه النسخ المسألة الخامسة قال ابو عبيد
لم يعمل احد من العلماء اليوم بهذه الآية بل هذا الامر بالاستئذان منسوخ وروى عكرمة عن ابن عباس انه قال ثلاث آيات من كتاب الله تعالى
تركهن الناس ولا ارى احدا يعمل بهن قال عكرمة فقلت ايش هي قال الاولى قوله يا ايها الناس انا خلقناكم
من ذكر وانثى وذهب سعيد بن جبير الى ان الآية الثالثة قوله واذا حضر القسمة اولوا القربى والثانية الآية ايضا مما له
ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض فيه سؤالات السؤال الاول اتقولون في قوله ليس
عليكم ولا عليهم جناح انه يقتضي الاباحة على كل حال الجواب قلنا انه ذلك مخصوص بالصغار خاصة فيباح لهم الدخول
للحرم بلا اذن في غير الاوقات الثلاثة ومباح اما لمكينهم من ذلك الدخول عليهم انما السؤال الثاني فهل يقتضي
ذلك اباحة كشف العورة لهم الجواب لا وانما اباح تعالى ذلك من حيث كانت العادة انها لا تكشف العورة في غير تلك الاوقات
فمتى كشفت المرأة عورتها مع اطلاق دخول الخدمة لها فيحرم عليها فان كان الخادم ممن بنازله التكليف فيحرم عليه الدخول
ايضا اذا علم ان هناك كشف عورة فان قيل اليس في الناس من يجوز للبالغ من المماليك ان ينظر الى شعر مولاته قلنا
من يجوز ذلك خرج الشعر من ان يكون عورة لمثل المملوك كما يخرج من ان يكون عورة لمثل الرحم او العورة ثم منه ما يكون
عورة على كل حال ومنه ما يختلف حاله بالاضافة فانه يكون عورة مع الاجنبي غير عورة مع غيره لعدم ذلك السؤال
الثالث اتقولون هذه الاباحة مقصورة على الخدم وقد عمهم الجواب نعم في قوله ليس عليكم جناح بعدهن
هل ان هذا الحكم يختص بالصغار دون البالغين على ما تقدم ذكره وقد نص تعالى على ذلك من بعد فقال واذا بلغ
الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم والمراد من تجدد منه البلوغ يجب ان يكون مثله من تقدم
بلوغه في وجوب الاستئذان فهذا معنى قوله كما استأذن الذين من قبلهم وقد يجوز ان يكون المراد من تقدم في حال
الصغر فاذا بلغ يجب له ان يستأذن ويفارق حاله من لم يحتلم ولم يملك بين تعالى انه كما حرم على البالغ من الطفل
الا باستئذان فكذلك في بعض الاوقات وان بعدت لهم خدمة او تستخدمهم السؤال الرابع هل الاستئذان
هل هو مختص بالمملوك ومن لم يبلغ الحلم ام يتناول ذلك الكل من ذي الرحم والاجنبي وذي رحم هل يجب
عليه الاستئذان الجواب اما في العورة الاول فيتناول العموم قوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا
على المملوك ومن لم يبلغ الحلم بظاهر الاول واما في العورة الثانية فيجب عليه لعموم الآية السؤال الخامس
ما محل ليس عليكم جناح الجواب اذا رفعت ثلاث عورات كان ذلك في محل الرفع الوصف الذي هو ثلاث عورات مخصوصة
بالحكم واذا نصبت لم يكن له محل وكان كلاما مقررا للامر بالاستئذان السؤال السادس
ما معنى قوله طوافون عليكم الجواب قال الفراء والزجاج انه كلام مستأنف في الكلام الثاني خدمكم
وطوافون عليكم والطوافون الذين يكثرون الدخول والخروج والتردد والطواف والمعنى يطوف بعضكم
على بعض فيغني عن الاذن السؤال السابع بم ارتفع بعضكم الجواب بالابتداء وخبره على بعض بمعنى طائف على
بعض وحذف لان طوافون يدل عليه اما قوله والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا ففيه مسائل المسألة
الاولى قال ابن السكيت امرأة قاعد اذا قعدت عن الحيض والجمع قواعد واذا اردت القعود قلت قاعدة
وقال المفسرون القواعد هن اللواتي قعدن عن الحيض والولد من الكبر لا مطمع لهن في الازواج ولا يرغبن
قعودهن عن الحيض لان ذلك ينقطع والرغبة تبقى والمراد قعودهن عن النكاح وذلك لا يكون الا اذا
بلغن في السن حدا بحيث لا يرغب فيهن الرجال المسألة الثانية قوله لا يرجون نكاحا معناه لا يرغبون
المسألة الثالثة اباح الله تعالى لهن الاذن في ان يضعن ثيابهن قال المفسرون
المراد بالثياب ههنا الجلباب والبرد والقناع التي فوق الخمار وعن ابن عباس انه قرأ ان يضعن جلابيبهن
وعن السدي عن شيوخه ان يضعن خمرهن عن رؤوسهن وعن انه قرأ ان يضعن من ثيابهن وانما
خصهن الله بذلك لان التهمة مرتفعة عنهن وقد بلغن هذا المبلغ ذلك لم يحل لهن وضع الثياب

ولذلك

ولذلك قال وان يستعففن خير لهن وانما جعل ذلك افضل من حيث انه ابعد من الظن وذلك يقتضي ان عند
الظنة يلزمهن ان لا يضعن ذلك كما يلزم مثله في الشابة المسألة الرابعة حقيقة التبرج تكلف اظهار ما يجب
اخفاؤه من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها والبرج سعة العين يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب
منه شيء الا انه خص بان تكشف المرأة للرجال بابداء زينتها واظهار محاسنها

قوله تعالى

ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت آبائكم او بيوت
امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم
او ما ملكتم مفاتحه او صديقكم ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم
تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون اعلم ان في الآية مسائل
المسألة الاولى اختلفوا في المراد من رفع الحرج عن الاعمى والاعرج والمريض فقال ابن زيد المراد انه لا حرج عليهم
ولا اثم في ترك الجهاد وقال الحسن نزلت الآية في ابن ام مكتوم وضع الله الجهاد عنه وكان اعمى وهذا القول
ضعيف لانه تعالى عطف عليه قوله ان تاكلوا فنبه بذلك على انه انما رفع الحرج في ذلك وقال الاكثرون المراد
منه ان القوم كانوا يتحرجون من الاكل مع هؤلاء الثلاثة وفي هذه المنازل فالله رفع ذلك الحرج وان الله
فانهم في سبب اعتقاد ذلك الحرج اما في حق الاعمى والاعرج والمريض فذكروا وجوها احدها
انهم كانوا لا ياكلون مع الاعمى لانه لا يبصر الطعام الجيد فلا ياخذه وكذا مع الاعرج لانه لا يتمكن من الجلوس
فالجالس ياكل لقمة يأكل لقمتين وكذا المريض لانه لا يتاتى له ان ياكل كما ياكل الصحيح قال الفراء
فعلى هذا التاويل تكون على بمعنى في يعني ليس عليكم في مواكلتهم حرج وثانيها ان العميان و
العرجان والمرضى تركوا مواكلة الاصحاء اما الاعمى فقال لا ارى شيئا فربما آخذ الاجود واترك الاردأ واما
الاعرج والمريض فخافا ان يفسدا الطعام على الاصحاء لامر يعتري المرضى ولاجل ان الاصحاء يكرهونهم ولاجل
ان المريض ربما يحمله الشره على ان يتعلق بطعام غيره ويتلبس بلقمة الغير وذلك مما يكرهه ذلك الغير فلهذه الاسباب
احترزوا عن مواكلة الاصحاء فالله تعالى اطلق لهم ذلك وثالثها قال الزهري عن سعيد بن المسيب
وعبيد الله بن عبد الله في هذه الآية ان المسلمين كانوا اذا غزوا خلفوا زمناهم وكانوا يسلمون اليهم مفاتيح
ابوابهم ويقولون قد احللنا لكم ان تاكلوا مما في بيوتنا فكانوا يتحرجون من ذلك فقالوا لا ندخلها
وهم غائبون فنزلت هذه الآية رخصة لهم وهذا قول عائشة رضي الله عنها فعلى هذا معنى الآية نفي
الحرج عن الزمنى في اكلهم من بيت من يدفع اليهم المفتاح اذا خرج الى الغزو ورابعها نقل عن ابن عباس و
مقاتل بن حيان نزلت هذه الآية في الحارث بن عمرو وذلك انه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غازيا
وخلف مالك بن زيد على اهله فلما رجع وجده مجهودا فسأله عن حاله فقال تحرجت ان آكل من طعامك بغير
اذنك واما في حق سائر الناس فذكروا وجهين الاول كان المؤمنون يذهبون بالضعفاء وذوي العاهات
الى بيوت ازواجهم واولادهم وقراباتهم واصدقائهم فيطعمونهم منها فلما نزل قوله تعالى ولا تاكلوا
اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض اي بيعا فعند ذلك امتنع الناس ان ياكل بعضهم من طعام
بعض فنزلت هذه الآية الثاني قال قتادة كانت الانصار في انفسها قزازة وكان لا ياكل من هذه البيوت اذا
استغنوا قال السدي كان الرجل يدخل بيت ابيه او بيت اخيه او اخته فتتحفه المرأة بشيء من الطعام فيتحرج
لاجل انه ليس ثم رب البيت فانزل الله تعالى هذه الرخصة المسألة الثانية قال ابو مسلم الحرج في اللغة الضيق ومعناه
في الدين الاثم المسألة الثالثة انه سبحانه اباح الاكل للناس من هذه المواضع وظاهره يدل على ان اباحة
الاكل لا تتوقف على الاستئذان فاختلف العلماء فيه فنقل عن قتادة ان الاكل مباح ولكن لا يحمل وجمهور العلماء
انكروا ذلك ثم اختلفوا على وجوه الاول كان ذلك في صدر الاسلام ثم نسخ ذلك بقوله عليه السلام لا يحل مال امرئ مسلم

الا من يطعمه نفسه ومما يدل على هذا النسخ قوله لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه
فكان في ذلك اباح الرسول من ان ياكل في بيوت وحرمه بالنهي عن دخول بيوتهن الا بعد الاذن في الدخول
وفي الاكل فان قيل انما اذن تعالى في هذه الاية ان المسلمين لم يكونوا يتقون بيوتا بانهم هولاء من ان ياكلوا
في بيوتهم حضروا او غابوا لجاز ان يرخص ذلك قلنا لو كان الامر كذلك لم يكن لتخصيص هولاء الاقارب بالذكر
معنى لان غيرهم لهم في ذلك السائل قال ابو مسلم المراد من هولاء الاقارب اذا لم يكونوا مومنين وذلك انه تعالى
نهى من قبل عن مخالطتهم بقوله لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ثم انه
سبحانه اباح في هذه الاية ما حظره هناك قال ويدل عليه ان في هذه السورة امر بالتسليم على اهل البيوت فقال
فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على اهلها في بيوت هولاء المذكورين لم يامر بذلك بل امر ان يسلموا على انفسهم والحاصل ان
المقصود من هذه الاية اثبات الاباحة في الجملة لا اثبات الاباحة في جميع الصور الثالث انه لما علم بالعادة ان هولاء
القوم تطيب نفسهم بالاكل من يدخل عليهم والعادة كالاذن في ذلك فيحسن ان يقال خصهم الله بالذكر لان هذه
العادة في الاغلب توجد فيهم ولذلك ضم اليهم الصديق ولما علمنا ان هذه الاباحة انما حصلت في هذه الصور
لاجل حصول الرضى فيها فلا حاجة الى القول بالنسخ المسالة الرابعة انه تعالى ذكر احد عشر موضعا في هذه
الاية اولها قوله ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم وفيه سوال وهو ان يقال اي فائدة في اباحة اكل الانسان
طعامه في بيته وجوابه المراد في بيوت ازواجكم وعيالكم اضاف اليهم لان بيت المراة كبيت الزوج وهذا قول
الفراء وقال ابن قتيبة اراد بيوت اولادكم فنسب بيوت الاولاد الى الاباء لان الولد كسبه والدليل عليه قوله
عليه السلام ان اطيب ما ياكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه والدليل على هذا انه سبحانه عدد الاقارب ولم
يذكر الاولاد لانه اذا كان سبب الرخصة هو القرابة كان الذي هو اقرب منهم اولى وثانيها بيوت اباكم وثالثها بيوت
امهاتكم ورابعها بيوت اخوانكم وخامسها بيوت اخواتكم وسادسها بيوت اعمامكم وسابعها بيوت عماتكم وثامنها
بيوت اخوالكم وتاسعها بيوت خالاتكم وعاشرها قوله تعالى او ما ملكتم مفاتحه وفيه وجوه
الاول قال ابن عباس وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته لا باس عليه ان ياكل من ثمر ضيعته ويشرب
من لبن ماشيته وملك المفاتح كونها في يده وحفظه الثاني قال الضحاك يريد الزمنى الذين كانوا يحرسون
للغزاة الثالث المراد بيوت المماليك لان مال العبد لمولاه قال المفضل المفاتح واحدها مفتح بفتح الميم
وواحد المفاتيح مفتح بالكسر الحادي عشر قوله او صديقكم او بيوت اصدقائكم جميعا وكذلك الخليط والقطين
والعدو يحكى عن الحسن انه دخل داره واذا حلقة من اصدقائه وقد اخرجوا سلالا من تحت سريره
فيها الخبيص واطايب الاطعمة فاكبوا عليها ياكلون فتهللت اسارير وجهه سرورا وضحك
وقال هكذا وجدناهم يعني كبراء الصحابة وعن ابن عباس الصديق اكبر من الوالدين
ان اهل جهنم لما استغاثوا لم يستغيثوا بالاباء والامهات بل قالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم
ويحكى ان الربيع بن خثيم في الله دخل منزله في حال غيبته فانبسط الى جاريته حتى قدمت
اليه الاكل فلما عاد اخبرته بذلك فللسرور بذلك قال ان صدقت فانت حرة المسالة الخامسة
احتج ابو حنيفة بهذه الاية على ان من سرق من ذي رحم محرم انه لا يقطع لانه اباح الله لهم بهذه الاية الاكل من
بيوتهم ودخولها بغير اذنهم فلا يكون ماله محرزا منهم فان قيل فيلزم ان لا يقطع اذا سرق من صديقه
قلنا من اراد سرقة ماله لا يكون صديقا له اما قوله تعالى ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا
فقال اكثر المفسرين نزلت الاية في بني ليث بن عمرو وهم حي من كنانة كان الرجل منهم لا ياكل وحده يمكث يومه
فان لم يجد من يواكله لم ياكل شيا وربما كانت معه الابل الحفل فلا يشرب من البانها حتى يجد من يشاربه
فاعلم الله تعالى ان الرجل اذا اكل وحده لا حرج عليه هذا قول ابن عباس وقال عكرمة وابو صالح كانت

الانصار

الانصار اذا نزل بواحد منهم ضيف لا ياكل الا وضيفه معه فرخص لهم ان ياكلوا كيف شاءوا مجتمعين ومتفرقين
وقال الكلبي كانوا اذا اجتمعوا لياكلوا طعاما عزلوا للاعمى طعاما على حدة وكذلك الزمن والمريض فبين الله لهم
ان ذلك غير واجب وقال اخرون كانوا ياكلون فرادى خوفا من ان يحصل عند الجمعية ما ينفر او يوذي
فبين الله انه غير واجب وقوله جميعا نصب على الحال واشتاتا جمع شت وشتى جمع شتيت وشتان
تثنية شت قاله المفضل وقيل الشت مصدر بمعنى التفرق ثم يوصف به ويجمع اما قوله تعالى فاذا دخلتم
بيوتا فسلموا على انفسكم فالمعنى انه تعالى جعل انفس المسلمين كالنفس الواحدة على مثال قوله تعالى
ولا تقتلوا انفسكم قال ابن عباس فان لم يكن احد فعلى نفسه ليقل السلام علينا من قبل ربنا واذا دخل
المسجد فليقل السلام على رسول الله وعلينا من ربنا قال قتادة وحدثنا ان الملائكة ترد عليه قال
القفال وان كان في البيت اهل الذمة فليقل السلام على من اتبع الهدى وقوله تحية نصب على المصدر كانه
قال فحيوا تحية من عند الله اي مما امركم الله به قال ابن عباس من قال السلام عليكم معناه اسم الله
عليكم وقوله مباركة طيبة قال الضحاك معنى البركة فيه تضعيف الثواب وقال الزجاج اعلم الله
سبحانه ان السلام مشتمل على البركة والثواب وانه اذا اطاع الله فيه اكثر خيره واجزل اجره ثم قال كذلك
يبين الله لكم الايات يفصل الله شرائعه لعلكم تعقلون ليتفهموا عن الله امره ونهيه روى حميد عن
انس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع سنين فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا قال لشيء
كسرته لم كسرته كنت واقفا على راس النبي عليه السلام اصب الماء على يديه اذ رفع راسه وقال الا اعلمك
ثلاث خصال تنتفع بها قلت بابي وامي يا رسول الله بلى قال من لقيت من امتي فسلم عليه يطل عمرك
واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الاوابين **قوله تعالى**
انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه ان الذين
يستاذنونك اولئك الذين يومنون بالله ورسوله فاذا استاذنوك لبعض شانهم فاذن لمن شئت منهم واستغفر
لهم الله ان الله غفور رحيم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون
منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم الا ان لله ما في السموات والارض
قد يعلم ما انتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم في الاية مسائل المسالة الاولى في الامر
الجامع ذكروا في قوله على امر جامع وجوها احدها ان الامر الجامع هو الامر الموجب للاجتماع عليه فوصف الامر بالجمع على
سبيل المجاز وذلك نحو مقاتلة عدو او تشاور في خطب نزل بهم او الامر الذي يعم ضرره او نفعه وفي قوله اذا كانوا
معه على امر جامع ان خطب جليل لا بد لرسول الله من ارباب التجارب والاراء ليستعين بتجاربهم فمفارقة احدهم
في هذه الحالة مما يشق على قلبه وثانيها عن الضحاك في امر جامع الجمعة والاعياد وكل شيء تكون فيه الخطبة وثالثها
عن مجاهد في الحرب وغيره المسالة الثانية اختلفوا في سبب نزوله قال الكلبي كان صلى الله عليه وسلم
يعرض في خطبته بالمنافقين ويعيبهم فينظر المنافقون يمينا وشمالا فاذا لم يرهم احد انسلوا وخرجوا ولم
يصلوا وان ابصرهم احد ثبتوا وصلوا خوفا فنزلت هذه الاية فكان بعد نزول هذه الاية لا يخرج المومن لحاجته
حتى يستاذن رسول الله وكان المنافقون يخرجون بغير اذن المسالة الثالثة قال الجبائي دلت الاية على ان استيذانهم الرسول
من ايمانهم ولولا ذلك لجاز ان يكونوا كاملي الايمان والجواب هذا بناء على ان كلمة انما للحصر وايضا فالمنافقون انما
تركوا الاستيذان استخفافا ولا نزاع في انه كفر اما قوله تعالى ان الذين يستاذنونك فتعظيم لك ورعاية للادب
اولئك الذين يومنون بالله ورسوله اي يعملون بموجب الايمان ومقتضاه قال الضحاك ومقاتل المراد عمر بن الخطاب
وذلك انه استاذن في غزوة تبوك في الرجوع الى اهله فاذن له فقال انطلق فوالله ما انت بمنافق يريد ان يسمع
المنافقين ذلك الكلام فلما سمعوا ذلك قالوا ما بال محمد اذا استاذنه اصحابه اذن لهم واذا استاذناه لم ياذن لنا

فوالله ما نراه يعدل وقال ابن عباس ان عمر استاذن رسول الله في العمرة فاذن له ثم قال يا ابا حفص
لا تنسنا في صالح دعائك وفي قوله واستغفر لهم وجهان احدهما ان يستغفر لهم تنبيها على ان الاولى ان لا يقع الاستئذان
منهم وان اذن لان الاستغفار يدخل في الذنوب وثانيها ان يستغفر لهم مقابلة على تمسكهم باداب الله تعالى في الاستئذان المسئلة الثالثة قال مجاهد قوله فاذن لمن شئت منهم يعني
الاية وذلك فيه ثلاثة المسئلة الرابعة الاية تدل على انه سبحانه فوض الى رسوله
بعض امر الدين ليجتهد فيها رايه اما قوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ففيه وجوه احدها
ان احتمال المبرد والقفال لا تجعلوا امره اياكم ودعاءه لكم كما يكون من بعضكم لبعض اذ كان امره فرضا لازما والذي
يدل على هذا قوله عقيب هذا فليحذر الذين يخالفون عن امره وثانيها لا تنادوه كما ينادي بعضكم بعضا يا محمد
يا ابا القاسم ولكن قولوا يا رسول الله يا نبي الله عن سعيد بن جبير وثالثها لا ترفعوا اصواتكم في دعائه وهو المراد
من قوله ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله عن ابن عباس ورابعها احذروا دعاء الرسول عليكم اذا
اسخطتموه فان دعاءه موجب ليس كدعاء غيره والوجه الاول اقرب الى نظم الاية اما قوله تعالى قد يعلم
الذين يتسللون منكم لواذا فالمعنى يتسللون قليلا قليلا ونظير تسلل تدرج وتدخل واللواذ الملاوذة وهي
ان يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا يعني يتسللون عن الجماعة على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض ولواذا
حال اي ملاوذين قيل كان بعضهم يلوذ بالرجل اذا استاذن فياذن له فينطلق الذي لم يؤذن معه وقيل
لواذا بالنبي ثم اختلفوا على وجوه احدها قال مقاتل كان المنافقون يثقل عليهم خطبة النبي عليه السلام
يوم الجمعة فيلوذون ببعض اصحابه ويخرجون من غير استئذان وثانيها قال مجاهد يتسللون من الصف في القتال
وثالثها قال ابن قتيبة هذا كان في حفر الخندق ورابعها يتسللون عن الذكر وعن كتابه وعن ذكره وقوله
قد يعلم الله معناه التهديد بالمجازاة اما قوله فليحذر الذين يخالفون عن امره ففيه مسائل المسئلة الاولى قال الاخفش
عن صلة والمعنى يخالفون امره وقال غيره معناه يعرضون عن امره ويميلون عن سنته فدخلت عن لتضمين المخالفة
معنى الاعراض المسئلة الثانية الكناية في امره تعود الى الرسول وتقدم ذكر الله لكن المقصود هو الرسول فاليه ترجع
الكناية وقال ابو بكر الرازي الاظهر انها لله تعالى لانه يليه وحكم الكناية ان تعود الى ما يليها دون ما تقدمها المسئلة الثالثة
الاية تدل على ان ظاهر الامر للوجوب ووجه الاستدلال به ان تارك المامور به مخالف للامر ومخالف الامر
مستحق للعقاب فتارك المامور به مستحق للعقاب ولا معنى للوجوب الا ذلك انما قلنا ان تارك المامور به مخالف
لذلك الامر لان موافقة الامر عبارة عن الاتيان بمقتضاه والمخالفة ضد الموافقة فكانت مخالفة الامر عبارة عن الاخلال
بمقتضاه فثبت ان تارك المامور به مخالف انما قلنا ان مخالف الامر مستحق العقاب لقوله تعالى فليحذر الذين
يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم فامر مخالف الامر بالحذر عن العقاب والامر
بالحذر عن العقاب انما يكون بعد قيام المقتضي لنزول العقاب فثبت ان مخالف امر الله او امر رسوله يثبت
وجود ما يقتضي نزول العذاب فان قيل لا نسلم ان تارك المامور به مخالف للامر قوله موافقة الامر
عبارة عن الاتيان بمقتضاه قلنا لا نسلم بل الدليل عليه ان المعتزلة يقولون ان موافقة الامر عبارة عن
الاتيان بما يقتضيه الامر على الوجه الذي يقتضيه فلو اقتضاه على سبيل الندب وانت تاتي به على سبيل الايجاب
كان ذلك مخالفة للامر الثاني ان موافقة الامر عبارة عن الاعتراف بكونه حقا واجب القبول
فالمخالفة تكون عبارة عن انكار كونه حقا واجب القبول سلمنا ان ما ذكرته يدل على ان مخالفة الامر
عبارة عن ترك مقتضاه لكنه معارض بوجه اخر فانه لو كان ترك المامور به مخالفة للامر لكان فعل المندوب
مخالفة لا امتثالا وذلك باطل لانه لا يستحق العقاب على ما بينتموه في المقدمة الثانية سلمنا ان تارك المامور به
مخالف للامر لكن لم قلتم ان المخالفة يستحق العقاب اما قوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره قلنا لا نسلم

ان هذه

ان هذه الاية دالة على امر من يكون مخالفا للامر بالحذر بل هي دالة على الامر بالحذر عن مخالفة الامر فلم لا يجوز ان يكون كذلك
سلمنا ذلك لكنها دالة على ان المخالف عن الامر يلزمه والحذر فلم قلت ان مخالف الامر يلزمه الحذر فان قلت لفظة
عن صلة ثابتة فيكون المعنى في الكلام ما سمي في كلام الله لغوا سلمنا دلالة الاية على ان مخالف امر الله مامور
بالحذر عن العقاب فلم قلت يجب عليه الحذر عن العذاب فانه في الباب انه ورد الامر به لكن لم قلت ان الامر
للوجوب وهذا اول المسئلة كان قلت هب ان الامر لا يدل على وجوب الحذر لكن لا بد وان يدل على حسن الحذر وحسن
الحذر انما يكون بعد قيام المقتضي لنزول العقاب قلت لا نسلم ان حسن الحذر مشروط بقيام المقتضي لنزول
العذاب بل الحذر يحسن عند احتمال نزول العذاب ولهذا يحسن الاحتياط وعندنا مجرد الاحتمال قائم لان هذه
المسئلة اما ان تكون قطعية سلمنا دلالة الاية على وجود المقتضي لنزول العذاب لكن في كل الامر او في امر واحد فان قلت
في امر واحد لا يفيد كون الامر للوجوب سلمنا ان في كل الامر لكن لم قلت ان كل الامر كذلك سلمنا ان كل الامر كذلك
لكن الضمير في قوله عن امره يحتمل عوده الى الله تعالى وعوده الى الرسول فالاية لا تدل الا على ان الامر للوجوب
في حق احدهما فلم قلت انه في حق الامر الاخر كذلك الجواب قوله لم قلتم ان موافقة الامر عبارة عن الاتيان بمقتضاه قلنا
الدليل عليه ان العبد اذا امتثل امر السيد حسن ان يقال هذا العبد موافق للسيد وجرى على وفق امره ولو لم يمتثل امره
ان ما دام انه مخالف له وحسن هذا الاطلاق معلوم بالضرورة من اهل اللغة فثبت ان موافقة الامر عبارة عن
الاتيان بمقتضاه قوله الموافقة عبارة عن الاتيان بالمامور به على الوجه الذي يقتضيه الامر قلنا لما سلمتم ان موافقة
الامر ما يحصل الا عند الاتيان بمقتضى الامر فنقول لا شك ان مقتضى الامر هو الفعل لان قولنا افعل لا يدل الا على مسمى
الفعل واذا اتى بالفعل فقد وجد مقتضى الامر فلا بد ان توجد الموافقة فتوجب حصول المخالفة لانه ليس بين الموافقة
والمخالفة واسطة قوله الموافقة عبارة عن اعتقاد كون ذلك الامر حقا واجب القبول قلنا هذا الا يكون موافقة
للامر بل يكون موافقة للدليل الدال على كون ذلك الامر حقا فان موافقته التي عبارة عن الاتيان بمقتضاه ومقتضاه
واذا دخل الدليل على صحته التي لا سبيل الا بكونه ثم ثبتت مقتضى ذلك الدليل اما الامر فهو لا يقتضي
دخول الفعل في الوجود فكانت موافقته عبارة عما يقرر ذلك الدخول واحالته في الوجود بمقتضى
دخوله في الوجود فكانت موافقة الامر عبارة عن فعل مقتضاه قوله لو كان كذلك لكان تارك المندوب مخالفا
ووجب ان يستحق العقاب قلنا هذا الالزام انما يصح ان لو كان المندوب مامورا به وهو ممنوع قوله لم لا يجوز
ان يكون قوله فليحذر امرا بالحذر عن المخالفة لا امرا للمخالف بالحذر قلنا لو كان كذلك لصار التقدير فليحذر
المتسللون المخالفة عن الذين يخالفون عن امره وحينئذ يبقى قوله ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم
ضائعا لان الحذر ليس فعلا متعديا الى مفعولين قوله كلمة عن صلة زائدة قلنا ذكر بعض اهل اللغة ان ذلك
في الكلام اولى قوله لم قلتم ان قوله فليحذر يدل على وجوب الحذر عن العقاب قلنا انه لا ندعي وجوب الحذر بل
نقول دلت الاية على حسن الحذر وانه لا يحسن الا عند قيام المقتضي لوقوع العقاب قوله لم لا يجوز ان يحسن الحذر عند احتمال نزول
العقاب على المخالفة قلنا لو كان كذلك لوجب ان يكون الحذر حسنا مع عدم المقتضي فيلزم عمومه لعموم العلة وهو ان امر الله او امر رسوله للوجوب
قلنا ان الكل كذلك لانه لا قائل بالفرق المسئلة الرابعة من الناس من قال لفظ الامر مشترك بين الامر القولي وبين
الشان والطريق كما يقال امر فلان مستقيم واذا ثبت ذلك كان قوله تعالى عن امره يتناول قول الرسول وفعله وطريقته
وذلك يقتضي ان كل ما فعله عليه السلام يكون واجبا علينا وهذه المسئلة مبنية على ان الكلام في ان لفظ الامر راجع الى
النبي عليه السلام اما لو كان راجعا الى الله تعالى فالبحث ساقط بالكلية وتمام تقرير ذلك ذكرناه في اصول الفقه
اما قوله تعالى ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم فالمراد ان مخالفة الامر توجب احد هذين الامرين والمراد بالفتنة
العقوبة في الدنيا والعذاب الاليم عذاب الاخرة وانما ردد الله تعالى حال ذلك المخالف بين هذين الامرين لان ذلك
المخالف قد يموت من دون عقاب الدنيا وقد يعرض له ذلك في الدنيا فلهذا السبب ذكره تعالى على سبيل الترديد ثم قال

الحس لفسقه من ظهور نفاقهم وقال ابن عباس العقل وقيل الزلازل والاهوال ... عن جعفر بن محمد ... سلط عليهم

سلطان جائر ... الا ان لله ما في السموات والارض ... للدلالة على قدرته تعالى عليهما ...

على المكلف ... بما ... من ... وعلمه بما يخفيه ...

امرهم ... يعلم ما انتم عليه ... لتوكيد علمه بما انتم عليه ...

[illegible]

سورة الفرقان

قوله سبحانه وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا

اعلم انه سبحانه تكلم في هذه السورة في التوحيد والنبوة واحوال القيامة ثم ختمها بذكر صفات العباد المخلصين ...

[illegible]

[illegible]

للتنويه المقدر بامثله الحكمة والسدد فعدله امرنا ومصلحة مطابقا لما قدر له عن محل له عنه السوال
الثالث هل في قوله [illegible] الجواب [illegible]
[illegible]

[illegible]

قوله تعالى

[illegible]

اعلم انهم ليسوا خالقين والثاني انهم مخلوقون والعبد لو كان خالقا [illegible] انه مخلوق [illegible]
السوال الثالث هل [illegible] الجواب [illegible] لانه تعالى ذكر [illegible]
[illegible]

قوله تعالى

وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم اخرون فقد جاؤا ظلما وزورا وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض انه كان غفورا رحيما وقالوا مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة ياكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا اعلم انه سبحانه [illegible]

[illegible]

ان يرجع احدهما شرح يتعلق بهذا الكلام بما قبله وكانهم قالوا كتبت اساطير فهي تملى عليه وثانيهما ان هذا
من كلامهم ويقولون واعانه عليه قوم آخرون وثانيها انه تعالى اجاب عن كلامهم بقوله قل انزله الذي يعلم
السر في السموات والارض انه كان غفورا رحيما [illegible] ان هذه [illegible] لم يكن [illegible]
من تلك الشبهة وتقريره انه عليه السلام تحداكم بالمعارضة وظهر عجزكم عنها اذ لو كان عليه السلام اتى بالقرآن
بانه استعان بأحد لكان من الواجب عليكم ايضا ان تستعينوا باحد فتأتوا بمثل القرآن فلما عجزتم عنه ثبت انه
وحي الله تعالى وكلامه فلهذا قال قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض وذلك لان القادر على تركيب الفاظ
القرآن لابد وان يكون عالما بكل المعلومات ظاهرها وخفيها ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا
كثيرا وثانيها اشتماله على احكام هي مقتضية لمصالح العالم ونظام العباد وكان لا يكون ذلك الا من العالم
بكل المعلومات وثالثها اشتماله على انواع العلوم وذلك لا يتأتى الا من العالم بكل المعلومات [illegible]
شبهتهم بقوله قل انزله الذي يعلم السر [illegible] اختلفوا في المراد بالسر فمنهم من قال المعنى ان العالم بكل
سر في السموات والارض هو الذي يمكنه انزال مثل هذا الكتاب وقال ابو مسلم المعنى انه انزله من يعلم السر فلو كذب
عليه [illegible] قوله تعالى [illegible] انه يعلم كل شيء
في السموات والارض ويعلم ما تسرون انتم من الكيد لرسوله مع علمكم بانه صادق [illegible]
بالكيد للرسول [illegible] وهو سبحانه مجازيهم [illegible]
المسألة [illegible] انما ذكر الغفور الرحيم في هذا الموضع لوجهين الاول قال ابو مسلم المعنى انه انما انزله لاجل الانذار فوجب
ان يكون غفورا رحيما غير مستعجل في العقوبة الثاني انه تنبيه على انهم استوجبوا بمكابرتهم هذه ان يصب
عليهم العذاب صبا لكن صرف ذلك عنهم كونه غفورا رحيما يمهل ولا يعاجل الشبهة الثالثة وهي في غاية الركاكة
ذكروا صفات خمسة زعموا انها تخل بالرسالة احدها قوله ما لهذا الرسول يأكل الطعام وثانيها قوله ويمشي
في الاسواق يعني انه لما كان كذلك فمن اين له الفضل علينا وهو مثلنا في هذه الامور وثالثها قوله لولا انزل
اليه ملك فيكون معه نذيرا يعني [illegible] يشهد له ويرد على من خالفه ورابعها قوله او يلقى اليه كنز [illegible]
[illegible] فلا يحتاج الى التردد لطلب المعاش وخامسها قوله او تكون له جنة يأكل منها [illegible]
[illegible] لم يكن له كنز فلا اقل من ان يكون كواحد من الدهاقين فيكون له بستان يأكل منه [illegible]
وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا وقد تقدمت هذه الشبهة في آخر سورة بني اسرائيل ثم اجاب الله عن
هذه الشبهة [illegible] انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا [illegible]
[illegible] الرسول [illegible] المعجز
[illegible]
[illegible] انه تعالى [illegible] الانظر
[illegible]
[illegible] المعجزات [illegible]
[illegible] انه
[illegible]
[illegible]
[illegible]
قوله تعالى تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات
تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اذا رأتهم من مكان
بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا
دلها

١٠٦

106

واحدا وادعوا ثبورا كثيرا اعلم ان هذا هو الجواب الثاني عن تلك الشبهة فقوله تبارك الذي ان شاء جعل
لك خيرا من ذلك [illegible] مما ذكروه من نعيم الدنيا كالكنز والجنة [illegible] الخير بقوله جنات تجري من
تحتها الانهار ويجعل لك قصورا فنبه بذلك على انه سبحانه قادر ان يعطي الرسول كل ما ذكروه ولكنه تعالى يريد
[illegible] لا [illegible]
[illegible] ابواب المعارف [illegible]
[illegible] سبحانه قادر على ان يعطيه جنات خيرا من ذلك
[illegible] المسألة الثانية قوله ان شاء معناه انه سبحانه
قادر على ذلك [illegible] ان شاء جعل لك خيرا من [illegible]
[illegible] ذلك [illegible] برحمته وانه معلق على محض مشيئته وانه
ليس لاحد من العباد حق على الله لا في الدنيا ولا في الآخرة المسألة الثالثة القصور جمع القصر وهو المسكن
الرفيع ويحتمل ان يكون لكل جنة قصر فيكون مسكنا ومتنزها ويجوز ان يكون القصور مجموعة والجنات مجموعة
وقال مجاهد ان شاء جعل لك جنات في الآخرة وقصورا في الدنيا المسألة الرابعة اختلف القراء في قوله
ويجعل لك قصورا فقرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم في رواية ابي بكر بالرفع [illegible] والمعنى ان شاء يجعل جنات ويجعل
ومن رفع [illegible] على الاستئناف والمعنى ويجعل لك قصورا هذا قول الزجاج [illegible]
[illegible] يجعل لك قصورا في الدنيا [illegible] الوقف على الانهار ومن رفع حسن الوقف على الانهار
ويجعل لك قصورا في الآخرة وفي مصحف ابي وابن مسعود تبارك الذي ان شاء [illegible]
عن ابن عباس [illegible] رسول الله جالس وجبريل عليه السلام معه [illegible] جبريل [illegible]
[illegible] الا قليلا حتى جاء الملك وسلم على رسول الله وقال ان الله [illegible]
[illegible] احدا قبلك [illegible] بعدك [illegible]
[illegible] تبارك الذي ان شاء جعل لك الآية وعن ابن عباس [illegible]
[illegible] جبريل [illegible]
اشبع يوما واجوع [illegible] فاحمدك اذا شبعت واتضرع اليك اذا جعت [illegible]
[illegible] رسول الله [illegible] جبريل عليه السلام [illegible] وقال [illegible] تعالى يقرئك السلام [illegible]
وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام الآية [illegible] جبريل عليه السلام والنبي عليه السلام [illegible] اذ فتح باب من
ابواب السماء لم يكن فتح قبل ذلك [illegible] يا محمد هذا رضوان خازن الجنة قد اتاك بالرضى من ربك فسلم عليه [illegible]
ان ربك يخيرك بين ان تكون نبيا ملكا وبين ان تكون نبيا عبدا ومعه سفط من نور [illegible] مفاتيح خزائن
الدنيا [illegible] الله [illegible] جناح بعوضة [illegible] النبي عليه السلام [illegible] جبريل [illegible]
[illegible] بل نبيا عبدا [illegible] عليه السلام لم يأكل بعد ذلك متكئا [illegible] الدنيا
[illegible] بل كذبوا بالساعة [illegible] سبحانه [illegible] عليهم
[illegible] المسألة [illegible] بالساعة [illegible] المعنى انهم
[illegible] النظر والفكر [illegible]
[illegible] المسألة الاولى [illegible] واعتدنا [illegible]
[illegible] النار [illegible] المسألة الثانية احتج
اصحابنا على ان الجنة مخلوقة [illegible] تعالى اعتدنا للمشركين [illegible] النار التي هي دار العقاب مخلوقة
[illegible] النار في الدنيا [illegible] الكفار والفساق في قبورهم [illegible] الآخرة

ويكون معنى واعتدنا اي هيأنا لهم كقوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار واعلم ان هذا السؤال في نهاية
السقوط لان المراد من قوله عن نار الدنيا او نار الآخرة فان كان الاول فالمراد انه تعالى يحاكمهم في الدنيا
[illegible]

107

بمعنى العتيق كما ان الوضوح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها السموات والارض وجاء في الاحاديث ان لكل مؤمن
من القصور والجنان كذا وكذا ولقد وصف الله على اهل النار [illegible] البلاء حيث ضمهم الى العذاب الشديد العميق الشديد
[illegible]

اما ان يكونوا من اهل النار او من اهل الجنة لانه تعالى بالسعير وباهل الجنة دون السعير واما اخراجهم من النار
وادخالهم الجنة وذلك لان الجنة هو المعتبر لقوله تعالى كانت لهم جزاء فجعل الجنة لهم ... انما كانت
لهم لكونها جزاء لهم على اعمالهم ... [illegible]
[illegible]
[illegible]
... ان صاحب الكبيرة هل يسمى ... [illegible]
مصيرا ... [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

الفا وهذا سوال ان ... ولم ... وسائر الوجوه ... اقرب الى الحقيقة
وما قاله ... بما سوال من حقه ان يكون مسولا لانه حق واجب ... ... اسمها ... نزول
المعتزلة ... الوعد على قول اهل السنة

قوله تعالى

ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول
أأنتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء ولكن متعتهم
وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه
عذابا كبيرا وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة
اتصبرون وكان ربك بصيرا اعلم ان قوله تعالى ويوم يحشرهم راجع الى قوله واتخذوا من دونه آلهة ثم ههنا
مسائل المسالة الاولى ... فنقول ... وقرئ نحشرهم بكسر الشين المسالة الثانية ظاهر قوله
وما يعبدون ... الاصنام وظاهر قوله فيقول أأنتم اضللتم انه من عبد من الاحياء كالملائكة والمسيح وغيرهما
لان الاضلال ... [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

ملائكته وانبيا معصومون فما انحدمهم عن الاضلال الذي هو مختص بابليس وحزبه وتاييسا انهم نطقوا سبحانك
ليدلوا على انهم المستحقون الموصوفون بذلك فكيف يليق بحالهم ان يضلوا عباده [illegible]

[illegible]

[illegible]

بعضكم لبعض فتنة فهذه مسايل المسئلة الاولى ... ان هذا ... المشركين ... الصحابة فاذا رات
الشريف الوضيع قد اسلم قبله انف ان يسلم فاقام على كفره ... ان ... المفضل عليه ودليله قوله تعالى لو كان
خيرا ما سبقونا اليه وهذا قول الكلبي والفراء والزجاج ... ان هذا عام في جميع الناس ... ابو الدرداء عن النبي عليه السلم
... العالم من الجاهل ... الضعيف
... فتنة ... البلاء والعافية ... لم اجعل
... الخلق ... ما هذا احتجاج عليهم
... بالرسالة ... بشرية ... المرسلين ...
[illegible]

قوله تعالى

[illegible]

المسئلة الثانية

المسئلة الثالثة ... قوله تعالى ... لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة ...
[illegible]

وعتوا عتوا كبيرا لبيان أن أصل سؤال الرؤية حتى أنهم لو اقتصروا على نزول الملائكة لما خوطبوا بذلك والدليل عليه أن الله تعالى
ذكر أمر الرؤية في آية أخرى على جهة الاستعظام وهو قوله لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة
وذكر نزول الملائكة وهل يجري ربنا فثبت ههنا أن الاستكبار والعتو في هذه الآية إنما حصل لأجل سؤال الرؤية واعلم
أن الكلام على ذلك يتعلق في سورة النجم والملك نزيده ههنا بيانا فنقول قال المعترضون لقائل أن يقول إنما دل على الرؤية
على الاستكبار والعتو لما أمكن الاستدلال به على أن الرؤية مستحيلة لأن من طلب شيئا محالا لا يقال إنه عتا واستكبر
ألا ترى أنهم لما قالوا اجعل لنا إلها كما لهم آلهة لم يثبت لهم بطلب هذا المحال عتوا واستكبارا بل قال إنكم قوم تجهلون
بل العتو والاستكبار لا يثبت إلا لأجل الطلب لما أن لهم الحق به ممنوعونه ولو كان التثبت لأجل ذلك لكان طلبه على سبيل التعنت و
بالجملة فقد ذكرنا وجوها كثيرة في تفسير الاستكبار والعتو سواء كانت الرؤية ممتنعة أو ممكنة ومما يدل على أن موسى عليه السلام
الرؤية لا يقتضيه الاستكبار والعتو أنه عليه السلام طلب الرؤية شوقا وهؤلاء ما طلبوها إلا امتحانا وتعنتا
ومنهم ذلك [illegible] فإذا قالت المعتزلة المسألة الثالثة إنما قال في أنفسهم لأنهم أضمروا الاستكبار في قلوبهم و
اعتقدوه كما قال إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه وعتوا أي جاوزوا الحد في الظلم يقال عتا فلان
وقد وصف العتو بالكبر مبالغة في إفراطه يعني أنهم لم يجسروا على هذا القول إلا أنهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى
العتو أما قوله يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا فهو جواب لقولهم لولا أنزل علينا الملائكة
فبين تعالى أن الذي طلبوه سيوجد ولكنهم يلقون منه ما يكرهون وههنا مسائل المسألة الأولى ذكروا في انتصاب
يوم وجهين الأول أن العامل فيه ما دل عليه لا بشرى أي يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى يومئذ للمجرمين والثاني
أن التقدير اذكر يوم يرون الملائكة المسألة الثانية اختلفوا في ذلك اليوم فقال ابن عباس يريد عند الموت وقال
الباقون يريد يوم القيامة المسألة الثالثة إنما قال للكافرين لا بشرى لأن الكافر وإن كان ضالا مضلا إلا أنه كان يعتقد
في نفسه أنه كانت له أعمال حسنة فكان يطمع في ذلك الثواب العظيم وإنهم ربما عملوا أنهم رجعوا إليه كنصرة المظلوم
وإغاثة الملهوف وصلة الرحم ولكنها أبطلها الكفر فبين سبحانه أنهم في أول الرؤية يرون ما يدل على نهاية اليأس و
الخيبة وذلك هو النهاية في الإيلام وهو المراد من قوله وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون المسألة الرابعة احتج الكلام
أن قال يوم يرون الملائكة لا بشرى لهم لكنه قال لا بشرى يومئذ للمجرمين [illegible] ظاهر في عموم [illegible]
أنه عام فقد دلالتهم بعمومه [illegible] الآية على القطع بوعيد الفساق وعدم العفو [illegible] لا بشرى يعم
للمجرمين نكرة في سياق النفي فيعم جميع أنواع البشرى في جميع الأوقات بدليل أن من أراد تكذيب هذه القضية
قوله قال إنه تقرر في العرف [illegible] فلما كان ثبوت البشرى في وقت [illegible] لكذب هذه القضية فعلمنا أن قوله
لا بشرى يقتضي نفي جميع أنواع البشرى في كل الأوقات وشفاعة الرسول لهم من أعظم البشرى فوجب أن لا يثبت
ذلك لأحد من المجرمين والكلام على التمسك بصيغ العموم قد تقدم غير مرة وقال المفسرون المراد بالمجرمين ههنا الكفار
بدليل قوله إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة المسألة الخامسة في تفسير قوله تعالى حجرا محجورا ذكر
سيبويه في باب المصادر غير المتصرفة المنصوبة بأفعال متروك إظهارها نحو معاذ الله وقعدك وعمرك وهذه
كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو أو هجوم نازلة ونحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة قال سيبويه يقول
الرجل للرجل أتفعل كذا وكذا فيقول حجرا محجورا وهي من حجره إذا منعه لأن المستعيذ طالب من الله أن يمنع
المكروه فلا يلحقه فكان المعنى أسأل الله أن يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا ومجيئه على فعل أو فعل في قراءة الحسن
لتصرفهم فيه لاختصاصه بموضع واحد كما كان من باب المصادر في معنى ووصف محجورا للمناجاة
هذه الصفة لتأكيد معنى الحجر كما قالوا ذيل ذائل والويل الهوان وموت مائت وحرام محرم المسألة
السادسة اختلفوا في أن الذين يقولون حجرا محجورا من هم على قولين الأول أنهم هم الكفار
وذلك لأنهم كانوا يطلبون نزول الملائكة ويقترحونه ثم إذا رأوهم عند الموت أو يوم القيامة كرهوا لقاءهم وفزعوا

منهم

منهم لأنهم لا يلقونهم إلا بما يكرهون فقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو ونزول الشدة القول
الثاني أن القائلين هم الملائكة ومعناه حراما محرما عليكم الغفران أو الجنة أو البشرى أي جعل الله ذلك حراما عليكم ثم اختلفوا
على هذا القول فقال بعضهم إن الكفار إذا خرجوا من قبورهم قالت الحفظة لهم حجرا محجورا وقال الكلبي الملائكة على أبواب الجنة
يبشرون المؤمنين بالجنة ويقولون للمشركين حجرا محجورا [illegible] والوليد [illegible] إن الكفار
يوم القيامة [illegible] أما قوله تعالى وقدمنا [illegible] بقوله وقدمنا
وذلك لأن القدوم حركة والموصوف بالحركة محدث ولما كان ذلك محالا [illegible] الجواب عنه من وجوه
[illegible] فوجب تأويل لفظ القدوم وهو من وجوه أحدها وقدمنا إلى ما عملوا من عمل أي قصدنا
إلى أعمالهم فإن القادم إلى الشيء قاصد له [illegible] المراد
قدوم الملائكة [illegible] على سبيل التوسع
نظيره قوله فلما آسفونا انتقمنا منهم [illegible] إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها [illegible]
بالكلية [illegible] أما قوله إلى ما عملوا من عمل يعني أعمال الذين
اعتقدوها قربا وظنوا أنها تقربهم إلى الله تعالى والمعنى إلى ما عملوا من عمل كان لغير الله فجعلناه هباء منثورا
فأمر بإبطاله وجعلناه بحيث لا يمكن الانتفاع بها كالهباء المنثور الذي لا يمكن القبض عليه بغيره وقيل كرماد
تقيعه كرماد اشتدت به الريح كعصف مأكول قال أبو عبيدة والزجاج الهباء مثل الغبار يدخل من الكوة مع ضوء الشمس
وقال مقاتل إنه الغبار الذي يسطع من حوافر الدواب أما قوله أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا
فاعلم أنه سبحانه لما بين حال الكفار في الخسار الكلي والخيبة التامة شرح وصف أهل الجنة منبها على أن الحظ
كل الحظ لهم فإن قيل كيف يكون خير مستقرا من أهل النار ولا خير في النار [illegible] الجواب
من وجوه الأول [illegible] قوله قل أذلك خير أم جنة الخلد والثاني [illegible] مستقرهم خير
من النار كقول الشاعر [illegible] الثالث التفضيل [illegible]
إنما يرجع إلى الموضع [illegible] مستقرا أهل
الجنة [illegible] السؤال الثاني [illegible] المستقر مكان
الاستقرار [illegible] المقيل [illegible] بمعنى مكان
أهل الجنة [illegible]
إلى الجنة [illegible] أهل الجنة في الجنة
وأهل النار في النار [illegible] إن الله تعالى [illegible]
نصف النهار [illegible] فيقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار [illegible]
[illegible] على أهل الجنة [illegible] في الدنيا [illegible]
السؤال الثالث [illegible] في الجنة والنار [illegible] فأهل النار أبدا في عذاب
[illegible] وأهل الجنة في نعيم [illegible] وقال الله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وليس في الجنة
بكرة وعشي لقوله تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا [illegible] المراد منه بيان
[illegible] المواضع [illegible] قوله تعالى
ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا ويوم يعض الظالم على يديه
يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان
الشيطان للإنسان خذولا اعلم أن هذا الكلام على ما استدعوه من نزول الملائكة تبين سبحانه أنه يحصل ذلك
[illegible] له صفات الصفة الأولى أن ذلك اليوم تتشقق السماء بالغمام وفيه مسائل المسألة الأولى قال إذا السماء انفطرت

قوله

بل على التشقق وقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام يدل على ان الغمام نزوله تشقق السما بالغمام
جامع لمعنى ذلك لما تبين ونظيره قوله تعالى وفتحت السما فكانت ابوابا وقوله فهي يومئذ واهية المسالة
الثانية قرا ابو عمرو واهل الكوفة بتخفيف الشين هاهنا وفي سورة ق والباقون بالتشديد وقال ابو عبيد الخيار
التخفيف كما تخفف تساءلون ومن شدد فمعناه تتشقق بالغمام بل عن الغمام وقال القاضي [illegible] لم يحمل تعالى الغمام
بحيث تشقق السما بالغمام عليه [illegible] تكون السما سقفا لهم المسالة الثالثة [illegible] لهذا التشقق تعلق بنزول
الملائكة فنقل الملائكة في ايام الدنيا كانوا ينزلون من مواضع مخصوصة من السما على انفرادهم ثم في ذلك اليوم تتشقق السما فاذا
تشققت [illegible] الملائكة وينزل الملائكة الى الارض المسالة الخامسة
قيل ينزل الملائكة [illegible] عموم [illegible] الكل ولا في السما [illegible] الملائكة فاذا انشقت [illegible] نزلوا الى الارض [illegible]
تشقق سما الدنيا [illegible] اهلها [illegible] سكان الارض [illegible] ثم تشقق السما الثانية [illegible] اهلها [illegible]
سكان السما الدنيا ثم كذلك تتشقق [illegible] ثم ينزل الكروبيون وحملة العرش ثم ينزل الله تعالى [illegible]
ثم تتشقق [illegible] سكانها [illegible] العالم [illegible] حول العالم [illegible]
[illegible] والموصوف [illegible] الملائكة الى الارض [illegible] سوال [illegible]
[illegible] ان الارض بالقياس الى سما الدنيا [illegible] فكيف بالقياس الى الكرسي والعرش فالملائكة هذه المواضع [illegible]
كيف تسع الارض لكل هولا ومن المفسرين من قال الملائكة يكونون في الغمام ثم الملائكة [illegible] الغمام [illegible] السما
والله تنزل المسالة السادسة [illegible] الملائكة [illegible] تاكيد للنزول ودالة على اسراعهم فيه المسالة
السابعة [illegible] في الغمام ليس للعموم [illegible] في قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة
المسالة الثامنة قرئ ننزل الملائكة ونزل الملائكة ونزلت الملائكة وانزل الملائكة وانزل الملائكة ونزل الملائكة على حذف
النون الذي هو فا الفعل من ننزل قراه اهل مكة الصفة الثالثة قوله الملك يومئذ الحق للرحمن قال الزجاج
الحق صفة للملك [illegible] الملك الحق يومئذ للرحمن [illegible] على [illegible] بكونه صفة [illegible]
[illegible] الملك [illegible] للرحمن فما الفايدة في قوله يومئذ قلنا لان في ذلك اليوم لا مالك سواه لا
في الصورة ولا في المعنى فتخضع له الملوك وتعنو له الوجوه وتذل له الجبابرة بخلاف سائر الايام واعلم ان هذه الاية
دالة على فساد قول المعتزلة [illegible] الله تعالى [illegible] الثواب والعوض [illegible] يستحق الذم بتركه [illegible]
مثل [illegible] الملك [illegible] قول المعتزلة [illegible]
عليه شيا [illegible] ذلك [illegible] سبحانه [illegible] سبحانه [illegible]
عنه [illegible] العبودية [illegible]
[illegible] سبحانه [illegible] انواع التواضع [illegible] العبودية
والذل [illegible] الملك [illegible] للرحمن [illegible]
للعدم [illegible] الملك [illegible] سبحانه الملك يومئذ
الحق للرحمن [illegible] الصفة الثالثة [illegible] والمعنى ظاهر لانه تعالى عالم باحوال
الكل [illegible] الصفة الرابعة قوله
ويوم يعض الظالم على يديه [illegible] الظالم [illegible] للعموم [illegible]
بالعموم [illegible] ابن عباس [illegible] عقبة بن ابي معيط [illegible] طعام [illegible]
جيرته من اهل مكة وكان يكثر مجالسة الرسول [illegible] فدعا الرسول فقال الرسول لا اكل من طعامك حتى
ياتي الشهادتين ففعل فاكل الرسول طعامه [illegible] يا عقبة [illegible]
[illegible] من طعامي [illegible] في وجهه [illegible] خارجا
[illegible]
مكة [illegible] فلا [illegible] يوم يعض الظالم على يديه يعني عقبة يقول يا ليتني لم اتخذ فلانا خليلا [illegible]
عن الذكر بعد اذ جاءني [illegible] عن الذكر [illegible] بعد اذ جاءني مع محمد عليه السلم [illegible] الثاني
[illegible] هذا الظالم [illegible] بعينه [illegible] اسمه [illegible] ذكره [illegible]
الرسول عليه السلم واعلم ان اجرا اللفظ على العموم [illegible] اللفظ [illegible] في اصول [illegible] الالف واللام اذا دخل
على الاسم المفرد [illegible] العموم [illegible] الحكم على الوصف [illegible] الوصف [illegible]
ان [illegible] على [illegible] لعموم علته [illegible] التخصيص [illegible]
[illegible] يعني العموم [illegible] المراد [illegible] العموم حتى يدخل فيه [illegible] الصورة
وغيرها [illegible] المقصود من الاية زجر الكل عن الظلم [illegible] بالعموم [illegible] بالمعنى
في القول [illegible] انه غير [illegible] المسالة الثانية استدلت المعتزلة بقوله ويوم يعض الظالم على يديه
قالوا الظالم [illegible] الكافر والفاسق [illegible] تعالى [illegible] صاحب الكبيرة والكلام عليه قد تقدم المسالة
الثالثة قوله يعض الظالم على يديه [illegible] الطرف [illegible] اكلها [illegible] اهل [illegible]
هذه اللفظة [illegible] بالتحسر [illegible] المسالة الرابعة ان الظالم غير مخصوص [illegible]
بل يعم جميع الظلمة [illegible] معصية الله تعالى [illegible]
[illegible] الكافر [illegible] المسالة الخامسة [illegible]
[illegible] المسالة السادسة قوله
[illegible] الرسول [illegible] شهادة الحق [illegible] على الاسلام والشيطان [illegible]
سماه شيطانا لانه اضله كما يضل الشيطان ثم خذله [illegible] في العاقبة [illegible] ابليس [illegible]
[illegible] الرسول [illegible] وكان الشيطان
[illegible] **قوله تعالى** وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القران مهجورا
وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا اعلم ان الكفار [illegible]
[illegible] الرسول [illegible] الى الله تعالى [illegible] المسالة الاولى [illegible]
[illegible] الرسول [illegible] الرسول [illegible]
[illegible] وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا [illegible]
[illegible] للرسول [illegible] المسالة الثانية [illegible] من الهجر [illegible]
[illegible] من الهجر [illegible] مهجورا [illegible] تعالى [illegible]
[illegible] سامرا تهجرون [illegible] القران
[illegible] يا رب العالمين [illegible] مهجورا [illegible]
[illegible] الله تعالى [illegible] للرسول [illegible] وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين [illegible]
[illegible] الرسل [illegible] المسالة [illegible] الاية على انه تعالى خالق
الخير والشر [illegible] تعالى لكل نبي عدوا [illegible] العداوة [illegible]
من الجعل [illegible] تعالى [illegible] وكذلك [illegible]
[illegible] الكفار
[illegible] وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا [illegible]
[illegible] المومنين
[illegible] الكافرين [illegible] الصانع [illegible]

وجعل قدحه والجواب عن الثاني ان الذي امر الله تعالى هل له تاثير في وقوع العداوة في قلوبهم او ليس فيه تاثير فان كان له تاثير فقد تم الكلام لان عداوتهم للرسول كفر فاذا امر الله الرسول بما له اثر في تلك العداوة فقد امر بما له اثر في وقوع الكفر وان لم يكن فيه تاثير البتة كان منقطعا عنه بالكلية فيمتنع استناده اليه وهذا هو الجواب عن قول ابي مسلم المسالة الثانية لقائل ان يقول قول محمد عليه السلم يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا يجري مجرى الشكوى فيدفع عليه السلام رب اني يهوت قومي لسلامتهم ثلم ينزلهم دعائي الا فرارا وكان المقصود من هذا انزال العذاب بهم وهذا يلمق هذا من وصفه الله بالرحم في قوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين جوابه ان نوحا عليه السلم لما ذكر ذلك دعا عليهم واما محمد عليه السلم فلما ذكر هذا ما دعا عليهم بل انتظر فلما قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا كان ذلك كالامر له بالصبر على ذلك وترك الدعاء عليهم فظهر الفرق المسالة الثالثة قوله جعلنا صيغة التعظيم والعظيم اذا ذكر نفسه في معرض التعظيم وذكر انه يعطي فلا بد وان تكون تلك العطية عظيمة كقوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم وكقوله انا اعطيناك الكوثر فكيف يليق بهذه الصيغة ان تكون تلك العطية هي العداوة التي هي منشا الضرر في الدين والدنيا جوابه ان حلول العداوة سبب لازدياد المشقة التي هي موجبة لمزيد الثواب المسالة الرابعة يجوز ان يكون العدو واحدا لقوله فانهم عدو لي ويجوز ان يكون جمعا في المعنى ان عدو الرسول ابو جهل اما قوله وكفى بربك هاديا ونصيرا فقال الزجاج الباء زائدة يعني كفى ربك هاديا ونصيرا بمعنى انه هاديا الى مصالح الدين والدنيا ونصيرا على الاعداء نظيره يا ايها النبي حسبك الله

قوله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا ياتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر مكانا واضل سبيلا اعلم ان هذا هو الشبهة الخامسة لمنكري نبوة محمد عليه السلام فانهم قالوا لو كنت يا محمد رسولا من عند الله فلم لا تاتينا بالقرآن جملة كما انزلت التورية جملة على موسى والانجيل على عيسى والزبور على داود وهذا من جملة ما نزل له وكم من سنين ثلاث وعشرين سنة واجاب الله تعالى عنه بقوله كذلك لنثبت به فؤادك وبيان هذا الجواب من وجوه احدها انه عليه السلم لم يكن من اهل القراءة والكتابة فلو نزل ذلك عليه جملة واحدة لكان لا يضبط ولجاز عليه السهو والخطا والغلط وانما نزل التورية جملة لانه كان يكتب ويقرا وثانيها ان من كان الكتاب عنده فربما اعتمد على الكتاب وتساهل في الحفظ فالله تعالى ما اعطاه الكتاب دفعة واحدة بل كان ينزل عليه وظيفة وظيفة ليكون حفظه له اكمل فيكون ابعد عن المساهلة وقلة التحصيل وثالثها انه تعالى لو انزل الكتاب جملة واحدة لنزلت الشرائع باسرها دفعة واحدة على الخلق فكان يثقل عليهم ذلك اما لما نزل مفرقا منجما لا جرم نزلت التكاليف قليلا قليلا فكان تحملها اسهل ورابعها انه اذا شاهد جبريل حالا بعد حال يقوى قلبه بمشاهدته فكان اقوى على اداء ما حمل وعلى الصبر على عوارض النبوة وعلى احتمال اذية قومه وعلى الجهاد وخامسها انه لما تم شرط الاعجاز فيه مع كونه منجما ثبت كونه معجزا فانه لو كان ذلك مقدورا للبشر لوجب ان ياتوا بمثله منجما مفرقا وسادسها كان القرآن ينزل بحسب اسولتهم والوقائع الواقعة لهم فكانوا يزدادون بصيرة لانه بسبب ذلك كان ينضم الى الفصاحة الاخبار عن الغيوب وسابعها ان القرآن لما نزل منجما مفرقا وهو عليه السلم كان يتحداهم من اول الامر فكانه تحداهم بكل واحد من نجوم القرآن فلما عجزوا منه كان عجزهم عن معارضة الكل اولى فبهذا الطريق ثبت في فؤاده ان القوم عاجزون عن المعارضة لا محالة وثامنها ان السفارة بين الله وبين انبيائه وتبليغ كلامه الى الخلق منصب عظيم فيحتمل ان يقال انه تعالى لو انزل القرآن على محمد دفعة واحدة لبطل ذلك المنصب على جبريل عليه السلم فلما انزله مفرقا منجما بقي ذلك المنصب العالي عليه فلاجل ذلك جعله الله سبحانه مفرقا منجما اما قوله تعالى كذلك ففيه نقصان الى ادلة من تمام كلام المشركين جملة واحدة كذلك اي كالتورية والانجيل وعلى هذا يحتاج الى اضمار في الاية يعني يقولوا نزلناه مفرقا لنثبت به فؤادك الثاني انه كلام الله تعالى ذكره جوابا لهم اي كذلك انزلناه مفرقا فان قيل ذلك في كذلك يجب ان يكون اشارة الى شي تقدمه والذي تقدم هو انزاله جملة فكيف فسرته بكذلك انزلناه مفرقا قلنا الا ان قولهم لولا انزل عليه جملة معناه لم انزل مفرقا فذلك اشارة اليه اما قوله ورتلناه ترتيلا فمعنى الترتيل في الكلام

ان انى

113

ان يأتي بعضه على اثر بعض على تؤدة وتمهل واصل الترتيل في الاسنان وهو تفلجها يقال ثغر رتل ومرتل وهو مشبه بنور الاقحوان ثم انه سبحانه وتعالى لما بين فساد قولهم بالجواب الواضح قال ولا ياتونك بمثل من الجنس الذي تقدم ذكره من الشبهات الا جئناك بالحق الذي يدفع قولهم كما قال تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق وبين ان الذي ياتي به احسن تفسيرا لاجل ما فيه من المزية في البيان والظهور ولما كان التفسير هو الكشف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا اما قوله الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم ففيه مسائل المسالة الاولى هذا يدل على ان ما في عز رسول الله عليه السلم يحشر الناس على ثلاثة اصناف صنف على الدواب وصنف على الاقدام وصنف على الوجوه وعنه عليه السلم ان الذي امشاهم على ارجلهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم المسالة الثانية الاقرب انه صفة للقوم الذين اوردوا هذه الاسولة على سبيل التعنت وان كان عاما في الكل يدخل معهم المسالة الثالثة حمله بعضهم على انهم يمشون في الحشر مقلوبين وجوههم الى القفا وارجلهم الى فوق روي ذلك عن الرسول عليه السلم وقال اخرون الى انهم يحشرون ويسحبون في هذا المقام وذكر عن الرسول عليه السلم ما يدل عليه وقال الصوفية الذين تعلقت قلوبهم بما سوى الله فاذا ماتوا بقي ذلك التعلق فعبر عن تلك الحالة بانهم يحشرون على وجوههم الى جهنم ثم بين تعالى بانهم شر مكانا من اهل الجنة واضل سبيلا وطريقا والمقصود منه الزجر عن طريقتهم والسوال عليه كما ذكرناه في قوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وقد تقدم الجواب عنه واعلم انه تعالى بعد ان تكلم في التوحيد ونفي الانداد واثبات النبوة والجواب عن شبهات منكريها شرع في ذكر احوال الانام شرع في ذكر القصص على السنة المعلومة

قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم تدميرا اعلم انه تعالى لما قال وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين اتبعه بذكر جماعة من الانبياء وعرفه ما نزل بمن كذب بهم فقال ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا فالمعنى لست يا محمد باول من ارسلنا فكذب واتيناه الايات وقد آتينا موسى التورية وقويناه عضده باخيه هرون ومع ذلك فقد ردوه وفيه مسايل المسالة الاولى كونه وزيرا له لا يمنع من كونه شريكا له في النبوة فلا وجه لقول من قال في ذلك فقلنا اذهبا انه خطاب لموسى عليه السلم وحده بل يجري مجرى قوله اذهبا الى فرعون انه طغى فيشبه ان كونه وزيرا كالمنافي لكونه شريكا لما بعث الله كما هارون شريكا خرج عن كونه وزيرا بل الاولى ما قاله من المفسرين من انه لا يمتنع ان يشركه في النبوة ويكون ظهيرا ومعينا له المسالة الثانية قال الزجاج الوزير في اللغة الذي يرجع اليه ويتحصن برايه والوزر ما يعتصم به ومنه كلا لا وزر اي لا ملجا وينجا بك العامي ولذلك لا يوصف تعالى بانه لا وزير له ثم قال تعالى فقلنا اذهبا فانه قد يقال لا ملجا والمنجا المتافرة والرامي عن هذا الكلام المسالة الثالثة لم قال اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا مع انهم حال ذهابهما اليهم لم يكونوا مكذبين جوابه ثم انه على مكذبين ثم لم يحمل على هذا الكلام على الحكاية من الرجوع ودليل انه تعالى اراد اختصار القصة فذكر حاشيتيها اولها واخرها لانهما المقصود من القصة بطولها اعني الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم المسالة الرابعة قوله تعالى اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا لا يمكن حمله على تكذيب الايات الالهية لانها انما حدثت عند بعث الانبياء وحملناه على تكذيب ايات النبوة فان اللفظ دل على الماضي الا ان المراد وهو المستقبل لقصد البيانية

قوله تعالى وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم وجعلناهم للناس اية واعتدنا للظالمين عذابا اليما اعلم انه تعالى لما قال كذبوا الرسل لانهم كانوا من البراهمة المنكرين لكل الرسل او لان من كذب بهم لو لصحتهم يكذب بالجميع لان تكذيب الواحد منهم لا يمكن الا بالقدح في المعجز وذلك يقتضي تكذيب الكل او لان المراد بالرسل نوح وحده كان نوحا عليه السلم وحده ولكنه كما قال فلان يركب الافراس اما قوله اغرقناهم فقال الكلبي مطر الله عليهم السماء اربعين يوما واخرج ماء الارض ايضا في تلك الاربعين فصارت الارض بحرا واحدا وجعلناهم اي جعلنا اغراقهم وقصتهم اية للناس اي لكل

من سلك سبيلهم في تكذيب الرسل هنا بابا ايماء ويحتمل ان يكون المراد قوم نوح القصة الثالثة **قوله تعالى**
وعادا وثمود واصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الامثال وكلا تبرنا تتبيرا المسألة الاولى
عطف على هم في جعلناهم او على الظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين المسألة الثانية قرئ وثمود على تأويل القبيلة
واما على المصروف فعلى تأويل الحي او لانه اسم للاب الاكبر المسألة الثالثة قال ابو عبيدة الرس البئر
غير المطوية [illegible] في البلاد موضع [illegible] له الرس [illegible] والرس عند العرب
الدس ويسمى به الحفرة [illegible] رس الميت اذا دفن وغيب في الحفرة وفي التفسير انه البئر [illegible]
فقد اخبر الله عن اهل الرس بالهلاك المسألة الرابعة ذكر المفسرون وجوها احدها كانوا قوما من عبدة الاصنام
اصحاب آبار ومواش فبعث الله اليهم شعيبا فدعاهم الى الاسلام فتمادوا في طغيانهم وفي ايذائه
فبيناهم حول الرس خسف الله بهم وبدارهم وثانيها الرس قرية بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فهلكوا وهم
بقية ثمود وثالثها [illegible] من الطير سميت لطول عنقها [illegible] على جبالهم
تخطف [illegible] العبيد فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة فاهلكوا ورابعها
هم اصحاب الاخدود والرس هو الاخدود وخامسها الرس بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل كذبوه
ورسوه في بئر [illegible] وسادسها عن علي رضي الله عنه انهم كانوا قوما يعبدون شجرة الصنوبر وانما
سموا باصحاب الرس لانهم رسوا نبيهم في الارض وسابعها اصحاب الرس قوم كانت لهم قرى على شاطئ نهر
يقال له الرس من بلاد المشرق فبعث الله تعالى اليهم نبيا من اولاد يهوذا بن يعقوب فكذبوه فلبث فيهم
زمانا فشكا الى الله منهم فحفروا بئرا وارسلوه فيها وقالوا نرجو ان يرضى عنا الهتنا وكانوا عامة يومهم يسمعون
انين نبيهم يقول الهي سيدي ترى ضيق مكاني وشدة كربي وضعف ركني وقلة حيلتي فعجل قبض روحي
حتى مات فارسل الله تعالى ريحا عاصفة شديدة الحمرة فصارت الارض من تحتهم حجر كبريت تتوقد واظلتهم سحابة
سوداء فذابت ابدانهم كما يذوب الرصاص وثامنها روى سعيد بن جبير عن النبي عليه السلام ان الله بعث نبيا الى اهل قرية
فلم يؤمن به من اهلها احد الا عبد اسود ثم عدوا على الرسول فحفروا له بئرا والقوه فيها ثم اطبقوا عليه
بحجر ضخم وكان ذلك العبد يحتطب ويشتري له طعاما وشرابا ويرفع الصخرة ويدليه اليه وكان على ذلك ما شاء الله
فاحتطب يوما فلما اراد ان يحملها وجد نوما فاضطجع فضرب الله على اذنه سبع سنين نائما ثم انتبه وتمطى
وتحول لشقه الآخر فضرب الله على اذنه سبع سنين اخرى ثم انتبه فاحتمل حزمته وظن انه نام ساعة من نهار فجاء الى القرية فباع حزمته
واشترى طعاما وشرابا وذهب الى الحفرة فلم يجد احدا وكان قومه قد استخرجوه فآمنوا به وصدقوه وكان ذلك
النبي يسالهم عن ذلك الاسود فيقولون لا ندري حاله حتى قبض الله النبي وبعث ذلك الاسود فقال عليه السلام ان ذلك
الاسود لاول من يدخل الجنة واعلم ان القول ما قاله ابو مسلم وهو ان شيئا من هذه الروايات غير معلوم بالقرآن ولا بخبر
قوي الاسناد ولكنهم كيف كانوا فقد اخبر الله عنهم انهم اهلكوا بسبب كفرهم المسألة الخامسة قال النحويون
القرن مائة وعشرون سنة وقال علي رضي الله عنه اربعون سنة وقيل ما بين ذلك المسألة السادسة قوله بين ذلك اي
بين ذلك المذكور وقد يذكر الذاكر اشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك ويحسب الحاسب اعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت
على معنى فذلك المحسوب او المعدود اما قوله وكلا ضربنا له الامثال فالمراد بينا لهم دلائل وازحنا عللهم فلما كذبوا
تبرناهم تتبيرا ويحتمل وكلا ضربنا له الامثال بان اهلكناهم عما اوردوه من الشبه في تكذيب الرسول كما اوردوه
قومك يا محمد فلما اصروا هلكوا فكذلك يفعل بقومك ان اصروا وهو محذور تعالى بذلك قوم محمد عليه السلام في الاحتراز على تكذيبه لئلا ينزل بهم
مثل الذي نزل بالقوم هلاكا واجلاء المسألة السابعة كلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا له الامثال وهو انذرنا و
حذرنا والثاني بتبرنا لانه فارغ له المسألة الثامنة التتبير التفتيت والتكسير ومنه التبر وهو كسار الذهب
والفضة والزجاج القصة الرابعة **قوله تعالى** ولقد اتوا على القرية التي امطرت مطر السوء

الم يكونوا

افلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا واعلم انه تعالى اراد بالقرية سدوم من قرى قوم لوط وكانت
خمسا اهلك الله اربعا باهلها وبقيت واحدة ومطر السوء الحجارة يعني ان قريشا مروا مرارا كثيرة في متاجرهم
الى الشام على تلك القرية التي اهلكت بالحجارة من السماء فلم يكونوا في مرار مرورهم ينظرون اليها بعذاب الله
ثم قال بل كانوا قوما كفرة لا يرجون نشورا فذكر ليس يرجون وجوها احدها يتوقعون على ما هو العادي
او يخافون على اللغة التهامية وثانيها انه يحمل على حقيقة الرجاء ثم ان معنى التكليف ومشاق النظر والاستدلال لطلب ثواب فلهم
فاذا لم يؤمنوا بالآخرة لم يرجوا ثوابها فلا يحملون تلك الكلف والمتاعب وثالثها معناه لا يتوقعون نشورا فوضع الرجاء
موضع التوقع لانه انما يتوقع العاقبة من يؤمن فلما لم يؤمنوا معناه لا يخافون على اللغة التهامية وهو ضعيف لان ذلك
مواضع **قوله تعالى** واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي بعث الله رسولا
ان كاد ليضلنا عن الهتنا لولا ان صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا ارأيت من اتخذ الهه هواه افانت تكون
عليه وكيلا ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا اعلم انه سبحانه لما بين مبالغة
المشركين في انكار نبوته وفي ايراد الشبهات في ذلك بين بعد ذلك انهم اذا راوا الرسول اتخذوه هزوا فلم يقتصروا على ترك
الايمان بل زادوا عليه بالاستهزاء والاستحقار ويقول بعضهم لبعض اهذا الذي بعث الله رسولا وفيه مسائل المسألة
الاولى قال صاحب الكشاف ان الاولى نافية والثانية مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينهما المسألة الثانية جواب
اذا هو ما اضمر من القول يعني واذا راوك مستهزئين قالوا اهذا الذي بعث الله رسولا وقوله ان يتخذونك جملة اعترضت بين اذا وجوابها
المسألة الثالثة اتخذوه هزوا في معنى استهزؤا به والاصل اتخذوه موضع هزو او مهزوا به المسألة الرابعة
اعلم ان الله تعالى اخبر عن المشركين انهم متى راوه اتخذوه هزوا ثم فسر ما كانوا يقولونه انهم استهزؤا به وذكر
استهزاءهم بقولهم اهذا الذي بعث الله رسولا وذلك جهل عظيم لان الاستهزاء اما ان يقع بصورته او بصفته اما الاول
فباطل لانه عليه السلام كان احسن منهم خلقة وهم يعلمون انه اكبر كذلك لكنه عليه السلام ما كان يدعي التميز عنهم بالصورة بل
بالحجة واما الثاني فباطل لانه عليه السلام ادعى التميز عنهم بظهور المعجز عليهم دونهم وانهم ما قدروا على القدح في حجته
ودلالته ففي الحقيقة هم الذين يستحقون ان يهزأ بهم ثم انهم لوقاحتهم قلبوا القصة واستهزؤا بالرسول وذلك يدل
على انه ليس للمبطل في كل الاوقات الا السفاهة والوقاحة وثالثها انهم كانوا يقولون فيه ان كاد ليضلنا عن الهتنا لولا
ان صبرنا عليها وذلك يدل على العصبية والتمادي حتى قالوا ذلك على انهم كانوا مبالغين في تعظيم الهتهم
وفي استعظام صنيعهم صلى الله عليه وسلم في صرفهم عنه وذلك يدل على انهم كانوا يعتقدون ان هذا هو الحق وهذا
اليوم يبطل قول اصحاب المعارف فانه لا يمكن الا من يعرف الدلائل ثم انهم جهلوهم ثم سماهم الله تعالى الى الكفر
والضلال وقولهم لولا ان صبرنا عليها يدل على هذه لسان يدل هذا القول منهم على جد الرسول عليه السلام واجتهاده
في صرفهم عن عبادتها ولولا ذلك لما قالوا ان كاد ليضلنا لولا ان صبرنا عليها وهكذا كان عليه السلام
فانه لم يدع الامر فيما يراد الدلائل والجواب عن الشبهات وتحمل ما كانوا يفعلونه من انواع السفاهة وسوء الادب
المسألة الخامسة يدل على ان القوم بانهم ما عارضوا البتة على دلائل الرسول وما عرفوها الا بمحض الجحود و
التقليد لانهم قالوا لولا ان صبرنا عليها اشارة الى الجحود والتقليد ولو كانوا عارضوا على دلائل الرسول لكان ذكر ذلك اولى
من ذكر محض الجحود الذي هو دأب الجهال وذلك يدل على ان القوم كانوا منتهين في عجزهم عن محاجته عليه السلام بانه
ما كان في يدهم الا مجرد الوقاحة والسفاهة ويدل على ان القوم صاروا في ظهور حجته عليه السلام عليهم كالمبهوتين لانهم اعترفوا
بانه لولا صبرهم بالتقليد على مذهبنا لولا انا ما تمسكنا بالجحود لاضلنا بهذا الكلام ولعدلنا عن الهتنا وهو
يدل على انه لم يكن لهم في الحجة ذلك الكلام ولولا حواسهم لما استهزؤا به اذ الاستهزاء لا يليق الا بالحمقى والسفهاء فالقوم ما جمعوا
من ضروب الكلام ولذلك علم انهم كانوا كالمتحيرين في امره فتارة يستهزئون به وتارة يصفونه بما لا
يليق الا بالعالم الكامل ثم انه سبحانه لما حكى عنهم هذا الكلام زيف طريقتهم في ذلك من ثلاثة اوجه اولها قوله

وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا لانهم لما وصفوه بانه ضال في قولهم ان كاد ليضلنا بين تعالى
انه سيظهر لهم من المضل ومن الضال عند مشاهدة العذاب الذي لا مخلص لهم منه فهو وعيد شديد
على التعامي والاعراض عن الاستدلال والنظر واما قوله تعالى ارأيت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا
والمعنى انه سبحانه بين ان تلك الرعونة والجهالة انما حصلت لهم على الطاعة انما كانت سبيلا للتقليد عليهم وانهم اتخذوا
هواهم الهتهم فلسنا نسمع تكلما في الهوى فليس انقادوا له فيتبع الدليل فيه ام لم يمتنع ثم بهما الحالات
وفيه مسائل قوله ارأيت كلمة تصلح للاعلام والسؤال وهاهنا تعجيب من جهل من هذا وصفه ونعته الثاني
قوله اتخذ الهه هواه معناه اتخذ الهه ما يهواه او اله هواه وقيل هو مقلوب ومعناه اتخذ
هواه الهه وهذا ضعيف لان قوله اتخذ الهه هواه يفيد الحصر اي لم يتخذ لنفسه الها الا هواه وهذا المعنى
لا يحصل عند القلب وقال ابن عباس الهوى اله يعبد وقال سعيد بن جبير كان الرجل من المشركين يعبد الصنم
فاذا راى احسن منه رماه واخذ الآخر ومنه الله تعالى افانت تكون عليه وكيلا اي حافظا تحفظه من اتباع
هواه اي لست كذلك ونظيره قوله تعالى لست عليهم بمصيطر وقوله وما انت عليهم بجبار
وقيل لا اكراه في الدين قال الكلبي نسختها آية القتال واما قوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او
يعقلون ام هاهنا منقطعة معناه بل اتحسب ودلت على ان هذه المذمة اشد من التي تقدمتها حتى
حقت بالاضراب عنها اليها وهي كونهم مسلوبي الاسماع والعقول لانهم لشدة عنادهم لا يصغون الى الكلام
واذا سمعوه لا يتفكرون فيه فكانه ليس لهم سمع ولا عقل البتة وعند ذلك شبههم بالانعام في عدم انتفاعهم
بالكلام وعدم اقدامهم على السعي والتفكر واقبالهم على اللذات الحاضرة الحسية واعراضهم عن طلب السعادات
الباقية العقلية وهاهنا سؤالات الاول لم قال اكثرهم فحكم بذلك على الاكثر دون الكل
الجواب لانه كان فيهم من يعرف الله ويعقل الحق الا انه ترك الاسلام لمجرد حب الرياسة لا لاجل الجهل السؤال
الثاني لم جعلوا اضل من الانعام الجواب من وجوه احدها ان الانعام تنقاد لاربابها التي تعلفها وتتعهدها
وتميز بين من يحسن اليها وبين من يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون
لربهم ولا يميزون بين احسانه اليهم وبين اساءة الشيطان اليهم الذي هو عدو لهم ولا يطلبون الثواب الذي
هو اعظم المنافع ولا يحترزون من العقاب الذي هو اعظم المضار وثانيها ان قلوب الانعام كما انها تكون خالية عن العلم
فهي خالية عن الجهل الذي هو اعتقاد المعتقد على خلاف ما هو عليه مع التصميم واما هؤلاء فقلوبهم كما خلت عن العلم
فقد اتصفت بالجهل فانهم لا يعلمون ولا يعلمون انهم لا يعلمون بل هم مصرون على انهم يعلمون وثالثها ان عدم
علم الانعام لا يضر باحد اما جهل هؤلاء فمنشأ للفتن العظيمة لانهم يصدون الناس عن سبيل الله ويبغونها
عوجا ورابعها ان الانعام لا تعرف شيئا ولكنها عاجزة عن الطلب واما هؤلاء الجهال فانهم ليسوا عاجزين
عن الطلب والمحروم عن طلب المراتب العالية اذا عجز عنه لا يكون مستحقا للذم كما اذا قدر عليه التاركه
لسوء اختياره وخامسها ان البهائم لا تستحق عقابا على عدم العلم اما هؤلاء فانهم يستحقون عليه اعظم العقاب
وسادسها ان البهائم تسبح الله تعالى على مذهب بعض الناس على ما قال وان من شيء الا يسبح بحمده وقال الم تر ان
الله يسجد له من في السموات الى قوله والدواب وقال والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه واذا كان كذلك
فضلال الكفار اشد واعظم من ضلال هذه الانعام السؤال الثالث انه سبحانه لما نفى عنهم السمع والعقل فكيف
ذمهم على الاعراض عن الدين وكيف بعث الرسول اليهم فان من شرط التكليف العقل الجواب ليس المراد
انهم لا يعقلون بل انهم لم ينتفعوا بذلك العقل فهو كقول الرجل لغيره اذا لم يفهم انما انت اعمى واصم **قوله**
تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا
وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وهو الذي ارسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وانزلنا

من السما

من السما ماء طهورا لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا اعلم انه سبحانه وتعالى لما بين
جهل المعرضين عن دلائل الله وفساد طريقتهم في ذلك ذكر بعده انواعا من الدلائل الدالة على وجود الصانع النوع
الاول الاستدلال بحال الظل في زيادته ونقصانه وتغيره من حال الى حال وفيه مسائل المسألة الاولى
في قوله الم تر وجهان احدهما انه من رؤية العين والثاني من رؤية القلب بمعنى العلم فان حملناه على رؤية العين
فالمعنى الم تر الى الظل كيف مده ربك وان كان مجردا للفظ على عادة العرب افصح وان حملناه على العلم وهو اختيار
الزجاج فالمعنى الم تعلم وهذا اولى لان الظل اذا جعلناه من المبصرات فتأثير قدرة الله تعالى في تمديده
غير مرئي بالاتفاق ولكنه معلوم من حيث ان كل متغير جائز فله مؤثر فحمل هذا اللفظ على رؤية القلب
اولى من هذا الوجه المسألة الثانية المخاطب بهذا الخطاب وان كان هو الرسول عليه السلام بحسب ظاهر اللفظ
ولكن الخطاب عام في المعنى لان المقصود من الآية بيان نعم الله تعالى بالظل وجميع المكلفين مشتركون في انه يجب
تنبيههم لهذه النعمة وتمكينهم من الاستدلال بها على وجود الصانع المسألة الثالثة الناس اكثروا في تاويل
هذه الآية والكلام الملخص يرجع الى وجهين الاول ان الظل هو الامر المتوسط بين الضوء الخالص والظلمة الخالصة
وهو ما بين ظهور الفجر الى طلوع الشمس وكذا الكيفيات الحاصلة داخل السقف وافنية الجدران وهذه الحالة
اطيب الاحوال لان الظلمة الخالصة يكرهها الطبع وينفر عنها الحس واما الضوء الخالص وهو الكيفية الفائضة
من الشمس فهي لقوتها تبهر الحس البصري وتفيد السخونة القوية وهي مؤذية فاذا اطيب الاحوال هو الظل ولذلك
وصف الجنة به فقال وظل ممدود واذا ثبت هذا فنقول انه سبحانه بين انه من النعم العظيمة والمنافع الجليلة ثم ان
الناظر الى الجسم الملون حال الظل كانه لا يشاهد شيئا سوى الجسم وسوى اللون فنقول الظل ليس امرا ثابتا يعرف به
لانه اذا طلعت الشمس ووقع ضوءها على الجسم زال ذلك الظل فلولا الشمس ووقوع ضوئها على الاجرام لما عرف
ان للظل وجودا وماهية لان الاشياء انما تعرف باضدادها فلولا الشمس لما عرف الظل ولولا الظلمة لما عرف النور
فكانه سبحانه وتعالى لما اطلع الشمس على الارض وزال الظل فحينئذ ظهر للعقول ان الظل كيفية زائدة على الجسم و
اللون فلهذا قال سبحانه ثم جعلنا الشمس عليه دليلا اي خلقنا الظل اولا بما فيه من المنافع واللذات ثم انا
هدينا العقول الى معرفة وجوده بان اطلعنا الشمس فكانت الشمس دليلا على وجود هذه النعمة ثم قبضناه اي ازلنا
الظل لا دفعة بل يسيرا يسيرا فان كلما ازداد ارتفاع الشمس ازداد نقصان الاظلال في جانب المغرب ولما
كانت الحركات المكانية لا توجد دفعة بل يسيرا يسيرا فكذا زوال الاظلال لا يكون دفعة بل يسيرا يسيرا ولان قبض الظل
لو حصل دفعة لاختلت المصالح ولكن قبضها يسيرا يسيرا يفيد معه انواع مصالح العالم والمراد بالقبض الازالة و
الاعدام هذا احد التأويلات التأويل الثاني وهو انه سبحانه لما خلق الارض والسماء وخلق الكواكب والشمس والقمر
وقع الظل على الارض ثم انه سبحانه خلق الشمس دليلا عليه وذلك لان بحسب حركات الاضواء تتحرك الاظلال
فانها متعاقبان متلازمان لا واسطة بينهما فبمقدار ما يزداد احدهما ينتقص الآخر فكما ان المهتدي يهتدي
بالهادي والدليل ويلازمه فكذلك الاظلال كانها مقتفية وملازمة للاضواء فلهذا جعل الشمس دليلا عليها
واما قوله ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا فاما ان يكون المراد منه انتهاء الاظلال يسيرا يسيرا الى غاية نقصاناتها فسمى ازالة
الاظلال قبضا او يكون المراد ثم قبضناها يسيرا يسيرا عند قيام الساعة وذلك بقبض اسبابها وهي الاجرام التي تلقي
الاظلال وقوله يسيرا هو كقوله ذلك حشر علينا يسير فهذا هو التأويل الملخص المسألة الرابعة وجه الاستدلال
على وجود الصانع المختار ان حصول الظل امر ممكن لا واجبا والعقلاء اما حصول الضوء الخالص او الظلمة
الخالصة فهو ليس من باب الممتنع فحصول ذلك الظل امر ممكن من الممكنات او الجائزات ولا بد لاختصاصه الامر
المعين باحد الجائزات من مخصص فوجب ان يكون من الجائزات فلا بد له في وجوده بعد العدم وتعلقه بعد الوجود من
صانع مادّ مدبّر مخصص بذلك الوجه النافع وما ذاك الا من يقدر على تحريك الاجرام العلوية وتدبير الاجسام الفلكية

وبرتبها على الوصف احسن ما التربية الكمل وما هو الا الله سبحانه وتعالى فان قيل الظلمة عبارة عن عدم الضوء عما
من شانه ان يضي فكيف شبك بالامر العدمي على ذاته وكيف عده من النعم قلنا الظل ليس عدما محضا بل هو
اضواء مخلوطة بظلام والمحققون ان الظل عبارة عن الضوء الثاني وهو امر وجودي وفي تحقيقه كلام ونبين نرجع
به الى كتبنا العقلية النوع الثاني قوله تعالى وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار
نشورا اعلم انه تعالى شبه الليل من حيث ستر الكل وغطاه باللباس الساتر للبدن ونبه على ما النائمة
من النعم شبه النوم سباتا والسبات هو الراحة وجعل النوم سباتا لانه سبب الراحة قال ابو مسلم
السبات الراحة ومنه يوم السبت لما جرت به العادة من الاستراحة فيه ويقال للعليل اذا استراح من تعب العلة
مسبوت وقال صاحب الكشاف السبات الموت والمسبوت الميت لانه مقطوع الحركة وقال في نظيره قوله وهو الذي
يتوفاكم بالليل وانما دلنا ان تفسيره بالموت اولى من تفسيره بالراحة لان النشور في مقابلته يأباه قال ابو مسلم
وجعل النهار نشورا هو بمعنى الانتشار والحركة كما سمى تعالى نوم الانسان وفاته فقال الله تعالى الله يتوفى
الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها كذلك وقوله القيام من النوم والتنام من الموت في التسمية بالنشور
هذه الاية مع انها دالة على قدرة الخالق فيها اظهار النعم على خلقه لان احتجاب بستر الليل كم فيه لكثير من الناس
من فوائد دينية ودنيوية والموت والنشور شبههما بالموت والحشر وعن لقمان انه قال لابنه كما تنام فكذلك
كذلك تموت وكما تستيقظ النوع الثالث قوله وهو الذي ارسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وقد تقدم تفسيره في سورة الاعراف
ثم فيه مسائل المسئلة الاولى قرئ الريح والرياح قال الزجاج وفي نشرا ستة اوجه فتح النون وضمها وضم النون والشين
وبالياء الموحدة [illegible] قال ابو مسلم من قرا بشرا اراد جمع بشير مثل قوله ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات [illegible]
[illegible] في معنى [illegible] نشرا وهو الرياح والرحمة الغيث المطر المسئلة الثانية قوله وانزلنا من السماء ماء طهورا
[illegible] تعالى [illegible] لا من السحاب وقول من يقول السحاب [illegible] لان ذلك بحسب الاشتقاق
الا بحسب [illegible] اسم لهذا السقف المعلوم [illegible] المسئلة الثالثة اختلفوا في ان الطهور
[illegible] كثير من العلماء الطهور [illegible] وهو مروي ايضا عن ثعلب والاكثر
صاحب الكشاف [illegible] ليس فعول من التفعيل في شيء والطهور على وجهين صفة واسم فالصفة من الكتاب
[illegible] كقولك طاهر [illegible] والاسم قولك لما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضا به ويوقد به [illegible]
[illegible] قوله عليه السلم التراب طهور المسلم ولو الى عشر حجج ما لم يجد الماء ولو كان معنى الطهور الطاهر لكان معناه التراب طاهر
المسلم وحينئذ لا ينتظم الكلام وكذا قوله عليه السلم طهور اناء احدكم اذا ولغ الكلب فيه ان يغسله سبعا ولو كان الطهور
الطاهر لكان معناه طاهر اناء احدكم وحينئذ لا ينتظم الكلام ولانه تعالى قال وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به فبين
ان المقصود من الماء انما هو المطهر فوجب ان يكون المراد من كونه طهورا هو المطهر به ولانه تعالى ذكره في معرض
الانعام فوجب حمله على الوصف الاكمل ولا شك ان المطهر اكمل من الطاهر المسئلة الرابعة اعلم انه تعالى ذكر من منافع
الماء امرين احدهما ما يتعلق بالنبات والثاني ما يتعلق بالحيوان اما امر النبات فقوله لنحيي به بلدة ميتا وفيه
سؤالات السؤال الاول لم قال لنحيي به بلدة ميتا ولم يقل ميتة الجواب لان البلدة في معنى البلد في قوله فسقناه
الى بلد ميت السؤال الثاني ما المراد من حياة البلد وموتها الجواب الناس يسمون ما لا عمارة فيه من الارض مواتا
وسقيها المقصود لعمارتها احياؤها السؤال الثالث [illegible] الطباع [illegible] والمعتزلة قالوا [illegible] الارض
والماء [illegible] الشمس [illegible] النبات [illegible] لنحيي به بلدة ميتا [illegible]
في ذلك الجواب [illegible] الطاهر [illegible] الطبع واما امر الحيوان فقوله
سبحانه ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا وفيه سؤالان السؤال الاول لم خص الاناسي والانعام ههنا
بالذكر دون الطير والوحش مع انتفاع الكل بالماء الجواب لان الطير والوحش بعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب

حلاف

بخلاف الانعام لانه قنيه الاناسي وعامة منافعهم متعلقة بها فكان الانعام عليهم بسقي انعامهم كالانعام عليهم بسقيهم
السؤال الثاني ما معنى تنكير الانعام والاناسي ووصفها بالكثرة الجواب معناه ان اكثر الناس مجتمعون في البلاد
القريبة من الاودية والانهار ومنابع المياه فبهم غنية في شربها عن المطر وكثير منهم نازلون في البوادي فلا يجدون المياه
للشرب الا عند نزول المطر وكذلك قوله لنحيي به بلدة ميتا يريد بعض بلاد هؤلاء المتباعدين عن مظان الماء فان
قلت لم قدم احياء الارض وسقي الانعام على سقي الاناسي الجواب لان حياة الاناسي بحياة ارضهم وحياة انعامهم
فقدم ما هو سبب حياتهم ومعيشتهم على سقيهم ولانهم اذا ظفروا بما يكون سقيا ارضهم ومواشيهم لم يعدموا سقياهم
بسقاهم وايضا قوله تعالى ولقد صرفناه بينهم يعني صرف المطر كل سنة الى جانب واذا كان كذلك فلا يسقي الكل
منه بل يسقي كل اناسي كثيرا منه السؤال الرابع ما الاناسي الجواب قال الفراء والزجاج الاناسي جمع انسي
كالكراسي والكرسي وقيل كسرت لانه قد يجيء فعل مفرد ويراد به الكثرة كقوله وقرونا بين ذلك كثيرا وحسن
اولئك رفيقا واعلم ان الفقهاء قد استنبطوا احكام المياه من قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء طهورا ونحن نشير
الى معاقد تلك المسائل فنقول ههنا نظران احدهما ان الماء مطهر والثاني ان غير الماء هل هو مطهر اما النظر الاول
[illegible] اما [illegible] الجوهر [illegible] الطاهر [illegible] مطهر لغيره الا الماء المستعمل فانه
[illegible] طاهر وليس بطهور [illegible] وقال ابو حنيفة في رواية ابي يوسف انه نجس
فها هنا مسائل المسئلة الاولى في بيان انه ليس بطهور ودليلنا قوله عليه السلام لا يغتسل احدكم في الماء الدائم وهو جنب
ولو بقي الماء كما كان مطهرا لما كان للنهي عنه معنى ومن جهة القياس ان الصحابة كانوا يتوضئون في الاسفار وما كانوا يجمعون
تلك المياه مع علمهم باحتياجهم بعد ذلك الى الماء ولو كان ذلك الماء مطهرا لجمعوه ليوم الحاجة واحتج مالك بالاية
والخبر والقياس اما الاية فمن وجهين الاول قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء طهورا وقوله وينزل عليكم من السماء
ماء ليطهركم به فدلت الاية على حصول وصف المطهرية للماء والاصل في الثابت بقاؤه فوجب الحكم ببقاء الصفة بعد ان صار
مستعملا الثاني قوله طهورا يقتضي جواز التطهير به مرة بعد اخرى والثاني انه امر بالغسل مطلقا
في قوله فاغسلوا واستوى كل المائعات بعمل لانه لا معنى للغسل الا امرار الماء على العضو فاذا جاز تنجيسه ان يغسل الثاني
فيما غسل بالماء المستعمل فقد اتى بالغسل فوجب ان يكون مجزيا له لانه اتى بالقربة فوجب ان يخرج عن العهدة اما
السنة فما روي انه عليه السلم توضا فمسح راسه بفضل ما في يده وعنه عليه السلام انه توضا فاخذ من بلل لحيته فمسح
به راسه وعن ابن عباس انه عليه السلم اغتسل فرأى لمعة لم يصبها الماء فاخذ شعره عليها بلا ماء ثم مسح
على تلك اللمعة واما القياس فهو انه ماء طاهر لقي جسدا طاهرا فاشبه اذا لقي حجارة او حديدا لا يكون ماء
المستعمل في الكرة الرابعة ان المستعمل في التبرد والتنظيف طاهر بالاتفاق ولا خلاف انه وضع الماء على اعلى وجهه وسقط
به بعض تلك المواضع ثم نزل ذلك الماء بعينه الى بقية الوجه فانه يجزيه مع ان ذلك الماء صار مستعملا في اعلى الوجه
المسئلة الثانية الدليل على ان الماء المستعمل طاهر قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء طهورا ومن السنة انه عليه السلم
اخذ من بلل لحيته ومسح به راسه وما يلاقي الماء طهور لا ينجس فالماء طهور [illegible] وقال الشافعي رضي الله عنه
انه عليه السلم توضا ولا شك انه لا يصابه ما فانه يقطر منه ولم يشتغل عنه انه غير ثوبه ولا انه غسل ولا احد من
المسلمين نقل ذلك ثبت انهم اجمعوا على انه ليس بنجس ولانه ماء طاهر لقي جسما طاهرا فاشبه ما اذا لقي حجارة
المسئلة الثالثة الماء المستعمل اما ان يكون مستعملا في اعضاء الوضوء وفي غسل الثياب اما المستعمل في اعضاء الوضوء
فالمراد بكونه مستعملا فيما كان فرضا بعبادة او فيما كان فرضا لا بعبادة او بعبادة لا فرضا او لا فرضا ولا عبادة
اما القسم الاول فهو المستعمل فيما كان فرضا بعبادة فهو غير مطهر بالاتفاق اصحاب الشافعي اما القسم الثاني

فهو كالماء الذي استعملته الذمية تحت الزوج المسلم ليحل للزوج غشيانها واما القسم الثالث فهو كالماء المستعمل في الكرة الثانية
والثالثة وكالماء المستعمل في تجديد الوضوء وكالماء المستعمل في الاغسال المسنونة فلاصحاب الشافعي في هذين القسمين وجهان واما
القسم الرابع فهو كالماء المستعمل في الكرة الرابعة وفي التبرد والتنظف فذلك بالاتفاق من اصحاب الشافعي غير مستعمل وهو طاهر مطهر
اما الماء المستعمل في غسل الثياب فاذا غسل ثوبا عن نجاسة وطهر بغسله ولعله يستحب ان يغسله ثلثا فالمنفصل في الكرة
الثانية والثالثة مطهر على الصحيح القسم الثاني الماء الذي يتغير فنقول الماء اذا تغير فاما ان يتغير بنفسه او بغيره اما الاول
فالمتغير بطول المكث يجوز الوضوء به لانه عليه السلم كان يتوضا من بئر بضاعة وكان ماؤها كانه نقاعة الحناء واما
المتغير بسبب غيره فذلك الغير اما ان لا يكون متصلا به فكما لو وقع بقرب الماء جيفة فصار الماء منتنا فهو ايضا مطهر
واما اذا تغير بسبب شي متصل به فذلك المتصل اما ان يكون طاهرا او نجسا القسم الاول ان يكون طاهرا فهو اما ان لا يخالطه
او يخالطه فان لم يخالطه فهو كالماء المتغير بسبب وقوع الدهن الطيب والعود والعنبر لان ذلك التغير بالمجاورة وهو ايضا
مطهر كما لو كان يتروح الماء بجيفة وكان الطهورية ثبتت بقوله وانزلنا من السماء ماء طهورا والاصل في الماء بقاؤه ايضا
المتغير بسبب شي يخالطه فذلك المخالط اما ان لا يمكن صون الماء عنه او يمكن اما الذي لا يمكن صون الماء عنه فكالمتغير
بالتراب والحماة والزرنيخ والطحلب الذي يتولد فيه وهذا ايضا مطهر لان الطهورية ثبتت بالاية والخبر
ولا نزاع في ان ... طريقه على ...
عن ذلك عسر ممكن فيكون مرفوعا لقوله وما جعل عليكم في الدين من حرج ولذلك لوجد الماء في طريقه
او كحل او دقيق ... فيه ... بسبب مخالطة ما يستغني الماء عنه نظر
لو كان التغير قليلا بحيث ... الماء اليه بانه ... لا يصفو ... فاستيقن قليلا جاز الوضوء به
على الصحيح من المذهب ... قال الشيخ ... فان ... احدهما كالمرتهن ... على
الاتفاق ... ابي حنيفة رضي الله عنه ...
الشافعي رضي الله عنه ... عليه السلم توضا ... الصلوة ... في ...
كان ... بالماء المتغير ... مطلوبه
والثالثة انه اذا اختلط ماء الورد بالماء فتوضا ... يحتمل ان يعتبر ... بما الورد ... واذا كان
كذلك ... في حصول الوضوء وكان ... الحدث ... فوجب ان يبقى على الحدث ...
ما اذا كان قليلا لا يظهر اثره فانه صار كالمعدوم اما اذا ظهر اثره علمنا انه بان ... ما ذكرناه والثاني ان
الوضوء ... فانه لو توضا بالورد ... وضوءه ولو توضا بالماء ... المنفرد ... والمتعقل
معناه ... الاستعمال ... على ... رحمه الله عليه ... تعالى
وانزلنا من السماء ماء طهورا ... الاصل في ... فوجب ... بعد ... المخالطة
والرابعة ... بطلب الغسل ... فوجب ان يخرج عن العهدة ... هذا ... التيمم
والخامسة قوله تعالى فلم تجدوا ماء فتيمموا علق جواز التيمم بعدم وجدان الماء ... الماء المتغير
لان الماء المتغير ... مع صفة ... والموصوف ... فوجب ان لا يجوز التيمم ... وله
عليه السلم في البحر هو الطهور ماؤه ... جواز الطهارة ... عليه السلم ... ذلك و
فانها انه عليه السلم اباح الوضوء بسور الهرة وسور الحائض ... مخالطها شي من لعابها و...
لا خلاف في جواز الوضوء بالماء ... فانه لا يخلو ... الحمرة والصفرة ... ما خالط
ومن اجل مخالطه ذلك له يرى ... السواد ... الحمرة والصفرة فصار ذلك مخصوصا
الماء اذا لم يغلب عليه ... اسم الماء ... المخالط ... من الناس من ... ان
الماء لا ينجس ما لم يتغير بالنجاسة سواء كان قليلا او كثيرا وهو قول ... البصري والنخعي ... داود واليه
ميل الشيخ الغزالي رحمه الله ... مالك ... ما تنقله فيه جزء من النجاسة

اذ غلب

اذ غلب ... لم يجز استعماله ولا يختلف هذا الحد في البحر والبير والغدير والراكد والجاري فان البحر
لو وقعت فيه نجاسة لم يجز استعمال الماء الذي فيه النجاسة وكذلك الماء الجاري واما اعتبار اصحابنا للغدير الذي اذا حرك
احد طرفيه لم يتحرك الطرف الاخر فانما هو كلام في جهة تغليب الظن في بلوغ النجاسة الواقعة في احد طرفيه الى الطرف الاخر وليس
هو كلاما في ان بعض المياه التي يتصل بها النجاسة يجوز استعماله وبعضها لا يجوز استعماله فهذا كله كلام ابي بكر الرازي
ومن الناس من فرق بين القليل والكثير فعن عبد الله بن عمر اذا كان الماء اربعين قلة لم ينجسه شي وعن ابن عباس الحوض
لا يغتسل فيه جنب الا ان يكون فيه اربعون غربا وهو قول محمد بن كعب القرظي وعن مسروق وابن سيرين اذا كان الماء كثيرا
لم ينجسه الا ما غير طعمه او ريحه او لونه وان كان اهل الفقه يعتبرون حد الكثير والقليل ... واعلم انه تمسك الشافعي بقوله
... احدها قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء طهورا ترك العمل به في الماء الذي تغير لونه او طعمه او ريحه لظهور النجاسة
فيه ... فبقي ما عداه على الاصل والثاني قوله عليه السلم خلق الله الماء طهورا لا ينجسه شي الا ما غير طعمه او ريحه
... الكتاب والثالث قوله تعالى فاغسلوا وجوهكم والمتوضي بهذا الماء قد غسل وجهه فكان ممتثلا لما امر به
فيخرج عن العهدة ... كل مخالطين ... غالبا ... الغالب ... الغالب
منهما ... لو وقعت في الماء الكثير قطرة خمر ... غالبا على الظن ان ...
... بالامارات المخصوصة وهي الطعم والريح ... ظهور طعم النجاسة او لونها او ريحها كانت النجاسة
غالبة على الماء ... لانها ... حكم النجاسة فاما اذا لم يظهر شي من ذلك كان الغالب هو الماء وكانت
النجاسة مستهلكة فيه ... حكم الطهارة وخامسها ما روي ان عمر توضا من جرة نصرانية مع ان نجاسة اواني
النصارى معلومة ... وذلك يدل على ان عمر لم يعتبر الا عدم التغير وسادسها ان ...
... لو كان معتبرا لكان ... رضي الله عنه وعشر في عشر عند ابي حنيفة ... بالطهارة
... المدينة ... المياه هناك لا الجارية ولا الراكدة الكثيرة من اول عصر الرسول عليه السلم الى اخر عصر الصحابة
... الى ... المياه بالمقادير المعينة ولا انهم سالوا عن كيفية حفظ المياه عن النجاسات
وكانت اواني مياههم يتعاطاها الصبيان ... عن النجاسات ... رسول الله
صلى الله عليه وسلم ... من شرب الماء ... بعد ان كانوا يرون انها تاكل الفارة ولم يكن في
... حياض تملأ السنانير منها وكانت ... الاباد ... رضي الله عنه ... على ... النجاسات
طاهر ... اذا ... بالورود عليها او بورودها عليه ولكن
معنى ... في الورود يدفع النجاسة مع انه ... الورود ... المخالطة ... انهم كانوا
... المياه الجارية القليلة ... الشافعي انه اذا وقع بول في ماء جار ولم يتغير
انه يجوز الوضوء به ... الراكد ... على ... الماء
... اذا وقع بول ... طاهر على ... الشافعي ... ان القول
... اذا وقع ... من الماء ... عند ...
... الحمامات لم تزل في الاعصار ... المتقدمة ...
... الطاهر والنجسة ... عليها ولو كان ... بالقلتين
معتبرا ... ذلك ... التواتر ... الجمهور ... نقله التواتر
ولما لم ... علمنا انه ... لو حكمنا بنجاسة الماء ... بنجاسة
الماء ولو كان ... الاودية العظيمة والغدران الكبار فانه ... الاجماع ... التقدير
... بمقدار معين ... عن الناس ... التقدير ... اما
تقدير ابي حنيفة بعشر في عشر فمعلوم انه مجرد التحكم واما تقدير الشافعي بالقلتين فبنا على قوله عليه الصلوة والسلام

اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا فضعيف لما ان الشافعي رضي الله عنه روى هذا الخبر قال اخبرني رجل فيكون الراوي مجهولا ويكون
الحديث مرسلا وبعد قوله ليس بحجة وايضا فانه موقوف على ابن عمر سلمنا صحة الرواية لكنه اضافة
مجهول على مجهول لان القلة عن معلومة فانها تقع للكوز والجرة ولكل ما يقل باليد ويقع ايضا اسم لقامة الرجل لقلة الجبل
سلمنا كون القلة معلومة لكن في متن الخبر اضطراب فانه روي اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا وروي اذا بلغ قلة وروي اربعين قلة
وروي اذا بلغ قلتين او ثلاثا وروي اذا بلغ كرين سلمنا صحة المتن ولكنه متروك الظاهر لان ظاهره لم يحمل خبثا يقتضي ان يكون طاهرا
فان الخبث اذا وقع عليه فقد حمله سلمنا انه يمكن اجراؤه على ظاهره لكن الخبث على قسمين خبث شرعي وخبث حقيقي والاسم
اذا دار بين المسمى اللغوي والمسمى الشرعي كان حمله على المسمى اللغوي اولى لان الاسم حقيقة في المسمى اللغوي مجاز في المسمى الشرعي
دفعا للاشتراك واذا كان كذلك وجب حمله عليه والمسمى اللغوي للخبث المستقذر بالطبع بدليل قوله عليه السلام للاستنجاء
الروث فيجوز حمله اذا ثبت هذا فنقول معنى قوله لم يحمل خبثا انه يصير مستقذرا طبعا ونحن نقول بموجبه لكن لم قلت
انه يجب شرعا سلمنا ان المراد من الخبث النجاسة الشرعية لكن قوله لم يحمل خبثا انه ضعيف عن حمله يعني الضعف
فاثر فيه سكوت هنا دليلا على صيرورته نجسا ثم علم بانه لما اعرضنا عن الجواب عن هذه الاسولة لرسالة الشافعي
ولم يذكر اسم الراوي في بعض المواضع فقد ذكره في سائر المواضع مصرحا بذكره فيكون مرسلا ولان سائر المحدثين نقلوا عنه
اسم الراوي وقوله انه موقوف على ابن عمر قلنا لا نسلم فان يحيى بن معين قال اسناده جيد الاسناد فقيل له ان ابن
علية وقفه على ابن عمر فقال لم كان ابن علية وقفه فحماد بن سلمة رفعه قوله القلة مجهولة قلنا
لا نسلم لان ابن جريج قال في روايته بقلال هجر ثم قال وقد رايت قلال هجر فكانت القلة تسع قربتين او قربتين
وشيئا قوله في متنه اضطراب قلنا لا نسلم فانا ذا اثبتنا ان ما سائر ما عدا صحيح فنعتبر معنى ما ذكرناه معه
قوله متروك الظاهر قلنا اذا حملناه على الخبث الشرعي اندفع ذلك الكلام لان حمل كلام الشرع على الفائدة الشرعية
اولى من حمله على المعنى العقلي لا سيما وقد حمله على المعنى العقلي يلزم التعطيل قوله المراد انه يضعف عن حمله قلنا
صح في بعض الروايات انه قال لم ينجسه شيء دلالة انه عليه السلام جعل القلتين شرطا لهذا الحكم والمشروط عدم عند
الشرط علم عند عدم الشرط وعلى ذلك يدل بنفي النجاسة في القلتين فاما قوله لا يستدل بهذا الخبر في مقدار العموم بسبب تخصيص
عموم قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء طهورا وعموم قوله ليطهركم به وعموم قوله فاغسلوا وجوهكم وعموم قوله الماء
طهور لا ينجسه شيء وهذا المخصوص لا يبطل بل يحتمل على حال الماء مشتبه وقال لا يحتج بمجهوله قول ابن جريج
انه شيء قربتين او قربتين وشيء ليس بحجة لان الثقة كالمجهول فكذلك الشيء مجهول فانما يذكر شيء وقد يكون
صغيرا لان الروايات انما مختلفة فتارة قال اذا بلغ الماء قلتين وتارة اربعين قلة وتارة كرين واذا ابدانه
وتعارضت لم يحمل تخصيص عموم الكتاب والسنة الظاهرة البعيدة عن الاحتمال بمثل هذا الخبر هذا تمام الكلام
في تقرير قول مالك رحمه الله واحتج من حكم بنجاسة الماء الذي وقع النجاسة فيه بوجوه اولها قوله تعالى ويحرم
عليهم الخبائث والنجاسات من الخبائث وقال تعالى انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير رجس من عمل
الشيطان فاجتنبوه وقوله عليه السلام في الخمر انها من الخبائث واما يعتادن في كبر انهما كانا لا يستنزه
من البول وانها كانت تمشي بالنميمة فحرم الله هذه الاشياء تحريما مطلقا ولم يفرق بين حال انفرادها
واختلاطها بالماء فوجب تحريم استعمال كل ما يتيقن فيه جزء من النجاسة اي الماء بسبب الدلائل الدالة على كون
الماء مطهرا يسقط عنه حكم الطهارة ولكن الدلائل المبيحة والدلائل التي ذكرها حاظرة والمبيح والحاظر اذا اجتمعا
فالغلبة للحاظر الا ترى ان الجارية بين الرجلين لو كان لاحدهما فيها مائة جزء وللاخر جزء واحد ان جهة الحظر فيها
اولى من جهة الاباحة وانه غير جائز له وطؤها وطيا فكذا ها هنا وثانيها ما روي عنه عليه السلام انه قال لا يبولن احدكم
في الماء الدائم ثم يغتسل فيه من جنابة وذكر على الاطلاق من غير فرق بين القليل والكثير ولقوله عليه السلام
اذا استيقظ احدكم من منامه فليغسل يديه ثلاثا قبل ان يدخلهما الاناء فانه لا يدري اين باتت يده فامر بغسل

البد احتياطا من نجاسة قد اصابته من موضع الاستنجاء ومعلوم ان مثلها اذا حلت الماء لم تغيره ولولا انها تفسد
الماء لم يكن للامر بالاحتياط منها معنى ورابعها قوله عليه السلام اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا يدل بمفهومه على انه اذا لم يبلغ
قلتين وحمل خبثا حمل الخبث اجاب مالك رحمه الله عن الوجه الاول فقال لا نزاع في انه يحرم استعمال النجاسة ولكن الجزء
القليل من النجاسة المايعة اذا وقعت في الماء لم يظهر فيه لونه ولا طعمه ولا رائحته فلم قلتم ان النجاسة باقية ولم لا يجوز
ان يقال انها انقلبت عن صفتها وتغيرت ماهيتها فصار ماء واما قوله عليه السلام لا يبولن احدكم في الماء الدائم فلم قلتم ان
هذا النهي ليس لما ذكرتموه بل لعل النهي انما كان لانه ربما شرب انسان وذلك مما ينفر طبعه عنه وليس للعلم في
الطبع واما قوله اذا استيقظ من منامه فليغسل يده ثلاثا فقد اجمعنا على ان هذا الامر استحباب فلم قلت
انه كيف يكون للايجاب ثم يتقدير ان يكون الامر للايجاب فلم قلتم انه لو لم يفعل ذلك لما تنجس الماء كما ذكرتموه واما قوله عليه السلام
اذا بلغ الماء قلتين فقد سبق الكلام عليه ثم تعالى الدليل على كل ما قلناه فهو متمسك بالمفهوم والنصوص التي ذكرناها منطوقة
والمنطوق راجح على المفهوم المطهر الباقي في تفسير الماء الطهور هل هو طهور ام لا فيه قال بعض الائمة ان كون الوضوء به
الا انه وقال ابو حنيفة يجوز الوضوء بنبيذ التمر في السفر وقال ايضا يجوز ازالة النجاسة بجميع المايعات التي
تزيل النجاسات وقال الشافعي رحمه الله عليه الطهورية مخصوصة بالماء على الاطلاق ودليله نص قوله
تعالى فان لم تجدوا ماء فتيمموا اوجب التيمم عند عدم الماء ولو جاز الوضوء بالخل والنبيذ لما وجب التيمم
عند عدم الماء فان قيل الجنب اذا لم يجد الماء ووجد الخل يجب عليه التيمم لان التطهير يعني التطهير المطهر
ولو كان التطهير واجب لم يكن التيمم طهارة للحدث لقوله عليه السلام لا يقبل الله صلاة احدكم حتى يضع الطهور مواضعه
وكلمة حتى لانتهاء الغاية فوجب انتهاء عدم القبول عند استعمال الطهور وانتهاء عدم القبول يحصول القبول فلو
كان التطهير يحصل باستعمال الخل لكان يحصل القبول فيجب ان لا يحصل الا بالماء ان الطهورية في الحدث انما مختص بالماء

ـه تعالى

ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فابى اكثر الناس الا كفورا ولو شئنا لبعثنا
في كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا اعلم انهم اختلفوا في ان الكناية في قوله ولقد
صرفناه الى اي شيء ترجع وذكروا فيه ثلاثة اوجه اصحها وهو الذي عليه الجمهور انه يرجع الى المطر ثم من هؤلاء من ذكر
معنى صرفناه انا اجريناه في الانهار حتى انتفعوا بالشرب وبالزراعات وانواع المعاش وقال الاخرون معناه
انه سبحانه ينزله في مكان دون مكان وفي عام ثم في العام الثاني يقع بخلاف ما وقع في العام الاول قال ابن عباس ما عام
باكثر مطرا من عام ولكن الله يصرفه في الارض ثم قرا هذه الاية وروي ابن مسعود عن النبي عليه السلام انه قال
ما من عام بامطر من عام ولكن اذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك الى غيرهم فاذا عصوا جميعا صرف الله ذلك
الى الفيافي واما الوجه الثاني من الوجوه وهو انه قوله صرفناه راجع الى المطر والرياح والسحاب وسائر ما ذكره
الله من الادلة وثالثها ولقد صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وفي سائر الكتب والصحف التي انزلت
على الرسل وهو ذكر انشاء السحاب وانزال المطر ليتفكروا ويستدلوا به على الصانع والوجه الاول اقرب لانه
اقرب المذكورات الى الضمير ثم قوله تعالى ليذكروا فيه دلالة على انه تعالى يريد من الكل ان يتذكروا
ويشكروا ولو اراد منهم ان يكفروا ويعرضوا لما صح ذلك فبطل قول من قال ان الله يريد الكفر من الكافر
ثم قال فابى اكثر الناس الا كفورا على بعضهم على تقدير هذه المذكورات لو اعتقدوا ما جاز ان يقال ابوا ان يفعلوا
كما لا يقال في الزمن ابى ان يسعى ثم قال الكعبي قوله ولقد صرفناه بينهم ليذكروا حجة على من زعم ان القرآن وبال
على الكافرين وانه لم يرد بانزاله ان يؤمنوا لان قوله ليذكروا عام في الكل وقوله فابى اكثر الناس يقتضي
ان يكون هذا الاكثر داخلا في ذلك العام لانه لا يجوز ان يقال انزلناه على قريش ليؤمنوا فابى اكثر بني تميم الا
كفورا واعلم ان الكلام عليه قد تقدم في المسالة ثم قوله فابى اكثر الناس الا كفورا المراد كفران النعمة
وجحودها من حيث لا يتفكرون فيها ولا يستدلون بها على وجود الصانع وقدرته واحسانه وقيل المراد

من الكفور الكفر وذلك الكفر انما حصل لانهم كانوا يقولون مطرنا بنوء كذا فاما من جحد كون النعمة صادرة من المنعم
واضاف مثل هذه النعم الى الافلاك والكواكب فقد كفر واعلم ان المحققين ان من جعل الافلاك والكواكب مستقلة
باقتضاء هذه الاشياء فلا شك في كفره اما من قال ان الفاعل تعالى خلقها على صفات وخواص وصفات تقتضي تلك
الحوادث فالحكم لا يبلغ خطاؤه الى حد الكفر المسألة الرابعة قالوا والآية دالة على ان خلاف ما علم الله مقدور
لانه تعالى لو دلت على انه تعالى ما شاء ان يبعث في كل قرية نذيرا مع انه تعالى اخبر عن كونه قادرا على ذلك
على ان خلاف ما علم الله مقدور له اما قوله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فالمراد من ذلك تعظيم النبي
عليه السلم وذلك لو شئنا لفعلنا كانه تعالى بين انه مع القدرة على بعثة نذير ورسول في كل قرية خصه بالرسالة
وفضله بها على الكل ولذلك اتبعه بقوله فلا تطع الكافرين اي لا توافقهم وبانها المراد ولو شئنا لخففنا عنك اعباء
الرسالة الى كل العالمين ولبعثنا في كل قرية نذيرا ولكنا قصرنا الامر عليك واجللناك وفضلناك على سائر
الرسل فقابل هذا الاجلال بالتشدد في الدين والتحامل بما يسعى من اللطف بالعنف انها يدل على القدرة
على ان يبعث في كل قرية نذيرا مثل محمد انه الحاجة بالحصر الا لغيبة المعجز لبينه وبدله ولو بدل على انه سبحانه
لم يفعل ذلك فما النظر الى الاول يحصل الثاني وبالنظر الى الثاني يحصل الاول اما قوله تعالى فلا تطع الكافرين
فالمراد نهيه عن طاعتهم ودلت هذه الآية على ان النهي عن الشيء لا يقتضي كون المنهي عنه مشتغلا به واما قوله
وجاهدهم به جهادا كبيرا فقال بعضهم المراد بذلك الجهد في الاداء والدعاء وقال بعضهم المراد القتال
وقال آخرون كلاهما والاقرب الاول لان السورة مكية والامر بالقتال ورد بعد الهجرة بزمان وانما قال جهادا
كبيرا لانه لو بعث في كل قرية نذيرا لوجب على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله تلك المجاهدات
وكبر جهاده من اجل ذلك وعظم فقال له وجاهدهم بسبب كونك نذيرا لكل القرى جهادا كبيرا جامعا لكل
مجاهدة **قوله تعالى** وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج وجعل
بينهما برزخا وحجرا محجورا اعلم ان هذا هو النوع الرابع من دلائل التوحيد مرج البحرين خلاهما وارسلهما
يقال مرجت الدابة اذا خليتها ترعى واصل المرج الارسال والخلط ومنه قوله فهم في امر مريج سمى الماءين
الكثيرين الواسعين بحرين قال ابن عباس مرج البحرين اي ارسلهما في مجاريهما كما يرسل الخيل في المرج وهما يلتقيان
وقوله عذب فرات والفرات البليغ العذوبة حتى يضرب الى الحلاوة والاجاج نقيضه وانه سبحانه
بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج وهذا من عظيم اقتداره برزخا حائلا من قدرته وههنا سؤالات
السؤال الاول ما معنى قوله وحجرا محجورا الجواب هي الكلمة التي تقولها المتعوذ وقد فسرناها وهي ههنا
واقعة على سبيل المجاز كان كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له حجرا محجورا كما قال لا يبغيان
اي لا يبغي احدهما على صاحبه بالممازجة فانتفاء البغي كالتعوذ وههنا جعل كل واحد منهما في صورة الباغي
على صاحبه فهو يتعوذ منه وهي من احسن الاستعارات السؤال الثاني لا وجود للبحر العذب فكيف ذكره الله تعالى
ههنا لا يقال هذا مدفوع من وجهين الاول ان المراد منه الاودية العظام كالنيل وجيحون الثاني لعله حصل
في البحار موضع يكون احد جانبيه عذبا والآخر ملحا لانا نقول اما الاول فضعيف لان هذه الاودية ليس فيها
ما ملح والبحار ليس فيها ما عذب فلم يحصل البتة موضع التعجب واما الثاني فضعيف ايضا من وجهين الاول
انه لا بد وان يكون معلوما والمخصوص موضع الاستدلال الجواب انا نقول المراد من البحر العذب هذه
الاودية ومن الملح الاجاج البحار الكبار ووجه الاستدلال ان العذب يدخل في الملح بالارض ثم لا يتغير
لان العذوبة والملوحة ان كانت بسبب طبيعة الارض او الماء فلا بد من الاستواء وان لم يكن كذلك فلا بد
من قادر حكيم يخص كل واحد منهما بصفة معينة **قوله تعالى** وهو الذي خلق من الماء
بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا اعلم ان هذا النوع الخامس من دلائل التوحيد وفيه مسائل المسألة الاولى

ذكروا

ذكروا في هذه الآية قولين احدهما انه الماء الذي خلق منه اصول الحيوان وهو الذي عناه بقوله والله خلق كل دابة من ماء
والثاني ان المراد النطفة كقوله خلق من ماء دافق من ماء مهين المسألة الثانية المعنى انه تعالى قسم البشر قسمين ذوي
نسب اي ذكورا ينسب اليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن ونحوه قوله
تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا حيث خلق من النطفة الواحدة نوعين من البشر الذكر والانثى
قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا وما ارسلناك الا مبشرا
ونذيرا قل ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب
عباده خبيرا اعلم انه تعالى لما شرح دلائل التوحيد عاد الى تهجين سيرتهم في عبادة الاوثان وفي الآية مسائل
المسألة الاولى قيل المراد بالكافر ابو جهل لان الآية نزلت فيه والاولى حمله على العموم لان خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ
ولانه اوفق لظاهر قوله ويعبدون المسألة الثانية ذكروا في الظهير وجوها احدها الظهير بمعنى المظاهر
كالعوين بمعنى المعاون وفعيل بمعنى مفاعل غير عزيز والمعنى ان الكافر يظاهر الشيطان على ربه بالعداوة فان قيل كيف يصح
في الكافر ان يكون معاونا للشيطان على ربه بالعداوة قلنا انه تعالى ذكر نفسه واراد رسوله كقوله ان الذين يؤذون الله
ورسوله وثانيها يجوز ان يريد بالظهير الجماعة كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير كما جاء الصديق والخليط وعلى هذا
التفسير يكون المراد بالكافر الجنس وان بعضهم مظاهر لبعض على اطفاء نور الله قال تعالى واخوانهم يمدونهم في الغي
وثالثها قال ابو مسلم الاصفهاني الظهير من قولهم ظهر فلان بحاجتي اذا نبذها وراء ظهره وهو من قوله واتخذتموه وراءكم ظهريا
ويقال فيمن يستهين بالشيء نبذه وراء ظهره وقياس العربية ان يقال مظهور اي مستخف به متروك وراء الظهر
فقيل فيه ظهير في معنى مظهور ومعناه هين على الله ان يكفر الكافر وهو تعالى مستهين بكفره اما قوله تعالى
وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا فتعلق ذلك بما تقدم ان الكفار يطلبون العون على الله ورسوله والله تعالى بعث
رسوله لنفعهم لانه بعثه ليبشرهم على الطاعة وينذرهم على المعصية فيستحقوا الثواب ويحترزوا عن العقاب
فلا جهل اعظم من جهل من استفرغ جهده في ايذاء شخص استفرغ جهده في اصلاح مهماته دينا ودنيا ولا يسألهم
على ذلك البتة اجرا اما قوله الا من شاء فذكروا فيه وجوها متقاربة احدها لا اسألكم على الاداء اجرا
الا فعل من يريد ان يتقرب الى الله تعالى بالانفاق في الجهاد وغيره فيتخذ به سبيلا الى رحمة ربه ونيل ثوابه و
ثانيها قال القاضي معناه لا اسألكم اجرا لنفسي وانما اسألكم ان تطلبوا الاجر لانفسكم باتخاذ السبيل الى ربكم وثالثها
قال صاحب الكشاف مثال قوله الا من شاء والمراد الا فعل من شاء واستثناؤه عن الاجر قول ذي شفقة عليك
قد سعى لك في تحصيل مال ما اطلب منك ثوابا على ما سعيت الا ان تحفظ هذا المال ولا تضيعه فليس
حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن سماه ثوابا باسمه فاذا رأيته من حاملها اتلو تبعه الغمة
في الثواب من حيث انه يقول لما كان حفظك لمالك ثوابا فالطلب الثواب الثاني اظهار الشفقة
البالغة وان حفظك لمالك يجري مجرى الثواب العظيم فقوله الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا معناه الا
طلبهم منه الزلفى بالايمان والطاعة وتسلل المراد الاجر واما قوله وتوكل على الحي الذي لا يموت فالمعنى انه سبحانه لما بين ان الكفار متظاهرون على ايذائه ولم يأمرهم ان يطلب
منهم اجرا البتة امره بان يتوكل عليه في دفع جميع المضار وفي جلب جميع المنافع وانما قال على الحي الذي
لا يموت لان من توكل على حي يموت انقطع توكله عليه وامافقوله وسبح بحمده فقيل معناه صل له وقيل نزهه عن صفات النقص
ومنهم من حمله على الصلاة على ما تقدم ثم قال وكفى به بذنوب عباده خبيرا وهذه كلمة يراد بها المبالغة يقال كفى بالعلم جمالا وكفى بالادب مالا وهو بمعنى حسبك اي لا تحتاج
معه الى غيره لانه خبير باحوالهم قادر على مكافأتهم وذلك وعيد شديد كانه قال ان اقدمتم على مخالفة امري كفاكم
علمي في مجازاتكم بما تستحقون من العقوبة **قوله تعالى** الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام

ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا اعلم
انه سبحانه لما امر الرسول بان يتوكل عليه وصفه بامور ثلثة انه حي لا يموت وهو قوله على الحي الذي لا يموت
وثانيها انه عالم بجميع المعلومات وهو قوله وكفى به بذنوب عباده خبيرا وثالثها انه قادر على كل الممكنات وهو المراد
بقوله الذي خلق السموات والارض وهو متصل بقوله الحي الذي لا يموت لانه سبحانه لما كان هو الخالق للسموات
والارض ولكل ما بينهما ثبت انه هو القادر على جميع وجوه المنافع ودفع المضار وان النعم كلها من جهته
فحينئذ لا يجوز التوكل الا عليه وفي الاية سوالات الاول ان الايام عبارة عن حركة الشمس في السموات فقبل السموات
لا ايام فكيف قال الله خلقها في ستة ايام الجواب يعني في مدة مقدارها هذه المدة لا يقال الشي الذي
يتقدر بمقدار محدود ويقبل الزيادة والنقصان والتجزية لا يكون عدما محضا بل لا بد وان يكون موجودا فيلزم من وجوده
وجود مدة قبل وجود العالم وذلك يقتضي قدم الزمان لانا نقول هذا معارض بنفس الزمان فان المدة
المتوهمة المحتملة لعشرة ايام لا تحتمل تسعة ايام والمدة المتوهمة التي تحتمل تسعة ايام لا تحتمل عشرة ايام فيلزم ان يكون
للعدم مقدار فلما لم يلزم هذا لم يلزم ذلك وعلى هذا نقول لعل الله سبحانه خلق المدة اولا ثم خلق السموات
والارض فيها مقدار ستة ايام ومن الناس من قال في ستة ايام من ايام الاخرة وكل يوم الف سنة مما تعدون
وهو بعيد لان التعريف لا بد وان يكون بامر معلوم لا بامر مجهول السوال الثاني لم قدر الخلق والايجاد بهذا التقدير الجواب
اما على قولنا فالمشية والعلة كافية في التخصيص وقالت المعتزلة لا بد من داعي حكمة وهو ان يخصص خلق العالم بهذا
المقدار لمصالح المكلفين ومن المعلوم ان حصول تلك الحكمة ان كان لا يعلمها
وجب ان لا يشتغل بكونه حاصلا في كل زمان فلا يصلح ان يكون سببا للتخصيص بزمان معين دون زمان
حصول تلك الحكمة في ذلك الوقت تخصص آخر ولزم التسلسل والثاني ان التفاوت بان ولا صلاح فيها يصل اليه
خاطر المكلف وعقله فحصول ذلك التفاوت لما لم يكن مشعورا به كيف ينتفع في حصول المصالح واعلم ان الذي
على المكلف سوا كان على قولنا او على قول المعتزلة ان يقطع الطمع عن امثال هذه الاسولة فانه بحر لا ساحل له
من ذلك تقدير الملائكة الذين هم اصحاب النار تسعة عشر وحملة العرش بالثمانية والشهور باثني عشر والسموات
بالسبع وكذا الارض وكذا عدد الصلوات ومقادير النصب في الزكوات وكذا في مقادير الحدود
والكفارات فالاقرار بان كل ما قاله الله حق هو الدين وترك البحث عن هذه الاشيا هو الواجب وقد نص
عليه تعالى في قوله وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن
الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمومنون وليقول الذين
في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا ثم قال وما يعلم جنود ربك الا هو وهذا هو الجواب ايضا
في ان الله لم خلقها في الحظة وهو قادر على ذلك وعن سعيد بن جبير انما خلقها في ستة ايام وهو يقدر ان يخلقها
في لحظة تعليما لخلقه الرفق والتثبت وقيل ثم خلقها يوم الجمعة فجعلها الله عيدا للمسلمين السوال
الثالث ما معنى قوله ثم استوى على العرش ولا يجوز حمله على الاستقرار لانه يقتضي الاستيلا والعدمية في اوصاف
تراجع اصوله ثم الجواب انه يستقر لا عن جاء بالله يعني انه هو دليل الحدوث
والعصمة وكل ذلك على الله تعالى محال بل المراد ثم خلق العرش ورفعه وهو مثل قوله تعالى ولنبلونكم
حتى نعلم فان المراد حتى نعلم المجاهدين ونحن بهم عالمون فان قيل يلزم ان يكون خلق
العرش بعد خلق السموات وليس كذلك لقوله تعالى وكان عرشه على الماء قلنا كلمة ثم دخلت على رفعه على السموات
لا على خلقه السوال الرابع كيف اعراب قوله الرحمن فاسأل به خبيرا الجواب الذي
خلق مبتدا والرحمن خبره وهو صفة للحي والرحمن خبر مبتدا محذوف ولهذا اجاز الزجاج وغيره ان يكون الوقف
على قوله على العرش ثم يبتدى الرحمن اي هو الرحمن الذي لا ينبغي السجود والتعظيم الا له ويجوز ان يكون الرحمن مبتدا وخبره

قوله

قوله فاسال به خبيرا السوال الخامس ما معنى قوله فاسال به خبيرا الجواب ذكروا فيه وجوها احدها
قال الكلبي معناه فاسأل خبيرا به فيكون به يعود الى ما ذكرنا من خلق السموات والارض والاستوا على العرش و
الباء من صلة الخبير وذلك الخبير هو الله عز وجل لانه لا دليل في العقل على كيفية خلق السموات والارض ولا يعلمها
احد الا الله وعن ابن عباس ان ذلك الخبير هو جبريل عليه السلام وانما قدم لرؤوس الاي وحسن النظم وثانيها قال
الزجاج قوله به معناه عنه والمعنى فاسأل عنه خبيرا وهو قول الاخفش ونظيره قوله سال سائل بعذاب واقع
وقال علقمة بن عبدة فان تسالوني بالنسا فانني بصير بادوا النسا طبيب وثالثها قال ابن جرير الباء في
قوله به صلة والمعنى فسله خبيرا وخبيرا نصب على الحال ورابعها ان يكون كقوله واتقوا الله الذي
تسالون به اما قوله واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فهو خبر عن قوم قالوا هذا القول ويحتمل انهم جهلوا الله
تعالى ويحتمل انهم وان عرفوه لكنهم جحدوه ويحتمل انهم وان اعترفوا به لكنهم جهلوا ان هذا الاسم من اسما الله وكثير من
المفسرين على هذا القول الاخير قالوا الرحمن اسم من اسما الله مذكور في الكتب المتقدمة والعرب ما عرفوه قال مقاتل
ان ابا جهل قال ان الذي يقول محمد شعر فقال عليه السلام الشعر غيره هذا كلام الرحمن فقال ابو جهل بخ بخ لعمرك
والله انه لكلام الرحمن الذي باليمامة هو يعلمك فقال عليه السلام الرحمن الذي هو اله السما ومن عنده ياتي الوحي فقال
يا ال غالب من يعذرني من محمد يزعم ان الله واحد وهو يقول الله يعلمني والرحمن الستم تعلمون انهما الهان ثم قال
ربكم الله الذي خلق هذه الاشيا اما الرحمن فهو مسيلمة قال القاضي والاقرب انه اراد به انكار الله لا الاسم لان هذه
اللفظة عربية وهم كانوا يعلمون انها تفيد المبالغة في الانعام ثم ان قلنا بانهم كانوا منكرين لله كان قولهم وما الرحمن
سوالا طالبا عن الحقيقة وهو يجري مجرى قول فرعون وما رب العالمين وان قلنا بانهم كانوا مقرين بالله لكنهم جهلوا
كونه تعالى مسمى بهذا الاسم كان قولهم وما الرحمن سوالا عن الاسم اما قوله انسجد لما تامرنا فالمعنى للذي تامرنا بسجوده على
قولك امرتك الخير او لامرك لنا وقرى بالياء كان بعضهم قال لبعض انسجد لما يامرنا محمد او يامرنا المسمى بالرحمن
ولا نعرف ما هو فزادهم اي قوله اسجدوا للرحمن نفورا ومن حقه ان يكون باعثا على الفعل والقبول قال الضحاك
سجد رسول الله وابو بكر وعمر وعثمان وعلي وعثمان بن مظعون وعمرو بن عبسة ولما راهم المشركون يسجدون
تباعدوا في ناحية المسجد مستهزئين فهذا هو المراد من قوله فزادهم نفورا اي فزادهم سجودهم نفورا **قوله
تعالى** تبارك الذي جعل في السما بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر
او اراد شكورا اعلم انه سبحانه لما حكى عن الكفار مزيد النفرة عن السجود ذكر ما لو تفكروا فيه لعرفوا وجوب
السجود والعبادة للرحمن فقال تبارك الذي جعل في السما بروجا اما تبارك فقد تقدم القول فيه واما البروج
فهي منازل السيارات وهي مشهورة سميت بالبروج التي هي القصور العالية لانها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها
واشتقاق البرج من التبرج لظهوره وعن ابن عباس ان البروج هي الكواكب العظام والاول
اولى لقوله تعالى وجعل فيها اي في البروج فانه لو لم يحمل على ذلك لم يكن فيه فائدة
قلنا لان البروج اقرب في عود الضمير اليها اولى والسراج الشمس لقوله تعالى وجعل الشمس سراجا وقرى سرجا
وهي الشمس والكواكب الكبار منها وقرا الحسن والاعمش وقمرا وهي جمع ليلة قمرا كانه قيل وذا قمر منيرا
لان الليالي تكون قمرا بالقمر فاضافه اليها ثم يجوز ان يكون القمر بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب
واما الخلفة فهي من قولهم اختلفا
واحد فاذا اختلف كل واحد منهما والمعنى جعلهما ذوي خلفة اي ذوي عقبة يعقب هذا ذاك
وذاك هذا قال ابن عباس جعل كل واحد منهما خلفا عن صاحبه فمن فاته عمل في احدهما
قضاه في الاخر قال انس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب وقد فاتته قراءة القران بالليل
يا ابن الخطاب لقد انزل الله فيك اية وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر ما فاتك من النوافل بالليل

فانتبه في نهارك وما فاتك في النهار فاقضه في الليل القول الثاني يقول مجاهد وقتادة والكسائي يخلف كل شيء صاحبه
ومنه خلفات فيه خلفة اي مختلف هذا اسود وهذا ابيض وهذا طويل وهذا قصير والقول الاول اقرب اتاه الله
ابن كثير قراءة العامة بالتشديد وقراءة حمزة بالتخفيف وهو ان يذكر ... المعنى ليبطل الناظر في اختلافهما
فيعلم انه لا بد في انتقالهما من حال الى حال من ناقل ومغير ويعلم ان ذكر راجع الى كل ما تقدم من النعم بين تعالى
ان الذي ... الرحمن لو تفكروا في هذه النعم وتذكروها واستدلوا بذلك على عظم قدرته وشكروا ان ...
على النعم التي فيها ... الليل والنهار ... كما قال تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه
ولتبتغوا من فضله فبين انه ... في احدهما ... من العباد ... الرحمن والشكور
على ... شكورا

قوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما
انها ساءت مستقرا ومقاما والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما اعلم ان قوله وعباد
الرحمن مبتدا خبره في اخر السورة كانه قيل وعباد الرحمن الذين هذه صفاتهم اولئك يجزون الغرفة ويجوز ان يكون
خبره الذين يمشون واعلم انه سبحانه خصص اسم العبودية بالمشتغلين بالعبودية فدل ذلك على ان هذه
الصفة من اشرف صفات المخلوقات ... عباد الرحمن واعلم انه سبحانه وصفهم بانواع من الصفات
الصفة الاولى قوله الذين يمشون على الارض هونا وهذا وصف سيرتهم بالنهار وقرئ يمشون هونا حال
او صفة للمشي بمعنى هينين او مشيا هينا الا ان في وضع المصدر موضع الصفة مبالغة والهون الرفق واللين
ومنه الحديث احبب حبيبك هونا ما وقوله المؤمنون هينون لينون والمعنى انهم يمشون في
لين وسكينة ووقار وتواضع لا يضربون باقدامهم اشرا وبطرا ولا يتبخترون لاجل الخيلاء كما قال
ولا تمش في الارض مرحا وعن زيد بن اسلم التمست تفسير هونا فلم اجد فرايت في النوم فقيل هم الذين لا يريدون
ان يفسدوا في الارض وعن ابن عباس بالطاعة والعفاف والتواضع ... ولا يريدون علوا في الارض الصفة الثانية قوله واذا
خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما معناه لا نجاهلكم ولا خير بيننا ولا شر اي نتسلم منكم تسلما فاقيم السلام مقام
التسلم ثم يحتمل ان يكون المراد انهم طلبوا السلامة والسكوت ويحتمل ان يكون المراد التنبيه على سوء طريقتهم لكي يمتنعوا من
مثله ويحتمل ان يكون المراد منه العدول عن طريقة المقابلة ويحتمل ان يكون المراد اظهار الحلم في مقابلة الجهل قال
الاصم قالوا سلاما اي سلام توديع لا تحية كقول ابراهيم لابيه سلام عليك ثم قال الكلبي وابو العالية
نسختها اية القتال ولا حاجة الى ذلك لان الاغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن في العقل والشرع وسبب
لسلامة العرض والورع الصفة الثالثة قوله والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما واعلم انه تعالى لما ذكر سيرتهم
في النهار من وجهين احدهما ترك الايذاء وهو المراد من قوله يمشون على الارض هونا والاخر تحمل الاذى وهو المراد من قوله
واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما فكانه شرح سيرتهم مع الخلق في النهار فبين في هذه الاية سيرتهم في الليالي عند
الاشتغال بخدمة الخالق وهو كقوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع ثم قال الزجاج كل من ادرك الليل قيل بات وان لم ينم
كما يقال بات فلان قلقا والمعنى يبيتون لربهم ... بالليل في الصلاة ... من قوله سجدا
من القول في صلاة ... باربع ركعات ... والوتر ... الله
ومثلهم باحياء الليل ... نصلي ... بينهما ... عن الحسن يبيتون ... ويصبحون
وجوههم تجري دموعهم على خدودهم ... الصفة الرابعة والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب
جهنم ان عذابها كان غراما قال ابن عباس يقولون في سجودهم وقيامهم هذا القول وقال الحسن خشعوا بالنهار
وتعبوا بالليل فرقا من عذاب جهنم وقوله عذابها كان غراما اي هلاكا ولازما ومنه الغريم لملازمته والزامه
وسال نافع بن الازرق ابن عباس عن الغرام فقال هو الموجع وعن محمد بن
كعب ان الله سال الكفار عن نعمه فلم يؤدوها اليه فاغرمهم فادخلهم النار واعلم انه تعالى وصفهم باحياء الليل
ساجدين وقائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه ايذانا بانهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون الى الله تعالى في صرف
العذاب عنهم كقوله والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة اما قوله انها ساءت مستقرا ومقاما فقوله ساءت في حكم
بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هي ومستقرا حال او تمييز
فان قيل دلت الاية على انهم سالوا الله ان يصرف عنهم عذاب جهنم لعلتين احداهما ان عذابها كان غراما والثانية انها ساءت
مستقرا ومقاما فما الفرق بين الوجهين وما الفرق بين المستقر والمقام قلنا المتكلمون ذكروا ان عقاب الكافر
يجب ان يكون مضرة خالصة عن شوائب النفع دائمة فقوله ان عذابها كان غراما اشارة الى كونه مضرة خالصة عن
شوائب النفع وقوله انها ساءت مستقرا ومقاما اشارة الى كونها دائمة ولا شك في المغايرة اما الفرق بين المستقر و
المقام فيحتمل ان يكون المستقر للعصاة من اهل الايمان فانهم يستقرون في النار ولا يقيمون فيها والمقام للكفار
واعلم ان قوله انها ساءت مستقرا ومقاما يحتمل ان يكون من كلام الله تعالى ويحتمل ان يكون حكاية لقولهم الصفة
الخامسة قوله تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما قرئ يقتروا بكسر التاء وضمها ويقتروا
بضم الياء وتخفيف التاء وكسرها وايضا بضم الياء وفتح القاف وكسر التاء وتشديدها وكلها لغات والقتر والاقتار
والتقتير التضييق الذي هو نقيض الاسراف والاسراف مجاوزة الحد في النفقة وذكر المفسرون في الاسراف والتقتير وجوها
احدها وهو الاقوى انه تعالى وصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير وبمثله امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تجعل يدك مغلولة الى
عنقك ولا تبسطها كل البسط وعن ... العالم ... الذي لا سرف فيه ... من الطعام ... ما ... الشمس ... من المطر
... الطعام الذي لا سرف فيه ما ... الجوع فقال له في اللباس ما ستر عورتك وادفاك من البرد وروي ان
... صنع طعاما في ... فارسل الى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال ... فارسل فقال ... من
... صنع ... فارسل اليه فقال ... وثانيها وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك
ان الاسراف النفقة في معصية الله والاقتار منع حق الله قال مجاهد لو انفق رجل مثل ابي قبيس ذهبا في طاعة الله لم يكن سرفا
ولو انفق صاعا في معصية الله كان سرفا وقال الحسن لم ينفقوا في معاصي الله ولم يمسكوا عما ينبغي وذلك قد يكون في الانفاق
على الله ... ولكن ... بمثل الرطل ... ما اصاب ... من الفاقة ...
المراد بالسرف مجاوزة الحد في التنعم والتوسع في الدنيا وان كان من حلال ... الى الخيلاء
والاقتار هو التضييق ... عن العباد ... فذلك اقتار
وهذه الصفة صفة اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا لا ياكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال والزينة ولكن كانوا
ياكلون ما يسد جوعتهم ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون ما يستر عوراتهم ويصونهم من الحر والبرد ...
المسالة الاولى القوام بالكسر ما يقام به الشيء والقوام بالفتح العدل والاستقامة ... على ... مستقرا ...
الكشاف القوام العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين ... ونظير القوام من الاستقامة السواء من الاستواء وقرئ
قواما بالكسر وهو ما يقام به الشيء يقال انت قوامنا يعني ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص المسالة الثانية
المنصوب ان ... بين ذلك قواما ... خبرين معا ... ذلك لغوا وقواما مستقرا ...
وقواما حال مؤكدة قال الفراء ... كان ... دون هذا ... ذلك ... يعني
بين ذلك ... الوسط ... من الوسط ... وكان الوسط وسطا
وهذا القول ... الصفة السادسة قوله تعالى والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا
يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا
فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا اعلم انه سبحانه
وتعالى ذكر ان من صفة عباد الرحمن الاحتراز عن الشرك والقتل والزنا ثم ذكر بعد ذلك حكم من يفعل هذه الاشياء من العقاب

لما استثنى من جملتهم التايب وههنا سوالات السوال الاول انه تعالى قبل ذكر هذه الصفة نزه عباد الرحمن عن الامور
الخفيفة فكيف يليق بعد ذلك ان يطهرهم عن الامور العظيمة مثل الشرك والقتل والزنا اليس انه لو كان الترتيب
بالعكس منه كان اولى الجواب ان الموصوف بتلك الصفات السالفة قد يكون متمسكا بالشرك تدينا ومقدما على قتل الموؤد
تدينا وعلى الزنا تدينا فبين تعالى ان المرء لا يصير بتلك الخصال وحدها من عباد الرحمن حتى ينضاف الى ذلك كونه
مجانبا لهذه الكبائر واجاب الحسن رحمه الله من وجه اخر فقال المقصود من ذلك التنبيه على الفرق بين سيرة المسلمين
وسيرة الكفار كانه قال وعباد الرحمن هم الذين لا يدعون مع الله الها اخر وانتم تدعون ولا يقتلون وانتم تقتلون الموؤدة
ولا يزنون وانتم تزنون السوال الثاني ما معنى قوله ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ومعلوم ان من يحل قتله
لا يدخل في النفس المحرمة فكيف يصح هذا الاستثنا الجواب المقتضي لحرمة القتل قائم ابدا وجواز القتل انما ثبت بالمعارض
فقوله حرم الله اشارة الى المقتضي وقوله الا بالحق اشارة الى المعارض السوال الثالث باي سبب يحل القتل
الجواب بالردة وبالزنا بعد الاحصان وبالقتل قودا على ما في الحديث وقيل بالمحاربة وبالبغي وهذا ليس يلزم لكن لما شهد به
حقيقة السوال الرابع منهم من فسر قوله ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق بالوأد فهل يصح ذلك الجواب
لفظ القتل عام فيتناول الكل وعن ابن مسعود قلت يا رسول الله اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك
قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية ان ياكل معك قلت ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك فانزل
الله تصديقه السوال الخامس ما الاثام الجواب فيه وجوه احدها ان الاثام جزاء الاثم بوزن الوبال
والنكال وثانيها وهو قول ابي مسلم ان الاثام والاثم واحد والمراد ههنا جزاء الاثام فاطلق اسم الشي على جزائه
وثالثها قال الحسن الاثام اسم من اسما جهنم وذكر مجاهد ان اثاما واد في جهنم وقرى اثاما اي شدايد يقال يوم ذو اثام
ليوم العصيب قوله يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه مهانا فيه مسايل المسالة الاولى يضاعف بدل من يلق
لانهما في معنى واحد وقرى يضعف ونضعف له العذاب بالنون ونصب العذاب وقرى بالرفع على الاستيناف او على الحال
وكذلك يخلد وقرى ويخلد على البنا للمفعول مخففا ومثقلا من الاخلاد والتخليد وقرى بالرفع على الاستيناف
او على الحال وقرى وتخلد بالتاء على الالتفات المسالة الثانية سبب تضعيف العذاب ان المشرك اذا ارتكب المعاصي
مع الشرك فانه يعذب على الشرك وعلى المعاصي جميعا فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه وهذا يدل
على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرايع المسالة الثالثة قال القاضي بين الله تعالى ان المضاعفة والزيادة
يكون حالها في الدوام كحال الاصل فقوله ويخلد فيه اي ويخلد في ذلك التضعيف ثم ان ذلك التضعيف انما حصل بسبب
العقاب على المعاصي فوجب ان يكون عقاب هذه المعاصي في حق الكافر دايما واذا كان كذلك وجب ان يكون في حق المؤمن
كذلك لان حاله فيما يستحق به لا يتغير سوا فعل مع غيره او منفردا والجواب لم لا يجوز ان يكون للاتيان بالشي مع غيره اثر
في مزيد القبح الا ترى ان الشيئين قد يكون كل واحد منهما في نفسه حسنا ولكن الجمع بينهما قبيحا وقد يكون كل واحد منهما
قبيحا ويكون الجمع بينهما ابلغ في القبح فكذا ههنا المسالة الرابعة قوله ويخلد فيه مهانا اشارة الى ان العقاب هو المضرة الخالصة
المقرونة بالاذلال والاهانة كما ان الثواب هو المنفعة الخالصة المقرونة بالتعظيم اما قوله تعالى الا من تاب وامن
وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سياتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ففيه مسايل المسالة الاولى دلت الاية على ان التوبة
مقبولة والاستثنا لا يدل على ذلك لانه استثنا يفيد نفي العذاب ضعفا ويكفي في صحة الاستثنا نفي الاستثنا عن كل
العذاب ضعفا فاما الدال عليه فقوله فاولئك يبدل الله سياتهم حسنات المسالة الثانية نقل عن ابن عباس انه قال توبة
القاتل غير مقبولة وزعم ان هذه الاية منسوخة بقوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا وقالوا نزلت الغليظة بعد اللينة
بمدة يسيرة وعن الضحاك ومقاتل بثمان سنين وقد تقدم الكلام في ذلك في سورة النسا المسالة الثالثة فان قيل العمل الصالح
يدخل فيه التوبة والايمان فكان ذكرهما قبل ذكر العمل الصالح حشوا قلنا افردهما بالذكر لعلو شانهما ولما كان لا بد منهما
مع سائر الاعمال لاجرم ذكرهما عقيبهما العمل الصالح المسالة الرابعة اختلفوا في المراد بقوله يبدل الله سياتهم حسنات

على وجوه

على وجوه احدها قال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة ان التبديل انما يكون في الدنيا فيبدل الله قبايح اعمالهم
في الشرك بمحاسن الاعمال في الاسلام فيبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المؤمنين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا فكانه
تعالى يبشرهم بانه يوفقهم لهذه الاعمال الصالحة فيستوجبوا بها الثواب وثانيها قال الزجاج السيئة بعينها
لا تصير حسنة ولكن التاويل ان السيئة تمحى بالتوبة وتكتب الحسنة مع التوبة والكافر يحبط الله عمله و
يثبت عليه السيئات وثالثها قال قوم ان الله يمحو السيئة عن العبد ويثبت له بدلها الحسنة بحكم هذه الاية وهذا
قول سعيد بن المسيب ومكحول ويحتجون بما روى ابو هريرة عن النبي عليه السلام انه قال ليتمنين اقوام انهم اكثروا
من السيئات قيل من هم يا رسول الله قال الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات وعلى هذا القول التبديل في الاخرة
ورابعها قال القفال والقاضي انه تعالى يبدل العقاب بالثواب فذكرهما واراد ما يستحق بهما واذا حمل على ذلك
كانت الاضافة الى الله حقيقة لان الاثابة لا تكون الا من الله اما قوله ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا
ففيه سوالات السوال الاول ما فائدة هذا التكرير الجواب من وجوه الاول ان هذا ليس بتكرير لان الاول لما كان
في تلك الخصال بين تعالى ان جميع الذنوب بمنزلتها في صحة التوبة منه الثاني ان التوبة الاولى رجوع عن الشرك
والمعاصي والتوبة الثانية رجوع الى الله تعالى للجزا والمكافاة كقوله تعالى عليه توكلت واليه متاب
اي مرجعي السوال الثاني هل تكون التوبة الا الى الله فما فائدة قوله فانه يتوب الى الله متابا الجواب
من وجوه الاول ما تقدم من ان التوبة الاولى رجوع عن المعصية والثانية الرجوع الى حكم الله وثوابه
الثاني معناه ان من تاب الى الله فقد اتى بتوبة مرضية لله مكفرة للذنوب محصلة للثواب العظيم الثالث
قوله ومن تاب يرجع الى الماضي فانه سبحانه اخبر ان من فعل هذه التوبة في الماضي على سبيل ... من ...
بانه سيوفقه للتوبة في المستقبل وهذا من اعظم البشارات الصفة السابعة قوله تعالى
والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما المسالة الاولى الزور يحتمل اقامة الشهادة الباطلة ويحتمل المعنى انهم
لا يشهدون شهادة الزور فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويحتمل حضور مواضع الكذب كقوله تعالى فاعرض عنهم
حتى يخوضوا في حديث غيره ويحتمل حضور كل موضع يجري فيه ما لا ينبغي ويدخل فيه اعياد المشركين ومجامع الفساق
لان من خالط اهل الشر ونظر الى افعالهم وحضر مجامعهم فقد شاركهم في تلك المعصية لان الحضور والنظر دليل الرضى به
بل هو سبب لوجوده والزيادة فيه لان الذي حملهم على فعله استحسان النظارة ورغبتهم في النظر اليه وقال ابن عباس
المراد مجالس الزور التي يقولون فيها الزور على الله وعلى رسوله وقال محمد بن الحنفية الزور الغنا واعلم ان كل هذه الوجوه
محتملة ولكن استعماله في الكذب اكثر المسالة الثانية اللغو كل ما يجب ان يلغى ويترك ومنهم من فسر اللغو
بكل المعاصي ... وهو ضعيف لان المباحات لا تسمى لغوا وقوله اذا مروا باللغو اي باهل اللغو المسالة الثالثة
لا شبهة في ان قوله مروا كراما معناه انهم يكرمون انفسهم عن مثل حال اللغو واكرامهم لها انما يكون بالاعراض وبالانكار
وبترك المعاونة والمساعدة ويدخل فيه الشرك واللغو في القران وشتم الرسول والخوض فيما لا ينبغي واصل
الكلمة من قولهم ناقة كريمة اذا كانت تعرض عند الحلب تكرما كانها لا تبالي بما يحلب منها للغزارة فاستعير ذلك في الصفح
عن الذنب وقال الليث يقال تكرم فلان عما يشينه اذا تنزه واكرم نفسه عنها ويتطهر من الاذية
وقيل اذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وعن الحسن
لم تسفههم المعاصي وقيل اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى اعرضوا وقيل اذا ذكروا النكاح كنوا عنه
الصفة الثامنة قوله والذين اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا قال صاحب الكشاف ليس هذا بنفي
اكبوا عليها ليس بنفي للخرور انما هو اثبات له ونفي للصمم والعمى كما تقول لا يلقاني زيد مسلما هو نفي للسلام لا للقا والمعنى
انهم اذا ذكروا بها اكبوا عليها حرصا على استماعها واقبلوا على المذكر بها وهم في اكبابهم عليها سامعون باذان واعية
مبصرون بعيون راعية لا كالذين يذكرون بها فتراهم مكبين عليها مقبلين على من يذكر بها مظهرين الحرص الشديد على استماعها

وهم كالصم والعميان حيث لا يسمعونها ولا يبصرون ما فيها كالمنافقين الصفة التاسعة قوله والذين يقولون ربنا هب لنا
من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما فيه مسائل المسالة الاولى قرأ اهل الكوفة وذريتنا والباقون
بالالف والذريات يكون للجمع المسالة الثانية [illegible] انا المراد ولم يكونوا في ايمان لهم في الدنيا [illegible]
من اهل الجاهلية ذكر [illegible] اهلها انهم سالوا الازواج والذرية في الدنيا [illegible] كونهم في طاعة الله فاحبوا ان
يكونوا معهم في [illegible] بطاعة الله فتقر اعينهم في ان يجعلوا معهم في الجنة فيتكامل سرورهم في الدنيا [illegible]
وفي الاخرة عند حصول الثواب والثاني انهم سالوا ان يلحق الله ازواجهم وذرياتهم بهم في الجنة ليتم سرورهم المسالة
الثالثة ان قيل من في قوله من ازواجنا ما هي قلنا يحتمل ان تكون بيانية كانه قيل هب لنا قرة اعين ثم بينت القرة
وفسرت بقوله من ازواجنا [illegible] ويحتمل ان تكون ابتدائية على معنى هب لنا من جهتهم
ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح فان قيل لم قال قرة اعين فنكر وقلل قلنا اما التنكير فلاجل تنكير القرة لان
المضاف لا سبيل الى تنكيره الا بتنكير المضاف اليه كانه قال هب لنا منهم سرورا وفرحا واما التقليل فلان المراد
اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عين غيرهم قال تعالى وقليل من عبادي الشكور المسالة الرابعة قال الزجاج
اقر الله عينك اي صادف فؤادك ما يحبه وقال المفضل في قرة العين ثلاثة اقوال احدها برد دمعها وهي التي تكون
مع الضحك والسرور ودمع الحزن حار والثاني نومها لانه يكون مع ذهاب الحزن والوجع الثالث حصول
الرضى المسالة الخامسة واجعلنا للمتقين اماما [illegible] انهم سالوا الله ان يبلغهم في الطاعة المبلغ الذي يشار
اليهم ويقتدى بهم قال بعضهم في الاية ما يدل على ان الرياسة في الدين يجب ان يطلب ويرغب فيها وقال الخليل
واجعل لي لسان صدق في الاخرين وقيل نزلت هذه الايات في العشرة المبشرين بالجنة المسالة السادسة احتج
اصحابنا بهذه الاية على ان فعل العبد مخلوق لله قالوا لان الامامة في الدين لا تكون الا بالعلم والعمل ودل على ان العلم
والعمل انما يكون بجعل الله وخلقه قال القاضي المراد من السوال الالطاف التي اذا كثرت صاروا مختارين لهذه
الاشياء فيصيرون ائمة والجواب ان تلك الالطاف مفعولة لا محالة فيكون سوالها عبثا المسالة
السابعة [illegible] ولم يقل ائمة كما قال انا رسول رب العالمين ويجوز ان يكون المعنى اجعل
كل واحد منا اماما كما قال يخرجكم طفلا وقال الاخفش الامام جمع واحده آم كصائم وصيام وقال الفراء
وعندي ان الامام اذا ذهب به مذهب الاسم وحد كانه قيل اجعلنا حجة للمتقين ومثله البينة يقال
هم بينة [illegible] علم انه سبحانه وتعالى لما عدد صفات المتقين المخلصين بين بعد ذلك انواع احسانه
اليهم وهي مجموعة في [illegible] المنافع والتعظيم اما المنافع فهي قوله اولئك يجزون الغرفة
بما صبروا والمراد اولئك يجزون الغرفات والدليل عليه قوله وهم في الغرفات امنون وقال تعالى لهم غرف من
فوقها غرف والغرفة في اللغة العلية وكل بناء عال فهو غرفة والمراد به الدرجات العالية وقال المفسرون
الغرفة اسم الجنة فالمعنى يجزون الغرفة وهي جنات كثيرة وقال بعضهم اولئك يجزون في الغرفة
وقوله بما صبروا [illegible] سبحانه وتعالى [illegible]
[illegible] حصولها بالوعد لما صبروا [illegible] ذكر الصبر ولم يذكر المصبور
عنه ليعم كل نوع فيدخل فيه صبرهم على مشاق التفكر والاستدلال في معرفة الله وعلى مشاق الطاعات وعلى مشاق
ترك الشهوات وعلى مشاق اذى المشركين وعلى مشاق الجهاد والفقر ورياضة النفس [illegible]
المراد الصبر على الفقر خاصة [illegible]
واما التعظيم فهو قوله تعالى ويلقون فيها تحية وسلاما قرئ يلقون كقوله ولقاهم نضرة وسرورا
ويلقون كقوله يلقون اثاما والتحية الدعاء بالتعمير والسلام الدعاء بالسلامة فيرجع حاصل التحية الى كون نعيم الجنة
باقيا غير منقطع ويرجع السلام الى كون ذلك النعيم خالصا عن شوائب الضرر ثم هذه التحية والسلام يمكن ان يكون

من الله

من الله كقوله سلام قولا من رب رحيم ويمكن ان يكون من الملائكة كقوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب
سلام عليكم ويمكن ان يكون من بعضهم على بعض اما قوله تعالى خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما فالمراد انه
سبحانه لما [illegible] حسنها الدليل بقوله خالدين فيها ومن صفتها الخلوص الحسن
[illegible] حسنت مستقرا [illegible] وهذا في مقابلة قوله ساءت مستقرا ومقاما اما قوله ذلك
[illegible] انه سبحانه لما شرح صفات المتقين
[illegible] يقول [illegible] عن عبادتهم
وانه تعالى [illegible] ليشتغلوا بطاعتهم [illegible] الخليل [illegible]
كانه [illegible] وقال الزجاج
[illegible] ما يبالي بكم ربي المسالة
الثانية في ما قولان احدهما انها متضمنة لمعنى الاستفهام [illegible] وهي عبارة عن المصدر كانه قيل
واي عبء يعبأ بكم لولا دعاؤكم والثاني ان تكون نافية المسالة الثالثة ذكروا في قوله لولا دعاؤكم وجوها
احدها لولا دعاؤه اياكم الى الدين والطاعة والدعاء على هذا مصدر مضاف الى المفعول وثانيها ان الدعاء
مضاف الى الفاعل وعلى هذا التقدير وجوه احدها لولا دعاؤكم لولا ايمانكم وثانيها لولا عبادتكم وثالثها لولا دعاؤكم
اياه في الشدائد كقوله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله ورابعها لولا دعاؤكم بمعنى لولا شكركم له على احسانه
كقوله ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وخامسها ما خلقتكم ولي حاجة اليكم الا ان تسالوني فاعطيكم
وتستغفروني فاغفر لكم اما قوله فقد كذبتم فالمعنى اني اعلمتكم اني لا اعبأ بعبادي
الا لعبادتهم [illegible] حكمي فسوف يلزمكم اثر تكذيبكم وهو عقاب الاخرة ونظيره ان يقول
الملك لمن استعصى عليه ان من عادتي ان احسن الى من يطيعني فقد عصيت فسوف ترى ما
احل بك بسبب عصيانك فان قيل الى من يتوجه هذا الخطاب قلنا الى الناس على الاطلاق فمنهم عابدون
ومكذبون عاصون فخوطبوا بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب وقرئ فقد كذب الكافرون
فسوف يكون العذاب لزاما وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت والوجه ان يترك
اسم كان غير منطوق به بعدما علم انه مما توعد به لاجل الابهام وتناول ما لا يحيط به الوصف
[illegible] هذا العذاب في الاخرة وقيل كان يوم بدر وهو قول مجاهد والله اعلم

سورة الشعراء قوله سبحانه وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم تلك ايات الكتاب المبين لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ان نشأ ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم
لها خاضعين [illegible] الطاء اشارة الى طرب قلوب العارفين والسين سرور المحبين والميم مناجاة المريدين
المسالة الاولى قرأ قتادة باخع نفسك على الاضافة وقرئ فظلت اعناقهم لها خاضعة المسالة الثانية
البخع ان يبلغ بالذبح النخاع وهو الخيط الذي في فقار الظهر وذلك اقصى حد الذابح ولعل للاشفاق
المسالة الثالثة طسم تلك ايات الكتاب [illegible] معناه ايات هذه السورة تلك ايات الكتاب المبين [illegible]
في ذلك الكتاب ولا شبهة في ان المراد بالكتاب هو القرآن والمبين وان كان في الحقيقة هو المتكلم فقد يضاف
الى الكلام من حيث يتبين به عند النظر فيه فان قيل القوم لما كانوا كفارا فكيف تكون ايات القرآن
مبينة لهم ما يلزمهم وانما يتبين ذلك لمن [illegible] قلنا الفاظ القرآن من حيث تعذر عليهم ان يأتوا بمثله يمكن
ان يستدل به على [illegible] كما يستدل [illegible] العباد على مثله [illegible] على التوحيد من هذا الوجه
ودلالة النبوة من حيث الاعجاز ويعلم به [illegible] من عند الله [illegible] الاحكام اجمع واذا ثبت

[illegible]

من تمام قوله ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية [illegible]

[illegible] بعد حال [illegible] عليهم [illegible]

زجر وتوعد لان المراد اذا استمر على تقوه يلبس [illegible] الزجر شديد ولذلك [illegible]

زيدا [illegible] لقابه سنهددك وذلك اما عند نزول العذاب عليهم في الدنيا او في [illegible]

او في الآخرة وهو كقوله تعالى ولتعلمن نبأه بعد حين وتدحرج المعاد فيمن يخشى حاله [illegible]

على وجه التوعد انه تعالى بين انه مع انزاله التنزيل حالا بعد حال فقد اظهر ادلة تحدث حالا بعد حال [illegible]

الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم والزوج هو الصنف والكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد [illegible]

كريم اذا كان مرضيا في حسنه وجماله وكذا [illegible] كريم اذا كان مرضيا في [illegible] ومعانيه والنبات الكريم هو المرضي

[illegible] به من المنافع وفي وصف الزوج بالكريم [illegible] ان اصناف النبات على نوعين نافع وضار [illegible] سبحانه كثرة

ما انبت [illegible] وفائدته ولم يغفل عنها الغافلون اما قوله ان في ذلك لآية [illegible]

للمنن والمعنى ان في ذلك دلالة لمن يتفكر ويتدبر وما كان اكثرهم مؤمنين [illegible]

على كفرهم فاما قوله وان ربك لهو العزيز الرحيم فانما قدم ذكر العزيز على ذكر الرحيم لانه لو لم يقدمه لكان [illegible]

[illegible] اليه رحمهم لعجزه عن عقوبتهم فازال هذا الوهم بذكر العزيز وهو الغالب القاهر ومع ذلك فانه

رحيم بعباده فان الرحمة اذا كانت عن القدرة الكاملة كانت اعظم وقعا والمراد انه مع كفرهم وقدرته على

ان يعجل عقابهم لا يترك رحمتهم بما تقدم ذكره من خلق كل زوج كريم من النبات ثم من اعطاء الصحة والعقل

والهداية المسألة الثانية انه تعالى وصف الكفار بالاعراض اولا وبالتكذيب ثانيا وبالاستهزاء ثالثا

وهذه درجات من اخذ يترقى في الشقاوة فانه يعرض اولا ثم يصرح بالتكذيب ثانيا ثم يبلغ في التكذيب والانكار

الى حيث يستهزئ به المسألة الثالثة بان قيل ما معنى الجمع بين كم وكل ولو قيل كم انبتنا فيها من زوج

كريم قلنا قد دل كل على الاحاطة بازواج النبات على سبيل التفصيل وكم على ان هذا المحيط متكاثر مفرط

الكثرة فهذا معنى الجمع وبه نبه على كمال قدرته فان قلت فحين ذكر الازواج ودل عليها بكلمتي الكثرة والاحاطة [illegible]

كانت بحيث لا يحصيها الا عالم الغيب كيف قال ان في ذلك لآية وهلا قال آيات قلت فيه وجهان احدهما [illegible]

ذلك [illegible] الى مصدر انبتنا فكانه قال ان في ذلك الانبات لآية اي آية والثاني ان يراد ان في كل واحد من

[illegible] لآية المسألة الرابعة المعتزلة على خلق القرآن بقوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث فقالوا الذكر هو القرآن [illegible]

لفظه

124

لقوله تعالى وهذا ذكر مبارك [illegible] الآيات [illegible] محدث وهذا لا [illegible]

بقوله تعالى [illegible] محدث [illegible] فالقول بكونه مخلوقا لا محالة والجواب

[illegible] الحروف وليس في الآية دلالة على ذلك

[illegible] الظالمين قوم فرعون الا يتقون اعلم

[illegible] من الاصوات [illegible]

[illegible] سماع [illegible] لما

[illegible] المسموع [illegible]

[illegible] بذاته مشتركة

[illegible] اجسام

[illegible]

[illegible] امسا

[illegible] ووقع على وجه علم

[illegible] من قبل الله تعالى [illegible] ان الله تعالى يخاطبه [illegible]

[illegible] الرسالة التي هي ان ائت القوم الظالمين لانه في بدء البعثة [illegible] الى التوحيد ثم من بعد يأمره بالاحكام

[illegible] الله تعالى بذلك [illegible] انه سيظهر عليه المعجزات [illegible] ان ائت القوم

[illegible] الله تعالى سجل عليهم بالظلم وقد استحقوا هذا الاسم من وجهين ظلمهم انفسهم بكفرهم وظلمهم

لبني اسرائيل [illegible] قوله تعالى قوم فرعون فقد عطف قوم فرعون على القوم الظالمين عطف بيان كان القوم

الظالمين وقوم فرعون لفظان [illegible] على معنى واحد [illegible] الا يتقون [illegible] الا يتقون بكسر النون بمعنى الا يتقوني

[illegible] النون والياء للاكتفاء بالكسرة [illegible] الا يتقون كلام مستأنف اتبعه تعالى ارساله اليهم

للانذار والتسجيل عليهم بالظلم تعجيبا لموسى عليه السلام من حالهم في الظلم والعسف ومن امنهم العواقب وقلة خوفهم و

[illegible] الا يتقون حالا [illegible] الا يتقون على الخطاب [illegible] الالتفات اليهم [illegible] بالانكار والغضب

عليهم [illegible] من يشكو من ركب جنايته [illegible] الحاضر [illegible] في السكايه [illegible]

[illegible] واقبل على الجاني [illegible] ويعنفه ويقول له الا تتقي الله الا تستحي من الناس [illegible]

[illegible] الالتفات والخطاب مع موسى عليه السلام في وقت المناجاة والملتفت اليهم غائبون لا يشعرون

[illegible] ذلك في [illegible] الرسل اليهم [illegible] والقائه الى مسامعهم [illegible]

[illegible] على [illegible] وكم من آية [illegible] الكافرين [illegible]

[illegible] قوله تعالى قال رب اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري

ولا ينطلق لساني فارسل الى هارون ولهم علي ذنب فاخاف ان يقتلون [illegible] اعلم ان الله تعالى لما

امر موسى عليه السلام بالذهاب الى قوم فرعون طلب موسى عليه السلام ان يبعث معه هارون عليه السلام اليهم ثم ذكر

الاعذار الداعية له الى ذلك السؤال [illegible] هو [illegible] المصلحة المطلوبة من بعثة موسى و

[illegible] فرعون [illegible] والتكذيب سبب لضيق القلب وضيق القلب سبب لتعسر الكلام

[illegible] في لسانه حبسة لان عند ضيق القلب ينقبض الروح والحرارة الغريزية الى باطن القلب

[illegible] الى الداخل [illegible] الخارج [illegible] الحبسة في اللسان [illegible] التكذيب سبب لضيق

[illegible] الحبسة [illegible] بالتكذيب ثم [illegible] العلة [illegible]

[illegible] واما [illegible] وليس في هذا المعنى [illegible] رسالة لا [illegible]

[illegible] ان لهم علي ذنبا فاخاف ان [illegible] وحسنت [illegible] المقصود من البعثة واما [illegible]

يلبس كذلك ويحمل المقصود من النعمة المسلطة اليه قوله نعبد وسطلوا بالرفع لانهما معطوفان على خبرات
وبالنصب لعطفهما على صلة ان والمعنى اخاف ان يكذبون واخاف ان يضيق صدري ولا ينطلق لساني
والمرفوع الرفع يفيد ثلاث علل طلبه لهارون والنصب يفيد [illegible]
فان يلبس [illegible] التي المحدث الذي يستتبع يوجب ضيق القلب [illegible]
الزيادة ما كانت حاصلة والحاكي بكانت [illegible]
فليس في الظاهر ذكر من الذي يرسل [illegible] عليه السلم
سار باهله الى مصر والتقى بهارون [illegible] يطلق معه
الى فرعون لان المرسلة [illegible] المراد اليكم ارسل اليه
جبريل لان رسول الله تعالى الى الانبياء جبريل عليه السلام فلما كان متعينا لهذا الامر حذف ذكره
لكونه معلوما وايضا [illegible] الظاهر [illegible] اليه لما ذكر محول الكلام يدل على ان طلبه للمعونة فما ارسل
كما يقال اذا نابتك نائبة فارسل الى فلان [illegible] فيها وليس في الظاهر انه التمس كون هارون معه نبيا
معه لكن قوله فقولا انا رسول رب العالمين يدل عليه واما قوله ولهم على ذنب واراد بالذنب قتله
القبطي وقد ذكر الله تعالى هذه القصة مشروحة في سورة القصص واعلم انه ليس في التماس موسى عليه السلم
ان يضم اليه هارون ما يدل على انه استعفى من الذهاب الى فرعون بل مقصوده فيما سأل ان يقع ذلك الذهاب
على اقوى الوجوه في الوصول الى المراد واحتجوا بانه [illegible] انه ولو كان [illegible] عالم [illegible]
يؤدي الرسالة لانه انما امر بذلك بشرط التمكن وهذا قول الكعبي وغيره من البغداديين انهم يجوزون دخول
الشرط في تكليف الله العبد والذي ذهب اليه الاكثرون ان ذلك لا يجوز لانه تعالى اذا كان عالما بانه متمكن منه فالامر
به [illegible] واذا علم انه غير متمكن منه فانه لا يامر به واذا صح ذلك فالاقرب [illegible] انهم يعلمون
اذا حملهم الله تعالى الرسالة انه تعالى يمكنهم من ادائها وانهم سيبقون الى ذلك الوقت [illegible] لا يكون
اغراء الانبياء وان جاز ان يكون اغراء لغيرهم المسألة الثانية قال موسى عليه السلم ولهم على ذنب هل يدل على صدور
الذنب منه جوابه لا بل المراد لهم على ذنب في زعمهم

قوله تعالى

كلا فاذهبا باياتنا انا معكم مستمعون فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين ان ارسل معنا بني اسرائيل اعلم ان موسى
عليه السلم طلب امرين الاول ان يدفع عنه شرهم والثاني ان يرسل معه هارون فاجابه الله تعالى الى الاول
بقوله كلا ومعناه ارتدع يا موسى عما تظن واجابه الى الثاني بقوله فاذهبا اي اذهب انت والذي طلبته وهو هارون
فان قيل علام عطف قوله فاذهبا قلنا على الفعل الذي يدل عليه كلا كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن
فاذهب انت وهارون واما قوله معكم مستمعون فمن مجاز الكلام يريد انا لكما ولعدوكما كالناصر
الظهير لكما عليه اذا حضر واستمع ما يجري بينكما فاظهركما وغلبكما وكسر شوكته عنكما وانما جعلنا المستمع
[illegible] على الله تعالى [illegible] ذلك على الله تعالى واما قوله انا رسول رب العالمين ففيه سؤال وهو انه
هلا ثني الرسول كما ثني في قوله انا رسولا ربك جوابه من وجوه احدها ان الرسول اسم لماهيه من غير بيان
[illegible] لماهيه [illegible] والسؤال [illegible] يقول الاثنان هو الضحاك
ولا تقول كلا اثنان زيد الضحاك [illegible] زيد الضحاك اذا ثبت ان لفظ الرسول لا يثبت للماهيه
وثبت ان الماهيه محمولة على الواحد وعلى الاثنين ثبت صحة قوله انا رسول رب العالمين وثانيها ان الرسول
قد يكون بمعنى الرسالة قال لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول فيكون المعنى
انا ذوو رسالة رب العالمين وثالثها انهما لاتفاقهما على شريعة واحدة ولاتحادهما بسبب الاخوة كانا رسول
واحد ورابعها المراد كل واحد منا رسول وخامسها ما قاله بعضهم انه [illegible] لفظ التثنية لكونه

هو الرسول

هو الرسول خاصة وقوله انا كما في قوله تعالى انا انزلناه وهو ضعيف واما قوله ان ارسل معنا بني اسرائيل
فالمراد من هذا الارسال التخلية والاطلاق كقولك ارسل البازي يريد خلهم يذهبوا معنا قال الم نربك فينا
وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين اعلم ان في الكلام حذفا وهو
انهما اتياه وقالا ما امر الله به فعند ذلك قال فرعون ما قال يروى انهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن
لهما سنة حتى قال البواب ان ها هنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك
منه فاديا اليه الرسالة فعرف موسى [illegible] اما النوع الاول فقوله الم نربك
فينا وليدا والوليد للصبي لقرب عهده من الولادة ولبثت فينا من عمرك سنين وعن ابي عمرو من عمرك سنين قيل
لبث عندهم ثلاثين سنة وقيل وكز القبطي وهو ابن اثنتي عشرة سنة وفر منهم [illegible] والله اعلم بصحيح ذلك وعن الشعبي
فعلتك بالكسر وهي قتلة القبطي لانه قتله بالوكزة وهو ضرب من القتل واما الفعلة فكانها وكزة واحدة
عدد عليه نعمه من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال ووبخه على ما جرى على يده من قتل خبازه وعظم ذلك
بقوله وفعلت فعلتك التي فعلت واما قوله وانت من الكافرين ففيه وجوه احدها يجوز ان يكون حالا اي قتلته
وانت لذلك من الكافرين بنعمتي [illegible] وانت اذ ذاك من الساعة وقد افترى عليه او جهل امره لانه
كان يعايشهم بالتقية فان الكفر غير جائز على الانبياء قبل النبوة وثانيها وانت من الكافرين معناه وانت
ممن عادته كفران النعم ومن كانت هذه حاله لم يستبعد منه قتل خواص ولي نعمته وثالثها وانت من الكافرين
بفرعون والهيته او من الذين يكفرون في دينهم فقد كانت لهم آلهة يعبدونهم يشهد لذلك قوله ويذرك
والهتك

قوله تعالى

قال فعلتها اذا وانا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما
وجعلني من المرسلين وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل اعلم ان فرعون لما ذكر التربية وذكر القتل وقد
كانت نعمته له معلومة ظاهرة لا جرم ان موسى عليه السلم ما انكرها ولم يشتغل بالجواب عنها لانه تقرر في العقول
ان الرسول الى الغير اذا كان معه معجزة وحجة لم يتغير حاله بان يكون المرسل اليه انعم عليه او لم يفعل ذلك فصار
قول فرعون لما قاله غير موثر ومثل هذا الكلام الاعراض عنه اولى ولكن اجاب عن القتل بما لا شيء ابلغ
منه في الجواب وهو قوله فعلتها اذا وانا من الضالين والمراد بذلك الذاهبين عن معرفة ما يؤل اليه من القتل
لانه فعل الوكزة على وجه التاديب ومثل ذلك ربما حسن وان ادى الى القتل فبين له انه فعله على وجه لا يجوز
معه ان يؤاخذ به فيعد كافرا او كافرا للنعمة فاما قوله ففررت منكم لما خفتكم فالمراد اني فعلت ذلك الفعل
وانا ذاهب عن كونه مهلكا وكان مني في حكم السهو فلم استحق التخويف الذي يوجب الفرار ومع ذلك ففررت
منكم لما خفتكم عند قولكم ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فبين بذلك انه لا نعمة له عليه في باب الفعلة
بل بان يكون مسيئا فيه اقرب من حيث خوفه [illegible] الى الفرار ثم بين [illegible] فقال
[illegible] واحسن الله اليه بان وهب لي حكما وجعلني من المرسلين وللحكم وجوه احدها ان المراد بالحكم النبوة لان
المعطوف غير المعطوف عليه والنبوة مفهومة من قوله وجعلني من المرسلين فالمراد بالحكم العلم ويدخل في العلم العقل
والراي والعلم بالدين الذي هو التوحيد وهذا اقرب اذ لا يجوز ان يبعثه تعالى الا مع كماله في العقل والراي والعلم
بالتوحيد وثانيها [illegible] حكما كالتنصيص على ان ذلك الحكم من قبل الله تعالى [illegible] المراد منه الالطاف
وهو ضعيف جدا لان الالطاف معمولة في حق الكل [illegible] بالتخصيص [illegible]
قوله وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل [illegible] عبدت الرجل و
اعبدته اذا اتخذته عبدا فان قيل كيف يكون ذلك جوابا [illegible]
من وجوه احدها انه انما وقع في يده [illegible] تعبيد بني اسرائيل [illegible] عليه السلم بالكلية كنت
مستغنيا عن تربيتك [illegible] الانعام المتاخر [illegible]

معارضا بتلك النعم العظيم على اسلافنا واذا اعارضنا نا قتلنا وبالشنا ما قال الحسن انكار استعبادهم اولى هذا من اموالهم
بعضها النعم على فلا نعمة لك بالتربية وربانها المراد من قوله تلك نعمة تمنها علي الذين استعبدتهم فلا نعمة لك علي
لان التربية كانت من قبل امي ومن قومي ليس كما له الكمال فلتنني وهذا لا يبعد انها ما دخامها امر حسن عندي
ان تمن سوال عبيدك ذلك منه للموسى على الحبه في ان يلقيه وتعطيه فاحتاج اليه فلما علمت ان ذلك
[illegible] عمل الكافر لا يبطل نعمته ثم بعد البنوة لا يبطل نعمته ان تعوض عليه السلام انما ابطل ذلك بوجه اخر
على ما يتباد اختلف العلماء في ان الكافر هل له نعمة على المؤمن فقال بعضهم
فلما استحق الشكر بانعامه والشكر لا يقصد الا المنعم العظيم ثم لزم كونه مستحقا للاهانة والتعظيم معا واستحقاق
من العقوبتين على فعل الحرمة لبطل الشكر لكن دائما استحقاق الثواب والمدح الذي يستحقه يحمل الايمان والاعتماد
ولهذا على هذا القول ان الاحسان الى المسيء الماسه قال صاحب الكشاف انا حجوا العذر في ستكم وضيعتكم مع اهتداه
في تقيله عند تسليط الجنود والعول ما كان منه رحله ولكن منه ومن دابه الموم من بسالة بدليل ان لا
يا من لبث ما اتى ذلك اصبحت اللوم فمن ذلك وكذلك التعبيد نابت بلك الشاره الى ما ذا ان عبدت
امهتا اخوا عند كنت الى فعله شفقا فيه ابدي اما في الاسفه هاد محل ان عبدت الموه علت
بان لمكد نظيره قوله تعالى وحسبنا الله وذلك الواو ان ذا برهوها سطوع مصحيف والمعنى
بني اسرائيل المرقومة عقدا على قال الزجاج ويجوز ان يكون انت في موضع نصب المعنى انما صارت نعمة علي لان
عبدت بني اسرائيل لو لم يفعل ذلك لكفلني اهلي

قوله تعالى

قال فرعون وما رب العالمين
قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين قال لمن حوله الا تستمعون قال ربكم ورب ابائكم الاولين قال ان رسولكم
الذي ارسل اليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين
قال اولو جئتك بشيء مبين قال فات به ان كنت من الصادقين اعلم ان فرعون لما قال لموسى وما رب العالمين [illegible] دعاه
موسى الى طاعة الله رب العالمين [illegible] ذلك ما تعلم من قوله فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين فلا بد من ان
دخولهما عليه انما قالا ذلك فعند ذلك قال فرعون وما رب العالمين ثم ها هنا بحث وهو ان فرعون هل كان يعلم الرب ام لا
كان عارفا بالله ولكنه قال ما قال طلبا للملك والرياسة ويدل على ذلك قوله تعالى في كتابه ما يدل على انه كان
عارفا بالله وهو قوله قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وانا ذا في نفح الشام من [illegible]
فالمراد ان فرعون علم ذلك ويدل على انه كان عارفا بالله لكنه كان يتجاهل فيه فيما نظهر [illegible]
والغاية الصحيحة منع الناس من علمت لي بمعنى ان موسى هو الذي عرف ذلك فاما فلا لانه لم يكن عالما فيحتمل انه
تعالى بعثه الرسول اليه وان كان عاقلا فهو يعلم بالضرورة انه ما كان موجودا ثم صار حيا عاقلا فما هو كذلك
بالضرورة يعلم ان كل ما كان كذلك فلا بد له من مؤثر [illegible] متقاربه في تركيبه [illegible]
ومعقله الى من يوجد ويحتمل ان يقال انه كان على مذهب الدهرية من ان الافلاك واجبة الوجود في ذواتها
ومتحركه لذواتها وان حركاتها اسباب حصول الحوادث في هذا العالم او يقال انه كان من الفلاسفة القائلين
بالعلة الموجبة لا بالفاعل المختار ثم اعتقد انه نفسه اله لاهل اقليمه من حيث استعبدهم وملكهم امرهم ويحتمل
ان يقال انه كان على مذهب الحلولية القائلين بان ذات الله سبحانه يتدرع بجسد انسان معين حتى يكون الاله سبحانه
لذلك الجسد بمنزلة روح كل انسان الى جسده فبهذه التقديرات كان يسمي نفسه الاها البحث الثاني
فهو انه قال لموسى عليه السلام وما رب العالمين فهذا السوال بما طلب التعريف عن الشيء ما هو من نفس
الحقيقة او شيء من اجزائها او يا مر خارج عنها او ما يتركب من الداخل والخارج اما تعريفها بنفسها فمحال لان
المعرف معلوم قبل المعرف فلا معنى للاصالة لانه لا اذا كان المعرف مركبا وواجب الوجود يستحيل
ان يكون مركبا لان كل مركب فهو محتاج الى كل واحد من اجزائه فهو مفتقر الى غيره

الغرض وكل ما احتاج الى غيره فهو ممكن لذاته فكل مركب فهو ممكن فما ليس بممكن يستحيل ان يكون مركبا فواجب
الوجود ليس بمركب واذا لم يكن مركبا استحال تعريفه باجزائه ولما بطل هذان القسمان ثبت انه لا يمكن تعريف ماهيته
الا بلوازمه وآثاره ثم ان اللوازم قد يكون خفية وقد يكون جلية ولا يجوز تعريف الماهية باللوازم
الخفية بل لا بد من تعريفها باللوازم الجلية والظهر الاثار ان نسب الوجود هو هذا العالم المحسوس وهو السموات
والارض وما بينهما ومن هذه البيانات ثبت ان الجواب الصواب عن سوال فرعون فما رب العالمين ليس الا ما قال موسى عليه السلام وهو انه رب
السموات والارض وما بينهما فاما قوله ان كنتم موقنين فمعناه ان كنتم موقنين باستناد هذه المحسوسات الى
موجود واجب الوجود فاعرفوا انه لا يمكن تعريفه الا بما ذكرته لانكم لما سلمتم انتهاء هذه المحسوسات الى واجب لذاته
ثبت ان الواجب لذاته فرد مطلق وثبت ان الفرد المطلق لا يمكن تعريفه الا بآثاره وثبت ان تلك الآثار لا بد وان يكون
اظهر آثاره وابعدها عن الخفاء وما ذاك الا السموات والارض وما بينهما فان [illegible] وان كان
هو جواب عند ذلك السوال الا هذا الجواب ولما ذكر موسى عليه السلام هذا الجواب [illegible] لمن حوله
الا تستمعون وانما ذكر ذلك على سبيل التعجب من جواب موسى يعني انا اطلب منه الماهية وهو يجيبني بالفاعلية والمؤثرية وتمام الاشكال ان تعريف الماهية بلوازمها لا يفيد الوقوف على نفس تلك الماهية
وذلك لانا اذا قلنا في الشيء انه الذي يلزمه اللازم الفلاني فهذا المذكور اما ان يكون معرفا لمجرد كونه ملزوما
لذلك اللازم او لخصوصية تلك الماهية التي عرضت لها هذه الملزومية والاول محال لان كونه ملزوما
لذلك اللازم جعلناه كاشفا فلو كان المكشوف هو هذا القدر لزم كون الشيء معرفا لنفسه وهو محال و
الثاني محال لان العلم بانه امر ما يلزمه اللازم الفلاني لا يفيد العلم بخصوصية تلك الماهية الملزومة لان من الممتنع
في العقل اشتراك الماهيات المختلفة في لوازم متساوية وبتقدير ان التعريف بالوصف الخارجي لا يفيد الوقوف
على الحقيقة فلم يكن قوله رب السموات والارض وما بينهما جوابا عن قوله وما رب العالمين فاجاب موسى عليه السلام
بان قال ربكم ورب ابائكم الاولين وكانه عليه السلام عدل عن التعريف بخالقية السماء والارض الى التعريف بكونه
تعالى خالقا لنا ولابائنا وذلك لانه لا يمتنع ان يعتقد احد ان السموات والارض واجبة لذواتها فهي مستغنية عن الخالق والمؤثر ولا يمتنع ان يعتقد احد ان هذه الاجسام السماوية هي الالهة والمؤثرة فاما
ثم يعلموا ان الوجود وما كان كذلك استحال ان يكون واجبا لذاته وما لم يكن واجبا لذاته استحال وجوده الا
بمؤثر فكان التعريف بهذا الاثر اظهر فلهذا عدل موسى عليه السلام من الكلام الاول اليه فقال فرعون ان
رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون يعني المقصود من سوال ما هو طلب الماهية وخصوصية الحقيقة والتعريف
بهذه الآثار الخارجية لا يفيد البتة تلك الخصوصية فهذا الذي يدعي الرسالة مجنون لا يفهم السوال فضلا
عن ان يجيب عنه فقال موسى عليه السلام رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون فعدل الى طريق
ثالث اوضح من الثاني وذلك لانه اراد بالمشرق طلوع الشمس وظهور النهار واراد بالمغرب غروب الشمس
وزوال النهار والامر ظاهر في ان هذا التدبير المستمر على الوجه العجيب لا يتم الا بتدبير مدبر وهذا بعينه
طريقة ابراهيم عليه السلام مع نمروذ فانه استدل اولا بالاحياء والاماتة وهو الذي ذكره موسى عليه السلام ههنا
بقوله ربكم ورب ابائكم الاولين فاجابه نمروذ بقوله انا احيي واميت فقال ان الله ياتي بالشمس من المشرق
فات بها من المغرب فبهت الذي كفر وهو الذي ذكره موسى عليه السلام ههنا رب المشرق والمغرب واما
قوله ان كنتم تعقلون فكانه عليه السلام قال ان كنت من العقلاء عرفت انه لا جواب عن سوالك الا ما ذكرت
لانك طلبت مني تعريف حقيقته وقد بينت انه لا يمكن تعريف حقيقته بنفس حقيقته ولا باجزاء حقيقته
فلم يبق الا ان اعرف حقيقته بآثار حقيقته وانا قد عرفت حقيقته بآثار حقيقته فقد ثبت
ان كل من كان عاقلا يقطع بانه لا جواب عن هذا السوال الا ما ذكرته واعلم انا قد بينا في سورة الانعام
في تفسير قوله وهو القاهر فوق عباده ان حقيقة الاله سبحانه غير معلومة للبشر ولذا كان

كذلك استبعاد من موسى عليه السلام ان يذكر ما يعرف به تلك الحقيقة الا علم العلم بتلك الخصوصية لا يقدح في صحة الرسالة
فلا تحاصل كلام موسى عليه السلام ان الذي جاء برسالة رب العالمين يتوقف صحته على اثبات ان للعالم ربا [illegible] الذي هذا
وثبوت على العلم بخصوصية الرب تعالى وماهيته المعينة فكان موسى عليه السلام [illegible] على [illegible]
[illegible] وهو الرسالة وفرعون يطالبه ببيان الماهية وموسى كان يعرض عن سؤاله بانه لا سبيل الى ذلك السؤال
[illegible] الا [illegible] هذا المطلوب [illegible] هذا البحث ثم ان موسى عليه السلام [illegible] هذا الكلام
[illegible] فانه ما عجز عن الجواب
[illegible] موسى عليه السلام [illegible] ولو جئتك بشيء
[illegible] على انك [illegible] الله [illegible] الله تعالى [illegible]
[illegible] الله تعالى ليس بجسم لانه لو كان جسما [illegible]
[illegible] فرعون [illegible]
[illegible] موسى عليه السلام [illegible] ذكر الله وكذلك
[illegible] الكلام [illegible]
[illegible] ولو جئتك بشيء مبين [illegible]
[illegible]
[illegible] رب السموات
[illegible] السموات والارض
[illegible] المشرق والمغرب
[illegible]
[illegible] طلوع الشمس
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ولو جئتك بشيء مبين
قوله تعالى قال فأت به ان كنت من الصادقين فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين قال للملأ حوله ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون قالوا ارجه واخاه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم [illegible]
[illegible] ثعبانا [illegible]
[illegible] ثعبانا مبينا والمراد انه يبين للناظر انه ثعبان [illegible]
[illegible] الى فرعون [illegible]
[illegible] يا موسى [illegible]
فان قيل كيف قال ثعبان مبين [illegible] كانها جان والجان
[illegible] والثعبان [illegible] صارت ثعبانا و
شبهها بالجان [illegible] الشيطان لقوله تعالى والجان خلقناه
من مارج من نار [illegible] موسى عليه السلام

قال

الثاني بهذه الآية وقال فرعون هل عندها ما لشيء [illegible] ثم ادخلها جيبه ثم اخرجها فاذا هي بيضاء تغشى
الوادي من شدة بياضها من غير برص لها شعاع كشعاع الشمس فعند هذا اراد فرعون تعمية هذه الحجة على قومه
[illegible] امور ثلاثة احدها انه قال انه لساحر عليم وذلك لان الزمان كان زمان السحر وكان عنده كثرة منهم
ان [illegible] يصل الى هذا الحد [illegible] عليهم هذا القول وثانيها قوله يريد ان يخرجكم من ارضكم
بسحره وهذا [illegible] عنه لئلا يقبلوا قوله والمعنى يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره بالقاء [illegible] من
[illegible] ومفارقة الوطن اصعب الامور فنفرهم عنه بذلك وهذا نهاية ما يفعله
المبطل [illegible] قوله لهم فماذا تأمرون اي ما رايكم فيه وما الذي يجب [illegible]
ومنا [illegible] ومثل هذا الكلام يوجب جذب القلوب [illegible] هذه الكلمات اتفقوا على جواب
[illegible] قوله ارجه [illegible] ارجه بالهمزة [illegible] ارجأته و
ارجيته اذا اخرته والمعنى اخره ومناظرته [illegible] اجتماع السحرة وقيل احبسه وذلك يحتمل لانك اذا حبست الرجل
عن حاجته فقد اخرته [illegible] فرعون قتله [illegible] فقالوا لا تفعل [illegible]
الناس [illegible] شبهة ولكن ارجه واخاه الى ان تحشر السحرة [illegible] عليه
حاشرين يجمعون السحرة [illegible] قالوا انه لساحر
عليم [illegible] سحار عليم [illegible]
[illegible]
[illegible] النصب [illegible]
قوله تعالى فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وقيل للناس هل انتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين
فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين [illegible] اليوم
المعلوم يوم الزينة [illegible] الضحى [illegible] الوقت [illegible] موسى عليه السلام من يوم الزينة [illegible] موعدكم
يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى [illegible] من مكان [illegible]
[illegible] ان [illegible] السحرة [illegible] موسى عليه السلام [illegible]
[illegible] السحرة [illegible]
[illegible] موسى عليه السلام [illegible]
[illegible] موسى عليه السلام [illegible] هل انتم مجتمعون [illegible] الحضور
[illegible] لعلنا نتبع السحرة [illegible]
[illegible] ذلك [illegible] وانكم اذا لمن المقربين
[illegible] قوله تعالى قال لهم
موسى القوا ما انتم ملقون فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون فالقى موسى عصاه فاذا
هي تلقف ما يأفكون فالقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون اعلم
انه لما اجتمعوا كان لا بد من ان [illegible] موسى [illegible] فقدم [illegible] فقالوا
[illegible] واما ان نكون اول من القى [illegible] القوا
ما انتم ملقون [illegible] موسى عليه السلام [illegible] الحبال والعصي [illegible]
[illegible] موسى عليه السلام [illegible]
[illegible]
[illegible] ما انتم ملقون [illegible]

قادرين وثانيها انما تعتبر ذلك طولها الى كشف الشبهة صار حاصلا وثالثها ان هذا ليس بامر بل هو تزيد ان
ان يعلم ذلك انينا ... كقول الجاهل للبليد مبتدئ لا يطلق واصنعن ثم نزوق ان السهم ويقول له ارم فيكون
ذلك تنبيها على انهم ما دلوا الا بما صنعوا له وتقدموا على التصيم وهونهم على نفسه على رجاء ان يصير ذلك
التواضع سببا لقبول الحق ولقد حصل ببركة ذلك التواضع ذلك المطلوب وهذا تنبيه على ان اللايق بالمسلم في كل
الاحوال التواضع فان موسى عليه السلام لما لم يترك التواضع مع اولئك السحرة فبان يفعله الواحد منا اولى اما قوله
فالقوا حبالهم وعصيهم فروي عن ابن عباس انهم لما القوا حبالهم وعصيهم وبدا كان الحبال مطلية بالزيبق
والعصي مجوفة مملوة من الزيبق فلما حميت اشتدت حركتها فصارت كانها حيات تدب من كل جانب
من الارض فهاب موسى عليه السلام ولكن قيل له القي ما في يمينك فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ثم
فاذا هي تلقف كل ما رموه من حبالهم وعصيهم حتى اكلت الكل ثم اخذ موسى عصاه فاذا هي كما كانت
فلما رات السحرة ذلك قالت لفرعون كنا نسحر الناس فاذا غلبنا لم تبق الحبال والعصي وكذلك
ان غلبونا ولكن هذا حق فسجدوا وامنوا برب العالمين واعلم ان في الاية احتمالا فانهم من كثرة الحبال
والعصي منهم من توسط والله اعلم نحو ذلك والدليل التنزيل عليه انهم كثروا من جنس حتى صدروا من كل بلد
وكان امر يلقى عنده فرعون رقيبه في العظم بليغا بعد ان نجح عنه ما يمكن من جمع السحرة اما قوله فقالوا بعزة
فرعون انا لنحن الغالبون فالمراد انهم اظهروا ما هو كالعادة للمطيع على انهم يغلبون وكذلك ما اظهره كان امول
امر موسى عليه السلام اما قوله فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون فالمراد من ذلك ما يافكون
ما يقلبونه من وجهه وحقيقته بسحرهم وكيدهم ويخيلون في حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى او تمويها كان انقيا
افكا مبالغة اما قوله فالقي السحرة ساجدين فالمراد خروا سجدا لانهم كانوا في الطبقة العالية من علم السحر فلما
كانوا عالمين بمنتهى السحر فلما راوا ما شاهدوا خارجا عن حد السحر علموا انه ليس بسحر وما كان ذلك الا ببركة
تبحرهم في علم السحر انهم عند ذلك لم يتمالكوا ان رموا بانفسهم الى الارض ساجدين كانهم اخذوا فطرحوا
طرحا فان قيل فاعل الالقاء ما هو لو صرح به قلنا هو الله تعالى بما خلق في قلوبهم من الدواعي الجازمة الجالبة
عن المعارضات ولك ان لا تقدر فاعلا لان القوا بمعنى خروا وسقطوا اما قوله رب موسى وهرون فهو عطف بيان
لرب العالمين لان فرعون كان يدعي الربوبية فارادوا عزله ومعنى اضافته اليهما في ذلك المقام انه الذي دعا اليه موسى و
هرون عليهما السلام **قوله تعالى** قال امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون
لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا
ان كنا اول المؤمنين اعلم انهم لما امنوا باجمعهم لم يامن فرعون ان يقول قومه ان هولاء السحرة على كثرتهم
لم يومنوا الا عن معرفة بصحة امر موسى عليه السلام فيسلكون مثل طريقهم فلبس على القوم وبالغ في التنفير عن موسى عليه السلام
من وجوه احدها قوله امنتم له قبل ان اذن لكم وهذا فيه ايهام ان مسارعتكم الى الايمان به دالة على انكم
كنتم مايلين اليه وذلك يطرق التهمة اليهم فلعلهم قصروا في السحر حيلة له وثانيها قوله انه لكبيركم الذي علمكم
السحر وهذا تصريح بما رمز به اولا وعرضه منه انهم فعلوا ذلك عن مواطاة بينهم وبين موسى وقصروا في السحر
ليظهر امر موسى والا ففي قوة السحرة ان يفعلوا مثل ما فعل موسى وهذه شبهة قوية في تنفير من قبل يطرحه وثالثها
قوله فلسوف تعلمون وهو وعيد مطلق وتهديد شديد ثم بينه بقوله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم
اجمعين وهذا هو الوعيد المفصل وقطع اليد والرجل من خلاف هو قطع اليمنى والرجل اليسرى والصلب معلوم
وليس في الاية انه فعل ذلك وليس فيها انه لم يفعل ذلك ثم انهم اجابوا عن هذه الكلمات
من وجهين احدها قوله لا ضير انا الى ربنا منقلبون الضير والضر والضير واحد والمراد ان ذلك ان وقع لم يضره
انما عنوا بالاضافة الى ما عرفوه من دار الجزاء واعلم ان قوله الى ربنا منقلبون فيه نكتة شريفة وهي انهم

قد بلغوا في حب الله انهم ما آثروا شيئا سوى حب الوصول الى حضرته وانهم ما آمنوا رغبة في ثواب او رهبة من عقاب
وانما مقصودهم محض الوصول الى مرضاته والاستغراق في انوار معرفته وهذا اعلى درجات الصديقين الجواب
الثاني قولهم انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا انتقال منهم الى الكفر والسحر وغيرهما والطمع في هذا الموضع يحتمل اليقين
كقول ابراهيم والذي اطمع ويحتمل الظن لانه لا يعلم ما سيختاره من بعد اما قوله ان كنا اول المؤمنين اي من جماعة
الذين حضروا ذلك الموقف او لكونهم اول من امن من السحرة خاصة او من رعية فرعون او من اهل زمانهم وقرى ان كنا
بالكسر وهو من الشرط الذي يجيء به المدل بامره المتحقق لصحته المتيقن لجعله ... ان كنت عملت لك فوفني حقي **قوله**
تعالى واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي انكم متبعون فارسل فرعون في المدائن حاشرين ان هؤلاء لشرذمة
قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك واورثناها
بني اسرائيل فاتبعوهم مشرقين فلما تراءا الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين فاوحينا
اسير تقطع البحر وبعضها ... لما ظهر امر موسى عليه السلام بما شاهدوه من الاية امره الله تعالى بان يخرج ببني اسرائيل
لما كان في معلوم الله تعالى من تدبيره في موسى وتخليصهم من القوم وتمليكه بلاد القوم واموالهم ولم يامن بعد خروجه ان يلحقه
الطاهرين ان يتبع فرعون بني اسرائيل ما يؤدي الى الاستيصال فلذلك امره تعالى ان يسري ببني اسرائيل وهم الذين امنوا
وكانوا يعينهم موسى عليه السلام ... ثم نبه في الكلام حذفا وهو انه اسرى بهم كما امره الله تعالى ثم ان قوم موسى
قالوا لقوم فرعون ان لنا في هذه الليلة عيدا ثم استعاروا منهم حليهم وحللهم بهذا السبب ثم خرج بتلك الاموال في
الليل الى جانب البحر فلما سمع فرعون ذلك ارسل في المدائن حاشرين ثم انه قوى نفسه ونفس قومه بان وصف
قوم موسى بوصفين من اوصاف الذم ووصف قومه بصفة المدح اما وصفه قوم موسى عليه السلام بالذم فالصفة
الاولى قوله ان هؤلاء لشرذمة قليلون والشرذمة الطائفة القليلة ومنه قولهم ثوب شراذم للذي بلي
وتقطع قطعا ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا
واختار جمع السلامة الذي هو للقلة ويجوز ان يريد بالقلة الذلة لا قلة العدد والمعنى انهم لقلتهم لا يبالى بهم
ولا يتوقع غلبتهم ثم اختلف المفسرون في عدد تلك الشرذمة فقال ابن عباس كانوا ستمائة الف وسبعين الفا
وعشرين ... على الستين سوى الحشم وفرعون يقللهم لكثرة من معه وهذا الوصف يستعمل في الكثير
عند اضافته الى ما هو اكثر منه ويروى ان فرعون خرج على فرس ادهم حصان وفي عسكره على لون فرسه ثمانمائة الف
الصفة الثانية قوله وانهم لنا لغائظون يعني يفعلون افعالا تغيظنا وتضيق صدورنا واهلكوا في
تلك الافعال على وجوه احدها انه تقدم منهم الحلي وغيره وثانيها خروج بني اسرائيل عن عبودية ال فرعون
واستحلالهم اموالهم وثالثها مخالفتهم لهم في الدين وخروجهم عليهم اما وصفه قومه انهم لم يتخذوا فرعون
الها اما الذي ... وصف فرعون به قومه فهو قوله وانا لجميع حاذرون وفيه ثلاث قراءات حذرون
وحاذرون وحادرون بالدال غير المعجمة واعلم ان الصفة اذا كانت جارية على الفعل وهو اسم الفاعل واسم المفعول
كالضارب والمضروب افادت الحدوث واذا لم تكن كذلك وهي المشبهة افادت الثبوت فمن قرا حذرون بالمشبهة
ذهب الى انا قوم من عادتنا الحذر واستعمال الحزم ومن قرا حاذرون بالجارية ذهب الى معنى انا قوم ما عهدنا
ان نحذر الا عصرنا هذا واما من قرا حادرون بالدال غير المعجمة فكانه ذهب الى الحدر اي الا ان الحادر
هو السمين فاراد انا قوم اقويا اشدا واراد انا مدججون في السلاح والغرض من هذه المعاذير لئلا يتوهم اهل
المدائن انه منكسر من قوم موسى او خايف منهم اما قوله فاخرجناهم فالمراد انا خلقنا في قلوبهم داعية الخروج
فاستلزم مجموع الداعي والقدرة للفعل فكان الفعل مضافا الى الله تعالى لا محالة واما قوله من جنات وعيون وكنوز
فقال مجاهد سماها كنوزا لانهم لم ينفقوا منها في طاعة الله والمقام الكريم يريد المنازل الحسنة والمجالس
البهية والمعنى انا اخرجناهم من بساتينهم التي فيها عيون الماء وكنوز الذهب والفضة والمواضع التي كانوا يتنعمون

فيها نسلمها الى بني اسرائيل اما قوله كذلك فيحتمل النصب على اخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذي وصفنا والجر
على انه وصف لمقام اي مقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم والرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اي الامر كذلك اما قوله
فاتبعوهم اي فلحقوهم وقرئ فاتّبعوهم مشرقين داخلين في وقت الشروق من شرقت الشمس شروقا اذا طلعت اما قوله
فلما تراءى الجمعان اي تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه قال اصحاب موسى انا لمدركون اي لملحقون قالوا يا موسى اوذينا من قبل
ان تاتينا كانوا يذبحون ابناءنا ومن بعد ما جئتنا يدركوننا اليوم فيقتلوننا وقرئ
[illegible] وانا لمدّركون بتشديد الدال وكسر الراء من ادّرك الشيء اذا تتابع ففني ومنه قوله تعالى
بل ادّارك علمهم في الآخرة قال الحسن جهلوا علم الآخرة والمعنى انا لمتتابعون في الهلاك على ايديهم حتى
لا يبقى منا احد فعند ذلك قال موسى كلا وذلك كالمنع مما توهموه ثم قوى نفوسهم بامرين احدهما
ان معي ربي وهذا دلالة النصرة والتكفل بالمعونة والثاني قوله سيهدين والمراد طريق النجاة
والخلاص واذا دله على طريق نجاته واهلاك اعدائه فقد بلغ النهاية في النصرة **قوله تعالى**
فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وازلفنا ثم الآخرين وانجينا
موسى ومن معه اجمعين ثم اغرقنا الآخرين ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
اعلم انه تعالى لما حكى عن موسى قوله ان معي ربي سيهدين بين تعالى بعده كيف هداه ونجاه واهلك
اعداءه بذلك التدبير الجامع لنعم الدين والدنيا فقال فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق
ولا شك ان المراد فضرب فانفلق لانه كالمعلوم من الكلام اذ لا يجوز ان ينفلق من غير ضرب ومع ذلك فامره
بالضرب لانه كالعبث لانه تعالى جعله من معجزاته التي ظهرت بالعصا ولان انفلاقه بعد ضربه اعظم في النعمة
عليه وادل لقلوبهم ان ذلك انما حصل لمكان موسى عليه السلام واختلفوا في البحر فقيل عن ابن عباس ان موسى
عليه السلام لما انتهى الى البحر مع بني اسرائيل امرهم بخوض البحر فامتنعوا الا يوشع بن نون فانه ضرب
دابته وخاض في البحر حتى عبر ثم رجع اليهم فابوا ان يخوضوا فقال موسى للبحر انفرق لي فقال ما امرت بذلك
ولا عبر علي العصاة فقال موسى يا رب قد ابى البحر ان يتفرق فقيل له اضرب بعصاك البحر فضربه فانفرق
فكان كل فرق كالطود العظيم اي كالجبل العظيم وصار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط منهم طريق فقال
كل سبط قتل اصحابنا فعند ذلك دعا موسى عليه السلام ربه فجعلها مناظر كهيئة الطيقان حتى نظر بعضهم
الى بعض على ارض يابسة وعن عطاء بن السائب ان جبريل كان بين بني اسرائيل وبين آل فرعون
فكان يقول لبني اسرائيل ليلحق آخركم باولكم ويستقبل القبط فيقول رويدكم ليلحقكم آخركم وروي
ان موسى قال عند ذلك يا من كان قبل كل شيء والمكوّن لكل شيء والكائن بعد كل شيء اما قوله
فكان كل فرق كالطود العظيم فالفرق الجزء المتفرق منه وقرئ كل فلق والمعنى واحد والطود الجبل
المتطاول المرتفع في السماء وهو معجز من وجوه احدها ان تفرق ذلك الماء معجز وثانيها ان اجتماع
ذلك الماء فوق كل طرف منه حتى صار كالجبل من المعجزات ايضا لانه كان يمتنع في الماء الذي اريد
به التفرق ان يبدده الله تعالى حتى يصير كانه فني فلما جمعه على الطريقين صار مؤكدا لهذا
الاعجاز وثالثها ان ثبت في الخبر ان الله تعالى ارسل [illegible] من الرياح والظلمة
ما حيرتهم فاحتبسوا القدر الذي تكامل معه عبور بني اسرائيل فهو معجز ثالث ورابعها ان
جعل الله تعالى في تلك الجدران المائية كوى ينظر منها بعضهم الى بعض فهو معجز رابع وخامسها
ان ابقى الله تعالى تلك المسالك حتى قرب منها آل فرعون فطمعوا ان يتخلصوا من البحر كما تخلص موسى عليه
السلام فهو معجز خامس اما قوله وازلفنا ثم الآخرين ففيه بحثان البحث الاول قال ابن عباس وابن جريج
وقتادة والسدي ازلفنا اي قربنا ثم الى البحر الكافرين قوم فرعون ثم فيه ثلاثة اوجه احدها

قربناهم

قربناهم من بني اسرائيل وثانيها قربنا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لا ينجو منهم احد وثالثها قربناهم
الى البحر ومن الناس من قال وازلفنا اي حبسنا فرعون وقومه عند طلبهم موسى عليه السلم بان اظلمنا عليهم الدنيا
بسحابة وقفت عليهم فوقفوا حيارى وقرئ وازلقنا بالقاف اي ازللنا اقدامهم والمعنى اذهبنا عزهم ويحتمل
ان يجعل الله طريقهم في البحر على خلاف ما جعله لبني اسرائيل يبسا فيزلقهم فيه البحث الثاني انه تعالى
اضاف ذلك الازلاف الى نفسه مع ان اجتماعهم هنالك كفر وطلب موسى كفر اجاب الجبائي عنه من وجهين
الاول ان قوم فرعون تبعوا بني اسرائيل وبنو اسرائيل انما فعلوا ذلك بامره تعالى فلما كان مسيرهم بتدبيره
وهؤلاء تبعوا ذلك اضافه الى نفسه توسعا وهذا كما يتعب احدنا في طلب غلام له فيجوز ان يقال اتعبني
الغلام لما حصل ذلك عند فعله الثاني قيل ازلفناهم اي ازلفناهم الى الموت والاجل لانهم في ذلك الوقت
قربت آجالهم وانشد وكل يوم مضى او ليلة سلفت فيها النفوس الى الآجال تزدلف واجاب
الكعبي عنه من وجهين الاول انه تعالى لما حلم عنهم وترك البحر لهم يبسا وطمعوا في عبوره جاز
ان يضاف اليه كالرجل يسفه عليه صاحبه مرارا فيحلم عنه فاذا تمادى في غيه واساء تقدرته عليه قال له
انا احوجتك الى هذا وصيرتك بحلمي [illegible] الثاني يحتمل انه ازلفهم ليغرقهم
[illegible] والجواب [illegible] الذي فعله بنو اسرائيل هل له اثر في استجلاب داعية
قوم فرعون الى الذهاب خلفهم او ليس له اثر فيه فان كان الاول فقد حصل المقصود لان فعل الله
تعالى اثر في حصول الداعية المستلزمة لذلك الازدلاف وان لم يكن له اثر فيه البتة فقد زال التعلق
فوجب ان لا يحسن الاضافة وايضا اذا بعث احدنا في طلب غلام له فانما يحسن ان يقول اتعبني هذا الغلام
لما ان فعل ذلك الغلام صار كالمؤثر في حصول ذلك التعب لانه متى فعل ذلك الفعل فالظاهر انه يصير معلوما
للسيد ومتى علمه صار علمه داعيا له الى ذلك الطلب ومؤثرا فيه فصحت الاضافة وبالجملة فعندنا ان القادر
لا يمكنه الفعل الا للداعي فالداعي مؤثر في صيرورة القادر مؤثرا في ذلك الفعل فلا جرم حسنت الاضافة والجواب
عن الثاني وهو انه ازلفهم ليغرقهم فهو انه تعالى ما ازلفهم بل هم بانفسهم ازدلفوا ثم حصل الغرق بعده فكيف يجوز
اضافة هذا الازدلاف الى الله تعالى اما على قولنا فانه جائز لانه تعالى هو الذي خلق الداعية المستعقبة لذلك
الازدلاف والجواب عن الثالث ان قوله تعالى حلم عنهم حملهم على ذلك فنقول ذلك الحلم هل له اثر
في استجلاب هذه الداعية ام لا وباقي التقرير كما تقدم والجواب عن الرابع هو بعينه الجواب عن الثاني
اما قوله تعالى وانجينا موسى ومن معه اجمعين ثم اغرقنا الآخرين فالمعنى انه تعالى جعل البحر يبسا في حق موسى
وقومه حتى خرجوا منه واغرق فرعون وقومه لانه لما تكامل دخولهم البحر انطبق الماء عليهم فغرقوا
في ذلك الماء اما قوله ان في ذلك لآية فالمعنى ان الذي حدث في البحر آية عجيبة من الآيات العظام الدالة على
قدرته لان احدا من البشر لا يقدر عليه وعلى حكمته من حيث وقع ما كان مصلحة في الدين والدنيا وعلى صدق
موسى من حيث كان معجزة له وعلى اعتبار المعتبرين به ابدا فيصير تخويفا من الاقدام على مخالفة امر الله
وامر رسوله ويكون فيه اعتبار لمحمد عليه السلم فانه كان يغتم بتكذيب قومه وما كان اكثرهم مؤمنين وفي ذلك
تسلية له فقد كان يغتم بتكذيب قومه مع ظهور المعجزات عليه فنبهه تعالى بهذا الذكر على ان له اسوة بموسى
وغيره فان البساط الذي ظهر على موسى من هذه المعجزات العظام التي تبهر العقول لم يمنع من ان اكثرهم كذبوه
وكفروا به مع ما شاهدوه [illegible] فكذلك انت يا محمد لا تعجب من تكذيب اكثرهم
لك واصبر على ايذائهم فلعلهم ان يصلحوا ويكون في هذا الصبر تاكيد الحجة عليهم اما قوله وان ربك
لهو العزيز الرحيم فتعلقه بما قبله ان القوم مع مشاهدة الآيات الباهرة كفروا ثم انه تعالى كان عزيزا
قادرا على ان يهلكهم ثم انه تعالى ما اهلكهم بل افاض عليهم انواع رحمته فدل ذلك على كمال رحمته وسعة جوده وفضله

القصة الثانية قصة ابرهيم عليه السلم **قوله تعالى** واتل عليهم نبا ابرهيم اذ قال لابيه وقومه
ما تعبدون قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون
قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب
العالمين الذي خلقني اعلم ان الله تعالى ذكر في اول السورة شدة حزن محمد عليه السلم بسبب كفر قومه ثم انه
ذكر قصة موسى عليه السلم ليعرف محمد ان مثل تلك المحنة كانت حاصلة لموسى ثم ذكر عقيبها قصة ابرهيم عليه السلم
ليعرف محمد ان حزن ابرهيم عليه السلم بهذا السبب كان اشد من حزنه لان من عظم المحنة على ابرهيم عليه السلم
ان يرى اباه وقومه كانهم في النار وهو لا يتمكن من انقاذهم الا بقدر الدعا والتنبيه فقال لهم ما تعبدون
وكان ابرهيم عليه السلم يعلم انهم عبدة الاصنام ولكنه سالهم ليريهم ان ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة في شي كما
تقول للتاجر ما مالك وانت تعلم ان ماله الرقيق ثم تقول الرقيق جمال وليس بمال فاجابوا ابرهيم عليه السلم
بقولهم نعبد اصناما فنظل لها عاكفين والعكوف الاقامة على الشي وانما قالوا فنظل لانهم كانوا يعبدونها
بالنهار دون الليل واعلم انه كان يكفيهم في الجواب ان يقولوا نعبد اصناما ولكنهم ضموا اليه زيادة فقالوا
فنظل لها عاكفين وانما ذكروا هذه الزيادة اظهارا لما في نفوسهم من الابتهاج والافتخار
بعبادة الاصنام ثم قال ابرهيم عليه السلم منبها على فساد مذهبهم هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم
او يضرون قال صاحب الكشاف لا بد من تقدير حذف المضاف معناه هل يسمعون دعاءكم
وقرا قتادة هل يسمعونكم اي هل يسمعونكم الجواب عن دعائكم وهل يقدرون على ذلك وتقرير هذه الحجة
التي ذكرها ابرهيم عليه السلم ان الغالب من حال من يعبد غيره ان يلتجي اليه في المسالة ليعرف مراده او يسمع دعاه
ثم يستجيب له في بذل منفعة او دفع مضرة فقال لهم فاذا كان من تعبدونه لا يسمع دعاكم حتى يعرف
مقصودكم ولو عرف ذلك لما صح ان يبذل النفع او يدفع الضرر فكيف تستجيزون ان تعبدوا ما هذا
وصفه فعند هذه الحجة الباهرة لم يجد ابوه وقومه ما يدفعون به هذه الحجة فعدلوا الى ان قالوا وجدنا
اباءنا كذلك يفعلون وهذا من اقوى الدلائل على فساد التقليد ووجوب التمسك بالاستدلال اذ لو قلبنا الامر
فمدحنا التقليد وذممنا الاستدلال لكان ذلك مدحا لطريقة الكفار التي ذمها الله وذما لطريقة
ابرهيم التي مدحها الله فاجابهم ابرهيم عليه السلم بقوله افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون
اراد به ان الباطل لا يتغير بان يكون قديما او حديثا ولا بان يكون في فاعليه كثرة او قلة اسا له
فانهم عدو لي الا رب العالمين وفيه اسولة السوال الاول كيف يكون الصنم عدوا مع انه جماد جوابه
من وجوه احدها انه تعالى قال كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا فنقل في تفسير
ان الله يحيي ما عبدوه من الاصنام حتى يتبرءوا منهم والبراءة فهم بهذا الوجه اعداء وثانيها ان
ينفصل اعتقاد الكفار ... فاطلق ابرهيم عليه السلم لفظ العدو عليهم على هذا التاويل وثالثها ان
الكفار لما عبدوها وعظموها ورجوها في طلب المنافع ودفع المضار نزلت منزلة الاحيا العقلا
في اعتقاد الكفار ثم انها صارت سببا لانقطاع الانسان عن السعادة ووصوله الى الشقاوة فلما جرت
هذه الاصنام منزلة الاحيا وجرت مجرى الدافع للمنفعة والجالب للمضرة لا جرم جرت مجرى الاعدا لا جرم
اطلق ابرهيم عليه السلم عليها لفظ العدو ورابعها المراد من قوله فانهم عدو لي عداوة من يعبدها فان قيل
فلم لم يقل ان من يعبد الاصنام عدو لي ليكون الكلام حقيقة وصوابه لان الذي يعلم ذكره ما يعبده دون
العابدين السوال الثاني لم قال فانهم عدو لي ولم يقل فانها عدو لكم جوابه انه عليه السلم
صور المسالة في نفسه على معنى اني فكرت في امري فرايت عبادتي لها عبادة للعدو فاجتنبتها واراهم انها
نصيحة نصح بها نفسه فاذا تفكروا قالوا ما نصحنا ابرهيم الا بما نصح به نفسه فيكون ذلك ادعى الى القبول

السوال

130

السوال الثالث لم قال فانهم عدو لي ولم يقل اعداء جوابه العدو والصديق يجيئان في معنى الواحد والجماعة قال
وقوم علي ذوي ضغن ... اذ هم عدوا او كانوا اصدقائي ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو ويحتمل الاول ما تقدم
في قوله انا رسول رب العالمين السوال الرابع ما هذا الاستثنا جوابه انه استثنا منقطع كانه قال لكن رب
العالمين **قوله تعالى** الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو
يشفين والذي يميتني ثم يحيين والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين اعلم انه تعالى لما حكى عنه انه
استثنى رب العالمين حكى عنه ايضا ما وصفه به مما يستحق العبادة لاجله ثم حكى عنه ما ساله عنه اما الاوصاف
فاربعة اولها قوله الذي خلقني فهو يهدين واعلم انه سبحانه اثنى على نفسه بهذين الوصفين في قوله خلق فسوى و
الذي قدر فهدى اعلم ان الخلق والهداية بهما يحصل جميع المنافع لكل من يصح الانتفاع عليه فلنتكلم في الانسان فنقول
انه مخلوق من بدن هو من عالم الخلق والجسمانيات ومن نفس هو من عالم الامر والروحانيات وتركيب
البدن الذي هو من عالم الخلق مقدم على عطا القلب الذي هو من عالم الامر وعبر عنه سبحانه في قوله فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي فالتسوية اشارة الى تعديل المزاج والتركيب بحسب الامتزاج ونفخ الارواح اشارة
الى اللطيفة الربانية النورانية التي هي من عالم الامر وايضا قال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين
ثم جعلناه نطفة ... ثم قال ثم انشاناه خلقا اخر وذلك اشارة الى الروح الذي هو من عالم الملائكة
ولا شك ان الهداية انما تحصل من الروح فقد ظهر بهذه الايات ان الخلق مقدم على الهداية واما تحقيقه بحسب
المباحث الحقيقية فنقول بدن الانسان انما تولد عند امتزاج المني بدم الطمث وهما انما يتولدان من
الاغذية المتولدة من تركيب العناصر الاربع وهذا عليها ذو امتزاج المني بالدم فلا بد ان يكون ما فيهما من الحار
والبارد والرطب واليابس متساوية في كل واحد منهما من القوى كاسرا سورة كيفية الاخر حتى
يحصل من بينها كيفية متوسطة يستحق بالقياس الى البارد ان يكون حارا وبالقياس الى الحار ان يكون باردا وكذا القول
في الرطب واليابس وبحسب تلك الاستعدادات يستعد لقبول قوى مدبرة لذلك المركب بعضها قوى نباتية وهي التي تحدث
الغذا ثم تمسكها ثم تهضمها ثم تدفع الفضلة المؤذية ثم تلصق بالاعضا بدلا مما تحلل منها ثم تزيد في جواهر الاعضا
طولا وعرضا وعمقا على التناسب الطبيعي الى ان تتم النشو ثم تفصل عن تلك المواد فضلة يمكن ان تتولد منها مثل ذلك الشخص وبعضها قوى حيوانية بعضها مدركة
كالحواس الخمس والخيال والحفظ والذكر وبعضها فاعلة اما امرية كالشهوة والغضب واما مباشرة كالقوى
المركوزة في العضلات ومنها قوى انسانية وهي اما مدركة او عاملة والقوى المدركة هي القوة
على ادراك حقائق الاشيا الروحانية والجسمانية والعلوية والسفلية ثم الكمال في كل واحد
من مركبات هذا العالم الجسماني ومقولاتها وجدت لها اشيا يلائمها وتكمل حالها واشيا تنافرها وتفسد
حالها فلا بد من قوة جاذبة للملائم ودافعة للمنافي فقد ظهر ان صلاح الحال لا يتم الا بالخلق
والهداية اما الخلق فلكونه موصوفا بعدل كان معلوما واما الهداية فلتلك القوى الجاذبة للمنافع الدافعة
للمضار فثبت ان قوله فهو يهدين كلمة حاوية لجميع المنافع في الدين والدنيا ثم ها هنا دقيقة وهي انه قال
خلقني فذكره بلفظ الماضي وقال فهو يهدين فذكره بلفظ المستقبل والسبب في ذلك ان خلق الذات لا يتجدد
في الدنيا بل لما دخل في الوجود ... اما هدايته تعالى فهي مما يتكرر كل حين واوان سوا كان
ذلك هداية في منافع الدنيا وذلك بان يحكم الحواس بتمييز المنافع عن المضار او في المنافع الدينية
وذلك بان يحكم العقل بتمييز الحق عن الباطل والخير عن الشر فبين بذلك انه سبحانه هو الذي خلقني بسائر ما كمل
من خلقه في الماضي دفعة واحدة وانه يهديني الى مصالح الدين والدنيا بضروب الهدايات في كل لحظة ولمحة
وثانيها قوله والذي هو يطعمني ويسقين فدخل فيه كل ما يتعلق بمنافع الرزق وذلك انه سبحانه اذا خلق له الطعام
والشراب ولو لم يكن معه ما يمكن معه من اكله والانتفاع به نحو الشهوة والتمييز لم تكمل هذه النعم وذكر الطعام والشراب

ونبه بذلك على اعظم ... بالشفا قوله واذا مرضت فهو يشفين وفيه سوال وهو انه لم قال مرضت دون امرضني
وجوابه من وجوه الاول ان كثيرا من اسباب المرض يحدث بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه وغير
ذلك ومن ثم قالت الحكما لو قيل لاكثر الموتى ما سبب اجالكم لقالوا التخم الثاني ان المرض انما يحدث باستيلا
بعض الاخلاط على بعض وذلك الاستيلا انما يحصل بسبب ما بينها من التنافر الطبيعي اما الصحة فهي انما تحصل عند بقا
الاخلاط على اعتدالها وبقاوها على اعتدالها انما يكون بسبب قاهر يقهرها على الاجتماع وعودها الى الصحة انما يكون
ايضا بسبب قاهر يقهرها على العود الى الاجتماع والاعتدال بعد ان كانت بطباعها مشتاقة الى التفرق و
التنازع فلهذا السبب اضاف الشفا اليه سبحانه وتعالى وما اضاف اليه المرض الثالث ان الشفا محبوب وهو من اصول النعم
والمرض مكروه وليس من النعم وكان مقصود ابرهيم عليه السلم تعديد النعم ولما لم يكن المرض من النعم لا جرم لم يضفه اليه
تعالى فان نقضته بالاماتة فالجواب ان الموت ليس بضرر لان شرط كونه ضررا وقوع الاحساس به وحال
حصول الموت لا يحصل الاحساس به انما الضرر في مقدماته وذلك هو عين المرض وايضا فلان
الارواح اذا كملت في العلوم والاخلاق كان بقاؤها في هذه الاجساد عين الضرر وخلاصها عنها عين السعادة
بخلاف المرض ... والذي يميتني ثم يحيين والمراد منه الاماتة في الدنيا والتخلص من افاتها و
عقوباتها والمراد من الاحيا المجازاة وختامها قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين ...
الى هو مطلوب كل عاقل من التخلص من العذاب والفوز بالثواب واعلم ان ابرهيم عليه السلم جمع في هذه
الالفاظ جميع نعم الله تعالى من اول الخلق الى اخر الابد في الدنيا والاخرة ثم ههنا اسولة السوال الاول
لم قال والذي اطمع والطمع عبارة عن الظن والرجا وانه عليه السلم كان قاطعا بذلك جوابه ان هذا الكلام
يستقيم على مذهبنا حيث قلنا انه لا يجب على الله لاحد شي وانه يحسن منه كل شي ولا اعتراض لاحد عليه
في فعله واجاب الجبائي عنه من وجهين الاول ان قوله والذي اطمع ان يغفر لي اراد به سائر المومنين لانهم الذين
يطمعون ولا يقطعون به الثاني المراد من الطمع اليقين وهو مروي عن الحسن واجاب صاحب الكشاف بانه انما
ذكره على هذا الوجه تعليما لامته كيفية الدعا واعلم ان هذه الوجوه ضعيفة اما الاول فلان الله تعالى حكى عنه
الثنا اولا والدعا ثانيا ومن اول المدح الى اخر الدعا كلام ابرهيم عليه السلم فجعل الشي الواحد وهو قوله والذي اطمع ان
يغفر لي خطيئتي يوم الدين كلام غيره مما يبطل نظم الكلام ويفسده واما الثاني فهو ان الطمع هو الترجي وهذا
على خلاف اللغة واما الثالث فهو ان الغرض منه تعليم الامة فباطل ايضا لان حاصله يرجع الى انه كذب على نفسه
لغرض تعليم الامة وهو باطل قطعا السوال الثاني لم اسند الى نفسه الخطيئة مع ان الانبيا منزهون عن الخطايا
وفي جوابه وجوه ثلاثة احدها انه محمول على كذب ابرهيم في قوله فعله كبيرهم واني سقيم وقوله
ان سارة اختي وهو ضعيف لان نسبة الكذب اليه غير جائز وثانيها انه ذكره على سبيل التواضع وهضم النفس
وهذا ضعيف لانه ان كان صادقا في هذا التواضع فقد لزم الاشكال وان كان كاذبا فيه فحينئذ يرجع حاصل
الجواب الى الحاق المعصية به لاجل تنزيهه عن المعصية وثالثها وهو الجواب الصحيح ان يحمل ذلك على ترك
الاولى وقد يسمى ذلك خطا فان من ملك جوهرة وامكنه ان يبيعها بالف الف دينار فباعها بدينار قيل انه اخطا
وترك الاولى على الانبيا جائز السوال الثالث لم علق مغفرة الخطيئة بيوم الدين وانما يغفر في
الدنيا جوابه لان اثرها يظهر يوم الدين وهو الان خفي لا يعلم السوال الرابع ما فائدة لي في قوله
يغفر لي خطيئتي جوابه من وجوه احدها ان الاب اذا عفا عن ولده والسيد عن عبده والزوج عن
زوجته فذلك انما يكون طلبا للثواب وهربا من العقاب او طلبا لحسن الثنا والمحمدة او دفعا للالم
الحاصل من الرقة الجنسية واذا كان كذلك لم يكن المقصود من ذلك العفو رعاية جانب المعفو عنه بل
رعاية جانب نفسه اما لتحصيل ما ينبغي او لدفع ما لا ينبغي اما الاله سبحانه فانه كامل لذاته يستحيل ان يحدث

له

له صفات كمال لم تكن او يزول عنه صفات كمال واذا كان كذلك لم يكن عفوه الا رعاية لجانب المعفو عنه
فقوله والذي اطمع ان يغفر لي معناه هو الذي اذا غفر كان غفرانه لي ولاجلي لا لاجل امر عائد اليه البتة
وثانيها كانه قال خلقتني لي فانك حين خلقتني ما كنت موجودا ولا كان لي موجودا استحق بسببه شي
لاجله فهو معنا فانت خلقتني لاجلي لا لاجلك لو عفوت كان ذلك العفو لاجلي فلما خلقتني لا لامر اني ما كنت
محتاجا الى ذلك الخلق فلان تغفر لي وتعفو عني حال ما اكون في اشد الحاجة الى العفو والمغفرة كان اولى
وثالثها ان ابرهيم عليه السلم كان شديد الاستغراق في بحر المعرفة شديد النفور عن الالتفات الى الوسايط ولذلك
لما قال له جبريل الك حاجة قال اما اليك فلا فههنا قال والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي اي لمجرد عبوديتي لك
واحتياجي اليك تغفر لي خطيئتي لا ان تغفرها لي بواسطة شفاعة شافع

قوله تعالى

رب هب لي حكما والحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الاخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم انه كان
من الضالين ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم اعلم ان الله تعالى
لما حكى عن ابرهيم عليه السلم ثناه على الله تعالى ذكر بعد ذلك دعاه ومسالته وذلك تنبيه على ان تقديم الثنا
على الدعا من المهمات وتحقيق الكلام فيه ان هذه الارواح البشرية من جنس الملائكة فكلما كان اشتغالها بمعرفة الله
ومحبته والانجذاب الى عالم الروحانيات اشد كانت مشاكلتها للملائكة اتم فكانت اقوى على التصرف في اجسام
هذا العالم وكلما كان اشتغالها بلذات هذا العالم واستغراقها في ظلمات هذه الجسمانيات اشد كانت مشاكلتها
للبهائم اشد فكانت اكثر عجزا وضعفا واقل تاثيرا في هذا العالم فمن اراد ان يشتغل بالدعا يجب ان يقدم
عليه ثنا الله وذكر عظمته وكبريائه حتى انه بسبب ذلك الذكر يصير مستغرقا في معرفة الله ومحبته ويصير
بسبب ذلك كالمتصل بالملائكة فيحصل له بسبب تلك المشاكلة قوة الهية سماوية فيصير مستعدا لحدوث ذلك الشي المطلوب
بالدعا فهذا هو الكشف عن حقيقة الدعا وظهر ان تقديم الثنا على الدعا من الواجبات وظهر به حقيقة قوله
عليه السلم حكاية عن الله تعالى من شغله ذكري عن مسالتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين فان قيل
فلم لم يقتصر ابرهيم عليه السلم على الثنا لا سيما وقد روي عنه انه قال حسبي من سوالي علمه بحالي فالجواب
انه عليه السلم انما ذكر ذلك حين كان مشتغلا بدعوة الخلق الى الحق الا ترى انه قال فانهم عدو لي الا رب العالمين
ثم ذكر الثنا ثم ذكر الدعا لما ان الشارع لا بد له من تعليم الشرع فاما حين خلا بنفسه ولم يكن غرضه تعليم الشرع
كان يقتصر على قوله حسبي من سوالي علمه بحالي المسالة الثانية في الامور التي طلبها في الدعا وهي المطلوب
الاول قوله رب هب لي حكما والحقني بالصالحين ولفظ الحكم ... وانه في الاخرة لمن الصالحين وفيه
مطالب منها انه لا يجوز تفسير الحكم بالنبوة لان النبوة كانت حاصلة فلو طلب النبوة لكانت النبوة المطلوبة
اما عين النبوة الحاصلة او غيرها والاول محال لان تحصيل الحاصل محال والثاني محال لانه يمتنع ان يكون
الشخص الواحد نبيا مرتين بل المراد من الحكم ما هو كمال القوة النظرية وذلك بادراك الحق ومن قوله والحقني
بالصالحين كمال القوة العملية وذلك بان يكون عاملا بالخير فان كمال الانسان ان يعرف الحق لذاته والخير
لاجل العمل به واعلم انه قدم قوله هب لي حكما على قوله والحقني بالصالحين لان القوة النظرية مقدمة على القوة العملية
بالشرف وبالذات ايضا فانه يمكنه ان يعلم الحق وان لم يعمل بالخير وذلك لان الانسان لا يعرف حقائق الاشيا الا اذا
استحضر في ذهنه صور الماهيات ثم نسب بعضها الى بعض بالنفي او بالاثبات وهذه النسبة هي الحكم
ثم لما كانت النسبة الذهنية مطابقة للنسبة الخارجية كانت النسبة الذهنية ممتنعة التغير فكانت مستحكمة
القوة لمثل هذا الادراك فسمي حكمة وحكما وهو المراد من قوله عليه السلم ارنا الاشيا كما هي واما الصلاح فهو
كون القوى العاملة متوسطة بين رذيلتي الافراط والتفريط وذلك لان الافراط والتفريط في احد الجانبين يفرط في الجانب
الاخر وبالعكس والصلاح لا يحصل الا بالاعتدال ولما كان الاعتدال الحقيقي شيئا واحدا لا يقبل القسمة البتة

والافكار البشرية في هذا العالم قاصرة عن ادراك امثال هذه الاشياء لاجرم لا ينفك البشر عن الخروج عن ذلك
الحد ولو قليلا الا ان خروج المتوسطين عنه يكسبهم الغفلة حتى الحسن به وخروج العصاة عنه يكسبهم فيما حسنا
حتى نستطرد من هذا تحقيق ما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين وظهر احتياج ابرهيم عليه السلام
الى سؤال الحكم والالحاق بالصالحين المطلوب الثاني لما ثبت ان المراد من الحكم العلم ثبت انه عليه السلام طلب
من الله ان يعطيه العلم بالله وبصفاته وهذا يدل على ان معرفة الله تعالى لا تحصل للعبد الا بخلق
الله تعالى وتسليطه والحق بالصالحين على كمال العبد الى الشرايح بخلق الله تعالى وجميل هذه الاشياء على الطالب
بتحصيل هذا الحكم كلما في يد الله تعالى من الطاعة فبعد فعله تكون صورة الدعا الله كان طلبا لتحصيل الحاصل
وهو باطل المطلوب الثالث ان الحكم المطلوب في الدعا اما ان يكون هو العلم بالله تعالى او غيره والثاني
باطل لان الانسان حال كونه مستحضرا للعلم بالشي لا يمكنه ان يكون مستحضرا للعلم بشي اخر فلو كان المطلوب
بهذا الدعا هو العلم بغير الله والعلم بغير الله تعالى شاغل عن الاستغراق في العلم بالله تعالى كان هذا السوال طلبا
لما يشغل عن الاستغراق في العلم بالله وذلك غير جائز لانه طلب لما يمنع من ذلك الاستغراق فاذا المطلوب بهذا
الدعا هو العلم بالله ثم ذلك العلم اما ان يكون هو العلم بالله الذي هو شرط صحة الايمان او غيره والاول باطل
لانه لما وجب ان يكون حاصلا لكل المؤمنين فكيف يكون حاصلا عند ابرهيم واذا كان حاصلا عنده امتنع
تحصيله فثبت ان المطلوب بهذا الدعا درجات في معرفة الله تعالى ازيد من العلم بوجوده وبانه ليس
بمتحيز ولا حال في المتحيز وبانه عالم قادر حي وما ذاك الا الوقوف على صفات الجلال او الوقوف
على صفة الذات فانه يظهر في تلك المعرفة ثم الطلب ثم هناك احوال لا يعتريها التناهي ولا يرجى الحاصل منها الا
ان يحصل الخلاص منها فلكن من الواصلين الى العين دون السامعين للاثر المطلوب الرابع قوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين
وفيه لطيفة وهي انه عليه السلام انما طلب ما هو الكمال الذاتي للانسان في الدنيا والعقبى وهو
طلب الحكم الذي هو العلم ثم طلب بعده كمالات الدنيا وبعد ذلك طلب كمالات الآخرة فاما كمالات الدنيا فبعضها
داخلية وبعضها خارجية اما الداخلية فهي الخلق الظاهر والخلق الباطن والخلق الظاهر جسمانية
والخلق الباطن روحانية فترك ابرهيم عليه السلام الامر الجسماني من الخلق الظاهر وطلب الامر الروحاني
من الخلق الباطن وهو المراد بقوله والحقني بالصالحين واما الخارجية فهي المال والجاه والمال
امر جسماني والجاه امر روحاني فترك ابرهيم الامر الجسماني وهو المال وطلب الامر الروحاني وهو الجاه
والذكر الجميل الباقي على وجه الدهر وهو المراد بقوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين قال ابن عباس اعطاه
الله ذلك لقوله وتركنا عليه في الآخرين فان كل امة يتولونه ويثنون عليه وقيل جوابه من جهة
ان الله يجوز للانسان الحكمة ان الارواح البشرية متشابهة انها مؤثرة في الجملة الا ان بعضها قد يكون ضعيفا فاذا
اجتمع منها الكثير فان اجتمعت طائفة قوية فيتاثر مجموعها على ما عجزت الاحاد عنه وهذا المعنى شاهد
في المؤثرات الجسمانية اذا ثبت هذا فالانسان الواحد اذا كان بحيث يثني عليه الجم الغفير ويحبونه
ويعظمونه فربما انصرف هممهم عند اجتماع الهمم سببا لحصول زيادة كمال له الثاني دعا على لسان الكلام
ان من صار ممدوحا فيما بين الناس بسبب ما عنده من الفضايل فانه يصير ذلك المدح داعيا لغيره الى الاقتداء
الى اكتساب مثل تلك الفضايل الثالث الدليل الثالث انه سال ربه ان يجعل من ذريته في اخر الزمان من يكون
داعيا الى الله تعالى وذلك هو محمد عليه السلام فالمراد بقوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين بعث محمد عليه السلام
السادس الدليل الثالث ان بعضهم المراد اتفاق اهل الاديان على محبته ثم ان الله اعطاه ذلك لانك لا ترى اهل
دين الا وهم يتولون ابرهيم عليه السلام وقد جعل بعضهم ذلك اني لا اقول الرغبة في مدح الكافر وجوابه ان
ليس المقصود مدح الكافر من حيث هو كافر بل المقصود ان يكون ممدوحا عند كل انسان ومحبوبا في كل قلب

المطلوب

132

المطلوب الثالث قوله واجعلني من ورثة جنة النعيم واعلم انه لما طلب سعادة الدنيا طلب بعدها
سعادة الآخرة وهي جنة النعيم وشبهها بما يورث لانه الذي يغتنم في الدنيا فشبه غنيمة الآخرة بغنيمة الدنيا
المطلوب الرابع قوله واغفر لابي انه كان من الضالين واعلم انه لما فرغ من طلب السعادات الدنيوية
والاخروية لنفسها طلبها لاشد الناس التصاقا به وهو ابوه فقال واغفر لابي ثم انه وقع ان الدعا ان المغفرة
شرطها الاسلام وطلب المشروط متضمن لطلب الشرط فقوله واغفر لابي يرجع حاصله الى انه دعا له
بالاسلام الثاني انه وعده بالاسلام كما قال وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه
فدعا له بهذا الشرط وهو يشبه الدعا للكافر على هذا الشرط فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه وقد علم
ضعف ان الدعا بهذا الشرط جائز للكافر فلو كان دعا وشرطا لما منعه الله عنه الثالث
ان اباه وعد له انه على دينه باطنا وعلى دين نمرود ظاهرا تقية وخوفا فدعا له لاعتقاد ان الامر
كذلك فلما تبين له خلاف ذلك تبرأ منه ولذلك قال في دعائه انه كان من الضالين فلولا اعتقاده فيه
انه في الحال ليس بضال لما قال ذلك المطلوب الخامس ولا تخزني يوم يبعثون

قال في الكشاف الخزي من الخزي وهو الهوان او من الخزاية وهي الحياء وههنا بحاث احدها ان ابراهيم
لما حكم بان الله تعالى لا يخزي النبي على ما قاله في قوله والذين امنوا معه لم يعمل بهذا الا
ان يبدو له ان الله لا يخزيه ... واجعلني من ورثة جنة النعيم ومتى حصلت الجنة امتنع حصول الخزي فكيف قال
بعده ولا تخزني يوم يبعثون وانما قيد بقوله تعالى ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين فما كان نصيب الكفار
فكيف يخاف منه المعصوم جوابه كما ان حسنات الابرار سيئات المقربين فكذا درجات الابرار دركات المقربين
وخزي كل احد بما يليق به والثاني قال صاحب الكشاف في يبعثون ضمير العباد لانه معلوم او ضمير الضالين
الثالث قوله الا من اتى الله بقلب سليم اعلم ان الله تعالى اكرمه بهذا الوصف حيث قال وان من شيعته
لابرهيم اذ جاء ربه بقلب سليم ثم في هذا الاستثناء وجوه احدها انه اذا قيل لك هل لزيد مال وبنون فتقول
ماله وبنوه سلامة قلبه تريد نفي المال والبنين عنه واثبات سلامة القلب له بدلا عن ذلك فكذا
في هذه الاية وثانيها ان نحمل الكلام على المعنى ونجعل المال والبنين في معنى الغنى كانه قيل يوم لا ينفع
غنى الا غنى من اتى الله بقلب سليم لان غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كما ان غناه في دنياه بماله وبنيه
وثالثها ان نجعل من مفعولا لينفع اي لا ينفع مال ولا بنون الا رجلا سلم قلبه مع ماله حيث انفقه
في طاعة الله ومع بنيه حيث ارشدهم الى الدين ويجوز على هذا الا من اتى الله بقلب سليم من فتنة المال
والبنين اما السليم ففيه وجوه احدها وهو الاصح ان المراد منه سلامة القلب من الجهل والاخلاق
الرذيلة وذلك لانه كما ان صحة البدن وسلامته عبارة عن حصول ما ينبغي من المزاج والتركيب والاتصال
ومرضه عبارة عن زوال احد تلك الامور فكذلك سلامة القلب عبارة عن حصول ما ينبغي له وهو العلم والخلق الفاضل
ومرضه عبارة عن زوال احدهما وثانيها ان المراد من القلب السليم ان يكون خاليا عن العقائد الفاسدة والميل الى
شهوات الدنيا ولذاتها فان قيل فظاهر هذه الاية يقتضي ان من سلم قلبه كان ناجيا وانه لا حاجة فيه الى سلامة اللسان
واليد جوابه ان القلب مؤثر واللسان والجوارح تبع فلو كان القلب سليما لكانا سليمين لا محالة
وسلامة القلب الثالث لما جعل الله السلامة هو الذي سلم وسلم
سلم واستسلم وسالم واستسلم

قوله تعالى

وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم اين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم او ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاوون
وجنود ابليس اجمعون قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وما اضلنا الا
المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو ان لنا كرة فنكون من المؤمنين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين

اعلم ان ابرهيم عليه السلم ذكر في وصف هذا اليوم امورا احدها قوله وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم
للغاوين والمعنى ان الجنة تكون قريبة من موقف السعدا ينظرون اليها ويفرحون بانهم المحشورون اليها والنار
تكون بارزة مكشوفة للاشقيا بمرأى منهم يتحسرون على انهم المسوقون اليها قال الله تعالى في صفة اهل الثواب
وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد وقال في صفة اهل العقاب فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وانما
يفعل الله تعالى ذلك ليكون سرورا معجلا للمومنين وغما عظيما للكافرين وثانيها قوله وقيل لهم اين ما كنتم
تعبدون من دون الله هل ينصرونكم او ينتصرون والمعنى اين الهتكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم او هل ينفعون انفسهم
بانتصارهم لانهم واياكم وقود النار وهو قوله فكبكبوا فيها هم اي الالهة والغاوون وعبدتهم الذين برزت لهم الجحيم
والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى كانه اذا القي في جهنم ينكب مرة بعد مرة
حتى يستقر في قعرها وجنود ابليس شياطينه من عصاة الانس والجن وثالثها قوله قالوا وهم فيها يختصمون تالله
ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين واعلم ان الظاهر من ذلك ان من عبد غير الله هو المعبود وحاصل هذا الكلام
الضر ... الاصنام من ... لانه لن يخلقها الله تعالى في العرض حال ما يعذب بها اهل النار بحسب ما ... ايضا
ان يخاطب ويجب حمل قولهم اذ نسويكم على انه ليس بخطاب لهم او يقال انه تعالى يحييها في النار وذلك
ايضا غير جايز لانه اذ لا ذنب لها بان عبدها غيرها فالاقرب انهم ذكروا ذلك لما راوا صورها على وجه الاعتراف
بالخطا العظيم وعلى وجه الندامة لا على سبيل المخاطبة والذي يحمل على انه خطاب في الحقيقة قولهم وما اضلنا الا المجرمون
واراد بذلك من دعاهم الى عبادة الاصنام من الجن والانس وهو كقوله ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا
السبيلا فما لنا من شافعين كما نرى المومنين لهم شفعا من الملائكة والنبيين ولا صديق حميم كما نرى لهم اصدقا لانه
لا يتصادق في الاخرة الا المومنون واما اهل النار فبينهم التعادي والتباغض قال تعالى الاخلا يومئذ بعضهم لبعض
عدو الا المتقين او فما لنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعا واصدقا لانهم كانوا يعتقدون
في اصنامهم انهم شفعاوهم عند الله وكان لهم الاصدقا من شياطين الانس وارادوا انهم وقعوا في مهلكة علموا ان الشفعا
والاصدقا لا ينفعونهم ولا يدفعون عنهم فقصدوا بنفيهم نفي ما يتعلق بهم من النفع لان ما لا ينفع حكمه حكم
المعدوم والحميم من الاحتمام وهو الاهتمام وهو الذي يهمه ما يهمك او من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق
الخاص وانما جمع شفعا ووحد الصديق لكثرة الشفعا في العادة وقلة الصديق فان الرجل الممتحن بارهاق
الظالم ينهض جماعة وافرة من اهل بلده لشفاعته رحمة له واما الصديق فهو الصادق في وداده فاعز
من بيض الانوق ويجوز ان يريد بالصديق الجمع وخامسها قوله تعالى عنهم فلو ان لنا كرة فنكون من المومنين
والكرة الرجعة الى الدنيا ولو في مثل هذا الموضع في معنى التمني كانه قيل فليت لنا كرة وذلك لما بين معنى
لو وليت من التلاقي في التقدير ويجوز ان يكون على اصلها ويحذف الجواب وهو لفعلنا كيت وكيت واعلم انه تعالى لما علم
يكون من المحضرين ليس خبرهم عنا بانهم لا يكذبون عنهم لانه لو كان خبرا عنا بانهم لو ... لكان صدقا لا الكذب
ان يكون من اهل الكرة وقد اخبر الله تعالى عن ذلك في قوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقد تعلق في سورة
الم نعلم من بيان ... هذا الكلام ثم بين سبحانه ان فيما ذكر من قصة ابرهيم عليه السلم لاية لمن يريد ان يستدل بذلك
ثم قال وما كان اكثرهم مومنين ... من ... مع ما يعرف من قوم ابرهيم ثم بين تعالى ان مع هذه الدلايل فاكثرهم
فقومه لم يومنوا به فيكون هذا تسلية للرسول فيما يلقاه من التكذيب ثم قال وان ربك لهو العزيز الرحيم
اي انه قادر على تعجيل الانتقام لكنه رحيم بالامهال لكي يومنوا القصة الثالثة قصة نوح عليه السلم

قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم اخوهم نوح الا تتقون اني لكم رسول امين
فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون قالوا انومن لك
واتبعك الارذلون قال وما علمي بما كانوا يعملون ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون وما انا بطارد المومنين ان انا

الا

الا نذير مبين قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين قال رب ان قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا
ونجني ومن معي من المومنين فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون ثم اغرقنا بعد الباقين ان في ذلك لاية وما كان
اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم اعلم انه تعالى لما قص على محمد عليه السلم خبر موسى وابرهيم تسلية له فيما يلقاه من قومه
قص عليه ايضا نبا نوح فقد كان نباه اعظم من نبا غيره لانه كان يدعوهم الف سنة الا خمسين عاما ومع ذلك
كذب به قومه فقال كذبت قوم نوح وانما قال كذبت لان القوم مونثة وتصغيرها قويمة وانما حكى عنهم انهم
كذبوا المرسلين لوجهين احدهما انهم وان كذبوا نوحا لكن تكذيبه في المعنى يتضمن تكذيب غيره لان طريقة
معرفة الرسل لا يختلف من حيث المعجز فلذلك حكى عنهم انهم كذبوا المرسلين وثانيها ان قوم نوح كذبوا بجميع رسل
الله اما لانهم كانوا من الزنادقة او من البراهمة واما قوله اخوهم فلانه كان منهم من قول العرب يا اخا بني تميم
يريدون يا واحدا منهم ثم انه سبحانه حكى عن نوح عليه السلم اولا انه خوفهم وثانيا انه وصف نفسه اما التخويف
فهو قوله الا تتقون واعلم ان القوم انما قبلوا تلك الاديان للتقليد والمقلد اذا خوف خاف وما لم يحصل
الخوف في قلبه لا يشتغل بالاستدلال فلهذا السبب قدم على الكل قوله الا تتقون واما وصفه نفسه فذلك من
وجهين احدهما قوله اني لكم رسول امين وذلك لانه كان فيهم مشهورا بالامانة كمحمد عليه السلم في قريش فكانه قال كنت امينا
من قبل فكيف تتهموني اليوم وثانيهما قوله وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين وانما نبه من ادعى الرسالة
لئلا يتهم بانه دعاهم لغرضه فان قيل ولماذا كرر الامر بالتقوى جوابه لانه في الاول اراد الا تتقون
مخالفتي وانا رسول الله وفي الثاني الا تتقون مخالفتي ولست اخذ منكم اجرا فهو في المعنى مختلف ولا
تكرار فيه وقد يقول الرجل لغيره الا تتقي الله في عقوقي وقد ربيتك صغيرا الا تتقي الله في عقوقي وقد علمتك
كبيرا وانما قدم الامر بتقوى الله على الامر بطاعته لان تقوى الله علة لطاعته فقدم العلة على المعلول ثم ان
نوحا عليه السلم لما قال ذلك لهم اجابوه بقولهم انومن لك واتبعك الارذلون فالحاصل انهم طعنوا على
الارذلين حتى تابعوك ... واتبعك وقد
جمع الارذل على الصحة وعلى التكسير في قوله الذين هم اراذلنا والرذالة والنذالة الخسة والدناءة وانما استرذلوهم لاتضاع
نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من اهل الصناعات الخسيسة كالحياكة والحجامة واعلم ان هذه الشبهة
في نهاية الركاكة لان نوحا عليه السلم بعث الى الخلق كافة فلا يختلف الحال بسبب الفقر والغنى وشرف المكاسب
ودناتها فاجابهم نوح عليه السلم بالجواب الحق وهو قوله وما علمي بما كانوا يعملون وتقرير هذا الكلام انهم كانوا
يسوونهم مع ذلك لانهم لم يومنوا عن نظر وبصيرة وانما امنوا بالهوى والطمع كما حكى الله عنهم في قوله تعالى
عنهم في قوله الذين هم اراذلنا بادي الراي ثم قال ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون ومعناه لا نعتبر الا الظاهر
منهم دون ما يخفى ... ان حسابهم الا على ربي ... لو تشعرون
ثم قال وما انا بطارد المومنين وذلك كالدلالة على ان القوم سالوه ابعادهم لكي يتبعوه ... ولكي يكونوا اقرب
الى ... ان الذي ... عن طردهم ... ثم ... ان ... الرسالة ... من ذلك بقوله
ان انا الا نذير مبين والمراد اني اخوف من كذبني ولم يقبل مني فمن قبل فهو القريب ومن رد فهو البعيد
ثم ان نوحا عليه السلم لما تمم هذا الجواب لم يكن منهم الا التهديد فقالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين
والمعنى انهم خوفوه بان يقتل بالحجارة فعند ذلك حصل عند اليأس من فلاحهم فقال رب ان قومي كذبون
فافتح بيني وبينهم فتحا وليس الغرض منه اخبار الله تعالى بالتكذيب لعلمه ان عالم الغيب والشهادة اعلم
ولكنه اراد ادعو عليهم لما اوذي وانما ادعو ... لا ... وانهم كذبوني ... رسالتك فافتح
بيني وبينهم فتحا اي فاحكم بيني وبينهم والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لانه يفتح المستغلق والمراد
منه انزال العقوبة عليهم لانه قال عقيبه ونجني ولولا ان المراد انزال العقوبة لما كان لذكر النجاة

بمعنى وقد تقدم القول في قصته مقررا في سورة الاعراف وسورة هود ثم قال تعالى فانجيناه ومن معه
في الفلك المشحون قال صاحب الكشاف الفلك السفينة وجمعه فلك قال الله تعالى وترى الفلك فيه مواخر
فالواحد بوزن قفل والجمع بوزن اسد والمشحون المملوء يقال شحنها عليهم خيلا ورجلا ثم قال بعد ذلك
الذين تخلفوا منه كانوا كثرة وان الملك ... ثم بين تعالى انه ثم اغرق
الباقين وان اغراقهم لم يكن كالمانع عن ... القصة الرابعة قصة هود عليه السلم **قوله**
تعالى كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون
وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتبنون بكل ريع اية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون
واذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله واطيعون واتقوا الذي امدكم بما تعلمون امدكم بانعام وبنين و
جنات وعيون اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين ان هذا الا خلق الاولين
وما نحن بمعذبين فكذبوه فاهلكناهم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
اعلم انه تعالى جعل هذه القصة قريبة من قصة نوح عليه السلم ولعله لذلك قال في اعادة التفسير ثم انه تعالى
ذكر الامور التي تكلم فيها هود عليه السلم مع قومه فاولها اتبنون بكل ريع اية تعبثون قرئ بكل ريع بالكسر والفتح
وهو المكان المرتفع ومنه قولهم كم ريع ارضك وهو ارتفاعها ثم تكلموا فيه والاية العلم وفيه وجوه احدها عن ابن عباس
انهم كانوا يبنون بكل ريع علما يعبثون فيه بمن يمر بالطريق الى هود عليه السلم والثاني انهم كانوا يبنون
في الاماكن المرتفعة ليعرف بذلك غناهم تفاخرا فنهوا عنه ونسبوا الى العبث والثالث كانوا ممن يهتدون
بالنجوم في اسفارهم فاتخذوا في طرقهم اعلاما طوالا فكان ذلك عبثا لانهم كانوا مستغنين عنها بالنجوم و
الرابع بنوا بكل ريع بروج الحمام واما قوله وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون فالمصانع ماخذ الماء وقيل القصور
المشيدة والحصون لعلكم تخلدون اي ترجون الخلود في الدنيا او تشبه حالكم حال من يخلد وفي حرف ابي كانكم
وقرئ تخلدون بضم التاء مخففا ومشددا واعلم ان الاول انما صار مذموما لدلالته اما على السرف او على
الخيلاء والثاني انما صار مذموما لدلالته على الامل الطويل والغفلة عن ان الدنيا دار ممر لا دار مقر واما
قوله واذا بطشتم بطشتم جبارين اي انهم مع ذلك السرف والحرص فان معاملتهم مع غيرهم معاملة الجبارين وقد ثبت
في علم الاصول ان هذا الوصف في العباد ذم وان كان في صفة الله تعالى مدحا فكل من تقدم على الغير لا على طريق
الحق ولكن على طريق الاستعلاء ... بطشه بطش جبار وحاصل الامر في هذه الامور الثلثة ان اتخاذ الابنية
العالية يدل على حب العلو واتخاذ المصانع يدل على حب البقاء والجبارية تدل على حب التفرد بالعلو فيرجع
الحاصل الى انهم احبوا العلو وبقاء العلو والتفرد بالعلو وهذه صفات الالهية وهي ممتنعة الحصول للعبد
فدل ذلك على ان حب الدنيا قد استولى عليهم بحيث استغرقوا فيه وخرجوا عن حد العبودية وحاموا حول
ادعاء الربوبية وكل ذلك تنبيه على ان حب الدنيا راس كل خطيئة وعنوان كل كفر ومعصية ثم
لما ذكر هود عليه السلم هذه الاشياء قال فاتقوا الله واطيعون ثم دعاهم الى التقوى وزجرهم عن حب الدنيا والاشتغال
بالسرف والحرص والتجبر ثم وصل بهذا الوعظ ما يكون داعيا الى القبول من التنبيه على نعم الله عليهم بالاجمال اولا ثم التفصيل
ثانيا فايقظهم عن سنة غفلتهم بها ... فقال واتقوا الذي امدكم بما تعلمون ثم فصلها من بعد بقوله امدكم بانعام وبنين و
جنات وعيون اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم فبالغ في دعائهم بالوعظ والترغيب والتخويف والبيان النهاية
فكان جوابهم سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين اظهروا قلة اكتراثهم بكلامه واستخفافهم بما اورده
فان قيل لو قال اوعظت ام لم تعظ كان اخصر والمعنى واحد جوابه ليس المعنى واحدا لان المراد سواء
علينا افعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ ام لم تكن اصلا من اهله ومباشرته فهو ابلغ في قلة اعتدادهم بوعظه
من قولك ام لم تعظ اما قوله ان هذا الا خلق الاولين فمن قرا خلق الاولين

بالفتح

بالفتح فمعناه ان ما جئت به اختلاق الاولين وتخرصهم كما قالوا اساطير الاولين او ما خلقنا هذا الا
خلق القرون الخالية نحيا كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب ومن قرا خلق بضمتين
وبواحدة فمعناه ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم كانوا يدينونه ونحن بهم
مقتدون او ما هذا الذي نحن عليه من الحيوة والموت الا عادة لم يزل عليها الناس في قديم الدهر او ما هذا
الذي جئت به من الكذب الا عادة الاولين كانوا يلفقون مثله ويسطرونه ثم قالوا وما نحن بمعذبين
اظهروا بذلك تقوية نفوسهم فيما تمسكوا به من انكار المعاد وعند هذا بين الله تعالى انه اهلكهم
وقد سبق شرح كيفية الهلاك في ساير السور القصة الخامسة قصة صالح عليه السلم **قوله**
تعالى كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون
وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتتركون فيما ههنا امنين في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها
هضيم وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين الذين يفسدون
في الارض ولا يصلحون قالوا انما انت من المسحرين ما انت الا بشر مثلنا فات باية ان كنت من الصادقين قال هذه
ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فاصبحوا نادمين
فاخذهم العذاب ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم اعلم ان صالحا
عليه السلم خاطب قومه بامور احدها قوله اتتركون فيما ههنا امنين اي اتظنون انكم تتركون
في دياركم امنين وتطمعون في ذلك وان لا دار للمجازاة وقوله فيما ههنا اي في الذي استقر في هذا
المكان من النعيم ثم فسره بقوله في جنات وعيون وهذا ايضا اجمال ثم تفصيل فان قيل لم قال ونخل بعد
قوله في جنات والجنة تتناول النخل جوابه من وجهين الاول انه خص النخل بافراده بعد دخوله في جملة ساير
الشجر تنبيها على انفراده عن ساير الاشجار والثاني ان يريد بالجنات غيرها من الشجر لان اللفظ يصلح لذلك
ثم يعطف عليها النخل والطلع هو الذي يطلع من النخلة كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو والهضيم اللطيف الضامر
من قولهم كشح هضيم وقيل الهضيم اللين النضيج كانه قال ونخل قد ارطب ثمره وثانيها قوله وتنحتون من
الجبال بيوتا فارهين قرا الحسن وتنحتون بفتح الحاء وقرئ فرهين وفارهين والفراهة الكيس و
النشاط وقوله فارهين حال من الناحتين واعلم ان ظاهر الايات يدل على ان الغالب على
قوم هود اللذات الخيالية وهي طلب الاستعلاء والبقاء والتفرد والتجبر والغالب على قوم صالح هو اللذات
الحسية وهي طلب الماكول والمشروب والمساكن الطيبة الحصينة وثالثها قوله ولا تطيعوا امر المسرفين
وههنا اشارة الى انه يجب الاكتفاء من الدنيا بقدر الكفاف ولا يجوز التوسع في طلبها والانهماك في
لذاتها وشهواتها فان قيل فما فائدة قوله ولا يصلحون جوابه فائدته ان فسادهم فساد خالص ليس
معه شيء من الصلاح كما يكون حال بعض المفسدين مخلوطا ببعض الصلاح ثم ان القوم اجابوه من وجهين
احدهما قوله انما انت من المسحرين وفيه وجوه احدها المسحر هو الذي سحر كثيرا حتى غلب على عقله وثانيها
من المسحرين اي ممن له سحر وكل دابة تاكل فهي ذات سحر والسحر اعلى البطن وعن الفراء المسحر
من له جوف فاراد انك تاكل الطعام والشراب وثالثها من التسحير المخلوق بلغة بجيلة وثانيها
قولهم ما انت الا بشر مثلنا فات باية ان كنت من الصادقين وهذا يحتمل ان يريدوا انك بشر مثلنا فكيف
تكون نبيا وهذا ... [illegible] ... انهم لو كانوا صادقين لكانوا من جنس الملائكة
الثاني ان يكون المراد انك بشر مثلنا فلا بد لنا في اثبات نبوتك من الدليل فقال صالح عليه السلم
هذه ناقة لها شرب ومعنى ... انهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا
فقعد صالح يتفكر فقال جبريل عليه السلم صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وبركت

بين أيديهم وحصل لها سقب مثلها في العظم ثم وعدهم صالح عليه السلام بالأمرين الأول قوله لها شرب ولكم شرب
يوم معلوم فلما دنا دنة إذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله وشربهم في اليوم الذي لا تشرب فيه
والثاني قوله ولا تمسوها بسوء أي بضرب أو عقر أو غيره فيأخذكم عذاب يوم عظيم عظم اليوم لحلول
العذاب فيه ووصف اليوم به أبلغ من وصف العذاب كأن الوقت إذا عظم بسببه كان موقعه من العظم أشد
ثم إن الله سبحانه حكى عنهم أنهم عقروها وكان فاعل العقر الجاهل إلى بعضهم فيما نعاهم فعقرت ثم ضربها
قدار فإن قيل لم أخذهم العذاب وقد ندموا جوابه من وجهين الأول أنه لم يكن ندمهم ندم التائبين
لكن ندم الخائفين من العذاب العاجل الثاني أن الندم ندم التائبين ولكن كان ذلك في غير وقت التوبة
بل عند معاينة العذاب وقال تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى ... في العذاب إشارة إلى
عذاب يوم عظيم القصة السادسة قصة لوط عليه السلام

قوله تعالى

كذبت قوم لوط المرسلين إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه
من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم
عادون قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين قال إني لعملكم من القالين رب نجني وأهلي مما يعملون فنجيناه وأهله
أجمعين إلا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين إن في ذلك لآية
وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم أما قوله من العالمين فيحتمل عوده إلى الآتي أي أنتم
من جملة العالمين صرتم مخصوصين بهذه الصفة وهي إتيان الذكران ويحتمل عوده إلى المأتي أي أنتم
اخترتم الذكران من العالمين لا الإناث منهم وأما قوله من أزواجكم فيصلح أن يكون تبيينا وأن يكون للتبعيض
ويراد بما خلق العضو المباح منهن وكأنهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم والعادون المتعدون في الظلم
ومعناه أترتكبون هذه المعصية على عظمها بل أنتم قوم عادون من جميع المعاصي فهذا من جملة ذلك
أو بل أنتم قوم أحقاء بأن توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه الفاحشة فقالوا له عليه السلام
لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين أي لتكونن من جملة من أخرجناه من بلدنا ولعلهم كانوا
يخرجون من أخرجوه على أسوأ الأحوال فقال لوط عليه السلام إني لعملكم من القالين القلى البغض الشديد
كأنه بغض يقلي الفؤاد والكبد وقوله من القالين أبلغ من أن يقول إني لعملكم قال كما تقول فلان
من العلماء أبلغ من قولك فلان عالم ويجوز أن يريد من الكاملين في قلاكم ثم قال الله تعالى فنجيناه
وأهله والمراد نجيناه وأهله من عقوبة عملهم إلا عجوزا في الغابرين فإن قيل في الغابرين
صفة لها كأنه قيل إلا عجوزا غابرة ولم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم جوابه معناه إلا
عجوزا مقدرا غبورها قيل إنها هلكت مع من خرج من القرية بما أمطر عليهم من الحجارة وقال العاصي
عنها الحجارة ثم بغير قوله تعالى ويذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم ودلالة على بطلان الجبر من جهات
أحدها أنه تعالى لا يذمهم إلا مع القدرة على خلافه ولذلك لا يقال للزمن لم لم تبذل الصعود إلى السماء
كما يقال لم لم تدخل الدار والخروج وثانيها أنه قال ما خلق لكم ولو كان الفعل لله تعالى لكان ذلك الخلق لهم بأنه خلقه
لهم وأوجبه لما يفعلوه وثالثها قوله تعالى بل أنتم قوم عادون فإن كان تعالى خلق فيهم ما كانوا يعملون
فكيف ينسبون إلى أنهم تعدوا وهل يقال للأسود إنك متعد في لونك حاصل هذه الوجوه يرجع
إلى أن العبد لو لم يكن موجدا لفعل نفسه لما توجه المدح والذم ولما ورد النهي عليه وليس هذه الآية
وغيرها مختصة أن يذكر فيها من الفرد النهي والمدح والذم في نعم موسى وإبراهيم ونوح وسائر
القصص فكيف خصت هذه القصة بهذه الوجوه دون سائر القصص واعلم أن هذه الوجوه مع
ذلك الوجوه المشهورة يجيب عنها بالجواب المشهور من الأول أن الله تعالى لما علم ونبع هذه الأشياء نعلمها

محار

نفعلهما فعلها وتخلق على العلم جهلا وهو محال فيفضي إلى المحال محال وإذا كان عدمهما
محالا كان التكليف بالترك تكليفا بالمحال الثاني أن القادر لما كان قادرا على الضدين امتنع أن يرجح أحد
المقدورين على الآخر إلا لمرجح وهو الداعي أو الإرادة وذلك المرجح محدث فله مؤثر وذلك المؤثر ليس هو العبد
لزم التسلسل وهو محال ولم يكن هو الله تعالى فذلك الجبر على قولك ثبت بهذين البرهانين القاطعين
سقوط ما قاله القصة السابعة قصة شعيب عليه السلام

قوله تعالى

كذب أصحاب الأيكة المرسلين إذ قال لهم شعيب ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من
أجر إن أجري إلا على رب العالمين أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا
تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين قالوا إنما
أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين فأسقط علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين
قال ربي أعلم بما تعملون فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم إن في ذلك لآية
وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم قرئ أصحاب الأيكة بالهمزة وتخفيفها وبالجر على الإضافة وهو
الوجه ومن قرأ بالنصب وزعم أن ليكة بوزن ليلة اسم بلد فتوهم قاد إليه خط المصحف حيث وجدت
مكتوبة في هذه السورة وفي سورة ص بغير ألف لكن قد كتبت في سائر القرآن على الأصل والقصة واحدة على أن ليكة
اسم لا يعرف وروي أن أصحاب الأيكة كانوا أصحاب شجر ملتف وكان الشجر الدوم فإن قيل
هلا قال لهم أخوهم شعيب كما في سائر المواضع جوابه أن شعيبا لم يكن من أصحاب الأيكة وفي الحديث أن
شعيبا أخا مدين أرسل إليهم وإلى أصحاب الأيكة ثم إن شعيبا عليه السلام أمرهم بأشياء أحدها قوله أوفوا الكيل
ولا تكونوا من المخسرين وذلك لأن الكيل على ثلاثة أضرب واف وطفيف وزائد فأمر بالواجب الذي هو
الإيفاء بقوله أوفوا الكيل ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف بقوله تعالى ولا تكونوا من المخسرين ولم يذكر
الزائد لأنه حسن إن فعله فقد أحسن ومن لم يفعله فلا عليه ثم لما أمر بالإيفاء بين أنه كيف يفعل
فقال وزنوا بالقسطاس المستقيم قرئ بالقسطاس مضموما ومكسورا وهو الميزان وقيل القرسطون
وثانيها قوله ولا تبخسوا الناس أشياءهم يقال بخسته حقه إذا نقصته إياه وهذا عام في كل حق
ثبت لأحد أن لا يهضم وفي كل ملك أن لا يغصب عليه مالكه ولا يتصرف فيه إلا بإذنه تصرفا شرعيا وثالثها
قوله ولا تعثوا في الأرض مفسدين يقال عثا في الأرض وعثي وعاث وذلك نحو قطع الطريق و
إهلاك الزروع وكانوا يفعلون ذلك مع توليهم أنواع الفساد فنهوا عن ذلك ورابعها قوله واتقوا الذي
خلقكم والجبلة الأولين وقرئ الجبلة بوزن الأبلة والجبلة بوزن الخلقة ومعناهن واحد أي ذوي
الجبلة والمراد أنه المتفضل بخلقهم وخلق من تقدمهم ثم قالوا إنما أنت من المسحرين بمعنى أنه ليس للقوم جواب
إلا ما ذكروه لكان أولى بهم ... قولهم إنما أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا فإن قيل
هل اختلف المعنى بإدخال الواو ههنا وتركها في قصة ثمود جوابه إذا دخلت الواو فقد قصد معنيان
كلاهما مناف للرسالة عندهم التسحير والبشرية وإذا تركت الواو فلم يقصد إلا معنى واحد وهو كونه مسحرا
ثم قرره بكونه بشرا مثلهم الثاني قولهم وإن نظنك لمن الكاذبين ومعناه ظاهر ثم إن شعيبا عليه السلام
كان يتوعدهم بالعذاب فلما استمروا على التكذيب قالوا فأسقط علينا كسفا من السماء قرئ كسفا
بالسكون والحركة وكلاهما جمع كسفة نحو قطع والسماء السحاب أو المظلة وهم إنما طلبوا ذلك
لاستبعادهم وقوعه فظنوا أنه إذا لم يتحقق ظهر كذبه فعنده قال شعيب ربي أعلم بما تعملون فلم يدع
عليهم بل فوض الأمر فيه إلى الله تعالى فلما استمروا على التكذيب أنزل الله عليهم العذاب على نحو
ما اقترحوا من عذاب الظلة إن أرادوا بالسماء السحاب وإن أرادوا المظلة فقد خالف لهم عن مقترحهم

مدة الله حبس عنهم الريح سبعا وسلط عليهم الرمد فاخذ بانفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء فاضطروا الى ان خرجوا الى
البرية فاظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا وروي ان شعيبا
بعث الى امتين اصحاب مدين واصحاب الايكة فاهلكت مدين بصيحة جبريل واصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة واعلم
ان الكلام في هذه القصص السبعة التي ذكرها الله في هذه السورة تسلية لمحمد عليه السلم فيما ناله من الغم الديني وايضا
الا انه عليه السلم لا يحزن بسبب ان الاعتقاد بالنار لقوم عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم انما كان ذلك بسبب كفرهم وعنادهم
بل كان ذلك بسبب قرانات الكواكب واتصالاتها على ما اتفق عليه اهل النجوم واذا قام هذا الاحتمال لم يحصل الاعتبار
بهذه القصص لان الاعتبار انما يحصل ان لو علمنا ان نزول هذا العذاب كان بسبب كفرهم وعنادهم الا ان الله تعالى
قد ينزل العذاب محنة للمكلفين وابتلاء لهم على ما قال ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ولانه تعالى
قد ابتلى المومنين بالبلاء العظيم في كثير واذا كان كذلك لم يبق نزول البلاء بهم على كونهم مبطلين والجواب ان الله تعالى
انزل هذه القصص على محمد عليه السلم تسلية له وازالة للحزن عن قلبه فلما اخبر تعالى محمدا انه انما انزل العذاب عليهم
وانه لما انزله عليهم جزاء على كفرهم علم محمد عليه السلم ان الامر كذلك وحينئذ يحصل به التسلي والفرح له عليه السلم واحتج بعض
الناس على القدح في علم الاحكام بان المؤثر في هذه الاشيا اما الكواكب او البروج او كون الكوكب في البرج المعين والاول باطل
لانه لو حصلت هذه الاثار ابدا مع حصول الكوكب والثاني ايضا باطل والا لدام الاثر بدوام البرج والثالث ايضا باطل لان الفلك
على قولهم بسيط لا مركب فيمتنع ان يكون كل برج مخالفا لطبع البرج الاخر في تمام الماهية فيكون حال الكوكب في برج كحاله
في برج اخر فيلزم من استمرار ذلك الاستمرار الكوكب وللقوم ان يقولوا لم لا يجوز ان يكون كل واحد من الكواكب
المعينة موصوفا على كونه مسامتا لسمت مخصوص في الفلك فاذا حصلت تلك المسامتة فقد تحقق شرط التاثير
فلا يحصل التاثير ثم لهم ان يقولوا هذه الدلالة انما تدل على انها ليست موثرة بحسب ذواتها وطبايعها ولكنها لا تدل على انها ليست علامات
بحسب جعل الله تعالى فان الحجر ليس علة لحصول تاثيرات مخصوصة عقيب اتصالات الكواكب وقرانات واذا ثبت ذلك
لم يلزم من حصول هذه الاثار القطع بان الله تعالى انما خلقها لاجل زجر الكفار بل لعله تعالى خلقها لكونها بحيث تلك
الاتصالات فهذا القول **قوله تعالى** وانه لتنزيل
رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وانه لفي زبر الاولين اعلم انه تعالى
لما ختم ما اقتصه من خبر الانبيا ذكر بعد ذلك ما يدل على نبوته وهو من وجهين الاول قوله وانه لتنزيل رب العالمين وذلك
لانه لفصاحته معجز فيكون ذلك من رب العالمين الثاني انه اخبار عن القصص الماضية من غير تعلم البتة فلا يكون ذلك الا بوحي
من الله وهو المراد بقوله وانه لفي زبر الاولين فانه مؤكد لهذا الاعجاز وذلك لانه لما ذكر هذه القصص السبع على ما هي
موصوفة في زبر الاولين من غير تفاوت اصلا مع انه لم يشتغل بالتعلم والاستفادة دل ذلك على انه ليس من عنده بل هو من عند الله تعالى
وهذا هو المقصود من الاية فاما قوله تعالى وانه لتنزيل رب العالمين فالمراد بالتنزيل المنزل ثم بين كيفية مجيئه في القران و
هذه القصص الى محمد فقال نزل به الروح الامين على قلبك وهو ان الله تعالى انزله على محمد عليه السلم بلا واسطة ملك نزل به الروح الامين والثاني نزل به الروح و
نزل به الروح على التشديد المتعدية ومعنى نزل به الروح جعل الله الروح نازلا به على قلبك اي فهمك اياه واثبته
في قلبك اثبات ما لا ينسى كقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى والروح الامين جبريل عليه السلم وسماه روحا من حيث خلق من الروح
وقيل لانه نجاة الخلق في باب الدين فهو كالروح الذي تثبت معه الحياة وقيل لانه روح كله لا كالناس الذين في
ابدانهم روح وسماه امينا لانه مؤتمن على ما يؤديه الى الانبيا عليهم السلم وعلى غيرهم واما قوله على قلبك ففيه
قولان الاول انه اتى بالمنزل على قلبك ليكون من المنذرين اي لاجل ذلك انزل عليه ليكون حافظا للرسول فيكون
في قلبه لا يجوز عليه التغيير فيكون اول الاشياء الواثق منه انه بين انه تعالى انه هو المقصود ولذلك ما كان يكون من
المنذرين الثاني ان القلب هو المخاطب في الحقيقة لانه موضع التمييز والاختيار واما سائر الاعضا فمسخرة له و
الدليل عليه القران والحديث والمعقول اما القران فايات احدها قوله في سورة البقرة فانه نزله على قلبك وقال

هاهنا

هاهنا نزل به الروح الامين على قلبك وقال ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وثانيها ان ذكر استحقاق الجزا ليس الا
على ما في القلب من المساعي فقال لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وقال لن ينال الله لحومها
ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم والتقوى في القلب لانه تعالى قال اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وقال وحصل
ما في الصدور وثالثها قوله حكاية عن اهل النار لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير ومعلوم ان العقل في القلب والسمع
منفذ اليه وقال ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا ومعلوم ان السمع والبصر لا يستفاد منهما الا ما يوديانه
الى القلب فكان السؤال عنهما في الحقيقة سؤالا عن القلب وقال يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ولم يتحر الاعين
الا بما تخفي القلوب عند التحديق بها وقال ان في ذلك لذكرى وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون فخص هذه الثلاثة
بالزام الحجة بها واستدعا الشكر عليها وقد علمنا انه لا طائل في السمع والابصار الا بما يوديان الى القلوب ليكون القلب هو القاضي
والمتحكم عليه وقال تعالى ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة فما اغنى عنهم سمعهم
ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شي فجعل هذه الثلاثة تمام ما الزمهم من حجته والمقصود من ذلك هو الفؤاد القاضي
فيما يؤدي اليه السمع والبصر وخامسها قوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة فجعل العذاب لازما
لهذه الثلاثة وقال لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها وجه الدلالة انه تعالى
جعل العلم عنهم فاسا لو لم يكن العلم في غير القلب كتابه في القلب لم يتم الغرض بهذه الايات وما شاكلها والحقيقة باجمعها ان
القلب هو المقصود بالزام الحجة وقد بينا ان ما قرن بذكر السمع والبصر فذلك لان الثاني للقلب في تاديته هو المحسوسات
والمسموعات واما الحديث فما روى النعمان بن بشير قال سمعت عليه السلم يقول الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح
الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب واما المعقول فوجوه احدها ان القلب اذا غشي عليه فلو قطع سائر
الاعضا لم يحصل الشعور به واذا افاق القلب فانه يشعر بجميع ما ينزل بالاعضا من الافات فدل ذلك على ان سائر الاعضا
تبع للقلب ولذلك فان القلب اذا فرح او حزن فانه يتغير حال الاعضا عند ذلك وكذا القول في سائر الاعراض النفسانية
وثانيها ان القلب منبع المشتهيات الباعثة على الافعال الصادرة من سائر الاعضا واذا كانت المشتهيات مبادي الافعال و
منبعها هو القلب كان الامير المطلق هو القلب وثالثها ان معدن العقل هو القلب واذا كان كذلك كان الامير المطلق هو القلب
اما المقدمة الاولى فلان النزاع فيها بين طايفة من القدماء ذهبوا الى ان معدن العقل هو الدماغ والذي يدل على قولنا وجوه الاول
قوله تعالى افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها وقوله لهم قلوب لا يفقهون بها وقوله ان في ذلك لذكرى لمن كان له
قلب اي عقل اطلق عليه اسم القلب لما انه معدنه الثاني انه تعالى اضاف ضد العلم الى القلب فقال في قلوبهم مرض
ختم الله على قلوبهم وقالوا قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم
يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم كلا بل ران على قلوبهم افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها فانها لا تعمى الابصار ولكن
تعمى القلوب التي في الصدور ودلت هذه الاية على ان موضع الجهل والغفلة هو القلب واذا كان موضع الجهل والغفلة هو القلب
هو القلب الثالث انا اذا جربنا انفسنا نجدنا علومنا حاصلة في ناحية القلب ولذلك فان الواحد منا اذا امعن
في الفكر وكثر منه احس من قلبه ضيقا وضجرا حتى كانه يتالم بذلك وكل ذلك يدل على ان موضع العقل هو القلب
واذا ثبت ذلك وجب ان يكون المكلف هو القلب لان التكليف مشروط بالعقل والفهم والشرايع بنص ان القلب اول
الرابع ان العقل اشرف والقلب هو اشرف الاعضا فيكون هو معدنه لان الاشرف للاشرف وقد تعاضد ذلك بالتشريح فانه يمكن في العقيدة الملك من اوسط الجسد وفي
شان الملوك ان يكونوا في وسط المملكة ليكتنفهم الحواشي من الجوانب فتكون ابعد من
الافات واحتج من قال العقل في الدماغ بامور احدها ان الحواس التي هي الات الادراك نافذة الى الدماغ دون
القلب فالحواس الات العقل فيكون العقل في الموضع الذي تنفذ اليه الحركات والاعصاب وثانيها ان الدماغ دون القلب وثالثها
ان الانسان اذا حصلت في الدماغ افة اختل العقل وربما زال في الوقت كله من اصابته ضربة في ذلك الموضع ولهذا قيل انه خفيف
الدماغ خفيف الراس وخاصة ان العقل اشرف ومكانه اشرف والاعلى هو الاشرف وذلك هو الدماغ لا القلب

فوجب ان يكون محل العقل الدماغ الجواب عن الاول انه يجوز ان يقال الحواس تؤدي اثارها الى الدماغ ثم ان الدماغ يؤدي
تلك الاثار الى القلب فالدماغ آلة قريبة للقلب والحواس آلات بعيدة فالحس يخدم الدماغ ثم الدماغ يخدم القلب وتحقيقه
انا ندرك من انفسنا انا اذا عقلنا ان الامر الفلاني يجب فعله او يجب تركه فانا لا اعضاءنا نحرك عنه ذلك ونحن نجد التعقلات
من جانب القلب لا من جانب الدماغ ثم الدماغ يحرك الاعضاء بواسطة الاعصاب النابتة منه وعن الثاني لا يبعد ان يكون
سلامة الدماغ شرطا لوصول تاثير القلب الى سائر الاعضاء وعن الثالث ان ذلك الوهن لما كان سار القلب انما يعتدل مزاجه
بما يستمده من الدماغ من برودته فاذا لحق الدماغ جرح [illegible] عن الاعتدال ايضا الا ان [illegible]
عن الفقد والاستبدال لنقصان حرارته عند ذلك المرور وحينئذ يختل العقل [illegible] عن الخامس انه لو صح ما قالوه لوجب ان يكون موضع
العقل هو القحف ولما بطل ذلك ثبت [illegible] فرع اعلم ان المعاني التي عينا كونها مختصة بالقلوب قد يضاف
الى الصدر تارة والى الفؤاد اخرى اما الصدر فقوله تعالى وحصل ما في الصدور وقوله وليبتلي الله ما في صدوركم
وقوله انه عليم بذات الصدور ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه واما الفؤاد فقوله ونقلب افئدتهم وابصارهم
ومن الناس من فرق بين القلب والفؤاد فقال القلب هو العلقة السوداء في جوف الفؤاد دون [illegible]
من اللحم والشحم ومجموع ذلك هو الفؤاد ومنهم من قال القلب والفؤاد لفظان مترادفان وكيف كان فيجب
ان يعلم ان محل العقل العضو المسمى قلبا وفؤادا [illegible] واختيار وان معظم
جرم هذا العضو [illegible] اجزاءه من غير
ان [illegible] المعاني المنسوبة اليه اعني العقل والفهم والحزن [illegible] تلك المعاني [illegible]
ان يكون اسم القلب [illegible] هذه المعاني بالحقيقة واسم الفؤاد [illegible] لمجموع العضو فهذا
نهاية الكلام في هذا الباب والله اعلم واما قوله لتكون من المنذرين فدخل تحته الانذار بالدعاء الى كل
واجب من علم وعمل والمنع من كل قبيح لان في الوجهين جميعا يدخل الخوف من العقاب واما قوله تعالى بلسان عربي
مبين فالباء اما ان يتعلق بالمنذرين فيكون المعنى لتكون من الذين انذروا بهذا اللسان وهم خمسة هود وصالح
وشعيب واسمعيل ومحمد عليه السلم واما ان يتعلق بنزل فيكون المعنى نزله باللسان العربي لتنذر به لانه
لو نزله باللسان العجمي لقالوا له ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الانذار به وفي هذا الوجه ان تنزيله بالعربية
التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لانك تفهمه وتفهمه قومك ولو كان اعجميا لكان نازلا على سمعك
دون قلبك لانك تسمع اجراس حروف لا تفهم معانيها واما قوله تعالى وانه لفي زبر الاولين فيحتمل هذه
الاخبار خاصة ويحتمل صفة القرآن ويحتمل صفة محمد عليه السلم ويحتمل ان يكون المراد وجوه التخويف
التي ذكرت هذه الاشياء باسرها [illegible] **قوله تعالى** اولم يكن لهم اية ان يعلمه علماء بني اسرائيل
ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقراه عليهم ما كانوا به مؤمنين كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به
حتى يروا العذاب الاليم فياتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون اعلم انه تعالى لم يكن لهم
اية ان يعلمه علماء بني اسرائيل ومنه ذكر الحجة الثانية على نبوة محمد عليه السلام وصدقه وتقريره ان جماعة من علماء
بني اسرائيل اسلموا ونصوا على مواضع في التورية والانجيل ذكر فيها الرسول بصفته ونعته وقد كان
مشركو قريش يذهبون الى اليهود ويتعرفون منهم هذا الخبر وهذا يدل دلالة ظاهرة على نبوته لان
تطابق الكتب الالهية على نعته ووصفه يدل قطعا على نبوته واعلم انه قرئ يكن بالتذكير
واية بالنصب على انها خبره وان يعلمه هو الاسم وقرئ تكن بالتانيث وجعلت اية اسما وان يعلمه خبرا وليست
كالاولى لوقوع النكرة اسما والمعرفة خبرا [illegible] تكن كقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا
واما قوله ولو نزلناه على بعض الاعجمين فاعلم انه تعالى لما بين بالدليل المذكور نبوة محمد عليه السلم
وصدق لهجته بين بعد ذلك ان هؤلاء الكفار لا ينفعهم الدلائل ولا البراهين فقال ولو نزلناه على بعض الاعجمين

نعني

نعني انا لو انزلنا هذا القرآن على رجل عربي بلسان عربي مبين فسمعوا به وفهموه وعرفوا فصاحته وانه معجز لا يعارض
بكلام مثله وانضم الى ذلك بشارة كتب الله السالفة به فلم يؤمنوا به وجحدوه وسموه شعرا تارة وسحرا اخرى
فلو نزلناه على بعض الاعاجم الذي لا يحسن العربية لكفروا به ايضا ولتمحلوا لجحودهم عذرا ثم قال كذلك سلكناه اي مثل
هذا السلك سلكناه في قلوبهم وهكذا مكناه وقررناه فيها فكيف ما فعل بهم فلا سبيل الى ان يتغيروا عما هم عليه من
الجحود والانكار وهذا ايضا مما يفيد تسلية الرسول عليه السلم لانه اذا عرف رسول الله اصرارهم على الكفر
وانه جرى القضاء الازلي بذلك حصل اليأس وقيل في المثل اليأس احدى الراحتين المسالة الرابعة قوله تعالى كذلك
سلكناه في قلوب المجرمين يدل على ان الكل بقضاء الله وخلقه قال صاحب الكشاف اراد به انه صار ذلك التكذيب
متمكنا في قلوبهم اشد التمكن فصار ذلك كالشيء الجبلي والجواب [illegible] فعل الله تعالى فيهم ما يقتضي
رجحان التكذيب على التصديق او ما فعل ذلك فيهم فان حصل الاول فقد قلنا في سورة الانعام ان الرجحان يمتنع
ما لم ينته الى حد الوجوب وحينئذ يحصل المقصود وان لم يفعل فيهم ما يقتضي الرجحان البتة امتنع قوله كذلك سلكناه
كالتطويل الطائي لما لم يكن له تعلق بكفرهم امتنع استناد ذلك الكفر اليه كما قلنا المسالة الخامسة
فان قلت ما موقع لا يؤمنون به من قوله سلكناه في قلوب المجرمين قلت موقعه منه موقع الموضح والمبين لانه
مسوق لبيانه تكذيبا مجحودا في قلوبهم فاتبع ما يقرر هذا المعنى من انهم لا يزالون على التكذيب به حتى يعاينوا
الوعيد **قوله تعالى** فيقولوا هل نحن منظرون افبعذابنا يستعجلون افرايت ان متعناهم سنين
ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون ذكرى وما كنا
ظالمين اعلم انه تعالى لما بين انهم لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم وانه ياتيهم العذاب بغتة اتبعه بما يكون
منهم عند ذلك على وجه الحسرة فقال فيقولوا هل نحن منظرون كما يستغيث المرء عند تعذر الخلاص لانهم يعلمون
في الآخرة ان لا ملجأ لكنهم يذكرون ذلك استرواحا فاما قوله تعالى افبعذابنا يستعجلون فالمراد انه تعالى بين انهم كانوا
في الدنيا يستعجلون العذاب مع ان حالهم عند نزول العذاب طلب النظرة ليعرف تفاوت الطريقين فيعتبر به ثم بين
تعالى ان استعجالهم للعذاب على وجه التكذيب انما يقع عنهم لينتفعوا في الدنيا الا ان ذلك حاصل وذلك لان مدة التمتع في
الدنيا متناهية قليلة ومدة العذاب الذي يحصل بعد ذلك غير متناهية وليس في العقل [illegible] بالموت
وتبين [illegible] ثم بين انه لم يهلك قرية الا وهناك نذير يقيم عليهم الحجة اما قوله تعالى ذكرى
فقال صاحب الكشاف ذكرى منصوبة بمعنى تذكرة اما لان انذر وذكر متقاربان فكانه قيل مذكرون تذكرة واما
لانها حال من الضمير في منذرون اي ينذرونهم ذوي تذكرة واما لانها مفعول له على معنى انهم ينذرون لاجل
الموعظة والتذكرة او مرفوعة على انها خبر مبتدا محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية او صفة بمعنى منذرون ذووا
ذكرى وجعلوا ذكرى لامعانهم في التذكرة ووجه اخر وهو ان يكون ذكرى متعلقة باهلكنا مفعولا له والمعنى
وما اهلكنا من قرية ظالمين الا بعد ما الزمناهم الحجة بارسال المنذرين اليهم ليكون اهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم
فلا يعصوا مثل عصيانهم وما كنا ظالمين فنهلك قوما غير ظالمين وهذا الوجه عليه المعول فان قلت كيف عزلت
الواو عن الجملة بعد الا ولم تعزل عنها في قوله وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم قلت الاصل عزل الواو لان
الجملة صفة لقرية واذا زيدت فلتاكيد وصل الصفة بالموصوف **قوله تعالى**
وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون فلا تدع مع الله الها اخر فتكون
من المعذبين اعلم انه تعالى لما احتج على صدق محمد عليه السلم بكون القرآن تنزيل رب العالمين واثبت ذلك بوقوعه
في الفصاحة في النهاية القصوى ولاشتماله على قصص المتقدمين من غير تفاوت مع انه عليه السلم لم يشتغل بالتعلم
والاستفادة كان الكفار يقولون هذا من القاء الجن والشياطين كما في سائر ما ينزل على الكهنة فاجاب الله تعالى عنه
بان ذلك لا يتسهل للشياطين لانهم مرجومون بالشهب وممنوعون عن استماع كلام اهل السماء [illegible] الشياطين

ممنوعين عن ذلك لكان يحصل الامر بواسطة خبر النبي الصادق فاذا اثبتنا كون محمد عليه السلم صادقا بفصاحة القران واخباره
عن الغيب ولا يمكن اثبات كون الفصاحة معجزا الا اذا ثبت كون الشياطين ممنوعين عن ذلك لزم الدور
في المطالب وجوابه لا نسلم ان العلم بكون الشياطين ممنوعين عن ذلك لا يستفاد الا من قول النبي وذلك لانا نعلم بالضرورة ان
الاهتمام بشان العدو اولى من الاهتمام بشان الصديق ونعلم بالضرورة ان محمدا عليه السلم كان يلعن الشياطين ويامر الناس
بلعنهم فلو كان هذا الغيب انما حصل من القاء الشياطين لكان الكفار اولى بان يحصل لهم مثل هذا العلم فكان يجب ان يكون
اقتدار الكفار على مثله اولى فلما لم يكن كذلك علمنا ان الشياطين ممنوعون عن ذلك وانهم معزولون عن تعرف الغيوب
ثم انه تعالى لما ذكر هذا الجواب ابتدا بخطاب الرسول فقال ولا تدع مع الله الها الخ وذلك في الحقيقة خطاب
لغيره لان من شان الحكيم اذا اراد ان يوكد خطاب الغير ان يوجهه الى الرؤسا في الظاهر وان كان المقصود بذلك
هم الاتباع ثم انه تعالى لما اراد ... بالمخاطبة

قوله تعالى

وانذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين فان عصوك فقل اني بري مما تعملون وتوكل على العزيز
الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين انه هو السميع العليم اعلم انه سبحانه لما بالغ في تسلية الرسول
اولا ثم اقام الحجة على نبوته ثانيا ثم اورد سوال المنكرين واجاب عنه ثالثا امره بعد ذلك بما يتعلق بباب
التبليغ والرسالة وهاهنا امور ثلاثة الاول قوله تعالى وانذر وذلك لانه تعالى بدا بالرسول فتوعده ان دعا
مع الله الها اخر ثم امره بدعوة الاقرب فالاقرب وذلك لانه اذا تشدد على نفسه اولا ثم بالاقرب فالاقرب ثانيا لم يكن لاحد
فيه طعن البتة وكان قوله انفع وكلامه انجع وروي انه لما نزلت هذه الاية صعد الصفا فنادى الاقرب
فالاقرب وقال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف يا عباس عم النبي يا صفية عمة النبي اني لا املك
لكم من الله شيا سلوني من مالي ما شيتم وروي انه جمع بني عبد المطلب وهم يومئذ اربعون رجلا على رجل شاة
وقعب من لبن وكان الرجل منهم ياكل الجذعة ويشرب العس فاكلوا وشربوا ثم قال يا بني عبد المطلب ان
اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم فقال اني نذير لكم بين يدي عذاب شديد
الثاني قوله واخفض جناحك لمن اتبعك واعلم ان الطاير اذا اراد ان ينحط للوقوع كسر جناحه و
خفضه واذا اراد ان ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلا في التواضع
ولين الجانب فان قيل المتبعون للرسول هم المومنون وبالعكس فما الفائدة في قوله من المومنين جوابه
لا نسلم ان المتبعين للرسول هم المومنون فان كثيرا منهم كانوا يتبعونه للقرابة والنسب لا للدين فاما
قوله فان عصوك فقل اني بري مما تعملون فمعناه ظاهر قال الجبائي هذا يدل على انه عليه السلم كان بريا
من معاصيهم وذلك يوجب ان الله تعالى ايضا بري من عملهم كالرسول والا كان مخالفا لله كما لو رضي بما سخط
الله عليه لكان كذلك واذا كان تعالى بريا من عملهم فكيف يكون فاعلا له ومريدا له والجواب انه تعالى
بري من المعاصي بمعنى انه ما امر بها بل نهى عنها فاما بمعنى انه لا يريدها فلا نسلم والدليل عليه انه علم وقوعها وعلم انه
ما هو معلوم الوقوع فهو واجب الوقوع والا لانقلب علمه جهلا وهو محال والمفضي الى المحال محال واذا علم انه واجب
الوقوع ... الثالث قوله وتوكل والتوكل عبارة عن تفويض الرجل امره
الى من يملك امره ويقدر على نفعه وضره على العزيز الرحيم على الذي يقهر اعداك بعزته وينصرك عليهم برحمته
ثم اتبع كونه رحيما على رسوله ما هو كالسبب لتلك الرحمة وهو قيامه وتقلبه في الساجدين وثم وجوه احدها
المراد ما كان يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه في تصفح احوال المجتهدين ليطلع على سرايرهم كما يحكى
انه حين نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون لحرصه على ما يوجد منهم من الطاعات
فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله والمراد بالساجدين المصلين وثانيها
المعنى يراك حين تقوم للصلاة بالناس جماعة وتقلبه في الساجدين تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده

ونقوله

138

وقوله اذا امهم وثالثها انه لا يخفى عليه حالك كلما قمت وتقلبت مع الساجدين في كفاية امور الدين ورابعها
المراد وتقلب بصرك فيمن يصلي خلفك من قوله اتموا الركوع والسجود فوالله اني لاراكم من خلف ظهري ثم قال انه هو السميع العليم اي
بما يقوله ويعمله وهذا يدل على ان كونه سميعا امر مغاير لعلمه بالمسموعات والا لكان لفظ العليم مفيدا فايدته واعلم
انه ... واعلم ان الرافضة ذهبوا الى ان آبا النبي عليه السلم كانوا مومنين وتمسكوا في ذلك بهذه الاية وبالخبر
اما الاية فقالوا قوله تعالى وتقلبك في الساجدين يحتمل الوجوه التي ذكرتم ويحتمل ان يكون المراد ان الله تعالى نقل
روحه من ساجد الى ساجد كما نقوله نحن واذا احتمل كل هذه الوجوه وجب حمل الاية على الكل ضرورة انه لا منافاة ولا رجحان
واما الخبر فقوله عليه السلم لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات وكل من كان كافرا فهو نجس
لقوله تعالى انما المشركون نجس قالوا فان تمسكتم علينا بقوله تعالى واذ قال ابرهيم لابيه آزر قلنا الجواب
عنه ان لفظ الاب قد يطلق على العم كما قال ابنا يعقوب له نعبد الهك واله ابايك ابرهيم واسمعيل واسحق فسموا اسمعيل
ابا له مع انه كان عما له وقال عليه السلم ردوا علي ابي يعني العباس ويحتمل ايضا ان يكون متخذ الاصنام ابا امه
فان هذا قد يقال له الاب قال تعالى ومن ذريته داود وسليمان الى قوله وعيسى فجعل عيسى من ذرية ابرهيم مع ان
ابرهيم كان جده من قبل الام واعلم انا نتمسك بقوله تعالى لابيه آزر وما ذكروه صرف للفظ عن ظاهره
واما حمل قوله وتقلبك في الساجدين على جميع الوجوه فغير جائز لما بينا ان حمل المشترك على كل معانيه غير جائز واما
الحديث فهو خبر واحد فلا يعارض القران

قوله تعالى

هل انبيكم على من تنزل الشياطين
تنزل على كل افاك اثيم يلقون السمع واكثرهم كاذبون اعلم انه تعالى اعاد الشبهة المتقدمة واجاب عنها من وجهين
الاول قوله تنزل على كل افاك اثيم وذلك هو الذي قررناه فيما تقدم ان الكفار يدعون الى طاعة الشيطان ومحمد عليه السلم كان يدعو
الى لعن الشيطان والبراة منه وهذا يقتضي ان لا يبعث الشيطان الا المريد عوا اليه لا المريد عوا الى اللعن عليه والبراة عنه والثاني
قوله يلقون السمع واكثرهم كاذبون والمراد انهم كانوا يقيسون حال النبي عليه السلم على حال سائر الكهنة فكانه قيل لهم
ان كان الامر على ما ذكرتم فكما ان الغالب على سائر الكهنة الكذب فيجب ان يكون حال الرسول كذلك فلما لم يظهر
في اخبار الرسول عن المغيبات الا الصدق علمنا ان حاله بخلاف حال الكهنة ثم ان المفسرين ذكروا في هذه الاية وجوها
احدها انهم الشياطين وذلك انهم كانوا قبل ان حجبوا بالرجم يسترقون الى الملا الاعلى فيختطفون بعض ما يتكلمون به
مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون به الى اوليايهم واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم لانهم يسمعونهم ما لم
يسمعوا وثانيها يلقون الى اوليايهم السمع اي المسموع من الملايكة وثالثها الافاكون يلقون السمع الى الشياطين
فيلقون وحيهم اليهم ورابعها يلقون المسموع من الشياطين الى الناس واكثرهم اي الافاكون كاذبون يفترون على
الشياطين ما لم يوحوا اليهم فان قلت يلقون ما محله قلت يجوز ان يكون في محل النصب على الحال اي تنزل ملقين
السمع وفي محل الجر صفة لكل افاك لانه في معنى الجمع وان لا يكون له محل بان يستانف كان قائلا قال لم تنزل
على الافاكين فقيل يفعلون كيت وكيت فان قلت كيف قيل واكثرهم كاذبون بعد ما قضى عليهم ان كل واحد منهم
افاك قلت الافاكون هم الذين يكثرون الكذب لا انهم الذين لا ينطقون الا بالكذب فاراد ان هولاء الافاكين
قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني واكثرهم مفتر عليه

قوله تعالى

والشعرا
يتبعهم الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون الا الذين امنوا وعملوا الصالحات و
ذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون اعلم ان الكفار
لما قالوا لم لا يجوز ان يقال ان الشياطين تنزل بالقران على محمد كما انهم ينزلون بالكهانة على الكهنة وبالشعر
على الشعرا ثم انه سبحانه فرق بين محمد عليه السلم وبين الكهنة فذكر هاهنا ما يدل على الفرق بينه عليه السلم وبين الشعرا
وذلك ان الشعرا يتبعهم الغاوون اي الضالون ثم بين تلك الغواية بامرين الاول انهم في كل واد يهيمون
والمراد منه الطرق المختلفة كقولك انا في واد وانت في واد وذلك لانهم قد يمدحون الشي بعد ان ذموه

وبالعكس وقد يعظمونه بعد ان يستحقروه وبالعكس وذلك يدل على انهم لا يطلبون بشعرهم الحق ولا الصدق
بخلاف امر محمد عليه السلم فانه من اول عمره الى اخره بقي على طريق واحد وهو الدعوة الى الله والترغيب في الاخرة والاعراض
عن الدنيا الثاني انهم يقولون ما لا يفعلون وذلك ايضا من علامات الغواية فانهم يرغبون في الجود ويرغبون
عنه وينفرون عن البخل ويصرون عليه ويقدحون في الناس بادنى شي صدر عن واحد من اسلافهم ثم
انهم لا يرتكبون الا الفواحش وذلك يدل على الغواية والضلالة واما محمد عليه السلم فانه بدا بنفسه حيث قال
فلا تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين ثم بالاقرب فالاقرب حيث قال الله تعالى له وانذر عشيرتك
الاقربين وكل ذلك على خلاف طريقة الشعرا فقد ظهر بهذا الذي بيناه ان محمدا عليه السلم ما كان شبيه حاله حال الشعرا
ثم ان الله تعالى لما وصف الشعرا بهذه الاوصاف الذميمة بيانا لهذا الفرق استثنى عنهم الموصوفين بامور اربعة
احدها الايمان وهو قوله الا الذين امنوا وثانيها العمل الصالح وهو قوله وعملوا الصالحات وثالثها ان يكون
شعرهم في التوحيد والنبوة ودعوة الخلق الى الحق وهو قوله وذكروا الله كثيرا ورابعها ان لا يذكروا
هجو احد الا على سبيل الانتصار ممن يهجوهم وهو قوله وانتصروا من بعد ما ظلموا قال الله تعالى لا يحب الله
الجهر بالسوء من القول الا من ظلم ثم الشرط فيه ان لا يتعدى لقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقيل المراد بهذا الاستثناء عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن
مالك وكعب بن زهير لانهم كانوا يهجون قريشا وعن كعب بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك
اما قوله تعالى وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون فالمعنى فيه والله اعلم انه تعالى لما ذكر في
هذه السورة ما يزيل الحزن عن قلب رسوله من الدلايل العقلية ومن اخبار الانبيا المتقدمين ثم ذكر
الدلايل على نبوته ثم ذكر سوال المشركين في تسميتهم محمدا عليه السلم تارة بالكاهن وتارة بالشاعر ثم انه تعالى
بين الفرق بينه وبين الكاهن اولا ثم بين الفرق بينه وبين الشاعر ثانيا ختم السورة بهذا التهديد العظيم
يعني ان الذين ظلموا انفسهم واعرضوا عن تدبر هذه الايات والتامل في هذه البينات فانهم سيعلمون
بعد ذلك اي منقلب ينقلبون وقال الجمهور المراد منه الزجر عن الطريقة التي وصف بها هولا الشعرا
والاول اقرب الى نظم السورة من اولها الى اخرها والله اعلم بالصواب

سورة النمل

قوله سبحانه وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم طس تلك ايات القران وكتاب مبين
هدى وبشرى للمؤمنين الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم يوقنون اعلم ان
قوله تلك اشارة الى ايات السورة والكتاب المبين هو اللوح المحفوظ وابانته انه قد خط فيه كل ما هو
كاين فالملائكة الناظرون فيه يتبينون الكاينات وانما نكر الكتاب المبين ليبهم بالتنكير
فيكون افخم له كقوله في مقعد صدق عند مليك مقتدر وقرا ابن ابي عبلة وكتاب مبين بالرفع على تقدير
وايات كتاب مبين فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فان قيل ما الفرق بين هذا وبين قوله
الر تلك ايات الكتاب وقران مبين قلنا لا فرق الا ما بين المعطوف والمعطوف عليه اما قوله هدى وبشرى
للمؤمنين ففي محل النصب او الرفع فالنصب على الحال اي هادية ومبشرة والعامل فيها ما في تلك
من معنى الاشارة والرفع على ثلثة اوجه على هي هدى وبشرى وعلى البدل من الايات وعلى ان يكون خبرا
بعد خبر اي جمعت انها ايات وانها هدى وبشرى واعلم انه خصص الله المؤمنين على وجهين احدها
المراد بهم الذين [illegible] كقوله تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان ويهديهم اليه صراطا مستقيما
ولهذا [illegible] المؤمنين الثاني المراد بذلك الدلالة ثم ذكر الى تخصيص المؤمنين بهذا الهدى انه انما

حقه

خصها بالمؤمنين لانه ذكر مع الهدى البشرى والبشرى انما تكون للمؤمنين وثانيها ان وجه الاختصاص انهم تمسكوا به فخصهم
بالذكر كقوله انما انت منذر من يخشاها وانما المراد من كونها هدى للمؤمنين انها زايدة في هداهم قال تعالى و
[illegible] العلم [illegible] الا الف واللام
يقتضي ذلك وان تمام العلم [illegible] الذكر [illegible] وانما منها [illegible]
في هذا اما قوله وهم بالاخرة هم يوقنون ففيه سوال وهو ان المومنين الذين يقيمون الصلوة ويؤتون
الزكوة لا بد وان يكونوا مستيقنين بالاخرة فما الوجه في ذكره [illegible] الاول [illegible] صلة
الموصول ثم [illegible] ان كان [illegible] الحق [illegible] العلم [illegible]
[illegible] لكن [illegible] يستفاد منه [illegible] معرفة المبدا ومعرفة المعاد [illegible]
[illegible] بالملك بقوله الذين يوقنون اشارة الى معرفة المبدا
وبقوله يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة اشارة الى الطاعة بالنفس والمال وبقوله وهم بالاخرة هم يوقنون
اشارة الى علم المعاد فكانه سبحانه وتعالى جعل معرفة المبدا طرفا اولا ومعرفة المعاد طرفا اخيرا و
جعل الطاعة بالنفس والمال متوسطا بينهما الثاني ان المومنين الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة
منهم من هو جازم بالحشر والنشر ومنهم من يكون شاكا فيه الا انه ياتي بهذه الطاعات للاحتياط فيقول
ان كنت مصيبا فيها فقد فزت بالسعادة وان كنت مخطئا فيها لم تفتني الا خيرات قليلة في هذه
المدة اليسيرة فمن ياتي بالصلوة والزكوة على هذا الوجه لم يكن في الحقيقة مهتديا بالقران اما من كان
جازما بالاخرة كان مهتديا به فلهذا السبب ذكر هذا القيد الثاني ان يجعل قوله وهم بالاخرة هم يوقنون
جملة اعتراضية كانه قيل وهولا الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من اقام الصلوة وايتا الزكوة هم
الموقنون بالاخرة وهذا هو الوجه ويدل عليه انه عقد جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدا الذي هو هم حتى
صار معناها وما يوقن بالاخرة حق الايقان الا هولا الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان
خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق قوله تعالى ان الذين لا يؤمنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون
اولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الاخرة هم الاخسرون اعلم انه تعالى لما بين حال المومنين من البشارة اتبعه بما على الكفار من
سوء العذاب فقال ان الذين لا يؤمنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم واختلف الناس فيه انه كيف اسند تزيين اعمالهم الى
ذاته مع انه اسنده الى الشيطان في قوله وزين لهم الشيطان اعمالهم فاما اصحابنا فقد اجروا الاية على ظاهرها لان ان
الفعل البتة الا اذا دعاه الداعي الى الفعل والمعقول من الداعي هو العلم او الاعتقاد او الظن بكون الفعل مشتملا
على منفعة وهذا الداعي لا بد وان يكون من فعل الله تعالى لانه حصل اولا لانه لو كان من فعل العبد لافتقر فيه الى داع اخر
فلزم التسلسل وهو محال الثاني وهو ان العلم اما ان يكون ضروريا او كسبيا فلا يكون ضروريا فلا بد فيه من تصورات في النفوس
فهو لم يكن مكتسبا لان المكتسب لكان شاعرا به فهو يقصد به تحصيلا لما لم يكن شاعرا به كان غافلا
عنه والغافل عن الشي يمتنع ان يكون طالبا له فان قيل [illegible] من وجه [illegible] مطلوبا من وجه ما هو
غير معلوم منه والشي [illegible] في كل [illegible] او انتهى التصور [illegible] والعلم
[illegible] [illegible] ان القسم [illegible]
للتصديقات [illegible] التصديقات
البديهية ليس بالكسب ثم ان تلك التصديقات البديهية [illegible] للتصديقات النظرية [illegible] التصديقات
النظرية [illegible] هذه الاشيا التي فرضناها علوما نظرية كذلك
[illegible] اعتقادا [illegible] اعتقاد [illegible]
[illegible] العلم [illegible] العباد [illegible]

مضطر في صورة مختار فثبت ان الله تعالى هو الذي زين لكل عامل عمله والمراد من التزيين هو ان يخلق في قلبه العلم بما فيه
من المنافع واللذات ولا يخلق في قلبه العلم بما فيه من المضار والآفات فبتقدير [illegible] الداعي الى العمل العملية وجوب
اجراء هذه الآية على ظاهرها واما المعتزلة فانهم ذكروا في تأويلها وجوها اصحها ان المراد [illegible] لهم [illegible] ما لمن فيهم
ان يتمسكوا به ونبهناه بان بينا حسنه وما لهم فيه من الثواب [illegible] العمل ليس الا ومنه بانه حسن
ولهذا حميد العاقبة [illegible] من قوله تعالى وحبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم [illegible] يعمهون يدل على
ذلك اذ المراد فهم يعدلون [illegible] بان [illegible] اعمالهم [illegible] انه تعالى [illegible] [illegible] الرزق
ومعنى انعام الله بذلك عليهم [illegible] الى اتباع شهواتهم [illegible] من التكاليف [illegible] تعالى زين لهم
اعمالهم والله اشار الى الملائكة عليهم السلام [illegible] الذكر [illegible] السلطان [illegible]
حتى [illegible] ملابسة ظاهرة [illegible] والجواب عن الاول ان قوله تعالى اعمالهم صيغة عموم [illegible]
الله تعالى [illegible] كل اعمالهم [illegible] العقلاء [illegible] الله تعالى [illegible]
بطول العمر وسعة الرزق [illegible] المعصية [illegible]
[illegible] الرجوع [illegible] الاستدلال [illegible] الوصف [illegible]
[illegible] الى اعمالهم [illegible] [illegible]
يعمهون فالجواب [illegible] التحير والتردد [illegible] الضلال
عن الطريق اما قوله اولئك الذين لهم سوء العذاب [illegible] القتل [illegible] والثاني [illegible]
[illegible] في الدنيا [illegible] اما قوله وهم في الآخرة هم الاخسرون [illegible]
[illegible] في الدنيا [illegible] العذاب العظيم
[illegible] في الجنة لو اطاعوا [illegible] الجنة لو اطاع [illegible]

قوله تعالى

وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم
عليم اذ قال موسى لاهله اني آنست نارا سآتيكم منها بخبر او آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون فلما جاءها نودي ان بورك
من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم اما قوله وانك لتلقى القرآن من لدن
حكيم عليم فمعناه لتؤتاه وتلقنه من عند حكيم اي حكيم واي عليم وهذا معنى مجيئهما نكرتين وهذه الآية
بساط وتمهيد لما يريد ان يسوق بعدها من الاقاصيص وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه على اثر ذلك
[illegible] ومن ذلك [illegible] موسى [illegible] الحكيم [illegible] العلم والعليم [illegible] العلم
[illegible] ذكر الحكيم لم ذكر العليم [illegible] من العلم [illegible] العملية [illegible] والعلم اعم منه لان العلم
[illegible] عمليا او نظريا والعلوم النظرية اشرف من العلوم العملية [illegible] العلوم العملية [illegible] ذكر العليم
[illegible] في كمال العلم وكمال العلم [illegible] ثلاث [illegible] وعموم تعلقها بكل المعلومات [illegible]
عن كل [illegible] وما [illegible] هذه الكمالات الثلاث لا في علمه سبحانه واعلم انه تعالى [illegible] في هذه السورة [illegible]
القصص اولها قصة موسى عليه السلام اما قوله تعالى اذ قال موسى لاهله [illegible] انه لم يكن مع موسى عليه السلام
غير امرأته [illegible] شعيب وقد كنى الله تعالى عنها بالاهل فتبع ذلك ورود الخطاب على لفظ الجمع [illegible]
اما قوله اني آنست نارا فالمعنى انهما كانا يسيران ليلا وقد اشتبه الطريق عليهما [illegible] برد وفي
مثل هذا الحال [illegible] النفس [illegible] [illegible] من بعيد [illegible] من [illegible] الطريق [illegible] بالنار
[illegible] فلذلك [illegible] اني آنست نارا [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] وجدت [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] اما قوله سآتيكم منها بخبر فالخبر ما يخبر به عن حال الطريق لانه كان قد ضله [illegible] الكلام [illegible]

النار

النار [illegible] اليها وذلك سآتيكم منها بخبر نعرف به الطريق اما قوله او آتيكم بشهاب قبس فالشهاب
الشعلة والقبس النار المقبوسة واضاف الشهاب الى القبس لانه يكون قبسا وغير قبس ومن قرأ بالتنوين
جعل القبس بدلا او صفة لما فيه من معنى القبس ثم هاهنا اسئلة السؤال الاول سآتيكم منها بخبر ولعلي
آتيكم منها بخبر كالمتنافيين لان الاول قطع والثاني ترج [illegible] جوابه قد يقول الراجي اذا قوي رجاؤه سأفعل
كذا او سيكون كذا مع تجويزه الخيبة السؤال الثاني كيف جاء بسين التسويف جوابه عدة لاهله انه يأتيهم
به وان ابطأ او كانت المسافة بعيدة السؤال الثالث لماذا ادخل او بين الامرين وهلا جمع بينهما لحاجته اليهما معا
جوابه [illegible] على انه ان لم يظفر بهما لم يعدم واحدا منهما اما هداية الطريق واما اقتباس النار
ثقة بعادة الله فانه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده واما قوله لعلكم تصطلون فالمعنى لكي تصطلون
[illegible] حاجة بهم الى الاصطلاء وذلك لا يكون الا في حال برد اما قوله تعالى ان بورك من في النار
ومن حولها ففيه اسئلة السؤال الاول [illegible] المفسرة [illegible] النداء فيه معنى القول والمعنى قيل له بورك البحث
الثاني اختلفوا في من في النار على وجوه احدها ان بورك يعني تبارك والنار بمعنى النور فالمعنى تبارك من
في النور وذلك هو الله سبحانه ومن حولها يعني الملائكة وهو مروي عن ابن عباس ولكنا نقطع
بان هذه الرواية موضوعة مختلقة وثانيها من في النار هو نور الله ومن حولها الملائكة وهو مروي عن
قتادة والزجاج وثالثها ان الله تعالى ناداه بكلام سمعه من الشجرة في البقعة المباركة فكانت الشجرة
محلا للكلام والله هو المتكلم له بان فعله فيه دون الشجرة ثم ان الشجرة كانت في النار ومن حولها ملائكة
فلذلك قال بورك من في النار ومن حولها وهو قول الجبائي ورابعها من في النار هو موسى عليه السلام لقربه منها
ومن حولها يعني الملائكة وهذا اقرب لان القريب من الشيء قد يقال انه فيه وخامسها قول صاحب الكشاف
بورك من في النار من كان في مكانها ومن حولها مكانها ومكانها هي البقعة التي حصلت فيها وهي البقعة المذكورة
في قوله تعالى نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ويدل عليه قراءة ابي تباركت الارض
ومن حولها ومنه ايضا بوركت النار البحث الثالث السبب الذي لاجله بوركت البقعة وبورك من فيها وحواليها حدوث
هذا الامر العظيم فيها وهو تكليم الله موسى وجعله رسولا واظهار المعجزات عليه ولهذا جعل الله ارض الشام موسومة
بالبركات في قوله ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين وحقت ان تكون كذلك فهي مبعث الانبياء عليهم
السلام ومهبط الوحي وكفاتهم احياء وامواتا البحث الرابع انه سبحانه جعل هذا القول مقدمة لمناجاة موسى عليه
السلام فقوله بورك من في النار ومن حولها يدل على انه قد قضي امر عظيم تنتشر منه البركة في ارض الشام كلها
وقوله سبحان الله رب العالمين فيه فائدتان احداهما انه سبحانه نزه نفسه عما لا يليق به في ذاته وحكمته ليكون
ذلك مقدمة في صحة رسالة موسى عليه السلام الثانية ان يكون ذلك ايذانا بان ذلك الامر مريده ومكونه رب العالمين
تنبيها على ان الكائن من جلائل الامور وعظائم الوقائع اما قوله انه انا الله العزيز الحكيم ففيه مسائل المسألة
الاولى الهاء في انه يجوز ان يكون ضمير الشأن وانا الله مبتدأ وخبر والعزيز الحكيم صفتان للخبر وان يكون راجعا الى
ما دل عليه ما قبله يعني ان مكلمك انا والله بيان لانا والعزيز الحكيم صفتان للمبين وهذا تمهيد لما اراد
ان يظهره على يده من المعجز يريد انا القوي القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما افعله
بحكمة وتدبير فان قيل هذا النداء يجوز ان يكون من عند غير الله فكيف علم موسى انه من الله جوابه
لاهل السنة فيه طريقان الاول انه سمع الكلام المنزه عن مشابهة الحروف والاصوات فعلم بالضرورة انه صفة
الله تعالى الثاني قول ائمة ما وراء النهر وهو انه عليه السلام سمع الصوت من الشجرة فيقول انما عرف ان ذلك
من الله تعالى لامور احدها ان النداء اذا حصل في النار والشجرة علم انه من قبل الله تعالى لان احدا منا لا يقدر
عليه وهذا ضعيف لاحتمال ان الشيطان دخل في النار والشجرة ثم نادى وثانيها يجوز في نفس النداء ان يكون قد بلغ

في العظم مبلغا لكنه لا يكون معجزا وهو انما يصعب لانا لا نعرف مقادير قوى الملائكة والشياطين فلا نقدر الا ويكون صدوره
منهم والثانى انه قد اقترن به معجز دل على ذلك فقيل ان النار كانت مشتعلة في شجرة خضراء لم تحترق فصار ذلك
كالمعجز وهذا هو الاصح **قوله تعالى** والق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب
يا موسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم وادخل يدك في جيبك
تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا
هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين اعلم
ان الكلام في هذه الآيات قد تقدم شرحه ولنذكر ما هو من خواص هذا الموضع قال صاحب الكشاف عطف قوله والق
عصاك على بورك لان المعنى نودى ان بورك من في النار وان الق عصاك وكلاهما تفسير لنودى اما قوله
كأنها جان فالجان الحية الصغيرة سميت جانا لانها تستتر عن الناس وقرأ الحسن جأن على لغة من يهرب من
التقاء الساكنين فيقول جأبة وشأبة اما قوله لم يعقب فمعناه لم يرجع يقال عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار انما
خاف لظنه ان ذلك الامر اريد به ويدل عليه انى لا يخاف لدى المرسلون وثانيها ان المراد انى اذا امرتهم باظهار معجز
فينبغى ان لا يخافوا فيما يتعلق باظهار ذلك والا فالمرسل قد يخاف لا محالة اما قوله تعالى الا من ظلم معناه لكن من ظلم
وهو محمول على ما يصدر من الانبياء من ترك الاولى والصغيرة ويحتمل ان يكون المقصود منه التعريض بما وجد من موسى
وهو من التعريضات اللطيفة قال الحسن كان والله موسى ممن ظلم بقتل القبطى ثم بدل فانه عليه السلام قال
رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى وقرئ الا من ظلم بحرف التنبيه اما قوله ثم بدل حسنا بعد سوء فالمراد حسن
التوبة وسوء الذنب وعن ابى عمرو في رواية عصمة حسنا اما قوله في تسع آيات فهو كلام مستانف وحرف الجر فيه يتعلق
بمحذوف والمعنى اذهب في تسع آيات الى فرعون ولقائل ان يقول كانت الآيات احدى عشرة ثنتان منها اليد والعصا
والتسع الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم
اما قوله فلما جاءتهم آياتنا مبصرة فقد جعل الابصار لها وهو في الحقيقة لمتأمليها وكانوا بسبب نظرهم وتفكرهم
فيها او جعلت كأنها لظهورها تبصر فتهدى وقرأ على بن الحسين وقتادة مبصرة وهى نحو مجبنة ومبخلة
اى مكانا يكثر فيها التبصر اما قوله واستيقنتها فالواو فيها واو الحال وقد بعدها مضمرة وفائدة
ذكر الانفس انهم جحدوها بالسنتهم واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم والاستيقان ابلغ من الايقان اما
قوله ظلما وعلوا فاى ظلم افحش من ظلم من استيقن انها آيات بينة من عند الله ثم كابر بتسميتها سحرا بينا
والعلو هو التكبر والترفع عن الايمان بما جاء به موسى كقوله فاستكبروا وكانوا قوما عالين وقرئ
عليا وعليا بالضم والكسر كما قرئ عتيا وعتيا **القصة الثانية قصة داود وسليمان عليهما السلام قوله**
تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وورث سليمان داود وقال
يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شئ ان هذا لهو الفضل المبين وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس
والطير فهم يوزعون حتى اذا اتوا على واد النمل قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان
وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب اوزعنى ان اشكر نعمتك التى انعمت على وعلى
والدى وان اعمل صالحا ترضاه وادخلنى برحمتك في عبادك الصالحين وتفقد الطير اما قوله علما فالمراد
طائفة من العلم او علما سنيا عزيزا فان قلت اليس هذا موضع الفاء دون الواو كقولك اعطيته فشكر وجوابه
ان الشكر باللسان انما يحسن موقعه اذا كان مسبوقا بعمل القلب وهو العزم على فعل الطاعة وترك المعصية
وبعمل الجوارح وهو الاشتغال بالطاعات فاذا كان الشكر باللسان يجب كونه مسبوقا بهما فلا جرم صار كانه قال
آتيناهما علما فعملا به قلبا وقالبا وقالا باللسان الحمد لله الذى فعل كذا وكذا فاما قوله
الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين ففيه ابحاث احدها ان الكثير المفضل عليه هو من لم يؤت

علما

علما او من لم يؤت مثل علمهما وفيه انهما فضلا على كثير وثانيها ان في الآية دليلا على علو مرتبة العلم لانهما
اوتيا من الملك ما لم يؤت غيرهما فلم يكن شكرهما على الملك كشكرهما على العلم وثالثها انهم لم يفضلوا انفسهم على الكل
وذلك يدل على حسن التواضع ورابعها ان الظاهر يقتضى ان تلك الفضيلة ليست الا ذلك العلم ثم العلم بالله
وبصفاته اشرف من غيره فوجب ان يكون هذا الشكر ليس الا على هذا العلم ثم ان هذا العلم حاصل لجميع المؤمنين
فيستحيل ان يكون ذلك سبب الفضيلة على المؤمنين فاذا الفضيلة هو ان يصير العلم بالله وبصفاته جليا
بحيث يصير المرء مستغرقا بحيث لا يخطر بباله شئ من الشبهات ولا تغفل القلب عنه في حين من الاحيان
ولا ساعة من الساعات اما قوله تعالى وورث سليمان داود فقد اختلفوا فيه فقال الحسن المال لان النبوة
عطية مبتدأة لا تورث وقال غيره بل النبوة وقال آخرون بل الملك والسياسة ولو تأمل الحسن لعلم ان المال
اذا ورثه الولد فهو ايضا عطية مبتدأة من الله تعالى ولذلك يرث الولد اذا كان مؤمنا ولا يرث اذا كان
كافرا او قاتلا لكن الله تعالى جعل سبب الارث فيمن يرث شرائط وليس كذلك النبوة لان الموت لا يكون سببا لنبوة
الولد فمن هذا الوجه يفترقان وذلك لا يمنع من ان يوصف بانه ورث النبوة لما قام به عند موته كما يرث الولد المال
اذا قام به عند موته ومما يبين ما قلناه انه تعالى لو فصل فقال وورث سليمان داود ماله لم يكن لقوله وقال
يا ايها الناس علمنا منطق الطير معنى واذا قلنا ورث مقامه من النبوة والملك حسن ذلك لان تعليم منطق الطير
يكون داخلا في جملة ما ورثه وكذلك قوله واوتينا من كل شئ لان وارث العلم يجمع ذلك وورث الملك لا يجمعه وقوله ان
هذا لهو الفضل المبين لا يليق ايضا الا بما ذكرنا دون المال الذى قد يحصل للكامل والناقص وما ذكره الله تعالى
من جنود سليمان بعده لا يليق الا بما ذكرنا فبطل بما ذكرنا قول من زعم انه لم يورث الا المال فاما اذا قيل ورث
المال والملك معا فهذا لا يبطل بالوجوه التى ذكرناها بل بظاهر قوله عليه السلام نحن معاشر الانبياء لا نورث
اما قوله يا ايها الناس فالمقصود منه تشهير نعمة الله تعالى والتنويه بها ودعاء الناس الى التصديق
بذكر المعجزة التى هي علم منطق الطير قال صاحب الكشاف المنطق كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف
المفيد وغير المفيد وقد ترجم يعقوب كتابه باصلاح المنطق وما اصلح فيه الا مفردات الكلم وقالت العرب
نطقت الحمامة فالذى علم سليمان عليه السلام من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيها واغراضها
واما قوله واوتينا من كل شئ فالمراد كثرة ما اوتى وذلك ان الكل والبعض الكثير يشتركان في صفة
الكثرة والمشاركة سبب لجواز الاستعارة فلا جرم اطلق لفظ الكل على الكثير ومثله قوله واوتيت من
كل شئ اما قوله ان هذا لهو الفضل المبين فهو تقرير لقوله الحمد لله الذى فضلنا والمقصود منه الشكر
والمحمدة كما قال عليه السلام انا سيد ولد آدم ولا فخر فان قيل كيف قال علمنا واوتينا وهو من كلام المتكبرين
جوابه من وجهين الاول انه يريد نفسه واباه والثانى ان هذه النون يقال لها نون الواحد المطاع وكان
ملكا مطاعا وقد يتعلق بتعظيم الملك مصالح فيصير ذلك التعظيم واجبا اما قوله وحشر لسليمان جنوده
من الجن والانس فالحشر هو الاحضار والجمع من الاماكن المختلفة والمعنى انه جعل الله كل هذه الاصناف
جنوده ولا يكون كذلك الا بان يتصرف على مراده ولا يكون كذلك الا مع العقل الذى يصح معه التكليف او يكون
بمنزلة المراهق قد قارب حد التكليف ولذلك قلنا ان الله تعالى جعل الطير في ايامه مما له عقل و
ليس كذلك حال الطيور في ايامنا وان كان فيها ما قد الهمه الله الدقائق التى خصت بالحاجة
اليها او خصها الله بها لمنافع العباد كالنحل وغيره واما قوله فهم يوزعون فمعناه يحبسون وهذا لا يكون
الا اذا كان في كل قبيل منها وازع يكون له تسلط على من يرده ويكفه ويرده فالظاهر يشهد بذلك
القدر والذى جاء في الخبر من انهم كانوا يمنعون من يتقدم لكثرة مسيره مع جنوده على ترتيب فغير
ممتنع اما قوله حتى اذا اتوا على واد النمل فقيل هو واد بالشام كثير النمل وانما عدى اتوا بعلى

جوابه من وجهين احدهما انهم كانوا من فوق فاتى بحرف الاستعلا والثاني ان يراد قطع الوادي وبلوغ آخره من
قولهم اتى على الشي اذا انفذه وبلغ آخره كانهم ارادوا ان ينزلوا عند منقطع الوادي وقرئ نملة ويا ايها النمل بضم الميم
وبضم النون والميم وكان الاصل النمل بوزن الرجل والنمل الذي عليه الاستعمال تخفيف عنه اما قوله تعالى
قالت نملة فالمعنى انها تكلمت بذلك وهذا غير مستبعد فان الله تعالى قادر على ان يخلق فيها العقل والنطق
وعن قتادة انه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا عما شئتم وكان ابو حنيفة رحمه الله حاضرا وهو غلام
حدث فقال سلوه عن نملة سليمان اكانت ذكرا ام انثى فسالوه فافحم فقال ابو حنيفة كانت انثى فقيل له من
اين عرفت فقال من كتاب الله وهو قوله قالت نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة وذلك ان النملة مثل الحمامة والشاة
في وقوعها على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى وهو وهي اما قوله ادخلوا مساكنكم
فاعلم ان النملة لما قاربت حد العقل لا جرم ذكرت بما يذكر به العقلا فلذلك قال سبحانه تعالى ادخلوا اما قوله لا يحطمنكم
لا يحطمنكم ما هو ... يحتمل ان يكون جوابا للامر وان يكون نهيا بدلا من الامر والمعنى لا تكونوا حيث انتم فيحطمنكم
على طريقة لا ارينك هاهنا وفي هذه الآية تنبيه على امر عظيم وهو ان من يسير في الطريق لا يلزمه التحرز وانما
يلزم من في الطريق التحرز واما قوله وهم لا يشعرون فكانها عرفت ان النبي معصوم فلا يقع منه قتل هذه
الحيوانات الا على سبيل السهو وهذا تنبيه عظيم على وجوب الجزم بعصمة الانبيا والثالث ما رايت في بعض الكتب
ان تلك النملة انما امرت غيرها بالدخول لانها خافت على غيرها انها اذا رات سليمان في جلالته فربما وقعت في كفران
نعم الله وهذا هو المراد بقوله لا يحطمنكم سليمان فامرها بالدخول في مساكنها لئلا ترى تلك النعم فلا تقع
في كفران نعم الله وهذا تنبيه على ان مجالسة ارباب الدنيا محذورة وروي انها قالت مساكنكم لا يحطمنكم بحروف
الموت وقد يحطمكم فيه التعلق بها ولعله يحيط بكم اما قوله فتبسم ضاحكا من قولها فمعنى تبسم شارعا
في الضحك يعني انه تجاوز حد التبسم الى الضحك واما ضحكه فلامرين احدهما اعجابه بما دل من قولها على ظهور رحمته
ورحمة جنوده وعلى شهرة حاله وحالهم في باب التقوى وذلك قولها وهم لا يشعرون الثاني سروره بما آتاه الله
مما لم يؤت احدا من سماعه كلام النملة واحاطته بمعناه اما قوله اوزعني فقال صاحب الكشاف حقيقة اوزعني اجعلني
ازع شكر نعمتك عندي واكفه وارتبطه لا ينفلت عني حتى لا انفك شاكرا لك ابدا وهذا يدل على مذهبنا فان عند المعتزلة كل
ما امكن فعله من الالطاف فقد صار مفعولا وطلب تحصيل الحاصل عبث فلما قال ذلك دل على ان ذلك انما يحصل عند
نعم الله ... انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه وطلب الاعانة في الشكر
وفي العمل الصالح ثم قال وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين ثم طلب الانبيا انما هو على الدرجات فلئن يجعل
في الآخرة من الصالحين وقوله برحمتك يدل على ان دخول الجنة برحمته وفضله لا باستحقاق من جانب العبد واعلم
ان سليمان عليه السلم طلب ما يكون وسيلة الى ثواب الآخرة اولا ... وسيلة الثواب فهي امران احدهما
شكر النعمة السالفة والثاني استعمال سائر انواع الخدمة اما الاستعمال بشكر النعم السالفة فهو قوله رب
اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي ولما كان الانعام على الآبا انعاما على الابنا سال الابن التوفيق لشكر نعمة
سالفة على الآبا ... استعمل بشكر نعم الله عليه وعلى آبائه بقوله وعلى والدي واما الاستعمال بسائر انواع الخدمة
فقوله وان اعمل صالحا ترضاه واما طلب ثواب الآخرة فقوله وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين فان قيل
درجات الانبيا اعظم من درجات الاوليا والصالحين فما السبب في ان الانبيا يطلبون جعلهم من الصالحين
فقال ابراهيم توفني مسلما والحقني بالصالحين وقال سليمان وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين جوابه الصالح
الكامل هو الذي لا يعصي الله ولا يهم بمعصيته وهذه درجة عالية **قوله تعالى** وتفقد الطير
فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه او لياتيني بسلطان مبين فمكث
غير بعيد فقال احطت بما لم تحط به وجئتك من سبا بنبا يقين اني وجدت امراة تملكهم واوتيت من كل شي ولها عرش عظيم

وجدتها

وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون
اعلم ان سليمان عليه السلم لما تفقد الطير اوهم ذلك انه انما تفقده لامر يختص به ذلك الطير واختلفوا فيما اقتضى
تفقده على وجوه احدها قول وهب انه اخل بالنوبة التي كان ينوبها فلذلك تفقده وثانيها انه تفقده
لان مقاييس الما كانت اليه وكان يعرف الفصل بين قريبه وبعيده فلحاجة سليمان الى ذلك طلبه وتفقده وثالثها
انه كان يظله من الشمس فلما فقد ذلك تفقده اما قوله ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين فام هي المنقطعة
نظر الى مكان الهدهد فلم يبصره فقال ما لي لا اراه على معنى انه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره او غير ذلك ثم لاح له
انه غائب فاضرب عن ذلك واخذ يقول اهو غائب كانه يسال عن صحة ما لاح له ومثله قولهم انها
لابل ام شاء اما قوله لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه او لياتيني بسلطان مبين فهذا لا يجوز ان
يفعله الا بمن هو مكلف او بمن قارب العقل فيصلح لان يؤدب ثم اختلفوا في تعذيبه فقال ابن عباس
انه نتف الريش والالقا في الشمس وقيل ان يطلى بالقطران ويشمس وقيل ان يلقى للنمل تاكله وقيل ايداعه
القفص وقيل التفريق بينه وبين الفه وقيل لالزمنه صحبة الاضداد وعن بعضهم اضيق السجون معاشرة
الاضداد وقيل لالزمنه خدمة اقرانه اما قوله فمكث غير بعيد فقرئ بفتح الكاف وضمها غير بعيد غير زمان بعيد
كقولك عن قريب ووصف مكثه بقصر المدة للدلالة على اسراعه خوفا من سليمان وليعلم كيف كان الطير
مسخرا له اما قوله احطت بما لم تحط به ففيه تنبيه لسليمان على ان في ادنى خلق الله تعالى من احاط علما
بما لم يحط به لتكون ذلك لطفا له في ترك الاعجاب والاحاطة بالشي علما ان يعلم من جميع جهاته اما قوله
وجئتك من سبا بنبا يقين فاعلم ان سبا قرئ بالصرف ومنعه وقد روي بسكون البا وعن ابن كثير في رواية
سبا بالالف كقولهم ذهبوا ايدي سبا وهو سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان فمن جعله اسما للقبيلة
لم يصرف ومن جعله اسما للحي او للاب الاكبر صرف ثم سميت مدينة مارب بسبا وبينها وبين صنعا مسيرة
ثلاث والنبا الخبر الذي له شان وقوله من سبا بنبا من محاسن الكلام الذي يتعلق باللفظ بشرط حسنه
وصحة المعنى ولقد جا هاهنا زائدا على الصحة فحسن لفظا ومعنى الا ترى انه لو وضع مكان بنبا بخبر لكان المعنى
صحيحا ولكن لفظ النبا اولى لما فيه من الزيادة التي يطابقها وصف الحال اما قوله اني وجدت امراة تملكهم
فالمراة بلقيس بنت شراحيل وكان ابوها ملك ارض اليمن وكان يسمى ... وقومها مجوسا يعبدون الشمس والضمير
في تملكهم راجع الى سبا فان اريد به القوم فالامر ظاهر وان اريد المدينة فمعناه تملك اهلها اما قوله
واوتيت من كل شي ففيه سوال وهو انه كيف سوى قول الهدهد بقول سليمان واوتينا من كل شي
فكان الهدهد سوى بينهما جوابه ان قول سليمان يرجع الى ما اوتي من النبوة والحكمة ثم الى الملك واسباب الدنيا
واما قول الهدهد فلم يكن الا ما يتعلق بالدنيا واما قوله ولها عرش عظيم ففيه سوال وهو انه كيف استعظم
الهدهد عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان وايضا فكيف سوى بين عرش بلقيس وعرش الله في الوصف بالعظيم
والجواب عن الاول يجوز ان يستصغر حالها الى حال سليمان فاستعظم لها ذلك العرش ويجوز ان لا يكون لسليمان
مع جلالته مثله كما قد يتفق لبعض الامرا شي لا يكون مثله للسلطان وعن الثاني ان وصف عرشها بالعظم تعظيم له بالاضافة
الى عروش ابنا جنسها من الملوك ووصف عرش الله بالعظم تعظيم له بالنسبة الى سائر ما خلق من السموات والارض
واعلم ان هاهنا بحثين البحث الاول ان الملاحدة طعنت في هذه القصة من وجوه احدها ان هذه الآيات
اشتملت على ان النملة والهدهد تكلما بكلام لا يصدر ذلك الكلام الا من العقلا وذلك يجر الى السفسطة فانا
لو جوزنا ذلك لما امنا في النملة التي نشاهدها في زماننا هذا ان تكون اعلم بالهندسة من اقليدس وبالنحو
من سيبويه وكذا القول في القملة والصئبان ولجوزنا ان يكون فيهم الانبيا والتكاليف والمعجزات ومعلوم
ان من جوزه كان الى الجنون اقرب وثانيها ان سليمان عليه السلم كان بالشام فكيف طار الهدهد في تلك اللحظة اللطيفة

من الشام الى اليمن ثم رجع اليه وثالثها كيف خفي على سليمان عليه السلم حال مثل تلك المملكة العظيمة مع ما يقال ان الجن و
الانس كانوا في طاعة سليمان عليه السلم وانه عليه السلم كان ملك الدنيا بالكلية وكان تحت راية بلقيس على ما يقال
اثنا عشر الف ملك تحت كل واحد منهم مائة الف مع انه يقال انه لم يكن بين سليمان وبين بلدة بلقيس حال طيران الهدهد
الا مسيرة ثلثة ايام ورابعها من اين حصل للهدهد معرفة الله تعالى ووجوب السجود له وانكار سجودهم للشمس
واضافته الى الشيطان وتزيينه والجواب عن الاول ان ذلك الاحتمال قائم في اول العقل وانما يدفع ذلك
بالاجماع وعن الثاني ان الاعتقاد بافتقار العالم الى القادر المختار يزيل هذه الشكوك بالكلية وعن الثالث
احتج المعتزلة بقوله يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم يدل على ان فعل العبد من جهته لانه
تعالى اضاف ذلك الى الشيطان بعد اضافته اليهم ولانه اورده مورد الذم وذلك يقتضي انهم لا يعذرون والجواب
من وجوه احدها ان هذا قول الهدهد فلا يكون حجة وثانيها انه متروك الظاهر فانه يقتضي صدهم عن السبيل وعندكم
الشيطان ما صدهم الكفار عن السبيل اذ لو كان صدهم وذا منع عما سقط عنه التكليف لم يبق هنا الا التمسك
بفعل المدح والذم والجواب عنه قد تقدم فلا فائدة في الاعادة **قوله تعالى** الا يسجدوا لله
الذي يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم قال سننظر اصدقت
ام كنت من الكاذبين اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون المسئلة الاولى في قوله تعالى
الا يسجدوا قراءات احدها قراءة من قرا بالتخفيف الا للتنبيه ويا حرف النداء ومناداه محذوف كما حذف من قوله
الا يا اسلمي يا دار مي على البلى والثانية بالتشديد اي فصدهم عن السبيل لان لا يسجدوا فحذف الجار مع ان ويجوز
ان تكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا والثالثة وهي حرف عبد الله وقراءة الاعمش هلا وهي الا
فقلبت الهمزة هاء وعن عبد الله هلا تسجدون بمعنى الا تسجدون على الخطاب والرابعة قراءة ابي الا يسجدون لله
الذي يخرج الخبء من السماء والارض ويعلم سركم وما تعلنون المسئلة الثانية قال اهل التحقيق قوله الا يسجدوا يجب
ان يكون بمعنى الامر لانه لو كان بمعنى النهي من السجود لم يكن لوصفه تعالى بما يوجب السجود له وهو كونه قادرا على اخراج
الخبء عالما بالاسرار معنى المسئلة الثالثة الاية دلت على وصفه تعالى بالقدرة والعلم اما القدرة فقوله
يخرج الخبء في السموات والارض وسمي المخبوء بالمصدر وهو يتناول جميع انواع الارزاق والاموال واخراجه من السماء
بالغيث ومن الارض بالنبات واما العلم فقوله ويعلم ما يخفون وما يعلنون واعلم ان المقصود من هذا الكلام
الرد على من يعبد الشمس وتحرير الدلالة هكذا ان الاله يجب ان يكون قادرا على اخراج الخبء وعالما بالخفيات والشمس
ليست كذلك فهي لا تكون الها واذا لم تكن الها لم تجز عبادتها اما انه سبحانه وتعالى يجب ان يكون قادرا عالما على
الوجه المذكور فلانه واجب لذاته فلا تختص قادريته وعالميته ببعض المقدورات والمعلومات دون البعض واما
واما ان الشمس ليست كذلك فلانها جسم متناه وكل ما كان متناهيا في الذات كان متناهيا في الصفات واذا كان
كذلك لم يعلم كونها قادرة على اخراج الخبء وعالمة بالخفيات واذا لم يعلم من حالها ذلك لم يعلم من حالها
كونها قادرة على جلب المنافع ودفع المضار فيرجع حاصل الدلالة الى ما ذكره ابرهيم عليه السلم في قوله لم تعبد ما لا يسمع و
لا يبصر ولا يغني عنك شيئا وفي قوله الله الذي يخرج الخبء في السموات والارض وجه اخر وهو ان فيه اشارة
الى الاستدلال ابرهيم عليه السلم في قوله ربي الذي يحيي ويميت وفي قوله ان الله ياتي بالشمس من المشرق وذلك لانه
سبحانه هو الذي يخرج الشمس من المشرق بعد افولها في المغرب فهذا اخراج الخبء في السموات فهو المراد
من قول ابرهيم عليه السلم لا احب الافلين ومن قوله ان الله ياتي بالشمس من المشرق فاتِ بها من المغرب ومن قول
موسى عليه السلم رب المشرق والمغرب وحاصله يرجع الى ان افول الشمس وطلوعها يدلان على كونها مسخرة مدبرة
فاهو ولهذا ان العادة لقاهرها والمتصرف فيها اولى واما اخراج الخبء من الارض فهو ضروب واقلها اخراج النطفة
من الصلب والترائب فيكون في الحيوان عنه فان قيل ان ابرهيم وموسى عليهما السلم قد استدلا بالنفس على

دلالة الانفس على الله ثم الافاق قال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت ثم قال ان الله ياتي بالشمس من المشرق وموسى
عليه السلم قال ربكم ورب ابائكم الاولين ثم قال رب المشرق والمغرب فلم كان الامر هاهنا بالعكس فقدم خبء
السموات على خبء الارض جوابه ان ابرهيم وموسى عليهما السلم كانا يناظران مع من ادعى الالهية البشر فلا جرم
ابتدءا بابطال الالهية البشر ثم انتقلا الى ابطال الالهية السماء وهاهنا المناظرة مع من ادعى الالهية الشمس لقوله
رايتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله فلا جرم ابتدأ بذكر السموات ثم بالارض ثم بين ان اما قوله الله لا اله
الا هو رب العرش العظيم فالمراد منه انه سبحانه لما بين افتقار السموات والارض وما بينهما الى المدبر دل بعد
ذلك ان اعظم الاجسام فهو مخلوقه ومربوبه وذلك يدل على انه سبحانه هو المتعين في العبادة والمنزه
عن كلام من قال عليه المسئلة الرابعة قيل من احسن في العظيم كلام الهدهد وقيل كلام رب العزة المسئلة
الخامسة الحنفية قالت سجدة التلاوة واجبة في القرائتين جميعا وهو قول الشافعي وابي حنيفة رضي الله عنهما لانهم اجمعوا
على ان سجدات القرآن اربع عشرة وهذا واحد منها ولان مواضع السجدة اما امر بها او مدح لمن اتى بها
او ذم لمن تركها واحدى القرائتين امر بالسجود والاخرى ذم للتارك فثبت ما قال وذكر الزجاج من وجوب
السجدة مع التخفيف دون التشديد غير ملتفت اليه المسئلة السادسة قال هل يفرق الواقف بين القرائتين
جوابه نعم اذا خفف وقف على فهم لا يهتدون ثم ابتدأ الا يا اسجدوا وان شاء وقف على الا يا ثم
ابتدأ اسجدوا واذا شدد لم يقف الا على العرش العظيم اما قوله سننظر فمن النظر الذي هو التامل واراد
اصدقت ام كنت من الكاذبين الخ لانه اذا كان موسوما بالكذب كان متهما بالكذب فيما
اخبر به فلم يوثق به وانما قال فالقه اليهم على لفظ الجمع لانه قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس فقال فالقه
الى الذين هذا دينهم اما قوله ثم تول عنهم اي تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه ليكون ما يقولونه بمسمع منك
ويرجعون من قوله تعالى يرجع بعضهم الى بعض القول ونقل انه دخل عليها من كوة والقى الكتاب اليها وتوارى في الكوة
قوله سبحانه وتعالى قالت يا ايها الملا اني القي الي كتاب كريم انه من سليمان وانه
بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي واتوني مسلمين قالت يا ايها الملا افتوني في امري ما كنت قاطعة امرا حتى
تشهدون قالوا نحن اولو قوة واولو باس شديد والامر اليك فانظري ماذا تامرين اعلم ان قوله تعالى
قالت يا ايها الملا اني القي الي كتاب كريم يعني من لم يذكر ان الهدهد القى اليها الكتاب فهو محذوف
كانه قيل فرقت ذلك انها كانت في بيت وغلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت راسها فدخل من كوة
وطرح الكتاب على نحرها وهي مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فزعة اما قوله كتاب كريم ففيه ثلثة اوجه
احدها حسن مضمونه وما فيه وثانيها وصفته بالكريم لانه من عند ملك كريم وثالثها ان الكتاب كان مختوما وقال
عليه السلم كرم الكتاب ختمه وكان عليه السلم يكتب الى العجم فقيل له انهم لا يقبلون الا كتابا عليه خاتم فاصطنع خاتما
اما قوله انه من سليمن وانه بسم الله الرحمن الرحيم فهو الجواب الذي استئناف وتبيين لما القي
اليها كانها لما قالت اني القي الي كتاب كريم قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه من سليمن وانه كيت وكيت
وقرا عبد الله وانه من سليمان وانه بسم الله عطفا على اني وقرئ انه من سليمن وانه بالفتح وفيه وجهان احدهما انه
بدل من كتاب كانه قيل القي الي انه من سليمان وثانيها ان يريد لانه من سليمن ولانه بسم الله كانها عللت
كرمه بكونه من سليمان وتصديره باسم الله وقرا ابي ان من سليمن وان بسم الله على ان المفسرة وان
في ان لا تعلوا مفسرة ايضا لا تعلوا لا تتكبروا كما يفعل الملوك وقرا ابن عباس بالغين معجمة من
الغلو بمعنى مجاوزة الحد المسئلة الثانية قال لم قدم سليمان اسمه على قوله بسم الله الرحمن الرحيم
جوابه حاشاه من ذلك بل ابتدأ هو ببسم الله الرحمن الرحيم وانما ذكرت بلقيس ان هذا الكتاب من
سليمن ثم حكت ما في الكتاب والله تعالى حكى كذلك فالتقديم واقع في الحكاية المسئلة الثالثة ان الانبياء

عليهم آية يطيقون ولكن يقفون على المقصود وهذا الكتاب يشتمل على تمام المقصود وذلك لان المطلوب من الخلق
اما العلم او العمل والعلم مقدم على العمل بقوله بسم الله الرحمن الرحيم مشتمل على اثبات الصانع سبحانه واثبات كونه
عالما قادرا حيا مريدا حكيما رحيما واما قوله الا تعلوا علي فهو نهي عن الانقياد لطاعة النفس والهوى
والتكبر واما قوله واتوني مسلمين فالمراد من المسلم اما الانقياد والموحد ثبت ان هذا الكتاب على وجازته
يحوي كل ما لابد منه في الدين والدنيا فان قيل النبي عليه السلام لا يقول لهم الا انقاد بل اقام الدلالة على كونه رسولا
فما بلغ على اكتفاء التقليد جوابه معاذ الله ان يكون هناك تقليد وذلك ان رسول سليمان عليه السلم الى بلقيس
كان الهدهد ورسالة الهدهد معجز والمعجز يدل على وجود الصانع وعلى صفاته ويدل على صدق المدعي فلما
كانت تلك الرسالة دلالة تامة على التوحيد والنبوة لا جرم لم يذكر في الكتاب دليلا اخر اما قوله يا ايها الملؤا
افتوني في امري فالفتوى هي الجواب في الحادثة اشتقت على طريق الاستعارة من الفتى في السن اي اجيبوني
في الامر الفتي وتصديري الا انقطاع اليهم واستطاعة انهم تطيب نفوسهم بما لهمت فاحمة لهم اي ما كنت اقطع امرا
حتى تحضرون اما قوله نحن اولوا قوة فالمراد قوة الاجساد وقوة الالات والمراد من الباس النجدة
والبلاء في الحرب وحاصل الجواب ان القوم ذكروا الفرق الحاصلة اظهار القوة الذاتية والعرضية ليظهر انها ان
ارادتهم للدفع والحرب وجدتهم بحيث تريد وان امرتهم بغيره والامر اليك فانظري ماذا تامرين وفي ذلك اظهار
الطاعة لها ان ارادت السلم ولم يكن ذكر جواب احسن من هذا

قوله تعالى

ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة
بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمان قال اتمدونن بمال فما اتاني الله خير مما اتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون ارجع
اليهم فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون اعلم انها لما عرضت الواقعة على
اكابر قومها فقالوا ما تقدم اظهرت رايها وهي ان الملوك اذا دخلوا قرية بالقهر افسدوها اي خربوها
واذلوا اعزتها فذكرت لهم عاقبة الحرب فاما قوله وكذلك يفعلون فقد اختلفوا اهو من كلامها
او من كلام الله تعالى كالتصويب لها والاقرب انه من كلامها وانها ذكرته تاكيدا لما وصفت من حال
الملوك فاما الكلام في صفة الهدية فالناس اكثروا فيها لكن لا دليل في الكتاب ولا لها ناظرة
بم يرجع المرسلون دلالة على انها لم تثق بالقبول وجوزت الرد واردت بذلك ان ينكشف لها
غرض سليمان واما قوله فلما جاء سليمان عليه السلم ذكر الضمير لان المراد فقوله اتمدونن بمال فما ظهر بهذا الكلام
قلة الاكتراث بذلك المال ثم قال بل انتم بهديتكم تفرحون ففيه وجهان احدهما ان الهدية
اسم المهدي كما ان العطية اسم المعطي فيضاف الى المهدي والمهدى له والمضاف اليه هاهنا هو المهدى
اليه والمعنى ان ما عندي خير مما عندكم وذلك ان الله اتاني الدين الذي هو السعادة القصوى واتاني من الدنيا ما لا مزيد عليه فكيف
يستمال مثلي بمثل هذه الهدية بل انتم تفرحون لانكم لا تعرفون الا ظاهر حال الدنيا والثاني
بل انتم بهديتكم هذه التي اهديتموها تفرحون فرح افتخار على امثالكم واما قوله ارجع
بل انتم من حقكم ان تاخذوا هديتكم وتفرحوا بها الثاني قوله ارجع اليهم فقيل ارجع خطاب للرسول
وقيل للهدهد محملا كتابا اخر فلناتينهم بجنود لا طاقة لهم بها وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة اي لا يقدروا
ان يقابلوهم وقرا ابن مسعود لا قبل لهم بهم ولنخرجنهم منها اذلة والذل ان يذهب عنهم ما كانوا فيه
من العز والملك والصغار ان يقعوا في اسر واستعباد ولا يقتصر بهم على ان يرجعوا سوقة بعد ان
كانوا ملوكا

قوله تعالى

قال يا ايها الملؤا ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين قال عفريت من
الجن انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك واني عليه لقوي امين قال الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به
قبل ان يرتد اليك طرفك فلما راه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني ااشكر ام اكفر ومن شكر فانما يشكر
لنفسه

لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم اعلم ان في قوله تعالى قال يا ايها الملؤا ايكم ياتيني بعرشها دلالة
على انها عزمت على اللحوق بسليمان ودلالة على ان امر ذلك العرش كان مشهورا فاحب ان يحصل عنده قبل
حضورها واختلفوا في غرض سليمان من احضار ذلك العرش على وجوه احدها ان المراد ان يكون ذلك دلالة
لبلقيس على قدرة الله تعالى وعلى نبوة سليمان عليه السلام حتى تنضم هذه الدلالة الى سائر الدلائل التي سلفت
وثانيها اراد ان يغير ذلك العرش بنفسه وينكر ثم يعرض عليها حتى انها هل تعرفه او تنكره والمقصود
اختبار عقلها وبين تعالى بقوله نكروا لها عرشها ننظر اتهتدي كالدلالة على ذلك وثالثها
قتادة اراد ان ياخذه قبل اسلامها لعلمه انها اذا اسلمت لم يحل له اخذها ورابعها ان العرش سرير
المملكة فاراد ان يعرف مقدار مملكتها قبل وصولها اليه اما قوله قال عفريت من الجن فالعفريت من الرجال
الخبيث المنكر الذي يعفر اقرانه ومن الشياطين الخبيث المارد اما قوله قبل ان تقوم من مقامك
فالمعنى من مجلسك ولم يرد منه من عادة معلومة يحتمل ان يوقت فقيل المراد مجلس الحكم بين الناس و
قيل الوقت الذي يخطب فيه الناس وقيل الى انتصاف النهار واما قوله لقوي اي على حمله امين اي امين ان اتيه
كما هو لا اختزل منه شيئا اما قوله قال الذي عنده علم من الكتاب ففيه بحثان الاول اختلفوا في ذلك
الشخص على قولين قيل كان من الملائكة وقيل كان من الانس فمن قال بالاول اختلفوا فقيل هو جبريل وقيل
هو ملك ايد الله به سليمان ومن قال بالثاني اختلفوا على وجوه احدها قول ابن لهيعة انه الخضر عليه
السلم وثانيها هو المشهور من قول ابن عباس انه آصف بن برخيا وزير سليمان وكان صديقا يعلم الاسم
الاعظم اذا دعا به اجيب وثالثها قول قتادة رجل من الانس كان يعلم اسم الله الاعظم ورابعها قول ابن زيد
كان رجلا صالحا في جزيرة البحر خرج ذلك اليوم ينظر الى سليمان وخامسها بل هو سليمان نفسه والمخاطب هو
العفريت الذي كلمه واراد سليمان اظهار معجزة فتحداهم اولا ثم بين للعفريت انه يتاتى له من سرعة
الاتيان بالعرش ما لا يتهيا للعفريت وهذا القول اقرب لوجوه الاول ان لفظة الذي موضوعة في اللغة
للاشارة الى شخص معين عند محاولة تعريفه بقصة معلومة والشخص المعروف بانه عنده علم الكتاب
هو سليمان عليه السلم فوجب انصرافه اليه انتهى ما في الباب انا نقول كان آصف ايضا كذلك لكنا نقول ان سليمان
كان اعرف بالكتاب منه لانه هو النبي فكان صرف هذا اللفظ الى سليمان اولى الثاني ان احضار العرش في
تلك الساعة اللطيفة درجة عالية فلو حصلت لآصف دون سليمان لاقتضى ذلك تفضيل آصف على سليمان وانه
غير جائز الثالث ان سليمان عليه السلم لو افتقر في ذلك الى آصف لاقتضى ذلك قصور حال سليمان في اعين الخلق
الرابع ان سليمان قال هذا من فضل ربي ليبلوني ااشكر ام اكفر وظاهره يقتضي ان ذلك المعجز قد
اظهره الله بدعاء سليمان البحث الثاني اختلفوا في الكتاب فقيل اللوح المحفوظ والذي عنده علم منه جبريل
عليه السلم وقيل كتاب سليمان او كتاب بعض الانبياء ومعلوم في الجملة ان ذلك مدح وان لهذا الوصف اثرا في نقل
ذلك العرش فلذلك قالوا انه الاسم الاعظم وانه عنده وقعت الاجابة من الله تعالى في اسرع الاوقات
اما قوله تعالى انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك ففيه بحثان الاول آتيك في الموضعين يجوز ان يكون فعلا
واسم فاعل اما انه اختلفوا في قوله قبل ان يرتد اليك طرفك على وجهين الاول انه اراد المبالغة في السرعة
كما تقول لصاحبك افعل ذلك في لحظة وهذا قول مجاهد الثاني ان نجريه على الظاهر فالطرف
تحريك الاجفان عند النظر فاذا فتحنا الجفن فقد يتوهم ان نور العين امتد الى المرئي واذا غمضنا الجفن
فقد يتوهم ان ذلك النور ارتد الى العين فهذا هو المراد من ارتداد الطرف وهاهنا سؤال ... انه
كيف يجوز والمسافة بعيدة ان ينقل العرش في هذا القدر من الزمان وهذا يقتضي اما القول
بالطفرة او حصول الجسم الواحد دفعة واحدة في مكانين جوابه ان المهندسين قالوا كرة الشمس

كره لها ضيابة وأربعة وستين مرة لمدات زمان طلوعها زمان وغيرها فإذا قسمنا زمان طلوع تمام القرص
على زمان الساعة الذي [illegible] كانت اللمحة [illegible] إمكانات وجود هذه الحركة السريعة
وثبت أنه تعالى قادر على كل الممكنات زال السؤال ثم إنه عليه السلام لما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي
ليبلوني أأشكر أم أكفر [illegible] ثم إنه عليه السلام بين أن نفع الشكر عائد إلى الشاكر
لا إلى الله تعالى أما أنه عائد إلى الشاكر فلوجوه أحدها أنه يخرج عن عهدة ما وجب عليه من الشكر
وثانيها أنه يستمد به المزيد على ما قال لئن شكرتم لأزيدنكم وثالثها أن المشتغل بالشكر مشتغل بالمنعم
والموصوف [illegible] مشتغل باللذات الحسية وفرق ما بينهما كفرق ما بين المنعم والنعمة في الشرف وأما
ومن كفر فإن ربي غني كريم عن شكره لا يضره ذلك الكفران [illegible] نفعه عنه بسبب إعراضه
عن الشكر **قوله تعالى** قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين
لا يهتدون [illegible] قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين وصدها
ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين اعلم أن قوله نكروا معناه اجعلوه
متنكرا متغيرا عن شكله كما يتنكر الرجل للناس لئلا يعرفوه [illegible]
[illegible] وكان الأولى [illegible] على ثبات عقلها [illegible]
[illegible] أن سليمان عليه السلام [illegible] عقل [illegible] يتزوجها [illegible]
على وجه الحسد [illegible] أما قوله ننظر فهو [illegible] بالجزم على الجواب [illegible]
[illegible] واختلفوا في [illegible] أتعرفه
[illegible] بنبوة سليمان [illegible]
عليه السلام [illegible] نبوته [illegible]
[illegible] الله تعالى [illegible] سليمان عليه السلام [illegible]
[illegible] أما قوله أهكذا عرشك [illegible] حرف التنبيه وكاف التشبيه واسم الإشارة
[illegible] ولم تقل هو هو [illegible]
[illegible] ثم قالت [illegible] وأوتينا العلم من قبلها [illegible]
[illegible] هذا الكلام [illegible] سليمان وقومه
[illegible] ظاهر سليمان وقومه قالوا إنها
[illegible] ثم عطفوا على ذلك وأوتينا العلم بالله وبقدرته
قبل علمها ولم نزل على دين الإسلام شكرا لله تعالى على أن خصهم بمزية التقدم في الإسلام [illegible]
[illegible] العلم بالله [illegible] قبل هذه المعجزة أو قبل هذه الحالة
ثم إن قوله وصدها ما كانت تعبد [illegible] أما قوله تعالى وصدها ما كانت
تعبد من دون الله [illegible] المراد وصدها [illegible] عن الإيمان [illegible]
الله أو سليمان عما كانت تعبد [illegible]
[illegible] أي وصدها الله [illegible]
المتقدم [illegible]
[illegible]
[illegible] **قوله تعالى**
[illegible] قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد من قوارير قالت رب إني ظلمت
نفسي

نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين اعلم أنه تعالى لما حكى إتيانها على الكرسي مع كل ما تقدم من الدلائل
ذكر أن سليمان أظهر من الأمر ما صار داعيا لها إلى الإسلام وهو قوله قيل لها ادخلي الصرح والصرح القصر [illegible]
[illegible] وقيل صحن الدار [illegible] وجهه [illegible] الوليد و
الممرد الأملس [illegible] ولذلك [illegible] قصر من زجاج أبيض كالماء [illegible]
والتي فيه السمك [illegible] ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الإنس والجن والطير وإنما فعل ذلك
ليزيدها استعظاما لأمره وتحقيقا لنبوته [illegible] الجن كرهوا أن يتزوجها فتفضي إليه بأسرارهم لأنها
كانت بنت جنية وقيل خافوا أن يولد منهما ولد [illegible] له فطنة الجن والإنس فيخرجون من ملك سليمان إلى
ملك هو أشد [illegible] إن في عقلها نقصانا وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر حمار فاختبر سليمان عقلها بتنكير
العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها ومعلوم من حال الزجاج الصافي أنه يكون كالماء فلما أبصرت ذلك ظنته
ماء راكدا فكشفت عن ساقيها لتخوضه فإذا هي أحسن الناس ساقا وقدما [illegible] من يقول يتزوجها
[illegible] كان المقصود من الصرح تهويل المجلس وتعظيمه وحصل كشف الساق على سبيل التبع فلما قيل لها إنه صرح ممرد من قوارير
سترت ساقيها وعجبت من ذلك واستدلت به على التوحيد والنبوة فقالت رب إني ظلمت نفسي فيما تقدم بالثبات
على الكفر [illegible] وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين وقيل حسبت أن سليمان يغرقها في اللجة فقالت ظلمت
نفسي بسوء ظني بسليمان واختلفوا في أنه هل تزوجها أو لا وأنه تزوجها في هذه الحالة أو قبل أن كشفت عن
ساقيها والأظهر من كلام الناس أنه تزوجها وليس لذلك ذكر في الكتاب [illegible] بصحته [illegible] ابن عباس
[illegible] اختار [illegible] ملكها [illegible] مع سلطاني [illegible]
[illegible] كذلك فتزوجها [illegible] إياه ثم ردها إلى اليمن [illegible]
العصمة [illegible] قصة صالح عليه السلام **قوله تعالى** ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا
أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله
لعلكم ترحمون قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون وكان في المدينة
تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله
وإنا لصادقون ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم
وقومهم أجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون وأنجينا الذين آمنوا وكانوا
يتقون قوله أن اعبدوا الله [illegible] فإذا هم فريقان يختصمون [illegible] ولا أن
أحدهما [illegible] كانوا [illegible] قوم صالح قبل أن يؤمن منهم أحد أما قوله يختصمون
فالمعنى [illegible] لأنهم [illegible] إذا كان كذلك فلا بد أن يكون [illegible]
[illegible] في باب الدين [illegible] الجدال [illegible]
[illegible] أما قوله يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة [illegible] السيئة
قبل الحسنة [illegible] [illegible] ثم علمهم صالح بالعذاب
فقالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين [illegible] لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة
والمراد أن الله تعالى قد مكنكم من التوصل إلى رحمة الله وثوابه فلماذا تعدلون عنه إلى استعجال عذابه
[illegible] أن العقوبة التي يعدها صالح [illegible]
[illegible] صالح [illegible] لولا تستغفرون
الله قبل نزول العذاب [illegible]
وبالحسنة الثواب [illegible] العقاب [illegible]

في كونه مكروها واما وصف الرحمة بانها حسنة فمنهم من قال انه حقيقة ومنهم من قال انه مجاز والاول اقرب ثم
ان صالحا عليه السلام لما قرر هذا الكلام الحق اجابوه بكلام فاسد وهو قولهم اطيرنا بك [illegible]
[illegible]

قوله تعالى

[illegible]

[illegible]

قوله تعالى

[illegible]

قوله تعالى

[illegible]

قوله تعالى

[illegible]

كان حكيما حكيمه فاعلم انه تعالى ذكر من منافع الارض اربعة المنفعة الاولى كونها قرارا وذلك لوجوه
الاول انه دحاها وسواها للاستقرار الثاني انه تعالى جعلها متوسطة في الصلابة والرخاوة فليست في
الصلابة كالحجر الذي يتألم الانسان بالاضطجاع عليه وليست في اللين كالماء الذي يغوص فيه الثالث انه تعالى
جعلها كثيفة غبراء ليستقر عليها النور ولو كانت لطيفة لما استقر النور عليها ولو لم يستقر النور عليها لو [illegible]
النور عليها لصارت من غاية بردها بحيث تموت الحيوانات الرابع انه سبحانه جعل الشمس بسبب ميل مدارها
عن مدار منطقة الكل بحيث ترتفع تارة وتنخفض اخرى من سمت الراس ولولا ذلك لما اختلفت الفصول ولما
حصلت المنافع الخامس انه سبحانه وتعالى جعلها ساكنة فانها لو كانت متحركة لكانت اما متحركة على الاستقامة
او على الاستدارة وعلى التقديرين لم يحصل الانتفاع بالسكنى على الارض السادس انه سبحانه جعلها كفاتا للاحياء و
الاموات وانه يطرح عليها كل قبيح ويخرج منها كل مليح المنفعة الثانية للارض قوله وجعل خلالها انهارا
فاعلم ان اقسام المياه المنبعثة عن الارض اربعة الاول مياه العيون السيالة وهي تنبعث من ابخرة
كثيرة المادة قوية الاندفاع تفجر الارض بقوة ثم اتصل بتتابع جريها الثاني مياه العيون
الراكدة وهي تحدث من الابخرة التي بلغت من قوتها ان انبعثت الى وجه الارض ولم يبلغ من قوتها ومادتها ان يطرد
تاليها سابقها الثالث مياه القنى والآبار وهي متولدة عن ابخرة ناقصة القوة عن ان تشق الارض فاذا
ازيل عن وجهها ثقل التراب صادفت حينئذ تلك الابخرة منفذا تندفع اليه بادنى حركة الرابع مياه الارض وهي
شبيهة بمياه الانهار الا انه لم يجعل لها سيل الى موضع يسيل اليه ونسبة القنى الى الابار نسبة العيون السيالة الى
العيون الراكدة فقد ظهر انه لولا صلابة الارض لما اجتمعت تلك الابخرة في باطنها ولولا اجتماعها في باطنها لما حدثت
من العيون في ظاهرها المنفعة الثالثة للارض قوله وجعل لها رواسي والمراد منها الجبال فنقول
[illegible] والتحقيق [illegible] المعدنيات انما تتكون في الجبال او فيما يقرب منها اما العيون فلان الارض اذا كانت
رخوة نشفت الابخرة عنها فلا يجتمع منها قدر يعتد به فاذا [illegible] الابخرة لا تجتمع الا في الارض الصلبة والجبال
اصلب اجزاء الارض فلا جرم كانت اقوى الاجزاء على حبس هذا البخار حتى يجتمع ما يصلح ان يكون مادة للعيون ويشبه ان يكون
مستقر الجبل مملوءا ماء ويكون الجبل في حقنه الابخرة مثل الانبيق الصلب المعد للتقطير لا يدع شيئا من البخار
يتحلل ونفس الارض التي تحته كالقرعة والعيون كالاذناب والبخار كالقوابل ولذلك كان اكثر العيون انما تنفجر
من الجبال واقلها في البراري وذلك الاقل لا يكون الا اذا كانت الارض صلبة واما ان اكثر السحب يكون في الجبال
فلوجوه ثلثة احدها ان في باطن الجبال من النداوة ما لا يكون في باطن الارض الرخوة وثانيها ان الجبال بسبب
ارتفاعها ابرد فلا جرم يبقى على ظاهرها من الانداء ومن الثلوج ما لا يبقى على ظاهر سائر الارض وثالثها
ان الابخرة الصاعدة تكون محبوسة بالجبال فلا تتفرق ولا تتحلل واذا ثبت ذلك ظهر ان اسباب كثرة السحب في
الجبال اكثر لان [illegible] والسبب المحلل وهو الحر اقل فلذلك كانت
السحب في الجبال اكثر واما المعدنيات المحتاجة الى ابخرة يكون احتباسها بالارض صلبة [illegible]
جدا والى مكث طويل [illegible] المنفعة الرابعة للارض قوله
وجعل بين البحرين حاجزا والمقصود منه ان لا يفسد العذب بالاختلاط وايضا فلكي ينتفع [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

ما منها

ما منها التي تواريخ المنقولة [illegible] لان استمداد البحر في الاكثر من الانهار والانهار يستمد في الاكثر من العيون
واما مياه الآبار [illegible] الى العيون والمياه [illegible] اهلها في بقاع ولعله باعيانها
[illegible] تتغير وكثيرا ما [illegible] والانهار ينصرف بسبب
ذلك [illegible] البحار [illegible] الجوانب ثم انه سبحانه
لما بين انه [illegible] على خلق الارض [illegible] المنافع الجليلة [illegible]
[illegible] النوع الثالث [illegible] احتياج
الخلق اليه سبحانه من **قوله تعالى** امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض
اءله مع الله قليلا ما تذكرون اعلم انه سبحانه [illegible] قوله امن يجيب المضطر اذا دعاه
قال صاحب الكشاف الضرورة الحالة المحوجة الى الالتجاء والمضطر [illegible] الى اللجا والفاعل
والمفعول مضطر واعلم ان المضطر هو الذي [illegible] الى التضرع الى
الله تعالى [illegible] بقوله
يجيب المضطر اذا دعاه وكم من مضطر يدعو فلا يجاب [illegible] اصول الفقه ان المفرد المعرف
لا يفيد العموم وانما يفيد الماهية فقط والحكم المثبت للماهية يكفي في صدقه ثبوته في فرد واحد من افراد
الماهية وايضا فانه تعالى وعد بالاستجابة ولم يذكر انه يستجيب في الحال وتمام القول في شرائط الدعاء
[illegible] مذكور في قوله تعالى [illegible] ادعوني استجب لكم فاما قوله ويكشف السوء فهو كالتفسير للاستجابة
فانه لا يقدر احد على كشف ما دفع اليه من فقر الى غنى ومرض الى صحة وضيق الى سعة الا القادر الذي لا يعجز
والقاهر الذي لا ينازع واما قوله ويجعلكم خلفاء الارض فالمراد توارثهم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن
واراد بالخلافة الملك والتسلط وقرئ يذكرون بالياء مع الادغام وبالتاء مع الادغام والحذف وما مزيدة
اي يذكرون تذكرا قليلا والمعنى نفي التذكر والقلة تستعمل في معنى النفي النوع الرابع ما يتعلق ايضا
باحتياج الخلق ولكنه حاجة خاصة في وقت خاص **قوله تعالى** امن يهديكم في ظلمات البر والبحر
ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته اءله مع الله تعالى الله عما يشركون اعلم انه تعالى بين في هذه الاية
[illegible] فقوله امن يهديكم والمراد يهديكم بالنجوم في السماء وبالعلامات في الارض اذا جن الليل عليكم
مسافرين في البر والبحر الثاني قوله ومن يرسل الرياح فانه سبحانه هو الذي يحرك الرياح فينشئ السحاب ثم
يسوقه الى حيث يشاء فان قيل [illegible] الرياح انما تتولد
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

الثالثة نوقف الولي يتنقل ذلك فلاجل هذا السبب تحرك الى سائر الجوانب واعلم ان اهل الاسلام ههنا مقامين

الاول ان تقسم الدلالة على ثبات وهو العلة وبيانه من وجهين الاول ان احجار الصغار به ارضية فهي اثقل من الهواء

التجاريب المائية ثم ان البخار لما برد نزل على الخط المستقيم ... فلما ادام يقدر على الخط

المستقيم بل ... الثاني ان حركة تلك الاجزاء الى السفل طبيعية وحركتها عنه ... قسرية عرضية

والطبيعية اقوى من العرضية ... من المساواة ثم ان الريح عندما حركتها ...

... الجبال ... الدخانية عندما حركت حركتها الطبيعية التي هي الحركة

الى السفل وحصل ... السقف ولكنا نرى الغبار الكثير ... على السقف ...

... المقام الثاني ... ان الامر كما ذكرتم ولكن ... الفاعلية والقابلية

[illegible]

قوله تعالى

[illegible]

قوله تعالى

[illegible]

بل ادرك

[illegible]

قوله تعالى

[illegible]

فيها وكان سبب ذلك اعراضهم حب الدنيا وحب الرياسة والجاه وعلمهم ان الانقياد للغير احرام انفسهم [illegible] ان الدنيا فانية
ثم انه تعالى قال قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين [illegible] السوال الاول لم لم تقل كيف كانت عاقبة
المجرمين جوابه ان تانيثها غير حقيقي ولان المعنى كيف كان آخر امرهم السوال الثاني لم لم تقل عاقبة الكافرين
جوابه الغرض ان يحصل التخويف لكل العصاة ثم انه تعالى سلى رسوله عليه السلام [illegible] الكفار فقال ولا تحزن
عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون فجمع بين ازالة الغم عنه بكفرهم وبين ازالة الخوف من جانبهم وصار ذلك كالتكفل
بنصرته عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون [illegible] يقال ضاق الشيء ضيقا وضيقا بالفتح والكسر والضيق تخفيف
الضيق ويجوز ان يراد في امر ضيق من مكرهم الوجه الثاني الكفار قولهم متى هذا الوعد وقوله ان كنتم صادقين
دل على انهم قالوا ذلك على سبيل السخرية فاجاب الله تعالى بقوله عسى ان يكون ردف لكم بعض عذاب يوم بدر
زيدت اللام للتاكيد كالباء في ولا تلقوا بايديكم او ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم وازف لكم
ومعناه تبعكم ولحقكم وقرا الاعرج ردف لكم بوزن ذهب وهما لغتان والكسر افصح وههنا بحثان الاول
ان عسى ولعل في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الامر وانما يعنون بذلك اظهار الوقار وانهم لا يعجلون
بالانتقام لوثوقهم بان عدوهم لا يفوتهم فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده البحث الثاني انه قد ثبت بالدلائل العقلية
ان عذاب الحجاب اشد من عذاب النار ولكن كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم
فقدم الحجاب على الجحيم ثم انهم كانوا محجوبين في الحال [illegible] حاصلا الا ان الاشتغال بالدنيا
ولذاتها كالعائق عن ادراك ذلك الالم كما ان العضو الخدر اذا مسته النار فان سبب الالم حاصل في الحال
لكنه لا يحصل الشعور بذلك الالم لقيام العائق فاذا زال العائق عظم البلاء فكذا ههنا اذا زال البدن عظم
عذاب الحجاب فقوله سبحانه عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون يعني [illegible] حاصل
وتمامه انما يحصل بعد الموت ثم انه سبحانه بين انه لم يعجل العذاب بفضله وان ربك لذو فضل على الناس
والفضل الافضال ومعناه انه متفضل عليهم بتاخير العقوبة ولكن اكثرهم لا يعرفون هذه النعمة ولا يشكرونه
هذه الاية تدل على انه لا نعمة لله على الكفار ثم بين سبحانه انه مطلع على ما في قلوبهم فقال وان ربك
ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وههنا بحث عقلي وهو انه قدم ما تكن صدورهم على ما يعلنون في العلم
والسبب فيه ان ما تكن صدورهم هو الدواعي والقصود التي هي اسباب لما يعلنون وهي افعال الجوارح والعلم بالعلة
علة العلم بالمعلول فلهذا السبب ذلك التقديم قرئ تكن يقال كننت الشيء واكننته اذا سترته واخفيته
يعني انه تعالى يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة الرسول ومكائدهم اياه وهو معاقبهم عليه ثم قال
[illegible] سمي الشيء الذي يغيب ويخفى غائبة وخافية فكانت التاء فيهما بمنزلتها في العاقبة
والعافية والنطيحة والذبيحة والرمية في انها اسماء غير صفات ويجوز ان يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة
كالراوية في قولهم ويل للشاعر من راوية السوء كانه تعالى قال وما من شيء شديد الغيبوبة والخفاء
الا وقد علمه الله واحاط به واثبته في اللوح والمبين الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة **قوله**
تعالى ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وانه لهدى ورحمة للمؤمنين
ان ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم فتوكل على الله انك على الحق المبين انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم
الدعاء اذا ولوا مدبرين وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن باياتنا فهم مسلمون اعلم
انه سبحانه لما تمم الكلام في اثبات المبدا والمعاد ذكر بعده ما يتعلق بالنبوة ولما كان العمدة الكبرى في اثبات
نبوة محمد عليه السلام هو القرآن لا جرم بين الله تعالى اولا كونه معجزا من وجوه احدها ان الاقاصيص المذكورة
في القرآن موافقة لما كان مذكورا في التوراة والانجيل مع العلم بانه عليه السلام كان اميا وانه لم يخالط العلماء
من العلماء ولم يشتغل قط بالاستفادة والتعلم فاذا لا يمكن ذلك الا من قبل الله تعالى واختلفوا فقال بعضهم

اراد

149

اراد به ما اختلفوا فيه وتناقضوا وتناكروا ان اراد به ما حرفه بعضهم وقال بعضهم بل اراد به اخبار الانبياء وال
اقرب وانهما بوصفه وانه لهدى ورحمة للمؤمنين وكذلك لبعض الناس [illegible] انا لما تاملنا في القرآن فوجدنا
فيه من الدلائل العقلية على التوحيد والحشر والنبوة وشرح صفات الله وبيان نعوت جلاله ما لم نجده في شيء من الكتب
ووجدنا ما فيه من الشرائع مطابقة للعقول موافقة لها ووجدناه مبرا عن التناقض والتهافت فكان هدى
ورحمة من هذه الجهات ووجدنا القوى البشرية قاصرة عن جمع كتاب على هذا الوجه فعلمنا انه ليس الا من عند
الله تعالى فكان القرآن معجزا من هذه الجهة [illegible] انه هدى ورحمة للمؤمنين لبلوغهم في الفصاحة الى حيث
عجزوا عن معارضته وذلك معجز ثم انه تعالى لما بين كونه معجزا دالا على الرسالة ذكر بعده [illegible]
قوله ان ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم والمراد ان القرآن وان كان يقص على بني اسرائيل الذي يختلفون
فيه لكن لا تكن انت في قلبهم فان قد تركه مع الله يقضي بينهم اي بين المصيب والمخطئ منهم وذلك كالزجر
للكفار فلذلك قال وهو العزيز العليم اي القادر الذي لا يمنع والعليم بما يحكم فلا يكون الا الحق فان قيل القضاء والحكم
شيء واحد فقوله يقضي بحكمه كقوله يقضي بقضائه ويحكم بحكمه والجواب معنى قوله بحكمه اي بما يحكم به وهو عدله
لانه لا يقضي الا بالعدل او اراد بحكمه [illegible] ثم [illegible] انه تعالى [illegible]
رسالته بان يتوكل على الله ولا يلتفت الى اعداء الله ويشرع في تمشية مهمات الرسالة فقال فتوكل
على الله ثم علل ذلك بامرين احدهما قوله انك على الحق المبين وفيه بيان ان المحق حقيق بنصرة الله وانه لا يخذل
والثاني قوله انك لا تسمع الموتى ولما حسن جعله سببا للامر بالتوكل وذلك لان الانسان ما دام يطمع في احد شيئا
فانه لا يقوى قلبه في اظهار مخالفته فالله سبحانه قطع طمع محمد عليه السلام بان بين انهم كالموتى وكالصم وكالعمي
فلا يفهمون ولا يسمعون ولا يبصرون ولا يلتفتون الى شيء من الدلائل وهذا سبب لقوة قلبه عليه السلام على اظهار
[illegible] اذا ولوا مدبرين [illegible] تاكيد لحال الاصم لانه اذا تباعد عن الداعي
بان تولى عنه مدبرا كان ابعد عن ادراك صوته اما قوله تعالى ان تسمع الا من يؤمن باياتنا فالمعنى ما يجدي
سماعك الا على الذين علم الله انهم يؤمنون باياته اي يصدقون بها فهم مسلمون اي مخلصون من قوله بلى من
اسلم وجهه لله يعني جعله سالما لله خالصا له **قوله تعالى** واذا وقع القول عليهم اخرجنا
لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون ويوم نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب باياتنا فهم
يوزعون حتى اذا جاءوا قال اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها علما اماذا كنتم تعملون ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم
لا ينطقون الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون اعلم
انه تعالى بين بما تقدم من الدلائل [illegible] كمال القدرة وكمال العلم ثم فرع عليها القول بامكان الحشر ثم بين [illegible]
القرآن معجز ثم فرع عليه نبوة محمد عليه السلام لم يتكلم الآن في مقدمات قيام القيامة وانما اخر هذا الكلام عن هذا
الباب عن اثبات النبوة لان هذه الاشياء لا يمكن معرفتها الا بقول النبي الصادق وهذا هو النهاية في
هذا الترتيب فاعلم انه تعالى ذكر تارة ما يكون كالعلامة لقيام القيامة وتارة الامور التي تقع عند
قيام القيامة فذكر اولا من علامات القيامة دابة الارض والناس تكلموا في امور منها في مقدار جسمها
وفي الحديث ان طولها ستون ذراعا وروي ايضا ان راسها تبلغ السحاب وروي عن ابي هريرة ما بين
قرنيها فرسخ للراكب وثانيها في كيفية خلقتها فروي لها اربع قوائم وزغب وريش وجناحان وعن ابن
جريج في وصفها راس ثور وعين خنزير واذن فيل وقرن ايل وصدر اسد ولون نمر وخاصرة بقر
وذنب كبش وخف بعير وثالثها في كيفية خروجها عن علي انها تخرج ثلاثة ايام والناس ينظرون فلا يخرج
الا ثلثها وعن الحسن لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة ايام ورابعها في موضع خروجها سئل النبي صلى الله عليه وسلم من اين تخرج
الدابة فقال من اعظم المساجد حرمة على الله تعالى المسجد الحرام وقيل تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية وخامسها

ثم عدوهم فيها فرس لها تخرج ثلث مرات تخرج باقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهرا طويلا
فبينا الناس في اعظم المساجد حرمة واكرمها على الله تعالى يعني المسجد الحرام لم يرعهم الا وهي ترغو بين الركن حذاء دار بني مخزوم
عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون واعلم ان الله تعالى لم يدل في الكتاب على هذه الامور فان صح
الخبر فيه عن الرسول قبل والا لم يلتفت اليه اما قوله تعالى واذا وقع القول عليهم فالمراد من القول متعلقه
وهو ما وعدوا به من قيام الساعة ووقوعه حصوله والمراد مشارفة الساعة وظهور اشراطها اما قوله دابة
من الارض فقد عرفت [illegible] اما قوله تكلمهم فقرئ تكلمهم من الكلم وهو الجرح وروي انها تخرج من الصفا ومعها عصا
موسى وخاتم سليمن فتضرب المؤمن [illegible] بين عينيه بعصا موسى فتنكت نكتة بيضاء فتفشو تلك
النكتة في وجهه حتى يبيض بها وجهه وتنكت الكافر في انفه فتفشو النكتة حتى يسود بها وجهه واعلم
انه يجوز ان تكلمهم من الكلم انما على معنى التكثير يقال فلان مكلم اي مجرح وقرئ انّ تنبئهم وتنزل
ابن مسعود تكلمهم ان الناس [illegible] فكيف تقول بآياتنا جوابه ان قولها
حكاية لقول الله تعالى او على معنى بآيات ربنا او لاختصاصها بالله اضافت آيات الله الى نفسها كما تقول
بعض خاصة الملك خيلنا وبلادنا وانما هي خيل مولاه وبلاده ومن قرأ بالفتح فعلى حذف الجار
اي تكلمهم بان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون اما قوله ويوم نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب
بآياتنا فاعلم ان هذا من الامور الواقعة بعد قيام القيامة والفرق بين من الاولى والثانية ان الاولى
للتبعيض والثانية للتبيين كقوله من الاوثان اما قوله فهم يوزعون معناه يحبس اولهم على آخرهم
حتى يجتمعوا فيكبكبوا في النار وهذه عبارة عن كثرة العدد وتباعد اطرافه كما وصفت جنود سليمن
[illegible] قوله [illegible] اكذبتم بآياتي فهذا ان احتمل معجزات الرسل كانا له [illegible] فالمراد وكل الآيات
فيدخل فيه سائر الكفار الذين كذبوا بآيات الله [illegible] اما قوله ولم تحيطوا بها علما فالواو
للحال كانه قال اكذبتم بها بادي الرأي من غير فكر ولا نظر يؤدي الى احاطة العلم بكنهها
اما قوله اما ذا كنتم تعملون فالمراد لما لم تشتغلوا بذلك العمل المهم فاي شيء كنتم تعملونه بعد ذلك
كانه قال كل عمل سواه فكانه ليس بعمل ثم قال ووقع القول عليهم يريد ان العذاب الموعود يغشاهم
بسبب تكذيبهم بآيات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار كقوله هذا يوم لا ينطقون ثم انه سبحانه
بعد ان خوفهم باحوال القيامة ذكر كلاما يصلح ان يكون دليلا على التوحيد وعلى الحشر وعلى النبوة مبالغة
في الارشاد الى الايمان والمنع من الكفر فقال الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا
اما وجه دلالته على التوحيد فلما ظهر في العقول ان التقلب من النور الى الظلمة ومن الظلمة الى النور
لا يحصل الا بقدرة قاهرة عالية واما دلالته على الحشر فلانه لما ثبتت قدرته تعالى في هذه الصورة
على القلب من النور الى الظلمة وبالعكس فاي امتناع في ثبوت قدرته على القلب من الحياة الى الموت مرة
ومن الموت الى الحياة اخرى واما وجه دلالته على النبوة فانه تعالى يقلب الليل والنهار لمنافع المكلفين
وفي بعثة الانبياء والرسل الى الخلق منافع عظيمة فما المانع في بعثتهم الى الخلق لاجل تحصيل تلك المنافع
فقد ثبت ان هذه النكتة الواحدة كافية في اقامة الدلالة على تصحيح الاصول الثلاثة التي منها [illegible]
واستحقاقهم العذاب ثم في الآية سؤالات الاول ما السبب في ان جعل الابصار للنهار وهو لاهله
جوابه تنبيها على كمال هذه الصفة فيه الثاني لم قال جعل الليل ليسكنوا فيه ولم يقل والنهار
لتبصروا فيه جوابه لان السكون في الليل هو المقصود من الليل واما الابصار في النهار فليس هو المقصود
بل هو وسيلة الى جلب المنافع الدينية والدنيوية اما قوله ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون فخص المؤمنين
بالذكر لانها كانت ادلة للكل من حيث اختصوا بالقبول ولا امتناع على ما تقدم في نظائره **قوله تعالى**

ويوم

ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الارض الا من شاء الله وكل اتوه داخرين هذا هو العلامة الثانية لقيام
القيامة اما قوله ينفخ في الصور ففيه وجوه احدها انه شيء شبيه بالقرن وان اسرافيل عليه السلام ينفخ فيه بامر الله تعالى
فاذا سمع الناس ذلك الصوت [illegible] تحتمله طبايعهم يفزعون عنده ويصعقون ويموتون وهو كقوله تعالى
فاذا نقر في الناقور وهذا قول الاكثرين وثانيها يجوز ان يكون تمثيلا لانبعاث الموتى فان خروجهم من قبورهم كخروج الجيش
عند سماع صوت الآلة وثالثها ان الصور جمع الصورة وجعلوا النفخ فيها نفخ الروح والاول اقرب لدلالة الظاهر عليه
ولا مانع منه اما قوله ففزع من في السموات ومن في الارض فاعلم انه انما قال ففزع ولم يقل فيفزع للاشعار
بتحقق الفزع وثبوته وانه كائن لا محالة لان الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به والمراد فزعهم عند
النفخة الاولى واما قوله الا من شاء الله فالمراد الا من ثبت الله قلبه من الملائكة قالوا هم جبريل وميكائيل واسرافيل
وملك الموت وقيل الشهداء وعن الضحاك الحور وخزنة النار وحملة العرش وعن جابر منهم موسى لانه صعق مرة
ومثله قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله وليس فيه خبر مقطوع به
والكتاب انما يدل على الجملة اما قوله وكل اتوه داخرين فقرئ اتوه وأتاه وداخرين فالجمع على المعنى والتوحيد
على اللفظ والدخور والدخر الصاغر وقيل معنى الاتيان حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية ويجوز ان يراد رجوعهم
الى امره وانقيادهم له **قوله تعالى** وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب
صنع الله الذي اتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون هذا هو العلامة الثالثة لقيام القيامة وهي قوله تعالى
ويوم نسير الجبال والوجه في حسبانهم انها جامدة لان الاجسام الكبار اذا تحركت حركة سريعة على نهج واحد
في السمت والكيفية ظن الناظر اليها انها واقفة مع انها تمر مرا حثيثا اما قوله تعالى صنع الله فهو من المصادر المؤكدة
كقوله وعد الله وصبغة الله الا ان مؤكده محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ والمعنى انه لما قدم ذكر هذه
الامور التي لا يقدر عليها سواه جعل هذا الصنع من جملة الاشياء التي اتقنها واتى بها على الحكمة والصواب
قال القاضي عبد الجبار [illegible] على ان القبائح ليست من خلقه والا وجب وصفها بانها متقنة ولكن
الاجماع مانع منه والجواب ان الاتقان لا يحصل الا في المركبات فيمتنع وصف الاعراض بها **قوله تعالى**
من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون الا
ما كنتم تعملون اعلم انه تعالى لما تكلم في علامات القيامة شرع بعد ذلك في احوال المكلفين بعد قيام القيامة و
المكلف اما ان يكون مطيعا او عاصيا اما المطيع فهو الذي جاء بالحسنة وله امران احدهما ان له خيرا منها وذلك
هو الثواب فان قيل الحسنة التي جاء العبد بها يدخل فيها معرفة الله تعالى والاخلاص في الطاعات و
الثواب انما هو الاكل والشرب فكيف يكون الاكل والشرب خيرا من معرفة الله تعالى جوابه من وجوه
احدها ان ثواب المعرفة النظرية الحاصلة في الدنيا هي المعرفة الضرورية الحاصلة في الآخرة ولذة النظر الى وجهه
الكريم سبحانه وتعالى فقد دلت الدلائل على ان اشرف السعادات هي هذه اللذة ولعل تحمل الآية على ذلك لزم
ان يكون الاكل والشرب خيرا من معرفة الله تعالى وثانيها ان الثواب خير من العمل من حيث ان الثواب
دائم والعمل منقض [illegible] فعل العبد والثواب فعل الله [illegible] فله خير منها اي له خير حاصل من جهتها
[illegible] الجنة السؤال الثاني الحسنة لفظ مفرد [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

من رعب وهيبة وإن كان المحسن يأمن وصول ذلك الضرر إليه كما إذا دخل الرجل على الملك بصدد عتاب ونيل
وحجاب وإن كانت ساعة إعزاز وتكرمة وأما الثاني فالخوف من العذاب أما من قرأ من فزع بالتنوين فهو يحتمل
معنيين من فزع واحد وهو خوف العقاب وأما ما يلحق الإنسان من التهيب والرعب عند مشاهدة الأهوال فلا ينفك
منه أحد وفي الأخبار ما يدل عليه ومن فزع شديد مفرط الشدة لا يكتنهه الوصف وهو خوف النار أمن يعطى
بالحسنات وتنعيمهم كقوله تعالى [illegible] ثم لما شرح حال المطيعين أتبعه شرح حال العصاة فقال ومن جاء
بالسيئة قيل السيئة الإشراك وقوله فكبت وجوههم في النار فاعلم أنه يعبر عن الجملة بالوجه والرأس و
الرقبة فكأنه قيل فكبوا في النار كقوله فكبكبوا ويجوز أن يكون ذكر الوجوه إيذانا بأنهم يكبون على
وجوههم فيها منكوسين أما قوله هل تجزون إلا ما كنتم تعملون فهو على الالتفات وحكاية ما يقال لهم عند
الكب بإضمار القول

قوله تعالى

إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت
أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين وقل الحمد لله
سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون اعلم أنه سبحانه وتعالى لما بين المبدأ والمعاد والنبوة و
مقدمات القيامة وصفة أهل القيامة من أهل الثواب والعقاب وذلك كمال ما يتعلق ببيان أصول الدين ختم
الكلام بهذه الخاتمة اللطيفة فقال قل يا محمد إني أمرت بأشياء الأول أني أمرت بأن أخص الله وحده بالعبادة
ولا أتخذ له شريكا وإن الله تعالى لما قدم دلائل التوحيد فكأنه أمر محمدا بأن يقول لهم هذه الدلائل التي ذكرتها
لزم تقبلكم القول بالتوحيد فقد أفادت لي ذلك فسواء قبلتم هذه الدعوة أو أعرضتم عنها فإني مصر عليها غير
مرتاب ثم إنه وصف الله تعالى بأمرين أحدهما أنه رب هذه البلدة والمراد مكة وإنما اختصها من بين سائر
البلاد بإضافة اسمه إليها لأنها أحب بلاده إليه وأكرمها عليه وأشار إليها إشارة تعظيم لها دالا على أنها موطن
نبيه ومهبط وحيه أما قوله الذي حرمها فمعنى التي حرمها وإنما وصفها بالتحريم لوجوه أحدها أنه حرم فيها
أشياء على من يحج وثانيها أن اللاجئ إليها آمن وثالثها لا ينتهك حرمتها إلا ظالم ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها
وإنما ذكر ذلك لأن العرب كانوا معترفين بكون مكة محرمة وعلموا أن تلك الفضيلة ليست من الأصنام بل من الله تعالى
فكأنه قال لما علمت وعلمتم أنه سبحانه هو المتولي لهذه النعم وجب علي أن أخصه بالعبادة وثانيها وصفه الله تعالى
بقوله وله كل شيء وهذا إشارة إلى ما تقدم من الدلائل المذكورة في هذه السورة على التوحيد من كونه تعالى خالقا لجميع
النعم فأجمل ها هنا تلك المفصلات [illegible] كما إذا وصف بعض الملوك بالعتو [illegible]
فتولات كل العالم له وكل الناس في طاعته الثالث أمرت أن أكون من المسلمين الرابع أمرت أن أتلو القرآن عليهم
ولقد قام بكل ذلك صلوات الله عليه أتم قيام ثم بين [illegible] المسائل الثلاثة المتقدمة من التوحيد والحشر والنبوة
فإنما يهتدي لنفسه أي منفعة اهتدائه راجعة إليه ومن ضل فلا علي وما أنا إلا رسول منذر ثم إنه سبحانه
ختم هذه الخاتمة بغاية الحسن وهي قوله قل الحمد لله على ما أعطاني من نعمة العلم والحكمة والنبوة أو على
ما وفقني من القيام بأداء الرسالة وبالإنذار سيريكم آياته القاهرة فتعرفونها لكن حين لا تنفعكم المعرفة وما ربك
بغافل عما تعملون لأنه من وراء جزاء العاملين

سورة القصص

قوله سبحانه وتعالى بسم الله الرحمن الرحيم

طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون إن فرعون
علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان
من المفسدين ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن
لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون اعلم أن قوله طسم كسائر
التهجي وقد تقدم القول فيها وتلك إشارة إلى آيات السورة والكتاب المبين هو اللوح وأما الكتاب

الذي

الذي وعد الله أن ينزله على محمد فبين أن آيات هذه السورة من آيات ذلك الكتاب ووصفه بأنه مبين لأنه
بين فيه الحلال والحرام أو لأنه بين فصاحته أنه من كلام الله دون كلام العباد أو لأنه بين صدق نبوة محمد
عليه السلام أو لأنه بين خبر الأولين والآخرين أو لأنه بين كيفية التخلص عن شبهات أهل الضلال أما قوله تعالى
نتلو عليك أي يقرأ عليك جبريل عليه السلام لأنه عليه السلام كان يتلو على محمد حتى يحفظه وقوله من نبأ موسى
وفرعون فهو مفعول نتلو أي نتلو عليك بعض خبرهما بالحق كقوله تنبت بالدهن وقوله لقوم
يؤمنون فخصهم لأنه تعالى [illegible] يؤمنون [illegible]
وانتفعوا فهو كقوله هدى للمتقين والثاني يحتمل أنه تعالى علم أن الصلاح في تلاوته مع إيمانهم ويكون
إرادته لمن لا يؤمن كالتبع ثم قوله إن فرعون علا في الأرض [illegible] والكبر أحسن
ومثل العتو [illegible] استكبر وتجبر وتعظم وبغى والمراد به قوة الملك والغلبة
في الأرض يعني أرض مملكته ثم فصل الله تعالى بعض ذلك بقوله وجعل أهلها شيعا أي فرقا يشيعونه
على ما يريد ويطيعونه لا يملك أحد منهم أن يخالفه أو يشيع بعضهم بعضا في استخدامه أو أصنافا في استخدامه
أو فرقا مختلفة قد أغرى الله بينهم العداوة ليكونوا له أطوع ثم المراد ما فسره بقوله يستضعف طائفة
منهم أي يستخدمهم ويذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم [illegible] بقوله يستضعف طائفة منهم
تلك الطائفة بنو إسرائيل وفي سبب ذبح الأبناء وجوه أحدها أن كاهنا قال له يولد مولود في بني إسرائيل
في ليلة كذا يذهب ملكك على يده فولد تلك الليلة اثنا عشر غلاما فقتلهم وعند أكثر المفسرين [illegible]
بني إسرائيل [illegible] القبطي [illegible] موسى [illegible] في هذا دليل على حمق
فرعون فإنه إن صدق الكاهن لم يدفع القتل الكائن وإن كذب فما وجه القتل وهذا السؤال قد يذكر
في تضعيف علم الأحكام وعلم النجوم وتطيره [illegible] فائدة التكليف لو كان قد علم الله [illegible]
[illegible] في الطاعة [illegible] السؤال [illegible]
وأيضا فجواب المنجم أن النجوم دلت على أنه يولد ولد لو لم يقتل لفعل كذا وكذا وعلى هذا [illegible]
[illegible] أن هذا الوجه ضعيف [illegible] الكاهن [illegible] بأنه قد يخبر عن الغيب على سبيل
التفصيل [illegible] الأخبار عن الغيب [illegible] الرسل [illegible] بإجماع المسلمين [illegible]
قول السدي [illegible] المقدس [illegible] القبط
[illegible] إسرائيل [illegible] بني إسرائيل [illegible]
[illegible] الذكور [illegible] الأنبياء [illegible] موسى عليه السلام [illegible]
[illegible] أبناء بني إسرائيل [illegible] يستضعف [illegible]
[illegible] يستضعف [illegible] كان من المفسدين
[illegible] القتل [illegible] وقوله [illegible]
[illegible] على قوله إن فرعون علا في الأرض [illegible] موسى
وفرعون [illegible] حكاية حال ماضية ويجوز أن
يكون حالا من يستضعف أي يستضعفهم فرعون ونحن نريد أن نمن عليهم [illegible] أنهم
وإرادة الله تعالى المنة عليهم [illegible]
[illegible] أئمة [illegible]
[illegible] في الدين والدنيا [illegible] ونجعلهم الوارثين [illegible] وجعلكم ملوكا
ونجعلهم الوارثين [illegible] أما قوله ونمكن لهم في الأرض فاعلم أنه تعالى [illegible]

اذا استعلوه بما كانوا يفعله عليه من قطاه وقبله ونظيره أن حضله ويحيى التمكين لهم في الارض وهي ارض مصر والشام ان ينفذ امرهم
ويطلق ايديهم وقوله ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وقرئ ويرى فرعون وهامان اي يريهم ما كانوا خائفين
منه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود من بني اسرائيل **قوله تعالى** واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه
في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما
كانوا خاطئين وبيانه قوله لا تخافي [illegible] ولا تحزني بسبب فراقه او بسبب قتله او نحو ذلك اعلم انه تعالى
لما بين انه اراد ان يمن على الذين استضعفوا وانه يجعلهم ائمة الكلام من ههنا الى قوله ذكر اوله
فسره بهذه الآية ... اوحينا الى ام موسى ... على ما قاله ان ارضعيه وليس
في الصدر [illegible] ذلك فاذا خفت عليه ان يفطن به جيرانك ويسمعون صوته عند البكاء فالقيه في اليم فان قيل
هب ان الوحي اليها صح فالقيه في اليم والمراد باليم ههنا النيل ولا تخافي ولا تحزني والخوف غم يلحق بسبب مكروه
يتوقع حصوله في المستقبل والحزن غم يلحق بسبب مكروه حصل في الماضي فكأنه قيل ولا تخافي من هلاكه ولا تحزني
بسبب فراقه فانا رادوه اليك لتكوني انت المرضعة له وجاعلوه من المرسلين الى اهل مصر والشام وتمته الاتفاق
في اليم بعد ان ترضعيه في سيرة طى قال ابن عباس ان ام موسى عليه السلم لما تقارب ولادها كانت قابلة من القبط ... وكانت
فرعون ... لام موسى فلما احست بالطلق ارسلت اليها وقالت قد نزل بي ما نزل ولينفعني اليوم
حبك اياي فعالجت القابلة فلما وقع موسى على الارض هالها نور بين عيني موسى فارتعش كل مفصل منها ودخل
حب موسى قلبها فقالت يا هذه ما جئتك الا لقتل مولودك ولكن وجدت لابنك هذا حبا شديدا ... فاحفظي ابنك
فلما خرجت القابلة من عندها ابصرها بعض العيون فجاءوا بابها ليدخلوا على ام موسى فقالت
اخته يا اماه هذا الحرس فلفته في خرقة ووضعته في تنور مسجور وطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع
فدخلوا فاذا التنور مسجور ورأوا ام موسى لم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فقالوا لم دخلت القابلة عليك
قالت انها حبيبة لي دخلت للزيارة فخرجوا من عندها ورجع اليها عقلها فقالت لاخت موسى اين الصبي قالت لا ادري
فسمعت بكاءه في التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار بردا وسلاما فاخذته ثم ان موسى عليه السلم
لما رأت فرعون في طلب الولدان خافت على ابنها فقذف الله في قلبها ان تتخذ له تابوتا ثم تقذف التابوت في النيل
فذهبت الى نجار من اهل مصر فاشترت منه تابوتا فقال لها ما تصنعين به فقالت ابن لي اخبئه فيه وكرهت الكذب
فلما اشتراه ذهب النجار ليخبر به الذباحين فلما هم بالكلام امسك الله لسانه
وجعل يشير بيده فضربوه وطردوه فلما عاد الى موضعه رد الله عليه نطقه فذهب مرة اخرى ليخبرهم به فضربوه
وطردوه فاخذ الله بصره ولسانه فجعل لله تعالى انه ان رد عليه بصره ولسانه فانه لا يدلهم عليه فعلم الله منه
الصدق فرد عليه بصره ولسانه وانطلقت ام موسى والقته في النيل وكانت لفرعون بنت لم يكن له ولد غيرها
وكانت لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها الى فرعون وكان بها برص شديد وكان فرعون قد شاور الاطباء
والسحرة في امرها فقالوا انها لا تبرأ الا من قبل البحر يوجد منه شبه انسان فيؤخذ من ريقه
فيلطخ به برصها فتبرأ من ذلك وذلك في يوم كذا من شهر كذا حين تشرق الشمس فلما كان ذلك اليوم غدا
فرعون الى مجلس كان له على شفير النيل ومعه آسية بنت مزاحم واقبلت بنت فرعون في جواريها
حتى جلست على الشاطئ اذ اقبل النيل بتابوت تضربه الامواج فتعلق بشجرة فقال فرعون ائتوني به
فابتدروه بالسفن من كل جانب حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا
كسره فلم يقدروا عليه فنظرت آسية فرأت نورا في جوف التابوت لم يره غيرها فعالجته ففتحته فاذا
بصبي صغير في مهده واذا نور بين عينيه فالقى الله محبته في قلوب القوم وعمدت ابنة فرعون الى ريقه
فلطخت به برصها فبرأت وضمته الى صدرها فقالت الغواة من قوم فرعون انا نظن ان هذا هو الذي نحذر

منه رمي في البحر فرقا فهم فرعون بقتله فاستوهبته امرأة فرعون واتخذته فتركه قتله اما قوله فالتقطه آل
فرعون فالالتقاط اصابة الشيء من غير طلب والمراد بال فرعون جواريه اما قوله ليكون لهم عدوا وحزنا فالمشهوران
هذه اللام يراد بها العاقبة قالوا والا تقتلوه وقوله وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه ونقيض قوله
البنت عليك محبته ... ونظيره هذه اللام قوله ولقد ذرانا لجهنم وقال الشاعر لدوا للموت وابنوا للخراب
واعلم ان التحقيق ما ذكره صاحب الكشاف ومعنى هذه اللام هو التعليل على سبيل المجاز وذلك ان مقصودهم الذي ودعوه
ما يؤول اليه امرهم فاستعملوا هذه اللام في ما يؤول اليه الشيء على سبيل التشبيه كما اطلق لفظ الاسد على الشجاع والبليد على الحمار
قرأ حمزة والكسائي وحزنا بضم الحاء وسكون الزاي والباقون بالفتح وهما لغتان مثل السقم والسقم اما قوله كانوا خاطئين
فيما كانوا عليه من الكفر والظلم فعاقبهم الله بان ربوا عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على ايديهم وقرئ خاطين تخفيف
خاطئين او خاطين الصواب الى الخطأ وبين تعالى انها التقطته ليكون قرة عين لها وله جميعا قال ابن عباس ان الله
تعالى القى محبته في قلبها لانه كان في وجهه ملاحة كل من رآه احبه ولما فتحت التابوت رأت النور وكانها
لما فتحت التابوت رأته يمتص اصبعه وكانت ابنة فرعون لما لطخت برصها بريقه زال برصها وقالت ما كان لها ولد
فاحبته قال ابن عباس فلما قالت قرة عين لي ولك قال فرعون يكون لك واما لي فلا حاجة لي فيه قال عليه السلم
والذي يحلف به لو اقر فرعون بان يكون له قرة عين كما اقرت لهداه الله كما هداها قال صاحب الكشاف قرة عين
خبر مبتدأ محذوف ولا تقول لا يجعل مبتدأ ولا تقتلوه خبرا ولو نصب لكان اقوى وقراءة ابن مسعود دليل على انه خبر
قرئ لا تقتلوه قرة عين لي ولك وذلك لتقديم لا تقتلوه ثم قالت المرأة عسى ان ينفعنا فنصيب منه خيرا او نتخذه ولدا
لانه اهل للتبني اما قوله وهم لا يشعرون فالمراد المفسرين على انه ابتداء كلام من الله تعالى اي لا يشعرون ان هلاكهم بسببه وهل
به هذا قول مجاهد وقتادة والضحاك ومقاتل وقال ابن عباس يريد لا يشعرون اني افعل ما اريد قال
آخرون هذا من تمام كلام المرأة اي لا يشعر بنو اسرائيل واهل مصر انا التقطناه وهذا قول الكلبي **قوله تعالى**
واصبح فؤاد ام موسى فارغا ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين وقالت لاخته قصيه فبصرت
به عن جنب وهم لا يشعرون ذكروا في قوله واصبح فؤاد ام موسى فارغا وجوها احدها قال الحسن فارغا من كل هم
الا هم موسى وثانيها قال ابو مسلم فراغ الفؤاد هو الخوف والاشفاق لقوله وافئدتهم هواء وثالثها قال صاحب الكشاف
فارغا صفرا من العقل والمعنى انها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها من فرط الجزع والخوف و
رابعها قال الحسن ومحمد بن اسحق فارغا من الوحي الذي اوحينا اليها ان القيه في اليم ولا تخافي ان اراده الله
تجاها الشيطان وقال لها كرهت ان يقتل فرعون ولدك فتكون لك اجره فتوليت انت قتله ولما اتاها خبر موسى
انه وقع في يد فرعون فانساها عظم البلاء ما كان من عهد الله اليها وخامسها قال ابو عبيدة فارغا من الحزن
لعلمها بانه لم يقتل اعتمادا على تكفل الله بمصلحته قال ابن قتيبة وهذا من العجائب كيف يكون فؤادها فارغا
من الحزن والله يقول لولا ان ربطنا على قلبها وهل يربط الا على قلب الجازع المحزون ويمكن ان يجاب عنه
بان لا يمتنع انها لشدة ثقتها بوعد الله جاز عندها اظهار اسمه وايقنت انها ان اظهرت فانه يسلم لاجل ذلك الوعد
الا انه كان في المعلوم ان الاظهار يضر فربط الله على قلبها ويحتمل ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها الراجح
فامنت وزال عن قلبها الحزن فعلى هذا الوجه يصح ان يقال ان قلبها سليم من الحزن على موسى اصلا وثمرة هو ما تقدم
انها سمعت امرأة فرعون عطفت عليه وتبنته ان كادت لتبدي بانه ولدها لانه لم يملك نفسها فرحا بما سمعت
لولا انا سكناها من شدة الفرح ولم يتهاج لكنت من الموثقين بوعد الله ثم يا بنيامين وجه طعمه وكم
فرعا الى ايام ... بالله من صغر الا انا وفرع الفناء وقرعاء ... منهم فزع الى ... عن
يجلب قلبها من شدة ما ورد عليها اما قوله ان كادت لتبدي به فاعلم ان في قوله من شدة النزاع بالنزاع من الحزن
فقد كان اشد قوله ان كادت لتبدي به وانا على قول من فسر النزاع بحصول الخوف فتذكروا وجوها احدها قال ابن عباس

إن كادت لتخبر بأن الذي وجدتموه ابني وقال سعيد في رواية عكرمة كادت تقول وا ابناه من شدة وجدها به وذلك حين
رأت الموج يرفع ويضع وقال الكلبي ذلك حين سمعت الناس يقولون إنه ابن فرعون [illegible] لم أجد الذين أنها
كادت تقول وا ابني فعصمها الله منه [illegible] لولا أن ربطنا على قلبها بإلهام الصبر كما يربط على الشيء المتقلب ليستقر [illegible]
لتكون من المؤمنين من المصدقين بوعد الله [illegible] إنا رادوه إليك [illegible] وقالت لأخته قصيه أي اتبعي
أثره وانظري أين وقع وإلى من صار وكانت أخته لأبيه وأمه واسمها مريم قال ابن عباس [illegible] فبصرت
به عن جنب [illegible] عن بعد [illegible] عن جانب [illegible] الجانب أي نظرت
إليه [illegible] وهم لا يشعرون أنها أخته

قوله تعالى

وحرمنا عليه المراضع من قبل
فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم
أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون اعلم أن قوله وحرمنا عليه المراضع يعني تحريم منع لا تحريم
[illegible] لا بد من [illegible] وذلك المنع يحصل لأنه تعالى مع حاجته إلى اللبن [illegible] من لبن
[illegible] أو أحدث في [illegible] نفرة عنه طبعًا [illegible] تعودها الجسم
[illegible] والمراضع جمع مرضع وهي المرأة التي
ترضع [illegible] أو هو موضع الرضاع [illegible] من قبل [illegible] فرددناه إلى أمه [illegible] من قبل
مجيء أخت موسى [illegible] فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم أي يضمنون
رضاعه والقيام بمصالحه وهم له ناصحون [illegible] ولا يخونونكم فيه والنصح إخلاص العمل
من شائبة الفساد [illegible] وهم له ناصحون [illegible] أهل البيت [illegible] قد عرفت
هذا الغلام فدلينا على أهله فقالت ما أعرفه ولكني إنما قلت هم للملك ناصحون [illegible]
هذا الباب [illegible] أن فرعون كان [illegible] آسية في [illegible] على [illegible] كانت [illegible]
[illegible] فرددناه إلى أمه [illegible] كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق [illegible]
وعدها [illegible] ولكن ليس الخبر كالمعاينة [illegible] بوجود الموعود ولكن أكثر
الناس لا يعلمون [illegible] ولكن أكثر الناس [illegible] لا يعلمون [illegible]
[illegible] أهل مصر لا يعلمون أن الله [illegible] كالمتوقع [illegible] حين
سمعت بخبر موسى [illegible] وأصبح فؤادها فارغًا [illegible] إنا رادوه إليك [illegible] أن وعد الله
حق [illegible] ولكن أكثرهم لا يعلمون أن هذا هو الوعد [illegible]
من [illegible] الضحاك [illegible] إلا أمه [illegible]
من [illegible] وما [illegible] أقبل على ثديها [illegible]

قوله تعالى

ثم [illegible] بالذهب والجواهر
ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكمًا وعلمًا وكذلك نجزي المحسنين ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد
فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى
فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم
قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرًا للمجرمين اعلم أن في قوله بلغ أشده واستوى [illegible] المعنى
واحد [illegible] القوة واعتدال المزاج والبنية والثاني [illegible] أنهما معنيان متغايران [illegible]
[illegible] عن كمال القوة الجسمانية البدنية والاستواء عبارة عن كمال القوة
العقلية [illegible] عبارة عن كمال القوة [illegible] عبارة عن كمال البنية والخلقة [illegible] عبارة
عن البلوغ [illegible] عبارة عن كمال الخلقة [illegible] قال ابن عباس [illegible] عشرة سنة إلى ثلاثين

سنة

153

سنة إلى أربعين [illegible] الانتقاص [illegible] وهذا الذي قاله ابن عباس حق
[illegible] حيثيًا ومن [illegible] والقوة فوقه حدًا ثم
من [illegible] إلى الأربعين [illegible] باختلاف الحس [illegible]
[illegible] الحكمة [illegible] لأن [illegible]
إلى [illegible] الأربعين [illegible] من الشهوة والغضب [illegible]
[illegible] إلى الأربعين [illegible] العقلية [illegible] الرجل
[illegible] المسألة الثانية اختلفوا في [illegible]
[illegible] النبوة [illegible]
[illegible] النبوة كانت قبل قتل القبطي أو بعده [illegible] الثاني آتيناه الحكم والعلم
[illegible] النبوة [illegible] الدرجات
[illegible] أخلاق الحكماء [illegible] وكذلك
نجزي المحسنين [illegible] الحكم والعلم [illegible] المراد
بالحكم والعلم [illegible] النبوة [illegible] المحسنين
[illegible] القبطي [illegible]
[illegible] فرعون [illegible]
[illegible] المسألة الثانية اختلفوا في معنى قوله على حين غفلة من أهلها [illegible]
[illegible] موسى عليه السلام لما بلغ أشده واستوى وآتاه الله الحكمة والعلم في دينه [illegible] فرعون [illegible]
[illegible]
شيعة [illegible] فرعون [illegible]
على حين غفلة [illegible] النهار [illegible] ابن عباس [illegible]
[illegible] الغفلة [illegible]
إلى القوم [illegible] أن موسى عليه السلام حين كبر كان يركب في [illegible] فرعون [illegible]
[illegible] موسى بن فرعون [illegible] في موضع [illegible] النهار [illegible]
الطرق [illegible] على حين غفلة [illegible] على حين غفلة من أهلها
[illegible] الغفلة [illegible] موسى حين كان صغيرًا [illegible]
فرعون [illegible] فرعون قتله [illegible]
[illegible] البلد [illegible] والقوم [illegible]
[illegible] على حين غفلة [illegible] القرآن [illegible]
المسألة الثالثة [illegible] فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه [illegible] الزجاج [illegible] هذا
وهذا [illegible] الحكاية [illegible] يقتتلان [illegible] هذا من شيعته وهذا من
عدوه [illegible] القبط [illegible]
[illegible] موسى عليه السلام [illegible] إنك لغوي مبين [illegible] من شيعته [illegible]
[illegible] القبطي [illegible]
[illegible] الرجلان المقتتلان [illegible] الذي من شيعته [illegible]
[illegible] والله أعلم [illegible] فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه [illegible]

واستنصره عليه فوكزه موسى الوكز الدفع باطراف الاصابع وقيل بجمع الكف وقرا ابن مسعود فلكزه وقال بعضهم الوكز في الصدر واللكز في الظهر وكان عليه السلم شديد البطش وقال بعض المفسرين فوكزه بعصاه قال المفضل هذا غلط لانه لا يقال وكزه بالعصا فقضى عليه اي اماته وقتله المسله الرابعه احتج بهذه الايه من طعن في عصمة الانبيا من وجوه احدها ان ذلك القبطي اما ان يقال انه كان مستحق القتل او لم يكن كذلك فان كان الاول فلم قال هذا من عمل الشيطان ولم قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي ولم قال في سورة اخرى فعلتها اذا وانا من الضالين وان كان الثاني وهو ان ذلك القبطي لم يكن مستحق القتل كان قتله معصية وذنبا وثانيها ان قوله وهذا من عدوه يدل على انه كان كافرا حربيا فكان دمه مباحا فلم استغفر عنه والاستغفار عن الفعل المباح غير جايز لانه يوهم في المباح كونه حراما وثالثها ان الوكز لا يقصد به القتل ظاهرا فكان ذلك القتل قتل خطا فلم استغفر منه والجواب عن الاول لم لا يجوز ان يقال انه كان لكفره مباح الدم اما قوله هذا من عمل الشيطان ففيه وجوه احدها ان الله تعالى وان اباح قتل الكفار الا انه قال الاولى تاخير قتلهم الى زمان اخر فلما قتل فقد ترك ذلك المندوب فقوله هذا من عمل الشيطان وثانيها ان قوله هذا اشاره الى عمل المقتول لا الى عمل نفسه فقوله هذا من عمل الشيطان اي عمل هذا المقتول من عمل الشيطان والمراد منه بيان كونه مخالفا لله تعالى مستحقا للقتل وثالثها ان يكون قوله هذا اشاره الى المقتول يعني انه من جند الشيطان وحزبه يقال فلان من عمل الشيطان اي من احزابه اما قوله رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فعلى نهج قول ادم عليه السلم ربنا ظلمنا انفسنا والمراد احد وجهين اما على سبيل الانقطاع الى الله والاعتراف بالتقصير عن القيام بحقوقه وان لم يكن هناك ذنب قط او من حيث حرم نفسه الثواب بترك المندوب اما قوله فاغفر لي اي فاغفر لي ترك هذا المندوب وفيه وجه اخر وهو ان يكون المراد رب اني ظلمت نفسي حيث قتلت هذا الملعون فان فرعون لو عرف ذلك لقتلني به فاغفره واستره علي ولا توصل خبره الى فرعون فغفر له اي ستره عن الوصول الى فرعون ويدل على هذا التاويل انه عقيبه قال رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين ولو كانت اعانة المومن ههنا سببا للمعصيه لما قال ذلك واما قوله فعلتها اذا وانا من الضالين فلم يقل اني صرت بذلك ضالا ولكن فرعون لما ادعى انه كان كافرا في حال القتل نفى عن نفسه كونه كافرا في ذلك الوقت واعترف بانه كان ضالا اي متحيرا لا يدري ما يجب عليه ان يفعل وما يدبر به في ذلك اما قوله لم كان كافرا حربيا فلم استغفر عن قتله قلنا كون الكافر مباح الدم امر يختلف باختلاف الشرايع فلعل قتلهم كان حراما في ذلك الوقت او ان كان مباحا لكن الاولى تركه على ما قررناه قوله ذلك القتل كان قتل خطا قلنا لا نسلم فلعل الرجل كان ضعيفا وموسى عليه السلم كان في نهاية الشده فوكزه كان قاتلا قطعا ثم ان سلمنا ذلك ولكن لعله عليه السلم كان يمكنه ان يخلص الاسرايلي من يده بدون ذلك الوكز الذي كان الاولى تركه فلهذا اقدم على الاستغفار على انا وان سلمنا دلالة هذه الايه على صدور المعصيه لكنا بينا انه لا دليل البتة على انه كان رسولا في ذلك الوقت فيكون ذلك صادرا قبل النبوه وذلك لا نزاع فيه المسله الخامسه قالت المعتزله الايه تدل على بطلان قول من ينسب المعاصي الى الله تعالى لانه عليه السلم قال هذا من عمل الشيطان فنسب المعصيه الى الشيطان فلو كانت بخلق الله لكانت من الله لا من الشيطان وهو كقول يوسف من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي وقول صاحب موسى وما انسانيه الا الشيطان وقوله تعالى لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم اما قوله رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين ففيه وجوه احدها انه لما انعم عليه بهذا الانعام قال اني لا اكون معاونا لاحد من المجرمين بل اكون معاونا للمسلمين وهذا يدل على ان ما اقدم عليه من اعانة الاسرايلي على القبطي كان طاعه لا معصيه اذ لو كان معصيه لنزل الكلام منزلة ما اذا قيل انك لما انعمت علي بقبول توبتي من تلك المعصيه فاني اكون مواظبا على مثل تلك المعصيه وثانيها قال القفال كانه اقسم بما انعم الله عليه ان لا يظاهر مجرما واللام للقسم اي بنعمتك علي وثالثها قال الكسايي والفرا انه خبر ومعناه الدعا كانه قال فلا تجعلني ظهيرا قال الفرا في حرف عبد الله فلا تجعلني ظهيرا واعلم ان الايه تدل على انه لا يجوز معاونة الظلمه والفسقه قال ابن عباس رضي الله عنهما ولم يستثن فابتلي به في اليوم الثاني وهذا ضعيف لانه في اليوم الثاني ترك اعانته وانما خاف منه لذلك العدو فقال ان تريد الا ان تكون جبارا الى اخره

قوله تعالى

قوله تعالى فاصبح في المدينه خايفا يترقب فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه قال له موسى انك لغوي مبين فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض وما تريد ان تكون من المصلحين وجا رجل من اقصى المدينه يسعى قال يا موسى ان الملا ياتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين فخرج منها خايفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين اعلم انه لما وقع ذلك القتل من الوكز اصبح موسى من غد ذلك اليوم خايفا من ان يظهر انه القاتل فيطلب وخرج في استتار فاذا الذي استنصره وهو الاسرايلي بالامس يستصرخه يطلب نصرته بصياح وصراخ قال له موسى انك لغوي مبين قال اهل اللغه الغوي يجوز ان يكون بمعنى مفعل اي انك لمغو فاني وقعت بالامس فيما وقعت فيه بسببك ويجوز ان يكون بمعنى الغاوي واحتج به من يقدح في عصمة الانبيا فقال كيف يجوز لموسى عليه السلم ان يقول لرجل من شيعته يستصرخه انك لغوي مبين والجواب من حيث ان قوم موسى عليه كانوا غلاظا جفاة الا ترى الى قولهم بعد مشاهدة الايات اجعل لنا الها كما لهم الهه فالمراد بالغوي المبين ذلك ويحتمل انه عليه السلم انما سماه غويا لان من تكثر منه المخاصمه على وجه يتعذر عليه دفع خصمه عما يرومه من ضرر يكون خلاف طريقة الرشد واختلفوا في قوله تعالى يا موسى اتريد ان تقتلني من قايله الاسرايلي او القبطي فقال بعضهم لما خاطب موسى الاسرايلي بانه غوي وراه على غضب ظن لما هم بالبطش انه يريده فقال هذا القول وزعموا انه لم يعرف قتله بالامس للرجل الا هو فصار ذلك سببا لظهور القتل ومزيد الخوف وقال اخرون بل هو قول القبطي وقد كان عرف القصه من جهة الاسرايلي والظاهر هذا الوجه لانه تعالى قال فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى فهذا القول اذا منه لا من غيره وايضا فقوله ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض لا يليق الا بان يكون قولا للكافر واعلم ان الجبار الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم لا ينظر في العواقب ولا يدفع بالتي هي احسن وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لامر الله و لما دفع هذه الواقعه وانتشر الحديث في المدينه وانتهى الى فرعون هموا بقتله اما قوله وجا رجل من اقصى المدينه يسعى قال صاحب الكشاف يسعى يجوز ارتفاعه وصفا للرجل وانتصابه حالا عنه لانه قد تخصص بقوله من اقصى المدينه والايتمار التشاور يقال الرجلان ياتمران اي كل واحد منهما يامر صاحبه بشي ويشير اليه بامر والمعنى يتشاورون بسببك واكثر المفسرين على ان هذا الرجل هو مومن ال فرعون فعلى هذا انما شفق لموسى والهمه الله ليجي فينبيه بان الملا ياتمرون بك ليقتلوك اما قوله فخرج منها خايفا يترقب اي خايفا على نفسه متوكلا على ربه ينتظر هل يلحقه طلب فيوجه التجا الى الله تعالى لعلمه بانه لا ملجا سواه فقال رب نجني من القوم الظالمين وهذا يدل على ان قتله لذلك القبطي لم يكن ذنبا والا لكان هو الظالم لهم وما كانوا ظالمين له بسبب طلبهم اياه ليقتلوه قصاصا

قوله تعالى ولما توجه تلقا مدين قال عسى ربي ان يهديني سوا السبيل ولما ورد ما مدين وجد عليه امة من الناس يسقون ووجد من دونهم امراتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعا وابونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير فجاته احداهما تمشي على استحيا قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا فلما جاه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين قالت احداهما يا ابت استاجره ان خير من استاجرت القوي الامين قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تاجرني ثماني حجج فان اتممت عشرا فمن عندك وما اريد ان اشق عليك ستجدني ان شا الله من الصالحين قال ذلك بيني وبينك ايما الاجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل اعلم ان الناس اختلفوا في قوله ولما توجه تلقا مدين فقال بعضهم انه خرج وما قصد مدين ولكنه سلم نفسه الى الله واخذ يمشي من غير معرفه فاوصله الله الى مدين وهذا قول ابن عباس وقال اخرون لما خرج قصد مدين لانه وقع في نفسه ان بينه وبينهم قرابه لانهم من ولد مدين بن ابرهيم وهو كان من بني اسرايل لكن لم يكن له علم بالطريق بل اعتمد على فضل الله ومن الناس من قال بل جاه جبريل عليه السلم وعلمه الطريق وذكر ابن جرير عن السدي لما اخذ موسى عليه السلم في المسير جاه ملك على فرس فسجد له موسى عليه السلم من الفرح فقال لا تفعل واتبعني

فانبعثه نحو مدين واخذ من ماله حرج وما قصد مدين بامر ... فقوله ولما توجه تلقاء مدين لو كان قاصدا للذهاب
الى مدين لقال ولما توجه الى مدين فلما لم يقل ذلك بل قال توجه تلقاء مدين علمنا انه لما توجه انما توجه الى تلك الجانب من
غير علم انه الى اين ينتهي والثاني قوله عسى ربي ان يهديني سواء السبيل وهذا كلام شاك لا عالم والقول الثاني انه
قصد الذهاب الى مدين وما كان عالما بالطريق ثم انه كان يسال الناس عن كيفية الطريق لانه يبعد ان موسى عليه السلام في
عقله وذكائه لم يعلم ان الذهاب من مصر الى مدين يفتقر الى طريق ... وبينهما مسيرة ثمانية ايام ولم يكن له
طعام الا ورق الشجر اما قوله عسى ربي ان يهديني سواء السبيل فهو نظير قول جده ابرهيم عليه السلام اني ذاهب الى ربي سيهدين
وموسى عليه السلام قلما يذكر كلاما في الاستدلال والجواب والدعاء والتضرع الا ما ذكره ابرهيم عليه السلام وهكذا الخلف
الصالح للسلف الصالح صلوات الله عليهما وعلى جميع الطاهرين من المطهرين ولما ورد ماء مدين وهو الماء الذي يستقون منه
وكان بئرا ووروده مجيئه والوصول اليه وجد عليه امة جماعة كثيفة العدد
من الناس من اناس مختلفين ووجد من دونهم في مكان اسفل من مكانهم امراتين تذودان والذود الدفع والطرد فقوله
تذودان اي تحبسان ثم فيه قولان الاول تحبسان اغنامهما واختلفوا في علة ذلك الحبس على وجوه احدها قال الزجاج
وثانيها لئلا تختلط اغنامهما باغنامهم وثالثها لئلا تختلطا بالرجال القول الثاني كانتا تذودان عن
وجوههما نظر الناظر لتسترهما القول الثالث تذودان الناس عن غنمهما القول الرابع قال الفراء تحبسانها عن
ان تتفرق وتتسرب قال ما خطبكما اي ما شانكما وحقيقته ما مخطوبكما اي مطلوبكما من الذياد فسمي المخطوب
خطبا كما سمي المشؤون شانا في قولك ما شانك فقالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وابونا شيخ كبير وذلك يدل على ضعفهما
عن السقي من وجوه احدها ان العادة في السقي للرجال والنساء يضعفن عن ذلك وثانيها ما ظهر من ذودهما الماشية
على طريق التاخير وثالثها قولهما حتى يصدر الرعاء ورابعها انتظارهما لما يبقى من القوم من السقي وخامسها قولهما وابونا
شيخ كبير ودلالة ذلك على انه لو كان قويا حضر ولو حضر لم يتاخر السقي فعند ذلك سقى لهما قبل صدور الرعاء وعادتا
الى ابيهما قبل الوقت المعتاد قرا ابو عمرو وابن عامر وعاصم بفتح الياء وضم الدال والباقون بضم الياء وكسر الدال
فالمعنى في القراءة الاولى حتى ينصرفوا عن الماء ويرجعوا عن سقيهم ومصدره صدر ومن قرا بضم الياء فالمعنى حتى
يصدر القوم مواشيهم اما قوله فسقى لهما ففيه قولان احدهما ... انه عليه السلام سال القوم
ان يسمحوا له ... عمد الى بئر على راسها صخرة لا يقلها الا عشرة وقيل اربعون وقيل مائة فنحاها بنفسه واستقى
الماء من ذلك البير وقال ... القوم لما زاحمهم موسى عليه السلام تعمدوا القاء ذلك الحجر على راس البير ... عليه السلام
رمى ذلك الحجر وسقى لهما وليس في ذلك دلالة في القران والله اعلم بالصحيح منه لكن المراة وصفت موسى عليه السلام بالقوة فدل
ذلك على انها شاهدت منه ما يدل على فضل قوة ومن ذلك قوله تعالى ثم تولى الى الظل وفيه دلالة على انه سقى لهما في شمس وحر
وفيه ايضا دلالة على كمال قوة موسى عليه السلام قال الكلبي اتى موسى اهل الماء فسالهم دلوا فقالوا له ان شئت ائت الدلو
فاستق لها قال نعم وكان يجتمع على الدلو اربعون رجلا حتى يخرجوه من البير فاخذ موسى الدلو فاستقى به وحده وصب في
الحوض ودعا بالبركة ثم قرب غنمهما فشربت حتى رويت ثم سرحهما مع غنمهما فان قيل كيف ساغ لنبي الله شعيب
عليه السلام ان يرضى لابنتيه بسقي الماشية قلنا ليس في القران ما يدل على ان اباهما كان شعيبا عليه السلام والناس مختلفون
فيه فقال ابن عباس ان اباهما هو يثرون ابن اخي شعيب وشعيب مات بعدما عمي ... واختاره ابو عبيدة وقال الحسن
انه رجل مسلم قبل الدين من شعيب سلمنا انه كان شعيبا عليه السلام لكن المفسدة فيه ... اباه واما
المروة فالناس فيه مختلفون واحوال اهل البادية غير احوال اهل الحضر لا سيما اذا كانت الحالة حالة الضرورة اما قوله
فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير ... اني لما انزلت الي قليل او كثير غث او سمين لفقير وانما عداه بفقير
باللام لانه ضمن معنى سائل وطالب واعلم ان هذا الكلام يدل على الحاجة اما الى الطعام او الى غيره الا ان المفسرين حملوه على
الطعام قال ابن عباس سال ربه طعاما ياكله وقال الضحاك مكث سبعة ايام لم يذق فيها طعاما الا بقل الارض وذكر ان موسى لما قال

ذلك

ذلك رفع صوته لتسمع المراتان ذلك فان قيل انه عليه السلام لما ... هل حمل ذلك على الطعام العظيم فكيف
يليق بمنصبه العالي ان يطلب الطعام البشري وانه عليه السلام قال لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي قلنا اما رفع الصوت
فلكي اسماع المراتين وطلب الطعام فذلك لا يليق بموسى عليه السلام البتة فلا نقبل تلك الرواية ولكن لعله عليه السلام قال ذلك
في نفسه مع ربه تعالى وفي الاية وجه اخر وهو ان يقال اني بسبب ما انزلت الي من خير الدين صرت فقيرا في الدنيا لانه كان عند
فرعون في ملك وثروة فقال ذلك رضى بهذا البدل وفرحا به وشكرا له وهذا التاويل اليق بحال موسى عليه السلام
اما قوله فجاءته احداهما تمشي على استحياء فقوله على استحياء في موضع الحال اي مستحيية فقال عمر بن الخطاب قد استترت
بكم درعها ... وقيل ماشية على بعد مائلة عن الرجال وقال عبد العزيز بن ابي حازم على اجلال له ومنهم من يقف على قوله تمشي ثم
يبتدي فيقول على استحياء قالت ان ابي يدعوك يعني انها على الاستحياء قالت هذا القول لان الكريم اذا دعا غيره
الى الضيافة يستحي لا سيما المراة وفي ذلك دلالة على ان شعيبا عليه السلام لم يكن له معين سواهما روي انهما لما رجعتا
الى ابيهما قبل الناس قال ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا رحيما فسقى لنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه لي اما قوله
ان ذلك الشيخ كان شعيبا او غيره فقد تقدم والاكثرون على انه شعيب وقال محمد بن اسحق ... اسم الكبرى
صفورا والصغرى ليا وقال غيره صفرا وصفيرا وقال الضحاك صافورا والتي جاءت الى موسى عليه السلام هي الكبرى
على قول الاكثرين وقال الكلبي هي الصغرى وليس في القران دلالة على شيء من هذه التفاصيل اما قوله قالت ان ابي يدعوك
ليجزيك اجر ما سقيت لنا ففيه اشكالات احدها كيف ساغ لموسى عليه السلام ان يعمل بقول امراة وان يمشي معها وهي
اجنبية فان ذلك يورث التهمة العظيمة وقال عليه السلام اتقوا مواضع التهم وثانيها انه سقى اغنامهما تقربا الى الله
فكيف يليق به اخذ الاجر عليه وان ذلك غير جائز في الشرع وثالثها انه عرف فقرهن وفقر ابيهن وعجزهم وانه عليه السلام
كان في نهاية القوة بحيث كان يمكنه الكسب الكثير باقل سعي فكيف يليق بمروءة مثله طلب الاجرة على ذلك العمل من
الشيخ الفقير والمراة الفقيرة ورابعها كيف يليق بالنبي عليه السلام ان يبعث بنته الشابة الى رجل شاب قبل العلم بكونه
عفيفا او فاسقا الجواب عن الاول اما العمل بقول امراة فكما نعمل بقول الواحد حرا
كان او عبدا ذكرا كان او انثى في الاخبار وما كانت الا مخبرة عن ابيها واما المشي مع المراة فلا باس به مع الاحتياط
والتورع والجواب عن الثاني ان المراة وان قالت ذلك فلعل موسى عليه السلام ما ذهب اليهم طلبا للاجر بل للتبرك
بذلك الشيخ وروي انها لما قالت ليجزيك كره ذلك ولما قدم اليه الطعام امتنع وقال انا اهل بيت لا نبيع ديننا
بالدنيا ولا ناخذ على المعروف ثمنا حتى قال شعيب عليه السلام هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا وايضا فليس بمنكر
ان الجوع قد بلغ الى حيث ما كان يطيق تحمله فقبل ذلك على سبيل الاضطرار وهذا هو الجواب عن الثالث فان
الضرورات تبيح المحظورات والجواب عن الرابع لعله عليه السلام كان قد علم بالوحي طهارتها وبراءتها فكان يعتمد
عليها اما قوله فلما جاءه قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقام يمشي والجارية امامه فهبت الريح فكشفت
عنها فقال موسى عليه السلام اني من عنصر ابرهيم فكوني خلفي حتى لا ترفع الريح ثيابك فارى ما لا يحل لي
فلما دخل على شعيب فاذا الطعام موضوع فقال شعيب تناول يا فتى فقال موسى اعوذ بالله قال شعيب
ولم قال لانا من اهل بيت لا نبيع ديننا بملء الارض ذهبا قال شعيب ولكن عادتي وعادة ابائي اطعام الضيف
فجلس موسى فاكل والمراد اكل الطعام حيث انه لم يجعل ذلك اجرة له على عمله ولم يلزم مع الخضر ... وذلك حين
ما سلوه ... والعرف ان هذا الجوع على الصدقة لا يجوز اما الاستيجار ابتداء فغير مكروه
اما قوله وقص عليه القصص مصدر كالعلل سمي به المقصوص قال الضحاك لما دخل عليه قال له من انت يا عبد الله
قال انا موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وذكر له جميع امره من لدن ولادته وامر القوابل
والمراضع والقذف في اليم وقتل القبطي وانهم يطلبونه ليقتلوه فقال شعيب عليه السلام لا تخف نجوت من القوم الظالمين
اي لا سلطان له بارضنا ولسنا في مملكته وليس في الاية دلالة على انه قال ذلك عن الوحي او على الظن ففيه العادة ٥

فان قيل المفسرون قالوا ان فرعون يوم ركب خلف موسى ركب في الف الف وستمائة الف فالملك الذي هذا شانه
كيف يعقل ان [illegible] في ملكه قرية على بعد ثمانية ايام من دار مملكته قلنا هذا وان كان نادرا الا انه ليس محالا اما
قوله يا ابت استاجره ان خير من استاجرت القوي الامين ففيه مسايل المسئلة الاولى وصفته بالقوة
لما شاهدت من كيفية السقي وبالامانة لما حكينا من غضه بصره حالة ما دلهما الماشية وحال سقيه وحال مشيه بين
يديها الى ابيها المسئلة الثانية انما جعل خير من استاجرت اسما والقوي الامين خبرا مع ان العكس اولى لان العناية
هي سبب التقديم المسئلة الثالثة القوة والامانة لا تكفيان في حصول المقصود ما لم ينضم اليهما الفطنة والكياسة
فلم اهمل امر الكياسة ويمكن ان يقال انما اهمله لانها داخلة في الامانة عن ابن مسعود افرس الناس ثلاثة بنت شعيب وصاحب
يوسف وابو بكر في عمر اما قوله قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين فلا يشتبه في ان هذا اللفظ وان
كان على الترديد لكنه عند التزوج عيّن [illegible] في العقد ونبه على انكل [illegible] وكانت الزيادة كالتبرع والعقد
ربما استدلوا على ان العمل قد يكون مهرا كالمال وعلى ان الحاق الزيادة بالمهر المسمى جائز ولكنه شرع من قبلنا فلا يلزمنا
وبتقدير ان يلزمنا فلعله كان جائزا في تلك الشريعة ان يشترط الولي منفعة وعلما انه كان جائزا في تلك الشريعة نكاح
المراة بغير بدل تستحقه وعلى ان عقد النكاح لا تفسده الشروط التي لا يوجبها العقد [illegible] على ان تاجرني ثماني حجج
تاجرني من اجرته اذا كنت له اجيرا وثماني حجج ظرفه او من اجرته كذا اذا اثبته اياه ومنه اجركم الله
ورحمكم وثماني حجج مفعول به ومعناه رعية ثماني حجج [illegible] وما اريد ان اشق عليك وفيه وجهان الاول
ما اريد ان اشق عليك بالزام اتم الاجلين فان قيل ما حقيقة قولهم شققت عليه وشق عليه الامر
قلنا حقيقته ان الامر اذا تعاظمك فكانه شق عليك ظنك باثنين تقول تارة اطيقه وتارة لا اطيقه الثاني
ما اريد ان اشق عليك في الرعي ولكني اسامحك بقدر الامكان ولا اكلفك الاحتياط الشديد الذي يكلفه
الرعي وهكذا كان الانبيا عليهم السلام اخذين بالسمح في معاملات الناس ومنه الحديث كان رسول الله شريكي
فكان خير شريك لا يداري ولا يماري ستجدني ان شاء الله من الصالحين وفيه وجهان الاول يريد
بالصلاح حسن المعاملة ولين الجانب والثاني يريد الصلاح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة وانما قال
ان شاء الله للاتكال على توفيقه ومعونته فان قيل فالعقد كيف ينعقد مع هذا الشرط فانك لو قلت
امراتي طالق ان شاء الله لا تطلق قلنا هذا مما يختلف بالشرائع اما قوله تعالى ذلك بيني وبينك فاعلم
انه [illegible] مبتدا وبينك [illegible] اشارة الى ما عاهده عليه شعيب يريد ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه
قائم بيننا جميعا لا يخرج كلانا عنه لا انا عما شرطت علي ولا انت عما شرطت على نفسك ثم قال ايما الاجلين
قضيت من الاجلين الطويل الذي هو العشر او القصير الذي هو الثمان فلا عدوان علي اي لا يعتدى علي في طلب
الزيادة اراد بذلك تقرير امر الخيار يعني انه ان شاء هذا وان شاء هذا ويكون اختيار الاجل الزايد موكولا
الى رايه من غير ان يكون لاحد عليه اجبار ثم قال والله على ما نقول وكيل والوكيل هو الذي وكل
اليه الامر ولما استعمل الوكيل في معنى الشاهد عدي بعلى لهذا السبب

قوله تعالى

فلما قضى موسى الاجل وسار باهله انس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا اني انست نارا لعلي اتيكم منها بخبر
او جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما اتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى
اني انا الله رب العالمين وان الق عصاك فلما رآها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى اقبل ولا تخف
انك من الامنين اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك من الرهب فذانك برهانان
من ربك الى فرعون وملايه انهم كانوا قوما فاسقين اعلم انه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تزوج
صغراهما وقضى اوفاهما [illegible] وقال مجاهد [illegible] عشر سنين ثم مكث بعد ذلك عنده عشر
سنين [illegible] فلما قضى موسى الاجل وسار باهله انس [illegible] ذلك الايناس [illegible] الامر ولا يدل

على انه

156

على انه حصل عقيب اتمامه [illegible] الاجل وبطل [illegible] القاضي [illegible] على انه لم يزد عليه وقوله سار باهله
يستر فيه دلالة على انه خرج منفردا معها [illegible] اما قوله اني انست نارا فقد مر تفسيره في سورة
طه وسورة النمل اما قوله لعلي اتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون ففيه ابحاث الاول قال صاحب الكشاف
الجذوة بالحركات الثلاث العود الغليظ كانت في راسه نار او لم تكن قال الزجاج الجذوة القطعة الغليظة
من الحطب الثاني قد حكينا في سورة طه انه [illegible] هبت ريح شديدة فرقت ماشيته واصابهم
مطر [illegible] وجد بردا شديدا فعند ذلك ابصر نارا فقصده ساير اليها يطلب من يدله على الطريق وهو قوله اتيكم منها
بخبر او اتيكم من هذه النار [illegible] تصطلون وفي قوله اتيكم منها بخبر دلالة على انه ضل وفي قوله لعلكم
تصطلون دلالة البرد اما قوله فلما اتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى اني انا الله رب
العالمين فاعلم ان شاطئ الوادي جانبه وجاء النداء عن يمين موسى من شاطئ الوادي من قبل الشجرة وقوله من الشجرة
بدل من قوله من شاطئ الوادي بدل الاشتمال لان الشجرة كانت نابتة على الشاطئ كقوله لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم وانما وصف
البقعة بكونها مباركة لانه حصل فيها ابتداء الرسالة وتكليم الله تعالى اياه وههنا مسائل المسئلة الاولى احتجت المعتزلة
على قولهم ان الله تعالى متكلم بكلام يخلقه في جسم بقوله من الشجرة فان هذا صريح في ان موسى سمع النداء من
الشجرة والمتكلم بذلك النداء هو الله تعالى وهو منزه عن ان يكون في جسم فثبت انه تعالى انما يتكلم بخلق الكلام في جسم اجاب
العالمون بقدم الكلام [illegible] مذهبان [illegible] النهي [illegible] الكلام القديم
[illegible] الله تعالى [illegible] المسموع هو الصوت والحرف وذلك كان مخلوقا في الشجرة ومسموعا منها [illegible] هذا
[illegible] السؤال [illegible] الكلام الذي ليس بحرف ولا صوت [illegible] يكون
مسموعا كما ان ذاته تعالى ليست بجسم ولا عرض [illegible] فعلى هذا القول لا يبعد انه سمع الحرف والصوت من الشجرة
وسمع الكلام القديم [illegible] من الشجرة ولا منافاة بين الامرين واحتج اهل السنة بان محل قوله اني انا الله رب العالمين
لو كان هو الشجرة لكان قد قالت الشجرة اني انا الله والمعتزلة اجابوا عنه بان هذا انما يلزم لو كان المتكلم بالكلام هو
محل الكلام لا فاعله وهذا اول المسئلة اجاب اهل السنة بان النزاع [illegible] قال انا كل [illegible]
مسموع [illegible] على ذلك الكلام هو الله تعالى فان كان المتكلم هو فاعل الكلام لزم ان يكون الله تعالى [illegible] كل من [illegible]
مسموع وهذا باطل وان كان المتكلم هو محل الكلام لزم ان يكون الشجرة قد قالت اني انا الله وكل ذلك باطل المسئلة
الثانية يحتمل ان يقال انه تعالى خلق فيه علما ضروريا بان ذلك الكلام كلام الله والمعتزلة لا يرضون بذلك
قالوا لانه لو علم بالضرورة ان ذلك الكلام كلام الله لوجب ان يعلم بالضرورة وجود الله لانه يستحيل ان يكون العلم
بالصفة ضروريا والذات معلومة بالنظر ولو علم موسى وجود الله تعالى بالضرورة لزال التكليف ويحتمل انه تعالى لما
اسمعه الكلام الذي ليس بحرف ولا صوت عرف ان مثل ذلك الكلام لا يمكن ان يكون كلام الخلق ويحتمل ان يقال [illegible]
الكلام من الشجرة [illegible] من الجهات [illegible] بان يعلم ان مثل ذلك لا يكون الا من الله تعالى ويحتمل ان يكون
المعجز هو انه راى النار في الشجرة الرطبة فعلم انه لا يقدر على الجمع بين النار وخضرة الشجرة الا الله تعالى ويحتمل
[illegible] ما يروى ان ابليس لما قال له كيف عرفت انه نداء الله تعالى قال لاني سمعته بجميع اجزائي فلما وجد
حس السمع من جميع الاجزاء علم ان ذلك مما لا يقدر عليه احد سوى الله تعالى وهذا انما يصح على مذهب اصحاب
البنية [illegible] المسئلة الثالثة قال في سورة النمل نودي ان بورك من في النار ومن حولها
وقال ههنا نودي ان يا موسى اني انا الله رب العالمين وقال في طه نودي [illegible] الكلام والدليل عليه
قوله تعالى فاستمع لما يوحى [illegible] ان الله تعالى كلمه من غير واسطة والدليل عليه قوله تعالى وكلم
الله موسى تكليما وسائر الايات واما الذي تمسك به [illegible] فضعيف لانه [illegible] فاستمع لما يوحى [illegible]
بالوحي [illegible] لانه لو كان [illegible] الوحي [illegible] الكلام نسمعه [illegible]

بل المراد من قوله فاستمع لما يوحى وحيثيته بان يثبت لدى العمل الذي يفضي اليه في مستقبل الزمان بالوحي اما قوله والق عصاك
فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين ففيه تقديم وتأخير كل ذلك وقوله كأنها
جان صريح في انه تعالى شبهها بالجان ولم يقل انه في نفسه جان فلا تمسك بهذا لمن انكر كونه ثعبانا بل شبهها بالجان من حيث
الاهتزاز والحركة لا من حيث المقدار وقد تقدم الكلام في جوهرها ومعنى لم يعقب لم يرجع يقال عقب المقاتل اذا كر بعد
الفرار قال وهب انها لم تدع شجرة ولا صخرة الا ابتلعتها حتى سمع موسى صرير اسنانها وسمع قعقعة الصخر في جوفها
فحينئذ ولى مدبرا واختلفوا في العصا على وجوه احدها قالوا ان شعيبا كان عنده عصا الانبيا فقال لموسى ادخل
ذلك البيت فخذ عصى من تلك العصي فاخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم يزل الانبيا يتوارثونها حتى وقعت
الى شعيب فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال خذ غيرها فما وقع في يده الا هي سبع مرات فعلم ان له شأنا
وثانيها قالوا ان شعيبا عليه السلام امر ابنته ان تأتي بعصا لموسى فدخلت البيت فاخذت العصا
واتته بها فلما رآها الشيخ قال آتيه بغيرها فالقتها وارادت ان تأخذ غيرها فلم تقع في يدها غيرها
فلما رأى الشيخ ذلك رضي به ثم ندم بعد ذلك فخرج يطلب موسى فلما التقيا قال اعطني العصا قال موسى هي عصاي
فابى ان يعطيه فاختصما ثم تراضيا على ان يجعلا بينهما اول رجل يلقاهما فاتاهما ملك يمشي فقضى بينهما فقال
ضعوها على الارض فمن حملها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطق واخذها موسى بسهولة فتركها الشيخ له
يرعى له عشر سنين وثالثها روى ابو صالح عن ابن عباس قال كان في دار يثرون ابن اخي شعيب بيت
لا يدخله الا يثرون وابنته التي زوجها من موسى عليه السلام وانها كانت تكنسه وتنظفه وكان في ذلك
البيت ثلثة عشر عصا وكان ليثرون احد عشر ولدا من الذكور فكلما ادرك منهم ولد امره بدخول البيت واخراج
عصا من تلك العصي فرجع موسى ذات يوم الى منزله فلم يجد اهله واحتاج الى عصا لرعيه فدخل ذلك
البيت واخذ عصا من تلك العصي وخرج بها فلما علمت المرأة ذلك انطلقت الى ابيها واخبرته بذلك فسر
بذلك يثرون وقال لها ان زوجك هذا نبي وان مع هذه العصا لشأنا ورابعها في بعض الاخبار ان
موسى عليه السلام لما عقد العقد مع شعيب واصبح من الغد واراد الرعي قال له شعيب اذهب بهذه الاغنام
فاذا بلغت مفرق الطريق فخذ على يسارك ولا تأخذ على يمينك وان كان الكلأ بها اكثر فان بها تنينا عظيما
فاخشى عليك وعلى الاغنام منه فذهب موسى بالاغنام فلما بلغ مفرق الطريق اخذت الاغنام ذات اليمين
فاجتهد موسى ان يردها فلم يقدر فسار على اثرها فرأى عشبا كثيرا ثم ان موسى عليه السلام نام والاغنام
ترعى فاذا بالتنين قد جاء فقامت عصا موسى وقاتلته حتى قتلته وعادت الى جنب موسى وهي دامية
فلما استيقظ موسى رأى العصا دامية والتنين مقتولا فارتاح لذلك وعلم ان لله في تلك العصا
قدرة وآية وعاد الى شعيب وكان ضريرا فمس الاغنام فاذا هي احسن حالا مما كانت فسأله عن ذلك
فاخبره موسى بالقصة ففرح بذلك وعلم ان لموسى وعصاه شأنا فاراد ان يجازي موسى
على حسن رعيه اكراما وصلة لابنته فقال اني وهبت لك من السخال التي تضعها اغنامي في هذه السنة
كل ابلق وبلقاء فاوحى الله الى موسى عليه السلام ان اضرب بعصاك الماء الذي تسقي الغنم منه ففعل ثم سقى
الاغنام فما اخطأت واحدة منها الا وضعت حملها ما بين ابلق وبلقاء فعلم شعيب ان ذلك رزق ساقه
الله الى موسى فعلم انه فوفى له شرطه ورابعها قال بعضهم ولكن العصا هي عصا آدم عليه السلام
وان جبريل عليه السلام اخذ تلك العصا بعد موت آدم فكانت معه حتى لقي بها موسى ليلا وخامسها
قال الحسن ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا من هذه الشجر وعن الكلبي
الشجرة التي نودي منها شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولا مطمع في ترجيح بعض هذه الوجوه على بعض لانه
ليس في القرآن ما يدل عليه والله اعلم بها اما قوله واسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء

فاعلم

فاعلم ان الله تعالى قد عبر عن هذا المعنى بثلاث عبارات احدها هذه وثانيها قوله في طه واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء وثالثها
في النمل وادخل يدك في جيبك اما قوله واسلك يدك في جيبك فذكرنا اما قوله واضمم اليك جناحك من الرهب
فاحسن الناس كلاما فيه صاحب الكشاف قال فيه معنيان احدهما ان موسى عليه السلام لما قلب الله له العصا حية فزع واضطرب
فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء فقيل له ان اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الاعداء فاذا القيتها كما تنقلب حية فادخل
يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم اخرجها بيضاء ليحصل الامران اجتناب ما هو غضاضة عليك واظهار معجزة اخرى والمراد
بالجناح اليد لان يدي الانسان بمنزلة جناحي الطائر فاذا ادخل اليمنى تحت عضده اليسرى فقد ضم جناحه اليه الثاني
ان يراد بضم جناحه تجلده وضبطه نفسه وتشدده عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل
الطائر لانه اذا خاف نشر جناحيه وارخاهما والا فجناحاه مضمومان اليه مشمران ومعنى قوله من الرهب من اجل الرهب
اي اذا اصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم اليك جناحك وقوله اسلك يدك في جيبك على احد التفسيرين واحد ولكن خولف
بين العبارتين وانما كرر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين وذلك ان الغرض في احدهما خروج اليد بيضاء وفي الثاني اخفاء
الرهب فان قيل قد جعل الجناح وهو اليد في احدهما مضموما وفي الآخر مضموما اليه وذلك قوله واضمم اليك
جناحك وقوله واضمم يدك الى جناحك فما التوفيق بينهما قلنا المراد بالجناح المضموم هو اليد اليمنى وبالمضموم اليه اليد اليسرى
وكل واحد من يمنى اليدين ويسراهما جناح هذا كله كلام صاحب الكشاف وهو من تفسيراته الحسنة اما قوله فذانك فقرئ
مخففا ومشددا فالمخفف مثنى ذاك والمشدد مثنى ذلك برهانان حجتان بينتان على صدقه في النبوة وصحة ما
دعاهم اليه من التوحيد وظاهر الكلام يقتضي انه تعالى امره بذلك قبل لقاء فرعون حتى عرف ما الذي يظهر عنده من
المعجزات لانه تعالى حكى بعد ذلك عن موسى انه قال اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون قال القاضي واذا كان كذلك وجب
ان يكون في حال ظهور البرهانين هناك من دعاه الى رسالته من اهله او غيرهم لان المعجزات انما تظهر على الرسل في حال
الرسالة قبله وانما يظهر لكي يستدل بها غيرهم على الرسالة وهذا ضعيف لانه ثبت انه لابد في اظهار المعجز من حكمة
اما لا حكمة الا ان يستدل بها الغير على صدق المدعي فلا نسلم فلعل هناك انواعا من الحكم والمقاصد سوى ذلك لا سيما
وهذه الآية ناطقة بانه لم يكن هناك مع موسى احد **قوله تعالى** قال رب اني قتلت
منهم نفسا فاخاف ان يقتلون واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا يصدقني اني اخاف ان يكذبون قال سنشد
عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما باياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون فلما جاءهم موسى باياتنا بينات قالوا ما هذا
الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه
لا يفلح الظالمون اعلم انه تعالى لما قال فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملئه تضمن ذلك ان يذهب موسى بهذين
البرهانين الى فرعون وقومه فعند ذلك طلب من ربه ما يقوي قلبه ويزيل خوفه فقال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف
ان يقتلون ولعل هرون هو افصح مني لسانا لانه كان في لسانه حبسة اما في اصل الخلقة واما لاجل انه وضع الجمرة
في فيه عندما نتف لحية فرعون فارسله معي ردءا يصدقني وفيه مباحث البحث الاول الردء اسم ما يعان به فعل
بمعنى مفعول به كما ان الدفء اسم لما يدفأ به يقال ردأت الحائط اردؤه اذا دعمته بخشب او غيره لئلا يسقط
البحث الثاني قرأ نافع ردا بغير همز والباقون بالهمز وقرأ عاصم وحمزة يصدقني برفع القاف وروي ذلك ايضا
عن ابي عمرو والباقون بجزم القاف وهو المشهور عن ابي عمرو فمن رفع فالتقدير ردءا مصدقا لي ومن جزم كان على معنى
الجزاء اي ان ارسلته صدقني ونظيره قوله فهب لي من لدنك وليا يرثني جزما ورفعا
شيوخه ردءا كما يصدقني البحث الثالث احتج الجبائي على ان المعنى لكي يصدقني فرعون
والمعنى ارسل معي لكي يصدقني عند اجتماع البرهانين ربما حصل المقصود في تصديقي
البحث الرابع ليس الغرض بتصديق هرون ان يقول له صدقت او يقول للناس صدق موسى وانما هو ان يلخص
بلسانه الفصيح وجوه الدلائل ويجيب عن الشبهات ويجادل به الكفار فهذا هو التصديق المفيد ثم ترك الى قوله

البحث الخامس قوله صدقني لا تحجه دقوله ذكرناه انما نظرنا فيه الفصاحة وقابلية فارسله و
واخي هرون هو افصح مني لسانا
قال الجبائي انما سال موسى عليه السلام ان يرسل هرون بامر الله تعالى والا كان لا يحسن هل يصح هرون للبعثة ام لا لم يكن
ليسال ما لا يامن ان يجاب ولا يكون حكمة ويحتمل ايضا ان يقال انه ساله لا مطلقا بل مشروطا على معنى ان تقتضيه الحكمة وذلك
كما تقول الداعي في دعائه البحث السادس قال السدي نبيين وآيتين اقوى من نبي واحد وآية واحدة والقاضي
والاولى قال من جهة العادة انوى فاما من حيث الدلالة فلا فرق بين معجز ومعجزين لان المبعوث اليه ان نظر في احد كان علة
ولا فرق بينهما في الحال واحد وهذا ان كانت طريقة الدلالة في المعجزين واحدة واذا اختلفت وامكن في احدهما من الشبهة
دامكن في الاخر فقد يمتنع ان يختلفا ويصح عندنا ذلك ان يقال ان مجموعهما اقوى من احدهما على ما قاله السدي لكن ذلك
لا يتاتي في موسى وهرون لان معجزتهما كانت واحدة لا انها متغايرة اما قوله سنشد عضدك باخيك فاعلم ان العضد
قوام اليد وبشدتها تشتد يقال في دعاء الخير شد الله عضدك وفي ضده فت الله عضدك ومعنى سنشد عضدك باخيك
سنقويك به فاما ان يكون ذلك لان اليد تشتد بشدة العضد والجملة تقوى بشدة اليد على مزاوله الامور واما لان الرجل
شبه باليد في اشتدادها باشتداد العضد فجعل كانه يد مشتدة بعضد شديد واما قوله ويجعل لكما سلطانا
فلا يصلون اليكما والمقصود ان الله تعالى امنه مما كان يحذر فان قيل بين تعالى ان السلطان هو بالآيات
فكيف لا يصلون اليهما لاجل الآيات او ليس فرعون قد وصل الى صلب السحرة وان كانت هذه الآيات ظاهرة قلنا
ان الآيات التي هي قلب العصا حية كانت معجزة فهي ايضا تمنع من وصول ضرر فرعون الى موسى وهرون لانهم اذا علموا
انه متى القاها صارت حية عظيمة وان اراد ارسالها عليهم اهلكتهم زجرهم ذلك عن الاقدام عليهما فصارت مانعة
من الوصول اليهما بالقتل وغيره وصارت آية ومعجزة فجمعت بين الامرين فاما صلب السحرة فمن جملة ما يصلون
وليس في الظاهر ما يدل عليه وقوله فلا يصلون اليكما فالمنصوص انهم لا يصلون الى ايصال القتل
اليهما وايصال الضرر الى غيرهما لا يمتنع ثم قال ومن اتبعكما الغالبون والمراد اما الغلبة بالحجة والبرهان
في الحال او الغلبة في الدولة والمملكة في ثاني الحال والاول اقرب الى اللفظ اما قوله فلما جاءهم موسى باياتنا بينات
في سورة طه انه كيف اطلق لفظ الآيات وهو جمع على العصا واليد فالوا هذا سحر مفترى واختلفوا في معنى قوله
بعضهم المراد انه اذا كان سحرا فانه عليه موهم ثلاثة اشياء معا المفترى بمعنى الكذب المراد انه مفتري على الله تعالى ثم
من قبله فكانهم قالوا هو كذب من جهة الوصف ثم ضموا اليه ما يدل على جهلهم وهو قولهم ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين
اراد ما حدثنا بكونه فيهم ولا يخلو من ان يكونوا كاذبين في ذلك وقد سمعوا مثله او يريدوا انهم لم يسمعوا بمثله
في فظاعته او ما كان الكهان يخبرون بظهور موسى ومجيئه بما جاء به واعلم ان هذه الشبهة ساقطة لان
حاصلها يرجع الى التقليد ولان حال الانبياء لا يخلو من حيث ان النبي يورد عليهم مثل هذه الحجج بحيث يكون التذكر
ظاهرا واذا ورد عليهم فدفعوه بما يشبه ذلك من جهالهم وفي ماهم حجة فعند ذلك قال موسى ربي اعلم
ربي اعلم من جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار فاني من اظهر الحجج ولم يجد من الخصم اعتراضا
عليها بانما يجد منهم العناد صح ان يقول ربي اعلم من معه الهدى والحجة منا جميعا ومن هو على الباطل ويضم اليه
طريقة الوعيد والتخويف وهو قوله ومن له عاقبة الدار يعني ثواب على تمسكه بالحق او من عاقبة عاقبة الدنيا
هي العاقبة المحمودة والدليل عليه قوله تعالى اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن وقوله وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار
والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها ان يختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقي الملائكة بالبشرى
عند الموت فان قيل العاقبة المحمودة والمذمومة كلتاهما يصح ان تسمى عاقبة الدار لان الدنيا قد تكون خاتمتها
بخير في حق البعض وبشر في حق البعض الآخر فلم اختص خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر قلنا
قد وضع الله سبحانه الدنيا مجازا الى الاخرة وامر عباده ان لا يعملوا فيها الا الخير ليبلغوا خاتمة الخير وعاقبة العدل
فمن عمل فيها خلاف ما وضعها الله له فقد حرف فاذا عاقبتها له على الحقيقة هي عاقبة الخير اما عاقبة السوء فلا اعتداد
بها

قوله تعالى

لا ينال هامن شلح تحريف التجبار ثم انه عليه اعتقد ذلك بقوله تعالى انه لا يفلح الظالمون اذ المراد انهم لا يظفرون
بالفوز والنجاة والمنافع بل يحصلون على ضد ذلك وهذا في نهاية زجرهم عن العناد الذي ظهر منهم
وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيري فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى واني لاظنه
من الكاذبين فتكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون فنبذناهم في اليم فانظر
كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم ائمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم
القيامة هم من المقبوحين ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون
اعلم ان فرعون كانت عادته متى ظهرت حجة موسى ان يتعلق في دفع تلك الحجة بشبهة يروجها على اغمار قومه وذكر هاهنا شبهتين
الاولى قوله ما علمت لكم من اله غيري وهذا في الحقيقة يشتمل على كلامين احدهما نفي اله غيره والثاني اثبات الالهية لنفسه فاما
نفي اله غيره فكان اعتماده على انه لا دليل عليه فلم يجز اثباته اما انه لا دليل عليه فلان الدلالة الكواكب والافلاك كافية في
اختلاف احوال هذا العالم السفلي فلا حاجة الى اثبات صانع واما ان ما لا دليل عليه لم يجز اثباته فالامر فيه ظاهر
واعلم ان المقدمة الاولى كاذبة فانا لا نسلم انه لا دليل على وجود الصانع وذلك لانا اذا عرفنا بالدليل حدوث الاجسام
عرفنا حدوث الافلاك والكواكب وعرفنا بالضرورة ان المحدث لا بد له من محدث فحينئذ يعرف بالدليل ان لهذا العالم
صانعا والعجب انهم جاهلون اعتمدوا في كثير من المذاهب على ان ما لا دليل عليه يجب نفيه فالوا لنا دليلنا انه
لا دليل على الاول بحثنا وسبرنا فلم نجد عليه دليلا فرجعوا حاصل كلامهم الى التمسك بان ما لا نعرف عليه دليلا
فوجب نفيه ولم يرجعوا عن قطعه بالنفي بل بان لا دليل عليه فلما اثبته بلا ظنه كان دالا على دعواه متوجها على بطلانه
جملة احسن حالا من هذا المسلك اما الكلام الثاني وهو اثبات الالهية لنفسه فاعلم انه ليس المراد منه انه كان يدعي كونه
خالقا للسموات والارض والبحار والجبال وخالقا لذوات الناس وصفاتهم فان العلم بامتناع ذلك من اوائل العقول فالشك
فيه يقتضي زوال العقل بل الاله هو المعبود فالرجل كان ينفي الصانع ويقول ان التكليف على الناس الا ان يطيعوا ملكهم وينقادوا
لامره فهذا هو المراد من ادعائه الالهية لا ما ظنه الجمهور من ادعائه كونه خالقا للسموات والارض لا سيما وقد دللنا
في سورة طه في تفسير قوله فمن ربكما يا موسى على انه كان عارفا بالله وانه كان يقول ذلك تمويها على الاغمار من الناس
الشبهة الثانية قوله فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى واني لاظنه من الكاذبين و
هاهنا ابحاث الاول ان الملحدة يتمسكون بهذه الآية في ان الله في السموات قالوا لولا ان موسى عليه السلام دعا الى ذلك لما قال
فرعون هذا القول والجواب ان موسى عليه السلام دل فرعون بقوله رب السموات والارض ولم يقل هو الذي في السماء
دون الارض فلعل فرعون انه يقول ان الهه في السماء وذلك انما من خبث فرعون ومكره ودهائه الثاني
اختلفوا في ان فرعون هل بنى هذا الصرح قال قوم انه بناه قالوا انه لما امر ببناء الصرح جمع هامان العمال
حتى اجتمع خمسون الف بناء سوى الاتباع والفعلة ولم يطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير فشيدوه
حتى بلغ ما لم يبلغه احد من الخلق فبعث الله جبريل عليه السلام عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع
وقعت على عسكر فرعون فقتلت الف الف رجل ووقعت قطعة في البحر وقطعة في المغرب ولم يبق احد ممن عمل فيه الا وقد
هلك ويروى في هذه القصة ان فرعون ارتقى فوقه فرمى بنشابة نحو السماء فاراد الله ان يفتنهم فردت اليه وهي
ملطوخة بالدم فقال قد قتلت اله موسى فعند ذلك بعث الله جبريل عليه السلام لهدمه ومن الناس من قال
انه لم يبن ذلك الصرح لانه يبعد من العقلاء ان يظنوا انهم بصعود الصرح يقربون من السماء مع علمهم ان من على اعلى
الجبال الشاهقة يرى السماء كما كان يراها حين كان على قرار الارض ومن شك في ذلك خرج عن حد العقل
وهكذا القول فيما يقال من رمي السهم الى السماء ورجوعه متلطخا بالدم فان كل من كان كامل العقل يعلم انه
لا يمكنه ايصال السهم الى السماء وان من حاول ذلك كان من المجانين فلا يليق بالعقل الدين حمل القصة التي حكاها
الله تعالى في التنزيل على محمد نبيه فسياقه لغرضه العقل فيغير ذلك عن حقيقته الى من احب الطعن في القرآن

وبه أخرجناه أو بهم البنا ولم يتم أو كان هذا من تتمة قوله ما علمت لكم من إله غيري يعني لا سبيل إلى إثباته بالدليل فإن حركات
الكواكب كافية في تغير هذا العالم ولا سبيل إليه بالحس فإن الإحساس به لا يمكن إلا بالصعود إلى السماء وذلك مما لا سبيل إليه
ثم قال عند ذلك يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السماوات وإنما قاله على سبيل التهكم فمجموع هذه الأشياء قرر أنه لا دليل
على الصانع ثم رتب النتيجة عليه فقال وإني لأظنه من الكاذبين فهذا ما أدى إليه [illegible] الثالث إنما قال فأوقد لي
يا هامان على الطين ولم يقل اطبخ لي الآجر واتخذه لأنه أول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة لأن هذه العبارة أليق
بفصاحة القرآن وأشبه بكلام الجبابرة وأمر هامان وهو وزيره بالإيقاد على الطين فنادى باسمه وسط الكلام
دليل التعظم والتجبر والاطلاع الطلوع يقال طلع الجبل واطلع بمعنى واحد أما قوله واستكبر هو وجنوده في
الأرض بغير الحق فاعلم أن الاستكبار بالحق إنما هو لله تعالى وهو المتكبر في الحقيقة أي المبالغ في كبرياء الشأن
عليه السلام فيما حكى عن ربه الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في النار وكل مستكبر سواه
فاستكباره بغير الحق المسألة الثانية قال الجبائي الآية تدل على أنه تعالى ما أعطاه الملك وإلا لكان ذلك بحق [illegible]
كل متغلب لا كما ادعى ملوك بني أمية عند تغلبهم أن ملكهم من الله فإن الله [illegible] في كل ما [illegible] الله أنه أخذ ذلك
بغير حق واعلم أن هذا ضعيف لأن حصول ذلك الملك إما أن يكون من العبد أو من الله [illegible] فإن كان منه
فلم لم يقدر عليه غيره وربما كان العاجز أقوى وأعقل بكثير من المتولي للأمر وإن كان من الله [illegible]
الناس [illegible] على [illegible] هذا أظهر من أن [illegible] أما قوله وظنوا
أنهم إلينا لا يرجعون فهذا يدل على أنهم كانوا عارفين بالله تعالى إلا أنهم كانوا ينكرون البعث فلأجل ذلك تمردوا وطغوا
أما قوله فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فهو من الكلام المفخم الذي دل به على عظمة شأنه وكبرياء سلطانه شبههم
استحقارا لهم واستقلالا لعددهم وإن كانوا الكثير والجم الغفير بحصيات أخذهن آخذ في كفه فطرحهن
في البحر ونحو ذلك [illegible] وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة وما قدروا الله
حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه وليس الغرض منها إلا تصوير أن كل مقدور
وإن عظم فهو حقير بالقياس إلى قدرته أما قوله وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار فتمسك به الأصحاب في كونه
تعالى خالقا للخير والشر [illegible] وجعلناهم [illegible] ومنه قوله وجعلوا الملائكة
الذين هم عباد الرحمن إناثا [illegible] في [illegible] وتخلية [illegible] لأنه خلقهم أئمة لأنهم
[illegible] وجعلناهم أئمة من حيث [illegible] ولم [illegible]
من حيث كفروا [illegible] بالشر [illegible]
[illegible] ولن [illegible] وقال أبو مسلم معنى الإمام المقدم
فلما عجل الله لهم العذاب [illegible] علم أن [illegible]
[illegible] قوله لرسلنا [illegible] على الكافرين ومعنى دعوتهم إلى النار دعوتهم إلى موجباتها من الكفر والمعاصي فإن
أحدا لا يدعو إلى النار البتة وإنما جعلهم الله أئمة في هذا الباب [illegible] في هذا الباب إلى أقصى النهايات و
[illegible] فلذلك استحق [illegible] لما [illegible] في ذلك الباب ثم بين تعالى أن ذلك العقاب سينزل بهم على وجه
لا يمكن التخلص منه وهو معنى قوله ويوم القيامة لا ينصرون أي [illegible] ويوم القيامة لا ينصرون كما ينصر الأئمة
الدعاة إلى الجنة أما قوله وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ومعناه لعنة الله والملائكة لهم ولعن [illegible] المؤمنين
ويوم القيامة هم من المقبوحين [illegible] المطرودين الملعونين والقبح الإبعاد [illegible] قبحه الله أي نحاه
عن كل خير وقال ابن عباس من المشوهين بسواد الوجه وزرقة العين [illegible] حملوا القبح
على القبح الروحاني وهو الطرد والإبعاد من رحمة الله [illegible] وقيل إنه تعالى يقبح
صورهم ويقبح عليهم عملهم ويجمع لهم بين الفضيحتين ثم بين تعالى ما أنزل [illegible] وما أجاب به موسى [illegible]
ولقد

159

ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى والكتاب هو التوراة ووصفه تعالى بأنه بصائر للناس من حيث
يستبصر به في باب الدين وهدى من حيث يستدل به ومن حيث إن المتمسك به يفوز بطلبته من الثواب ووصفه بأنه
رحمة لأنه من نعم الله على من تعبد به وذكر أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما أهلك الله قوما من القرون
بعذاب من السماء ولا من الأرض منذ أنزل التوراة غير أهل القرية التي مسخها قردة أما قوله لعلهم يتذكرون فالمراد لكي
يتذكروا [illegible] وذلك يدل على إرادته التذكر من كل مكلف سواء اختاره أو لم يختره وفيه إبطال مذهب المجبرة
الذين يقولون ما أراد التذكر إلا ممن يتذكر فأما من لا يتذكر فقد كره ذلك منه ويقوي القول [illegible] لعلهم يتذكرون
[illegible] قوله ولقد [illegible] على العاقبة [illegible] العاقبة [illegible] حصول هذا التذكر له
وذلك في الآخرة قوله تعالى وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ولكنا
أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب
الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ولولا أن تصيبهم مصيبة
بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين اعلم أن في الآية سؤالات
السؤال الأول الجانب موصوف والغربي صفته فكيف أضاف الموصوف إلى الصفة والجواب هذا مسألة خلافية بين
النحويين فعند البصريين لا يجوز إضافة الموصوف إلى الصفة إلا بشرط خاص [illegible] عند الكوفيين يجوز ذلك مطلقا حجة
البصريين أن إضافة الموصوف إلى الصفة تقتضي إضافة الشيء إلى نفسه وهذا غير جائز فذلك غير جائز بيان الملازمة
[illegible] الطريق بلفظ الطريق يدل على شيء متعين في نفسه مجهول بحسب هذا اللفظ حصلت له الظرافة
فإذا [illegible] على زيد عرفنا أن ذلك الشيء الذي حصلت له الظرافة هو زيد إذا ثبت هذا فلو أضفنا زيدا إلى الظريف
لكنا قد أضفنا زيدا إلى زيد وإضافة الشيء إلى نفسه غير جائزة فإضافة الموصوف إلى صفته وجب أن لا يجوز إلا أنه جاء
على خلاف هذه القاعدة ألفاظ وهي قوله في هذه الآية وما كنت بجانب الغربي وقوله ذلك دين القيمة وقوله حق اليقين
ولدار الآخرة وقولهم صلاة الأولى ومسجد المكان الجامع وبقلة الحمقاء [illegible] في هذه المواضع المضاف إليه
ليس هو النعت بل المنعوت إلا أنه حذف المنعوت وأقيم النعت مقامه فها هنا بتقدير كأن ذلك النعت كالمتعين
لذلك المنعوت [illegible] الدلالة أنا نرى أنه ليس لك أن تقول عندك جيد على معنى عندك درهم جيد وتجوز
مررت بالفقيه على معنى مررت بالرجل الفقيه لأن الفقيه يعلم أنه لا يكون إلا من الناس والجيد قد يكون درهما وقد يكون
غيره وإذا كان كذلك حسن قوله جانب الغربي لأن الغربي هو الموصوف بالغربي الذي يضاف إليه الجانب [illegible] مكانا
[illegible] فلا جرم حسنت هذه الإضافة وكذا القول في البواقي السؤال الثاني ما معنى قوله إذ قضينا إلى
موسى الأمر الجواب الجانب الغربي هو المكان الواقع في شق الغرب وهو المكان الذي وقع فيه ميقات موسى
من الطور وكتب الله له في الألواح والأمر المقضي إلى موسى عليه السلام الوحي الذي أوحي إليه والخطاب لرسول الله
يقول وما كنت حاضرا المكان الذي أوحينا فيه إلى موسى وما كنت من جملة الشاهدين للوحي إليه أو على الوحي إليه وهم
نقباؤه الذين اختارهم للميقات السؤال الثالث لما قال وما كنت بجانب الغربي ثبت أنه لم يكن شاهدا لأن
الشاهد لا بد وأن يكون حاضرا فما الفائدة في إعادة قوله وما كنت من الشاهدين الجواب قال ابن عباس التقدير
لم تحضر ذلك الموضع ولو حضرت فما شاهدت تلك الوقائع فإنه يجوز أن يكون هناك ولا يشهد ولا يرى السؤال
الرابع كيف يتصل قوله ولكنا أنشأنا قرونا بهذا الكلام ومن أي وجه يكون استدراكا له الجواب معنى الآية ولكنا أنشأنا
بعد عهد موسى إلى عهدك قرونا كثيرة فتطاول على آخرهم وهو القرن الذي أنت فيهم فاندرست العلوم
فوجب إرسالك إليهم فأرسلناك وعرفناك أحوال الأنبياء وأحوال موسى فالحاصل كأنه قال وما كنت شاهدا
لموسى وما جرى عليه ولكنا أوحيناه إليك فذكر سبب الوحي الذي هو إطالة الفترة ودل به على المسبب فإذا هذا
الاستدراك شبيه الاستدراك الذي بعده [illegible] أن في إخبارك عن هذه الأشياء من غير

حضور ولا شاهد ولا نعلم من اهله دلالة ظاهرة على نبوتك كما قال اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى اما قوله وما كنت ثاويا
في اهل مدين فالمعنى ما كنت مقيما فيهم واما قوله تتلوا عليهم اياتنا ففيه وجهان الاول قال مقاتل يقول لم تشهد اهل مدين
فتقرأ على اهل مكة خبرهم ولكنا كنا مرسلين اى ارسلناك الى اهل مكة وانزلنا عليك هذه الاخبار ولولا ذلك لما علمتها الثاني
قال الضحاك يقول انك يا محمد لم تكن الرسول الى اهل مدين تتلو عليهم الكتاب وانما كان غيرك ولكنا كنا مرسلين في كل زمان
رسولا فارسلنا الى مدين شعيبا وارسلناك الى العرب لتكون خاتم الانبياء اما قوله وما كنت بجانب الطور اذ نادينا
يريد مناداة موسى ليلة المناجاة وتكليمه ولكن رحمة من ربك اى علمناك رحمة وقرا عيسى بن عمر بالرفع اى هي رحمة وذكر
المفسرين في قوله اذ نادينا وجوها اخر احدها اذ نادينا اى قلنا لموسى رحمتي وسعت كل شيء الى قوله اولئك هم المفلحون
وثانيها قال ابن عباس اذ نادينا امتك في اصلاب ابائهم يا امة محمد اجبتكم قبل ان تدعوني واعطيتكم قبل ان تسألوني
وغفرت لكم قبل ان تستغفروني قال وانما قال ذلك حين اختار موسى سبعين رجلا لميقات ربه وثالثها قال وهب
لما ذكر الله لموسى فضل امة محمد قال يا رب ارنيهم قال انك لن تدركهم وان شئت اسمعتك صوتهم قال بلى يا رب
فقال سبحانه يا امة محمد فاجابوه من اصلاب ابائهم واسمعه الله اصواتهم ثم قال اجبتكم قبل ان تدعوني ورابعها
ما ذكره ابن عباس ورواه مرفوعا سهل بن سعد عن النبي عليه السلام في قوله وما كنت بجانب الطور اذ نادينا قال كتب الله كتابا
قبل ان يخلق الخلق بالفي عام ثم وضعه على العرش ثم نادى يا امة محمد ان رحمتي سبقت غضبي اعطيتكم قبل ان تسألوني
وغفرت لكم قبل ان تستغفروني من لقيني منكم يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ادخلته الجنة اما
قوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك فالمراد منه تحقيق العقاب على المعصية فاعلم انه تعالى لما بين قصة
موسى عليه السلام قال لرسوله وما كنت بجانب الغربي وما كنت ثاويا في اهل مدين وما كنت بجانب الطور فجمع تعالى بين كل ذلك
لان هذه الاحوال الثلاثة هي الاحوال العظيمة التي اتفقت لموسى عليه السلام لان المراد بقوله اذ قضينا الى موسى الامر انزال التورية
حتى تكامل دينه واستقر شرعه والمراد بقوله وما كنت ثاويا اول امره والمراد بقوله اذ نادينا وسط امره وهو ليلة المناجاة
ولما بين انه عليه السلام لم يكن في هذه الاحوال حاضرا بين تعالى انه بعثه وعرفه هذه الاحوال رحمة للعالمين ثم فسر تلك
الرحمة بان قال لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك واختلفوا فيه فقال بعضهم لم تبعث اليهم نبيا ثم قال بعضهم
حجة الانبياء كانت قائمة عليهم ولكنه ما بعث اليهم من يجدد تلك الحجة عليهم وقال بعضهم بل بعد وقوع الفترة في التكاليف
بعثه الله تعالى ليتقرر التكاليف وازالة العلة اما قوله ولولا ان تصيبهم مصيبة الاية ففيه مسائل احديها قال صاحب الكشاف
لولا الاولى امتناعية وجوابها محذوف والثانية تحضيضية والفاء الاولى للعطف وفي قوله فنتبع جواب
لولا لكونها في حكم الامر من قبل ان الامر باعث على الفعل والباعث والمحضض من واد واحد والمعنى ولولا انهم قائلون
اذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي هلا ارسلت الينا رسولا محتجين علينا بذلك لما ارسلنا اليهم يعني انما
ارسلنا الرسول ازالة لهذا العذر وهو كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا
نذير لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك … علم انه تعالى لو لم يبعث ولولا ان يقولوا هذا العذر لما ارسلنا وانما السبب في
ذلك لكنه … انهم لما كانوا يقولون ذلك اذا نالهم العقاب
فيقال كيف علل انهم لم يذكروا هذا العذر تاسفا على ما فاتهم بل لما لحقهم من العقاب وفيه تنبيه على
استحكام كفرهم ورسوخه فيهم كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وفي الاية مسائل المسألة الاولى احتج
الجبائي بهذه الاية على وجوب فعل اللطف قال لو لم يجب لما كان لهم ان يقولوا هلا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك
ونحن … الاعتراض … لا … خالقه … اللطف
… فيما لو فعل … لم يكن له … يفعل ذلك المسألة الثانية احتج الكعبي به على ان الله
تعالى يقبل حجة العباد وليس … كما يقوله اهل السنة قلنا انه تعالى لا يقبل الحجة وظهر بهذا انه ليس المراد
من قوله لا يسأل عما يفعل ما ظنه اهل السنة … انه يقبل الحجة وحمل … يفعل العبد بخلق الله

والا

والا لكان للكافر اعظم حجة على الله المسألة الثالثة قال القاضي فيه ابطال القول بالجبر من جهات احدها ان اتباعهم و
ايمانهم موقوف على … ذلك فيهم … الرسول لهم … وثانيها انه اذا خلق القدرة على ذلك فيهم … الرسل
الرسول لهم … وثالثها … لو كانت افعالهم خلقا لله تعالى لكان
العاصي … الكفر … والعلم فاذا علم الكفر منهم … انه لا يوجد
الكفر مع حصول العلم بالكفر فكيف يجمع بين … عليه … وان كانت … انه
اذا توجه عليه … نجيب عنه … ان يقول عليه

قوله تعالى

فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل قالوا ساحران تظاهرا وقالوا
انا بكل كافرون قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون
اهواءهم ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين ولقد وصلنا لهم القول لعلهم
يتذكرون الذين اتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا انا كنا
من قبله مسلمين اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون واذا سمعوا
اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين اعلم انه تعالى لما حكى عنهم انهم
عند الخوف قالوا هلا ارسلت الينا رسولا فنتبع بين انه لما بعثه اليهم محمدا قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى
فهؤلاء قبل البعثة يتعلقون بشبهة وبعد البعثة يتعلقون باخرى فظهر انه لا مقصود
لهم سوى اللجاج والعناد اما قوله فلما جاءهم الحق من عندنا اى جاءهم الرسول المصدق بالكتاب المعجز مع سائر
المعجزات قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى من الكتاب المنزل جملة واحدة ومن سائر المعجزات كقلب العصا حية واليد
البيضاء وفلق البحر وتظليل الغمام وانفجار الحجر بالماء والمن والسلوى ومن ان الله كلمه وكتب له في الالواح
وغيرها من الايات تجاوزا في الاقتراحات المبنية على التعنت والعناد كما قالوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك
وما اشبه ذلك واعلم ان الذي اقترحوه غير لازم لانه لا يجب في معجزات الانبياء ان يكون واحدة وانما نزل الله
من الكتب بحسب ما يعلم في ذلك من الصلاح فيجوز ان ينزله مجموعا كالتوراة ومفرقا كالقرآن ثم انه تعالى
اجاب عن هذه الشبهة بقوله اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل واختلفوا في الضمير في قوله اولم يكفروا الى من
يعود وذكروا وجوها احدها ان اليهود امروا قريشا ان يسألوا محمدا مثل ما اوتي موسى عليه السلام فقال تعالى
افلم يكفروا بما اوتي موسى من قبل يعني اولم يكفر اباء هؤلاء اليهود الذين بعثوا هذا السؤال لموسى عليه السلام
مع تلك الايات الباهرة وثانيها ان الذين كفروا بهذا الاقتراح كفار مكة والذين كفروا بموسى هم الذين
كانوا في زمان موسى الا انه تعالى جعلهم كالشيء الواحد لانهم في الكفر والتعنت كالشيء الواحد وثالثها قال الكلبي
ان مشركي مكة بعثوا رهطا الى يهود المدينة يسألونهم عن محمد وشأنه فقالوا انا نجده في التوراة بنعته
وصفته فلما رجع الرهط اليهم اخبروهم بقول اليهود قالوا انه كان ساحرا كما ان محمدا ساحر فقال تعالى
في حقهم اولم يكفروا بما اوتي موسى ورابعها قال الحسن قد كان للعرب اصل في ايام موسى فمعناه على هذا اولم يكفروا
اباؤهم بان قالوا في موسى وهرون ساحران وخامسها قال قتادة اولم يكفر اليهود في عصر محمد بما اوتي موسى
من قبل من البشارة بعيسى ومحمد وقالوا ساحران وسادسها انه ليس الظاهر عندي ان كفار قريش ومكة
كانوا منكرين لجميع النبوات ثم انهم لما طلبوا من الرسول معجزات موسى عليه السلام قال الله تعالى اولم يكفروا
بما اوتي موسى من قبل بل بما اوتي جميع الانبياء من قبل فعلمنا انه لا غرض لكم من هذا الاقتراح الا التعنت ثم انه
تعالى حكى كيفية كفرهم بما اوتي موسى من قبل وهو قولهم ساحران تظاهرا قرأ ابن كثير وابو عمرو
واهل المدينة ساحران يعني موسى وهرون وقرأ اهل الكوفة بغير الف وذكروا في تفسير الساحرين وجوها احدها المراد
هرون وموسى عليهما السلام تظاهرا اى تعاونا وترك اظهارها على الادغام وسحران بمعنى ذوا سحر او جعلوهما

سحرين مبالغة في وصفهما بالسحر وكثير من المفسرين فسروا قوله سحران بانهما هو القرآن والتوراة واختار ابو
عبيدة القراءة بالالف لان المظاهرة بالناس وافعالهم اشبه منها بالكتب وجوابه انا بينا ان قوله سحران يمكن حمله
على الرجلين ثم قد بينا انه يمكن ان يكون المراد الكتابين لما كان كل واحد من الكتابين يقوي الآخر ثم بعد ان يحمل على سبيل المجاز
تعاونا كما يقال تظاهرت الاخبار وهذه التأويلات انما تصح اذا حملنا قوله اولم يكفروا بما اوتي موسى على كفار
مكة او على الكفار الذين كانوا في زمان موسى ثم قال [illegible] بان الآية والثاني قولهم انا بكل كافرون اي بما انزل
على محمد وموسى وسائر الانبياء ومعلوم ان هذا الكلام لا يليق الا بالمشركين لا باليهود وفي ذلك مبالغة لانهم مع كثرة ايات
موسى عليه السلم كذبوه فما الذي يمنع من مثله في محمد عليه السلم ولما ظهرت حجته ولما اجاب الله تعالى عن شبهتهم ذكر الحجة
الدالة على صدق محمد عليه السلم فقال قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه وهذا تنبيه على عجزهم عن الاتيان بمثله
قال الزجاج اتبعه بالجزم على الشرط ومن قرأ اتبعه بالرفع فالتقدير انا اتبعه ثم قال فان لم يستجيبوا لك
ابن عباس يريد فان لم يؤمنوا بما جئت به من الحجج ولم يأتوا بمثله فاعلم انما يتبعون اهواءهم [illegible] بل [illegible]
قبل الاستجابة [illegible] الدعاء [illegible] قوله فاتوا بكتاب [illegible] الى الفعل [illegible] فاعلم انما يتبعون
اهواءهم [illegible] ثم [illegible] اتباع الهوى [illegible] ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله
[illegible] ثم قال ان الله لا يهدي القوم الظالمين وهو عام يتناول الكافر
من [illegible] والتقليد [illegible] وقال المعتزلة الالطاف
لقوله ان الشرك لظلم عظيم واحتج الاصحاب به في ان هداية الله تعالى خاصة بالمؤمنين وقال المعتزلة الالطاف
[illegible] انه الدليل عليه ثم قوله والتقدير ان لم هدى الله قوله
ان الله لا يهدي القوم الظالمين محمول على القسم الثاني ولا يجوز حمله على القسم الاول لانه تعالى لما تكلف [illegible]
المتقدمة ان عدم بعثة الرسل جار مجرى العذر لهم [illegible] عدم الهداية عذر الهم ادلى ولهذا
[illegible] نبوة محمد بهذه الدلالة قال ولقد وصلنا لهم القول وتوصيل القول هو اتيان بيان بعد بيان
[illegible] البعض بالبعض وهذا القول الموصل يحتمل ان يكون المراد فمنه انا انزلنا القرآن منجما مفرقا
[illegible] بعضه ببعض لكون ذلك اقرب الى التذكر والتنبه فانهم في كل يوم يطلعون على حكمة اخرى وفائدة
زائدة فيكونون عند ذلك اقرب الى التذكر وعلى هذا التقدير يكون هذا جوابا لقولهم هلا اوتي محمد كتابه دفعة
واحدة كما اوتي موسى كتابه كذلك ويحتمل ان يكون المراد وصلنا اخبار الانبياء بعضها ببعض واخبار الكفار
في كيفية هلاكهم تكثيرا للمواعظ والزواجر ويحتمل ان يكون المراد بينا الدلالة على كون هذا القرآن معجزة
مرة بعد اخرى لعلهم يتذكرون ثم انه تعالى لما اقام الدلالة على النبوة اكد ذلك بان قال الذين آتيناهم
الكتاب من قبله هم به يؤمنون [illegible] الكتب [illegible] واختلفوا في المراد بقوله الذين آتيناهم
الكتاب وذكروا وجوها احدها قال قتادة انها نزلت في اناس من اهل الكتاب كانوا على شريعة حقة
يتمسكون بها فلما بعث الله محمدا آمنوا به من جملتهم سلمان وعبد الله بن سلام وثانيها قال مقاتل نزلت
في اربعين رجلا من اهل الانجيل من اصحاب السفينة جاءوا من الحبشة مع جعفر وثالثها قال رفاعة
نزلت في عشرة اناس احدهم [illegible] ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فكل من حصل في حقه
تلك الصفة كان داخلا في الآية ثم حكى عنهم ما يدل على تأكيد ايمانهم وهو قولهم آمنا به انه الحق من ربنا
انا كنا من قبله مسلمين فقوله انه الحق من ربنا تعليل لمعنى كونه حقا من عند الله تعالى
يوجب الايمان به وقوله انا كنا من قبله مسلمين بيان لقوله آمنا به لانه يحتمل ان يكون ايمانا قريب العهد
وبعيده فاخبروا ان ايمانهم به متقادم وذلك لما وجدوه في كتب الانبياء المتقدمين من البشارة بمقدمه
ثم انه تعالى لما مدحهم بهذا المدح العظيم قال اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا وذكروا وجوها احدها
انهم يؤتون اجرهم مرتين بايمانهم بمحمد قبل البعثة ثم ايمانهم به مرتين وحسبك [illegible] ذلك وثانيها

يؤتون الاجر مرة بايمانهم بالانبياء الذين كانوا قبل محمد ومرة بايمانهم بمحمد [illegible] وثالثها قال مقاتل [illegible]
لما آمنوا بمحمد عليه السلم شتمهم المشركون فصفحوا عنهم فلهم اجران اجر على الصفح واجر على الايمان وروي انهم لما
اسلموا لعنهم ابو جهل فسكتوا عنه قال السدي اليهود عابوا عبد الله بن سلام وشتموه وهو يقول سلام عليكم
ويدرءون بالحسنة السيئة والمعنى الطاعة المعصية المتقدمة ويحتمل ان يكون المراد دفعوا بالعفو الاذى [illegible]
[illegible] ويحتمل ان يكون المراد ما اتبعوه من المعاصي لان الحسنات يذهبن السيئات [illegible]
[illegible] ومما رزقناهم ينفقون واعلم انه تعالى مدحهم اولا بالايمان
ثم بالطاعات البدنية في قوله ويدرءون بالحسنة السيئة ثم بالطاعة المالية في قوله ومما رزقناهم ينفقون [illegible]
[illegible] على الحلم [illegible] ان [illegible] اللغو [illegible]
رزقنا [illegible] بسط [illegible] الطاعة [illegible] عنهم
عن الجهال [illegible] واذا سمعوا اللغو واللغو [illegible] ان يلغى ويترك من العبث [illegible] كانوا يسمعون ذلك
فلا يقعدون معه بل يعرضون عنه اعرضوا عنه [illegible] وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم
وما احسن ما قال الحسن رحمه الله في قوله ان هذه الكلمة تحية بين المؤمنين وعلامة الاحتمال من الجاهلين
ونظيره قوله [illegible] الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ثم اكد تعالى
ذلك حاكيا عنهم لا نبتغي الجاهلين [illegible] انهم بالباطل على باطلهم ثم نسخ ذلك بالامر بالقتال [illegible]
ان يكون المشاقة [illegible] القتال ولهذا

قوله تعالى

انك لا تهدي من احببت [illegible]
[illegible] بالمهتدين وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا اولم نمكن لهم حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل
شيء رزقا من لدنا ولكن اكثرهم لا يعلمون اعلم ان قوله تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء مسائل المسألة
الاولى هذه الاية لا دلالة في ظاهرها على كفر ابي طالب ثم قال الزجاج اجمع المسلمون على انها نزلت في ابي طالب [illegible]
[illegible] يا معشر بني عبد مناف اطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال عليه السلم يا عم تأمرهم بالنصيحة
لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن اخي قال اريد منك كلمة واحدة فانك في آخر يوم من ايام الدنيا ان تقول لا اله
الا الله اشهد لك بها عند الله تعالى قال يا ابن اخي قد علمت انك لصادق ولكني اكره ان يقال جزع عند الموت ولولا
ان يكون عليك وعلى بني ابيك غضاضة ومسبة بعدي لقلتها ولاقررت بها عينك عند الفراق لما ارى من شدة وجدك
ونصيحتك ولكني سوف اموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف المسألة الثانية انه تعالى
قال هاهنا انك لا تهدي من احببت وقال في آية اخرى وانك لتهدي الى صراط مستقيم ولا تنافي بينهما فان الذي
اثبته واضافه اليه الدعوة والبيان والذي نفى عنه هداية التوفيق وشرح الصدر وهو نور يقذف في القلب فيحيى به القلب
كما قال سبحانه اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا المسألة الثالثة احتج الاصحاب بهذه الاية في مسألة الهدى
والضلال فقالوا قوله انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء يقتضي ان تكون الهداية في الموضعين بمعنى
واحد لانه لو كان المراد من الهداية في قوله انك لا تهدي شيئا وفي قوله ولكن الله يهدي شيئا آخر لاختل النظم
ثم اما ان يكون المراد من الهداية بيان الادلة والدعوة الى الجنة او تعريف طريق الجنة او خلق المعرفة على سبيل الالجاء
او خلق المعرفة في القلوب لا على سبيل الالجاء لا جائز ان يكون المراد بيان الادلة لانه عليه السلم هدى الكل بهذا المعنى فهي
غير الهداية التي نفى الله عمومها وهكذا القول في الهداية بمعنى الدعوة الى الجنة واما الهداية بمعنى تعريف طريق
الجنة فهي ايضا غير مراده من الاية لانه تعالى علق هذه الهداية على المشيئة وتعريف طريق الجنة غير معلق على
المشيئة لانه واجب على الله والواجب لا يكون معلقا على المشيئة فمن وجب عليه اداء عشرة دنانير لا يقول
اعطي عشرة دنانير ان شئت ولا الهداية بمعنى الالجاء والقسر غير جائز لان ذلك عندهم قبيح من الله تعالى في
حق المكلف وفعل القبيح مستلزم للجهل او الحاجة وهما محالان ومستلزم المحال محال فذلك محال على الله والمحال لا يحوز

تعليقه على المشيئة ولما بطلت اقسام المسبق الا ان المراد انه تعالى يخص البعض بخلق الهداية والمعونة ويمنع البعض منها وانه لا يسأل عما يفعل ومتى اوردت الكلام على هذا الوجه سقط كل ما اورده القاضي عند ذلك اما قوله وهو اعلم بالمهتدين فالمعنى انه المختص بعلم الغيب فيعلم من يهتدي بعد ومن لا يهتدي ثم انه سبحانه بعد ان ذكر شبهتهم واجاب عنها بالاجوبة الواضحة وبين ان وضوح الدلائل لا يكفي ما لم ينضم اليه هداية الله تعالى حكى عنهم شبهة اخرى متعلقة باحوال الدنيا وهي قولهم ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا قال المبرد الخطف الانتزاع بسرعة روي ان الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا لنعلم ان الذي تقوله حق ولكنا ان اتبعناك تخطفنا من ارضنا اي يجتمعون على محاربتنا ويخرجوننا من ارضنا فاجاب الله سبحانه من وجوه الاول قوله اولم نمكن لهم حرما آمنا اي اعطيناهم مسكنا لا خوف لهم فيه اما لان العرب كانوا يحترمون الحرم وما كانوا يتعرضون البتة لسكانها فانه يروى ان العرب خارج الحرم كانوا مشتغلين بالنهب والغارة وما كانوا يتعرضون البتة لسكان الحرم او لقوله تعالى ومن دخله كان آمنا اما قوله يجبى اليه ثمرات كل شيء فهو تعالى كما بين كون ذلك الموضع خاليا عن المخاوف والآفات بين كثرة النعم فيه ومعنى يجبى يجمع من قولك جبيت الماء في الحوض اذا جمعته قرأ اهل المدينة تجبى بالتاء واهل الكوفة وابو عمرو بالياء وذلك ان تأنيث الثمرات جمع وليس بتأنيث حقيقي فيجوز تأنيثه على اللفظ وتذكيره على المعنى ومعنى الكل الكثرة كقوله واوتيت من كل شيء وحاصل الجواب انه تعالى لما جعل الحرم آمنا واكثر فيه الرزق حال كونهم معرضين عن عبادة الله مقبلين على عبادة الاوثان فلو آمنوا لكان بقاء هذه الحالة اولى الثاني ولو ان الرسول قال لهم ان الذي ذكرتم من التخطف لو كان حقا لم يكن عذرا لكم في ان لا تؤمنوا وتظهروا الحجة لا تقطعوا ولو علموا ان تخطفهم لكم بالقتل وغيره وقد آمنتم كالشهادة لكم فهي مع ما يعقبكم لا تقطعوا ايضا ولو انا سلمنا ما قد مضرته التخطف يوجب العقاب الدائم الذي افوق منه ان تقيموا على كفركم لا تقطعوا لكنه تعالى احتج بما هو اولى من حيث بين كذبهم في انهم يتخطفون من حيث عرفوا من حال البقعة بالعادة ان ذلك لا يجوز ان آمنوا ومثل ذلك اذا امكن بيانه للخصم فهو اولى من سائر ما دل على ذلك نعم الله تعالى والآية دالة على صحة الحجاج الذي يتوصل به الى ازالة شبهة المبطلين من وجهها وفيها بحثان الاول قال صاحب الكشاف في انتصاب رزقا ان جعلته مصدرا جاز ان ينتصب بمعنى ما قبله لان معنى يجبى اليه ثمرات كل شيء ويرزق ثمرات كل شيء واحد وان يكون مفعولا له وان جعلته بمعنى مرزوق كان حالا من الثمرات لتخصيصها بالاضافة كما تنتصب عن النكرة المتخصصة بالصفة الثاني احتج الاصحاب بقوله رزقا من لدنا في ان فعل العبد خلق الله تعالى وبيانه ان تلك الارزاق انما كانت تصل اليهم لان الناس كانوا يحملونها اليهم فلو لم يكن فعل العبد خلقا لله تعالى لما صحت تلك الاضافة فان قيل سبب تلك الاضافة انه تعالى هو الذي القى تلك الدواعي في قلوب من ذهب بتلك الارزاق اليهم قلنا تلك الدواعي ان اقتضت الرجحان فقد بينا في غير موضع انه متى حصل الرجحان فقد حصل الوجوب وحينئذ يحصل المقصود وان لم يحصل الرجحان انقطعت الاضافة بالكلية واعلم انه تعالى انما بين ان تلك الارزاق ما وصلت اليهم الا من الله لاجل انهم متى علموا ذلك صاروا بحيث لا يخافون احدا سوى الله ولا يرجون احدا غير الله فيبقى نظرهم منقطعا عن الخلق متعلقا بالخالق وذلك يوجب كمال الايمان والاعراض بالكلية عن غير الله والاقبال بالكلية على طاعة الله **قوله تعالى** وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون اعلم ان هذا هو الجواب الثاني عن تلك الشبهة وذلك لانه تعالى لما بين لاهل مكة ما خصوا به من النعم اتبعه بما انزل الله تعالى بالامم

الماضية

الماضية الذين كانوا في نعم الدنيا فلما كذبوا الرسل ازال الله عنهم تلك النعم والمقصود ان الكفار لما قالوا انا ان نؤمن خفنا من زوال نعمة الدنيا فالله تعالى بين لهم ان الاصرار على عدم قبول الايمان هو الذي يزيل هذه النعم لا الاقدام على الايمان قال صاحب الكشاف البطر سوء احتمال الغنى وهو ان لا يحفظ حق الله فيه وانتصبت معيشتها اما بحذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه او بتقدير حذف الزمان المضاف اصله بطرت ايام معيشتها واما بتضمين بطرت معنى كفرت فاما قوله فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا ففي هذا الاستثناء وجوه احدها قال ابن عباس لم يسكنها الا المسافر ومار الطريق يوما او ساعة وثانيها يحتمل ان شؤم معاصي المهلكين بقي اثره في ديارهم فكل من سكنها من اعقابهم لم يبق فيها الا قليلا وكنا نحن الوارثين لها بعد هلاك اهلها واذا لم يبق للشيء مالك معين قيل انه ميراث الله لانه الباقي بعد فناء خلقه ثم انه سبحانه لما ذكر انه اهلك تلك القرى بسبب بطر اهلها فكان سائلا اورد السؤال من وجهين الاول لماذا ما اهلك الله الكفار قبل محمد مع انهم كانوا مستغرقين في الكفر والعناد ولماذا ما اهلكهم بعد مبعث محمد عليه السلام مع تمادي القوم في الكفر بالله والتكذيب لمحمد عليه السلام فاجاب عن السؤال الاول بقوله وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلو عليهم آياتنا وحاصل الجواب انه تعالى قدم بيان ان عدم البعث يجري مجرى العذر للقوم فوجب ان لا يهلكهم الا بعد البعثة ثم ذكر المفسرون وجهين احدهما وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها اي في القرية التي هي امها واصلها وقصبتها التي هي اعمالها وتوابعها رسولا لالزام الحجة وقطع المعذرة والثاني وما كان يهلك القرى التي في الارض حتى يبعث في ام القرى يعني مكة رسولا وهو محمد عليه السلام خاتم الانبياء ومعنى يتلو عليهم آياتنا اي يؤدي ويبلغ واجاب عن السؤال الثاني بقوله وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون انفسهم بالشرك واهل مكة ليسوا كذلك فان بعضهم قد آمن وبعضهم علم الله منهم انهم سيؤمنون وبعض آخرين علم الله انهم وان لم يؤمنوا لكنه يخرج من نسلهم من يكون مؤمنا **قوله تعالى** وما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وابقى افلا تعقلون افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين اعلم ان هذا هو الجواب الثالث عن تلك الشبهة وذلك لان حاصل شبهتهم ان قالوا تركنا الدين لئلا تفوتنا الدنيا فبين تعالى ان ذلك خطأ عظيم لان ما عند الله خير وابقى اما انه خير فلوجهين احدهما ان المنافع هناك اعظم وثانيها انها خالصة عن الشوائب ومنافع الدنيا مشوبة بالمضار بل المضار فيها اكثر واما انها ابقى فلانها دائمة غير منقطعة ومنافع الدنيا منقطعة ومتى قوبل المتناهي بغير المتناهي كان عدما فكيف ونصيب كل احد بالنسبة الى منافع الدنيا كلها كالذرة بالقياس الى البحر فظهر من هذا ان منافع الدنيا لا نسبة لها الى منافع الآخرة البتة فكان من الجهل العظيم ترك منافع الآخرة لاستبقاء منافع الدنيا ولما نبه سبحانه على ذلك قال افلا تعقلون يعني ان من لا يرجح منافع الآخرة على منافع الدنيا كانه يكون خارجا عن حد العقل ورحم الله الشافعي حيث قال من اوصى بثلث ماله لاعقل الناس صرف ذلك الثلث الى المشتغلين بطاعة الله وقال لان اعقل الناس من اعطى القليل واخذ الكثير وما هم الا المشتغلون بالطاعة فكانه رحمه الله انما اخذ من هذه الآية ثم انه تعالى اكد هذا الترجيح من وجه آخر وهو انا لو فرضنا ان نعم الدنيا كانت تنتهي الى الانقطاع والفناء وما كانت تتصل بالعذاب الدائم لكان صريح العقل يقتضي ترجيح نعم الآخرة على نعم الدنيا فكيف اذا اتصلت نعم الدنيا بعقاب الآخرة فاي عقل يرتاب في ان نعم الآخرة راجحة عليها وهو المراد بقوله افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه اعطاه الله قدرا قليلا من متاع الدنيا ثم يكون في الآخرة من المحضرين للعقاب والمقصود انهم لما قالوا تركنا الدين للدنيا قال الله تعالى لهم لو لم يحصل عقيب دنياكم مضرة العقاب لكان العقل يقتضي ترجيح منافع الآخرة على منافع الدنيا فكيف وهذه الدنيا يحصل بعدها العقاب الدائم واورد هذا الكلام على لفظ الاستفهام ليكون

البلغ في الاعتراف بالترجيح وتخصيص لفظ المحضرين بأشد الحضور والعذاب أمر عرف من القرآن قال تعالى لكنت من المحضرين
فإنهم لمحضرون وفي اللفظ إشعار به لأن الإحضار يشعر بالتكليف والإلزام وذلك لا يليق بمجالس اللذات فإنما يليق بمجالس
العذر والمهان **قوله تعالى** ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون قال الذين حق
عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون وقيل ادعوا شركاءكم
فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين فعميت
عليهم الأنباء يومئذ فهم لا يتساءلون اعلم أنه سبحانه وتعالى ذكر في هذه الآية أنه يسأل الكفار يوم القيامة عن ثلاثة أشياء
أحدها قوله ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون لما سأل الكفار يوم القيامة عن حجة على سلطان كانوا
عليه وعن أخص التوحيد والنبوة بالحجة فيقول لهم أين ما كنتم تعبدونه وتجعلونه شركاء في العبادة وتدعون
أنه تنفعوا من دون الله ويحتج لكم ... هذا الذي تزعمون ثم بين تعالى ما يقوله من حق عليه القول والمراد من القول
هو قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ومعنى حق عليهم القول أي وجب عليهم مقتضاه وأطلقوا فيهم الوعيد
حق عليه هذا القول من هو فقال بعضهم الرؤساء الدعاة إلى الضلالة وقال بعضهم الشياطين فقوله ربنا هؤلاء
الذين أغوينا مبتدأ والذين أغويناهم صفته والراجع إلى الموصول محذوف وأغويناهم الخبر والكاف صفة
مصدر محذوف تقديره أغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا أي كان غيهم باختيارنا فكذلك غيهم باختيارهم
حتى أن لعوا أنا لهم ما ألجأناهم إلى الغواية بل كانوا مختارين في الإقدام على تلك العقائد والأعمال وهذا معناه
الله عن الشيطان إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم
لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم وقال تعالى لإبليس إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين فهو له
الإنس اتبعك بل على الشرك الأتباع لهم من قبل أنفسهم لا من قبل إلجاء الشيطان إليهم فكأنهم تبرأنا إليك منهم ومن عملهم
وأنهم ما كانوا إيانا يعبدون إنما كانوا يعبدون أهواءهم والحاصل أنهم يتبرؤون منهم كما قال إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين
اتبعوا وأيضا إنما متبوع في قوله تعالى أين شركائي أن يريد به هو كما الرؤساء أو الشياطين فإنهم لما أطاعوهم نزلوا
أنفسهم بمنزلة الطاعة منزلة الشرك معه تعالى وإذا حمل الكلام على هذا الوجه كان جوابهم أن يقولوا إنما نحن كما عبدنا
إنما هي أهواء الفاسدة وثانيها قوله تعالى وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ولم يدفعوا عنهم شيئا
التذليل أنهم يعلمون أنه لا فائدة في دعائهم لهم فالغرض أنهم لو دعوهم لم يجيبوهم لحاجة في **ورأوا العذاب**
ثانيه وكذلك قصد التوبيخ وفي ذكره زجر وردع في دار الدنيا فأما قوله تعالى لو أنهم كانوا يهتدون ففيه وجوه
المفسرين جواب لو محذوف وذكروا فيه وجوها أحدها قال الضحاك ومقاتل يعني المتبوع والتابع يرون
العذاب ولو أنهم كانوا مهتدين في الدنيا ما أبصروه في الآخرة وثانيها لو أنهم كانوا مهتدين في الدنيا لعلموا أن العذاب
حق وثالثها ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون لوجه من وجوه
الحيل لدفعوا به العذاب وخامسها لو أنهم اهتدوا لو أنهم كانوا يهتدون إذا رأوا العذاب يوجد ذلك الحدث الله تعالى
ثم يمنون من حين رأوا العذاب أنهم يعتذرون الكتاب ... ثم قد رأى هذه الوجوه أصحابها أشده تعالى
إذا خاطبهم بقوله ادعوا شركاءكم فإنهم يشتد الخوف عليهم ويلحقهم شيء كالتبلد والذهول بحيث لا يبصرون
شيئا فلما قال تعالى ورأوا العذاب لو كانوا يبصرون شيئا إلا أنهم لما صاروا من شدة الخوف بحيث لا يبصرون شيئا جرم
لما رأوا العذاب وسادسها أنه تعالى لما ذكر عن الشركاء وهي الأصنام أنهم لا يجيبون الذين دعوهم قال في حقهم ورأوا العذاب
لو أنهم كانوا يهتدون أي هذه الأصنام كانوا شاهدين العذاب لو كانوا من الأحياء المهتدين ولكنها ليست كذلك فلا جرم
ما رأت العذاب فإن قيل قوله ورأوا العذاب ضمير للعقلاء فكيف يصح عوده إلى الأصنام قلنا
هذا كقوله فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وإنما ورد ذلك على حسب اعتقاد القوم ... وهذا الوجه ... الوجه
المرضي ... والكفار على حقيقة هذا العذاب في الدنيا لو كانوا يهتدون وهذا الوجه عند كثير من الوجوه

المبنية على أن جواب لو محذوف فإن ذلك يقتضي تفكيك نظم الآية الأمر الثالث من الأمور التي يسأل الله الكفار عنها
قوله ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين قال فعميت عليهم الأنباء يومئذ فصارت الأنباء عليهم كالعمى عليهم
جميعا لا تهتدي إليهم فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا كما يتساءل الناس في المشكلات لأنهم يتساوون جميعا في عمى الأنباء عليهم
والعجز عن الجواب ترك فعميت وإذا كانت الأنبياء لهول ذلك اليوم يتتعتعون في الجواب عن مثل هذا السؤال
ويفوضون الأمر إلى علم الله وذلك قوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب
فما ظنك بهؤلاء الضلال قال القاضي هذه الآية تدل على بطلان قول المجبرة فإنهم لو كان خلقا من الله تعالى بمحض قدرته
بالعدل والإرادة لما عميت عليهم الأنباء ولقالوا إنما أتينا لأنك بعثت الرسل من وجه خلقت فينا تكذيبهم والسبب الموجب لذلك
لكانت حجتهم على الله تعالى ظاهرة وكذلك القول فيما تقدم أن الشيطان كان له أن يقول إنما أغويت خلقك في الغواية
والكافرين دعوته لمثل ذلك فتكون الحجة لهم في ذلك لازمة والعذر ظاهرا والجواب أن القاضي لا يترك آية
من الآيات المشتملة على المدح والذم والثواب والعقاب والوعد والوعيد إلا ويستدل بها وكما أن وجه الاستدلال في الكل هذا الحرف
فكذلك وجه جوابنا حرف واحد وهو أن علم الله تعالى بعدم الإيمان مع وجود الإيمان متنافيان لذاتهما فمع العلم بعدم
الإيمان إذا أمر بالإيمان فقد أمر بالجمع بين الضدين والذي اعتمد القاضي عليه في دفع هذا الحرف في كتبه الكلامية
قوله خطأ قول من يقول إنه يمكن وخطأ قول من يقول إنه لا يمكن بل الجواب السكوت فاعلم أن الكلام في هذا السؤال عن كونه
لما كان كلمة عظيمة جواب إلا السكوت تعين ... الكافر في ... بعذره ظاهر ثبت أن الاستدلال ... **قوله**
تعالى فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله و
تعالى عما يشركون وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون
اعلم أنه تعالى لما بين حال المعذبين من الكفار وما يجري عليهم من التوبيخ أتبعه بذكر من يتوب منهم في الدنيا ترغيبا في التوبة
وزجرا عن الثبات على الكفر فقال فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين وفي عسى وجوه أحدها أنه من
الكرام تحقيق والله أكرم الأكرمين وثانيها أن يراد ترجي التائب وطمعه كأنه قال فليطمع في الفلاح وثالثها عسى أن يكونوا
كذلك إذا داموا على التوبة والإيمان لجواز أن لا يدوموا واعلم أن القوم كانوا يذكرون شبهة أخرى ويقولون لولا أنزل
هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعنون الوليد بن المغيرة وأبا مسعود الثقفي فأجاب الله تعالى عنه بقوله و
ربك يخلق ما يشاء ويختار والمراد أنه المالك المطلق وهو منزه عن النفع والضرر فله أن يخص من شاء بما شاء لا اعتراض
عليه البتة وعلى طريقة المعتزلة لما ثبت أنه حكيم مطلق علم أنه كل ما فعله كان حكمة وصوابا فليس لأحد أن يعترض عليه
وقوله ما كان لهم الخيرة فالخيرة اسم من الاختيار تقام مقام المصدر والخيرة أيضا اسم للمختار يقال محمد خيرة الله في
خلقه إذا عرفت هذا فنقول في الآية وجهان أحدهما وهو الأحسن أن يكون تمام الوقف على قوله ويختار ويكون
ما نفيا والمعنى وربك يخلق ما يشاء ويختار ليس لهم الخيرة إذ ليس لهم أن يختاروا على الله أن يفعل والثاني أن يكون ما بمعنى
الذي فيكون الوقف عند قوله وربك يخلق ما يشاء ثم يقول ويختار ما كان لهم الخيرة أي يختار لهم ما فيه الخيرة قال
أبو القاسم الأنصاري وهذا أصل المعتزلة في كان الصلاح والأصلح عليه واجب في تكليف من علم أنه لا يؤمن ولو لم
يكلفه لاستحق الجنة بالنعيم مرسلا لأنه فإن قيل إنا اقتضى عليه أن يعطى أفضل من المتفضل به
قلنا إذا علم بطلانه لا يحصل ذلك لم يفعل فيتوريط في العقاب لا يكون رعاية للمصلحة ثم قوله المستحق خير
من المتفضل به جهلا أن ذلك التفاوت إنما يحصل في حق من يتكلف من يفعله أما الذي ما حصل اللذات والعقاب
إلا بخلقه وفعله وإحسانه فكيف يستنكف من فضله ثم قال سبحان الله وتعالى عما يشركون والمقصود أن يعلم
أن الخلق والقدرة والعزة إلا لله فمن أشرك لم يكن لأحد فيه شركة ومنازعة ثم أكد ذلك بأنه يعلم ما تكن صدورهم
من عداوة رسول الله وما يعلنون من مطاعنهم فيه وقولهم هلا اختير عليه غيره في النبوة ولما بين علمه بما هم عليه من
الغل والحسد والسفاهة قال وهو الله لا إله إلا هو وفيه تنبيه على كونه قادرا على كل الممكنات عالما بكل المعلومات

المتفضل

منزه عن النقائص والآفات يجازي المحسنين على طاعاتهم ويعاقب العصاة على عصيانهم وفيه نهاية الزجر والردع للعصاة
وتمامه تقوية القلب للمطيعين ويحتمل ايضا انه لما بين فساد طريقة المشركين من قبل ونعم ما ذكرهم بقوله ان شركائي الكلام
في ذلك باطلا وهذا التوحيد يبين ان الحمد لا يليق الا به اذ قوله له الحمد في الاولى والآخرة يقتضي ظاهره قولنا
ان الثواب غير واجب عليه بل هو سبحانه يعطيه تفضلا واحسانا فله الحمد في الاولى والآخرة ويؤكد ذلك قول اهل الجنة
الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين اما المعتزلة فحكمهم
الثواب مستحق فلا يستحق الحمد بفعله من اهل الجنة واما اهل النار فما انعم عليهم حتى يستحق الحمد منهم فقال القاضي انه تعالى يستحق
الحمد والشكر من اهل النار ايضا لما فعله بهم في الدنيا من التكليف والتيسير لما يكلف من ابواب النعم لانهم باساءتهم بما يخرج ما انعم الله
عليهم من ان يوجب الشكر هذا لان نظرات اهل النار مضطرون الى معرفة الحق فاذا علموا بالضرورة ان التوبة عن القبائح
يجب على الله تعالى قبولها وعلموا بالضرورة ان الاشتغال بالشكر الواجب عليهم يوجب على الله الثواب فهم قادرون على ذلك و
عالمون بان ذلك مما يخلصهم عن العقاب ويدخلهم في استحقاق الثواب افترى ان الانسان مع العلم بذلك والقدرة عليه يترك
ذلك التوبة كلا بل لابد وان يتوبوا وان يشتغلوا بالشكر ومتى فعلوا ذلك فقد بطل العقاب اما قوله وله الحكم فهذا
ما يلي المعنى ام في الآخرة اما في الدنيا فحكم كل احد سواه انما نفذ بحكمه فلولا حكمه لما نفذ على العبد حكم سيده ولا على الزوجة
حكم زوجها ولا على الابن حكم ابيه ولا على الرعية حكم سلطانهم ولا على الامة حكم الرسول فهو الحاكم في الحقيقة واما في الآخرة
فلا شك انه هو الحاكم لانه الذي يتولى الحكم بين العباد في الآخرة فينتصف للمظلومين من الظالمين واما قوله واليه ترجعون
فالمعنى والى محل حكمه وقضائه ترجعون فان كلمة الى لانتهاء الغاية وهو تعالى منزه عن المكان والجهة

قوله تعالى

قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله ياتيكم بضياء افلا تسمعون قل
ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون فيه افلا تبصرون ومن رحمته جعل
لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون اعلم انه تعالى لما بين من قبل بقوله وهو
الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون فصل عقيب ذلك ببعض ما يجب ان يحمد عليه مما لا يقدر
عليه سواه فقال ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا اي دائما فنبه على ان الوجه في كون الليل والنهار نعمتان
يتعاقبان على الزمان لان المرء في الدنيا في حال التكليف مدفوع الى ان يتعب ليحصل ما يحتاج اليه ولا يتم له ذلك لولا
ضوء النهار ولاجله يحصل الاجتماع فيمكن المعاملات ومعلوم ان ذلك لا يتم لولا الراحة والسكون بالليل فلا بد منهما والحال هذه فاما في الجنة فلا نصب ولا تعب فلا حاجة بهم الى الليل فلذلك يديم لهم الضياء
واللذات فبين تعالى انه لا قادر على ذلك ليس الا الله وانما قال افلا تسمعون افلا تبصرون لان الغرض من ذلك الانتفاع
بما يسمعون ويبصرون من جهة التدبر فلما لم ينتفعوا انزلوا منزلة من لا يسمع ولا يبصر قال الكلبي قوله افلا تسمعون
معناه افلا تطيعون من يفعل ذلك وقوله افلا تبصرون معناه افلا تبصرون ما انتم عليه من الخطاء والضلال قال صاحب
الكشاف السرمد الدائم المتصل من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم في الاشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد فان قيل هلا قيل بنهار
تتصرفون فيه كما قيل بليل تسكنون فيه قلنا ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لان المنافع التي تتعلق به متكاثرة ليس التصرف في المعاش
وحده والظلام ليس بتلك المنزلة وانما قرن بالضياء افلا تسمعون لان السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف
فوائده وقرن بالليل افلا تبصرون لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره انت من السكون ونحوه ومن رحمته
زاوج بين الليل والنهار لاغراض ثلاثة لتسكنوا في احدهما وهو الليل ولتبتغوا من فضل الله في الآخر وهو النهار
ولارادة الشكر على المنفعتين معا واعلم انه وان كان السكون في النهار ممكنا وابتغاء فضل الله بالليل ممكنا الا
ان الاليق بكل واحد منهما ما ذكره الله تعالى فلهذا خصه به

قوله تعالى

ويوم يناديهم فيقول
اين شركائي الذين كنتم تزعمون ونزعنا من كل امة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا ان الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون
اعلم انه سبحانه لما هجن طريقة المشركين اولا ثم ذكر التوحيد ودلائله ثانيا شرع في تهجين طريقتهم مرة اخرى و
شرح حالهم في الآخرة فقال ويوم يناديهم اي في القيامة فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون والمعنى اين الذين ادعيتم الهيتهم

لتخلصكم

لتخلصكم او اين قولكم انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وقد علموا ان لا اله الا الله ويكون ذكر المنادي في غيرهم اما هو ظن او
هنا القول اما قوله تعالى ونزعنا من كل امة شهيدا فالمراد وميزنا واحدا ليشهد عليهم ثم قال بعضهم هم الانبياء
شهدوا بانهم بلغوا القوم الدلائل وبلغوا في ايضاحها كل غاية ليعلم ان التقصير منهم فيكون ذلك زائدا في غمهم وقال آخرون
بل هم الشهداء الذين يشهدون على الناس في كل زمان ويدخل في جملتهم الانبياء وهذا اقرب لانه تعالى عم كل امة وكل
جماعة بان ينزع منهم الشهيد ويدخل فيه الاحوال التي لم يوجد فيها النبي وهي ازمنة الفترات والازمنة التي حصلت
بعد محمد عليه السلام فعلموا حينئذ ان الحق لله ولرسله وضل عنهم وغاب عنهم غيبة الشيء الضائع ما كانوا يفترونه من الباطل
والكذب

قوله تعالى

ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه
لتنوء بالعصبة اولي القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك
من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين قال انما اوتيته على علم عندي اولم يعلم ان الله قد اهلك
من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون اعلم ان هذا القول يدل على ان قارون كان من قوم
موسى رهطا فهو يدل على انه كان ممن آمن به ولا يبعد ايضا حمله على القرابة قال الكلبي انه كان ابن عم موسى عليه السلام لانه كان
قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي وموسى بن عمران بن قاهث بن لاوي وقال محمد بن اسحق انه كان عم موسى لانه موسى
بن عمران بن يصهر بن قاهث وقارون بن يصهر بن قاهث وعن ابن عباس انه كان ابن خالته ثم قيل كان يسمى المنور لحسن صورته
وكان اقرأ بني اسرائيل للتوراة الا انه نافق كما نافق السامري اما قوله فبغى عليهم ففيه وجوه احدها انه بغى بسبب ماله وبغيه
انه استخف بالفقراء ولم يرع لهم حق الايمان ولا عظمهم مع كثرة امواله والثاني انه كان من الظلم قيل ملكه فرعون
على بني اسرائيل فظلمهم الثالث قال القفال بغى عليهم اي طلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت يده الرابع قال الضحاك
طغى عليهم واستطال عليهم بكثرة ماله الخامس قال ابن عباس تجبر وتكبر عليهم وسخط عليهم السادس
قال شهر بن حوشب بغيه عليهم انه زاد عليهم في الثياب شبرا وهذا يعود الى التكبر السابع قال الكلبي
بغيه عليهم انه حسد هرون على الحبورة يروى ان موسى عليه السلام لما قطع البحر واغرق الله فرعون جعل الحبورة
لهرون فحصلت له النبوة والحبورة وكان القربان والمذبح لقارون وكان لموسى الرسالة فوجد قارون من ذلك
في نفسه فقال يا موسى لك الرسالة ولهرون الحبورة ولست في شيء لا اصبر انا على هذا فقال موسى والله ما صنعت
ذلك لهرون بل جعله الله له فقال والله لا اصدقك ابدا حتى تاتيني باية اعرف بها ان الله جعل ذلك لهرون قال فامر
موسى رؤساء بني اسرائيل ان يجيء كل رجل بعصاه فجاؤا بها فالقاها موسى عليه السلام في قبة له وكان ذلك بامر الله و
دعا موسى ربه ان يريهم بيان ذلك فباتوا يحرسون عصيهم فاصبحت عصا هرون تهتز لها ورق اخضر وكانت
من شجر اللوز فقال موسى يا قارون اما ترى ما صنع الله لهرون فقال والله ما هذا باعجب مما تصنع من السحر
فاعتزل قارون ومعه ناس كثير وولي هرون الحبورة والمذبح والقربان فكانت بنو اسرائيل ياتون بهداياهم الى هرون
فيضعها في المذبح وتنزل نار من السماء فتاكلها واعتزل قارون باتباعه وكان كثير المال والتبع من بني اسرائيل فما كان
ياتي موسى ولا يجالسه وروى ابو امامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان قارون من السبعين المختارة الذين
سمعوا كلام الله اما قوله وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي القوة ففيه ابحاث الاول قال الكلبي
انهم يقولون ان الله اعطى الحكيم الكنوز اما انه انه وردت الثقة فيقول لعل اسناده ولهذا بانه لا يجوز ان كان حاصلا
ويجوز ان يكون من تقدمه من الملوك جمعوا كنوزا فظفر قارون بذلك وكان هذا الظفر طريق اتاك الله ووصل اليه
الثاني من جهات بل التكسب من جهة التجارات وغيرها كان العقل يختلف الثاني المفاتح جمع مفتح بكسر الميم
وهو ما يفتح به وقيل هي الخزائن وقياس واحدها مفتح بفتح الميم ويقال ناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة
الجماعة الكثيرة والعصابة مثلها واعصوصبوا اجتمعوا واختلفوا في عددها وكانوا عشرة الى اربعين
وافاه لم يكن امرهم اذا عرفت معاني الالفاظ فنقول ههنا قولان احدهما المراد بالمفاتح المفاتيح وهي التي يفتح بها الباب قالوا

كانت مفاتحه من جلود الابل وكل مفتاح مثل الاصبع ولكل خزانة مفتاح وكان اذا ركب قارون حملت المفاتح على ستين بغلا
ومن الناس من طعن في هذا القول من حيث ان اموال الرجل الواحد لا يبلغ هذا المبلغ ولو انا قدرنا بلدة مملوة من الذهب
والجواهر لكان لها اعداد قليلة من المفاتح فاي حاجة الى تكثير هذه المفاتح الثاني ان الكنوز هي الاموال المدفونة في الارض
فلا يجوز ان يكون لها مفاتح والجواب عن الاول ان المال اذا كان من جنس العروض لا من جنس النقود جاز ان يبلغ في الكثرة
الى هذا الحد وايضا هذا الذي قالوا ان تلك المفاتح بلغت ستين حملا ليس مذكورا في القرآن فلا نقبل هذه الرواية ونفسر
القرآن بان تلك المفاتح كانت كثيرة وكان كل واحد منها معينا لشيء آخر فكان يثقل على العصبة ضبطها ومعرفتها بسبب
كثرتها وعلى هذا الوجه يزول الاستبعاد وعن الثاني ان ظاهر الكنز وان كان من جهة العرف ما قالوه فقد يقع على المال
المجموع في المواضع التي عليها اغلاق القول الثاني وهو اختيار ابن عباس والحسن ان يحمل المفاتح على نفس المال
[illegible] عن الضحاك ان ابن عباس كانت خزائنه يحملها اربعون رجلا اقويا وكانت خزائنه اربعمائة الف
يحمل كل رجل عشرة الاف القول الثالث وهو اختيار ابي مسلم ان المراد من المفاتح العلم والاحاطة لقوله وعنده مفاتح الغيب
والمراد وآتيناه من الكنوز ما ان حفظها والاطلاع عليها ليثقل على العصبة اولي القوة والهداية اي هذه الكنوز لكثرتها
واختلاف اصنافها تتعب حفظتها والقائمين عليها ان يحفظوها ثم انه تعالى بين انه كان في قومه من وعظه
بامور احدها قوله لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين والمراد انه لا يلحقه من البطر والتمسك بالدنيا ما يلهيه
عن امر الآخرة اصلا وقال بعضهم انه لا يفرح بالدنيا الا من رضي بها واطمان اليها فاما من يعلم انه سيفارق الدنيا عن قريب
لا يفرح بها وما احسن ما قال المتنبي اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا وقال تعالى
لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم وقال ابن عباس كان فرحه ذلك شركا لانه ما كان يخاف معه عقوبة الله
تعالى وثانيها قوله وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة والظاهر انه كان مقرا بالآخرة والمراد ان يصرف المال الى ما يؤديه الى الجنة
ويسلك طريقة التواضع وثالثها قوله ولا تنس نصيبك من الدنيا وفيه وجوه احدها لعله كان مستغرق الهم في طلب الدنيا
فلاجل ذلك ما كان يتفرغ للتنعم والالتذاذ فنهاه الواعظ عن ذلك وثانيها لما امره الواعظ بصرف المال الى الآخرة
بين له بهذا الكلام انه لا باس بالتمتع بالوجوه المباحة وثالثها المراد منه الانفاق في طاعة الله فان ذلك هو نصيب المرء
من الدنيا دون الذي يأكل ويشرب قال عليه السلام فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة للكبر
ومن الحياة قبل الموت فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب وما بعد الدنيا من دار الا الجنة او النار
ورابعها قوله واحسن كما احسن الله اليك فالعلم بالاحسان لما امره بالاحسان مطلقا دخل فيه الاعانة بالمال
والجاه وطلاقة الوجه وحسن اللقاء وحسن الذكر وانما قال كما احسن الله اليك تنبيها على قوله لئن شكرتم لازيدنكم
وخامسها قوله ولا تبغ الفساد في الارض والمراد ما كان عليه من الظلم والبغي وقيل ان هذا القائل هو موسى عليه السلام
[illegible] وكيف كان فقد جمع في هذا الوعظ ما لو قبل لم يكن عليه مزيد لكنه ابى ان يقبل
بل زاد عليه بكفر النعمة وقال انما اوتيته على علم عندي وفيه وجوه احدها [illegible] قال قتادة والكلبي كان قارون
اقرأ بني اسرائيل للتوراة فقال انما اوتيته بفضل علمي واستحقاقي لذلك وثانيها ما قال سعيد بن المسيب والضحاك
كان موسى انزل عليه الكيمياء من السماء فعلم قارون ثلث العلم ويوشع ثلثه وكالب ثلثه فخدعهما قارون حتى اضاف علمهما
الى علمه فكان ياخذ الرصاص فيجعله فضة والنحاس فيجعله ذهبا وثالثها اراد به علمه بوجوه المكاسب
والتجارات ورابعها انه تعالى [illegible] قوله انما اوتيته على علم بان الله اعطانيه لكونه عالما بي وبأحوالي فلو لم يكن
ذلك مصلحة لما فعل وقوله عندي اي هذا عندي كما يقول المفتي عندي ان الامر كذلك اي هذا هو اعتقادي
ثم انه اجاب الله عن كلامه بقوله اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا
وفيه وجهان الاول يجوز ان يكون هذا اثباتا لعلمه بان الله قد اهلك قبله من القرون من هو [illegible] واعني انه
قد قرأه في التوراة واخبره به موسى وسمعه من حفاظ التواريخ كانه قيل له اولم يعلم في جملة ما عنده من العلم هذا

حتى

حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته الثاني يجوز ان يكون نفيا للعلم بذلك لانه لما قال انما اوتيته على علم عندي
فتصلف بالعلم وتعظم به قيل اعنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه ورأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم
النافع حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين اما قوله واكثر جمعا فالمعنى اكثر جمعا للمال او اكثر جماعة وعددا والحاصل
والجواب ان اغتراره بماله وقوته رجوعه من الخطأ العظيم وانه تعالى اذا اراد اهلاكه لم ينفعه ذلك ولا ما
يزيد عليه اضعافا اضعافه اما قوله ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون فالمراد ان الله تعالى اذا عاقب المجرمين فلا حاجة به
الى ان يسألهم عن كيفية ذنوبهم وكميتها لانه تعالى عالم بكل المعلومات فلا حاجة الى السؤال فان قيل كيف الجمع
بين هذا وبين قوله فوربك لنسألنهم اجمعين قلنا يحمل ذلك على وقت وهذا على وقت اخر ذكره ابو مسلم [illegible] السؤال
قد يكون للمحاسبة وقد يكون للتقرير والتبكيت وقد يكون للاستعتاب والذي هو [illegible] هو الاستعتاب لقوله ثم
لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون [illegible] ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون

قوله تعالى

فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين
اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من
فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين اما قوله فخرج على قومه في زينته فيدل على انه خرج باظهر زينته
واكملها وليس في القرآن الا هذا القدر الا ان الناس ذكروا وجوها مختلفة في كيفية تلك الزينة قال بعضهم خرج
على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب ومعه اربعة الاف فارس على الخيول عليها الثياب الارجوانية ومعه ثلاثمائة
جارية بيض عليهن الحلي والثياب الحمر وعلى البغال الشهب وقال بعضهم [illegible] هكذا وقال بعضهم [illegible]
والاولى ترك هذه التقديرات لانها متعارضة ثم ان الناس لما راوه على تلك الزينة قال من كان منهم يرغب في الدنيا يا ليت
لنا مثل ما اوتي قارون من هذه الاموال والراغبون يحتمل ان يكونوا من الكفار وان يكونوا من المسلمين الذين يحبون الدنيا
واما العلماء واهل الدين فقالوا للذين تمنوا هذا ويلكم ثواب الله خير من هذه النعم لان الثواب منافع عظيمة وخالصة عن شوائب
المضار ودائمة وهذه النعم بالضد منها في هذه الصفات [illegible] ويلكم اصله الدعاء بالهلاك
ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرتضى [illegible] ولا يلقاها الا الصابرون فقال المفسرون لا يوفق لها
والضمير في يلقاها الى ماذا يعود فيه وجوه احدها الى ما دل عليه قوله آمن وعمل صالحا يعني هذه الاعمال لا يوفق لها الا الصابرون
والثاني قال الزجاج يعني ولا يلقى هذه الكلمة التي قالها العلماء الا الصابرون على الطاعات وعن الشهوات
[illegible] اما قوله فخسفنا به وبداره الارض فيقال ان اهله لما [illegible]
[illegible] خسف الله به وبداره [illegible]
قيل ان قارون كان يؤذي نبي الله موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه للقرابة التي بينهما حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل
الف دينار على دينار وعن كل الف درهم على درهم فحسبه فاستكثره فشحت به نفسه فجمع بني اسرائيل وقال ان موسى يريد ان ياخذ
اموالكم فقالوا انت سيدنا وكبيرنا فمر بما شئت قال نبرطل فلانة البغي حتى تنسبه الى نفسها فيرفضه بنو اسرائيل
فجعل لها الف دينار وقيل طستا من ذهب مملوة ذهبا فلما كان يوم عيد قام موسى فقال يا بني اسرائيل من سرق قطعناه ومن زنى وهو غير
محصن جلدناه وان احصن رجمناه فقال قارون وان كنت انت قال وان كنت انا قال فان بني اسرائيل يقولون انك
فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى بالذي فلق البحر وانزل التوراة ان تصدق فتداركها الله فقالت كذبوا
بل جعل لي قارون جعلا على ان اقذفك بنفسي فخر موسى ساجدا يبكي وقال يا رب ان كنت رسولك فاغضب لي
فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فانها مطيعة لك فقال يا بني اسرائيل ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون
فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى
الركب ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وقارون واصحابه يتضرعون الى موسى ويناشدونه
بالله والرحم وموسى لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فاوحى الله الى موسى ما افظك استغاثوا بك

مرارا فلم يرحمهم اما وعزتي لو دعوني مرة واحدة لوجدوني قريبا مجيبا فاصبحت بنو اسرائيل يتناجون بينهم
انما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله حتى خسف بداره واموالهم ثم انه [illegible] يخسف
به كل يوم قامة حال القاضي اذا هلك بالخسف فتجلجل على ظاهر الارض الى الارض السابعة او دون ذلك ولما كان
لا يسع [illegible] المبالغة في الزجر واما قولهم انه تعالى ما استغاث به [illegible] غيثه فانه يحتمل حمل استغاثته
مقرونة بالتوبة فلما دعوا ما تاب على ما هو عليه لانه تعالى [illegible] الملك حكم الخسف ثم ان موسى ما فعله الا عن امر مذكور
بعيد وقولهم انه يتجلجل في الارض بعيد لانه لا بد له من نهاية وكذا القول فيما ذكر من علامات العالمات والمدى
عندي ولا مثال هذه الحكايات انها [illegible] ثم انها من باب اخبار الاحاد فلا تفيد اليقين وليست المسئلة مسئلة
علمية حتى يكتفى فيها بالظن ثم انها في حد ذاتها قصة مضطربة فالاولى طرحها والاكتفاء بما دل عليه نص التنزيل
ونفوض معاني التفاصيل الى عالم الغيب اما قوله وما كان من المنتصرين فالمراد من المنتقمين من موسى او من
المتنصرين من عذاب الله تعالى بنصره من عدوه فانتصر اي منعه كما منع

قوله تعالى

واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا ان من الله
علينا لخسف بنا ويكانه لا يفلح الكافرون تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة
للمتقين اعلم ان القوم الذين شاهدوا قارون في زينته لما شاهدوا ما نزل به من الخسف صار ذلك زجرا
لهم عن حب الدنيا ومخالفة موسى وداعيا الى الرضى بقضاء الله وقسمه والى اظهار الطاعة ولهذا تنبهوا لما نبههم الله
وبيانه اما قوله ويكان الله فاعلم ان وي كلمة مفصولة عن كأن وهي كلمة تستعمل عند التنبيه للخطأ واظهار
الندم فلما قالوا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون ثم شاهدوا الخسف تنبهوا لخطائهم فقالوا وي ثم قالوا كأنه
يبسط الرزق لمن يشاء من عباده بحسب مشيئته وحكمته لا لكرامته عليه ويضيق على من يشاء لا لهوان من يضيق عليه
بل لحكمته وقضائه ابتلاء وفتنة قال سيبويه سألت الخليل عن هذا الحرف فقال ان وي مفصولة من كأن
وان القوم تنبهوا وقالوا متندمين على ما سلف منهم وكل من تندم فاظهار ندامته [illegible] ان المعنى ويلك فحذف اللام
وانما جاز هذا الحذف لكثرته في الكلام وجعل ان مفتوحة بفعل مضمر كانه قال ويلك اعلم ان الله
وهذا قول قطرب حكاه عن يونس الثالث وي منفصلة من كأن وهي للتعجب تقول للرجل اذا تعجب [illegible]
[illegible] فقال الله [illegible] ثم استأنف كأن الله يبسط فانه تعالى انما ذكرها تعجبا لخلقه [illegible]
وهذا [illegible] مستفيض [illegible] لكتبوها منفصلة ولو كان على ما قالوه لكتبوها منفصلة ولما [illegible]
خط المصحف [illegible] عليهم [illegible] لولا ان من الله علينا لخسف بنا ويكانه لا يفلح الكافرون وهذا [illegible]
اما قوله تلك الدار الآخرة [illegible] تعظيم لها [illegible] تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها [illegible] الوعد
[illegible] العلو والفساد [illegible] وعن علي ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك
نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها [illegible] ومن الطماع من يجعل العلو لفرعون
لقوله ان فرعون علا في الارض والفساد لقارون لقوله ولا تبغ الفساد في الارض ويقول من لم يكن مثل فرعون و[illegible]
فله تلك الدار الآخرة ولا يتدبر قوله والعاقبة للمتقين كما تدبره علي [illegible]

قوله تعالى

من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون ان الذي فرض عليك القرآن
لرادك الى معاد قل ربي اعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة
من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ انزلت اليك وادع الى ربك ولا تكونن
من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون اعلم انه
تعالى لما بين ان الدار الآخرة ليست لمن يريد علوا في الارض ولا فسادا بل هي للمتقين بين بعد ذلك ما يحصل لهم فقال
من جاء بالحسنة فله خير منها [illegible] لهذا المعنى [illegible] الحسنة حصل له من تلك الحسنة خير [illegible] وانما حصل

له شي

له شيء هو افضل من تلك الحسنة ومعناه انهم يزادون على ثوابهم وتقدم تفسيره في آخر النمل اما قوله ومن جاء
بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون فظاهره ان لا يزادوا على ما يستحقون وزاد ذلك في السيئات
دل على ان المراد في الحسنات [illegible] ما ذكرناه من مزيد التفضل على الثواب [illegible]
ومن جاء بالسيئة فلا يجزون الا ما كانوا يعملون لكنه اعيد ذلك [illegible] اسناد عمل السيئة اليهم وتكرار [illegible]
لحالهم وزيادة تبغيض السيئة الى قلوب السامعين وهذا من فضله العظيم انه لا يجزي بالسيئة الا مثلها ويجزي
بالحسنة بعشر امثالها [illegible] السؤال الاول قال تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها
كرر ذكر الاحسان واكتفى في ذكر الاساءة بمرة واحدة وفي هذه الاية كرر ذكر الاساءة واكتفى في ذكر الاحسان بمرة واحدة
فما السبب الجواب ان هذا المقام مقام الترغيب في الدار الآخرة فكانت المبالغة في الزجر عن المعصية لائقة بهذا
الباب [illegible] في الزجر عن المعصية [illegible] واما الاية الاخرى فهي شرح حالهم فكانت المبالغة
في ذكر محاسنهم اولى السؤال الثاني [illegible] المتكلم [illegible] الكفر اذا [illegible]
عذاب ابدا الجواب [illegible] على عزم انه لو عاش ابدا لبقي على ذلك [illegible] وهذا ابد
عن بطلان قول من يقول [illegible] يجوز على الله تعالى ان يعذب الاطفال [illegible] بغير جرم [illegible] الاية تدل على انه تعالى
واما انه لا يجوز ان يفعله فليس في الاية ما يدل عليه ثم انه سبحانه لما شرح لرسوله امر القيامة واستقصى في
ذلك شرع له ما يتصل باحواله فقال ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد قال ابو علي الذي فرض عليك احكامه
وفرائضه لرادك بعد الموت الى معاد وتنكير المعاد لتعظيمه كانه قال الى معاد واي معاد اي ليس لغيرك
من البشر مثله وقيل المراد به مكة ووجهه ان يراد رده اليها يوم الفتح ووجه تنكيره انها كانت
في ذلك اليوم معادا له شان عظيم لاستيلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وقهره لاهلها واظهاره عز الاسلام
واذلال حزب الكفر والسورة مكية فكأن الله تعالى وعده وهو بمكة في اذى وغلبة من اهلها انه يهاجر
منها ويعيده اليها ظاهرا ظافرا وقال مقاتل انه عليه السلام خرج من الغار وسار في غير الطريق مخافة الطلب
فلما رجع الى الطريق ونزل بالجحفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق الى مكة واشتاق اليها ذكر مولده ومولد
ابيه فنزل جبريل وقال تشتاق الى بلدك ومولدك فقال عليه السلام نعم فقال جبريل ان الله يقول ان الذي فرض عليك
القرآن لرادك الى معاد يعني الى مكة ظاهرا عليهم وهذا اقرب لان ظاهر المعاد انه كان فيه وفارقه وحصل
العود وذلك لا يليق الا بمكة وان كان سائر الوجوه محتملا لكن ذلك اقرب قال اهل التحقيق وهذا احد
ما يدل على نبوته لانه اخبر عن الغيب ووقع كما اخبر فيكون معجزا ثم قال قل ربي اعلم من جاء بالهدى ومن هو
في ضلال مبين ووجه تعلقه بما قبله ان الله تعالى لما وعد رسوله الرد الى معاد قال قل للمشركين ربي
اعلم من جاء بالهدى يعني نفسه وما يستحقه من الثواب في المعاد والاعزاز بالاعادة الى مكة ومن هو في ضلال مبين
يعنيهم وما يستحقون من العذاب في معادهم ثم قال لرسوله وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك
في كلمة الا وجهان احدهما انها للاستثناء قال صاحب الكشاف هذا كلام محمول على المعنى كانه قيل وما القي عليك الكتاب
الا رحمة من ربك ويمكن ايضا اجراؤه على ظاهره اي وما كنت ترجو الا ان يرحمك الله برحمة فينعم عليك بذلك اي
ما كنت ترجو الا على هذا الوجه الثاني ان الا بمعنى لكن للاستدراك اي ولكن لرحمة من ربك القي اليك ونظيره
[illegible] وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك [illegible] ثم انه كلفه باموره احدها قوله فلا تكونن
ظهيرا للكافرين [illegible] وثانيها ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ انزلت اليك
[illegible] ذلك حين دعوه الى دين آبائه ليزوجوه ويقاسموه شطرا من مالهم اي لا تلتفت الى هؤلاء
ولا تركن الى قولهم فيصدك عن اتباع آيات الله وثالثها قوله وادع الى ربك اي الى دين ربك واراد التشدد
في دعاء الكفار والمشركين فلذلك قال ولا تكونن من المشركين لان من رضي بطريقتهم او مال اليهم كان منهم

[illegible]

للملاك فوجب [illegible]

قوله سبحانه وتعالى سورة العنكبوت

بسم الله الرحمن الرحيم

الم احسب الناس ان يتركوا في صدر الاية ومما يتعلق بالسيرة ما يدل على [illegible] اول هذه السورة بما قبلها وفيه وجوه الاول لما قال الله تعالى في اخر السورة التي قبلها ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد وكان المراد منه انه يردك الى مكة ظاهرا غالبا على الكفار ظافرا طالبا للثار وكان فيه احتمال مشاق القتال صعب على البعض ذلك فقال الله الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا ولا يؤمروا بالجهاد الوجه الثاني هو انه تعالى لما قال في اواخر السورة المتقدمة ولا تدع الى ربك وكان في الدعاء اليه الحراب والطعان [illegible] فان النبي واصحابه عليهم السلام كانوا مأمورين بالجهاد [illegible] الكفار بمجرد الدعاء فشق على البعض ذلك فقال احسب الناس ان يتركوا الوجه الثالث هو انه تعالى لما قال في اخر السورة المتقدمة كل شيء هالك الا وجهه وذكر بعده ما يبطل قول المنكرين للحشر فقال له الحكم واليه ترجعون يعني ليس كل شيء هالكا من غير رجوع بل هالك وله رجوع الى الله اذا ثبت هذا فاعلم ان منكري الحشر يقولون لا فائدة في التكاليف فانها مشاق في الحال فلا فائدة لها في المآل اذ لا مآل

[illegible]

وامرهم [illegible] والهلاك والزوال فلا فايده فيها فلما بين الله انهم اليه يرجعون بين ان الناس هل احسبوه
بل حسن التكليف ليهديهم الى الكشف وبعث الكتب فقال احسب الناس ان يتركوا عن تكليف من غير عمل يرجعون به
اليهم المسيلة الثالثة في حكمة افتتاح هذه السور بحروف من التهجي ولتقدم عليه كلاما كلينا في افتتاح
السور بالحروف فنقول الحكيم اذا خاطب من يكون محل الغفلة او من يكون مشغول البال بشغل من الاشغال
يقدم على الكلام المقصود شيا غيره ليلتفت المخاطب بسببه اليه ويقبل بقلبه عليه ثم يشرع في المقصود اذا ثبت
هذا فنقول ذلك المقدم على المقصود قد يكون كلاما له معنى مفهوم كقول القايل اسمع واجعل بالك الى وكن لي
وقد يكون شيا هو في معنى الكلام المفهوم كقول القايل أ زيد ويا زيد والا زيد وقد يكون ذلك المقدم على المقصود
صوتا غير مفهوم كمن يصفر خلف انسان ليلتفت اليه وقد يكون ذلك الصوت بغير الفم كما يصفق الانسان بيديه ليقبل
السامع عليه ثم ان توقع الغفلة كلما كان اتم والكلام المقصود كان اهم كان المقدم على المقصود اكثر ولهذا ينادى
القريب بالهمزة فيقال ازيد والبعيد بيا فيقال يا زيد والغافل ينبه اولا فيقال الا يا زيد اذا ثبت هذا
فنقول النبي عليه السلم وان كان يقظان الجنان لكن الانسان يشغله شان عن شان فكان يحسن من الحكيم ان يقدم
على الكلام المقصود حروفا هي كالمنبهات ثم ان تلك الحروف اذا لم تكن بحيث يفهم معناها تكون اتم في افادة المقصود
الذي هو التنبيه من تقديم الحروف التي لها معنى لان تقديم الحروف اذا كان لاقبال السامع على المتكلم لسماع ما بعد ذلك
فاذا كان ذلك المقدم كلاما منظوما ونثرا مفهوما فاذا سمعه السامع ربما يظن انه كل المقصود ولا كلام له بعد ذلك
فيقطع الالتفات عنه اما اذا سمع منه صوتا بلا معنى يقبل عليه ولا يقطع نظره عنه ما لم يسمع غيره لجزمه بان
ما سمعه ليس هو المقصود فاذا تقديم الحروف التي لا معنى لها في الوضع على الكلام المقصود فيه حكمة بالغة فان قيل
فما الحكمة في اختصاص بعض السور بهذه الحروف فنقول عقل البشر عن ادراك الاشيا الجزئية على تفاصيلها
عاجز والله اعلم بجميع الاشيا لكن نذكر ما يوفقنا الله له فنقول كل سورة في اولها حروف التهجي فان في اوايلها
ذكر الكتاب او التنزيل او القرآن كقوله تعالى الم ذلك الكتاب الم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب
المص كتاب انزل اليك يس والقران ص والقران ق والقران الم تنزيل الكتاب حم تنزيل الكتاب طس تلك آيات
سوى كهيعص الم احسب الناس الم غلبت الروم والحكمة في افتتاح السور التي فيها القران او التنزيل او الكتاب
بالحروف هي ان القران عظيم والانزال له ثقل والكتاب له عب كما قال تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا وكل سورة في
اوايلها ذكر التنزيل والكتاب قدم عليها [illegible] كل سورة [illegible]
استماع التنزيل [illegible] ذكر القرآن [illegible] ما في كل سورة منه [illegible]
سورة فيها ذكر الانزال والكتاب [illegible] بالحروف كقوله تعالى الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب وقوله
سورة انزلناها وقوله تبارك الذي نزل الفرقان وقوله انا انزلناه في ليلة القدر [illegible]
[illegible] كل سورة من التنزيل [illegible] والكتاب [illegible] التنزيل [illegible]
التنزيل فانه قال تعالى طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى [illegible]
كتب [illegible]
[illegible] الكتاب [illegible] الحمد [illegible] تبارك الذي
سبحانه [illegible]
ذكر الكتاب فيها [illegible] التنزيل [illegible]
انزلها [illegible] القرآن [illegible] انزلناه [illegible]
[illegible]
[illegible] الحروف

الى التي

168

التي لا يفهم معناها كما في قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شي عظيم وقوله يا ايها النبي اتق الله ويا ايها النبي
لم تحرم لانها اشيا هايلة عظيمة فان تقوى الله حق تقاته امر عظيم [illegible] النبي [illegible]
هذه السور استحقت الحروف [illegible] بالكتاب والقران [illegible] التنزيل ثقله [illegible] بما فيه من التكاليف و
المعاني وهذه السور فيها ذكر [illegible] احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون [illegible] بل
يومرون بانواع من التكاليف [illegible] التنزيل [illegible] فان قيل ما هذا
الكلام [illegible] سورة [illegible] ولما يعلم الله الذين [illegible]
حروف التهجي [illegible] الجواب [illegible] الاستفهام [illegible]
وذلك [illegible] كلام [illegible] الاستفهام [illegible] والتنبيه [illegible] الكلام [illegible] الم غلبت الروم [illegible]
[illegible] هذا تمام الكلام في الحروف المسيلة الخامسة في اعراب الم [illegible]
[illegible] الحروف [illegible] اعراب [illegible] الاصوات [illegible] المسيلة الرابعة
في سبب نزول هذه الاية [illegible] في عمار بن ياسر وعياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد وسلمة بن
هشام وكانوا يعذبون بمكة [illegible] الكفار [illegible]
[illegible] المسيلة الخامسة في [illegible] احسب الناس ان يتركوا [illegible]
[illegible] بالتكاليف البدنية والمالية [illegible] ان يقولوا
[illegible] ان يتركوا [illegible] ظاهر هذا [illegible]
[illegible] ان يتركوا [illegible] قولهم آمنا
ولكن [illegible] المجموع [illegible] عليهم
المسيلة السادسة في [illegible] العباد [illegible]
[illegible] العبد [illegible] العباد [illegible] وكل من كان [illegible] من محبة الله
[illegible] عند الله [illegible] اللسان [illegible] من آيات
فاذا [illegible] باللسان [illegible] محبة الله [illegible] الاركان [illegible]
[illegible] الايمان [illegible] شهود [illegible] سبيل الله نفسه وماله [illegible] سواه
[illegible] فانه [illegible]
[illegible] احسب الناس ان يتركوا [illegible]
[illegible] من [illegible] وان [illegible] تركان
[illegible] المعبد [illegible] عند الملوك
[illegible] الى [illegible]
[illegible] من [illegible]
[illegible] العباد [illegible] المومن
الى درجة المومنين [illegible] المقربين [illegible]
[illegible] الذنوب [illegible] العباد [illegible] العباد
[illegible] الجنة [illegible] احسب الناس ان يتركوا [illegible]
انهم [illegible] الدرجات كما قال تعالى [illegible] الذين اوتوا العلم درجات [illegible]
[illegible] احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا [illegible]
[illegible] العاصي [illegible] تعالى [illegible]

من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ذكر الله امرا اوجب تسليتهم فقال كذلك فعل الله بمن قبلكم
لم يتركهم بمجرد قولهم امنا بل فرض عليهم الطاعات واوجب عليهم العبادات وفي قوله فليعلمن الله الذين صدقوا
وجوه الاول قول مقاتل فليرين الله الثاني فليظهرن الله الثالث فليميزن الله فالحاصل على هذا ان المفسرين
ظنوا ان حمل الاية على ظاهرها يوجب تجدد علم الله والله عالم بالصادق والكاذب قبل الامتحان فكيف يمكن
[illegible] يعلمه عنده [illegible] فتقول الاية محمولة على ظاهرها وذلك ان علم الله صفة يظهر فيها كل ما هو
واقع فبقبل التجليات كما ان الله يعلم ان زيدا مثلا سيطيع [illegible] وقت التكليف [illegible] يعلم انه مطيع
والكفر عاصر [illegible] ان يعلم انه الحاج [illegible] ولم يتغير علمه في شي من الاحوال وانما المتغير المعلوم
ونبين هذا امثال من المحسوسات ولله المثل الاعلى هو ان المراة الصافية [illegible] اذا علقت من موضع
[illegible] بوجهها جهة ولم تحرك ثم عبر عليها زيد [illegible] لابسا ثوبا ابيض يظهر فيها زيد في ثوب ابيض واذا عبر
عليها عمرو في لباس اصفر نظهر فيها كذلك فهل يتغير [illegible] ان المراة في [illegible] تغيرت [illegible] له
انها في ذاتها تبدلت [illegible] الى انها في [illegible] اختلفت [illegible] عن مكانها اسمئت [illegible]
حدث شي من هذه الاشيا [illegible] ان المتغير [illegible] علم الله من هذا المثال اعلى من هذا المثال
المراة [illegible] وعلم الله عز وجل [illegible] ذلك فقوله فليعلمن الله الذين صدقوا [illegible] ممن يعلم الله انه يطيع الطاعة
فيعلم انه مطيع [illegible] العلم وليعلمن الكاذبين يعني من [illegible] وكان [illegible] العبادات [illegible] ذلك
ويعلم [illegible] ذلك وكان منافقا [illegible] في قوله الذين صدقوا بصيغة الفعل وفي قوله الكاذبين باسم الفاعل
فائدة مع [illegible] في اللفظ [illegible] على الفصاحة وهو ان اسم الفاعل يدل في كثير من المواضع على ثبوت
المصدر في الفاعل ورسوخه فيه والفعل الماضي لا يدل عليه كما يقال فلان شرب الخمر وفلان شارب الخمر وفلان
[illegible] الفعل [illegible] من صيغة الفعل [illegible] الرسوخ ومن اسم الفاعل [illegible] اذا [illegible]
نزول الاية كانت الحكاية عن قوم قريبي العهد بالاسلام [illegible] التكاليف [illegible] للكفر [illegible]
[illegible] المؤمنين [illegible] بصيغة الفعل [illegible] الكاذبين بالكاذبين بصيغة المنبيه
عن الثبات والدوام [illegible] اسم الفاعل وذلك [illegible] اليوم [illegible] الصدق
[illegible] وهو اليوم [illegible] قال تعالى ام حسب الذين
يعملون السيئات ان يسبقونا لما بين [illegible] التكليف بقوله احسب الناس ان يتركوا بين ان من كلف بشي ولم يات به
يعذب [illegible] في الحال [illegible] في الاستقبال [illegible] الى الحال ولا الى المال وهذا ابطال
[illegible] التكاليف [illegible] عليه ترغيب وترهيب [illegible] تعذيب ولو كان
[illegible] عاجلا [illegible] العقاب [illegible] يعملون السيئات
ان يسبقونا يعني ليس كما قالوا بل [illegible] حكم الوعد والايعاد والله لا يخلف
الميعاد [illegible] يعني [illegible] والتعجيل [illegible] لولا [illegible]
ساء ما يحكمون يعني حكمهم بانهم يعصون ويخالفون امر الله ولا يعاقبون [illegible] الحكم الحسن [illegible]
[illegible] العقل [illegible] الشرع والعقل لا حكم على الله [illegible] له ان يفعل ما يريد والشرع حكم بخلاف
ما قالوا [illegible] قال تعالى من كان يرجو لقاء الله فان اجل الله لات وهو
السميع العليم لما بين [illegible] احسب الناس [illegible] ام حسب الذين يعملون
السيئات [illegible] ان من يعترف [illegible] ولا يجب [illegible]
[illegible] بل [illegible] ذكرنا في مواضع [illegible] الاصول [illegible] ووصايا نبينه [illegible]
[illegible] المتوسط وهو النبي المرسل [illegible] الملك [illegible] في الكلام الالهي

بعضها

بعضها ببعض فقوله احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا اشارة الى العمل [illegible] لا يغني [illegible] بالعمل
[illegible] فقوله وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم [illegible] اشارة الى اهل
[illegible] وقوله ام حسب الذين يعملون السيئات [illegible] قوله من كان يرجو لقاء الله [illegible] اشارة الى العمل [illegible] الاخر
المسئلة الثانية ذكر [illegible] لقاء الله [illegible] ضعيف فان اللقا والملاقات [illegible]
[illegible] الوصل [illegible] المسئلة الثالثة [illegible] المراد من
[illegible] من كان يرجو لقاء الله [illegible] في [illegible]
[illegible] عن [illegible] ولذا كان [illegible]
[illegible] المسئلة الرابعة [illegible] الموت [illegible]
من [illegible] الموت [illegible] بعد الموت [illegible]
[illegible] السلطان [illegible] بوصول السلطان [illegible] لو
وصل [illegible] المكان [illegible] السلطان [illegible] اللقا عند
[illegible] اللقا المسئلة الخامسة قوله
[illegible] ان اجل الله لات [illegible] عند علم الشرط [illegible] لقاء الله
[illegible] الجواب
[illegible] لقاء الله فان اجل الله لات [illegible] عمله [illegible] ان [illegible]
[illegible] المسئلة السادسة قال وهو السميع العليم [illegible]
[illegible] الحكم [illegible] القول [illegible] يقولوا [illegible] العمل [illegible]
[illegible] الذين صدقوا [illegible] ام حسب الذين يعملون السيئات [illegible] السمع والعلم
[illegible] البصر [illegible] السمع [illegible] وهو العليم [illegible]
[illegible] العلم [illegible] الطبيعة [illegible]
[illegible] وهو السميع [illegible] يعلم [illegible]
[illegible] قال
تعالى ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه
[illegible] التكليف [illegible] ذلك [illegible] التكليف [illegible]
[illegible] القران [illegible] تعالى [illegible]
[illegible] تعالى [illegible] الاولى [illegible] العمل
من العمل الصالح [illegible] الحمد [illegible]
واذا علم [illegible] عمله [illegible] لهم [illegible]
بان جهاده لنفسه [illegible] المسئلة الثانية [illegible] على العمل لان الله
اذا [illegible] عمله [illegible] هذه [illegible] يجازيه [illegible]
[illegible] تعالى [illegible] التكليف [illegible]
[illegible] العمل [illegible]
[illegible] العمل [illegible] المسئلة الثالثة قوله فانما [illegible] الخير [illegible] جهاد النفس [illegible]
[illegible] فانه [illegible] المجاهد
وجهاده [illegible] جهاده [illegible]

الدنيا لا ينفع نفسه وإنما ترتفع بغيره والقول الصادق يرتفع بنفسه كما بيّن تعالى أنه وعمل القلب هو الفكر
[illegible] قال النبي عليه السلام إن الله تعالى [illegible] الدنيا [illegible] والتائب النادم [illegible] وكذلك
قوله عليه السلام [illegible] المنكرين [illegible] بالفكر في [illegible] عظمة [illegible] العقل من تفكر في
آلاء الله وجلاله [illegible] أن عمل القلب [illegible] وعمل اللسان [illegible] وعمل الأعضاء [illegible]
[illegible] على فضل عمل القلب المسألة السابعة [illegible] الإيمان والعمل الصالح وذكر
[illegible] قوله تعالى [illegible] لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن
[illegible] السيئات [illegible] الجزاء بالأحسن [illegible] العمل الصالح [illegible] المؤمن لا يخلد في النار
[illegible] بإيمانه تكفر سيئاته فلا يخلد في العذاب [illegible] الجزاء أحسن [illegible] الجنة [illegible] المؤمن
[illegible] الجنة [illegible] تكفر سيئاته ومن تكفر سيئاته [illegible] الجنة فالجزاء الأحسن [illegible] الجنة [illegible]
[illegible] خطر على قلب بشر [illegible] الثامنة [illegible] الإيمان [illegible]
[illegible] في الدنيا [illegible] العمل الصالح [illegible] في الدنيا يجزيه الله الجزاء
[illegible] المسألة
[illegible] حتى [illegible] والذين آمنوا وعملوا الصالحات [illegible]
[illegible] الجواب [illegible]
[illegible] أكرموا [illegible] واحترموا [illegible]
[illegible] يكرم [illegible] من [illegible]
[illegible] الجواب [illegible]
[illegible] عفا الله عنك لم أذنت لهم
المسألة [illegible] أحسن [illegible] أحسن [illegible]
[illegible] أحسن [illegible]
[illegible] المسألة التاسعة
[illegible] السيئات [illegible]
[illegible]
[illegible] تعالى ووصينا الإنسان بوالديه حسنا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] من طاعة الله [illegible]
[illegible] المسألة [illegible] حسنا [illegible]
[illegible] والدين [illegible]
[illegible] حسن [illegible] في الفعل والقول [illegible]
المسألة [illegible] ووصينا الإنسان [illegible]
[illegible] الوالدين [illegible] طاعة الله [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] المسألة [illegible]

[illegible]

انما سبب وجود الولد بالولادة وسبب بقائه بالتربية المعتادة فهما سبب مجازا والله تعالى سبب له في الحقيقة
بالإيجاد وسبب بقائه بالاعادة للسعادة فهو اولى بان يحسن العبد حاله معه ثم قال تعالى الى مرجعكم
لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما يعني ان التقليد في الايمان ليس بحسن فضلا من التقليد في الكفر
فاذا استويا انا انه من التقليد وانه ليس نور العلم لا تطعهما امتثالا لان المتبع يصح قولهما محال الحمول
فاذا لم يتبع تقليدا سبيل الشرك مع العلم فان الشرك لا يحصل به ثم قال تعالى الى مرجعكم فانبئكم
بما كنتم تعملون يعني عاقبتكم وما لكم الى ولو كان الشرك مخالطا ومحاسنكم مع الآباء والاولاد والاقارب
والعشائر ولا شك ان من يعلم ان مجالسه مع واحد يكون سيئا لطيبه وحضوره بين يديه عن دايم عرضه على الملك لا يرضى
منادمته ومصحبته برضى من يتركه ولا يرضى من يتركه فقوله فانبئكم فيه لطيفة وهي ان الله تعالى يقول ان لم تطيعوا الى
ما يبعثكم اليه الحال الحاضر وهو الحال الذي انا عليه عيني وعلمي على مخالفتكم اياي واني
حاضر معكم اعلم ما تفعلون ولا انبئكم بجميع ما قال تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات
في الآية فيما بلا تدخلنهم في الصالحين اعاده الذين آمنوا وعملوا الصالحات مرة اخرى يقول الله تعالى ذكر من
الكل وهو نعم بعينه وبعد الا يقوله فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين وذكر حال العالم
حالا وحال المستقيم بقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم وثانيا ذكر حكم المؤمن
عاد وفعلا بقوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا ثم ذكر ان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم
فقوله الى مرجعكم فانبئكم بطريق الاجمال تهديدا للعاقل وبعد والذين آمنوا من سبيل التفصيل وعدا للعامل
امنوا وعملوا الصالحات لبيان حال المسلم ومرة اخرى لبيان حال الهاجر الذين الله عليهم معوانة لو لاكر
لنكفرن عنهم سيئاتهم ثم قال ثانيا لندخلنهم في الصالحين والصالحون هم الهداة ثم مرتبه الانبياء الخير كما حكي عن كل
المسئلة الثانية وقد ذكرنا ان الصالح باق فالصالحون باقون وتعلقهم ليس بانفسهم بل باعمالهم الباقية فاعمالهم
باقية بالحول ويرجعون بوجه الله والعاملون باقون ببقاء اعمالهم ولهذا على هلاك الكفرة الدنيا وتبدوات في
الدنيا بقاء العمل للعامل وفي الآخرة بقاء الفعل على ما في المسئلة الثالثة قيل في معنى قوله لندخلنهم في
الصالحين لندخلنهم في مقام الصالحين او في زمرة الصالحين والاولى ان يقال لا حاجة الى الاضمار بل ندخلهم في الصالحين
المسئلة الرابعة قال الحكماء عالم المجرد
اي يجعلهم فيهم ويدخلهم في عدادهم كما تقال
عالم الكون والفساد فان الله يخرج من كونه تاما ويفسد ويكون منه تقوا وعالم
السموات كونه والفساد بل يوجد منه فيهم ويعلم ولا يفسد الملكوت بالخلاف لهم فانه بعيد
فقالوا لله الأرض وما هذا نقا ما العلوي ليس فيه فساد بل هو صالح فقوله لندخلنهم في الصالحين اي المجردين
الذين لا فساد لهم ثم قال تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله الى آخره يقول اقسام المكلفين ثلاثة
مؤمن ظاهر بحسن اعتقاده وكافر مجاهر بكفره وعناده ومذبذب بينهما يظهر الايمان بلسانه
ويضمر الكفر في فؤاده والله تعالى لما بين القسمين بقوله تعالى فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين
وبين احوالهما بقوله ام حسب الذين يعملون السيئات الى قوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات بين القسم الثالث و
قال ومن الناس من يقول آمنا بالله وفيها مسائل المسئلة الاولى قال ومن الناس من يقول آمنا ولم يقل آمنت
مع انه وحد الفعل الى يجعل كقوله تعالى فاذا اوذي وقوله جعل فتنة الناس وذلك لان المنافق
كان يشبه نفسه بالمؤمن ويقول ايماني كايمانك فقال آمنا يعني انا والمؤمن حقا آمنا اسعافا بانا
ايماننا كايمانه وهذا كما ان الجبان الضعيف اذا خرج مع الابطال في القتال وهزموا خصومهم يقول
الجبان خرجنا وقاتلنا وهزمنا ويسمع من الشجاع كلاما ان يقول وهذا كسرتهم حتى يقول
خرجنا وقاتلنا وهذا الرجل على انه لهم من كلام انه خرج وقاتله كحرهم ربنا انهم يد ما هم الافتخار عليهم
لدعو

فهو يعني الخروج والقتال وكذلك يقول المنافق للمؤمن اذا اتفقنا آمنا وقاتلنا ففيه حكم المؤمن منه
المسئلة الثانية قال اوذي في الله اي اوذي لاظهار كونه مؤمنا لانهم كانوا يخاطبون يقولون انا آمنا في المسئلة
الثالثة فاذا اوذي في الله ... فرعي من فضله ... اي ما اوذي في سبيل الله ... الاية
... على اذية الكافرين ... عليها فقال فيما لو ... في سبيلي ... اوذي ...
... في سبيل الله ... المؤمن ... المنافق ... اذا كان في سبيل المؤمن
في سبيل الله الذي ... ودخل المنافق ... ينفع ... لم يكونوا ... الى ... حد
الكفار ويكون ... اذى ... سبيل الله
بل الطريق ... الطاعة ... المسئلة الرابعة قوله جعل فتنة الناس كعذاب الله
اي جعل فتنة الناس صارفة عن الايمان كما ان عذاب الله صارف عن الكفر وقيل جزعوا من عذاب الناس
لاجل عذاب الله ... معناه انهم جعلوا فتنة الناس مع ضعفها وانقطاعها كعذاب الله الاليم الدائم
حتى ترددوا في الحق وقالوا ان آمنا نتعرض للتأذي من الناس وان تركنا الايمان نتعرض لما توعدنا به محمد عليه السلام
واختاروا الاحتراز عن التأذي العاجل ... عند التأذي ومن الحال ... للناس ... يكون
شيئا ... ان كان ... كعذاب ... ان ... الحال ... العبث
وان ... عذاب الناس ... وعذاب الله ... وعذاب الناس ...
وعذاب الله ... وانما عذاب الناس ... عظيم وعذاب الله ... عذاب اليم والمشقة اذا
كانت ... العظيمة ... ولا تعد عذابا ... المسئلة
الخامسة قال فتنة الناس ولم يقل عذاب الناس لان فعل العبد ابتلاء من الله ... الناس على
... الايمان ... كما جعل التكاليف ابتلاء وامتحانا وهذا اشارة الى ان الصبر على البلية
... المسئلة السادسة ... بعض ... المؤمن ... الكفر
... الكفر ... المؤمن ... فتنة الناس كعذاب الله ... يقول ليس
... الكفر ... فتنة الناس كعذاب الله ... يوجب ترك
... ظاهرا وباطنا ... المؤمن المكره ... فتنة الناس ... عليه ظاهرا ... الحيا
بل ... الايمان ثم قال تعالى ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم يعني دأب المنافق انه ان
... الايمان ... النصر للمؤمن ... واظهر ... وادعى ...
... قال ... ولئن جاء نصر من ربك ... من الله ... ان تقدم ... الله ...
اذى ... قوله كعذاب الله ... لان الرب اسم ... الخاص به ... والله اسم ...
... عند النصر ذكر اللفظ الدال على الرحمة ... ذكر اللفظ الدال على العظمة المسئلة
الثانية لم قال ولئن جاء ... ولئن جاء نصر من ربك ... قالوا انا معكم وهذا يعني
... انا معكم ... جاء ... الكلام ... انا معكم
اذا جاء النصر ... المؤمن كما قال تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين ولان ... الكافر على المسلم ليس ...
النصر ... دليل ... الحال ... الغالبين
... اسم ... المنصور ... المسئلة الثالثة ... ليقولن ... ان يقول ... انا ... ذلك
ذلك القول ... النصر ... معكم ... العموم فان
المنافقين ... ثم بين الله تعالى انهم ... ذلك ... ان ... عند ... مخالف

القول الشيف التابع سنى الامر على قوله ولا يدرك في قلبه فيلتبس الامر عليه وان الله تعالى فوق علم ... العدس
نحو علم بما في صدره انه اذا لا يلتبس عليه الامر وهذا اشاره الى الاعتبار بما في القلب فالمنافق الذي
نطق بالايمان وبقي الكفر كافر والمومن المكره الذي نطق بالكفر ونعم الايمان مومن فان الله اعلم الى صدور العالمين ولما
بين الله علم العالمين بما في قلوب العالمين بين انه يعلم المومن المحقق وان لم يتكلم والمنافق وان تكلم تعالى وليعلمن
الله الذين امنوا وليعلمن المنافقين وفي ... بعينه لكن فيه مسلم ولطيفه وهي ان الله تعالى هناك ليعلمن الله
الذين صدقوا بالصدق وليعلمن الله الذين امنوا ... ما كان المذكور هناك المومن والكافر والكافر في نفسه
كاذب فانه يقول الله اكبر في الحد والمومن في ... صادق فانه يقول الله واحد ولم يكن هناك ذكر من هو
كاذب في قوله كافر وهنا المنافق صادق في قوله فانه كان يقول لا اله
الا الله والكاذب الحاصل هناك فهو صادق بكاذب وكان معنا المنافق ... الصدق ... الذين امنوا
ولهذا هنا امر القلب في المنافق فقال وليعلمن المنافقين واعبر لهم العلم في المومن ... فقال الذين امنوا
ثم قال تعالى وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم ... والهم وذكر
ان الكافر يدعون بدليل ... الى الكفر بالشبهة وتارة عنادا لله ثوقها وكان الكافر يقول نحن نعمل الادلة
وعلى الايه الكلاشي ولم لا يدفع عن نفسك الذلة العقاب فهو افتينا فكان نحن اسلم من ان يقول خوفا من عذاب
الله على خطية مذهبكم فقالوا الخطية منه ولكان فيه خطية فعلينا وفي الاية مسايل الاولى ... لنحمل
صيغة امر والمامور غير امر فكيف يصح امر النفس من النفس فنقول الصيغة امر والمعنى شرط وجزاء اي ان اتبعتمونا
حملنا خطاياكم قال صاحب الكشاف هو في معنى قول من يريد اجتماع امرين في الوجود سوا بلين منك العطا ولكن مني
الدعا فقوله ولنحمل ان لم يكن متا الحمل وليس في الحقيقة امر طلب وايجاب ... كالمبني من خطاياهم
وبالي يعم هنا تحملت بعالهم واتعالهم ... فهنا كسي الحمل وها هنا استحمل فكيف الجمع بينهما يقول القايل
حمل عنك ثقل ... حمل الذي خف ... فيه حمله ... فهمنا ام كالمنزع عن خطاياهم
يعني لا يرفعون عنهم خطيه وهم يحملون ... وبحملون ... انهم كما قال عليه السلام
من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها من غير ان ينقص من وزره شي المسله الثالثة الصيغة امر
والامر لا يدخله التصديق والتكذيب فكيف ... وقوله انهم لكاذبون نقول ... شرط وجزا فكانهم
قالوا ان تتبعونا نحمل خطاياكم وهم ... في هذا فانهم ... ثم قال تعالى وليحملن اثقالهم واثقالا
مع اثقالهم وليسالن يوم القيامة عما كانوا يفترون في الدنيا كانوا ... عمل ... احدها كان ... لهم و
نحمل خطاياكم ... عنا انهم ان لا خطية ... يوم القيامة ... انهم خلاف ذلك فيسالون عن
... انهما ... وتحمل خطاياكم كان ... اعتقادنا ... وبالتيام لما انا لوا انهم ...
يوم القيامة ... تحملوا خطاياهم فلا يحملون فيسالون ويسالهم لم ... ثم قال تعالى
ولقد ارسلنا نوحا الى قومه وجه تعلق الايه بما قبلها هو ان الله تعالى لما بين التكليف وذكر اقسام المكلفين
ووعد المومن الصادق بالثواب العظيم واوعد الكافر والمنافق بالعذاب الاليم ... ذكر ان هذا التكليف
ليس مختصا بالنبي واصحابه وامته حتى صعب عليهم ذلك بل من قبله كان كذلك كما قال تعالى ولقد فتنا الذين من قبلهم
ذكر من جملة من كلف جماعة منهم نوح النبي عليه السلام وقومه ومنهم ابرهيم عليه السلام وغيرهما ثم قال تعالى فلبث
فيهم الف سنة الا خمسين عاما وفي الايه مسايل الاولى الفايده في ذكر مدة لبثه تسلية لان النبي عليه السلام يضيق
صدره بسبب عدم دخول الكفار في الاسلام وامر لهم على الكفر فقال ان نوحا لبث الف سنة تقريبا في التقا
ولم يومن من قومه الا قليل وصبر وما ضجر فانت اولى بالصبر لقلة مدة لبثك وكثرة عدد امتك
وايضا كان الكفار يغترون بتاخر العذاب عنهم اكثر ولكن ذلك ما نجوا بعد المدة من التاخر
... فلا ينبغي ان يغتروا فان العذاب يلحقهم المسله الثانيه قال بعض العلما في استثنا الى العدد تكلم بالباقي

فاذا قال

فاذا قال القايل فلان على عشرة الا ثلثة فكانه قال علي سبعة اذا علم هذا فقوله الف سنة الا خمسين عاما كقوله تسعماية
وخمسين سنة في الفايده في العدول عن هذه العبارة التي عبرها تسعماية ... المخشري ... ان الاستثنا
يدل على التحقيق وتركه قد يظن به التقريب فان من قال عاش فلان الف سنه يمكن ان يتوهم انه يقول الف سنه تقريبا
لا تحقيقا فاذا قال الا شهرا او الا سنة يزول ذلك التوهم ويفهم منه التحقيق السادسه في ... لبث نوح عليه السلام
في قومه كان تبيانا انه صبر كثيرا فالنبي عليه السلام اولى بالصبر مع قصر مدة دعايه واذا كان كذلك فذكر العدد الذي
في علم ... التمادي فان ... موضوع ... اعلام ... ماد الى العشر والعشرات الى الماية والمات
الى الالف ثم بعد ذلك ... الكثير بالتكرير ... الالف ورايت الف والالف ... العام ... قال
بعض الحكما العمر ... لا ... عشرون ... والعقل ... البقا على التركيب
... ان ... ولم ... الوجه ... فقطا ... الدليل
فلم يوثر وان كان ... ينتهي الى الواجب ... فيها ... البقا ... ذاته
... العلم والجواب في هذا ... المقدار ... وجود العارض ... المانع ... كلامهم
على ... العقل ... ذلك ... لانهم يقولون العمر الطبيعي ... اكثر من ماية وعشرين سنه
ونحن نقول هذا العمر ... بل هو عطا الله ... واما العمر الطبيعي فلا يدوم عندنا ولا حد ... على
... الطوفان وهم ظالمون فيه اشاره الى لطيفه وهي ان الله لا يعذب على مجرد وجود
الظلم ولا ... فان الظلم ... وانما يعذب على الاصرار على الظلم ... وهم ظالمون ...
اهلكهم ... ظلمهم ولو كانوا ... لما اهلكهم ثم قال فانجيناه واصحاب السفينه وجعلناها اية للعالمين ... الراجع الى الهاء
في قوله وجعلناها ... احدهما انها راجع الى السفينة المذكورة ... ها هنا ... ايه ... رجوع ... الى ...
... ولولا ... علم الله نوحا وانباه اياه ... لما ... بها ... النجاة ... ان ... قوم
... من القوت والبحر العظيم لا ... احد ... نفد الزاد ولولا ذلك لما حصلت النجاة
... السفينة ... ان الله تعالى ... السفينة ... الرياح ... والحيوانات ... ولولا
ذلك لما حصلت النجاة والثانية انها راجع الى الواقعة او الى النجاة ... الواقعة او النجاة اية للعالمين ثم قال تعالى
وابراهيم اذ قال لقومه لما فرغ من الاشاره الى حكاية نوح ذكر حكاية ابراهيم وفي ابراهيم وجهان من القراة احدهما النصب
بالعطف ... ابراهيم ... احدهما انه منصوب ... من معنى
اذكر ابراهيم والثاني انه منصوب ... ولقد ارسلنا ... ابراهيم وفيه ... الايه
مسايل الاولى ... قوله اذ قال لقومه ظرف ارسلنا اي ارسلنا ابراهيم اذ قال لقومه ... اعبدوا الله
... الرساله ... قوله ولقد ارسلنا ابراهيم حين قال لقومه ... انه ... قبله ...
... الجواب ... احدهما ... ارسال ... لقومه اعبدوا الله كان ...
كما نقول ... الامر اذ خرج من ... الخروج ... ممتدا الى
ذلك الوقت ... ذلك الوقت الثاني هو ان ابراهيم ... هدايه الله اياه كان ... وقول ... وكان
يهديهم الى الرشاد قبل الارسال ولما ... الاسلام ... الله تعالى وقوله اعبدوا الله
واتقوه اشاره الى التوحيد ... اثبات الاله ... اعبدوا الله اشاره الى الاثبات وقوله واتقوه
اشاره الى ... من شرك مع الملك غيره في ملكه ... باعظم الجرايم ... اعبدوا الله
اشاره الى الاثبات ... وقوله واتقوه اشاره الى الامتناع عن المحرمات ... باعترافه بالله
... الثاني ... قوله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يعني عبادة الله وتقواه خير ... كذلك ... خلاف
عبادة الله ... وخلاف تقواه شرك ... عقلا ... عقلا ... لا ... من ... لا ...

مكنا قطعنا التسلسل وجب واجب الوجود فلا تعطيل اذ لنا الادلة واما الشريك فبطلانه عقلا وكون بطلانه خبرا
مع ان شريك الواجب ان لم يكن واجبا لم يكن شريكا وان كان واجبا لزم وجود واجبين مشتركين في الوجوب
ويمتازان في الحقيقة وما به الاشتراك غير ما به الامتياز فلزم التركيب فيهما فلا يكون احد منهما واجبا
فلزم التعطيل واذا اعتبرنا ما قلنا في الشريك لمن كان عاقلا او فيه ادلة كثيرة [illegible]
لا يحتاج الى تعداده [illegible] فسيلك الطريق بالعبادة [illegible] تعالى واسجدوا واقترب وقال
عليه السلام ان يتقرب المتقربون الي بمثل اداء ما افترضت عليهم وما يزال العبد يتقرب بالنوافل
الي [illegible] لا فرق [illegible] اعتقاد [illegible] واما الشرك فان لم يكن شيئا لا يقبل
[illegible] فكيف يكون له شريكا [illegible] قالوا [illegible] ما نعبدهم الا ليقربونا
[illegible] انهم [illegible] الناس انكار ما يعبدون ما ذكرناه
من [illegible] والاعتقادات [illegible] تعالى [illegible] اولياء [illegible] الى الله زلفى
وذلك لان المعبود انما يعبد لاجل صفاته [illegible] لا لذاته كالعبد يخدم سيده الذي اشتراه [illegible]
[illegible] الجوع [illegible] الخالق [illegible] يخدم [illegible]
لكونه نافعا في المستقبل [illegible] الكرم [illegible] فانما [illegible]
انما تعبد [illegible] اشارة الى انها [illegible] العبادة لذاتها [illegible] وقوله ان الذين تعبدون
من دون الله لا يملكون لكم رزقا اشارة الى عدم [illegible] في الحال [illegible] الرزق [illegible]
[illegible] الوجود [illegible] فلا [illegible] ان ذلك الرزق [illegible]
فانه [illegible] ما عبدتم فقال فابتغوا عند الله الرزق فقوله الله اشارة الى [illegible]
[illegible] لذاته وقوله الرزق اشارة الى حصول النفع [illegible] الاولى
[illegible] لكم رزقا [illegible] فابتغوا عند الله الرزق [illegible] فقوله [illegible]
لكم رزقا [illegible] الرزق [illegible] الرزق عند
[illegible] الرزق من الله [illegible]
والرزق [illegible] معلوم [illegible] عند الله الرزق
[illegible] لانه [illegible] والشكر [illegible]
[illegible] الخلق [illegible]
تعالى وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين [illegible] التوحيد
[illegible] بالتهديد [illegible] تكذبوا [illegible] حكاية عن
قوم ابرهيم كان ابرهيم لقومه ان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم [illegible] ان الرسول
ليس عليه الا البلاغ والبيان [illegible] خطاب [illegible] قوم [illegible] لانا
[illegible] ولهذا [illegible] تقول [illegible] هذه الحكاية [illegible]
عليه السلام كان مقصوده تذكير قومه [illegible] حتى [illegible] التكذيب [illegible]
فقال [illegible] ان تكذبوا [illegible] فلكم [illegible] اخاف عليكم
[illegible] كيف [illegible] ان [illegible]
[illegible] ان [illegible]
[illegible] بموصوف
لا [illegible] الاتباع [illegible] المسئلة الثانية ما البلاغ وما المبين فنقول البلاغ

173

من ذكر المسائل [illegible] بانه مع اقامة البرهان عليه المسئلة الثالثة الاية تدل على ان تاخير البيان عن وقت
الحاجة لا يجوز لان الرسول اذا بلغ شيئا ولم يبينه فلم يات بالبلاغ المبين فلا يكون آتيا بما عليه ثم قال
تعالى اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده [illegible] لما بين الاصل الاول وهو التوحيد و
اشار الى الاصل الثاني وهو الرسالة بقوله وما على الرسول شرع في بيان الاصل الثالث وهو الحشر وهذه [illegible]
من ان الاصول الثلاثة لا يكاد ينفصل بعضها عن بعض في الذكر [illegible] في ذكر الله تعالى منها [illegible] يذكر
الثالث وفي الاية مسائل الاولى [illegible] تجديد مبدا الخلق حتى يقال اولم يروا كيف يبدئ يقول
المراد بالخلق الذي كالرؤية والعاقل يعلم ان البدء من الله لان الخلق لم يكن من مخلوق والا لما كان
الخلق [illegible] خلقا اول [illegible] هنا ان قلنا ان المراد اثبات نفس الخلق وان قلنا المراد بالبدء خلق
الادمي اولا وبالاعادة خلقه ثانيا [illegible] للعاقل لا يخفى عليه [illegible] نفسه ليس [illegible] بعض الاولاد
في الارحام وخلقه من نطفة في غاية الاتقان والاحكام [illegible] ظاهر [illegible] فكل ذلك
العلم [illegible] كيف يبدا الله الخلق بخلقه من تراب بجمعه
[illegible] من التراب ونفخ فيه روح [illegible] فان من [illegible] شيئا
[illegible] امرا فانه يقول [illegible] على ان [illegible]
[illegible] اشد ولكنه [illegible] على كلام الله في قوله بل هو
اهون عليه [illegible] المسئلة الثانية [illegible] كيف يبدا الله الخلق
على [illegible] بالكيفية [illegible] بالخلق [illegible] والكيفية غير معلومة [illegible] هذا
[illegible] الكيفية معلوم وهو انه خلقه ولم يك شيئا مذكورا وانه خلقه من نطفة من تراب بعد هذا
[illegible] حصول العلم بامكان الاعادة فان الاعادة مثله المسئلة الثالثة [illegible] على الله يسير
[illegible] مع اقامة البرهان على انه يسير
[illegible] اذا سمع لفظ الله وفهم معناه انه
الحي القادر بقدرة كاملة لا يعجزه شيء العالم بعلم محيط بذرات كل جسم نافذ الارادة لما اراد [illegible]
الاعادة ثم قال تعالى قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدا الخلق ثم الله ينشئ النشاة الاخرة
[illegible] كانت اشارة الى العلم الحدسي [illegible] الاستفهام
[illegible] فقال في هذه الاية [illegible] فتفكروا في اقطار الارض لتعلموا بالعلم
الفكري [illegible] لعلمهم [illegible] وعليه برهان له وبعضهم لا
[illegible] انه [illegible] لكنتم [illegible] في الارض اي سيروا [illegible]
[illegible] الحوادث الخارجة عن انفسكم لتعلموا بدء الخلق [illegible]
[illegible] بلفظ الرؤية وفي هذه بلفظ النظر [illegible] العلم الحدسي اتم من العلم الفكري [illegible]
الرؤية اتم من النظر [illegible] النظر يفضي الى الرؤية [illegible] ذلك [illegible]
الحاصل لكم الرؤية فانظروا في الارض لتحصل لكم الرؤية المسئلة الثانية ذكر في هذه الاية [illegible]
[illegible] الاستفهام لان العلم الحدسي حاصل [illegible] كتحصيل الحاصل [illegible]
الحاصل [illegible] المسئلة الثالثة
اسم الله في الاية الاولى عند البدء [illegible] كيف يبدا الله واضمر عند الاعادة وفي هذه الاية اظهره عند
[illegible] لان في الاية الاولى لم يسبق ذكر الله بفعل حتى [illegible]
فقال كيف يبدا الله ثم قال [illegible] اسم [illegible]

وفي الاية الثانية كان حكاية [illegible] فاكتفى به ولم يحتج الى [illegible] الدليل [illegible] كما خرج ذلك بما سمع من
كيف خرج [illegible] الطهارة عنده [illegible] ثم انه [illegible] كان يمكن ان يقول
ثم بين [illegible] بالحكمة وبين ما ذكرنا ان في اقامة البرهان على امكان الاعادة اظهار ما [illegible] المسيح به [illegible]
[illegible] لا يصح [illegible] الاعادة فقال [illegible] في الدهر [illegible]
[illegible] وان [illegible] ان يقيل [illegible] الله [illegible]
بعد ما ذكرت من الحكمة والقدرة [illegible] كان [illegible] ومعنى قوله
كيف بدأ الله الخلق لم يكن [illegible] الخلق [illegible] عند البدء [illegible] الدليل
[illegible] على [illegible] الاعادة [illegible] الدليل [illegible] في الافاق وفي الانفس كما قال تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم
وفي الاية الاولى اشار الى الدليل النفسي الحاصل [illegible] من نفسه وفي الاية الثانية اشار الى الدليل الحاصل
[illegible] في الارض [illegible] الدليلان [illegible] فاما الدليل الاول [illegible]
بالدليل الثاني فلم [illegible] الله [illegible] المسئلة الرابعة في الاية الاولى [illegible] المستقبل فقال او لم يروا
كيف يبدئ [illegible] الماضي فقال سيروا فانظروا كيف بدأ ولم يقل كيف يبدئ فنقول الدليل الاول
هو الدليل النفسي [illegible] العلم الحدسي [illegible] كل حال [illegible] العلم [illegible] الخلق فقال اولم يروا ان الله
[illegible] خلقنا فانظروا الى الاشياء المخلوقة ليحصل لكم علم بان الله بدأ الخلق [illegible] المطلوب من هذا
[illegible] فانه نبي [illegible] المسئلة الخامسة قال [illegible] ان الله على كل شيء قدير [illegible]
[illegible] على الله يسير [illegible] ان الدليل الاول هو الدليل النفسي [illegible] ان كان [illegible]
العلم الحدسي التام [illegible] دليل الافاق [illegible] العلم العام لانه بالنظر [illegible]
[illegible] وبالنظر الى الافاق [illegible] عليه بان كل شيء [illegible]
فقال [illegible] الدليلين ان الله على كل شيء قدير [illegible] الدليل [illegible] على [illegible]
يسير [illegible] ان العلم [illegible] الفاعل [illegible]
[illegible] قادر عليه [illegible] عليه [illegible]
[illegible] بان هذه الاعادة [illegible] الله يسير
يسير فسيروا في الارض لتعلموا انه [illegible] الاعادة [illegible] تعالى
[illegible] ويرحم من يشاء [illegible] ذكر [illegible] اهل التكذيب
[illegible] وفي الاية [illegible] فقدم التعذيب في الذكر
على الرحمة مع ان رحمته سابقة [illegible] ان السابق
ذكر الكفار [illegible] العذاب [illegible] بالرحمة [illegible]
التوحيد [illegible] تكذبوا فقد كذب امم [illegible] التكذيب [illegible] اثبات الاصل
[illegible] ذكر التعذيب وذكر الرحمة [illegible] عليه السلام
[illegible] العذاب [illegible] ذكر الرحمة [illegible]
المسئلة الثانية اذا كان ذكر [illegible] العاصي [illegible] المومن [illegible]
[illegible]
[illegible] عذاب [illegible]
[illegible] اهل العناد
[illegible] عذاب

الدين

المومن ليعذبه فاذا لم [illegible] فيقول [illegible] في تلك [illegible] يمكن ان يحصل [illegible] والمغرب له
مثلا فيقول [illegible] انه الملك يقدر على ضرب كل من [illegible] من [illegible] الذي [illegible] يحصل [illegible] التام لمن [illegible]
[illegible] على [illegible]
[illegible] ايضا [illegible] العام والرجاء التام لان [illegible] الخلق
[illegible] المسئلة [illegible] اليه تقلبون [illegible]
[illegible] ذكر الله التعذيب والرحمة [illegible] عاجلين فقال تعالى فان [illegible]
[illegible] اياكم [illegible]
[illegible] بمعجزين [illegible] الله [illegible] في هذه الاية [illegible]
[illegible] ايا [illegible] والمقاومة [illegible] وذلك [illegible]
[illegible] في الارض ولا في السماء [illegible] اليه [illegible] السمك [illegible]
[illegible] قدرة الله [illegible] المعجزين [illegible]
[illegible] المعذب [illegible] المعذب [illegible]
[illegible] ولي [illegible] ولا نصير [illegible]
[illegible] بمعجزين [illegible] على [illegible]
[illegible] لا [illegible] على [illegible]
[illegible] في الارض [illegible] في الارض [illegible] عند ذلك [illegible]
[illegible] السماء واما [illegible] الدفع [illegible]
[illegible] الا [illegible] عند [illegible] لا [illegible] تعالى
والذين كفروا بايات الله ولقائه اولئك يئسوا من رحمتي واولئك لهم عذاب اليم [illegible] التوحيد [illegible] بالبرهان
[illegible] الذين كفروا [illegible] الى [illegible] بالله فان لله
[illegible] الشرك [illegible] الحشر [illegible] الله
فقال اولئك يئسوا من رحمتي [illegible] الرحمة [illegible] حاجته
[illegible] الرحمة [illegible] الحاجة
[illegible] الحشر [illegible]
[illegible] الحصر [illegible]
[illegible] الرحمة [illegible]
الاشراك والعذاب الاليم [illegible] في الاية [illegible] قوله اولئك يئسوا [illegible]
[illegible] عذاب اليم [illegible] ان الذين [illegible] الله
[illegible] اولئك يئسوا من رحمتي ولهم عذاب اليم [illegible] قوله اولئك [illegible]
[illegible] اولئك يئسوا ولهم عذاب [illegible]
[illegible] المجموع [illegible] اولئك
يئسوا واولئك لهم عذاب [illegible] ذكر الرحمة [illegible] تعالى
رحمتي وعند العذاب [illegible] رحمته [illegible] الناس
اليهم [illegible] اولئك يئسوا [illegible]
الياس والعذاب [illegible] بالله [illegible]

بالحشر ولا يخرج اليأس لكن الحشر وآمن بالله نقول معنى الآية انهم يئسوا ولهم عذاب زائد بسبب كفرهم بالحشر
ويشكل التعقيب بان الكافر بالحشر والاخر فالكافر بالحشر لا يكون مؤمنا بالله لان الايمانيه يبيح
الاذا صنعه [illegible] بالحشر [illegible] ذلك [illegible] تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه
[illegible] الله من النار ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون لما اتى ابراهيم عليه السلام ببيان الاصول الثلاثة
[illegible] ان ابراهيم [illegible] جواب [illegible] لا يقولوا الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه
كيف [illegible] اقتلوه جوابا مع انه ليس بجواب [illegible] الجواب [illegible]
كما يقول الملك لرسول خصمه جوابكم السيف مع ان السيف ليس بجواب وانما معناه
لا [illegible] لكم الا السيف فكذلك ههنا لم [illegible] اقتلوه او حرقوه الثاني هو ان الله اراد بيان عناد القوم
وانهم ذكروا في معرض الجواب ما ليس بجواب [illegible] انهم لم يكن لهم جواب اصلا وذلك لان من لا يجيب
غيره ويسكت [illegible] يعلم انه لا يقدر على الجواب بجواز ان يكون سكوته لعدم الالتفات اما اذا اجاب بجواب فاسد
علم انه قصد الجواب وما قدر عليه المسألة الثانية القائلون الذين قالوا اقتلوه هم قومه والمأمورون بقولهم
اقتلوه ايضا هم [illegible] للمأمورين فلما الجواب [illegible] من حيث ان كل واحد منهم [illegible]
[illegible] ولما الامر [illegible] من حيث ان كل واحد [illegible] او ان الجواب الاكبر [illegible]
الاكابر والرؤساء [illegible] اعيان بلدة لا منهم [illegible] عن [illegible] بالجيد [illegible]
جواب قومه لهم الرؤساء انا [illegible] والصاغرين اقتلوه [illegible] الجواب [illegible] والقتل لهم مباشرة
المسألة الثالثة او [illegible] التاني [illegible] ذكر الاول كما [illegible] زوج او فرد وتعارض هذا
انا [illegible] حيوان يعني ان لم يكن انسانا فهو حيوان لا يصح لربياك هذا حيوان او انسان اذ يلزم منه ان يكون حيوان
فانه لم يجيبوا انا نقول ان [illegible] على القتل [illegible] اقتلوه او حرقوه [illegible]
او انا ان الجواب عنه من وجهين احدهما ان الاستعمال [illegible] ذلك شائع وكم [illegible] لا [illegible] بل كما [illegible]
اعطي دينارا او دينارين وكما يقول العاقل اعطه دينارا بل دينارين [illegible] تعالى قم الليل الا قليلا نصفه او
انقص منه قليلا او زد عليه وكذلك ههنا قالوا اقتلوه او زيدوا على القتل وحرقوه الجواب الثاني فانا [illegible]
[illegible] ان [illegible] نحو [illegible] القتل وقد [illegible] عنه القتل [illegible] في النار حتى [illegible]
[illegible] ان [illegible] تنجلوا [illegible]
[illegible] بالنار [illegible] وان [illegible] في النار [illegible] قال تعالى
فانجاه الله من النار [illegible] قوله تعالى يا نار كوني
بردا وسلاما [illegible] كيفية [illegible] ابراهيم [illegible] وعلى النار [illegible] كانت عليه
[illegible] النار [illegible]
[illegible] النار [illegible] لو طرفا
[illegible] واذا [illegible] البارد [illegible] اجزاء [illegible]
احد [illegible] اجزاء البارد [illegible] البرودة التي
[illegible] النار مزاج [illegible] المزاج واحيانا
[illegible] ان [illegible] في [illegible] والنار [illegible] والقطنة [illegible] الآية رد عليهم والمعقل
[illegible] في النار [illegible] الضعف [illegible] النار في اللحم اذا [illegible]
[illegible] حتى تذيب الحديد و [illegible] لا [illegible] الضعف [illegible] الحرارة [illegible] النار [illegible] البعض
[illegible] لا تشتد ولا تضعف

والثاني

والثاني [illegible] ذكر ان النار [illegible] ان [illegible] كيفيته [illegible] لكن [illegible] ان [illegible]
[illegible] هو نور [illegible] فاما ما يمكن
[illegible] الحج
[illegible]
[illegible]
[illegible] النار [illegible]
[illegible] قال تعالى
[illegible] الا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] السنة [illegible] الناس [illegible]
[illegible] على ابراهيم [illegible]
[illegible] عليه
[illegible] يوم القيامة [illegible] لقوم [illegible]
[illegible]
[illegible] الخلق
[illegible] الدنيا
[illegible] ابراهيم [illegible] الناس [illegible]
[illegible] جواب [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الانسان [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الله [illegible]
[illegible] العقل [illegible]
[illegible] الجبهة [illegible]
[illegible] الاجسام [illegible]
[illegible] الاوثان [illegible]
[illegible] بعضكم [illegible] بعض [illegible]

[illegible]

لما دعا لوط على قومه بقوله رب انصرني استجاب الله دعاءه وامر ملائكته باهلاكهم وارسلهم مبشرين ومنذرين فجاءوا ابرهيم
وبشروه بذريته طيبة وقالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية يعني اهل سدوم وفي الاية لطيفتان احديهما ان الله
جعلهم مبشرين ومنذرين لكن البشارة اثر الرحمة والانذار بالاهلاك اثر الغضب ورحمته سبقت غضبه فقدم البشارة
على الانذار وقال ولما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى ثم قال قالوا انا مهلكوا الثانية حين ذكروا البشرى ما عللوه و
ما قالوا انا نبشرك لانك رسول الله او لانك مؤمن او لانك عادل وحين ذكروا الاهلاك عللوا وقالوا ان اهلها كانوا ظالمين
لان تبشير الفضل الكريم بفضله يعني بعوض والعادل لا يعذب الا بجرم ومنها مسئلتان احديهما لو قال قائل يستحب تقديم
البشرى على الانذار فكيف لما اراد الله الاهلاك قدم ذكره لكن لان فيه اخلاء الارض عن العباد فقدم على ذلك اخبر ابرهيم انه تعالى
يبدل لهم بعضا من العباد الصالحين حتى لا يتاسف على اهلاك قوم من ابناء جنسه والثانية قال في تفسير قال فما خطبكم ايها المرسلون
وقد قلت ان ذلك اشارة الى انهم كانوا على ظلمهم حين اهلكهم ولم يقل فاخذتهم وكانوا الظالمين وقلتها قال ههنا ان اهلها
كانوا ظالمين ولم يقل بانهم ظالمون او هم ظالمون نقول [illegible] ذكرنا مهلكين وهم مصرون على الظلم
لكن ههنا كان اخبارا من الله وهي للماضي حيث قال فاخذتهم وهم عند الوقوع في العذاب ظالمون وههنا
هو اخبار من الملائكة وهو المستقبل حيث قالوا انا مهلكوا فالملائكة ذكروا ما يحتاجون اليها في ابانة حسن الحكم منهم
بالاهلاك فقالوا انا مهلكوهم لان الله امرنا وقال امرنا بحكمة لانهم كانوا ظالمين فحسن امر الله عند كل احد واما نحن
فلا نحتاج الى ان نبين لنا الكلام عند الملك بعد ما قد سوا [illegible] الى هذا السر بعد انهم كانوا ظالمين
حيث امرنا الله باهلاكهم بيانا لحسن الامر واما انهم ظالمون لن نبين ههنا او نبينه كما احتاج لنا اليه ثم ان
ابرهيم لما سمع قولهم قال ان فيها لوطا اشفاقا عليه لعلمه حاله او لان الملائكة لما قالوا انا مهلكوا وكان ابرهيم يعلم ان الله
لا يهلك عباده وفيهم رسوله فقال فيها لوطا فكيف يهلكهم فقال الملائكة نحن اعلم بمن فيها بمعنى نعلم ان فيهم لوطا فانهم
فننجيه واهله وهذه المناظرة ههنا لطيفة وهو ان الجماعة كانوا اهل الخبر اعني ابرهيم والملائكة وكل يلحو كان
يزيد على صاحبه في كونه خبيرا قال ابرهيم فلما سمع قول الملائكة انا مهلكوا اظهر اشفاقا على لوط وبين نفسه وما يريده
ولم يظهر ما يريد وقال ان فيها لوطا ثم ان الملائكة لما رادوا ذلك منه زادوا عليه وقالوا انا ذكرت لوطا وحده ونحن
ننجيه وننجي معه اهله ثم استثنوا من الاهل امراته وقالوا الا امراته كانت من الغابرين اي من المهلكين وفي استعمال الغابر
في المهلك وجهان وذلك لان الغابر لفظ مشترك في الماضي وفي الباقي قال فيما غبر من الزمان اي فيما مضى ويقال الفعل
ماض وغابر اي باق وهل الوجه الاول نقول انه ذكر الظالمين في قوله انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا
ظالمين ثم جرى ذكر لوط بتذكير ابرهيم وجواب الملائكة قال الملائكة انها من الغابرين اي الماضين ذكرهم من الذين
هو ذكرهم اولا بالمهلك يعني على معنى انه والناجي هو الباقي فقالوا انها من الغابرين اي من الراحلين الماضين لا من الباقين
المستمرين واما على الوجه الثاني فيقول لما نص الله على القوم بالهلاك كان الكل في الهلاك الا من ينجي منه فقالوا انا
ننجي لوطا واهله واما امراته فهي من الباقين في الهلاك ثم قال تعالى فلما جاءت رسلنا لوطا ثم انهم من عند
ابرهيم جاءوا الى لوط على صورة البشر فظنهم بشرا فخاف عليهم من قومه لانهم كانوا على احسن صورة خلق الله والقوم كما عرف
حالهم فسيء بهم لمجيئهم ما ساءه وخاف ثم عجز عن تدبيرهم فحزن وضاق بهم ذرعا كناية عن العجز في تدبيرهم قال
الزمخشري يقال طال ذرعه وذراعه للقادر وضاق للعاجز وذلك لان قصير الذراع يقصر عن الوصول الى ما يصل اليه طويل
الذراع والمساواة على وجهها ممكن ولا عند ذلك من الخوف والحزن فوجب انقباضا من الروح ومنه اسم القلب
عليه فيقبض هو انقباضا والقلب هو المعبر من الشان حيث الانسان قلب والمجموع كذلك يقال كرعنه و
ساحته فيضيق ويقال في الحزن خاف قلبه والغضب انزعج فوجب انبساط الروح فينبسط مكانه وهو القلب
ويتسع ويقال انشرح صدره ثم ان الملائكة لما رادوا خوفه في اول الامر وحزنه بسبب تدبيرهم في ثاني الامر قالوا لا تخف علينا
ولا تحزن بسبب التفكر في تدبيرنا ذكروا ما يوجب زوال الخوف وحزنه فان من جاء قول العامل لا تحف لا يوجب زوال الخوف

[illegible]
لوطا فلا يرعهم [illegible]
[illegible]
[illegible]
ثم اتيناه [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
اهلكنا هم [illegible] انا سبق العذاب
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
ملكه [illegible]
في قصة ابرهيم وما كان يعظما يعظمهم ويقيم يحلما عليهم الا ان [illegible] قال لقومه ابرهيم اتتلون ابرهيم وقال قدم
لوطا انتقاما صابرا وما هو ذلك هو ان ابرهيم كان اعظم من لوط فان لوطا كان من قومه فقول
ابرهيم كان يستحي من دعاء هلاكهم ويشفق عليهم فتعلق بالصفات بقومهم بقوله لا يصبر [illegible] ويشتد معه التشنيع
والذين صعب فعلوا اجراء الشذوذ العرفي ولوط كان ينكر عليهم فعلهم ويفتحهم الى ارتكاب الحرم وهم ما كانوا
يتولون ان يعقلوا الحب بعد الذي لهم بسبب عليهم شيئا مما قيل هم ابرهيم قول ابرهيم فقالوا الى قوم لوط
مفاعيلهم والله يعذب عليه ونحن يقول كما يعذب ثابت على ما ذكرنا قالوا بالعذاب فان يحصل الى الله ما في
موضع اخرها كان يعرف بقومه ولما قالوا انجوا آل لوط من قريتكم وهو تشفيها انما كان يعاب بقومه ولما ان قالوا
اتيناك نكفيها الحق فقوله لوط كان ما انا على ارشاد فكيف تقولون عليهم التفسير والتبرئ وانهم قالوا بل جئناك
كذبوه ذلك ثم يكشف عنهم ما قالوا هو هما ان لوطا لا ييأس منهم بالطلب التضرع من الله وذكروهم قالوا بل جئناك
بما كانوا فيه يمترون [illegible] فلا يمتنع حتى يتحقق التعس واعلم ان ثبات [illegible]
ما طلب هلاك قومه الا اذا علم ان عدمهم خير من وجودهم كما قال نوح انك ان تذرهم يضلوا عبادك
ولا يلدوا الا فاجرا كفارا يعني المصلحة اما فيهم حالا او بسببهم مآلا ولا مصلحة فيهم فانهم لا يصلحون في الحال
ولا في المآل فانهم يموتون الا الذين هم كاللوط لما استيأس منهم سأل الله
واستعانوا بالله ربهم ولا يرجي منهم ولد صالح يعبد الله تعالى فلا ارى الا ذلك ونهيهم عما هم فيه فطلب العذاب
ثم قال تعالى ولما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين

لما دعا

فقالوا نحن اعلم بمن فيها انا منجوك واهلك وانا منزلون عليهم العذاب حتى تبين له انهم ملايكه فيطول فزعه
ويطول حزنه [illegible] مسايل [illegible] الله تعالى [illegible] ولما جاءت رسلنا ابرهيم [illegible] ولما
ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم [illegible] فهنا [illegible] قيل للملايكه انا مهلكوا هذه
[illegible]
حسن [illegible] خوف لوط عليهم والمومن
[illegible] لا تخف ولا تحزن [illegible] اذا علم هذا [illegible] هاهنا
ولما ان جاءت رسلنا [illegible] انه هنا الحكايه جاءت في هود
[illegible] جاءت رسلنا لوطا [illegible] ابرهيم [illegible]
جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى [illegible] انا ارسلنا [illegible]
ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم [illegible] ذكرنا من النعمة
يقول في حكايه ابرهيم ولقد جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى ثم جرى [illegible] الكلام [illegible] الطعام قالوا لا تخف
انا ارسلنا الى قوم لوط [illegible] ولما جاءت رسلنا [illegible]
واما هاهنا [illegible] ابرهيم ولما جاءت [illegible] في حكايه لوط ولما ان جاءت لما ذكرنا من المقابله المسله
الثالثه [illegible] انا منجوك [illegible] لابرهيم [illegible]
[illegible] في [illegible] العقول البشريه [illegible]
[illegible] يظهر لعقل [illegible] ابرهيم [illegible] لوطا [illegible] بالنجيه [illegible]
لما قالوا للوط [illegible] انا منجوك [illegible]
المسله الثالثه قولهم لا تخف ولا تحزن [illegible] انا منجوك [illegible] مناسبه
في غايه الحسن وهي ان لوطا لما خاف عليهم وحزن لاجلهم قالوا له لا تخف علينا ولا تحزن لاجلنا فانا ملايكه ثم
قالوا له يا لوط خفت علينا وحزنت لاجلنا [illegible] تحزن [illegible] ننجيك [illegible]
حزنك [illegible] انا منجوك واهلك المسله الرابعه القوم
عذبوا بسبب ما صدر منهم من الفاحشه وامراته لم يصدر منها ذلك فكيف كانت من الغابرين معهم فنقول الدال
على الشر له نصيب كفاعل الشر كما ان الدال على الخير كفاعله وهي كانت تدل القوم على ضيوف لوط حتى
كانوا يقصدونهم فبالدلاله صارت كواحده منهم ثم انهم بعد بشاره لوط بالنجيه ذكروا انهم منزلون على
اهل القريه العذاب فقالوا انا منزلون على اهل هذه القريه رجزا من السما واختلفوا في ذلك فقيل حجاره
وقيل نار وقيل خسف [illegible] من السما [illegible] الخسف [illegible] من السما
ثم اعلم ان كلام الملايكه مع لوط جرى على نمط كلامهم مع ابرهيم [illegible] حيث
قالوا انا منجوك ثم قالوا انا منزلون على اهل هذه القريه ولم يعللوا التنجيه فما قالوا انا منجوك لانك
نبي او عابد وعللوا الاهلاك بقولهم انهم كانوا يفسقون [illegible] كانوا ظالمين كما قالوا هناك
ان اهلها كانوا ظالمين ثم قال تعالى ولقد تركنا منها ايه بينه لقوم يعقلون [illegible]
[illegible] القريه [illegible] معلومه [illegible]
جعل الله الايه في نوح وابرهيم بالنجاه [illegible] فانجيناه واصحاب السفينه وجعلناها ايه
[illegible] نجاه الله من النار ان في ذلك لايات [illegible]
[illegible]

لهنا

لها نجاه من الطوفان الذي علا الجبال باسرها امر عجيب [illegible] وما به النجاه بعد السفينه كانت باقيه والغرق لم يبق
لمن نجا اثر فجعل الباقي ايه واما هاهنا فنجاه لوط لم يكن بامر يبقى اثره للحس والهلاك اثر محسوس في البلاد فجعل
[illegible] الباقي هاهنا البلاد وهناك السفينه وههنا لطيفه وهي ان الله تعالى ايه قدرته موجوده في الانجاء و
الاهلاك فذكر من كل باب ايه وقدم ايات الانجاء لانها اثر الرحمه واخر ايات الاهلاك لانها اثر الغضب ورحمته
سابقه المسله الثانيه قال في السفينه جعلناها ايه ولم يقل بينه وقال هاهنا ايه بينه لان
الانجا بالسفينه امر يتسع له كل عقل وقد يقع في وهم جاهل ان الانجا بالسفينه لا يفتقر الى امر اخر واما الايه
هاهنا الخسف وجعل ديار معموره عاليها سافلها وهو ليس معتادا وانما ذلك بارادة قادر يخصصه بمكان دون
مكان وبزمان دون زمان فهي بينه لا يمكن لجاهل ان يقول هذا الامر يكون كذلك وكان [illegible] السفينه
النجاه منها امر يمكن [illegible] انه يحتاج اليها ولو دام الماء حتى ينفد زادهم كيف كان
يحصل لهم النجاه ولو سلط الله عليهم الريح العاصفه كيف يكون احوالهم المسله الثالثه قال هناك للعالمين
وقال هاهنا لقوم يعقلون قلنا لان السفينه موجوده في جميع اقطار العالم فعند كل قوم مثال لسفينه نوح
يذكرون بها حاله واذا ركبوها يطلبون من الله النجاه ولا يثق احد بمجرد السفينه بل يكون دايما مرتجف القلب
متضرعا الى الله تعالى طالبا النجاه واما اثار الهلاك في بلاد لوط ففي موضع مخصوص لا يطلع عليها الا من يمر بها
ويصل اليها ويكون له عقل يعلم ان ذلك من الله المريد بسبب اختصاصه بمكان دون مكان ووجوده في زمان
دون زمان ثم قال تعالى والى مدين اخاهم شعيبا لما اتم الحكايه الثانيه على وجه الاختصار بالايه
[illegible] شرع في الثالثه [illegible] مدين [illegible] واختلف المفسرون في مدين فقال بعضهم انه اسم رجل في الاصل
وحصل له ذريه فاشتهر في القبيله كتميم وقيس وغيرهما وقال بعضهم اسم ماء نسب القوم اليه فاشتهر في القوم
والاول كانه اصح وذلك لان الله اضاف الماء الى مدين حيث قال ولما ورد ماء مدين ولو كان اسم الماء لكانت الاضافه غير
صحيحه او غير حقيقيه والاصل في الاضافه المغايره حقيقه وقوله اخاهم قيل لان شعيبا كان منهم وفيه
لطيفه وهي ان الله تعالى قال في نوح ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقدم نوحا في الذكر وعرف القوم باضافتهم اليه
وكذلك في ابرهيم ولوط وهاهنا ذكر القوم اولا واضاف اليهم اخاهم شعيبا فنقول الاصل في جميع المواضع ان يذكر
القوم ثم يذكر رسولهم لان المرسل لا يبعث رسولا الى غير معين وانما يحصل قوم او شخص يحتاجون الى انباء
من المرسل فيرسل اليهم من يختاره غير ان قوم نوح وابرهيم ولوط لم يكن لهم اسم خاص ولا نسبه مخصوصه يعرفون
بها فعرفوا بالنبي فقيل قوم نوح وقوم لوط واما قوم شعيب وهود وصالح فكان لهم نسب معلوم اشتهروا به
عند الناس فجرى الكلام على اصله وقال الله والى مدين اخاهم شعيبا وقال والى عاد اخاهم هودا المسله
الثانيه لم يذكر عن لوط انه امر قومه بالعباده والتوحيد وذكر عن شعيب ذلك قلنا قد ذكرنا ان لوطا كان من
قوم ابرهيم وكان في زمانه وابرهيم سبقه بذلك واجتهد فيه حتى اشتهر الامر بالتوحيد عند الخلق
من ابرهيم فلم يذكره عن لوط وانما ذكر منه ما اختص به من المنع عن الفاحشه وغيرها وان كان هو ايضا يامر
بالتوحيد اذ ما من رسول الا ويكون اكثر كلامه في التوحيد واما شعيب فكان بعد انقراض ذلك
القوم فكان هو اصلا ايضا في التوحيد فبدا به وقال اعبدوا الله المسله الثالثه [illegible]
بالتوحيد والامر بالعباده لا يفيده لان من يعبد الله ويعبد غيره فهو مشرك فكيف يكتفى بقوله اعبدوا
الله نقول هذا الامر يتضمن التوحيد وذلك لان من يشرك [illegible] يخدم زيدا وعمرا [illegible] سيد زيد
فاذا قال له اخدم عمرا [illegible] انه يامر [illegible] الخدمه [illegible]
زيدا فاذا قيل له اعط عمرا [illegible] ثم يقولون [illegible] مشتغلين بعباده غير الله [illegible]
الغير فاذا قيل لهم اعبدوا الله فهموا منه ترك عباده غيره او نقول [illegible]

فى عباده غير الله تعالى ثم شعيب جعلوها فى موضعها فوحدوا الله فنهيهم عن التوحيد ثم قال وارجوا اليوم
الاخر قال المفسرون معناه فاخشوا ... من كنت غافلا اذ قد يقول القايل لغيره كن عاقلا ويكون معناه افعل فعل من يكون
عاقلا وقوله وارجوا اليوم الاخر فيه مسايل المسالة الاولى هذا يدل على صحة مذهبنا فان عندنا من عبد الله طول عمره
يثيبه الله تفضلا والحجه على ذلك ان العابد يستوصل اليه من النعم ما لو زاد على ما اتى به لما خرج عن عهدة الشكر
ومن شكر المنعم على النعم السابقة يلزم المنعم ان يزيد له وان زاده يكون احسانا منه اليه وانما اتى اعلمه فنقول قوله
وارجوا اليوم الاخر بعد قوله اعبدوا الله يدل على التفضل لا على الوجوب فان المتفضل يرجى والواجب من العادل ينقطع
به المسالة الثانية قال وارجوا اليوم الاخر ولم يقل خافوه مع ان ذلك اليوم مخوف عند الكل وعنده هو وعده كثير
من الناس بعينه وبجوده ومحبته الدنيا وارضى له بليل من عباده فنقول لما ذكر التوحيد بطريق الاثبات
قال اعبدوا الله ثم بطريق النفي وما قال لا تعبدوا غيره قال لا تفسدوا عنه قال تفسط الرجا اثبات عباده الله يرجى منها الخير فى الدارين
ومنه دفع الضر بعوض اسمه حكى عن ابرهيم انه قال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم فى الحيوة الدنيا واتيا فى الاخره حكاية ؟
تنعمون بها قال هاهنا يكونوا الذين ... كونهم لم يرجوا اليوم الاخر فانفردوا على مودة الحيوة الدنيا
وارجوا اليوم الاخر ولا تعملوا لهم ... ولا تعثوا فى الارض مفسدين لكن لما كان نعت مفسدين على المصدر كما
يقال قم قائما اى قياما وكنت اقول ولا تعثوا فى الارض مفسدين كقول العامل اطمئن تنعوا لان العث والفساد
بمعنى ... فى قوله اعبدوا الله وقوله ولا تعثوا ثم ان قومه كذبوه بعد ما لم يكن ... فحكى
الله عنهم ذلك بقوله فكذبوه فاخذتهم الرجفة فاصبحوا فى دارهم جاثمين وفى الاية مسايل الاولى لما حكى
عن شعيب امرين ونهيين والامر لا يحتمل الكذب فان من قال لغيره قم لا يصح ان يقال له كذبت فنقول كان
شعيب يقول الله واحد فاعبدوه والحشر كاين فارجوه والفساد محرم فلا تقربوه وهذه اثبات فيها
اخبارات فكذبوه فيها المسالة الثانية قال هاهنا وفى الاعراف فاخذتهم الرجفة وقال فى هود
فاخذتهم الصيحة والحكاية واحدة نقول لا تعارض بينهما فان الصيحة كانت سببا للرجفة اما لرجفة الارض
اذ قيل ان جبريل صاح فتزلزلت الارض من صيحته واما الرجفة للافئدة فان قلوبهم ارتجفت منها والاضافة
الى السبب لا تنافى الاضافة الى سبب السبب كما يقال ... ان يقال روى فعوت وان يقال شبع فنقول فى صورة واحدة
المسالة الثالثة حيث قال فاخذتهم الصيحة قال فى ديارهم وحيث قال فاخذتهم الرجفة قال فى دارهم فنقول المراد
من الدار هو الديار والاضافة الى الجمع يجوز ان يكون بلفظ الجمع وان يكون بلفظ الواحد اذا امن الالتباس وانما اختلف
اللفظ للطيفة وهى ان الرجفة هايلة فى نفسها فلم يحتج الى مهول واما الصيحة فغير هايلة فى نفسها لكن
تلك الصيحة لما كانت عظيمة حتى احدثت الزلزلة فى الارض ذكر الديار بلفظ الجمع حتى تعلم هيبتها والرجفة
بمعنى الزلزلة عظيمة عند كل احد فلم يحتج الى معظم لامرها وقيل ان الصيحة كانت اعم حيث عمت الارض والجو
والزلزلة لم تكن الا فى الارض فذكر الديار هناك غير ان هذا ضعيف لان الدار والديار موضع الجثوم لا موضع
الصيحة والرجفة فهم لما اصبحوا جاثمين لم يكن فى دارهم ثم قال تعالى وعادا وثمودا وقد تبين
واهلكنا عادا وثمود لان قوله تعالى فاخذتهم الرجفة دل على الهلاك فقال وقد تبين لكم من مساكنهم الامر فما
تعتبروا منه ثم بين سبب ما جرى عليهم فقال وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فقوله وزين لهم
الشيطان اعمالهم يعنى عبادتهم لغير الله وصدهم عن السبيل يعنى عبادة الله وكانوا مستبصرين يعنى
بواسطة الرسل يعنى لم يكن لهم فى ذلك عذر فان الرسل اوضحوا السبل ثم قال وقارون وفرعون
وهامان عطفا عليهم اى اهلكنا قارون وفرعون وهامان ثم قال ولقد جاءهم موسى بالبينات
كما قال فى عاد وثمود وكانوا مستبصرين يعنى الرسل ثم قال فاستكبروا اى عن عبادة الله وقوله
فى الارض اشارة الى ما يوضح قلة عقلهم فى استكبارهم وذلك لان من فى الارض اضعف اقسام المكلفين ومن فى السما

افهامهم

179

افهامهم ثم ان من فى السما لا يستكبر على الله بالعبادة فكيف من فى الارض ثم قال وما كانوا سابقين اى ما كانوا
يفوتون الله لانا بينا ان قوله تعالى وما انتم بمعجزين فى الارض اشارة الى ان اقطار الارض فى قبضة قدرة الله ثم
قال فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ذكر اربعة اشيا العذاب بالحاصب وقيل
انه كان حجارة محماة تقع على احدهم وينفذ من الجانب الاخر وفيه اشارة الى النار والعذاب بالصيحة وهو
هوا متموج فان الصوت قيل سببه تموج الهوا ووصوله الى الغشا الذى على منفذ الاذن وهو الصماخ فيقرعه
فيحس والعذاب بالخسف وهو الغمر فى التراب والعذاب بالاغراق وهو بالما فحصل العذاب بالعناصر
الاربعة والانسان مركب منها وبها قوامه وبسببها بقاوه ودوامه فاذا اراد الله اهلاك الانسان جعل ما منه وجوده
سببا لعدمه وما به بقاوه سببا لفنائه ثم قال وما كان الله ليظلمهم يعنى لم يظلمهم بالهلاك وانما هم ظلموا انفسهم
بالاشراك ... ما كان الله ليظلمهم ... ولكن كانوا انفسهم يظلمون ... فان موضعهم الكرامة
كما قال تعالى ولقد كرمنا بنى ادم لكنهم ظلموا انفسهم حيث وضعوها ... فى عبادة الوثن ... ثم قال
تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت لما بين الله تعالى انه اهلك من اشرك عاجلا وعذب
من كذب اجلا ولم ينفعه فى الدارين معبوده ولم يدفع عنه ذلك ركوعه وسجوده مثل اتخاذه ذلك معبودا
كاتخاذ العنكبوت بيتا لا يجير اويا ولا يريح ثاويا وفى الاية لطايف نذكرها فى مسايل الاولى
ما الحكمة فى اختيار هذا المثل من بين ساير الامثال فنقول فيه وجوه الاول ان البيت ينبغى ان يكون
له امور حايط حايل وسقف مظل وباب يغلق وامور ينتفع بها ويرتفق وان لم يكن كذلك فلا بد من احد
امرين اما حايط حايل يمنع منه البرد او سقف مظل يدفع عنه الحر فان لم يحصل منهما شى فهو كالبيداء
ليس ببيت لكن بيت العنكبوت لا يجمعها ولا يحجبها وكذلك المعبود ينبغى ان يكون منه الخلق والرزق وجر
المنافع ودفع المضار فان لم يجمع الامور فلا اقل من دفع ضر او جر نفع فان لم يكن كذلك فهو والعدم
بالنسبة اليه سوا فاذا لم يحصل للعنكبوت باتخاذ ذلك البيت من معانى البيت شى كذلك الكافر
لم يحصل له باتخاذ الاوثان اولياء من معانى الاولياء شى الثانى هو ان اقل درجات البيت ان يكون للظل
فان البيت من الحجر يفيد الاستظلال ويدفع ايضا الهوا والما والنار والتراب والبيت من الخشب يفيد
الاستظلال ويدفع الحر والبرد ولا يدفع الهوا القوى ولا الما ولا النار والخيمة التى هى بيت من شعر والخيمة
التى هى من ثوب ان لم يدفع شيئا يدفع حر الشمس لكن بيت العنكبوت لا يظلل فان الشمس بشعاعها
تنفذ فيه فكذلك المعبود ... [illegible]
[illegible] العابد فان لم يكن فلا اقل ... [illegible]
وان احتوى ... [illegible]
شقاء ... [illegible]
فلا تستفيد ولا تخرج منها فاذا نسج على نفسه واتخذ بيتا تبعه صاحب الملك فنظف البيت منه
والمسح بالمسوح الخشنة المؤذية لجسم العنكبوت فكذلك العابد بسبب العبادة يستحق الثواب
فان لم يستحق بذلك ... لا يستحق بسببها العذاب والكافر يستحق بسبب عبادته العذاب
المسالة الثانية مثل الله اتخاذهم الاوثان اولياء باتخاذ العنكبوت نسجه بيتا ولم يمثله بنسجه
[illegible]
[illegible]
اعظم منها وهو ... [illegible]
منيته ... [illegible]

على نعوت اكرامه واوصاف جلاله لكان حكمه لكنهم اتخذوه اوليا وجعل العنكبوت اتخذ بيتا وكلاهما باطل المسئله
الثالثه كان هذا المثل صحيح في الاول وهو صحيح في الاخر فان نسج العنكبوت اذا هبت ريح لا يبقى منه عين ولا اثر
بل يصير هبا منثورا فكذلك اعمالهم للاوثان كما قال تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هبا منثورا
المسئله الرابعه قال مثل الذين اتخذوا من دون الله اوليا ولم يقل الهة اشاره الى ابطال الشرك الخفي ايضا
فان من عبد الله ريا لغيره فقد اتخذ وليا غيره فمثله مثل العنكبوت يتخذ نسجه بيتا ثم انه تعالى قال
وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون اشاره الى ما بينا ان كل بيت ففيه اقامه ما به الاستظلال
او فقد ذلك فبيته يضعف عن افاده ذلك فانه يخرب بادنى شي ولا يبقى منه عين ولا اثر فكذلك
عملهم لو كانوا يعلمون ثم قال ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شي وهو العزيز الحكيم
قال الزمخشري هنا زياده توكيد على التمثيل حيث انهم لا يدعون من دونه من شي يعني ما يدعون ليس بشي
وهو عزيز حكيم فكيف يجوز للعاقل ان يترك القادر الحكيم ويشتغل بعباده ما ليس بشي اصلا وهذا الفهم منه انه
معلما ثانيه وهو صحيح والعلم يتعلق بالجمله كما يقول القايل اني اعلم ان الله لا ... يعني اعلم ...
الجمله وانه كنا تحمل ما خبريه ويكون معناه ما يدعون من شي فان الله يعلمه وهو العزيز الحكيم فان من
اعدامه واهلاكهم لكنه حكيم يمهلهم ليكون الهلاك عن بينه والهلاك عن بينه ومن هاهنا يكون الخطاب
مع قوم محمد عليه السلام وعلى هذا لو كان ما نافيه تتعلق هذه الايه بالمثل السابق فيقول لما قال ان مثلهم
كمثل العنكبوت فكانت للكفار ان يقول انا لا نعبد هذه الاوثان التي نتخذها وهي تحت تسخيرنا وانما
هي صوره كوكب انا تحت تسخيره ومنه نفعي وضري وخيري وشري ووجودي ودوامي فله نسجد
واعظامي فقال الله تعالى ان الله يعلم كل ما تعبدون من دون الله فهو مثل العنكبوت هي الكواكب
والملك وكل ما عدا الله ليس ... الا دون الله فعبادتكم للغايب كعبادتكم للحاضر ولا معبود الا الله
ما اله سواه ثم قال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون كيف يضرب خالق
الارض والسموات الامثال بالهوام والحشرات كالبعوض والذباب والعنكبوت فقال الامثال نضربها للناس
انهم لم يكونوا كالانعام يحصل لهم ادراك ما يوحش نفوسهم مما انتم فيه وذلك لان التشبيه يوثر في النفس تاثيرا
مثل تاثير الدليل فاذا قال الحكيم لمن يغتاب انك بالغيبه كانك تاكل لحم ميته لانك وقعت في هذا الرجل من غاب
لا يفهم ما تقوله ايضا حتى يجب كمن ينهى في عيب بالكل منه وهو لا يعلم ما يفعله ولا ينفذ على دفعه لان كان يعقله
فينتفر طبعه منه كما ينتفر اذا قال له انه يوجب العقاب ويورث العذاب ثم قال وما يعقلها
الا العالمون يعني حقيقتها وكون الامر كذلك لا يعلمه الا من حصل له العلم ببطلان ما سوى الله وفساد عباده
ما عداه وفيه معنى حكمي وهو ان العلم الحدسي يعلمه العاقل والعلم الفكري الدقيق يعقلها العالم وذلك
لان العاقل اذا عرض عليه امر ظاهر ادركه كما هو بكنهه لكون المدرك ظاهرا وكون المدرك عاقلا ولا يحتاج
الى كونه عالما باشيا ... واما الدقيق يحتاج الى علم سابق فلا بد من عالم ثم انه ان كان دقيقا في غايه الدقه فيدركه
ولا يدركه بتمامه ويعقله اذا كان عالما اذا علم تفاصيله وما يعقلها الا العالمون يعني هو ضرب للناس
مثلا وحقيقتها وما فيها من الفوايد باسرها لا يدركها الا العلما ثم انه تعالى لما امر الخلق بالايمان واظهر الحق
بالبرهان ولم يات الكفار بما امرهم به وحق عليهم فقص قصصا فيها عبر وانذرهم على كفرهم بالهلاك كمن غبر
وبين ضعف دليلهم بالتمثيل فلم يهتدوا بذلك الى سوا السبيل وحصل ياس النبي عنهم سلى المومنين
بقوله خلق الله السموات والارض بالحق ان في ذلك لايه للمومنين يعني ان لم يومنوا هم لا يورث كفرهم
شكا في صحه دينكم ولا يوثر شكهم في يقينكم فان خلق الله السموات والارض بالحق للمومنين بيان ظاهر
وبرهان باهر وان لم يومن به على وجه الارض كافر وفي الايه مسايل نبين بها تفسير الايه وهي ان الله تعالى

كيف

كيف خص الايه في خلق السموات والارض بالمومنين مع ان في خلقها ايه لكل عاقل كما قال تعالى ولئن سالتهم من خلق
السموات والارض ليقولن الله وقال تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لقوم يعقلون
فنقول خلق السموات والارض ايه لكل عاقل وخلقها بالحق ايه للمومنين بحسب وبيانه من حيث النقل والعقل اما النقل فقوله
تعالى وما خلقنا السما والارض وما بينهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون اخرج اكثر الناس عن العلم بكون خلقها بالحق مع انه اثبت علم الكل بانه
خلقها حيث قال ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله واما العقل فهو ان العاقل اول ما ينظر
الى خلق السموات والارض ويعلم ان لهما خالقا وهو الله ثم يهديه من الله ان يقطع النظر عنهما عند مجرد ذلك بل يقول
ان خلقهما اتقنا محكما وهو المراد بقوله بالحق لانه لم يكن على وجه الاحكام يفسد ويبطل فيكون باطلا واذا علم
انه خلقهما متقنا يقول انه قادر كامل حيث خلق وعالم علمه شامل حيث اتقن فيقول لا يعزب عن علمه اجزا الموجودات
في الارض ولا في السموات ولا يعجز عن جمعها كما جمع اجزا الكاينات والمبدعات فيجوز بعث من في القبور وبعثه
الرسول ويعلم وحدانيه الله لانه لو كان اكثر من واحد لفسدتا وبطلتا وهما بالحق فيجد لنفسه ما يحصل له الايمان
بتمامه من خلق ما خلقه على احسن نظامه ثم ان الله تعالى لما سلى المومنين بهذه الايه سلى رسوله بقوله
اتل ما اوحي اليك من الكتاب يعني ان كنت تاسف على كفرهم فاتل ما اوحي لتعلم ان نوحا ولوطا وغيرهما
كانوا على ما انت عليه بلغوا الرساله وبالغوا في اقامه الدلاله ولم ينقذوا قومهم من الضلاله والجهاله و
بهذا قال اتل وما قال عليهم لان التلاوه ما كانت بعد الياس منهم بل للتسليه قلب نبيه عليه السلم وفي
الايه مسايل احدها ان الرسول لما كان معجزه كتاب وقرا ما انزل ولم يبق ما يبقى له فايده في قراته لنفس
مقول الكتاب المنزل مع النبي المرسل ليس كذلك فان الكتب المتقدمه مع الرسل على قسمين قسم يكون فيه ... سالم
وكلام مع واحد يحصل بقراته مره تمام المرام وقسم يكون فيه فايده كلما يحتاج اليه الرهيد في جميع الاوقات
كالادعيه ... لكنا بانه انا نفعنا بسنن البدعه الفلانيه ووصفنا لكم السنه الفلانيه وبعثنا اليكم هذا
الكتاب فمن جمع ذلك فليكن ذلك لمن الى سبح عليه والسعود له لمثل هذا الكتاب لا تفقدا ديركه بل يعلق
من مكان عال وكثيرا ما يكتب نسخه على الجمع وتثبت فوق المحاريب ويكون نصب الاعين ولكن كتابنا بالنسبه
مع رسوله محمد فانه يكون كل حين شفا العالمين فوجب تلاوته مره بعد مره ليبلغ الى حد التواتر وينقله قرن الى قرن
وياخذه قوم من قوم ويثبت في الصدور على مر الدهور الوجه الثاني هو ان الكتب غير القران كان كتاب
لا يكرر قراته الا للغير كالقصص فان من قرا حكايه مره لا يقراها مره اخرى الا لغيره ثم اذا سمعه ذلك الغير لا يقراها
الا لاخر لم يسمعه ولو قراه عليه لسئم وملّ وكتاب لا يكرر عليه الا للنفس كالنحو والفقه وغيرهما وكتاب
يتلى مره بعد مره للنفس وللغير كالمواعظ الحسنه فانها تكرر للغير وكلما سمعها يلتذ بها ويرق لها ويستريح بها
وكلما يتلوها النفس يخرج الوساوس مع النفس ويكرر لها ... المتكلم فان كثيرا ما يلتذ المتكلم بكلمه طيبه
وكلما يعيدها يلتذ الحبيب والذ وامتثل العاشق انفذ حتى يكاد يبكي من رقته دما ولو اعاده الف مره
اذا علم هذا فالقران من القبيل الثالث مع ان فيه القصص والفقه والنحو وكان في تلاوته كل زمان فايده
المسئله الثانيه لم خصص بالامر هذين الشيئين تلاوه التنزيل واقام الصلوه فنقول لوجهين احدهما
ان الله لما اراد تسليه قلب محمد عليه السلم بالمرسل الرسول واسطه من طرفين من الله الى الخلق فاذا لم يتبعوه
الطرف الواحد ولم يقبلوه فالطرف الاخر متصل لا ينقطع الرسول لانه يقبل رسالته فتوجه الى من ارسله
فاذا تلوته كانك ولم يقبلوك فتوجه الى الله بالصلوه الوجه الثاني هو ان العبادات المختصه بالعبد
ثلثه قلبيه وهي الاعتقاد الحق ولسانيه وهي الذكر الحسن وبدنيه خارجيه وهي العمل الصالح لكن الاعتقاد
لا يتكرر فان من اعتقد شيا لا يمكنه ان يعتقده مره اخرى بل ذلك يدوم مستمرا والنبي عليه السلم كان ذلك حاصلا

له عن عيان اكمل مما يحصل عن بيان فلم يومر به لعدم امكان تكراره لكن الذكر يمكن التكرار والعبادة البدنية كذلك
فامر بهما وقال اتل الكتاب واقم الصلوة المسئلة الثالثة كيف تنهى الصلوة عن الفحشاء والمنكر نقول
قال بعض المفسرين المراد من الصلوة القرآن وهو تنهى اي فيه النهي عنهما وهو بعيد لان ارادة القرآن من الصلوة
في هذا الموضع الذي قال فيه اتل ما اوحي اليك بعيد عن الفهم وقال بعضهم اراد به نفس الصلوة وهي تنهى عنهما ما دام
العبد في الصلوة لانه لا يمكنه الاشتغال بشيء منهما نقول هذا كذلك لكن المراد ليس هذا لان ذلك لا يكون مدحها كاملا
للصلوة لان غيرها من الاشغال كثيرا ما يمنع كذلك كالنوم في وقته وغيره نقول المراد ان الصلوة تنهى عن
الفحشاء والمنكر مطلقا وعلى هذا قال بعض المفسرين الصلوة هي التي تكون مع الحضور وهي تنهى حتى نقل
عنه من لم تنهه صلاته عن المعاصي لم تزدد به الا بعدا ونحن نقول الصلوة الصحيحة شرعا تنهى عن الامرين
مطلقا وهي التي اتى بها المكلف لله حتى لو نوى بها الرياء لا تصح صلوته شرعا وتجب الاعادة وهذا ظاهر فان
من نوى بوضوء الصلوة والتبرد فيه بحث فكيف من نوى بصلوته الله وغيره اذا ثبت هذا نقول هذه الصلوة
تنهى عن وجوه الاول هو ان من كان يخدم ملكا عظيم الشان كثير الاحسان ويكون عنده بمنزلة ويرى
عبدا من عباده قد طرده طردا لا يتصور قبوله وفاته الخير بحيث لا يرجى حصوله يستحيل من ذلك المقرب
عقلا ان يترك خدمة ذلك الملك ويدخل في طاعة ذلك المطرود وكذلك العبد اذا صلى لله صار عبدا لله و
حصل له منزلة المصلي يناجيه فيستحيل منه ان يترك عبادة الله ويدخل تحت طاعة الشيطان
المطرود لكن مرتكب الفحشاء والمنكر في طاعة الشيطان فالصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر الثاني هو ان من باشر
القاذورات كالزبال والكناس يكون له لباس نظيف اذا لبسه لا يباشر معه القاذورات وكلما كان ثوبه ارفع
يكون امتناعه عما يلوثه به عن القاذورات اكثر فاذا لبس واحد منهم ثوب ديباج مذهب يستحيل منه مباشرة
تلك الاشياء عرفا فكذلك العبد اذا صلى لبس لباس التقوى لانه واقف بين يدي الله واضعا يمينه على شماله على هيئة
من يقف لخدمة ملك ذي هيبة ولباس التقوى خير لباس يكون نسبته الى القلب اعلى من نسبة الديباج
المذهب الى الجسم فاذا من لبس هذا اللباس يستحيل منه مباشرة قاذورات الفحشاء والمنكر ثم ان الصلوات
تتكرر والصلوة بعد الصلوة فيدوم هذا اللباس فيدوم الامتناع الثالث من يكون امير نفسه يجلس حيث يريد
فاذا دخل في خدمة ملك واعطاه منصبا له مقام خاص لا يجلس صاحب ذلك المنصب الا في ذلك الموضع فلو اراد
ان يجلس في صف النعال لا يترك فكذلك العبد اذا صلى دخل في طاعة الله ولم يبق بحكم نفسه وصار له مقام
معين اذ صار من اصحاب اليمين فلو اراد ان يقف في غير موضعه وهو موقف اصحاب الشمال لا يترك لكن
مرتكب الفحشاء والمنكر من اصحاب الشمال وهذا الوجه اشارة الى عصمة الله يعني من صلى عصمه الله عن الفحشاء
والمنكر الوجه الرابع وهو موافق لما ورد به الاخبار هو ان من يكون بعيدا عن الملك كالسوقي المتبذل
او المتعيش لا يبالي بما يفعل من الفعال يأكل في دكان الهراس والرواس ويجلس مع اجناس الناس فاذا
صارت له قربة يسيرة من الملك بان صار واحدا من الجندارية والنواب والشاش عند الملك لا تمنعه
تلك القربة من تعاطي ما كان يفعله نادرا وان زادت قربته وارتفعت منزلته حتى صار اميرا حينئذ تمنعه
تلك المنزلة عن الاكل في ذلك المكان والجلوس مع اولئك الخلان كذلك العبد اذا صلى وسجد اولا
صار له قربة ما لقوله تعالى واسجد واقترب فان كان ذلك القدر من القربة يمنعه من المعاصي والمناهي
فبتكرر الصلوة والسجود تزداد مكانته حتى يرى على نفسه من اثار الكرام ما يستقذر معه من نفسه
الصغائر فضلا عن الكبائر وفي الاية وجه اخر معقول يؤكده المنقول وهو ان المراد من قوله ان الصلوة
تنهى عن الفحشاء والمنكر معناها تنهى عن التعطيل والاشراك فالتعطيل هو انكار وجود الله والاشراك
اثبات الوهية لغير الله فنقول التعطيل فحشاء لان الفاحشة هو القبيح الظاهر القبح وانكار وجود الله اظهر

من الشمس

من الشمس وما من شيء الا وفيه آية على الله ظاهرة وانكار الظاهر ظاهر الانكار فالقول بان لا اله فحشاء والاشراك
منكر وذلك لان الله تعالى لما الحق اسم المنكر على من ينسب نفسا الى غير الوالد حيث قال ان امهاتهم
الا اللائي ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول فالمشرك الذي يقول للملائكة بنات الله وينسب الى من يعلم بالبديهة انه لا يجوز
ان يكون له ولد والملائكة كيف لا يكون قوله منكرا فالصلوة تنهى عن هذه الفحشاء وهذا المنكر وذلك لان العبد اول ما يشرع
في الصلوة يقول الله اكبر فبقوله الله نفى التعطيل وبقوله اكبر نفى التشريك لان الشريك لا يكون اكبر
من الشريك الاخر فيما فيه الاشتراك فاذا قال بسم الله نفى التعطيل فاذا قال الرحمن الرحيم نفى الاشراك لان
الرحمن من يعطي الوجود بالخلق بالرحمة والرحيم من يعطي البقاء بالرزق بالرحمة فاذا قال الحمد لله رب العالمين
اثبت بقوله الحمد لله خلاف التعطيل وبقوله رب العالمين خلاف الاشراك فاذا قال اياك نعبد بتقديم اياك
نفى التعطيل والاشراك وكذا بقوله اياك نستعين فاذا قال اهدنا الصراط نفى التعطيل لان طالب الصراط له
مقصد والمعطل لا مقصد له وبقوله المستقيم نفى الاشراك لان المستقيم هو اقرب والمشرك يعبد الاصنام حتى
يعبد صورة صورها اله العالمين ويشفعون لهم وعبادة الله من غير واسطة اقرب وعلى هذا نقول الى اخر الصلوة
نحو فيها اشهد ان لا اله الا الله نفي الاشراك والتعطيل وهاهنا لطيفة وهي ان الصلوة اولها لفظة الله
واخرها لفظة الله في قوله اشهد ان لا اله الا الله ليعلم المصلي انه من اول الصلوة الى اخرها مع الله فان قال
قائل فقد بقي من الصلوة قوله واشهد ان محمدا رسول الله والصلوة على الرسول والتسليم نقول هذه الاشياء في اخرها
دخلت لمعنى خارج عن ذات الصلوة وذلك لان الصلوة ذكر الله غير ان العبد اذا وصل بالصلوة الى الله وحصل
مع الله لا يقع في قلبه انه استقل واستبد واستغنى عن الرسول كمن يتقرب من السلطان فيعتقد انه بلغ رتبة الملوك
الى الملوك والحجاب فقال انت في هذه المنزلة الرفيعة بهداية محمد وغير مستغن عنه فقال مع ذكر الله محمد رسول الله
ثم اذا علمت ان هذا كله ببركة هدايته فاذكر احسانه بالصلوة عليه ثم اذا رجعت من معراجك وانتهيت
الى اخوانك فسلم عليهم وبلغهم سلامي كما هو ترتيب المسافرين واعلم ان هيئة الصلوة فيها هيبة فان
اولها وقوف بين يدي الله كوقوف المملوك بين يدي السلطان ثم اخرها جثو بين يدي الله كما يجثو بين
يدي السلطان من اكرمهم بالاجلاس كان العبد لما وقف واثنى اكرمه الله واجلسه فيجثو وفي هذا الجثو
لطيفة وهي ان من جثا في الدنيا بين يدي الله هذا الجثو لا يكون له جثو في الاخرة ولا يكون من الذين قال
الله فيهم ونذر الظالمين فيها جثيا ثم قال تعالى ولذكر الله اكبر والله يعلم ما تصنعون
لما ذكر امرين وهما تلاوة الكتاب واقامة الصلوة بين ما يوجب ان يكون الاتيان بهما على ابلغ وجوه التعظيم
فقال ولذكر الله اكبر وانتم اذا ذكرتم اباكم بما فيهم من الصفات الحسنة تنبسطون لذلك وتذكرونهم مل افواهكم
وقلوبكم لكن ذكر الله اكبر فينبغي ان يكون على ابلغ وجوه التعظيم واما الصلوة فكذلك لان الله يعلم
ما تصنعون وهذا احسن صنيعكم فينبغي ان يكون على وجه التعظيم وفي قوله ولذكر الله اكبر مع حذف
بيان ما هو اكبر منه لطيفة وهي ان الله لم يقل اكبر من ذكر ملك لان ما ينسب الى غير الله في قلبه الى نسبة
اذ لا يقال ان الجبل اكبر من خردلة وانما يقال هذا الجبل اكبر من ذلك الجبل فاسقط المنسوب كانه قال
ولذكر الله الكبر لا لغيره وهذا كما يقول في الصلوة الله اكبر اي له الكبر لا لغيره ثم قال تعالى ولا تجادلوا
اهل الكتاب الا بالتي هي احسن لما بين الله طريقة ارشاد المشركين ونفع من انتفع وحصل الياس ممن امتنع بين طريقة
ارشاد اهل الكتاب وقال ولا تجادلوهم الا بالتي هي احسن قال بعض المفسرين المراد منه لا تجادلوهم بالسيف وان لم
يؤمنوا الا اذا ظلموا وحاربوا اي اذا ظلموا زائدا على كفرهم وفيه معنى الطف منه وهو ان المشرك جاء
بالمنكر على ما بيناه فكان اللائق ان يجادل بالاخشن ويبالغ في تهجين مذهبه وتوهين شبهه ولهذا قال تعالى
في حقهم صم بكم وقال لهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها الى غير ذلك واما اهل الكتاب فجاؤا

بل جحودا الاعتراف بالنبي عليه السلم فيقلدوا وآمنوا بانزال الكتب وارسال الرسل والحشر فلم قابله احسانهم
بجادلوا اولا بالاحسن ولا يستخف آراءهم ولا ينسب الجهل اليهم ثم علا فالمشرك ثم على هذا فقوله الا الذين ظلموا
منهم اي وهو ان المراد بكون الا الذين اشركوا منهم بان اثبتوا الولد لله والقول ثالث ثلثة فانهم ظالمون
في القول المذكور فهم الظالمون لان الشرك لظلم عظيم فيجادلون بالاحسن من تهجين مقالتهم وتبيين جهالتهم ثم انه تعالى
بين ذلك الاحسن مقدم محاسنهم بقوله وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن
له مسلمون فيلزمنا اتباع ما قاله لكنه بين رسالتي في كتبكم فهو دليل يعني ثم بعد ذلك ذكر دليلا ثانيا فقال
وكذلك انزلنا اليك يعني كما انزلنا على من تقدمك انزلنا عليك وهذا قياس ثم قال تعالى فالذين آتيناهم الكتاب
يؤمنون به لوجود النص ومن هؤلاء من يؤمن به كذلك واختلف المفسرون فقال بعضهم المراد بالذين آتيناهم الكتاب من آمن
بنبينا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وغيره وقوله ومن هؤلاء اي من اهل مكة وقال بعضهم المراد بالذين آتيناهم الكتاب
هم الذين سبقوا محمدا عليه السلم زمانا من اهل الكتاب ومن هؤلاء اي الذين هم في زمان محمد عليه السلم من اهل الكتاب وهذا
اقرب فان قوله هؤلاء صرفه الى اهل الكتاب اولى لان الكلام فيهم ولا ذكر للمشركين هاهنا اذ كان هذا الكلام بعد النزاع
من ذكرهم والاعراض عنهم لاصرارهم على الكفر وهاهنا وجه آخر اولى واقرب الى العقل والنقل واقرب الى الاحسن من الجدل
المامور به فنقول يعني المراد بالذين آتيناهم الكتاب هم الانبياء وبقوله ومن هؤلاء اي من اهل الكتاب يعني الذين
آتيناهم الكتاب في الحقيقة هم الانبياء فان الله ما انزل الكتاب الا على الانبياء كما قال تعالى اولئك الذين آتيناهم الكتاب وقال
وآتينا داود زبورا وقال [illegible] في الكتاب واذا حملنا الكلام على هذا يبطله التخصيص لان كل الانبياء آمنوا
بجل الانبياء واما اذا قلنا بما قالوا به يكون المراد ومن الذين آتيناهم الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه لانه معه اربعة قليلون
ويكون المراد بقوله ومن هؤلاء غير المذكورين وعلى ما ذكرنا يكون مخرج الكلام كانه قسم القوم قسمين اهل الكتاب والمشركين فيهم
وشرع معهم والثاني اهل الكتاب ثم تعلق [illegible] والوعد [illegible] حربا في ذكرهم [illegible] الى
اهل الكتاب الذين هم في عصرهم واذا قال [illegible] الى المشركين الذين [illegible] وعنفهم وعمل بعد التعيير
لكن الجدال على احسن الوجوه وذلك لان الخلاف في تفضيل الانبياء والامة قريب من الخلاف في تفضيل الرسل والملك فاذا اختلف
حزبان في فضيلة ملكين او رسولين وادى الاختلاف الى القتل يكون قول كلام يقطع بينهم ان يقال لهم هذان الملكان متوافقان
متفقان [illegible] هاهنا قال النبي عليه السلم نحن آمنا بالانبياء وهم آمنوا بي فلا معنى لتعصبكم لهم فكذلك
[illegible] ثم قال تعالى وما يجحد باياتنا الا الكافرون [illegible]
واستغنى عن المشركين [illegible] الملة الواحدة [illegible] فان الجاحد
باية آية تكون يكون كافرا ثم قال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك هذا ترجمة اخرى بعد
ما تقدم على [illegible] بعد ذلك ان المجادل اذا ذكر مسئلة مختلفا فيها كقوله المقابل الذكي [illegible] فاذا قيل له
لم تقول [illegible] الجامع [illegible] بمجرد التشبيه [illegible] الجامع فذلك
[illegible] الجامع [illegible] على الحاجة [illegible] فكذلك هاهنا ذكر اولا التمثيل بقوله وكذلك
انزلنا اليك ثم ذكر الجامع وهو المعجزة فقال [illegible] تلك الكتب منزلة بالمعجزة وهذا القرآن [illegible] لم تكتب ولم تقرأ
عند المعجز [illegible] كونه منزلا وقوله اذا لارتاب المبطلون فيه معنى لطيف وهو ان النبي عليه السلم ان كان قاريا كاتبا
ما كان يوجب كون هذا الكلام كلامه [illegible] لكن [illegible] يكون للمبطل وجه
ارتياب [illegible] وهذا كقوله تعالى [illegible] عبدنا
فاتوا بسورة من مثله اي من مثل محمد عليه السلم وكقوله الم ذلك الكتاب لا ريب فيه ثم قال تعالى بل هو آيات
بينات في صدور الذين اوتوا العلم [illegible] ليس من مخترعات الآدميين [illegible]
[illegible] واذا كان في صدور الذين [illegible] صدر

احصنهم

احصنهم والجاهل يستحيل منه ذلك فلا يظهر له من الصدق [illegible] ثم قال تعالى وما يجحد باياتنا الا الظالمون
وقال هاهنا الظالمون ومن قبل قال الكافرون مع ان الكافر ظالم ولا تنافي بين الكلامين وفيه فائدة وهو انهم قبل بيان
المعجزة قيل لهم [illegible] لا تبطلوا بانكار محمد تكونوا كافرين فلفظ الكافر هناك كان مانعا لهم من ذلك فاستنكفوا
عن الكفر ثم لما بين المعجزة [illegible] هذه الآية لزمهم انكار ارسال الرسل فيلحقون في ذلك بالمشركين حكما
وكانوا مع هذه الآية بالمشركين حقيقة فيكونوا ظالمين اي مشركين كما بينا ان الشرك ظلم عظيم فهذا اللفظ هاهنا
ابلغ وذلك اللفظ هناك ابلغ ثم قال تعالى وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه لما شرع في ذكر الدليل من جانب
النبي عليه السلم ذكر شبهتهم وهي ذكر الفرق بين المقيس عليه والمقيس فقالوا انك تقول انه انزل اليك كتاب كما انزل الى
موسى وعيسى وليس كذلك لان موسى اوتي تسع آيات علم بها كون الكتاب من عند الله وانت ما اوتيت شيئا منها ثم ان الله
تعالى ارشد نبيه الى جوابه هذه الشبهة فقال قل انما الآيات عند الله ووجهه ان النبي عليه السلم ادعى الرسالة وليس
من شرط الرسالة الآية المعجزة لان الرسول يرسل اولا ويدعو الى الله ثم ان توقف الخلق في قبوله او طلبوا منه
دليلا فالله ان رحمهم تبين رسالته وان لم يرحمهم لم يبين [illegible] رسول واما الآية فالله ان اراد
بينها وان لم يرد لم يبينها وهذا لان [illegible] التي لا بد من ان يخلقها كالمكان من
ضرورات الانسان فلا يخلق الله انسانا الا ويكون له مكان [illegible] لكن الرسالة والمعجزة [illegible]
اذا خلق رسولا وجعله رسولا ليس من ضرورته ان يعلم له معجزة ولهذا علم وجود رسل كشيث وادريس و
شعيب ولم يعلم لهم معجزة [illegible] علم رسالتهم بقول من سبقت رسالته بالمعجزة [illegible]
معجزة من سبقت كقول موسى وعيسى فتبين بطلان قولهم لم لم ينزل عليه آية وهذا لانهم طلبوا سبق الآية وليست
شرطا حتى يجيبهم الى ذلك [illegible] لكن [illegible] الله
لنا آية تخلصنا من [illegible] المتنبي [illegible] نبيا [illegible] من رحمة الله
ان نزل آية ثم قوله وانما انا نذير مبين معناه ان الآية عند الله ينزلها [illegible]
نذير وليس لي [illegible] من وجه آخر [illegible] ان
انزال الآية شرط [illegible] اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم يعني
ان كان انزال الآية شرطا فلا شرط الا انزال الآية وقد انزل وهو القرآن فانه معجزة ظاهرة
[illegible] عبارة [illegible] القرآن [illegible] الكفاية [illegible]
[illegible] اولم يكفهم انا انزلنا
عليك وهذا لان القرآن معجزة اتم من كل معجزة [illegible] ان تلك المعجزات [illegible]
فان قلب العصا ثعبانا واحيا الميت لم يبق لنا منه اثر فلو لم يكتب [illegible] وجود هذه
الاشياء لم يمكن اثباتها معه بدون الكتاب واما القرآن فهو باق لو انكره واحد يقول له فات باية من مثله
الثاني هو ان قلب العصا ثعبانا كانت في مكان واحد ولم يره من لم يكن في ذلك المكان واما القرآن فقد وصل الى
المشرق والمغرب وسمعه كل احد وهاهنا لطيفة وهي ان آيات النبي عليه السلم كانت اشياء لا تختص بمكان دون
مكان لان من جملتها انشقاق القمر وهو يعم الارض لان الخسوف اذا وقع عم [illegible]
لا يختص بقطر دون قطر [illegible] في قطر وسقط ايوان كسرى في قطر وانهدمت الكنيسة بالروم في
قطر آخر اعلاما بانه يكون امرا عاما [illegible] المعجزة الكافر المعاند يقول انه سحر [illegible]
لا يمكن هذا القول منه ثم انه تعالى قال ان في ذلك لرحمة اشارة الى انا جعلناه معجزة رحمة على العباد ليعلموا بها
الصادق وهذا لانا بينا ان اظهار المعجزة على يد الصادق رحمة من الله وكان له ان لا يظهر فيبقى الخلق في
ورطة تكذيب الصادق او تصديق الكاذب لان النبي لا يمتاز عن المتنبي لولا المعجزة [illegible] ما يريد

وقوله وذكرى اشاره الى انه معجزه باقيه يتذكر بها كل من يكون ياتي الى زمان ثم قال لقوم يؤمنون يعني هذه
الرحمه مختصة بالمؤمنين لان المعجزه كانت غضبا على الكافرين لانها قطعت اعذارهم و غلقت افكارهم ثم قال تعالى
كفى بالله بيني وبينكم شهيدا لما ظهرت رسالته ولم يعترف به المعاندون من اهل الكتاب قال
كما يقول الصادق اذا كذب واتى بكل ما يدل على صدقه ولم يصدق الله يعلم صدقي وتكذيبكم ايها المعاندون وهو على ما اقول
شهيد يحكم بيني وبينكم كل ذلك انذار وتهديد ثم بين كونه كافيا بكونه عالما بجميع الاشيا فقال يعلم ما في
السموات والارض وههنا مسالة وهي انه تعالى قال في اخر الرعد وقال الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم
ومن عنده علم الكتاب فاخر شهادة اهل الكتاب وفي هذه السورة قدم حيث قال فالذين اتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن
هؤلاء من يؤمن به اي من اهل الكتاب فنقول الكلام هناك مع المشركين فاستدل عليهم بشهادة غيرهم ثم ان شهادة الله اقوى حجة
في الزامهم من شهادة غير الله وههنا الكلام مع اهل الكتاب وشهادة المرء على نفسه هو اقراره وهو اقوى الحجج عليه فقدم
ما هو الزام عليهم ثم انه تعالى لما بين الطريقين في ارشاد الفريقين المشركين واهل الكتاب عاد الى الكلام الشامل لهما والانذار
العام فقال والذين امنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون اي الذين امنوا بما سوى الله لان ما سوى الله
باطل لانه هالك بنفسه كل شي هالك الا وجهه وكل ما هالك فهو باطل وكل ما سوى الله باطل ومن امن بما سوى الله فقد
امن بالباطل ونبه ما قال الاول قوله اولئك هم الخاسرون يعني الخسران بان اشتروا بالباطل والكفر بالله فهو
خاسر فمن باع احسنها ... يكن خاسر فنقول يستحيل ان ياتي احدهما بكونه اتيا بالاخر اما الايمان
بالايمان بما سوى الله لانه اشرك بالله بجعل غير الله مثله بجعل الله مثل غيره لكن غيره عاجز جاهل ممكن باطل فيكون
الله كذلك فيكون انكار الله وكفرا به واما من كفر به وانكره فيكون قايلا بان العالم ليس له موجد فوجود العالم من نفسه
فيكون قايلا بان العالم واجب الوجود فيكون قايلا بان غير الله اله فيكون اثباتا لغير الله وايمانا به المسالة الثانيه
اذا كان الايمان بما سواه كفرا به فيكون كل من امن بالباطل فقد كفر بالله فهل لهذا العطف فايده غير التاكيد الذي
في قول القايل قم ولا تقعد واقترب مني ولا تبتعد نقول نعم فيه فايده غيرها وهي انه ذكر الثاني لبيان قبح الاول كقول
القايل اتقول بالباطل وتترك الحق لبيان ان القول بالباطل قبيح المسالة الثالثه هل يتناول هذا اهل الكتاب اي هل هم
امنوا بالباطل وكفروا بالله نقول نعم لانهم لما قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله فقد امنوا بالباطل وقالوا انها من عند الله
وقالوا ما ليس من عند الله فنقول انهم لو كانوا يشاهدون حجارة فيقول رجل الى هذه الحجارة زيد تقطع بانه مايل لان هذا الشخص زيد حتى لو سيل
عن عين ذلك الشخص وقيل له من هذا الرجل يقول زيد تكذبه لما تقطع بان مظهر المعجز هو الله وقالوا ان محمدا
مظهر بعد امتثالهم لرسولها محمد هو الله فكذبه فاذا امنوا بالباطل وقالوا ان من اظهر المعجز ليس بالله مع انهم لا يعلموا
بخصوص مظهر المعجز يكونوا قايلين بان ذلك المخصوص الذي هو الله ليس باله فيكون كفرا به وهذا الايرد علينا فيمن يقول
فعل العبد مخلوق لله او مخلوق العبد فانه انما نسبه فعل الله الى الغير كما ان المعجز فعل الله فهم نسبوها الى
غيره لان نعتقد ان العالم محل الشبهة كمن يرى حجاره رمت ولم ير عينا رماها فظن انها رماها زيد فيقول زيد هو رامي
هذه الحجارة ثم اذا راى راميها بعينه وكفر عن زيد ولما اذا راى عينه ورميه للحجاره وقال رامي الحجاره زيد
فقطع بانه هذا الرجل بعد نظر الرزق من حيث انهم كانوا معاندين عالمين بان الله يظهر تلك المعجزه يعلمون انها من عند الله
ثم قوله هم الخاسرون كذلك بانهم دخلوا في الخسران وهذا الان من خسر راس المال ولم يربح شيا يكون في العالم بالدرهم
راس المال فيكون فهو الذي يظن انهم لما عبدوا غير الله افنوا العمر ولم يحصل لهم في مقابلته شي ما اصلا من المنافع وهو
عليهم دون بركان الاحاجات ثم قال ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى
لجاءهم العذاب لما انذرهم الله بالخسران بقوله وهذا اوجه انه ان من خسر لا يحصل له في مقابله قدر
العمر شي من المنافع ولما كان الخسران ذلك لا يعود بل دونه مثاله اذا حصل ولو فرض العقد قرية لا يسفي
لا يكون حصل له في مقابله الدرهم ما ياكل يعني حصيرا وقال الاكثر الخسران قربها بل يعقبه ذلك فاذاهم ما قرروا

اعمالهم

اعمالهم لم يحصل لهم منفعه لحصول عذاب واذا لم يكن ذلك القدر من النعم له منفعة فلهم الخاسر عذاب اليم تقول
واولئك هم الخاسرون لهم عذاب عظيم ثم قال والوان كان عليا عذاب فاتنا به اظهارا لقطعهم بعدم العذاب
ثم انه اجاب بان العذاب لا يا تيكم بسوالكم ولا يعجل باستعجالكم لانه اجله الله لحكمة ورحمة فلكونه حكيما
لا يكون منعه امثلا ولكونه رحيما لم يكن عقوبا من عجل ولولا ذلك الاجل المسمى الذي اقتضته حكمته وارتضته
رحمته لما كان ذلك رحمة وحكمة ولكن عقوبا منقلبا بتاثر باستعجالكم و سمقتم سوالكم مستعجل وليس
كذلك فلا ياتيكم بالعذاب وانتم تسالونه ولا ياتيكم بعد العذاب حين يستجيرون به منه كما قال تعالى
كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها ثم قال وليأتينهم بغتة احلة المفترض فيه فقال بعضهم ليأتينهم
العذاب بغتة لان العذاب يلحقهم بلاد كربة ولا من سؤال لهم كان العذاب نعال لياتينهم وقال بعضهم لياتينهم بغتة اي الاجل
لان الاتي بغتة هو الاجل واما العذاب بعد الاجل يكون بمعاينة وقد ذكرنا ان في تعين العذاب الاجل اتيا بغتة
حكمة وهي انه لو كان وقته معلوما لكان كل احد يتكل على بعده وعلمه بوقته فيفسق ويفجر معتمدا على التوبة
قبل الموت وقوله وهم لا يشعرون يحتمل وجهين احدهما تاكيد معنى قوله بغتة كما يقول القايل اتيته على غفلة منه
بحيث لم يدر فقوله وهم لا يشعرون اكد معنى الغفلة والثاني هو كلام ينبئ فايده مستقلة وهي ان العذاب
ياتيهم بغتة وهم لا يشعرون هذا الامر يظنون ان العذاب لا ياتيهم اصلا ثم قال يستعجلونك
بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين ذكر هذا للتعجب وهذا لان من توعد بامر فيه ضرر يسير كلطمة
اولكمة فيري من نفسه الجلد ويقول بسم الله هات واما من توعد باغراق او احراق ويقطع بان المتوعد
قادر لا يخلف الميعاد لا يخطر بال العاقل ان يقول له هات ما توعدني به فقال ههنا يستعجلونك بالعذاب
والعذاب بنار جهنم المحيطة بهم فقوله يستعجلونك اولا اخبار عنهم وثانيا تعجب منهم ثم ذكر كيفية احاطة جهنم
فقال يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم وفيه مسايل المسالة الاولى لم خص الجانبين الفوق والتحت ولم يذكر
اليمين والشمال وخلف وقدام فنقول لان المقصود ذكر ما يتميز به نار جهنم عن نار الدنيا ونار الدنيا تحيط
بالجوانب الاربع فان من دخلها تكون الشعلة خلفه وقدامه ويمينه ويساره واما النار من فوق فلا تنزل
وانما تصعد من اسفل في العادة العاجله وتحت الاقدام لا تبقى الشعلة بل تنطفي الشعلة التي تحت القدم ونار جهنم
تنزل من فوق ولا تنطفي بالدوس موضع القدم المسالة الثانيه قال من فوقهم ومن تحت ارجلهم ولم يقل من
فوق رؤوسهم ولا قال من فوقهم ومن تحتهم بل ذكر المضاف اليه عند ذكر تحت ولم يذكره عند ذكر فوق
فنقول لان نزول النار من فوق سوا كان من سمت الراس وسوا كان من موضع اخر عجيب فلهذا لم يخصه
بالراس واما بقا النار تحت القدم فعجيب والا فمن جانب القدم في الدنيا نار مشتعل فيه تحت فذكر
العجيب وهو ما تحت الارجل حيث لم تنطفي بالدوس وما فوق على الاطلاق ثم قال ويقول ذوقوا ما كنتم
تعملون لما بين عذاب اجسامهم بين عذاب ارواحهم وهو ان يقال لهم على سبيل التنكيل والاهانة
ذوقوا هذا ما كنتم تعملون وجعل ذلك عين ما كانوا يعملون للمبالغة بطريق اطلاق المسبب على السبب
فان عملهم كان سيئا فجعل الله اياه سببا لعذابهم وهذا كثير النظير في الاستعمال ثم قال تعالى يا عبادي
الذين امنوا ان ارضي واسعة وجه التعلق هو ان الله تعالى لما ذكر حال المشركين على حدة وحال اهل الكتاب على حدة و
جمعهما في الانذار وجعلهما من اهل النار اشتد عنادهم وزاد فسادهم وسعوا في ايذا المؤمنين ومنعوهم من العباده
فقال مخاطبا للمؤمنين يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة ان يتعذر عليكم العباده في بعضها فهاجروا
ولا تتركوا عبادتي بحال وبهذا علم ان الجلوس في دار الحرب حرام والخروج منها واجب حتى لو حلف بالطلاق
انه لا يخرج لزمه الخروج ودع حنث بوقوع الطلاق ثم في الايه مسايل المسالة الاولى يا عبادي لم يرد الا مخاطبة المومنين مع
ان الكافر داخل في قوله يا عبادي نقول ليس دخلا فيه لوجوه احدها ان الله قال ان عبادي ليس لك عليهم سلطان

بدليل قوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان والكافر تحت سلطنة الشيطان فلا يكون داخلا في قوله يا عبادي
الثاني هو ان الخطاب بعبادي تشريف منازل الخلق وذلك لان الله تعالى لما خلق آدم آتاه اسما عظيما وهو اسم
الخلافة كما قال تعالى اني جاعل في الارض خليفة والخليفة اعظم الناس قدرا واتم ذوي الباس اقتدارا ثم ان ابليس
لم يرهب من هذا الاسم ولم يهبهم بل تقدم عليه بسببه وعاداه وعلم كما قال تعالى فان لهما ثم ان من ذلك اعد له
العالمين من يسمي بعبادي فاخنس عنهم الشيطان وتعالى كما قال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وقال هو
بلسانه لاغوينهم اجمعين الا عبادك فعلم ان الشرف المختلف اذا كان عبد الله يكون اعلى درجة مما اذا كان خليفة لوجه الارض
ولعل اقام كداود الذي قال الله في حقه انا جعلناك خليفة في الارض لم يتخلص من الشيطان لما فتنه الله في حقه
عليك وعند ما نادى بقوله ربنا ظلمنا انفسنا اجتباه بهذا النداء كما قال في حق داود واذكر عبدنا داود ذا الايد
اذا علم هذا فالكافر لا يصلح للخلافة فكيف يصلح لما هو اعظم من الخلافة فلا يدخل في قوله يا عبادي الا المومن الثالث
هو ان هذا الخطاب حصل للمومن بسببه تشريف الله وذلك لان الله تعالى قال ادعوني استجب لكم فالمومن دعا ربه بقوله
ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان فامنا فاجابه الله تعالى بقوله يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من
رحمة الله فالافضل من ايه رب العبد يقول العبد الحق ونزل الله عنك فاكتفيت بها العبد لكن الكافر لم يدع فلم يجب فلم
يتناول يا عبادي غير المومنين المسألة الثانية اذا كان عبادي لا يتناول الا المومنين فما الفائدة في قوله الذين امنوا مع ان
الوصف انما يذكر لتمييز الموصوف كما يقال يا ايها المكلفون المومنون ويا ايها الرجال العقلاء تمييزا عن الكافرين والجهال فنقول
الوصف يذكر لا للتمييز بل لمجرد بيان ان فيه الوصف كما يقال الانبياء المكرمون والملائكة المطهرون مع ان كل نبي مكرم وكل ملك
مطهر وانما يقال لبيان ان فيهم الاكرام والطهارة ومثل هذا قولنا الله العظيم وزيد الطويل فهاهنا ذكر لبيان انهم مومنون
المسألة الثالثة اذا قال يا عبادي فهم يكونون عابدين فما الفائدة في الامر بالعبادة بقوله فاعبدون نقول فيه
فائدتان احديهما المداومة اي يا من عبدتموني في الماضي اعبدوني في المستقبل الثانية الاخلاص اي يا من تعبدني اخلص العمل
لي ولا تعبد غيري المسألة الرابعة الفاء في قوله فاياي يدل على انه جواب الشرط فما ذلك نقول قوله ان ارضي واسعة
اشارة الى عدم المانع من عبادته فكانه قال اذا كان لا مانع من عبادتي فاعبدوني واما الفاء الثانية في قوله فاعبدون فهو
لترتيب المقتضى على المقتضي كما مر هنا على ما ذكرنا فكذلك هنا لما اعلم نفسه بقوله فاياي اي هو لنفسه يستحق العبادة
قال فاعبدون المسألة الخامسة قال العبد مثل هذا في قوله اياك نعبد وقدم عليه اياك نستعين والله تعالى
وافقه في قوله فاياي فاعبدون ولم يذكر الاعانة فنقول لما ذكر هنا يا عبادي ثم قوله يا عبادي الذين كفر ليس عبادي فلما كان
الشيطان مسدود السبيل عليه مسدود السبيل عنه كان نعاية للاعانة المسألة السادسة وتم الله الاعانة
واخر العبد الاستعانة فقلنا ان العبد فعله لغرض وكل فعل لغرض فان الغرض سابق على الفعل في الادراك وذلك
من بنى بيتا للسكنى يدخل في ذهنه اولا فائدة السكنى فيحمله على البناء فالغرض في الوهم لا يكون له بعد الفعل
الواسطة فسوال انه سبحانه من العبد لغرض العبادة فهي سابقة في ادراكه واما الله تعالى فليس فعله لغرض
فراعى رتب الوجود فاخر الاعانة قبل العبادة ثم قال تعالى كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون
لما امر الله المومنين بالمهاجرة صعب عليهم ترك الاوطان ومفارقة الاخوان فقال لهم ان ما تكرهون لا بد من وقوعه
فان كل نفس ذائقة الموت والموت مفرق الاحباب فالاولى ان يكون ذلك في سبيل الله فيجازيكم عليه فان الى
الله مرجعكم وفيه وجه ارق وادق وهو ان الله قال كل نفس اذا كانت متعلقة بغيرها فهي للموت ثم الى الله
ترجع فلا موت كما قال تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى فمن يريد ان لا يذوق الموت لا يبقى مع نفسه فان
النفس ذائقته بل يتعلق بغيره وذلك الغير ان كان غير الله فهو ذائق الموت ومورد الهلاك بقوله كل نفس ذائقة
الموت وكل شيء هالك الا الله فاذا التعلق بالله يريح من الموت فقال تعالى فاياي فاعبدون اي تعلقوا بي ولا
تتبعوا النفس فانها ذائقة الموت ثم الينا ترجعون اي اذا تعلقتم بي فرجوعكم الي وليس بموت كما قال تعالى

تحسبن

ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء وقال عليه السلام المومنون لا يموتون بل ينقلون من دار الى دار وعلى
هذا الوجه ايضا يتبين وجه التعلق ثم قال والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم بين ما يكون للمومنين وقت الرجوع
اليه كما بين من قبل ما يكون للكافر بقوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين فبين ان للمومنين الجنات في مقابلة ما ان للكافرين
النيران وبين ان فيها غرفا تجري من تحتها الانهار في مقابلة ما ان تحت الكافر من النار وبين ان ذلك اجر عملهم
بقوله نعم اجر العاملين في مقابلة ما بين ان ما يوقع جزاء عمل الكفار بقوله ذوقوا ما كنتم تعملون ثم
في الايتين اختلافات فيها لطائف منها انه تعالى ذكر في الثواب انه يبوئهم غرفا اي ينزلهم ولم يذكر هنا فوقهم شيئا
وانما ذكر ما تحتهم وفي العذاب ذكر ما فوقهم وذلك لان المذكور في الموضعين العقاب والثواب الجسمانيان لكن الكافر
في الدرك الاسفل من النار فيكون فوقه طبقات من النار واما المومن فيكون في اعلى عليين فلم يذكر فوقه شيئا اشارة الى
علو مرتبتهم وارتفاع منزلتهم واما قوله تعالى لهم غرف من فوقها غرف مبنية فليس في ذكر الفوق فوق الغرف
لا فوقهم والنار دونهم ومنها انه تعالى ذكر من تحت ارجلهم النار وهاهنا ذكر من تحت غرفهم الماء
وذلك لان النار لا تؤلم اذا كانت تحت مطلقا ما لم تكن في مسامته ومتصلة بها اما اذا كانت الشعلة
مائلة عن سمت القدم ولو كانت تحتها لا تؤلم ساعة ولكن يكون عندها مثل ما يكون اسفل في ذكرها انها تؤلم واما
الماء اذا كان تحت الغرفة في اي جهة كان وعلى اي بعد كان يكون ملتذا به فقال في النار من تحت ارجلهم ليحصل
الالم بها وقال هاهنا من تحت الغرف لحصول اللذة به كيف كان ومنها انه تعالى قال هناك ذوقوا ولا يلائم فلو قيم لفظ
الامر وهاهنا قال نعم اجر العاملين ليفرح قلوبهم بالصيغة الاخبارية وذلك لان لفظ الامر يدل على انقطاع الفعل بعده
فان من قال لاجيره خذ اجرتك بينهم منه ان ذلك ينقطع تعلقه عنه واما اذا قال ما اجرتك عندي ادنو ما لك
من الاجر بينهم منه ان ذلك عنده فلم يقل هاهنا خذوا اجرتكم ايها العاملون وقال هناك ذوقوا ما كنتم تعملون فان قيل
فاذا قال ذوقوا اذا كان يفهم منه الانقطاع يفيد ان الكافر منقطع عذابه قلنا ليس كذلك لان الله اذا قال ذوقوا دل
على انه اعطاهم جزاءهم فانقطعوا عنه وبينهم لكن بقي عليهم ذلك ابدا ولا ينتقص لانه يزيد ما المومن اذا
اعطاهم شيئا فلا يتركه معهم عطاه بل يزيد له كل يوم في النعيم والسعادة ثم قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة
اي الذي يصل الى الكافر يدوم من غير زيادة والذي يصل الى المومن يزداد على الدوام واما الخلود وان لم يذكر
في الكافر لكن ذلك معلوم بعضه من التنصيص ثم قال تعالى الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ذكر
امرين الصبر والتوكل لان الزمان ماض وحاضر ومستقبل لكن الماضي لا تدارك له ولا يومر العبد فيه بشيء
بقي الحاضر واللائق به الصبر والمستقبل واللائق به التوكل فيصبر على ما يصيبه من الاذى في الحال ويتوكل
فيما يحتاج اليه في المستقبل واعلم ان الصبر والتوكل صفتان لا يحصلان الا مع العلم بالله والعلم بما سوى
الله فمن علم ما سواه علم انه زائل فيهون عليه الصبر اذ الصبر على الزائل هين واذا علم الله علم انه باق يأتيه
بارزاقه فما فاته شيء فانه يتوكل على حي باق وذكر الصبر والتوكل هاهنا مناسب فان قوله يا عبادي كان
لبيان ان لا مانع من العبادة ومن يوذى في بقعة فليخرج منها فحصل الناس على قسمين قادر على الخروج وهو متوكل
على ربه يترك الاوطان ومفارقة الاخوان وعاجز وهو صابر على تحمل الاذى مواظب على عبادة الله ثم قال
تعالى وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم لما ذكر الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون
ذكر ما يعين على التوكل وهو بيان حال الدواب التي لا تدخر شيئا لغد وياتيها كل يوم برزق رغد وفي الاية مسائل
الاولى في كاين لغات اربع عن هله كاين على وزن فراع وكي على وزن رمي وكائن على وزن ريع وكي على وزن
ريع ولم يقرأ الا كاين وكاين منزلة اي كثير المسألة الثانية كاين كلمة مركبة من كاف التشبيه واي التي تستعمل
استعمال من وما ركبتا وجعل المركب بمعنى كم ثم لم يكتب الا بالنون ليفصل بين المركب وغير المركب لان كاي
تستعمل غير مركب كما تقول للناظر الى رجلين كاي رجل يكون فوجد بحذف المضاف اليه وقال ليقرب رجلا لا كاي رجل

وحينئذ يكون كأين مركبا وإذا كانت هاهنا مركبا كتبت بالنون للتمييز كما يكتب مئة كذلك وتعليك موصولا
للفرق وكما يكتب ثم بالتاء فرقا بينها وبين ثمّ المسألة الثالثة كأين بمعنى كم ولم يستعمل الاستفهام نادرا وكم يستعمل
كثيرا من ذلك كم رجلا وكم من رجل وكذلك استعملت كأين من قرية بمعنى كم وكأين لم يستعمل غير مركبة وكذلك
كائنا إذا لم يكن مركبة لا يجوز إدخال من بعدها إذا كانت استعملا كائن رجل والمركبة بمعنى كم يجوز ذلك فيه
فالزم للفرق قوله لا تحمل رزقها قيل لا تحمل لضعفها وقيل هي كالقمل والبرغوث والدود وغيرها وقيل
لا تدخر الله يرزقها وإياكم يطعم الناس أي لا تشكوا في أن رزقها يعلمه بالله وكلكم أرزاقكم فتوكلوا فإن
ما يلم من ذلك ما أن الله يرزق الدواب بل النبات في العجماء مثله والحيوان ثم يسعى إليه ويعني يتوكل
الدليل عليه من قوله أوجه نظرا إلى الرزق وإلى المرزوق وإلى مجموع الرزق والمرزوق أما بالنظر إلى الرزق فلأن
الله تعالى لو لم يخلق النبات لم يكن للحيوان رزق وأما بالنظر إلى المرزوق فلأن الاغتذاء ليس بمجرد الابتلاع
بل لا بد من تشبيه الغذاء بالأعضاء حتى يصير عظما ولحما وشحما وما ذاك إلا بحكم الله حيث خلق فيه
جاذبة وماسكة وهاضمة ودافعة وغير ذلك من القوى ولجمعه بحكمة الله تعالى وإرادته فهو الذي يرزقها و
أما بالنظر إلى المرزوق والرزق فلأنه لو لم يهد الحيوان إلى الغذاء ليعرفه من الشم ما كان يحصل له اغتذاء
لأنا نرى أن من الحيوان ما لا يعرف نوعا من أنواع الغذاء حتى يوضع في فمه بالسر ليذوق فيأكله بعد ذلك
فإن كثيرا ما يكون النمر لا يعرف الخبز والشعير حتى يلقم مرة بعد مرة فيأكله بعد ذلك فإن قال قائل كيف
يبعث الناس الإنسان على الحيوان بأن يوصل التوكل والحيوان رزقه لا يتوجه إليه إلا الكل منه اليوم شيئا ويترك
شيئا يجدها غدا ما مد أجله الله بليه والإنسان لا يحفظ اليوم لا يبقى له غدا شيء وأيضا حاجات الإنسان
كثيرة فإنه يحتاج إلى أجناس اللباس وأنواع الأطعمة ولا كذلك الحيوان وأيضا قوت الحيوان هينا وقوت
الإنسان يحتاج إلى كلفة كالزرع والحصاد والطحن والخبز فلو لم يجمعه قبل الحاجة لما كان يجده وقت الحاجة
نقول أما قولنا أن الجمع يقدح في التوكل بل يريد بكون الزارع الحاصد متوكلا والراكع الساجد غير متوكل
لأن من يزرع ويكون اعتماده على الله واعتقاده في الله أنه إن كان يريد يرزقني من غير زرع ولو كان يريد لا
يرزقني من ذلك الزرع فيعمل ويطلبه مع الله هو متوكل هو التوكل ومن يعتقد فيه بعضهم في يد زيد وعمرو
وعلى غير متوكل وأما قوله حاجات الإنسان كثيرة فنقول مكاسبه كثيرة أيضا فإنه يكتسب بيده كالخياط
والناسج وبرجله كالساعي وغيره وبعينه كالناطور وبلسانه كالقارئ والمنادي وبفهمه كالمهندس والتاجر
وبعلمه كالطبيب والفقيه وبقوة جسمه كالعتال والحمال والحيوان لا مكاسب له فإن عرفت ذلك يحتاج إليه
الإنسان غدا أو بعد غد يعدانا أبدا يرزقه الله من هذه المكاسب فتوكل بالتوكل وأيضا الله تعالى خلق
الإنسان بحيث يأنسه الرزق وأسبابه فإن الله ملّك الإنسان عمائر الدنيا وجعلها بحيث يحصل في ملكه
شاء أم أبى حتى أن نتاج الأنعام وثمار الأشجار يدخل في ملكه ولو لم يرد مالك النعم والشجر وإذا مات
فهب يستقل ذلك إلى من لا يختار فيه شاء وأم أبا وليس كذلك حال الحيوان أصلا فإن الحيوان إن لم يأت الرزق
لا يأتيه رزقه فإذا الإنسان أولى بالتوكل كان يلزمه إلى أن يعقل من توكل الحيوان ثم قال وهو السميع العليم
سميع إن طلبتم الرزق يسمع ويجيب عليم إن سكتم لا يخفى عليه حاجتكم ومقدار حاجتكم ثم قال تعالى
ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض الآية نقول لما بين الله الأمر للمشرك مخاطبته ولم ينتفع به وأعرض عنه
وخاطب المؤمن بقوله يا عبادي الذين آمنوا وأتم الكلام معه وذكر معهم المكنة لإرشاد المشرك بحيث يسمع
وهذا طريق في غاية الحسن فإن السيد إذا كان له عبدان أو ولدان فإذا كان له ولد وأحدهما رشيد والآخر
مفسد ينصح أولا المفسد فإن لم يسمع يقول معرضا عنه ملتفتا إلى الرشيد إن هذا لا يستحق الخطاب فاسمع
أنت ولا تكن مثل هذا المفسد فيتضمن هذا الكلام نصيحة المصلح وزجر المفسد فإن قوله هذا لا يستحق الخطاب

يوجب

185

يوجب نكاية في قلبه ثم إذا ذكر مع المصلح في أثناء الكلام والمفسد يسمعان هذا إذا كان العجب منه أنه يعلم
قبح فعله ولو توقف التشاد من العلاج وسبيل الرشاد والفلاح ويشتغل بعبده لكن هذا الكلام أيضا داعيا له
إلى سبيل الرشاد لما فيه من ذلك الإرشاد ولذلك الله تعالى قال مع المؤمن المجتهد أنهم إن سألتهم من خلق
السموات والأرض ليقولون الله ثم لا يؤمنون وفي الآية لطائف إحداها ذكر في السموات والأرض الخلق وفي الشمس
والقمر التسخير وذلك لأن مجرد خلق الشمس والقمر ليس حكمة فإن الشمس لو كانت مخلوقة بحيث تكون في موضع واحد
لا يتحرك لما حصل الليل والنهار ولا الصيف والشتاء فإذا الحكمة في تحريكهما وتسخيرهما الثانية في لفظ التسخير وذلك
لأن التحريك يدل على مجرد الحركة وليست مجرد الحركة كافية لأنها لو كانت تتحرك مثل حركتنا لما كانت تقطع الفلك
بألوف من السنين فالحكمة في تسخيرها تحريكهما في قدر ما تتنفس الإنسان إلا وهما من الفراسخ ثم لم يجعل لهما حركة
واحدة بل حركات إحداها حركتها من المشرق إلى المغرب في كل يوم وليلة مرة والأخرى حركتها من المغرب إلى المشرق و
الدليل عليها أن الهلال يرى في جانب المغرب على بعد مخصوص من الشمس ثم يبعد منه إلى جانب المشرق حتى يرى
القمر في نصف الشهر في مقابلة الشمس والشمس على أفق المغرب والقمر على أفق المشرق وحركة أخرى وهي ر
حركة المائل والتدوير في القمر ولولا الحركة التي من المغرب إلى المشرق لما حصل الفصول ثم اعلم أن أصحاب الهيئة
قالوا الشمس في الفلك مركوز والفلك يديرها بدورانه وأنكره المفسرون الظاهريون وبعضهم قال لا تعدي في ذلك
لئن نقولوا بالطبيعة فإن الله تعالى فاعل مختار إن أراد أن يحركهما في الفلك والفلك ساكن يجوز وإن أراد أن يحركهما
بحركة الفلك وهما ساكنان يجوز ولم يرد فيه نص قاطع أو ظاهر يسكنه أمام البحث وقوله تعالى وكل في فلك يسبحون
السالك ذكر من أحدهما خلق السموات والأرض والآخر تسخير الشمس والقمر لأن الإيجاد قد يكون للذوات وقد يكون
للصفات فخلق السموات والأرض إشارة إلى إيجاد الذوات وتسخير الشمس والقمر إشارة إلى إيجاد الصفات وهي الحركة و
غيرها فكأنه ذكر من القبيلين مثالين ثم قال تعالى فأنى يؤفكون يعني هم يعتقدون هذا فكيف يصرفون عن
عبادة الله مع أن من كملت عظمته وجبت خدمته ولا عظمة فوق عظمة خالق السموات والأرض ولا حقارة فوق حقارة
الجمادات الجماد دون الحيوان والحيوان دون الإنسان والإنسان دون سكان السموات فكيف يتركون عبادة أعظم الموجودات
ويشتغلون بعبادة أخس الموجودات ثم قال الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده لما ذكر الخلق ذكر الرزق
لأن كمال الخلق ببقائه وبقاء الإنسان بالرزق ومآل المعبود أما الذي يعبد لاستحقاقه العبادة وهو الأصنام ليست
كذلك والله يستحقها أما لكونه علي الشأن والله الذي خلق السموات علي الشأن فلا يخفى البرهان فله العبادة
وأما لكونه ولي الإحسان والله يرزق الخلق فله الطول والإحسان والفضل والامتنان فله العبادة من هذا
الوجه أيضا وقوله لمن يشاء إشارة إلى كمال الإحسان وذلك لأن الملك إذا أمر الخازن بإعطاء شخص شيئا فإذا أعطاه
يكمل منته تمام منه حقه لأن العبد يقول هذا ليس بإرادته وإنما هو بإرادة الملك وأما إذا كان مختارا فإن قال
له الملك إن شئت فأعطه وإن شئت فلا تعطه فإن أعطاه يكمل منته جليله لا تعليله فقال الله تعالى
الرزق بمشيئته فهو إحسان تام يوجب شكرا تاما وقوله ويقدر له أي يضيق له إن أراد ثم
قال إن الله بكل شيء عليم أي يعلم مقادير الحاجات ومقادير الأرزاق وفي إثبات العلم هاهنا
لطيفة وهي أن الرزق الذي هو كامل الشبه إذا أراد يعطيه محتاجا وعلم حرصه لا يرجع عنه الرزق ولا يؤخر
الرزق الرزق إلا لنقصان في نفوذ مشيئته كالملك إذا أراد الإطعام والطعام لم يكن بعد ولا يشتغل لعدم
علمه بجوع العبيد الثالثة وهي أن الله بإثبات العلم استوعب ذكر الصفات التي هي صفات الإله ومن أنكرها
كفر وهي أربع الحياة والقدرة والإرادة والعلم وأما السمع والبصر والكلام العالم من ينكرها لا يكفر مستدلا كافرا
وهذا سوق الآية لأن قوله خلق السموات والأرض إشارة إلى كمال القدرة وقوله يبسط الرزق لمن يشاء إشارة إلى نفوذ مشيئته
وإرادته وقوله إن الله بكل شيء عليم إشارة إلى شمول علمه والقادر المريد العالم لا يتصور إلا حيا إنه تعالى لما كان

الله يبسط الرزق ذكر اعترافهم بذلك فقال ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله
يعني هذا سبب الرزق وموجد السبب موجد المسبب فالرزق من الله ثم قال قل الحمد لله يحتمل وجوها
أحدها أن يكون كلاما معترضا في أثناء كلام كأنه قال فأحيا به الأرض من بعد موتها بل أكثرهم لا يعقلون فذكر في أثناء
هذا الكلام الحمد لله كقول القائل ان الثماني وبلغتها قد احوجت سمعي الى ترجمان الثاني أن يكون
المراد منه كلاما متصلا معناه أنهم يعترفون بأن ذلك من الله ويعترفون ولا يعملون بما يعلمون وأنت تعلم وتعمل فكذلك
المؤمنون فقل الحمد لله واكثرهم لا يعلمون أن الحمد كله لله فيحمدون غير الله على نعمة هي من الله الثالث أن يكون المراد
أنهم يقولون انه من الله ويقولون بالهية غير الله فيلزمهم تناقض كلامهم وانت تتخلص منهم فقل الحمد لله على ظهور تناقضهم
وكذبهم لا يعقلون هذا التناقض أو فساد التناقض ثم قال تعالى وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وان
الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون لما بين انهم يعترفون بكون الله هو الخالق وكون الله هو الرازق وهم يتركون
عبادته ولا يتركونها الا لزينة الحيوة الدنيا بين أنها ما يميلون إليه ليس بشيء بقوله وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو
وفي الآية مسائل الأولى ما الفرق بين اللعب واللهو حتى يصح عطف أحدهما على الآخر فنقول الفرق من وجهين أحدهما
أن كل شغل يفرض فان المكلف إذا أقبل عليه لزمه الاعراض عن غيره ومن يشغله شأن عن شأن فهو
الذي يقبل على الباطل ليلهيه عن الحق يلزمه الاعراض عن الحق فالاقبال على الباطل لعب
والاعراض عن الحق لهو فالدنيا لعب اي اقبال على الباطل واعراض عن الحق الثاني هو أن المشتغل بشيء يرجح
ذلك على غيره لا محالة حتى يشتغل به فاما أن يكون ذلك الترجيح على وجه التقديم بأن يقول أقدم هذا وذلك آخره
ثم يجيء أو يكون على وجه الاستغراق بأن يعرض عن غيره بالكلية فالأول لعب والثاني لهو والدليل عليه هو أن
الشطرنج والحمام وغيرهما مما يشتغل به الانسان لا يسمى لهوا في العرف والعود وغيره من الاوتار يسمى آلات الملاهي
لأنها تلهي الانسان عن غيرها لما فيها من اللذة الحاضرة فالدنيا للبعض لعب يشتغل به ويقول بعد هذا أشتغل
بالعبادة وللبعض لهو يشتغل به وينسى الآخرة بالكلية المسألة الثانية قال ههنا في الانعام وما الحيوة الدنيا
ولم يقل وما هذه الحيوة وقال ههنا وما هذه فنقول لأن المذكور من قبل ههنا أمر الدنيا حيث قال تعالى فأحيا
به الأرض بعد موتها وقال هنا والمذكور قبلها هناك أمر الآخرة حيث قال يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون
أوزارهم على ظهورهم فلم تكن الدنيا في ذلك الوقت في خاطرهم فقال وما الحيوة الدنيا المسألة الثالثة قال هناك
اللعب واللهو وقال ههنا الا لهو ولعب فنقول لما كان المذكور هناك من قبل الآخرة واظهار حسرتهم ففي ذلك الوقت
يبعد الاستغراق في الدنيا بل نفس الاشتغال بها فأخر الابعد وههنا لما كان المذكور من قبل الدنيا وهي خداعة
تدعو النفوس إلى الاقبال عليها والاستغراق فيها اللهم الا لمانع يمنعه من الاستغراق فيشتغل بها من غير استغراق
فيها ولعاصم يعصمه فلا يشتغل بها أصلا فكان هنا الاستغراق أقرب من عدمه فقدم اللهو المسألة
الرابعة قال هناك وللدار الآخرة خير وقال ههنا وان الدار الآخرة لهي الحيوان فنقول لما كان الحال هناك
حال اظهار الحسرة ما كان المكلف يحتاج إلى رادع قوي فقال الآخرة خير وقال ههنا لما كان الحال الدار الآخرة لهي الحيوان
ولما كان ههنا الحال حال الاشتغال بالدنيا احتاج إلى رادع قوي فقال لهي الحيوان الحيوة الآخرة وهذا كما أن
العاقل إذا عرض عليه شيئان فاسد أحدهما بهذا خير من ذلك يكفيه ترجيحا فحسب ولو قال هذا جيد وهذا
الآخر ليس بشيء يكون ترجيحا مع المبالغة فكذلك ههنا بالغ لكون الحالة حالة مقتضية للمبالغة المسألة الخامسة
قال ههنا كحتى الذين يعقلون ولم يقل ههنا انما هي الحيوان ليعلم ان الآخرة هي المقتضى تحسبا للمتقي عن الشرك و
أما الكافر فالدنيا جنته فهي خير له من الآخرة وأما كون الآخرة باقية فهي الحيوة الدائمة لا تختص بقوم دون قوم
المسألة السادسة كيف اطلق الحيوان على الدار الآخرة مع أن الحيوان نام مدرك فنقول الحيوان مصدر حيي
كالحيوة لكن فيها مبالغة ليست في الحيوة والمراد بالدار الآخرة هي الحيوة الثانية فكأنه قال الحيوة الثانية هي الحيوة

المعنى

٥ 186

المعنى أو نقول لما كانت الآخرة فيها الزيادة والنمو كما قال تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وكانت محل الادراك
التام الحق كما قال تعالى يوم تبلى السرائر الحق عليها الاسم المستعمل في النامي المدرك المسألة السابعة قال في الانعام
لو كانوا يعقلون وقال ههنا لو كانوا يعلمون وذلك لأن المثبت هناك كون الآخرة خيرا وأنه ظاهر لا يتوقف الا على العقل
والمثبت ههنا أن لا حيوة الا حيوة الآخرة وهذا دقيق لا يعرفه الا من يعلم بالنص ثم قال تعالى فإذا ركبوا في الفلك
دعوا الله مخلصين له الدين إشارة إلى تحقيق أن المانع من التوحيد هو الحيوة الدنيا وبيان ذلك أنهم إذا انقطع رجاؤهم عن الدنيا
رجعوا إلى الفطرة الشاهدة بالتوحيد ووحدوا وأخلصوا فإذا نجاهم وأرجاهم عادوا إلى ما كانوا عليه من حب الدنيا
وأشركوا ثم قال تعالى ليكفروا بما آتيناهم وفيه وجهان أحدهما أن اللام لام كي أي يشركون ليكون اشراكهم كفرا
بنعمة النجاة وليتمتعوا بسبب الشرك فسوف يعلمون بوبال عملهم حين زال الألم والثاني أن يكون اللام لام الأمر ويكون المعنى
ليكفروا على التهديد كما قال تعالى اعملوا ما شئتم وكما قال اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون فساد ما عملتم ثم قال
تعالى أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وانما ذكر وجه تعلق الآية بما قبلها فنقول الانسان في البحر
يكون على أخوف ما يكون عليه وفي بيته يكون على آمن ما يكون لا سيما إذا كان بيته في بلد حصين فلما ذكر الله المشركين حالهم عند الخوف
الشديد ورأى أنهم في تلك الحالة يرجعون إلى الله ذكرهم حالهم عند الأمن العظيم وهو كونهم في مكة فانها مدينتهم
وبلدتهم وفيها سكنهم ومولدهم وهي حصين يحصنه الله حيث كل من حولها يمتنع من قتال من حصل فيها والحصول فيها
يدفع الشرور عن النفوس ويكفيها يعني انكم في أخوف ما كنتم دعوتم الله وفي آمن ما حصلتم عليه كفرتم بالله وهذا
متناقض لأن دعاءكم في ذلك الوقت على سبيل الاخلاص ما كان الا لقطعكم بأن النعمة من الله لا غير وهذه النعمة العظيم التي
حصلت لكم وقد اعترفتم بأنها لا تكون الا من الله فكيف تكفرون بها وأصنامكم التي تعظمونها في حال الخوف لا آمن منها كيف آمنتم
بها في حال الأمن ثم قال تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه لما بين الله الأمر على الوجه المذكور ولم
يؤمن به أحد تبين أنهم الظالمون لأن الظلم على ما يتبين وضع الشيء في غير موضعه فإذا وضع واحد شيئا في موضع ليس موضعه
يكون ظالما فإذا وضعه في موضع لا يمكن أن يكون ذلك موضعه يكون أظلم لأن عدم الامكان أشد من عدم الحصول مع امكان الحصول لا
يحصل وليس كل ما لا يحصل لا يمكن فالله تعالى لا يمكن أن يكون له شريك وجعلوا له شريكا فلو كان ذلك في حق ملك مستقل في الملك
لكان ظلما من الملك العذاب الأليم فكيف إذا جعل الشريك لمن لا يمكن أن يكون له شريك وأيضا من كذب صادقا يجوز عليه الكذب
يكون ظالما فمن كذب صادقا لا يجوز عليه الكذب كيف يكون حاله فإذا ليس الظلم من كذب على الله بالشرك وكذب الله في
تصديق نبيه والنبي في رسالة ربه والتنزيل المنزل من الله إلى الرسول والمعجز من المشركين أنهم قبلوا المعجز من غير بحوث
بالمعجزة ولم يقبلوا إذ أحسب منعوت مبعوث بالرسالة والآية تحتمل وجها آخر وهو أن الله تعالى لما بين التوحيد
والرسالة والحشر وتقريره وعظ وزجر وقال لنبيه قل للناس ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا فان جئت بالرسالة
وقلت انا من الله وهذا كلام الله وانتم كذبتموني فالحال دائر بين أمرين أما أنا مفتر متنبئ ان كان هذا من
عند غير الله أو أنتم مكذبون بالحق إن كان من عنده لكني معترف بالعذاب الأليم عارف به فلا أقدم على
الافتراء لأن جهنم مثوى للكافرين والمتنبئ كافر وأنتم كذبتموني فجهنم مثواكم أليس في جهنم مثوى للكافرين وهذا
حينئذ يكون كقوله تعالى وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ثم قال تعالى والذين جاهدوا فينا
لما فرغ من التقرير والتوبيخ ولم يؤمن الكفار سلى قلب المؤمنين بقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا أي
من جاهد بالطاعة هداه سبيل الجنة وإن الله لمع المحسنين أساله إلى ما قال للذين أحسنوا الحسنى وزيادة
ويرتهم ولن الله لمع المحسنين أساله إلى العقبى والتربة إلى يمين المحسنين زيادة على حسناته وفيه وجه آخر حكمي وهو
أن يكون المعنى والذين جاهدوا ابتغاء الدين بالنظر والحجة لنهدينهم سبلنا أي نحصل لهم العلم بنا ولنبين
هذا فنقول قال بعض أصحابنا السكون بأن النظر كاشف للعلم الاستدلالي والله يخلق في الناظر علما
عقيب نظره وانتهى الفلاسفة على ذلك في المعنى فقالوا النظر معد للنفس لقبول الصورة المعقولة وإذا استعدت

النفس حصل لها العلم من فعل واهب الصور الجسمانية والعقلية وعلى هذا يكون الله سبحانه افناه وذلك لان الله تعالى لما ذكر
الدلايل ولم ينفعهم العلم والايات قال انهم لم ينظروا فلم يهتدوا وانما هو هدى للمحسنين الذين سبقت الحجة والعناد نسطر
يهديهم ونهديهم وان الله لمع المحسنين اشارة الى درجة اعلى من الاستدلال كانه تعالى قال من الناس من يكون بعيد فيقرب و
منهم الكفار منهم من يعرف بالنظر والسلوك فنهديهم منهم من يكون الله معه ويكون قريبا منه يعلم الاشيا منه ولا يعلم من الاشيا
وبه يكسع الشى كن يطلب ومقام اسرا به الى العالي ادل والدرجة العليا اشارة الى ذلك وان الله لمع المحسنين
اشاره الى المالك والله اعلم بالصواب

سورة الروم

بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت الروم وجه تعلق اول هذه السوره لما قبلها
يتبين منه سبيله دل بقول لما قال الله تعالى في السوره المتقدمه ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن وكان يجادل
المشركين بنسبتهم الى عدم العقل كما في قوله صم بكم عمي فهم لا يعقلون وكان اهل الكتاب يوافقون النبي في الاله كما قال و
الهنا والهكم واحد وكانوا يؤمنون بكثير مما يقوله بل بكثير منه كانوا مومنين به كما قال والذين اتيناهم الكتاب يومنون
به ابغض المشركون اهل الكتاب وتركوا مراجعتهم وكانوا من قبل يراجعونهم في الامر فلما دعت الكرة عليهم حين قاتلهم الفرس
فرح المشركون بذلك فانزل الله بيان هذه الايات لبيان ان الغلبة لا تدل على الحق بل الله تعالى في بضع سنين ينال ثواب
المحق فيبتليه ويسلط عليه عادل ويختار تعجيل العذاب له او في دون العذاب الاكبر قبل يوم المعاد للمعاند
وفي الايه مسايل الاولى الحكمة في افتتاح هذه السوره بحروف التهجي يقول من سبق منا ان كل سورة افتتحت بحروف
التهجي فان في اوايلها ذكر الكتاب او التنزيل او القران كقوله الم ذلك الكتاب المص كتاب المر كتاب طه ما انزلنا عليك
القران لتشقى الم تنزيل الكتاب حم تنزيل من الرحمن الرحيم يس والقران ص والقران الا هذه السوره وسورتين اخريين
ذكرناهما في العنكبوت وقد ذكرنا الحكمة فيهما في موضعها فنقول ما يتعلق بهذه السوره ومن السور التي في اوايلها التنزيل
والكتاب والقران بدا فيها بذكر ما هو معجزة فقدم عليها الحروف على ما علم بيانه في العنكبوت وهذه ذكر فيها ما هو
معجزة وهو الاخبار عن الغيب فقدمت الحروف التي لا يعلم معناها ليتنبه السامع فيقبل بقلبه على الاستماع ثم يرد
عليه المعجزة ويقرع الاسماع المسالة الثانية قوله في ادنى الارض اي ارض العرب لان الالف واللام للتعريف والعهد
عليهم ارضهم وتبدل من بعد غلبهم اية فايده في ذكر ذلك مع ان قوله سيغلبون بعد قوله غلبت الروم يكون ايضا من بعد الغلبة
يعود للدلالة على اظهار القدرة وبيان ان ذلك بامر الله لان من غلب بعد غلبة لم يكن الا ضعيفا فلو كان غلبتهم
بشوكتهم لكان الواجب ان يغلبوا قبل غلبهم فاذا غلبوا بعد ما غلبوا دل على ان ذلك بامر الله فذكر من بعد غلبهم
ليتفكروا في ضعفهم ويتذكروا انه ليس بزحفهم وانما ذلك بامر الله وذكر في ادنى الارض لبيان
شدة ضعفهم اي انتهى ضعفهم الى ان وصل عدوهم الى طرف الحجاز وكسروهم وهم في بلادهم ثم غلبوا حتى وصلوا
الى المدائن وبنوا هناك الرومية لبيان ان هذه الغلبة العظيمة بعد ذلك الضعف العظيم باذن الله المسالة
الثالثة ذكر في بضع سنين ولم يبين من العلم والقدرة اتم الوقت مع ان المعجزة في تعيين الوقت اتم فنقول
السنة والشهر واليوم والساعة كلها معلومة عند الله وبينها لنبيه وما اخفاه في اظهاره لان الكفار كانوا
معاندين والامور التي تقع في البلاد النائية تكون معلومة الوقوع بحيث لا يمكن انكارها لكن وقتها يمكن الخلاف
فيه فالمعاند كان يمكنه ان يرجف بوقوع الواقعة قبل الوقوع ليحصل الخلف في كلامه ولذا روي انه لما ذكر
ابو بكر رضي الله عنه ان الروم ستغلب وانكره ابي بن خلف وغيره وناحبوا ابا بكر اي خاطروه على عشر
قلايص الى ثلاث سنين فقال عليه السلام لابي بكر زد في الخطر ومادد في الاجل فجعلاها مئة قلوص
الى تسع سنين واحتج بعض على علم النبي عليه السلام بالوقت ثم قال لله الامر من قبل ومن بعد اي من
قبل الغلبة ومن بعدها او من قبل هذه المده ومن بعدها يعني ان اراد غلبهم غلبهم قبل بضع سنين وان
اراد غلبهم غلبهم بعدها وما قدرت هذه المدة لعجز وانما هو اراده فافهم ولا يبنى على الضعف لما يعرض عن

الضعف

الضمة من الفتحة والكسرة لتشبه ما يدخل عليهما من النصب والجر اما النصب فذلك حيث قبله اربعة واما
الجر ففي قولك من قبله ومن بعده تنبيها على الضمة لعدم وقوع شي عليه في الاعراب في ... ويومئذ يفرح المؤمنون
قيل يفرحون بغلبة الروم على الفرس كما فرح المشركون بغلبة الفرس على الروم والاصح انهم يفرحون بغلبتهم المشركين
وذلك لان غلبة الروم كانت يوم غلبة المسلمين المشركين ببدر ولما كان ذلك ذكره لما صح الا ان في ذلك اليوم بعينه
لم يصل اليهم خبر الكسرى فلا يكون فرحهم يومئذ بل الفرح يحصل بعده ثم قال بنصر الله ينصر من يشاء قدم المصدر
على الفعل حيث قال بنصر الله ينصر وقدم الفعل على المصدر في قوله وينصرك الله نصرا وذلك لان المقصود هنا بيان
ان النصرة بيد الله ان اراد نصر وان لم يرد لا ينصر وليس المقصود النصرة وذكرها والمقصود هناك اظهار النعمة عليه
بانه نصره فالمقصود هناك الفعل ووقوعه فقدم هناك الفعل ثم بين ان ذلك الفعل مصدر من عند الله والمقصود هنا كون
النصر من عند الله ان اراد فعل فقدم المصدر ثم قال وهو العزيز الحكيم ذكر من اسمايه هذين الاسمين لانه ان لم ينصر المحب
بل سلط العدو عليه فذلك لعزته وعدم افتقاره وان نصر المحب فذلك لرحمته عليه او نقول ان نصر الله المحب فلعزته
واستغنايه عن العدو ورحمته على المحب وان لم ينصر المحب فلعزته واستغنايه عن المحب ورحمته في الاخرة واصله اليه ثم
قال تعالى وعد الله لا يخلف الله وعده يعني سيغلبون وعلم الله وعدا ووعد الله فلا خلف فيه ثم قال
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الله لا يخلف وعده وانه لا خلف في وعده ثم قال يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا
يعني علمهم منحصر في الدنيا واما الدنيا لا يعلمون الدنيا كما هي وانما يعلمون ظاهرها وهي ملاذها وملاعبها ولا يعلمون باطنها
وهي مضارها ومتاعبها ويعلمون وجودها الظاهر ولا يعلمون فناها وهم عن الاخرة هم غافلون والمعنى هم عن الاخرة
غافلون وذكر هم الثانية لتفيد ان الغفلة منهم والا فاسباب التذكر حاصلة وهذا كما تقول للغافل لغيره عنك
غافل فاذا قال هو شغلني فلان يقول لا شغلك ولكن انت اشتغلت ثم قال تعالى اولم يتفكروا في انفسهم
لما صدر من الكفار الانكار بالله عينا لكان وعد الله وعدم الخلف فيه كما قال تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون والانكار
بالحشر كما قال تعالى وهم عن الاخرة هم غافلون بين ان الغفلة بعلم العلم منهم يتفكر في الله وان اسباب التذكر حاصلة وهو انفسهم
لو تفكروا فيها لعلموا وحدانية الله وصدقوا بالحشر اما الوحدانية فلان الله خلقهم على احسن تقويم ولذلك من حسن
خلقهم جزا من الف الف جزء نعرف ان الله تعالى خلق الانسان وجعل فيها منفذا لغذاه ليتقوى به اعضاه ولها منفذان
احدهما لدخول الطعام فيه والاخر لخروج الطعام منه فاذا دخل الطعام فيها انطبق اسفلها الذي ينفذه على بعض بحيث
لا يخرج منه ذرة ولا الرشح وتمسكه الماسكة الى ان ينضج نضجا ما ثم يخرج من اسفلها الذي وخلق تحت المعدة
عروقا دقاقا مثل ... كالمصفاة التي يصفى بها الشى فينزل منها الصافي الى الكبد ويضجها التفل الى معى يخلو منه
يصل ... مسفلها الى الخروج وما يدخل في الكبد في العروق المذكوره ويسمى الماساريقا بالعربية والعبريه
عربية مقوله في الاكثر ... مثبتا ولدلالة ايل الى غير ذلك فالماساريقا معناها ماسا ... اشتمل عليه
الكبد والعجب نعني اخر ... مع الغذا الممزوج من المعدة الى الكبد يصل ما شرب ليرتق وينيرق في
العروق الرقاق المذكوره وفي الكبد ... عن ذلك الماء ويتغير عنه ذلك الما وينفصل من جانب حدب الكبد الى
الكليه ومعه دم يسير تغتذي به الكلية وعنها يخرج الدم الخالص من الكبد في عرق كبير ثم يتشعب
ذلك الى جداول والجداول الى سواقي والسواقي الى الرواضع ويجيء منها الى جميع البدن ... حكمة ولصارت
... وهذه كتابة ... عجلا مختار ... علامات الا علمه ... لكن ...
لا كان عاجزا عند اراده ... شريك ... واما دلالة الامارات على الحشر فذلك لانه اذا اتفكر في نفسه
يرى قواه ما يزول الى الزوال واجزاه ما يليه الى التحليل ... فلولم يكن له حياة اخرى لكان
خلقه على هذا الوجه للفنا عبثا واليه اشار بقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وهذا ظاهر فان من يفعل شيئا
للعبث ... واتقانه يضحك منه فاذا خلقه كذلك للبقا ولا بقا دون اللقا فالاخرة لا بد منها ثم قال الله

تعالى ذكر بعد دليل الأنفس دليل الآفاق فقال وما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى فقوله إلا بالحق
إشارة إلى وجه دلالتها على الوحدانية وقد بينا ذلك في قوله تعالى خلق الله السموات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين
ونقول هاهنا إن الفكر يدل على الذهن بعد التعرف لذلك البرهان يقول إذا كان بالحق لم تكن فيها بطلان فلا يمكن فيها فساد
لأن كل فاسد باطل وإذا لم يكن فيها فساد لا يكون فيها إلهان لأن الإلهين يكون بينهما فساد كما قال تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا
وقوله وأجل مسمى يذكر الأصل الثاني إلى أن ذكر ثم قال وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون يعني لا يعلمون
أنه لا بد بعد هذه الحيوة من لقاء وبقاء إما في راحة أو شقاء وفي الآية مسائل المسألة الأولى قدم هاهنا دلائل الأنفس على
دلائل الآفاق وفي قوله تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم قدم دلائل الآفاق فما فائدته نقول المفيد إذا ذكر شيئا على وجه جيد
يختاره فإن فهمه السامع المستفيد فذاك وإن لم يفهمه ذكر على وجه أبين منه وينزل درجة فدرجة وأما المستفيد فإنه يفهم
أولا الأبين ثم يرتقي إلى فهم ذلك الأخفى الذي لم يكن فهمه فيفهمه بعد فهم الأبين المذكور آخرا فالمذكور من المفيد آخرا مفهوم
عند السامع أولا إذا علم هذا فنقول هاهنا الفعل كان منسوبا إلى السامع حيث قال أولم يتفكروا في أنفسهم فذكر أولا
في أنفسهم يعني فيما فهموه أولا ولم يرتقوا إلى ما فهموه ثانيا وأما في قوله سنريهم الأمر منسوب إلى المفيد المسمع فذكر أولا
الآفاق فإن لم يفهموه فالأنفس لأن دلائل الأنفس لا ذهول للإنسان عنها ولا يمكن الذهول عنها وأما دلائل الآفاق
يمكن الذهول عنها وهذا الترتيب مراعى في قوله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم إلى يعلمون الله
بدلائل الأنفس في سائر الأحوال ويتفكرون في خلق السموات والأرض بدلائل الآفاق المسألة الثانية قدم دلالة
الخلق بالحق على الوحدانية ظاهر وأما وجه دلالته على الحشر فكيف هو فنقول من جملة الحق خلق السموات وعدمها
ما يعلم بالعقل إمكانه وأما وقوعه فلا يعلم إلا بالسمع لأنه قادر على إبقاء الحادث أبدا كما يبقي الجنة والنار
بعد إحداثهما أبدا والخلق دليل إمكان العلم لأن المخلوق يجعله القديم فجاز عليه العدم فإذا أخبر الصادق
عن إمكانه وجب على العاقل التصديق بالإعادة ولأن العالم لما كان خلقه بالحق يبقى فإن لم يكن بعد هذه الحيوة
حيوة أخرى باقية فهذه الحيوة ليست إلا لهوا ولعبا كما يبين بقوله تعالى وما هذه الحيوة الدنيا إلا لهو ولعب
وخلق السموات والأرض لله لهو واللعب عبث والعبث ليس بحق وخلق السموات والأرض بالحق فلا بد من حيوة
بعد هذه المسألة الثالثة قال هاهنا كثيرا من الناس وقال من قبل ولكن أكثر الناس وذلك لأن من قبل لم يذكر
دليلا على الأصلين وهاهنا ذكر الدلائل الواضحة والبراهين اللائحة ولا شك أن الإيمان بعد الدليل
أكثر من الإيمان قبل الدليل فبعد الدليل لا بد من أن يؤمنوا من ذلك الأكثر جمع فلا يبقى الأكثر كما هو فقال بعد إقامة
الدليل وإن كثيرا وقبله ولكن أكثر الناس بعد الدليل الذي لا يمكن الذهول عنه والدليل الذي يمكن الذهول عنه ولا
يمكن من السموات والأرض وسائر ما ينظر إليه فإنه أمر الحشر ويوجه التحتية ذلك لا يمكن الذهول
عنه بقوله أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وقال
والدليلين المتقدمين أولم يتفكروا ولم يقل أولم يسيروا إذ لا حاجة هناك إلى السير بحضور النفس والسماء والأرض وقال
هاهنا أولم يسيروا فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ثم ذكر أنهم أولى بالهلاك لأن من تقدم
من عاد وثمود كانوا أشد منهم قوة ولم ينفعهم قوتهم وكانوا أكثر مالا وعمارة ولم يمنع عنهم الهلاك أموالهم وحصونهم
واعلم أن الاعتماد إما على القوة الجسمية وهي أدنى الدرجات والمراتب وإما على المال وهي فوقها وإما على
الناقب للمباشرة والقوة ظهرت وبه يستند إليها عند الضعف والفتور يأخذ بالحصون والجوار فقال كانوا
أشد منكم قوة في الجسم وأكثر منكم مالا لأنهم أثاروا الأرض أي حرثوها وعمروها ينهر الأنهار ونيل منه
سبي ثروة وأنتم أمواالكم فالهم كان أكثر وعمارتهم كانت أكثر لأن بنيانهم كأشد بنيانكم وحصونهم منيعة
وعمارة أهل مكة كانت يسيرة ثم هؤلاء جاءتهم رسلهم بالبينات فلم يؤمنوا فيهم لما حذرها أهلكوا فكيف أنتم
وقوله فما كان الله ليظلمهم يعني ما ظلمهم بالتكليف فإن التكليف شرف لا يوضع إلا في محل شريف ولكن هم ظلموا أنفسهم

برضها

برضوها في موضع خسيس وهو عبادة الأصنام واتباع إبليس فكان الله بالتكليف وضعهم في موضع شريف وهم في الحشر لرفيع تعالى
فإن خلقتكم لتربحوا علي لا لأربح عليكم والوضع في موضع كان الحلول فيه يبعد ظلم وأما هم فوضعوا أنفسهم في موضع الخزي
وهم لم يكونوا خلقوا لأن يربحوا فيهم ثم كانوا ظالمين وهذا الكلام متأيد لمن كان في الظاهر يشبه كلام المعتزلة لكن العاقل يعلم كيف يقوله
أهل السنة وهو أن هذا الوضع منهم كان بمشيئة الله وإرادته لكنه كان منهم ومضافا إليهم ثم قال تعالى
ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى أي جزاء الذين أساءوا الحسنى وقوله أن كذبوا قيل معناه بأن كذبوا أي
كان عاقبتهم ذلك بسبب أنهم كذبوا وقيل معناه أن كذبوا يعني أساءوا أي عذبوا وكذبوا لكن بغير إساءة وفي
تعلق الآية لطائف أحدها قال هاهنا في حق الذين أحسنوا الحسنى وزيادة في حق من أساء ثم كان
عاقبة الذين أساءوا السوأى إشارة إلى أن الجنة لهم من ابتداء الأمر فإن الحسنى اسم الجنة والسوأى اسم النار فإذا كانت
الجنة لهم من أول ابتدائه ومنزله حتى كلما يزدادون فيه يقولون هذا الذي رزقنا من قبل لأن تلك الحياة برحمة من الله ثم من أن الجنة من حيث خلقت
لهم ويمتنع المحسن وأما الذين أساءوا فالسوأى في جهنم في العاقبة فصيرهم إليها الثانية ذكر الزيادة في حق
المحسن ولم يذكر الزيادة في حق المسيء ثم قال سيئة مثلها الثالثة لم يذكر في المحسن أنه الحسنى بأنه صدق
وذكر في المسيء أنه السوأى بأنه كذب لأن الحسنى للمحسن بفضل الله المتفضل لم يكن يفعله لسبب يمكن أن يلو
وأما السوأى فهي عدل والعادل إذا لم يكن يعذب لسبب يمكن علة فذكر السبب في العذاب وعمر الأمر في
على التكذيب ولم يذكر السبب في الثواب ثم قال الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون
لما ذكر أن عاقبتهم إلى الجحيم وكان ذلك إشارة إلى الإعادة والحشر لم يتركه دعوى بلا بينة فقال
الله يبدأ الخلق يعني من خلق بالقدرة ولم يكن له عجز عن الرجع والإعادة فإليه ترجعون ثم بين
ما يكون وقت الرجوع إليه فقال ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون في ذلك اليوم سبيل الأنبياء ويحتمل
الإبلاس والإبلاس اليأس مع حيرة يعني يوم تقوم الساعة يكون المجرم يائسا متحيرا يائسا هو أحد الأمرين
وهذا لأن الطمع إذا انقطع باليأس فإن كان المرجو أمرا غير ضروري يسلى الطامع من الاشتغال لكن إذا
ضروريا بقاؤه بعد بقائه يتقطع فؤاده أشد انقطاع ومثل هذا اليأس هو الإبلاس ولنبين حال المجرم
والإبلاس بمثال وهو أن نقول مثله مثل من يكون في بستان وحواليه الملاعب والملاهي ولديه ما يفتخر به
ويباهي فيخبره صادق أن يجيء عدو ثم يبدد داره بعدها في الفساد إذا جاءه لا يبلغ ربيا ينزل به إلى الخلاص
طريقا فيحتم عليه الاشتغال بسلوك طريق الخلاص فيتولى فعل ويخوف أن هذه السجرة التي أنت
تحتها لها من الخواص دفع الأعادي عمن يكون تحته فيقبل ذلك الغافل على استيفاء ملاذه معتمدا على الشجرة
تسلية للمعنى فيجيئه العدو ويحيط به وأول ما يريه من الأهوال قلع تلك الشجرة فيبقى متحيرا آيسا مبلوا
فأيسا فكذلك المجرم في دار الدنيا أقبل على استيفاء اللذات فأخبره النبي الصادق بأن الله يجزيه وبأنه عذاب
شديد فيسليه الشيطان أو النفس الأمارة بالسوء أن هذه الأخشاب التي هي الأوثان دافعة عنكم كل
بأس وشافعة لكم عند جحود الحواس فاشتغل بما هو فيه واستمر على غيه حتى إذا جاءته الطامة الكبرى
فأول ما أريه إلقاء الأصنام في النار فلا يجد إلى الخلاص من طريق ويحق عليه العذاب الحريق فيبأس حينئذ
وأي يأس ويبلس أشد إبلاس واليه أشار بقوله تعالى ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم
كافرين يعني يجحدون بهم وذلك اليوم ثم قال ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون يعني
بين أمرا آخر يكون في ذلك اليوم وهو الافتراق كما قال تعالى وامتازوا اليوم أيها المجرمون
وكان هذه الحالة مترتبة على الإبلاس وكأنه أولا ييأس ثم يتميز ويجعل فريق في الجنة وفريق في السعير
وأعاد قوله ويوم تقوم الساعة لأن قيام الساعة أمر هائل فكرره تأكيدا للتخويف ومنه اعتاد
الخطباء تكرير يوم القيامة في الخطب لتذكير أهواله ثم بين كيفية التفرق وقال فأما الذين آمنوا

وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون لانهم في جنة يسترون بكل مسرة واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا و
لقاء الاخرة فاولئك في العذاب محضرون يعني لا غيبة لهم عنه ولا فتور له عنهم كما قال تعالى كلما ارادوا ان يخرجوا
منها اعيدوا فيها وقال لا يفتر عنهم العذاب وفيه مسائل منها لطايف الاولى قال هاهنا فاما الذين امنوا
مع ان الموضع موضع ذكر المجرمين وذلك لان المومن يوصل اليه الثواب قبل ان يوصل الى الكافر العقاب حتى يرى ويتحقق
ان المومن وصل الى الثواب فيكون اشد تحسرا ولو ادخل الكافر النار اولا لكان يظن ان الكل في العذاب مشتركون فتقدم ذلك
زيادة في ايلامهم المسالة الثانية ذكر في المومن العمل الصالح ولم يذكر في الكافر العمل السيء لان العمل الصالح معتبر مع الايمان
فان الايمان المجرد مفيد للنجاة دون رفع الدرجات ولا يبلغ المومن الدرجة العالية الا بايمانه وعمله الصالح واما الكافر فهو
في الدركات بمجرد كفره فلهذا قال والذين كفروا ولم يقل وعملوا السيئات فان العذاب لمن يصدر منه المجموع
فان فسق المومن وعمل السيئات عند كثير من العلماء يحصل له منزلة بين المنزلتين وعلى قول اهل السنة له بل هو لا يخلو
في العذاب ولكن ليس من المحضرين ولم يحضر في دركات الجحيم بل هو في الرياض ولكنه ليس من المحبورين فاما الجمهور
كلا ولكن بحكم الوعد المسالة الثالثة قال في الاول في روضة على التنكير وقال في الاخر في العذاب على التعريف لتعظيم
الروضة بالتنكير كما يقال لفلان مال وجاه اي كثير وعظيم المسالة الرابعة قال في الاول يحبرون بصيغة الفعل ولم يقل
محبورون وقال في الاخر محضرون بصيغة الاسم ولم يقل يحضرون لان الفعل يبين على التجدد والاسم لا يدل عليه فيقول
يحبرون يعني كل ساعة ياتيهم امر يسرون به واما الكفار فهم اذا دخلوا العذاب يبقون فيه محضرين قوله تعالى
فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون لما بين الله تعالى عظمته في الابتداء بقوله ما خلق الله السموات والارض و
ما بينهما الا بالحق وعظمته في الانتهاء وهو حين تقوم الساعة ويتفرق الناس فريقين ويحكم على البعض بان هؤلاء للجنة
ولا ابالي وهؤلاء للنار ولا ابالي امر بتنزيهه عن كل سوء وتحميده على كل حال فقال فسبحان الله اي سبحوا الله تسبيحا وفي الاية
مسائل المسالة الاولى سبحان اسم علم للتسبيح الذي هو التنزيه وهو يدل على المعنى فمعنى سبحان الله نزه الله عما لا يليق به
واما المعنى فقال بعض المفسرين المراد منه الصلاة اي صلوا وذكروا ان فيه اشارة الى الصلوات الخمس وقال بعضهم اراد به
التنزيه اي نزهوه عن صفات النقص وصفوه بصفات الكمال وهذا القول اقرب اليه اذا فيه متضمن الاول وذلك
لان التنزيه المامور به يتناول التنزيه بالقلب وهو الاعتقاد الجازم وباللسان مع ذلك وهو الذكر الحسن وبالاركان
معها جميعا وهو العمل الصالح والاول هو الاصل والثاني ثمرة الاول والثالث ثمرة الثاني وذلك لان الانسان اذا اعتقد شيئا
ظهر من قلبه على لسانه واذا قال ظهر صدقه من مقاله من احوال افعاله واللسان ترجمان الجنان والاركان برهان اللسان
لكن الصلاة افضل اعمال الاركان وهي مشتملة على الذكر باللسان والقصد بالجنان وهو تنزيه في التحقيق فاذا قال نزهوني
وهذا نوع من انواع التنزيه والامر المطلق يحمل على كل ما هو تنزيه فيكون هذا ايضا
امرا بالصلاة ثم ان قولنا يناسب ما تقدم وذلك لان الله تعالى لما بين ان المقام الاعلى والجزاء الاوفى لمن امن
وعمل الصالحات حيث قال فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون قال اذا علمتم ان ذلك المقام
لمن امن وعمل الصالحات والايمان تنزيه بالجنان وتوحيد باللسان والعمل الصالح استعمال الاركان فالكل
تنزيهات وتحميدات فسبحان الله اي فاتوا بذلك الذي هو الموصل الى الحبور في الرياض والحضور على الحياض
المسالة الثانية خص بعض الاوقات بالامر بالتسبيح وذلك لان افضل الاعمال ادومها لكن الملائكة لا يزالون
مسبحين على الدوام كما قال تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون والانسان ما دام في الدنيا لا يمكنه ان يصرف جميع
اوقاته الى التسبيح لكونه محتاجا الى اكل وشرب وتحصيل ماكول ومشروب وملبوس ومركوب فاشار الله
الى اوقات اذا اتى العبد بتسبيح الله فيها يكون كانه لم يفتر وهي اول النهار ووسطه واول الليل ووسطه وآخره و
وسطه اعني الظهر واول الليل ووسطه ولم يامر بالتسبيح في آخر الليل لان النوم فيه غالب والله من على عباده بالاستراحة
بالنوم كما قال ومن اياته منامكم بالليل فاذا صلى اول النهار ركعتين حسب له صرف ساعتين

الى التسبيح

الى التسبيح ثم اذا صلى اربع ركعات وقت الظهر حسب له صرف اربع ساعات اخرى فصار ست ساعات واذا صلى اربعا
في آخر النهار وهو العصر حسب له اربع اخرى فصارت عشر ساعات فاذا صلى المغرب والعشاء سبع ركعات اخر حسب له سبع ساعات
اخرى فيحصل له صرف سبع عشرة ساعة الى التسبيح وبقي من الليل والنهار سبع ساعات وهي ما بين نصف الليل وطلوع الشمس ثلثه منها
ساعات ونصفه ست ساعات وهي ساعات النوم وهذا القدر هو الذي ان نام الانسان فيه لا يكون كثيرا واليه اشار تعالى بقوله
قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه وزيادة القليل على النصف هي ساعة فيصير سبع ساعات وهي زمان النوم والاليم
مرفوع عنه القلم فيقول الله عبدك صرف جميع اوقاته في تسبيحي فلم يبق لكم ايها الملائكة عليهم المزية التي ادعيتم
بقولكم نحن نسبح بحمدك ونقدس لك على سبيل الافتخار بل هم مثلكم فاقيلكم في على عليين فاعلم ان هذه صحيحة على الصلوات في
اوقاتها وعدد ركعاتها واختلاف هيآتها حكمة بالغة اما في عدد الركعات فانهم من كون الانسان يتقظا سبع عشرة
ساعة فعرض عليهم سبع عشرة ركعة واما على مذهب ابي حنيفة رحمه الله عليه حيث اوجب الوتر ثلاث ركعات فهو ايضا
معقول وهو ما اخذ من ان الانسان ينبغي ان يقلل نومه فلا ينام الا ثلث الليل ماخوذا من قوله ان ربك يعلم انك تقوم ادنى
من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وفهم من هذا ان المنام ثلث الليل فيجعل مجموع وقت الاستيقاظ عشرين ساعة وان ساعة على
ان لا يقصد على ذكر لفظ النوم واذا كان كذلك يكون الانسان متيقظا في عشرين ساعة فامر بعشرين ركعة واما
النبي عليه السلام فلما كانت من شانه انه لا تنام اصلا كما قال تنام عيناي ولا ينام قلبي جعل له كل الليل كالنهار فزيد له التهجد
وامر به والى هذا اشار تعالى في قوله ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا اي كل الليل لك للتسبيح فصار هو في اربع وعشرين
ساعة مسبحا فصار من الوسط شرفت طرفية عينه وادانه لها مثل اما في الاول والاخر والوسط فهو
المعتبر فشرع التسبيح في اول النهار واخره واما الليل فاعتبر اوله ووسطه كما اعتبر اول النهار ووسطه وذلك لان
الظهر وقته نصف النهار والعشاء وقته نصف الليل ثم يبقى ان الليل المعتبر هو المقدار الذي يكون الانسان فيه متيقظا وهو مقدار
خمس ساعات فيجعل وقته في نصفه هذا القدر وهو الساعة من الليل واما ابو حنيفة رحمه الله عليه لما اوجب الوتر كان زمان
النوم عنده اربع ساعات وقدر وقت العشاء بالليل ثلث ساعات فاخر وقت العشاء الى الثلث الى الرابعة ولا حاجة لكن في وسط الليل
المعتبر كما ان الظهر في وسط النهار واما النبي عليه السلام لما كانت ليله نهارا وقومه اتباعا قال لولا ان اشق على امتي
لامرتهم بالسواك وتاخير العشاء الى نصف الليل لكن الاربع في نصف الليل كما ان الاربع في نصف النهار واما التفاصيل فالليل يتبين
لان النهار اثنا عشر ساعة زمانية والصلاة المؤداة فيها عشر ركعات فبقي على المكلف ركعتان ترد بهما في اول الليل
وبزيادة ركعة من صلاة الليل ليكون ابتداء الليل بالتسبيح كما كان ابتداء النهار بالتسبيح ولما كان الموكل من تسبيح النهار في اوله
ركعتان كان الموكل من تسبيح الليل في اوله ركعة لان تسبيح النهار طويل مثل ضعف تسبيح الليل لانه الموكل في النهار عشر
والموكل في الليل من تسبيح الليل خمس المسالة الثالثة في فضيلة التسبيحة والحالة في الامساء والصباح وقد ذكر هذا من
حديث النقل والعقل اما النقل فاخبرني الشيخ الحافظ الاستاذ عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان بحلب مسندا
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لبعض اصحابه انعجز من لنا اتى بوقت النوم بالتحية فتوقف فقال النبي عليه السلام
قل سبحان الله والحمد لله والله اكبر ثلاثا يكتب لك بها الف حسنة وسمعته يقول رحمه الله مسندا من قال صلت كل
صلاة لمن به عشر مرات سبحان الله وعشر مرات الحمد لله وعشر مرات الله اكبر ادخل الجنة واما العقل فهو
ان الله تعالى له صفات لا نهاية من فعل وصفات ثابتة له من فعله اما الاولى فهي صفات كمال وجلال فلا تعد
فاذا ادرك المكلف الله بانه لا يكون بحيث يخفى عليه شيء لكونه عالما بكل شيء فقد نزهه عن الجهل وصفه بضده
او خلافه واذا عرفه بانه لا يعجز عن شيء لكونه قادرا على كل شيء فقد نزهه عن العجز ولقد علم الله الجهل في
ملكه الا مات لكونه مبدا الكل كانه وصفه ونزهه واذا ظهر له انه لا يجوز عليه الفناء لكونه واجب البقاء
نزهه واذا بان له انه لا يسبقه العدم لتمانه بالقدم نزهه واذا لاح له انه لا يجوز ان يكون عرضا او جسما
او في مكان لكونه واجبا بريا عن جهات الامكان فقد نزهه عن صفاته السلبية والاضافية لا تعدها عادّ ولو اشتغل

سواء احد لانني فيها عمرو ولا بيرك كنهما فاذا قال القايل سبحان الله ابتليه سبحان الله فنبتها الى ما نقوله من قوله منزها لله
عن كل نقص فاتيانه بالتسبيح على هذا الوجه من الاجمال يقوم مقام اتيانه به على سبيل التفصيل لكن لا ريب ان الفرق ما بين
بالتسبيح عن كل واحد واحد مما لا يجوز على الله بل يستند ان يلام تنزيهه لا عمار فسبحان هذا العبد ان يتنبي لطول عمره ومدة
بقايه فاجاب به ان اطهره عن كل ذنب واذ نبته بخلو الكرامة وانزله بدار المقامة سوى لا ابتهالها وكان
العبد ينزه الله في اول النهار وآخره ووسطه والله تعالى يطهره في اوله بعد دنياه وفي آخره بعد عقباه وفي وسطه
بعد حاله كونه في ذلك الى ان اذا حرم بعد معناه واما الثانيه بعد صفات الفعل فالانسان اذا نظر الى خلق الله
السموات يعلم انها نعمه وكرامة فيقول الحمد لله فاذا راى الشمس فيها يعلم انها نعمه فيقول الحمد لله وكذلك
القمر وكل كوكب والارض وكل نبات وكل حيوان يقول الحمد لله لكن الانسان ان حمد الله على كل شي على جملة لا يفي
عمره به فاذا استحضر في ذهنه النعم التي لا تعد كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ويقول الحمد لله
على ذلك فهذا الحمد على وجه الاجمال يقوم مقام الحمد على سبيل التفصيل ويسال عبد الله سعى في عمره في حمدك
وانا دعوتك ان لا تترك الا لله فيه على حسنة التسبيح الحسنى وله على الحمد الزيادة ثم ان الانسان اذا استغرق
في صفات الله فيدعوه عقله الى التسكين ان الله تعالى السكر في الا الا الله فكل ما اتي في عقله من حقيقته ينبغي
ان يقول الله اكبر مما ادركه لكن المدركات وجهات الادراكات لا نهاية لها فان اراد ان يقول على سبيل التفصيل الله
اكبر من هذا الذي ادركته من هذا الوجه واكبر مما ادركته من ذلك الوجه واكبر مما ادركه من الوجه الاخر
يفني عمره ولا يفي بادراك جميع الوجوه التي يحيط الطاقة انه يدرك الله من ذلك الوجه فاذا قال مع نفسه الله اكبر
اي من كل ما اتصوره بقوة عقلي وطاقة ادراكي يكون متوغلا في العرفان والله الهادي [illegible] العجز عن درك الادراك
ادراك فيقول العاقل المستغرق سبحان الله والحمد لله والله اكبر [illegible] لكن شرطه ان يكون ذلك لقاء
حسبنا الله [illegible] المسلة الرابعة قوله وعشيا عطف على حين اي [illegible] الذي يكون من طرف اللسان
سبحوا حين تمسون وحين تصبحون وعشيا والحمد لله كلام في السموات والارض كلام معترض بين المعطوف
والمعطوف عليه وفيه لطيفة وهو ان الله تعالى لما امر العباد بالتسبيح كانه بين لهم ان تسبيحهم الله لنفعهم لا لنفع يعود
الى الله فعليهم ان يحمدوا الله اذا سبحوه وهذا كما في قوله تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله
يمن عليكم ان هداكم المسلة الخامسة قدم الامسا على الاصباح هاهنا واخره في قوله بكرة واصيلا وذلك
لان هاهنا اول الكلام ذكر الحشر والاعادة من قوله الله يبدأ الخلق ثم يعيده الى قوله فاولئك في العذاب محضرون
وآخر هذه الآية ايضا ذكر الحشر والاعادة في قوله وكذلك تخرجون والامسا آخر فذكر الآخر ليذكر الآخر المسلة
السادسة يفعل اخراج الحي من الميت والميت من الحي ما يتم عليه فان عند الاصباح يخرج الانسان من شبه الموت
وهو النوم الى شبه الوجود وهو اليقظة وعند العشا يخرج الانسان من اليقظة الى النوم واختلف المفسرون في قوله
يخرج الحي من الميت فقال اكثرهم يخرج الدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة وكذلك الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان
وقال بعضهم المومن من الكافر والكافر من المومن ويحتمل ان يقال المراد يخرج الحي من الميت اي اليقظان من النائم والنائم
من اليقظان وهذا يكون قد ذكر للتمثيل اي احيا الميت عنده واماتة الحي كتنبيه النائم وتنويم المنتبه ثم قال
ويحيي الارض بعد موتها وفي هذا معنى لطيف وهو ان الانسان بالموت تبطل حيوانيته ولا تفنيه النفس الناطقه
تفارقه وتبقى بعده كما قال [illegible] اموات كالحيوان نائم متحرك حساس لكن
النائم لا يتحرك ولا يحس والارض الميتة يمكن فيها تمام النائم لا يشتبه متحرك بحس والارض الميتة لا [illegible]
يحرى نباتها كما انه تحرك كذلك الساكن واحيا هذا الواقف سهل على الله كذلك احيا الميت سهل عليه والى هذا
اشار بقوله تعالى وكذلك تخرجون ثم قال تعالى ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون
لما قال الله تعالى بالتسبيح عن الاسواء وذكر ان الحمد له على خلق جميع الاشيا وبين قدرته على الاماتة والاحيا بقوله
سبحان

190

فسبحان الله الى قوله وكذلك تخرجون ذكر ما هو حجة ظاهرة وآية باهرة على ذلك ومن جملتها خلق الانسان من تراب
وتقريره هو ان التراب ابعد الاشيا عن درجة الاحيا وذلك من حيث كيفيته فانه بارد يابس والحياة بالحرارة والرطوبة
ومن حيث لونه فانه كدر والروح نير ومن حيث فعله فانه ثقيل والارواح التي بها الحياة خفيفة ومن حيث السكون فانه
بعيد عن الحركة والحيوان يتحرك يمنة ويسرة والى خلف والى قدام والى فوق والى اسفل وفي الجملة فالتراب ابعد من قبول الحياة
من سائر الاجسام لان العناصر ابعد من المركبات لان المركب بالتركيب اقرب درجة من الحيوان والعناصر ابعدها التراب لان الماء
ثم الهواء فيه الرطوبة والحركة وكلاهما على طبع الارواح والنار اقرب لانها كالحرارة الغريزية منضجة جامعة مفرقة ثم المركبات
واول مراتبها المعدن فانه ممتزج وله مراتب اعلاها الذهب وهو قريب من ادنى مراتب النبات وهي مرتبة النبات الذي ينبت
في الارض ولا يزرع ولا يبذر ثم النبات واعلى مراتبها وهي مرتبة الاشجار التي تقبل التعظيم ويكون لثمرها حب يؤخذ منه مثل تلك
الشجرة كالبيضة من الدجاجة والدجاجة من البيضة قريبة من ادنى مراتب الحيوان وهي مرتبة الحشرات التي ليس لها
دم سائل ولا هي الى المنافع الجلية وسايل كالسنانير ثم الحيوانات واعلى مراتبها قريبة من مرتبة الانسان فان الانعام
ولا سيما الفرس تشبه العقلاء الكاملين واعلى مراتب الانسان قريبة من مرتبة الملائكة المسبحين
لله الحامدين له فالله الذي خلق من ابعد الاشيا عن مرتبة الاحيا حيا هو في اعلى المراتب لا يكون الا منزها عن العجز
والجهل ويكون له الحمد على انعام الجود ويكون له كمال القدرة ويعود الارواح ويخرج منه الا ابتداء ولا اعادة وفي الاية
لطيفات احسنا ترتيبه فاذا [illegible] لطائف [illegible] حيث قال [illegible] الى ان قال تعالى خلقكم من تراب
ولم يكن فكان لا انه صار معدنا ثم نباتا ثم حيوانا ثم انسانا وهذا اشارة الى مسالة حكمية وهي ان الله يخلق اولا انسانا
فيتبعه انه يحي حيوانا ناميا وعند ذلك ان الله يخلق لا احيوانا ثم يجعله انسانا فخلق الانواع هو المراد لا ان لا يكون
الانواع فيها الاجناس بتلك الارادة الا ذل فالله تعالى جعل المرتبة الاخيرة في الشي البعيد منها غاية من غير اسباب من مرتبة
الى مرتبة من الجانب الذي ذكرناها اللطيفة الثانية قوله بشر اشارة الى القوة المدركة لان البشرة يحركه فان غيره
من الحيوانات ايضا كذلك وقوله تنتشرون اشارة الى القوة المحركة وكلاهما من التراب عجيب اما الادراك فلكثافته وجموده
واما الحركة فلثقله وجموده فقوله تنتشرون ايضا اشارة الى العجيبة عن مختص خلق الانسان من التراب بل خلق الحيوان
المنتشر من التراب الساكن عجيب فضلا عن خلق البشر وفي الاية مسالة وهي ان الله خلق آدم من تراب فلقد قيل فيه كيف قال خلقكم
من تراب نقول الجواب عنه من وجهين احدهما ما قيل ان المراد من قوله خلقكم انه خلق اصلكم والثاني ان كل بشر مخلوق
من التراب اما اولهم فظاهر واما نحن فلانا خلقنا من نطفة والنطفة من صالح الغذاء الذي هو القوة [illegible] من الاعضاء
والغذا اما من لحوم الحيوانات والبانها واسمانها واما من النبات والحيوان ايضا له غذاء من النبات لكن النبات من التراب
فان الحبة من الحنطة والنواة من التمر لا تصير شجرة الا بالتراب وينضم اليها اجزاء ترابية لتصير ذلك النبات بحيث يغذو
المسالة الثانية قال تعالى في موضع آخر وخلق من الماء بشرا وقال من ماء مهين وقال ههنا فانه من تراب
فكيف الجمع قلنا اما على الجواب الاول فالسوال زايل فان المراد منه آدم واما على الثاني فنقول ههنا قال ما هو اصل اول
وذلك الموضع قال ما هو اصل ثان لانه لما كان التراب الذي صار غذا لصيرما ما ابيا وهو المني ثم يستعد ويتكون يخلق
الله منه انسانا ويقول الانسان له اصلان ظاهران الماء والتراب فان التراب لا يتبت الا بالماء فالنبات الذي هو
اصل غذاء الانسان تراب وماء فتارة جعل الماء اصلا ولكن الجمع اجزائه المتفتتة فالامر كذلك وان جعل الاصل هو الماء
فالتراب لتثبيت اجزائه الرطبة عن السيلان فالامر كذلك فان قال قائل الله تعالى يعلم كل شي فهو يعلم ان الاصل
ماذا هو منهما وانما الامر عندنا مشتبه يجوز هذا وذلك فلو كان الاصل هو التراب فكيف قال من الماء بشرا
ولو كان الماء فكيف قال خلقكم من تراب وانكم لما اصلتم فلم لم يقل خلقكم منها نقول فيه لطيفة
وهي ان كون التراب اصلا والماء اصلا ليس لذاتيهما وانما هو بجعل الله تعالى فان الله لو نظر الى قدرته كان له ان
يخلق اولا من الانسان ثم يخلق منه التراب ويبدو به ويحصل منه الماء لكن الحكمة اقتضت ان يكون

الناقص وسيلة الى الكامل لم يكن وسيلة الى الناقص فخلق التراب والماء اولا وجعلهما اصلين لمن هو اكمل
منهما بل لمن هو اكمل من كل كائن وهو الانسان فاذا كان كونهما اصلين ليس امرا ذاتيا لهما بل بجعل جاعل فتارة
جعل الاصل التراب وتارة الماء ليعلم انه بارادته واختياره فان شا جعل هذا اصلا وان شا جعل ذاك اصلا
وان شا جعلهما اصلين المسئلة الثانية قالت الحكما ان الانسان مركب من العناصر الاربعة وهي التراب
والما والهوا والنار وقالوا التراب فيه لثباته والما لاستمساكه فان التراب يتفتت بسرعة والهوا لاستقلاله
كالزق المنفوخ يقوم بالهوا ولولاه لما كان فيه استقلال وانتصاب والنار للنضج والالتيام بين هذه
الاشيا فنقول هذا صحيح ام لا فان كان صحيحا فلذلك اعتبر الارض فحسب ولم يقل في موضع انه خلقكم من نار ولا من ريح
فنقول اما قولهم فلا مستند لهم فيه من حيث الشرع لكن بيان عدم نفيه لهم اذا قالوا بانه بالطبيعة كذلك وقلنا
ان قالوا بان الله بحكمته خلق الانسان من هذه الاشيا فلا ننازعهم فيه واما الانسان فنقول ما ذكرتم
لا يخالف قولنا لان الهوا جعلتموه للاستقلال والنار للنضج فهما لا يكونان الا بعد امتزاج الما والتراب فالاصل
الموجود اولا هما لا غير فلذلك خصهما لان المحسوس من العناصر في الغالب هو التراب والما لا سيما كونهما
في الانسان ظاهر لكل احد فخص الظاهر المحسوس بالذكر ثم قال تعالى ومن آياته ان خلق لكم لما
بين الله خلق الانسان بين انه لما خلق الانسان ولم يكن من الاشيا التي تبقى وتدوم سنين متطاولة لم يخل
نوعه بالاشخاص وجعله بحيث يتوالد واذا مات الاب يقوم الابن مقامه لئلا يوجب فقد الواحد
ثلمة في الجماعة لا تنسد وفي الآية مسايل الاولى قوله خلق لكم دليل على ان النسا خلقن كخلق الدواب و
النبات وغير ذلك من المنافع كما قال تعالى خلق لكم ما في الارض وهذا يقتضي ان لا تكون مخلوقة للعبادة و
التكليف فنقول خلق النسا من النعم علينا وخلقهن لنا وتكليفهن لاتمام النعمة علينا لا لتوجيه التكليف نحو
هن مثل توجيهه الينا وذلك من حيث النقل والحكم والمعنى اما النقل فهذا وغيره واما الحكم فلان المراة
لم تكلف بتكاليف كثيرة كلف الرجل بها واما المعنى فلان المراة ضعيفة الخلق سخيفة فشابهت الصبي
لكن الصبي لم يكلف فكان يناسب ان لا تؤهل المراة للتكليف لكن النعمة علينا ما كانت تتم الا بتكليفهن
لتخاف كل واحدة منهن العذاب فتنقاد للزوج وتمتنع عن المحرم ولولا ذلك لظهر الفساد المسئلة الثانية
قوله من انفسكم قال اكثر المفسرين المراد منه ان حوا خلق من جسم آدم والصحيح ان المراد من جنسكم كما قال تعالى لقد جاكم
رسول من انفسكم ويدل عليه قوله لتسكنوا اليها يعني ان الجنسين المختلفين لا يسكن احدهما الى الاخر
اي لا يثبت نفسه معه ولا يميل قلبه اليه المسئلة الثالثة قال لتسكنوا اليها وقال سكن الله وقال سكن
عنده لان السكون الجسماني يقال فيه عند لان عند جاء لظرف المكان وذلك للاجسام والى للغاية وهي للقلوب
المسئلة الرابعة قوله وجعل بينكم مودة ورحمة قال بعضهم مودة بالمجامعة ورحمة بالولد
تمسكا بقوله تعالى ذكر رحمة ربك عبده زكريا وقال بعضهم محبة حالة حاجة نفسه ورحمة
حالة حاجة صاحبه اليه وهذا لان الانسان يحب مثلا ولده فاذا راى عدوه في شدة من وجع والم
قد ياخذه منه ولده ويبعث به حاله فليس ذلك بسبب المحبة وانما هو بسبب الرحمة ويمكن ان يقال ذكر من قبل
امرين احدهما كون الزوج من جنسه والثاني ما يفضي اليه الجنسية وهو السكون اليه فالجنسية توجب السكون
وذكر ههنا امرين احدهما يفضي الى الاخر فالمودة تكون اولا ثم انها تفضي الى الرحمة ولهذا فان الزوج قد تخرج
عن محل الشهوة بكبر او مرض ويبقى قيام الزوج بها وبالعكس وقوله ان في ذلك يحتمل ان يقال المراد ان في
خلق الازواج لآيات ويحتمل ان يقال في جعل المودة بينهم آيات اما الاول فلانه قد ذكر ان خلق الانسان
من الوالدين يدل على كمال القدرة ونفوذ الارادة وشمول العلم لمن يتفكر ولا خروج الولد من بطن الام فان
ذلك لو كان من غير الله لما [illegible] الى هلاك الولد والام فانه ان الولد لو سل من موضع ضيق بغير

اعانه

191

اعانة الله لمات واما الثاني فكذلك لان الانسان يجد بين الزوجين من التراحم ما لا يجده بين ذوي الارحام وليس
ذلك بمجرد الشهوة فانها قد تنتفي وتبقى الرحمة فهو من الله ولو كان بينهما مجرد الشهوة والغضب كثير الوقوع
وهو مبطل للشهوة والشهوة غير دائمة في نفسها لكان كل ساعة بينهما فراق وطلاق فالرحمة التي بها يدفع الانسان
المكاره عن حريم حرمه هي من عند الله ولا يعلم ذلك الا بفكر ثم قال تعالى ومن آياته خلق السموات و
الارض واختلاف السنتكم والوانكم لما بين دلائل الانفس ذكر دلائل الآفاق واظهرها خلق السموات والارض فان
بعض الحكما يقولون حدوث الانسان وغيره من المركبات انه بسبب ما في العناصر من الكيفيات وما في السموات من
الحركات وما في السما من الاتصالات فاذا قيل لهم فالسما والارض لم تكن لامتزاج العناصر واتصالات
الكواكب فلا بد لها من ان يقول ذلك بقدرة الله وارادته ثم لما اشار الى الدلائل الانفسية والآفاقية ذكر ما هو من صفات
الانفس فان اختلاف الالسن الذي من لوازم الانسان فانك لا ترى واحدا منهم مع كثرة عددهم ومعنى جميع خلوهم
لا يشتبه بغيره والسموات مع كبرها وقلة عددها متشابهات في الصورة والسنتكم مختلفة فاختلافهم فانهم يتبين
به اصولهم اذا نطقوا باللهجة والطريقة نعرف احدهما عن الاخر حتى ان من يكن محجوبا عنهما لم يبق مما نقول هذا صوت
فلان وهذا المقصود في النطق وفيه حكمة بالغة وذلك لان الانسان يحتاج الى التمييز بين الاشخاص ليعرف
صاحب الحق من غيره والعدو من الصديق ليحترز قبل وصول العدو اليه وليقبل على الصديق قبل ان يفوته
الاقبال عليه وذلك قد يكون بالبصر فخلق اختلاف الصور وقد يكون بالسمع فخلق اختلاف الاصوات واما اللمس
والشم والذوق فلا يفيد فائدة في معرفة العدو والصديق فلا يقع بها التمييز ومن الناس من قال المراد اختلاف اللغات
كالعربية والفارسية والرومية وغيرها والاول اصح ثم قال ان في ذلك لآيات للعالمين لما كان خلق السما والارض لم يحتمل
الاحتمالات البعيدة التي يقولها اصحاب الطبائع واختلاف الالوان كذلك واختلاف الاصوات كذلك قال للعالمين
لعموم العلم بذلك ثم قال تعالى ومن آياته منامكم بالليل والنهار لما ذكر بعض العرضيات اللازمة من الصفات
ذكر الاعراض المفارقة ومن جملتها النوم بالليل والحركة بالنهار طلبا للرزق فذكر من اللوازم امرين ومن
المفارقة امرين وفي الآية مسايل احدها قوله منامكم بالليل والنهار قيل اراد به النوم بالليل والنوم بالنهار
قيلولة ثم قال وابتغاؤكم من فضله ارى فيهما فان كثيرا ما يكتسب الانسان بالليل وقيل اراد منامكم
بالليل وابتغاؤكم بالنهار فلف البعض بالبعض ويدل عليه ايات اخر منها قوله تعالى وجعلنا آية النهار مبصرة
لتبتغوا فضلا وقوله تعالى وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا ويمكن التقرير على هذا ايضا ومن آياته
منامكم وابتغاؤكم بالليل والنهار من فضله فاخر الابتغا وقرنه في اللفظ بالفضل اشارة الى ان العبد ينبغي ان
لا يرى الرزق من كسبه وبحذقه بل يرى كل ذلك من فضل ربه ولهذا قرن الابتغا بالفضل في كثير من المواضع
منها قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله وقوله ولتبتغوا من فضله
المسئلة الثانية قدم المنام بالليل على الابتغا بالنهار في الذكر لان الاستراحة مطلوبة لذاتها والطلب لا يكون
الا لحاجة فلا يتعب الا محتاج في الحال او خائف من المآل المسئلة الثالثة قال ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون وقال من قبل
لقوم يتفكرون وقال للعالمين لان المنام بالليل والابتغا لا يظن الجاهل او الغافل انهما مما يقتضيه طبع الحيوان
فلا يظهر لكل احد كونهما من نعم الله فلم يقل آيات للعالمين ولان الامرين الاولين وهو اختلاف الالسنة والالوان من اللوازم
والمنام والابتغا من الاعراض المفارقة فالنظر اليهما لا يدوم لزوالهما في بعض الاوقات ولا كذلك اختلاف الالسنة والالوان
فانهما يدومان بدوام الانسان فجعلهما آيات عامة واما قوله لقوم يتفكرون فاعلم ان من الاشيا ما يعلم من غير
تفكر ومنها ما يكفي فيه مجرد الفكر ومنها ما لا يخرج بالفكر بل يحتاج الى موقف يوقف عليه ومرشد يرشد
اليه فيفهمه اذا سمعه من ذلك المرشد ومنها ما يحتاج بعض الناس في تفهمه الى امثاله حسية كالاشكال
الهندسية لكن خلق الازواج لا يقع لاحد انه بالطبع الا اذا كان جامد الفكر خامد الذكر فاذا تفكر علم كون

ترجيح المجاز على هذه وذلك لا يكتب الا بما عل [illegible] والعلاسنه فالواكون الارض [illegible] تماسكه [illegible] طبعي
لعالمها اثمل الاشيا والثقيل بطلب المركز والخفيف يطلب المحيط والسما كونها في مكانها لركاسته ذات مكان
فلذا انما فقيامهما بطبعهما ممنوع ... ويسلم من [illegible] ان القول بالطبيعة باطل والدين يلزمه ها هنا ان يسلم
وافهمونا بان ما جاز على الجسم المثلث جاز على المثل الاخر لكن مقتضى الفلسفة انما مخالف ... به في الطبع ...
موصول ... موضع ... به ودلك بالحركه والزوال فاذا نظر اليه الزوال ... سيما على السما
الدنيا ... لست محدده للجهات على مذهبكم ... الارض كانت تجوز عليها الحركه المديرة كما يقولون على السما
... سكونها ليس لها بنا على ... وفي الاية ... احدهما ذكر الله من كل باب امرين ... الانفس
نوله فلق لكم ... على ... ومن الايات السما ... والارض ... ولزوم الانسان
اختلاف اللسان واختلاف الالوان ومن عواره المنام والابتغا ومن عوارض الافاق البروق والامطار
ومن لوازمها قيام السما وقيام الارض ... الواحد يكفي للاقرار بالحق والثاني يفيد المستدل ومن هذا
اعتبر شهادة شاهدين ... احدهما يفيد الظن ... يفيد ... ولهذا قال ابرهيم عليه السلام
بلى ولكن ليطمئن قلبي المسئلة الثانية قوله بامره اي بقوله قوما او بارادته قيامهما وذلك لان الامر عند المعتزلة
موافق للارادة وعندنا ليس كذلك ولكن النزاع في الامر الذي للتكليف لا في الامر الذي للتكوين فانا لا ننازعهم في
ان قوله كن وكونوا وبابه تكوين موافق للارادة المسئلة الثالثة ... ومن اياته ان تقوم ... قبله
ومن اياته يريكم ولم يقل ان يريكم ولهذا قال بعض المفسرين ان ان مضمر هناك معناه من اياته ان يريكم ليصير
كالمصدر بان وذلك لان القيام لما كان غير متغير اخرج الفعل بان عن الفعل المستقبل وجعله مصدرا لان
المستقبل يبنى على التجدد وفي البرق لما كان ذلك من الامور التي تتجدد زمانا دون زمان ذكره بلفظ الفعل المستقبل
ولم يذكر معه الحرف المصدرية المسئلة الرابعة ذكر ستة دلايل وذكر في اربعة منها ان في ذلك لايات ... الاول
وهو قوله ومن اياته ان خلقكم من تراب ... ومن اياته ان تقوم السما والارض ... الاول
... بعده ومن اياته ان خلق لكم ... دليل الانفس ... الانفس ... منها ... بينا
عظمته تعالى ذكر من كل باب امرين للمتفكر ... فاذا قال ... ذلك لايات ... فيهما واما في قيام
السما والارض ... الايات السابقة ذكر انها ايات للعالمين ولقوم يعقلون لظهورها فلما كانت ... اول
الامر ظاهرا ... اخر الامر ... سرد الدلايل ... فلم يميز احدا عن احد في ذلك وذكر ما هو مدلوله ...
... على ... ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون ... العطف
... معناه والله اعلم انه تعالى اذا تبين لكم ... الايات بعد ذلك يخرجكم ...
... انه اذا قال للعظام الرميم اخرجوا من الاجداث يخرجون احيا المسئلة الثانية قول القايل دعا فلان
فلانا من الجبل يحتمل ان ... من الجبل كما يقول ... الى الجبل ... دعاه من الجبل ويحتمل
ان يكون المدعو يدعي من الجبل ... دعاه من الجبل ... على القايل
... من الارض اذا كان الداعي هو الله فالمدعو يدعى من الارض يعني انتم تكونون في الارض فيدعوكم منها
فتخرجون المسئلة الثالثة قوله تعالى اذا انتم ... انه للمفاجاة يعني يكون ذلك ... المسئلة الرابعة ...
ها هنا اذا انتم تخرجون ... خلق ... ثم اذا انتم بشر تنتشرون ... هناك يكون خلق ... وتدريج
... بلا ... فاذا هو ... واما في الاعادة ... بل يكون ...
... وله من في السموات والارض ... ذكر ... مدلولها ...
على ... بقوله وله من في السموات ... كل له
... من في السموات ومن في الارض ... في السموات والارض ملك له ... كل له قانتون

قلت الاليق بهذا الكلام والله اعلم
انه انما جاء بثم الذي فيه تعقيب
وتراخ لان المذكور بعدها وهو
اخراج الموتى يحتاج اليهما معا اما
التعقيب فلان البعث من اشكل
الاشيا عند الناس فلا بد لهم في
العلم بذلك من بيان الايات السابقة
واما التراخي فلانهم بعد ايراد
الايات السابقة ومخاطبة الله تعالى
بها معهم لا بد لهم من تامل وتدبر
وتفكر وتذكر حتى يحصل لهم تلك الايات
ويستفيدوا بها ... على البعث
... علم

ذلك ... القيام ... فيه تكثير ... من ... العباد ... يحتاج الى ... ويحدث ...
... ثم ... كلام ... تعالى ومن اياته يريكم البرق خوفا وطمعا
... ذكر الوصف ... والمنام ... ذكر الوصف ... الى الافاق وقال يريكم البرق خوفا وطمعا و
... المسئلة الثانية ... لما ... ذلك ... العرضيات التي في الانفس والافق
العرضيات التي في الافاق كما ذكر في الانفس قوله ومن اياته خلق السموات ... المسئلة الثانية ... لوازم الانفس
عن العوارض المفارقة ... من ... المنام ... ابتغاء ... العوارض
المفارقة ... اللوازم ... يريكم البرق خوفا وطمعا ... ذلك لان الانسان ... العوارض
له ... اللوازم ... السموات والارض ... العوارض ... اللوازم
... عجب ... بيانا ... البرق ...
والعجب ... ومن ... وذلك ...
... البرق ...
... المسئلة الثالثة ... على ... البرق ... الرعد على
... المسئلة الرابعة ... البرق ... الرعد على
المطر ... البرق ... والملك ...
... البرق ... يعلمون ...
... البرق ... بالبلاد
... السحاب ...
السحاب ... الماء ...
... السحاب ...
... النار ...
... البرق والرعد ...
... الامر ...
... العاقل
على ... المسئلة الخامسة ... يعقلون لما كان ...
... المطر ... الطبيعة لان المطر ...
... المطر ...
... اية
... تعالى ومن اياته ان تقوم السما والارض بامره ثم اذا دعاكم
... السما والارض ... تحت
... فان
...
...
... ذلك

رحيا

والشريك يكون عنانا عاما ثالثا فلا شريك له اصلا ثم ذكر المذكور الآخر فقال وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه
اي في نظركم لان الاعادة اهون من الابتداء لان من يفعل فعلا اولا يصعب عليه ثم اذا فعل بعد ذلك مثله يكون اهون
وقيل المراد هو هين عليه كما قيل في قولنا الله اكبر اي كبير وقيل المراد وهو اهون عليه اي الاعادة اهون على الخلق
من الابتداء لان في الابتداء يكون علقة ثم مضغة ثم لحما ثم عظاما ثم يخرج طفلا ثم يترعرع الى غير ذلك يصعب عليه
ذلك كله واما في الاعادة فيخرج بشرا سويا بكن فيكون اهون عليه والوجه الاول اصح وعليه نتكلم فنقول
هو اهون عند المشركين وذلك البدء خلق الاجزاء والاعادة بالنفخ ولا شك ان الهون هنا من الواحد
ولا يلزم من هذا ان يكون عنده فيه صعوبة دليل هذا السؤال انه يقال في امتناع الفاعل الاهون ما يتعب
منه الفاعل كالطريق الادنى فاذا قال بالاذان الرجل الثقيل انه يتعب من نقل شعيرة من موضع الى موضع يعلم السامع
انه لذلك فاذا قال لكن يتعب من نقل خردلة يكون اولى يكون ذلك الا انه يعقولا يبقى على حقيقته ثم قال
ولله المثل الاعلى يعني قولنا نقل هو اهون عليه منهم منه اوان يعلمانه لكن كما انه يتعب كما يقال ان نقل الحقيقة اهون
من نقل الثقيل ولو عرفنا ذكرنا من الاولويه ثم عرفنا ثم تعب في الكل فقوله وله المثل الاعلى اشارة الى ان كونه
اهون لمعنى المثال لا انهم منه لا يدرك وههنا فائدة ذكرها صاحب الكشاف وهي انه قال في موضع اخر هو علي
هين وقال ههنا وهو اهون عليه فقدم هناك على واخرها ههنا وذلك لان المعنى الذي قال هناك انه هين هو خلق
الولد من العجوز وانه صعب على غيره وليس بهين الا عليه فقال هو علي هين يعني لا على غيري واما ههنا المعنى
الذي ذكر انه اهون وهو الاعادة والاعادة على كل مبتدئ اهون فقال وهو اهون عليه على سبيل الحصر فالمعنى هناك
كان للحصر فقال تعالى وله المثل الاعلى في السموات والارض على الوجه الاول المشهور ان هو اهون عليه بالنسبة الكلم له معنى في الوجه الذي
ذكرناه له يعني لقاء على الوجه الاول فقال وله المثل الاعلى وكان ذلك قيلا معترضا بالمنع الا انه من الناس ينقد ذلك
ان له المثل الاعلى من امثلة الناس وهم اهل الارض كذلك له اشياء له المثل الاعلى من امثلة الملائكة فقال وله المثل الاعلى
في السموات والارض يعني هذا المثل معروف لكم وله الاعلى من هذا المثل ومن كل مثل يضرب في السموات والارض
على الوجه الثاني معناه ان له المثل الاعلى اي فعله وان شبهه بفعلكم ومثله به لكن ذاته ليس كمثله
شيء وله المثل الاعلى وهو ما يقول عن ابن عباس وقيل المثل الاعلى ليس كمثله شيء وقيل هو لا اله الا الله وقيل هو العزيز
الحكيم الكامل القدرة على الكمال وسائل العلم بجميع الموجودات فيعلم الاجزاء في الاماكن ويقدر على جمعها كما بينا ه
ثم قال تعالى ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم لما بين الاعادة والقدرة عليها بالمثل بعد الدلائل بين
الوحدانية ايضا بالمثل بعد الدليل ومعناه ان يكون له مملوك لا شريك له في ماله وان يكون له حرمة مثل حرمة سيده
فكيف يجوز ان يكون عباد الله شركاء له وكيف يجوز ان يكون لهم عظمة مثل عظمة الله تعالى حتى يعبدون في الارض
سائل الاولى شيء لم يكن من المثل والمثل به مشابهة ما لم يكن فيها مخالفة نبدأ بكم لكي يكون المعنى المثل وبدل
يكون موهنا له وههنا وجه المشابهة معلوم واما المخالفة فمن وجوه اسنا ومن وجوه كله ودلك من وجوه احدها قوله
من انفسكم يعني ضرب لكم مثلا من انفسكم مع حقارتها ونقصانها وعجزها وقاس نفسه عليكم مع عظمها وكمالها و
قدرتها الثانية قوله فيما ملكت ايمانكم يعني عبيدكم لكم عليهم ملك اليد وهو طارئ قابل للنقل والزوال اما النقل
فبالبيع وغيره والزوال بالعتق وملوك الله لا خروج له من ملك الله بوجه من الوجوه فاذا لم يجز ان يكون مملوك
بينكما شريكا لكم مع انه يجوز ان يصير مثلكم من جميع الوجوه بل هو مثلكم في الآدمية حتى انكم ليس لكم
تغيرتا في ابدهم واولادهم ومثله يعرف بسلكم ولبسكم ومنهم من العبادة وقضاء الحاجة فكيف يجوز ان يكون
مملوكا له الذي هو مملوكه من جميع الوجوه شريكا له الثالث قوله من شركاء فيما رزقناكم يعني الذي لكم هو في الحقيقة
ليس لكم بل هو لله ومن رزقه والذي لله بين في الحقيقة له فاذا لم يجز ان يكون لكم شريك في مالكم من حيث الاسم فكيف
يجوز ان يكون له شريك فيما له من حيث الحقيقة وقوله فانتم فيه سواء اي هل انتم وما يملكه في شيء مما تملكون انتم

سواء

سواء ليس كذلك فلا يكون لله شريك في شيء مما ملكه لكن كل شيء فيه يوتيه فما تدعون الهيته لا يملك شيئا اصلا ولا مثقال
ذرة من خردل فلا تعبد لعظمته ولا لمنفعة تحصل لكم منه واما قولكم هولا ينفعونا وشفعاؤنا فليس كذلك لان
المملوك هل له عندكم حرمة كحرمة الاحرار واذا لم يكن للمملوك مع مساواته اياكم في الحقيقة والصفة عندكم حرمة فكيف
يكون حال المماليك الذين لا مساواة بينهم وبين المالك بوجه من الوجوه والى هذا اشار بقوله تخافونهم كخيفتكم انفسكم
المسلمة المائة بين اثنين جميع وجوه حسن العبادة من الغيريات لا ... لكم لا تعلمون الشركة فليس لهم ملك فلا يكون
فلا عظمة لهم حتى يعبدوا لعظمتهم ولا يرجى منهم منفعة لانه ليس ملكهم حتى يعبدوا لمنفعة لهم منه وقدرة لانهم
عبيد والعبد المملوك لا يقدر على شيء فلا تخافونهم كما تخافون انفسكم فكيف تخافونهم خوفا اكثر من خوفكم بعضكم من بعض
حتى يعبدونهم للخوف ثم قال تعالى كذلك نفصل الآيات اي نبينها يعني بالدلائل والبراهين العقلية والامثلة
والمحاكيات لانا عينه لقوم يعقلون يعني لا يخفى الامر بعد ذلك الا على من لا يكون له عقل ثم قال تعالى بل اتبع الذين
ظلموا اهواءهم بغير علم لما بين انه لا يشرك بالمالك مملوكه ولكن الذين اشركوا اتبعوا اهواءهم بغير علم واتبعوا شركاءهم من غير دليل ثم بين ان ذلك
بارادة الله بقوله فمن يهدي من اضل الله اي هؤلاء اضلهم الله فلا هادي لهم فيسعى ان لا يحزنك قولهم وههنا الطيفة
وهي ان قوله فمن يهدي من اضل الله مفهوما لما تقدم وذلك لانه لما قال بان الله لا شريك له بوجه ما ثم قال بل المشركين
ليشركون من غير علم قال بنفسه انت انكرت لهم تصرفا على خلاف رضاه والسيد الذي هو الذي لا يقدر عبده على تصرف خلاف
رضاه فقال ان ذلك ليس باستقلاله بل بارادة الله وما لهم من ناصرين لما تركوا الله تركهم الله ومن اخذوه
لا يغني عنهم شيئا فلا ناصر لهم ثم قال تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله اذا بين الامر وظهرت الوحدانية
ولم يتبع المشرك فلا تلتفت اليهم واقم وجهك للدين وقوله اقم وجهك للدين اي اقبل بكلك على الدين عبر عنه بالذات
بالوجه كما قال تعالى كل شيء هالك الا وجهه اي ذاته بصفاته وقوله حنيفا اي مائلا عن كل ما عداه اي اقبل على الدين
ومل عن كل شيء لا يمكن في ملكه شيء الا حنيفا ومعود اليه وهذا قريب من معنى قوله ولا تكونوا من المشركين
ثم قال فطرة الله اي الزم فطرة الله وهي التوحيد فان الله فطر الناس عليه حين اخرجهم من ظهر آدم وسألهم
فقالوا بلى ثم قال لا تبديل لخلق الله فيه وجوه قال بعض المفسرين هو تسلية للنبي عليه السلام عن الحزن حيث لم يومن
قومه فقال هم خلقوا للشقاوة ومن كتب شقيا لا يسعد وقيل لا تبديل لخلق الله اي الوحدانية مترسخة فيهم لا
تغير لها حتى ان سألتهم من خلق السموات والارض يقولون الله لكن الايمان الفطري غير كاف ويحتمل ان يقال خلق
الله الخلق لعبادته وهم كلهم عبيده لا تبديل لخلق الله اي ليس كونهم عبيدا مثل كون المملوك عبدا للانسان فانه
ينتقل عنه الى غيره ويخرج عن ملكه بالعتق بل لا خروج للخلق عن العبادة والعبودية وهذا لبيان فساد قول من يقول
العبادة لتحصيل الكمال والعبد يكمل بالعبادة فلا يبقى عليه تكليف وقول المشركين ان الناقص لا يصلح لعبادة الله وانما
الانسان عبد الكواكب والكواكب عبد الله وقول النصارى ان عيسى كان يحل الله فيه وصار الها فقال لا تبديل
لخلق الله بل كلهم عبيد لا خروج لهم عن ذلك ثم قال ذلك الدين القيم الذي لا عوج فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون
ان ذلك هو الدين المستقيم ثم قال منيبين اليه لما قال حنيفا اي مائلين عن غيره قال منيبين اليه اي مقبلين عليه و
الخطاب في قوله واقم وجهك مع النبي والمراد جميع المومنين وقوله واتقوه يعني اذا اقبلتم عليه وتركتم الدنيا فلا تأمنوا
فتتركوا عبادته بل خافوه وداوموا على العبادة واقيموا الصلاة اي كونوا عابدين عند حصول القربة كما كنتم
قبل ذلك ثم انه قال ولا تكونوا من المشركين قال المفسرون يعني ولا تشركوا بعد الايمان اي ولا تقصدوا بذلك غيره
وههنا وجه اخر وهو ان الله بقوله منيبين اليه التوحيد الذي هو يخرج عن الاشراك الظاهر وبقوله ولا تكونوا
اراد اخراج العبد عن الشرك الخفي اي لا تقصدوا بعملكم الا وجه الله ولا تطلبوا به الا رضا الله فان الدنيا والآخرة
تحصل وان لم تطلبوها اذا حصل رضى الله وعلى هذا فسوله من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا يعني لم يجتمعوا
على الاسلام وذهب كل واحد الى مذهب ويحتمل ان يقال وكانوا شيعا يعني بعضهم عبد الله للدنيا وبعضهم للجنة

الذات

عن

وبعضهم المخلصون النار وكل واحد في نطق فرح واما المخلص فلا يبرح بما يكن لديه وانما يكون فرحه بان يحصل عند الله و
تنفق من يديه وذلك لان كل ما لديها نافد لقوله ما عندكم ينفد وما عند الله باق فلا مطلوب لهم فيما لديهم حتى
تفرحوا به وانما المطلوب ما لدى الله وبه الفرح كما قال تعالى بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله
جعلهم فرحين بكونهم عند ربهم وبكونهم ما اوتوا من فضله الذي اتاهم ذلك كما قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك
فليفرحوا لا بما عندهم فان كل ما عند العبد فهو نافد اما الذي في الدنيا فظاهر واما في الآخرة فلان ما وصل الى
العبد من الالتذاذ بالمأكول والمشروب فهو يزول ذلك اللذة ويجدد له مثله الى الابد من فضله الذي اتاه ذلك فلذلك
اتاه له من فضله ثم قال تعالى واذا مس الناس ضر لما بين التوحيد بالدليل وبالمثل بين انهم حالة
من فرحة ولا يكادون يشكرونه في رفعته في حالة الشدة فان عند انقطاع رجائه عن الكل يرجع الى الله ويجد نفسه
محتاجة الى شيء ليس هذه الاشياء الحاكية به النجاة ثم اذا اذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون يعني اذا اطمأنوا
يشركون به ويقول تخلصت بسبب اتصال الكواكب الفلانية بفلان وبسبب الصنم الفلاني ثم بل ينبغي ان
لا يعتقد انه تخلص بسبب فلان اذا كان ظاهرا فانه شرك خفي مثاله رجل في البحر اذا ركبه الغرق فيهيئ الله له
لوحا او سوقه اليه الريح فيتعلق به وينجو فيقول تخلصت بلوح او رجل اتى عليه فيجيء من ارسل الله اليه رجلا يخلصه
فيقول خلصني زيد فهذا ان كان عن اعتقاد فهو شرك خفي وان كان يعني ان الله خلصني على يد زيد فهو اخفى
وفيه مسائل الاولى في قوله تعالى اذا اذاقهم منه رحمة لطيفة وذلك لان الذوق يقال في القليل فان الذوق من اكل
اكثر ما يقال ذقت ويقال في النفي ما ذقت في بيته طعاما نفيا للقليل ليلزم نفي الكثير بالاولى ثم ان تلك
الرحمة لما كانت خالية متقطعة ولم يكن مستمرة في الكفر اذ لهم في الكفر عذاب فالشدة انهم قليلة فلما قال في العذاب ذوقوا
مس سقر ذوقوا ما كنتم تعملون ذق انك انت العزيز لان عذاب الله الواصل الى العبد بالنسبة الى رحمته الواصلة
الى عبيده آخرين في غاية القلة الثانية قوله تعالى منه اي من الضر في هذا التخصيص ما ذكرنا من الغاية وهي ان
الرحمة غير مطلقة لهم انما هي عن ذلك الضر وحده واما الفرج الموقح فلا يذوقون منه رحمة المسألة الثالثة
قال هاهنا اذا فريق منهم وقال في العنكبوت فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ولم يقل فريق وذلك لان المذكور
هناك ضر معين وهو ما يكون من هول البحر والمتخلص منه بالنسبة الى الخلق قليل والذي لا يشرك به بعد الخلاص
فريق منهم في غاية القلة فلم يجعل المشركين فريقا لقلة من خرج من الشرك واما المذكور هاهنا الضر مطلقا فيتناول
ضر البحر والامراض والاهوال والمتخلص من انواع الضر خلق كثير بل جميع الناس يكونون قد وقعوا في ضر ما وتخلصوا
منه والذي لا يبقى بعد الخلاص مشركا من جميع الانواع اذا جمع فهو خلق عظيم وهم جميع المسلمين فانهم تخلصوا
من ضر ولم يبقوا مشركين واما المسلمون فلم يتخلصوا من ضر البحر باجمعهم فلما كان الناجي من الضر المؤمن منهم
كثيرا جعل الباقي فريقا ثم قال تعالى ليكفروا بما آتيناهم تقدم تفسيره في العنكبوت في بيان فايدة
الخطاب هاهنا في قوله فتمتعوا وعدمه هناك وقوله فليتمتعوا فسوف تعلمون فسوف يعلمون لما كان الضر المذكور
هناك ضرا واحدا جاز ان لا يكون في ذلك الموضع من المخلصين من ذلك الضر احد فلم يخاطب ولما كان المذكور هاهنا مطلق
الضر ولا يخلو موضع من المخلصين عن الضر فالحاضر يصح خطابه فانه منهم فخاطب ثم قال تعالى ام انزلنا
عليهم سلطانا لما سبق قوله تعالى بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم اي المشركون يقولون ما لا علم لهم به بل هم عالمون بخلافه
فانهم وقت الضر يرجعون الى الله فحقق ذلك بالاستفهام بمعنى الانكار اي ما انزلنا بما يقولون سلطانا وفيه مسائل
المسألة الاولى ام للاستفهام ولا يقع الا متوسطا كما قال قائلهم ابا ظبية الوعساء بين جلاجل وبين النقا آأنت ام ام سالم
فما الاستفهام الذي قبله فنقول تقديره اذا ظهرت هذه الحجج على عنادهم فماذا نقول لهم انهم يسمعون
ام اتبعوا من غير علم ام لهم دليل على ما يقولون وليس الثاني فتعين الاول المسألة الثانية قوله فهو يتكلم مجاز
كما يقال ان كتابه لينطق بكذا وفيه معنى لطيف وهو ان المتكلم من غير دليل كانه لا كلام له لان الكلام هو المسموع

وما لا نقل

البروج

وما لا يقبل فكانه لم يسمع فكان المتكلم لم يتكلم به وما لا دليل عليه لا يقبل فاذا جاز سلب الكلام عن المتكلم عند عدم الدليل
وحسن جاز اثبات التكلم للدليل وحسن ثم قال تعالى واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها لما بين حال
المشرك الظاهر شركه بين حال المشرك الذي دونه وهو من يكون عبادته لله للدنيا فاذا اتاه رضي واذا منعه سخط
وقنط ولا ينبغي ان يكون العبد كذلك بل ينبغي ان يعبد الله في الشدة والرخاء فمن الناس من يعبد الله في الشدة
كما قال تعالى واذا مس الناس ضر دعوا ربهم ومن الناس من يعبده اذا اتاه نعمة كما قال تعالى واذا اذقنا
الناس رحمة فرحوا بها والاول كالذي يخدم مكرها مخافة العقاب والثاني كالذي يخدم اجيرا لتوقع الاجر
وكلاهما لا يكون من المثبتين في الديوان المرتبين في الجرايد الذين يأخذون رزقهم سواء كان هناك شغل
او لم يكن وكذلك الغلمان لا يكونون من المؤمنين الذين لهم رزق عند ربهم وفيه مسائل الاولى قوله تعالى فرحوا
بها اشارة الى دنو همتهم وقصور نظرهم فان فرحهم يكون بما وصل اليهم لا بمن وصل منه اليهم فان قيل ما بال
الفرح بالرحمة مأمور به في قوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وهاهنا ذمهم على الفرح بالرحمة
فكيف يكون ذلك فنقول هناك قال فليفرحوا برحمة الله من حيث انها مضافة الى الله وهاهنا فرحوا بنفس الرحمة
حتى لو كان المطر من غير الله لكان فرحهم به مثل فرحهم بما اذا كان من الله وهو كما ان الملك لو حط عند امير رغيفا
على السماط او امر الغلمان بان يحطوا عنده زبدية طعام يفرح ذلك الامير به ولو اعطى الملك فقيرا غير
ملتفت اليه رغيفا او زبدية طعام ايضا يفرح لكن فرح الامير هناك من الملك وفرح الفقير يكون في الرغيف
والزبدية وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم لم يذكر عند النعمة سببا لها لتفضله بها وذكر عند العذاب سببا لان الاول
تزيد في الاحسان والثاني تحقق العدل قوله اذا هم يقنطون اي المفاجأة اي لا يصبرون على ذلك قليلا لعل الله
يفرج عنهم وانه يذكرهم به ثم قال اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يعني لما علموا ان الكل من
الله فالمحقق ينبغي ان لا يكون نظره على ما يوجد بل الى من يوجد وهو الله فلا يكون له تبدل حال وانما يكون عنده الفرح
الدائم ولكن ذلك مرتبة المؤمن الموحد المحقق ولذلك قال ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ثم قال تعالى
فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل وجه تعلق الآية بما قبلها هو ان الله تعالى لما بين ان العبادة لا ينبغي ان
يكون مقصورة على حالة الشدة بقوله واذا مس الناس ضر دعوا ربهم ولا ان تكون مقصورة على حالة الاخذ من الدنيا
كما هو عادة المتكلف يعبد الله اذا كان في الخوانق والرباطات للرغيف والزبدية واذا خلا بنفسه
لا يذكر الله بقوله واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها بين انه ينبغي ان يكون في حالة بسط الرزق له وتقديره عليه نظره
على الله الخالق الرازق فحصل الارشاد الى تعظيم الله والاحسان فيه بان يعظم امر الله ويشفق على خلق الله فقال
بعد ذلك فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل وجه آخر هو ان الله تعالى لما بين انه يبسط
الرزق ويقدر فلا ينبغي ان يتوقف الانسان في الاحسان فان الله اذا بسط الرزق لا ينقص بالانفاق واذا قدر
لم يزداد بالامساك وفيه مسائل الاولى في تخصيص اقسام الثلاثة بالذكر دون غيرهم مع ان الله ذكر الاصناف
الثمانية في الصدقات فنقول اراد هاهنا بيان من يجب الاحسان اليه على كل من له مال سواء كان زكويا او لم يكن
وسواء كان بعد الحول او قبله لان المقصود هاهنا الشفقة العامة وهؤلاء الثلاثة يجب الاحسان اليهم وان لم يكن للمحسن
مال زائد اما القريب فيجب نفقته وان كان لم يجب عليه عقارا وما لم يحل عليه الحول والمسكين كذلك فان من
لا شيء له اذا بقي في ورطة الحاجة حتى بلغ الشدة يجب على من له مقدرة دفع حاجته وان لم يكن عليه زكوة
وكذلك من انقطع في مفازة ومع احد دابة يمكنه بها ايصاله الى مامنه لزمه ذلك وان لم يكن عليه زكوة والفقير
داخل في المسكين لان من اوصى للمساكين شيئا يصرف الى الفقراء ايضا واذا نظرت الى الباقين من الاصناف رايتهم
لا يجب صرف المال اليهم الا على الذين وجب الزكوة عليهم واعتبر ذلك في العاملين والمكاتب والمؤلفة والمديون
ثم اعلم ان على مذهب ابي حنيفة رحمه الله حيث قال المسكين من له شيء فنقول ذلك كان الفقير كذلك

بهيبة

لكن لا نزاع في ان الحلال المسكر على من اتى له جاز ان يكون الحلال ها هنا بذلك الوجه والعفو بدخول الجنة وذلك الطريق
المراد من المسئله الثامنه في سهم البعض على البعض بسوال ما كان يدفع حاجه المريد احيانا والحاجات في سر له
ومخمصه ادم لكن كان متوفرا على من الاخيه يدفع حاجته من غير سوال الزكوه لما اذا كانت في سره ولما كان المسكر حاجة
ليست مختصه لموضع كان متعلما على من حاجته مختصه لموضع دون موضع المسئله الثالثه ذكر الاقارب في جميع
المواضع بهذا اللفظ وهو ذي القربى ولم يذكر المسكين بلفظ ذي المسكنه وذلك لان القرابه تجدد فيه شي ثابت
وقد ذكرنا لا اتصال الاتي الثابت فان من صدر منه نوال مرة بعد مرة او حصل له جاه او يرها ولهذا او وجد منه فضل في
وقتا انه ذو الجاه وذو فضل واذا لم ذلك له او وجد منه ذلك كثيرا يقال له ذو النوال وذو الفضل
فقال ذو القربى اشاره الى ان هنا حق ثابت لما ابدا اما المسكنه فنظرا ان ذلك ولهذا المعنى يقال مسكين ولا يقال ذو مسكنه
فان المسكين يدوم له كونه ذا متربه ما دامت مسكنته اذ يمكن كذلك في اكثر الحال المسئله الرابعه قال فات
ذا القربى حقه ثم عطف المسكين وابن السبيل ولم يقل فات ذا القربى والمسكين وابن السبيل حقهم لان العوده الثانيه
لكن صدور الكلام اولا للتشريك وارادوا على الكلام كانه يقول اعط ذا القربى حقه ثم ذكر المسكين
وابن السبيل بالتبعيه ولهذا المعنى لقال الملك حل فلانا وفلانا ايضا لم يمكن في المعظم حرف ما اذا قال خل فلانا
وفلانا ادخل الشرفا الى هنا اشار النبي عليه السلام بين خطيب القوم انت حيث قال الرجل من اطاع الله ورسوله فقد اهتدى
ومن عصاهما فقد غوى ولم يقل ومن عصى الله ورسوله المسئله الخامسه قوله ذلكم خير لكم لم يقل معناه خير
من غيره ويمكن ان يقال ذلك خير في نفسه وان لم ينسب الى غيره لقوله تعالى وافعلوا الخير وسابقوا الى الخيرات والثاني
اولى لعدم احتياجه الى اضمار وتقدير ولكونه اكثر فائده لان الخير من الحسن العزيز يكمن ان لا الخير عند من له حجه ما بناسب
اليه كما يقال الكون خير من الكذب في موضع في نفسه نفع حسن ويقل صالح يرفع المسئله السادسه قوله تعالى
للذين يريدون وجه الله اشاره الى ان الاعتبار بالقصد لا بنفس الفعل فان من انفق جميع امواله رياء الناس لم ينال
درجه من يتصدق برغيف لله وتولى وجه الله اي يكن عطاه الله عز وجل اعطى الجنه لم يرد به وجه الله وانما
اراد مخلوقا له المسئله السابعه كيف قال واولئك هم المفلحون مع ان للفلاح شرايط اخر وهي المذكوره في قوله
قد افلح المومنون بقوله كل وصف مذكور هناك يفيد الفلاح فقوله بقوله والذين هم للزكوة فاعلون وقوله والذين هم
لاماناتهم وعهدهم راعون الى غير ذلك عطف على الخطاب يعد امنا ذلك فلاح اخر منها فالسابع لا يحصل الا فلاح
لمن تتفرق وابتلي بقوله هنا كقول القابل العالم مكرم اي ينظر الى علمه ثم اذا اخذ في الزنا على سبيل الكمال
ويلحقه في السرقة لا يبطل ذلك القول حتى يقول القابل انما ذلك لانه اتى بالفسق ولكن ذلك ابتغى المال لوجه الله [كان ا]
يفيد الفلاح اللهم الا ان يقال ما يغ من لي يكاب محظورا او يترك واجب المسئله الثامنه لم لم يذكر غيره من الاعمال
كالصلوه وغيرها نقول الصلوه مذكوره من قبل لان الخطاب هنا بقوله فات مع النبي عليه السلام وغيره تبع فقد قال
له من قبل فاقم وجهك للدين حنيفا وقال منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلوه المسئله التاسعه ذكر فاذلك
هم المفلحون هم منه الحصر وقد قال في اول سوره البقره اولئك هم المفلحون اشاره الى من اقام الصلوه واتى الزكوه
وامن بما انزل على الرسول وبما انزل من قبله وبالاخره فلو كان الفلاح منحصرا في اولئك المذكورين في سوره البقره
فهذا خارج عنهم يكون متناقضا يقول هذا هو ذاك لانا بينا ان قوله فاقم وجهك للدين متصل بهذا الكلام فاذا
اقام الصلوه واتى المال واراد وجه الله تعالى ثبت انه مومن مقيم للصلوه موت للزكوه معترف بالاخره فصار
مثل المذكورين في البقره ثم قال تعالى وما اتيتم من ربا ليربوا في اموال الناس فلا يربو ذكر هذا تحريضا
يعني انكم اذا طلبتم واحدا بالربوا وتبغون به ذلك فانه ولكن لا يربو عند الله والزكوه تنمو عند الله كما اخبر
النبي عليه السلام ان الصدقه تقع في يد الرحمن فتربو حتى تصير مثل الجبل فينبغي ان يكون اقبالكم على الزكوه اكثر
وقوله وما اتيتم من زكوه تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون اي اولئك ذوو الاضعاف كالموسر لذي اليسار

واقل ذلك

195

واقل ذلك عشر اضعاف كل مثل لما اتى من قوله حسنه لانه المضعفا لا انهم ان من اعطى رغيفا يعطيه الله عشر
امثاله بل معناه ان ما سمعته فعله من الثواب على وجه الرحمه فمنا عنه اخبر عشر مرات على وجه التفضل فيما لو عف
الواحد يمكن فضل في الجنه مثله من كل شي ثوابا نظرا الى الرحمه وعشره تضعيف مثله نظرا الى الفضل مثاله
في الشاهد يكسر عظم قبل من عباع هديه ثمنها انهم لو عوضه يعشر ثمنه لم يمكن كرما بل اذا جرت عادته بانه يعطي
على مثل ذلك الفا فاذا اعطى له عشر الاف فقد ضاعف له الثواب ثم قال الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم
رزقكم اي ابقاكم فان المومن مخلوق وليس مبقى ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل ذلكم من شي
سبحانه وتعالى عما يشركون فقال سبحانه اي سبحوه سبحا اي نزهوه ولا تصفوه بالاشراك وتركه تعالى
اي من يكون عليه ذلك ونعنا الات من لا يتصرف بشي وتحوز عليه ما اذا قال سبحوه اي لا تعفوه وادا قال تعالى
بكانه قال ولا يجوز عليه ذلك ثم انه تعالى قال ظهر الفساد في البر والبحر وجه تعلق الايه بما قبلها هو
ان الشرك سبب الفساد كما قال تعالى لو كان فيهما الهه الا الله لفسدتا واذا كان الشرك سببه جعل الله اظهارهم
الشرك مورثا لظهور الفساد ولو فعل بهم ما يقتضيه قولهم لفسدت السموات والارض كما قال تعالى تكاد السموات
يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا والى هذا اشار بقوله تعالى ليذيقهم بعض الذي عملوا واختلفت اقوال
في قوله في البر والبحر فقال بعض المفسرين المراد خوف الحيوان في البر والبحر وقال بعضهم عدم انبات
بعض الارض وملوحه مياه البحار وقال بعضهم المراد من البحر المدن فان العرب تسمي المداين بحورا لكون
مبنى عمارتها على الماء وعلى هذا ان ظهور الفساد في البحر قلة مياه العيون فانها من البحار واعلم ان كل فساد
يكون فهو بسبب الشرك لكن الشرك قد يكون في العمل دون القول والاعتقاد فيسمى فسقا وعصيانا وذلك لان المعصيه
فعل لا يكون لله بل يكون للنفس فالفاسق مشرك بالله بفعله غايته ما في الباب ان الشرك بالفعل لا يوجب الخلود
لان اصل الفعل ما يبقى ولسانه فاذا لم يوجد منها الا التوحيد يزول الشرك البقي بسببهما وقوله ليذيقهم بعض الذي
عملوا قد ذكرنا ان ذلك ليس تمام جزاهم وكل موجب اثامهم ودوامه لعلهم يرجعون يعني كما يفعله المربوع رجعهم
مع ان الله يعلم ان من اضله لا يرجع لكن الناس يظنون انه لو فعل بهم شي من ذلك لكان يوجد منهم الرجوع كما ان
السيد اذا علم من عبده انه لا يرتدع بالكلام يقول القابل لماذا لا تؤدبه بالكلام فاذا قال له ينفع ربما ينفع
في نفسه انه لا يبعد عن نفع فاذا زجره ولم يرتدع يظهر له صدق كلام السيد ويطمئن قلبه ثم قال
تعالى قل سيروا في الارض ليتبين حالهم بظهور الفساد بسبب فسادهم بين لهم هلاك امثالهم و
اشكالهم الذين كانت افعالهم كافعالهم فقال قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبه الذين من قبل
اي قوم نوح وعاد وثمود وهذا ترتيب في غايه الحسن وذلك لانه تعالى في ردعه امثاله الى احسانه قال
الله الذي خلقكم ثم رزقكم اي اوجدكم ثم ابقاكم بالرزق ثم بين ان الطغيان بظهور الفساد في البر
والبحر اي قليل رزقكم ثم قال سيروا في الارض الى ما عندكم كما اعلم من قبلكم فكانه قال اعطاكم الوجود
والبقاء وسلب منكم البقاء والوجود اما سلب البقاء فبظهور الفساد وسلب الوجود فبالهلاك وعند الاعطاء
قدم الوجود على البقاء لان الوجود اولا ثم البقاء وعند السلب قدم البقاء تسلي وبين الاسم لا يرجع الوجود وقوله
كان اكثرهم مشركين يحتمل وجوها منها انه لما بين ان الهلاك بسبب الشرك كان الظاهر لو كان يعرق ايضا
كالهلاك بالفسق والمعاصي كما كان على اصحاب السبت الثاني ان كل من كان اهلكهم لم يكن مشركا بل منهم معطلا
نافيا لكنهم يقولون واكثر الكفار مشركون الثالث العذاب العاجل لم يختص بالمشركين حين ان العذاب
كما قال تعالى اتقوا فتنه لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصه بل كان على الصغار والمجانين ولكن اكثرهم
كانوا مشركين ثم قال تعالى فاقم وجهك للدين القيم لما نهى الكافر عما هو عليه امر المومن بما هو عليه وخاطب
النبي عليه السلام ليعلم المومن فيقبله ما هو مكلف به فانه امر بما هو فيه تثبيتا وللمومن في التكليف معا لهم تبيانا

كما قال عليه السلام ان الله امر عباده المؤمنين بما امر به عباده المرسلين وقد ذكرنا معناه وقوله من قبل ان ياتي يوم
لا مرد له والسائل يمكنه الرد لا مرد له من الله ان الله يرده وغيره عاجز عن رده فلابد من وقوعه يومئذ يصدعون
اي يتفرقون ثم اشار الى التفرق بقوله من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون ولن يزيد
فعليه كفره ومن عمل صالحا ولم يقل من امن وذلك لان العمل الصالح يتبع الايمان وذكر ههنا المكلف عليه واما
الكفر فاذا جاء فلانه للعمل معه وجميع امره من الكتب انه لصلاح العمل ومن لا اشراك العمل والباقي تبرك
وهو علم النظر ولا يكون العامل العالم اولا في نفسه الرسول ثم ما يشاء ثم ان يتوكل شيئا ما سبيلا الشرك
ادلة قبل كون الملائكة لبديع امر العمل الصالح بان لا عماد الحق عمل القلب وموالح الموالد الله على الخير وشيء منها لابد منه
الثانية قال ثعلبه ثم قد الكتابة فقال ولا يتبع معهما اشارة الى ان الرحمة اعم من الغضب فيتبعهم واهله ذوي
اما الغضب فبسوف الرحمة ثم من اسماء الله قال فعليه كفره ولم يبين وقال في المؤمنين فلانفسهم يمهدون
يحتمها الكمال الرحمة فانه عند الخير يبين ويفصل بابه وعند غيره اشار اليه اشارة ثم قال تعالى ليجزي
الذين امنوا وعملوا الصالحات ذكر زيادة تفصيل لما يمهد المؤمن بعمله الخير وعمله الصالح من الحق اليه جازيه
من الله والملائكة كان كبيرا كريما ووعد وعدا من عباده بان اجازيك يصل اليه اكثر مما يتوقعه
ثم اكده بقوله من فضله يعني انا الجازي فكيف يكون الجزاء الا اجازيكم من العدل وانما اجازيكم من الفضل
فيزداد الرجاء ثم قال انه لا يحب الكافرين او علمهم بوعيد ولم يفصله لما سيأتي لكان عند المحقق
هذا الاجمال فيه كل تفصيل فان عدم المحبة من الله نهاية العذاب وافهم ذلك من كيفية معشوق فاذا اخبر
العاشق بانه وعدك بالدراهم والدنانير كيف يكون مسرته واذا قيل له انه قال انا احتقرتك كيف
يكون سروره وفيه لطيفة وهي ان الله عندما اسند الكفر والايمان الى العبد قدم الكافر فقال
من كفر فعليه كفره وعندما اسند الجزاء الى نفسه قدم المؤمن فقال ليجزي الذين امنوا ثم قال انه لا يحب الكافرين
لان قوله من كفر في الحقيقة لمنع الكافر عن الكفر بالوعيد وتنبيه عن فعله بالتهديد فقوله من عمل صالحا
لتحريض المؤمن والنهي كالانقاذ والتحريض للتقريب ولم انقاذ مقدم عند الحكيم الرحيم واما عند ذكر الجزاء
فبالاحسان ظهار الكرم والرحمة فان قال قائل هذا انما يصح ان لو كان الذكر في كل موضع كذلك و
ليس كذلك فان الله في كثير من المواضع قدم ايمان المؤمن على كفر الكافر وقدم التعذيب على الاثابة
فنقول ان كان الله يوفقنا لبيان ذلك نبين ما اسعى يقتضيه ونحن نقول ان كل كلمة وردت في القران
لمعنى وكل ترتيب وجد فيه لحكمة لو ذكرت على خلافه لما كانت في درجه ما ادرك به القران ولنبين منه مثالا
فنقول قوله تعالى يومئذ يتفرقون فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة قدم المؤمن على الكافر
وههنا ذكر مثل ذلك المعنى في قوله يومئذ يصدعون اي يتفرقون وقدم الكافر على المؤمن فنقول هناك
ايضا قدم الكافر في الذكر لانه قال من قبل يوم تقوم الساعة يبلس المجرمون فذكر الكافر ابلاسهم ثم قال
ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فكان ذكر المؤمن حاصلا بد منه لبيان كيفية التفرق المجموع فان
يبلس المجرمون وحده لا يعلم حال المؤمن في روضة يحبرون لكن الله تعالى اعاد ذكر المجرمين مرة اخرى للتفصيل
وقال واما الذين كفروا ثم قال تعالى ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات لما ذكر ظهور الفساد والهلاك
بسبب الشرك ذكر ظهور الصلاح ولم يذكر انه بسبب العمل الصالح لما ذكرنا غير مرة ان الكريم لا يذكر لاحسانه عوضا
ويذكر لاجل مسببا لئلا يتوهم به الظلم فقال يرسل الرياح مبشرات قبل المطر كما قال تعالى نشرا بين
يدي رحمته اي قبل المطر يكون لها مبشرات بصلاح الاهوية والاحوال فان الرياح لو لم تهب لظهر الوباء
والفساد ثم قال وليذيقكم من رحمته عطفه على ما ذكرنا اي ليبشركم بصلاح الهواء وصحة الابدان وليذيقكم
من رحمته بالمطر وقد ذكرنا ان الاذاقة تقال في القليل ولما كان امر الدنيا قليلا وراحتها نزرة قال

تذيقكم

ليذيقكم ولتجري الفلك بامره ويوسع عليهم ويديم لهم ولتجري الفلك لما اسند الفعل الى الفلك عقبه بقوله
بامره اي الفعل ظاهر عليه ولكنه بامر الله ولذلك لما قال ولتبتغوا مسندا الى العباد ذكر بعده من فضله اي الاستقلال
لشيء بشيء ثم قال لعلكم تشكرون هذه النعم ... فوائد الرياح منها اصلاح الهواء ومنها اثارة السحاب ومنها
جريان الفلك بها فقال مبشرات باصلاح الهواء فان اصلاح الهواء يوجد من نفس الهبوب ثم الامطار بعده ثم جريان
الفلك فانه موقوف على اختيار من الادمي باصلاح السفن والقائها على البحر ثم ابتغاء الفضل بركوبها الى البلاد
ثم قال فانه تعالى ظهر الفساد ليذيقهم بعض الذي عملوا وقال ههنا ليذيقكم من رحمته فخاطبهم ههنا تشريفا
ولان رحمته قريب من المحسنين فالمحسن قريب فيخاطب واما المسيء فبعيد لم يخاطبهم وايضا قال بعض
الذي عملوا وقال ههنا من رحمته فاضاف ما اصابهم الى انفسهم واضاف ما اصاب المؤمن الى رحمته ثم ...
احسنا ما فكر فان الكريم لا يذكر لرحمته واحسانه عوضا ولو وجد فلا يقول اعطيتك لانك فعلت كذا بل يقول
هذا لك مني واما ما يفعل من الحسن يجزيه يقول عندك وبانبائه ان ما يكون سبب تقليل العبد ... قال
ارسلت الرياح بسبب فعلكم لم يكن بشارة عظيمة واما اذا قال من رحمته كان غاية البشارة ومعنى ثالث
هو ان الله لو قال بما فعلتم لكان ذلك موهما لنقصان ثوابهم في الاخرة واما في حق الكفار فاذا قال بما فعلتم
ينبئ عن نقصان عقابهم وهو كذلك السالة فانه قال لعلهم يرجعون وقال ههنا ولعلكم تشكرون
فالرجاء اشارة الى ان يوتيهم بالكل من النعم بعطف على النعم السابقة انما اخبار هذه الاية ان الايات قد
سبقت ذكرها ولنا انه ذكر من كل باب ايتين ذكر من المنعم في الخلق البرق والحادث في الجو في اكثر
الامر فاذا ذكر الرياح ههنا ذكرها وتقرير الدلائل ولما كانت الريح فيها فائدة غير المطر وليس في البرق فائدة
الا المطر ذكر هناك خوفا وطمعا اي قد يكون وقد لا يكون وذكر ههنا مبشرات لان تعديل الهواء وتصفيته بالريح
امر لازم وحكمه به حكم جازم ثم قال تعالى ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات
لما بين الاصلين بما تبين ذكر الاصل الثالث وهو النبوة فقال ولقد ارسلنا من قبلك رسلا اي ارسالهم دليل
رسالتك فانهم لم يكن لهم شغل غير شغلك ولم يظهر عليهم غير ما ظهر عليك ومن كذبهم اصابهم البوار ومن امن
بهم كان لهم الاستفادة وله وجه اخر يتبين على اية في الغاية وهو ان الله لما بين الاصلين ولم ينتفع بها الكفار
سلى قلب النبي عليه السلام وقال حال من تقدمك كان كذلك وجاءوا ايضا بالبينات وكان في قومهم كافر ومؤمن
كما في قومك فانتقمنا من الكافرين ونصرنا المؤمنين وفي قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين فانتقمنا
وكان الانتقام حقا واستانف وقال علينا نصر المؤمنين وعلى هذا يكون هذا بشارة للمؤمنين الذين امنوا
بمحمد صلى الله عليه وسلم اي علينا نصركم ايها المؤمنون والوجه الثاني يكون حقا اي نصر المؤمنين كان حقا علينا
وعلى الاول لطيفة وعلى الثاني لطيفة اما الاول فهو انه لما قال فانتقمنا بين انه لم يكن ظلما وانما كان عدلا
حقا وذلك لان الانتقام لم يكن الا بعد كون بقائهم غير مفيد الا زيادة الاثم وولادة الفاجر الكافر وكان عدمهم
خيرا من وجودهم الخبيث وعلى الثاني فاكيد البشارة لان كلمة على تفيد اللزوم فقال على ان نكرمكم وننجيكم من
النقم فاذا قال حقا اكد ذلك المعنى ... الى ان النصر هو الغلبة التي لا تكون عاقبتها وخيمة فان احدى
الطائفتين اذا انهزمت اولا ثم عادت فخاصمت النفس الاولى انهزم وكذلك ... لما ابتلي من نعمت
ثم ادركه الغرق لم يكن لهم العاقبة فالكافر ان يهزم المسلم في بعض الاوقات لا يكون ذلك نصرة اذ لا عاقبة
لهم ثم قال الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا بين دلائل الرياح على التفصيل الاول في ارسالها قدرة وحكمة اما
القدرة فظاهرة فان الهواء اللطيف الذي يشق الجبال يعير بحيث يقلع الشجر وهو ليس بذاته كذلك فهو بفاعل
مختار واما الحكمة ففي نفس الهبوب فيما ينفعهم اليه من اثارة السحاب ثم ذكر انواع السحب فمنه ما يكون
متصلا ومنه ما يكون قطعا ثم المطر يخرج منه والماء في الهواء عجيب عليه العدد وما يفضي اليه من انبات الزرع

وإدرار الضرع حكم بالفعل ثم إنه لا يعم بل يختص به قوم دون قوم وهو علامة المشيئة وقوله تعالى وإن كانوا من قبل
أن ينزل عليهم من قبله قال بعضهم هو تأكيد كما في قوله تعالى فكان عاقبتهما أنهما في النار
خالدين فيها وقال بعضهم من قبل التنزيل من قبل المطر والأولى أن يقال من قبل أن ينزل عليهم من قبله أي من قبل إرسال
الريح وذلك لأن بعد إرسال الريح يعرفون أن الريح فيها مطر أو ليس فيها مطر فقبل المطر إذا هبت الريح لا يكون مبلسا فلما قال
من قبل أن ينزل عليهم لم يعلم أنهم كانوا مبلسين لأن من قبله يحتمل أن يكونوا راجين غالبا على ظنهم المطر برؤية السحب
وهبوب الرياح فقال من قبله أي من قبل ما ذكرنا من إرسال الريح وبسط السحاب ثم لما فصل قال فانظر
إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى لما ذكر الدلائل قال إن ذلك لمحيي باللام
المؤكدة وباسم الفاعل فإن الإنسان إذا قال إن الملك يعطيك أو سيعطيك لا يفيد ما يفيد قوله إنه معطيك فإن الثاني
يفيد أنه أعطاك فكأنه هو معط متصف بالعطاء ولا كذلك أنه سيعطي فإنه سيتصف به ويبين هذا قوله
إنك ميت فإنه آكد من قوله إنك تموت وهو على كل شيء قدير تأكيدا لما تقدم الاعتراف به ثم قال تعالى
ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون يعني أنهم عند توقف الخير يكونون مبلسين آيسين وعند ظهوره يكونون
مستبشرين ثم بين أن تلك الحالة لا يدومون عليها بل إذا أصابهم ريح مصفر لكفروا فإنهم متقلبون غير ثابتين
نظرهم إلى الحال لا إلى المآل وفي الآية مسائل الأولى قال يرسل الرياح على صيغة الجمع وقال ههنا ولئن
أرسلنا ريحا على صيغة الإفراد لأن الرياح من رحمته فهي متواترة والريح من عذابه وهو تعالى
رؤوف بالعباد يمسكها ولذلك ترى الرياح النافعة تهب في الليالي والأيام في البراري والآكام وريح السموم
لا تهب إلا في بعض الأزمنة وفي بعض الأمكنة الثانية سمى النافعة رياحا والضارة ريحا لوجوه أحدها
أن النافعة كثيرة الأنواع كثيرة الأفراد فجمعها فإن كل يوم وليلة تهب نفحات من الرياح النافعة ولا
تهب الريح الضارة في أعوام بل الضارة في الغالب لا تهب في الدهور الثاني هو أن النافعة لا تكون إلا رياحا
فإن ما تهب مرة واحدة لا تنشئ السحاب ولا تجري السفن وأما الضارة فبنفخة واحدة تقتل
كريح السموم الثالث هو أن الريح المضرة إما أن تضر بكيفيتها أو بكميتها أما الكيفية فهي إذا كانت حارة أو
تكيفت بكيفية سمية وهذا لا يكون للريح في هبوبها وإنما يكون بسبب أن الهواء الساكن في بقعة فيها حشائش رديئة
أو في موضع فيه موجات حادة أو يكون متلوثة في ذلك المكان كذلك وكيفما كان فلا تكون واحدة في ذلك
الهواء كمن إذا أخذتم فيه فعلى ريح تحركه وتخرجه من ذلك المكان فتبيت على مواضع كالتجسيم حتى بعد
ذلك عن ذلك المكان كسحاب ولا يكيفها إلا المكث الطويل بشرط التكيف ألا ترى أنك لو أدخلت إصبعك
في نار وأخرجتها بسرعة لا تتأثر والحديد إذا مكث فيها مدة فإذا تحرك ذلك الساكن وتمزق لا يوجد
في تلك الوقتة منه شيء وأما المتولد كذلك فنادرة وموضع ندرتها واحدة وأما الكمية فالرياح
إذا اجتمعت وصارت كالجبال ومياه البحر إذا اجتمعت تصير أغلظها فتقلع البلاد
وتبدد الجلود ولا شك في أن ذلك يكون واحدة مجتمعة من كثير فلهذا قال في المضرة ريح وفي النافعة رياح
ثم إنه تعالى لما علم رسوله بأنواع الأدلة وأصناف الأمثلة ووعد وأوعد ولم يزدهم دعاؤه إلا فرارا و
إباؤه إلا إصرارا قال له إنك لا تسمع الموتى ودونه ما يدل على الأدلى في الترتيب فقوله لا تسمع الموتى
والمحال أبعد من الممكن ثم إرشاد الأصم صعب فإنه لا يسمع الكلام وإنما غاية ما يفهم بالإشارة
والإفهام بالإشارة صعب ثم إرشاد الأعمى صعب فإنك إذا قلت له الطريق على يمينك يدور إلى يمينه لكنه
لا يبقى عليه بل يحيد عن قريب والأصم أصعب ولهذا تكون المعاشرة مع الأعمى أسهل من المعاشرة
مع الأصم الذي لا يسمع شيئا لأن غاية الإفهام بالكلام فإن ما لا يفهم بالإشارة يفهم بالكلام وليس كل ما يفهم
بالكلام يفهم بالإشارة فإن المعدوم والغائب لا إشارة إليه فقال أولا لا تسمع الموتى ثم قال ولا الصم ولا

يهولك

سواء الأعمى الذي دون الأصم المسألة الثانية قال في الأصم إذا ولوا مدبرين ليكون أدخل في الامتناع وذلك
لأن الأصم إن كان يفهم فإنما يفهم بالإشارة لكن إذا ولى ولم يكن نظره إلى المشير فلا يسمع ولا يفهم المسألة الثالثة
قال في الصم لا تسمع الصم الدعاء ولم يقل في الموتى ذلك لأن الأصم قد يسمع الصوت الهائل كصوت الرعد القوي
ولكن صوت الداعي لا يبلغ ذلك الحد فقال لك إنك داع لست مبلغا إلى الإيمان والداعي لا يسمع الأصم دعاءه
المسألة الرابعة قال ههنا وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم ليس شغلك هداية العميان كما يقول القائل فلان ليس بشاعر
وإنما شغله شيء آخر وليس شغله ذلك فقوله إنك لا تسمع الموتى نفي لذلك عنه وقوله وما أنت بهادي العمي
نفي لسبب شغلك لذلك وما أرسلت له ثم قال إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا لما نفى إسماع الميت والأصم و
أثبت إسماع المؤمن بآيات الله لزم أن يكون المؤمن حيا سميعا وهو كذلك لأن المؤمن يرد على قلبه أمطار البراهين
فتنبت في قلبه العقائد الحقة ويسمع زواجر الوعظ فتظهر منه الأفعال الحسنة وهذا يدل على خلاف
مذهب المعتزلة فإنهم قالوا الله يريد من الكل الإيمان غير أن بعضهم يخالف إرادة الله وقوله إن تسمع إلا من يؤمن
دليل على أنه يؤمن فيسمعهم النبي عليه السلام ما يحب فيقبلون فهم مسلمون مطيعون كما قال تعالى عنهم قالوا سمعنا
وأطعنا ثم قال الله الذي خلقكم من ضعف أعاد من الدلائل التي مضت دليلا من دلائل الآفاق وهو
قوله الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا وذكر أحوال الريح من أوله إلى آخره أعاد دليلا من دلائل الأنفس
وهو خلق الآدمي وذكر أحواله فقال خلقكم من ضعف إشارة إلى الضعف كما قال تعالى خلق الإنسان
من عجل ومن ههنا كما يقول القائل فلان من كذا وجعله غير الحالة التي فيه ثم جعل من
بعد ضعف قوة فقوله من ضعف إشارة إلى حالة كان فيها جنينا وطفلا مولودا ورضيعا ومفطوما فهذه
أحوال غاية الضعف وقوله جعل من بعد ضعف قوة إشارة إلى حالة بلوغه وإتيانه وشبابه واكتهاله و
قوله ثم جعل من بعد قوة ضعفا إشارة إلى ما يكون بعد الكهولة من ظهور النقصان والشيبة هي تمام الضعف
ثم بين بقوله يخلق ما يشاء أن هذا ليس طبعا بل هو بمشيئة الله كما قال في دلائل الآفاق فيبسطه في السماء كيف
يشاء وهو العليم القدير قدم العلم على القدرة وقال من قبل وهو العزيز الحكيم فالعزة إشارة إلى كمال القدرة
والحكمة إلى العلم فقدم القدرة هناك وقدم العلم على القدرة ههنا لأن هناك المذكور الإعادة بقوله
وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم لأن الإعادة تكون بكن فيكون فالقدرة هناك أظهر
وههنا المذكور الابتداء وهو الأطوار والأحوال والعلم بكل حال حاصل فالعلم ههنا أظهر ثم إن قوله تعالى وهو العليم
القدير تبشير وإنذار لأنه إذا كان عالما بأحوال الخلق يكون عالما بأحوال المكلف فإن عمل خيرا علمه
وإن عمل شرا علمه ثم إذا كان قادرا فإذا علم الخير أثاب وإذا علم الشر عاقب ولما كان العلم بالأحوال
قبل الإثابة والعقاب اللذين هما بالقدرة قدم العلم وأما في الإعادة فالعلم بتلك الأحوال مع العقاب
فكان هو العزيز الحكيم وإلى مثل هذا أشار في قوله تبارك الله أحسن الخالقين حيث خلق الإنسان وقوله
أحسن إشارة إلى العلم لأن حسن الخلق بالعلم والخلق المستتم من قوله الخالقين إشارة إلى القدرة ثم لما بين
ذكر الابتداء والإعادة كالأنباء ذكر مدة كل واحدة منهما وقال تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون
ما لبثوا غير ساعة قيل ما لبثوا في الدنيا غير ساعة وقيل ما لبثوا في القبور وقيل ما لبثوا من زمان فناء
الدنيا إلى وقت النشور كذلك كانوا يؤفكون يصرفون عن الحق إلى الباطل وعن الصدق إلى الكذب وقال
الذين أوتوا العلم والإيمان من الملائكة وغيرهم لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث وفيه تحقيق ما هو المعنى
اللطيف في قول الحسن وهو أن الموعود إذا ضرب له أجل يستكثر الأجل ويريد تعجيله
والموعود إذا ضرب له الأجل يستقل المدة ويريد تأخيرها لكن المجرم إذا حشر علم أن مصيره إلى
النار فيستقل مدة اللبث ويختار تأخير الحشر والإبقاء في القبر والمؤمن إذا حشر علم أن مصيره إلى الجنة

بسبب كثرة المدة ولا يريد التأخير فيختلف المزعمات ويقول أحدهم إن مدة لبثنا قليل وإليه الإشارة بقوله يقسم المجرمون
ما لبثوا غير ساعة ويقول بعض لو لبثنا مديدا وإليه الإشارة بقوله تعالى وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد
لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث يعني كان في كتاب الله ضرب أجل إلى يوم البعث يعني صبرنا إلى يوم البعث و
هذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون أن طلبكم التأخير لأنكم كنتم لا تعلمون البعث ولا تعترفون به
فصار مصيركم إلى النار فتطلبون التأخير ثم قال تعالى فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون
أي لا يطلب منهم العتاب يعني لا يقال لهم أعتبوا يعني التوبة التي يزيل الجريمة لا تطلب منهم لأنها لا تقبل منهم ثم قال
ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل إشارة إلى إزالة الأعذار والإتيان بما فوق الكفاية من الإنذار
وإلى أنه لم يبق من جانب الرسول تقصير فإن طلبوا شيئا آخر فذلك عناد ومن هان عليه تكذيب دليل لا يصعب
عليه تكذيب الدلائل بل يجوز للمستدل أن يشرع في دليل آخر بعدما ذكر دليلا جيدا مستقيما ظاهرا لا غبار عليه
وعاند الخصم لأنه إما أن يعترف بورود سؤال الخصم عليه إذا شرع فيما ثانيا فيعترف بكونه منقطعا عاجزا
شرع في الدليل إذ المستدل إذا قال إن الدليل فاسد إذا ثبت أن المستدل جاهل يروج الدلالة ولم يسر الأول وكلاهما
لا يجوز الاعتراف به من العالم فكيف من النبي عليه السلام ولئن لم يعترف يكون الشروع في غير موضعه أن الخصم
ليس معاندا فيكون إخبارا على العناد في الأول الحجة لأنه يعرف العناد فإذا في الأول حيث إنه ذكر
دليلا آخر فإن قيل فلا يبقى على ما ذكر أنواعا من الدلائل يقول ذكر ونقاسر ذكرنا فيذكر أن كرروا
لكن يكون للدليل عليه من وجوه ثم كذا وإن كذا وفي مثل هذا الواجب عليهم أن لا يلتفت
إلى عناد المعاند ثم يزيد يعاند حتى يضيع الوقت فلا يمكن المستدل من بيان صحيحه بعد من الدلائل
فيسقط درجته فإذا الأولى كان مقابلة إلى هذا ودعت الإشارة بقوله تعالى ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا
إن أنتم إلا مبطلون وحد الخطاب بقوله ولئن جئتهم والجمع في قوله إن أنتم لطيفة وهي أن الله قال
ولئن جئتهم بكل آية جاءت بها الرسل ويمكن أن يقال نقول أنتم كلكم أيها المدعون للرسالة مبطلون ثم بين الله
تعالى أن ذلك بطبع الله على قلوبهم بقوله كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون فإن قيل من لا يعلم شيئا
أية فائدة في الإخبار عن الطبع على قلبه يقول المعنى هو أن من لا يعلم الآن فقد طبع الله على قلبه من قبل ثم إنه
تعالى سلى قلب النبي عليه السلام بقوله فاصبر إن وعد الله حق أي إن صدقك يبين وعلم ولا يستخفنك الذين
لا يوقنون أي إنه الذي يوجب ما دعوته النبي عليه السلام على الدعاء إلى الإيمان فإنك لو سكت لقال الكافرون إنه
متقلب الرأي لا ثبات له والله أعلم بالصواب ه

سورة لقمان

بسم الله الرحمن الرحيم الم وجه ارتباط أول هذه السورة
بآخر ما قبلها هو أن الله لما قال ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل إشارة إلى كونه معجزا وقال ولئن جئتهم
بآية إشارة إلى أنهم يكفرون بالآيات بين ذلك بقوله الم تلك آيات الكتاب الحكيم أي هذه آيات ولم يؤمنوا بها وإلى هذه
أشار بعد هذا بقوله وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا هدى أي بيانا وفرقانا وأما التفسير [illegible]
تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى وكما قيل هناك إن المعنى تلك هذه كذلك قيل بأن المراد بتلك هذه
ويمكن أن يقال كما قلنا هناك أن تلك إشارة إلى الغائب معناها آيات القرآن آيات الكتاب الحكيم وعند إنزال
هذه الآيات التي نزلت مع الم تلك آيات الكتاب لم يكن جميع الآيات نزلت فقال تلك إشارة إلى الكل أي آيات
القرآن تلك الآيات وقال هنالك ولم يقل الحكيم وقال ثمة ذلك الكتاب ولم يقل الحكيم وههنا قال
الحكيم فلما زاد ذكر وصف الكتاب زاد ذكر أحواله فقال هدى ورحمة وقال هناك هدى
فقوله هدى في مقابلة قوله الكتاب وقوله رحمة في مقابلة قوله الحكيم ووصف الكتاب بالحكيم على معنى ذي الحكمة
كقوله تعالى في عيشة راضية أي ذات رضى المسألة الثانية قال هناك للمتقين وقال ههنا للمحسنين

لما ذكر

لما ذكر أنه هدى ولم يذكر شيئا آخر قال للمتقين أي يهتدي به من يتقي الشرك والعناد والتعصب وينظر فيه من غير
عناد ولما زاد ههنا رحمة قال للمحسنين أي المتقين الشرك والعناد الآتين بكلمة الإحسان فالمحسن هو الآتي بالإيمان
والمتقي هو التارك للكفر كما قال تعالى إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ومن جانب الكفر كان متقيا وله الجنة
ومن أتى بحقيقة الإيمان كان محسنا وله الزيادة لقوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولأنه لما ذكر أنه رحمة قال للمحسنين
لأن رحمة الله قريب من المحسنين المسألة الثالثة قال هناك الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وقال ههنا الذين يقيمون
الصلاة ولم يقل يؤمنون لما بينا أن المتقي هو التارك للكفر ولزمه أن يكون مؤمنا والمحسن هو الآتي بحقيقة الإيمان ولزمه أن
لا يكون كافرا فلما كان المتقي دالا على المؤمن قال الذين يؤمنون صرح بالإيمان هناك تبيينا ولما كان المحسن دالا على الإيمان بالتضمين
لم يصرح بالإيمان بقوله الذين يقيمون الصلاة وقد ذكرنا أن في الصلاة ولا تمام لها وما في الزكاة والتمام بها وذكرنا في تفسير
الإمساك في دلالتها إلى أن الصلاة ترك التشبه بالسيد فإنا عباد وهو رب والله يجب له العبادة ولا يجب على العبادة
وترك التشبه لازم على العبيد في الطعم ولا يجلس عند جلوسه ولا يتكئ عند اتكائه والزكاة ترك التشبه بالسيد فإنا
ندفع حاجة الغني والله دافع الحاجات والتشبه لازم على العبيد فما في أمر كان عبد العالم لا يلبس لباس
الأجناد وعبد الجندي لا يلبس لباس الزهاد ويعم تمام العبودية ثم قال تعالى ومن الناس من يشتري
لهو الحديث لما بين أن القرآن كتاب حكيم يشتمل على آيات حكمية بين حال الكفار أنهم يتركون ذلك ويشتغلون بغيره
ثم إن فيه ما يبين سوء صنيعهم من وجوه الأول أن ترك الحكمة والاشتغال بحديث آخر قبيح الثاني هو أن الحديث
إذا كان لهوا لا فائدة فيه كان أقبح الثالث هو أن الشراء يقصد به الاجتهاد كما نقل عن ابن عباس رضي الله عنه
أنه قال اجتمعوا ونقل عن النبي عليه السلام أنه قال فاسمعوا بالعزلة [illegible] لا يجد من المطالبة
والخواص يقولون بمولع ما النظر إلى جانب الحق فإن التلذذ به لا يعنيهم ثم إنه لم يكن تعلمهم إلا الإضلال بقوله ليضل عن
سبيل الله كان فعله أدخل في القبح ثم قوله بغير علم عائد إلى الشراء أي يشتري بغير علم ويتخذها أي السبيل هزوا
أولئك لهم عذاب مهين وقوله مهين إشارة إلى أمر يفهم منه التذليل وذلك لأن الملك إذا أمر بتعذيب عبد من عبيده
فالجلاد إن علم أنه ممن يعود إلى خدمة الملك ولا يتركه الملك في الحبس يكرمه ويخفف من تعذيبه ولئن علم أنه
لا يعود إلى ما كان عليه وأمره بالانتقاء فإنه لا يكرمه فقوله عذاب مهين إشارة إلى هذا وبه يفترق عذاب
المؤمن وعذاب الكافر فإن عذاب المؤمن ليطهره وعذاب الكافر دائما وإذا تتلى عليه آياتنا أي يشتري الحديث الباطل
والحق الصريح يأتيه مجانا يعرض عنه وإذا نظرت فيه مرتين هذا الكلام من حيث إن المشتري يطلب المشترى مع
أنه يطلبه ببذل الثمن ومن يأتيه الشيء الذي لا يطلبه ولا يبذل شيئا لا يطلب العاقل الحكيم ما يأتي بجملة
ويشتريه بالثمن ما كانوا يطلبونها وإذ ألقاها عليهم مجانا ما كانوا يسمعونها ثم إن فيه أيضا مراتب الأولى التولية عن
الحكمة وهو قبيح والثاني الاستكبار ومن يشتري حكاية بهرام ورستم ويجيء إليه كتب كتمت مستغنيا عن الحكمة
حتى يستكبر عليها وإنما يستكبر المرء على الكلام إذا كان يقول أنا أقول مثله فمن لا يقدر يضع مثل تلك
الحكايات الباطلة كيف يستكبر على الحكمة البالغة التي هي عند الله الثالث قوله كأن لم يسمعها يشغل المتكبر
الذي لا يلتفت إلى الكلام ويجعل نفسه كأنها غافلة الرابع قوله كأن في أذنيه وقرا أي صمما وكل في إعلام ثم قال
فبشره بعذاب أليم أي له عذاب مهين بشره أنت به والأمر بإرسالهم ذلك لأن قال لهم لهذا الذي تتبوء لهذا اليوم
إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم لما بين حال من إذا تتلى عليه الآيات ولى بين حال من يقبل
على تلك الآيات ويقبلها وكما أن ذلك له مراتب من التولية والاستكبار والصمم كذلك هذا له مراتب من الإقبال والقبول والعمل به
فإن من يسمع شيئا ويقبله ولم يعمل به فلا يكون ثم إنه أعلمه جنات النعيم ولذلك
عذاب مهين وفيه لطائف إحداها توحيد العذاب وجمع الجنات إشارة إلى أن الرحمة واسعة أكثر من الغضب
الثانية تنكير العذاب وتعريف الجنة بالإضافة إلى المعرف إشارة إلى أن الرحمة بين النعيم تعرفها إيصالا

للراحة الى القلب ولاسيما النعمة والثابتة عليها نبيها اللذة ثم قال عذاب اليم ولم يصرح بانهم فيه خالدين
وانما اشار الى الخلود بقوله مهين وصرح في الثواب بالخلود بقوله خالدين فيها الرابعة اكد ذلك
بقوله وعد الله حقا ولم يذكر هناك الخامسة قال هناك فبشره بعذاب اليم وما قال ههنا بشرهم وعد الله
ثم لم يقل بشرهم بجنات البشارة لا تكون الا باعظم الممكن لكن الجنة ذكر والحمد لله الحب بشارة من الله بانها
تكمن بشارتهم منه برحمته ورضوانه كما قال تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم نعيم ولولا قوله
منه لما عظمت البشارة ولو كان منه مصرونه بامر من الجنة لكانت تلك بنور الجنة من عنده منه ثم قال
فتمسل فقد يبشر بالجنة واشرنا بالجنة الى كرم نوعد نبول البشارة ههنا كرم لكن بالجنة
وصيها بها وبما ذكر بعدها الى قوله تعالى نزلا من غفور رحيم والنزل ما يهيا عند النزول والاكرام
العظيم بعده وهو الجوهر الحكيم كامل العزة يوزن بالعوض ويثيب الفعل كامل العلم يفعل ما يفعل
كما ينبغي فلا يعذب من يؤمن ولا يثيب من يكفر ثم قال تعالى خلق السموات بغير عمد ترونها وحكمته
ترى خلق السموات بغير عمد خلف قول العلماء في السموات منهم من قال انها مبسوطة كصفحة مستوية
وهو قول اكثر المفسرين ومنهم من قال انها مستديرة وهو قول جميع المهندسين والغزالي رحمه الله قال
نحن نوافقهم في ذلك فان لهم عليه دليلا من المحسوسات ومخالفة الحس لا يجوز وان كان في الباب
خبر ناوله بما يحتمله فضلا من ان ليس في القرآن والخبر ما يدل على ذلك صريحا بل فيه ما يدل على الاستدارة
كما قال تعالى كل في فلك يسبحون والفلك اسم لشيء مستدير بل الواجب ان نقول السموات سواء كانت مستديرة او مصفحة
فهي مخلوقة بقدرة الله لا موجودة بايجاب وطبع واذا علم هذا فنقول السماء في مكان وهو فضاء والفضاء
لا نهاية له وكون السماء في بعضه دون بعض ليس الا بقدرة مختار واليه الاشارة بقوله بغير عمد اي ليس على شيء
تمنعها الزوال عن موضعها فهي لا تزول لقدرة الله تعالى وقال بعضهم المعنى ان السموات باسرها ومجموعها
لا مكان لها لان المكان ما يعتمد عليه ما فيه فيكون ممكنا والحيز ما ينتهي اليه المتمكن فيقال ههنا وهناك
ويعلم هذا بالمثال من يقع من السطح او الجبل ويقع في الهواء حتى اذا سال هو ههنا وهناك وليس
في مكان اذ لا يعتمد على شيء فاذا حصل على الارض حصل في مكان فاذا علم هذا فالسموات ليست في مكان
تعتمد عليه فلا عمد لها وقوله ترونها فيه وجهان احدهما انه راجع الى السموات اي ليست بعمد وانتم ترونها
كذلك بغير عمد والثاني انه راجع الى العمد اي بغير عمد مرئية ولو كان هناك عمد غير مرئية فهي بقدرة
الله دارت ثم قال تعالى والقى في الارض رواسي اي جبالا راسية ثابتة ان تميد اي كراهة
ان تميد وقيل المعنى ان لا تميد واعلم ان الارض ثباتها بسبب ثقلها والا كانت تزول عن موضعها
بسبب المياه والرياح ولو خلقها مثل الرمل لما كانت تثبت للزراعة كما نرى الاراضي الرملية ينتقل الرمل الذي
فيها من موضع الى موضع ثم قال تعالى وبث فيها من كل دابة اي سكون الارض فيه مصلحة حركة الدواب
فاسكنا الارض وحركنا الدواب ولو كانت الارض متزلزلة وبعض الاراضي يناسب بعض
الحيوانات لكانت الدابة التي لا تعيش في موضع تقع في ذلك الموضع فيكون فيه هلاك الدواب اما
اذا كانت الارض ساكنة والحيوانات متحركة فتتحرك في المواضع التي تناسبها وترعى فيها وتعيش فيها ثم
قال تعالى وانزلنا من السماء ماء هذه نعم اجراها الله على عباده وتمامها بسكون الارض لان
البذر لو لم يثبت في الارض لم يحصل الزرع ولو كانت اجزاء الارض متحركة كالرمل لما حصل النبات
ولما كمل المنافع والعدول من الغائبة الى النفس فيه فصاحة وحكمة اما الفصاحة فنذكرها في باب
البيانات منها ان السامع اذا سمع كلاما طويلا من نمط واحد ثم ترد عليه نمط آخر يستطيبه الا
ترى انك اذا قلت قال زيد كذا وقال خالد كذا وقال عمرو كذا ثم ان بكرا قال قولا حسنا لما

فذكرا

199

قد ذكر القول من ان فاما الحكمة فمن وجهين احدهما ان خلق الارض ثقيلا والسماء في غير مكان ويقع لجاهل
انه بالطبع وبث الدواب يقع لبعضهم انه باختيار الدابة لان لها اختيارا فيقول ذلك طبيعي والآخر
اختياري للمجبول ولكن لا يشك احد في ان الماء في الهواء متحمة فوق ليس طبعا فان الماء لا يكون بطبعه فوق
ولا اختيارا اذ الماء لا اختيار له فهو بارادة الله تعالى فاسندنا من السماء الماء الثاني هو ان الانسان نعم ظاهرة
مكررة في كل زمان متجددة في كل مكان فاسنده الى نفسه صريحا لينبه الانسان لشكر نعمته فيزيد له من
رحمته وقوله فانبتنا فيها من كل زوج اي من كل جنس وكل صنف بعضه زوجان للنبات اما الكريم شجرا
اما الكريم غير شجر والكريم شجرا اما الكريم غير ثمر واما الكريم عدم ثمر والمثمر كذلك منهم سمر ... كريم
ابي كونه كريما لانه ياتي حتما من غيرها بلد مكرم مثل ... ثم قال تعالى هذا خلق الله فاروني
ماذا خلق الذين من دونه يعني الله خالق وغيره ليس بخالق فكيف تتركون عبادة الخالق وتشتغلون بعبادة
المخلوق ثم قال بل الظالمون في ضلال مبين اي بين او مبين للعاقل انه ضلال وهذا لان ترك
الطريق والحيد عنه ضلال ثم ان كان الحيد عنه اذ يبره فهو لا يبعد عن الطريق المستقيم مثل ما يكون المقصد
المقصد فانه يكون غاية الضلال فالمقصود هو الله فمن يطلبه ويلتفت الى غيره من الدنيا واعرض فهو ضلال
لكن رجوعه الى الله فيصل الى المقصود لكن بعد تعب وطول مدة ومن يطلبه ولا يلتفت الى ما سواه يكون
كالمار على الطريق المستقيم يصل عن قريب من غير تعب واما الذي يولي لا يصل الى المقصود اصلا ولو دام في السير
والمراد بالظالمين المشركون الواضعون لعبادتهم في غير موضعها والواضعون انفسهم في عبادة غير الله ثم
قال تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة ان اشكر لله لما بين الله فساد اعتقادهم بسبب عنادهم
في اشراكهم بالله من لا يخلق شيئا من خلق كل شيء بقوله هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه وبين ان المشرك
ظالم ضال ذكر ما يدل على ان ضلالهم وظلمهم بمقتضى الحكمة ولم يكن هناك نبوة وهذا اشارة الى معنى
وهو ان اتباع النبي عليه السلام لازم فانه لا يعقل معناه اظهارا للتعبد فكيف ما يخفى بالنبوة بل يدرك بالعقل
معناه وما جاء به النبي عليه السلام كذلك بالحكمة وذكر حكاية لقمان وانه ادركه بالحكمة ... والحكمة
عبارة عن توفيق العمل بالعلم فكل من اوتي توفيق العمل بالعلم فقد اوتي الحكمة وان اردنا تحديدها بما يدخل
فيه حكمة الله تعالى فنقول حصول العمل على وفق المعلوم والدليل على ما ذكرنا ان من تعلم شيئا ولا يعلم مصالحه
ومفاسده لا يسمى حكيما وانما يسمى ... الا ترى ان من يلقي نفسه من مكان عال ووقع على موضع فانخسف
به وظهر له كنز وسلم لا يقال انه حكيم وان ظهر لفعله مصلحة وخلو عن مفسدة لعدم علمه به اولا ومن يعلم ان
الملقى منه اهلاك النفس ويلقي نفسه من ذلك المكان ويتكسر اعضاؤه لا يقال انه حكيم ولم يعمل بما يكون
في فعله ثم الذي يدل على ما ذكرنا قوله تعالى ان اشكر فان ان في مثل هذا تسمى المفسرة ففسر الله ايتاء الحكمة
بقوله ان اشكر لله وهو كذلك لان من جملة ما ... ان العمل موافق للعلم لان الانسان اذا علم امرين احدهما
اهم من الآخر فان اشتغل بالاهم كان عمله موافقا لعلمه وكان حكمة وان اهمل الاهم كان مخالفا للعلم وان
لم يكن من الحكمة في شيء لكن شكر الله اهم الاشياء والحكمة اول ما تقتضي ذلك ثم ان الله تعالى بين ان الشكر
لا ينفع الا الشاكر من يشكر فانما يشكر لنفسه وبين ان ما الكفران لا يضر غير الكافر بقوله ومن كفر
فان الله غني حميد اي الله غير محتاج الى شكر حتى يتضرر بكفران الكافر وهو في نفسه محمود سواء
شكره الناس او لم يشكروه وفي الآية مسائل ولطائف الاولى قال الله آتينا الحكمة بالامر بالشكر لكن الكافر
والجاهل يامرها الشكر ويسعى ليكتب فهل دخل الحكمة والجواب ان قوله تعالى ان اشكر لله امر تكوين معناه
آتيناه الحكمة بان جعلناه من الشاكرين وفي الكافر الحكمة امر تكليف المسالة الثانية قال في الشكر
ومن يشكر بصيغة المستقبل وقال في الكفران ومن كفر فان الله غني ولكن الشرط يجعل الماضي مستقبلا

في معنى واحد كقول القايل من دخل داري فله درهم ومن يدخل داري فله درهم يقول [illegible] اشاره الى [illegible]

الكفر يقول ان الشكر ينبغي ان يتكرر في كل وقت والشكور من يشكر ينبغي ان يشكر والكفر ينبغي ان ينقطع [illegible]

ينبغي ان يترك الكفور لان الشاكر من الشاكر لا ينتفع به الا انه بل لا يعود منه شي والمعني به ان الكافر ادخاله في الوجود

كما قال [illegible] عن ان الشكر ينفعك وكما قال تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله

تنبيها على ان الشكر بكماله لم يوجد بل الكفران يكون ومنه شي منه فان قال بصيغة الماضي

المسله الرابعة قال تعالى ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فعلق الشكر على الكفر وقال في سورة الروم من

كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون فقول ههنا كان الذكر للترهيب بقوله تعالى من قبل فاقم

وجهك للدين القيم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون وههنا الذكر للترغيب لان وعظ الاب للابن

يكون بطريق اللطف والوعد وقوله ومن عمل صالحا حقق ما ذكرنا ان المذكور في الروم لما كان بعد

اليوم الذي لا مرد له يكون الاعمال قد سبقت فقال بلفظ الماضي ومن عمل وههنا لما كان المذكور في الابتداء

قال ومن يشكر بلفظ المستقبل وقوله ومن كفر فان الله غني حميد الحامد حميد في ذاته من

غير حمد حامد وانما الحامد ينتفع بحمده لانه حامد لله ثم قال تعالى واذ قال لقمان لابنه وهو

يعظه عطف على معنى ما سبق وتقديره اتينا لقمان الحكمة حين جعلناه شاكرا في نفسه وحين جعلناه واعظا

لغيره وهذا لان علو مرتبة الانسان بان يكون كاملا في نفسه ومكملا لغيره فقوله ان اشكر اشارة الى

الكمال وقوله واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه اشارة الى التكميل وفي هذا لطيفة وهي ان الله ذكر لقمان

وشكره على ان ارشد ابنه ليعلم منه فضيلة النبي عليه السلم الذي ارشد الاجانب والاقارب فان ارشاد

الولد امر معتاد واما تحمل المشقة في تعليم الاباعد فلا ثم انه في الوعظ بدا بالاهم وهو المنع من الاشراك

وقال ان الشرك لظلم عظيم اما انه ظلم فلانه وضع النفس الشريفة المكرمة بقوله تعالى ولقد كرمنا بني ادم في عبادة

الخسيس او لانه وضع العبادة في غير موضعها وهي غير وجه الله وسبيله واما انه عظيم فلانه وضع في موضع

ليس موضعه ولا يجوز ان يكون موضعه وهذا لان من ياخذ مال زيد ويعطي عمرا يكون ظلما من حيث انه وضع

مال زيد في يد عمرو ولكن جاز ان يكون ذلك ملك عمرو او يصير ملكه ببيع سابق او بتمليك لاحق واما الاشراك

فوضع المعبودية في غير الله ولا يجوز ان يكون غيره معبودا اصلا ثم قال ووصينا الانسان بوالديه

لما منعه من العبادة لغير الله والخدمة قريبة منها في الصورة بين انها غير ممتنعة بل هي واجبة لغير الله في

بعض الصور مثل خدمة الابوين ثم بين السبب فقال حملته امه يعني لله على العبد نعمة الايجاد ابتداء

بالحلق ونعمة الابقاء بالرزق وجعل بفضله للام ما له صورة ذلك وان لم يكن لها حقيقة فان الحمل به يظهر

الوجود والرضاع يحصل التربية والبقاء فقال حملته امه اي صارت بقدرة الله سبب وجوده وفصاله

في عامين اي صارت بقدرته ايضا سبب بقائه فاذا كان منها ماله صورة الوجود والبقاء وجب عليه ماله شبه

العبادة من الخدمة فان الخدمة لها صورة العبادة فان قيل وصى الله بالوالدين وذكر السبب في حق الام فنقول

خص الام بالذكر وفي الاب ما وجد في الام فان الاب حمله في صلبه سنين ورباه بكسبه سنين فهو ابلغ

وقوله ان اشكر لي ولوالديك لما جعل بفضله للوالدين صورة ما لله من الايجاد والابقاء جعل للوالدين

ولهذا فان الله تعالى المصير اي الشكر ولوالديك وقال الي المصير يعني نعمهما مختصة بالدنيا ونعمي في الدنيا

والاخرة فان الي المصير اي الجزاء على الاعمال في الاخرة الي

ثم قال تعالى وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم يعني ان خدمتهما واجبة وطاعتهما لازمة

ما لم يكن فيها ترك طاعة الله اما اذا افضى اليه فلا تطعهما وقد ذكرنا تفسير الاية في العنكبوت وقال ههنا

واتبع سبيل من اناب الي يعني صاحبهما بجسدك فان حقهما على جسدك واتبع سبيل النبي بعقلك فانه مربي عقلك

كما ان الوالد مربي جسدك ثم قال تعالى يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل لما قال فانبئكم بما كنتم تعملون

وقع لابنه انه لا يعمل في صغيرة فقال يا بني انها اي الحسنة او السيئة ان كانت في الصغر مثل حبة خردل [illegible]

فاسبابها وتكون مع ذلك الصغر في موضع حريز كالصخرة لا تخفى على الله وفيه مسايل المسألة الاولى قوله فتكن بالفا للاتباع

والجمع بمعنى ان كانت صغيرة ومع صغرها تكون خفية في موضع حريز كالصخرة لا تخفى على الله لان الفا للتعقيب

بالتعقيب المسألة الثانية قوله في صخرة لا بد من ان يكون في السموات او في الارض فما الفايدة في ذكرها ولان العايد

لها [illegible] ... يكون فيها انه عم وقد ذكرنا في هذا التفسير [illegible]

الجواب عنه من وجوه احدها ما قاله بعض المفسرين ان المراد بالصخرة صخرة عليها الثور وهي لا في الارض

ولا في السما والثاني ما قاله الزمخشري وهو ان فيه اضمارا تقديره او يكون في صخرة او في موضع اخر في السموات او في الارض

والثالث ان يقول تقديم الخاص وتاخير العام في مثل هذا التقسيم جايز وتقديم العام وتاخير الخاص غير جايز اما

الثاني فلانه يقول ان من قال هذا في داري او في دار غيري ... داري او دار عمرو ولا يفيد ذلك فائدة

غيرها واما الاول فلان ... العايد هنا في دار زيد او في دار عمرو او في غيرها صحيح [illegible]

تقدم الاخص وتقول ههنا لما كان [illegible] ... تقديم الصخرة والمراد منه ان يكون [illegible]

... الحجب كان الشي الذي ... الخفية في صخرة غير محجوب فلا يخفى

على العالم فانبه الله بقوله ... في السموات او في الارض ... خردل اشارة الى الصغر

وقوله فتكن في صخرة اشارة الى الحجاب وقوله او في السموات اشارة الى البعد فانها ابعد الابعاد وقوله

او في الارض اشارة الى الظلمات فان جوف الارض اظلم الاماكن وقوله ياتي بها الله ابلغ من قول القايل

يعلمه الله لان من يظهر له الشي ولا يقدر على اظهاره لغيره يكون حاله في العلم دون حال من يظهر له الشي ويظهره لغيره

فقوله ياتي بها الله اي يظهرها الله للاشهاد وقوله ان الله لطيف اي نافذ القدرة خبير اي عالم ببواطن

الامور ثم قال يا بني اقم الصلوة لما منعه من الشرك وخوفه بعلم الله وقدرته امره بما يلزمه من

التوحيد وهو الصلوة وهي العبادة لوجه الله مخلصا وبهذا يعلم ان الصلوة كانت في ساير الملل غير انها تختلف

باختلاف ... بالمعروف وانه عن المنكر اي اذا كملت انت في نفسك بعبادة الله فكمل غيرك فان شغل الانبيا

وورثتهم من العلما هو ان يكملوا في انفسهم ويكملوا غيرهم فان قيل كيف قدم في وصيته لابنه

الامر بالمعروف على النهي عن المنكر وقدم النهي عن المنكر على الامر بالمعروف فانه اول ما قال يا بني لا تشرك

ثم قال اقم الصلوة فنقول هو كان يعلم من ابنه انه معترف بوجود الله فما امره بهذا المعروف

ونهاه عن المنكر الذي يترتب على هذا المعروف فان المشرك بالله لا يكون نافيا لله في الاعتقاد وان كان

يلزم نفيه بالدليل فكان كل معروف في مقابلة منكر والمعروف في معرفة الله اعتقاد وجوده والمنكر اعتقاد

وجود غيره معه فلم يامره بذلك المعروف لحصوله ونهاه عن المنكر لانه ورد في التفسير ان ابنه كان مشركا

فوعظه ولم يزل يعظه حتى اسلم واما ابنه فانه امره امرا مطلقا والمعروف مقدم على المنكر ثم قال

واصبر على ما اصابك يعني من يامر بالمعروف وينهى عن المنكر يوذى فامره بالصبر عليه وقوله ان ذلك من

عزم الامور اي من الامور الواجبة المعزومة اي المقطوعة [illegible] يكون المصدر بمعنى المفعول كما تقول الكل في

النهار وعنيت خبز ... ثم قال تعالى ولا تصعر خدك للناس لما امره بان يكون كاملا في نفسه

مكملا لغيره وكان يخشى بعدهما من امرين احدهما التكبر على الغير بسبب كونه مكملا له والثاني التبختر

في النفس بسبب كونه كاملا في نفسه فقال ولا تصعر خدك للناس متكبرا ولا تمش في الارض مرحا

تبخترا ان الله لا يحب كل مختال يعني من يكون به خيلا وهو الذي يرى الناس عظمة نفسه وهو التكبر

فخور يعني من يكون مفتخرا بنفسه وهو الذي يرى عظمة لنفسه في عينه وفي الاية لطيفة وهي ان الله تعالى

قدم الكمال على التكميل حيث قال اقم الصلوة ثم قال وامر بالمعروف وفي النهي قدم ما يورثه التكميل

على ما يريد الكمال حيث قال لا تصعر خدك ثم قال ولا تمش في الارض مرحا اى لا تطلب الاثبات من الكبر كما ملا
لم يكن يصير مكملا بعدم الكمال وفي طرف الذي يريد ان يكون متكبرا على غيره يكون متبخترا لانه ما يتكبر على الغير
الا عند اعتقاده انه اكبر منه من وجه واما من يكون متبخترا في نفسه فلا يتكبر وشرهم انه يتواضع للناس
فقدم نفي التكبر يعني التبختر لانه لو قدم نفي التبختر للزم منه نفي التكبر فلا يحتاج الى النهي عنه ومثاله
انه لا يحتاج ان يقال لا تنطق بالكل ان من لا ينطق بالكل ويحتاج ان يقال لا تنطق بالكل ويحتاج ان يقال لا تنطق بعد
بعد لا تاكل فانه لا يلزم مثل هذا الكلام يمكن التغيير بقوله لا تنطق ولا تاكل ان لا تنطق بالكل
ثم لا تاكل يتبين بدل الحكم قال تعالى واقصد في مشيك واغضض من صوتك لما قال ولا تمش في
الارض مرحا وعدم ذلك قد يكون بضده وهو الذي يكون غاية الاختلاف فمن يمشي المشي وقال الذي يكون في
نفسه الضعف فقد يوهم انه قال وافعل في مشيك الى ان يكون وسطا بين الطرفين المذمومين وفي الاية فوائد
الاولى هل للامر بالغض من الصوت مناسبة مع الامر بالقصد في المشي نقول نعم سواء علمنا نحن او لم نعلمها
وفي كلام الله من الفوائد ما لا يحصره حد ولا يحصيه عد ولا نعلمه الا الله نظهره ونقول اوله يقولون
ان الانسان لما كان شريفا تكون مطالبه شريفة فيكون فواتها خطرا فاقدر الله الانسان على تحصيلها بالمشي
فان عجز عن ادراك مقصوده ينادي مطلوبه فيقف له او يأتيه مشيا اليه فان عجز عن الملاع في
كلامه اليه يمكنه ايه وبعض الحيوانات يشارك الانسان في تحصيل المطلوب بالصوت كما ان الغنم
تطلب السخلة والبقرة العجل والناقة الفصيل بالثغاء والخوار والرغاء ولكن لا يتعلق غيرها والانسان
يميز البعض عن البعض فاذا كان المشي والصوت مفضيين الى مقصود ولعدم ما ارشده الى الحسن الذي هو
الثاني هو ان الانسان له ثلاثة اشياء عمل بالجوارح يشاركه فيه الحيوانات فانه حركة وسكون وقول باللسان لا يشاركه
فيه غيره وعزم بالقلب وهو لا اطلاع عليه الا لله وقد اشار اليه بقوله انها ان تك مثقال حبة من خردل الى قوله فتكن
بان الله خبير ثم قال يا بني اقم الصلوة ... اشارة الى التوسط في الاقوال الثلاثة سواء لعمل ... اراد
ان يبين ان اوسط الى السواد ونحوها وصاف الانسانية ورد اوصاف التي هي للملك الذي هو اعلى مرتبة منه ورد اوصاف التي للحيوان
الذي هو ادنى مرتبة منه فقوله واقم بالمعروف وانه عن المنكر اشارة الى المكارم المختصة بالانسان فان الملك لا يامر
ملكا اخر بشيء ولا ينهاه عن شيء وقوله ولا تصعر خدك ولا تمش في الارض مرحا الذي هو اشارة الى التكبر والتبختر
اشارة الى المكارم التي هي صفة الملائكة فان عدم التكبر والتبختر منفيهم وقوله واقصد في مشيك واغضض من
صوتك اشارة الى المكارم التي هي صفة الحيوان ثم قال تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحمير وفيه مسائل
الاولى ذكر المانع من رفع الصوت ولم يذكر المانع من سرعة المشي نقول اما على قولنا ان المشي والصوت كلاهما
موصلان الى شخص مطلوب ان الى كه بالمشي اليه فذاك والا فيوافقه بالنداء فنقول رفع الصوت يؤذي
السامع ويقرع الصماخ بقوة شديدة وربما يخرق الغشاء الذي داخل الاذن واما السرعة في المشي فلا تؤذي او ان كانت
تؤذي فلا تؤذي غير من في طريقه والصوت يبلغ من على اليمين واليسار ولان المشي يؤذي آلة المشي والصوت
يؤذي آلة السمع وآلة السمع على باب القلب فان الكلام من السمع ينتقل الى القلب ولا كذلك المشي واما على قولنا ان
الاشارة بالمشي والصوت الى الافعال والاقوال فلان القول قبيحه اقبح من قبيح الفعل وحسنه احسن لان اللسان
ترجمان القلب والاعتبار يصحح الدعوى المسالة الثانية كيف يفهم كونه انكر مع ان مس المسمار بالمبرد
وحت النحاس بالحديد اشد صوتا نقول الجواب عنه من وجهين احدهما ان المراد ان انكر اصوات
الحيوانات صوت الحمير فلا يرد ما ذكرتم وما ذكرتم في الحقيقة ليس للمصلحة وعمارة فلا ينكر بخلاف صوت
الحمير وهذا هو الجواب الثاني المسالة الثالثة انكر هو افعل التفضيل فمن اي باب هو نقول يحتمل
ان يكون من باب اطوع له من بابه بمعنى ان الانكر لا يجيء من فعل ولا في معقول ولا من باب العيوب

الامانة

الامانة لقولهم اطوع من كذا للتفضيل على المطيع واشغل من ذات النحيين على المشغول واحمق من هبنقة من باب
العيوب وعلى هذا فهو في باب افعل كاشغل في باب مفعول فيكون للتفضيل على المنكر او نقول هو من باب اشغل
ماخوذا من نكر الشيء فهو منكور وهذا انكر منه وعلى هذا فله معنى لطيف وهو ان كل حيوان قد يفهم من صوته
بانه يصيح من ثقل او تعب كالبعير او لغير ذلك والحمار لو مات تحت الحمل لا يصيح ولو قتل لا يصيح وفي بعض الاوقات
عدم الحاجة يصيح وينهق فصوته منكور ويمكن ان يقال هو من نكير كاجدر من جدير ثم قال تعالى
الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة لما استدل بقوله تعالى خلق
السموات بغير عمد ترونها على الوحدانية وبين بحكاية لقمان ان معرفة ذلك غير مختصة بالنبوة بل ذلك موافق
للحكمة وما جاء به النبي عليه السلم من التوحيد والصلوة ومكارم الاخلاق كلها حكمة بالغة ولو كان تعبدا محضا للزم
قبوله فضلا عن انه على وفق الحكمة استدل على الوحدانية بالنعمة لانا بينا مرارا ان الملك يخدم لعظمته وان لم ينعم
ويخدم لنعمه ايضا فلما بين انه المعبود لعظمته بخلقه السموات بلا عمد والقائه في الارض الرواسي و
ذكر بعض النعم بقوله وانزلنا من السماء ماء ذكر بعده عامة النعم فقال سخر لكم ما في السموات لمغفرة اهلكم
اي السموات ذات الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامر الله وفيها فوائد بقوله وانزلنا من السماء ماء ذكر بعده عامة
النعم فقال سخر لكم ما في السموات اي سخرها لاجلكم ما في السموات لعباده وسخر ما في الارض لاجل عباده و
قوله واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وهي ما في الاعضاء من السلامة وباطنة وهي ما في القوى فان العضو ظاهر
وفيه قوة باطنة الا ترى ان العين والاذن شحم وغضروف ظاهرا واللسان واليد لحم وعظم ظاهرا وفي كل
واحد معنى باطن من الابصار والسمع والذوق واللمس وكذلك كل عضو وقد تبطل القوة وتبقى العضو قائما وهذا
احسن مما قيل فان على هذا الوجه يكون الاستدلال بنعمة الآفاق ونعمة الانفس بقوله ما في السموات وما في الارض يكون
اشارة الى النعم الافاقية وقوله واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة يكون اشارة الى النعم الانفسية وفيها اقوال
كثيرة مذكورة في جميع كتب التفاسير ولا يبعد ان يكون ما ذكرناه مقولا وان لم يكن فلا يخرج من ان يكون ممكنا
معقولا ثم قال ومن الناس من يجادل في الله يعني لما ثبت الوحدانية بالخلق والانعام فمن الناس من يجادل
في الله ويثبت غيره اما الها او منعما بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير وهذه امور ثلاثة مترتبة العلم والهدى والكتاب
والعلم اعلى من الهدى والهدى من الكتاب وبيانه هو ان العلم يدخل فيه الاشياء الواضحة اللائحة التي يعلم من غير هداية
هاد ثم الهدى يدخل فيه الذي يكون في كتاب الذي يمكن ان يهام وحي فقال تعالى يجادل ذلك المجادل لا من علم
واضح ولا من هدى اتاه من هاد ولا من كتاب وكانه اشار الى الشارة الى مرتبة في من لدنه علما كما قال تعالى وعلمك
ما لم تكن تعلم والثاني اشارة الى مرتبة من هدى الى صراط مستقيم بواسطة كما قال تعالى علمه شديد القوى والثالث
اشارة الى مرتبة من اهتدى بواسطتين ولهذا قال تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين وقال في هذه السورة هدى ورحمة
للمحسنين وقال في السجدة ولقد اتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل فالكتاب هدى لقوم النبي والنبي هداه من الله
تعالى من غير واسطة او بواسطة الروح الامين فقال تعالى يجادل من يجادل لا بعلم اتيناه من لدنا كشفا ولا بهدى ارسلنا
اليه وحيا ولا بكتاب يتلى عليه وعظا ثم فيه لطيفة اخرى وهي انه تعالى قال في الحكاية ولا كتاب منير لان المجادل
منه من كان يجادل عن كتاب ولكن محرف مثل التوراة بعد التحريف فلو قال ولا كتاب لكان لقائل ان يقول لم يجادل
من غير كتاب فان بعضهم يقولون في كتابهم وكان المجوس والنصارى يقولون بالتثنية والتثليث عن كتابهم فقال
ولا كتاب منير فان ذلك الكتاب مظلم ولما كان يحتمل في المرتبة الادنى وهي الكتاب التحريف والتبديل لم يقل ولا علم ولا هدى منير وصف
او غير ذلك ثم قال تعالى واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا بين ان مجادلتهم مع كونها من غير علم
هي في غاية القبح فان النبي عليه السلم يدعوهم الى كلام الله وهم ياخذون بكلام آبائهم وبين كلام الله وكلام العلماء بون
عظيم فكيف ما بين كلام الله وكلام الجهلاء ثم ان ههنا نكتة اخرى وهو انهم قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا يعني ترك القول

النار لكن الله وتتبع الفعل والقول ادل من الفعل لان الفعل يحتمل ان يكون جائزا ويحتمل ان يكون حراما وهم يتعاطونه ويحتمل ان
يكون واجبا في اعتقادهم والقول بين الدلالة فلو سمعنا قولك يا بد الفعل ورايتنا فعله يدل على خلاف قوله لكان الواجب
يؤخذ بالقول فكيف والقول من الله والفعل من الجهال ثم قال سبحانه تعالى اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير
استفهاما على سبيل التعجب في انكار يعني الشيطان يدعوهم الى العذاب والله يدعوهم الى الثواب وهم مع هذا يتبعون الشيطان
ثم قال سبحانه تعالى ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى لما بين حال المشرك المجادل في الله
بين حال المسلم المستسلم لامر الله وقوله ومن يسلم وجهه الى الله اشارة الى الايمان وهو محسن اشارة الى العمل الصالح
فيكون كقوله تعالى من امن وعمل صالحا ووصفه انه استمسك بالعروة الوثقى انه استمسك بحبل لا انقطاع له ويرتقي
بسببه الى اعلى المقامات وفي الايه مسايل الاولى قال هاهنا من يسلم وجهه الى الله وقال في البقرة بلى من اسلم وجهه لله
فعداه هاهنا بالى وهناك باللام قال الزمخشري معنى قوله اسلم لله انه جعل نفسه لله سالما اي خالصا والوجه بمعنى
النفس والذات ومعنى قوله يسلم وجهه الى الله انه يسلم نفسه الى الله كما يسلم واحد متاعا الى غيره ولم يزد على هذا
ويمكن ان يزاد عليه ويقال من اسلم لله اعلى درجة ممن يسلم الى الله لان الى للغاية واللام للاختصاص يقول القايل
اسلمت وجهي اليك اي توجهت نحوك وينبي هذا عن عدم الوصول لان التوجه الى الشي قبل الوصول اليه وقوله اسلمت
وجهي لك يفيد الاختصاص ولا ينبي عن الغاية التي تدل على المسافة وقطعها للوصول اذا علم هذا فنقول في البقرة
قالت اليهود والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فقال الله ردا عليهم تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم
ثم بين فساد قولهم بقوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله اي انتم مع انكم تتركون الله للدنيا وتتولون عنه بالباطل وتشترون
باياته ثمنا قليلا تدخلون الجنة ومن يكون بكليته لله لا يدخلها هذا كلام باطل فاورد عليهم من اسلم لله كله اي لا يشك
في ان [illegible] الصورة التي هي الزم ادلى فاورد عليهم المخلص الذي ليس له امر الا لله وقال انتم تقطعون الجنة وهذا يدخلها
ثم بين حالهم وقال بلى وبين انه يدخل الجنة ترجيه في العندية بقوله فله اجره عند ربه واما هاهنا اراد وعد المحسن
بالثواب والوصول الى الدرجة العالية فوعد من هو دونه ليدخل فيه من هو فوقه بالطريق الاولى ويعم الوعد وهذا من الفوايد
الجليلة ثم قال سبحانه تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى اوثق العرى جانب الله لان كل ما عداه هالك منقطع وهو باق لا انقطاع له ثم قال
والى الله عاقبة الامور يعني استمسك بعروة توصله الى الله وكل شي عاقبته اليه فاذا حصل في الحال ما اليه عاقبته فكان
عاقبته مستغابه الحسن وذلك ان من يعلم ان عاقبة الامر الى واحد يقدم اليه الهدايا قبل الوصول اليه
ليجد فايدته عند القدوم عليه فالى هنا وجعلت اشارة بقوله وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه ثم قال ومن كفر
فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبيهم بما عملوا لما بين حال المسلم رجع الى بيان حال الكافر وقال ومن كفر فلا يحزنك اي
لا تحزن اذا كفر كافر فان من يكذب وهو يعلم ان [illegible] يحزن بل [illegible]
على التكذيب اذا لم يكن هناك [illegible] الكذب من [illegible] فيخجله غاية التخجيل فاذا كان الامر
كذلك فيا ايها المكذب فلا يحزنك كفرهم فانا نرجعهم الينا فننبيهم بما عملوا يخجلون ثم قال ان الله
عليم بذات الصدور اي لا يخفى عليه سرهم وعلانيتهم فننبيهم بما في صدورهم وذات الصدور هي التي [illegible] ثم قال الله
تعالى نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ يعني [illegible] نمتعهم قليلا ثم نضطرهم ان
تسلط عليهم اغلظ عذاب حتى يرضوا بالسهم عذابا [illegible] الى عذاب النار فرارا من الملايكة
الغلاظ الشداد الذين [illegible] ثم بين
لهم [illegible]
تعالى فلا يحزنك كفرهم [illegible] ثم قال سبحانه تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله [illegible]
الباطن [illegible] الحمد كله لله [illegible] يحتاج

اليه

اليه كل من في السموات والارض فكل ما في السموات والارض لكن الحمد كله لله [illegible] بل اكثرهم لا يعلمون
هذا اشارة الى ان الله تعالى لما سلى قلب النبي عليه السلام بقوله فلا يحزنك كفرهم الينا مرجعهم فننبيهم اي يا محمد على
تكذيبهم [illegible] الباطن [illegible]
انهم يعترفون بان خلق السموات والارض من الله وهذا يقتضي [illegible] دعوى الوحدانية [illegible]
فقل الحمد لله على ظهور [illegible] وكذب [illegible] بل اكثرهم لا يعلمون اي ليس لهم علم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] قل الحمد لله [illegible] لا يعلمون
[illegible] لله ما في السموات والارض [illegible]
[illegible] فان ما في السموات [illegible] خلق السموات [illegible]
[illegible] على اهل السنة [illegible]
[illegible] فكل ما في
السموات والارض [illegible] لله [illegible] ان الله
هو الغني الحميد [illegible] ان الكل لله [illegible] محتاج اليه [illegible]
[illegible] حميد [illegible] كله لله [illegible]
[illegible] الغني [illegible] والمومن [illegible] الحامدين [illegible]
[illegible] السموات والارض [illegible]
اذا كان لله [illegible] الغني المطلق [illegible]
[illegible] الحميد [illegible]
[illegible]
ثم قال سبحانه تعالى ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام [illegible] ما في السموات وما في الارض [illegible]
[illegible] ما في السموات وما في الارض [illegible]
[illegible] ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده [illegible] كلمات الله [illegible]
[illegible] بقوله كن [illegible]
[illegible] كلمة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] النبي عليه السلام [illegible]
[illegible] الايه [illegible]
[illegible] كلام الله [illegible] من اسباب النزول
[illegible]
[illegible] كلام الله [illegible]
[illegible] الكلام
[illegible] واعلم ان الايه
[illegible] الرسول [illegible]

وامر الرسول [illegible] وذلك يحقق [illegible] ان الآية نزلت في [illegible] قال ولو ان ما في الارض من
شجرة اقلام وقصد التجريد رجع الاقلام ولم يقل ولو ان ما في الارض من اشجار اقلام ولو قال ولو ان ما في الارض من شجرة قلم
اشارة الى التكثير يعني لو ان بعدد كل شجرة اقلاما الثانية قوله والبحر يمده تعريف البحر بالالف واللام لاستغراق الجنس او
كل بحر مداد ثم قال يمده من بعده سبعة ابحر اشارة الى بحار غير موجودة يعني لو مدت البحار الموجودة بسبعة ابحر اخر وقوله
سبعة ليس للانحصار في سبعة وانما الاشارة الى المدد والكثرة ولو بالف بحر والسبعة خصصت بالذكر من بين الاعداد
لانها عدد كثير يحصر المعدودات في العادة والذي يدل عليه وجوه الاول ان ما هو معلوم عند كل احد لحاجته
اليه هو الزمان والمكان لان المكان فيه الاجسام والزمان فيه الافعال لكن المكان منحصر في سبعة اقاليم والزمان في
سبعة ايام ولان الكواكب السيارة سبعة وكان المنجمون ينسبون اليها امورا فصارت السبعة كالعدد الحاصر للكثرات
الواقعة في العادة فاستعملت في كل كثير الثاني هو ان الآحاد الى العشرة ثم العشرات [illegible] وما بعدها [illegible] من العادة
مرة اخرى فمثال الجزء عشرة والمائة عشر مرات العشرات والالوف عشر مرات المئات اذا علم هذا فنقول اقل ما يلتئم
منه اكثر المعدودات هو الثلاثة لانه يحتاج الى طرف مبدأ ومنتهى ووسط [illegible] الكلمة الاسم والفعل منه
[illegible] فاذا كان الثلاثة [illegible] الاول من العشرة الى [illegible] السبعة [illegible] الاكثر فاذا اريد بيان
الكثرة ذكر السبعة ولهذا فان للمعدودات في العادات من المسبعات في [illegible] الصلوات [illegible]
[illegible] تنبيه [illegible] على الخلف [illegible] اذا [illegible] قوله عليه السلام المؤمن ياكل في معى واحد
والكافر ياكل في سبعة امعاء اشارة الى قلة الاكل وكثرته من غير ارادة السبعة بخصوصها ويحتمل ان يقال ان جهنم
سبعة ابواب [illegible] على هذا [illegible] للجنة ثمانية ابواب اشارة الى ان فيها الحسنى والزيادة فلها
ابواب كثيرة [illegible] على كثرتها والذي يدل على ما ذكرنا ان السبعة عند [illegible] وادا تقول
[illegible] الثمانية [illegible] لطيفة [illegible] بالتامل [illegible]
اللطيفة الثالثة لم يقل في الاقلام المداد [illegible] لو ان ما في الارض من شجرة اقلام [illegible] ان المراد
منه [illegible] كل شجرة موجود [illegible] الاقلام [illegible] البحار الموجودة [illegible] في البحر والبحر بعده
سبعة ابحر اشارة الى ان البحر لو كان اكثر من الموجود فاستوى البحر والقلم في المعنى والثاني هو ان [illegible]
[illegible] اكثر [illegible] والقلم الواحد يمكن ان يكتب به [illegible] ذكر المداد [illegible] المداد
ثم قال تعالى ان الله عزيز حكيم لما ذكر [illegible] اشارة الى ما يحقق ذلك فقال انه عزيز اي كامل
القدرة [illegible] لا نهاية لها [illegible] حكيم كامل العلم [illegible] لا نهاية
له [illegible] البحر لو كان مدادا لما نفد [illegible] ثم قال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة
لما بين كمال قدرته وعلمه ذكر ما يبطل استبعادهم للحشر [illegible] خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة [illegible]
يقول للموتى كونوا [illegible] ثم قال ان الله سميع بصير [illegible] بصير [illegible]
قادرا على البعث ومحيطا بالافعال [illegible] اجتناب [illegible] ثم قال تعالى
الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل يحتمل ان يقال [illegible] الم تر ان الله
سخر لكم ما في السموات وما في الارض على وجه العموم [illegible] الخصوص فقال يولج الليل في النهار
[illegible] السموات [illegible] ما في الارض [illegible]
الى ما في الارض [illegible] لما ذكر البعث [illegible] من الناس من [illegible] ما يهلكنا
الا الدهر [illegible] الايام التي ينسبون اليها الموت [illegible]
[illegible] الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل [illegible] اختلاف سير
الشمس [illegible] يكون [illegible] النهار اطول

وتارة

وتارة يكون بالعكس [illegible] وتارة يتساويان [illegible] تعالى وسخر الشمس والقمر يعني ان [illegible]
[illegible] ان هذه [illegible] في [illegible] الى الله [illegible] عرفت [illegible] الى الله [illegible]
[illegible] بالمد والمد [illegible] الكواكب [illegible] بالله [illegible] احدهما [illegible]
الليل في النهار [illegible] الليل [illegible] النهار [illegible] النهار
الليل [illegible] الليل [illegible] الليل [illegible] النهار
[illegible] المراد [illegible] الليل في النهار [illegible] الليل في النهار [illegible] الليل [illegible]
[illegible] الليل [illegible] الليل في النهار [illegible]
الوجوه [illegible] الليل والنهار [illegible]
[illegible] الليل [illegible] النهار [illegible] الليل في النهار [illegible]
[illegible] تعالى [illegible] النهار [illegible] والله تعالى قدم ايجاد الليل
على ايجاد النهار [illegible] تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين [illegible] وجعل الظلمات
والنور [illegible] الليل والنهار [illegible] تعالى خلق الموت والحياة [illegible] الى [illegible] حكمة
[illegible] الظلمة [illegible] عدم النور والليل عدم النهار والحياة عدم الموت [illegible]
[illegible] نور ولا حياة [illegible] موت وظلمة [illegible] العمى والعمى [illegible]
[illegible] عدم البصر وعدم السمع [illegible] انه [illegible]
[illegible] العمى والصمم [illegible] تعالى [illegible]
[illegible] السوق [illegible]
السوق [illegible] السوق [illegible] دخل السوق [illegible]
العمى والصمم [illegible] وان كان [illegible] قدم الله
[illegible] العمى والظلمة والموت [illegible]
[illegible] المسألة [illegible] بصيغة المستقبل [illegible] الشمس والقمر [illegible] بصيغة الماضي [illegible]
الليل في النهار [illegible] كل يوم وتسخير الشمس والقمر [illegible] تعالى [illegible]
[illegible] المسألة الثالثة [illegible] الشمس [illegible] الليل [illegible] النهار [illegible]
سلطان الشمس [illegible] الليل [illegible] النهار [illegible]
[illegible] الشمس [illegible] اعظم [illegible] العجب [illegible]
عجيبا المسألة الرابعة [illegible] تعالى [illegible] الليل والنهار محل الافعال
[illegible] المسألة الخامسة قوله تعالى الم تر [illegible]
[illegible] الخطاب مع النبي عليه السلام [illegible] الخطاب [illegible]
[illegible] الخطاب [illegible] النبي عليه السلام [illegible] الله
والوجه الثاني [illegible] والواعظ [illegible] عظيم
[illegible] تعالى [illegible]
[illegible] بان الله هو الحق [illegible] تعالى [illegible]
[illegible] ان الله هو الغني الحميد [illegible] ان الله عزيز حكيم [illegible] ان الله سميع بصير [illegible]
[illegible] الكلام [illegible] يولج الليل في النهار [illegible] هو الغني [illegible]
[illegible] الى الجوهر [illegible]

من الممكنات المحتاج الى الموجد وذكر بعده جميع الاوصاف الثبوتية صريحا وتضمنا فان الحي يتضمن العلم والقدرة ثم قال
ذلك بان الله هو الحق اي ذلك الاتصاف بانه هو الحق والحق هو الثابت والله هو الثابت المطلق الذي
لا زوال له وهو الثبوت فان [illegible] ان وجوده غير حقيقته وكل ما عداه فله زوال نظرا اليه والله له الثبوت
والوجود نظرا اليه فهو الحق وما عداه الباطل لان الباطل هو الزائل فقال جل ثناؤه اذ زال واذا كان له الثبوت
من كل وجه [illegible] تاما [illegible] ثم اعلم ان الحكماء قالوا الله تعالى تام وفوق التمام وجعلوا الامر شاملا على اربعة
اقسام ناقص ومكتف وتام وفوق التمام فالناقص ما ليس له ما يحتاج اليه كالصبي والمريض والاعمى والمكتفي هو الذي
اعطي ما يندفع به حاجته في وقته كالانسان والحيوان الذي ليس الا ما يندفع به حاجته في وقته لكنه في
التحلل والزوال والتام ما حصل له كل ما جاز له ولم يحتج الى غيره كالملائكة المقربين لهم درجات لا يزداد ولا ينقص
الله منها لهم شيئا كما قال جبريل لو دنوت انملة لاحترقت وقوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وفوق التمام هو الذي
حصل له ما جاز له وحصل لما عداه ما جاز له واحتاج اليه لكن الله حاصل له كل ما جاز له من صفات الكمال
ونعوت الجلال فهو تام وحصل لغيره كل ما جاز له او احتاج اليه فهو فوق التمام اذا علم هذا فقوله
هو الحق اشارة الى التمام وقوله تعالى وان الله هو العلي الكبير اشارة الى فوق التمام وقوله هو العلي اي في
صفاته وقوله الكبير اي في ذاته وذلك لانه لو كان جسما في مكان لكان حينئذ مقدرا بمقدار
يمكن فرض ازيد منه لكن معناه [illegible] النسبة الى المفروض لكنه كبير مطلقا اكبر من كل ما يتصور ثم قال
تعالى الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله لما ذكر آية سماوية بقوله الم تر ان الله يولج الليل في النهار وسخر الشمس
والقمر اشار الى السبب والمسبب كآية ارضية واشار الى السبب والمسبب فقوله الفلك تجري اشارة الى السبب
فقوله بنعمة الله اشارة الى الريح التي هي بامر الله ليريكم من آياته يعني يريكم باجرائها بنعمته من آياته اي بعض آياته ثم قال
ان في ذلك لآيات لكل صبار في الشدة شكور في الرخاء وذلك لان المؤمن متذكر عند الشدة والبلاء وعند النعم والآلاء
فيصبر اذا اصابته نقمة ويشكر اذا اتته نعمة وورد في كلام النبي عليه السلام الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر
اشارة الى ان الكل افعال وتروك والترك صبر عن المألوف كما قال عليه السلام الصوم صبر والافعال شكر على المعروف
ثم قال واذا غشيهم موج كالظلل لما ذكر الله ان في ذلك لآيات ذكر ان الكل معترفون به غير ان البصير
يدركه اولا ومن في بصيرته ضعف لا يدركه اولا فاذا غشيهم موج ووقع في شدة اعترف بان الكل من الله ودعاه
مخلصا اي ترك كل من عداه ونسي جميع من سواه فاذا نجاه من تلك الشدة فمنهم من يبقى على تلك الحالة وهو
المراد بقوله فمنهم مقتصد ومنهم من يعود الى الشرك وهو المراد بقوله وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور وفي الآية
مسائل الاولى قال موج كالظلل وحد الموج وجمع الظلل وقيل في معناه كالجبال وقيل كالسحاب
اشارة الى عظمة الموج ويمكن ان يقال الموج الواحد العظيم يرى فيه طلوع ونزول واذا نظرت في الجهة الواحدة
مثاله العظيم يبين لك ذلك فيكون كالجبال الملاصقة الثانية قال في العنكبوت فاذا ركبوا في الفلك
دعوا الله ثم قال فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون وقال ههنا فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد فنقول
لما ذكر ههنا امرا عظيما وهو الموج الذي كالجبال بقي اثر ذلك في قلوبهم فخرج منهم مقتصد اي في الكفر وهو الذي
انزجر بعض الانزجار او مقتصد في الاخلاص فبقي معه شيء منه ولم يبق على ما كان عليه من الاخلاص وهناك
لم يذكر مع ركوب البحر معاينة مثل ذلك الامر فذكر اشراكهم حيث لم يبق عنده اثر [illegible] الثالثة قوله وما يجحد
بآياتنا في مقابلة قوله تعالى ان في ذلك لآيات لكل صبار يعني يعترف بها الصبار الشكور ويجحد بها الختار الكفور
والصبار في موازنة الختار لفظا ومعنى والكفور في موازنة الشكور اما لفظا فظاهر واما معنى فلان الختار
هو الغدار الكثير الغدر [illegible] الغدر لا يكون الا من قلة الصبر لان الصبور ان لم يعهد مع احد لا يعهد
منه الاضرار فانه يصبر ويفوض الامر الى الله واما الغدار فيعهد ولا يصبر على العهد فينقضه واما الكفور

في مقابله

في مقابلة الشكور معنى فظاهر ثم قال تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد لما ذكر الدلائل من اول
السورة الى آخرها وعظ بالتقوى لانه تعالى لما كان واحدا اوجب التقوى البالغ فان من يعلم ان الامر بيد اثنين لا يخاف
احدهما مثل ما يخاف لو كان الامر بيد احدهما لا غير ثم ذكر ما يؤكد الخوف وهو ذكر اليوم الذي يحكم الله فيه بين العباد وذلك لان الملك
اذا كان له عبيد وتيقنوا منه انه لا يعرض عليه [illegible] يستعرض عباده لا يخاف منه مثل ما يخاف اذا علم انه يريد استعراضهم و
استكشاف [illegible] ثم ذكر ما يؤكده بقوله لا يجزي والد عن ولده وذلك لان المجرم اذا علم ان له عند الملك من يتكلم في حقه ويدفع
عليه بلاءه من نسبه لا يخاف مثل ما يخاف اذا علم انه ليس له من يدفع عنه ما يحيق عليه ثم ذكر من [illegible] في
غاية الشفقة والمحبة وهو الوالد والولد ليستدل بالادنى على الاعلى وذكرهما الوالد والولد جميعا فيه لطيفة
وهي ان من الامور ما يبادر الاب الى التحمل عن الولد كدفع المال وتحمل الالام والولد لا يبادر الى تحمله عن الوالد
ومنها ما يبادر الولد الى تحمله عن الوالد ولا يبادر الوالد الى تحمله عن الولد مثل ما اذا وصل الوالد الى الاهانة فان من يريد
احضار والده عند القاضي يهون على الابن ان يدفع الاهانة عن والده ويحضر هو بنفسه فاذا انتهى الامر
الى الايلام يهون على الاب ان يدفع الايلام عن ابنه ويتحمله هو بنفسه فقوله لا يجزي والد عن ولده في دفع الالام ولا
مولود هو جاز عن والده شيئا في دفع الاهانة [illegible] لا يجزي [illegible] اخرى وهي انا ذكرنا
ان الفعل [illegible] ولكن [illegible] الملك اذا كان يخاط شيئا [illegible] يخيط [illegible]
خياط [illegible] فقال هو جاز [illegible] اذا علم هذا فنقول
له من نفسه انه لم يكن جازيا عن والده لما له عليه من الحقوق والوالد يجزي لما له من الشفقة وليس بواجب
عليه ذلك فقال في الوالد لا يجزي وقال في الولد ولا هو جاز ثم قال ان وعد الله حق يعني [illegible]
اهلها [illegible] يعني اخشوا يوما هذا شأنه لانه كائن لوعد الله به ووعده حق [illegible]
ان يكون [illegible] الجزاء يعني الجزاء والدعوى فيه [illegible] ان الله وعد ان لا تزر وازرة وزر اخرى ووعد الله
حق فلا [illegible] ثم قال فلا تغرنكم الحياة الدنيا اذا كان الامر كذلك فلا تغتروا بالدنيا
فان الله لوقوع اليوم المذكور بالوعد الحق ثم قال ولا يغرنكم بالله الغرور يعني الدنيا لا يغرنكم
لا يغرنكم بشيء منها واسعوا ولا تغتروا ولا يحملكم على محبتها غار من نفس امارة او شيطان فكان الناس على
اقسام منهم من تدعوه الدنيا الى نفسها فيميل اليها ومنهم من يوسوس في صدره الشيطان ويزين في عينه
الدنيا ويؤمله ويقول انك تحصل بها الآخرة او تلتذ بها ثم تتوب فيجمع لك الدنيا والآخرة فنهاهم عن الامرين
فقال فلا تغرنكم الحياة الدنيا [illegible] الى المفتونين الى الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور [illegible] عنهم ثم قال
تعالى ان الله عنده علم الساعة قال بعض المفسرين ان الله تعالى نفى علم [illegible] عن غيره [illegible]
ليس المقصود [illegible] ان الله يعلم [illegible] الريح من المشرق
الى المغرب [illegible] يعلمه غيره لانه يعلم انه يوجد بعد هذا [illegible]
احد ولا يعلمه غيره فلا وجه لاختصاص هذه الاشياء بالذكر وانما الحق فيه ان يقول لما قال الله اخشوا يوما لا
يجزي [illegible] وذكر انه كائن بقوله ان وعد الله حق كأن قائلا قال متى يكون هذا اليوم فأجيب
بان هذا العلم مما لم يحصل لغير الله ولكن هو كائن ثم ذكر الدليلين اللذين ذكرنا مرارا على البعث احدهما
احياء الارض [illegible] كما قال تعالى وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين فانظر الى آثار رحمة الله
كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى وقال تعالى ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون
[illegible] ايها السائل انك لا تعلم [illegible] ولكنها كائنة والله عالم بها [illegible] على احياء الارض حيث
قال وهو الذي ينزل الغيث ويحيي الارض [illegible] الخلق ابتداء كما قال تعالى هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده
[illegible] الارض [illegible] ذلك [illegible] ههنا

ويعلم ما في الارحام اشارة الى ان الساعة وان كنت لا تعلمها ولكنها كائنة والله قادر عليها كما هو قادر على الخلق في
الارحام كذلك يستدل على الخلق من الارحام ثم قال لذلك الطالب علمها يا ايها السائل انك تسأل عن الساعة ايان مرساها
ولكن اشياء اهم منها تعلمها فانك لا تعلم معاشك ومعادك فلا تعلم ماذا تكسب غدا مع انه متعلق بك فلا تعلم
ان تموت مع انه يشغلك ومكانك فكيف تعلم قيام الساعة حتى يمكنك ان تقوم بعملك كيف تدل مع ان لك فيه فوائد تنبني
عليها الامور [illegible] علمك اين تموت مع ان لك فيه اغراضا كثيرة من [illegible] بسبب ذلك العلم وانما لم يعلمك لكي
تكون في كل وقت بسبب الرزق راجعا الى الله متوكلا على الله [illegible] الارض التي تموت فيها كيلا تأمن الموت في ارض
غيرها فاذا لم يعلمك [illegible] الله كيف يعلمك [illegible] وهو الوقت وانما الحاجة الى العلم بانها [illegible] علمك
الله [illegible] تعالى ان الله عليم خبير [illegible] الاشياء المذكورة بقوله ان الله عنده
علم الساعة ذكر ان علم عنده مختص به بل هو عليم مطلقا بالكل حتى وليس علمه علما بظواهر الاشياء فحسب بل هو خبير علمه
واصل الى بواطن الاشياء والله اعلم بالصواب

سورة السجدة

بسم الله الرحمن الرحيم الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه
من رب العالمين لما ذكر الله في السورة المتقدمة دلائل الوحدانية وذكر الاصل الاخر وهو الحشر وختم السورة بها
بدأ ببيان الرسالة في هذه السورة فقال الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه وقد علم ما في قوله الم ذلك الكتاب لا ريب فيه من سورة
البقرة وغيرها غير ان هاهنا قال من رب العالمين وقال من قبل هدى للمتقين [illegible] هدى للمتقين وذلك
[illegible] من يرى كتابا [illegible] فاذا [illegible] النفس [illegible] ما في الكتاب [illegible] هذا الكتاب فاذا [illegible] هدى انه
[illegible] فنقول بعد ذلك [illegible] هذا الكتاب [illegible] اذا علم هذا فنقول [illegible]
هذا الكتاب [illegible] تعالى وذكر بلفظ رب العالمين [illegible] العالمين يكون
[illegible] بالعالمين [illegible] تعالى ام يقولون افتراه يعني [illegible] ام يقولون
[illegible] ثم اجاب [illegible] الحق من ربك [illegible] التنزيل [illegible] الاولى كيف
[illegible] ما اتاهم من نذير من قبلك [illegible] الجواب [illegible]
[illegible] قريشا كانت امة امية لم يأتهم نذير قبل محمد عليه الصلوة والسلام [illegible] ابراهيم وجميع انبياء
بني اسرائيل من اولاد اعمامهم [illegible] كان الله [illegible] محمد بلا ريب [illegible] وان
كنت تقول ما اتاهم من رسول [illegible] التوراة [illegible] بالتوراة [illegible] اهل الكتاب
لم يكن ذلك [illegible] رسول وانما اتى الرسل اباءهم [illegible] الرسل اباءهم كيف [illegible] عليه
[illegible] ابا محمد عليه السلام [illegible] النبي عليه السلام [illegible] العذاب وقال تعالى
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا واما المنقول [illegible] تعالى [illegible] على ان اهل عصر
اذا ضلوا بالكلية ولم يبق فيهم من يهديهم [illegible] رسولا [illegible]
الشرك والكفر [illegible] ثم اهل العصر ضلوا بعد الرسل حتى لم يبق
[illegible] عالم [illegible] رسول [illegible] محمد عليه السلام
[illegible] لتنذر قوما ما اتاهم [illegible] المسألة الثانية [illegible] التخصيص
بالذكر [illegible] لتنذر قوما ما اتاهم [illegible] اهل الكتاب
[illegible] الكتاب [illegible] اهل الكتاب [illegible] هذا ما [illegible]
[illegible] انه تعالى
[illegible] الدين [illegible] وانذر المشركين كان [illegible]
[illegible] التوحيد والحشر واهل الكتاب [illegible] الرسالة [illegible] الذكر [illegible] التخصيص

205

[illegible] ذلك [illegible] على ما ذكرتم [illegible] اهل الكتاب كانوا [illegible] وما اتاهم نذير من قبلك
بعد ضلالتهم [illegible] على [illegible] وبهذا [illegible] لعلهم يهتدون
يعني تنذرهم راجيا انت اهتداءهم ثم قال الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام [illegible]
[illegible] الرسالة [illegible] الى التوحيد [illegible]
خلق السموات والارض والله [illegible] الذي خلق [illegible] هو الذي خلق السموات ولم يخلقها [illegible] الا الله
[illegible] في ستة ايام اشارة الى [illegible] في نظر الناظرين وذلك [illegible] السموات والارض وما بينهما
[illegible] فنظر الى [illegible] ونظر الى [illegible] صفاتها [illegible] ونظر الى الذوات
[illegible] والى صفاتها كذلك ونظر الى ذوات ما بينهما والى صفاتها [illegible] ستة [illegible]
وانما ذكر الايام لان الانسان اذا نظر الى الخلق رآه فعلا والفعل ظرفه الزمان والايام اشهر الازمنة [illegible]
السموات لم تكن [illegible] نهار وهذا مثلها يقول القائل [illegible] ان [illegible] كان يوما مباركا وقد يكون [illegible]
ذلك [illegible] ليلا [illegible] عن [illegible] لان المراد الزمان الذي هو ظرف [illegible] تعالى ثم استوى على
العرش اعلم ان [illegible] في هذه الاية وامثالها على [illegible] التعرض الى بيان المراد [illegible]
[illegible] والى الحكمة اقرب اما انه اسلم [illegible] انا [illegible] الا عرف
المراد [illegible] من [illegible] عند [illegible] الكلام [illegible] عليه [illegible]
[illegible] التوحيد [illegible] الحشر [illegible] بالرسل [illegible] واتفقنا ان العلم به واجب والعلم
[illegible] انه [illegible] الساعة [illegible]
[illegible] ووحدانيته [illegible] بصفات الجلال [illegible] الكمال [illegible]
[illegible] صفات النقصان [illegible] جميع صفاته [illegible] ثم استوى [illegible] العلم بها [illegible] اليه
[illegible] واجب [illegible]
[illegible] والثاني [illegible] العلم والجهل المركب [illegible] والكذب [illegible]
[illegible] من الكذب واما انه اقرب الى الحكمة [illegible] وكيف له شرحا
والثالث [illegible] المصنف [illegible] على جميع ما اتى عليه المصنف [illegible]
[illegible] على المصنف المتقدم [illegible] المصنف [illegible]
[illegible] الكتاب العزيز الذي [illegible] كل حكمة [illegible]
[illegible] جاهل ان [illegible] كل [illegible] هذا الكتاب [illegible] عالم [illegible] كل [illegible] عليه
الكتاب [illegible] كل ما في كتاب الله [illegible] الرسول [illegible]
[illegible] الكتاب [illegible]
[illegible] التنزيل [illegible] وهذا [illegible] للتشابه [illegible]
[illegible] قطعا انه ليس [illegible] وهذا لان [illegible] الايام
ايام [illegible] نعلم انه [illegible] الايام ايام [illegible] وانما
المراد [illegible] ليس [illegible] ذلك [illegible]
[illegible] المكان [illegible] خطر
[illegible] اليه [illegible] المراد الظاهر [illegible]
[illegible] المراد [illegible] جهل [illegible] جهلا [illegible]
[illegible] والثاني [illegible] جهلا [illegible] ان الله يرحم الكفار

ولا يعاقب اعداهم يكون حمدا وبعده كعفوا واذا اعتقدنا انه يرحم زيدا الذي هو مستور الحال لا يكون نعمة غايته
ما يكون يمكننا عيبنا وا غير مطابق ثم نبين ان المراد منه استوى على ملكه والعرش يعبر به عن الملك يقال الملك قعد
على سرير المملكة بالبلدة الفلانية وان لم يدخلها وهذا مثل قوله تعالى فقالت اليهود يد الله مغلولة اشارة الى البخل مع انهم
لم يقولوا ان على يد الله غل على طريق الحقيقة ولو كان مرادهم ذلك لما كان كذبا ولا جاز كلام الله عنهم لهذا
نقول تقريره ان الملوك على درجات فمن يملك مدينة صغيرة او بلادا يسيرة ما جرت العادة بان يجلس اولا مجلس
على سرير ومن يكون سلطانا يملك البلاد الشاسعة والديار الواسعة ويكون الملوك في خدمته يكون له سرير يجلس
عليه وقدامه كرسي يجلس عليه وزيره فالعرش والكرسي في الحالة يكون عند عظمة المملكة فلما كان ملك
السموات والارض في غاية العظمة عبر عنها بالعرش ينبئ عن العظمة وقد نبينك بعد هذا قوله تعالى انا خلقنا وانا
ربنا لا تخلو عن وحدتنا ابطال ويشكل مسلم في ان المراد ظاهره من الشرك وهل يجدله محمل غير ان العظيم
في العرش لم يكن يصدا بانا لم يكن معه غيره فكذلك الملك العظيم في العرش لا يكون الا ذا سرير يستوي عليه فاستحلى ذلك
مريد العظمة وما يؤيده هذا ان المتقدم المعلوم الموهوم قاله ما تسمه الا ارضى حتى لم يثبت له مكان الا ليس انهم
يعترفون انه جار لا مكان له وليس بمستقر الجسم ما مكان ولا شيء من يقول ان الاله في مكان كيف نحو الا بان
عن المكان فكما قال للمقهور الجبار بين انه مكان مع ان المكان ذلك قبله سال العادة لا ينهى معه كيف قوله
عرش بل هذا المنزه عن المكان والجهات وعلى هذا الكلام ثم معناها خلق السموات والارض ثم المقصود انه
استوى على الملك وهذا كما يقول العامل فلان ركب الجمل على ملوها ويحل عنه ايضا ونقول ثم استوى اليس
من ما كان يعرفني ثم انشغل بعد ذلك ما كان يبين بهذا نقول ثم للحكاية لا للمحكي الوجه الثاني هو ان استوى
واستوى جاء بمعنى استولى نقلا واستعمالا اما النقل فكثير مذكور في كتب اللغة منها ديوان الادب وغيره مما يعتبر
النقل واما الاستعمال فقول القائل فقد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق وعلى هذا فكلمة ثم
معناها ما ذكرنا كانه قال خلق السموات والارض ثم ههنا ما هو اعظم منه استوى على العرش فانه اعظم من الكرسي
والكرسي يسع السموات والارض الوجه الثالث هو ان هذا الهدى يستقر بعد هذا الحديث فلا نقول به مبينا انه في مكان
وذلك انا نقول استقر على الخروج ولا يتمكن احد انه لا يريد انه يتمكن في مكان بعد الخروج لان الراكب
لا يجوز له ان يقال انه متمكن لانه ما دخل في مكان او على هذا يقول فيه الحكم على ان استعمال كلمة استقر من غير
كقولنا المتمكن حتى اذا قال القائل استقر زيد على الفلك او على البحر يفهم منه التمكن وكونه في مكان واذا قال
فلان استقر الملك على فلان لا يفهم انه الملك في المنزل العالي الذي استقر على العرش يستفي ان يفهم كونه في مكان
ما لم يعلم انه مما يجوز عليه ان يكون في مكان الا يجوز ما ذا ينفهم كونه في مكان من هذه اللفظة فشرط كون الكيف
في مكان يحصل كونه في مكان انه ليستفيد من هذه اللفظة يلزم تقدم الشيء على نفسه وهو محال ثم الذي يدل على انه
لا يجوز ان يكون على العرش بمعنى كون العرش مكانا له وجوه من الدلائل احدها قوله تعالى ان الله هو الغني
وهذا يقتضي ان يكون غنيا على الاطلاق وكل ما هو في مكان فهو في بقائه محتاج الى مكان لانه ثبت ببديهة العقل حاكمة
بان المتحيز لو لم يكن لا يكون المتحيز بانا فالمتحيز يبقى عند بقاء الحيز وكل ما يبقى عند انتفاء غيره فهو محتاج
اليه في استمراره فالقول باستقراره يوجب احتياجه في استمراره وهو عين النقص الثاني قوله تعالى كل شيء هالك
الا وجهه فالعرش هالك وكذلك المكان فلا يبقى وهو يبقى فاذا لم يكن في ذلك الوقت في مكان يجوز عليه ان لا يكون في مكان
وما جاز له من الصفات وجب له بحكم الالكات على من قال انه متحيز لم يتحيز ثم بالمتمكن ثم القول بان
على اذا استعمل في المكان يلزم كونه عليه بالذات كقولنا فلان على السطح وكلمة اذا استعمل في غير ذلك لا يلزم
منه اتصافه بالذات كقولنا زيد على عمرو اذا استعمل هذا فان كان الله في مكان ولا يتمكن نقولنا ان الله يعلمنا
وسلطه ومعكم كان ينبغي ان يكون المتنزل وليس كذلك فان قيل كلمة مستعمل لكن ميله اليه وعليه معه ارادته

بال

يقال الملك الفلاني مع الملك الفلاني اي بالاعانة والنصر فنقول قوله على يستعمل لكون حكمه على الغير يقول القائل لولا فلان على
فلان لا شرف في الاملاك ولا شرف على الملاك ولذلك يقال لولا الملك على الملاك للاعاد على ارضه لما حصل له شي منها ولا لاهل
حاصلها معنى واخر ان النظر فكيف لا نقول في استوى على العرش انه استوى عليه حكمه كما نقول معنا بعلمه السرائر قوله
تعالى لا تدركه الابصار ولو كان في مكان لاحاط به المكان وحينئذ فاما ان يرى واما ان لا يرى لا سبيل الى الثاني
بالاتفاق لان القول بانه في مكان ولا يرى باطل بالاجماع وان كان يرى فيرى في مكان محاط به فتدركه الابصار واما اذا
لم يكن في مكان فنقول ايضا لا يرى لا يلزم ان تدركه الابصار اما اذا لم يرى فظاهر واما اذا رئي فلان البصر لا يحيط
به فلا يدركه وانما قلنا ان البصر لا يحيط به لان كل ما احاط به البصر فله مكان يكون فيه وقد فرضنا عدم المكان ولو ورد
لهذا ان التنزل لو جعله جملة امن علم جواز كونه في مكان كيف هذا الدليل يتمسك به في هذا العابر يدل على ان ليس على العرش
بمعنى كونه في المكان وذلك لان كلمة ثم للتراخي فلو كان عليه بمعنى المكان لكان يحصل عليه بعد ما لم يكن عليه فقبله اما ان يكون
في مكان او لا يكون فان كان يلزم محالا ثابتا تكون الله لكان ازليا ثم ان هذا العالم تقع عبادة الفلسفي تقصير فلسفيا نقول تقدم
تساوي السموات والثاني حول الحركة واما تقابل على النية وهو يستغنى الحادث البارى او يبطل دلائل حدوث الاجسام
ولا يمكن مكان وما حصل في مكان يحمل العقول وجوده بلا مكان ولو جاز لما امكن ريبا بان الجسم لو كان ازليا فاما ان يكون
في الازل ساكنا او متحركا لانه لا يتصور الحصول في مكان فاذا كان كذلك فيلزم القول بحدوث الله او عدم القول بحدوث العالم
فانه ليس يتم انه قبل المكان لا يمكن حصر القول بحدوث البارى تعالى ولا يسلم بحدوث الجسم في الازل لم يكن في مكان فاما
لم حصل في مكان فلا يتم دليله في حدوث العالم لانه ليلزمه ان القول بحدوثه لم انه هذا العالم يقول ليكن ثبته الله بالعدم
في انه ليس في مكان لا نعلم انه حصل بعد وما حصل الوجه الى المكان وكل محتاج ناظر الى علم ما يحتاج اليه متقدم ولو كتبنا
فانها لقطع الكلام ثم قال تعالى ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون لما خلق ذكر ان الله خالق السموات قال
بعضهم نحن نعترف بان خالق السموات والارض واحد لكن هذه الاصنام صور كواكب بها نعبدها ونتقرب بها
اخرين هذه صور ملائكة عند الله فهم شفعاؤنا فقال الله تعالى لا معبود الا الله ولا غيره ولا شفاعة الا باذن الله
فعبادتكم لهذه الاصنام باطلة فانها لا تخلقكم ولا تنصركم ولا تشفع لكم ثم قال تعالى افلا تتذكرون ما علمتم من ان الله
خالق السموات والارض وخالق هذه الاجسام العظام لا يقدر على مثل هذه الاصنام حتى تنصركم ولا يمكن عندها الملك العظيم
لهذه الاشياء الحقيرة احترام وعظمة حتى يكون لها شفاعة ثم قال تعالى يدبر الامر من السماء الى الارض لما بين انه
الخلق بين الامر كما قال تعالى الا له الخلق والامر والعظمة تتبين بهما فان من يملك جماعة كثيرة عظيما لكنه عظيم لو اذا
كان امره نافذا فيهم من ذلك في جميع الكائن ولمن له نفاذ امر يستغنون عظمته ولذلك ثم يعرج اليه معناه والله اعلم
ان امره ينزل من السماء على عباده وتعرج اليه اعمالهم الصالحة الصاعدة على موافقة ذلك الامر فان العمل اثر الامر ويدل عليه قوله في يوم كان
مقداره الف سنة مما تعدون فيه وجوه احدها ان نزول الامر وعروج العمل في مسافة الف سنة مما تعدون وهي يوم
فان بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة فينزل في مسيرة خمسمائة سنة ويعرج في خمسمائة سنة فهو مقدار الف سنة
وثانيها ان ذلك اشارة الى امتداد نفاذ الامر وذلك لان من نفذ امره غاية النفاذ في يوم او يومين وانقطع لا يكون
مثل من ينفذ امره في سنين متطاولة فقوله في يوم كان مقداره الف سنة يعني يدبر الامر في زمان يوم منه الف سنة فكم يكون
شهر منه وكم يكون سنة منه وكم يكون دهر منه وعلى هذا الوجه لا فرق بين هذا وبين قوله مقداره خمسين الف سنة
لان ذلك اذا كان اشارة الى دوام نفاذ الامر فسواء يعبر بالالف او بالخمسين الفا لا يتفاوت الا ان المبالغة تكون في الخمسين اكثر
وستذكر فائدته في موضعها ان شاء الله وفي هذا لطيفة وهي ان الله تعالى ذكر في الاية المتقدمة عالم
الاجسام والخلق واشار الى عظمة الملك وذكر في هذه الاية عالم الارواح والامر والروح من
عالم الامر كما قال تعالى ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي واشار الى دوامه بلفظ يعم الزمان والمراد دوام
النفاذ كما قال في العرش ما كان ثابتا في الازمنة لا تطول وانما الروائح في الزمان مثل قوله وجدت في الارض سنة كثيرة

فيطول ذلك فيا حبذا نعمه كثيرة فانا اشار هنا الى عظمة الملك بالمكان واشار الى دوامه ها هنا بالزمان والمكان
من ملكه وخلقه والزمان حكمه وامره واعلم ان الظاهر قوله تعالى يدبر الامر في يوم [illegible] لم يكن امره في يوم واليوم
له ابتداء وانتهاء فيكون امره في زمان حادثا فيكون حادثا ويعضد من يقول بان الله على العرش استوى فيقول بان
امره يتم حتى الحروف وكلمة كن تكلف نعم من كله على كونه في مكان ولا نعم من كله في كون امره في زمان ثم بين ان هذا
الملك العظيم النافذ الامر هو عالم فان الملك اذا كان امره نافذا في امره ونهيه ولكن يكون غافلا لا يكون مهيبا عظيما
كالملك مع ذلك خبيرا يقظا لا يخفى عليه امور الممالك والمالك مثل ذلك عالم الغيب والشهادة بما ذكر من قبل عالم
الاشياء بقوله خلق السموات وعالم الارواح يدبر الامر من السماء الى الارض فعالم الغيب يعني به الارواح والشهادة يعني الى
الاجسام او نقول فالك عالم الغيب اشارة الى ما لم يكن بعد والشهادة اشارة الى ما وجد وكان وتقدم العلم بالغيب لانه اقوى
واشد انبا عن كمال العلم ثم قال العزيز الرحيم لما بين انه عالم ذكر انه عزيز قادر على الانتقام من الكفرة رحيم واسع الرحمة
على البررة ثم قال تعالى الذي احسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان لما بين الدليل الدال على الوحدانية [illegible]
بتوسط خلق السموات والارض وما بينهما دلالة بتوابعه وكملا ثم ذكر الدليل الدال عليها من الانفس وقوله الذي احسن
كل شيء يعني احسن كل شيء مما ذكره من السموات والارض خلقه ومعناه انك اذا نظرت الى الاشياء
رايتها على ما ينبغي صلابة الارض للنبات [illegible] الهيئة [illegible] وقوله الاتفاق [illegible]
الاستطراق وسيلة [illegible] لما لم يقدر عليه في كل موضع وحركة النار الى فوق لانها لو كانت مثل الماء يتحرك يمنة و
يسرة لاحترق العالم فخلقت طالبة جهة فوق حيث لا شيء هناك يقبل الاحتراق [illegible] وبدا خلق الانسان
من طين قيل المراد ادم فانه خلق من طين ويمكن ان يقال بان الطين ماء وتراب مجتمعان والادمي اصله مني والمني
اصله غذاء والاغذية اما حيوانية واما نباتية والحيوانية بالاخرة ترجع الى النباتية والنبات وجوده بالماء
والتراب الذي هو الطين وقوله ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين يعني النطفة وعلى التفسير الاول ظاهر فان ادم
كان من طين ونسله من سلالة من ماء مهين وعلى التفسير الثاني هو ان اصله من الطين ثم يوجد من ذلك الاصل
سلالة هي من ماء مهين فان قال قائل التفسير الثاني [illegible] نقول لما خلق الانسان ثم جعل نسله دليلا على ان
حصل النسل بعد خلق الانسان من طين فنقول [illegible] التفسير الثاني اقرب الى الترتيب اللفظي فانه تعالى قال بدا
يذكر [illegible] في خلق الانسان [illegible] من طين ثم جعل نسله [illegible] ثم سواه ونفخ فيه من روحه وعلى
ما ذكرتم بعد [illegible] ثم سواه ونفخ فيه من روحه عائد الى ادم ايضا [illegible] بعد جعل
النسل من سلالة وذلك بعد خلق ادم واعلم ان دلائل الافاق ادل على كمال القدرة كما قال لخلق السموات والارض
اكبر ودلائل الانفس ادل على نفاذ الارادة فان التغيرات فيها كثيرة واليه الاشارة بقوله ثم جعل نسله ثم سواه
اي كان طينا فجعله منيا ثم [illegible] سويا وقوله ونفخ فيه من روحه اضافة الروح الى نفسه كاضافة البيت اليه
للتشريف واعلم ان النصارى يفترون الكذب ويقولون ان عيسى كان روح الله فهو ابنه ثم انهم لا يعلمون
ان كل احد [illegible] روح الله بقوله ونفخ فيه من روحه اي الروح التي هي ملكه كما يقول القايل داري وعبدي
ولم [illegible] من جهة [illegible] بالروح [illegible] الجسم على ما يزيد [illegible] الروح من السمع والبصر والعلم
فقال وجعل لكم السمع والابصار والافئدة [illegible] وجعل لكم [illegible] ولم يخاطب من قبل وذلك
لان الخطاب يكون مع الحي [illegible] ونفخ فيه من روحه خاطبه [illegible] الخطاب [illegible]
بذلك [illegible] تعالى [illegible] خلقكم من تراب [illegible] المرتبة [illegible]
وههنا ذكر [illegible] الانسان [illegible] خلقا [illegible]
المراتب دون البعض [illegible] السمع والابصار والافئدة على مقتضى الحكمة وذلك لان الانسان يسمع
اولا من الابوين [illegible] فيفهم [illegible] ثم [illegible] يبصر [illegible] ثم يحصل له سبب

ذلك

ذلك ادراك تام ثم [illegible] كالمرتب [illegible] الاشياء [illegible] من [illegible] تفسيره اهليه
مطالعة الكتب [illegible] التصنيف [illegible] كتبا [illegible] لكن [illegible] صناع
الموجودات [illegible] المصدر [illegible] الاسم [illegible] الابصار [illegible] الافئدة ولم يجمع
السمع لان المصدر لا يجمع وذلك لحكمة وهي ان السمع قوة [illegible] الانسان لا يضبط في زمان [illegible]
كلامين [illegible] محله ولا اختيار [illegible] فان الصوت من اي جانب كان يصل اليه [illegible] على تخصيص القوة
بادراك البعض [illegible] واما الابصار [illegible] اختيار فانها تتحرك الى جانب [illegible] دون
جانب [illegible] نوع اختيار [illegible] الى ما يريد دون غيره [illegible] لم يكن للمحل
في السمع تاثير [illegible] القوة [illegible] نوع اختيار [illegible] لان الفعل [illegible] الى المختار
الا ترى انك تقول سمع زيد [illegible] عمرو [illegible] يقول [illegible] زيد [illegible] عمرو والا [illegible] المختار [illegible]
[illegible] فالسمع اصل [illegible] الاختيار له [illegible] الاصل [illegible] الابصار [illegible] وكذلك [illegible]
[illegible] السمع [illegible] القوة [illegible] الذي هو محل القوة [illegible] السمع [illegible]
[illegible] الانسان [illegible]
المسئلة الرابعة قدم السمع ههنا والقلب في قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم [illegible] ذكرنا
[illegible] الادنى [illegible] الاعلى [illegible] السمع ثم اعطاهم [illegible] وهو العقل
وعند السلب [illegible] يسمعون به [illegible]
[illegible] ذكرنا [illegible] الابصار [illegible] ذكرنا [illegible] السمع
[illegible] بالطبع [illegible] قوة البصر [illegible] عليه [illegible] تعالى وقالوا
ائذا ضللنا في الارض [illegible] بعلم [illegible] وهو الكفر وانكار [illegible] على احيا الموتى
وقد ذكرنا ان الله تعالى في كلامه العظيم كلما ذكر [illegible] من الاصول الثلثة لم يترك الاصل الثالث [illegible] كذلك لما
ذكر الرسالة بقوله تنزيل الكتاب [illegible] لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك وذكر الوحدانية بقوله الله الذي خلق
[illegible] وجعل لكم السمع والابصار ذكر الاصل الثالث وهو الحشر بقوله وقالوا ائذا ضللنا في الارض [illegible] الاولى
[illegible] على [illegible] بل هو الحق [illegible] رسول والله ليس بواحد [illegible] الحشر [illegible]
ان الله تعالى [illegible] الرسالة [illegible] المستقبل [illegible] اياه في الحشر
وقالوا [illegible] الماضي [illegible] في الرسالة [illegible] حاله [illegible]
يقولون [illegible] واما انكارهم للحشر [illegible] صادرا منهم [illegible] تعالى
[illegible] في الرسالة [illegible] وفي الحشر [illegible] في
الوحدانية وذلك لانهم كانوا معترفين في جميع الاحوال [illegible] انكار الحشر والرسول واما الوحدانية
[illegible] ان الله تعالى [illegible] خلق السموات والارض ليقولن الله [illegible]
قالوا ان الله ليس بواحد [illegible] لو [illegible] الرسالة ذكر [illegible] دليلها
وهو التنزيل الذي لا ريب فيه ولما ذكر الوحدانية ذكر دليلها وهو خلق السموات والارض وخلق الانسان من طين
ولما ذكر انكارهم الحشر [illegible] الدليل [illegible] ذكر دليله [illegible] ذلك [illegible] الانسان ابتداء دليل
على [illegible] اعادته [illegible] على [illegible] الحشر بالخلق الاول [illegible] هو اهون عليه [illegible]
[illegible] خلق السموات كما قال تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر
على ان يخلق مثلهم بلى [illegible] في خلق جديد [illegible]
كانهم [illegible] الاخرة [illegible]

بالخلق الثاني لما اعترفوا بالعذاب والثواب وتقول معناه لما انكروا البعث لنفسه بل كفروا بلقاء الله فانهم كرهوه فانكروه
المفضي اليه ثم بين لهم ما يكون من الموت الى العذاب فقال قل يتوفاكم ملك الموت يعني لا بد من الموت ثم تحشرون بعده وفيه
لطائف منها قوله ثم الى ربكم ترجعون وقوله الذي وكل بكم اشارة الى انه لا يغفل عنكم واذا جاء اجلكم لا يؤخركم اذ لا شغل له الا هذا
وقوله يتوفاكم ملك الموت ينبئ عن بقاء الارواح فان التوفي الاستيفاء والقبض وهو الاخذ ولما علم [illegible]
ثم ان الروح الزكي الطاهر يبقى عند الملائكة مثل الشيء النفيس عند اهله المناسبين له والخبيث الفاجر يبقى عندهم كالاسير
بين قوم لا يعرفهم ولا يعرفون لسانه [illegible] يزيد وتزداد صفاته وقوته [illegible] ويضعف ويزداد
شقاوة وكدورة والحكما يقولون ان الارواح الطاهرة تتصل بجسم سماوي خير من بدنها وتكمل به الارواح
الفاجرة [illegible] بعد التعلق الثاني [illegible] ما ذكرنا [illegible] والا ينبغي النظر في ذلك بحسب [illegible] ثم قد يكون
[illegible] عن حق [illegible] انكروا الاحيا والله ذكر الموت [illegible] بانه يتوفى نفسه [illegible] احدهما
انه ذلك دليل الاحيا ودفع استبعاد ذلك فانهم قالوا اما علم الكلية كيف يكون الموجود عين ذلك فقال الملك
[illegible] الجزاء [illegible] وامر الملك [illegible] صعوبته [illegible] قل يتوفاكم ملك الموت
الى الارواح معلوم [illegible] احيائهم ثم قال تعالى ولو ترى اذ المجرمون لما ذكر انهم يرجعون الى ربهم بين ما يكون عند
الرجوع على سبيل الاجمال [illegible] المجرمون ناكسوا رؤوسهم يعني لو ترى حالهم [illegible] عجبا
وقوله ترى يحتمل ان يكون خطابا مع الرسول عليه السلام تسلية لصدره فانهم كانوا يردونه بالتكذيب ويحتمل ان يكون
عاما مع كل احد كما يقول القائل [illegible] ولو لحظة [illegible] ولا يريد به [illegible] عند
ربهم لبيان [illegible] اذا اساء الى المربوب [illegible] قال ربنا
ابصرنا وسمعنا يعني يقولون [illegible] ربنا ابصرنا [illegible] العظيم [illegible] لا
يتكلم [illegible] ابصرنا الحشر وسمعنا قول الرسل فارجعنا الى الدنيا نعمل صالحا [illegible] انا موقنون معناه انا
في الحال [illegible] الايمان والعمل الصالح ولكن العمل الصالح [illegible] فارجعنا للعمل
وهذا [illegible] الايمان لا [illegible] كالعمل الصالح [illegible] كانوا [illegible] فقالوا
ان هذا الذي حرم علينا [illegible] سبب ترك العمل الصالح واما الايمان فانا موقنون [illegible] ثم قال تعالى
ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها [illegible] ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا وبيانه هو انه تعالى قال انا
لو رجعناكم [illegible] الدنيا [illegible] فلا ارجعكم [illegible] ولو شئنا
[illegible] حيث يقول [illegible] ثم قال تعالى
ولكن حق القول مني [illegible] هذا [illegible] العمل [illegible] في
الفعل ويقول ان الله تعالى لم يفعل فعلا خاليا عن حكمة وهذا [illegible] والحكمة [illegible] الفعل للحكمة او
[illegible] الفعل [illegible] الحكمة [illegible] على الفعل واذا علم ان فعله لا يخلو عن الحكمة قال الحكماء
حكمة افعاله [illegible] على سبيل التفصيل [illegible] على سبيل الاجمال فكل [illegible] في العالم [illegible] وحكمته
[illegible] يقول ان الفعل اما ان يكون خيرا محضا او خيرا مشوبا بالشر وهذا [illegible] ثم قسم
خيره غالب وقسم شره غالب [illegible] فاذا علم هذا [illegible] الخير المحض وهو عالم
الملائكة وهو العالم العلوي وخلق عالما فيه خير وشر وهو عالمنا وهو العالم السفلي ولم يخلق عالما فيه شر محض
ثم ان العالم السفلي الذي هو عالمنا [illegible] الخير والشر [illegible] خيره غالب فانك اذا
قابلت المنافع بالمضار [illegible] تجد المنافع اكثر واذا [illegible] الشر [illegible] تجد الخير [illegible] وكيف لا
والمؤمن [illegible] وجوده [illegible] والانبياء والاولياء
والكافر [illegible] الكفر يحبط خيره [illegible] استحيل

نظرا

208

نظرا الى العاقبة [illegible] الجايع لعينه خبزه [illegible] ولكن لا
بد في زمن صباه كان محمولا على النظرة المقتضية للخيرات اذا ثبت هذا فنقول لولا الشر في هذا العالم لكان مخلوقات الله
تعالى تنحصر في الخير المحض [illegible] الخير الغالب والشر القليل ثم ان ترك خلق هذا القسم ان كان
لما فيه من الشر فترك الخير الكثير لاجل الشر القليل لا يناسب الحكمة [illegible] التاجر اذا طلب منه [illegible]
ويقول ان هذا شر [illegible] لكن في مقابلته خير كثير [illegible] في ملكك
وكذلك الانسان لو ترك الحركة [illegible] لما فيها من المشقة مع علمه بانها تحصل له [illegible] ينسب الى مخالفة الحكمة
فاذا نظر الى الحكمة كان [illegible] الخير الكثير المشوب بالشر القليل [illegible] خلق العالم الذي فيه الشر والى هذا
اشار بقوله اني جاعل في الارض خليفة [illegible] من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فقال
الله تعالى في جوابهم اني اعلم ما لا تعلمون اي اعلم ان هذا القسم يناسب الحكمة لان الخير فيه كثير ثم بين لهم خيره بالتعليم
كما قال تعالى وعلم آدم الاسماء كلها [illegible] الشر المحض [illegible] الشر المساوي لا يناسب الحكمة
واما خلق الخير الكثير المشوب بالشر القليل مناسب [illegible] من يفسد فيها اشارة الى الشر واجابهم الله
بما فيه من الخير بقوله وعلم آدم الاسماء كلها [illegible] هذا القسم من الشر [illegible]
[illegible] تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها [illegible] الخير [illegible]
تعالى [illegible] الكثير المشوب بالشر القليل [illegible] معقول فهل كان تركه للشر القليل [illegible] يناسب الحكمة لان
ترك الخير الكثير للشر القليل غير مناسب للحكمة وان كان لا بد لذلك فلا مانع من خلقه [illegible] لما فيه من الخير الكثير
وهذا الكلام [illegible] من يقول برعاية المصالح [illegible] الخير ودفع الشر
[illegible] المنزه عن القبيح والجهل [illegible] من الجنة والناس [illegible] تعالى قال لابليس [illegible] لاملان جهنم منك
وممن تبعك وههنا اشارة الى النار [illegible] في العالم السفلي والذين في العالم العلوي [illegible] عن دخول النار وهم الملائكة
وهذا يقتضي ان لا يكون ابليس من الملائكة وهو الصحيح [illegible] اجمعين [illegible] وهو الظاهر
والثاني ان يكون حالا اي مجموعين فان قيل كيف جعل جميع الجن والانس [illegible] النار [illegible] البيان
[illegible] جهنم ملأى من الجنة والناس [illegible] الملائكة [illegible] دخول الكل كما يقول القائل ملأنا الكيس
[illegible] خارج الكيس [illegible] بعض الخلق [illegible]
[illegible] الجنة التي [illegible] الرحمة الواسعة [illegible] انهم لا رجوع لهم [illegible] اذا
[illegible] فذوقوا بما نسيتم [illegible]
[illegible] اليوم [illegible]
[illegible] النسيان [illegible]
بعد الظهور [illegible] النسيان [illegible]
[illegible] بما نسيتم لقاء يومكم هذا [illegible] اليوم
[illegible] هذا اللقاء [illegible] العذاب [illegible] انا نسيناكم
[illegible] الناسي [illegible]
العذاب [illegible] فذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون ثم قال [illegible] انما يؤمن باياتنا
الذين اذا ذكروا بها [illegible] خروا سجدا له
[illegible] وهم لا يستكبرون [illegible]
[illegible] لا يستكبرون عن عبادته [illegible] تتجافى جنوبهم عن المضاجع [illegible]
[illegible] يدعون ربهم [illegible] والعمل [illegible]

من الطلب تذكرهم بالصلوة والحمل على الادنى اولى لانه قال بعده ومما رزقناهم ينفقون وفي اكثر المواضع التي ذكر
فيها الزكوة ذكر الصلوة قبلها كقوله يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون وقوله خوفا وطمعا يحتمل ان يكون مفعولا له
ويحتمل ان يكون حالا اي خائفين طامعين كقولك جاؤني زورا اي زائرين وكان في الاية الاولى اشارة الى المرتبة
العالية وهي العبادة لوجه الله مع الذهول عن الخوف والطمع بدليل قوله اذا ذكروا بها خروا فانه يدل
على ان عند مجرد الذكر يوجد منهم السجود وان لم يكن خوف وطمع وفي الاية الثانية اشارة الى ما دون تلك العبادة
فانا لكن من خدم الملك الجبار لجلاله وسلطانه او يخدم الملك الجواد طمعا في بره سيان فالمؤمن مثلهم ونال
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين يعني مما تقر به العين عند النظر اليه يقال للمسرور قرة العين
تشبيها بالباكي فان الحزن الحار يخرج الدمع الحار والفرح يخرج دمعا باردا وفي الاية لطيفة
وهي ان العبد بقي من العمل الصالح ومن الله اشيا سابقة من الخلق والرزق وغيرهما فاشار بلفظ
الثواب الى الكرم فلله تعالى لم يقل جزاء الاحسان احسان وانا احسنت اولا والعبد احسن في مقابلته
فالثواب تفضل ومنحة من غير عوض ولهذا قال بل يقول جعلت الاولى تفضيلا ولم يطلب عليه جزاء فاذا اتى العبد بالعمل
الصالح فليس عليه شي لانه ابرا لله عما عليه من النعم فكان مواتيا بالحسنة ابتدا وجزاء الاحسان احسان
فاجعل الثواب جزاء كلاهما جائز لكن غاية الكرم ان يجعل الاول هبة ويجعل الثاني مقابلا وعوضا
لان العبد ضعيف لو قيل له ما نعطيك جزاء فلا يسمى جزاء وانما هو تفضل منه لم يطمئن قلبه واذا
قيل له الاول عن محبوب عليك والذي اتيت به اداء ولكن عليه يستحق ثواب يثق ويطمئن ثم اذا عرفت
هذا من فضل الله فالواجب من جانب العبد ان يقول فعلي جزاء انعم الله السابقة ولا استحق به جزاء فاذا
اثابه الله تعالى يقول الكاسب هو كان جزاء وهذا ابتداء احسان من الله يسمى جزاء وشكل ثاني
بحسنة يقول الله اني احسنت اليه جزاء فعله الاول فلا تخاف الا لا الطلب فيجازيه المثاب فيتذكر
العبد الثواب يجازيه ثانيا وعلى هذا لا تنقطع المعاملة بين الرب والعبد ومثله في الشاهد انسان تجاوز انا نهدي
اصلنا الى الغير هدية وفيها والمهدى اليه يتذكرها فاهدى الى المهدي عوضا فرآه المهدي كالدين الثابت لنسيانه فاهداه
الله فجازاه لما هدى به ثبات المحبة الفهما اهدته كان جزاء الحسنتين السابقتين وهذه هدية ما عوضتها يتعوضني لتعوض
عنه المحبة لما في وسلسل ثم لم ينتهيا ولا تنقطع التهادي والتحابب خلاف من لم يرسل الى واحد هدية ودهوا ينكرها
فاذا بعث المهدي اليه عوضا يقول هذا عوض ما اهديت اليه فيكون ذلك الاهداء ينقطع واعلم ان الخلائف
يوم القيامة ولذا اذن حسب الشكر والعبادة لم تنقطع العهد لعبده بوقته في الجنة الا بها لعبده
في الدنيا فكيف لا تنقضه وقد صار حاله مثل حال الملائكة الذين قال في حقهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون فعا يه
ما في الباب ان العبادة ليست عليهم بتكليف بل هي مثل مقتضى الطبع ومن جملة ما ساتوحد بدوام نعيم الجنة
هذا تمكينا وخلعة الملوك للدوام لا تنزل وان نزل العبد عنه لا يزد ولهذا قال تعالى
افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لما بين حال المجرم والمؤمن قال للعاقل هل يستوي الفريقان ثم قال انهما لا يستويان ثم بين
عدم الاستواء على سبيل التفصيل وقال اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم اشارة الى ما ذكرنا ان الله احسن ابتداء لعوض
انعمهن فلما اتى العبد بعمل صالح قابله منه كانه ابتدا فجازاه بان اعطاه الجنة ثم قال نزلا اشارة الى ان بعدها
اشيا لان النزل ما يعطى الملك النازل وقت نزوله ثم يكمل له ذاتنا او يكمل له ضرا وقوله بما كانوا يعملون
يحقق ما ذكرنا وقوله واما الذين فسقوا فماواهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اشارة الى حال الكافر
ويحقق ما ذكرنا ان العمل الصالح لم يقع لهما ان ما نشيرا لكفر اذا جا فالعقاب الى المكافى فلم يقل ولما الذين
فسقوا وعملوا السيئات لان الكافر من فسقوا كفروا ولو جعل العقاب في مقابلة الكفر والعمل لظن ان مجرد
الكفر لا عقاب عليه وقوله في حق المؤمنين لم يلائم التمليك زيادة اكرام لان من ملك لغيره اسكنه الدار يكون

ذلك

ذلك محولا على العارية وله ان يسترده واذا ملكه الدار لم يكن محولا على نسبته الملكية اليه وليس له ان يسترده كلم قوله
وكذلك قوله لهم جنات المأوى لانه تعالى لما اسكن ادم الجنة وكان في علمه انه يخرجه منها قال اسكن انت وزوجك
الجنة ولم يقل لكما الجنة وفي الكافر قال ماواهم النار ولم يقل لهم مثل قوله ويجعلون لله ما يكرهون كقوله تعالى كلما ارادوا ان يخرجوا
منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا اشارة الى معنى حكمي وهو ان الالم اذا يكرر الالم اذا اشتد لم يحس به ثم يتعامل
له فان الحرارة الحمى الدقية بالنسبة الى حرارة الحمى النائبة نسبة النار الى الماء المسخن ثم ان المدقوق لا يحس من الحرارة
بما يحس به من به الحمى الملقية لتمكن الدق وزوال المعين بطوس حرارة الحمى الملقية وكذلك الالم اذا دام يالف المبارد فالم
من البرد فان صبر زمانا طويلا يتلج به ويبطل عنه ذلك الالم الشديد فقال ومن جاء اذا علمت هذا فيقول كلما ارادوا ان يخرجوا
منها اعيدوا فيها لتبقى على الالم ما سكنت عنهم لم يرد عليهم في كل حال ام صحيح مجدد ويقال ذوقوا عذاب النار الذي كنتم
به تكذبون فيه ذكرنا ومعناه انهم في الدنيا كانوا يكذبون بعذاب النار فلما ذاقوه كانت لذاتها لهم جديدة تارة شيئا
يصيبه بعد لسبب ثم انهم في الاخرة كانهم في الدنيا يجزمون ان لا عذاب الا وقد وصل اليهم ولا شي يعرفون ما
لهم من العذاب فيجعلهم عذابا اشد من الاول وكانوا يحدثون به انفسهم عذابا فيعرفون ما يحق فيه فاذا
قال قوله تعالى ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ليس مقتصرا على تكذيبهم الذي كان في الدنيا بل كلما
ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذابا كذبتم به من قبل اما في الدنيا تيقنوا عذاب الاخرة
واما في الاخرة فيتيقن لهم لا عذاب فوق ما كنتم فيه ثم لما هم بهم لعلمهم بما ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون
العذاب الاكبر يعني نعذبهم عذاب الاخرة لعلهم يرجعون عذاب الدنيا ان عذاب الدنيا بالنسبة الى عذاب الاخرة لا يعد بالدنيا
بالكلية يقال العذاب الادنى في الدنيا ثم يخوفهم بالعذاب ويسرح منه فلا يتيقن ذلك ان ارادوا لعذبت
عذابا الى الموت سبب يوجب عذاب في عاقبة الحرة فالاعذاب فيقول ويتبعه بعدد وقبل ويتها ما ضلوا بلعلهم
لكنه يلبسهم من العذاب الادنى في مقابلة العذاب الاقصى الى العذاب الاكبر في مقابلة العذاب الاقصى فما الحكمة في
مقابلة الادنى بالاكبر فنقول حصل في عذاب الدنيا امران احدهما انه قريب والاخر انه قليل صغير وحصل في عذاب
الاخرة ايضا امران احدهما انه بعيد والاخر انه عظيم كبير لكن القرب في عذاب الدنيا هو الذي يصلح للتخويف به فان العذاب
العاجل وان كان قليلا قد يحترز منه بعض الناس اكثر مما يحترز من العذاب الشديد اذا كان اجلا وكذا الثواب العاجل قد يرغب
فيه بعض الناس ويستبعد الثواب العظيم الاجل واما في عذاب الاخرة فالذي يصلح للتخويف به هو العظم والكبر لا البعيد
لما بينا فقال في عذاب الدنيا العذاب الادنى ليحترز العاقل عنه ولو قال لنذيقنهم من العذاب الاصغر ما كان يحترز عنه
لصغره وعدم فهم كونه عاجلا وقال في عذاب الاخرة الاكبر لذلك المعنى ولو قال من العذاب الابعد الاقصى لما حصل
التخويف به مثل ما يحصل بوصفه بالكبر وبالجملة فقد اختار الله تعالى في العذابين الوصف الذي هو اصلح للتخويف
من الوصفين اللذين فيهما حكمه بالحسنة الثانية قوله تعالى لعلهم يرجعون هذا الترجي لله تعالى وكيف يعلم لعلهم يرجعون
فما الحكمة فيه فنقول فيه معنى لطيف معناه لنذيقنهم اذاقة الراجين كقوله انا نسيناكم يعني تركناكم كما يترك
الناسي حيث لا يلتفت اليه اصلا كذلك هاهنا نذيقهم على الوجه الذي يفعل الراجي من التدريج وانما معناه بنذيقهم
العذاب اذانة يقول القائل لعلهم يرجعون بسببه ونزيد بيده تعالى ايضا احرى عندنا وهو ان كل فعل يتلوه الذي هو علة
من ذلك الفعل يصح تعليل ذلك الفعل بذلك الفعل كما يقال تظاهر الحر لتبريج ثم ان هذا التعليل لم يكن في موضع يحصل
الجزم بحصول الاثر من الفعل نظرا الى نفس الفعل ولم يحصل الجزم والعلم بناء على امر من خارج فانه يصح ان يقال
يفعل كذا رجاء كذا كما يقال يتجر رجاء ان يربح ولم يحصل للتاجر جزم بالربح لا يتيقن ذلك في ظنه قولنا يرجو لما
ان الجزم عن حاصل نظرا الى الماضي ولو كان الجزم حاصلا نظرا الى الفعل لا يصح ان يقال يرجو ولو كان ذلك الجزم
يحتمل حاصل ثم كقول القائل بالسخر رتبه عنده رجا ان يموت لا يصح لحصول الجزم بالموت عقيب الحز نظرا اليه
ولو لم يكن لا يموت نظرا الى العدم الله تعالى دنيج فاذا قوله تعالى في قصة ابراهيم الخليل يعني بين يحييني مع انه

كان عالماً بالمقصود لكن لما لم يكن الجزم حاصلاً من نفس الفعل الذي عليه الطمع وكذلك قوله تعالى وارجوا اليوم
الآخر ومع أن الجزم لا يتم به إذا علم إذا ذكرنا سوله في كل صورة قال الله تعالى لعلهم فإن نظراً إلى الفعل المعلوم
الجزم فإن من الفعل المقصود لا يلزم الرجوع لزم أن ما يتبعه فتح قولنا يرجع ولكن علمه حاصلاً لما كان غايته ما في الباب أن الترجي
في الكل إنما يستعمل فيه الا الكلمات التي يعلمها فإنهم لا يحتمل لو أن الطلاق في حق الله تعالى وليس كذلك بل الترجي يكون في
موضع ما يلزم منه عدم العلم وإنما يلزم عدم الجزم بناء على ذلك الفعل وعلم الله ليس مستفاداً من الفعل فيصح
في حقه الترجي في حقه على ما ذكرنا من المعنى ثم قال تعالى ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه يعني لما ذكرتهم
يرجعون ويكونون ممن ذكروا بآيات الله من النعم أولاً ثم النقم ثانياً ولم يؤمنوا فلا أظلم منهم لأحد إذ من يكفر
بالله ظالم فإن الله لذوي البصائر ظاهر لا يحتاج إليه المستتر الباطن الخفي شاهد يشهد عليه بل هو شهيد على كل
شيء كما قال تعالى أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد أي دليل الله لا يحتاج بأنه الباطن إلى دليل على الله ولهذا
قال بعض العارفين رأيت الله قبل كل شيء فمن لم يعرفه الله فيا أيها الموجودات سوى أنه نصبها شواهد كان
في معرفة الله كما قال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم فإنه لم يكفهم ذلك يسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة
فالأول للسالك لا يحتاج إلى غير الله وهو حاصل والثاني يحتاج إلى دليل فهو متوسط والثالث الذي لم يكفه الآيات ظالم
والرابع الذي لم تنفعه النعم أظلم منه آخر يقول وإذا ذاق العذاب يرجع عن ظلمه فإن الأكثر كان
من ضعفهم أنهم إذا مسهم ضر دعوا ربهم منيبين إليه فهذا إذا عذب ولم يرجع فلا أظلم منه أصلاً ثم قال إنا من المجرمين
لما ذكر ما قرب ربه ثم أعرض عنها ثم قال إنا من المجرمين منتقمون أي لما سمعهم العذاب الأدنى فما ينتقم منهم
بالعذاب الأكبر ثم قال تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب لما قرر الأصول الثلاثة على ما بيناه عاد إلى الأصل الذي بدأ
به وهو الرسالة المذكورة في قوله تعالى لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير وقال لست بدعاً من الرسل بل كان قبلك رسل
مثلك ولقد آتينا موسى الكتاب كما آتيناك هذا الكتاب ورجوعهم كان على جنسه النبي صلى الله عليه وسلم وإنما اختار موسى عليه السلام
لقربه من النبي عليه السلام ووجود من كان على دينه إلزاماً لليهود ولم يختر عيسى عليه السلام
للذكر والاستدلال لأن اليهود ما كانوا يوافقون على نبوته وأما النصارى كانوا يعترفون بنبوة موسى
عليه السلام فتمسك بالمجمع عليه وقوله فلا تكن في مرية من لقائه فيه وجوه أحدها ولا تكن في شك من لقائك موسى فإنك تراه
وتلقاه وقيل بأنه رآه ليلة المعراج وقيل معناه فلا تكن في شك من لقاء الكتاب فإنك تلقاه كما تلقى موسى الكتاب
ويحتمل أن يكون الأمر والآية للتقرير لتسلية النبي عليه السلام فإنه لما أتى بكل آية وذكرها وأعرض عنها قومه
حزن عليه فقيل له تذكر حال موسى ولا تحزن فإنه لقي ما لقيت وأوذي كما أوذيت وعلى هذا فاختيار موسى
عليه السلام لحكمة وهو أن أحداً من الأنبياء لم يؤذه قومه إلا الذين لم يؤمنوا به وأما الذين آمنوا به فلم يخالفوه غير قوم
موسى فإن منهم من آذاه مثل قارون وغيره ومن آمن به من بني إسرائيل أيضاً آذاه بالمخالفة وطلب أشياء منه
مثل طلب رؤية الله جهرة ومثل قولهم اذهب أنت وربك فقاتلا ثم قال له اشتياقه عن حالتيه من الصحبة
كأنه لم تخل هداية موسى حتى جعل الله كتابه هدى وجعل منهم أئمة يهدون كذلك نجعل كتابك
هدى ونجعل من أمتك صحابة يهدون كما قال عليه السلام أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ثم بين أن ذلك
يحصل بالصبر وقال لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون فكذلك اصبروا وآمنوا بأن وعد الله حق ثم قال
تعالى إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون هذا يصلح جواباً لسؤال وهو أنه لما قال تعالى
وجعلنا منهم أئمة يهدون كان لقائل أن يقول كيف كانوا يهدون وهم اختلفوا وصاروا فرقاً وسبيل الحق واحد
فقال فيهم هداة والله يفصل بين المختلفين منهم كما يفصل بين الكل يوم القيامة وفيه وجه آخر وهو أن الله
تعالى بين أنه يفصل بين المختلفين من أمم ولم يكن يفصل بين المختلفين من الأمم فيمنع أن لا يأمن من أمن و
لم يجتهد وقال المشيع موثرب كالكافر فإنه يأتي المثاب بعذاب الكافر إن شاء الله أن يردوا أو يدوم ثم قال
تعالى أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات لما ذكر الرسالة
ثم قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب يعود إلى الرسالة

محمد عليه السلام وأعاده لبيان ما سبق في قوله لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير فلما عاد ذكر الرسالة أعاد ذكر التوحيد وقال أولم يهد
لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم زيادة في إبانة أن مساكن المهلكين دالة على حالهم وأنهم يمشون فيها و
يمرون بها ويرونها أن في ذلك لآيات أفلا يسمعون اعتبر فيه السمع لأنهم ما كانوا فيه الإدراك بأنفسهم ولا استنباط بعقولهم فقال
أفلا يسمعون يعني ليس لهم درجة المتعلم الذي يسمع الشيء ويفهمه ثم قال تعالى أولم يروا أنا نسوق الماء إلى
الأرض الجرز لما بين الإهلاك وهو الإماتة بين الإحياء ليكون إشارة إلى أن الضر والنفع بيد الله والجرز الأرض اليابسة
التي لا نبات فيها والجرز هو القطع وكأنها المقطوع عنها الماء والنبات ثم قال فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم
قدم الأنعام على الأنفس في الأكل لوجوه أحدها أن الزرع أول ما ينبت يصلح للدواب ولا يصلح للإنسان والثاني
هو أن الزرع غذاء الدواب لا بد منه وأما غذاء الإنسان فقد يحصل من الحيوان فكان الحيوان يأكل الزرع ثم الإنسان يأكل من
الحيوان والثالث إشارة إلى أن الأكل من ذات الدواب والإنسان يأكل بحيوانيته وأما ما به من القوى العقلية فكماله بالعبادة
ثم قال أفلا يبصرون ههنا لأن الأمر مرئي يرى وفيما تقدم كان مسموعاً لهم ثم لما بين الرسالة والتوحيد بين الحشر
بقوله تعالى ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين إلى آخر السورة فصار ترتيب آخر السورة كترتيب أولها حيث
ذكر الرسالة في أولها بقوله لتنذر قوماً ما أتاهم في آخرها بقوله ولقد آتينا موسى الكتاب وذكر التوحيد بقوله الله الذي
خلق السموات والأرض وبقوله ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين وفي آخرها بقوله أولم
يروا أنا نسوق الماء وذكر الحشر في أولها بقوله وقالوا أإذا ضللنا في الأرض وفي آخرها بقوله
ويقولون متى هذا الفتح وقوله تعالى قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون أجاب عن سؤالهم في تلك الحالة
لأن الإيمان المقبول هو الذي يكون في دار الدنيا وهم يقولون إنا نعود إلى الدنيا يوم الفتح فيقبل أنا ليس لهم ما يبين
السائل وأيضاً ولا هم ينظرون ثم قال تعالى فأعرض عنهم أي لا تناظرهم بعد ذلك فإنما الطريق بعد هذا القتال
وقوله وانتظر إنهم منتظرون يحتمل وجوهاً أحدها وانتظر هلاكهم فإنهم منتظرون هلاكك وعلى هذا فرق بين الانتظارين لأن
انتظار النبي عليه السلام بأمر الله وبعد وعده وانتظارهم بتسويل أنفسهم والتعويل على الشيطان وثانيها وانتظر النصر
من الله فإنهم منتظرون الغلبة عليكم وفرق بين الانتظارين بين وثالثها وانتظر عذابهم فإنهم منتظرون
فلا يظهر لهم إلا كما قالوا فإننا لما تعرضنا لهم في هذه الأوقات فهم عند الحق وذلك الله أعلم بالصواب

سورة الأحزاب

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها النبي اتق الله فيه مسائل
المسألة الأولى في الفرق بين النداء والمنادى بقوله يا رجل ويا أيها الرجل يقدر بينهما فرق ولكن نقول
القائل يا رجل يدل على النداء وقوله يا أيها الرجل يدل على ذلك أيضاً وينبئ عن خطر خطب المنادى له أو غفلة المنادى
أما الثاني فذلك وأما الأول فلأن قوله يا أي جعل المنادى غير معلوم أولاً فيكون كل سامع متطلعاً إلى
المنادى فإذا خص واحداً كان في ذلك إنباء الكل لتطلعهم إليه وإذا قال يا زيد أو يا رجل لا يلتفت إلى جانب
المنادى إلا المذكور إذا علم هذا فنقول يا أيها لا يجوز حمله على غفلة النبي لأن قوله النبي ينافي الغفلة لأن النبي
عليه السلام خبير فلا يكون غافلاً فيجب حمله على خطر الخطب المسألة الثانية الأمر بالشيء لا يكون إلا عند اشتغال
المأمور بغير المأمور به إذ لا يصح أن يقال للجالس اجلس وللساكت اسكت والنبي كان متقياً فما الوجه فيه نقول
فيه وجهان أحدهما منقول وهو أنه أمر بالمداومة فإنه يصح أن يقول القائل للجالس اجلس ههنا إلى أن أجيئك و
يقول القائل للساكت قد أصبت فاسكت تسلم أي دم على ما أنت عليه والثاني وهو معقول لطيف وهو أن
الملك يتقي منه عباده على ثلاثة أوجه بعضهم يخاف من عقابه وبعضهم يخاف من قطع ثوابه والثالث يخاف من احتجابه
فالنبي لم يؤمر بالتقوى بالمعنى الأول والثاني وأما الثالث فالمخلص لا يأمنه ما دام في الدنيا وكيف والأمور الدنيوية
شاغلة والآدمي في الدنيا تارة مع الله وتارة مقبل على ما لا بد منه وإن كان مع الله وإلى هذا أشار بقوله

انما انا بشر مثلكم يوحى الي يعني يرتفع الحجاب عني وقت الوحي ثم اعود الى حكم كاني منكم فامر سنوي بوجه استلامة
الحضور الوجه الثاني بحوان النبي عليه السلم كل لحظة كان يزداد علمه ومرتبته حتى كان حاله فيما مضى بالنسبة
الى ما هو فيه تركا للاولى فكان له في كل ساعة توبة متجددة فتوبه التي الله على هذا التي عا السر فيه والى هذا اشار عليه السلم
متالسنون بوما [illegible] ولانه طلب من ربه بامر الله اياه به زيادة العلم حيث قال رب زدني علما وايضا
الى هذا ومعنا اشار بقوله عليه السلم انه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة يعني يجد له مقام لا
يقول للذي اثبت به من الشكر والعبادة لم يكن شاكرا الا علم هذا قال النبي عليه السلم بحكم انما انا بشر مثلكم كان يدفع له خوف
ما يسير من جهة البشر كما رأى المنافقين ومثلهم بدليل قوله تعالى وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فامر الله
سفون كفر [illegible] سفيه بحيث يشبه الخلق ولا يبدله الحق ويثاه الله به درجته وكان ذلك بشارة له ان
يا ايها النبي انت ما نبيت في الدرهم التي نتبع منك بتقوى مثل تقول الحاد [illegible] الادنا دبلا تتبع منك الا
نتقوى بسبيل نفسك لما من ان لا ان انا [illegible] كان خاف بوت حال ان هجم عليه غاشم يقصد قتله يذهل
عن ذلك ويهرب ويتركه [illegible] النبي عليه السلم امر مثل هذا العقل ومع هذا الهول لا يشق الخوف من احد
غير الله وجنح هذا [illegible] العالم لمن يخاف زيدا وعمرا [illegible] كان عمرو
معك فلا [illegible] الخوف من عمرو [illegible] الخوف [illegible] زيادة الخوف
من عمرو حتى يشبه [illegible] قطع الكافرين والمنافقين [illegible] الله يقول [illegible] من
طاعتهم المسلمة [illegible] الكافرين والمنافقين [illegible] النبي عليه السلم [illegible] عبد الله [illegible]
لو حين اصحابه ان ذكر [illegible] الله لا [illegible] النبي عليه السلم لا اتباع [illegible] النبي عليه السلم
مطيعا له بل [illegible] اتباعه [illegible] والثاني [illegible] تعالى [illegible] الكافرين والمنافقين
منهم [illegible] كل من [illegible] النبي عليه السلم طاعته [illegible] امر النبي عليه السلم بامر
امر ايجاب معتقدا على انه لو لم يفعله [illegible] كان [illegible] تعالى ان الله كان عليما
حكيما [illegible] التقوى [illegible] الله [illegible] الذي [illegible]
من نفسه الشجاعة [illegible] التقوى من الله [illegible] عليم [illegible] حكيم [illegible]
[illegible] الكافرين والمنافقين [illegible] النبي عليه السلم شيئا
[illegible] المعلم [illegible] الله تعالى انه حكيم
[illegible] الله [illegible] العالم [illegible] تعالى واتبع
ما يوحى اليك من ربك [illegible] الله [illegible] تعالى ان الله كان
بما تعملون خبيرا [illegible] الله [illegible] خبيرا باعمالكم [illegible] اعمالكم
[illegible] تعالى وتوكل على الله [illegible] على الله [illegible]
[illegible] تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه [illegible]
[illegible] قلبان [illegible] محمد [illegible] الله
عليه [illegible] ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه [illegible] الزمخشري [illegible]
[illegible] الرجل [illegible] الحق [illegible]
ان الله تعالى [illegible] النبي عليه السلم [illegible] يا ايها النبي اتق الله [illegible]
[illegible]
[illegible] الخوف [illegible] تعالى [illegible] يا ايها النبي اتق الله [illegible]
[illegible] الله [illegible] ذلك

الامر

[illegible] منه الله [illegible] وذلك لا يليق بالنبي الذي يدعي انه يتقي الله حق تقاته ثم ذكر النبي عليه السلم ايضا
ان [illegible] في حكاية زينب زوج زيد حيث قال الله تعالى وتخشى الناس والله احق ان تخشاه
[illegible] التقوى [illegible] في ذلك ثم لما ذكر النبي عليه السلم [illegible] ذكر ما يدفع عنه السوء وقال ما جعل الله
[illegible] انكم [illegible] على انتفاع [illegible] ما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم
[illegible] على كظهر امي [illegible] احكام الجاهلية [illegible] الاسلام [illegible] الظهار [illegible]
[illegible] الجاهلية [illegible] كان [illegible]
[illegible] الزوجة [illegible] قول العالم [illegible] انت [illegible] زوجة [illegible]
[illegible] ذلك [illegible] الناس [illegible] كيف [illegible] كان [illegible]
عند الله [illegible] تعالى ذلكم قولكم
بافواهكم [illegible] الكلام [illegible]
[illegible] الكلام [illegible] الله
[illegible] والكلام الذي [illegible] الكلام
[illegible] والله تعالى [illegible] على
[illegible] الحيوانات [illegible] مع انه [illegible] كلاما
فان الكلام في المعنى [illegible] والله تعالى [illegible] ذلكم قولكم بافواهكم [illegible]
[illegible] النصارى المسيح ابن الله ذلكم قولهم بافواههم يعني [illegible] الحقيقة [illegible] له و
[illegible] تعالى والله يقول الحق
[illegible] العالم [illegible]
[illegible] الحقيقة [illegible] الزوج [illegible] امرأة [illegible]
[illegible] الزوج الثاني [illegible]
[illegible] الحق [illegible]
[illegible] ابن [illegible]
[illegible] السبيل [illegible]
[illegible] الكلام الذي [illegible]
[illegible] الكلام [illegible]
[illegible] الكلام
[illegible] يقول [illegible]
[illegible]
[illegible] الكاذب [illegible] النبي عليه السلم [illegible]
الله الحق [illegible] تعالى [illegible] الله [illegible]
[illegible]
[illegible] الله اكبر [illegible]
[illegible]
[illegible] عليكم جناح فيما
اخطأتم به [illegible] العالم [illegible]

لا يريد ان المعفو في اليمين مثل الخطأ وسبق اللسان في قول القائل لا والله بلى والله والسهو ونحوه اتى من غير قصد
الى اثبات السبب سهوا ونحوه ولكن ما تعمدت قلوبكم مبتدأ خبره محذوف يدل عليه ما سبق وهو الجناح
يعني فيه جناح قلوبكم فيه جناح وكان الله غفورا رحيما يغفر الذنوب ويرحم المذنب وقد ذكرنا كلاما
شافيا في المغفرة والرحمة في مواضع ونعيد بعضها ونقول المغفرة هو ان يستر القادر القبيح الصادر
عمن تحت قدرته حتى ان العبد اذا ستر عيب سيده مخافة عقابه لا يقال غفر له والرحمة هو ان يميل اليه
بالاحسان لعجز المرحوم اليه لا لعوض فان من مال الى ان نفسه فاخر كالسلطان لا يقال رحمه وكذا من احسن
الى من يرجو خيره ادعوها عما صدر منه آثاما من احسان لا يقال رحمه اذا علم هذا فالمغفرة اذا ذكرت قبل الرحمة
يكون معناها انه ستر عيبه ثم رآه مفلسا عاجزا فرحمه واعطاه ما كفاه واذا ذكرت المغفرة بعد الرحمة يكون
معناه انه مال اليه لعجزه فترك عقابه ولم يقتصر عليه بل ستر ذنوبهم قال تعالى النبي اولى بالمؤمنين تقريرا
لحكمة ما صدر منه عليه السلم من التزوج بزينب كان هذا جواب عن سؤال وهو ان قائلا لو قال هب ان
الادعياء ليسوا بابناء كما قلت لكن من سماه غيره ابنا اذا كان لمعتقه شيء حسن لا يليق بمروته ان ياخذ منه
ويطعن فيه فقال تعالى النبي اولى بالمؤمنين جوابا عن ذلك السؤال وتقريره هو ان دفع الحاجات
على مراتب دفع حاجة الاجانب ثم دفع حاجة الاقارب الذين هم حواشي النسب ثم دفع حاجة الاصول و
الفصول ثم دفع حاجة النفس وهو ادنى عرفا دفعا للتالف وكذلك شرعا فان الله تعالى [illegible] منهم ما تحملها
على الاجانب [illegible] ومحفوظا [illegible] والامر كذلك فان النفس مقدم على الغير
واليه اشار النبي عليه السلم بقوله ابدأ بنفسك ثم بمن تعول اذا علمت هذا فالانسان اذا كان معه ما يقضي به احدى
الحاجتين اما يدفع به حاجته عن احد شيئين يدنه فلو اخذ العطاء من اجلها واعطى به الاخرى لا يمكن لاحد ان يقول
لم فعلت فضلا من ان يقول بئس ما فعلت اللهم الا ان يكون احد العضوين اشرف من الآخر مثل ما اذا وقى الانسان
عينه بيده ويدفع البرد عن راسه الذي هو معدن حواسه ويترك بطنه بردا فانه الواجب عقلا فمن يعكس الامر
يقال له لم فعلت واذا تبين هذا فالنبي عليه السلم اولى بالمؤمنين من انفسهم فلو دفع حاجة نفسه دون حاجة
نبيه يكون مثله مثل من [illegible] ويكشف راسه [illegible] فاذا به [illegible] يعلم انه
يؤذي به راسه الذي هو [illegible] منه فكذلك دفع حاجة النفس لتنفعها الى عبادة الله ولا يعلم
كيفية العبادة الا من الرسول فلو دفع الانسان حاجته الى العبادة فهو ليس دفعا للحاجة بل دفع الحاجة
الموقوف تحصيل المصلحة وههنا ليس فيه مصلحة فضلا من ان يكون حاجة واذا كان للعبادة من كل النبي
الذي يعلم كيفية العبادة في الحاجة رفع حاجة النفس قبل ترتيبه الشرع اهمال امر الراس [illegible] النبي
عليه السلم اذا اراد شيئا حرم على الغير ان يلتفت الى الحكم الواضح ثم بين ان ازواجه امهاتهم تقريرا لحرمتهن
ان تقدم النبي عليه السلم ما جعلها في حكم الام لا تنقطع نظرهم عما يتعلق به غرض النبي عليه السلم فاذا تعلق
خاطره بامراة شاركتهم الروحانية في النساء فحرمت مثلما حرمت ازواجه على غيره ولو قال قائل كيف قال
وازواجه امهاتهم وقال من قبل وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم اشارة الى عدم صيرورتهن
بالتعبير اما بوجه ولذلك قال تعالى ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم نقول قوله تعالى في الآية المتقدمة
والله يقول الحق وهو يهدي السبيل جواب عن هذا معناه ان الشرع مثل الحقيقة ولهذا يرجع العامل عند تعذر
اعتبار الحقيقة الى الشرع كما ان العربي اذا احتمل لفظه معنيين ولم يكن هناك بيانه وحلف
احدهما دون الآخر يحكم لنا بالولد [illegible] البلوغ او بكر بينة لا يحكم لنا بالولد فعلم ان عند
عدم الوصول الى الحقيقة يرجع الى الشرع لا بل في بعض المواضع على التقدير يغلب الشرع الحقيقة فان الزاني
لا يلحقه الولد لزنا اذ الشرع هذا فان الشارع له الحكم فتقول للقائل هذه امي قولا يتم لا عن حقيقة ولا نسب يعلم

حقيقه

حقيقة واما قول الشارع حق والذي يوثقه هو ان الشارع به الحقائق فما بين فلم ان نتصرف فيها لم نترك
ان الام ما صارت اما الا لانها اولدته ولو طلقته في جوف عزمها لكانت لهم عزمها فاذا كان هو الذي
يجعل الام الحقيقي اما فاولى ان يسمى المراة اما ويعطيها حكم الامومة والمعقول لا يجعل ازواجه امهاتنا وهو ان
الله تعالى جعل زوجات الاب محرمة على الابن لان الزوج محل الغيرة والتنازع فيها فان تزوج الابن من كانت
تحت الاب يفضي ذلك الى قطع الرحم والعقوق لكن النبي عليه السلم اشرف واعلى درجة من الاب فبالاولى فان
الاب يربي في الدنيا فحسب والنبي عليه السلم يربي في الدنيا والآخرة فتجب ان يكون زوجاته مثل زوجات الاباء
فان قال قائل فلم لم يقل ان النبي ابوكم ويحصل هذا المعنى لم لم يقل ان ازواجه ازواج ابيكم نقول
لحكمة وهو ان النبي لما سأل انه اذا اراد زوجة واحد من الامة وجب عليه تركها ليتزوج بها النبي عليه السلم فلو كان
ابا لهم يحرم على [illegible] المومنين على التأبيد [illegible] لما جعله اولى بهم من انفسهم والنفس مقدم على الاب
لقوله ابدأ بنفسك ثم بمن تعول وكذلك فان المحتاج الى العرف لا يجب عليه صرفه الى الاب ويجب عليه صرفه الى النبي
عليه السلم ثم ان ازواجه لهم حكم الامهات في تحريم [illegible] ولا وجوب على المومنين الانفاق لهن ولا لغيرهن لان كان
التكفل بهن على الحقيقة والرضاع [illegible] قال تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض اشارة الى ان
الميراث [illegible] الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا اشارة الى الوصية يعني ان ارادتم فغير الوارث اولى ولازم تصرفوا
فالوارثون اولى بميراثكم وان تركتم فان [illegible] هنا اي [illegible] للميراث [illegible] بما ذكر فنقول
تعلق قوي هو ان [illegible] الله [illegible] وهو ان غير النبي في حال حيوته يصير له مال الغير وبعد وفاته
لا يصير له بعد وفاته والنبي عليه السلم في حال حياته كان يصير له مال الغير اذا اراد ولا يصير له لورثته بعد
وفاته كان الله تعالى عوض النبي عليه السلم عن قطع ميراثه بقدرته على تملك مال الغير وعوض المؤمنين بانه
لا يتركه يرجع اليهم حتى لا يكون حرج على المؤمنين في ان النبي عليه السلم اذا اراد شيئا يصير له ثم لموته يبقى لورثته بسوء
عليهم ولا يرجع اليهم قال تعالى واولو الارحام بعضهم اولى ببعض يعني بينكم التوارث فيصير مال احدكم لغيره بالارث
والنبي لا يورث منه ومثل ما [illegible] لان يكون له بل فقيها انه اولى [illegible] بما في ايديكم السابق هو ان
الله تعالى ذكر دليلا على ان النبي عليه السلم اولى بالمؤمنين وهو ان اولي الارحام بعضهم اولى ببعض ثم ان الا ولو
احد تصدق بشيء [illegible] بقصد اولى من قريبه وكانه بالوصية يظهر الارث ذلك هذا المال
لا يستعمل في الحال الى من [illegible] فكذلك الله تعالى جعل لمحمد [illegible] ما اراده من المسلمين اما فعل منه يكون لغيره وذلك
كان ذلك في الكتاب مسطورا منه وهو [illegible] في التنزيل وبعد [illegible] الموارث والوصية هو ما في اللوح المحفوظ
ثم قال تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم وجه تعلق الآية بما قبلها هو ان الله تعالى لما امر النبي
صلى الله عليه وسلم بالاتقاء بقوله يا ايها النبي اتق الله واكده بالحكاية التي خشي فيها الناس لكيلا يخشى احدا
غيره وبين انه لم يرتكب امرا يوجب الخشية بقوله النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم اكد ذلك بوجه آخر وهو قال واذ
اخذنا كأنه قال اتق الله ولا تخف احدا واذكر ان الله اخذ ميثاق النبيين في انهم يبلغون رسالات الله
ولا يمنعهم من ذلك خوف ولا طمع [illegible] اولى المراد من الميثاق المأخوذ من النبيين اداء الرسالة وفهمهم
بالتبليغ المسالة الثانية خص بالذكر اربعة من الانبياء ثم نوح وابراهيم وموسى وعيسى لان موسى وعيسى
كان لهما في زمان نبينا قوم وامة وذكرهما احتجاجا على قومهما وابراهيم كان العرب يفتخرون بنسله وكانوا
يتبعونه في الشعائر بعضها ونوح لانه كان اصلا ثانيا للناس حيث وجد الخلق منه بعد الطوفان
وهل هذا الوجه قائل فان آدم كان اولى بالذكر من نوح نقول خلق آدم كان للعمارة ونبوته كان مثل الارشاد
للاولاد ولهذا لم يكن في زمانه اهلاك قوم ولا تعذيب واما نوح فكان مخلوقا للنبوة وارسل للانذار ولهذا
اهلك قومه واغرقوا المسالة الثالثة في كثير من المواضع يقول الله تعالى على بعضهم بالمسيح بن مريم اشاره

الى انه ثاب له اذ لو كان لم يوثق التوبيخ به ويطيعه واخذنا منهم ميثاقا غليظا غلظ الميثاق بسؤالهم عما
فعلوا في الارسال كما قال تعالى ولنسألن المرسلين وهذا لان الملك اذا ارسل رسولا وامره بشي وقبله منه شي
فاذا علم بانه يسال عن حاله في فعاله واتقى الله لم يكن ذلك تغليظا للميثاق عليه حتى لا يزيد ولا ينقص في الرسالة
وعلى هذا لم يكن لرسالة الا من يرد تعالى ولكن هذا حذرنا له وفي تعريفهم الى بعض ولعلنا عنهم مسا ما غلظ
سوى الاخبار بانهم مسولون عنها كما قال النبي عليه السلم كلكم راع وكلكم مسول وكما ان الله جعل الرجال قوامين على النساء
وجعل الانبيا قائمين بامر اممهم وارباب نعم الرسل الرشاد ثم قال تعالى ليسال الصادقين عن صدقهم
واعد للكافرين يعني ارسل الرسل وعاقبة المكذبين العذاب وانما عذاب الا الصادقين محاسبة الكافر معذب وكما
وهذا كما قال علي رضي الله عنه الدنيا حلالها حساب وحرامها عذاب وهذا مما يوجب الخوف العام بينا كذلك
قوله تعالى يا ايها النبي اتق الله ثم قال تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم تحقيقا لما سبق من
الامر بتقوى الله بحيث لا يبقى معه خوف من احد وذلك لان في وقعة الاحزاب اجتمع الناس واشتد الامر على
الاصحاب حين اجتمع المشركون باسرهم واليهود باجمعهم ونزلوا على المدينة وعمل النبي عليه السلم الخندق كان الامر في غاية الشدة
والخوف بالغا الى الغاية والله نجى القوم عنهم من غير قتال وامنهم من الخوف فينبغي ان لا يخاف العبد غير ربه فانه
كان عالما بما في مكرهم فانه قادر على كل ممكن وكان قادرا على ان ينهي المؤمنين بالكفار مع انهم كانوا ضعفا كما انهم الكافرين
بالمومنين مع قوتهم وشوكتهم وقوله فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها اشارة الى ما فعل الله بهم من ارسال الريح
البارة عليهم في ليلة شاتية وارسال الملائكة وقذف الرعب في قلوبهم حتى كان البعض يلتزق بالبعض من خوف الخيل
في جوف الليل والحكاية مشهورة وقوله وكان الله بما تعملون بصيرا اشارة الى ان الله علم التجاكم الى الله ورجاكم
فضل الله فنصركم على الاعدا عند استعلاء وهذا تقرير لوجوب الخوف وعدم جواز الخوف من غير الله فان
قوله فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها اشارة الى ان الله يقضي حاجتكم وانتم لا ترون فان كان لا يظهر لكم وجه
الامر فلا تلتفتوا الى عدم ظهوره لكم لانكم لا ترون الاشيا فلا تخافوا غير الله والله بصير بما تعملون فلا
تقولوا بانا نفعل شيئا لم يره احد فانه بكل شي بصير وقوله اذ جاوكم من فوقكم ومن اسفل منكم
بيان لشدة الامر وغاية الخوف وقيل من فوقكم اي من جانب الشرق ومن اسفل منكم من جانب الغرب
وهم اهل مكة واذ زاغت الابصار اي مالت عن سننها فلم تلتفت الى العدو لحيرته وبلغت القلوب الحناجر
كناية عن غاية الشدة وذلك لان القلب عند الغضب يندفع وعند الخوف يجتمع فيتقلص فيلتصق بالحنجرة
وقد يفضي الى ان يسد مخرج النفس فلا يقدر المرء ان يتنفس ويموت من الخوف ومثله قوله تعالى
حتى اذا بلغت الحلقوم وقوله وتظنون بالله الظنونا الالف واللام يمكن ان يكونا للاستغراق سوال بالغة يعني تظنون
كل ظن لان عند الامر العظيم كل احد يظن شيئا ويمكن ان يكون للعهد اي ظنونهم المعهودة لان المعهود من المومن ظن
الخير بالله كما قال عليه السلم ظنوا بالله خيرا ومن الكافر الظن السو كما قال تعالى ذلك ظن الذين كفروا
وقوله لن يسبق الا الظن فان قال قائل المصدر لا يجمع فما الفائدة في جمع الظنون فنقول لا شك في انه منصوب
على المصدر ولكن الاسم قد يجعل مصدرا كما يقال ضربته سياطا وادبته مرارا فكانه قال ظننتم ظنا بعد ظن اي ما ثبتم
على ظن والفائدة هي ان الله تعالى لو قال يظنون ظنا جاز ان يكونوا مصيبين فاذا قال ظنونا تبين ان فيهم
من كان ظنه كاذبا لان الظنون قد يكذب كلها وقد يكذب بعضها اذا كانت في شي واحد مثاله
اذا راى جمع من بعيد جسما وظن بعضهم انه زيد واخرون انه عمرو وقوم انه بكر وعلى هذا فظهر لهم الحق قد
يكون الكل مخطئين والمرئي حجر او شجر وقد يكون احدهم مصيبا ولا يمكن ان يكون الكل مصيبين فقال الظنونا
انادنا ان فيهم من اخطا الظن ولو قال يظنون بالله ظنا ما كان يفيد هذا ثم قال تعالى هنالك ابتلي
اي عند ذلك امتحن الله المومنين فتميز الصادق عن المنافق والامتحان من الله ليس
بل لحكمة اخرى

يعني

213

يعني ان الله تعالى عالم بما هم عليه لكنه اراد اظهار الامر لغيره من الملائكة والانبيا كما ان السيد اذا علم من عبده
المخالفة وعزم على معاقبته على مخالفته وعنده غيره من العبيد او غيرهم فيامره بامر عالما بانه يخالفه فيبين
الامر عند الغير فتقع المعاقبة على احسن الوجوه حيث لا يقع لاحد انه يظلم او من قلة حلم وقوله وزلزلوا اي ازعجوا
وحركوا فمن ثبتهم كان من الذين تطمئن قلوبهم اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وبذكر الله تطمئن ثم اخرى فهم المومنون حقا
ثم قال تعالى واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض فسر الظنون وبينها فظن المنافقون ان ما قال
الله ورسوله كان غرورا ووعدا كان غير واجب حيث طمعوا بان الغلبة واقعة واذ قالت طائفة منهم يا اهل
يثرب لا مقام لكم اي لا وجه لاقامتكم مع محمد كما يقال لا اقامة على الذل والهوان اي لا وجه لها ويثرب
اسم للبقعة التي فيها المدينة فارجعوا اي عن محمد واتفقوا مع الاعراب تخرجوا من الغرار ثم السامعون
عزموا على الرجوع واستاذنوا فقالوا ان بيوتنا عورة اي فيها خلل لا يامن صاحبها السارق على متاعه
والعدو على اتباعه ثم بين الله كذبهم بقوله وما هي بعورة وبين قصدهم وما تكن في صدورهم وهو الفرار
وزوال التعزير بسبب الخوف ثم قال تعالى ولو دخلت عليهم من اقطارها ثم سئلوا الفتنة لاتوها
اشارة الى انه وتلك الفرار والرجوع ليس لحفظ البيوت لان من يفعل فعلا لغرض فاذا فاته الغرض لا يفعل
كمن يبذل المال لكي لا يوخذ منه بيته فاذا اخذ منه البيت لا يبذله فقال الله تعالى انهم قالوا ان رجوعنا
عنك لحفظ بيوتنا ولو دخلها الاحزاب واخذوها منهم لرجعوا ايضا وليس رجوعهم عنك الا بسبب كفرهم
وحبهم الفتنة وقوله ولو دخلت عليهم يحتمل ان يكون المراد اهل المدينة فاحتمل ان يكون المراد اهل البيوت وقوله
وما تلبثوا بها يحتمل ان يكون المراد الفتنة اي ما تلبثوا بالفتنة الا يسيرا فانها تزول ويكون العاقبة للمتقين ويحتمل
ان يكون المراد المدينة او البيوت اي ما تلبثوا بالمدينة الا يسيرا فان المومنين يخرجونهم ثم قال تعالى ولقد
كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار وفيه بيان لنقضهم العهد فانهم من قبل ذلك تخلفوا واظهروا عذرا وندما
وذكروا ان القتال لو ثبت لهم قاتلوا ثم هم بعد ذلك وكان عهد الله مسولا وقوله لن ينفعكم الفرار ان فررتم
من الموت او القتل اشارة الى ان الامر مقدر لا يمكن العدول عنه فلا يرفع عليكم الفرار وما قدره الله كائن ثم
او يبقى ذا الفة سنين في نحر العقاب آجله ولا ينفع بالمخالفة عاجلا ثم قال تعالى واذا لا تمتعون
الا قليلا كانه يقول ولو فررتم منه في يومكم مع انه غير ممكن لما دمتم بل لا تمتعون الا قليلا والعاقل
لا يرغب في شي قليل مع انه يفوت عليه شيئا كثيرا فلا فرار لكم ولو كان لما تمتعتم بعد الفرار الا قليلا
ثم قال تعالى قل من ذا الذي يعصمكم من الله بيانا لما تقدم من قوله لن ينفعكم الفرار وقوله ولا يجدون
لهم من دون الله تقرير لقوله من ذا الذي يعصمكم اي ليس لكم ولي يشفع لمحبته اياكم ولا نصير ينصركم
ويدفع عنكم السو اذا اتاكم ثم قال تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم اي الذين يثبطون
المسلمين ويقولون تعالوا الينا ولا تقاتلوا مع محمد عليه السلم ومنهم من قال هم المنافقون الذين كانوا
يقولون للانصار لا تقاتلوا وسلموا محمدا الى قريش ومنهم من قال هم اليهود الذين كانوا يقولون لاهل المدينة
تعالوا الينا وكونوا معنا وهلم بمعنى تعالوا او احضر ولا يجمع في لغة الحجاز ويجمع في غيرها فيقال
للجماعة هلموا وللنساء هلممن وقوله ولا ياتون الباس الا قليلا يويد الوجه الاول وهو ان المراد منهم المنافقون
يعني كانوا وحين اشهاده لا ياتون الباس يعني يتخلفون عنكم ولا يخرجون معكم وحينئذ قوله تعالى
اشحة عليكم اي بخلاء حيث لا ينفقون في سبيل الله شيئا وقوله ولا ياتون الباس يعني لا يقاتلون معكم
ويتعللون عند الاشتغال بالقتال ووقت الحضور معكم وقوله اشحة عليكم اي بانفسهم وابدانهم ثم قال تعالى
فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت اشارة الى غاية جبنهم ونهاية
روعهم واعلم ان البخل شبيه الجبن فلما ذكر البخل بين سببه وهو الجبن لان الذي يدل عليه هو ان الجبان يبخل بماله

ولا ينفقه في سبيل الله لانه لا يتوقع الظفر فلا يرجو الغنيمة فيقول هذا انفاق لا بدل له فيتوقف فيه
واما الشجاع فيبذله لظفره واغتنام فيهون عليه اخراج المال في القتال طمعا فيما هو اضعاف ذلك
واما بالنفس والبدن فكذلك لان الجبان يخاف قرنه ويتحقق القتل فيجبن ويترك الاقدام واما الشجاع
فيحكم بالغلبة والنصر فيتقدم وقوله فاذا ذهب الخوف سلقوكم اي غلبوكم بالسنة حداد [illegible]
يقولون نحن الذين قاتلنا وبنا انتصرتم وكسرتم العدو وقهرتم ويطالبونكم بالقسم اذا [illegible] الغنيمة وكانوا
من قبل راضين من الغنيمة بالاياب وقوله اشحة على الخير نقل الخير المال ويمكن ان يقال معناه انهم قليلو
الخير في الحالتين كثير الشر في الوقتين في الاول يتخلفون وفي الآخر كذلك ثم قال اولئك لم يؤمنوا
فاحبط الله اعمالهم يعني لم يؤمنوا فاحبط اعمالهم يعني لم يؤمنوا حقيقة وان اظهروا الايمان لفظا فاحبط
الله اعمالهم التي كانوا ياتون بها مع المسلمين وقوله وكان ذلك على الله يسيرا اي كل شيء على الله يسير اشارة
الى [illegible] في نظر الناظر كما في قوله تعالى وهو اهون عليه وذلك ان الاحباط اعدامهم واهدار علمهم والاجسام
اذا نظر الناظر يقول الجسم اعدامه يعسر لان الجزاء ان من احرق شيئا يبقى منه رماد وذلك لان الرماد
ان فرقته الريح يبقى منه ذرات وهذا مذهب بعض الناس والحق هو ان الله يعدم الاجسام ويعيد
ما [illegible] منها واما الاعمال [illegible] لو كان يبقى [illegible] فاذا [illegible] فهو يعدم
حسنة وحكما فالعمل [illegible] في الحقيقة بخلاف الجسم ثم قال تعالى يحسبون الاحزاب
اي من غاية الجبن عند ذهابهم كانوا يخافون [illegible] كانوا يودون لو كانوا في البوادي ولا يكونون بين
المقاتلين مع انهم عند حضورهم كانهم غائبين حيث لا يقاتلون كما قال تعالى ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا [illegible] ثم قال تعالى
ولما رأى المؤمنون الاحزاب لما بين حال المنافقين ذكر حال المؤمنين وهو انهم قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله
ثم قالوا وصدق الله ورسوله في مقابلة قولهم ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا [illegible] الى
ما وقع فانهم كانوا يوقنون صدق الله قبل الوقوع وانما هو اشارة الى ما وقع [illegible] هذا ما وعدنا الله وقد
وقع وصدق الله في جميع ما وعد [illegible] الكل مثل فتح مكة وفتح الروم وفارس وقوله وما زادهم الا ايمانا
بوقوعه وتسليما عند وجوده ثم قال تعالى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه اشارة
الى وفائهم بعهدهم الذي عاهدوا الله انهم لا يفرون [illegible] فمنهم من قضى نحبه اي قاتل حتى قتل فوفى
بنذره والنحب النذر ومنهم من هو بعد في القتال ينتظر الشهادة وفاء بالعهد وما بدلوا تبديلا بخلاف المنافقين
فانهم قالوا لا نولي الادبار وبدلوا قولهم وولوا الادبار ثم قال ليجزي الله الصادقين بصدقهم اي يجزيهم في
الدنيا والآخرة كما صدقوا عهودهم ويعذب المنافقين الذين كذبوا واخلفوا وقوله ان شاء ذلك [illegible]
[illegible] او يتوب عليهم ان اراد وانما قال ذلك حيث لم يكن قد حصل ياس النبي عليه السلام عن ايمانهم وآمن منهم
بعد ذلك ناس وقوله وكان الله غفورا رحيما حيث ستر ذنبهم ورحيما حيث رحمهم ورزقهم الايمان فيكون
هذا في معنى [illegible] او يتوب [illegible] المنافقين مع انه كان غفورا رحيما [illegible] ذنبهم [illegible] ولو كان
دون ذلك [illegible] ثم بين بعض ما جزاهم الله على صدقهم فقال ورد الله الذين كفروا بغيظهم اي مع غيظهم لم
يشفوا صدورا ولم يحققوا امرا وكفى الله المؤمنين القتال [illegible] وكان الله قويا عزيزا غير محتاج
الى قتالهم عزيزا قادرا على استيصال الكفار [illegible] ثم قال وانزل الذين ظاهروهم [illegible]
من اهل الكتاب وهم بنو قريظة من صياصيهم من قلاعهم وقذف في قلوبهم الرعب حتى سلموا انفسهم للقتل
واولادهم ونساءهم [illegible] فريقا تقتلون وهم الرجال [illegible] وتاسرون فريقا [illegible]
[illegible] وما [illegible]
[illegible] فوائد منها [illegible] والذي يظهر من هذا [illegible]

كانوا

كانوا مشهورين وكان القتل واردا عليهم والاسر كان واردا على النساء والصغار وما كانوا مشهورين والسبي والاسر اظهر من القتل
لانه يبقى فيظهر لكل احد انه اسير فقدم من المحلين ما هو اشهر على الفعل القائم به ومن الفعلين ما هو اشهر قدم على المحل
الخفي [illegible] فريقا تقتلون وتاسرون فريقا [illegible] فعل ومفعول [illegible] والعامل في الجملة
الفعلية تقديم الفعل على المفعول والفاعل [illegible] كأنه يقول
فريقا منهم [illegible] الظاهر [illegible] والحاكم على مثل هذا الكلام
شدة الاهتمام ببيان المفعول [illegible] الحكمة انه تعالى لما ذكر حال الذين ظاهروهم وانه قذف في قلوبهم الرعب
[illegible] السامع [illegible] ولم يعلم انهم هم المقتولون
[illegible] في قلوبهم الرعب [illegible] تمام الكلام [illegible] قدم المفعول
[illegible] الجملة الثانية [illegible] على الاصل بتقديم الفعل لزوال موجب التقديم [illegible]
اليهم [illegible] فمن سمع فريقا [illegible] يقتلون او [illegible] عليهم [illegible]
الفعل [illegible] الكلام في قوله وانزل الذين [illegible] وقوله وقذف [illegible] الرعب [illegible] انزال ان الرعب صار سبب
الانزال ولكن لما كان [illegible] في انزالهم اكثر قدم الانزال على قذف الرعب والله اعلم ثم قال واورثكم ارضهم وديارهم
[illegible] ملكوا ارضهم بالنزول فيها والاستيلاء عليها ثم ملكوا ديارهم بالدخول عليهم
[illegible] ثم اموالهم التي كانت في بيوتهم وقوله وارضا لم تطؤها قيل [illegible] القلاع وقيل [illegible] الروم وارض
فارس وقيل كل ما [illegible] الى القيامة وكان الله على كل شيء قديرا [illegible] قول من قال [illegible] وقوله
[illegible] سيوجد بعد [illegible] لما ملكهم تلك البلاد [illegible] استبعاد
[illegible] على الله تعالى [illegible] ثم قال
تعالى يا ايها النبي قل لازواجك [illegible]
[illegible] على [illegible] الله [illegible]
[illegible]
[illegible] عليه السلام [illegible]
[illegible]
[illegible] الظاهر [illegible]
[illegible] النبي عليه السلام [illegible]
[illegible] النبي عليه السلام [illegible] الظاهر [illegible]
النبي عليه السلام [illegible] النبي عليه السلام [illegible]
[illegible] والظاهر [illegible]
[illegible] الدنيا [illegible] الله ورسوله [illegible] على النبي عليه السلام [illegible]
[illegible] الظاهر [illegible] النبي عليه السلام [illegible]
[illegible] الدنيا [illegible] النبي عليه السلام [illegible]
[illegible]
[illegible] النبي عليه السلام [illegible]
[illegible] النبي عليه السلام [illegible] الله ورسوله والدار الآخرة
[illegible] الله [illegible] الله ورسوله [illegible]

الزمان وقوله للمحسنات لبيان ان احسانهن حتى يكون اتيانه في الحسنى كقوله تعالى ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن
وقوله تعالى من امن وعمل صالحا وقوله الذين امنوا وعملوا الصالحات ثم اجر العظيم الكثير الحسن في العقاب [illegible]
[illegible] بذلك لان العظيم في الاجسام لا يطلق الا على الزايد في الطول وفي العرض وفي العمق حتى لو كان زايدا
في الطول يقال له طويل ولو كان زايدا في العرض يقال له عريض وكذلك العميق فاذا وجدت الامور الثلاثة قيل عظيم
فيقال رجل عظيم اذا كان عاليا ممتدا في الجهات وان كان فيه فضل حتى يقال جبل عظيم اذا عرف هذا فاجر الدنيا
في ذاته قليل وفي صفاته غير خال عن جهة قبح لما في ماكوله من الغذر والثقل وكذلك في مشروبه وغيره من اللذات
واجر الاخرة كثير خال عن جهات القبح دائم فهو عظيم ثم قال تعالى يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة لما خير
حتى هن النبي واخترن الله ورسوله ادبهن الله وهددهن للتوقي عما يسوء النبي ويقبح [illegible] من الفاحشة التي [illegible]
[illegible] من كل ما تاتي به زوجته واذا عرفهن يضاعف لهن العذاب ومنه [illegible] ان الحسن اشد من العبير
نعذب على الزنا بسبب ما في الزنا من الفساد وزوجة النبي تعذب ان اتت به لذلك ولايذاء قلبه والازراء بمنصبه
وعلى هذا بنات النبي عليه السلام كذلك ولهذا لو كانت تحت النبي عليه السلام ذات بفاحشة لكن قد اضاف [illegible] على النبي
وكون ذلك الغير خيرا عندها من النبي واولاد النبي اولى من [illegible] فقد نزلت منصب النبي عليه السلام
[illegible] من العذاب ضعف وثانيتها ان هذا اشارة الى شرفهن لان الحرة عذابها ضعف عذاب الامة
اظهارا لشرفها ونسبة النبي الى غيره من الرجال نسبة السادات الى العبيد لكونه اولى بهم من انفسهم فكذلك زوجاته
ونسبته اللاتي هن امهاتها [illegible] وام المؤمنين اعلى حالها [illegible] علمه ولحبه الطاعة [illegible] مامورة [illegible]
له [illegible] بالنسبة الى زوجة النبي عليه السلام كالامام بالنسبة الى الحرم واعلم ان قول القايل
من يفعل ذلك [illegible] لئن اشركت ليحبطن عملك [illegible] الوقوع [illegible] في بعض الصور
[illegible] من [illegible] يزداد [illegible] تعالى [illegible]
عندنا من الفضل [illegible] عن الفاحشة وقوله تعالى وكان ذلك على الله يسيرا [illegible]
[illegible] وكونه [illegible] وليس لغيرالله كامل الكل [illegible]
[illegible] اوليائهم واعوانهم ويشفعاتهم ولعطائهم ثم قال تعالى ومن يقنت
منكن لله ورسوله [illegible] اجرها مرتين [illegible] تعالى يضاعف
لها العذاب ضعفين مع [illegible] وفي [illegible] ذكر الموتي [illegible] العذاب [illegible]
بالمعذب [illegible] الكلام الرحيم والكريم كان الكريم الحي عند النفع يظهر نفسه وفعله و
عند الضر لا يذكر نفسه وقوله تعالى [illegible] عند [illegible] تكون [illegible] الكريم
[illegible] الى المعنى لطيف [illegible] في الدنيا [illegible] الناس التاجر [illegible] رزق
من [illegible] والمتاع [illegible] والملوك [illegible] في الدنيا [illegible]
[illegible] وانما [illegible] لاجل [illegible] في [illegible] يظاهر
[illegible] الدنيا [illegible] الرزق [illegible] وفي الاخرة [illegible] الكريم [illegible] الرزق ثم قال
تعالى يا نساء النبي لستن كاحد من النساء لما ذكر ان عذابهن ضعف عذاب غيرهن واجرهن مثلي اجر غيرهن
صرن كالحراير بالنسبة الى الاماء [illegible] لستن كاحد ومعنى قول القايل ليس فلان كاحد الناس يعني ليس فيه مجرد
كونه انسانا بل وصف اخص وجود [illegible] يكون عالما او عاملا او نسيبا او حسيبا فان الوصف الاخص اذا
وجد لا يبقى التعريف بالاعم فان من عرف رجلا ولم يعرف منه غير كونه رجلا يقول رايت رجلا فان عرف
علمه يقول رايت زيدا او عمرا فكذلك قوله تعالى لستن كاحد من النساء يعني فيكن غير ذلك امر لا يوجد في غيركن
وهو كونكن امهات جميع المؤمنين وزوجات خير المرسلين وكما ان محمدا عليه السلام ليس كاحد من الرجال كما قال عليه السلام

لستن

لستن كاحد منكن [illegible] اللاتي يعترفن به ومن الزوجات [illegible] ثم قال تعالى ان اتقيتن يحتمل
وجهين احدهما ان يكون متعلقا بما قبله على معنى لستن كاحد ان اتقيتن فان الاكرم عند الله هو الاتقى و
ثانيهما ان يكون متعلقا بما بعده على معنى ان اتقيتن فلا تخضعن والله تعالى لما منعهن من الفاحشة وهي الفعل القبيح
منعهن من مقدماتها وهي المحادثة مع الرجال والانقياد في الكلام للفاسق وقوله تعالى فيطمع الذي في قلبه مرض
اي يشتق بقوله تعالى [illegible] الامور وذكر الله ان يحصل مع الكلام والله تعالى لما قال فلا تخضعن
في القول ذكر بعده [illegible] الى ان ذلك ليس امرا بالايذاء والتنكير بل القول المعروف عند الحاجة هو المامور به لا غير ثم
قال تعالى وقرن في بيوتكن من الوقار واسقاط حرف التضعيف كما قال تعالى فظلتم تفكهون وقيل انه من الوقار
كما يقال وعد يعد عدة وقوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية قيل معناه لا تتكسرن ولا تتغنجن ويحتمل ان يكون المراد
لا تظهرن زينتكن وقوله تعالى الجاهلية الاولى فيه وجهان احدهما ان المراد من كان في زمن نوح والجاهلية الاخرى من كان
بعده وثانيهما ان هذه ليست اولى تقتضي اخرى بل معناه تبرج الجاهلية القديمة كقول القايل اين الاكاسرة الجبابرة الاولى
ثم قال تعالى واقمن الصلوة يعني ليس التكليف في النهي حتى يحصل بقوله تعالى لا تخضعن ولا تبرجن بل فيه وفي الامر و
اقمن الصلوة التي هي ترك التشبه بالجبابرة المتكبرين واتين الزكوة التي هي تشبه بالكرام الرحيم واطعن الله اي ليس التكليف
منحصرا في المذكور بل كل ما امر الله به فاتين به وكل ما نهى الله عنه فانتهين عنه ثم قال تعالى انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس يعني ليس المنتفع بتكليفكن هو الله ولا تنفعن الله فيما تاتين به وانما نفعه لكن وامره
تعالى اياكن لمصلحتكن وقوله ليذهب ويطهركم فيه لطيفة وهي ان الرجس قد يزول عينا ولا يطهر المحل
فقوله ليذهب عنكم الرجس اي يزيل عنكم الذنوب ويطهركم اي يلبسكم خلع الكرامة ثم ان الله تعالى ترك
خطاب المؤمنات وخاطب بخطاب المذكرين بقوله ليذهب عنكم الرجس ليدخل فيه نساء اهل بيته ورجالهم و
اختلف الاقوال في اهل البيت والاولى ان يقال هم اولاده وازواجه والحسن والحسين منهم وعلي منهم لانه كان من
اهل بيته بسبب معاشرته بنت النبي عليه السلام وملازمته للنبي ثم قال تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن
من ايات الله والحكمة اي كما ان النبي عليه السلام اساسه الى ما ذكرنا من ان التكاليف غير منحصرة في الصلوة والزكوة
وما ذكر الله في هذه الايات نقول واذكرن ما يتلى في بيوتكن من الواجبات كلها فتاتين بها والمحرمات فتنتهين
عنها ان الله كان لطيفا خبيرا اشارة الى انه خبير بالبواطن لطيف بعلمه يصل الى كل شيء ومنه اللطيف الذي
في المسام الضيقة ويخرج من المسالك المسدودة ثم قال تعالى ان المسلمين والمسلمات لما ذكر هن ونهاهن
وذكر لمن عصيهن انه تعالى اسلم وانقياد لامر الله والقانت ما يرد به من الله فان المكلف اولا يقول
كل ما يقول الله تعالى فهو صادق فهو الايمان ثم اعتقاده يدعوه
الى الفعل الحسن والعمل الصالح فيقنت ويعبد فهو المرتبة الثالثة المذكورة بقوله القانتين والقانتات ثم اذا
امن وعمل صالحا كمل فيكمل غيره ويامر بالمعروف وينهى اخاه فيصدق في [illegible] عند النصيحة وهو المراد بقوله
والصادقين والصادقات ثم اذا امر بالمعروف ونهى عن المنكر يصيبه اذى فيصبر عليه كما قال تعالى وامر بالمعروف
وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك اي يصبر وهو المراد بقوله تعالى والصابرين والصابرات ثم اذا كمل وكمل قد
يفتخر بنفسه ويعجب بعبادته فمنعه منه بقوله والخاشعين والخاشعات ويقول لما ذكر هذه الحسنات تلك الحسنات
لا يمنع منها شيء ولا حب الجاه او حب المال من العمل لله فان حب الجاه يدعوه الى الشهوة والعصيان [illegible]
[illegible] او المنع من [illegible] والمتصدقين والمتصدقات اي المنفقين امرهم
ثم منعهم الجاه عن العبادة ثم قال تعالى والصايمين والصايمات اي الباذلين لان الصوم [illegible]
يمنعهم الشهوة البطنية ثم قال والحافظين فروجهم والحافظات اي [illegible] الشهوة الفرجية ثم قال والذاكرين الله كثيرا يعني هم في جميع

دون الاموال يذكرون الله ويكثرون الثناء عليه بايمانهم وقنوتهم وصدقهم وصبرهم وخشوعهم وصدقتهم بنية صادقة لله
واعلم ان الله تعالى في اكثر المواضع حيث ذكر الذكر قرنه بالكثرة ههنا وفي قوله بعد هذا يا ايها الذين امنوا اذكروا
الله ذكرا كثيرا وقال لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا لان الاكثار من الاعمال البدنية
غير ممكن او عسر فان الانسان اكل وشارب وتحصيل ماكوله ومشروبه يمنعه عن ان يشتغل دائما بالصلاة وذكر الله لا مانع له
منه فيذكر الله تعالى وهو اكل ويذكره وهو شارب او ماش او بائع او شار والى هذا اشار بقوله تعالى الذين يذكرون الله
قياما وقعودا وعلى جنوبهم ولان جميع الاعمال صحتها بذكر الله تعالى وهو النية ثم قال تعالى اعد الله لهم مغفرة تمحو ذنوبهم
واجرا عظيما ذكرناه ثم انه تعالى قال وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا قيل ان الاية نزلت في زينب بنت جحش
اراد النبي عليه السلام ان يزوجها من زيد بن حارثة فكرهت الا النبي عليه السلام وكذلك اخوها امتنع فنزلت الاية فرضيا به والوجه ان يقال
ان الله تعالى لما امر نبيه بان يقول لزوجاته انهن مخيرات فهم منه ان النبي عليه السلام لا يريد ضرر الغير فمن كان ميله
الى شي يمكنه النبي عليه السلام من ذلك ويترك النبي عليه السلام حق نفسه لحظ غيره فقال في هذه الاية لا ينبغي ان يظن ظان
ان هوى نفسه متبعه وان زمام الاختيار بيد الانسان كما في الزوجات بل ليس لمؤمن ولا مؤمنة ان يكون لهم اختيار
عند حكم الله ورسوله فما امر الله فهو المتبع وما اراد النبي فهو الحق ومن خالفهما في شي فقد ضل ضلالا مبينا لان الله
هو المقصد والنبي هو الهادي الموصل فمن ترك المقصد ولم يسمع قول الهادي فهو ضال قطعا ثم قال تعالى
واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه اي بالاسلام وانعمت عليه بالتحرير والاعتاق امسك عليك زوجك
ثم ان زيدا اراد طلاق زينب فقال له النبي عليه السلام امسك اي لا تطلقها واتق الله قيل في الطلاق وقيل في الشكوى من زينب
فانه قال فيها انها تتكبر علي بسبب النسب وعدم الكفاءة وتخفي في نفسك ما الله مبديه من انك تريد
التزوج بزينب وتخشى الناس من ان يقولوا اخذ زوجة الغير او الابن والله احق ان تخشاه ليس اشارة الى ان النبي
عليه السلام خشي الناس ولم يخش الله بل المعنى الله احق ان تخشاه وحده ولا تخشى احدا معه وانت تخشاه
وتخشى الناس ايضا فاجعل الخشية له وحده كما قال تعالى الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون
احدا الا الله ثم قال تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها اي لما طلقها زيد وانقضت
عدتها وذلك لان الزوجة ما دامت في نكاح الزوج فهي تدفع حاجته وهو محتاج اليها فلم يقض منها الوطر
بالكلية ولم يستغن وكذلك اذا كانت في العدة له بها تعلق لامكان شغل الرحم فلم يقض منها بعد وطره واما
اذا طلق وانقضت عدتها استغنى عنها ولم يبق له معها تعلق فيقضي منها الوطر وهذا موافق لما في الشرع
لان التزوج بزوجة الغير او معتدته لا يجوز فلهذا قال فلما قضى وكذلك قوله تعالى لكيلا يكون على المؤمنين
حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا اذا طلقوهن وانقضت عدتهن وفيه اشارة الى ان التزوج من
النبي عليه السلام لم يكن لقضاء شهوة النبي عليه السلام بل لبيان الشريعة بفعله فان الشرع يستفاد من فعل النبي عليه السلام
وقوله تعالى وكان امر الله مفعولا اي مقضيا ما قضاه كائن ثم بين ان تزوجه عليه السلام مع انه كان مقضيا تبيينا للشرع
مشتمل على ما كان خاليا عن المفاسد فقال ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل
يعني كان شرع من تقدم كذلك كان يتزوج الانبياء نسوة كثيرة ابكارا ومطلقات الغير وكان امر الله قدرا مقدورا
اي كل شي بقضاء وقدر والقضاء التقدير ومن المنقول عن المفسرين فرق بين القضاء والقدر فالقضاء ما كان مقصودا
في الاصل والقدر ما يكون تابعا مثاله من كان يقصد مدينة فنزل في طريقه بقرية كان لا بد من نزوله منزلا في الطريق
لم يقل في جواب من يقول لم جئت الى هذه القرية اني جئت الى هذه القرية وانما قصدت المدينة الفلانية وهذه
وقعت في طريقي وان كان قد جاءها ودخلها اذا عرفت هذا فان الخير كله بقضاء وما في العالم من الضرر بقدر الله
تعالى خلق المكلف بحيث يشتهي ويغضب ليكون اجتهاده في تغليب العقل والدين عليهما مثابا عليه بالغ درجة فافضى
ذلك في البعض الى انه زنى وقتل فالله لم يخلقهما لانه يقصدهما منه لعلمه بالزنا ولكن ذلك بقدر الله اذا علمت هذا

من قوله

من قوله تعالى اولا وكان امر الله مفعولا وقوله ثانيا وكان امر الله قدرا مقدورا لطيفة وهي ان الله تعالى
لما قال زوجناكها قال وكان امر الله مفعولا اي تزوجك بها كان مقصودا متبوعا مقضيا مرعيا ولما قال
سنة الله في الذين خلوا اشارة الى قصة داود حيث افتتن بامرأة اوريا قال وكان امر الله قدرا مقدورا اي كان ذلك حكما
تبعيا ثم لو قال قائل هذا قول المعتزلة بالتولد والفلاسفة بوجوب كون الاشياء على وجه مثل كون النار محرقة حيث
قالوا الله تعالى اراد ان يخلق ما ينفع الاشياء وهو لا يمكن الا مع قابلية الطبع فخلق النار للنفع ثم وقع اتفاقا ان
احرقت صلحاء وزهادا وعبادا فنقول معاذ الله لا نقول بان الله غير مختار في افعاله او وقع شي لا باختيار
ولكن اهل السنة يقولون اجرى الله عادته بحيث لو اراد ان يخلق النار بحيث عند تماس الجسم ينفع ويعدم ماس بدن الجود
احرق الا ترى انها لم تحرق ابرهيم مع قوتها وكثرتها لكن خلقها على غير ذلك الوجه لمحض ارادته او لحكمة خفية ولا يسال
عما يفعل فنقول ما كان في مجرى عادته تعالى على وجه تدركه العقول البشرية نقول بقضاء وما يكون على وجه تقع افعال
ناس لم تعقله لم كان نقول بقدر لم يكن على ظاهر مقدم ثم بين الذين خلوا فقال الذين يبلغون رسالات الله يعني هم كانوا
هم انبياء مثلك وبلغوا رسالات ربهم كما انت ويخشونه وحده والخشية وحده ولا يخشون احدا الا الله فصار كقوله فبهداهم
اقتده ودينهم وكفى بالله حسيبا اي محاسبا فلا تخش غيره او محسوبا فلا تلتفت الى غيره ولا تجعله في حسابك ثم قال
تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم لما اشار اليه ما في تزوج النبي عليه السلام بزينب من الفوائد بين انه كان خاليا من
وجوه المفاسد وذلك لان ما كان يتوهم من المفسدة كان منحصرا في التزوج بزوجة الابن فانه غير جائز فقال تعالى ان
النبي لم يكن ابا لزيد وانما كان احدا من الرجال لم يكن ابن محمد فان قيل ما قال النبي كان ابا احد من الرجال لان الرجل اسم الذكر من
اولاد ادم قال تعالى وان كانوا اخوة رجالا ونساء والصبي داخل فيه فنقول الجواب عنه من وجهين
احدهما ان الرجل في الاستعمال يدخل في مفهومه الكبر والبلوغ ولم يكن للنبي عليه السلام ابن كبير يقال انه رجل والثاني
هو انه قال من رجالكم ووجه الخطاب لم يكن له ولد ذكر ثم انه تعالى لما نفى كونه ابا عقبه بما يدل على
ثبوت ما هو في حكم الابوة من بعض الوجوه فقال ولكن رسول الله فان الرسول كالاب للامة في الشفقة
من جانبه وفي التعظيم من طرفهم وبل اقوى فان النبي عليه السلام اولى بالمؤمنين من انفسهم والاب ليس كذلك ثم بين ما يفيد
زيادة الشفقة من جانبه والتعظيم من جهتهم بقوله وخاتم النبيين وذلك لان النبي الذي يكون بعده نبي ان ترك
شيا من النصيحة والبيان يستدركه من ياتي بعده واما من لا نبي بعده فيكون اشفق على امته واهدى لهم ويعلم ان يترك الحكم اكمال الشريع فجعله عليه السلام وتزوجه
تزوجه دعته تكميلا للشرع وذلك من حيث ان قول النبي عليه السلام يفيد شرعا لكن اذا امتنع هو عنه بقي في بعض النفوس
نفرة الا ترى انه ذكر بقوله ما فهم منه حل اكل الضب ثم لما لم ياكله بقي في النفوس شي ولما اكل لحم الجمل طاب
اكله مع انه في بعض الملل لا يوكل وكذلك الارنب ثم قال تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا
وجه تعلق الاية بما قبلها هو ان السورة اصلها ومبناها على تاديب النبي عليه السلام وقد ذكرنا ان الله تعالى بدا بذكر
ما ينبغي ان يكون عليه النبي عليه السلام مع الله وهو التقوى وذكر ما ينبغي ان يكون عليه النبي عليه الصلاة والسلام مع اهله واقاربه
بقوله يا ايها النبي قل لازواجك والله تعالى يامر عباده المؤمنين بما يامر به انبياءه المرسلين فارشد عباده كما ادب
نبيه وبدا بما يتعلق بجانبه من التعظيم فقال يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا كما قال لنبيه يا ايها
النبي اتق الله ثم ههنا لطيفة وهي ان المؤمن ينسى ذكر الله فامر بدوام الذكر اما النبي لكونه من المقربين
لا ينسى ولكن قد يغتر المقرب من الملك بقربه منه فيقل خوفه فقال اتق الله فان المخلص على خطر عظيم وحسنات
الابرار سيئات المقربين وقوله ذكرا كثيرا قد ذكرنا ان الله في كثير من المواضع لما ذكر الذكر وصفه بالكثرة
اذ لا مانع من الذكر على ما بينا وقوله تعالى وسبحوه بكرة واصيلا اي اذا ذكرتموه فينبغي ان يكون ذكركم اياه
على وجه التعظيم والتنزيه عن كل سوء وهو المراد بالتسبيح وقيل المراد منه الصلاة وقال العلماء سبحوه بكرة
واصيلا اشارة الى المداومة وذلك لان مريد التعميم قد يذكر الطرفين ويفهم منه الوسط كقوله عليه السلام لو ان اولكم واخركم

ولهذكر وسطكم وفهم منه المبالغة في العموم ثم قال تعالى هو الذي يصلي عليكم يعني هو يصلي عليكم
ويرحمكم وانتم لا تذكرونه فذكر صلوته تحريضا للمومنين على الذكر والتسبيح ليخرجكم من الظلمات الى النور
يعني يهديكم برحمته والصلوة من الله رحمة ومن الملائكة استغفار فنقول بان اللفظ المشترك يجوز استعماله في معنييهما
معا وكذلك الجمع بين الحقيقة والمجاز في لفظ جائز ويشهد القول الذي لا يصح عنه وهو عن بعيد
وان اراد دفنوه فيه بحيث يصير في غاية البعد يقول الرحمة والاستغفار يشتركان في العناية بحال المرحوم والمستغفر
له والمراد هو القدر المشترك فتكون الدلالة تضمنية لكون العناية جزء منهما وكان بالمومنين رحيما بشارة لجميع المومنين
واشارة الى انه يصلي عليكم غير مختص بالسامعين وقت الوحي ثم قال تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام
لما بين عنايته في الاولى بين عنايته في الاخرة وذكر السلام لانه هو الدليل على الخيرات فان من لقي غيره وسلم
على المعاناه مشعا ذلك على المياناه وقوله يوم يلقونه اي يوم القيامة وذلك لان الانسان في دنياه غير
مقبل بكليته على الله وكيف وهو حال نومه غافل عنه وفي يقظته تارة مشغول بتحصيل رزقه واقباني
الامور فلا شغل له احد بالبهيمة عن ذكر الله فهو حقيقة اللقاء ثم قال تعالى واعد لهم اجرا كريما وقال فايد
الاعداد انما يكون ممن يعلم الحاجة الى الشي عليه دائما الله تعالى ليس محتاجا ولا عاجزا بحيث يلقاه الله يوتيه
ما يرضى به ويزيد فما معنى الاعداد من قبل يقول [illegible] الاكرام للمحاجه وهذا كان الملك اذا قيل له فلان
وامثل فان اراد اكرامه هيا له سينا واتوا [illegible] اذا وصل يفتح باب الخزانة ونشيبه
ما يرضى به [illegible] لم اعد الله الكريم اجرا كريما والكريم قد ذكرنا [illegible] اعد له ما لنفسه
من غير طلبه كلا في الدنيا فانه يطلب الرزق [illegible] ثم قال تحيتهم يوم يلقونه سلام مناسب
لحالهم لانهم لما ذكروا الله في دنياهم حصل لهم معرفة ولما سبحوه [illegible] حيث عرفوه كما ينبغي بصفات
الجلال ونعوت الكمال والله نعم حاله في الدنيا واحسن اليه بالرحمة كما قال تعالى هو الذي يصلي عليكم وقال
وكان بالمومنين رحيما والمنفعة [illegible] وكان اصلها شيفعا بالاجر والكريم معطا له غاية التعظيم لانه عين
منها اجر السلام هو انواع الاكرام ثم قال تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا [illegible] السورة
فيها تادب النبي عليه السلم من ربه بقوله في ابتدائها يا ايها النبي اتق الله اشارة الى ما ينبغي له ان يكون عليه مع عامة الخلق وقوله
تعالى شاهدا يحتمل وجوها احدها انه شاهد على الخلق يوم القيامة كما قال تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا
وعلى هذا فالنبي بعث شاهدا اي متحملا للشهادة ويكون في الاخرة شهيدا اي مؤديا لما تحمله ثانيها انه شاهد
ان لا اله الا الله وعلى هذا لطيفة وهي ان الله جعل النبي شاهدا على الوحدانية والشاهد لا يكون مدعيا
فالله تعالى لم يجعل النبي في مسئلة الوحدانية مدعيا لها لان المدعي من يقول شيئا على خلاف الظاهر والوحدانية
اظهر من الشمس والنبي عليه السلم كان يدعي النبوة فجعل الله نفسه شاهدا له في مجازاته كونه شاهدا لله
تعالى والله يشهد انك لرسوله وثالثها انه شاهد في الدنيا باحوال الاخرة من الجنة والنار و
الميزان والصراط وشاهد في العقبى باحوال الدنيا بالطاعة والمعصية والصلاح والفساد وقوله مبشرا
ونذيرا وداعيا فيه ترتيب حسن وذلك من حيث ان النبي عليه السلم ارسل شاهدا بقوله لا اله الا الله
ويرغب في ذلك بالبشارة فان لم يكف ذلك يرهب بالانذار ثم لم يكتف بقولهم لا اله الا الله بل يدعوهم الى سبيل
الله كما قال تعالى ادع الى سبيل ربك [illegible] الله
والمراد بقوله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة وفيه لطائف [illegible] وقوله تعالى وداعيا باذنه
حتى لم يقل وشاهدا باذنه ولا مبشرا باذنه وعند الدعاء قال وداعيا باذنه وذلك لان من يقول
عن الملك انه ملك الدنيا [illegible] لا يحتاج فيه الى الاذن منه فانه وصف ما قيل ولذلك اذا قال من يطيعه
يبعد ومن يعصيه يبقى يكون مبشرا ونذيرا لا يحتاج الى الاذن من الملك في ذلك واما اذا قال تعالوا

الى

الى سماطه واحضروا على خوانه يحتاج فيه الى الاذن فقال تعالى وداعيا الى الله باذنه وفيه وجه اخر
وهو ان النبي يقول اني ادعو الى الله والولي يدعو الى الله ولا داعي الا باذنه من احد والثاني ما دون
من جهة النبي عليه السلم كما قال تعالى قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني [illegible] رحم الله عبدا سمع مقالتي
فأداها كما سمعها والنبي عليه السلم من الله ما ذن من الله في البلاغ اليه من غير واسطة لطيفة الاية قال
في حق النبي عليه السلم سراجا ولم يقل انه شمس مع انه اشد اضاءة من السراج لفوايد منها ان الشمس نورها لا يوخذ منه شي
والسراج يوخذ منه انوار كثيرة اذا انطفى الاول يبقى الذي اخذ منه وكذلك ان غاب والنبي عليه السلم كان كذلك
وكل صحابي كان سراجا اخذ منه نور الهداية كما قال عليه السلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وفي الخبر لطيفة
[illegible] التعبير ولكن الكلام يحتمل الكلام ومن [illegible] النبي عليه السلم لم يجعل اصحابه كالسراج وجعلهم كالنجوم لان النجم لا يوخذ
منه نور بل له في نفسه نور اذا غرب هو لا يبقى نور مستفاد منه وكذلك الصحابي اذا مات فالتابعي يستنير بنور النبي عليه
السلم ولا ياخذ الا قول النبي عليه السلم وفعله فانوار المجتهدين كلهم من النبي عليه السلام ولو جعلهم كالسراج والنبي عليه
السلم سراجا كان للمجتهد ان يستنير بمن اراد منهم وياخذ النور ممن اختار وليس كذلك فان مع نص النبي عليه السلم
لا يعمل بقول الصحابي بل يؤخذ من النبي النور ولا يؤخذ من الصحابي فلم يجعله سراجا وهذا [illegible] وصفا في حديث
سراج الامة والمحدثون ذكروه في تفسير السراج وجه لطيف يقول ان المراد منه القرآن ويكون انا ارسلناك و
سراجا منيرا عطفا على محل الكاف اي وارسلنا سراجا منيرا وعلى هذا [illegible] انه عطف على مبشرا ونذيرا لكن معناه وذا
سراج لان الحال لا يكون الا وصفا للفاعل او المفعول والسراج ليس وصفا فان النبي عليه السلم لم يكن سراجا حقيقة
او يكون كقول القائل رايته اسدا اي شجاعا فقوله سراجا اي هاديا مبينا كالسراج يرى الطريق ويبين الامر
وقوله تعالى وبشر المومنين عطف على مفهوم تقديره انا ارسلناك شاهدا ومبشرا فاشهد وبشر ولم يذكر
فاشهد للاستغناء عنه واما البشارة فانها ذكرت ابانة للكرم ولانها غير واجبة لولا الكرم وقوله تعالى بان لهم من
الله فضلا كبيرا هو مثل قوله تعالى واعد لهم اجرا عظيما والعظيم والكبير متقاربان وكونه من الله كبير
يكفي فاذا كان مع ذلك كبيرا [illegible] وقوله تعالى ولا تطع الكافرين والمنافقين [illegible] حالهم رد عليهم
وعلى هذا فقوله تعالى ودع اذاهم اي دعه الى الله فانه يعذبهم بايديكم وبالنار وقوله تعالى وتوكل على الله وكفى
بالله وكيلا [illegible] المعتزلة لا يجوز تسمية الله بالوكيل لان الوكيل ادون من الموكل وقوله
تعالى وكفى بالله وكيلا حجة عليهم وتسميته واجبة من حيث ان الوكيل قد يتوكل للترفه وقد يتوكل للعجز والله وكيل عباده
لعجزهم عن التصرف وقوله تعالى وكفى بالله وكيلا [illegible] فاذا نظرت في العبد الى جهله كفى الوكيل الواحد منهما لانه لا يكفي
[illegible] قادرا على العمل كالملك الكبير [illegible] لاشتغاله يحتاج الى وكلاء لعجز الواحد عن القيام بجميع اشغاله فمنها الى كونه عالما بانه
التوكيل ومنها [illegible] والله عالم قادر غير محتاج فيكفي وكيلا ثم قال تعالى يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم
المومنات ثم طلقتموهن [illegible] ان الله تعالى في هذه السورة ذكر مكارم الاخلاق وادب نبيه
على ما ذكرناه لكن الله تعالى امر عباده المومنين بما امر به نبيه المرسل فكلما ذكر للنبي مكرمة وعلمه ادبا ذكر للمؤمنين ما يناسب
فكما بدأ الله تعالى في تاديب النبي بذكر ما يتعلق بجانب الله بقوله يا ايها النبي اتق الله وثنى بما يتعلق بجانب من تحت يده
من ازواجه بقوله يا ايها النبي قل لازواجك وثلث بما يتعلق بجانب العامة بقوله يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا كذلك
بدا في ارشاد المومنين بما يتعلق بجانب الله فقال يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ثم ثنى بما يتعلق بجانب من
تحت ايديهم بقوله يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات ثم كما ثلث في تاديب النبي بجانب الامة ثلث في المومنين بما يتعلق بجانب
نبيهم فقال بعد هذا يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي وقوله يا ايها الذين امنوا صلوا عليه [illegible] وفيه مسايل
احدها اذا كان الامر على ذلك فمن لبث هذا ارشاد الى ما يتعلق بجانب من هو تحت ايديهم فلم خص المطلقات
اللاتي طلقن من قبل المسيس بالذكر نقول هذا ارشاد الى اعلى درجات المكرمات ليعلم منها ما دونها وبيانه هو ان المراة

اذا طلقت قبل المسيس لم يحصل بينهما تاكيد العهد ولهذا قال الله تعالى في حق الممسوسة وكيف تاخذونه وقد افضى
بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا واذا امر الله تعالى بالتمتيع [illegible] نوع من له مودة
بينه وبينها فما ظنك بمن حصل المولود بالنسبة اليها بالافضا او حصل تاكيدها كحصول الولد بينهما والقرآن في
الحجم صغير ولكن له مستنبطات معانيها لا يفي بها الا العلم ولا يكفي لها الا الاوراق وهذا مثل قوله تعالى ولا تقل لهما
اف فلولا انه لا تنهرهما اذا تشتمهما ظن انه حرام لمعنى مختص بالتافيف ثم اذا قال لا تقل لهما اف علم منه
معان كثيرة وكذلك ههنا لما امر بالاحسان مع من لا مودة معها علم منه الاحسان مع الممسوسات ومن لم تطلق
بعد ومن ولدت عنده منه وبقوله اذا نكحتم المؤمنات المخصص بالذكر ارشاد الى المؤمن انه ينبغي ان ينكح المؤمنة
فانها اشد تحصينا لدينه وقوله ثم طلقتموهن يمكن التمسك به في ان تعليق الطلاق بالنكاح لا يصح لان الطلاق حينئذ
لا يكون بعد النكاح والله تعالى ذكره بكلمة ثم وهي للتراخي وقوله فما لكم عليهن من عدة بين ان العدة حق الزوج فيها غالب
ولو كان لا يسقط باسقاطه لما فيه من حق الله تعالى وقوله تعتدونها اي تستوفونها انتم عددها فمتعوهن
قيل بانه مختص بالمفوضة التي لم يسم لها اذا طلقت قبل المسيس وجب لها المتعة وقيل بانه عام وعلى هذا
فهو امر وجوب او امر ندب اختلف العلما فيه فمنهم من قال للوجوب فيجب مع نصف المهر المتعة ايضا ومنهم من قال
للاستحباب فيستحب ان يمتع مع الصداق [illegible] وقوله تعالى وسرحوهن سراحا جميلا الجمال في التسريح
ان لا يطالبها بما اتاها قال تعالى يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن وما ملكت
يمينك مما افاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ذكر للنبي
عليه السلم ما هو الاولى فان الزوجة التي اوتيت مهرها اطيب قلبا من التي لم توت والمملوكة التي سباها الرجل بنفسه
اطهر من التي اشتراها الرجل لانه لا يدري كيف حالها ومن هاجرت من اقارب النبي عليه السلم معه اشرف ممن لم تهاجر
ومن الناس من قال بان النبي عليه السلم كان يجب عليه اعطا المهر اولا وذلك لان المراة لها الامتناع الى ان تاخذ
مهرها والنبي عليه السلم ما كان يستوفي ما لا يحل له والوطي قبل ايتا الصداق غير مستحق وان كان حلالا لنا وكيف
والنبي عليه السلم اذا طلب شيا حرم الامتناع على المطلوب منه والظاهر ان الطالب في المرة الاولى لو اراد [illegible] من الزوج
لتحيا المراة فلو طلب النبي عليه السلم من المراة التمكين قبل المهر للزم ان يجب وان لا يجب [illegible] كذلك
وذلك يوكد هذا قوله تعالى وامراة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي يعني حينئذ لا يبقى لها صداق فتصير
كالمستوفية مهرها وقوله تعالى ان اراد النبي ان يستنكحها اشارة الى ان هذا تسهيلا له [illegible] من قبول
وقوله تعالى خالصة لك من دون المؤمنين قال الشافعي رضي الله عنه معناه اباحة الوطي بالهبة وحصول التزويج
بلفظها من خواصك وقال ابو حنيفة رحمه الله تلك المراة صارت خالصة لك زوجة من امهات المؤمنين
لا تحل لغيرك ابدا والترجيح يمكن ان يقال بان على هذا التخصيص بالواهبة لا يفيد فان ازواجه
كلهن خالصات له وعلى ما ذكرنا يتبين للتخصيص فائدة وقوله قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت
ايمانهم معناه ان ما ذكرنا فرضك وحكمك مع نسائك واما حكم امتك فعندنا علمه ونبينه لهم وانما ذكر
هذا لئلا يحمل واحد من المؤمنين نفسه على ما كان للنبي عليه السلم فان له في النكاح خصائص ليس لغيره
وكذلك في السراري وقوله تعالى لكيلا يكون عليك حرج اي تكون في فسحة من الامر فلا يبقى لك شغل قلب فينزل
الروح الامين بالايات على قلبك الفارغ وتبلغ رسالات ربك بجدك واجتهادك وقوله تعالى وكان
الله غفورا رحيما يغفر الذنوب جميعا ويرحم العبيد ثم قال تعالى ترجي من تشاء منهن و
تووي اليك من تشاء لما بين انه احل له ما ذكر من الازواج بين انه احل له وجوه المعاشرة بهن حتى يجتمع
كيف شاء لا يجب عليه القسم وذلك لان النبي عليه السلم بالنسبة الى امته نسبة السيد المطاع والرجل و
لو لم يكن نبيا فالزوجة في ملك نكاحه والنكاح عليها رق فكيف زوجات النبي عليه السلم بالنسبة اليه فاذاهن

كالمملوكات

كالمملوكات له ولا يجب القسم بين المملوكات والارجا التاخير والايوا الضم ومن ابتغيت ممن عزلت يعني
اذا طلبت من كنت تركتها فلا جناح عليك في شي من ذلك ومن قال بان القسم كان واجبا مع انه ضعيف
بالنسبة الى المفهوم من الاية قال المراد ترجي من تشاء اي تؤخرهن اذا شئت اذ لا يجب القسم في الاول
والمزوج ان لا يتام عند احديهن وان ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك في ذلك فانها لمن شئت ولهم الرد
والاول اعدل ثم قال تعالى ذلك ادنى ان تقر اعينهن يعني اذا لم يجب عليك القسم وانت لا تترك القسم تقر
اعينهن لتسويتك بينهن وتحرزك بخلاف ما لو وجب عليك ذلك فانه يكون عند احداهن تقول ما جا لهوى
قلبه انما جا لامر الله وايجابه عليه ويرضين بما اتيتهن من الارجا والايوا اذ ليس لهن عليك شي حتى
لا يرضين ثم قال تعالى والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما اي ان اضمرت خلاف ما اظهرت
فالله يعلم ضماير القلوب فانه عليم ولكن لا يعاتبهن في الحال فلا تغترن فانه حليم لا يعجل ثم قال تعالى
لا يحل لك النسا من بعد لما امر الله نبيه بالتخيير ولما اخترنه [illegible] فاخترن الله ورسوله ذكر لهن ما جزاهن
من تحريم غيرهن على النبي عليه السلم ومنعه من طلاقهن فقوله ولا ان تبدل بهن [illegible] مسايل الاولى دلت الاية على ان لا يحل
لك النسا من بعد [illegible] من بعدهن ولو [illegible] لا يحل لك النسا من بعد اختيارهن الله ورسوله
ورضاهن بما توتيهن من الوصل والهجران والنقص والحرمان الثانية قوله ولا ان تبدل بهن تفيد
حرمة طلاقهن لو كان جايزا لجاز ان يطلق الكل وبعدهن اما ان يتزوج بغيرهن او لا يتزوج فان لم يتزوج
يدخل في زمرة العزاب والنكاح فضيلة لا يتركها النبي وكيف وهو يقول النكاح سنتي وان تزوج
بغيرهن فيكون قد تبدل بهن وهو ممنوع من التبدل الثالثة [illegible] فيهما
تحريم غيرهن ولا المنع من طلاقهن بل المعنى انا احللنا لك النسا غير اللاتي ذكرنا لك من المؤمنات المهاجرات من
من بنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اما غيرهن من الكتابيات فلا يحل لك التزوج بهن
وقوله ولا ان تبدل بهن منع مما كان في الجاهلية فانهم كانوا يبادلون زوجة بزوجة فينزل احدهم عن زوجته
ويأخذ زوجة صديقه ويعطيه زوجته وعلى التفسير الاول [illegible] طلاق زوجاته
والثانية حرمة تزوج بالكتابيات [illegible] على الثاني حرم التزوج بالكتابيات
المسلة الرابعة قوله ولو اعجبك حسنهن [illegible] حسن النسا قال الزمخشري قوله ولو اعجبك في معنى الحال
ولا يجوز ان يكون ذا الحال قوله من ازواج لتوغله في التنكير [illegible] فاذا هو
النبي عليه السلم يعني لا يحل لك النسا ولا ان تبدل بهن من ازواج وان اعجبك حسنهن المسلة الخامسة
ظاهر هذا انه نسخ لما كان قد ثبت له عليه السلم من انه اذا راى واحدة ووقعت في قلبه موقعا كانت تحرم
على الزوج ويجب عليه طلاقها وهذه المسلة حكمية وهي ان النبي عليه السلم وساير الانبيا في اول النبوة تشتد عليهم
برحا الوحي ثم يستانسون به فينزل عليهم وهم يتحدثون مع اصحابهم ولا يمنعهم من ذلك [illegible]
الامر احل الله من وقع في قلبه [illegible] تشغل القلب بغير الله ثم لما
استانس بالوحي ونزل على لسانه الوحي نسخ ذلك اما لقوته عليه السلم [illegible]
بدوام الانزال لم يبق له الوقت من معاد الدنيا فلم يبق له [illegible] فلم يبق له حاجة الى اطلاق
التزوج لمن وقع بصره عليها السادسة اختلف العلما في ان تحريم النسا عليه هل نسخ ام لا قال
الشافعي رضي الله عنه نسخ وقالت عائشة رضي الله عنها ما مات النبي عليه السلم حتى احل له النسا وعلى
هذا فالناسخ قوله يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك الى قوله وبنات عمك [illegible]
على قول من يقول يجوز نسخ الكتاب بخبر الواحد فالناسخ [illegible] كان خبرا ثم قال تعالى
الا ما ملكت يمينك لم يحرم عليه المملوكات لان الامة لم تحصل بالمملوكة ولهذا لم يحرم على الرجل ان يجمع بين [illegible]

في حصول التسوية بينهما وامكان المخاصمة ويكون الجمع بين الزوجة وجمع من المملوكات لعلم الله ذلك منهن ولهذا
لا يشق لهن على العلم قال تعالى وكان الله على كل شيء رقيبا اي حافظا عالما بكل شيء قادرا عليه فان الحفظ
لا يحصل الا بهما قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه لما ذكر الله
تعالى في النداء الثالث يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا بيانا لحاله مع امته العامة قال للمؤمنين في هذا النداء لا تدخلوا
ارشادا لهم وبيانا لحالهم مع النبي عليه السلام من الاحترام ثم ان حال امته مع النبي عليه السلام على قسمين احداهما حالة الخلوة والواجب
هناك عدم انزعاجه وبين ذلك بقوله لا تدخلوا بيوت النبي والثانية في الملأ والواجب هناك اظهار التعظيم كما قال
تعالى يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وقوله الى طعام غير ناظرين اي لا تدخلوا بيوت النبي الى الطعام الا ان يؤذن لكم
ثم قال ولكن اذا دعيتم فادخلوا اي كما ان في حال النبي انه داع الى الله بقوله وداعيا الى الله قال ههنا لا تدخلوا الا اذا
دعيتم يعني كما انكم ما دخلتم الدين الا بدعائه فكذلك لا تدخلوا عليه الا بعد دعائه وقوله غير ناظرين منصوب حالا
والعامل فيه على ما قاله الزمخشري لا تدخلوا قال وقع الاستثناء لا تدخلوا بيوت النبي الا ماذونين غير ناظرين وفي الاية
مسائل الاولى قوله الا ان يؤذن لكم تفيد منعا من الدخول في غير وقت الطعام بغير اذن واما قال الا ان يؤذن فيه
التقديم والتاخير يكون معناه ولا تدخلوا الا ان يؤذن لكم الى طعام فيكون الاذن مشروطا بكونه الى الطعام فان لم يؤذن
الى الطعام فلا يجوز الدخول فلو اذن لواحد في الدخول لاستماع كلام لا لاكل طعام لا يجوز نقول المراد هو انه
ليبح النهي عن الدخول واما قوله فلا يجوز الا باذن الى طعام نقول قال الزمخشري الخطاب مع قوم
كانوا يتحينون حين الطعام ويدخلون من غير اذن فمنعوا من الدخول في وقتهم بغير اذن والاولى ان يقال
المراد هو الثاني لان التقديم والتاخير خلاف الاصل وقوله الى طعام من باب التخصيص بالذكر فلا يدل على نفي ما عداه لا سيما
اذا علم ان غيره مثله فان من جاز دخول بيته باذنه الى طعامه جاز دخوله الى غير الطعام باذنه فان غير الطعام يمكن وجوده
مع الطعام فان من الجائز ان يتكلم معه وقت ما يدعوه الى الطعام ويستقضيه في حوائجه ويعلمه مما عنده من العلوم مع زيادة
الاطعام فاذا رضي بالكل فرضاه بالبعض اقرب الى الفعل فيصير من باب لا تقل لهما اف وقوله غير ناظرين
يعني انتم لا تنتظروا وقت الطعام فانه ربما لا يتهيا المسألة الثانية قوله تعالى ولكن اذا دعيتم فادخلوا فيه لطيفة
وهي ان في العادة اذا قيل لمن كان يعتاد دخول دار من غير اذن لا تدخلها الا باذن يتاذى ويقطع بحيث لا يدخلها
اصلا ولا بالدعاء فقال لا تفعلوا مثل ما يفعله المستنكفون بل كونوا طائعين سامعين اذا قيل لكم لا تدخلوا
واذا قيل لكم ادخلوا فادخلوا واناه قيل وقته وقيل استواؤه وقوله الا ان يؤذن يفيد الجواز وقوله ولكن اذا
دعيتم فادخلوا يفيد الوجوب ولكن اذا دعيتم ليس لتاكيد الامر بل فيه فائدة جليلة المسألة الثالثة
الاذن شرط في ذلك التصريح به بل اذا حصل العلم بالرضى جاز الدخول ولهذا قال الا ان يؤذن لكم من غير بيان فاعل
فالاذن ان كان من الله او النبي او العقل المؤيد بالدليل جاز والنقل دال عليه حيث قال تعالى او صديقكم
وحد الصداقة ما ذكرنا فلو جاء ابو بكر رضي الله عنه وعلم ان لا مانع في بيت عائشة من بيوت النبي عليه السلام من
تكشف او حضور غير محرم عندها او علم خلو الدار من الاهل وهي محتاجة الى اطفاء حريق فيها او غير ذلك جاز
الدخول المسألة الرابعة قوله فاذا طعمتم فانتشروا كان بعض الصحابة اطال المكث يوم وليمة النبي عليه السلام في عرس
زينب والنبي عليه السلام لم يقل له شيئا فوردت الاية جامعة لاداب منها المنع من اطالة المكث في بيوت الناس
وفي معنى البيت موضع مباح اختاره شخص لعبادته او اشتغاله فلا يأتيه احد ويطيل المكث عنده
وقوله ولا مستانسين لحديث قال الزمخشري هو عطف على غير ناظرين مجرور ويحتمل ان يكون منصوبا عطفا
على المعنى فان معنى قوله تعالى لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم لا تدخلوها هاجمين فيعطف عليه ولا مستانسين
ثم انه تعالى بين كون ذلك ادبا وكون النبي حليما بقوله ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق
اشارة الى ان ذلك حق وادب وقوله كان يؤذي اشارة الى تحمل النبي عليه السلام ثم قال الله [illegible]

واذا

واذا سالتموهن متاعا فاسالوهن من وراء حجاب لما منع الله الناس من دخول بيوت النبي عليه السلام وكان في ذلك تعذر
الوصول اليهن لما عن بين ان ذلك غير ممنوع منه فليسأل وليطلب من وراء حجاب وقوله ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن
يعني العين روزنة القلب فاذا لم تر العين لا يشتهي القلب واما ان رات العين فقد يشتهي القلب وقد لا يشتهي فالقلب عند عدم
الرؤية اطهر وعدم الفتنة حينئذ اظهر ثم ان الله تعالى لما علم المؤمنين الادب اكده بما يحملهم على محافظته فقال
وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله وكل ما منعتم عنه مؤذ فامتنعوا عنه وقوله تعالى ولا ان تنكحوا ازواجه
من بعده ابدا قيل سبب نزوله ان بعض الناس قال لئن عشت بعد محمد لانكحن عائشة وقد ذكرنا ان اللفظ العام
لا يتغير معناه بسبب النزول فالمراد ان ايذاء الرسول حرام والتعرض لنسائه في حياته ايذاء فلا يجوز ثم قال ولا
ذلك غير جائز ثم اكد بقوله ان ذلكم كان عند الله عظيما اي ايذاء الرسول ثم قال تعالى ان تبدوا شيئا او تخفوه يعني
ان كنتم لا تؤذونه في الحال وتعزمون على ايذائه او نكاح ازواجه بعده فان الله عليم بذات الصدور ثم انه تعالى لما انزل الحجاب
استثنى المحارم بقوله لا جناح عليهن في ابائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن وفي الاية مسائل الاولى في الحجاب
اوجب السؤال من وراء الحجاب على الرجال فلم يستثن الرجال عن الجناح ولم يقل لا جناح على الناس في ابائهن بل قال تعالى
فاسالوهن من وراء حجاب امر بترك الستر عليهن وذلك لان النساء مستورات محجوبات فذكر الحجاب وجب عليهن
ثم امر الرجال بتركهن كذلك ولو عرف منهن فاستثنين عند الاباء والابناء وفيه لطيفة وهي ان عند الحجاب
امر الله الرجال بالسؤال من وراء حجاب وفيهم كون المراة محجوبة عن الرجل بالطريق الاولى وعند الاستثناء قال تعالى
لا جناح عليهن رفع الحجاب عنهن فالرجال اولى بذلك المسألة الثانية قدم الاباء لان اطلاعهم على بناتهم اكثر وكيف
وهم قد راوا جميع بدن البنات في حالة صغرهن ثم الابناء ثم الاخوة وذلك ظاهر فاما الكلام في بني الاخوة حيث
قدمهم الله على بني الاخوات لان بني الاخوات اباؤهم ليسوا بمحارم خالات ابنائهم وبني الاخوة اباؤهم محارم ايضا ففي
بني الاخوات مفسدة ما وهي ان الابن ربما يحكي خالته عند ابيه وهو ليس بمحرم ولا كذلك في بني الاخوة المسألة
الثالثة لم يذكر الله من المحارم الاعمام والاخوال ولم يقل ولا اعمامهن ولا اخوالهن لوجهين احدهما ان ذلك علم من بني الاخوة
وبني الاخوات لان من علم ان بني الاخ للعمات محارم علم ان بنات الاخ للاعمام محارم وكذلك الحال في امر الخال الثاني
ان الاعمام ربما يذكرونهن عند ابنائهم وهم غير محارم وكذلك الحال في ابن الخال المسألة الرابعة ولا نسائهن
مضافة الى المؤمنات حتى لا يجوز التكشف للكافرات في اصح الوجوه المسألة الخامسة ولا ما ملكت ايمانهن هذا بعد الكل فان المفسدة
في التكشف لهم ظاهرة ومن العلماء من قال المراد من كان دون البلوغ ثم قوله تعالى واتقين الله عند المماليك دليل على ان
التكشف لهم مشروط بالسلامة والعلم بعدم المحذور وقوله ان الله كان على كل شيء شهيدا في غاية الحسن في هذا الموضع وذلك
لان ما سبق اشارة الى جواز الخلوة بهم والتكشف لهم فقال ان الله شاهد عند اختلاء بعضكم ببعض فخلوتكم مثل ملئكم
بشهادة الله تعالى فاتقوا الله ثم قال ان الله وملائكته يصلون على النبي لما امر الله المؤمنين بالاستئذان وعدم
النظر الى وجوه نسائه احتراما كمل بيان حرمته وذلك لان حالته منحصرة في اثنين حالة خلوته وذكر ما يدل على
احترامه في تلك الحالة بقوله لا تدخلوا بيوت النبي وحالة تكون في ملأ والملأ اما الملأ الاعلى واما الملأ الادنى
اما في الملأ الاعلى فهو محترم فان الله وملائكته يصلون عليه واما في الملأ الادنى فذلك واجب لهم احترامه بقوله تعالى
يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وفي الاية مسائل الاولى الصلاة الدعاء يقال في اللغة صلى عليه اي دعا له
وهذا المعنى غير معقول في حق الله تعالى فانه لا يدعو له لان الدعاء للغير طلب نفعه من الغير قال الشافعي
استعمال اللفظ في معنيين وقد علم في قوله هو الذي يصلي عليكم وملائكته والذي نريد ههنا هو ان الله تعالى
قال هناك هو الذي يصلي عليكم وملائكته فجعل الصلاة لله وعطف الملائكة على الله وههنا جمع نفسه وملائكته
واسند الصلاة اليهم فقال يصلون وفيه تعظيم النبي عليه السلام وهذا لان افراد الواحد بالذكر وعطف الغير عليه
يوجب تفضيلا للمذكور على المعطوف كما ان الملك اذا قال يدخل فلان وفلان ايضا يفهم منه تقديم الاول لو قال

وفلان وفلان يدخلان اذا علمت هذا فقوله تعالى في حق النبي عليه السلام انهم يصلون اشارة الى ان في الصلاة على النبي عليه السلام كالاصل وفي
الصلاة على المؤمنين الله يرحمهم ثم الملائكة يوافقونه فهم في الصلاة على النبي عليه السلام صح
يصلون اصالة فانه كانها واجبة عليهم او مندوبة سوا صلى الله عليه او لم يصل وفي المؤمنين ليس كذلك المسالة الثانية
هذا دليل على مذهب الشافعي لان الامر للوجوب فتجب الصلاة على النبي عليه السلام ولا تجب في غير التشهد فتجب في التشهد
المسالة الثالثة سئل النبي صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك يا رسول الله فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
كما صليت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد
مجيد المسالة الرابعة اذا صلى الله وملائكته عليه فاية حاجة الى صلاتنا نقول الصلاة عليه
ليس لحاجته اليها والا فلا حاجة الى صلاة الملائكة مع صلاة الله عليه وانما هو لاظهار تعظيمه كما ان الله تعالى
اوجب علينا ذكر نفسه ولا حاجة له اليه وانما هو لاظهار تعظيمه منا شفقة علينا ليثيبنا عليه ولهذا قال عليه السلام
من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا المسالة الخامسة لم يترك الله النبي عليه السلام تحت منة امته بالصلاة حتى
عوضهم منه بان امر بالصلاة على الامة حيث قال وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم وقوله وسلموا تسليما امر فيجب
ولم يجب في غير الصلاة فيجب فيها وهو قولنا السلام عليك ايها النبي في التشهد وهو وجه على من قال
بعدم وجوبه وذكر المصدر للتاكيد ليكمل السلام عليه ولم يؤكد الصلاة بهذا التاكيد لانها كانت مؤكدة
بقوله ان الله وملائكته يصلون على النبي ثم قال تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم [illegible]
لما اشار [illegible] ضدا وهو بين حال موذي النبي ليبين فضيلة المسلم عليه واللعن اشد المحذورات
لان البعد من الله لا يرجى معه خير بخلاف التعذيب بالنار وغيره لان الملك اذا تغير على مملوك ان كان
تاديبه غير فوت يزجره ولا يطرده ولو خير المجرم ان يضرب او يطرد عند ما يكون الملك في غاية العظمة
والكرم يختار الضرب على الطرد ولا سيما اذا لم يكن في الدنيا ملك غيره يلتجي اليه وقوله في الدنيا والآخرة اشارة الى بعد
لا رجاء للقرب معه لان المبعد في الدنيا يرجو القربة في الآخرة فاذا خاب في الآخرة فقد خاب وخسر ثم انه
تعالى لم يحصر جزاءه في الابعاد بل اوعده بالعذاب فقال واعد لهم عذابا مهينا وفيه مسائل الاولى ذكر الايذاء
وايذاء الرسول وذكر عقيبه اللعن والوعيد فاللعن جزاء ايذاء الله لان ايذاء الملك يوجب عذابه ان
كان ايا من يعذب به والعذاب جزاء ايذاء الرسول لان الملك اذا آذى بعض عبيده كبيرا يستوفي منه قصاصه
[illegible] مثل هذا ان يوذي الله والايذاء الرسول [illegible] متولي الملك قصاصا على هذا الوجه [illegible] محال
من آذى الله فقد آذى الرسول وايضا على الوجه الآخر محال فمن يؤذي النبي عليه السلام فقد يؤذي الله كما ان من
[illegible] كمن قتل او يجرح من [illegible] كفر [illegible] النبي عليه السلام [illegible] ان الله تعالى صبور غفور رحيم
بالعذاب [illegible] المسالة الثانية الكل العذاب يكون مهينا لانه من [illegible] من عبد
ولم يحبسه [illegible] فان لم يحبس في محضر [illegible] لم يعز به رجلا كبيرا يدل على [illegible] ولزام [illegible]
[illegible] بين المقتدين [illegible] من آذى الله ورسوله من المحارس في النار يعذب
عذابا مهينا وقوله اعد لهم للتاكيد فان السيد اذا عذب عبده حالة الغضب من غير اعداد يكون ذلك اذا
اعده فيه [illegible] فان الاذى [illegible] اثر الغضب فاذا سكت الغضب يزول [illegible] كذلك الثاني
ثم قال تعالى والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا لما كان الله مصليا على نبيه لم ينفك ايذاء
الله عن ايذائه فان من آذى الله فقد آذى الرسول فبين الله للمؤمنين انكم ان اتيتم بما امرتكم وصليتم على النبي
كما صليت عليه [illegible] عن ايذاء الرسول [illegible] من يؤذيكم لكون ايذائكم ايذاء الرسول كما ان ايذاء
ايذاء الله [illegible] فحصل الصلاة من الله والملائكة والرسول والمؤمنين صار [illegible] ايذاء احدهم عن الآخر
كما [illegible] العادين في الصداقة وقوله بغير ما اكتسبوا احترازا عن الايذاء المعروف من غير

عنف

عنف زايد فان من جلد مائة على شرب الخمر او قتل بعث على فعل الردة او ابن يعيرها الكذب لعنا ومن جلد على الزنا
او حد على الشرب لم يؤذ بغيرها الكذب ويمكن ان يقال المراد بقوله اثما ان ذلك لصالح حال المضروب وقوله فقد احتملوا
بهتانا اثما مبينا ان البهتان هو الزور ويختص بكونه في القول والاثم قد يكون في غير القول فمن آذى مؤمنا بالضرب او اخذ ماله
لا يكون قد احتمل بهتانا فيقال الاثم والذين يؤذون المؤمنين بالقول وهو لان الله تعالى اراد اظهار شرف المؤمن
فلما ذكر ان من آذى الله ورسوله لعن وايذاء الله لا يكون وجد الله يجعل يعير في الدنيا ذكره او يشرك به من لا يبصر
ولا يسمع ايس ... بتعلم بما فيه مما هو حاج في ذكره الى من بعضه ومن قول فكر ايذاء المؤمن بالقول وعلى هذا ضعف الاثم
التي لا تذكر لانه اعم واثم ولكن لما ان الكلام ان لا يتفيد بيوذي الله بما بعلمه من ضر ما لضد ما يحتاج اليه ويوذيه بالقول
فلا نسلم العقد انما يحتمل ايذاء بالفعل يمكن ايذاؤه بالقول بان يقول عنه ما يجل الله عنه فيبناذن والوجه الثاني في الجواب هو
انه يقول وهو يعتقد لكذا ثم مبينا يتدرك لكانه قال احتمل بهتانا الكاذب في القول واثما مبينا كيف ما كان الايذاء وكيف
ما كان فان الله خص الايذاء القولي بالذكر لما بينا انه اعم ولانه اتم لانه يصل الى القلب فان الكلام يخرج من القلب واللسان
دليله ويدخل في القلب ولا كذلك الفعل ثم قال تعالى يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين
يدنين عليهن من جلابيبهن لما ذكر ان من يؤذي المؤمنين يحتمل بهتانا وكان فيه منع المكلف عن ايذاء المؤمن امر
المؤمن باجتناب المواضع التي فيها التهم الموجبة للتعادي لئلا يحصل الايذاء الممنوع منه ولما كان الايذاء القولي مختصا
بالذكر اختص بالذكر ما هو سبب الايذاء القولي وهو الذكر فان ذكرهن بالسوء يؤذي الرجال والنساء والذكر في الرجال
قل من يذكر امرءة بالسوء فانه ذكر وفي ذلك فيها ابغض فان اذكر رجلا بالسوء فانه ذكره وقد ما في ذلك فان
وكان في الجاهلية تخرج الحرة والامة مكشوفات فيتبعهن الزناة وتقع التهم فامر الله الحرائر بالتجلبب وقوله ذلك ادنى
ان يعرفن فلا يؤذين قيل يعرفن انهن حرائر فلا يتبعهن ويمكن ان يقال المراد يعرفن انهن لا يزنين لان من تستر وجهها
مع انه ليس بعورة لا يطمع فيها انها تكشف عورتها فيعرفن انهن مستورات لا يمكن طلب الزنا منهن وقوله وكان الله غفورا رحيما
يعفو لكم ما قد سلف برحمته ويثيبكم على ما تاتون به راجعا عليكم وقوله تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين في
قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم لما ذكر حال المشرك الذي يؤذي الله ورسوله والمجاهر الذي يؤذي
المؤمنين ذكر حال المسر الذي يظهر الحق ويضمر الباطل وهو المنافق ولما كان المذكورين قبل اثنين نظرا الى اعتبار
امور ثلاثة احدها المنافق الذي يؤذي الله سرا والثاني الذي في قلبه مرض الذي يؤذي المؤمن باتباع نسائه
والثالث المرجف الذي يؤذي النبي عليه السلام بالارجاف بقوله غلب محمد وسيخرج من المدينة وسيؤخذ وهؤلاء وان
كانوا قوما واحدا الا انهم لهم ثلاث اعتبارات وهذا في مقابلة قوله تعالى ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات
حيث ذكر اصنافا عشرة وكلهم يوجد في واحد فالمغايرة باعتبار وقوله لنغرينك بهم اي لنسلطك عليهم
لتخرجهم من المدينة ثم لا يجاورونك وتخلو المدينة منهم بالموت والاخراج ويحتمل ان يكون المراد لنغرينك بهم واذا اغريناك
لا يجاورونك اولاك كقول القائل يخرج الملك وينتقل الى مكان والثاني كقولهم يخرج ويدخل السوق في
في هذا اول يفنوا ولا يخرج وفي الثاني لا يدخل لاذا اوضح لاستثنائه لطيفة وهي ان الله تعالى وعد النبي
عليه السلام انه يخرج اعداءه من المدينة وينفيهم على يد ملة اظهار الشوكته ولو كان النبي اراد الله من عذر واسطة
النبي عليه السلام خلى المدينة عنهم في اللطف ان يكون بتمكين ولكن لما اراد الله ان يكون على يد النبي لم يقع
ذلك الا بزمان وان قل فقال ثم لا يجاورونك الا قليلا ريثما يتهيئوا ويتاهبوا للخروج ثم قال تعالى
ملعونين اي يفنوا الصدا ... لك الغليل الذي لا يجاورونك بالجوار ... ملعونين مطرودين من باب الله وبابك وداري
حرمه اي يستكون عن الدلة ولا يجدون ملجا بل اينما يكونون يطلبون ويوخذون ويقتلون ثم قال تعالى
سنة الله في الذين خلوا يعني هذا ليس بدعا بل هو سنة جارية وعادة مستمرة تفعل بالمكذبين ولن تجد لسنة الله تبديلا
اي ليست هذه السنة مثل الحكم الذي يبدل وينسخ فان النسخ يكون في الاحكام اما الافعال والاخبار فلا تنسخ ثم قال تعالى

لما بين حالهم في الدنيا انهم يلعنون ويهانون ويقتلون اراد ان
يسالك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله لما بين حالهم في الدنيا انهم يسالك الناس عن الساعة عنادا او عن وقت القيامة
يبين حالهم في الاخرة فذكرهم بالقيامة وذكر ما يمكنهم فيها من امتناع الخلف عن الاجزاء وضوهم منها في كل وقت ثم قال
قل انما علمها عند الله لا يتبين لكم فان الله اخفاها لحكمة هي امتناع المكلف عن الاجتراء حتى يكون المكلف في كل يوم يخاف من
وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا اشارة الى التخويف فذلك ان قول القائل فلان لا يعلم متى يكون الامر الفلاني يعني عن
الحال ابدا فان قوله لعل الساعة يحققه فان اشتغاله بها شهرا او شهرين ربما يفوته ذلك ولو قيل له اصبر
الى ان اقول لك الانسان بطالب مديونا بحقه فان يعلم متى يجي ذلك وبكر لم يكن فجى ذلك فعل اتعبنا ما كلمه الله تعالى
الى متى يتمهل فان سيوفه يقول الله يعلم متى يجي ذلك لكن لعلم عند الله ان الله لعن الكافرين يعني كانهم ملعونون في الدنيا عند الله
وهنا ما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ثم قال ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا كما قال تعالى لعنهم الله في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا
فكذلكم ملعونون عند الله واعد لهم سعيرا خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا ولا نصيرا لما ذكر حالهم
خالدين فيها ابدا مطلقا الكفار فيها وهذا يبين ان لهم سعيرا ولا يخلصون منها ولا يجدون وليا يشفع لهم ولا ناصرا يدفع عنه ولا نصيرا ينفع
بين كيفية ذلك ان المعذب لا يخلصه من العذاب الا صديق يشفع له او ناصر يدفع عنه وذلك لما تم بين
ذا نعم يوم تقلب وجوههم في النار لما بين انه لا يشفع لهم ولا يدفع عنهم العذاب
بين ان بعض عذابهم ايضا لا يدفع العذاب عن البعض كما في عذاب الدنيا فان الانسان يدفع عن وجهه
يتقي بعضه عن عذابه ايضا لا يدفع العذاب عن البعض فان البطش راسه كيلا يصيب وجهه
الضربة اتقابيل فانه يجعل يده جنة او يطاطئ راسه ووجهه يجعل يده جنة او يطاطئ راسه كيلا يصيب وجهه
وفي القرع تقلب وجوههم في النار فما ظنك بسائر اعضائهم التي تجعل جنة للوجه ووقاية له يقولون
يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فيتحسرون ويندمون حيث لا ينفعهم الندامة والحسرة لحصول علمهم
بانه لا خلاص لهم ثم ان المطيع منهم يقولون انا اطعنا سادتنا يعني بدل طاعة الله اطعنا السادة وبدل طاعة
الرسول اطعنا الكبراء وتركنا طاعة سيد السادات واكبر الاكابر فبدلنا الخير بالشر لا جرم فاتنا خير
الجنان واوتينا شر النيران ثم انهم يطلبون بعض التشفي بتعذيب المضلين ويقولون ربنا آتهم ضعفين من
العذاب العذاب لضلالهم واضلالهم ولعنا كبيرا معنى لطيف وهو ان الدعاء لا يكون الا عند عدم حصول الامر المدعو به والعذاب كان حاصلا لهم واللعن كذلك فطلبوا ما ليس
بحاصل وهو زيادة العذاب بقولهم ضعفين وزيادة اللعن بقولهم لعنا كبيرا ثم قال تعالى يا ايها الذين آمنوا
لا تكونوا كالذين آذوا موسى لما بين الله تعالى ان من يؤذي الله ورسوله يلعن ويعذب وكان ذلك اشارة الى
ايذاء هو كفر ارشد المؤمنين الى الامتناع من ايذاء هو دونه وهو لا يورث كفرا وذلك مثل من لم يرض
بقسمة النبي عليه السلم وبحكمه بالفيء لبعض او غير ذلك فقال يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى وحديث
ايذائهم موسى مختلف فيه قال بعضهم هو ان ابناءهم اباه بسبب انه عيبي بدنه وقال بعضهم بانه رمي قومه فاحشه
هي قتل هارون عليه السلم فلما جمع قارون القوم والمراة حتى بان الله نبي بريها انها صدقت لم تقل
ما لقنت وفي الجملة الايذاء المذكور في القرآن كاف وهو انهم قالوا له اذهب انت وربك فقاتلا وقولهم لن نؤمن لك
حتى نرى الله جهرة وقولهم لن نصبر على طعام واحد الى غير ذلك فقال للمؤمنين لا تكونوا امثالهم اذا طلبكم الرسول
الى القتال لا تقولوا اذهب انت وربك فقاتلا ولا تسالوا ما لم يؤذن لكم فيه واذا امركم الرسول بشيء فاتوا
منه ما استطعتم وقوله فبراه الله مما قالوا على الاول ظاهر لانه ابرزه لهم فراوه وعلموا فساد اعتقادهم
وبنطق المراة بالحق وكذلك حتى عبدوا بعد علمهم براءته عن مجروح فعلوا ابراءة موسى عليه السلم
عن تلك الذي رموه به وعلى ما ذكرنا براءه الله مما قالوا ان اخرج عنهم ما طلبوا باعطائه العفو اياهم ووجاهتهم
عنهم حولت العفو بالجملة نطع الله جميعهم ثم ضرب عليهم الذلة والمسكنة وغضب عليهم وقوله وكان عند الله
وجيها اي ذا وجاهة ومعرفة والوجيه هو الرجل الذي يكون له وجه اي يكون معروفا بالخير وكل احد او ان كان
عند الله معروفا لكن المعرفة المجردة لا تكفي في الوجاهة فان من عرف غيره لكونه خادما له او اجيرا عنده لا يقال هو

وجيه عند فلان وانما الوجيه من يكون له خصال حميدة تجعل من شانه ان يعرف ولا ينكر وكان كذلك
ثم قال تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله لما ارشدهم الى ما ينبغي ان يصدر منهم من الافعال والاقوال
اما الافعال فالخير واما الاقوال فالحق لان من اتى بالخير وترك الشر فقد اتقى الله ومن قال الصدق
قال قولا سديدا ثم وعدهم على الامرين بامرين على الخيرات باصلاح الاعمال فان بتقوى الله يصلح العمل و
العمل الصالح يرفع ويبقى فيبقى ثوابه خالدا في الجنة وعلى القول السديد بمغفرة الذنوب ثم قال
ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما لما طاعة الله هي طاعة الرسول ولكن جمع بينهما لبيان شرف فعل
المطيع فانه بفعله الواحد اتخذ عند الله عهدا وعند الرسول يدا وبهم سماه فوزا عظيما من وجهين احدهما
انه من عذاب عظيم والنجاة من العذاب تعظم بعظم العذاب حتى ان من اراد ان يضرب غيره سوطا ثم نجا منه
لا يقال فاز فوزا عظيما لان العذاب الذي نجا منه لو وقع ما كان يتفاوت الامر تفاوتا كثيرا والثاني انه وصل
الى ثواب كثير وهو الثواب الدائم الابدي ثم قال تعالى انا عرضنا الامانة على السموات لما ارشد الله
المؤمنين الى مكارم الاخلاق وادب النبي عليه السلم باحسن الاداب بين ان التكليف الذي وجهه الى
الانسان امر عظيم فقال انا عرضنا الامانة على السموات والارض اي التكليف وهو الامر بخلاف ما في الطبيعة واعلم
ان هذا النوع من التكليف ليس في السموات ولا في الارض لان الارض والجبل والسماء كلها على ما خلقت عليه
الجبل لا يطلب منه السير والارض لا يطلب منها الصعود ولا من السماء الهبوط ولا في الملائكة لان الملائكة وان
كانوا مامورين منهيين عن اشياء لكن ذلك كالاكل والشرب لنا فيسبحون الليل والنهار لا يفترون كما يشتغل
الانسان بامر موافق لطبعه وفي الاية مسائل الاولى في الامانة وجوه كثيرة منهم من قال هو التكليف
وسمي امانة لان من قصر فيه فعليه الغرامة ومن وفى فله الكرامة ومنهم من قال هو قول لا اله الا الله وهو
بعيد لان السموات والارض والجبال بالسنتها ناطقة بان الله واحد لا اله الا الله ومنهم من قال هي
الاعضاء فالعين امانة ينبغي حفظها والاذن كذلك واليد كذلك والرجل والفرج واللسان ومنهم من قال
معرفة الله بما فيها والله اعلم المسالة الثانية في العرض وجوه منهم من قال المراد العرض ومنهم من قال التخيير
ومنهم من قال المقابلة اي قابلنا الامانة مع السموات في خفتها الامانة وفي الدين المسالة الثالثة في السموات
والارض وجهان احدهما ان المراد هي باعيانها والثاني المراد اهلوها ففيه اضمار تقديره انا عرضنا الامانة
على اهل السموات والارض المسالة الرابعة قوله فابين ان يحملنها لم يكن اباؤهن كاباء ابليس في قوله تعالى فابى ان يكون
مع الساجدين من وجهين احدهما ان هناك السجود كان فرضا وههنا الامانة كانت عرضا وثانيهما ان الاباء كان هناك
استكبارا وههنا استصغارا استصغرن انفسهن بدليل قوله واشفقن منها المسالة الخامسة ما سبب الاشفاق
نقول الامانة تنقل لوضع احد بما لم يكن عن اصحاب الحفظ كالاواني من الجواهر التي تكون عزيزة
سريعة الانكسار فان العاقل يمتنع عن قبولها ولو كانت من الذهب والفضة لقبلها ولو كانت من الزجاج لقبلها
ولا ذلك لان الامانة من هلاكه وفي الثاني لكونها عزيزة في نفوس المكلفين اذ الوزن كان يتعلق بخروج ادم من الجنة
الثالث عسر رعاة الامانة والانسان بما يجب كابداع الحيوانات التي تحتاج الى العلف والسقي وموضع محروس يكتب
بسببها فان العاقل يمتنع من قبولها بخلاف متاع يوضع في صندوق او في زاوية بيت والتكليف كذلك فانه
يحتاج الى تربية وتنمية المسالة السادسة كيف حملها الانسان ولم يحملها هذه الاشياء فيه جوابان احدهما
بسبب جهله بما فيه وعلمهن ولهذا قال الله تعالى انه كان ظلوما جهولا والثاني ان الاشياء نظرن الى انفسهن
فراين ضعفهن فامتنعن والانسان نظر الى جانب المكلف وقال المودع عالم قادر لا يعرض الامانة الا على اهلها
واذا اودع لا يتركها بل يحفظها بعينه وعونه فقبلها وقال اياك نعبد واياك نستعين المسالة السابعة
قوله انه كان ظلوما جهولا فيه وجوه احدها ان المراد منه آدم ظلم نفسه بالمخالفة ولم يعلم ما يعاقب عليه من الاخراج

من الجنة ثانيها المراد الإنسان ظلم بالعصيان وبحمل ما عليه من العقاب ثالثها أنه كان ظلوما جهولا أي كان
من شأنه الظلم والجهل يقال فرس شموس ودابة جموح وماء طهور أي من شأنه ذلك فكذلك الإنسان كان من شأنه
الظلم والجهل فلما أودع الأمانة بقي بعضهم على ما كان عليه وبعضهم ترك الظلم كما قال تعالى الذين آمنوا ولم يلبسوا
إيمانهم بظلم وترك الجهل كما قال تعالى في حقهم وعلم آدم الأسماء كلها وقال في حق المؤمنين عامة والراسخون
في العلم يقولون آمنا به وقال تعالى لنا حكى الله عن عباده العلماء الرابع أنه كان ظلوما جهولا في ظن الملائكة
حيث قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها وبين علمه عندهم حيث قال تعالى أنبئوني بأسماء هؤلاء وقال في تقرير
الآية إن المخلوق على قسمين مدرك وغير مدرك والمدرك منه من يدرك الكلي والجزئي مثل الآدمي ومنه من يدرك
الجزئي كالبهائم تدرك الشعير الذي يأكله ولا تتفكر في عواقب الأمور ولا تنظر في الدلائل والبراهين ومنه
من يدرك الكلي ولا يدرك الجزئي كالملك يدرك الكليات ولا يدرك لذة الجماع ولا الأكل فالوا والى بهذا أشار الله تعالى
بقوله فعرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء فاعترفوا بعدم علمهم بتلك الجزئيات والتكليف لم يكن إلا على
مدرك الأمرين إذ له لذات بأمور جزئية فيمنع منها لذات حقيقية هي كمثل لذة الملائكة بعبادة الله ومعرفته لطيفة
وأما غيره فإن كان مكلفا لم يكن مكلفا بمعنى الأمر بما فيه عليهم كلفة ومشقة بل بمعنى الخطاب فإن الخطاب يسمى تكليفا
لأن المكلف مخاطب فسمي المخاطب مكلفا وفي الآية لطائف الأولى الأمانة كان عرضها على آدم فقبلها فكان
أمينا عليها والقول قول الأمين فهو فائز بخير ولأن أخذ الأمانة منه ولا أخذ من الأمين ليس لمؤمن ولهذا
وارث المودع لا يمكن القول قوله ولم يكن له بد من تجديد عهد وائتمان فالمؤمن اتخذ عند الله عهدا فصار أمينا
من الله فصار القول قوله وكان له ما كان لآدم من الفوز ولهذا قال تعالى ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات
أي كما تاب على آدم في قوله تعالى فتاب عليه والكافر صار آخذ الأمانة من المؤمن فبقي في ضمانه ثم إن المؤمن
إذا أصاب الأمانة في يده شيء حتى يلقى الله وتدره كان ذلك من غير تقصير منه والأمين لا يضمن ما فات بغير تقصير
والكافر إذا أصاب الأمانة في يده شيء ضمن ذلك كان بعد ما الله وبدله الأمانة يضمن ما فات ولم يكن بتقصير اللطيفة
الثانية خص الأشياء الثلاثة بالذكر لأنها أشد الأمور وأحملها للأثقال أما السموات فلقوله تعالى وبنينا فوقكم سبعا
شدادا والأرض والجبال لا تخفى شدتها وصلابتها ثم إن هذه الأشياء لما كانت لها شدة وصلابة عرضت الأمانة
عليها اكتفى بشدتهن وقوتهن فامتنعن وإن كانت أشد الأشياء لأن الأمانة لله فوق قوتهن وحملها الإنسان مع
ضعفه الذي قال الله تعالى فيه وخلق الإنسان ضعيفا ولكن فعله لا إعانة على حفظ الأمانة بقوله ومن يتوكل
على الله فهو حسبه فإنه قبل والذي يعينه الله كيف يعذب ولم يعذب الكافر بقول قال الله أنا أغنى من
ستغنى وتوكل والكافر لم يرجع إلى الله فتركه مع نفسه فبقي في عهدة الأمانة اللطيفة الثالثة
قوله فأبين أن يحملنها وقوله وحملها الإنسان إشارة إلى أن فيه مشقة بخلاف ما لو قال فأبين أن يقبلنها وقبلها الإنسان
ومن قال لغيره افعل هذا الفعل فإن لم يكن في الفعل تعب تنابل بأجرة فإذا فعله لم يستحق أجرا فقال الله تعالى
وحملها إشارة إلى أنه ما يستحق الأجر عليه أي على مجرد حمل الأمانة وأما على رعايتها فإن الرعاية يستحق الزيادة
فإن قيل فالكل حملوها غاية ما في الباب أن الكافر لم يأت بشيء زائد على الحمل فينبغي أن يستحق الأجر على الحمل يقال
الحمل إذا كان على وجه لا أجر من المالك لا يستحق الأجر إنما على الأجر إذا أوصل الحمل إلى الأمانة لو قال احمل هذا إلى الضيعة
التي على الساحل فحملها ونقلها إلى الضيعة التي على الجنوب لا يستحق الأجر ويلزمه ردها إلى الموضع الذي كان فيه
كذلك الكافر حملها على غير وجه الإذن فغرم دون التحسانة التي عمها أسبابه ثم قال تعالى ليعذب
المنافقين والمنافقات أي حملها الإنسان ليقع تعذيب المنافق والمشرك فإن قال قائل لم قدم التعذيب على التوبة
نقول لما سمي التكليف أمانة والأمانة من حكمها اللازم أن الخائن يضمن وليس من حكمها اللازم أن الأمين الباذل
جهده يستفيد أجرة فكان التعذيب على الخيانة كاللازم والأجر على الحفظ إحسان والعدل قبل الإحسان فقوله
أخرى

أخرى عطف المشرك على المنافق ولم يعد اسمه تعالى فلم يقل ويعذب الله المشركين وعند التوبة أعاد اسمه وقال ويتوب الله
ولو قال ويتوب على المؤمنين لكان المعنى حاصلا ولكن لما فصل المؤمن عن المنافق جعل الكلام مستأنفا
وبهذا أكد ذكر الفاعل وقال ويتوب الله وكمل هذا وله من حيث التربيع المسألة الثالثة ذكر الله في الإنسان
وصفين الظلوم والجهول وذكر من أوصافه وصفين قال وكان الله غفورا رحيما أي كان غفورا للظلوم رحيما
على الجهول وذلك لأن الله تعالى وعد عباده بأنه يغفر الظلم جميعا إلا الظلم العظيم الذي هو الشرك كما قال تعالى
إن الشرك لظلم عظيم وأما الوعد فمن قوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وأما الرحم
على الجهل فلأن الجهل محل الرحمة ولذلك يعتذر المسيء بقوله ما علمت وههنا لطيفة وهي أن الله تعالى علم عبده بأنه
يعتذر عنهم ويجرم نفسه بأنه ظلوم جهول ثم عرض عليه الأمانة فقبلها مع ظلمه وجهله لعلمه في ما يجبرها من الغفران
والرحمة والله أعلم بالصواب

سورة سبأ

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي له ما في السموات السور المفتتحة
بالحمد خمس سور سورتان منها في النصف الأول وهما الأنعام والكهف وسورتان في الأخير وهما هذه السورة وسورة الملائكة والخامسة
هي فاتحة الكتاب تقرأ مع النصف الأول ومع النصف الأخير والحكمة فيها أن نعم الله مع كثرتها وعدم قدرتنا على إحصائها منحصرة في
قسمين نعمة الإيجاد ونعمة الإبقاء فإن الله خلقنا أولا برحمته وخلق لنا ما نقوم به وهذه النعمة توجد مرة أخرى بالإعادة
فإنه يخلقنا مرة أخرى ويخلق لنا ما يدوم فلنا حالتان الابتداء والإعادة وفي كل حالة له تعالى علينا نعمتان نعمة الإيجاد
ونعمة الإبقاء فقال في النصف الأول الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور إشارة إلى الشكر على نعمة
الإيجاد ويدل عليه قوله تعالى فيه الذي خلقكم من طين إشارة إلى الإيجاد الأول وقال في السورة الثانية الحمد لله الذي
أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر إشارة إلى الشكر على نعمة الإبقاء فإن الشرائع بها البقاء ولولا شرع ينقاد له
الخلق لاتبع كل واحد هواه وتقع المنازعات في المشتهيات وأدى إلى التقاتل والتفاني ثم قال في هذه السورة
الحمد لله إشارة إلى نعمة الإيجاد الثاني ويدل عليه قوله تعالى وله الحمد في الآخرة وقال في الملائكة الحمد لله إشارة إلى نعمة الإبقاء
ويدل عليه قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا والملائكة بأجمعهم لا يكونون رسلا إلا يوم القيامة يرسلهم الله مسلمين على
المؤمنين كما قال تعالى وتتلقاهم الملائكة وقال تعالى عنهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وفاتحة الكتاب
لما اشتملت على ذكر النعمتين بقوله تعالى الحمد لله رب العالمين إشارة إلى النعم العاجلة وقوله مالك يوم الدين
إلى النعمة الآجلة قرئت في الافتتاح وفي الاختتام ثم في التفسير مسائل الأولى الحمد شكر والشكر على النعم والله تعالى
جعل ما في السموات والأرض لنفسه بقوله له ما في السموات ولم يبين أنه لنا حتى يجب الشكر يقول جوابا عنه
الحمد لله تعارف الشكر في نعمة وصفات الجمال والحمد من فيه صفات جميلة وإن لم يسع على الكمال أصلا فإن الإنسان
يحمد مثله ليفيد به صف عالم أو بحمية أن أصلا إنه عالم عامل بارع كامل يقال له إنه يحمد فلانا ولا يقال
إنه شكره إلا إذا ذكر نعمه إلى ذكرها على نعمه فالله تعالى محمود في الأزل لاتصافه بأوصاف الكمال ونعوت الجلال
ومشكور لا يزال على ما أبدى من الكرم وأسدى من النعم فلا حاجة في الحمد إلى ذكر النعم للحمد بل يكفي ذكر العظمة وفي كونه
مالك السموات وما في الأرض عظمة كاملة فله الحمد على أنا نقول وله ما في السموات وما في الأرض إذا كان لله ونحن المنتفعون
به لا هو فهو يوجب ذلك شكر الأمر مع ذلك لنا المسألة الثانية قد ذكرتم أن الحمد ههنا إشارة إلى النعم التي
في الآخرة فلماذا ذكر الله السموات والأرض بقول نقول نعم الآخرة غير مرئية فذكر الله النعم المرئية وهي ما في
السموات وما في الأرض ثم قال وله الحمد في الآخرة ليقاس نعم الآخرة بنعم الدنيا ويعلم فضلها بدوامها وبقائها العاجلة
ولهذا قال وهو الحكيم الخبير إشارة إلى أن خلق هذه الأشياء بالحكمة والخبر والحكمة صفة ثابتة لله لا يمكن زوالها
يمكن منه إيجاد نفس مرة أخرى في الآخرة أشار إليه المسألة الثالثة الحكمة هي العلم الذي يتصل به الفعل فإن من يعلم أمرا
ولا يأتي بما يناسب علمه لا يقال له حكيم ومن يأتي بأمر عجيب على سبيل الاتفاق من غير علم لا يقال له حكيم فالفاعل

الذي فعله على وفق العلم هو الحكيم والخبير هو الذي يعلم عواقب الامور وبواطنها فهو حكيم الى الابد لا يخلو كان سيحي
وخبيرا بان انتهاء يعلم ماذا يصدر من المخلوق وماذا يصدر والى ماذا يكون مصير كل احد فهو حكيم في الابتدا
خبير في الانتهاء ثم بين الله تعالى كال حكمه بقوله يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السما وما يعرج
فيها ما يلج في الارض كالحبة والعروق وغيرها ويخرج منها من السنابل والاشجار وينزل من السما من انواع رحمته
منها المطر ومنها الملائكة ومنها القرآن وما يعرج فيها منها الكلم الطيب لقوله تعالى اليه يصعد الكلم
الطيب ومنها الارواح ومنها الاعمال الصالحة لقوله والعمل الصالح يرفعه ومنه ما يدل على [illegible] قدم ما يلج
في الارض على ما ينزل من السما لان الحبة تبذر اولا ثم تسقى بما السما [illegible] وما يعرج فيها ولم يقل يعرج
اليها اشارة الى قبول الاعمال الصالحة ورتبة النفوس الزكية وهذا لان كلمة الى للغاية [illegible] وما يعرج
اليها لفهم الوقوف عند السموات [illegible] يعرج فيها ليفهم نفوذها فيها وصعودها منها ولهذا قال في الكلم
الطيب اليه يصعد الكلم الطيب لان الله هو المنتهى ولا مرتبة فوق الحصول اليه واما السما فهي دنيا
وفوقها المنتهى [illegible] وهو الرحيم الغفور رحيم بالانزال حيث ينزل الرزق من السما غفور عند
ما يعرج اليه الارواح والاعمال فرحم اولا بالانزال وغفر ثانيا عند العروج ثم بين ان هذه النعمة التي يستحق
الله بها الحمد وهي نعمة الآخرة انكرها قوم وقال تعالى وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة ورد عليهم
وقال قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب اخبر باتيانها واكدها باليمين قال الزمخشري رحمه الله لو قال
قائل كيف يصح التاكيد باليمين مع انهم يقولون [illegible] كانوا يقولون به لكن المسلم [illegible]
[illegible] باليمين [illegible] على اليمين [illegible] الدليل وهو قوله ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات
كونه دليلا ان [illegible] في [illegible] الحاصل [illegible] الحسن [illegible] في دار
الدنيا في الآلام [illegible] وموتهما فلولا دار تكون [illegible] الحكمة والذي [illegible]
[illegible] عالم الغيب [illegible] ذرة [illegible] كان عالما بجميع الاشياء يعلم
اجزاء الاحيا [illegible] ممكنة [illegible] وقد اخبر [illegible] عنه [illegible] هذا
بقوله تعالى في السموات ولا في الارض فيه لطيفة وهي ان الانسان له جسم وروح والاجسام اجزاؤها
في الارض والارواح في السما [illegible] عنه مثقال ذرة في السموات اشارة الى علمه بالارواح [illegible] اشارة
الى علمه بالاجسام فاذا علم الارواح والاجسام [illegible] المعاد [illegible]
[illegible] ليس للتحديد بل الاصغر منه [illegible] الى ذكر الاكبر فان من علم
الاصغر [illegible] لما كان الله تعالى [illegible] في الكتاب
فلو [illegible] على الاصغر [illegible] ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات
[illegible] مغفرة [illegible] والرزق الكريم [illegible]
[illegible] ان الله [illegible] عليه السلام
[illegible] عن محي السنة عن [illegible]
عن [illegible] عن محمد بن يوسف [illegible] عن محمد بن اسمعيل البخاري عن يخرج من النار من قال لا اله
الا الله وفي قلبه ذرة من الايمان والرزق الكريم على العمل الصالح [illegible]
العمل [illegible] عليه [illegible] الرزق الكريم [illegible]
[illegible] رزق الدنيا [illegible]
[illegible] لهم [illegible] والله [illegible]
[illegible] تعالى ليجزي الذين [illegible]

ليجزي

ليجزي الذين آمنوا [illegible] اللام في ليجزي للتعليل معناه الآخرة ليجزي [illegible] وجه المناسبة
[illegible] الله تعالى [illegible] لا يستطيع ثوابه يحمل [illegible] واصلا اليه دائما [illegible]
[illegible] في الآلام [illegible] الموت [illegible] الى [illegible]
[illegible] الرزق بالوصف [illegible] كريم [illegible] المغفرة [illegible]
والرزق في [illegible] والحكم [illegible] الفواكه والشراب [illegible] الرزق [illegible]
[illegible] المغفرة [illegible] تعالى والذين سعوا في آياتنا معاجزين اولئك لهم عذاب من رجز اليم
[illegible] الكافرين [illegible] والذين سعوا في آياتنا [illegible] الذين
كذبوا بآياتنا [illegible] تعالى آمنوا معناه صدقوا وهذا معناه
كذبوا [illegible] سعيهم في الابطال [illegible]
معاجزين [illegible] المعجز [illegible]
[illegible] القرآن [illegible]
[illegible] العظيم [illegible]
[illegible] الله [illegible] عذاب [illegible] رزق
[illegible] عذاب [illegible] ان قوله تعالى
ليجزي الذين [illegible] الله [illegible] المعاندين [illegible]
الزيادة [illegible] لهم مغفرة
هناك [illegible] رزق كريم [illegible] عذاب [illegible] لهم رزق كريم [illegible]
[illegible] عذاب من رجز اليم [illegible]
[illegible] الرجز [illegible] العقاب [illegible]
[illegible] عذاب اليم من
اسوأ العذاب [illegible]
[illegible] عمل صالح [illegible]
[illegible] المؤمن [illegible]
ذلك [illegible] مغفرة ورزق [illegible] عذاب [illegible]
[illegible] تعالى ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق
[illegible] الدنيا [illegible] ان انزل
الى محمد عليه السلام حق [illegible] الكذب [illegible]
[illegible] تعالى ويهدي الى صراط
العزيز الحميد [illegible] الصراط [illegible]
[illegible] القبول [illegible]
الوصول الى الله [illegible] العزيز الحميد [illegible]
[illegible] الكلمة [illegible]
[illegible] الرحمة [illegible]
[illegible] العزيز [illegible]
[illegible] تعالى وقال الذين كفروا هل ندلكم

على رجل وهم الرسل صلوات الله ثم بين انهم انكروا الساعة ورد عليهم بقوله قل بلى وربي لتاتينكم وبين ما يكون بعد
اتيانها من جزاء المؤمن على عمله الصالح وجزاء الساعي في تكذيب الآيات بالعذاب على السيئات بين حال المؤمن والكافر
بعد قوله لنبيه عليه السلم بلى وربي لتاتينكم فقال ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك هو الحق وهو الذي تبين له
باطل ومن عاند انكر ذلك اعتمادا على انهم اوعنادا بقوله هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق
انكم لفي خلق جديد هذا كقول القائل الاستبعاد جاء رجل يقول انا التمس من الخوف المعرفة منكم
المحالات ثم قال بعضهم لبعض افترى على الله كذبا ام به جنة تمام قول الذين كفروا اذا عني
هو من كلام من قال هل ندلكم وحمل الكافرين قول السامع المجيب لمن قال هل ندلكم كان السامع لما سمع قول
القائل هل ندلكم على رجل ينبئكم قال له هو يفتري على الله كذبا ان كان يعتقد خلافه او به جنة مجنون ان كان لا يعتقد
خلافه وفي هذه اللطيفة وهي ان الكافر ابعض بان يظهر كذبه والمدافع لم يجزم بانه مفتر بل قال مفترا و
مجنون احترازا من ان يقول مالك كيف تقول بانه مفتر مع انه جائز ان يظن انه الحق ذلك وظن الصدق في
تسمية العاقل مفتريا وكاذبا في بعض المواضع الامر كان من يقول جاء زيد فاذا تبين انه لم يجي وقيل له
لم كذبت تقول ما كذبت وانما سمعت من فلان انه جاء فظننت انه صادق فيدفع الكذب عن نفسه بالظن
ثم احترزوا عن تبيين كذبهم فكل عاقل يسعى الى ان يحترز عن ظهور كذبه عند الناس ولا يكون العاقل
ادنى درجة من الكافر ثم انه تعالى اجابهم مرة اخرى وقال بل الذين لا يؤمنون بالاخرة في العذاب والضلال البعيد فلم افترى
على الله كذبا وبه جنة في الضلال البعيد في مقابلة قولهم به جنة وكلاهما مناسب اما العذاب فلان
نسبة الكذب الى الصادق مؤذ لانه شهادة عليه بانه يستحق العذاب فجعل عليهم حيث نسبوا العذاب
ونسبه الى البر واما الجنون فلان نسبة الجنون الى العاقل دونه في الاذى لانه يشهد عليه بانه يوذي
لكن ينسبه الى عدم الهداية فبين انهم هم الضالون ثم وصف ضلالهم بالبعد لان من يسمي المهتدي ضالا يكون
مع الضلال فمن يسمي الهادي ضالا يكون اضل والنبي عليه السلم كان هاديا لكل مهتد ثم قال تعالى
افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض لما ذكر الدليل بكونه عالم الغيب وكونه جازيا على السيئات
والحسنات ذكر دليلا اخر وذكر فيه تهديدا اما الدليل فبخلق السماء والارض فانهما يدلان على الوحدانية
كما سنامل لما ذكر قال تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وتدلان على الحشر لانهما يدلان
على كمال قدرته وبهما اعاده وقد ذكرنا مرارا قال تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق
مثلهم بلى واما التهديد فبقوله ان نشا نخسف بهم الارض يعني نجعل عاليها سافلها بالخسف والكسف
ثم قال تعالى ان في ذلك لاية لكل عبد منيب اي لكل من يرجع الى الله ويترك التعصب ثم ان الله تعالى لما ذكر
من ينيب من عباده ذكر منهم من اناب واصاب ومن جملتهم داود كما قال تعالى عنه فاستغفر ربه وخر راكعا
واناب وبين ما اتاه الله من انابته قال ولقد اتينا داود منا فضلا وفي الاية مسايل الاولى في قوله تعالى
منا اشارة الى بيان فضيلة داود عليه السلم وتقريره هو ان قوله ولقد اتينا داود فضلا مستقل بالمفهوم ثم
وتمامه كما يقول القائل اتى الملك زيدا خلعة فاذا قال القائل اتاه منه خلعة يفيد انه كان من خاص ما يكون
له فكذلك ايتاء الله الفضل عام لكن النبوة من عنده خاص بالبعض مثل هذا قوله تعالى يبشرهم ربهم برحمة
منه ورضوان فان رحمة الله واسعة تصل الى كل احد في الدنيا لكن رحمته في الاخرة على المؤمنين رحمة
منه عند لخواصه فقال يبشرهم ربهم برحمة منه المسالة الثانية في قوله يا جبال اوبي معه
قال الزمخشري يا جبال بدل من قوله فضلا معناه وقلنا يا جبال ا و قيل معناه اتيناه قلنا يا جبال
المسالة الثالثة قرى اوبي من التاويب وهو الترجيع وقيل ... ومن الاوب بمعنى الرجوع و
المراد الترجيع وقيل بان معناه سيري معه وفي قوله تعالى والطير من السباحة وفيه الحركة المخصوصة

المسلم الرابع

المسله الرابعة قرى والطير رفعا عطفا على محل المنادى والطير بالنصب حملا على لفظ المسله الخامسة لم كان
الموافق له في التاويب منحصرا في الجبال والطير والذكر الجبال لان الصخور للجمود والطير للنفور يستبعد
منها الموافقة فاذا وافقته هذه الاشياء فغيرها اولى ثم ان من الناس من لم يوافقه وهم القاسية قلوبهم التي
هي اشد قسوة من الحجارة المسله السادسة قوله والنا له الحديد عطف على المعطوف عليه يحمل على ما تقدم في قوله يا جبال
معناه قلنا يا جبال اوبي والنا ويحمل على اتينا تقديره اتيناه فضلا والنا له الحديد المسله السابعة الان الله
له الحديد حتى كان في يده كالشمع وهو في قدرة الله يسير فانه يلين بالنار وعلى حتى يصير كالمداد الذي يكتب به فاي عاقل
يستبعد ذلك من قدرة الله تعالى بانه طلب من الله ان يغنيه عن اكل مال بيت المال فالان له الحديد وعلمه صنعة اللبوس وهو الدروع
وانما اختار الله له ذلك لانه وقاية للروح التي هي امره وسعي في حفظ الادمي المكرم عند الله من القتل فالزراد خير من القواس
والسياف وغيرهما ثم قال تعالى ان اعمل سابغات قيل ان هاهنا المفسرة بمعنى اي اعمل سابغات وهو بعيد
لان الناصبة لا بد ان يحمل الناله الحديد بجمل سابغات لكن ان مع الفعل المستقبل للمصدر يكون
معناه النا له الحديد والهمناه عمل سابغات وهي الدروع الواسعة ذكر الصفة ويعلم منها الموصوف وقدر في السرد قال
المفسرون لا تغلظ المسامير فيتفرق الثقب ولا توسع الثقب فيتقلقل المسامير فيها وعمل السرد وهو عمل الزرد
ويلبسه وقدر في الزرد اشارة الى انه غير مامور به لكونه كاسبا انما هو لكسب والكسب يكون بقدر الحاجة وباقي الايام والليالي
للعبادة فقدر في ذلك العمل ولا تشتغل جميع اوقاتك بالكسب بل حصل به القوت فحسب ويدل عليه قوله تعالى واعملوا صالحا
اي لستم مخلوقين الا للعمل الصالح فاعملوا ذلك واكثروا منه والكسب قدروا فيه ثم اكد طلب العمل الصالح بقوله اني بما تعملون
بصير وقد ذكرنا مرارا ان من يعمل للملك شغلا ويعلم انه بمراي من الملك يحسن العمل ويتقنه ويجتهد فيه ثم لما ذكر المنيب
الواحد ذكر منيبا اخر وهو سليمان كما قال تعالى والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب وذكر ما استفاد هو بالانابة فقال تعالى
ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وفيه مسايل الاولى قرى ولسليمان الريح الريح بالنصب وجه الرفع ولسليمان
الريح مسخرة اوتسخير لسليمان الريح ووجه النصب ولسليمان سخرنا الريح والرفع وجه لغوي وقول تعالى معناه ولسليمان
كما تقول لزيد الدار وذلك لان الريح كانت له كالمملوك المختص به يامرها بما يريد حيث يريد المسالة الثانية الواو للعطف
فعلى قراءة الرفع تكون عطفا لجملة اسمية على جملة فعلية وهو لا يجوز الا بحسن ما فيكون هاهنا يقول لما تقدمت حال داود كانه
قال تعالى ما ذكرنا لداود ولسليمان الريح واما على النصب فعلى قولنا والنا له الحديد كانه قال والنا لداود الحديد
وسخرنا لسليمان الريح المسالة الثالثة المسخر لسليمان كانت ريحا مخصوصة لا هذه الرياح فانها المنافع عامة في اوقات
الحاجات ويدل عليه انه لم يقرئها على التوحيد فما قرا احد الرياح المسالة الرابعة قال بعض الناس المراد من تسخير الريح
وتسخير الجبال انها كانت تسبح كما يسبح كل شي حمله وكان عليه السلم يفقه تسبيحهم فيسبح ومن تسخير الريح انه راض الخيل
وهي كالريح وقوله غدوها شهر اي كان يسير في يوم على الفرس لغزو مسيرة شهر ورواحها شهر وقوله واسلنا
له عين القطر وهو النحاس ارسلنا له القطر انهم استخرجوا مذاب الحديد والنحاس بالنار واستعملوا الالات منهما و
الشياطين ارسلناهم وهذا كله فاسد حمله على هذا صعفا عقولهم عليهم اشتماله على قدرة الله والله قادر على كل ممكن
وهذه اشياء ممكنة المسله الخامسة قال الزمخشري في تفسيره قوله تعالى يا جبال اوبي مع داود الجبال وقوله تعالى ولسليمان الريح عاصفة
لو قال قايل الحكم في ان الله تعالى قال في الجبال يا جبال اوبي وفي هذه السورة صرح قال يا جبال فاسند الفعل اليها وقال في الريح فقال
وهاهنا لسليمان فنقول الجبال لما سبحت شرفت بذكر الله فلم يضفها الى داود بلام الملك بل جعلها معه كالمصاحب والريح لم يذكر
فيها تسبيحا فجعلها كالمملوكة له وهذا حسن وفيه امر اخر معقول يظهر لي وهو ان على قولنا اوبي معناه سيري فالجبال في السير
ليست حاملة بل تتحرك معه تبعا والريح تتحرك مع سليمان بل تحرك سليمان مع نفسها فلم يقل الريح مع سليمان بل لسليمان كما سخر الريح
واسلنا له عين القطر اي النحاس ويبين الشاطين سخرناه من الشياطين وهذا فيه ان جنسهم اكانوا يخلقون ومن الطاهر
واعلم ان الله تعالى ذكر من جملة ما اتى داود في سليمان عليهما السلم فالجبال المسخرة لداود من جنس تسخير الريح لسليمان وذلك

وذلك لان الثقيل مع ما هو اخف منه اذا تحركا تسبق الخفيف الثقيل وسبق الثقيل كانه لكسر الجبال كانت اثقل من الحديد و
الهواء اخف من الريح فقدر الله ان سار الثقيل مع الخفيف الجبال مع داود عليه السلام وقال يا جبال اوبي معه وسليمان في جنوده
مع الريح الثقيل مع الخفيف هنا والطير من حيث لم يخبر الجن لانهما لا يجتمعان مع الانسان الطير لنفوره من الانس والانس
لنفوره من الجن فان الانسان يتقي مواضع الجن والجن ابدا يطلب ابدا اصطياد الانسان فان الانسان يطلب اصطياد الطير
فقدر الله ان صار الطير تنفر من داود ولم تنفر منه ويطلبه وسليمان استعبد الجن له بحيث يستخدمه واما
النظر الى الشبه فهما متجانسان عنصر وهما لطيفان وبين الادمي وبين الجن ويجتنبه والاجتماع به يفضي
به الى المفسدة ولهذا قال تعالى اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون فلما طلب سليمان الاجتماع بهم
فقوله تعالى يعمل بين يديه باذن ربه اشارة الى ان ذلك الجنس لم يكن به مفسدة ولطيفة اخرى وهي ان الله تعالى قال
هنا باذن ربه بلفظ الرب ومن يزغ منهم عن امرنا ولم يقل عن امر ربه وذلك لان لفظ الرب لفظ ينبئ عن الرحمة فعند
ما كانت الاشارة الى حفظ سليمان عليه السلام قال باذن ربه وعند ما كان الاشارة الى تعذيبهم قال عن امرنا بلفظ التعظيم الموجب لزيادة الخوف
وقوله تعالى نذقه من عذاب السعير قيل بعض اهل العلم ان الملائكة موكلين بهم وبايديهم مقارع من نار فكان ذلك الذي اليه انها
السعير وقيل الحكم في الاخرة فاذاقهم بما في الكون من العذاب ثم قال تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل المحاريب
اشارة الى الابنية الرفيعة ولهذا قال تعالى اذ تسوروا المحراب وتماثيل ما يكون فيها من النقوش ثم لما ذكر الابنية التي هي المساكن
بين ما يكون في المسكن واعون الاكل فقال وجفان كالجواب جمع جابية وهي الحوض الكبير الذي يجبى الماء اي يجمعه
وقيل كان يجتمع على جفنة واحدة الف نفس وقدور راسيات ثابتات لا تنقل لكبرها وانما يغرف منها في تلك الجفان وفيه مسائل
الاولى قدم المحاريب على التماثيل لان النقوش تكون في الابنية وقدم الجفان في الذكر على القدور مع ان القدور الة الطبخ
والجفان الة الاكل والطبخ قبل الاكل فنقول لما بين الابنية الملكية اراد بيان عظمة السماط الذي يمد في تلك الدور
اشار الى الجفان لانها تكون فيها واما القدور فلا تكون فيها ولا تحضر هناك ولهذا قال راسيات اي غير منقولات ثم لما بين حال
الجفان العظيم كان يقع في النفس ان الطعام الذي يكون فيها في اي شيء يطبخ فاشار الى القدور المناسبة للجفان المسألة
الثانية ذكر في حق داود اشتغاله بآلة الحرب وفي حق سليمان بحالة السلم وهي المساكن والماكل وذلك لان سليمان كان ولد داود
وداود قتل جالوت والملوك الجبابرة واستولى على الملك وكان سليمان كولد ملك يكون ابوه قد استولى على ابنه الملك
وجمع له الملك فهو يترفه على حلوله ولا يشتغل بقتال احد في طلبه في طيبة فتركوا الحرب معه لان حارب احد كان
فان الحرب [illegible] الاوان اراد بالرعية [illegible] العظيم الا الطعام والانعام المسألة الثالثة قال عقيب ذلك قوله تعالى
اعملوا آل داود شكرا [illegible] تعليم الجن له [illegible] اشارة الى ما ذكرنا ان [illegible] اشتغاله
لا يسعى في [illegible] ان لا نعمة يستغرقه فيها وانما الواجب الذي يسعى [illegible] العمل الصالح الذي يكون شكرا [illegible]
اشارة الى [illegible] المسألة
الرابعة انتصاب شكرا يحتمل وجوها احدها ان يكون مفعولا له كقول القائل جئتك طمعا وعبدت الله رجاء غفرانه
ثانيها ان يكون مصدرا كقول القائل شكرت له شكرا او يكون المصدر من غير لفظ الفعل كقول القائل جلست قعودا
وذلك لان العمل شكر فقوله اعملوا يقوم مقام قوله اشكروا وثالثها ان يكون مفعولا به كقولنا اضرب زيدا كانه قال تعالى اعملوا صالحا
ان الشكر صالح المسألة الخامسة قوله وقليل من عبادي الشكور اشارة الى ان الله خفف الامر على عباده وذلك لانه لما قال
اعملوا آل داود شكرا فهم منه ان الشكر واجب لكن شكر نعمه كما ينبغي لا يمكن لان الشكر بالتوفيق وهو نعمة يحتاج الى شكر آخر وهو
بتوفيق آخر فدائما تكون نعمة الله بعد الشكر خالية عن الشكر فقال تعالى ان لم تقدروا على الشكر التام فليس عليكم
في ذلك حرج فان عبادي قليل منهم الشكور وفيه تقوية لقلبنا انه تعالى ادخل الكل في قوله عبادي مع الاضافة الى نفسه وعبادي
بلفظ الاضافة الى نفس المتكلم لم يرد في القرآن الا في حق الناجين لقوله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا وقوله
ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فان قيل على ما ذكرتم شكر الله تمام [illegible] قليل فما [illegible] في عباده من هو شاكر

ساني

لانعم نقول الشكر بقدر الطاقة البشرية هو الواقع دليلنا عليه والشكر الذي يناسب نعم الله تعالى لا يقدر عليه احد كما قاله
الله تعالى ان يهم رسولا او نقول الشاكر التام ليس الا من رضي الله عنه وذلك الذي قال له يا عبدي ما اتيت به من الشكر القليل
قبلته منك وكتبت لك انك شاكر لنعمتي باسرها وهذا القبول نعمة عظيمة لا يكلفك شكرها ثم قال تعالى
فلما قضينا عليه الموت لما بين عظمة سليمان وتسخير الريح والروح له بين انه لم ينج من الموت وانه قضى عليه الموت تنبيها للخلق
ان الموت لا بد منه ولو نجا احد منه لكان سليمان اولى بالنجاة منه وفيه مسائل الاولى كان سليمان يقف في عبادة
الله ليلة كاملة ويوما تاما وفي بعض الاوقات يزيد عليه وكان له عصا يتكئ عليها واتفق انه مات وهو في بعض الاوقات
كان دائما على عادته في عبادته اذ توفي وظن جنوده انه في العبادة وبقي كذلك اياما وتمادى شهرا ثم اراد الله
اظهار الامر لهم فقدر ان اكلت دابة الارض عصاه فوقع وعلم حاله وبين الله تعالى امرا فتبينت الجن ان لو كانوا
يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين كانت الجن تعلم ان العلم للانسان فظن ان ذلك الغير علم الغيب وليس كذلك
بل الانسان يعرف من العلم المحسوس اكثر الاشياء الحاضرة ويعلمها فالجن لم يعلم الا الاشياء الظاهرة ولكانت خفية
بالنسبة الى الانسان وتبين لهم الامر بانهم لا يعلمون اذ لو كانوا يعلمونه لما لبثوا في الاعمال الشاقة ظانين ان سليمان حي وقوله
ما لبثوا في العذاب المهين دليل على ان المؤمنين من الجن لم يكونوا في التسخير لان المؤمن لا يكون في زمان النبي في العذاب المهين
ثم قال تعالى لقد كان لسبا في مساكنهم آية جنتان عن يمين وشمال لما بين الله حال الشاكرين لنعمه بذكر داود وسليمان
بين حال الكافرين لانعمه بحكاية اهل سبا وفي سبا قراءتان بالفتح على انه اسم بقعة وبالجر مع التنوين على انه اسم قبيلة وهو الاظهر
لان الله جعل الاية لسبا والعاقل هو العاقل لا المكان فلا يحتاج الى اضمار الاهل وقوله آية اي من فضل ربهم ثم بينها بذكر
بدله بقوله جنتان عن يمين وشمال المسألة الثانية [illegible] هي في جنتين مع ان بعض بلاد الولي فيها الالوف من الجنان والمراد
بان المراد الكل لا جنتان اي عن يمين بلدهم وشمالهم [illegible] من الجنة ولا تنقطع بعضها عن بعض جعلها جنة واحدة
وقوله كلوا من رزق ربكم اشارة الى تكميل النعم عليهم حيث لم يمنعهم من اكل ثمارها خوف ولا مرض وقوله واشكروا له
بيان ان الكمال النعمة فان الشكر لا يطلب الا على النعم المعتبرة ثم لما بين حالهم في مساكنهم وبساتينهم واكلهم اتم بيان كمال
النعمة بان بين لها لا غائلة عليه ولا تبعة فقال بلدة طيبة اي طاهرة عن المؤذيات لا حية فيها ولا عقرب
ولا وباء ولا وخم ورب غفور لا عقاب عليه ولا عذاب في الاخرة [illegible] بان كمال النعمة حيث كانت
خالية عن المفاسد المالية ثم ان الله تعالى لما بين ما كان من جانبه ذكر ما كان من جانبهم فقال فاعرضوا يعني كانوا
ظلمهم الاعراض بعد ابانة الآية كما قال تعالى ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها [illegible] الانتقام منهم
كما قال تعالى انا من المجرمين منتقمون وكيفيته انه تعالى ارسل عليهم سيلا غرق اموالهم وخرب دورهم وفي العرم وجوه
احدها انه الجرذ الذي سبب خراب السكر وكذلك من حكاية بلقيس كانت عمدت الى الجبال بينها شعب فسدت
الشعب حتى كانت مياه الامطار والعيون تجتمع فيها وتصير كالبحر وجعل لها ابوابا بالرفعة بعضها فوق بعض
وكانت الابواب يفتح بعضها بعد بعض فنقب الجرذ السكر وخرب السكر بسببه وانقلب البحر عليهم وثانيها ان العرم
اسم السكر وهو جمع العرمة وهي الحجارة وثالثها انه اسم الوادي الذي خرج منه الماء [illegible] وبدلناهم بجنتيهم جنتين
ذواتي اكل خمط واثل وشيء من سدر قليل [illegible] وذلك لان البساتين التي فيها الناس تكون فيها الفواكه الطيبة بسبب العمارة
فاذا تركت سنين تصير كالغيضة والاجمة وتلتف الاشجار بعضها ببعض وتنبت المفسدات فيها فتقل الثمار وتكثر
الاشجار والخمط كل شجرة لها شوك او كل شجرة ثمرتها مرة او كل شجرة لا تؤكل والاثل نوع من الطرفاء ولا يكون عليه
ثمرة الا في بعض الاوقات يكون عليه شيء كالعفص او اصغر منه في طعمه وطبعه والسدر معروف وقال فيه قليل
لانه كان احسن اشجاره فقلله الله ثم قال تعالى ذلك جزيناهم بما كفروا اي ذلك التبديل جزاء لهم بسبب كفرهم وقوله
وهل نجازي الا الكفور [illegible] المجازاة [illegible] في النقمة والجزاء الى النعمة [illegible] قال تعالى ذلك جزيناهم
دل على ان الجزاء يستعمل في النقمة ولعل من قال ذلك اخذه من ان المجازاة مفاعلة وهي في الاكثر يستعمل

من كل وجه جزاء في حق الجحد وفي النعمة لكن مجازاة الله مقيدة بالنعم ثم قال تعالى وجعلنا
بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة الذي بينهم وبين الشام فانها هي البقعة المباركة وقرى ظاهرة
اي تظهر بعضها لبعضها يرى سواد القرية من القرية الاخرى فان قال قايل هذا من النعم والله تعالى قد شرع
في بيان تبديل نعمهم بقوله وبدلناهم بجنتيهم جنتين فكيف عاد مرة اخرى الى بيان النعمة بعد النقمة
فنقول ذكر حال نفس بلادهم وبين تبديله ذلك بالخمط والاثل ثم ذكر حال خارج بلادهم وذكر عمارتها
بكثرة القرى ثم ذكر تبديله ذلك بالمفاوز والبيادي والبراري والوادي بقوله ربنا باعد بين اسفارنا
وقد فعل ذلك ويدل عليه قراءة من قرأ ربنا بعد على المبتدأ والخبر وقوله وقدرنا فيها السير اي الاماكن المعمورة
تكون منازل لها معلومة مقدرة تتجاوز فما كان بين كل قرية مسيرة نصف نهار وكانوا يغدون الى قرية
ويروحون الى اخرى وما امكن في العرف تجاوزها فهو المراد بالتقدير والمفاوز لا تقدر السير فيها بل يسير السائر
فيها بقدر الطاقة جاذا من تقطعها وقوله سيروا فيها ليالي واياما اي كان سيرهم ليالي واياما معلومة
وقوله آمنين اشارة الى كثرة العمارة فان خوف قطاع الطريق والانقطاع من الرفقة يكثر في محل قلة الاماكن
ويحتمل ان يكون معنى قوله ليالي واياما انه يسير فيه ان شئتم ليالي وان شئتم اياما لعدم الخوف بخلاف المواضع المخوفة
فان بعضها يسلك ليلا ليلا يعلم العدو سيرهم وبعضها يسلك نهارا ليلا يقصدهم العدو اذا كان العدو غير
مجاهر بالعداوة وقوله تعالى ربنا باعد بين اسفارنا قيل بانهم طلبوا ذلك وهو يحتمل وجهين احدهما ان
يسأموا بطرا كما طلبت اليهود الثوم والبصل ويحتمل ان يكون ذلك لفساد اعتقادهم وشدة اعتمادهم على انه لك
ابعدهم كما يقول القايل لغيره اضربني اشارة الى انه لا يقدر عليه ويكون ... ربنا باعد ... كالطالبين فكفروا
فقد طلبوا ان يبعد سفرهم ونحن ... وقوله وظلموا انفسهم يكون تفسيرا لذلك فجعلناهم
احاديث اي جعلناهم ما حصلنا لهم به مثلا تقول تفرقوا ايدي سبا ومزقناهم كل ممزق بيان لجعلهم احاديث وقوله
تعالى ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور اي فيما ذكرناه من حال الشاكرين وحال الكافرين ثم قال تعالى
ولقد صدق عليهم ابليس ظنه اي ظن انه يغويهم كما قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين فاتبعوه فان ذلك
اي اتباعهم فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين وهم الذين قال الله تعالى في حقهم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
ويمكن ان يقال صدق ظنه في انه خير منه كما قال تعالى عنه انا خير منه وتحقيق ذلك في ان قولهم اتبعوه
ان المتبوع خير من التابع والا لم يتبعه العاقل والذي يدل على ان ابليس خير من الكافر هو ان ابليس
امتنع من عبادة غير الله لكنه ما كان امتناعه ترك عبادة الله وعناد الكفر والمشرك يعبد غير الله فهو
كفر بامر اقرب الى التوحيد وهم كفروا بامر هو الاشراك ويزيد هذا الذي ذكرناه استثناء ديانته
من انه لم يظن انه يغوي الكل بدليل انه تعالى قال عنه الا عبادك منهم المخلصين فما ظن انه يغوي المؤمن
فاظنه صدقه والحاجة الى الاستثناء دائما في قوله انا خير منه اعتقاد الخيرية بالنسبة الى جميع الناس بدليل
تعليله بقوله خلقتني من نار وخلقته من طين وهذا كذب في ظنه في حق المؤمنين ويمكن الجواب عن هذا
في الوجه الاول هو انه ولا يظن اغواء الكل وعلم ان البعض ناج لكن ظن في كل واحد انه ليس هو ذلك الناجي الى ان تبين
له تطلبه انه يغويه ... فخطأ ظنه في حق البعض وصدق في البعض ثم قال تعالى وما كان له عليهم من سلطان
اي تسليط الا للتعليم وذكرنا في بعض وجوه قوله تعالى فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ان علم الله من الازل الى الابد
محيط بكل معلوم وعلمه لا يتغير وهو كونه عالما انه سيكون ولكن يتغير تعلق علمه فان العلم صفة كاشفة يظهر فيها
كل ما في نفس الامر فعلم الله في الازل ان العالم سيوجد فاذا وجد علمه موجودا بذلك العلم واذا علم بعلمه معدوما
مثال ذلك مثال المرآة المصقولة فيها الصفا ويظهر فيها صورة زيد ان قابلها ثم اذا قابلها عمرو تظهر فيها صورته والمرآة
لم تتغير في ذاتها ولا تبدلت في صفاتها انما التغير في الخارجات فكذلك ههنا قوله الا لنعلم اي ليقع في العلم صدور الكفر

من الكافر

من الكافر والايمان من المؤمن وكان قبله فيه ان سيكفر زيد ويؤمن عمرو وقوله وما كان عليهم من سلطان اشارة
الى انه ليس بملجئ وانما هو آية وعلامة خلقها الله ليتميز ما هو في علم الله السابق وقوله وربك على كل شيء حفيظ
تحقيق لذلك لان الله تعالى قادر على منع ابليس منهم عالم بما سيقع فالحفظ يدخل في مفهوم العلم والقدرة اذ الجاهل
بالشيء لا يمكنه حفظه ولا العاجز ثم قال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لما بين الله تعالى حال
الشاكرين وحال الكافرين وذكرهم بمن مضى عاد الى خطابهم وقال لرسوله عليه السلام قل للمشركين ادعوا الذين
زعمتم من دون الله ليكشف عنكم الضر على سبيل التهكم ثم بين انهم لا يملكون شيئا بقوله لا يملكون مثقال ذرة في السموات
ولا في الارض واعلم ان المذاهب المفضية الى الشرك اربعة احدها قول من يقول الله تعالى خلق السماوات و
جعل الارض والارضيات في حكمهم ونحن من جملة الارضيات فنعبد الكواكب والملائكة التي في السماء فهم آلهتنا والله
الههم فقال الله في ابطال قولهم انهم لا يملكون في السموات شيئا كما اعترفتم ثم قال ولا في الارض على خلاف ما زعمتم
والثاني قول من يقول السموات من الله على سبيل الابداع والارضيات منه ولكن بواسطة الكواكب فان الله
خلق العناصر والتركيبات التي فيها بالاتصالات والحركات والطوالع فجعلوا الغير مع الله شركاء في الارض والاولون
جعلوا الارض لغيره والسماء له فقال في ابطال قولهم وما لهم فيهما من شرك اي الارض كالسماء لله لا لغيره ولا للغير
فيها نصيب والثالث قول من قال التركيبات والحوادث كلها من الله تعالى لكن فوض ذلك الى الكواكب وفعل
المأذون ينسب الى الآذن ويسلب عن المأذون فيه مثاله اذا قال ملك لمملوكه اضرب فلانا فضربه يقال
في العرف الملك ضربه ويصح عرفا قول القائل ما ضرب فلانا الا الملك امر بضربه فضربه فهؤلاء جعلوا السماويات
معينا فقال الله في ابطال قولهم وما له منهم من ظهير اي لم يفوض الى شيء شيئا بل هو على كل شيء حفيظ والرابعة
قول من قال انا نعبد الاصنام التي هي صور الملائكة ليشفعوا لنا فقال تعالى في ابطال قولهم ولا تنفع الشفاعة عنده
الا لمن اذن له فلا فائدة لعبادتكم غير الله فان الله لا يأذن في الشفاعة لمن يعبد غيره فبطلبكم الشفاعة تفوتون
على انفسكم الشفاعة وقوله تعالى حتى اذا فزع عن قلوبهم اي ازيل الفزع عنهم يقال فزع المريض اذا ازيل عنه
الفزع ... وقوله تعالى حتى اذا فزع عن قلوبهم وجوه احدها الفزع الذي عند الوحي فان الله
عندما يوحي يفزع من في السموات ثم يزيل الله عنهم الفزع فيقولون لجبريل عليه السلام ماذا قال الله فيقول قال الحق
اي الوحي وثانيها الفزع الذي من الساعة وذلك لان الله تعالى لما اوحى الى محمد عليه السلام فزع من في السموات
من القيامة لان ارسال محمد عليه السلام من اشراط الساعة فلما زال عنهم ذلك الفزع قالوا ماذا قال الله قال جبريل
الحق اي الوحي والثالث هو ان الله تعالى يزيل الفزع وقت الموت عن القلوب فيعترف كل احد بان ما قال الله تعالى
هو الحق فينفعه ذلك القول من سبق ذلك منه ثم يقبض روحه على الايمان المتفق عليه منه ومن الله تعالى ويضر ذلك
القول من سبق منه خلافه فيقبض روحه على الكفر المتفق عليه منه ومن الله تعالى اذا علمت هذا فنقول على الوجهين الاولين
قوله حتى غاية متعلقة بقوله تعالى قل لانه ينبئ بالوحي كما يقول القائل قل لعلك لا تدري حتى يسمع المخاطب ما يقول له
ثم يقول بعد هذا الكلام لا يجب قوله فلما قال قل يفزع من في السموات ثم ازيل عنهم الفزع وعلى الثالث متعلقة بقوله
تعالى زعمتم اي زعمتم الكفر الى غاية التفزيع ثم تركتم ما زعمتم وقلتم قال الحق وعلى الوجه الاول فاعل قوله تعالى
قالوا ماذا هو الملائكة السائلين من جبريل وعلى الثاني الملائكة السائلين الكفار والفاعل في قوله الحق على السؤال
الاول هم الملائكة وفي الثالث هم المشركون واعلم ان الحق هو الموجود ثم ان الله لما كان وجوده اثر ما يلي علم
كان حقا مطلقا لا ينفع الباطل الذي هو العدم والكلام الذي يكون صدقا يسمى حقا لان الكلام له تعلق في الخارج
بواسطة انه يتعلق بما في الذهن والذي في الذهن متعلق بما في الخارج فاذا قال القائل جاء زيد يفهم منه اللفظ
تعلقه بما في ذهن القائل وذهن القائل يعلقه بما في الخارج لكن الصدق متعلق في الخارج يكون مقررا له هو له ... والكذب
لا تعلق له ثابت في الخارج وحينئذ القول لا يكون له متعلق ... يكون كالمعدوم ... الالفاظ التي تكون صادرة

عن معاند كاذب واما الكتب له سلف في الذهن على خلاف ذا الخارج فيكون لصنا دا باطلا جهلا انظنا لكن لما لم يكن لمتعلقه
متعلق بزول ذلك فيزول ذلك الكلام ويبطل وكلام الله لا يبطل فله في ذاته الكمال كالكلام الكاذب المعاند ولا ابه الباطل
كالكمال كلام الظان وبرهنه تعالى هو العلي الكبير وذكرنا في تفسير قوله تعالى ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه الباطل
وان الله العلي الكبير ان العلو اشارة الى انه كامل لا ينقص شيء فيقبل بسببه العدم ويتبدل كالمتبدلات كل كامل وبه كامل
ممن له هو العلي الكبير اشارة الى انه فوق الكامل كان له صفاته وهذا يبطل القول بكونه حالا في جهة لان كل من
كان في حيز فان العقل يحكم بانه مشار اليه

[illegible]

[illegible]

انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم يعني المانع يجب ان يكون راجحا على المقتضي حتى يعمل عمله والذي جاءكم به هو
الهدى والذي صدر من المستكبرين لم يكن شيئا يوجب الامتناع من قبول ما جاء به فلم يصح تعليلكم بالمانع ثم بين ان كفرهم
كان اجراما من حيث ان المعذور لا يكون معذورا له لعدم المقتضي او لقيام المانع ولم يوجد شيء منهما ثم قال تعالى
وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تامروننا لما ذكر المستكبرون انا ما صددناكم
وما صدر منا ما يصلح مانعا وصارفا اعترف المستضعفون به وقالوا لو لم يكن مكر الليل والنهار منعنا ثم قالوا لهم
انكم وان كنتم ما اتيتم بالصارف القطعي والمانع القوي ولكن انضم لهم اتيانا بالكفر الى طول الامد وامتداد
المدد فصددتمونا وكانت تلك ثم جر السبب ويحتمل وجها اخر وهو ان يكون المراد بل مكر الليل والنهار بحذف المضاف اليه
ونفسه اذ تامروننا ان نكفر بالله ان يشكره ونجعل له اندادا وهذا يتبين لنا ان المشرك بالله مع انه في الصورة يثبت
لكنه في الحقيقة منكر لوجود الله لان من يساويه المخلوق المنحوت لا يكون الا جمادا وهو في ادل برهان لهم
الى يعقر القول يقول الذين استضعفوا بلفظ المستقبل وقوله في الحق المتاخرين وقال الذين استكبروا
وقال الذين استضعفوا بصيغة الماضي مع ان السؤال والرجوع في القول لم يقع اشارة الى ان ذلك الى ان ذلك
لا بد منه فان الحق الواجب الوقوع لو عد كانه وقع لما مر الى نزله تعالى الكتب وانهم ستتوف ثم قال تعالى
واسروا الندامة لما راوا العذاب والمعنى انهم تراجعوا القول في اول الامر اذ جاءهم العذاب اشتغل كل بتبرئ
ذلك التراجع الدال على التندم ويدل على معنى الاسر لا الاظهار او الجهر والقول له وجعل ... بانهم ان تراجعوا
في القول رجعوا الى الله بقولهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا ثم خيبوا واخبروا بان لا مرد لهم
فاسروا ذلك القول وقوله وجعلنا الاغلال في اعناقهم اشارة الى كيفية العذاب فعلموا بانهم واقعون فيه
فتركوا التندم ونفوا انه فيجعل الاغلال في اعناقهم وقوله هل يجزون الا ما كانوا يعملون اشارة الى ان ذلك حقهم
عدلا ثم قال تعالى وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها تسلية لقلب النبي عليه السلام وبيانا ان ايذاء الكفار
للانبياء ليس بدعا بل ذلك عادة جرت من قبل وانما نسب القول الى المترفين مع ان غيرهم ايضا قالوا انا
بما ارسلتم به كافرون لان الاغنياء المترفين هم الاصل في ذلك القول الا ترى ان الله قال عن الذين استضعفوا انهم قالوا
للمستكبرين لولا انتم لكنا مؤمنين ثم استدلوا على كونهم مصيبين في ذلك بكثرة الاموال والاولاد فقالوا نحن اكثر
اموالا واولادا اي نحن ... له بينا ... نحن ... في الغرم كانهم قالوا حالنا عاجلة خير من حالكم
واما اجلا فلا نعذب اما انكارا منهم للعذاب راسا او اعتقادا لحسن حالهم في الغرم ايضا قياسا ثم ان الله
بين خطاهم بقوله قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يعني ان الرزق في الدنيا لا يدل على سعته وضيقه على حال
المحق والمبطل فكم من موسر شقي ومعسر تقي ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان فقد الرزق وضنك العيش
وكثرة المال وخفض العيش ليس من غير اختصاص بالفاسق والصالح ثم بين فساد استدلالهم بقوله
وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى يعني قولكم نحن اكثر اموالا ليس احسن عند الله حالا ليس
استدلالا صحيحا فان ذلك لا يقرب الى الله ولا اعتبار بالقربة انما المعتبر العمل الصالح بعد الايمان والدليل
عليه ان الاموال والاولاد يشغل عن الله فيبعد عنه فكيف يقرب منه والعمل الصالح اقبال على الله و
اشتغال بالله ومن توجه الى الله وصل ومن طلب من الله شيئا حصل ... فاولئك لهم جزاء الضعف اي الحسنة
فان الضعف لا يكون الا في الحسنة وفي السيئة لا يكون لهم الا المثل ثم زاد وهم في الغرفات امنون اشارة الى دوام
النعيم وتابيده فان من ينقطع عنه النعيم لا يكون امنا ثم بين حال المسيء فقال والذين يسعون في اياتنا معاجزين
ويمكرونها ويغيرونها اولئك في العذاب محضرون اشارة الى الدوام ايضا كما قال تعالى كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها
ثم قال تعالى ... مرة اخرى بل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر له ... الى
ان ينعم لهم ... في نعمة الدنيا بل الصالح قد يحصل لهم في الدنيا النعم مع القطع بحصول النعم لهم في العقبى فتارة

على العهد

على العهد نظيها الثواب من قولـ اذا كانت العاجلة لنا والاجلة لهم فالنقد ولى فما هذا التقدمة يختص بكم
فان كثيرا من الاشقياء مدقعين وكثيرا من الاتقياء متنعمون وفيه مسائل المسالة الاولى ذكر هذا المعنى مرتين مرة لبيان
ان كثرة اموالهم واولادهم غير دالة على حسن احوالهم واعتقادهم ومرة لبيان انه غير مختص بهم كانه قال وجود الترف
لا يدل على الشرف ثم ان سلمنا انه كذلك لكن المومنين سيحصل لهم ذلك فان الله يملكهم دياركم واموالكم والذي يدل عليه
هو ان الله تعالى لم يذكر اولا لمن يشاء من عباده بل قال لمن يشاء وثانيا قال لمن يشاء من عباده والعباد المضافة يراد بها
المومنون وعد المومنين بحلاف انعام الكافر فان الكافر دار هو من قطوع وماله الى الزوال ومآله الى الوبال واما المومن
فما ينفقه يخلفه الله ومخلف الله خير فان قيل بدل الانسان يعرض التولي للتلف وما سيخرفان الكلام عند الله من الخلاف
ثم اكد ذلك بقوله والله خير الرازقين وخيريته الرازقين في امور احدها ان لا يوخر عن وقت الحاجة والثاني ان لا ينقص
من قدر الحاجة والثالث ان لا ينكده بالحساب الرابع ان لا يكدره بطلب الثواب والله تعالى كذلك اما الاول فلانه
عالم وقادر واما الثاني فلانه غني واسع واما الثالث فلانه كريم وقد ذكر ذلك بقوله يرزق من يشاء بغير حساب واما الرابع فلانه
عظيم وما يرزقه حلالا لا يحاسبه الله عليه والسرابع فلانه على كبر الثواب ... الادنى من الاعلى
لا تخرجوا عن الاعلى من ما ... تستحق ثوابا المسالة الثانية قوله تعالى وما انفقتم من شيء فهو يخلفه يحقق معنى
قوله عليه السلام ما من يوم يصبح العباد الا وملكان ينزلان يقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الاخر اللهم اعط
ممسكا تلفا وذلك لان الله تعالى مالك على الحقيقة وهو غني على الاطلاق فاذا قال انفقوا على بيانه يحكم الوعد يلزمه كما اذا قال
قائل الق متاعك في البحر وعلي ضمانه فمن القى فقد اتى بما هو شرط حصول البدل فيحصل البدل ومن لم ينفق فالزوال لازم
للمال ولم يات بما يستحق عليه من البدل فيزول من غير خلف وهو التلف ان من العجب ان التاجر اذا علم ان من اموال ما
هو في معرض الهلاك يبيعه نسيئة وان كان من الفقراء ويقول بان ذلك اولى من الاهمال الى الهلاك فان لم يبع حتى هلك
ينسب الى الخطا ثم ان حصل به كفيل مليء ولا يبيع ينسب الى قلة العقل فان حصل به رهن وكتب به وثيقة ولا يبيع ينسب
الى الجنون ثم ان كل احد يفعل هذا ولا يعلم ان ذلك يشبه الجنون فان اموالنا كلها في معرض الزوال المحقق وان انفاق
على الاهل والولد اقراض وقد حصل الضامن الملي وهو الله العلي وقال وما انفقتم من شيء فهو يخلفه ثم رهن عند كل
احد اما ارضا او بستانا او طاحونة او حماما او منفعة فان الانسان لا بد له من ان يكون له صنعة او جهة يحصل له منها مال
وكل ذلك ملك الله وفي يده فان لم يعط الله الضامن العارية وكانه مرهون بما تكفل الله من رزقه ليحصل له الوثوق التام ومع
هذا لا ينفق ويترك ماله لتلف لا ماجورا ولا مشكورا المسالة الثالثة قوله خير الرازقين ينبئ عن كثرة في الرازقين ولا رازق
الا الله فما الجواب عنه فنقول عنه جوابان احدهما ان يقال الله خير الرازقين الذين يظنونهم رازقين وكذلك في قوله
تعالى فتبارك الله احسن الخالقين وثانيهما هو ان الصفات منها ما حصل لله وللعبد حقيقة ومنها ما يقال لله بطريق
الحقيقة وللعبد بطريق المجاز ومنها ما يقال لله بطريق الحقيقة ولا يقال للعبد لا بطريق الحقيقة ولا بطريق المجاز لعدم حصوله
للعبد حقيقة كالموجود ... مثال الاول العلم فان الله يعلم انه واحد والعبد يعلم انه واحد بطريق الحقيقة وكذلك العلم
بكون النار حارة غاية ما في الباب ان علمه قديم وعلمنا حادث ومثال الثاني الرزق والخالق فان العبد
اذا اعطى غيره شيئا فانما الله هو المعطي ولكن لاجل صورة العطاء منه سمي معطيا كما يقال للصورة المنقوشة على الحائط
فرس ومثال الثالث الخالق والله يعلمهما وقد يقال في اشياء في الاطلاق على العبد حقيقة وعلى الله مجازا
كالاستواء والنزول والمعية ويد الله وجنب الله ثم قال تعالى ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة
اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون لما بين ان حال النبي عليه السلام كحال من تقدمه من الانبياء وحال قومه كحال من تقدم من
الكفار وبين بطلان استدلالهم بكثرة اموالهم واولادهم بين ما يكون عاقبة حالهم فقال ويوم يحشرهم جميعا
اي المكذبين بك ومن تقدمك ثم نقول لمن كان يزعمون انهم يعبدونهم وهم الملائكة فان غاية ما يرتقي اليه
منزلتهم انهم يقولون نحن نعبد الملائكة والكواكب فنسال الملائكة انهم كانوا يعبدونكم اهانة لهم فتقول

كل منهم سبحانك ننزهك عن أن يكون غيرك معبودا أنت معبودنا ومعبود كل خلق وقولهم أنت ولينا
من دونهم إشارة إلى معنى لطيف وهو أن من الناس من يكون محالفا لغيره لا يسكن المواضع المعمورة التي يكون فيها
سواد عظيم فإنه لا يبتني له هناك غير ضيعة العباع والبلاد المعمورة وبعضهم لا يرضى إلا بالبلاد المعمورة لعدم
اجتماعه فيها بالناس وذلك لوصوله فيها إلى الأكياس ثم إن المؤمن حيثما إذا عرض عليهم خلعة السلطان
واستخدامه إلا رادة للدنيا لا التفات إليهم أصلا فحالنا العامل خدم السلطان على استخدامه من أقربيه ولو أن
رجلا سكن جبله ووضع سنيه سكان المغادرات واجتمع عليه الذئاب والديدان فهو يقول لست على إتباعي
وأشياعي ولا أدخل المدينة مخافة أن أحتاج إلى خلعة السلطان المعظم والتردد إليه بسبب الحيوان كذلك
متلطف بأن يترك خلعة الله وعبادته ويرضى باستتباع الهمج الذين هم أضل من البهائم وأقل من الحيوان فيكون
محسنا فقالوا أنت ولينا من دونهم يعني كونك ولينا المعبود لنا أولى وأحب إلينا من كونهم أولياءنا
بالعبادة لنا وقالوا بل كانوا يعبدون الجن أي كانوا منقادين للأمر الجن لهم في الحقيقة كانوا يعبدون الجن
ونحن كنا كالقبلة لهم لأن العبادة هي الطاعة وطاعته تعالى وأكثرهم بهم مؤمنون لو قال قائل جميعهم كانوا تابعين
للشيطان فما وجه قوله أكثرهم بهم فإنه يقتضي أن بعضهم لم يؤمن بهم ولم يطعهم نقول الجواب عنه من وجهين
أحدهما أن الملائكة احترزوا عن دعوى الإحاطة بهم فقالوا أكثرهم لأن الذين رأوهم واطلعوا على أحوالهم كانوا
يعبدون الجن ويؤمنون بهم ولعل في الوجود من لم يطلع الله الملائكة عليه من الكفار الثاني هو أن العبادة
عمل ظاهر والإيمان عمل باطن فقالوا بل كانوا يعبدون الجن لاطلاعهم على أعمالهم وقالوا أكثرهم بهم مؤمنون
عند عمل القلب لئلا يكونوا مدعين اطلاعهم على ما في القلوب فإن القلب لله عليه الاطلاع كما قال إنه
عليم بذات الصدور ثم بين أن ما كانوا يعبدونه لا ينفعهم فقال فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا وفيه
مسائل الأولى الخطاب مع من بقوله بعضكم لبعض يحتمل أن يكون مع الملائكة لسبق قوله تعالى أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون
وعلى هذا يكون ذلك تنكيلا للكافرين حيث بين لهم أن معبودهم لا ينفع ولا يضر ويصح هذا قوله تعالى لا يملكون
الشفاعة إلا لمن ارتضى ثم قال ونقول للذين ظلموا ذوقوا أي نقول لهم ولو كان المخاطبين الكفار
لكان يقول فذوقوا وعلى هذا لكون الكفار داخلين في الخطاب حتى يصح معنى قوله بعضكم لبعض أي الملائكة للكفار
والحاضر الواحد يكون لرجل من شاركه في أمر بسببه مخاطبا كما يقول القائل لولد حاضر له شركا
في كلام أنتم يا ليتم على معنى أنت وذلك تقسيم قالوا ويحتمل أن يكون معهم الجن أي لا يملك بعضكم لبعض أيها الملائكة
والجن وأنتم لا يملكونها لأنفسكم فلا يملكونها لغيركم ويحتمل أن يكون المخاطب هم الكفار لأن ذكر اليوم
يدل على حضورهم وعلى هذا فقوله ونقول للذين ظلموا لما ذكرنا تأكيدا لبيان حالهم في الظلم وسبب
حالهم من الإثم ولو قال ونقول لهم ذوقوا عذاب النار لكان يحتمل أن يكون ذكر ذلك من الغائب فإنهم كما كانوا يسمعون
ما كانوا عليه من الظلم والعناد والإثم والفساد فيحشرون ويبعثون الثانية قوله نفعا مؤخر للمخرج
دافعا الفرق فيما الغاية منه مع أنهم كانوا يملكون الضر فنقول لما كانت العبادة تقع لدفع
ضرر المعبود كما يعبد الجبار ويخدم مخافة شره بين أنهم ليس فيهم ذلك الوجه الذي تحسن لأجله عبادتهم
المسألة الثالثة قال ههنا عذاب النار التي كنتم بها وفي السجدة قال عذاب النار الذي كنتم به
جعل المكذب هناك العذاب وجعل المكذب ههنا النار وهم كانوا يكذبون بالكل والقائل ههنا أن
هناك لم يكن أول ما رأوا النار بل كانوا فيها من زمان بدليل قوله تعالى كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها
وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون أي العذاب المؤبد الذي أنكرتموه بقولكم لن تمسنا
النار إلا أياما معدودة أي قلتم أن العذاب إن وقع فلا يدوم فذوقوا الدائم وههنا أول ما رأوا النار
لأنه مذكور عقيب الحشر والسؤال فقيل لهم هذه النار التي كنتم بها تكذبون ثم قال تعالى وإذا تتلى

عليهم

عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم أظهر كفرهم واشتداد عنادهم حيث بين
أن أعلى من يعبدونه وهم الملائكة لا تأهل للعبادة ولا لذاتهم كما قالوا سبحانك أنت ولينا أي لا أهلية لنا إلا العبادة لك
من دونهم أي لا أهلية لنا إلا ركبت يعبدوننا لهم ولا النفع أدنى كما قال تعالى فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا
ثم مع هذا كله إذا قال لهم النبي عليه السلام كلاما من التوحيد وتلا عليهم آيات الله الدالة عليه فإن الله في كل شيء
آية دالة على وحدانيته أنكروها وقالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم يعني يعارضون
البرهان بالتقليد وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى يحتمل وجوها أحدها أن يكون المراد أن القول بالوحدانية إفك
مفترى ويدل عليه أن الموحد كان يقول في حق المشرك إنه يأفك كما قال تعالى في حقهم أئفكا آلهة دون الله تريدون وكما
قالوا هم للرسول أجئتنا لتأفكنا عما وجدنا عليه آباءنا وثانيها أن يكون المراد أن ما هذا إلا إفك القرآن إذ ذكر على الذي
قوله وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين إشارة إلى القرآن وعلى الثاني يكون إشارة إلى ما أتوا به
من المعجزات وعلى الوجهين في قوله تعالى وقال الذين كفروا لطيفة وهي أن يقول وقالوا للحق هو أن إنكار التوحيد
كان مختصا بالمشركين وأما إنكار القرآن والمعجزة كان متفقا عليه بين المشركين وأهل الكتاب فقال تعالى
وقال الذين كفروا للحق على وجه العموم ثم قال تعالى وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك
من نذير تأكيدا لبيان تقليدهم يعني يقولون عندما يتلى عليهم الآيات البينات هذا رجل كاذب وقولهم إفك مفترى
من غير برهان ولا كتاب أنزل عليهم ولا رسول أرسل إليهم فلم يأتوا بالشبهات لا عارض الآيات بالبراهين العقلية ولم
يأتوا أو بالنقليات وما عندهم كتاب ولا رسول غيرك والنقل المعتبر إما كتاب الله أو من خبر رسول ثم
بين أنهم كالذين من قبلهم كذبوا مثل عاد وثمود وقوله تعالى وما بلغوا معشار ما آتيناهم قال المفسرون
معناه وما بلغ هؤلاء المشركين معشار ما آتينا المتقدمين من القوة والنعمة وطول العمر ثم إن الله أخذهم وما
نفعتهم قوتهم فكيف حال هؤلاء الضعفاء وعندي يحتمل ذلك وجها آخر وهو أن يقال المراد وكذب الذين من قبلهم
وما بلغوا معشار ما آتيناهم أي الذين من قبلهم ما بلغوا معشار ما آتينا قوم محمد من البيان والبرهان وذلك لأن كتاب
محمد عليه السلام أكمل من سائر الكتب وأوضح ومحمد أفضل من جميع الرسل وأفصح وبرهانه أوفى وبيانه أشفى ثم إن المتقدمين لما عليه السلام
كذبوا بما جاءهم من الكتب ومن أتاهم من الرسل أنكر عليهم وكيف لا ينكر عليهم وقد كذبوا بأفصح الرسل وأوضح السبل
ويؤيد ما ذكرنا من المعنى قوله تعالى وما آتيناهم من كتب يدرسونها يعني غير القرآن ما آتيناهم كتابا وما أرسلنا إليهم
قبلك من نذير فلما كان المؤتى في الآية الأولى هو الكتاب فيحمل الإيتاء في الآية الثانية على إيتاء الكتاب أولى ثم
قال تعالى قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله ذكر الأصول الثلاثة في هذه الآية بعدما سبق منه تقريرها
بالدليل فقوله أن تقوموا لله إشارة إلى التوحيد وقوله ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم إشارة إلى الرسالة وقوله بين
يدي عذاب شديد إشارة إلى اليوم الآخر وفي الآية مسائل الأولى قوله إنما أعظكم بواحدة يقتضي أن لا يكون الإيمان إلا بالتوحيد
ولا ما أنه لا يتم إلا بالاعتراف بالرسالة والحشر فكيف يصح الحصر المذكور بقوله إنما أعظكم بواحدة فنقول التوحيد هو المقصود
ومن وحد الله حق التوحيد يشرح الله صدره ويرفع في الكرم قدره فالنبي عليه السلام أمرهم بما يفتح عليهم أبواب
العبادات ويهيئ لهم أسباب السعادات وجواب آخر وهو أن النبي عليه السلام ما قال إني لا آمركم في جميع عمري إلا بشيء
واحد وإنما قال أعظكم أولا بالتوحيد ولا آمركم في أول الأمر بغيره لأنه سابق على الكل ويدل عليه قوله تعالى ثم تتفكروا
فإن التفكر إنما يصار إليه ما يمد به وموعوظا المسألة الثانية قوله بواحدة قال المفسرون إنها على أنها صفة خصلة
أي أعظكم بخصلة واحدة ويحتمل أن يقال المراد حسنة واحدة لأن التوحيد حسنة وإحسان وقد قيل في قوله تعالى
إن الله يأمر بالعدل والإحسان أن العدل نفي الإلهية عن غير الله والإحسان إثبات الإلهية له وقيل في تفسير
قوله تعالى هل جزاء الإحسان إلا الإحسان أن هل جزاء الإيمان إلا الجنان وكذلك يدل عليه قوله تعالى
ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله المسألة الثالثة قوله مثنى وفرادى إشارة إلى جميع الأحوال فإن الإنسان إما أن يكون مع غيره

او يكون وحده فاذا كان مع غيره دخل في قوله مثنى واذا كان وحده دخل في قوله فرادى وكانه قال تقوموا لله مجتمعين
ومنفردين لا تمنعكم الجمعية من ذكر الله ولا يحوجكم الانفراد الى معين يعينكم على ذكر الله المسئلة الرابعة
قوله ثم تتفكروا والمعنى اعترفوا بما هو الاصل وهو التوحيد ولا احتياج فيه الى تفكر ونظر بعيد فانه ظاهر ثم تتفكروا
فيما اقول به من رسالتي والحشر فانه يحتاج الى تفكر وكلمة ثم تفيد ما ذكرنا فانه قال قوموا لله ثم
تتفكروا ما بينا من فكر نعمة وهو علم النبي عليه السلم قال تعالى ما بصاحبكم من جنة المسئلة الخامسة قوله
ما بصاحبكم من جنة يفيد كونه رسولا وان كان لا يلزم في كل من لا يكون به جنة ان يكون رسولا ولكن لان
النبي عليه السلم كان يظهر منه اشيا لا يكون مقدور البشر وغير البشر ممن يظهر منه العجايب اما الجن او الملك
فاذا لم يكن الصادر من النبي عليه السلم بواسطة الجن يكون بواسطة الملك او بقدرة الله من غير واسطة وعلى التقديرين
فهو رسول وهذا من احسن الطرق وهو ان يثبت الصفة التي هي اشرف الصفات في البشر بنفي اخس الصفات
فانه لو قال اولا هو رسول كانوا يقولون فيه النزاع فاذا قال ما هو مجنون لم يسعهم انكار ذلك لعلمهم بعلو
شانه وحاله في قوة لسانه وبيانه فاذا ساعدوا على ذلك لزمتهم المسئلة ولهذا قال بعده ان هو الا نذير يعني اما
هو جنة او هو رسول لكن تبين انه ليس به جنة فهو نذير المسئلة السادسة قوله بين يدي عذاب شديد
اشارة الى قرب العذاب كانه قال ينذر بعذاب حاضر يمسكم عن قريب بمعنى بين يدي العذاب اي سوف ياتي
العذاب بعده ثم قال تعالى قل ما سالتكم من اجر فهو لكم لما ذكر انه ما به جنة ليلزم منه كونه نبيا ذكر وجها
لو لزم منه انه نبي اذا لم يكن مجنونا لان من يرتكب العنا الشديد لا لغرض عاجل اذا لم يكن فيه نفع اخروي
يكون مجنونا فالنبي عليه السلم بدعواه النبوة يجعل نفسه عرضة للهلاك عاجلا فان كل احد يقصده ويعاديه و
لا يطلب اجرا في الدنيا فهو يفعله لا لغرض دنيوي والكاذب لغرض معدوم فلو كان كاذبا لكان مجنونا
لكنه ليس بمجنون فليس بكاذب فهو نبي صادق ثم قوله وهو على كل شي شهيد تقرير للرسالة وذلك لان الرسالة
لا تثبت الا بالدعوى والبينة يدعي الشخص النبوة ويظهر الله المعجزة فهي بينة شاهدة والمصدق بالفعل
يقوم مقام المصدق بالقول في ايام ذوي العلم بمثل ان من قال لقوم اني مرسل من هذا الملك اليكم الزمكم قبول
قولي والملك حاضر ناظر ثم قال ايها الملك ان كنت انا رسولك اليهم فقل لهم انا رسولي فاذا قال انه
رسولي اليكم انتفى عنه الشك وكذلك اذا قال يا ايها الملك ان كنت انا رسولك اليهم فالبسني قباءك فلو البسه
قباءه في عقيب كلامه جزم الناس بانه رسوله كذلك حال الرسل يا ايها الناس انا نحن رسل الله ثم قالوا
يا الهنا ان كنا رسلك فانطق هذه الحجارة او احي هذا الميت فيفعله فيحصل الجزم بانه صدقهم ثم قال
تعالى قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب وفيه وجهان احدهما ان يقذف بالحق في قلوب المحقين وعلى هذا الوجه
تعلق الاية بما قبلها ظاهر وذلك من حيث ان الله تعالى لما بين رسالة النبي عليه السلم بقوله ان هو الا نذير لكم واكده بقوله
قل ما سالتكم عليه من اجر فهو لكم وكان من عادة المشركين استبعاد تخصيص واحد من بينهم بانزال الذكر عليه
كما قال تعالى عنهم اانزل عليه الذكر من بيننا ذكر ما يصلح جوابا لهم فقال بل ان ربي يقذف بالحق في القلوب
اي يقذفه الى من يشا فيختار من يريد ويعطي ما يشا ثم قال علام الغيوب اشارة الى جواب سؤال
فاسد يذكر عليه وهو ان من يفعل شيا كما يريد من غير اختصاص محل الفعل بشي لا يوجد في غيره لا يكون عالما
وانما يفعل ذلك اتفاقا كما اذا اصاب السهم موضعا دون غيره مع تسوية المواضع في المحاذاة فقال يقذف بالحق
كيف يشا وهو عالم بما يفعله وعالم بعواقب ما يفعله فهو يفعل ما يريد لا كما يفعله الهاجم الغافل عن العواقب
اذ هو علام الغيوب الوجه الثاني هو ان المراد منه هو انه يقذف بالحق على الباطل كما قال في سورة الانبيا
بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه وعلى هذا تعلق الاية بما قبلها ايضا ظاهر وذلك من حيث ان براهين التوحيد
لما ظهرت وشبههم دحضت قال ان ربي يقذف بالحق على باطلكم وقوله علام الغيوب على هذا الوجه له معنى

لطيف

لطيف وهو ان البرهان الباهر المعقول الظاهر لم يقم الا على التوحيد والرسالة واما الحشر فعلى وقوعه البرهان
عن اخبار الله تعالى عنه وعن تفاصيله واهواله ولولا بيان الله بالقول لما بان لاحد كما بان التوحيد والرسالة
فلما قال يقذف بالحق اي على الباطل اشارة الى ظهور البراهين على التوحيد والنبوة قال علام الغيوب اي ما يخبره عن الغيب
من قيام الساعة واهوالها فهو لا خلف فيه فانه علام الغيوب والغيب لا يحتمل بغير النص ثم قال تعالى قل جاء الحق
بالحق اي تقديره يقذفه بالحق على الباطل والباء على الوجه الاول متعلق بالمفعول به اي الحق يقذفه على الوجهين
وهو على هذا الثاني كالباء في قولهم ... ويحتمل ان يكون بالحق من حججهم من الناس بالحق والمعنى على هذا الوجه ان
الله تعالى يقذف في قلوب الرسل بالحق فهو علام الغيوب يعلم ما في قلوبهم ولكن يتكلم ثم قال تعالى
قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد لما ذكر الله تعالى انه يقذف بالحق وكان ذلك بصيغة الاستقبال ذكر ان ذلك الحق
قد جاء وفيه وجوه احدها انه القرآن الثاني انه بيان التوحيد والحشر وكل ما ظهر على لسان النبي عليه السلم الثالث
المعجزات الدالة على نبوة محمد عليه السلم ويحتمل ان يكون المراد منه الحق ظهر الحق لان كل ما جا من عنده فهو حق والباطل خلاف
الحق وقد بينا ان الحق هو الموجود ولما كان ما جاء به النبي عليه السلم لم يمكن انتفاؤه كالتوحيد والرسالة والحشر كان حقا
لا ينتفي ولما كان ما ياتون به من الاشراك والتكذيب لا يمكن وجوده كان باطلا لا يثبت وهذا المعنى يفهم من قوله
وما يبدئ الباطل اي الباطل لا يفيد شيا في الابتدا في الخلق ولا امكان لوجوده اصلا والحق ما فيه شي عدم له اصلا
وقيل المراد منه الشيطان لا يبدئ ولا يعيد وفيه معنى لطيف وهو ان قوله تعالى قل ان ربي يقذف بالحق لما كان فيه
معنى قوله تعالى يقذف بالحق على الباطل بين ان كان يتوهم ان الباطل كان فورد عليه الحق فابطله ودفعه بين ان
هذا ليس بالباطل يحتمل ان لا وجود له اما المراد من قوله ... لم يزل كذلك وانه الحق بالارسال بقوله تعالى
في موضع اخر وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا اي الباطل امر متجدد ازهوق الباطل وما يبدئ الباطل
في الابتدا شيا فلا اكون الحق ولا يعيد في الاخرة ثم قال تعالى قل ان ضللت فانما اضل على نفسي
وان اهتديت فبما يوحي الي ربي هذا فيه تقرير الرسالة ايضا وذلك لان الله تعالى لما قال على سبيل العموم من اهتدى فلنفسه
وقال في حق النبي عليه السلم وان اهتديت فبما يوحي الي ربي يعني ضلالكم على انفسكم واما اهتدائي فليس بالنظر والاستدلال
كاهتدائكم وانما هو بالوحي المبين وقوله انه سميع قريب اي يسمع اذا ناديته واستعنت به عليكم فيرد ما يتكلم عني
فاخبرتكم انه يسمع عن بعيد ولهم القول الداعي ثم قال تعالى ولو ترى اذ فزعوا لما قال انه سميع قريب ذكر انه قريب فان
لم يعذب عاجلا ولا تعرض صاحب الحق ... يوم الفزع ات لا فوت وانما يستعجل من يخاف الفوت وقوله تعالى واخذوا به
عند ذلك ترى عجبا واخذوا من مكان قريب لا يهربون وانما الاخذ قبل تمكنهم من الهرب ثم قال تعالى وقالوا امنا
به بعد ظهور الامر حيث لا ينفع ايمان قالوا امنا وانى لهم التناوش اي كيف يقدرون على الظفر بالمطلوب وذلك لا يكون
الا في الدنيا وهم في الاخرة والدنيا من الاخرة بعيدة فان قيل كيف قال في كثير من المواضع ان الاخرة من الدنيا قريبة ولهذا
سماها الله الساعة وقال لعل الساعة قريب نقول الماضي كالامس الدابر بعيد لمن يريد الوصول اليه والمستقبل وان كان
بينه وبين الحاضر سنين فانه ات في يوم العالم الدنيا بعيد لمن فيها وفي الدنيا يوم العالم قريب لاتيانه والتناوش
هو التناول عن قرب وقيل عن بعد لما جعل الله الفعل في صورة الجسم جعل ظرف الفعل وهو الزمان كظرف الجسم
وهو المكان فقال من مكان بعيد والمراد ما مضى من الدنيا ثم قال تعالى وقد كفروا به من قبل
اي بالله او بالعذاب ... كفروا به اي بالشي ... محمد عليه السلم ... الذي اتى به محمد عليه السلم
ويقذفون بالغيب من مكان بعيد ... يرمون بالغيب لان الغيب ... على لسان الرسول
... في القلوب ... ولهذا ... من مكان بعيد ...
يكن المراد منه ان ما اخذتهم ... كثيرة ... اذا كان ...
فكذلك ... الكثير ... اليه

وتاس الله على المخلوق بعيد الماخذ يحتمل ان يقال انهم كانوا يقولون بان الساعة ان كانت فلنا منه فالثواب والنعم لنا
كتول قائلهم ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى فكانوا يقولون ذلك ان قول الرسول ولما كان ذلك منهم حتى
شكوا في احساسهم فانه لا يحتمل من يعلم الا بالاحساس او بقول الصادق فهم كانوا يقولون عن الغيب فكان بعيد
ثم قال انهم كانوا في شك مريب وقد ذكرنا ان الشك فيه تكيف قال من مكان بعيد يقول الحق من وجه اصله ان ذلك يذهب اذا آمنا
محمد عليه السلم وبين انه لم ينفع امكنه التعويق به فسكت بعيدا عنهم الثاني ان الحكاية يوم القيامة فكانه قال كانوا يقولون
من مكان بعيد وهو الدنيا ويحتمل ان يقال اخر وهو انهم كانوا في الغم يقولون ربنا ارجعنا نعمل صالحا كما هو معروف بالعيب
من مكان بعيد وهو الدنيا وحيل بينهم وبين ما يشتهون من العود الى الدنيا او يبعد لدى الدنيا فان قيل
من مكان بعيد وهو الاخرة قال تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل باشياعهم من قبل وما حيل بينهم وبين العود فلما علم انه اجيل
كيف يصح قوله كما يشتهون من العود الى الله تعالى كما فعل باشياعهم من قبل وما حيل بينهم وبين الله لم يقبل ونعم من يحتمل
منهم بكل من جاءه الملك خالطه الناجى ولم يعط دار ادا ان يومنوا عند ظهور الباس فلم يقبل منهم
وحيل بينهم وبين ما يشتهون والسالف موقع في الريب وسماكه في موضع اخر ان الله تعالى والله اعلم بالصواب

سورة فاطر

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله فاطر السموات
قد ذكرنا ان الحمد يكون على النعمة في اكثر الامر ونعم الله قسمان عاجلة وآجلة والعاجلة وجود
وبقا والآجلة كذلك ايجاد مرة اخرى وابقا وقوله تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات
والنور اشارة الى النعمة العاجلة التي هي الايجاد واستدللنا عليه بقوله تعالى الذي خلقكم من طين ثم قضى اجلا وقوله
في الكهف الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب اشارة الى النعمة العاجلة التي هي الابقا فان البقا والصلاح بالشرع والكتاب
ولولاه لوقعت المنازعة والمخاصمة بين الناس ولا يفصل بينهم فكان يفضي ذلك الى التقاتل والتفاني فانزال الكتاب نعمة
يتعلق بها البقا العاجل وفي قوله في سورة سبا الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الاخرة اشار الى نعمة
الايجاد الثاني بالحشر واستدل عليه بقوله يعلم ما يلج في الارض من الاجسام وما يخرج منها وما ينزل من السما من الارواح وما
يعرج فيها وقوله عن الكافرين وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة قل بلى وربي وهنا الحمد اشارة الى نعمة البقا في الاخرة
ويدل عليه قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا اي يجعلهم رسلا يتلقون عباد الله كما قال تعالى وتتلقاهم الملائكة وعلى
هذا فقوله تعالى فاطر السموات يحتمل وجهين الاول معناه مبدعها كما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما والثاني فاطر السموات
والارض لنزول الارواح من السما وخروج الاجساد من الارض ويدل عليه قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا فان
في ذلك اليوم تكون الملائكة رسلا وعلى هذا فاول هذه السورة متصل باخر ما مضى لان قوله كما فعل باشياعهم بيان
لانقطاع رجا من كان في شك مريب وتيقنه بان لا قبول لتوبته ولا فايدة لقوله امنت كما قال تعالى عنهم وقالوا امنا به
واتى لهم التناوش فلما ذكر حالهم بين حال الموقن وبشره بارسال الملائكة اليهم مبشرين وبين لهم انه يفتح لهم ابواب
الرحمة وقوله اولي اجنحة مثنى اقل ما يكون لذي الجناح ان يكون له جناحان وما بعدها زيادة وقال بعضهم فيه ان الجناح
اشارة الى الجهة وبيانه هو ان الله تعالى ليس فوقه شي وكل شي فهو تحت قدرته ونعمته والملائكة لهم وجه الى الله
ياخذون منه نعمه ويعطون من دونهم مما اخذوه باذن الله كما قال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك وقال علمه
شديد القوى وقال تعالى في حقهم فالمدبرات امرا فهما جناحان ومنهم من يفعل ما يفعل من الخير بواسطة ومنهم من يفعله
لا بواسطة فالفاعل بواسطة فيه ثلاث جهات ومنهم من له اربع جهات واكثر والظاهر ما ذكرناه اولا وهو الذي عليه
الجناح المفسرون وقوله يزيد في الخلق ما يشاء من المفسرين من خصصه وقال هو الوجه الحسن ومنهم من قال
الصوت الحسن ومنهم من قال كل وصف محمود والاولى ان يعمم ويقال الله تعالى قادر كامل يفعل ما يشاء فيفعل ما يشاء
وقوله ان الله على كل شي قدير يقرر قوله يزيد في الخلق ما يشاء ثم قال تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها
وما يمسك فلا مرسل له من بعده لما بين كمال القدرة ذكر بيان نفوذ المشية ونفاذ الامر فقال ما يفتح الله يعني ان رحم فلا مانع

له وان

له وان لم يرحم فلا باعث له عليها وفي الايه دليل على سبق رحمته غضبه من وجوه احدها التقديم حيث قدم
بيان فتح ابواب الرحمة في الذكر وهو انكان ضعيفا لكنه وجه من وجوه التفضيل وثانيها هو انه انث الكناية في
الاول فقال ما يفتح الله من رحمة فلا ممسك لها فجاز من حيث اللفظ ان يقال عاد الى ما ولكن قال تعالى ليعلم ان
المفتوح ابواب الرحمة ولا ممسك لرحمته فهي واصلة الى من رحمه وقال عند الامساك وما يمسك فلا مرسل له
بالتذكير ولم يقل لها فما فتح بالله فهو مرسل للرحمة بل ذكره باللفظ الشامل ليحتمل ان الذي يرسل هو غير الرحمة فان قوله تعالى
وما يمسك عام من غير بيان وتخصيص بخلاف قوله تعالى ما يفتح الله من رحمة فانه مخصص ببيان وثالثها قوله من بعده
اي من بعد الله فاستثنى ههنا وقال لا مرسل له الا الله فنزل له مرسلا وعند الامساك قال لا ممسك لها ولم يقل غير
الله لان الرحمة اذا جاءت لا ترتفع فان من رحمه الله في الاخرة لا يعذب بعدها هو ولا غيره ومن يعذبه الله
قد يرحمه الله بعد العذاب كالفساق من اهل الايمان ثم قال تعالى وهو العزيز اي كامل القدرة الحكيم كامل العلم
ثم قال تعالى يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم لما بين ان الحمد لله وبين بعض وجوه النعمة التي تستوجب الحمد على
سبيل التفصيل بين نعمه على سبيل الاجمال فقال اذكروا نعمة الله ومع كثرتها منحصرة في قسمين نعمة الايجاد ونعمة الابقاء
فقال هل من خالق غير الله اشارة الى نعمة الايجاد في الابتداء ثم قال يرزقكم اشارة الى نعمة الابقاء بالرزق الى الانتهاء ثم بين
انه لا اله الا هو نظرا الى عظمته حيث هو حي حكيم قادر على كل شي وان الهه والله في كل شي وان مثل هذا فلا معبود
لذاته غيره هذا ونظرا الى نعمته حيث هو خالق غيره ولا رازق الا هو ثم قال فانى تؤفكون اي كيف تصرفون عن هذا
الظاهر فكيف تشركون المنحوت بمن له الملكوت ثم لما بين الاصل الاول وهو التوحيد ذكر الاصل الثاني وهو الرسالة
فقال وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ثم بين على سبيل الاجمال ان المكذب في العذاب والمكذب له الثواب بقوله
والى الله ترجع الامور ثم بين الاصل الثالث وهو الحشر فقال يا ايها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم
بالله الغرور الشيطان وقد ذكرنا فيه من المعاني اللطيفة في تفسير سورة لقمان ونعيده ههنا فنقول المكلف
قد يكون ضعيف الذهن قليل العقل سخيف الراي فيغتر بادنى شي وقد يكون فوق ذلك فلا يغتر به لكن اذا تجاه عاقل
وزين له ذلك الشي وهون عليه مفاسده وبين له منافعه يغتر لما فيه من اللذة مع ما سمع اليه فتتحد لك الغايات
فقد تكون فوق ذلك فلا يغتر ولا يغتر فقال الله تعالى لا تغرنكم الحيوة الدنيا اشارة الى الدرجة
الاولى وقال ولا يغرنكم بالله الغرور اشارة الى الثانية ليكمن ان الدرجة الثالثة هي العليا فلا يغتر ولا يغتر
ثم قال تعالى ان الشيطان لكم عدو لما قال تعالى ولا يغرنكم بالله الغرور ذكر ما يمنع العاقل من الاغترار
وقال ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فلا تسمعوا قوله وقوله فاتخذوه عدوا اي اعملوا ما يسوءه وهو
العمل الصالح ثم قال تعالى انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير اشارة الى معنى لطيف وهو ان من يكون
له عدو فله في امره طريقان احدهما ان يعاديه مجازاة على معاداته والثاني ان يذهب عداوته بارضائه
فلما قال تعالى ان الشيطان لكم عدو امرهم بالعداوة واشار الى ان الطريق ليس الا هذا واما الطريق الاخر
وهو الارضا فلا فايدة فيه لانكم ان ارضيتموه واتبعتموه فهو لا ينفعكم الا الى السعير واعلم ان من علم ان له عدوا
لا مهرب له منه وجزم بذلك فانه يقف عنده ويصبر على قتاله والصبر معه الظفر فكذلك الشيطان لا يقدر الانسان
يهرب منه فانه معه ولا يزال يتبعه الى ان يقف له ويهزمه فيهرب منه الشيطان لعزيمة الانسان فالطريق الثبات على
الجلادة والاتكال على العبادة ثم بين الله تعالى حال حزبه وحال حزب الله تعالى فقال الذين كفروا لهم عذاب شديد
والمعادين للشيطان ولم يكن تعلق الحال في عذاب ظاهر فهو ليس بشديد ولما انه اذا كان عاقلا بحسب الحال يستبطئ
السير وتعالى العذاب الشديد المديد فانه ترى ان الانسان اذا عرض له طريقان طويل وقصير لا يمكن له بد من سلوك احدهما يتخطى
الشوك ولا يدخل النار وشبه النار التي في الدنيا الى النار التي في الاخرة وشبه الطول الى النار العاجلة وقال
الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير وعد لكل بعض مما له وبين انه الا ان في مقابلة المغفرة

لعزيله

فلا يؤمنون في المآل والعمل الصالح في مقابلته الأجر الكبير ثم قال تعالى أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا يعني
ليس من عمل سيئا كالذي عمل صالحا كما قال بعد هذا بآيات وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور و
له تعلق بما قبل ذلك من حيث إنه تعالى لما بين حال المسيء الكافر والمحسن المؤمن وما أعد لهما عرف بأنه هل يحمل
سيئا الا مثيل تحبات الكافر بتوك الذي له العذاب الشديد من الذي يسعى الصالحات ويرى الحق ويتبع الدين ويستعدهم
الجنة بما يبتغوها والذي له الأجر العظيم لكن الذين عملوا على ما كانوا عليه إلا بما قال تعالى ليس ثم إنما ذلك فإن المحسن
غير ومن زين له العمل السيئ فرآه حسنا غير الذي زين له السيء دون من أساء وعلم أنه مسيء فإن الجاهل
الذي يعلم جهله والمسيء الذي يعلم سوء عمله يرجع ويتوب والذي لا يعلم يصر على الذنوب والمسيء العالم له صفة
ذم بالإساءة ورفعة مدح بالعلم والمسيء الذي يظن إساءة إحسانا له صفتان ذم إساءة والجهل ثم إن الجهل
فتنة الله وقال فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء ذلك لأن الناس أشباحهم متشابهة في الجسمية والإساءة
والإحسان فالسيئة والحسنة ممتاز بعضها عن بعض فإذا عرفنا البعض دون البعض فهو كتمه ذلك استقلال منهم
فلا بد من الإسناد إلى إرادة الله ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث حزن من إصرارهم بعد إتيانه بكل آية ظاهرة وحجة
باهرة فقال فلا تذهب نفسك عليهم حسرات كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم ثم بين أن تحزنه إن كان لما بهم
من الضلال فالله عالم بهم وبما يصنعون لو أراد إيمانهم لصدهم عن الضلال وردهم عن الإضلال فإن كان لما يلحقه
منهم من الأذى فالله عالم بفعلهم يجازيهم على ما يصنعون ثم عاد إلى البيان فقال تعالى والله الذي أرسل الرياح فتثير
الرياح دليل ظاهر على الفاعل المختار وذلك أن الهواء قد يسكن وقد يتحرك وعند حركته قد يتحرك إلى اليمين وقد
يتحرك إلى اليسار وفي حركاته المختلفة قد ينشئ السحاب وقد لا ينشئ فهذه الاختلافات دليل على مسخر مدبر ومؤثر
مقدر وفي الآية مسائل الأولى قال الله الذي أرسل بلفظ الماضي وقال فتثير سحابا بصيغة المستقبل وذلك
لأنه لما أسند فعل الإرسال إلى الله وما يفعل الله يكون بقوله كن فلا يبقى في العدم لا زمانا ولا جزءا من الزمان فلم يقل
بلفظ المستقبل لوجوب وقوعه وسرعة كونه كأنه كان وكأنه فرغ من كل شيء فهو قدر الإرسال في الأوقات
المعلومة إلى المواضع المعينة والتقدير كالإرسال ولما أسند فعل الإثارة إلى الريح وهي تؤلف في زمان فقال
فتثير أي على هيئتها المسألة الثانية قال أرسل إسنادا للفعل إلى الغائب وقال فسقناه بإسناد الفعل إلى المتكلم وكذلك
قوله فأحيينا وذلك لأنه في الأول عرف نفسه بفعل من الأفعال وهو الإرسال ثم لما عرف قال أنا الذي عرفتني
سقت السحاب وأحييت الأرض ففي الأول كان تعريفا بالفعل العجيب وفي الثاني كان تذكيرا بالنعمة
فإن كمال نعمة الرياح والسحب بالسوق والإحياء وقوله سقناه وأحيينا بصيغة الماضي يؤيد ما ذكرناه
من الفرق بين قوله أرسل وبين قوله فتثير المسألة الثالثة ما وجه التشبيه بقوله كذلك النشور فنقول فيه وجوه
أحدها أن الأرض الميتة لما قبلت الحياة اللائقة بها كذلك الأعضاء تقبل الحياة وثانيها كما أن الريح تجمع
القطع السحابية كذلك تجمع أجزاء الأعضاء وأبعاض الأشياء وثالثها كما أنا نسوق الريح والسحاب إلى البلد
الميت نسوق الروح والحياة إلى البدن الميت المسألة الرابعة ما الحكمة في اختيار هذه الآية من بين
الآيات مع أن الله تعالى له في كل شيء آية تدل على أنه واحد فنقول لما ذكر الله أنه فاطر السماوات
والأرض وذكر من الأمور السماوية الأرواح والإرسال بقوله جاعل الملائكة رسلا ذكر من الأمور الأرضية
الرياح والإرسال بقوله والله الذي أرسل الرياح ثم قال تعالى من كان يريد العزة فلله العزة جميعا
لما بين برهان الإيمان أشار إلى ما كان يمنع الكفار منه وهو العزة الظاهرة التي كانوا يتوهمونها
من خسانهم ما كانوا قطاعة أحد ولم يكن لهم من يأمرهم وينهاهم وكانوا يتخذون الأصنام وكانوا يقولون
إن هذه الأصنام ثم إنهم كانوا يستنكفون مع أنفسهم ورأية عزة فوق المعبود لهم كانوا يطلبون
العزة وهي عدم التذلل للرسول وترك الاتباع له فقال إن كنتم تطلبون بهذا الكفر العزة في الحقيقة

فهي كلها

فهي كلها لله ومن يتذلل له فهو العزيز ومن يتعزز عليه فهو الذليل وفي الآية مسائل الأولى في هذه الآية
فلله العزة جميعا وقال في آية أخرى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وقوله جميعا يدل على أن لا عزة لغيره
فنقول قوله فلله العزة أي في الحقيقة وبالذات وقوله ولرسوله أي بواسطة القرب من العزيز وهو الله و
للمؤمنين بواسطة قربهم من العزيز بالله وهو الرسول وذلك لأن عزة المؤمنين بواسطة النبي عليه السلام كما قال
الرسول تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله المسألة الثانية قوله إليه يصعد الكلم الطيب
تقرير لبيان العزة وذلك لأن الكفار كانوا يقولون نحن لا نعبد من لا نراه ولا نحضر عنده لأن البعد من الملك ذلة
فقال تعالى إن كنتم لا تصلون إليه فهو يسمع كلامكم ويقبل الطيب ممن قبل كلامه وصعد إليه فهو عزيز ومن
رد كلامه في وجهه فهو ذليل وأما هذه الأصنام فليس عندها الذليل من العزيز إذ لا علم لها فكل لطافتها
وكذلك يرى عملكم فمن عمل صالحا رفعه الله ومن عمل سيئا رده عليه فالعزيز من يرفع الذي عمله لوجهه والذليل
من يرد عمله في وجهه وأما هذه الأصنام فلا تعلم شيئا فلا عزة عندها ولا ذليل عزيز بها بل كلها ذلة وذلك
لأن ذلة البلد ذلة للعبد وهي كلها مجبولة وربه والله حجارة أو خشب فإذا هو المسألة الثالثة في قوله
إليه يصعد الكلم الطيب وجوه أصحها كلمة لا إله إلا الله هي الطيبة فإنها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله
والله أكبر وطيبها بأنها هذه الكلمات … وقيل تبارك الله والمختار أن كل كلام هو ذكر الله أو هو لله
كالنصيحة والعلم فهو إليه يصعد المسألة الرابعة قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه فيه وجهان أحدهما هي
عائدة إلى الكلم الطيب أي العمل الصالح هو الذي يرفع الكلم الطيب ورد في الخبر لا يقبل الله قولا بلا عمل وثانيهما هي عائدة
إلى العمل الصالح وعلى هذا في الفاعل الرافع وجهان أحدهما هو الكلم الطيب أي الكلم الطيب يرفع العمل الصالح ويقويه
قوله تعالى من عمل صالحا وهو مؤمن وثانيهما الرافع هو الله تعالى المسألة الخامسة ما وجه ترجيح الذكر على العمل
على الوجه الثاني حيث يصعد الكلم بنفسه ويرفع العمل بغيره فنقول الكلام شريف فإن امتياز الإنسان عن كل حيوان بالنطق
ولهذا قال تعالى ولقد كرمنا بني آدم أي بالنفس الناطقة والعمل حركة والكلم يشترك فيه الحيوانات وعمره والدليل الشريف
إذا وصل إلى باب الملك لا يمنع ومن دونه لا يجد الطريق إلا عند الطلب … ويدل على هذا أن الكافر إذا تكلم بكلمة
الشهادة إن كانت عن صدق أمن في عذاب الدنيا والآخرة وإن كان ظاهرا أمن في نفسه ودمه وأهله وحرمه في الدنيا
ولا كذلك العمل بالجوارح وهذا ذكرناه لكنك في تفسير قوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات وجه آخر القلب هو
الأصل يستقيم بما دل عليه قال النبي عليه السلام إن في الجسد لمضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد
كله ألا وهي القلب وما في القلب لا يظهر إلا باللسان وما في اللسان لا يتبين صدقه إلا بالفعل فالقول أقرب إلى القلب من الفعل
ألا ترى أن الإنسان لا يتكلم بكلمة من غير قلب وأما الفعل فيمكن أن يكون من غير قلب كالعبث باللحية وقد ينام الإنسان ولا يخلو عن
فعل من حركة ونقلة ولا يتكلم في نومه إلا نادرا لما ذكرنا أن الكلام بالقلب ولا كذلك العمل فالقول أشرف
المسألة السادسة قال الزمخشري المكر لا يتعدى فبم انتصاب السيئات وقال معناه الذين يمكرون
المكرات السيئات وهو وصف مصدر محذوف ويحتمل أن يقال استعمل المكر استعمال العمل فعداه تعديته كما
قال الذين يعملون السيئات وفي قوله يعملون السيئات يحتمل ما ذكره الزمخشري من وصف المصدر ويحتمل أن يكون المراد
بها الحالات السيئات وعلى هذا يمكن هذا في مقابلة قوله والعمل الصالح يرفعه إشارة إلى نفاذه وارتقائه ومكر
أولئك أي العمل السيئ هو يبور إشارة إلى فنائه ثم قال تعالى والله خلقكم من تراب وذلك أمر لما بين أن الدلائل
مع كثرتها وعظمها أظهرها في … الآفاق ودلائل الأنفس كما قال تعالى سنريهم
آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم فلما ذكر دلائل الآفاق من السماوات وما يرسل منها من الملائكة والأرض وما يرسل
منها من الرياح شرع في دلائل الأنفس وذكر هاهنا من أحوالها وذكر ما دل من أنه خلقكم من تراب إشارة إلى خلق آدم ثم
من نطفة إشارة إلى خلق أولاده وتمامه الكلام هاهنا … إلى هذا التأويل بل خلقكم خطاب مع الناس وهم أولاد آدم

وكلهم من تراب ومن نطفة لان كلهم من نطفة والنطفة من غذا والغذا بالاخرة ينتهي الى الما والتراب فهو من تراب صار
نطفة وقوله وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه اشارة الى كمال العلم فان ما في الارحام قبل الخلقة بل بعدها ما دام في البطن لا يعلم
حاله احد كيف والام الحاملة لا تعلم منه شيا فلما ذكر بقوله خلقكم من تراب كمال قدرته بين بقوله ولا تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه
كمال علمه ثم بين نفوذ ارادته بقوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب فبين انه هو القادر العالم المريد والاصنام
لا قدرة لها ولا علم ولا ارادة فكيف يستحقون العبادة وقوله ان ذلك على الله يسير اي الخلق من التراب وتحويل الرتب
المراد ان النمو والاستماع على الله يسير ويحتمل ان يكون المراد ان العلم بما تحمله الانثى يسير والكل على الله يسير والاول اشبه
فان اليسير استعماله في الفعل اليق ثم قال تعالى وما يستوي البحران والمقصود منه [illegible]
ضرب المثل في حق الكفر والايمان فان الكافر والمؤمن لا يستويان بالكفر في الحسن والنفع كما لا يستوي البحران
العذب الفرات والملح الاجاج ثم على هذا فقوله ومن كل تاكلون لحما طريا لبيان ان حال الكافر والمؤمن ادا الكفر لا ينتهي الى دخل
البحر من الاجاج يبارك النبات في حزم لذا اللحم الطري يوجد فيهما والحلية توجد فيهما والفلك تجري فيهما والنفع
في الكسب الكافر بهذا على قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل وقوله كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة
لما يتفجر منه الانهار والظاهر ان المراد منه ذكر دليل اخر على وجود الله تعالى وذلك من حيث ان البحرين يستويان في الصورة
ويختلفان في الما فان احدهما عذب فرات والاخر ملح اجاج ولو كان ذلك بايجاب لما اختلف المتساويان ثم انهما
بعد اختلافهما يوجد منهما امور متشابهة بان اللحم الطري يوجد فيهما والحلية توجد فيهما ومن يوجد في المتساويين اختلافا
ومن المختلفين تشابها لا يكون الا قادرا مختارا وقوله وما يستوي البحران اشارة الى ان عدم استوائهما دليل على كمال قدرته
وبنفوذ ارادته وفي الاية مسايل الاولى قال اهل اللغة يقال في ما البحر اذا كان فيه ملوحة ماء ملح واما ما يقال مالح وقد
ذكر في بعض كتب اللغة بعيره ما البحر مالح ولو اخذ قايله به مسامحة مما يذهب اليه النوم وذلك لان الماء العذب
اذا القي فيه ملح وتملح يقال له مالح وما ملح يقال لما الذي صار من اصل خلقته كذلك مالح شيء فيه ملح ظاهر
في المذوق والماء الملح ليس ما وملحا كذلك الطعام المالح فاما العذب الذي فيه الملح ما فيه ملح ظاهر في المذوق كالمالح
ما هو من اصل خلقته كذلك فالمالح الفقيه الملح اجزا ارضية سبخة بعيرها ما البحر والماء الذي فيه ملح صار فانه
جملة ما جاهرة ملح واهل اللغة حيث قالوا في البحر ماء ملح جعلوه كذلك من اصل الخلقة والاجاج المر بحاله ومن كل
تاكلون لحما طريا من الطير والسمك وتستخرجون حلية تلبسونها من اللولو والمرجان وترى الفلك فيه مواخر اي ماخرات
تمخر البحر بالجريان اي تشق وجهه لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون بيان لما ذكرنا من ان المراد من الاية بيان
البحرين وما فيهما على وجود الله ووحدانيته وكمال قدرته ثم قال تعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار
في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى ومعناه ان الله تعالى يولج [illegible] الشمس والقمر جواب لسوال
يذكره المشركون وهو انهم قالوا اختلاف الليل والنهار بسبب اختلاف القسي التي تقوم فوق الارض وتحتها فانها في الصيف
ترى الشمس على سمت الراس في بعض البلاد المايلة فيكون حركة الشمس هناك حمايلية فيتم تحت الارض اقل من نصف
دايرة فيطول الزمان مكثه تحت الارض فيقصر الليل وفي الشتاء بالضد فيقصر النهار فقال الله تعالى وسخر الشمس والقمر
يعني سبب الاختلاف وان كان ما ذكرتم لكن سير الشمس والقمر بارادة الله وقدرته فهو الذي فعل ذلك ثم قال تعالى
ذلكم الله ربكم له الملك يعني هذا الذي فعل هذه الاشيا من فطر السموات والارض وارسال الارواح وارسال الرياح وخلق الانسان من التراب وغيره
له الملك كله فلا معبود الا هو لانه الكامل لكونه ملكا والملك مخدوم فيتعين ملكه فاذا كان له الملك كله فله العبادة
كلها ثم بين ما في صفة الالهية ونزهها بقوله والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير وها هنا لطيفة وهي انه
تعالى ذكر لنفسه نوعين من الاوصاف احدهما الخلق بالقدرة والارادة والثاني الملك واستدل بهما على انه اله معبود كما قال
تعالى قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس ذكر الرب والملك ورتب عليهما كونه الها اي معبودا وذكر من اشركوا
به سلب صفة ولكن لم يذكر سلب الخلق بقوله والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ولم يذكر سلب الوصف الاول لوجهين

اصحا

233

احدهما ان كلهم كانوا معترفين بان لا خلق لهم وانما كانوا يقولون بان الله تعالى فوض امر الارض والارضيات
الى الكواكب التي هي اصنام على صورها وطوالعها فقال لهم لكم وما لكم الله شيا ولا الكواكب شيا وبيانه انه يلزم من
عدم الملك عدم الخلق لانه لو خلق شيا لملكه فاذا لم يملك قطميرا ما خلق قطميرا ولا كثيرا ثم قال تعالى
ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ابطالا لما كانوا يقولون ان في عبادة الاصنام عزة من حيث انهم يتقربون بها وينظرون الى عرض
الحوايج عليها والله لا يرى ولا يصل اليه احد فقال لا يسمعون دعاءكم والله الذي يصعد الكلم الطيب سميع ثم قال
ولو سمعوا ما استجابوا لكم لانهم ليسوا يملكون كما تظنون فانهم كانوا يقولون ان الاصنام تسمع وتعلم ولكن ما كانوا يمكنهم
ان يقولوا انهم يجيبون لانه لا يكاد يتحقق به دعوتهم فان امرهم ان العقول والنزاع ولا كان يقع في المعقول بل لا يمكن
وقوعه في المحسوس ثم انه تعالى قال ويوم القيامة يكفرون بشرككم اما بيان علم النفي منهم في الدنيا ثم علم النفي
منهم في الاخرة ببيان ان الحاصل يوجد القبر منهم في الاخرة يتبرون منكم يوم القيامة يكفرون بشرككم اي باشراككم بالله كما قال تعالى
ان الشرك لظلم عظيم اي باشراككم اياهم ولا ينبئك مثل خبير يحتمل ان يكون خطابا مع النبي عليه السلام
ويحتمل ان الله تعالى لما اخبر بان الخشب والحجر يوم القيامة ينطق ويكذب عابديه وذلك امر لا يعلم بالعقل المجرد لولا
اخبار الله تعالى عنه قال تعالى انهم يكفرون بهم يوم القيامة وهذا القول مع كون المخبر عنه امرا عجيبا هو كما قال
ان المخبر عنه خبير والنبي هو الاول يكون فيه خطابا عاما مخصوصا باحد وهذا الذي ذكرنا كما قال ولا ينبئك ايها
السامع كائنا من كان مثل خبير ثم قال تعالى يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد لما كثر الدعاء
من النبي عليه السلام والاصرار من الكفار قالوا ان الله لعله محتاج الى عبادتنا حتى يامرنا بها امرا بالغا ويهددنا على تركها
مبالغا فقال الله انتم الفقراء الى الله والله هو الغني فلا يامركم بالعبادة لاحتياجه اليكم وانما هو لاشفاقه عليكم
وفي الاية مسايل الاولى الوصف في الخبر يكون للتمييز ولا يكون في المبتدا ثم الخبر يوصف وذلك لان الخبر يجب
ان يكون امرا يخبر به السامع علم او في ظن المتكلم ان السامع لا علم له به ثم ان المبتدا لا بد من ان يكون معلوما عند السامع
حتى يقول له ايها السامع الامر الذي تعرفه انت تعرفه كقولك العالم زيد فان لم يعرف زيد الذي تعرفه انت ثم سالته فقام
لم يعلم عندك به فان كان الخبر معلوما عند السامع والمبتدا كذلك وتقع الجملة بينهما يحسن وصف الخبر في
غاية الحسن كقول القائل الله ربنا ومحمد نبينا حيث عرف كون الله ربنا وكون محمد نبينا وها هنا لما كان
كون الناس فقرا امرا ظاهرا لا يخفى على احد قال انتم الفقراء المسالة الثانية قوله الى الله اعلام
بان لا افتقار الا اليه ولا اتكال الا عليه وهذا يوجب عبادته لكونه المفتقر اليه وعدم عبادة غيره لعدم
الافتقار اليهم ثم قال تعالى والله هو الغني اي غني عن عبادتكم كل الغنى وانتم مع افتقاركم
لا يحبونه ولا يطيعونه فيجيبكم المسالة الثالثة في قوله الحميد لما زاد في الخبر اولا بقوله انتم الفقراء بالله
وصفه الى الله تعالى زاد في وصفه بالغني زيادة وهو كونه حميدا اشارة الى
انكم فقرا وفي مقابلته الله غني وفقركم انتم يحوجكم اليه وغنى الله بانه لا يحوجه اليكم لكونه حميدا ويجب الشكر
فلستم انتم فقرا والله مثلكم في الفقر بل هو غني على الاطلاق ولستم انتم لما استغنيتم الله تركتم عن منفعة الحاجات
لا يغني في الدنيا حوايجكم ولكنتم تشتعمون في الفوز ما يحملكم من حمده ثم قال تعالى ان يشا يذهبكم ويات بخلق
جديد بيانا لغناه وفيه بلاغة كاملة وبيانها انه تعالى قال ان يشا يذهبكم اي ليس ادهابكم موقوفا الا على مشيته
خلافا للتي المحتاج اليه فان المحتاج لا يقول ما يريده لو شا لامكن هذا ما لو علم مقارفه وانما يقول لولا
حاجة التي الى الله لبعتها ولولا الافتقار الى العقار لتركتها ثم انه تعالى زاد بيان الاستغنا بقوله ويات
بخلق جديد يعني ان كان يتوهم متوهم ان هذا الملك كمال وعظمة فلو اذهبه لزال ملكه وعظمته فهو قادر بان
يخلق خلقا جديدا احسن من هذا واجمل واتم واكمل ثم قال وما ذلك على الله بعزيز اي الاذهاب والاتيان
وفيه مسالة وهي ان لفظ العزيز استعمله الله تعالى تارة في القايم بنفسه حيث قال وكان الله

فمن يا عمر قال في هذه السورة ان الله عزيز غني واستعمله في المقام لغيره حيث قال وما ذلك على الله بعزيز
وقال عزيز عليه ما عنتم فلنبينهما بمعنى واحد او بمعنيين فنقول العزيز هو الغالب في اللغة يقال من عز بز اي
من غلب سلب فاتقوا عزيز اي غالب والفعل اذا كان لا يطيقه شخص يقال هو مغلوب بالنسبة الى ذلك الفعل
فقوله وما ذلك على الله بعزيز اي لا يغلب الله ذلك الفعل بل هو هين على الله وقوله عزيز عليه ما عنتم اي يحزنه ويؤذيه
كالشغل الغالب ثم قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى يحمل معنى لطيفا وذلك من حيث انه تعالى لما بين الحق بالدلائل
الظاهرة والبراهين الباهرة وذكر ما يفهم الى النظر فيه وقال ولا تزر وازرة وزر اخرى اي كل احد يحمل يوم
نفس والمنع عليهم لو كان ذا قربى ورعاية لخاطره اهل شارع عقد بانه فيه يحملونه انهم يستوون في تحرز والله
تعالى هنه تنبيه الى ما تكم تتفكروا وما اعملوا انكم ان ظللتم فلا يحمل لضلالكم وزركم وانتم كما يقول الحكيم
اسمعوا مسلنا واحمل خطاياكم ومثاله ما قال الولي الوزر واي لا تحمل وازرة وزر وازرة ولم نقل ولا تزر نفس
فقد لطيف وراجع الى الموصوف والصفة فلم يقل ولا تزر نفس وزر نفس لكن احرى لنا بيانه امسا اذا لك فلانه لو قال
ولا تزر نفس وزر اخرى قد يجمع منها ان النفس المطيعة كالمعصوم لا يؤخذ بذنب غيره ومع ذلك لا يحمل وزر
باثما تقول ولا تزر وازرة معناها تزر وزرا ولا يحمل للنفوس ايضا نبه لذكر الموصوف لظهور الصفة ولزومها
للموصوف ثم قال وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى وهاهنا السوال تقديره
المحتاج قد يعمل بعض حاجته من عنده سواله فاذا انتهى الى الاضطرار الى حمل الكل يتوجه الى السوال المسئلة الثانية
في قوله مثقلة زياده بيان لما تقدم من حيث انه تعالى لما قال ولا تزر وازرة وزر اخرى والاحتمال ان احدا يحمل من احد
لكن ذلك الواحد ان لم يحمل حمله كان القول ان اخذه بيده فانه ان ينفع حمله لا يحمل عنه واما اذا كان الحمل
ثقيلا قد يرحم الحامل فيحمل عنه فقال مثقلة يعني ليس عليهم الوزر لعدم كونه محلا للرحمة بالثقل يكون النفس مثقلة
ولا يحمل منها شيء المسئلة الثالثة زاد في ذلك ولو كان ذا قربى لان الاعتقاد لو كان ذا قربى بحمل دعاء او الثقل
كان ممكنا ثقاله لعلمه لعدم تعلقه به كالعدو الذي هو عليه ثقيل ولكن الحاجة تجعله
عنه حمل الاحمال عنه فقال ولو كان ذا قربى اي يحمل جميع المعاني الداعية الى الحمل من كون النفس وازرة ثقيلة
يحتمل ذلك الاخرى مثقلة لا بعد انها قريبة فانه ليس عليها حمل وكونها سائلة داعية فان السوال مظنة الرحمة
ولو كان المسئول قريبا فاذا لا يمكن التخلف ثم المانع هو كون كل نفس تحمل ثقيل ثم قال تعالى انما
تنذر الذين يخشون ربهم اشاره الى ان الارشاد ذوق ما انت به ولم ينفعهم فلا تنذر اولئك انذار الذين
تملي قلوبهم خشية فيلقى ظواهرهم بالعباده كقوله الذين امنوا اشاره الى عمل القلب وعملوا الصالحات
اشاره الى عمل الظواهر بعولهم الذين يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلوه ثم ذلك المعنى ثم كا ثبت ان لا تزر وازرة
وزر اخرى تبين ان الحسنة ينفع المحسن ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه ثم قال والى الله المصير
اي الذي تزكى ليس له نفع تاجيله فانما المصير الى الله يظهر عنده في يوم اللقاء وداره اليقاء والوازرة ان
لم تظهر تبعة وزره في الدنيا فهي تظهر في الاخرة اذ المصير الى الله ثم لما ذكر الهدي والضلال قال وما يستوي الاعمى
وهذا لانه المؤمن ضرب لهم مثلا بالبصير والاعمى فالمؤمن بصير حيث يبصر الطريق الواضح والكافر اعمى حيث لا يبصر
الطريق ما يلي الى الاولي فالقابلة في تكثير الامثلة هنا حيث ذكر الاعمى والبصير والظلمة والنور والظل والحرور
والاحياء والاموات فنقول الاول مثل المؤمن والكافر فنقول المؤمن بصير والكافر اعمى ثم ان البصير وان كان
حديد البصر ولكن لا يبصر شيئا ان لم يكن في ضوء فذكر الايمان والكفر مثلا فقال الايمان نور والمؤمن بصير و
البصير لا يخفى عليه النور والكفر ظلمة والكافر اعمى فله صاد عن صاد ثم ذكر لمالهما ومرجعهما مثلا وهو الظل والحرور
فالمؤمن بايمانه في ظل وراحة والكافر بكفره في حر وتعب ثم قال وما يستوي الاحياء ولا الاموات مثلا اخر في حق
المؤمن والكافر كانه تعالى قال حال المؤمن والكافر فوق حال الاعمى والبصير فان الاعمى يشارك البصير في ادراك ما

والكافر عن ملك ادراكا نافعا فهو كالميت ويدل عليه ما ذكرنا انه تعالى اعادها والفعل حيث قال ولا وما يستوي الاعمى
والبصير وعطف الظلمات والنور والظل والحرور ثم اعاد الفعل وقال وما يستوي الاحياء ولا الاموات
كانه هذا مقابله تمام ذلك المسئلة الثانية كرر كلمة النفي بين الظلمات والنور والظل والحرور والاحياء والاموات
ولم يكرر بين الاعمى والبصير وذلك لان التكرير للتاكيد والمنافاة بين الظلمة والنور والظل والحرور مضادة فان الظلمة
تنافي النور وتضاده والعمى والبصر ليس كذلك لان الاعمى والبصير يشتركان في الحقيقة وانما الفرق بينهما
بوصفه فهو اعمى والاعمى والبصير ما فيه تنافي من حيث الوصف والظل والحرور المنافاة بينهما ذاتية
لان المراد من الظل عدم الحر والبرد فلما كانت المنافاة هناك اتم اكد بالتكرار واما الاحياء والاموات وان
كان كالاعمى والبصير من حيث ان الجسم الواحد يكون حيا محلا للحياة ويصير ميتا محلا للموت ولكن المنافاة
بين الحي والميت اتم من المنافاة بين الاعمى والبصير كما بينا ان الاعمى والبصير يشتركان في ادراك الاشياء ولا كذلك
الحي والميت كيف والميت يخالف الحي في الحقيقة لا في الوصف على ما تبين في الحكمة الالهية المسئلة الثالثة
قدم الاشرف في مثلين وهو الظل والحي واخر في مثلين وهو البصير والنور وقيل ان هذا سبيل العرب
انه لتوافق اواخر الايات وهو ضعيف لان تواخي الفواصل راجع الى السجع ومعجز القرآن في المعنى لا في مجرد اللفظ
فان الشاعر يقدم ويؤخر للسجع ولكن ان كان اللفظ حاملا له على تغيير المعنى واما القرآن فحكمة بالغة المعنى فيه صحيح
واللفظ فصيح فلا تقدم ولا تؤخر للفظ بلا معنى فنقول الكفار قبل النبي عليه السلم كانوا في ضلالة فكانوا كالعمي
وطريقتهم كالظلمة ثم لما جاء النبي عليه السلم وبين الحق واهتدى به منهم قوم فصاروا بصيرين وطريقتهم كالنور
فقال وما يستوي من كان من قبل البعث على الكفر ومن اهتدى بعده الى الايمان فلما كان الكفر قبل الايمان في زمان
محمد عليه الصلوة والسلم والكافر قبل المؤمن قدم المقدم ثم لما ذكر المآل والمرجع قدم ما يتعلق بالرحمة على ما يتعلق بالغضب
لقوله عليه السلم فيما حكاه سبقت رحمتي غضبي ثم ان الكافر المصر بعد البعث صار اضل من الاعمى
وشابه الاموات في عدم ادراك الحق من جميع الوجوه فقال وما يستوي الاحياء اي المؤمنون الذين امنوا بما انزل
الله ولا الاموات التي طبعت عليهم الايات سواء سمعوا او لم يسمعوا كما قال سواء عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم
عن المؤمنين لوجود حياة المؤمنين قبل ممات الكافرين المعاندين وقدم الاعمى على البصير لوجود الكفار
الضالين قبل البعثة على المؤمنين المهتدين بعدها المسئلة الرابعة قابل الاعمى بالبصير بلفظ الواحد والواحد
كذلك الظل بالحرور وقابل الاحياء بالاموات بلفظ الجمع وقابل الظلمات بالنور بلفظ الجمع في احدهما والاخر فهل
نعرف فيه حكمة بلى فنقول ان الاعمى والبصير والظل والحرور لانه قابل الجنس
بالجنس وعلى هذا التقابلات في العميان والبصراء لو قابل الجنس بالجنس ما ادركوا من الجنس
لهم كالبصير وان كان في الاعمى ادنى تنبيه ولكن العميان تقدر الاعمى على الوصول الى مقصد ولا تقلد
البصير عليه اذ كان الاعمى عنده ما يدرك به البصير ثم التفاوت بينهما اكثر اذ ما من ميت
يدرك الاحياء حيا ما لحيا فذكر الاحياء والاموات بلفظ الجمع لا سوى اليهما الجنس والجنس اذ قد يكون
الشيء بالعدد اما الظلمات والنور فالحق واحد وهو التوحيد والباطل كثير وهو طرق الاشراك على ما بينا ان بعضهم يعبدون
الكواكب وبعضهم النار وبعضهم الاصنام التي هي على صور الملائكة الى غير ذلك والتفاوت بين كل فرق ومن يتلكك لا يزاد
وبين هذا الوجه في قوله ظلمات فكلها اذا اعتبرتها لا تجد فيها ما يساوي النور وقد ذكرنا في تفسير قوله تعالى وجعل
الظلمات والنور السبب في توحيد النور وجمع الظلمات ومن جملة ذلك ان النور لا يكون الا بوجود منور ومحل قابل
للاستنارة وعدم الحائل بين النور والمستنير مثاله الشمس اذا طلعت وكان هناك موضع قابل للاستنارة وهو
الذي يقبل الشعاع فان السماء لا يستنير كما في مقابلة الكوة يدخل منها الشعاع فيخرج منه الشعاع ويدخل
بينها فيه وينبسط الشعاع على الارض ويرى السماء مضيئا وان كان مظلما لم يكن هناك حائل كالسحاب والجدار وله

فانه لا يبقى فاذا حصلت له صورة الدلالة يستنير البيت ولهذا لا تتحقق الظلمة بتقدير ان يكون من له صورة الدلالة
ثم قال تعالى ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من في القبور وفيه احتمالان احدهما ان يكون المراد
بيان كون الكفار بالنسبة الى سماعهم كلام النبي عليه السلام والوحي النازل عليه دون حال الموتى فان الله يسمع الموتى والنبي
عليه السلام لا يسمع من في القبور فالموتى سامعون من الله والكفار كالموتى لا يسمعون من النبي عليه السلام والثاني ان يكون
المراد تسلية النبي عليه السلام فانه لما بين له انه لا ينفعهم ولا يسمعهم قال له ليس اسماعهم اليك الله فانه يسمع من
يشاء ولو كان صخرة صماء واما انت فلا تسمع من في القبور فما عليك من حسابهم من شيء ثم قال تعالى
ان انت الا نذير ثم قال انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا لما قال ان انت الا نذير بين انه
ليس نذيرا من تلقاء نفسه انما هو نذير باذن الله وارساله ثم قال تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير
بين امرين احدهما تسلية قلبه حيث يعلم ان غيره كان مثله محتملا لتاذي القوم وثانيهما الزام القوم قبوله
فانه ليس بدعا من الرسل وانما هو مثل غيره يدعي ما ادعاه الرسل ويقرره قوله تعالى وان يكذبوك
فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات يعني ليس حينئذهم بالبينة والكتاب فكذبوك وآذوك و
غيرك ليعلموا انا بهم مثل ذلك وفعلوا بهم ما فعلوا بك وصبروا على ما كذبوا وكذلك بهم بان تقدم
من الرسل لم يعلم كونهم مرسلا لهم بالمعجزات البينات ووردت اتيانها محمدا والزبر والكتاب المنير والكل اتينا محمدا
فهو رسول مثل الرسل يلزمكم نبوته كما لزم قبول موسى وعيسى عليهم السلام اجمعين وهذا لمن يتوقع من اهل
الكتاب واعلم انه تعالى ذكر امورا ثلاثة اولها البينات وذلك لان كل رسول فلا بد له من معجز
وهي ادنى الدرجات ثم قد ينزل عليه كتاب يكون فيه مواعظ وتنبيهات وان لم يكن فيه نسخ واحكام شريعة
شرعا ناسخا ومن ينزل عليه مثله اعلى مرتبة ممن لا ينزل عليه ذلك وقد ينسخ شريعته الشرائع وينزل عليه
كتاب فيه احكام على وفق الحكمة الالهية ومن يكون كذلك فهو اعلى العزم فقال الرسل يتقدمهم بالبينات
وان كانوا اهل مرتبة فالرسول كانوا اهل قبل الكتاب والنبي عليه السلام اتاه الكل فهو رسول اشرف فيا اهل الكتاب
كتابه اتم واكمل من كل كتاب ثم قال تعالى ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير اي من كذب بالكتاب
المنزل من قبل ومالرسول المرسل اخذه الله فكذلك من يكذب بالنبي عليه السلام وفيه فكيف كان نكير سؤال
للتقرير فانهم علموا شدة انكار الله عليهم واتيانه بالامر المنكر من الاستئصال ثم قال تعالى الم تر ان الله
انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها وهذا استدلال بدليل اخر على وحدانية الله تعالى وقدرته
وفي تقريرها مسايل الاولى ذكر هذا الدليل على طريقة الاستخبار وقال الم تر وذكر الدليل المتقدم على طريقة
الاخبار وقال والله الذي ارسل الرياح وفيه وجهان الاول ان انزال الماء اقرب الى النفع والمنفعة فيه اظهر
فانه لا يخفى على العاقل في الرؤية والروية ان اكثر منه حيوة الارض فعظم دلالته بالاستفهام لان الاستفهام
الذي للتقرير يقال الا في الشي الظاهر جدا كما ان من ابصر الهلال يقول هل ترى الهلال ولا يقول غيره انا هو فانه سؤال
له في الموضع العلاني فانه يقول له الحق معك انه خفي ذا استعجله واذا كان ظاهرا يقول له الم تره
هنا هو ظاهر والثاني هو انه ذكر بعدما قرر المسلم بدلايل اخر وظهر بما تقدم للدعوة بتمارة بوجوه الدلالات
فقال له انظر مصيرا ما ذكرناه ولم يبق لك عذر الا نزل هذه الاية المسالة الثانية الالتفات من مختلف
وحصل صبا النبي عليه السلام وفيه حكمة وهي ان الله تعالى لما ذكر الدلايل وما نفعهم قطع الكلام معهم والتفت
الى غيرهم كان السيد اذا نصح بعض العباد ومنعهم من الفساد ولم ينفعهم الارشاد يقول لغيره اسمع ولا تكن
مثل ويكرر معه ما ذكره مع الاول ليشعر بان الاول فيه نقيصة لا يستاهل للخطاب
تنبيهه له ويرفع عن نفسه تلك النقيصة والاعراض الحاجة الى الكلام اجنبي عن الاول بل يأتي بما يقاربه ليلا
يسمع الاول كلاما اخر فيترك المنكر فانه كان فيه من النصيحة المسالة الثالثة هذا استدلال على ذكره الله واختياره

حيث

الواحد

حيث اخرج من الثمرات مختلفة وفيه لطائف الاولى قال انزل فقال اخرجنا وقد ذكرنا فايدته ونعيدها
فنقول قال الله تعالى الم تر ان الله انزل فان كان جاهل يقول نزول الماء بالطبع لثقله فيقال له
فالاخراج لا يمكنك ان تقول فيه انه بالطبع فهو بارادة الله تعالى فلما كان ذلك اظهر اسنده الى المتكلم وجه اخر
هو ان الله تعالى لما قال ان الله انزل علم الله بدليل وقرب المتفكر فيه الى الله تعالى صار من الحاضرين فقال
له اخرجنا لقربه وجه اخر هو ان الاخراج اتم نعمة من الانزال لان الانزال لفائدة الاخراج فاسند الاتم الى نفسه
بصيغة المتكلم وما دونه بصيغة الغائب اللطيفة الثانية قال تعالى ومن الجبال جدد بيض كانه قايلا
قال اختلاف الثمرات لاختلاف البقاع الا ترى ان بعض النبات لا ينبت ببعض البلاد كالزعفران وغيره
فقال تعالى اختلاف البقاع ليس الا بارادة الله والا فلم صار بعض الجبال فيه مواضع حمر ومواضع بيض
والجدد جمع جدة وهي الخطة او الطريق فان قيل الواو في ومن الجبال ما تقديرها نقول هي تحتمل وجهين
احدهما ان تكون للاستئناف كانه قال تعالى اخرجنا بالماء ثمرات مختلفة الالوان وفي الكائنات من الجبال جدد
بيض دالة على القدرة رادة على من ينكر الارادة في اختلاف الوان الثمار وثانيهما ان يكون للعطف تقديره وخلق
من الجبال جدد قال الزمخشري اراد ذو جدد اللطيفة الثالثة ذكر الجبال ولم يذكر الارض كما قال
في موضع اخر وفي الارض قطع متجاورات مع ان هذا الدليل مثل ذلك وذلك لان الله تعالى لما ذكر في الاول
اخرجنا به ثمرات كان نفس اخراج الثمار دليلا على القدرة ثم زاد عليه بيانا وقال مختلفا كذلك في الجبال
في نفسها دليل القدرة والارادة لان كون الجبل في بعض نواحي الارض دون بعضها وكون اختلاف في هيئة الجبل
فان بعضها يكون اخفض وبعضها ارفع دليل القدرة ثم زاد بيانا وقال جدد بيض اي مع دلالتها
بنفسها هي دالة باختلاف الوانها كما ان اخراج الثمرات في نفسها دليل وباختلاف الوانها دليل المسالة الرابعة
مختلف الوانها الظاهر ان الاختلاف راجع الى كل لون ان يعني مختلف الوانها وحمر مختلف الوانها لان الابيض قد يكون
على لون الجص وقد يكون على لون التراب الابيض دون بياض الجص وكذلك الاحمر ولو كان المراد ان البيض والحمر
مختلف الالوان لكان مجرد التاكيد والاول اولى وعلى هذا نقول لم يذكر مختلف الوانها بعد البيض والحمر والسود
بل ذكره بعد البيض والحمر واخر السود الغرابيب لان الاسود لما ذكره مع المؤكد وهو الغرابيب يكون بالغا غاية السواد
فلا يكون فيه اختلاف المسالة الخامسة قيل بان الغرابيب مؤكدة للاسود يقال اسود غربيب والمؤكد لا يجيء
الا متاخرا فكيف جاء غرابيب سود نقول قال الزمخشري غرابيب مؤكد لذي لون مقدر في الكلام كانه تعالى
قال سود غرابيب ثم اعاد السود مرة اخرى وفيه فائدة وهي زيادة التاكيد لانه تعالى ذكره مضمرا ومظهرا
وفيهم من قال هو على التقديم والتاخير ثم قال تعالى ومن الناس والدواب والانعام اسند الله الفعل
فلما كان ذلك ادل على ارادته وكان لله تعالى قسم دلايل الخلق في العالم الذي نحن فيه وهو عالم المركبات قسمين حيوان وغير حيوان
وغير الحيوان اما نبات واما معدن والنبات اشرف فاشار اليه بقوله فاخرجنا به ثمرات ثم ذكر المعدن بقوله ومن الجبال
ثم ذكر الحيوان وبدا بالاشرف منها وهو الانسان فقال ومن الناس ثم ذكر الدواب لان منافعها في حياتها والانعام منفعتها
في الاكل منها او لان الدابة في العرف يطلق على الفرس وهو بعد الانسان اشرف من غيره وقوله مختلف الوانه العود فيه
كما انها في انفسها دلايل كذلك باختلافها دلايل واما قوله مختلف الوانه ذكر لكون الانسان من جملة المذكورين وكون المذكر
ثم قال اعلم قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء الخشية بقدر معرفة المخشي والعالم يعرف الله فيخافه ويرجوه
وهذا دليل على ان العالم اعلى درجة من العابد لانه تعالى قال ان اكرمكم عند الله اتقاكم بين ان الكرامة بقدر
التقوى بقدر العلم فالكرامة بقدر العلم لا بقدر العمل نعم العالم اذا ترك العمل قدح ذلك في علمه فان من يراه يقول لو علم
لعمل ثم قال تعالى ان الله عزيز غفور ذكر ما يوجب الخوف والرجاء فكونه عزيزا ذا انتقام يوجب الخوف التام
وكونه غفورا لما دون ذلك يوجب الرجاء البالغ وفيه من قرا بنصب العلماء ورفع الله معناه انما يعظم ويبجل ثم قال تعالى

ان الذين يتلون كتاب الله لما بين العلما بالله وخشيتهم وكرامتهم بسبب خشيتهم ذكر العالمين بكتاب الله العاملين بما فيه
وقوله يتلون كتاب الله واقاموا الصلوة اشارة الى العمل البدني وقوله وانفقوا مما رزقناهم اشارة الى العمل المالي وفي الآية
حكمة بالغة فقوله انما يخشى الله اشارة الى عمل القلب وقوله ان الذين يتلون اشارة الى عمل اللسان وقوله واقاموا الصلوة اشارة الى عمل
الجوارح ثم ان هذه الاشيا الثلثة متعلقة بجانب تعظيم الله والشفقة على خلقه لانا بينا ان من يعظم ملكا ازوار عبدا
من عبيده في حاجة [illegible] تعظيما [illegible] بالتعظيم والى هذا اشار بقوله عبدي مرضت فما عدتني سؤال
العبد كيف تمرض وانت رب العالمين فيقول الله مرض عبدي فلان وما زرته ولو زرته لوجدتني عنده حتى التعظيم
يدل على الشفقة [illegible] تعظيم [illegible] سرا وعلانية يحتمل على اتفاق كيف ما تهيا سرا فالك
وان لم [illegible] علانية [illegible] فان ترك الخير مخافة الريا فيه انه مراءاة عين الريا ويمكن ان يكون
المراد ستر الصدقة وعلانية اي الزكوة فان الاعلان بالزكوة كالاعلان بالفرض وهو مستحب وقوله يرجون تجارة
لن تبور اشارة الى الاخلاص اي ينفقون لا ليقال انه كريم ولا لشي من الاشيا غير وجه الله فان غير الله بائر والتاجر
فيه تجارته بائرة وقوله تعالى ليوفيهم اجورهم اي ما يتوقعونه ولو كان امرا بالغا الغاية ويزيدهم من فضله ان يعطيهم
ما لم يخطر ببالهم عند العمل ويحتمل ان يكون ويزيدهم النظر اليه كما جاء في تفسير الزيادة انه غفور عند اعطا الاجور شكور
عند اعطا الزيادة ثم قال تعالى والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق لما بين الاصل الاول وهو وجود الله
الواحد بانواع الدلايل من قوله والله الذي ارسل الرياح وقوله والله خلقكم وقوله الم تر ان الله انزل ذكر الاصل الثاني
وهو الرسالة وقال والذي اوحينا اليك هو الحق واشار الى الذين يتلون كتاب الله يعني اجورهم
فكذلك الذي اوحينا اليك هو الحق يتوفر لما بين من اجر التواب في تلاوة كتاب الله فانه حق وصدق فتاليه محق
ومحقق وفي تفسيرها مسايل الاولى قوله من الكتاب يحتمل ان يكون لبيان الغاية كما قال ارسل الى كتاب من الامير والوالي
وعلى هذا فالكتاب يحتمل ان يكون المراد منه اللوح المحفوظ يعني الذي اوحينا من اللوح المحفوظ اليك حق ويحتمل ان يكون
المراد هو القرآن يعني الارشاد والتبيين الذي اوحينا اليك من القرآن ويحتمل ان يكون للبيان كما قال لبست ثوبا من القماش
والثياب جملة المسئلة الثانية قوله هو الحق آكد من قول القايل الذي اوحينا حق من وجهين احدهما ان تعريف الخبر
يدل على ان الاخبار في غاية الظهور لان الخبر في الاكثر يكون نكرة لان الاخبار في الغالب يكون اعلاما بثبوت امر غير معلوم للسامع
به ام يعرفه السامع كقولنا زيد قام فان السامع ينبغي ان يكون عارفا بزيد لا يعلم قيامه فيخبر به فاذا كان الخبر ايضا
معلوما فيكون الاخبار للتنبيه فيعرفان بالكلام كقولنا زيد العالم في هذه المسئلة اذا كان علمه مشهورا المسئلة الثالثة
قوله مصدقا حال مؤكدة لكونه حقا لان الحق اذا كان لاحقا فيه ومن كتب الله يلزم خالصا عن احتمال البطلان
وفي قوله مصدقا تقرير لكونه وحيا لان النبي عليه السلم لما لم يكن قاريا كاتبا واتى ببيان ما في كتب الله لا يكون ذلك الا من الله
تعالى وصواب عن سوال الكفار وهو انهم كانوا يقولون بان التوراة ورد فيها كذا والانجيل ذكر فيه كذا وكانوا يفترون
من التثليث وغيره وكانوا يقولون بان القرآن فيه خلاف ذلك فقال تعالى التورية والانجيل ما بقيا على ما نزلا وبسبب تغيرهم فهذا
القرآن لما ورد فيه ان كان في التوراة نص وباق على ما انزل ولم يكن فيه وكشف خلافه هو ليس من التوراة
فالقرآن مصدق للتوراة وفيه وجه آخر وهو ان هذا الوحي مصدق لما تقدم لان الوحي لو لم يكن وجوده لكذب
من تقدم عيسى عليه السلام في انزال التورية والانجيل فاذا وصل الوحي ونزل على محمد عليه السلم علم جوازه وصدق به ما تقدم وعلى هذا
فيه لطيفة وهي ان الله تعالى جعل القرآن مصدقا لما مضى مع ان ما مضى ايضا مصدق له لان الوحي اذا نزل على واحد
جاز ان ينزل على غيره ومحمد عليه السلم ولم يجعل ما تقدم مصدقا للقرآن لان القرآن لكونه معجزا يكفي في تصديقه بانه وحي واما
ما تقدم فلا بد معه من معجز يصدقه المسئلة الرابعة قوله ان الله بعباده لخبير بصير فيه وجهان احدهما انه تعريض لكونه هو
الحق لانه وحي من الله والله خبير عالم بالبواطن بصير عالم بالظواهر فلا يكون باطلا في وحيه لا في الباطن ولا في الظاهر
وثانيهما انه يكون جوابا لما كانوا يقولونه انه لم لم ينزل على رجل عظيم فقال ان الله بعباده خبير يعلم بواطنهم وبصير يرى

ظواهرهم

فاخترنا محمدا ولم نختر غيره فهو اصلح من الكل ثم قال تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا اتفق اكثر المفسرين على
ان المراد من الكتاب القرآن وعلى هذا فالذين اصطفينا هم الذين اخذوا الكتاب وهم المومنون والظالم والمقتصد والسابق
كلهم منهم ويدل عليه قوله تعالى جنات عدن يدخلونها اخبر بدخولهم الجنة وكلمة ثم ايضا تدل عليه لان الايراث اذا كان بعد الايحا
ولا كتاب بعد القرآن فهو الموروث والايراث المراد منه الاعطا بعد ذهاب من كان بيده المعطى ويحتمل ان يقال المراد من الكتاب
هو جنس الكتاب كما في قوله تعالى جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير والمعنى على هذا انا اعطينا الكتاب الذين
اصطفينا وهم الانبيا ويدل عليه ان لفظ المصطفى على الانبيا اطلاقه كثير ولا كذلك على غيرهم وقوله من عبادنا ذلك
على ان العباد اكابر مكرمون لانا نبينا انه اليهم المصطفين فمنهم اشرف فيهم من يليق ان يكون اشرف من الذي يكون ظالما
ثم ان لفظ الظالم اطلقه الله في كثير من المواضع على الكافر وسمى الشرك ظلما وعلى العصاة ان يكون الظلم الجلي فيه وجرى له
عن السيئات فان قال قائل كيف واقع في من ذكر في حقه انه من عباده وانه مصطفى ظالم مع ان الظالم مطلق في
الكافر في كثير من المواضع ونقول المومن عند المعصية يضع نفسه في غير موضعها فهو ظالم لنفسه حال المعصية واليه
الاشارة بقوله عليه السلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وصح هذا ما قال عمر رضي الله عنه عن النبي عليه السلم ظالمنا مغفور له
وما قال آدم مع كونه مصطفى ربنا ظلمنا انفسنا واما الكافر فيضع قلبه الذي هو اعتبار الجد في غير موضعه فهو ظالم
على الاطلاق واما ما يقولون فيحتمل وجوها [illegible] في الكافر [illegible] محبته الله وتحمل الى الثلاثة
اقوال كثيرة احدها الظالم هو الراجح السيئات والمقتصد هو الذي تساوت سيئاته وحسناته والسابق هو الذي ترجحت حسناته
ثانيها الظالم هو الذي ظاهره خير من باطنه والمقتصد من تساوى ظاهره وباطنه والسابق من باطنه خير ثالثها
الظالم هو الموحد الذي بنسبته التوحيد بقلبه التوحيد ايضا الظالم صاحب الكبيرة والمقتصد صاحب الصغيرة والسابق المعصوم
خامسها الظالم التالي للقرآن غير العالم به العامل بموجبه والمقتصد التالي العالم والسابق التالي العالم العامل سادسها
الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم سابعها الظالم اصحاب المشئمة والمقتصد اصحاب الميمنة والسابق
السابقون ثامنها الظالم الذي يحاسب فيدخل النار والمقتصد الذي يحاسب فيدخل الجنة والسابق الذي يدخل الجنة
بغير حساب تاسعها الظالم المصر على المعصية والمقتصد هو التائب والسابق هو المقبول التوبة عاشرها
الظالم الذي اخذ القرآن ولم يعمل به والمقتصد الذي عمل به والسابق هو الذي اخذه وبين للناس العمل به فعملوا به فهو كامل ومكمل
والمقتصد كامل والظالم ناقص والمختار هو ان الظالم من خالف فترك اوامر الله وارتكب مناهيه فانه واضع
للشي في غير موضعه والمقتصد هو المجتهد في ترك المخالفة وان لم يوفق لذلك وندر منه ذنب وصدر عنه اثم فانه
اقتصد واجتهد وقصد الحق والسابق هو الذي لم يخالف بتوفيق الله ويدل عليه قوله تعالى باذن الله اي
اجتهد ووفق لما اجتهد فيه وفيما اجتهد فيه فهو سابق بالخيرات يقع في قلبه شي فيميل بسببه النفس و
المقتصد يقع في قلبه فيرده النفس والظالم تغلبه النفس ونقول بعبارة اخرى من
غلبته النفس الامارة وامرته فاطاعها ظالم ومن جاهد نفسه فغلب تارة وغلب اخرى فهو المقتصد ومن قهر
نفسه فهو السابق وقوله ذلك هو الفضل الكبير يحتمل وجوها احدها التوفيق المذكور في قوله تعالى باذن الله
هو الفضل الكبير ثانيها السبق بالخيرات هو الفضل الكبير ثالثها الايراث تنزل كبرها على الوجه المشهور
من المفسرين اما الوجه الآخر وهو ان يقال ثم اورثنا الكتاب اي جنس الكتاب كما قال تعالى جاءتهم رسلهم بالبينات
وبالزبر وبالكتاب المنير يدل على انه ارسله احدها ثم للتراخي واتينا الكتب بعد ما جاء النبي عليه السلم مكث فيها المراد
بكلمة ثم سوال معناه ان الله تعالى خص بعض خيرهم وافردهم بايتاء الكتاب كانه قال تعالى انا قسمنا البواطن
والظواهر فاصطفينا عبادا ثم اورثناهم الكتاب فانها كيف يكون من الانبيا ظالم لنفسه نقول منهم غير
راجع الى الانبيا المصطفين بل المعنى ان الذي اوحينا اليك هو الحق وانت المصطفى كما اصطفينا رسلنا واتيناهم
كتبنا ومنهم اي من قومك ظالم كفر بك وبما انزل اليك ومقتصد آمن به ولم يات بجميع ما فيه وسابق آمن وعمل صالحا

ثالثها قوله جنات عدن يدخلونها الداخلون هم المذكورون وعلى ما ذكرنا يمكن الظالم داخلا يقول الداخلون
هم السابقون واما المقتصد فامره موقوف او يدخل النار اولا ثم يدخل الجنة والبيان الاول اقرب لما بعده ويدل عليه قوله
يحلون فيها فانه يذهب ذلك الى اذهب عنا الحزن ثم قال تعالى جنات عدن يدخلونها والا فالداخلون جمع احدها
الاقسام الثلاثة وهي على قولنا ان الظالم والمقتصد والسابق اقسام المومنين والتالين من يتلون كتاب الله والثالث هم
السابقون فهم اولى بالقرب ذكرهم ثانيه ذكر اكرامهم بقوله يحلون والمكي هو الابرس هل هذا فيه اي كان الاولى ان يقدم
الفاعل على الفعل وتاخير المفعول عنه هو اولى ليس لمعنى اذا كان المفعول حقيقيا كقولنا الله خلق السموات فهو لك
القائل لم يذكر بين الجلالة فان الله موجود قبل كل شيء ثم له فعل وهو الخلق ثم حصل به المفعول وهو السموات وكذلك
زيد ثم البنا ثم الجدار من بنائه واما اذا لم يكن المفعول حقيقيا كقولنا زيد دخل الدار وضرب عمرا فان الدار في الحقيقة
ليس مفعولا لزيد وانما فعل من افعاله تحقق بالنسبة الى الدار وكذلك عمرو فعل من افعال زيد تعلق به يسمى مفعولا لحصل
هنا الترتيب ولكن الاصل تقديم الفعل على المفعول لهذا ابتدا المفعول المقدم بالفهم يقول عمرا ضرب زيد فتوجه
تقديم الفعل بالهاء العائد اليه وحينئذ يطول الكلام فلا يختاره الحكيم الا لفائدة فما الفائدة في تقديم الجنات
على الفعل الذي هو الدخول واعادة ذكرها بالهاء في يدخلونها واما التاخير فقد قلنا وهو يقول العائد يدخلون
جنات عدن يقول السامع اذا علم ان له مدخلا من المداخل وله دخول ولم يعلم عين المدخل فاذا قيل له
انت تدخل فالى ان يسمع الدار او السوق يبقى متعلق القلب بانه في اي المداخل يكون فاذا ذكر له الدار ينتظر لما يذكر
الله يعلم مدخله وهنا عند من العلم السابق بانه دخول يعلم الدخول فلا يبقى له توقف ولاسيما الجنة والنار
فان بين المدخلين بونا بعيدا السابق يحلون فيها اشارة الى سرعة الدخول فان التحلية لو وقعت
خارجها لكان فيها تاخير الدخول فقال يدخلونها وفيها تحليتهم السابقة فهم من اساور جمع الجمع فانه جمع
اسورة وهي جمع سوار وقوله لباسهم ليس كذلك لان الاكثار من اللباس يدل على حاجة من دفع برد او غيره والاكثار
من الزينة لا يدل الا على الغنى السابع ذكر الاساور من بين سائر الحلي في كثير من المواضع منها قوله تعالى
وحلوا اساور من فضة وذلك لان التحلي بمعنيين احدهما اظهار كون المتحلي غير مبتذل في الاشغال لان التحلي لا يكون
حالة الطبخ والغسل وثانيهما اظهار الاستغناء عنها بما اظهار القدرة على الاشيا وذلك لان التحلي اما باللالي والجواهر
واما بالذهب والفضة والتحلي بالجواهر واللالي يدل على ان المتحلي لا يعجز عن الوصول الى الاشيا الكثيرة
عند الحاجة حيث لم يعجز عن الحصول الى الاشيا القليلة الوجود لحاجة والتحلي بالذهب والفضة يدل على انه
غير محتاج حاجة اصلية والا لصرف الذهب والفضة الى دفع الحاجة اذا عرفت هذا فنقول الاساور محلها
الايدي واكثر الاعمال باليد فانها للبطش فاذا حليت بالاساور علم الفراغ والذهب واللولو اشارة الى النوعين
اللذين منهما الحلي ثم قال تعالى وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن في الحزن اقوال كثيرة والاولى
ان يقال المراد اذهب عنا كل حزن ولا اشتغال للنفس بالجنس واستغراقه واذا قلنا ما الحزن لحصول كل ما ينبغي وبقائه
دائما فان ... منه لو لم يحصل لكان الحزن موجودا بسببه ولو حصل ولم يدم لكان الحزن عند ذهابه موجودا
... ذلك وهو في فواته ولهذا اثبتنا للعصور الكل ذكر الله عنهم امورا كلها تفيد الكرامة
منها الاول الحمد فان الحامد مثاب الثاني قولهم ربنا فان الله مرتبا وبهذا اللفظ الدعا مستجاب قال الله
لهم ... الوجه ... بحركة لترد الى الدنيا من الغرم الثالث قولهم غفور الرابع
قولهم شكور والغفران اشارة الى ما عفا لهم في الاخرة ما بعد لهم من الجنة في الدنيا والشكور اشارة الى ما نحبهم
الله ويتبعهم بسبب ما يحل لهم في الاخرة من الجنة ثم قال تعالى الذي احلنا دار المقامة اي الاقامة
لما ذكر الله سرورهم وذكر منهم تحليتهم وذكر عظائم الجنات تبين سرورهم ببقائهم فيها واعلمهم بدوامها حيث
قالوا الذي احلنا دار المقامة اي الاقامة والمفعول قد يجي للمصدر من كل باب يقال ادخله مدخلا ... تعالى
مثل

مدخل صدق وقال تعالى ومزقناهم كل ممزق وكذلك المستخرج والمستخرج ذلك لان المصدر هو المفعول في الحقيقة
فانه هو الذي فعل فجاز اقامة المفعول مقامه وفي قوله دار المقامة اشارة الى ان الدنيا منزلة ينزلها المكلف
ويرتحل عنها الى منزلة القبور ومنها الى منزلة العرصة التي فيها الجمع ومنها التفريق وقد تكون النار لبعضهم منزلة اخرى
والجنة دار البقا وكذلك النار لاهلها وقوله من فضله اي بحكم وعده لا بايجاب من عنده ويحتمل ان يقال لا يمسنا فيها نصب
ولا يمسنا فيها لغوب اللغوب الاعيا والنصب هو السبب للاعيا فان قال قائل اذا بين انه لا يمسهم تعب علم انه لا يمسهم
لغوب ولا ينبغي للمتكلم الحكيم ان يثبت ثم ينفي مسببه بحرف العطف فلا يقول القائل ما شبعت ولا اكلت
والعكس كثير فانه يقال ما شبعت ولا اكلت لما ان نفي الشبع لا يلزمه انتفاء الاكل وسياق ما نقول لا يمسنا فيها الاعيا
والشغل فنقول ما قال الله في غاية الجلالة وكلام الله اجل وبيانه اجمل ووجهه هو انه تعالى بين مخالفة الجنة لدار الدنيا
فان الدنيا اماكنها على قسمين احدها موضع تشق فيه المشاق والمتاعب كالبراري والصحاري والطرقات والاراضي و
الاخر موضع تظهر منه الاعيا كالبيوت والمنازل التي في الاسفار من الخانات فان من يكون في مباشرة شغل لا تظهر عليه
الاعيا الا بعد ما يستريح فقال تعالى لا يمسنا فيها نصب اي ليست الجنة كالمواضع التي في الدنيا مظان المتاعب بل هي افضل
والمواضع التي هي مواضع مرجع المتعب فقال لا يمسنا فيها لغوب اي لا نخرج منها الى مواضع نتعب ونرجع اليها فيمسنا
فيها الاعيا وقرئ لغوب بفتح اللام والترتيب على هذه القراءة ظاهر كانه قال لا نتعب ولا يمسنا ما يصلح له ذلك وهذا لان
اللغوب السوء الذي اذا قال ما تعبنا اليوم انتهى من كلامه انه ما عمل شيئا لجواز انه عمل عملا لم يكن بالنسبة اليه متعبا لقوته
فاذا قال ما مشى ما يصلح ان يكون متعبا فيفهم منه انه لم يعمل شيئا لان نفس العمل يصلح ان يكون متعبا الضعيف او متعبا بسبب كثرته
واللغوب هو ما يغلب منه وقيل النصب التعب الممرض وعلى هذا المعنى الترتيب ظاهر فنقول قال لا يمسنا فيها مرض ولا دون
ذلك وهو الذي يعيي منه ... ثم قال تعالى والذين كفروا لهم نار جهنم عطف على قوله ان الذين يتلون
كتاب الله وبينهما كلام متعلق بالذين يتلون كتاب الله على ما بينا وقوله جنات عدن يدخلونها قد ذكرنا انه على بعض الاقوال
راجع الى الذين يتلون كتاب الله لا يقضى عليهم فيموتوا اي لا يستريحون بالموت بل العذاب دائم ولا يخفف عنهم من عذابها اي النار
وفيه لطائف الاولى ان العذاب في الدنيا ان دام كثر وقتل وان لم يقتل يعتاده البدن ويصير مزاجا فاسدا متمكنا
لا يحس به المعذب فقال عذاب نار الاخرة ليس كعذاب الدنيا اما ان يفني واما ان يالفه البدن بل هو في كل زمان شديد والمعذب
فيه دائم الثانية راعى الترتيب على احسن وجه وذلك لان الترتيب ان لا ينقطع العذاب ولا يفتر فقال لا يقضى ولا باقوى الاسباب
وهو الموت حتى يتمنون الموت ولا يجابون كما قال تعالى ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك اي بالموت الثالثة في المعذبين
الكفر بانه لا ينقص عذابهم ولم يقل بزيدهم عذابا وفي الدنيا بين ذكر الزيادة بقوله ... لما بين ان عذابهم
لا يخفف قال وهم يصطرخون فيها اي لا يخفف ولو اصطرخوا واضطربوا بل لا يخفف الله من عندهم
انعاما الى ان يطلبوه بل يطلبون ولا يجدون والاصطراخ من الصراخ وهو صوت المعذب وقوله ربنا اخرجنا
اي صارخين يقولون ربنا اخرجنا تفسير لصراخهم كلام وفيه اشارة الى ان المهم تعذيب لا تاديب وذلك
من الترتيب اذا قال المودب لا ارجع الى ما فعلت وبئسما فعلت تركه واما المعذب فلا يرى به حسن وذلك
لانه لما بين انه لا يكف عنهم بالكلية ولا يعفو عنهم بين انه لم يقبل منهم وعدا وهذا فان المحبوس يصبر لعله
يخرج من غير سؤال فاذا طال لبثه يطلب الاخراج من غير قطيعة على نفسه فان لم يفده يقطع على نفسه قطيعة
ويقول اخرجني افعل كذا وكذا واعلم ان الله تعالى وعيد الى من كان في الدنيا ضالا فهو في الاخرة ضال كما قال
ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى ثم انهم لم يعلموا ان العود الى الدنيا بعد ما كان كالمحال ... وهو قالوا
نعمل صالحا حين عرفوا ... استغاثة ... ولم نقولوا ... قال الله تعالى ... اولم نعمركم
على الفعل نعمركم ... التذكر فيه ... على العمل ... عن الذي كنا نعمل اشارة الى
الطرف ... لهم وكان الله تعالى ... في الاخرة ... ربنا زدنا لاحسن ...

نظر الى فعلك فان عذابنا انما هو نظر الى تضعيف الثواب الى كشف العذاب عنهم ونحن نحوج اليهم
نفعلك ابعامهم ونحن نحوج الى كشف العذاب عنهم الى تضعيف الثواب فان تعذيبنا انما هو نظر الى فعلك
لم يتحمل بنا لم يحت لفعله نظر الى عدلك وانظر الى معتقدك الباطلة ولا ننظر الى معتقدنا الباطلة
وكان يعلمه الموحد في الدنيا هداه في العقبى حين دعاه بارب وقال الى الحاجة واني عليه باطيب ثناء
عنده انابه فقالوا الحمد لله وقالوا ربنا لغفور شكور اعترافا بتقصيرهم شكرا لما انعم بقبول طاعاتهم القليلة
وقالوا الذي احلنا دار المقامة من فضله الى الاعمالنا بالنسبة الى نعم الله وهم يا لها من جنة نعمها اتم من طاعتهم
واعترافا على الاعراف بعجزهم من اتيان بما ثنا يستحقه ثم انه تعالى بين ان ما يتعلق بقول المحق
من العمر الطويل وما يتعلق بالفاعل من البيانات التي عليه السلم كما على الحزن منهم ومظهر الحالات فقال اولم نعمركم
الذين ثمان الموانع المركب فيهم حسنة لم يمكنوا من النظر فلا انزل والمراد بكبر غير مسلمهم حسنة تنزل عليهم
ابو سلمهم ما قال تعالى فذوقوا فما للظالمين من نصير وتوله فذوقوا اشاره الى الدوام ادهو امر اهانة
فما للظالمين الذين وضعوا اعمالهم واقوالهم في غير موضعها واتوا بالمعذرة في غير وقتها من نصير في ساحة
بنصرهم بالشفاعة ولا قوة لهم من الظالمين بعض الحكماء فهو انما للظالمين من نصير تنبيه على انه
الجاهل جهلا مركبا وهو الذي يعتقد الباطل حقا في الدنيا والله من نصير فمن هم في القرى ينقمهم والذي يدل عليه
قوله تعالى يحيى البرهان سلطانا كما قال فاتوا بسلطان والسلطان البرهان او هو القوة والولاية
وكلاهما يبعد والحق التفهم لان الله ينصر وليس عنده نصيرا فالهم من نصير املا وهو نصير ان الله تعالى
مالك العز على الظالمين انصار ويقال ليس لك من فضل الله بعدها لهم من ناصر يعدلك ويقال ما للظالمين من نصير
ان هداوية كونهم واقفين في النار فقد ابيس كل منهم من تحسر من كانوا يتوقعون منهم النصرة ولم يتلك الا من يرحمهم
من الله تعالى ما لكم من نصير اصلا فهنا كان الامر محكيا في الدنيا او في اوائل الحشر يسئل كانوا يتوقعون
منهم النصرة يعم الله بهم ثم قال تعالى ان الله عالم غيب السموات والارض يعني لو ردهم في العذاب فذلك
نعمه ان الله تعالى لما قال لمن الحشر السيئة شبه مثلها فالمعراد على العذاب فلما انه الكفر بالله لم ما يعلمه
كان يقول لا يعرب الا مثقال ذلك الايام فقال تعالى ان الله لا يخفى عليه غيب السموات فلا يخفى عليه ما في الصدور وكان
يعلم من الكافر انه في قلبه يمكن الكفر بحيث لو دام الحلم الى ما شاء الله لما عبد وفيه تقال ذات الصدور مثله مذكرناه
مرة وتحقيقها الحرف ومعنى انه عالم بعيوب الصدور من الاعتقادات والظنون فكيف يخفى الله له اعتقادا وذاك
الصدور يتقرر السؤال فانهم ارجعنا في الامر وذات ذلك الكائن فيها ذلك كذلك العذر فيه اعتقاد بها
لما كان اعتبار العذر بما فيه صار فانه كما انه التاكيد حين لا بعناك الا ولد لزيد ويصح لزيد ذو ولد وما
وان كان تعنونها ثم قال تعالى وهو الذي جعلكم خلائف في الارض من قبل الحق حين فانكم لما قالوا ربنا
اخرجنا نعمل صالحا وقال تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر اشاره الى الحكمة ولا مهلة حين يمكن فيها المعرفة بذكر وما
امنتم ثم زاد عليه بقوله وجاءكم النذير انا ارسلنا عليكم من يوقظ العقول بالدلائل المسؤول ثم ادعى ذلك
بقوله تعالى هو الذي جعلكم اي نبهكم من حالي من امضى فانكم لو لم يحصل لكم علم بان من كذب الرسل اهلك
لكان عنادكم اخفى ولكن اصف تلك امهلتم وعمرتم ثم ذا امرتم على لسان الرسل بما امرتم وجعلتم خلائف في الارض
انى خليفة بعد خليفة تعلمون حال الماضين وتصبحون بحالهم راضين فمن كفر بعد هذا كله فعليه كفره
ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا لان الكافر السابق كان ممقوتا كالعبد الذي لا يخدم سيده والالحق الذي
انذره الرسول وطن منه اشقنت كالعبد الذي ينصحه الناصح وبامره بخدمة سيده ويعده ويوعده ثم نصحهم النصح
ولا يشعله والناس لم الذي لا عذاب نفس بعده ولم يخش عذابه امقت الكل ثم قال تعالى ولا يزيد الكافرين
كفرهم الا خسارا لاي الكفر لا ينفع عند الله حيث لا يزيدهم الا المقت ولا ينفعهم في انفسهم حيث لا ينفعهم الا الخسار
فان العمر كرأس مال من اشترى به رضى الله ربح ومن اشترى به سخطه خسر ثم قال تعالى قل ارايتم شركاءكم

الذين

الذين تدعون من دون الله تقريرا للتوحيد وابطالا للاشراك وقوله ارايتم المراد منه اخبروني لان الاستفهام يستدعي
سؤال العالم اراني ماذا فعل زيد فيقول السامع باع واشترى ولولا تضمنه معنى اخبرني لما كان الجواب ثم قوله
اروني وقوله شركاءكم انما اضافهم اليهم من حيث ان الاصنام في الحقيقة لم تكن شركاء الله وانما هم جعلوها شركاء فقال
شركاءكم اي الشركاء بجعلكم ويحتمل ان يقال شركاءكم اي شركاءكم في النار لقوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
وهو غريب ويحتمل ان يقال من بعيد ان يقال المفترين على الله ونهاه اروني بدل عن ارايتم لان كليهما يتضمن معنى اخبرني
ويحتمل ان يقال في قوله اروني استفهام حقيقي واروني امر تعجيز للتبيين فلما قال ارايتم يعني اعلمتم هذه التي تدعونها
كما هي على ما هي عليه من العجز او تتوهمون فيها قدرة فان كنتم تعلمونها عاجزة فكيف تعبدونها وان كان وقع لكم ان لها قدرة فاروني
قدرتها في اي شيء هي اهي في الارض كما قال بعضهم ان الله اله السماء وهؤلاء الهة الارض وهم الذين قالوا امور الارض من الكواكب
والاصنام صورها ام هي في السموات كما قال بعضهم ان السماء خلقت باستعانة الملائكة والملائكة شركاء في خلق السموات
وهذه الاصنام صورها ام قدرتها في الشفاعة لكم كما قال بعضهم ان الملائكة ما خلقوا شيئا ولكنهم مقربون عند الله فنعبدها
ليشفعوا لنا فهل معهم كتاب من الله فيه اذن لهم بالشفاعة وقوله ام اتيناهم كتابا في الحقيقة يبطل العقل حجة فلما بطل انه
عابد الى الشركاء ارهل اثبتنا الشركاء كتابا وهذا مما يعلم انه يبطل المشركين الى هل اثبتنا المشركين كتابا واعطينا اليه فمعناه ما ذكرنا
ان هل هو ما جعل شركاء كتاب من الله فيه ان لهم شفاعة عند الله فان لهم شفع عليه الا باذنه وفي البيان
معناه ان عبادة هؤلاء اما بالعقل ولا عقل لمن يعبد منهم على ما لا يضر حيزا من الاجزاء وما في السماء شيئا واما بالنقل
ونحن ما اتينا المشركين كتابا فيه امرنا بالسجود لهم ولو امرنا لجاز كما امرنا بالسجود لادم والتوجه الى الكعبة فهي العبادة
لا عقلية ولا نقلية فوقوعها بعضهم بعضا ليس الا غرورا اغراهم الشيطان وزين لهم عبادة الاصنام ثم لما بين انه لا خلق للاصنام
ولا سبيل لها على جزء من الاجزاء بين ان الله تعالى قادر بقوله ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ويحتمل ان يقال لما
بين شركهم قال مستعين شركهم زوال السموات والارض كما قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر
الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا ويدل على هذا قوله تعالى في اخر الاية انه كان حليما غفورا كان حليما ما ترك تعذيبهم
الا حلما منه والا كانوا يستحقون اسقاط السماء وانطباق الارض عليهم وانما اخر ازالة السموات بقيام الساعة حلما ويحتمل
وجها اخر هو ان يكون ذلك من باب التسليم واثبات المطلوب على تقدير التسليم ايضا كانه قال تعالى شركاءكم ما خلقوا من الارض شيئا
ولا في السماء جزءا ولا قدروا على الشفاعة فلا عبادة لهم وهب انهم فعلوا شيئا من ذلك فهل يقدرون على امساك السموات والارض
ولا يمكنهم القول بانهم يقدرون لانهم ما كانوا يقولون به كما قال تعالى عنهم ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
ويؤيد هذا قوله ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده فاذا تبين ان لا معبود الا الله من حيث ان غيره لم يخلق
شيئا من الاشياء وان قال كافر ان غيره خلق فما خلق مثل خلقه فلا شريك له وكان الله حليما غفورا حليما حيث لم يعجل
في اهلاكهم بعد ظهور ما كان منهم وغفورا لمن تاب ورحمه ولا يعجل العقاب ثم قال تعالى
واقسموا بالله جهد ايمانهم لما بين انكارهم للتوحيد ذكر تكذيبهم للرسول ومبالغتهم فيه حيث كانوا يقسمون
على انهم لا يكذبون الرسل اذا تبين لهم كونهم رسلا وقالوا انما نكذب محمدا عليه السلم لكونه كاذبا ولو تبين لنا كونه
رسولا لامنا كما قال تعالى عنهم واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم اية ليؤمنن بها وهذا مبالغة منهم
في التكذيب كما ان من يكذب انسانا ويقول والله لو علمت له شيئا على تقصيره وترديده له اظهارا
لكونه مطالبا بالباطل فكذلك ههنا عاندوا وقالوا والله لو جاءنا رسول لكنا اهدى لهم فلما جاءهم نذير
اي محمد جاءهم اي صح مجيئه لهم بالبينة ما زادهم الا نفورا فانهم قبل الرسالة كانوا كافرين بالله وبعدها صاروا
كافرين بالله وبرسوله ولانهم قبل الرسالة ما كانوا معذبين كما كانوا صاروا بعد الرسالة وقال بعض المفسرين
ان اهل مكة كانوا يلعنون اليهود والنصارى على انهم كذبوا برسلهم لما جاؤهم وقالوا لو جاءنا رسول لاطعناه
واتبعناه وهذا فيه اشكال من حيث ان المشركين كانوا منكرين للرسالة والحشر مطلقا فكيف كانوا يعترفون

بان اليهود والنصارى جاءهم رسل وان كانوا يعرفون بالرسل فمن اين عرفنا ان اليهود كذبوا لما جاءهم كتاب ولعله كان باتيه
وبيان رسوله من ان كانوا يعلمون المرسل كلهم حرفوا اشياء او كذبوا في شيء بل المراد ما ذكرنا انهم كانوا يقولون
نحن لو جاءنا رسول لا نشكره وانما نشك في كون محمد رسولا من حيث انه كاذب ولو صح كونه رسولا لاتبعنا وقوله فلما جاءهم
نذير ما زادهم الا نفورا فيه بحث وهو ان الصالحين يلحقهم هلك من يحق عليه وعلى هذا نقول بل لم
ان لما جاءهم بالمعجزة ... وجاء العصا ... الهم للتبيين كما يقول العالم زيد من الحق ... تعالى لما جاءهم نذير ... انهم لا يستبين السائر
... لما كانوا وكانوا يقولون يكون اهدى ... والحق ... لكونهم اهدى من احدى الامم كما يقول القائل زيد ... من عمرو
وفيه لطيفة وهي ان العصيان ... يكون العموم ... احدى الامم ... اهدى ان اتبه
محمد صلى الله عليه وسلم ومن كان ... ثم قال تعالى استكبارا في الارض ... الحق
انكم كانوا مستكبرين في الارض ... من الحق ...
ويمكر السيئ اضافة الجنس الى نوعه كما يقال علم الفقه وحرفة الحدادة ... اضيف المكر الى السيئ ... نعته او صفته ... احدهما
ليكن شيئا ... ثم قال ... والذين يمكرون السيئات ... الشاف
... بان المكر ... نحوا ... وذكرنا في قوله تعالى والذين يمكرون السيئات ... الاباطيل ... الرسول ... واظهاره الاباطيل
... من التعبد ... الناس من الرسول ...
ثم قال تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا باهله اي لا يحيط الا باهله وفي قوله لا يحيق ... باهله
فوائد احداها في قوله يحيق ... عن الهلاك ... من الحذر ... في قوله ولا
يحيق ... المكر السيئ الا باهله ... ان يكون ... بالمكر ... والثاني ... في قوله باهله
... المكر السيئ ... فلا يكون الا لاهله ... المكر السيئ
... الحصر ... المكر ... يحيق باهله ...
... المكر ... المكر ... على ... المكر
... المكر ... الجواب ... المكر المذكور ... هو المكر الذي مكروه مع النبي عليه السلام من العزم
على القتل والاخراج ولم يحق الا بهم حيث قتلوا يوم بدر وغيره ... المكر السيئ عام
... النبي عليه السلام نهى عن المكر واخبر عن النبي عليه السلام انه قال لا تمكروا ولا تعينوا
ماكرا فان الله تعالى يقول ولا يحيق المكر السيئ الا باهله ... الرجل الماكر ... فلا يرد
... ومن مكر ... المكر عاجلا في الظاهر ... في الحقيقة
... الدنيا ... ثم قال تعالى
... فهل ينظرون الا سنة الاولين ... يعني ... تماما
كاهلاك الاولين ... وقوله تعالى فهل ينظرون الا سنة الاولين انما ... الله ... سنة ...
... الى الفاعل والمفعول ... تعالى
... ضرب زيد عمرا ... كيف ضرب ... من ... والضرب ... كيف
ضرب ... الله ... من ... اهلهم ... اهلهم ...
... فلن تجد لسنة الله تبديلا ... سنة الله ... الاولين ...
سنة الاولين سنة الله ... على الاولين ... ان ...
... الى ... الى الله ...
... انه ... سنة الاولين ... على ... الله ... استحقوا ... وسنة الله
... سنة ... ولن تجد لسنة الله تحويلا ... والله ... تبديلا ولا تحويلا ... المسالة الثالثة

تحويلا

تحويلا في الحكمة ... بقوله فلن تجد لسنة الله تبديلا ان العذاب لا يتبدل بغيره وبقوله
ولن تجد لسنة الله تحويلا حصل العلم بان العذاب مع انه لا يتبدل بالثواب لا يتحول عن مستحقه الى غيره فيتم الهلاك المتعين
المسالة الرابعة المخاطب بقوله فلن تجد يحتمل وجهين وقد تقدم مرارا احدهما انه عام كانه قال فلن تجد ايها السامع
لسنة الله تبديلا والثاني ... مع محمد عليه السلام ... سنة الله انه لا يهلك ما بقي في القوم من كتب الله
... انه يؤمن ... كما قال نوح ... ولا يلدوا الا فاجرا كفارا ثم
قال تعالى اولم يسيروا في الارض فينظروا ... كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ... ليست بالدليل انهم
كانوا مارين على ديارهم ... علمهم كان ... ردهم ... اما ... العطول
... محمد ... كما ... محمد ... من تقدم ... وقوله
تعالى وكانوا اشد منهم قوة ... في سورة الروم ... هناك كانوا اشد منهم
وقال هاهنا وكانوا بالواو ... العالم ... اكرمني وهو اعظم منك يفيد ان العالم
يخبره بان هذا اعظم ... اكرمني وهو اعظم منك ... بل ...
لا يحتاج الى العلم من المتكلم ولا اخبار ... هذا ... كونهم اشد منهم قوة ... ولعل ذلك
كان ظاهرا عندهم ... كما ... نظرهم ... عنهم ... هناك المذكور ... كثيرة
فانه قال كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وعمروها اكثر ... الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا في الارض ... لم يكمل ... الارض
... ولكن ... طائفة ... عليهم ... طائفة ... منه و
... وقوله تعالى وما كان الله ليعجزه من شيء ... بيانا لهم ان ... الذين ... قوتهم
لا تعجز الله ... ولا يعجزه ... طمعا طماع الجهال ... لا ... الزمان ... ان
... والطول ... يتمكن ... من ... ما ... لما ... الكواكب
... ثم قال تعالى وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض انه كان عليما ... قديرا
قديرا على اهلاكهم واستيصالهم ثم قال تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة لما خوف
الله المكذبين ... عذابهم ... محمد ... عذابا ... فقال
الله تعالى للعقلاء ... ولو يؤاخذ الله الناس بنفس الظلم ... الناس
... الانسان ... الظلم
... الهلاك ... ولو يؤاخذ الناس بما كسبوا ما ترك الدابة ... الجواب
من وجوه احدها ان خلق الدواب نعمة ... الناس ... النعم ... المعتبرة ... الركب
والمكب المركب ... والناس ... الحيوان ... فان
... العناصر ... الانسان ... الانسان ...
العذاب ... الانسان ... الانسان ...
... الانسان ... الملاك ... والزرع
... الحيوان ... الملاك ... الملك
المطر انعام من الله ... الامطار ... الجفاف على وجه الارض
فيموت جميع الحيوانات ... وبسبب انقطاع الامطار يموت
حيوانات البر اما حيوان البحر فيعيش ... على ظهرها ... على الارض ...
... وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض

فهو وسلطه كما ان الصالحة لعود الهما اليهما واما ما ترك على ظهرها من دابة لان الدبث على ظهر الارض فان قيل كيف
يقال لما عليه يحلون من الارض وجه الارض وظهر الارض مع ان الوجه مقابل الظهر كالمتضاد نقول من حيث
ان الارض كالدابة الحاملة للاثقال والحمل يكون على الظهر يقال له ظهر الارض ومن حيث ان ذلك من المقابل للحمل المواجه
لهم وجهها على ان الظهر في مقابلة البطن والظهر والظاهر من باب والبطن والباطن من باب فوجه الارض ظهر لانه
هو الظاهر وغيره منها باطن وبطن المسئلة الثانية في دابة نوعين الى اجل مسمى وهو لاحدها الى يوم القيامة
وهو سمى مذكور في كثير من المواضع ثانيهما يوم لا يوجد من الخلق من يعبد على الاسلام لان الكل لقيه اجل وللكل
اجل كتاب واجل قوم محمد عليه السلام ايام القتل والاسر كيوم بدر وغيره المسئلة الرابعة ثم قال تعالى فاذا جاء اجلهم فان الله
كان بعباده بصيرا تسلية للمؤمنين وذلك لانه تعالى ما ترك على ظهرها من دابة وقال ثم نعثر من الذين ظلموا منكم
خاصة فقال لخلقها الهلاك فانه بالعباد بصير ان يشاء يجيبهم اذ يكشف عنهم نقريبا من انه لم يعذب بلا نظر
فيذكر قوله لا نظر يجد العلم وانما لو قدر خشى يجمع الناس في الهلاك ونقول بان الله تعالى
عند الاهلاك يهلك المؤمن يكشف بعد الموت ودلنا ان الدار الثاني للمؤمن مبوا اجلهم فذنب
ولا الهلاك اذا كان لا يعاد الثواب ليس باهلاك كما هو ليس والله لا يوجد الناس اما عند عموم الكفر ويتمم
يعني الفظ انما في التسلية من الفلم وعبد بان البصير بالشي الناظر اليه اولى بان يحاسب من الحاكم لما له دليل اراه

سورة يس

بسم الله الرحمن الرحيم يس والقرآن الحكيم وقد ذكرنا
كلاما كليا في حروف التهجي في سورة العنكبوت وذكرنا ان في كل سورة بدأ الله فيها بحروف التهجي كان في اوائلها
الذكر او التنزيل او الكتاب او ما يقوم مقامها ولنذكر ههنا ان الحاشية او ما سواه في ذكر هذه الحروف في اوائل السور امر انك
على انها غير خالية عن الحكمة ولكن علم الانسان لا يصل اليها بعينها فنقول اما ما هو الكلام من الحكمة فيها اما بيان انها ما دل
على الحكمة فهو ان الله تعالى ذكر من الحروف نصفها وهو اربعة عشر حرفا وهي نصف ثمانية وعشرين حرفا هي جميع الحروف
التي في لسان العرب على قولنا الهمزة الف متحركة ثم انه تعالى قسم الحروف ثلاثة اقسام تسعة احرف من الالف الى الذال وتسعة احرف اخر
في آخر الحروف من الفاء الى الياء وعشرة في الوسط من الراء الى الغين وذكر من القسم الاول حرفين هما الالف والحاء وترك سبعة
وترك من القسم الاخر حرفين هما الفاء والواو وذكر سبعة ولم يترك من القسم الاول ما هو حرف حلق والعين والا ولما لم يذكره
وهو كان لم يذكر من القسم الاخر من حروف الشفة الا والصاد لم يتركه من الميم والعشرة الوسط ذكر منها خمسا وترك خمسا
فذكر الراء وترك الزاي وذكر السين وترك الشين وذكر الصاد وترك الضاد وذكر الطاء وترك الظاء وذكر العين
وترك الغين وليس هذا امرا يقع اتفاقا بل هو ترتيب بمعرفة الحكيم واما ان تعينها غير خالية عن الحكمة فظاهر وهو ان   فهو
والصالح فيه هي ضما فاذا قلنا في كتب بعض السور بحرف كسورة ن وق وص وبعضها بحرفين كسورة حم
ويس وطس وطه وبعضها بثلاثة احرف كسورة الم وطسم والر وبعضها باربعة احرف كسورة المر والمص
وبعضها بخمسة احرف كسورة كهيعص وحم عسق وكهيعص وهي ان عاقلا يقول بان هذا اشارة الى ان الكلام اما حرف
واما فعل واما اسم والحرف كثيرا ما جاء على حرف كواو العطف وفاء التعقيب وهمزة الاستفهام وكاف التشبيه
وباء الالصاق وغيرها وجاء على حرفين كمن للتبعيض واو للتخيير ولم للاستفهام المتوسط وان للشرط وغيرها
ولا اسم ولا فعل من الحروف جاء على حرف كالى وعلى في الحروف والى وعلى في الاسم والا والى وعلى يعلو في الفعل
ولا اسم ولا فعل جاء على اربعة احرف ولا اسم خاصة جاء على خمسة ولا اربعة وخمسة كجحمرش وسفرجل وجردحل فما جاء
في القرآن اشارة الى ان تركيب العربية من هذه الحروف على هذه الوجوه فاذا نقول العاقل في تخصيص
بعض السور بالحرف الواحد والبعض باكثر منه لا يعلم تمام السر الا الله ومن اعلمه الله به اذا علمت هذا فنقول
اعلم ان العبادة منها قلبية ومنها لسانية ومنها بدنية ظاهرة وكل واحدة منها قسمان قسم عقل معناه وحقيقته

دفنم

وفهم بالعلم اما القلبية مع انها ابعد عن الشك والجهل فمنها ما لم يعلم دليله عقلا وانما وجب الايمان به واعتقاده سمعا
كالصراط الذي هو ادق من الشعر واحد من السيف ويمر عليه المؤمن كالبرق الخاطف والميزان الذي توزن به الاعمال
الهباء مثلا الاتي لا يثقل الناظر وكيفيات الجنة والنار فان هذه الاشياء وجودها لم يعلم بدليل عقلي وانما المعلوم بالعقل
امكانها ووقوعها معلوم مقطوع به بالسمع ومنها ما علم كالتوحيد والنبوة وقدرة الله وصدق الرسول وكذلك
في العبادات اللسانية ما علم معناه ومنها ما لم يعلم كمقادير النصب وعدد الركعات وقد ذكرنا الحكمة فيه وهي ان العبد اذا اتى بما امر به
من غير ان يعلم ما فيه من الفائدة لا يكون الا اتيا لمحض العبادة بخلاف ما لو علم الفائدة فربما يأتي به للفائدة وان لم يؤمر
كما لو قال السيد لعبده انقل هذه الحجارة من هاهنا ولم يعلمه بما في النقل فنقلها ولو قال انقلها فان تحتها كنزا هو لك ينقلها
وان لم يؤمر اذا علم ذلك فكذلك في العبادات اللسانية الذكرية وجب ان يكون منها ما لا يفهم معناه حتى اذا تكلم به العبد علم
منه انه لا يقصد غير الانقياد لامر المعبود الآمر الناهي فاذا قال حم يس الم طس علم انه لا يذكر ذلك لمعنى يفهمه
او يفهمه فهو يتلفظ به اقامة لما امر به البحث الثاني قيل في خصوص يس انها كلام هو نداء معناه
يا انسان وتقريره هو ان تصغير انسان انيسين وكانه حذف الصدر منه واخذ العجز وقال يا سين اي يا انيسين
فعلى هذا يحتمل ان يكون الخطاب مع محمد عليه السلام بدل عليه قوله تعالى بعده انك لمن المرسلين البحث الثالث
قرئ يا سين بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وهو قولنا هذه كانه قال هذه يا سين واما بالضم فعلى انه المنادى
او على انه مبني كحيث وقرئ يا سين بالنصب على معنى اتل يا سين واما بالفتح كانه كيف وقرئ يا سين بالكسر
كجير لالتقاء الساكنين وكذا ما قبلها ولا يكون ذلك بالجر لان القسم لا يجاب عن حاضر وليس فيه حرف قسم ظاهر
وقوله تعالى والقرآن الحكيم اي ذي الحكمة كعيشة راضية اي ذات رضا او على انه ناطق بالحكمة فهو كالحي المتكلم وقوله
انك لمن المرسلين فيه مسائل الاولى ان الكفار انكروا كون محمد مرسلا والمطالب تثبت بالدليل
لا بالقسم فما الحكمة في الاقسام نقول فيه وجوه الاول هو ان العرب كانوا يتوقون الايمان الفاجرة وكانوا يقولون
ان اليمين الفاجرة توجب خراب العالم وصحح النبي عليه السلام ذلك بقوله اليمين الكاذبة تدع الديار بلاقع ثم انهم كانوا
يقولون ان النبي صلى الله عليه وسلم يصيبه من آلهتهم عذاب وهي الكواكب وكان النبي عليه السلام يحلف بامر الله وانزال كلامه
عليه باشياء مختلفة وما كان يصيبه عذاب بل كان كل يوم ارفع شانا وامنع مكانا فكان ذلك يوجب اعتقاد انه
ليس بكاذب الثاني هو ان المتناظرين اذا وقع بينهم كلام وغلب احدهما الاخر بتمشية دليله واسكته
يقول المغلوب انك قررت هذا بقوة جدالك وانت خبير بضعف مقالك وتعلم ان الامر ليس كما تقول
وان اقمت عليه صورة دليل وعجزت انا عن القدح فيه وهذا كثير الوقوع بين المتناظرين فعند هذا يحتاج الغالب
من بدليل الى الايمان ان كنت المنقطع يقول في الدليل لوما قاله في الاول فلا يجد الا اليمين فيقول والله اني
لست مكابرا وان الامر على ما ذكرت ولو علمت خلافه لرجعت اليه فهاهنا يتعين اليمين فكذلك النبي عليه السلام
لما اقام البراهين وقالت الكفرة ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم وقالوا اتخذناه لما هم ان هذا الا سحر تعين التمسك
بالايمان لعدم فائدة الدليل الثالث هو ان هذا ليس مجرد الحلف وانما هو دليل خرج في صورة اليمين لان القرآن معجزة
ودليل كونه مرسلا هو المعجزة والقرآن كذلك فان قيل فلم لم يذكره في صورة الدليل وما الحكمة في ذكر الدليل في صورة اليمين
بل ما خرج في صورة الدليل قيل ان ذكر في صورة اليمين قد لا يقبل عليه سامع فلا يقبله فيتركه
فاذا ابتدئ به على صورة اليمين واليمين بعدها ما لا يستمع العظيم الذي على امر عظيم والامر العظيم تتوفر الدواعي على الاصغاء اليه
فلصورة اليمين تنشرئب اليه الاجياد ولكونه دليلا شافيا يتشرب به الفؤاد فيقع في السمع ويشرع في القلب
المسئلة الثانية كون القرآن حكيما علم لكون محمد رسولا فلم لم يقولوا ان هذا ليس بحكيم فنقول
الجواب عنه من وجهين احدهما ان كون القرآن معجزا بين فانكروه قيل لهم فاتوا بسورة من مثله والثاني ان الحالف
لا يثبت بيمينه الا اذا حلف بما يعتقد عظمته فالكافر حلف محمد انما يعتقد لو حلف بالصليب والصنم

ولو حلف بربنا الحق لا يتبق مثل ما ينطق لو حلف بدينه الباطل وكان من المعلوم ان النبي عليه السلم واصحابه يعظمون
القرآن فحلفه به هو الذي يوجب ثقتهم به وقوله تعالى على صراط مستقيم خبر بعد خبر انك على صراط مستقيم
والمستقيم اقرب الطرق الموصلة الى المقصد والدين كذلك فانه يوجهك الى الله وتولى عن غيره والمقصد هو الله
والمتوجه الى المقصد اقرب اليه من المولى عنه والمنحرف منه ولا نذهب فهم احد الى ان قوله انك لمن على صراط مستقيم
مميز له عن غيره كما يقال ان محمدا من الناس مختص الى ان جميع المرسلين على صراط مستقيم واما المقصود بيان كون
النبي عليه السلم على صراط المستقيم يكون عليه المرسلين وقوله على صراط مستقيم بيه معنى لطيف يعلم منه فساد قول
المباحية الذين يقولون المكلف يصير واصلا الى الحق فلا يبقى عليه تكليف وذلك من حيث ان الله بين
ان المرسلين ما داموا في الدنيا انهم سالكين سالكون منتهجون مهتدون منتهجون السبيل المستقيم فكيف ذلك الجاهل
الفاجر وقوله تعالى تنزيل العزيز فقرئ بالجر على انه بدل عن القرآن كانه قال والقرآن الحكيم تنزيل
العزيز الرحيم انك لمن المرسلين لتنذر وقرئ بالنصب وفيه وجهان احدهما مصدر فعل متروك كانه قال
نزل تنزيل العزيز الرحيم لتنذر ويكون بعد قوله القرآن لما لكتاب الثاني انه مفعول فعل متروك
كانه قال والقرآن الحكيم اعني تنزيل العزيز الرحيم انك لمن المرسلين لتنذر وهذا ما ذكره الزمخشري وقرئ
بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف كانه قال هذا تنزيل العزيز الرحيم لتنذر ويحتمل وجها آخر على قراءة الرفع
وهو ان يكون مبتدا خبره لتنذر كانه قال تنزيل العزيز للانذار وقوله العزيز الرحيم اشارة الى ان الملك اذا ارسل
رسولا فالمرسل اليهم اما ان يخالفوا المرسل ويهينوا المرسل وحينئذ لا يقدر الملك على انتقامهم الا اذا كان
عزيزا او يخافوا المرسل ويكرموا المرسل وحينئذ يرحمهم الملك او ينقل المرسل ليكون معه في رسالته منع
عنهم شيا والطلاق لما فيه ما للتنبيه بوكله العزة والطلاق يدل على الرحمة وقوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلهم
تفسيره في قوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك وقيل المراد الاثبات وفيه وجه آخر لتنذر قوما
انذر اباؤهم فتكون ما مصدرية الثاني ان يكون موصولة معناه لتنذر قوما الذي انذر اباؤهم فهم غافلون
على قولنا ما نافية تفسيره ظاهر فان من لم ينذر اباؤه يبعد من الرسالة عنه فهو يكون غافلا وعلى قولنا هي للاثبات
كذلك لان معناه لتنذرهم انذار اباءهم فانهم غافلون وفيه مسايل الاولى كيف يفهم التفسيرين احدهما
بمعنى لم يكن آباؤهم منذرين والاخر يقتضي ان يكونوا منذرين وبينهما تضاد نقول على قولنا ما نافية
معناه ما انذر اباؤهم الاولون ولا ينافي ان يكون المتقدمون من اباءهم منذرين والمتاخرون منهم غير منذرين
المسلة الثانية قوله لتنذر قوما ما انذر اباؤهم يقتضي ان يكون النبي عليه السلم مامورا بانذار اليهود لان
اباءهم انذروا نقول ليس كذلك اما على قولنا ما للاثبات فلا يقتضي ظاهر واما على قولنا هي نافية فكذلك وقد
يتاول ذلك في قوله تعالى بل هو الحق لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك وقلنا ان المراد ان اباءهم ما انذروا
بعد ضلالهم بعد الرسالة من تقدم فان الله اذا ارسل رسولا ما دام في القوم من يبين دين ذلك النبي ويامر
به لا يرسل الرسول في اكثر الامر فاذا لم يبق فيهم من يبين ويفصل الكل وتنسا عهد الهدى وتفشو الكفر
بعث رسولا آخر مقررا الدين من كان قبله او واضعا شرعا آخر فمعنى قوله تعالى لتنذر قوما
ما انذر اباؤهم اي ما انذروا بعدما ضلوا عن طريق الرسول المتقدم واليهود والنصارى كذلك خلوا فيه
لانهم لم تنذر اباؤهم الادنون بعدما ضلوا وهذا دليل على كون النبي عليه السلم مبعوثا الى الكل كافة المسلة
الثالثة قوله فهم غافلون دليل على ان البعثة لا تكون الا عند الغفلة اما الذي حصل لهم العلم بما انزل الله فانه لم يكن
فيهم من يبلغهم شريعته ويخالفون فانه يحق عليهم الهلاك ولا يمكن ذلك تعذيبا من قبل ان يبعث الله رسولا
وكذلك من خالف الامور التي لا تفتقر الى بيان الرسل يستحق الهلاك من غير بعثة وليس هذا اولا لمذهب
المعتزلة من التحسين والتقبيح العقلي بل معناه ان الله تعالى خلق في قوم علما بوجوب الشيا وتركه

لا يكونون

لا يكونون غافلين فلا يتوقف تعذيبهم على بعثة الرسل ثم قال تعالى لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون لما بين
ان الارسال والتنزيل للانذارات اتى لان النبي عليه السلم ليس عليه الهداية المستلزمة للاهتداء وانما عليه الانذار وقد
لا يومن من المنذرين كثير وفي قوله تعالى لقد حق القول وجوه المشهور ان المراد من القول هو قوله تعالى حق القول مني
لاملان جهنم منك وممن تبعك الثاني هو ان معناه لقد سبق في علمه ان هذا يومن وهذا لا يومن فقال في حق البعض
انه لا يومن وقال في حق غيره انه يومن فحق القول اي وجد وثبت بحيث لا يبدل بغيره والثالث هو ان يقال المراد منه
لقد حق القول الذي قاله الله على لسان الرسل من التوحيد وغيره وبان برهانه فاكثرهم لا يومنون بعد ذلك لان
من يتوقف لاستماع الدليل في حصلة النظر يرجى منه الايمان اذا بان البرهان فاذا تحقق واكثرهم ان لم يومن
الاكثرهم فاكثرهم تبين انهم لا يومنون بحق وفات رجا الايمان ولانهم لما لم يومنوا عند ما حق القول واستمروا فان
كانوا ابعد من يتنازح من البرهان عن العيان وعند العيان لا ينفعهم الايمان وقوله على اكثرهم على هذا
الوجه معناه ان من لم يبلغه الدعوة والبرهان قليلون فحق القول على حزب لم يوجد منه الايمان وعلى الاول
والثاني ظاهر فان اكثر الكفار ماتوا على الكفر ولم يومنوا وفيه وجه رابع وهو ان يقال لقد حق كلمة العذاب
العاجل على اكثرهم فهم لا يومنون وهو قريب من الاول ثم قال تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان
فهم مقمحون لما بين انهم لا يومنون بين ان ذلك من الله تعالى بقوله انا جعلنا وفيه وجوه احدها ان المراد
انا جعلناهم ممسكين لا ينفقون في سبيل الله كما قال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك الثاني ان الاية
في ابي جهل وصاحبيه المخزوميين حيث حلف ابو جهل انه يرضخ راس محمد فراه ساجدا فاخذ صخرة ورفعها
ليرسلها على راسه فالتزقت بيده ويده بعنقه والثالث وهو الاقوى واشد مناسبة لما تقدم هو ان ذلك
كناية عن منع الله اياهم عن الهدى وفيه ما يتم الذي هل للوجه الاول مناسبة مع ما تقدم من الكلام نقول
الوجه الاول له مناسبة وهي ان قوله تعالى فهم لا يومنون يدخل فيه انهم لا يصلون كما قال تعالى اقيموا الصلوة اي
صلوا كما عند بعض المفسرين والزكوة مناسبة للصلوة على ما بينا فكانه قال لا يصلون ولا يزكون واما على الوجه الثاني
فمناسبة خفية وهي انه لما قال لقد حق القول على اكثرهم وذكر ان المراد به البرهان قال بعد ذلك عاينوا
وابصروا ما يقرب من الضرورة حيث التزق بيده بعنقه ومنع من ارسال الحجر وهو يضطر الى الايمان ولم يومن
علم انه لا يومن اصلا والتفسير هو الوجه الثالث المسلة الثانية فهي راجعة الى ماذا نقول فيه وجهان احدهما
راجعة الى الايدي وان لم تكن مذكورة لكنها معلومة لان المغلول تكون ايديه مجموعة في الغل الى العنق وثانيهما
وهو ما اختاره الزمخشري انها راجعة الى الاغلال معناه انا جعلنا في اعناقهم اغلالا غلاظا بحيث
يبلغ الى الاذقان فلم يتمكن المغلول معها من ان يطاطي راسه المسلة الثالثة كيف يفهم من الغل في العنق المنع من
الايمان حتى يجعل كناية نقول المغلول الذي بلغ الغل ذقنه وبقي مقمحا رافع الراس لا يبصر الطريق الذي
عند قدمه وذكر بعده ان من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فهو لا ينفذ على الاهتداء السبيل وردسته وبعد ذلك من قبل
انك لمن المرسلين على صراط مستقيم فهذا الذي هداه النبي الى الصراط المستقيم العقل جعل ممنوعا كالمغلول الذي
يجعل ممنوعا من ابصار الطريق الحق ويحتمل وجها آخر وهو ان يقال الاغلال في الاعناق عبارة عن عدم الانقياد
فان المنقاد يقال فيه انه وضع راسه على الخط وخضع عنقه والذي في رقبته الغل الضخم الى الذقن لا يطاطي
راسه ولا يحركه تحريك المصدق ويقرى ويقال انهم مقمحون فان المقمح هو الرافع راسه كالمتابي يقال بعير قامح
اذا رفع راسه فلم يشرب الماء ولم يطاطيه للشرب والماء كالماء الزلال الذي به الحياة وكان تعالى قال انا جعلنا
في اعناقهم اغلالا فاهم مقمحون لا يخضعون لارباب الخوارق وعلى هذا يعلم قوله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا ليكون عنق
فهم اضل الله الا انهم يفعلون لان قوله وجعلنا من بين ايديهم سدا اشارة الى انهم لا يسلكون سبيل الرشاد فكانه قال
لا يتصون الحق ويتقادون له لكان السعداء ولا ينقادون لك ليسري الحقد الغل دليلا ان المقمح للاعناب الابتاع

الرسول اولا فيلوح له الحمايه ثانيا واما بظهور الامداد اولا واتباع الرسول ثانيا وهم يتبعون الرسول اولا لانهم مغلوبون فلا
[illegible] ثانيا ويته دم اخرهم وان
يظهر لهم الحق من الرسول ثانيا وان يظهر لهم الخذلان لانهم وانغمون في السد فلا يتبعون الرسول ثانيا
[illegible] المانع اما ان يكون في النفس او لا يكون خارجا عنها ولهم المانعان جميعا من الايات التي في النفس والغل واما مما كان خارج
فالسد لانه نطهم على انفسهم [illegible] الايات التي في انفسهم كما قال تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم وذلك لان المعنى
[illegible] نطهم على ان الافات [illegible] لا يبصرون الافاق فلا يشتمل لهم ايات
التي في انفسهم [illegible] انا جعلنا في اعناقهم وجعلنا من بين ايديهم اشارة الى عدم هدايتهم بايات الله في الانفس والافاق
وفي تعبيره تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا [illegible] السد من بين ايديهم ذكر ظاهر الفايده فانهم في الدنيا سالكون
ويسعون ان يسلكوا الطريقه المستقيمه ومن خلفهم سدا فلا يقدرون على السلوك واما السد من خلفهم فما فايدته فنقول
الجواب عنه من وجوه الاول ان الانسان له هدايه فطريه والكافر قد تركها وهدايه نظريه والكافر ما ادركها فكانه تعالى
يقول جعلنا من بين ايديهم سدا فلا يسلكون طريق الاهتداء التي هي نظريه وجعلنا من خلفهم سدا فلا يرجعون الى الهدايه
الجبليه التي هي فطريه الثاني هو ان الانسان مبداه من الله ومصيره اليه فعمى الكافر عن المبدا وعن المصير
الى الله كما اخلف من الاخوة والوصول [illegible] لكن له بد من سلوك طريق فان انسد الطريق
الذي قدامه فلا يمكنه سلوكه [illegible] الموضع الذي هو فيه [illegible] موضع
[illegible] المقصد ولكنه يرجع وان انسد الطريق من خلفه ومن قدامه والموضع الذي هو فيه [illegible]
[illegible] المسله الثالثه قوله تعالى فاغشيناهم
[illegible] عليهم [illegible]
لم يكن ذلك [illegible] ليس بعضها [illegible] فكانه تعالى قال انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فلا يبصرون
انفسهم [illegible] وجعلنا من بين ايديهم ومن خلفهم سدا فلا يبصرون الافاق وحينئذ يمكن ان يروا [illegible]
[illegible] وجعلنا على ابصارهم غشاوة فلا يبصرون شيا اصلا [illegible]
[illegible] وقدامهم [illegible] يمكن به [illegible]
[illegible] على سطح [illegible] فلا يبصرون شيا اما غشاوة الحجاب [illegible] شرط المرئي
[illegible] المسله الرابعه [illegible] من بين ايديهم ومن خلفهم [illegible] الحكمه
[illegible] الى الهدايه الفطريه والنظريه [illegible] ذلك [illegible]
العموم والمنع من انتهاج المناهج المستقيمه [illegible] السلوك [illegible]
[illegible] ما اليه توجههم [illegible] الله [illegible] من السلوك [illegible]
الكافر [illegible] اخرى [illegible] ان جعل السد [illegible] كان السد
[illegible] الى السد [illegible]
[illegible] لا يبصرون [illegible] الكافر مصدود وسبيل [illegible] عليه
مسدود [illegible] على الطريقه المستقيمه [illegible] ثم انه تعالى بين ان الانذار
[illegible] عليهم [illegible] لم تنذرهم [illegible]
[illegible] الى الايمان [illegible] او لا تنذرهم [illegible]
[illegible] سواء عليهم [illegible] ام لم تنذرهم [illegible]
بالنسبه الى النبي عليه السلام [illegible]
[illegible] عليه السلام [illegible] وسمعوا به لما كتب
عليهم [illegible] تعالى انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب [illegible]
[illegible] الانذار العام [illegible] التخصيص

نكتة

نكتة الجمع بينهما [illegible] الاول [illegible] لتنذر [illegible] كان [illegible]
انما تنذر [illegible] الانذار [illegible] من اتبع الذكر وخشي [illegible] قوله تعالى لما قال [illegible] الارسال
[illegible] العناد [illegible]
[illegible] العموم وانما تنذر [illegible] الانذار العام من اتبع الذكر كانه يقول يا محمد انك [illegible]
[illegible] من اتبع [illegible]
[illegible] قوله [illegible]
[illegible] نذير [illegible]
[illegible] المسله الثالثه قوله من اتبع الذكر [illegible] المهتدين [illegible] اتبع
[illegible] الثاني من اتبع [illegible] قوله تعالى [illegible] الذكر [illegible] الذكر
الثالث من اتبع البرهان [illegible] الذين [illegible]
تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء [illegible] قوله تعالى الذين امنوا وعملوا الصالحات [illegible] اتبع الذكر اي امن [illegible]
وخشي الرحمن اي عمل صالحا [illegible] فبشره بمغفرة واجر كريم [illegible] الايمان [illegible]
[illegible] الذين امنوا وعملوا الصالحات [illegible] مغفرة ورزق كريم [illegible] الذكر [illegible]
[illegible] قوله تعالى [illegible] الرحمن [illegible]
[illegible] الرحمه [illegible] الرحمن [illegible] فان كل من كان [illegible]
سبب رحمته [illegible] الخوف [illegible] اللطيفه [illegible] الله [illegible]
[illegible] قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن [illegible]
فالله اسم [illegible] والرحمن [illegible] الرحمن [illegible]
[illegible] الدليل [illegible]
درجه [illegible] الخشيه [illegible] المراد [illegible]
[illegible] الرساله [illegible]
[illegible] اتباع الذكر [illegible]
[illegible] على [illegible]
عليه انوار [illegible] واجر كريم [illegible] قال
تعالى انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا واثارهم [illegible] الرساله [illegible]
[illegible] الثلاثه [illegible] تعالى [illegible]
[illegible] في الدنيا [illegible] انا نحن نحيي الموتى
[illegible] خشيه الرحمن بالغيب [illegible] الموتى
[illegible] الاول انا نحن [illegible]
[illegible] العظيم [illegible]
[illegible] انا نحن [illegible]
[illegible] الموتى [illegible] يحيي الموتى [illegible]
[illegible] انا نحن [illegible] التوحيد [illegible]
انا [illegible] ابو عمرو [illegible]
ابن عمرو [illegible] انا نحن [illegible] الثلاثه

بذكره الرسالة والتوحيد والحشر المسئلة الثالثة قوله ونكتب ما قدموا فيه وجوه احدها المراد ما قدموا واخروا فاكتفى
باحدهما كما في قوله تعالى سرابيل تقيكم الحر والمراد والبرد ايضا وثانيها المعنى ما اسلفوا من الاعمال صالحة كانت او فاسدة
وهو كما في قوله تعالى بما قدمت ايديهم اي ما قدمته في الوجود على هذه الحياة فالنية تكتب قبل العمل فانها تكتب اولا وآثارهم
اي اعمالهم على هذا الوجه المسئلة الرابعة واثارهم فيه وجوه احدها اثار اقدامهم فان جماعة من الصحابة بعدت دورهم عن
المسجد فارادوا النقلة فقال عليه السلم ان الله يكتب خطواتكم ويثيبكم عليه فالزموا بيوتكم والثاني هي السنن الحسنة كالكتب
المصنفة والقناطر المبنية والحبائس الدارة والسنن السيئة كالظلامات المستمرة التي وضعها ظالم والكتب المضلة
وآلات الملاهي وادوات المناهي المعمولة الباقية وهي في معنى قوله عليه السلم من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها من
غير ان ينقص من اجر العامل شي ومن سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها فما قدموا هو افعالهم واثارهم
افعال الباقين فيثيبهم حيث يؤاخذون بها ويوجرون عليها والثالث ما ذكرنا ان الاثار الاعمال وما قدموا النيات
فان النية قبل العمل المسئلة الخامسة الكتابة قبل الاحيا فكيف اخر في الذكر حيث قال نحيي ونكتب ولم يقل نكتب
ما قدموا ونحييهم نقول الكتابة معظمة لامر الاحيا لان الاحيا ان لم يكن للحساب لا يعظم والكتابة في نفسها ان لم يكن احيا واما
عادة لا يبقى لها اثر اصلا فالاحيا هو المعتبر والكتابة موكدة معظمة لامره فلهذا قدم الاحيا ولانه تعالى لما قال
انا نحن نحيي وذلك يفيد العظمة والجبروت والاحيا عظيم يختص بالله والكتابة دونه فقرن الشريف
بالامر العظيم وذكر ما يعظم ذلك العظيم وقوله وكل شي احصيناه في امام مبين يحتمل وجهين احدهما ان يكون ذلك
لكتبة بعد ما قدموا واثارهم امرا محكوما عليهم لا يبدل فان القلم جف بما هو كائن فلا يكتب ما قدموا بين
ان يقال ذلك كتابة لقوله فان الله كتب عليهم انهم سيفعلون كذا وكذا ثم اذا فعلوا كتب عليهم انهم فعلوه وثانيها
ان يكون ذلك كالمعنى بقوله ونكتب ما قدموا في صحف اعمالهم فيحتمل ان لا يكتب شيئا ... فكانه لم يكتف
بكتبه ويحفظه ذلك في امام مبين وهذا كقوله تعالى علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ثالثها
ان يكون ذلك تعميما بعد التخصيص كانه تعالى قال نكتب ما قدموا وآثارهم وليس الكتابة مقصورة عليه بل كل شي محصي في امام
مبين وهذا يفيد ان شيئا من الاقوال والافعال لا يعزب عن علم الله ولا يفوته وهذا كقوله تعالى وكل شي
فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير يعني ليس ما في الزبر منحصرا فيما فعلوه بل كل شي مكتوب وقوله احصيناه ابلغ
من كتبناه لان من كتب شيئا مفرقا يحتاج الى جمع عدده فقال هو محصي فيه وسمي الكتاب اماما
لان الملائكة يتبعونه فما كتب فيه من اجل ورزق واحيا واماتة اتبعوه وقيل هو اللوح المحفوظ
والامام جاء جمعا في قوله تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم اي بائمتهم وحينئذ فالامام اذا كان فردا فهو ككتاب و
حجاب واذا كان جمعا فهو كجبال وحبال والمبين هو المظهر للامر لكونه مظهرا للملائكة ما يفعلون وللناس
ما يفعل بهم وهو الفارق يفرق بين احوال الخلق فيجعل فريقا في الجنة وفريقا في السعير ثم قال تعالى واضرب لهم
مثلا اصحاب القرية وفيه وجهان احدهما ان يكون ظاهره على الوجه الاول يقول لمحمد المعنى واضرب لاجلهم
مثلا والثاني ان يكون المعنى واضرب لاجل نفسك اصحاب القرية لهم مثلا اي مثلهم عند نفسك باصحاب القرية وعلى
الاول نقول لما قال الله تعالى انك لمن المرسلين وقال لتنذر قال لهم ما انا بدعا من الرسل بل قبلي بقليل جاء
اصحاب القرية مرسلون وانذروهم بما انذرتكم وذكروا التوحيد وخوفوا بالقيامة وبشروا بنعيم دار الاقامة
وعلى الثاني نقول لما قال الله تعالى ان الانذار لا ينفع من اضله الله وكتب عليه انه لا يؤمن قال للنبي عليه السلم
فلا تاس واضرب لنفسك ولقومك مثلا اي مثل لهم عند نفسك مثلا حيث جاءهم ثلثة رسل ولم يؤمنوا
وصبر الرسل على القتل والايذا وانت جئتهم واحدا وقومك اكثر من قوم الثلثة فانهم جاءوا اهل قرية وانت بعثت
الى العالم وفي التفسير مسائل الاولى ما معنى قول القائل ضرب مثلا وقوله تعالى واضرب مع ان الضرب في اللغة اما
الضرب باليد او بالسيف واما الضرب في الارض كما في قوله تعالى اذا ضربتم في الارض نقول قوله ضرب

مثلا

مثلا معناه مثل مثلا وذلك لان الضرب اسم للنوع يقال هذه الاشيا من ضرب واحد فقوله هنا ذلك من ضرب
واحد المسئلة الثانية اصحاب القرية معناه واضرب لهم مثلا مثل اصحاب القرية فترك المثل واقيم الاصحاب
مقامه في الاعراب كقوله واسال القرية هذا قول الزمخشري في الكشاف ويحتمل ان يقال لا حاجة
الى الاضمار بل المعنى اجعل اصحاب القرية لهم مثلا او مثل اصحاب القرية بهم المسئلة الثالثة اذ جاءها المرسلون
اذ منصوبة لانها بدل عن اصحاب القرية كانه قال تعالى واضرب لهم وقت مجي المرسلين ومثل ذلك الوقت
بوقت مجيئك وهذا ايضا قول الزمخشري وعلى قولنا ان هذا المثل مضروب لنفس محمد عليه السلم فيحتمل
ان يقال اذ ظرف منصوب بقوله اضرب اي اجعل الضرب كانه حين مجيئهم ووقوعه فيه والقرية انطاكية و
المرسلون من قوم عيسى وهم اقرب مرسل ارسل الى قوم الى زمان محمد عليه السلم وهو لقوله كما من الله تعالى
وقوله اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث بدل عن اذ جاءها كانه قال اضرب لهم مثلا اذ ارسلنا
الى اصحاب القرية اثنين وانهما يصح في الاوضح لم يكن اذ ظرفا والفعل الواقع فيه جاءها المرسلون
حين ارسلنا اليهم اثنين لم يكن مجيئهم من تلقا انفسهم وانما جاءهم حين ارسلهم وههنا لطيفة وهي ان الحكاية
ان الرسل كانوا مبعوثين من جهة عيسى عليه السلم ارسلهم الى انطاكية فقال تعالى ارسلنا لان عيسى عليه السلم ارسلهم باذن الله ورسول
رسول الله باذن الله رسول الله فلا يقع لك يا محمد ان ذلك كان رسل الرسول دون رسول الله فانه لا تكذيبهم
لتكذيبك فتتم التسلية بقوله اذ ارسلنا وهذا يؤيد مسئلة فقهية وهي ان وكيل الوكيل باذن الموكل وكيل الموكل
لا وكيل الوكيل حتى لا ينعزل بعزل الوكيل اياه وينعزل اذا عزله الموكل الاول وهذا على قولنا واضرب لهم مثلا اضرب المثل
لاجل محمد عليه السلم ظاهر وقوله اذ ارسلنا اليهم اثنين في بعثه الاثنين حكمة بالغة وهي انهما كانا مبعوثين من جهة
عيسى عليه السلم باذن الله وكان عليهما انهاء الامر الى عيسى عليه السلم والاتيان بامر الله والله عالم بكل شي لا يحتاج الى شاهد
يشهد عنده واما عيسى فهو بشر فامره الله بارسال اثنين ليكون قولهما على قومهما عند عيسى حجة تامة وقوله فعززنا
بثالث اي قوينا وقرئ فعززنا بثالث مخففا من عز اذا غلب فكانه قال فغلبنا نحن وقهرنا بثالث والاول اظهر واشهر
وترك المفعول حيث قال فعززنا لان المعنى لطيف وهي ان المقصود من بعثهم نصرة الحق لا نصرتهما والكل مقوون للدين
المتين بالبرهان المبين وفيه مسائل الاولى ان النبي عليه السلم بعث رسله الى الاطراف واكتفى بواحد وعيسى عليه السلم بعث اثنين
نقول النبي بعث لتقرير الفروع وهو دون الاصول فاكتفى بواحد فان خبر الواحد في الفروع مقبول واما هما
فبعثا بالاصول وجعل لهما معجزة يقتضيها التقرير واكمل الكل ارسال اثنين ايضا لانهما المسئلة الثانية قال الله تعالى لموسى
عليه السلم سنشد عضدك ذكر المفعول ولم يذكر ههنا مع ان المقصود هناك ايضا نصرة الحق نقول موسى عليه السلم
كان افضل من هرون وهرون بعث معه حيث سال موسى ذلك فكان هرون عليه السلم مبعوثا ليصدق موسى
فيما يقول ويقوم بما يامره واما ههنا والثالث فكل واحد مستقل ناطق بالحق فكان هناك المقصود تقوية موسى عليه السلم
وارسال من يؤنسه معه وهو هرون عليه السلم وههنا المقصود تقوية الحق فظهر الفرق ثم بين الله ما جرى عليهم
مثل ما جرى على محمد عليه السلم وقومه فقالوا انا اليكم مرسلون كما قال تعالى انك لمن المرسلين وقيل ما قال القوم بقوله
ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شي حيث جعلوا كونهم بشرا مثلهم دليلا على عدم الارسال وهذا عام من المشركين
قالوا في حق محمد عليه السلم اانزل عليه الذكر وانما ظنوا دليلا على انهم لم يعتقدوا في الله الاختيار وانما قالوا بانه
موجب بالذات وقالوا نستوي في البشرية فلا يمكن الرجحان والله تعالى رد عليهم قولهم بقوله الله يعلم حيث يجعل
رسالته وبقوله الله يمن على من يشا من عباده وقولهم وما انزل الرحمن من شي يحتمل وجهين احدهما ان يكون
متمما لما ذكروه فيكون الكل شبهة واحدة ووجهه انهم قالوا انتم بشر فما نزلتم من الله وما انزل الله اليكم احدا
فكيف صرتم رسلا لله وثانيهما ان يكون هذا شبهة اخرى مستقلة ووجهه انهم لما قالوا انتم بشر مثلنا فلا يجوز رجحانكم
علينا ذكروا الشبهة من جهة النظر الى المرسل يعني ان الله تعالى ليس ينزل شيا

في هذا العالم وان تغرتم في هذا العالم الحلق والعلويات التي هي السفليات على مذهبهم فالله لم ينزل شيئا من الاشياء الى الدنيا
فكيف انزل اليكم وقوله تعالى الرحمن اشارة الى الرد عليهم لانه لما كان رحمن الدنيا والارسال رحمة فكيف لا ينزل
رحمته وهو رحمان فقالوا ما انزل الرحمن شيئا وكيف لا ينزل الرحمن مع كونه رحمانا والارسال هو الرحمة الكاملة
ثم قالوا ان انتم الا تكذبون اي ما انتم الا كاذبين والوارثين اشارة الى انهم بمجرد التكذيب ما سأموا ولم يتركوا
بل عادوا الى ذلك الكلام وكرروا القول عليهم واكدوه باليمين فقالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون واكده باللام
لان يعلم يجري مجرى القسم لان من يقول يعلم الله فيما لا يكون فقد نسب الله الى الجهل وهو سبب العقاب كالشرك والحنث
سبب في قوله ربنا يعلم اشارة الى الرد عليهم حيث قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وذلك لان الله اذا كان يعلم انهم مرسلون يكون كقوله
تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته يعني هو عالم بالامور وتأخرنا عنا لما جعلنا لرسالته ثم قال تعالى
وما علينا الا البلاغ المبين تسلية لانفسهم اي نحن خرجنا عن عهدة ما علينا وحثا لهم على النظر بانهم لما قالوا وما علينا الا
البلاغ كان ذلك يوجب نظرهم في امرهم حيث لم يطلبوا منهم اجرا ولا قصدوا رياسة وانما كان شغلهم التبليغ والذكر
وذلك مما يحمل العاقل على النظر والمبين يحتمل امورا احدها البلاغ المبين للحق عن الباطل اي الفارق بالمعجزة
والبرهان ثانيها البلاغ المظهر لما ارسلنا للكل اي لا نكتفي بان نبلغ الرسالة الى شخص او شخصين ثالثها البلاغ المظهر
للحق بكل ما يمكن فاذا تم ذلك ولم يقبلوا حق هنالك الهلاك ثم كان جوابهم بعد هذا قولهم انا تطيرنا بكم وذلك لانه
لما ظهر من الرسل المبالغة في البلاغ ظهر منهم الغلو في التكذيب فلما قال المرسلون انا اليكم مرسلون قالوا ان انتم الا تكذبون
فلما اكد الرسل قولهم باليمين حيث قالوا ربنا يعلم اكدوا قولهم بالتطير بهم فكأنهم قالوا في الاول كنتم كاذبين وفي الثاني
صرتم مصرين على الكذب حالفين مقسمين عليه واليمين الكاذبة تدع الديار بلاقع فتشأمنا بكم ثانيا وفي الاول كما تركتم
وفي الثاني قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم وقوله
لنرجمنكم يحتمل وجهين احدهما لنشتمنكم من الرجم بالقول [illegible] وليمسنكم [illegible] بالشتم
بل يؤدي الى الضرب وثانيهما الرجم الحقيقي [illegible] الرجم بالحجارة وحينئذ [illegible] وليمسنكم بيان للرجم
يعني [illegible] الرجم رجما قليلا [illegible] بل ندوم عليكم بذلك الى الموت [illegible] ويكون
المراد لنرجمنكم وليمسنكم بسبب الرجم عذاب منا اليم [illegible] بمعنى المؤلم [illegible]
[illegible]
[illegible] ثم اجابهم المرسلون بقولهم طائركم معكم ائن ذكرتم بل انتم قوم مسرفون [illegible] يعني
لنرجمنكم [illegible] ذلك وان ذكرتم [illegible] بالمعجز والبرهان بل انتم قوم مسرفون حيث
[illegible] حيث تكونون
[illegible] المعجز والبرهان [illegible] عليه الدليل [illegible] السبيل [illegible]
والمسرف هو المجاوز الحد [illegible] الغد [illegible]
[illegible]
[illegible] بعد البرهان [illegible] الامر المعرب عنه بقوله تعالى
[illegible] قوله ائن ذكرتم وارد على تكذيبهم ونسبتهم الرسل الى الكذب بقولهم ان انتم الا تكذبون فكأنهم قالوا انحن
كاذبون ولئن جئنا بالبرهان بل انتم مسرفون ويحتمل ان يقال نحن متشؤمون ولئن جئنا ببيان صحة ما نحن عليه
[illegible] انتم قوم مسرفون ويحتمل ان يقال [illegible] الرجم [illegible] بل انتم قوم مسرفون [illegible]
الحكاية مشهورة وهي ان عيسى عليه السلم بعث رجلين الى انطاكية فدعيا الى التوحيد واظهرا المعجزة من ابراء الاكمه
والابرص واحياء الموتى فحبسهم الملك فارسل بعدهما شمعون فاتى الملك ولم يدع الرسالة وقرب نفسه الى الملك
[illegible] قال له اني اسمع انك حبست رجلين [illegible] انك لو [illegible] كلامهما قال الملك بلى

فاحضر

فاحضر او ذكرا مقالتهم الحقة فقال لهما شمعون هل لكما بينة قالا نعم فابرأ الاكمه والابرص واحيا الميت
فقال شمعون يا ايها الملك ان شئت ان تغلبهم فقل للالهة التي تعبدونها تفعل شيئا من ذلك قال الملك انت
لا يخفى عليك انها لا يبصر ولا تسمع [illegible] فقال شمعون فاذا ظهر الحق من جانبهم فآمن الملك وقوم وكفر
آخرون وكانت الغلبة للمكذبين ثم قال تعالى وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى [illegible] وتعلقه بما قبله
وجهان احدهما انه بيان لكونهم اتوا بالبلاغ المبين حيث آمن بهم الرجل الساعي وعلى هذا فقوله من اقصى المدينة فيه
بلاغة باهرة وذلك لانه لما جاء من اقصى المدينة رجل وقد آمن دل على ان انذارهم واظهارهم بلغ الى اقصى المدينة
وثانيهما ان ضرب المثل لما كان لتسلية قلب محمد عليه السلم ذكر بعد الفراغ عن ذكر الرسل سعي المؤمنين في تصديقهم
وصبرهم على ما اوذوا ووصول الجزاء الاوفى اليهم ليكون ذلك تسلية لقلب اصحاب محمد عليه السلم كما ان ذكر المرسلين
تسلية لقلب محمد عليه السلم وفي التفسير مسائل الاولى في قوله جاء رجل من اقصى المدينة في تنكير الرجل مع انه كان
معروفا معلوما عند الله فائدتان الاولى ان يكون تعظيما لشأنه اي رجل كامل في الرجولية الثانية ان يكون مفيدا
لظهور الحق من جانب المرسلين حيث آمن رجل من الرجال لا معرفة لهم به فلا يقال انهم تواطؤوا والرجل هو حبيب
النجار كان ينحت الاصنام وقد آمن بمحمد عليه السلم قبل وجوده حيث صار من العلماء بكتاب الله ورأى فيه نعت محمد
عليه السلم وبعثته المسألة الثانية قوله يسعى تبصير للمؤمنين وهداية لهم ليكونوا في النصح باذلين جهدهم
وقد ذكرنا فائدة قوله من اقصى المدينة تبليغهم الرسالة بحيث انتهى الى من في اقصى المدينة والمدينة هي
انطاكية وهي كانت كبيرة شاسعة وقد آن دون ذلك ومع هذا فيه كبيرة وقوله تعالى قال يا قوم اتبعوا المرسلين
فيه معان لطيفة الاولى في قوله يا قوم فانه ينبئ عن اشفاق عليهم وشفقة فان اضافتهم الى نفسه بقوله يا قومي
يفيد انه لا يريد بهم الا خيرا وهذا مثل قول مؤمن آل فرعون يا قوم اتبعون فان قيل قال هذا الرجل اتبعوا المرسلين
وقال ذلك اتبعون اهدكم فما الفرق نقول هذا الرجل جاءهم وفي اول مجيئه نصحهم وما رأوا سيرته فقال اتبعوا
هؤلاء الذين اظهروا لكم الدليل واوضحوا لكم السبيل واما مؤمن آل فرعون فكان فيهم واتبع موسى ونصحهم
مرارا فقال اتبعوني في الايمان بموسى وهرون عليهما السلم واعلموا انه لو لم يكن خيرا لما اخترته لنفسي وانتم تعلمون
اني اخترته ولم يكن الرجل الذي جاء من اقصى المدينة يعلمون اتباعه لهم الثانية جمع بين اظهار
النصيحة واظهار ايمانه فقوله اتبعوا نصيحة وقوله المرسلين اظهار انه آمن الثالثة قدم اظهار النصيحة
على اظهار الايمان لانه كان ساعيا في النصح واما الايمان فكان قد آمن من قبل وقوله رجل يسعى يدل
على كونه مريدا للنصح وما ذكر في حكايته انه كان يقتل وهو يقول اللهم اهد قومي ثم انه تعالى قال اتبعوا من
لا يسألكم اجرا وهم مهتدون وهذا في غاية الحسن وذلك من حيث انه لما قال اتبعوا المرسلين كأنهم منعوا
كونهم مرسلين فنزل درجة وقال لا شك ان الخلق في الدنيا سالكون طريقة وطالبون للاستقامة والطريق
اذا حصل فيه دليل يجب اتباعه [illegible] من الاتباع لا يحسن الا عند احد امرين اما مغالاة الطريق
في طلب الاجرة واما عدم الاعتماد على صاحبه اهتدائه ومعرفته الطريق لكن هؤلاء لا يطلبون اجرة وهم مهتدون عالمون
بالطريق المستقيمة الموصلة الى الحق فهب انهم ليسوا بمرسلين هادين اليسوا بمهتدين فاتبعوهم ثم قال تعالى
وما لي لا اعبد الذي فطرني قال وهم مهتدون ظهر اهتداؤهم بانهم يدعون الى عبادة الجماد الى عبادة
الحي القيوم ومن عبادة ما لا ينفع الى عبادة من منه كل نفع وفيه لطائف الاولى قوله وما لي اي ما لمانع من جانبي
اشارة الى ان الامر من جهة المعبود ظاهر لا خفاء فيه فمن يمتنع من عبادته يكون من جانبه مانع ولا مانع من جانبي
فلا جرم عبدته وفي العدول عن مخاطبة القوم الى حال نفسه حكمة اخرى ولطيفة فانه لو قال ما لكم لا
تعبدون الذي فطركم لم يكن في البيان مثل قوله وما لي لانه لما قال وما لي لا احد عليه حال نفسه علم كل احد انه
لا يطلب العلة وبيانها من احد لانه اعلم بحال نفسه فهو يبين عدم المانع واما لو قال ما لكم جاز ان يفهم منه انه يطلب

بيان العلة لكون غيره اعلم بحال نفسه فان قيل قال الله مالكم لا ترجون لله وقارا نقول العاقل هناك غير
مدعو وانما هو داع ونحن هنا الرجل مدعو الى الايمان فقال مالي لا اعبد وقد طلب مني ذلك الثانية قوله الذي
فطرني اشارة الى وجود المقتضي فان قوله مالي اشارة الى المانع وعند عدم المانع لا يوجد الفعل ما لم يوجد المقتضي
فقوله الذي فطرني بين الاقتضا فان الخالق ابتدا مالك والمالك يجب على المملوك اكرامه وتعظيمه ومنعم بالايجاد
والمنعم يجب على المنعم عليه شكر نعمته الثالثة قدم بيان عدم المانع على بيان وجود المقتضي مع ان المستحسن تقديم
المقتضي حيث وجد المقتضي ولا مانع يوجد الا ان المقتضي لظهوره كان مستغنيا عن البيان راسا فلا اقل من تقديم
ما هو اولى بالبيان لوجود الحاجة اليه الرابعة اختار من الايات فطرني مع انه لما قال مالي لا اعبد ناسب العبادة على
نفسه وبيان ذلك هو ان خالق عمرو يجب على زيد عبادته لان من خلق عمرا لا يكون الا كامل القدرة شامل العلم واجب
الوجود ومن يستحق للعبادة بالنسبة الى الكل ويكلف الكل العبادة لانه خلق زيدا ظهر جليا واعلم ان المشهور في فطرني
خلقني اختراعا ابتدا والوجه فيه ان يقال فطرني اي جعلني على الفطرة كما قال تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها وعلى هذا
فقوله مالي لا اعبد اي وجدت مانعا فانا باق على فطرني ربي الفطرة كانه في الشهادة والعبادة فان قيل
فعلى هذا كيف معنى الفطر في قوله فاطر السموات نقول قد قيل بان فاطر السموات من الفطر الذي هو الشق والمجرد
ثم ... وقيل المعنى فيهما واحد كانه قال فطر المكلف على فطرته وفطر السموات على فطرتها وهي الفطر الظاهر وقيل
واليه ترجعون اشارة الى الخوف والرجا كما قال ويدعونه خوفا وطمعا وذلك لان من يكون اليه المرجع يخاف منه ويرجى فيه
ايضا معنى لطيف وهو ان العابد على اقسام ثلثة ذكرناها مرارا فالاول يعبد الله لكونه الها مالكا سواء انعم بعد ذلك
او لم ينعم كالعبد الذي يجب عليه خدمة سيده سوا احسن اليه او اساء والثاني عابد يعبد الله للنعمة الواصلة اليه
والثالث يعبد خوفا مثال الاول من يخدم الجواد مثال الثاني من يخدم الغاشم فجعل العارف نفسه من القسم الاصلي وقال
مالي لا اعبد الذي فطرني اي هو مالكي اعبده لانه فطرني ثم قال انه لا يعتبر في وجههم دون ذلك فقال واليه
ترجعون اي خوفكم منه ورجاكم فيه فكيف لا تعبدونه ولهذا لم يقل واليه ارجع كما قال فطرني لانه صار عابدا من القسم
الاول فرجوعه الى الله ليس للاكرام وليس سبب عبادته ذلك بخلافهم فانه تعالى آخرهم مزدونه آلهة ليتم
التوحيد فان التوحيد من التعطيل والاشراك فان قال مالي لا اعبد اشارة الى وجود الاله وما اتخذ من دونه اشارة الى
نفي غيره فيحقق معنى لا اله الا الله وفي الايام الطايف الاولى ذكر على طريق الاستفهام فيه معنى وضوح الامر وذلك
من اخبر عن شي فقال مثلا اتخذ يصح من السامع ان يقول له لم تتخذ فيسأله عن السبب فاذا قال أأتخذ يكون كلامه
انه مستغن عن بيان السبب الذي يطالب به عند الاخبار كانه يقول استشرتك فدلني والمستشار يتفكر وكانه يقول
تفكر في الامر تفهم من غير اخبار مني الثانية قوله من دونه وهي لطيفة عجيبة وبيانها هو انه لما بين انه يعبد الله
بقوله الذي فطرني بين ان من دونه لا تجوز عبادته فان عبد غير الله وجب ان يترك الله المعبود الذي
اتخذ غير الله لان الكل محتاج ومفتقر حادث فلو قال لا اتخذ الهة لتناول ذلك بخلاف ان يحذف الكاف فالذي فطرك
يلزمك عقلا ان تتخذ الهه لا عصم الها وان كان الهك ذلك وقالتك فلا تكون لمن تتخذ الهه الا الله فشانه التحدي
ليس الا ان التخذ الهة ولهذا قال تعالى لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وقال الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا فانه تعالى لا يمكن له ولد
حقيقة ولا يجوز وانما النصارى قالوا تبنى الله عيسى عليه السلام وشرفه وولدا فقال ما يتخذ ولدا كما قال الله تعالى ما تخذه وكيلا
في قوله ... حسبه ... والموت الا هو فاتخذه وكيلا نقول ذلك لم يتخذ ... وذلك ان الانسان
قد يكون ... العمر ضعيف القوة فلا يجوز ان يترك اسباب الدنيا ويقول ... فلا يحسن من الواحد منا ان
يترك اصلا ويترك اطفاله في ورطة الحاجة ولا يوصل الى اهله نفقتهم ويجلس في مسجد وقلبه مشغول بعطاء
زيد وعمرو فاذا قوي بالعبادة قلبه وشغل نفسه فضلا عن غيره واقبل على عبادة ربه بجميع قلبه وترك الدنيا
واسبابها وفوض امره الى الله حينئذ يكون من الابرار الاخيار فقال الله لرسوله انت علمت ان الامر بيد الله

وعن الله حق المعرفة وتيقنت ان الشرور والموت وما بينهما وما يقع فيهما بامر الله ولا اله تطلب منه الحوائج الا هو
فاتخذه وكيلا وفوض جميع امورك اليه فاذا رغبت عن جميع ما يتوهم بالكسب الحلال وكنت ممن يتحرى في الحلال
ومعنى قوله فاتخذه وكيلا اي فوض جميع امورك وفوضه تعالى ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا
يكون كالوصف كانه قال لا اتخذ الهة عن عبادته عند ارادة الرحمن بضر وبانهم لا يغنون كلما مستا فكانه قال
لا اتخذ من دونه الهة ثم قال ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم ولهذا قال ان يردن
الرحمن بضر ولم يقل ان يردني الرحمن بضر او كذلك قال تعالى ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره ولم يقل ان
اراد الله بي ضرا نقول الفعل اذا كان متعديا الى مفعول بالحرف يتعدى الى مفعول بحرف كالملازم يقول بحرف
في قولهم ذهب به وخرج به ثم ان المتكلم البليغ يجعل المفعول بغير حرف ما هو اولى بوقوع الفعل عليه ويجعل الاخر مفعولا
بحرف اذا قال الله يا لا كيف حال ذلك المتروك اختص المملوك بالكرامة والنعمة فاذا كيف كرامة الملك يقول اخصهما بزيد
فيجعل المسئول مفعولا بغير حرف لانه هو المقصود اذا علمت هذا فالمقصود فيما نحن فيه بيان كون العبد تحت تصرف الله يقلبه
كيف يشاء في البؤس والرخاء وليس الضر بمقصود بيانه كيف والقائل مؤمن يرجو الرحمة والنعمة بناء على ايمانه بحكم وعد الله
ويؤيد هذا قوله من قبل الذي فطرني حيث جعل نفسه مفعول الفطرة فكذلك جعلها مفعول الارادة وذكر الضر وقع تبعا
وكذا القول في قوله تعالى ان ارادني الله بضر المقصود بيان انه يكون كما يريد الله وليس الضر بخصوصه مقصودا بالذكر
ويؤيده ما تقدم حيث قال الله تعالى اليس الله بكاف عبده يعني هو تحت ارادته وقد بينا ذكرناه بالنظر في قوله تعالى
قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا حيث خالف هذا النظم وجعل المفعول بغير حرف السوء هو كالضر
والمنصوب بحرف هو المخاطب وذلك لان المقصود ذكر الضر للتخويف لانهم محالة وكيف وهم كفرة استحقوا العذاب
بكفرهم فجعل الضر مقصودا بالذكر وهو قبل قوله ان اراد بكم رحمة ايضا حيث قال او اراد بكم رحمة يقول المقصود
ذكر السوء فلا يحمل عليه قوله تعالى ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا وانما ذكر الرحمة تبعا لما في التقسيم الحاصر وكذلك اذا تاملت
في قوله تعالى يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا فان الكلام ايضا مع
الكفار وذكر النفع وقع تبعا لحصر التقسيم يدل عليه قوله تعالى بل كان الله بما تعملون خبيرا فانه للتخويف وهذا كقوله
تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين والمقصود انكم على ضلال ولو قال انا على الهدى فقال باليقين كذلك
ها هنا المقصود الضر وانه يكون ولا يدفعه المانع قال تعالى الغنى او النفع المسلمة الثانية قال ها هنا ان يردن الرحمن وقال
في الزمر ان ارادني الله فما الحكمة في اختيار صيغة الماضي هناك والمستقبل هنا وذكر المريد باسم الرحمن
وذكر المريد باسم الله هناك نقول اما الماضي والمستقبل فان في الشرط يصير الماضي مستقبلا وذلك لان المذكور
ها هنا من قبل بصيغة الماضي في قوله مالي لا اعبد والمذكور هناك من قبل بصيغة الماضي في قوله افرايتم
وكذلك في قوله تعالى لئن بسطت الي يدك بصيغة المستقبل وبصيغة المستقبل في قوله ما انا بباسط يدي
والحكمة فيه ان الكفار كانوا يخوفون النبي عليه السلام بضر يصيبه من الهتهم فكان هناك صدر منهم التخويف وهذا
لم يسبق منهم وها هنا ابتدا الكلام صدر من المؤمن المذكور والجواب لما كان ذلك صدر منهم كان فرقا في الامر واما
في قوله هناك ان ارادني الله نقول قد ذكرنا ان الله اسم المختص بالعبد ولعل الوصف هو الله والرحمن كما قال
تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن والله للهيبة والعظمة والرحمن للرأفة والرحمة وهنا الكلام لوصف الله بالعظمة
والانتقام في قوله اليس الله بعزيز ذي انتقام وذكرها يدل على العظمة ثم قوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن
الاسم الدال على العظمة وقال ها هنا ما يدل على الرحمة بقوله الذي فطرني فانه نعمة هي شرط سائر النعم وقال ان يردن
الرحمن بضر ثم قال تعالى لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون على معنى انه لا يمنعونني من العقاب وذلك
لان من يريد دفع الضر عن شخص اخر يدفعه بدفع بالوجه الحسن بالشفاعة اولا فان قبلها والا يدفع فقال
لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون على انقاذي بوجه من الوجوه في هذه الايات بحصل ما يلتمسه مفعول من كل وجه ان كان

نظر الى رحمانيته فهو فاطر ورب مالك يستحق العبادة سوا احسن بعد ذلك او لم يحسن وان كان نظر الى احسانه فهو رحمان وان
كان نظر الى الخوف فهو لا يدفع ضره وحصل بيان ان غيره لا يصلح لان يعبد بوجه من الوجوه فان الذي مرتبته ان يعبد لبعض كرمه
وخيره لا يدفع شيئا اذا اراد الله ولا يستطيع برد فلا حاجة اليه اصلا ثم قال تعالى اني اذا لفي ضلال مبين يعني
ان فعلت ذلك فانا في الضلال لا يخفى والمبين مفعل بمعنى مفعل كما جاء عكسه فعيل بمعنى مفعل في اليم اي مولم ويحتمل ان يقال
ضلال مبين اي مظهر امر للناظر او فيه الصحيح ثم قال تعالى اني امنت بربكم فاسمعون في المخاطب بقوله بربكم وجوه احدها
هم المرسلون قال المفسرون اقبل القوم عليه يريدون قتله فاقبل هو على المرسلين وقال اني امنت بربكم فاسمعون اي فاسمعوا قولي لكي
تشهدوا لي وثانيها هم الكفار كانه لما نصحهم وما نفعهم قال فانا امنت فاسمعون وثالثها بربكم ايها السامعون فاسمعون
على العموم كما قلنا في قول الواعظ حيث يقول يا مسكين ما اكثر املك وما انزر عملك يريد به كل سامع يسمعه وفي قوله فاسمعون
فوايد احدها انه كلام مترفق متفكر حيث قال اسمعوا فان المتكلم اذا كان يعلم ان لكلامه جماعة سامعين يتفكر فيه
ارشد القوم ويقول اني اخبرتكم بما فعلت حتى لا تقولوا لم اخفيت عنا امرك ولو اظهرته لامنا معك بالثانيا
ان تكون له اذا السامع الذي يعني القبول يقول للقائل بعضه فيسمع قولي اي فاقبله فان قلت قال من قبل ما لي لا اعبد الذي
فطرني وقال ههنا امنت بربكم ولم يقل امنت بربي نقول على قولنا الخطاب مع الرسل لا يرد ظاهر لانه لما قال
امنت بربكم ظهر عند الرسل انه قبل قولهم وامن بالرب الذي دعوه اليه ولو قال بربي لعلهم كانوا يقولون كل كافر يقول
لي رب وانا مومن بربي واما على قولنا الخطاب مع الكفار ففيه بيان التوحيد وذلك لانه لما قال اعبد الذي
فطرني ثم قال امنت بربكم فهم انه يقول ربي وربكم واحد وهو الذي فطرني وهو بعينه ربكم بخلاف ما لو قال امنت
بربي فيقول الكافر وانا ايضا امنت بربي ومثل هذا قوله تعالى الله ربنا وربكم ثم قال تعالى قيل ادخل الجنة فيه
وجهان احدهما انه قتل ثم قيل له ادخل الجنة بعد القتل وثانيهما قيل ادخل الجنة عقيب قوله امنت وعلى الاول فقوله
يا ليت قومي يعلمون يكون بعد موته والله اخبر بقوله وعلى الثاني ذلك في حيوته وكانه سمع الرسل انه من الداخلين
الجنة وصدقهم وقطع به وعلمه فقال يا ليت قومي يعلمون كما علمت فيومنون كما امنت وفي ادخل الجنة معنى قوله تعالى قيل
وجهان كان في سورة الكهف وجهان احدهما قيل من القول والثاني ادخل الجنة وهذا كما في قوله تعالى انما امره اذا اراد
شيا ان يقول له كن فيكون ليس المراد القول بل هو الفعل اي يفعله في حينه من غير تاخير وتراخ وكذلك قوله
تعالى فقيل يا ارض ابلعي ماءك ويحتمل ان يقال بعث النعم ما دعا وفي قوله يا ليت قومي يعلمون وجوه احدها انه استفهامية كانه قال
يا ليت قومي يعلمون بالذي غفر لي ربي وثانيها مصدرية كانه قال يا ليت قومي يعلمون بمغفرة ربي لي والوجهان اختيار
الجار الزمخشري ثم قال تعالى وجعلني من المكرمين ... والعمل الصالح ... امرين هما
المغفرة والاكرام كما في قوله تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق كريم والرجل كان من
المومنين العاملين والمكرمين ضد المهان والاهانة بالحاجة فالاكرام بالاستغنا فيغني الله الصالح عن كل احد ويدفع
جميع حاجاته بنفسه الكريم ثم انه تعالى بين حاله بعد ما انعم عليه من يعذبه ... ثم قال تعالى وما انزلنا على قومه
من بعده من جند من السماء اشارة الى هلاكهم بعده سريعا على اسهل وجه فانه لم يحتج الى ارسال جند يهلكهم وفيه مسايل المسالة الاولى
قال ههنا وما انزلنا باسناد الفعل الى النفس وقال في بيان حال المومن قيل ادخل الجنة باسناد القول الى غير مذكور وذلك
لان العذاب من باب الهيبة فقال بلفظ التعظيم واما ادخل الجنة فقال قيل ليكون هو كالظاهر المعلوم للملايكة حيث يقول لكل ملك
وكل صالح يراه ادخل الجنة خالدا فيها وكثيرا ما ورد في القران قوله تعالى قيل وفيه اشارة الى ان الرجل يكون وحده لا
اكرام كما يدخل العزيز البيت الذي بين عليه بحضرة من يشهد كل احد المسالة الثانية لم اضاف القوم اليه مع
ان الرسل اولى لكونهم مدعوين فيها لهم فان الواحد يكون له قوم هم اهله واصحابه والرسول لكونه مرسلا يكون جميع الخلق
او جميع من ارسل اليهم قومه فقول لو قال على قومهم لتوهم اصابة من ارسل اليهم ... لعلمه ... غاية الاكرام
سببا لها ولا بيان ان غاية الاهانة بسبب الكفر وهذا من قوم وكذلك الكسب ... ان العذاب كان مختصا بالذين لتكذيب

لان غيرهم من قوم الرسل امنوا الرجل بهم فلم يعمهم العذاب المسالة الثالثة حصر عدم الانزال بما بعده والله تعالى ما انزل عليهم جندا
قبله ايضا فما فايدة التخصيص نقول استعظاما للعذاب كان بعده حيث احتاجوا واستكبروا ... حال الهلاك انه لم يكن بجند
المسالة الرابعة ما الحكمة في انه تعالى لم ينزل عليهم وما ارسل اليهم جندا من الملايكة بالتنبيه نقول الى عظم قدرهم وحقارة قدر
الملاد وما انزلنا عليهم جندا بامر من امرنا فكيف ... لكانهم العذاب ... لم يكن جند لهم عظمة وان كان ذلك
بصيحة اهلكت فاتهم ... المسالة الخامسة وما كنا منزلين اية فايدة فيه مع ان قوله وما انزلنا يستلزم انه لا يكون من
المنزلين نقول قوله وما كان يصح لنا ان ننزل لان الامر كان تم بدون ذلك فما انزلنا وما كنا محتاجين الى الانزال او نقول
وما انزلنا وما كنا منزلين في مثل تلك الوقايع جندا في غير تلك الوقايع فان قيل فكيف انزل الله جنودا في يوم بدر وفي غير ذلك حيث قال فانزل الله
تعالى وجنودا لم تروها نقول ذلك تعظيما لمحمد عليه السلام ولولا انه يحرك ريشة من جناح ملك كان في استيصالهم وما كان
رسل عيسى عليه السلام في درجة محمد عليه السلام ثم بين الله تعالى ما كان بقوله ان كانت الا صيحة واحدة وما ... لكان
شي الا صيحة ... لكنه تعالى اثبت بقوله ... واحدة تاكيدا لكون الامر هينا عند الله
وقوله فاذا هم خامدون اشارة الى سرعة الهلاك فان خمودهم كان مع الصيحة وفي وقتها لم يتاخر وفي وصفهم بالخمود مبالغة الحسن وذلك
لان الحي فيه الحرارة الغريزية وكلما كانت الحرارة اوفر كانت القوة الغضبية والشهوانية اتم وهم كانوا كذلك اما الغضب فانهم
قتلوا مومنا كان ينصحهم واما الشهوة فلانهم احتملوا العذاب الدايم بسبب استيفاء اللذات الحالية فاذا كانوا كالنار الموقدة
لانهم كانوا جبارين مستكبرين كالنار ومن خلق منها فاذا هم خامدون ... وجهه ... العناصر الاربعة يخرج بعضها
عن طبيعته التي خلقها الله عليها ... بارادة الله ... والمياه ... وكذلك
... عند الخلفاء ... عند البرد ... النار ...
... الخمود ... سوى ... النار ... كما ... ثم قال تعالى يا حسرة
على العباد قيل الحسرة فاحضري يا حسرة والتنكير للتكثير ... العباد ... حلت ... المعهودة
... حسرة على ذلك ... المكذبين المسالة الثانية من المتحسر يقول
... لا متحسر ... في الحقيقة اذ المقصود بيان ان ذلك ... حيث ... العذاب ...
... ان ... ولا ... حتى ...
اذا المقصود ... والحيرة ... ذكرنا ان ذكر المتحسر غير
مقصود وانما المقصود ان التحسر ... على الاستعارة تعظيما للامر
... كالالفاظ التي ... والحسرة ... والتمني ... يا حسرة
... القايل ... ان ... يا حسرة بل
... حقيقته ... الملايكة ... على
... الجنة ... للكافر
... يا حسرة ... على العباد
... المسالة الرابعة ... الرسل ...
... يا حسرة ... حبيب ...
كل ... العبد ... تعالى
... قوله تعالى ان عبادي ... الحسرة ...
... به ... ولم
... الى ما دعاه ... عليه ... الرسل

من ملوك واعظم منهم باعزاز الله اياهم وجعلهم ثوابه كما قال ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وجادوا [illegible] انفسهم ولم يكن
لهم عظمة ظاهرة في الحس ثم يوم الفنا منه اذ عند ظهور الياس ظهرت عظمتهم عند الله لهم [illegible] ما يدعون اليه امرا هينا نفعه
عائد اليهم من عباد الله وما كانوا يسالون عليه اجرا فعند ذلك تكثر الندامة من الدنيا وكيف لم ينتفعوا بالاعراض حتى آذوا و
استهزؤا واستحقوا [illegible] بانهم ما ياتيهم [illegible] عايدا الى قوم حبيب كما ياتيهم من رسول من الرسل الا ثم
الا كانوا به يستهزؤن على قولنا الحسرة عليهم ويكون [illegible] عايدا الى الكفار المصرين ان الله تعالى لما بين حال الرسل والمجاهدين
المريد الم اهلكنا اي الباقون لا يرون ما جرى على من تقدمهم ويحمل ان [illegible] نيل [illegible] باحسرة [illegible] منهم الم يروا
المريد الم اهلكنا اي الباقون لا يرون ما جرى على ما تقدمهم [illegible] انهم اليهم لا يرجعون [illegible] المعنى [illegible]
ومعناه ان كل مهلك تقدم قوم كذبوا واهلكوا الى قوم نوح وقبله وبعده انهم اليهم لا يرجعون بلسان المعنى عن [illegible]
كم اهلكنا وذلك على معنى كم اهلكنا المريد [illegible] اهلاكنا وفيه معنى المريد المهلكين الكثيرين انهم اليهم لا يرجعون وحينئذ
يكون كبدل اشتمال لان قوله انهم اليهم لا يرجعون حال من احوال المهلكين اي اهلكوا بحيث لا رجوع لهم اليهم فيصيرون كقولك
الا ترى زيدا ادبه يعني ههنا قوله انهم اليهم لا يرجعون فيه معنا لطيفا اهلكوا اهلاكا لا رجوع لهم الى من في الدنيا وثانيها
معناه انهم لا يرجعون اليهم اي الباقين لا يرجعون الى المهلكين بنسب ولا ولاد يعني اهلكناهم وقطعنا نسلهم ولا شك ان
الاهلاك الذي يكون مع قطع النسل اتم واعم والوجه الاول اشهر نقلا والثاني اظهر عقلا ثم قال تعالى وان كل لما جميع لدينا
لما بين الاهلاك بين ان من اهلكه تركه بل بعده جمع وحساب وحبس وعقاب ولو ان من اهلك ترك لكان الموت راحة
ونعم ما قال القايل ولو انا اذا متنا تركنا لكان الموت راحة كل حي ولكنا اذا متنا بعثنا ونسال بعدها عن كل شي
وفيه مسايل الاولى ان كل لما في ان وجهان اصحها انها مخففة من الثقيلة واللام فيما فارقة بينها وبين النافية و ما زايدة مؤكدة
والمعنى والقراءة حينئذ بالتخفيف لما وثانيهما انها نافية ولما بمعنى الا قال سيبويه يقال نشدتك الله لما فعلت بمعنى
الا فعلت والقراءة حينئذ بالتشديد في لما ويؤيده هذا ما روي ان ابيا قرا وما كل الا جميع وفي قول سيبويه لما بمعنى
الا وارد معنى مناسب وهو ان لما كانها حرفا نفي جمعا وهما لم وما فتاكد النفي ولذا يقال لما في جواب من قال قد فعل لما يفعل
وفي جواب من قال فعل لم يفعل ولما كانها حرفا نفي ان ولا فاستعمل لما مكان الا قال الزمخشري لما قال قايل
كل لجمع معنى واحد فكيف جعل جميعا خبرا لكل حيث دخلت اللام عليه اذ التقدير وان كل لجميع نقول معنى جميع مجموع ومعنى
كل كل فرد بحيث لا يخرج عن الحكم احد فصار المعنى كل فرد مجمع مع الاخر مضموم اليه ويمكن ان يقال محضرون يعني ما ذكره
وذلك انه لو قال وان كل جميع محضرون لكان كلاما صحيحا ولم يوجد ما ذكره من الجواب بل الصحيح ان محضرون كالصفة
للجميع فكانه قال جميع جميع محضرين كما يقال الرجل رجل عالم والنبي نبي مرسل والواو في وان كل لعطف الحكاية على الحكاية
كانه يقول بينت لك ما ذكرت وابين ان كلا لدينا محضرون وكذلك الواو في وآية لهم الارض الميتة كانه يقول
واقول ايضا آية لهم الارض الميتة وفيه مسايل الاولى ما وجه تعلق هذا بما قبله نقول مناسبا لما قبله من وجهين احدهما انه
لما قال وان كل لما جميع كان ذلك اشارة الى الحشر فذكر ما يدل على امكانه قطعا لانكارهم واستبعادهم فقال وعنادهم فقال
وآية لهم الارض الميتة احييناها كذلك يحيي الموتى وثانيهما انه لما ذكر حال المرسلين والاهلاك للمكذبين وكان شغلهم التوحيد
ذكر ما يدل عليه وبدا بالارض لكونها مكانا لهم لا مفارقة لهم منها عند الحركة والسكون المسالة الثانية الارض آية مطلقا
فلم خصها بهم حيث قال وآية لهم نقول الآية تعدد وتشرد لمن لم يعرف الشي بابلغ الوجوه واما من عرف الشي بطريق الرؤية
لا يذكر له دليل فالنبي عليه السلام وعباد الله المخلصين عرفوا الله قبل الارض والسما فليست الارض معرفة لهم وهذا كما قال
تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم وقال اولم يكف بربك انه على كل شي شهيد يعني انت كفاك ربك
معرفا به عرفت كل شي فانه شهيد لك على كل شي واما هؤلاء تبين لهم الحق بالآفاق والانفس وكذلك ههنا آية لهم
المسالة الثالثة لو قلنا ان الآية مذكورة للاستدلال على جواز احيا الموتى يكون قوله احييناها ولاخرجنا الحب حتى
ولو قلنا انها للاستدلال على وجود الاله ووحدانيته فلا فايدة في قوله الارض الميتة احييناها
ان نفس الارض دليل ظاهر وبرهان باهر ثم قوله انها عن كانيه بقوله الميته احييناها كان في التوحيد
ثانيا به

فما ثانيه قوله واخرجنا منها حبا نقول هي مذكورة للاستدلال عليها وذلك لما ذكره الله تعالى فايده اما فاوله واخرجنا
منها ففايدته بالنسبة الى اثبات احيا الموتى وذلك لانه لما احيى الارض احياكاملا منبتا للزرع يحيى الموتى احياكاملا
بحيث يدرك الامور واما بالنسبة الى التوحيد فلان فيه تعديد النعم كانه يقول آية لهم الارض فانها مكانهم ومهدهم
الذي فيه تحريكهم واسكانهم والامر الضروري الذي عنده وجودهم وامكانهم وسوا كانت ميتة او لم تكن فهي مكان لهم
لا بد لهم منها فهي نعمة ثم احياؤها بحيث تخضر نعمة ثانية فانها تصير احسن وانزه ثم اخراج الحب منها نعمة ثالثة فان
قوتهم يصير في مكانهم وكان يمكن ان يجعل الله رزقهم في السما او في الهوا فلا يحصل لهم الوثوق ثم جعل الجنات فيها نعمة رابعة
لان الارض تنبت الحب في كل سنة واما الاشجار بحيث يوجد منه الثمار فيكون بعد الحب وجودا ثم فجرنا فيها العيون
ليحصل لهم الاعتماد بالحصول ولو كان ماؤها من السما لحصل ولكن لا يعلم انها اين تغرس وابن يقع المطر وينزل القطر
المسالة الرابعة الضمير في قوله من ثمره عايد الى اي شي نقول المشهور انه عايد الى الله اي ليأكلوا من ثمر الله وفيه لطيفة
وهي ان الثمار بعد وجود الاشجار وجريان الانهار لم توجد الا بالله ولولا خلق الله ذلك لم يوجد فالثمر بعد جميع ما يظن
الظان انه سبب وجوده ليس الا بالله وارادته فهو ثمره ويحتمل ان يعود الى النخيل وترك الاعناب لحصول العلم بانها في
حكم النخيل ويحتمل ان يقال انه راجع الى المذكور اي من ثمر ما ذكرنا وهذان الوجهان نقلهما الزمخشري ويحتمل وجها غريبا و
اقرب منه وهو ان يقال المراد من الثمر الفوايد يقال ثمرة التجارة الربح ويقال ثمرة العبادة الثواب وحينئذ الضمير عايد
الى التفجير المدلول عليه بقوله وفجرنا كانه قال تعالى وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من فوايد ذلك التفجير
وفايدته اكثر من الثمار بل يدخل فيه ما قال الله تعالى انا صببنا الماء صبا الى ان قال فانبتنا فيها حبا وعنبا
وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وابا والتفجير اقرب في الذكر من النخيل ولو كان عايدا الى الله لقال من ثمرنا
كما قال وجعلنا وفجرنا المسالة الثالثة ما في قوله وما عملته من اي المااتت هي فيه وجوه احدها نافية كانه قال
وما عملته ايديهم بل الله عملته وثانيها موصولة بمعنى الذي كانه قال والذي عملته ايديهم من الغراس بعد التفجير
يأكلون منه ايضا ويأكلون من ثمر الله الذي اخرجه من غير سعي من الناس فعطف الذي عملته الايدي على ما خلقه الله
من غير مدخل للانسان فيه والثالثة هي مصدرية على قراءة من قرأ وما عملت من غير ضمير عايد معناه ليأكلوا من ثمره
وعمل ايديهم يعني يغرسون والله ينبتها ويخلق ثمرها فيأكلون مجموع عمل ايديهم وخلق الله وهذا الوجه لا يمكن على قراءة
من قرأ مع الضمير المسالة الرابعة على قولنا ما موصولة يحتمل ان يكون بمعنى وما عملته اي التجارة كانه ذكر نوعي ما يأكل
الانسان به وهما الزراعة والتجارة ومن النبات ما يؤكل من غير عمل الايدي كالعنب والتمر وغيرهما ومنه ما يعمل فيه عمل صنعة فيؤكل
كالاشيا التي لا تؤكل الا مطبوخا او كالزيتون الذي لا يؤكل الا بعد اصلاح ثم لما عدد النعم اشار الى الشكر بقوله افلا يشكرون
وذكر بصيغة الاستفهام لما بينا من فوايد الاستفهام فيما تقدم ثم قال تعالى سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض
وقد ذكرنا ان سبحان علم دال على التسبيح وتقديره سبح تسبيح الذي خلق الازواج ووجه تعلق الآية بما قبلها
هو انه تعالى لما قال افلا يشكرون وشكر الله بالعبادة وهم تركوها ولم يقتنعوا بالترك بل عبدوا غيره واتوا بالشرك فقال
سبحان الذي خلق الازواج وغيره لم يخلق شيا او نقول لما بين انهم انكروا الآيات ولم يشكروا بين ما ينبغي ان يكون عليه
العاقل فقال سبحان الذي خلق الازواج او نقول لما بين الآيات قال سبحان الله عما يقولون ذكره عن ان يكون له شريك او يكون
عاجزا عن احيا الموتى وفيه مسايل المسالة الاولى كلها يدل على ان افعال العباد مخلوقة لله لان الزوج هو الصنف وافعال
العباد اصناف ولها اشباه وهي داخلة تحت اجناس الاعراض فيكون من الكل الذي قال الله انه خلق الازواج كلها ما
مما تنبت الارض يخرج الكلام عن العمومات فان الكل كان بكل ما كان يكون للعموم لا يقتصر على ما ذكره بعد
من الشاب يريد الكلام على عمومه لا نقول ذلك فان ذلك من بيان التخصيص اذا لكان لتاكيد العموم فلا
بد ليل ان من قال اعطيته كل شي من الدراهم والثياب والعبيد والدواب يفهم منه انه يعد الاصناف فتاكيد
العموم ويؤيد هذا قوله تعالى حم الذي خلق الازواج كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون من غير تقييد الثانية

السابعة ذكر الله تعالى امورا ثلثة تنحصر فيها المخلوقات فقوله مما تنبت الارض فدخل فيها ما في الارض من الامور الظاهرة كالنبات
والثمار وقوله من انفسهم يدخل فيها الدلايل النفسية وقوله مما لا يعلمون يدخل فيها ما في اقطار السموات وتخوم الارضين وبعدا
دليل على انه لم يذكر ذلك للتخصيص بدليل ان الانعام مما خلقها الله والمعادن لم يذكرها وانما ذكر الاشيا لتاكيد معنى العموم كما ذكرنا
في المسالة الثالثة وقوله ومما لا يعلمون يتضمن لطيفة وهو انه تعالى انما ذكر كون الكل مخلوقا لينزه الله عن الشريك فان المخلوق
لا يصلح شريكا للخالق لكن التوحيد الحقيقي لا يحصل الا بالاعتراف بان لا اله الا الله فقال تعالى اعلموا ان المانع من الاشراك
فيما تعلمون وما لا تعلمون لان الخلق عام والمانع من الشركة الخلق فلا تشركوا بالله شيا مما تعلمون فانكم تعلمون انه مخلوق
ومما لا تعلمون فانه عند الله كله مخلوق لحكمنا ثم قال تعالى واية لهم الليل نسلخ منه النهار لما استدل
الله باحوال الارض وهي المكان الكلي استدل بالليل والنهار وهو الزمان الكلي فان دلالة المكان والزمان متناسبة لان
المكان لا تستغني عنه الجواهر والزمان لا تستغني عنه الاعراض لان كل عرض فهو في زمان ومثله مذكور في قوله تعالى ومن
اياته الليل والنهار والشمس والقمر ثم قال تعالى ومن اياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت
حيث استدل بالمكان والزمان فهناك ايضا لكن المقصود اولا هناك اثبات الوحدانية بدليل قوله تعالى لا تسجدوا للشمس
ولا للقمر وقال تعالى ان الذي احياها لمحيي الموتى وههنا المقصود اولا اثبات الحشر لان السورة فيها
ذكر الحشر اكثر يدل عليه النظر في السورة وهناك ذكر التوحيد اكثر بدليل قوله تعالى فيه قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض
في يومين وذكر السعة ثم بين له امر دينه وصار يدفع عن اهل السنة شبه الفلاسفة والزمان يرفع عنهم شبه
المشبهة اما بيان الحاجة فذلك لان الفلسفي يقول لو كان عدم العالم قبل وجوده لكان عدمه من عدم العالم قبل
وقبل وبعد لا يتحقق الا بالزمان فقبل العالم زمان فالزمان من جملة العالم فيلزم وجود الشي عند عدمه وهو محال
فيقول لهم قد وافقتمونا على ان الامكنة متناهية لان الابعاد متناهية بالاتفاق فاذا فوق السطح الاعلى
من العالم لمكن عدم وهو موصوف بالفوقية وفوق وتحت لا يتحقق الا بالمكان ففوق العالم مكان والمكان من العالم
فيلزم وجود الشي عند عدمه فان اجابوا بان فوق السطح لا عدم الا خلا ولا ملا فنقول قبل وجود العالم لا ان ولا زمان
موجود واما بيان الثاني فلان المشبه يقول لو كان الله موجودا موجودا لا في مكان فنقول انه في مكان فنقول لهم لم لا تقولوا
الله في زمان لان العموم كما لا يمكنه ان يقول هو موجود ولا مكان لا يمكنه ان يقول هو كان موجودا ولا زمان وكل زمان فهو
حادث وقد اجمعنا على ان الله تعالى قديم المسالة الثانية لو قال قايل الليل والنهار اية استدلال بالزمان
فلم اختار الليل حيث قال واية لهم الليل نقول لما استدل بالمكان الذي هو المظلم وهو الارض وقال واية لهم الارض استدل بالزمان الذي
فيه الظلمة وهو الليل ووجه اخر وهو ان الليل فيه سكون الناس وهدو الاصوات وفيه النوم وهو كالموت ويكون بعده طلوع
الشمس كالنفخ في الصور فيتحرك الناس وذكر الموت كما قال في الارض واية لهم الارض الميتة فذكر من الزمان اشبهها بالموت
كما ذكر من المكان اشبهها بالموت المسالة الثالثة ما معنى نسلخ النهار من الليل نقول معناه نميزه منه يقال انسلخ النهار من الليل اذا اتى
اخر النهار ودخل اول الليل وسلخه الله منه فانسلخ منه واما اذا استعمل بغير كلمة من فنقول سلخت النهار والشهر بمعناه دخلت
في اخره فانسلخ فالليل في هذه الاية بمنزلة الجلد الى قوله نسلخ منه النهار نقول الى يبين بعد ذلك منافعه ومحاسنه ولهذا
لم يجعل الله الليل وحده اية في موضع من المواضع الا ذكر اية النهار معها وقوله فاذا هم مظلمون اي داخلون في الظلام
واذا للمفاجاة اي ليس لهم بعد ذلك امر الا انهم يدخلون فيه وقوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز
العليم يحتمل ان يكون الواو للعطف على الليل تقديره واية لهم الليل نسلخ والشمس تجري والقمر قدرناه فهي كلها اية وقوله
والشمس تجري اشارة الى سبب سلخ النهار فانها تجري لمستقر لها وهو ما تحت الارض فيسلخ النهار وذلك في السبع
انه لما قال نسلخ منه النهار كان عن بعيد من الجهال ان يقول فابين سلخ النهار ليس من الله انما سلخ
النهار بغروب الشمس فقال تعالى والشمس تجري لمستقر لها بامر الله فمغرب الشمس سالخ النهار فذكر السبب لتعلم
صحة الدعوى ويحتمل ان يقال بان قوله والشمس تجري لمستقر لها اشارة الى نعمة النهار بعد الليل كانه تعالى لما قال واية

لم الليل

لم الليل نسلخ منه النهار وذكر ان الشمس تجري لتطلع عند انقضا الليل فيعود النهار بمنافعه وقوله لمستقر الليل يحتمل ان يكون للوقت
كقوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس وقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن ووجه استعمال اللام في الوقت هو ان اللام المكسورة في الاسما لمعنى
الاضافة لكن اضافة الفعل الى سببه احسن الاضافات لان الاضافة لتعريف المضاف بالمضاف اليه كما في قولهم دار زيد لكن الفعل يعرف
بسببه فيقال يتحيل بسببه فيقال اتجر للربح واشترى للاكل واذا علم ان اللام تستعمل للتعليل فنقول ربما يشبه سبب الشي اذا كان
الوقت يائي بالامر الكائن فيه والامر متعلق به فيقال ذرها لعشر مضين من الشهر وقوله اقم الصلوة لدلوك الشمس لان الوقت معروف
كالسبب وعلى هذا فمعناه تجري الشمس وقت استقرارها اي كلما استقرت امرت بالجري ويحتمل ان يكون بمعنى الى اي الى مستقر
لها وتقريره هو ان اللام تذكر للوقت وللوقت طرفان ابتدا وانتها فقال سرت من يوم الجمعة الى يوم الخميس فجاز استعمال ما يستعمل
فيه في احد طرفيه لما بينهما من الاتصال ويؤيد هذا قراءة من قرا والشمس تجري الى مستقر لها وعلى هذا ففي ذلك المستقر وجوه الاول يوم القيامة
وعندها تستقر ولا تبقى لها حركة الثاني الى منتهى الليل اي تجري الى ان يبلغ الليل الرابع ان ذلك المستقر ليس بالنسبة الى
الزمان بل هو للمكان وحينئذ فيه وجوه الاول ارتفاعها في الصيف ونهاية انحطاطها في الشتا اي تجري الى ان يبلغ ذلك
الموضع ثم ترجع الثاني هو غاية ما ترتفع فان لكل يوم لها مشرقا الى ستة اشهر ثم تعود الى تلك المطالع وهو ثاني الوجه
الذي تقدم في الارتفاع فان لها ارتفاع ثم نقصا بسبب اختلاف الارتفاع الثالث هو وصولها الى بيتها في الاسد الرابع
هو الدائرة التي عليها حركتها حيث لا تميل عن منطقة البروج على مرور الشمس ويحتمل ان يقال تجري لمستقر لها اي لحركتها
ومستقرها فانها تعطي ما بينهما لو ان الشمس في فلك والفلك يتحرك بحركة الشمس ففي الشمس حركة في مستقرها وهي ان الفلاسفة
حركة الشمس في مستقرها اراد لعقولهم وجودها استقرارها فاحتاجوا الى ارضاع الممكنة فعاينوا السقوط واجاب الله عنه بقوله
ذلك تقدير العزيز العليم اي ليس طبعا لها وانما ذلك بارادة الله وتقديره وتسييره اياها وتدبيره فان قيل عددت الوجوه الكثيرة
وما ذكرت المختار فما الوجه المختار نقول المختار ان المراد من المستقر المكان اي تجري لبلوغ مستقرها وهو غايته
في الارتفاع والانخفاض فان ذلك يشمل المشارق والمغارب والمشرق والمغرب لا يختلف به الزمان بعد السنة والليل يعود تماثله
وقوله ذلك يحتمل ان يكون اشارة الى حركة الشمس اي ذلك الجري تقدير الله ويحتمل ان يكون اشارة الى المستقر لها اي ذلك المستقر
تقدير الله والعزيز الغالب وهو يناسب التقدير العليم لانه تعالى العالم الذي ينفذ على حركتها على الحد المذكور الذي لا يمتنع ما جرت حالها على ملك
ويانه مختص الاول هو ان الشمس في ستة اشهر كل يوم تمر على مسامته شي لم تمر من قبل عليه تلك المسامتة ولو قدر الله مرورها
على مسامته دايما لاحترقت الارض التي هي مسامته لمرورها وبقي الجمود مستوليا على الاماكن الاخر فقدر الله لها بعدا لتجمع
الرطوبات في باطن الارض والاشجار في زمان الشتا فتغذي بها فاذا قرب يخرج النبات والثمار من الارض والشجر وينضج ويجف
ثم تبعد لئلا تحترق وجه الارض والاغصان الثاني لولا سيرها الثاني لتمكنها في كل يوم طلوعا وفي كل ليلة غروبا ليلا
تكل القوى والابصار بالتعب والسهر والتعب ولا تحس العالم بنزول الشتا بسبب الظلمة الدايمة الثالث جعل سيرها ابطا
من سير القمر واسرع من سير زحل لانها كاملة النور فلو كانت بطيئة السير لدامت زمانا كثيرا في مسامته شي واحد فيحرقه ولو كانت
سريعة السير لما حصل لها لبث بقدر ما ينضج الثمار في بقعة واحدة ثم قال تعالى والقمر قدرناه منازل اي جعلنا
له منازل فال ابن الحاجب ... لا بد من تقدير لفظ تم به معنى الكلام لان القمر لم يجعل نفسه منازل فالمعنى اذا قدرنا سيره منازل
وعلى ذكره يحتمل ان يكون المراد منه والقمر قدرناه ذا منازل لان ذا الشي قريب من الشي ولهذا جاز قول القايل عيشة
راضية لان ذا الشي كالقايم به الشي فاتوا بلفظ الوصف وقوله حتى عاد كالعرجون القديم اي رجع في الدقة الى حاله التي كان
عليها من قبل والعرجون من الانواع تعالى لعود العتق عرجون والقديم المتقادم الزمان قيل ان ما عبر عليه سنة فهو قديم
والصحيح ان هذا بعينها لا تشترط في جواز اطلاق القديم عليه وانما تعتبر العادة حتى لا يقال للمدينة التي بنيت من سنة وستين
لها بنيا قديم ادمي مدينة قديمة ويقال لبعض الاشيا انه قديم ولم يمض عليه سنة ولهذا جاز ان يقال بيت قديم وبنا قديم
ولم يجز ان يقال في العالم انه قديم لان القدم في البيت والبنا يثبت بحكم تقادم العهد ومرور السنين عليه واطلاق القديم
على العالم لا اعتقاد انه قديم يعتقد انه لا اول له ولا سابق عليه ثم قال تعالى لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار

قال الراغب قوله تعالى عاد كالعرجون القديم اي الطاقة من اغصانه

اشار الى ان كل شى من هذه الاشيا المذكورة خلقها على وفق الحكمة فالشمس لم يكن يصلح لها سرعة الحركة بحيث يدرك القمر والا لكان في
شهر واحد صيف وشتا فلا يدرك الثمار ونضجها ولا الليل سابق النهار اى الليل لا يدخل وقت النهار والثاني يعني ان في كل شى
اسماها لو اضح دليل صحة ان الله بما نبينه فنقول معنى قوله تعالى ولا الليل سابق النهار ان القمر اذا كان على افق المشرق
ايام الاستهلال تكون الشمس مقابلته على افق المغرب ثم عند غروب الشمس يطلع القمر ثم عند طلوعها يغرب القمر كان لهما حركة واحدة
مع ان الشمس تتاخر عن القمر في كل ليلة مقدارا ظاهرا في الحس فلو كان للقمر حركة واحدة بها يسبق الشمس ولا يدركه الشمس والشمس
حركة واحدة بها تتاخر عن القمر وما يدرك القمر لبقي الشمس والقمر على هيئة معينة في مكان واحد لان حركة الشمس كل يوم درجة
تجلى الله تعالى في جميع الكواكب حركة اخرى غير حركة الشمس والقمر في المدة اليومية وبهذه الدورة لا يسبق كوكب كوكبا
اصلا لان كل كوكب من الكواكب اذا طلع غرب مقابله وكلما تقدم كوكب الى الموضع الذي فيه الكوكب الاخر بالنسبة الينا تقدم
ذلك الكوكب فبهذه الحركة لا يسبق القمر الشمس فثبت ان سلطان الليل لا يسبق سلطان النهار فالمراد من الليل القمر ومن النهار
الشمس فقوله لا الشمس ينبغي لها اشارة الى حركتها البطيئة التي تتم الدورة في سنة وقوله ولا الليل سابق النهار اشارة الى
حركتها اليومية التي تعود بها من المشرق الى المشرق مرة اخرى في يوم وليلة وفي هذا تنبيه على ما يدل على الحكمة في الخلاف
الليل والنهار سلطانه وهو القمر وما ذا يمكن لو ما كان القمر سابق الشمس بقوله تعالى ولا القمر سابق الشمس لما كان ثم لم
لم يشاهد الى الحركة اليومية مكان يتوهم انه تعين فان الشمس اذا كان لها مدرك القمر فالقمر اسرع ظاهرا واذا السرعة [illegible]
نظر الى القمر لا يسبق فليس باسرع فقال الليل والنهار ليعلم ان الاشارة الى الحركة التي بها تتم الدورة في مدة يوم وليلة
ويمكن جميع الكواكب اذ لا غلبها طلوع وغروب في الليل والنهار السابقة الغافل في قوله تعالى لا الشمس ينبغي لها ان تدرك
بصيغة الفعل وقال ولا الليل سابق بصيغة اسم الفاعل ولم يقل ولا الليل يسبق ولا ما كان الشمس مدركة القمر بقول
الحكمة في ذلك ان الشمس لا تدرك القمر مختصة بالشمس فجعلها كالصادر منها وذكر بصيغة الفعل اذ صيغة الفعل لا تطلق
على من لا يصدر منه الفعل فلا يقال هو خيط ولكن يصدر منه الخياطة والحركة الثانية ليست مختصة بكوكب من الكواكب
بل الكل فيها مشترك بسبب حركة فلك ليس ذلك فيها الكوكب من الكواكب فالحركة ليست كالصادرة منه فاطلق اسم الفاعل لانه
لا يستلزم صدور الفعل فيقال فلان خياط وان لم يخيط فان قيل قوله تعالى يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا يدل على خلاف
ما ذكرتم لان النهار اذا كان يطلب الليل فالليل سابقه قلنا ان قولهم ولا الليل سابق النهار معناه ما ذكرتم من ان الليل سابقا
يكون سابقا بقوله [illegible] ذكر بالاسم المراد من الليل هنا سلطان الليل وهو القمر وهو لا يسبق الشمس بالحركة اليومية السريعة
والمراد من الليل هناك نفس الليل وكل واحد منهما كان في عقيب الاخر فكانه طالبه فان قيل فلم ذكر هنا سابق
النهار وقال هناك يطلبه ولم يقل طالبه نقول [illegible] كان المراد في هذه السورة من الليل كواكب الليل وهي
في هذه الحركة لما لا تسبق ولا مرة نا انها سابقة والمراد هناك نفس الليل والنهار فهما زمانان والزمان لا قرار له
فهو يطلب حثيثا لصدر التقضي منه ومن ثم قوله تعالى وكل في فلك يسبحون تحقق ما ذكرنا ان الكل طلوع وغروب
في يوم وليلة لا يسبق بعضها بعضا بالنسبة الى هذه الحركة ولكل حركة في فلك تخصه وفيه مباحث الاول التنوين في قوله
كل عوض عن الاضافة معناه كل واحد واسقاط التنوين للاضافة حتى لا يجمع التعريف والتنكير في شي واحد فلما
اسقط المضاف اليه لفظا رد التنوين عليه لفظا وفي المعنى معرف بالاضافة فان قيل فهل يختلف الامر عند الاضافة
لفظا وتركها معنى نقول نعم وذلك لان قول القائل كل واحد من الناس كذا لا يذهب الفهم الى جميعهم فيفيد اقتصار
الفهم عليه فاذا قال كل كذا يدخل في الفهم عموم اكثر من العموم عند الاضافة وهذا كما في قبل وبعد اذا قلت افعل
قبل كذا فاذا حذفت المضاف وقلت افعل قبل افاد فهم الفعل قبل كل شى فان قيل فهل بين قولنا كل منهم وبين كلهم
وبين كل فرق نقول نعم عند قولك كلهم تثبت الامر للعموم مقتصرا عليهم وعند قولك كل منهم تثبت الامر للعموم [illegible]
بالتخصيص ودالته منهم وعند قولك كل تثبت الامر للعموم وترك عليه المسالة الثانية اذا كان كل بمعنى كل واحد منهم
والمذكور الشمس والقمر فكيف قال يسبحون نقول الجواب عنه من وجوه احدها ما بيننا ان قوله كل للعموم فكانه اخبر

عن كل

249

من كل كوكب في السما [illegible] ثانيها ان لفظ كل يجوز ان يوحد نظرا الى كونه لفظا موحدا غير مثنى ولا مجموع ويجوز ان يجمع لكون
معناه جمعا واما التثنية فلا يدل عليها اللفظ ولا المعنى فعلى هذا الحسن ان يقول القائل زيد وعمرو كل جاء وكل جاؤوا ولا يقول
كل جاآ بالتثنية ثالثها لما قال ولا الليل سابق النهار والمراد ما في الليل من الكواكب قال يسبحون المسالة الثالثة الفلك ماذا نقول
الجسم المستدير او السطح المستدير او الدائرة لان اهل اللغة اتفقوا على ان فلكة المغزل سميت فلكة لاستدارتها وفلكة الخيمة
هي الخشبة المسطحة المستديرة التي توضع على راس العمود لئلا يمزق العمود الخيمة وهي صفحة مستديرة فان قيل فعلى هذا
تكون السما مستديرة وقد اتفق اكثر المفسرين على ان السما مبسوطة لها اطراف على جبال وهي كالسقف المستوي ويدل عليه قوله تعالى
والسقف المرفوع نقول ليس في النصوص ما يدل دلالة قاطعة على كون السما مبسوطة غير مستديرة بل الدليل الحسي على كونها
مستديرة فوجب المصير اليه اما لا دلالة فيها فلان السقف المقبب لا يخرج عن كونه سقفا وكذلك كونها على جبال
واما الدليل الحسي فوجوه احدها ان من امعن في السير في جانب الجنوب يظهر له كواكب مثل سهيل وغيره ظهورا ابديا حتى ان
من يبصره يراه دائما ويخفى عليه بنات النعش وغيرها خفاء ابديا ولو كانت السما مسطحة مستويا لبان الكل للكل بخلاف
ما اذا كانت مستديرة فان بعضها حينئذ يستتر باطراف الارض فلا يرى الثاني هو ان الشمس اذا كانت مقارنة للحمل مثلا فاذا غربت
ظهر لنا كواكب في منطقة البروج من الحمل الى الميزان ثم في كل ليلة يستتر الكوكب الذي كان غروبه بعد غروب الشمس ويظهر
الكوكب الذي كان طلوعه بعد طلوع الشمس بالعكس وهو دليل ظاهر ولن يجحده بعض المتعصبين بان يقول ان الشمس قبل
طلوعها وبعد غروبها يطرح ضوءها وينتشر في الجو بعض الاستنارة ثم تطلع ولولا ان بعض السما مستور بالارض
وهو محل فلا يرى جرمها وينتشر نورها ولما كان كذا لمكان تعاذتها الى السما يظهر لكل احد جرمها ونورها معا
لكون السما مستوية حينئذ لمكونه كلها لكل احد الثالث ان القمر اذا انكسف في ساعة من الليل في جانب الشرق
ثم سئل اهل الغرب عن وقت الخسوف اخبروا من الكسوف في ساعة اول قبل تلك الساعة التي راى اهل الشرق فيها
الخسوف لكن الخسوف في وقت واحد في جميع نواحي العالم والليل مختلف فدل على ان الليل في جانب الشرق قبل الليل
في جانب الغرب فالشمس غربت من عند اهل الشرق وهي بعد في السما ظاهرة لاهل الغرب فنعلم ان استتارها بالارض
ولو كانت مستوية لما كان كذلك الخامس لو كانت السما مستوية لكان القمر عند ما يكون فوق روسنا على المسامتة اقرب
الينا وعند ما يكون في الافق ابعد منا لان العمود اصغر من القطر والوتر وكذلك في الشمس والكواكب وكان يجب ان
نراه اكبر لان القريب يرى اكبر وليس كذلك فان قيل [illegible] وهو على الافق على سطح السما [illegible]
على مسامتة روسنا في ثخن السما غايرا فيها [illegible] على السما تقول [illegible] شارع في صلوة الخسوف لكن القمر
حينئذ يكون حركته في دايرة على خط مستقيم وهو عرضنا لانا نقول لو كان كذلك لكان القمر عند اهل الشرق وهو في
منتصف السما لهم اكبر مقدارا لكونه قريبا منه ثم يصير فرضه على سطح السما [illegible] وعند نا في تحت السماء
وبالجملة الدلايل كثيرة ولهم كتاب فيها ما يليق بكتب الهيئة التي الغرض منها بيان ذلك العلم وليس الغرض في التفسير
بيان ذلك غير ان القدر الذي ذكرناه يكفي في بيان كونه فلكا مستديرا المسالة الرابعة هذا يدل على ان لكل
كوكب فلكا فما قولك فيه نقول اما السبعة السيارة فلكل فلك واما الكواكب الاخر فقيل لكل منها فلك [illegible]
كلاما مختصرا في هذا الباب [illegible] الشرع [illegible] قيل ان [illegible] للقمر فلكا
وان حركته اسرع من حركة الستة الباقية وكذلك لكل كوكب لاختلاف سيرها بالسرعة والبطو والقمر فان بعضها
[illegible] في دايرة [illegible] حتى [illegible] الاوقات [illegible] بعضها [illegible] وفي بعض الاوقات
يكسف فلكل كوكب [illegible] اهل الهيئة [illegible] لكل [illegible] وذلك [illegible] نقول
لكل [illegible] الكوكب حركة والله تعالى قادر على ان يخلق الكوكب في كرة [illegible]
[illegible] في [illegible] مجوفة [illegible] الكوكب [illegible]
حركة الكواكب السيارة على هذا الوجه وكذلك قادر على ان يخلق حلقة محيطة بها [illegible]

متوليه تجري وعلى مذهب ارباب الهيئة حركة الكواكب السيارة كالرحا اذا قررناه واخرجنا من وسط طاحونة من طواحين
اليد وبقي منه حلقة تحيط بها سطحان ودواير كما ذكرنا وما عن الكوكب فيه وهو فلكه فيدير بذلك الحلقة ويدير الكوكب
والحركة على هذا الوجه ولو كان منفذ فرجه [illegible] لاحد من بعض وكذلك [illegible] على الارض [illegible] الكوكب بحيث يشق السما
فيجعل دايرة تتوهمه كما لو فرضت سمكة في الما على وجه الما [illegible] تصعد الى موضع من الجانب الاعلى [illegible]
وهذا هو المفهوم من قوله تعالى كل في فلك يسبحون والظاهر ان حركة الكوكب على هذا الوجه وارباب الهيئة انكروا ذلك و
قالوا لا تجوز الحركة على هذا الوجه لان الكوكب له جرم فاذا شق السما وتحرك فاما ان يكون موضع دورانه ينشق ويلتئم
كما الحركة السمكة اذا تنشق الما ويلتئم بل هناك خلا يدور الكوكب فيه لكن الخلا محال والسما لا تقبل الشق والالتئام
هذا ما اعتمدوا عليه ونحن نقول كلاهما جايز اما الخلا فلا يحتاج اليه ههنا ان جعله تعالى يسبحون فيه منه انه شق
ولهم ايضا اما امتناع الشق والالتئام فلا دليل لهم عليه وشبهتهم في التحدد للجهات وهي بعد ضعفها انهم قالوا على اشيا
تخرج الحركات ونحن علمنا الكسوفات ولو كانت لها حركات لحملته لما وجب الكسوف في الوقت الذي حكم به بالكسوف
والخسوف وذلك انا نقول للشمس فلكان احدهما مركزه مركز العالم وثانيهما مركزه فوق مركز العالم وهو مثل ساير البيض
من صفرته [illegible] والشمس تكون في الفلك الخارج المركز تدور به في السنة دورة [illegible] على [illegible]
[illegible] انها في الاوج واذا حصلت في الجانب الاسفل [illegible] يكون في الحضيض واما القمر فله فلك
[illegible] جميع اجزايه وافلاكه [illegible] الفلك الذي له اول محيط به كالقشرة الفوقانية من البيضة [illegible]
[illegible] الفلك الخارج المركز في فلك الشمس وفي الفلك الخارج المركز كرة مثل جرم الشمس وفي الكرة القمر
[illegible] الفلك الحامل والفلك [illegible] الرابع
مركوز [illegible] في كرة موقوفها وسمي الفلك الفوقاني فلك الجوزهر والخارج المركز الحامل والفلك [illegible]
فيه الحامل [illegible] التي في الحامل سمي فلك التدوير وكذلك قالوا في الكواكب الخمسة الباقية من السيارات [illegible]
الفلك الفوقاني الذي [illegible] فلك الجوزهر لم يثبتوا لها فاثبتوا اربعة وعشرين فلكا [illegible] على [illegible] البروج [illegible]
[illegible] الممثل والحامل وفلك التدوير والمشتري مثله وكذا لزحل والمريخ كذلك مثله والشمس [illegible] الممثل والخارج المركز و
للزهرة مثله افلاك [illegible] والعطارد اربعة افلاك الثلاثة التي ذكرنا في العلويات وفلك اخر [illegible] اربعة
افلاك والرابع يسمونه فلك الجوزهر والمدير [illegible] الجوزهر لان المدير محيط بافلاك عطارد [illegible] محيط
[illegible] في كل فلك [illegible] اخرين وجعل [illegible] افلاك [illegible]
تختلف حركات الكواكب [illegible] رجوع واستقامة وبطو وسرعة هذا كلامهم على سبيل [illegible]
[illegible] ونحن نقول [illegible] من يدره الله [illegible] ذلك واما على سبيل الوصف [illegible] رجوعها واستقامتها
[illegible] الله [illegible] وطولها وبطوها وسرعتها [illegible] الكلام [illegible]
[illegible] الكواكب احيا [illegible] تعالى [illegible] يسبحون وذلك [illegible] يقول
[illegible] الذي [illegible] التسبيح [illegible] من شي [illegible] بحمده [illegible]
[illegible] ذلك [illegible] لا تفقهون [illegible]
[illegible] تعالى واية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون [illegible]
الله تعالى [illegible] الجسمانية [illegible]
حيا [illegible] وهذا [illegible] تعالى وحملناهم في البر والبحر [illegible]
تعالى وخلقنا لهم من مثله ما يركبون [illegible] الفلك [illegible] السفن [illegible] تعالى
[illegible] الكواكب [illegible] الفلك في البحار [illegible]
[illegible] على [illegible] للزينة [illegible] الارض واحيا [illegible] من القبيل
[illegible] لولاه [illegible] ولولا [illegible] والليل والنهار [illegible]

من القبيل الاول لانه الزمان الذي لولاه لما حدث الانسان والشمس والقمر وحركتهما لو لم يكن لما عاش ثم انه تعالى لما ذكر من
القبيل الاول ايتين ذكر من القبيل الثاني وهو الزينة ايتين احدهما الفلك التي تجري في البحر وتستخرج من البحر ما يتزين به
كما قال تعالى ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر وثانيهما الدواب التي هي في البر
كالفلك في البحر [illegible] من مثله ما يركبون فان الدواب زينة كما قال والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة
وقال ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون [illegible] عليهم [illegible] والثاني [illegible] ذكر في موضع
جنات من نخيل واعناب فانها للزينة [illegible] لما خلق الارض [illegible] لدفع
الضرورة وانزل الما عليها لذلك لزم ان يخرج من الحب [illegible] النخيل والاعناب [illegible] واما الفلك [illegible] ثم اذا علمت
المناسبة بين الايات فلنشتغل بتفسيرها [illegible] اما اللفظية [illegible] المفسرون الذريات [illegible] حملنا اباكم في الفلك
[illegible] هذا
قول بعضهم [illegible] المعنى [illegible]
[illegible] وقال تعالى [illegible]
[illegible] تعالى [illegible] الفلك [illegible]
[illegible] سفينة نوح [illegible] انا حملنا [illegible] للادمي [illegible]
[illegible] حملنا [illegible]
العام [illegible] تعالى [illegible]
[illegible] حملنا ذريتهم [illegible]
[illegible] المشحون [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] العباد [illegible] واية لهم [illegible]
واية لهم انا حملنا ذريتهم [illegible] العباد [illegible]
[illegible]
[illegible] تعالى [illegible]
اية لهم [illegible] ذريتهم [illegible] الفلك [illegible]
[illegible] سفينة نوح [illegible] الفلك [illegible] تعالى في سفينة
نوح [illegible] للعالمين [illegible] الفلك [illegible] في البحر [illegible]
[illegible] العباد [illegible]
عام [illegible] الفلك [illegible] الناس
[illegible] العباد [illegible] المسلمة [illegible]
جعل الفلك [illegible] الفلك المشحون [illegible]
من علم اللغة [illegible] الحركات [illegible]
[illegible]
[illegible] الفعل [illegible]
[illegible]

الجود فان الجود المصدر والجمع ليس من قبيل الالفاظ المشتركة التي وضعت بحركة واحدة لمعنيين اذا عرفت هذا فنقول
الفلك عند كونه واحدا مثل قفل وبرد وعند كونه جمعا مثل خشب او اسد وعمد فاذا جعلته جمعا فاذا كون
واحدها جاز ان يكون واحدها فلك او غيرها مما لم يستعمل كواحد النساء حيث لم يستعمل وكذلك الفلك [illegible] الامام [illegible] يدعو
كل اناس بامامهم اي بائمتهم [illegible] قوله تعالى [illegible] كرام وكتاب في [illegible] قوله تعالى كل اناس بامامهم [illegible] وجعاب
وهذا من فنون التصريف واما المعنوية فنذكرها في مسائل الاولى ما الفائدة ههنا حملنا ذرياتهم [illegible] عليهم [illegible] ذرياتهم و
ما قال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية ثم ههنا قال عليهم [illegible] من نفع المتعلق بالغير [illegible] ذلك
العذر من دفع الضرر عن المتعلق بالغير [illegible] الضرر [illegible] مثاله من احسن الى ولد انسان
ونرحمه فيفرح به ابوه وان ادنى واحد الى عن ولدان ان يكون [illegible] اباه [illegible] السلام عن ابيه
[illegible] الضرر [illegible] الضرر عنهم
[illegible] ههنا [illegible] الفلك المشحون فان
[illegible] الخلاص [illegible] وهنالك
[illegible] المبنى [illegible] تحزن [illegible]
[illegible] تعالى وحملناكم في البر والبحر [illegible] التقسيم [illegible]
[illegible] في البر والبحر [illegible] واما الحمل في البحر فلم [illegible] لما حملناكم [illegible]
[illegible] المسئلة الثانية [illegible] المشحون [illegible]
[illegible] الفلك [illegible]
في الماء [illegible] الفلك المشحون [illegible] هذا حمل الله [illegible]
[illegible] الكتب العقلية [illegible] حفظ الثقيل [illegible]
الله المسئلة الثالثة [illegible] تعالى [illegible] الفلك [illegible]
في الفلك هو العجب [illegible] الفلك [illegible] الارض [illegible] العجب [illegible]
عليها الصلاة السلام [illegible] تعالى وخلقنا لهم من مثله ما يركبون فيه مسائل الاولى [illegible] المعنى اما اللفظ
[illegible] ذريته اي حملنا ذرياتهم وخلقنا لهم [illegible] يركبون [illegible] العباد [illegible]
[illegible] الظاهر [illegible] المسئلة الثانية [illegible]
[illegible] وخلقنا لهم من مثله [illegible] عند النبي
[illegible] تعالى [illegible] تعالى [illegible] من ذنوبكم
كانه لما [illegible] خلقنا لهم [illegible] المسئلة الثالثة [illegible] الكرسي
[illegible] الفلك [illegible] تعالى [illegible] الفلك [illegible] المذكور [illegible]
وقوله [illegible] تعالى وان نشأ نغرقهم ولو كان [illegible] الغريق [illegible] وخلقنا لهم من
[illegible] فلا صريخ [illegible] تعالى [illegible]
[illegible] تعالى [illegible]
[illegible] ذكرنا [illegible] وخلقنا لهم [illegible] لطيفه [illegible]
[illegible] الفلك حملنا ذرياتهم [illegible] حملناهم [illegible]
[illegible] الفلك [illegible]
[illegible] الكلام [illegible] قوم نوح وان الملك [illegible]
[illegible] تعالى وان نشأ نغرقهم [illegible]

ان

ان [illegible] عذاب الله [illegible] السفينة
[illegible] الطبيعة والمخوف لا بسبب [illegible] ليس كذلك بل لوت الله [illegible] الطبع
ولو صح كلام الفاسد لكان [illegible] الرسول [illegible] كل
ذلك بمشيئة الله [illegible] الله [illegible] اهل السنة [illegible]
كما [illegible] الغرق [illegible] ولذلك لان
الخلاص من العذاب [illegible] ما لم [illegible]
بعد الوقوع فيه وهذا [illegible] تعالى [illegible]
فالله [illegible] عن [illegible] لهم [illegible] ان ينصر
وابتدع في النصرة [illegible] وانما ينصر [illegible] من [illegible]
واتاهم [illegible] التقاد [illegible] لا الا عقلي
على ظنه وانما [illegible] الرحمة [illegible] الى حين نهى
[illegible] الرحمة والمتاع [illegible] رحمة [illegible]
فليتنع [illegible] الدوام [illegible] الله رحمة
ومتاعا الى حين [illegible] تعالى واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم
[illegible] تعالى [illegible] الآيات بقوله واية لهم الارض واية لهم الليل واية لهم انا حملنا ذرياتهم وكانت الآيات [illegible]
[illegible] تعالى [illegible] العذاب [illegible] عذاب [illegible]
[illegible] تعالى [illegible] الدليل القاطع [illegible] واذا قيل لهم اتقوا لا يتقون [illegible] الغفلة
[illegible] البرهان [illegible] الدين [illegible] تعالى [illegible]
[illegible] البرهان [illegible]
واذا قيل لهم اتقوا محذوف معناه واذا قيل لهم ذلك [illegible]
تعالى [illegible] ما بين ايديكم وما خلفكم [illegible]
[illegible] وما خلفكم [illegible]
[illegible] تعالى وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم [illegible]
[illegible] تعالى [illegible] متاعا الى حين [illegible] علمه [illegible]
فانكم اذا [illegible] محمد عليه السلم [illegible] تعالى لعلكم ترحمون [illegible] الرحمة
من وجوه ذكرناها [illegible] تعالى [illegible] اتقوا [illegible]
على البراهين [illegible] لعلكم ترحمون [illegible]
ان [illegible] ذكرنا [illegible] اتقوا [illegible]
[illegible] فان الملك [illegible]
في قلبه [illegible] لا [illegible] الرسول [illegible]
[illegible] تعالى [illegible] اية من ايات ربهم [illegible]
[illegible] تعالى [illegible] على العباد ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون [illegible]
[illegible] عنها معرضين [illegible] الرسل [illegible] اعرضوا [illegible]
[illegible] لعلكم ترحمون [illegible]
متصل بما قبله من الاية [illegible] تعالى [illegible] واذا قيل لهم اتقوا [illegible] اعرضوا [illegible] اعراضهم

مستمرا على ذلك بل هم عن كل آية معرضون او نقول اذا قيل لهم اتقوا اعرضوا [illegible] وما تأتيهم من آية
من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين وعلى هذا كان في المعنى يكون اذا معناه الا يعرضون عنها [illegible]
كذب بالبعض فانه على التكذيب بالكل وقوله تعالى واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله اشارة الى انهم يخلون بجميع
ما على المكلف وذلك لان المكلف عليه التعظيم لجانب الله والشفقة على خلق الله وتركوا التعظيم حيث قيل اتقوا لم يتقوا
وتركوا الشفقة على خلق الله حيث قيل لهم انفقوا فلم ينفقوا وفيه لطائف الاولى هو طلبوا بادنى الدرجات في التعظيم والشفقة
فلم يأتوا بشيء منه وعباد الله المخلصون حيث طلبوا بالادنى فاتوا بالاعلى [illegible] انهم امروا بان يتقوا ما بين ايديهم
من العذاب [illegible] العذاب [illegible] واما الخاص فينبغي [illegible] عليه
[illegible] ويتقي العذاب [illegible] ثم لم يتقوا معصية الله ولم يتقوا عذاب الله والمخلصون اتقوا الله
واخشوا مخالفته سواء كان يعاقبهم عليه او لا يعاقبهم واما في الشفقة فقيل لهم انفقوا مما اي بعض ما هو لله
لديكم فلم ينفقوا والمخلصون آثروا على انفسهم وبذلوا كل ما في ايديهم [illegible] عباد الله ودفع الضرر عنهم
الثانية ان في جانب التعظيم ما كان غاية التعظيم راجعا اليهم فان الله مستغن عن تعظيمهم [illegible] في جانب الشفقة
ما كان غاية الشفقة راجعا اليهم [illegible] ولابد من وصول رزقه اليه [illegible]
[illegible] الثالثة [illegible] قوله مما رزقكم الله [illegible]
[illegible] من ذلك مخافة الفقر فان الله رزقكم فاذا انفقتم [illegible]
[illegible] تعالى واذا قيل لهم [illegible] الجواب [illegible]
ذلك لانه تعالى لو قال واذا قيل لهم انفقوا قالوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه لكان كافيا فما الفائدة في قوله تعالى قال الذين كفروا
للذين آمنوا [illegible] على
المؤمنين [illegible] الضيف وانتم تقولون ان الله
رزق من يشاء فلم تقولون لنا انفقوا [illegible] الرد على المؤمنين [illegible] الامتناع من الطعام قال تعالى عنهم قال الذين
كفروا للذين آمنوا اشارة الى الرد [illegible] على المؤمنين [illegible]
عن ذكرهم لحصول العلم به المسألة الثانية ما الفائدة في تغيير اللفظ في جوابهم حيث لم يقولوا انفق على
من لو يشاء الله رزقه [illegible] وان قيل لهم انفقوا فكان جوابهم بان يقولوا انفق [illegible] قالوا
انطعم [illegible] الطعام [illegible]
[illegible] اعط زيدا دينارا يقول
[illegible] دينارا [illegible] المسألة
الثالثة [illegible] لو يشاء الله [illegible] كان الانكار
[illegible]
[illegible]
[illegible] ان انتم الا في ضلال
مبين [illegible] المؤمنين بهذا الكلام [illegible] ظاهر الفساد و
[illegible] وفيه مباحث لغوية ومعنوية اما اللغوية [illegible]
ان [illegible] للشرط [illegible] الشرط واستعمل
[illegible] الالف والميم من
[illegible] اذا قلت
ان جاءني زيد اكرمه [illegible] واستعمل ما في الشرط

تقول

يقول [illegible] على ما ذكرنا ان ما الثانية تستعمل [illegible] لانك تقول ما ان جلس
زيد تجعل ان صلة ولا تقول ان اجلس زيد بمعنى الشرط [illegible] وما صلة يدلنا
هذا على ان ان في الشرط اصل وما دخيل [illegible] البحث الثاني قد ذكرنا ان [illegible]
[illegible] وصف الضلال بالمبين [illegible]
[illegible] الطريق المستقيم
[illegible] ان المؤمن [illegible]
[illegible] انطعم من لو يشاء الله اطعمه اشارة الى [illegible] ان شاء
ان يطعمهم [illegible] الطعام [illegible]
[illegible] الطعام [illegible] اراد الله
[illegible] فهو ضلال [illegible]
[illegible] العبد اذا امره السيد [illegible]
[illegible]
[illegible] على الحذر منه
[illegible] الطاعة [illegible] انفقوا مما رزقكم [illegible]
[illegible]
[illegible] هذا الوعد [illegible]
الوعد [illegible] فما الجواب
[illegible] ان كنتم صادقين [illegible]
الخطاب [illegible] يا ايها المدعون للرسالة
صادقين [illegible] هذا الوعد [illegible]
[illegible] تعالى واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم [illegible] الانبياء
[illegible] بالساعة والحساب والثواب والعقاب [illegible] تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم
[illegible] الانتظار [illegible]
[illegible] العذاب [illegible]
[illegible] الصيحة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الصيحة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الحالة [illegible]
[illegible] التوصية [illegible]

فلا يستطيعون كلمة فكيف فعلا يحتاج الى زمان طويل من اداء الواجبات ورد المظالم المسألة الثالثة اختار التوصية
من بين سائر الكلمات يدل على انه لا قدرة له على اهم الكلمات فان وقت الموت الحاجة الى التوصية امس المسألة الرابعة
التنكير والتوصية للتعميم اي لا يقدر على توصية ما ولو كانت بكلمة يسيرة ولان التوصية قد تحصل بالاشارة فالعاجز
عنها عاجز عن غيرها المسألة الخامسة قوله ولا الى اهلهم يرجعون بيان لشدة الحاجة الى التوصية لان من يرجو
الوصول الى اهله قد يمسك عن الوصية لعدم الحاجة اليها واما من يقطع بانه لا وصول له الى اهله فلا بد له من
التوصية فاذا لم يستطع مع الحاجة دل على غاية الشدة وفي قوله ولا الى اهلهم يرجعون يحتمل وجهين احدهما ما ذكرنا انهم
يقطعون بانهم لا يمهلون الى ان يجتمعوا باهاليهم وذلك يوجب الحاجة الى التوصية وثانيهما انهم الى اهلهم لا يرجعون
يعني يموتون ولا رجوع لهم الى الدنيا ومن يسافر سفرا ويعلم انه لا رجوع له من ذلك السفر ولا اجتماع له باهله
فهو احوج ما يكون الى الوصية ثم بين ما بعد الصيحة الاولى فقال تعالى ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون
اي نفخ فيه اخرى كما قال تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وفيه مسائل الاولى قال تعالى في موضع
اخر ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وقال ههنا فاذا هم الى ربهم ينسلون والقيام غير النسلان وقوله في
الموضعين اذا هم يقتضي ان يكونا معا نقول الجواب عنه من وجهين احدهما ان القيام لا ينافي المشي السريع لان الماشي قائم
ولا ينافي النظر وثانيهما ان سرعة الامور كان الكل في زمان واحد كقول القائل مكر مفر مقبل مدبر معا المسألة الثانية
كيف صارت النفختان مؤثرتين في امرين متضادين الاحياء والاماتة نقول لا مؤثر غير الله والنفخ علامة
ثم ان الصوت الهائل يزلزل الاجسام فعند الحياة كانت اجزاء الحي مجتمعة فزلزلها فحصل فيها تفريق وحالة الموت
كانت اجزاؤه متفرقة فزلزلها فحصل فيها اجتماع فالحاصل ان النفختين تورثان تزلزلا وانتقالا للاجرام فعند
الاجتماع يتفرق وعند الافتراق يجتمع المسألة الثالثة ما التحقيق في اذا التي للمفاجاة نقول [illegible] اذا
التي للظرف معناه نفخ في الصور فاذا نفخ فيه هم ينسلون لكن الشيء قد يكون ظرفا للشيء معلوما كونه ظرفا فعند الكلام يعلم كونه
ظرفا وعند المشاهدة لا يتجدد علم كقول القائل اذا طلعت الشمس اضاء الجو وغير ذلك فاذا رأى اضاءة الجو عند الطلوع
لم يتجدد علم زائد واما اذا قال خرجت فاذا اسد بالباب كان ذلك الوقت ظرفا لكون الاسد بالباب لكنه لم يكن معلوما
فاذا رآه علم فحصل العلم بكونه ظرفا له مفاجاة عند الاحساس فقيل اذا للمفاجاة المسألة الرابعة اين يكون في ذلك
الوقت اجداث وقد زلزلت الصيحة الجبال نقول يجمع الله اجزاء كل واحد في الموضع الذي قبر فيه فيخرج من ذلك
الموضع وهو جدثه المسألة الخامسة الموضع موضع ذكر الهيبة وتقديم ذكر الكافر ولفظ الرب يدل على الرحمة
فلو قال بدل الرب لفظا دالا على الهيبة هل يكون اليق ام لا قلنا هذا اللفظ احسن لانهم يكونون من اساءتهم
واضطروا الى التوجه الى من احسن اليهم يكون ذلك اشد الما واكثر ندما من غيره المسألة السادسة المسيء اذا توجه
الى المحسن يقدم رجلا ويؤخر اخرى والنسلان هو سرعة المشي فكيف يوجد منهم ذلك نقول [illegible] من غير اختيارهم
وقد ذكرنا في قوله تعالى اذا هم [illegible] انه اراد الاستخفاف بقدرته ونفوذ ارادته حيث نفخ في الصور فكما نفخ في دفعة
جمع وتركيب واحياء وقيام وعدو في زمان واحد فقوله اذا هم ينسلون [illegible] الى اهل الدرجة
وهو النسلان الذي لا يمكن الا بعلمهم انهم [illegible] تعالى قالوا يا ويلنا من بعثنا يعني بعثوا قالوا ذلك
لم نفخ في الصور يدل على [illegible] فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون يقولون
يا ويلنا كانت [illegible] معاذ الله [illegible] ذلك لانهم [illegible] ينسلون على ما ذكرنا اشارة الى انه تعالى في
اسرع زمان يجمع اجزاءهم ويؤلفها ويحييها ويحركها بحيث يقع نسلانهم في وقت النفخ مع ان ذلك لا بد له من الجمع والتاليف
فلو قال يقولون لكان ذلك مثل الحال ينسلون [illegible] يا ويلنا وليس كذلك فان قولهم يا ويلنا قبل ان ينسلون
فانما ذكر النسلان لما ذكرنا من الفائدة المسألة الثانية لو قال قائل [illegible] ما معنى [illegible] في مثل يا حسرة واحسرتنا ويا ويلتنا
ولكن التنوين [illegible] حيث قال تعالى يا حسرة على العباد من غير اضافة وقالوا يا حسرتنا ويا ويلتنا

نقول

نقول حيث كان القائل هو المكلف لم يكن لاحد علم بما له وما عليه اوى الى من يقربه فكان كل واحد مشغولا بنفسه
فكان كل واحد يقول يا حسرتا ويا ويلنا فقوله قالوا يا ويلنا اي كل واحد قال يا ويلي واما حسرة فقال على سبيل
العموم لشمول علمه بحالهم المسألة الثالثة ما وجه تعلق من بعثنا من مرقدنا بقولهم يا ويلنا نقول لما بعثوا تذكروا
ما كانوا يسمعون من الرسل فقالوا يا ويلنا من بعثنا ابعثنا الله البعث الموعود به ام كنا نياما فنبهنا وهذا كما
اذا كان انسان يعتقد ان يأتيه عدو ولا يطيقه ثم يرى رجلا هائلا يقبل عليه فيرتجف في نفسه ويقول هذا ذلك
ام لا ويدل على ما ذكرنا قولهم من مرقدنا حيث جعلوا موضع القبور موضع الرقاد اشارة الى انهم شكوا في انهم كانوا
نياما فنبهوا او كانوا موتى فبعثوا وكان الغالب على ظنهم كونه البعث فجمعوا بين العبارتين فقالوا من بعثنا اشارة
الى ظنهم انه بعثهم الموعود به وقالوا من مرقدنا اشارة الى توهمهم احتمال الانتباه المسألة الرابعة هذا اشارة
الى ماذا نقول فيه وجهان احدهما انها اشارة الى المرقد كانهم قالوا من بعثنا من مرقدنا هذا فيكون صفة للمرقد ثم يكون الكلام
هنا ما وعد وثانيهما هذا اشارة الى البعث اي هذا البعث ما وعد به الرحمن وصدق فيه المرسلون المسألة
الخامسة اذا كان هذا صفة للمرقد فكيف يصح قوله تعالى ما وعد الرحمن وصدق المرسلون نقول يكون ما وعد الرحمن
مبتدأ خبره محذوف تقديره ما وعد الرحمن حق والمرسلون صدقوا او نقول ما وعد الرحمن وصدق فيه المرسلون
حق والاول اظهر لقلة الاضمار او ما وعد الرحمن خبر مبتدأ محذوف تقديره هو ما وعد الرحمن من البعث
ليس بتنبيه من النوم وصدق المرسلون فيما اخبروكم به المسألة السادسة ان قلنا هذا اشارة الى المرقد فالبعث
جواب الاستفهام بقولهم من بعثنا [illegible] نقول لما كان غرضهم من قولهم من بعثنا حصول العلم بانه بعث او تنبيه
حصل الجواب بقوله هذا ما وعد الرحمن [illegible] ليس تنبيها [illegible] ماذا نقول [illegible] ان
يقول لا تخافوا [illegible] علمه ان غرضه ازالة الرعب [illegible] ثم قال تعالى ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون
اي ما كانت النفخة الا صيحة ولفظ [illegible] يدل على [illegible] قوله تعالى ونفخ في الصور ويحتمل ان يقال ان كانت الواقعة [illegible] وقرئ الصيحة مرفوعة
على ان كان هي التامة بمعنى ما وقعت الا صيحة وقال الزمخشري لو كان كذلك لكان الاحسن ان يقال ان كان لان المعنى حينئذ ما وقع
شيء الا صيحة لكن للتأنيث [illegible] احالة على الظاهر [illegible] يقول المدني الذي قرأ بالرفع ان قوله اذا وقعت الواقعة تأنيث
ومبالغة يدل عليه قوله ليس لوقعتها كاذبة فانها للمبالغة [illegible] ههنا قال ان كانت [illegible]
اسماء يوم الحشر كلها مؤنثة كالقيامة والقارعة والحاقة والطامة والصاخة [illegible] والزمخشري يقول كاذبة
بمعنى ليس لوقعتها نفس كاذبة [illegible] الحشر [illegible] وقوله محضرون يدل على ان كونهم ينسلون
اجبار لا اختيار [illegible] ثم بين ما يكون في ذلك اليوم بقوله تعالى فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون
[illegible] لا تظلم نفس [illegible] ولا تجزون الا ما كنتم تعملون ليأس المجرم الكافر [illegible] في المقابلة
الخطاب [illegible] اشارة الى يأس المجرم بقوله لا تجزون [illegible] اشارة الى ان المؤمن [illegible] بقوله لا تظلم ولم يقل
ولا تظلمون ايها المؤمنون [illegible] لا تظلم نفس شيئا [illegible] العموم [illegible] فانها لا تظلم احدا [illegible] مختص
بالكافر فان الله يجزي المؤمن [illegible] فضلا [illegible] مختصا بالمؤمن [illegible] المسألة الثانية
ما المقتضي لذكر الفاء [illegible] نقول لما قال محضرون [illegible] والجمع للفصل والحساب قال تعالى اذا احضروا لم يجمعوا الا
للفصل بالعدل ولا ظلم عند الجمع للعدل فصار عدم الظلم مترتبا على احضارهم للعدل ولهذا يقول القائل للوالي او القاضي
جلست للعدل فلا تظلم اي ذلك يقتضي هذا [illegible] المسألة الثالثة [illegible] بل يجزون
بما كانوا [illegible] لا تجزون الا ما كنتم تعملون [illegible] جزاء [illegible]
[illegible]
والسيئة [illegible]
[illegible] وهذا يوجب اليأس العظيم الثاني [illegible] راجع الى الخصوص [illegible]

الموعود به

بالمقابلة

لا يجزون الا مثل العمل ان كان حسنة فحسنة وان كان سيئة فسيئة فتجزى سيئة سيئة فيجزون ما يعملون من السيئة
والحسنة وهو احسن لقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها ثم بين حال المحسن وقال ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون
وفيه في شغل يحتمل وجوها احدها في شغل عن هول اليوم باخذ ما اتاهم من الثواب فما عندهم خبر من عذاب ولا حساب
وقوله فاكهون يكون متمما لبيان سلامتهم فانه لو قال في شغل جاز ان يقال هم في شغل عظيم من التفكر في اليوم واهواله
فان من يصيبه فتنة عظيمة ثم يعرض عليه امر من امورها ويخبر بحصول ربح فيه يقول انا مشغول عن هذا
فاتم منه فقال فاكهون اي شغلوا عنه باللذة والسرور لا بالويل والثبور ثانيها ان يكون ذكر ذلك لبيان حالهم يريد انهم
شغلوا عن شي بل يكون معناه في عملهم شغل اي عمل انه ليس بشاق بل هو ملذ محبوب ثالثها في شغل عما توقعوه
فانهم تصوروا في الدنيا امورا وقالوا نحن اذا دخلنا الجنة نطلبها كذا وكذا فراوا ما لم يخطر ببالهم فاشتغلوا به
وفيه وجوه غريبة ضعيفة احدها قيل افتضاض الابكار وهذا ما ذكرنا في الوجه الثالث ان الانسان قد يترجح في نظره
امرات مثلا حسن الكواعب فيقول في الجنة التي ان الله تعالى يرتبه فاشغله عنها ما يراها فيقول في ضرب الامثال
يعرض فيما ذكرناه من نعيم وما التهاني في التنادم والتهاني ضيافة الله ويقولوا اهلا وسهلا من ضيافة الله
يكون بالذي ما يمكن وحينئذ يشغله ذلك عما توهمه في دنياه وقوله فاكهون حال وفي شغل بيان ما فيهم فيه بعلم
يزيد على علم مثل وفي شغل مجالسين فلا يكون الحال دالا على الحال ولو نصبت حالا لكان الكلام جائزا
في شغل فاكهين لكان معناه اصحاب الجنة مشغولين فاكهين على الحال والفاكه الملتذ المتنعم ومنه الفكاهة
فانها لا تكون في الشبع الا لللذة ولا يوكل لدفع الم الجوع وفيه معنى لطيف وهو انه اشار بقوله في شغل عن علمهم بالالم
عندهم ثم بين بقوله فاكهين عن حال لهم اللذة وما عندهم الالم فلا الم عندهم ولهم اللذة فيبين انهم على اتم حال ثم كمل البيان بقوله
هم وازواجهم وذلك لان من يكون في لذة بتنغص عليه بسبب تفكره في حال من يهمه امره فقال هم وازواجهم ايضا
فلا يبقى لهم تعلق قلب واما من في النار من اقاربهم واخوانهم فيكونون عندهم في شغل ولا يكون عندهم منهم الم ولا شهوة
حضورهم ولهذا الازواج يحتمل وجهين احدهما اشكالهم في احسانهم وامثالهم في الايمان كما قال تعالى من شكله ازواج فانهما
المتزوج بهم المعصومون من زوج المراة وتدم الرجل كما في قوله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وقوله تعالى
وبدونها رد لها فان المراد ليس من اسكان دار فيه في ظلال جمع ظلة وفي ظلال جمع ظل والمراد به الوقاية عن مظان
الالم فان الجالس تحت كن لا يخشى المطر ولا حر الشمس فيكون به مستعدا لدفع الالم لكن لهم من ظل الله ما يقيهم
الاسواء كما قال تعالى لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب وذلك يدل على انهم فيها تمام ولا زمهرير اشارة الى عدم
الالم وفيه لطيفة ايضا وهو ان حال المكلف اما ان يكون احتلالها بسبب ما فيه من الشغل وان كان شغلا كما قال في الفاعل
في حر الشمس في البستان المتنزه او يكون بسبب المكان وان كان الشغل مطلوبا لكن لا عيبه ان يكون في المكان المكشوف
واما ان يكون بسببه الماكل كالمتنزه في البستان اذا عوز الطعام واما بسبب فقد الحبيب والى هذا يشير اهل القلب
في شرايط السماع بقولهم الزمان والمكان والاخوان فقال تعالى في شغل فاكهون اشارة الى انهم ليسوا في تعب بقال هم وازواجهم
اشارة الى عدم الوحشة فقال في ظلال على الارائك اشارة الى المكان وقال لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون اشارة الى دفع جميع
حوائجهم وقوله متكئون اشارة الى انهم في العز والتراعي فان القائم يقوم لشغل والقاعد قد يقعد لهم واما المتكئ فلا شغل
له ولا هم له فان العز والعدم ان المريض لا يقدر على الاتكاء وانما يكون مضطجعا او مستلقيا والارائك جمع اريكة وهي السرر التي عليها
الفرش تحت الحجلات فيكون مرئيا هو ومن فوقه ولهم فيها فاكهة اشاره الى انه لا جوع هناك وليس الاكل لدفع الم الجوع
فانما ياكلون فاكهة ولو كان لخاطر يا ما قال تعالى ولحم طير مما يشتهون يدل على التفكر وصدق الشهوة بعد الجوع
ثم انا نقول قوله مما يشتهون يوكد معنى عدم الالم لان الاكل الذي يذكر للمداواة من غير شهوة مثلها ما يشتهون من لحم
الطير في الدنيا يوكل في حالتين احداهما حالة التنعم والثانية حالة الضعف المعدة وحينئذ لا ياكل طيرا يشتهيه وانما ياكل
ما يوافقه ويامره به الطبيب واما انه يدل على التفكر فقول بعض الحكماء ان الحاضر حال الطعام عن الاشتهاء الا نقتح

بعضها

بعضها الى بعض ثم نقول انما اختار من انواع الماكول الفاكهة في هذا الموضع لانها ادل على التنعم والتلذذ وعدم الجوع والتنكير
لبيان الكمال وقد ذكرنا مرارا وقوله لهم فيها ولم يقل ياكلون اشارة الى كون زمام الاختيار بيدهم وكونهم مالكين قادرين وقوله
ولهم ما يدعون فيه وجوه احدها لهم فيه ما يدعون لانفسهم اي عاما مستجاب وحينئذ يكون هذا افتعالا بمعنى الفعل كالاحتمال
بمعنى الحمل والارتحال بمعنى الرحل وعلى هذا فليس معناه انهم يدعون لانفسهم دعاء فيستجاب بل معناه الطلب ومعناه لهم
ما يدعون لانفسهم اي لا حاجة لهم الى الدعاء والطلب كما ان الملك اذا طلب منه غلامه شيئا يقول لك ذلك فيفهم منه تارة
ان طلبك مجاب وان هذا امر هين بالنسبة الى ما تطلب منه ويفهم تارة منه الرد وبيان ان ذلك لك حاصل فلم تطلبه وقال تعالى
لهم ما يدعون ويطلبون فلا طلب لهم ويقرب من قولهم تمن ما يتمنون بمعنى ما يصح ان يطلب ويدعى يعني كل ما يصح ان يطلب فهو حاصل
لهم قبل الطلب او يقال لو الطلب ولا اجابة وذلك لان الطلب من الله ايضا فيه لذة فلو قطع الله اسباب
سببه بينه لما كان لهم ما يجب وهم يبقى شيا يعطيهم عند الطلب لكن لهم عند الطلب لذة وعند العطا فان يعطي الملوك
حيث يتمكن من يخاطب الملك في حوائجه منصب عظيم والملك الجبار قد يدفع حوائج المماليك باسرها ولا يمكنهم منه الا بحاجب
الثاني ان يدعون ما يتداعون وحينئذ يكون افتعالا بمعنى التفاعل كالاقتتال بمعنى التقاتل ومعناه ما ذكرنا ان كل ما يصح
ان يدعو احد صاحبه اليه او يطلبه احد من صاحبه فهو حاصل لهم الثالث ما يتمنون الرابع بمعنى الدعوى ومعناه حينئذ انهم
كانوا يدعون في الدنيا ان لهم الله هو مولاهم وان الكافرين لا مولى لهم فقال لهم في الجنة ما يدعونه في الدنيا فتكون الحكاية
محكية في الدنيا كانه يقول في يومنا هذا لكم ايها المومنون غدا ما تدعون اليوم ان تعلم ان اصحاب الجنة اليوم في شغل
فاكهون هم وازواجهم في ظلال يدل عليه القول يوم القيامة اذا نقول الجواب عنه من وجهين احدهما ان تقديره هم متكئون ازواجهم
عطف عليهم ويحتمل ان يكون هذا الكلام في يومنا هذا يخبر ان المومن وازواجه في ظلال غدا وله ما يدعيه والجواب الثاني هو
اولى ان نقول معناه لهم ما يدعون اي ما كانوا يدعون لانفسهم بانه اقمار حيث اضرهم وانه عن حاجتهم ثم انا نقول على ما ذكرنا ينبغي الادعا
مستعملا في معناه المشهور لان الادعا هو الاتيان بالدعوى وانما قلنا ان هذا اولى لان قوله سلام قولا من رب رحيم هو تتمة
دار له حرمة وهو كالتفسير لقوله ما يدعون ولان قوله ما يدعون يكون جملة كاملة في الاخرة ثم ما يدعون هذا شيء لم يكن في الاخرة
وفي الاخرة لا يبقى دعوى وبينه لظهور الامور وفصل بين اهل الثبور والحبور وقوله تعالى سلام قولا من رب رحيم هو الحاصل
لا شيا هو اكثرها الذي تدعونه ولنبينه في مسائل الاولى الرفع بقوله سلام بماذا نقول يحتمل ذلك وجوها احدها
هو بدل مما يدعون كانه تعالى قال ما يدعون بينه فبدله فقال سلام قولا فيكون في المعنى كالمبتدا الذي خبره جار
ومجرور كانه قال لهم سلام ولم نرد الى ذلك لان النحو ليس كذلك وهو بدل وبدل النكرة من المعرفة فيكون المعنى الذي
هو بدل سلام ويحمل على هذا ان تقدير قوله تعالى ما يدعون العموض وما موصولة بمعنى نكرة تقديره لهم شي يدعونه
ثم بين بقوله البدل فقال سلام اول هو الصحيح وثانيها سلام خبر ما لهم لبيان ان لهم شيئا يدعون سلام هو الخالص
والسالم بمعنى السالم ان السليم تعالى عبد سالم اي سليم من العيوب كما يقول لرب الشيء متوفر والجارات والمجرور
يكون لبيان مثله ذكره واشرف هو المبتدا ومتوفر خبره ما المناسبة تعالى سلام منقطع عما تقدم وسلام مبتدا وخبره
محذوف تقديره سلام عليهم فيكون ذلك اخبارا من الله تعالى في يومنا هذا كانه تعالى حكى لنا ان اصحاب
الجنة في شغل ثم لما اكمل بيان حالهم قال سلام عليهم وهذا كما في قوله تعالى سلام على نوح وسلام على المرسلين فيكون الله تعالى
احسن الى عباده المومنين كما احسن الى عباده المرسلين وهذا وجه مبتكر جيد ما يدل عليه منقول او يقول
تقديره سلام عليكم ويكون هذا نوعا من الالتفات حيث قال لهم كذا وكذا ثم قال سلام عليكم المسالة
الثانية قولا منصوب بماذا نقول يحتمل وجوها احدها نصب على المصدر تقديره على قولنا المراد لهم سلام هو قال تعالى
لهم سلام يقوله الله قولا او يقوله الملائكة قولا وعلى قولنا ما يدعون سالم لهم تقديره ما يسلم ولكن قولا ثم جعلهم
فان لهم ما يدعون سالم وعدا وعلى قولنا سلام عليكم تقديره اقوله قولا وقوله من رب رحيم يكون لبيان ان السلام منه اي سلام
عليهم من رحيم اقوله قولا ويحتمل ان يقال على هذا انه مميز لان السلام قد يكون قولا وقد يكون فعلا فان من يدخل على الملك

فيظن انه تعالى سلط على الملك مع حينئذ كقول القائل البيع موضوع حقا لا حتا ورد ممنوع منه نطقا لا ظنا
المسئلة الثالثة قال سلام قولا من رب رحيم وقال في غيره من انواع الاكرام نزلا من غفور رحيم فهل بينهما فرق
نقول نعم اما هناك فلان النزل ما يرزق النزيل اولا وذلك ما يتكلف له ثم يعطي النزيل ما اكرم اولا
يدل على انه مكرم واذا الرجل بالكرام في بدايته يدل على انه مهان فلذا اخبرنا بذلك عن مطبوع به يحصل لمن يمكنه الملك
واسع الرزق فيرزق ثم يليه اولا ولا منع منه الطعام والشراب دنيا فشيء في غيره فقال غفور اشارة الى ان العبد ما يسوق
بان الطعام يدفع به عن نفسه ما يتبعه والسلام يظهر مرتبته بتعظيم السلام بمغفرته تعالى رب لان رب الشيء مالكه
الذي نظر الى حاله من تنبيه برحمة منه الى الالتفات اليه بالتعظيم فاذا سلم اليه تحية منه ونبل انظر هو سيله وسلم عليه
ثم قال تعالى وامتازوا اليوم ايها المجرمون وفيه وجوه منها ان يكون المراد ذهب الغافلون ولبعضهم في الحكم
ونقر فوا كما قال تعالى تكاد تميز من الغيظ اي يتميز بعض من بعض عن انتظامهم من الحيرة والدلالة ووجه الترتيب
حينئذ ان المجرم يرى منزلة المومن ورفعته ومنزلته درجته وضعته فيتحسر فيقال لهم امتازوا اليوم اذ لا دار
لكم ولا شفاعة لكم كما قال امتازوا عن المومنين وذلك لانهم يكونون مشاهدين لما يصل الى المومن من الثواب
ولهم كقولهم تعالى لتفرقوا وادخلوا مساكنكم من النار فلم يبق لكم اجتماع بهم ابدا الثالث امتازوا بعضكم من بعض
على خلاف ما للمومن من الاجتماع بالاخوان الذين كانوا اليه يقول تعالى ثم دل على ذلهم باهل النار يمكن لهم العذاب الاليم وعذاب
الفرقة ايضا ولا عذاب فوق الفرقة بل العقلاء قالوا بان كل عذاب فهو بسبب تفرق اتصال فان من قطع يده او جرح جسمه
فانما تالم بسبب تفرق اتصالات بعضها عن بعض لكن السرور الحسي ورد السرور العقلي الرابع امتازوا عن شفعائكم وقرنائكم
فما لكم اليوم من حميم ولا شفيع الخامس ليس لكم اليوم اننا نوجد احدا منكم لو اعتز لا عن كل خير والمجرم هو الذي يأتي بالجرم ويكمل السر
ذلك بان يطلب رضاه ان الله تعالى يقول امتازوا اي سقطوا عليهم ستة توبيخه كما قال تعالى يعرف المجرمون بسيماهم فيوبخه
وحينئذ يكون قوله تعالى امتازوا امر تكوين كما انه يقول كن فيكون كذلك يقول امتازوا فيتميزوا بسيماهم وتظهر على
جباههم او في وجوههم سواد ثم قال تعالى الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان لما ذكر الله تعالى
حال المومنين والمجرمين كان لقائل ان يقول ان الانسان كان يغلط جهلا او الجهل من الاعذار فقال الله تعالى عهدت عليكم
الا تفعلوا وقد ثبت اتباع السبيل بانقاح الرسل وقد عهدنا اليكم وتبين لكم علمكم ما يتبغي ان تفعلوه وما لا ينبغي وفي الاية
مسائل الاولى منه الخطاب الى بني آدم ويحتمل ان يقول في الاولى كسر الهمزة من اعهد وجوز في الاستقبال كلها تكسر عن الياء فسال
نعلم ونعلم اليا يسه كسر الياء من بحر بعرف الياء مع قلب الهمزة ياء احيهد وذلك في كل عين بعدها هاء الرابعة
ادعام الهاء في الحاء بعد العين فيقال لم احذ وتدشيم فزم تقولون ذحا نحاى ادعامها المسئلة الثانية
في معنى العهد وجوه اقربها ان يقولوا ما لم اوص اليكم المسئلة الثالثة في هذا العهد وجوه منها انه هو العهد
الذي كان مع ابينا آدم بقوله وعهدنا الى آدم الثاني انه هو الذي كان مع ذريته آدم بقوله تعالى الست بربكم
قالوا بلى فان ذلك يقتضي ان لا يعبد غير الله الثالث وهو الاقوى ان ذلك كان مع كل قوم على لسان رسول
ذلك القوم وكذلك نبه العقلاء على ان الشيطان يأمر بالشر وان اختلفوا في حقيقته او كيفيته المسئلة
الرابعة ما معنى النهي عن عبادة الشيطان قلنا عبادته بمعنى الطاعة له فالطاعة
عبادة لا يقال فلم ذكرنا امرتم بعبادة الله احسنوا وانما عنهم في قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي
الامر منكم بل لا تقول طاعتهم اذا كان بامر الله تعالى عبادة لله وطاعة له وكيف لا ونفس السجود والركوع
للغير اذا كان بامر الله لا يكون الا عبادة لله كما ان الملائكة سجدوا لآدم ولم يكن ذلك الا عبادة الله وانما عبادة الامراء
وطاعتهم بما لم ياذن الله فيه فانه عبادة لهم فمن طاعة السلطان طاعة الرحمن مع انه يسمى من السلطان
فهو لا يرضى اثنا نقول طاعة السلطان في مخالفة امر الله ان كانت عبادة له لانه اجرية في بعض الاديان فتكتب
الشيطان يامر فيعصي عندكم وفي بعض الاديان يامر ويعصونكم كذلك كما كان يتخص ما ترك شيء مما طاعته كذلك مولى

ومراده

لامر الله او ليس موافقا فان لم يكن موافقا فذلك الجزء مع الشيطان بامرك بما يرى فان اطعته فقد عبدت الشيطان
وان دعتك نفسك الى فعل فانظر انه مما اذن فيه من جهة الشرع اوليس كذلك فان لم يكن ماذونا فيه فنفسك هي الشيطان
او معها الشيطان يدعوك فان اتبعته فقد عبدته ثم ان الشيطان يامر او لا بمخالفة الله ظاهرا فان اطيع فقد عبد وان لم يطع
يرجع عنه بل يقول له اعبد الله لكيلا تهان وليرتفع عندالناس شانك وينتفع بك اخوانك او اعوانك فان اجيب اليه فقد
عبد لكن عبادة الشيطان على تفاوت وذلك لان الاعمال منها ما يقع بالعامل موافق فيه جنانه ولسانه واركانه ومنها
ما يقع والجنان اواللسان مخالف للجوارح وبالاركان بمن الناس من يرتكب جريمة كارها بقلبه لما يقترفه من ذنبه
مستغفرا لربه يعترف بسوء ما يقترف فهو عبادة الشيطان بالاعضاء الظاهرة ومنهم من يرتكبها وقلبه طيب ولسانه
رطب كما انك تجد كثيرا من الناس يتبدح بكونه مترددا الى ابواب الظلمة للسعاية ويعد من المحاسن كونه متقربا مع الملوك
ويتفخر بلسانه وتجدهم من حضب لكونهم امروا الملك بالظلم والملك منقادا لهم اذا بعثوه يكونون بامرهم بالظلم فيطلبون
الحيث بامره عليهم من الامرا فاعرف هذا فان الطاعة التي بالاعضاء الظاهرة والبواطن الطاهرة محقرة بالاستقامة والالم
كما قال فمن اضطر وقد ذكر علماء السلام التي من ليس حسنة وقال عليه السلام السيف محاء للذنوب الا للمثل بطاعة الذنوب
وسال عليه السلام في الحدود انها كفارات وما يكتسب بالقلوب فلا خلاص منه الا بالتوبة والندم واقبال القلب
على الرب وما يكتسب باللسان فهو من يساوي كمن يعمل في الظاهر والمثل فيه يوضح الحال فنقول اذا كان عند السلطان
امير وله غلمان ومن خواص الامير وانباع يخدمهم من غولقم الناس فاذا صدر من الامير مخالفته وسلبه مع عدة السلطان
ومصادقته فيها لا يتعطف السلطان ذلك الا اذا كان في غاية الشيح او يكون الصبر منه بذنب سابق او قربة او شفقة فان صدر من
خواص الامير مخالفته وهو به عالم ولم يزجرهم عنه الخالف موصول عنه دار نكارها واظهر الانكار حسنت مغابنته
دون معاقبته لا ان انتقام خواصه على المخالفة دليل سوء التربية فان كان الصادر من الحواشي الا ما علم به الامير ولم يزجرهم
عونب الامير ولم يزجرهم استحق الامير بذلك الزجر والاكرام وحسن من الملك ان يسلك الى المزجور الاحسان
والانعام لا على حصول انزجاره اذا علم هذا فالعلماء والاسنان خاصته والاعضاء خدمه فما يصدر من القلب
هو العظيم من الذنب فان اشتمل على محبته غير الله فهو الويل العظيم والضلال المبين المستعقب للعقاب الاليم
والعذاب المهين وما يصدر من اللسان فهو محسوب على القلوب فان اشتمل على ما لم يرتكبه بفعله وما يصدر من الاعضاء
والقلب فذطر عليه الانكار وحصل له الانزجار فهو الذنب الذي حكى النبي عليه السلام عن ربه انه قال لو لم تذنبوا
لخلقت قوما يذنبون ويستغفرون فاغفر لهم وههنا لطيفة وهو ان الشيطان قد يرجع عن عبد من
عباد الله فرحان بظن انه قد حصل مقصوده من الاغواء حيث يرى ذلك العبد ارتكب الذنب ظاهرا ويكون بذلك
ان العالم درجة العبد فان الذنب يكسر قلب العابد فيتخلص من العجب بنفسه وعبادته ويصير اقرب من الرفيع
لانه لم يثبت مغرورا بعمله كما قال تعالى لهم الله فعندهم والمنيب التائب النادم منكسر القلب والله عنده
كما قال عليه السلام انا عند المنكسرة قلوبهم ومن فيه من يكن الله عنده ومن يكن الله عنده يوقعه بما يحكي من الذنوب
الصادرة من انبيا ومن هذا القبيل تحصل لهم الفضيلة على الملائكة حيث تبجحوا بانفسهم بقولهم ونحن نسبح بحمدك
ونقدس لك وقد يرجع الشيطان عن العبد يكون بعلمه شيئا لم يفعله والشخص يظن انه غلب الشيطان ورده
خايبا فيبتهج في نفسه وهو لا يعلم ان الشيطان رجع عنه محصل المقصود بعثوله عنه مردود ومن هذا سبيل ما
اصولي فقول الناس اختلفوا في ان الذنب هل يخرج من الايمان ام لا وسبب النزاع ووقع نظر الخصمين
على امرين مشتبهين فالذنب الذي بالجسد والقلب بحرج لمن يؤيد في الايمان والذي بالقلب يخاف معه
الخروج عن ربقة الايمان ولذلك صلفوا في عصمة الانبيا من الذنوب ولا شك ان الحدك جائز عليهم و
التنزل ولبذ عليه بالعلى لا يجوز عليهم ثم انه تعالى لما نهى عبادة عن عبادة الشيطان ذكر ما يحملهم على قبول
ما امر وابه والانتها عما نهوا عنه بقوله انه لكم عدو مبين وفيه مسائل الاولى من ابن حصلت العداوة من الشيطان

وسوله لنا وهذا من الشيطان وسببه تكريم الله بني آدم لما رأى ابليس ربه كرم آدم وذريته عاداهم كما قال الله تعالى
ولد اول منه لهم والثاني من الله كرم اما الاول فلان الملك اذا اكرم شخصا ولم يستحق من له عرشا اذا اخلق في الحرانه
فعادوه من يعادي ذلك المكرم لا لكونه الا لكونه واما الثاني فلان الملك اذا علم ان الكرم ليس لا منه وذلك الضعف
ما كان يقدر ان يصل الى يعقل ذلك له لولا اكرام الملك فعلم ان من يعصيه يذكر بعقل الملكا ويستبدل من ائمته
صنفا وكلاما يحمل العدو بقادحه لانه لما لا كرام ولكان لا فعال لم اكثر من الناس على مذهب ابليس
اذ ما دل اصلا عند ذلك يحزنا الفتوه وسعوا به اقامة لسنة ابليس فالملك لم يكن متعلقا باخلاق الله
واتبعوا الساعي ويسمع كلام ويترك اكرام ذلك الشخص واحترامه المسئلة الثانية من ان الله عاداه
يقول لما اكرمه لهم عاداه ابليس وظن انه يبقى في عزلته ولهم في عزلته مثل ما عض عنده
والله تعالى كان عالما بالغايات بعله واظهر لهم ما ظهر هو دون نفسه الا ان يخفيه لتغالي مما كان يحمله على اخفا
فالكلا معتلهم صار الحكم ربك لاحكمت حكمته المسئلة الثالثة واذا كان الشيطان لا لان انه عدو اسبابا
فما لك لان الانسان يميل الى مراضيه من الشرب والزنا ولهو مساخطهم من المجاهدة والعبادة يقول سبب ذلك استعانه
الشيطان باهوا ... انسان وترك سعادته لما ان ربه يستحق شهوته الى حلقها الله فيه لمصالح
كما انه دفعا يرهم ويحملها سببا لفساد حاله ويدعوه بها الى ما يكلفها لك وكذلك يستحق لغضبه الذي جعل الله
فيه لدفع المفاسد عنه ويجعله سببا لوباله وفساد احواله وميل الانسان الى المعاصي كميل المريض الى الحامض وذلك
حين يحرفها المزاج عن اعتدال فيترك المحموم برد الماء البارد وهو يزيد في مرضه ومن به فساد المعدة فلا تلتغم القليل
من الغذا ويميل الى اكل الكثير واشبع بشي وهو يزيد في علته فساد او صحيح المزاج لا يشتهي الا ما ينفعه فالدنيا
كالهوى الوبي لا يستغني الانسان فيه من استنشاق الهوا وهو المسئلة انه لا يطرح منه فيه اصلاح الهوا بالروائح
الطيبة والاشيا الذكية والرش بالخلد المانعة من حل المعليات فكذلك الانسان في الدنيا يستغني من ضررها
وهي المعينات للشيطان وطريقه ترك الهوى وتقليل التاميل وتحريف الهوا بالذكر الطيب والزهد فاذا اصح
مزاج عقله مال الى الحق واسهل عليه في التكاليف كلها ويحصل له مع الا ... الغته وهناك يعترف
الشيطان بانه ليس له عليه سلطان كما قال الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ... هذا صراط مستقيم لما منع منهما الشيطان حمل على
عباد الرحمن فان اتباع طبيب الارواح كالطبيب طبيب الاشباح وكما ان الطبيب يقول للمريض لا تفعل كذا ولا تاكل من
دواعي الحمية التي رأس الدوا لئلا يزيد مرضه ثم يقول له تناول الدوا الفلاني يقوي لتقوية المقاومة
للمرض كذلك المتابع منع من اتباع الشيطان وحمل على الصالح سبهما داء الرحمة وفيه مسائل
الاولى عند المنع من عبادة الشيطان قال الله انه لكم عدو لانه للعداوة ابلغ المواضع من الاتباع وعند الامر
بعبادة الرحمن لم يقل انه لكم حبيب لان المحبة لا يوجب متابعة المحبوب بل ربما يورث ذلك الاتكال على المحبة
سعله انه يحتني فلا حاجه الى تحمل المشقه في تحصيل مراضيه بذكر ما ذكرها هنا بلوغ اشبا الى الحمل العبادة
وذلك كونه طريقا مستقيما ولذلك ان الانسان في دار الدنيا في منزل ثغر مخوف وهو محتاج الى دليل لاقامة
بها اصحابه والنازل في تحديه خالفه يخاف على روحه ما لا يمكن عنده شي احب من طريق قريب آمن فلما قال
الله تعالى هذا صراط مستقيم كان ذلك سياجا تامول المدرك وفي حصول ما في الله تعالى هذا صراط له الى ان
الانسان مختار له ولكان في دار الاقامة يقال هذا صراط مستقيم لا يتمكن له يعني اذ المقيم يقول وماذا افعل
بالطريق وانا من المقيمين المسئلة الثانية اذا كان هذا طريقا فمنتهاها يحوله الانسان ما في اقاما
مسافر راجع الى وطنه واما فرقه تاجر له متاع يتجر فيه وعلى الوجهين فالله هو المقصود اما الوطن
فلانه لا وطن الا في ما من كل امن الا لملك لا يزول فلا ان عند ذال ملك الملك هي ينبغي الامن والراحة والله هو
الذي ملكه دايم وكل ما عداه فهو فان واما التجارة فلان التاجر يقصد ها الى موضع يسمع او يعلم ان لمتاعه هناك

رواجا والله تعالى يقول ان العمل الصالح عنده مثاب عليه متقبل باضعاف ما يستحق فالله هو المقصود وعبادته توجه اليه ولا
شك ان العاسد حجة اذا توجه اليها يكون على الطريق المستقيم المسئلة الثالثة العبادة تنبى عن معنى التذلل فما بال الا العبد او
السيات لزم ان يتذلل الا انه على ما سوى الله لله وما بال اذا اعبدوني ينبغى ان لا يتذلل على الله لكن التكبر على
ما سوى الله ليس معتاد اذ من يرى نفسه خيرا من غيره فان نفسه من جملة ما سوى الله فينبغي ان لا يستعلي بها ولو كانت
متجلية بعبادة الله بمعنى التكبر على ما سوى الله ان لا ينقاد له الا باذن الله وفي هذا التكبر غاية التذلل ونحن نقول ان حنيند
استعاذ بنفسه ويخذ نفسه في المنقوش على هذه فلا يتفوق تحصل النواضع الا من لا سيما ذا امر الملوك اذا جاء العبد
امر الله تحصل التكبر التام فيرى نفسه بهذا التكبر ... الامير ان الله تعالى ذكر ما بينه لعداوة
الشيطان بقوله ولقد اضل منكم جبلا كثيرا وفي الآية مسائل الاولى في الجبل قرئ بلغات كسر الجيم والبا
مع تشديد اللام وضمهما مع التشديد وضمهما مع التخفيف وفتحها مع سكون البا وكسر اللام مع ضم الجيم بسكون
البا وهو من الجبلة والجيم والبا واللام لا تخلو عن معنى الاجتماع والجبلة اجتماع الاجسام الكثيرة وحبل الحبل
فيه اجتماع اجزا الما والتراب وسناه لجبلا اذا كانت مجتمعة الناس الكثيرة لا يقال البلحة نفرق على ما ذكرتم فانها تنبى
عن التفرق فانا نقول خلاف التفرق الا انما يقول في اجتماع الاماكن الخاليه التي هي ممكنات فان البلحة والبلدة
معنى والبلد سمي بلدا للاجتماع لا للتفرق فالجبل الجمع العظيم حتى قيل ان دون العشرة الالف لا يكون جبلا
فانه لم يكن صحيحا المسئلة الثانية كيف اضلال يقول على وجهين لان الضلال على وجهين تولية عن المقصد وصدعنه
فالشيطان يأمر البعض بترك عبادة الله وبعبادة غيره فهو توليه فانه يتقيد بامره بعبادة الله مع غير الله
منه ياسة رجاؤه وغيرها فهو حيد وهو يفضي الى التولية لان من يصل لو حصل ترك الله والا فلا ذلك الغير فحمل
التولية ثم بين حال اهل الضلال بقوله هذه جهنم التي كنتم توعدون وحال الضلال بحال حرج من وطنه مخافة
عدوه فوقع في سبع ولو اقام في وطنه لعل ذلك العدو كان لا يظفر او يرحمه كذلك حال من يتحرك
بطاعة لا عصيان كالمجانين وحال من استعمل عقله فاخطا الطريق فان المحق من اهل النجاة ولسنا هو من اهل
الدرجات وقد قيل بان البلاهة ادنى الى الخلاص من فطانة بترا وذلك ظاهر في المحسوس فان من لم يعرف الطريق
اذا اقام مكانه لا يبعد عن الطريق كثيرا ومن سار الى حيث ما ضل يبعد عنه كثيرا ثم يتذكر ويصل الى ما عمل
بقوله اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون وفي هذا الكلام ما يوجب شدة ندامتهم وحسرتهم من ثلاثة اوجه احدها قوله تعالى
اصلوها فانه امر تنكيل واهانة كقوله ذق انك انت العزيز الكريم الثاني قوله اليوم يعني العذاب حاضر ولذاتك قد مضت
وايامها قد انقضت وبقي اليوم العذاب الثالث قوله تعالى بما كنتم تكفرون فان الكفر الكفران ينبى عن نعمة
كانت فكفر بها وحيا الكفور من المنعم من اشد الالام ولهذا اكثر ما يقول العبد المجرم افعلوا بي ما يأمر به السيد
ولا تحضروني بين يديه والى هذا المعنى اشار العابد البيس بقوله لانه حيا المحسن من المحسن ثم قال
تعالى اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون في الآية مسائل الاولى انهم حين يسمعون قوله تعالى ما كنتم
تكفرون يريدون ان ينكروا كفرهم كما قال عنهم ما اشركنا وقالوا آمنا به فيختم الله على افواههم فلا يقدرون على الانكار
وينطق الله غير لسانهم من الجوارح ... المسئلة الثانية ما الحكمة في قوله تعالى لهم الم اعهد اليكم ...
فسكتوا وخرسوا وتكلمت اعضاء لهم غير اللسان وفي الختم على الافواه وجوه اقواها ان الله تعالى يسكت
السنتهم فلا ينطقون بها وينطق جوارحهم فتشهد عليهم وانه في قدرة الله يسير اما الاسكات فلا خفا فيه واما
الانطاق فلا ان اللسان عضو متحرك بحركة مخصوصة فجاز تحركه بما جاز تحرك غيره بمثلها والله قادر على الممكنات
والوجه اللفظ انهم لا يتكلمون شيئا لانقطاع اعذارهم وانتهاك استارهم فيقفون ناكسو الرؤس وقوف
القنوط اليوس لا يجد عذرا فيعتذر ولا مجال توبة فيستغفر وتكلم الايدي ظهور الامر بحيث لا يسع معه
الانكار حتى تنطق به الايدي ... اشار ... العايد للحيطان يبقى على صحة البنا ... الحزن ... الصحيح

وفيه لطائف لفظية ومعنوية اما اللفظية فالاولى منها هي ان الله تعالى اسند فعل الختم الى نفسه وقال نختم
واسند الكلام والشهادة الى الايدي والارجل لانه لو قال تعالى نختم على افواههم وننطق ايديهم يكون فيه احتمال
ان ذلك منهم كان جبرا وقهرا والاقرار بالاجبار غير مقبول فقال تعالى تكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم اي باختيارها
بعدما يقدرها الله تعالى على الكلام ليكون ادل على صدور الذنب منهم الثانية منها هي ان الله قال تكلمنا
ايديهم وتشهد ارجلهم فجعل الشهادة للارجل والكلام للايدي لان الافعال تسند الى الايدي قال تعالى وما عملته
ايديهم اي ما عملوه وقال ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة اي ولا تلقوا بانفسكم فاذا الايدي كالعاملة والشاهد على العامل ينبغي
ان يكون غيره فجعل الارجل والجلود من جملة الشهود لبعد اضافة الافعال اليها واما المعنوية فمنها ان يوم القيامة
من تقبل شهادته من المقربين والصديقين كلهم اعداء المجرمين وشهادة العدو على العدو غير مقبولة وان كان من
الشهود العدول وغير الصديقين من الكفار والفساق غير مقبول الشهادة فجعل الله الشاهد عليهم منهم لا من غيرهم
ومنها ارتكابها بما صدرت الذنوب منها فهي [illegible] ان لا تقبل شهادتها [illegible] ردت شهادتها قبل شهادتها
لانها ان كذبت في مثل ذلك اليوم فقد صار الذنب منها في ذلك اليوم والمذنب في ذلك اليوم مؤاخذ لا يعفى عن [illegible]
[illegible] في الدنيا وان صدقت في ذلك اليوم فقد صدر منها الذنب في الدنيا وهذا كما قال القائل ان كذبت في نهار
هذا اليوم فعبدي حر فقال الفاسق كذبت في نهار هذا اليوم عتق العبد لانه ان صدق في قوله كذبت في نهار هذا
اليوم فقد وجد الشرط ونزل الجزاء وان كذب في قوله كذبت فقد كذب في نهار هذا اليوم فوجد الشرط ايضا
كذلك ههنا في اليوم الاتي كذبت في نهار اليوم الذي علقت عتق عبدك على كذبك فيه الثالثة الختم لازم الكفار
في الدنيا على قلوبهم وفي الآخرة على افواههم من الوقت الذي كان الختم على قلوبهم كان قولهم بافواههم كما قال تعالى ذلك
قولهم بافواههم فلما ختم على افواههم ايضا لزم ان يكون قولهم باعضائهم لان الالسن ترجمان القلب والعضو [illegible]
[illegible] التي تنطق الجوارح [illegible] ثم انه تعالى قال ولو نشاء لطمسنا على اعينهم
فاستبقوا الصراط فانى يبصرون وقد ذكرنا مرارا ان الصراط المستقيم هو بين الجبر والقدر وهي الطريقة الوسطى
والله تعالى في كل موضع ذكر ما يتمسك به الجبرية ذكر عقيبه ما يتمسك به القدرية وبالعكس وههنا كذلك
لما قال تعالى وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون فقال اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون وكان ذلك متمسك القدرية
حيث اسند الله الكفر والكسب اليهم واحال الخير والشر عليهم ذكر عقيبه ما يدل على ان كفرهم وكسبهم بمشيئة الله
وذلك ان الكفر بعمى البصيرة وضعف القوة العقلية وعمى البصيرة بارادة الله ومشيئته اذ لو شاء لاعمى
البصائر كما انه لو شاء لطمس على اعينهم المبصرة وسلب القوة العقلية باختياره ومشيئته كما ان
سلب القوة الجسمية بمشيئته حتى لو شاء مسخ المخلوق على مكانته واقامه بحيث لا يتحرك عنه ولا
يقدر على المضي ولا الرجوع فاعمى البصائر بمشيئته كما اعمى الابصار وسلب القوة العقلية كما سلب القوة
الجسمية فقال ولو نشاء لطمسنا على اعينهم اشارة الى انه تعالى اراد اعماء بصائرهم فضلوا وآيته انه
لو شاء طمس اعينهم لما اهتدوا الى طريقهم الظاهر ولو شاء اختار سلب قوة عقولهم [illegible] وآيته
انه لو شاء سلب قوة اجسامهم ومسخهم لما قدروا على تقدم ولا تأخر وفي الآية لطائف لفظية
الاول في قوله فاستبقوا الصراط قال الزمخشري فيه وجهان احدهما انه نصب بحذف حرف الجر
وايصال الفعل من غير حرف واصله فاستبقوا الى الصراط والثاني [illegible]
فاعمله اعمال [illegible] ان يجعل الصراط مستبقا لا مستبقا اليه يقال استبقا فسبقه
وحينئذ يكون بمعنى قوله يبتدروا الى الطريق كانه تعالى قال الصراط الذي هو منهجهم وليبتدروا [illegible]
له فاصدقوا اياه وانما [illegible] عليه او لحسن الله على اعينهم [illegible] فكيف لن يكونوا على الصراط
الثاني [illegible] الطمس [illegible] على المسخ [illegible] ذلك الكلام [illegible] كانه قال ان اعماهم لما [illegible]

الطريق الذي هم عليه وحينئذ لا يهتدون اليه فانه قال فالاعمى قد يهتدي الى الطريق بالامارات العقلية او الحسية
غير حس البصر كالاصوات وكالمشي بحس اللمس فانى يبصرون ولو نشاء لمسخناهم وسلبنا قوتهم بالكلية لا يهتدون
الى الصراط بوجه من الوجوه [illegible] المضي على الرجوع لان الرجوع اهون من المضي لان المضي
لا ينبئ عن سلوك الطريق من قبل واما الرجوع فينبئ عنه ولا شك ان سلوك طريق قد رآه مرة اهون من
سلوك طريق لم يره فقال لا استطاعوا مضيا ولا اقل من ذلك وهو الرجوع الذي اهون من المضي ثم قال
تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق افلا يعقلون قد ذكرنا ان قوله تعالى الم اعهد اليكم قطع لاعذارهم بسبق الانذار
ثم لما قرر ذلك والله شرع في قطع عذر آخر وهو ان الكافر يقول ما لبثنا في الدنيا الا يسيرا ولو
عمرتنا لما وجدت منا تقصيرا فقال الله افلا يعقلون انكم كلما دخلتم في السن ضعفتم وقد عمرناكم
مقدار ما تتمكنون من البحث والادراك كما قال تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ثم انكم علمتم ان الزمان
كلما يعبر عليكم يزداد ضعفكم فضيعتم زمان الامكان فلو عمرناكم اكثر من ذلك لكان بعده زمان
الازمان [illegible] زمان الامكان ما كان ياتي به في زمان الازمان ثم قال تعالى
وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين في الرسالة فانا قد ذكرنا ان الله في كل موضع ذكر
اصلين من الاصول الثلاثة وهي الوحدانية والرسالة والحشر ذكر الاصل الثالث منها وههنا ذكر الاصلين
الوحدانية والحشر اما الوحدانية ففي قوله تعالى الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان وفي قوله وان
اعبدوني هذا صراط مستقيم واما الحشر ففي قوله تعالى اصلوها اليوم وفي قوله اليوم نختم على [illegible] الى غير ذلك
فلما ذكرهما وبينهما ذكر الاصل الثالث وهو الرسالة فقال وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين
وقوله وما علمناه الشعر اشارة الى انه معلم من عند الله فعلمه ما اراد ولم يعلمه ما لم يرد وفي تفسير الآية مباحث
الاول خص الشعر بنفي التعليم مع ان الكفار كانوا ينسبون الى النبي عليه السلام اشياء من جملتها السحر ولم
يقل وما علمناه السحر وكذلك كانوا ينسبونه الى الكهانة ولم يقل وما علمناه الكهانة فنقول اما الكهانة فكانوا
ينسبونه اليها عندما كان يخبر عن الغيوب [illegible] لكنه عليه السلام ما كان يتحدى الا بالقرآن كما قال تعالى وان كنتم
في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله الى غير ذلك ولم يقل ان كنتم في شك في رسالتي فانطقوا الجذوع
او اشبعوا الخلق العظيم او اخبروا بالغيوب فلما كان تحديه عليه السلام بالكلام وكانوا ينسبونه الى الشعر
عند الكلام خص الشعر بنفي التعليم الثاني ما معنى قوله تعالى وما ينبغي له قلنا قال قوم
ما كان يتأتى له وآخرون ما يتسهل له حتى انه ان تمثل ببيت شعر سمع منه مزحفا يروى انه كان يقول
عليه السلام ويأتيك من لم تزود بالاخبار ونحن نقول احسن من ذلك وهو ان يحمل ما ينبغي له على مفهومه
الظاهر وهو ان الشعر ما كان يليق به ولا يصلح له وذلك لان الشعر يدعو الى تغيير المعنى لمراعاة اللفظ
والوزن فالشارع يكون اللفظ منه تبعا للمعنى والشاعر يكون المعنى منه تبعا للفظ لانه يقصد لفظا به يصح وزن
الشعر وقافيته فيحتاج الى التخيل لمعنى يأتي به لاجل ذلك اللفظ وعلى هذا نقول الشعر هو الكلام
الموزون الذي قصد الى وزنه قصدا اوليا واما من يقصد المعنى فيصدر موزونا مقفى لا يكون شاعرا
الا ترى ان قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ليس بشعر والشاعر اذا صدر منه كلام فيه متحركات
وساكنات بعددها في الآية يتقطع بفاعلات فاعلات فاعلات فاعلات يكون شعرا لانه قصد الاتيان
بالفاظ حروفها متحركة وساكنة كذلك والمعنى تبع والحكيم قصد المعنى فجاء على تلك الالفاظ وعلى هذا يحصل الجواب
عن قول من يقول ان النبي ذكر بيت شعر وهو قوله انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وغيره
لانا نقول ذلك ليس بشعر لعدم قصده الى الوزن والقافية وعلى هذا لو صدر من النبي عليه السلام كلام كثير
موزون مقفى لا يكون شعرا لعدم قصده اللفظ قصدا اوليا ويؤيد ما ذكرنا انك اذا تتبعت كلام الناس في الاسواق

تحقيقه ما يكون موزونا [illegible] لا يسمى المتكلم به شاعرا ولا الكلام شعرا لفقد القصد الى اللفظ
ابتداء قوله تعالى ان هو الا ذكر وقرآن مبين تحقيق ذلك المعنى اي هو ذكر وموعظة للقصد الى المعنى والشعر لفظ
مزخرف بالقافية والوزن وههنا لطيفة وهي ان النبي عليه السلم قال ان من الشعر لحكمة يعني قد يقصد الشاعر اللفظ
فيوافقه معنى حكمي كما ان الحكيم قد يقصد معنى فيوافقه وزن شعري لكن الحكيم بسبب ذلك الوزن لا يصير شاعرا
والشاعر بسبب ذلك الكلام يصير حكيما حيث سمى النبي عليه السلم شعره حكمة ونفى الله ان يكون النبي شاعرا وذلك لان
اللفظ قالب المعنى والمعنى قلب اللفظ وروحه فاذا وجد القلب لا نظر الى القالب فيكون الحكيم الموزون كلامه حكيما
ولا يخرجه عن الحكمة وزن كلامه والشاعر الموعظي كلامه حكيما ثم قال تعالى لينذر من كان حيا وقرئ
بالتاء والياء فالتاء خطابا مع النبي عليه السلم والياء يحتمل وجهين احدهما ان يكون المنذر هو النبي عليه السلم حيث سبق ذكره في
قوله وما علمناه وقوله وما ينبغي له وثانيهما ان يكون [illegible] الاول اقرب الى المعنى والثاني اقرب
الى اللفظ اما انه اقرب الى المعنى فلان المنذر صفة الرسل اكثر ورودا من المنذر صفة الكتب واما انه اقرب الى اللفظ فلان القرب
المذكور الى قوله لينذر [illegible] من كان حيا اي من كان حي القلب ويحتمل [illegible] الا من كان
حيا في علم الله [illegible] من كان حيا [illegible]
بما على العاصي من العقاب وبما على الطائع من الثواب ويحق القول على الكافرين [illegible]
كما قال تعالى [illegible] العذاب [illegible] وذلك لان الله تعالى
قال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا [illegible] القول
في الوحدانية والرسالة [illegible] فان التنزيل فيه ذكر الدلائل التي [illegible]
ثم انه تعالى اعاد الوحدانية ودلائل دالة عليها فقال اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما
اي مما عملناه من غير معين ولا ظهير بل عملناه بقدرتنا وارادتنا وقوله فهم لها مالكون اشارة الى تمام النعام
في خلق الانعام فانه تعالى لو خلقها ولم يملكها الانسان ما كان ينتفع بها وقوله وذللناها لهم زيادة انعام فان
الملوك [illegible] الانعام التي في الركوب
وان كان يحصل [illegible]
ذلك [illegible] فمنها ركوبهم ومنها ياكلون [illegible] التذليل لما وجد
[illegible] ولهم فيها منافع ومشارب وذلك
ان [illegible] المنافع [illegible] والمشارب [illegible]
وهو الآنية [illegible]
[illegible] ثم قال تعالى
افلا يشكرون [illegible]
[illegible]
فانهم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الى صراط الجحيم
وقوله [illegible] محضرون [illegible]
كما ذكرنا [illegible]
[illegible] على علم

الاستطاعة

الاستطاعة فان من حضر واحتج [illegible] يكون في غاية الضعف بخلاف [illegible]
وقوله فلا يحزنك قولهم اشارة الى الرسالة لان الخطاب معه [illegible] دليل اجتبائه واختياره اياه
وقوله انا نعلم ما يسرون وما يعلنون يحتمل وجوها احدها [illegible] ما يسرون
من النفاق وما يعلنون من الشرك [illegible] ما يسرون [illegible]
الفاسدة [illegible] ثم انه تعالى لما ذكر دليلا من الافاق على وجوب عبادته بقوله اولم يروا
انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما ذكر دليلا من الانفس [illegible] خلقناه من نطفة بل
[illegible] ابي بن خلف [illegible] عظما باليا واتى النبي عليه السلم وقال له يقول
ان الاله يحيي هذه العظام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ويدخلك جهنم وقد ثبت في اصول الفقه ان
الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب الا ترى ان قوله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها نزلت في واحدة
واراد الكل في الحكم فكذلك كل انسان ينكر الله او الحشر فهذه الآية رد عليه اذا علمت عمومها فنقول فيها
لطايف الاولى [illegible] انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا [illegible] المنكرين [illegible]
[illegible]
[illegible]
فان الانسان قد يغفل عن الانعام [illegible]
[illegible] انا خلقناه من نطفة [illegible]
وجود [illegible] من نطفة اشارة الى وجه الدلالة وذلك لان خلقه لو كان [illegible] مختلفة الصور كان يمكن ان يقال
العظم خلق من جنس صلب واللحم من جنس رخو وكذلك الحال في كل عضو فلما كان خلقه من نطفة متشابهة
الاجزاء وهو مختلف الصور دل على اختيار وقدرة [illegible] فاذا هو
خصيم مبين [illegible] منه
[illegible]
انه [illegible] القوة الناطقة والقوة القاهرة [illegible] النطفة [illegible]
[illegible]
وانما ذكر الخصيم [illegible]
[illegible]
وقوله مبين [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
ذلك [illegible] العظام [illegible]

شيء خلقه من إنشائنا خلقناه من تراب ومن نطفة متشابهة الأجزاء ثم جعلنا لهم من النواصي إلى القدم أعضاء
مختلفة الصور والقوام وما اكتفينا بذلك حتى أودعناهم ما ليس من قبيل هذه الأجرام وهو النطق والعقل
الذي بهما استحقوا الإكرام فإن كانوا يقنعون بمجرد الاستبعاد فهلا يستبعدون خلق الناطق العاقل من
نطفة قذرة لم تكن محل الحياة أصلا ويستبعدون إعادة النطق والعقل إلى محل كانا فيه ثم إن استبعادهم
كان من جهة ما في المعاد من التفتت والتفرق حيث قالوا من يحيي العظام وهي رميم اختاروا العظم للذكر
لأنه أبعد عن الحياة لعدم الإحساس فيه ووصفوه بما يقوي جانب الاستبعاد من البلى والتفتت والله
تعالى دفع استبعادهم من جهة ما في [illegible] ثم جعل فيه [illegible] قدرهم ونسي خلقه
العجيب [illegible] من ذكر شبهته ولكن في لفظها تعود إلى مجرد الاستبعاد وهي على وجهين أحدهما
أنه بعد العدم لم يبق شيئا فكيف يصح على المعدوم الحكم بالوجود وأجاب عن هذه الشبهة بقوله تعالى إنك
أن ما أول مرة يعني كما خلق الإنسان ولم يك شيئا مذكورا كذلك يعيده ولم يكن شيئا مذكورا وثانيهما أن
من يموت تتفرق أجزاؤه في مشارق العالم ومغاربه وصار بعضها في أبدان السباع وبعضها في جدران الرباع كيف
يجمع وأبعد من هذا هو أن إنسانا إذا أكل إنسانا وصارت أجزاء المأكول في أجزاء الآكل فإن أعيد أجزاء المأكول
إلى بدن الآكل فلا يبقى للمأكول أجزاء يخلق منها أعضاء وأما إن أعيد إلى بدن المأكول منه فلا يبقى
للآكل أجزاء فقال تعالى في إبطال هذه الشبهة وهو بكل خلق عليم ووجهه أن في الآكل أجزاء أصلية و
أجزاء فضلية وفي المأكول كذلك فإذا أكل إنسان إنسانا صار الأصلي من أجزاء المأكول فضليا من أجزاء الآكل
والأجزاء الأصلية للآكل هي ما كان له قبل الأكل والله بكل خلق عليم يعلم الأصلي من الفضلي فيجمع الأجزاء
الأصلية للآكل وينفخ فيها روحه ويجمع الأجزاء الأصلية للمأكول وينفخ فيها روحه وكذلك يجمع الأجزاء المتفرقة
في البقاع المتبددة في الأصقاع بحكمته الشاملة وقدرته الكاملة ثم إنه تعالى عاد إلى تقرير ما تقدم من دفع
استبعادهم وإبطال إنكارهم وعنادهم فقال الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا ووجهه هو أن الإنسان مشتمل
على جسم محسوس وحياة سارية فيه فهي كحرارة جارية فيه فإن استبعدتم وجود حياة وحرارة فيه فلا
تستبعدوه فإن النار في الشجر الأخضر الذي يقطر منه الماء أعجب وأغرب وأنتم تحضرون حيث منه
توقدون وإن استبعدتم خلق جسمه فخلق السموات والأرض أكبر من خلق أنفسكم فلا تستبعدوه فإن الله
خلق السموات والأرض فبان لطف قوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون
وقوله أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم وقدم ذكر النار في الشجر على ذكر الخلق الأكبر
لأن استبعادهم كان الصريح واقعا على العظام حيث قالوا من يحيي العظام ولم يقولوا من يجمعها ويحييها
والنار في الشجر مناسب الحياة وقوله وهو الخلاق إشارة إلى أنه في القدرة كامل وقوله العليم إشارة
إلى أنه بعلمه شامل ثم أكد بيانه بقوله إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون هذا إظهار فساد
تمثيلهم وتشبيههم وضرب مثلهم حيث ضربوا لله مثلا وقالوا لا يقدر أحد على مثل هذا قياسا للغائب
على الشاهد فبين لهم أن الشاهد يعمل بالآلات البدنية والانتقالات المكانية ولا ينقل إلى الأزمنة
الممتدة والله يخلق بكن فكيف تضربون له المثل الأدنى وله المثل الأعلى من ذلك وفي الآية مسائل الأولى
تمسكت المعتزلة بهذه الآية على أن المعدوم شيء لأنه يقول لما أراده كن فيكون قبل القول له كن كان
شيئا ومن قبل الحالة شيء حيث قال إنما أمره إذا أراد شيئا الجواب أن هذا يدل على أن العدم يخلف التي
عن تعلق إرادته به يقوله إذا [illegible] ولا يبقى دالة على أن المراد شيء حين تعلق المراد
ولا دلالة فيها أنه شيء قبل ما أراده وحينئذ لا يرد ما ذكروه لأن الشيء حين تعلق الإرادة به شيء موجود
[illegible] في زمان وكيف [illegible] زمان تعلق الإرادة به فإذا الشيء هو الموجود لا المعدوم الثاني

كيف

259

كيف يريد الموجود وهو موجود [illegible] ذلك بإيجاد الموجود يقول هذا الإشكال من باب المغالطات وحسبته في موضع
وإنما غرضنا إبطال تمسكهم باللفظ ونقول ظاهر المفهوم من هذا الكلام أنه يريد ما هو شيء إذا أراده وليس في الآية
أنه إذا أراد ما كان شيئا بل يقول للإرادة الثانية فإن الكرامية قالوا إرادة الله محدثة بدليل قوله تعالى إذا أراد ووجه
دلالته من وجهين أحدهما أنه من حيث إنه جعل للإرادة زمانا فإن إذا ظرف زمان وكل ما هو زماني فهو حادث
وثانيهما هو أنه تعالى جعل إرادته متصلة بقوله كن وقوله كن متصل بكون الشيء لقوله تعالى فيكون
بفاء التعقيب لكن الكون حادث وما قبيل الحادث متصل به حادث فالإرادة حادثة وأقول هم في هذا الإشكال
من وجه آخر فنقول إرادته متصلة بأمره وأمره متصل بالكون لكن إرادته تتعلق بالكون قديم فيلزم أن أمره
قديم وجواب الغالين من الفريق باللفظ يقول المفهوم من قوله إذا أراد من حيث اللغة إذا تعلقت إرادته بالشيء
فإن قوله أراد فعل ماض وإذا دخلت كلمة إذا على الماضي يجعله في معنى المستقبل ونحن نقول بأن مفهوم قولنا
أراد ويريد وعلم ويعلم [illegible] يدخله الحدوث وإنما نقول بأنه تعالى صفة قديمة هي الإرادة وتلك الصفة
إذا تعلقت بشيء يقول أراد ويريد وقبل التعلق يقول له إرادة [illegible] مريد ولنضرب
مثالا للأفهام الضعيفة ليزول ما يقع في الأوهام السخيفة فنقول قولنا للرجل خياط يراد به أن له
صنعة الخياطة فلو صح [illegible] أن يقول إنه خاط ثوب زيد ويخيط ثوب زيد لا يلزم منه تغير صفته فقولنا
إنه خياط يعني أن له صنعة بها يعلو علمه عند استعماله تلك الصنعة في ثوب زيد في زمان ماض خاط ثوبه
وبها يعلو علمه عند استعماله تلك في ثوبه في زمان مستقبل يخيط ثوبه [illegible] على أنهم لزم الإرادة أم ثابت
لم يتعلق بموصوف يقول أراد وجوده أو يريد وجوده وإذا علمت هذا فهذا المعنى من كلام أهل السنة
نعلم أن الإرادة حادث وهو مع ما ذكرنا جواب [illegible] للمعتزلة والكرامية كلام الله حرف وصوت
وحادث لأن قوله كن كلام وكن من حرف نون والحرف من الصوت ويلزم من هذا أن الكلام من الحروف والأصوات
وأما أنه حادث فلما تقدم من الوجهين أحدهما أنه زماني والثاني أنه متصل بالكون [illegible] هذا الجواب يعلم
مما ذكرنا وذلك لأن الكلام صفة إذا تعلقت بشيء [illegible] تتعلق [illegible] الكلام قديم [illegible] تعالى
إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له [illegible] تعالى يقول له بالسلام للقضاء صريح في التعلق يعني
[illegible] بأن يقول للشيء الحادث [illegible] مع التعلق إنما العلم قوله وكلام مع التعلق [illegible] إطلاق
المجموع [illegible] في الأزل وإنما يحملها جميعا في [illegible] معنى الحدوث [illegible] يتكرر تجديدا
ولا يقال المجموع حادث من غير بيان [illegible] أن الجمع حادث بل حقيقة [illegible]
وجود العبارة ونقل أحد طرفي المجموع قديم والآخر حادث ولم يكن [illegible] في الأزل [illegible]
كن من الحروف يقول الكلام يطلق على معنيين أحدهما عند المتكلم والثاني عند السامع ثم إن لفظها يطلق
عليهما [illegible] ومن هذا يظهر فوائد [illegible] بيان ما ذكرنا [illegible] عندك كلام [illegible]
[illegible] السامع أتاه عمدا وسأله عن الكلام الذي كان عنده [illegible] تخص
عندي [illegible] فهذا الكلام المطلوب عليه المتكلم أنه كان [illegible] ولم يكن عند السامع ثم حصل عند السامع
حرف وصوت يطلق عليه أن هذا الذي [illegible] كان عندي [illegible] الصوت لم يكن عند المتكلم
[illegible] الحروف [illegible] الكلام الذي عنده جاز أن يذكره بالعربي [illegible] حروف وجاز أن يذكره بالفارسي [illegible]
حروف [illegible] والكلام الذي عنده [illegible] واحد والحروف مختلفة كثيرة [illegible] معنى قوله هذا ما كان عندك
[illegible] ما كان عندك [illegible] أيضا مجاز لأن الذي عنده [illegible] انتقل إليه وإنما علم ذلك وحصل عنده به
علم مستفاد من السمع أو البصر في القراءة والكتابة [illegible] إذا علمت هذا فالكلام الذي عند الله صفة له ليس
بحرف [illegible] والذي يحصل عند السامع حرف وصوت [illegible] تعالى

فاعتبرنا من جانب الباري لكن وجود الفعل من الباري بذلك القول فعبر عنه بالكاف
تقول له حصل قابل وسامع ... تعالى فسبحان الذي بيده ملكوت
والنون الذي يحدث عند الباري ويكتسبه المطلوب ثم قال ... الله تعالى وتنزه عن الشرك الذي بيده
كل شيء لما تقرر الوحدانية وثبت إعادة ما يكرهوه وقالوا إن عبادة الله الحق بالله تعالى وتنزه عن الشرك الذي يده
ملكوت كل شيء نحل شيء ملكه يكشف كونه الملوك للمالك شركا وقالوا بأن الإحالة لا يمكن تعالى والله يرجعون إليه
عليهم في اللوح وبعد كونها ما يعلون بالغير في قوله سبحان الذي يسبحوا نسبح الذي إن يسبح من في السموات والأرض تسبيح
الذي سبحان علم من التسبيح والتسبيح من التنزيه والملكوت مبالغة في الملك كالرحموت والرهبوت وهو
تعالوا ومعلوت منه كالم ومن ... فعلول جعلوه لحقائقه ثم لما إن النبي عليه السلام قال إن لكل شيء قلبا وقلب
القرآن يس تلك الغوالي فيه أن ذلك لأن الإيمان صحته بالاعتراف بالحشر والحشر مقرر في هذه السورة بأبلغ
وجه يجعله قلب القرآن لذلك واستحسنه فخر الدين الرازي رحمهما الله سمعته يترحم عليه بسبب هذا
الكلام ويمكن أن يقال بأن هذه السورة ليس فيها إلا تقرير الأصول الثلاثة بأقوى البراهين فابتداؤها بيان
الرسالة بقوله إنك لمن المرسلين ودليله ما قدم عليها بقوله والقرآن الحكيم وما أخره عنها لتنذر قوما
وانتهاؤها بيان الوحدانية والحشر بقوله فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء إشارة إلى التوحيد وقوله وإليه
ترجعون إشارة إلى الحشر وليس في هذه السورة إلا هذه الأصول الثلاثة ودلائلها وثوابه ومن حصل من
القرآن هذا القدر فقد حصل نصيب قلبه وهو التصديق الذي بالجنان وأما وظيفة اللسان التي هي القول
كما في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا وفي قوله تعالى ومن أحسن قولا وقوله تعالى بالقول
الثابت والمسلم كلمة القول وإليه يصعد الكلم الطيب أي عن هذه السورة ووظيفة الأركان وهو العمل كما في قوله
أقيموا الصلاة واركعوا واركعوا وقوله تعالى ولا تقربوا الزنا ولا تقتلوا النفس وقوله وعملوا الصالحات فإنما
عن هذه السورة فلما كان فيه أعمال القلب لا غير سماه قلبا ولهذا أمر النبي عليه السلام بقراءته
على المحتضر لأن في تلك الحالة يكون اللسان ضعيف القوة والأعضاء
الظاهرة ساقطة المنية لكن القلب قد أقبل على الله ورجع عن كل ما سواه فيقرأ عنده ما يزداد به
قوة قلبه ويشتد تصديقه بالأصول الثلاثة وهو شغله وأسرار كلام الله وكلام رسوله لا يعلمها إلا الله
ورسوله وما ذكرناه ظن لا نقطع به ونرجو الله أن يرحمنا وهو أرحم الراحمين ﴿﴾ آخر

سورة والصافات

بسم الله الرحمن الرحيم والصافات صفا
فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا إن إلهكم لواحد رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق وفي الآية
مسائل الأولى قرأ أبو عمرو وحمزة والصافات صفا بإدغام التاء فيما يليه وكذلك في قوله فالزاجرات
زجرا فالتاليات ذكرا وأبا عمرو إلا إظهار وقال الواحدي رحمه الله إدغام التاء في الصاد حسن لمقاربة الحرفين
لأنهما من طرف اللسان وأصول الثنايا يجتمعان في الهمس والمدغم فيه يزيد على المدغم بالإطباق والصفير
وإدغام الأنقص في الأزيد حسن ولا يجوز أن يدغم الأزيد في الأنقص وأيضا إدغام التاء في الزاي في قوله والزاجرات
زجرا حسن لأن التاء مهموس والزاي مجهور وفيها زيادة صفير كما كان في الصاد وأيضا حسن إدغام التاء في الذال
في قوله فالتاليات ذكرا لاتفاقهما في أنهما من طرف اللسان وأصول الثنايا وأما من قرأ ذكرا بالإظهار وترك الإدغام
فذلك لاختلاف المخارج المسألة الثانية في هذه الأشياء الثلاثة المذكورة المقسم بها يحتمل أن يكون صفات
ثلاثة لموصوف واحد ويحتمل أن يكون أشياء ثلاثة متباينة أما على التقدير الأول ففيه وجوه الأول أنها صفات
الملائكة وتقرير أن الملائكة يقفون صفوفا إما في السموات لأداء العبادة كما أخبر الله عنهم أنهم قالوا وإنا لنحن
الصافون وقيل إنهم يصفون أجنحتهم في الهواء يقفون منتظرين وصول أمر الله إليهم ويحتمل أيضا أن يكون

معنى

معنى كونهم صفوفا أن لكل واحد منهم مرتبة معينة ودرجة معينة في الشرف والفضيلة أو في الذات والعلية وتلك الدرجات
المترتبة باقية غير متغيرة وذلك يشبه الصفوف وأما قوله فالزاجرات زجرا فقال الليث زجرت البعير فأنا
أزجره زجرا إذا حثثته ليمضي وزجرت فلانا عن سوء فانزجر أي نهيته فانتهى فعلى هذا الزجر للبعير كالحث و
للإنسان كالنهي إذا عرفت هذا فنقول في وصف الملائكة بالزجر وجوه الأول قال ابن عباس يريد الملائكة وكانوا
بالسحاب يزجرونها بمعنى أنهم يؤلفونها ويسوقونها إلى موضع الثاني المراد منه أن الملائكة لهم تأثيرات في قلوب
بني آدم على سبيل الإلهامات فهم يزجرونهم عن المعاصي زجرا الثالث لعل الملائكة أيضا يزجرون الشياطين
عن التعرض لبني آدم بالشر والإيذاء وأقول قد ثبت في العلوم العقلية أن الموجودات على ثلاثة أقسام مؤثر لا يقبل الأثر
وهو الله سبحانه وتعالى وهو أشرف الموجودات ومتأثر لا يؤثر وهو عالم الأجسام وهو أخس الموجودات وموجود
يؤثر في شيء ويتأثر عن شيء وهو عالم الأرواح وذلك أنها تقبل الأثر عن عالم كبرياء الله ثم إنها تؤثر في عالم الأجسام
واعلم أن الجهة التي باعتبارها تقبل الأثر من عالم كبرياء الله هي الجهة التي باعتبارها تستولي على عالم الأجسام و
تقدر على التصرف فيها وقوله فالتاليات ذكرا إشارة إلى الأشرف من الجهة التي باعتبارها تقول على التأثير في عالم
الأجسام إذا عرفت هذا فنقول والصافات صفا إشارة إلى وقوفها صفا صفا في مقام العبودية والطاعة والخضوع و
الخشوع وهي الجهة التي باعتبارها تقبل تلك الجواهر القدسية أصناف الأنوار الإلهية والكمالات الصمدية وقوله تعالى فالزاجرات
زجرا إشارة إلى تأثيرات الجواهر الملكية في تنوير الأرواح القدسية البشرية وإخراجها من القوة إلى الفعل وذلك لأنه ثبت
كالقطرة بالنسبة إلى البحر وكالشعلة بالنسبة إلى الشمس وأن هذه الأرواح البشرية إنما تنتقل من القوة إلى الفعل في المعارف
الإلهية والكمالات الروحانية بتأثيرات جواهر الملائكة وتطيرها مثله قوله تعالى ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده
وقوله نزل به الروح الأمين على قلبك وقوله تعالى فالملقيات ذكرا إذا عرفت هذا فنقول في هذه الآية دقيقة أخرى وهي
أن الكمال المطلق للشيء إنما يحصل إذا كان تاما وفوق التمام والمراد بكونه تاما أن تحصل جميع الكمالات اللائقة به حصولا بالفعل
والمراد بكونه فوق التمام أن تفيض منه أصناف الكمالات والسعادات على غيره ومن المعلوم أن يكون كاملا في ذاته مقدم على
كونه مكملا لغيره إذا عرفت هذا فنقول والصافات صفا إشارة إلى استكمال جواهر الملائكة في ذواتها وقت وقوفها
في مواقف العبودية وصفوف الخضوع والطاعة وقوله تعالى فالزاجرات زجرا إشارة إلى كيفية تأثيراتها في إزالة ما لا ينبغي
عن جواهر الأرواح البشرية وقوله تعالى فالتاليات ذكرا إشارة إلى كيفية تأثيراتها في إفاضة الجلايا القدسية والأنوار
الإلهية على الأرواح الناطقة البشرية فهذه مناسبات عقلية واعتبارات حقيقية تنطبق عليها هذه الألفاظ الثلاثة
والسؤال ... الأصفهاني لا يجوز حمل هذه الألفاظ على الملائكة لأنها مشعرة بالتأنيث والملائكة مبرؤون عن هذه الصفة
والجواب من وجهين الأول أن الصافات جمع الجمع فإنه يقال جماعة صافة ثم يجمع صافات والثاني أنهم مبرؤون
عن التأنيث المعنوي أما التأنيث في اللفظ فلا وكيف وهم يسمون بالملائكة مع أن علامة التأنيث حاصلة في هذا الوجه
الثاني أن تحمل هذه الصفات على النفوس البشرية الطاهرة المقدسة المقبلة على عبودية الله تعالى الذين هم
ملائكة الأرض وبيانه من وجوه الأول أن قوله تعالى والصافات صفا المراد الصفوف الحاصلة عند أداء الصلوات
بالجماعة وقوله فالزاجرات زجرا إشارة إلى قوله أعوذ بالله من الشيطان الرجيم كأنهم بسبب قراءة هذه الكلمة
يزجرون الشياطين عن إلقاء الوساوس في قلوبهم في أثناء الصلوات وقوله فالتاليات ذكرا إشارة إلى قراءة القرآن
في الصلاة وثانيها الزاجرات زجرا إشارة إلى رفع الصوت بالقراءة كأنه يزجر الشيطان بواسطة رفع الصوت روي أنه
صلى الله عليه وسلم طاف على بيوت أصحابه في بعض الليالي فسمع أبا بكر يقرأ بصوت منخفض وسمع عمر يقرأ بصوت
رفيع فسأل أبا بكر لم تقرأ هكذا فقال المعبود سميع عليم وسأل عمر لم تقرأ هكذا فقال أوقظ الوسنان وأطرد
الشيطان والوجه الثاني في تفسير هذه الألفاظ الثلاثة أن المراد من قوله والصافات صفا الصفوف الحاصلة من العلماء المحققين
الذين يدعون إلى دين الله تعالى والمراد من قوله فالزاجرات زجرا اشتغالهم بالزجر عن الشبهات والشهوات والمراد من قوله تعالى

فالتاليات ذكرا اشتغالهم بالدعوة الى دين الله والترغيب في العمل بشرائع الله والوجه الثالث في تفسير هذه الالفاظ
الثلاثة ان نحملها على احوال الغزاة والمجاهدين في سبيل الله فقوله فالصافات المراد منه صفوف القتال كقوله
تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا واما الزاجرات زجرا فالزجر شدة الصياح والمراد منه رفع الصوت
بزجر الخيل والتاليات ذكرا فالمراد اشتغال الغزاة وقت شروعهم في محاربة العدو بقراءة القرآن وذكر الله تعالى
بالتهليل والتقديس الوجه الرابع في تفسير هذه الالفاظ الثلاثة ان نجعلها صفات لآيات القرآن فقوله والصافات
صفا المراد آيات القرآن فانها انواع مختلفة بعضها في دلائل التوحيد وبعضها في بيان التكاليف والاحكام وبعضها
في تعليم الاخلاق الفاضلة وهذه الآيات مرتبة ترتيبا متقنا ولا يتبدل فهذه الآيات تشبه اشياء صارت
صفوفا معينة وقوله فالزاجرات زجرا المراد منه الآيات الزاجرة عن الافعال المنكرة وقوله فالتاليات ذكرا المراد منه
الآيات الدالة على وجوب الاقدام على اعمال البر والخير ووصف الآيات بكونها تالية على قانون ما يقال شعر شاعر وكلام قائل
قال الله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم وقال يس والقرآن الحكيم فنقل الحكيم بمعنى الحاكم فهذا جملة الوجوه المحتملة
على تقدير ان نحمل هذه الالفاظ الثلاثة صفات لشيء واحد واما الاحتمال الثاني وهو ان يكون المراد بهذه الثلاثة اشياء
متغايرة فقيل المراد بالصافات الطير من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل ما زجر عن
معاصي الله والتاليات كل ما يتلى من كتاب الله واقول فيه وجه آخر وهو ان مخلوقات الله تعالى اما
جسمانية واما روحانية اما الجسمانيات فانها مرتبة على طبقات ودرجات لا تتغير البتة فالارض وسط العالم
وهي محفوفة بكرة الماء والماء محفوف بالهواء والهواء بالنار ثم هذه الاربعة محفوفة بكرات الافلاك الى آخر العالم الجسماني
فهذه الاجسام كانها صفوف واقفة على عتبة جلال الله تعالى واما الجواهر الروحانية الملكية فهي على اختلاف
درجاتها وتباين صفاتها مشتركة في صنفين احدهما التأثير في عالم الاجسام بالتحريك والتصريف واليه الاشارة
بقوله فالزاجرات زجرا فانا بينا ان المراد من هذا الزجر السوق والتحريك والثاني الادراك والمعرفة والاستغراق
في معرفة الله تعالى والثناء عليه واليه الاشارة بقوله تعالى فالتاليات ذكرا ولما كان الجسم ادنى منزلة من الارواح المشتغلة
بالتصرف في الجسمانيات ادون منزلة من الارواح المستغرقة في معرفة جلال الله المقبلة على تسبيح الله كما قال ومن
عنده لا يستكبرون عن عبادته لا جرم بدأ في المرتبة الاولى بذكر الاجسام فقال والصافات ثم ذكر في المرتبة
الثانية الارواح المدبرة لاجسام هذا العالم ثم ذكر في المرتبة الثالثة اعلى الدرجات وهي الارواح المقدسة
المتوجهة بكليتها الى معرفة جلال الله والمستغرقة في الثناء عليه فهذا احتمال خطر بالبال والعالم باسرار
كلام الله تعالى ليس الا الله المسألة الثالثة للناس في هذا الموضع قولان الاول قول من يقول المقسم
ههنا خالق هذه الاشياء الا انه حذف واحتجوا عليه بوجوه الاول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الحلف بغير الله
فكيف يليق بحكمة الله ان يحلف بغير الله والثاني ان الحلف بالشيء في مثل هذا الموضع تعظيم عظيم للمحلوف به ومثل
هذا التعظيم لا يليق الا بالله الثالث ان هذا الذي ذكرناه متأكد بانه تعالى صرح به في بعض السور بقوله تعالى
والسماء وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سواها والقول الثاني قول من يقول ان القسم واقع باعيان هذه
الاشياء واحتجوا عليه بوجوه الاول ان القسم وقع بهذه الاشياء بحسب ظاهر اللفظ فالعدول عنه خلاف الدليل و
الثاني انه تعالى قال والسماء وما بناها فعلق لفظ القسم بالسماء ثم عطف عليه الباني للسماء فلو كان المراد من القسم بالسماء
القسم بمن بنى السماء لزم التكرير في موضع واحد وانه لا يجوز والثالث انه لا يبعد ان يكون الحكمة في قسم الله تعالى
بهذه الاشياء التنبيه على شرف ذواتها وكمال حقائقها لا سيما اذا حملنا هذه الالفاظ على الملائكة فانه يكون الحكمة
من القسم بها التنبيه على جلالة درجاتها وكمال مراتبها والله اعلم فان قيل ذكر الحلف في هذا الموضع غير
لائق وبيانه من وجوه الاول ان المقصود من هذا القسم اما اثبات هذا المطلوب عند المؤمن او عند الكافر
والاول باطل لان المؤمن مقر به من غير هذا الحلف والثاني باطل لان الكافر لا يقر به سواء حصل الحلف او لم يحصل

فهذا الحلف

فهذا الحلف عديم الفائدة على كل التقديرات الثاني انه ما حلف في اول السورة على ان الاله واحد وحلف في اول
سورة والذاريات على ان القيامة حق فقال والذاريات ذروا الى قوله انما توعدون لصادق وان الدين لواقع واثبات
هذه المطالب العالية الشريفة على المخالفين من الدهرية وامثالهم بالحلف غير لائق بالعقلاء والجواب من وجوه الاول
انه تعالى قرر التوحيد وصحة البعث والقيامة في سائر السور بالدلائل اليقينية فلما تقدم ذكر تلك الدلائل لم يبعد
تقريرها بذكر القسم تأكيدا لما تقدم لا سيما والقرآن انما انزل بلغة العرب واثبات المطالب بالحلف واليمين طريقة مألوفة
عند العرب والوجه الثاني انه تعالى لما اقسم بهذه الاشياء على صحة قوله تعالى ان الهكم لواحد ذكر
عقيبه ما هو الدليل اليقيني في كون الاله واحدا وهو قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق
كأنه تعالى بين في قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ان انتظام احوال السموات والارض يدل
على ان الاله واحد فههنا لما قال ان الهكم لواحد اردفه بقوله رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق كأنه قيل
قد بينا ان النظر في انتظام هذا العالم يدل على كون الاله واحدا فتأملوا في ذلك الدليل ليحصل لكم العلم بالتوحيد و
الوجه الثالث في الجواب ان المقصود من هذا الكلام الرد على عبدة الاصنام في قولهم بانها آلهة فكأنه قيل هذا المذهب
قد بلغ في السقوط والركاكة الى حيث يكفي في ابطاله مثل هذه الحجة والله اعلم المسألة الرابعة دلالة احوال
السموات والارض على وجود الاله القادر العالم الحكيم وعلى كونه واحدا منزها عن الشريك قد شرحناها في هذا الكتاب
مرارا واطوارا واما قوله تعالى ورب المشارق ففيه قولان الاول المراد مشارق الشمس قال السدي المشارق ثلاثمائة وستون
مشرقا وكذلك المغارب فانه تطلع الشمس كل يوم من مشرق وتغرب كل يوم في مغرب ويحتمل ان يكون المراد مشارق
الكواكب لان لكل كوكب مشرقا ومغربا فان قيل لم اكتفى بذكر المشارق قلنا لوجهين الاول انه اكتفى بذكرها كقوله تعالى تقيكم الحر
المشارق كقوله تقيكم الحر والثاني ان الشروق اقوى حالا من الغروب واكثر نفعا فذكر الشروق تنبيها على كثرة احسان
الله تعالى على عباده ولهذه الدقيقة استدل ابراهيم عليه السلام بالشروق فقال ان الله يأتي بالشمس من المشرق المسألة
الخامسة احتج الاصحاب بقوله رب السموات والارض وما بينهما على كونه تعالى خالقا لاعمال العباد قالوا لان اعمال العباد
موجودة فيما بين السموات والارض وهذه الآية دلت على ان كل حاصل بين السموات والارض فالله ربه ومالكه فهذا
يدل على ان فعل العبد حاصل بخلق الله قال الجبائي انما اراد الاجسام ومنهم من قال ان الاعراض لا توصف بانها حاصلة بين السموات والارض فان هذا الوصف
انما يتحقق فيما كان حاصلا في حيز وجهة والاعراض ليست كذلك قلنا انها لما كانت حاصلة في الاجسام الحاصلة بين
السموات والارض فهي ايضا حاصلة بين السموات والارض

قوله تعالى

انا زينا السماء الدنيا بزينة
الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملأ الاعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب
واصب الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب وفي الآية مسائل الاولى قرأ حمزة وحفص عن عاصم بزينة
منونة الكواكب بالجر وهي قراءة مسروق بن الاجدع وقال الفراء هو رد معرفة على نكرة كما قال بالناصية ناصية
فرد نكرة على معرفة وقال الزجاج الكواكب بدل من الزينة لانها هي كما تقول مررت بابي عبد الله زيد وقرأ عاصم
بالتنوين في الزينة ونصب الكواكب قال الفراء يريد بتزييننا الكواكب وقال الزجاج يجوز ان يكون الكواكب في النصب
بدلا من قوله بزينة لان بزينة في موضع نصب وقرأ الباقون بزينة الكواكب بالجر على الاضافة المسألة الثانية ثبت
تعالى انه زين السماء الدنيا لمنفعتين احدهما تحصيل الزينة والثانية الحفظ من الشيطان المارد
فوجب ان نحصر الكلام في هذين المطلبين اما الاول فنقول زين السماء الدنيا بالكواكب فلقائل ان يقول
انه ثبت في علم الهيئة ان هذه الثوابت مركوزة في الكرة الثامنة وان السيارات الستة مركوزة في الافلاك الستة المحيطة
بسماء الدنيا فكيف يصح قوله انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب والجواب ان الناس الساكنين على سطح كرة الارض
اذا نظروا الى السماء فانهم يشاهدونها مزينة بهذه الكواكب فصح قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب على انا بينا
في علم الهيئة ان الفلاسفة لم يتم لهم دليل في بيان ان هذه الكواكب مركوزة في الفلك الثامن ولعلنا شرحنا هذا الكلام

في هذه السورة تبارك الذي بيده الملك في تفسير قوله تعالى ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح واما المطلوب الثاني فهو كون هذه الكواكب
زينة للسما الدنيا ففيه بحثان الاول ان الزينة مصدر كالنسبة واسم لما يزان به كالليقة اسم لما يلاق به الدواة
قال صاحب الكشاف وتقديره بزينة الكواكب يحتملها فان اردت المصدر فعلى اضافته الى الفاعل اي بان زانتها الكواكب
او على اضافته الى المفعول اي بان زان الله الكواكب وحسنها لانها انما تزينت السما بحسنها في انفسها وان اردت
الاسم فللاضافة وجهان ان يقع الكواكب بيانا للزينة لان الزينة قد تحصل بالكواكب وبغيرها وان يراد ما زينت
به الكواكب البحث الثاني في بيان كيفية كون الكواكب زينة للسما وجوه الاول ان النور والضوء احسن الصفات
واكملها فاذا تم تحصل هذه الكواكب في جرم الكواكب المشرقة المضية في سطح الفلك لا جرم بقي الضوء والنور اجرام الفلك
بسبب حصول هذه الكواكب فيها قال ابن عباس بزينة الكواكب اي بضوء الكواكب الوجه الثاني يجوز ان يراد
اشكالها المتناسبة المختلفة كشكل الجوزاء وبنات نعش والثريا وغيرها الوجه الثالث يجوز ان يكون المراد
بهذه الزينة كيفية طلوعها وغروبها الوجه الرابع ان الانسان اذا نظر في الليلة الظلماء الى سطح الفلك وراى هذه
الجواهر الزواهر مشرقة لامعة متلالية على ذلك السطح الازرق فلا شك انه احسن الاشيا واكملها في التركيب الجوهر وكل
ذلك يشهد بكون هذه الكواكب زينة واما المطلوب الثالث وهو قوله وحفظا من كل شيطان مارد ففيه بحثان الاول
ما يتعلق باللفظ فقوله وحفظا اي وحفظناها حفظا قال المبرد اذا ذكرت فعلا ثم عطفت عليه مصدر فعل آخر نصبت
المصدر لانه قد دل على فعله مثل قولك افعل وكرامة لانه لما قال افعل علم ان الاسما لا تعطف على الافعال فكان المعنى
افعل ذلك واكرمك كرامة قال ابن عباس يريد حفظنا السما بالكواكب من كل شيطان مارد يريد الذي تمرد على
الله تعالى نطلب ما يمكن منه واحدة من الثلاثة ومنه قوله صرح ممرد ومنه الامرد وذكرنا تفسير المارد عند قوله
مردوا على النفاق البحث الثاني ما يتعلق بالمباحث العقلية في هذا الموضع سنذكرها مستقصاة في تفسير قوله تعالى ولقد
زينا السما الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين قال المفسرون ان الشياطين يصعدون الى قرب السما فربما سمعوا كلام
الملائكة وعرفوا به ما سيكون من الغيوب وكانوا يخبرون به هم ويوهمونهم انهم يعلمون الغيب فمنعهم الله
تعالى من الصعود الى قرب السما بهذه الشهب فانه تعالى يرميهم بها فيحرقهم ونحن نعاضد سؤالات السؤال الاول
هذه الشهب هل هي من الكواكب التي زين الله السما بها ام لا والاول باطل لان هذه الشهب تبطل وتضمحل فلو كانت هذه
الشهب تلك الكواكب الحقيقية لوجب ان يظهر نقصان كثير في اعداد كواكب السما ومعلوم ان هذا المعنى لم يوجد البتة
فان اعداد كواكب السما باقية على حالة واحدة من غير تغير البتة وايضا فجعلها رجوما للشياطين مما يوجب وقوع
النقصان في زينة السما فكان الجمع بين هذين المقصودين كالمتناقض واما القسم الثاني وهو ان يقال ان هذه الشهب
جنس آخر غير الكواكب المذكورة في الفلك فهذا ايضا مشكل لانه تعالى قال في سورة تبارك الذي بيده الملك ولقد زينا السما
الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فالضمير في قوله وجعلناها عائد الى المصابيح فوجب ان تكون تلك المصابيح هي الرجوم
باعيانها من غير تفاوت والجواب ان هذه الشهب غير تلك الثواقب الباقية واما قوله تعالى ولقد زينا السما الدنيا
بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فنقول كل نير يحصل في الجو العالي فهو مصابيح لاهل الارض الا ان تلك المصابيح
منها باقية على وجه الدهر آمنة من التغير والفساد ومنها ما لا يكون كذلك وهي هذه الشهب التي يحدثها الله تعالى
ويجعلها رجوما للشياطين وبهذا التقدير فقد زال الاشكال والله اعلم السؤال الثاني كيف يجوز ان
يذهب الشياطين الى حيث يعلمون بالتجربة ان الشهب تحرقهم ولا يصلون الى مقصودهم البتة وهل يمكن ان يصدر مثل
هذا الفعل عن عاقل فكيف من الشياطين الذين لهم مزية في معرفة الحيل الدقيقة والجواب ان حصول هذه
الحالة ليس له موضع معين والا لم يذهبوا اليه وانما يمنعون من المصير الى مواضع الملائكة ومواضعها مختلفة فربما
صاروا الى موضع يصيبهم الشهب وربما صاروا الى غيره ولا يصادفون الملائكة ولا تصيبهم الشهب فلما هلكوا في بعض
الاوقات وسلموا في بعض الاوقات جاز ان يصيروا الى موضع يغلب على ظنونهم انه لا تصيبهم الشهب فيها كما يجوز فيمن سلك البحر

ان سلكه

ان سلكه في موضع يغلب على ظنه حصول النجاة هذا ما ذكره ابو علي الجبائي والجواب عن هذا السؤال في سنن ولعله ان
تقول انهم اذا صعدوا فاما ان يصلوا الى مواضع الملائكة او الى غير تلك المواضع فان وصلوا الى مواضع الملائكة
احترقوا وان وصلوا الى غير مواضع الملائكة لم يفوزوا بمقصودهم اصلا فعلى كلا التقديرين المقصود غير حاصل واذا حصلت
هذه التجربة وثبت انه ليس فيها الفوز بالمقصود فكان ينبغي ان يمتنعوا عن هذا العمل ذلك لا يتوجه عليه اصلا
بخلاف حال المسافر في البحر فان الغالب عليه السلامة والفوز بالمقصود اما هاهنا فالشيطان الذي يسلم عن الاحتراق
انما يسلم اذا لم يصل الى مواضع الملائكة واذا لم يصل الى ذلك الموضع لم يفز بالمقصود فوجب ان لا يعودوا الى هذا العمل
البتة والاقرب في الجواب ان يقال ان هذه الواقعة انما تتفق في الندرة فلعلها لا تشتهر بسبب كونها نادرة فيما بين الشياطين
والله اعلم السؤال الثالث قالوا دلت التواريخ المتواترة على ان حدوث الشهب كان حاصلا قبل مجي النبي
صلى الله عليه وسلم ولذلك فان الحكما الذين كانوا موجودين قبل مجي النبي صلى الله عليه وسلم بزمان طويل ذكروا ذلك وتكلموا في
سبب حدوثه واذا ثبت ان ذلك كان موجودا قبل مجي النبي صلى الله عليه وسلم امتنع حمله على مجي النبي صلى الله عليه وسلم اجاب
القاضي بان الاقرب ان هذه الحالة كانت موجودة قبل مجي النبي صلى الله عليه وسلم لكنها كثرت في زمان النبي صلى الله عليه وسلم
فصارت بسبب الكثرة معجزا السؤال الرابع ان الشيطان مخلوق من النار كما قال تعالى حكاية عن ابليس
خلقتني من نار وقال والجان خلقناه من قبل من نار السموم ولهذا السبب فانه يستخف بالصعود الى السموات
واذا كان كذلك فكيف يعقل احراق النار بالنار والجواب يحتمل ان الشياطين وان كانوا من النيران الا انها نيران
ضعيفة فاذا وصلت نيران الشهب اليهم وتلك النيران اقوى حالا منهم لا جرم صارت الاقوى مبطلة للاضعف الا ترى
ان السراج الضعيف اذا وضع في النار القوية فانه ينطفي فكذلك هاهنا السؤال الخامس ان مقر الملائكة
هو السطح الاعلى من الفلك والشياطين لا يمكنهم الوصول الى الاقرب من السطح الاسفل من الفلك فيبقى تحت الفلك ما يفا
من دون الشياطين الى القرب من الملائكة ولكن تحمل مقدار عظيم في حصول هذا المانع العظيم كيف يعقل ان
يسمع الشيطان كلام الملائكة فان قلتم ان الله تعالى يقوي سمع الشياطين حتى يسمع كلام الملائكة فنقول
فعلى هذا التقدير يقول ان الله تعالى يقوي سمع الشيطان حتى يسمع كلام الملائكة لم يحتاج الى ان يقول سمع الشيطان
ولئن كان لا يريد منع الشيطان من هذا العمل فما الفائدة في رميه بالرجوم ما الجواب عنه هاهنا ان افعال الله تعالى
غير معللة تفعل الله ما يشا ويحكم ما يريد ولا اعتراض لاحد في شي من افعاله فهذا ما يتعلق بمباحث هذا الباب
واذا عرفنا كيفيته هنا لما كتبناه في سورة الملك وفي سائر الآيات المشتملة على هذه المسائل فلنعد الى تمام الكتابة
في هذا الباب والله اعلم اما قوله تعالى لا يسمعون الى الملا الاعلى ففيه مسائل المسالة الاولى قرا حمزة
والكسائي وحفص عن عاصم لا يسمعون بتشديد السين والميم واصله يتسمعون فادغمت التاء في السين
لاشتراكهما في الهمس والتسمع تطلب السماع يقال تسمع فسمع او لم يسمع والباقون يسمعون مخففة السين
اختار ابو عبيد التشديد في يسمعون قال لان العرب تقول تسمعت الى فلان وتقول سمعت فلانا
ولا تكاد تقول سمعت الى فلان ونقل الى تقوية هذه القراءة اذا نفي التسمع عنهم فقد نفي سمعهم وحجة
القراءة الثانية قوله تعالى انهم عن السمع لمعزولون وروى مجاهد عن ابن عباس ان الشياطين يتسمعون
الى الملا الاعلى ثم لا يسمعون فلا يسمعون ولا دلالة تجيبوا بقولوا التسمع هو انهم معزولون عن السمع
لانهم مع كونهم معزولين ايضا عن التسمع بدلالة هذه الآية بل هذا اقوى في ردع الشياطين ومنعهم من استماع
اخبار السما فان الذي منع من الاستماع فبان يمنع من التسمع اولى المسالة الثانية الذي نزع قولك سمعت
حديثه وسمعت الى حديثه ان قولك سمعت حديثه يفيد الادراك وسمعت الى حديثه يفيد
الاصغا مع الادراك المسالة الثالثة في قوله لا يسمعون الى الملا الاعلى وجهان الاول وهو المشهور ان تقدير الكلام
لئلا يسمعوا فلما حذف الناصب عاد الفعل الى الرفع كما قال يبين الله لكم ان تضلوا وكما قال رواسي ان تميد بكم

قال صاحب الكشاف حذفت ان واهدر عملها كل واحد منهما جايز بانفراده اما اجتماعهما فمن المنكرات التي يجب صون القران
عنها والقول الثاني هو الذي اختاره صاحب الكشاف انه كلام مبتدا منقطع عما قبله وهو حكاية حال المسترقة
للسمع وانهم لا يقدرون ان يسمعوا الى كلام الملائكة او يتسمعوا وهم مقذوفون بالشهب مدحورون عن ذلك المقصود
المسئلة الرابعة الملا الاعلى الملائكة لانهم يسكنون السموات واما الانس والجن فهم الملا الاسفل لانهم سكان
الارض واعلم انه تعالى وصف الشياطين باشياء ثلاثة الاول انهم لا يسمعون والصفة الثانية انهم يقذفون
من كل جانب دحورا وفيه ابحاث البحث الاول قد ذكرنا معنى القذف في سورة الاعراف عند قوله اخرج منها مذموما
مدحورا قال المبرد الدحور اشد الصغار والذل قال ابن سيده دحره دحرا ودحورا اي دفعه وطرده البحث
الثاني في انتصاب دحورا وجوه الاول انه انتصب بالمصدر على معنى يدحرون دحورا ودل على الفعل قوله تعالى
ويقذفون الثاني التقدير يقذفون للدحور ثم حذف اللام الثالث قال مجاهد دحورا مطرودين يعني هو حال
سميت بالمصدر كالركوع والسجود والحضور البحث الثالث قرا ابو عبد الرحمن السلمي دحورا بفتح الدال قال الفراء كانه
قال يقذفون بما يدحرهم قال ولست اشتهي الفتح لانه لو وجه ذلك على صحة لكانت فيها الباء كما تقول
يقذفونه بالحجارة ولا تقول يقذفونه الحجارة الا انه جائز في الجملة كما قال الشاعر تغالي اللحم للاضياف نيا [illegible]
الثالثة قوله تعالى ولهم عذاب واصب والمعنى انهم مرجومون بالشهب في الدنيا ولهم العذاب مسلط
عليهم على سبيل الدوام ومر تفسير الواصب في سورة النحل عند قوله تعالى وله الدين واصبا وقالوا كله انه الدائم
قال الكلبي ومن قال الواصب الشديد والموجع فهو بمعنى وليس بشيء ثم قال تعالى الا من خطف الخطفة وذكرنا معنى
الخطف في سورة الحج قال الزجاج وهو اخذ الشيء بسرعة واصل الخطف [illegible] قال صاحب الكشاف من في محل الرفع بدل من
الواو في لا يسمعون اي لا يسمع الشياطين الا الشيطان الذي خطف الخطفة اي اختلس الكلمة على وجه المسارقة فاتبعه يعني
لحقه واصابه يقال تبعه واتبعه اذا مضى في اثره فاتبعه اذا لحقه والحقه منه قوله تعالى فاتبعه الشيطان
وقد مر تفسيره وقوله تعالى شهاب ثاقب قال الحسن ثاقب اي مضي [illegible] تقدم تفسيره في سورة الحجر
قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى والنجم الثاقب قال هو زحل سمي بذلك لانه يثقب بنوره سمك سبع سموات
والله اعلم

قوله تعالى

فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا انا خلقناهم من
طين لازب بل عجبت ويسخرون واذا ذكروا لا يذكرون واذا راوا اية يستسخرون وقالوا ان هذا الا سحر
مبين اذا متنا وكنا ترابا وعظاما اانا لمبعوثون او اباؤنا الاولون قل نعم وانتم داخرون فانما هي زجرة واحدة فاذا هم ينظرون
المسئلة الاولى في النظم اعلم انا قد ذكرنا ان المقصود الاعظم من هذا الكتاب الكريم اثبات
الاصول الاربعة وهي الالهيات والمعاد والنبوة واثبات القضاء والقدر فهو سبحانه وتعالى افتتح هذه السورة
بما يدل على وجود الصانع ويدل على علمه وقدرته وحكمته وهو قوله رب السموات والارض
وما بينهما ورب المشارق والمغارب ولما احكم الكلام في هذا الباب فرع عليه اثبات القول بالحشر و
النشر فقال اعلم ان الكلام في هذه المسئلة يتعلق بطرفين احدهما اثبات الجواز العقلي والثاني اثبات
الوقوع اما الكلام في المطلوب الاول فاعلم ان الاستدلال على [illegible] فانه قادر على ما هو
اصعب واشد [illegible] والعاقل والعاقل
[illegible] والله تعالى ذكر ههنا الطريق [illegible]
البعث والقيامة [illegible] فاستفتهم اهم اشد خلقا والمعنى
كانه تعالى يقول استفت هؤلاء المنكرين اهم اشد خلقا ام خلق السموات والارض وما بينهما وخلق المشارق
وخلق الشياطين الذين يصعدون الى الفلك ولا شك انهم يعترفون بان خلق هذه الاشياء اشد [illegible] من
خلق البشر [illegible] بالدلائل المذكورة في اثبات التوحيد انه تعالى قادر على هذا القسم الذي هو اشد واصعب

بان

بان يكون قادرا على اعادة الحيوة في هذه الاجساد كان اولى ونظير هذه الدلالة قوله تعالى اوليس الذي خلق
السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم وقوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس واما الطريق الثاني
فهو المراد من قوله انا خلقناهم من طين لازب والمعنى ان هذه الاجسام قابلة للحيوة اذ لو لم تكن قابلة للحيوة لما صارت حية
في المرة الاولى والاله قادر على خلق الحيوة في هذه الاجسام ولولا كونه تعالى قادرا على هذا المعنى لما حصلت
الحيوة [illegible] وصفة القادرية من الصفات الذاتية فامتنع زوالها فثبت بهذين الطريقين ان القول
بالبعث والقيامة امر ممكن ولما بين تعالى امكان هذا المعنى بهذين الطريقين [illegible]
وذلك لانه ثبت بصدق الرسول لظهور المعجزات عليه والصادق اذا اخبر عن امر ممكن الوقوع وجب [illegible]
[illegible] الحشر والله اعلم المسئلة الثانية في تفسير الفاظ هذه الاية اما قوله
فاستفتهم فيعني انه لما بين بالدليل القاطع كونه تعالى خالقا للسموات والارض وما بينهما فاستفت هؤلاء المنكرين
وقل لهم اهم اشد خلقا ام هذه الاشياء التي بينا كونه تعالى خالقا لها ولم يحك عنهم انهم [illegible] خلق هذه الاشياء اصعب
لاجل ان ظهور ذلك كالمعلوم بالضرورة فلا حاجة لتحكي عنهم ان الامر كذلك ثم قال انا خلقناهم من طين لازب يعني
انا لما قدرنا على خلق الحيوة في ذواتهم وجب ان نبقى قادرين على خلق الحيوة فيهم ثانيا لما بينا ان حال العامل وحال
الفاعل [illegible] ومن الناس من قال [illegible] من النطفة [illegible] من الارض
[illegible] فبين لهم الحكم لما اقررتم بحدوث العالم واعترفتم بان السموات والارض وما بينهما انما حصلت بخلق الله تعالى
وتكوينه فلا بد ولن يعترفوا بان الانسان [illegible] من الارض فاذا علمتم ذلك [illegible]
قولهم الانسان كيف يحدث من غير نطفة [illegible] انهم مخلوقون من الطين
اللازب فمن قدر على خلق الحيوة في الطين اللازب كيف يعجز عن اعادة الحيوة الى هذه الذوات [illegible] خلق الانسان من
الطين اللازب فهي مذكورة في السور المتقدمة واعلم ان هذا الوجه انما [illegible] من قوله تعالى انا خلقناهم
من طين لازب هو انا خلقنا اباهم ادم من طين لازب [illegible] المراد انا خلقنا كل الناس من طين
[illegible] تقرير ان الحيوان انما يتولد من المني ودم الطمث والمني انما يتولد من الدم [illegible] والدم
انما يتولد من الغذاء والغذاء اما حيواني واما نباتي [illegible] الكلام في كيفية تولده كالكلام
في تولد الانسان [illegible] الطين اللازب
واذا كان الامر كذلك [illegible] الخلق متولدون من الطين اللازب [illegible]
تركيب هذا الطين اللازب قابلة للحيوة والله تعالى قادر عليها [illegible] العالمية والقادرية [illegible]
[illegible] في كل الاوقات [illegible] واما اللازب [illegible]
الجيد [illegible] وكذا اهل اللغة [illegible] ثم قال تعالى بل عجبت ويسخرون
وفيه مسائل المسئلة الاولى [illegible] اشياء اصعب
[illegible] ان القادر على الاشق [illegible] الاسهل الايسر
ثم مع قيام هذه الحجج البديهية [illegible] على انكار البعث والقيامة [illegible] في موضع التعجب الشديد
فانك تعجب من ظهور هذه الحجج الجلية الظاهرة كيف يعقل بقاء القوم على الاصرار [illegible]
على الانكار [illegible]
[illegible] المسئلة الثانية قرا حمزة والكسائي عجبت بضم التاء والباقون بفتحها
[illegible] والضم قراءة ابن عباس وابن مسعود وابرهيم ويحيى بن وثاب والاعمش [illegible] الكوفة واختيار
ابي عبيد [illegible] تدل على اسناد التعجب الى الله تعالى
وذلك محال لان التعجب حالة تحصل عند الجهل [illegible] على الله محال [illegible] ان الله تعالى [illegible]

العجب الى محمد صلى الله عليه وسلم في آية اخرى في هذه المسألة تعالى وان تعجب فعجب قولهم ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما
والثالث انه تعالى قال بل عجبت ويسخرون والظاهر انهم انما سخروا لاجل ذلك التعجب فلما حمل لفظه وجب ان
يكون ذلك التعجب صادرا منه واما الذين قرؤا بالضم فقالوا [illegible] الحجة الاولى من وجوه الاول ان القراءة بالضم
انما [illegible] على اسناد التعجب الى الله تعالى وبيانه انه يمكن التقدير قل يا محمد عجبت ويسخرون [illegible]
تعالى التعجب بهم [illegible] ما يقولون فيه اسم هذا [illegible] الكلام ولكنه تعالى [illegible] اخبرهم [illegible]
البيان [illegible] ان ذلك يسمى اضافة التعجب الى الله تعالى فلم قلتم ان ذلك [illegible] ان شريحا كان يختار
القراءة بالنصب ويقول العجب لا يليق [illegible] لانه علم ما كان [illegible] فذكر ذلك لابراهيم فقال ان شريحا معجب برأيه و
كان عبد الله اعلم وكان يقرأ بالضم [illegible] عنه ان يقول دل القول والخبر على جواز اضافة التعجب الى الله
تعالى اما القول فقوله تعالى وان تعجب فعجب قولهم والمعنى وان تعجب يا محمد من قولهم فهو ايضا عجب عندي واجيب
عنه انه لا يمتنع ان يكون المراد ان تعجب فعجب [illegible] عندكم واما الخبر فقوله صلى الله عليه وسلم عجب ربكم من [illegible]
وعجب ربكم من شاب ليست له صبوة واذا ثبت هذا فنقول التعجب من الله تعالى خلاف التعجب من الآدميين
كما قال ويمكرون ويمكر الله وقال سخر الله منهم وقال تعالى وهو خادعهم والمكر والخداع والسخرية من الله تعالى
خلاف هذه الصفات من العباد وقد ذكرنا ان القانون في هذا الباب ان هذه الالفاظ محمولة على نهايات الاعراض
لا على بدايات الاعراض [illegible] العجب من شيء انه يستعظمه فالتعجب في حق الله تعالى محمول على انه تعالى
عظم تلك الحالة فان كانت قبيحة فيترتب العقاب العظيم عليه وان كانت حسنة فيترتب الثواب العظيم عليه فهذا تمام
الكلام في هذه المناظرة والاقرب ان يقال القراءة بالضم ان ثبتت بالتواتر وجب المصير اليها ويكون التأويل ما ذكرناه
وان لم يثبت هذه القراءة بالتواتر كانت القراءة بفتح التاء اولى والله اعلم ثم قال تعالى واذا ذكروا لا يذكرون
واذا رأوا آية يستسخرون فاعلم انه تعالى لما قرر الدليل القاطع في اثبات امكان البعث والقيامة حكى عن المنكرين اشياء
اولها انهم [illegible] من [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] ويسخرون منه في [illegible] على اثبات [illegible] على انه عليه السلام
مع [illegible] في غاية التباعد [illegible] ثم قال تعالى واذا ذكروا لا يذكرون [illegible] واذا رأوا آية
يستسخرون [illegible] هذا الباب [illegible]
[illegible] في هذا [illegible] يستبعدون الحشر والقيامة ويقولون [illegible]
[illegible] في العالم كيف يعقل عوده بعينه [illegible] هذا الاستبعاد [illegible]
[illegible] هذا المذهب [illegible] هذا الاستبعاد عنهم [illegible]
[illegible] الحشر [illegible]
[illegible] الى القادر [illegible]
[illegible] المنكرين [illegible]
[illegible]
[illegible] الرسول صلى الله عليه وسلم [illegible] المعجزات [illegible] رسولا صادقا
من عند الله [illegible] ان البعث والقيامة [illegible] يسمعون هذا الطريق ايضا [illegible]
[illegible] المعجزة [illegible]
[illegible] الالفاظ [illegible] هذه الفوائد الجليلة [illegible]
ان اكثر الناس لم يقفوا على هذه الدقائق فقالوا انه تعالى قال بل عجبت ويسخرون [illegible]
[illegible] على السخرية [illegible]
كل واحد منهم من صاحبه [illegible] على [illegible] وهذا التكلف انما لزمهم لعدم وقوفهم على الفوائد التي ذكرناها

والله اعلم

والله اعلم والسؤال [illegible] من الامور التي حكاها الله تعالى عنهم انهم قالوا ان هذا الا سحر مبين يعني انهم اذا راوا
آية ومعجزة سخروا منها والسبب في تلك السخرية اعتقادهم انها من باب السحر وقولهم مبين معناه ان كونه سحرا
امر بين لا شبهة لاحد فيه ثم بين تعالى ان السبب الذي حملهم على الاستهزاء بالقول بالبعث [illegible]
على [illegible] جميع [illegible] في [illegible] العالم [illegible] من الارض [illegible]
[illegible] الارض [illegible] كيف يعقل عوده بعينه حيا
فانما هذا الكلام [illegible] على تلك الاصول [illegible] ثم انه تعالى لما حكى عنهم هذه الشبهة قال قل يا محمد
نعم وانتم داخرون ولما [illegible] تعالى بهذا [illegible] في الآية المتقدمة [illegible] البرهان القطعي
انه [illegible] واذا ثبت هذا [illegible] سبيل الى القطع [illegible] اخبار المخبر الصادق فلما قامت المعجزات
على صدق محمد عليه السلام كان [illegible] التصديق [illegible] على الوقوع ومن تأمل
في هذه الآيات علم انها وردت على احسن الوجوه [illegible] بالدليل القطعي [illegible] ذلك الممكن
بالدليل السمعي [illegible]
[illegible] الاستفهام دخلت على حرف العطف [illegible] وفي سورة الواقعة [illegible] وذكرنا الكلام في هذا
في سورة الرعد [illegible]
[illegible]
عند قوله [illegible] وهم داخرون

قوله تعالى

فانما هي زجرة واحدة فاذا هم ينظرون
وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون
من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسئولون ما لكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون واقبل بعضهم على
بعض يتساءلون اعلم انه تعالى لما بين في الآية المتقدمة [illegible] انكار البعث والقيامة ثم [illegible] على وقوع
القيامة ذكر في هذه الآيات بعض تفاصيل احوال القيامة وانه تعالى ذكر في هذه الآية عدة انواع من تلك الاحوال
فالحالة الاولى قوله تعالى فانما هي زجرة واحدة فاذا هم ينظرون [illegible]
[illegible] فانما هي زجرة [illegible]
وانما البعث زجرة [illegible] الزجرة في اللغة الصيحة التي يزجر بها [illegible]
[illegible] الصيحة [illegible]
[illegible] الموتى [illegible]
[illegible] الزجرة [illegible] فاذا هم قيام ينظرون [illegible]
[illegible] يحيون [illegible]
[illegible]
ان هذه الصيحة [illegible]
[illegible] الملائكة
[illegible] تلك الصيحة [illegible]
[illegible] الموت [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] فاذا هم ينظرون [illegible]
[illegible]

الحالة الثانية من وقائع القيامة ما اخبر الله عنهم انهم بعد القيام عن القبور قالوا يا ويلنا هذا يوم الدين
قال الزجاج الويل كلمة يقولها القائل وقت الهلكة والمقصود انهم لما شاهدوا القيامة قالوا هذا يوم الدين اي يوم الجزاء
والمقصود ان الله تعالى ذكر في آيات كثيرة من القرآن انا نرى في الدنيا محسنا ومسيئا وصاحبا ومترفا و
نديننا ورايتنا انه لم يصل اليهم في الدنيا ما يليق بهم من الجزاء فوجب فوجب القول بان القيامة ليجزي
الذين اساءوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى وما جملة بما يدل على ان دار الجزاء انما يحصل بعد الموت
والكفار كانوا يسمعون هذا الدليل الموت لكنهم انكروه وردوا ثم انه تعالى اذا احياهم يوم القيامة فاذا شاهدوا
القيامة تذكروا ذلك وقالوا هذا اليوم هو يوم الدين اي يوم الجزاء الذي ذكره الله في الكتب [illegible] عليه في القرآن
تكلفنا بها ونطيع ان نخوف شيا ولم يلتفت اليه ثم عاينه بعد ذلك فقد يقول هذا يوم الواقعة
الثالثة [illegible] اخبار [illegible] وقوله تعالى في سورة الفاتحة مالك يوم الدين وتبين انه مالك في
ذلك اليوم الا الله بقولهم هذا يوم الدين اشارة الى ان هذا هو اليوم الذي لا حكم فيه لاحد الا الله وانما ذكروا
لما حصل في قلوبهم من الخوف الشديد لما انهم تعالى هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون
الاول [illegible] اختلفوا في ان هذا هل هو من بقية كلام الكفار او هو كلام غيرهم عند تعالى هذا يوم الدين
واما قوله هذا يوم الفصل فهو كلام غيرهم فبعضهم قال بالاول وزعموا انهم قالوا هذا يوم الفصل وكلام بعضهم
لبعض والاكثرون على القول الثاني واحتجوا بوجهين الاول انه قال كنتم به تكذبون من كلام بعضهم لبعض
بعيد والخطاب مع جمع الكفار يعارضه هذا القول لا يدل ويكون هذا من الكفار الثاني انه قال احشروا الذين ظلموا
ومثل هذا قوله هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون فلما كان قوله احشروا الذين ظلموا كلاما من الكفار
فكذلك قوله هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون يجب ان يكون كلام من الكفار يعني هذا القول مرتوما يا ويلنا
هذا يوم الدين من كلام الكفار وقوله تعالى هذا يوم الفصل من كلام الملائكة جوابا لهم والوجه في كونه
جوابا لهم انه لما قال الكفار انا اعتقدنا في انفسهم كونهم محقين في الكفار وكون الانبياء عليهم السلام
وكونهم محقين في تلك الادبار الناسية فقالوا هذا يوم الدين اي هذا هو اليوم الذي يحصل فيه الى جزاء
طاعاتنا وخيراتنا فالملائكة يقولون لهم انه لا اعتبار بظواهر الامور في هذا اليوم وان هذا اليوم يفصل
فيه الجزاء الحقيقي عن الجزاء الظاهري ويميز الطاعات الحقيقية عن الطاعات المغرورة بالرياء والشبهة
فهذا الطريق صار هذا الكلام من الملائكة جوابا لما ذكره الكفار ثم قال تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسؤولون الاية الحالة
[illegible] اعلم انه لا نزاع في ان هذا من كلام الملائكة فان قوله احشروا الذين ظلموا امر منهم ان نحشر وا من [illegible]
وحضروا الى محفل القيامة وقالوا هذا يوم الدين وقالت الملائكة لهم بل هذا يوم الفصل [illegible] القاضي عنه
فان المراد احشروهم الى دار الجزاء وهي النار ولذلك قال بعده فاهدوهم الى صراط الجحيم اي خذهم الى ذلك الطريق
ودلوهم عليه ثم قال بعده وقفوهم انهم مسؤولون وذكر ذلك بعده وتقولهم انهم مسؤولون ومعلوم ان حشرهم
الى الجحيم انما يكون بعد المسائلة قلنا الجواب انه ليس في العطف بالواو ترتيب فلا يمتنع ان يقال احشروهم وقفوهم
مع انا بعقولنا نعلم ان الوقوف كان قبل الحشر الى النار هذا ما قاله القاضي وعندي فيه وجه اخر وهو ان
يقال انهم اذا اتوا من قبورهم لم يبعد ان يقفوا هناك لحيرتهم بسبب معاينة اهوال القيامة ثم ان
الله تعالى يقول للملائكة احشروا الذين ظلموا واهدوهم الى صراط الجحيم اي سوقوهم الى الطريق وقفوهم هناك
ويحصل السؤال هناك ثم من هناك يساقون الى النار وعلى هذا التقدير فظاهر النظم موافق لما عليه
الوجود والله اعلم المسألة الثانية في قوله تعالى احشروا الذين ظلموا ظاهره انه تعالى امر الملائكة
ان يحشروا الكفار من موقف السؤال والمراد من الحشر ان الملائكة يسوقونهم الى ذلك الموقف الثالث

انالهم

ان الله تعالى امر الملائكة بحشر امثاله اشباه الظالمين وازواجهم والاشباه التي كانوا يعبدونها ومنه قوله بعد
الفاتحة الدالة على ما قال تعالى احشروا الذين ظلموا ثم ذكر من صفات الذين ظلموا كونهم عابدين لغير الله وهذا يدل
على ان الظالم المطلق هو الكافر ويدل عليه ان كل وعيد ورد في حق الظالمين مصروف الى الكفار ويتأكد هذا بقوله
تعالى والكافرون هم الظالمون المسألة الثانية اختلفوا في المراد بازواجهم وفيه وجوه الاول
المراد ازواجهم اتباعهم اي اشباههم ونظراؤهم من الكفرة اليهودي مع اليهودي والنصراني مع النصراني
والدليل على هذا القول انه يمكن المراد من الازواج الاشباه وصح الاول بقوله تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة اي اشكالا واشباها
الثاني انه يقال عندي من هذا ازواج اي امثال ويقال زوجان من الخف لكون كل واحد منهما نظير الاخر وكذلك
الرجل والمرأة سميا زوجين لكونهما متشابهين في اكثر الاحكام والنكاح وكذلك العود الزوج سمي بهذا الاسم لكون
كل واحد منهما مثلا للقسم الثاني في القوة الصحيحة قال الواحدي تعلق هذا القول بحجة المراد ان الذين ظلموا
الرؤساء الا انه لو جعلت الذين ظلموا عاما في كل من اشرك لم يكن للازواج معنى القول الثاني في تفسير
الازواج ان المراد قرناؤهم من الشياطين لقوله تعالى واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون والقول الثالث ان المراد
نساؤهم اللواتي على دينهم اما قوله وما كانوا يعبدون من دون الله فمن الاوثان والطواغيت ونظيره قوله تعالى انكم
وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقوله تعالى فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة قيل المراد بالناس
عبادة الاوثان والمراد بالحجارة الاصنام التي هي حجارة منحوتة فان قيل ان تلك الاحجار جمادات فما الفائدة
في حشرها الى جهنم اجاب القاضي بانه يدرها الخبر بانها تعاد وتحشر لتحصل المبالغة في توبيخ الكفار الذين كانوا
يعبدونها ولقائل ان يقول هب ان الله تعالى يحيي تلك الاصنام الا انه لم يصدر عنها ذنب فكيف يجوز من الله تعذيبها
والجواب ان يقال انه لا يحيي تلك الاصنام بل يتركها على الجمادية ثم يلقيها في جهنم لان ذلك مما يزيد في تخجيل الكفار القول
الثاني ان المراد من قوله وما كانوا يعبدون من دون الله الشياطين الذين دعوهم الى عبادة ما عبدوه فلما قبلوا منهم ذلك
الدين صاروا كالعابدين لاولئك الشياطين ويأكده قوله تعالى الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان والقول
الاول اولى لانه تعالى ذكر الاوثان وكلمة ما لما لا يعقل والله اعلم ثم قال تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم قال ابن عباس
دلوهم تقول هديت الرجل اذا دللته وانما استعملت الهداية ههنا لانه جعل بدل الهداية الى الجنة كما قال فبشرهم بعذاب
اليم فوضعت البشارة بالعذاب موضع البشارة بالنعيم لاولئك وعن ابن عباس في قوله فاهدوهم سوقوهم وقال
الاصم قدموهم قال الواحدي هذا وهم لانه يقال هديته اذا تقدمته ومنه الهادية والهوادي وهاديات الوحش
ثم قال هذا المعنى يقدم بالهاء وقفوهم يقال وقفت الدابة اقفها وقفا فوقفت هي وقوفا والمعنى
احبسوهم قال الاية يدل على انهم يساقون الى الصراط والمعنى قفوهم واحبسوهم في الموقف انه الحاجة
اليه بل كانه قيل فاهدوهم الى صراط الجحيم فاذا انتهوا الى الصراط فقفوهم فان السؤال يقع هناك ثم قوله
انهم مسؤولون قيل عن عقائدهم في الدنيا وقيل عن اقوالهم وافعالهم وقيل المراد سائلتهم خزنته الم ياتكم رسل بالبينات قالوا بلى و
لكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ويجوز ان يكون هذا السؤال ما ذكر بعد ذلك وهو قوله تعالى ما لكم لا تناصرون
اي انهم يسالون توبيخا لهم فيقال ما لكم لا تناصرون قال ابن عباس لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم في الدنيا وذلك ان
ابا جهل قال يوم بدر نحن جميع منتصر فقيل لهم في يوم القيامة ما لكم غير متناصرين وقيل يقال للكفار الشركاء لكم
لا ينصرونكم من العذاب ثم قال الله تعالى بل هم اليوم مستسلمون يقال استسلم للشيء اذا انقاد له وخضع والمعنى
بل هم اليوم خاضعون لا ينفعهم ذلك المتابعة والمقصود انهم صاروا منقادين لا حيلة لهم في دفع تلك المضار ثم المقصود
ثم قال واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال الواحدي هو قول الرؤساء والاتباع ثم بين تعالى انهم اقبل بعضهم على بعض
وهذا التساؤل عبارة عن التخاصم وهو سؤال التانيب لم غررتمونا ولم صنعتم ذلك وهو تعالى ذكره ثم انه تعالى
بالجملة وليس ذلك سؤال المستفهم بل هو سؤال التوبيخ واللوم والله اعلم قوله تعالى

وقالوا انكم كنتم تاتوننا عن اليمين قالوا بل لم تكونوا مومنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين فحق علينا قول
ربنا انا لذائقون فاغويناكم انا كنا غاوين فانهم يومئذ في العذاب مشتركون انا كذلك نفعل بالمجرمين انهم كانوا
اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون بل جا بالحق وصدق المرسلين انكم
لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا عباد الله المخلصين اعلم انه تعالى لما حكى عنهم انه اقبل بعضهم
على بعض يتساءلون شرح كيفية تلك المسالة فقال قالوا انكم كنتم تاتوننا عن اليمين وهذا من قول الاتباع لمن دعاهم
الى الضلالة وفي تفسير اليمين وجوه الاول ان لفظ اليمين هاهنا استعارة عن الخيرات والسعادات وبيان كيفية هذه
الاستعارة ان الجانب الايمن افضل من الجانب الايسر بوجوه احدها اتفاق الكل على ان اشرف الجانبين هو اليمين
والثاني لا يباشرون الاعمال التي هي اشرف الا باليد اليمنى مثل مصافحة واحيانا الاكل والشرب ويعمل العكس منه باليسرى
الاعمال الدنية باليد اليسرى الثالث انهم كانوا يتفالون وكانوا يتيمنون بالجانب الايمن ويسمونه بالسانح
ويتشاءمون بالجانب الايسر ويسمونه بالبارح الرابع ان النبي عليه السلم كان يحب التيامن في كل شي الخامس
ان الشريعة حكمت بان الجانب الايمن لكاتب الحسنات والايسر لكاتب السيئات السادس ان الله تعالى
وعد المحسن ان يوتى كتابه بيمينه والمسي ان يوتى كتابه بشماله فثبت ان جانب الايمن افضل من الجانب الايسر
واذا كان كذلك لا جرم استعير لفظ اليمين للخيرات والحسنات والطاعات فقوله انكم كنتم تاتوننا عن اليمين يعني
انكم كنتم تخدعوننا وتوهموننا انكم تقصدون من الدعوة الى تلك الاديان نصرة الحق وتقوية الصدق والوجه
الثاني في التاويل ما ذكره الله تعالى بلفظ عن فلان اذا كان عنده بالمنزلة العالية والدرجة الرفيعة وفلان عندي بالشمال اذا
كان عنده بالمنزلة الخسيسة فقال هولا الكفار لمتبوعيهم الذين اضلوهم وزينوا لهم الكفر انكم كنتم تخدعوننا وتوهمون
لنا انكم تقصدون من الدعوة الى تلك الاديان نصحنا انا عندكم بمنزلة اليمين اي بالمنزلة الحسنة فوثقنا بكم وقبلنا عنكم
الوجه الثالث ان الكفار كانوا قد حلفوا لهولا المستضعفين ان ما يدعونهم اليه هو الحق فوثقوا
بايمانهم وتمسكوا بعهودهم التي عهدوها اليهم فمعنى قولهم كنتم تاتوننا عن اليمين اي من ناحية المواثيق والايمان التي
تقدمتم بها الينا الوجه الرابع ان لفظ اليمين مستعار من القوة والقهر لان اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع
البطش والمعنى انكم كنتم تاتوننا عن القوة والقهر وتقصدوننا عن السلطان والغلبة حتى تحملونا على الضلال
وتقسروننا عليه ثم حكى الله تعالى عن الرؤسا انهم اجابوا الاتباع من وجوه الاول قولهم قالوا بل لم تكونوا مومنين
يعني انكم ما كنتم موصوفين بالايمان حتى يقال انا ازلناكم عنه الثاني قوله تعالى وما كان لنا عليكم من سلطان
يعني لا قدرة لنا عليكم حتى نقهركم ونجبركم الثالث قوله تعالى بل كنتم قوما طاغين اي ضالين عن الحق
معصية لله الرابع قولهم فحق علينا قول ربنا انا لذائقون والمعنى ان الله تعالى لما اخبر عن وقوعنا في
العذاب فلو لم نحصل ونقع في العذاب لما كان خبر الله حقا بل كان باطلا
ولما كان خبر الله امرا واجبا لا جرم كان الشروع في العذاب امرا واجبا فقوله تعالى نحن علينا قول ربنا اشارة
الى قوله لابليس لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقوله تعالى لما وجب ان يحق علينا قول ربنا وجب
كوننا ذائقين لهذا العذاب الخامس قولهم فاغويناكم انا كنا غاوين والمعنى انا انما اقدمنا على اغوائكم لانا كنا
موصوفين في انفسنا بالغواية وفيه دقيقة اخرى كانهم قالوا ان اعتقدتم ان غوايتكم بسبب اغوائنا فغوايتنا
ان كانت بسبب غواة اخرين لزم التسلسل وذلك محال فعلمنا ان حصول الغواية والرشاد ليس من قبلنا بل من
قبل غيرنا وذلك الغير هو الذي ذكرناه بقوله فحق علينا قول ربنا ولما حكى الله تعالى كلام الاتباع للرؤسا وكلام
الرؤسا للاتباع قال بعده فانهم يومئذ في العذاب مشتركون يعني المتبوع والتابع والمخدوم والخادم مشتركون
في الوقوع في العذاب كما كانوا مشتركين في الغواية ثم قال انا كذلك نفعل بالمجرمين وعني
بالمجرمين هاهنا الكفار بدليل انه تعالى قال بعده الكلمة انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون والعنه في قوله

انهم

انهم عايد الى المذكورين سابقا وهو قوله بالمجرمين وهذا يدل على ان لفظ المجرم المطلق مختص بالكافر ثم بين تعالى
انهم انما دخلوا في ذلك العذاب لانهم كانوا مكذبين بالتوحيد وبالنبوة اما التكذيب بالتوحيد فهو قوله تعالى انهم
كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون يعني يتكبرون ويتعصبون لاثبات الشرك ويستنكفون عن القول بالتوحيد
واما التكذيب بالنبوة فهو قولهم ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون ويعنون محمدا عليه السلم ثم انه تعالى كذبهم في ذلك
الكلام فقال بل جا بالحق وصدق المرسلين وتقرير هذا الكلام انه جا بالدين الحق لانه ثبت بالعقل كونه تعالى
منزها عن الضد والند والشريك ثم لما جا محمد بتقرير هذه المعاني كان مجيئه بالدين الحق فثبت ان قولهم ائنا لتاركوا الهتنا
بهم ويا بعدها حقيقتهم تشبيه بسالته بلامه وقرا ابو عمرو ونافع في رواية بالتخفيف على هذا العقد وبدل والباقون بهمزتين
بلامه وقوله تعالى وصدق المرسلين يعني صدقهم في مجيئهم بالتوحيد ونفي الشرك وهذا تنبيه على ان القول بالتوحيد دين لكل
الانبيا ولما حكى الله تعالى عنهم تكذيبهم بالتوحيد وبالنبوة نقل الكلام من الغيبة الى الحضور فقال انكم لذائقوا العذاب
الاليم ثم كانه قيل كيف يليق بالرحيم الكريم المتعالي عن النفع والضرر ان يعذب عباده فاجاب عنه بقوله وما تجزون الا ما كنتم
تعملون والمعنى ان الحكمة تقتضي الامر بالخير والطاعة والنهي عن القبيح والمعصية والامر والنهي لا يكمل المقصود منهما الا بالترغيب
في الثواب والترهيب بالعقاب واذا وقع الاخبار عنه وجب تحقيقه صونا للكلام عن الكذب فلهذا السبب وقعوا في العذاب
ثم قال الا عباد الله المخلصين يعني لكن عباد الله المخلصين استثنا منقطع

قوله تعالى

اولئك لهم رزق معلوم
فواكه وهم مكرمون في جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكاس من معين بيضا لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون
وعندهم قاصرات الطرف عين كانهن بيض مكنون فاقبل بعضهم على بعض يتسالون اعلم انه تعالى لما وصف حال المذنبين
من منكري التوحيد المصرين على انكار النبوة في العذاب اردفه بذكر حال المخلصين في كيفية الثواب وفيه مسائل
المسالة الاولى ذكرنا في فتح اللام وكسرها من المخلصين قراتان فالفتح ان الله اخلصهم بلطفه واصطفاهم بفضله والكسر
معناه انهم اخلصوا الطاعة لله تعالى المسالة الثانية اعلم انه تعالى وصف رزقهم بكونه معلوما ولم يبين ان
اي الصفات منه هو المعلوم فلذلك حصلت اقوال فقيل معناه ان ذلك الرزق معلوم الوقت وهو مقدار غدوة وعشية
وان لم يكن ثم بكرة ولا عشية قال تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وقيل معناه ان ذلك الرزق معلوم الصفة لكونه
مخصوصا بخصايص خلقها الله فيه من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر وقيل معناه انهم يتيقنون دوامه لا كرزق الدنيا
الذي لا يعلم متى يحصل ومتى ينقطع وقيل انه القدر الذي يستحقونه باعمالهم من ثواب الله وكل ذلك محتمل وقد بين
تعالى انه يعطيهم غير ذلك على سبيل التفضل لما ذكر تعالى ان لهم رزقا بين ان ذلك الرزق ما هو فقال فواكه
وفيه قولان الاول ان الفاكهة عبارة عما يوكل لاجل التلذذ لا لاجل الحاجة وارزاق اهل الجنة كلها فواكه لانهم مستغنون
عن حفظ الصحة بالاقوات فانها اجسام محكمة مخلوقة للابد فكل ما ياكلونه فهو على سبيل التلذذ والثاني ان
المقصود من ذكر الفاكهة التنبيه بالادنى على الاعلى يعني لما كانت الفاكهة حاضرة ابدا كان الطعام اولى بالحضور والقول
الاول اقرب الى التحقيق واعلم انه تعالى لما ذكر الماكل بين ان ذلك الاكل حاصل مع الاكرام والتعظيم فقال
وهم مكرمون لان الاكل الخالي عن التعظيم يليق بالبهايم ولما ذكر تعالى ماكولهم وصف تعالى مساكنهم فقال في جنات
النعيم على سرر متقابلين ومعناه انه لا ينظر بعضهم في قفا بعض وذلك اتم للانس والتخاطب وفي بعض الاخبار انهم اذا ارادوا
القرب سار السرير بهم كما يحبون ولا يكونون متقابلين الا مع حصول الحوائج والسرور ولن يكون كذلك الا مع
النعيم والسعة والجوار يسمع بعضهم كلام بعض ويراه على بعد لان يتقوى الله ابصارهم واسماعهم
ولما بين تعالى وصف الماكل والمسكن ذكر بعده صفة المشرب فقال يطاف عليهم بكاس من معين
قال الزجاج القدح ما الخمر كاسا وتسمى الخمر نفسها كاسا قال وكاس شربت على لذة وعن الاخفش
كل كاس في القران فهي الخمر وقوله من معين من شراب معين او من نهر معين المعين الما الظاهر من عين ملا
اي يخرج من العيون كما يخرج الما وسمي معينا لظهوره يقال عان الما اذا ظهر جاريا قال ثعلب فهو مفعول من العين

نحو مبيع ومكيل وقيل سمي معينا لانه يجري ظاهرا للعيون ويجوز ان يكون فعيلا من المعين وهو الماء الشديد الجري ومنه امعن في السير اذا اشتد فيه وقوله لذة فيه وجوه احدها انها وصفت باللذة كانها نفس اللذة وعينها كما يقال فلان جود وكرم اذا ارادوا المبالغة في وصفه بهاتين الصفتين وثانيها قال الزجاج اي ذات لذة فعلى هذا حذف المضاف وثالثها قال الليث اللذ واللذيذ يجريان مجرى واحد في النعت ويقال شراب لذ ولذيذ قال تعالى بيضاء لذة للشاربين وقال تعالى من خمر لذة للشاربين وبذلك سمي النوم لذا لانه يستلذ اذه وعلى هذا اللذة بمعنى اللذيذ وهو اقرب من هذه الوجوه ثم قال تعالى لا فيها غول وفيه مباحث الاول قال اهل اللغة العرب تقول ليس فيها غيلة وغائلة وغول سواء وقال ابو عبيدة الغول ان تغتال عقولهم وانشد قول مطيع بن اياس وما زالت الكاس تغتالهم وتذهب بالاول فالاول وقال الليث الغول الصداع والمعنى ليس فيها صداع كما في خمر الدنيا قال الواحدي رحمه الله وحقيقته الاهلاك يقال غاله غولا اي اهلكه والغول والغائلة الهلاك ثم سمي الصداع غولا لانه يؤدي الى الهلاك ثم قال ولا هم عنها ينزفون قال الفراء من كسر الزاي فله معنيان يقال انزف الرجل اذا فنيت خمره وانزف اذا ذهب عقله من السكر ومن فتح الزاي فمعناه لا يذهب عقولهم ان يسكرون يقال نزف الرجل فهو منزوف ونزيف والمعنى ليس فيها قط نوع من انواع الفساد التي تكون في شرب الخمر من صداع او خمار او عربدة ولا هم يسكرون ايضا وخصه بالذكر لانه اعظم المفاسد في شرب الخمر فلما ذكر الله تعالى صفة شرابهم ذكر عقيبه صفة منكوحهم من ثلاثة اوجه الاول قوله وعندهم قاصرات الطرف ومعنى القصر في اللغة الحبس ومنه قوله تعالى مقصورات في الخيام والمعنى انهن يحبسن نظرهن ولا يتطلعن الى غير ازواجهن الصفة الثانية قوله تعالى عين قال الزجاج كبار الاعين حسانها واحدها عيناء الصفة الثالثة قوله تعالى كانهن بيض مكنون المكنون في اللغة المستور يقال كننت الشيء واكننته وفي هذا التشبيه ان ظاهر البيض بياض يشوبه قليل من الصفرة فاذا كان مكنونا كان مصونا من الغبرة والقترة فكان هذا اللون في غاية الحسن والعرب كانوا يسمون النساء بيضات الخدور ولما تمم الله صفات اهل الجنة قال فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون فان قيل علام عطف قوله فاقبل بعضهم على بعض قلنا على يطاف عليهم والمعنى يشربون فيتحادثون على الشراب كما هو عادة الشرب قال وما بقيت من اللذات الا محادثة الكرام على المدام والمعنى يقبل بعضهم على بعض يسالون عما جرى لهم وعليهم في الدنيا

قوله تعالى

قال قائل منهم اني كان لي قرين يقول ائنك لمن المصدقين ااذا متنا وكنا ترابا وعظاما انا لمدينون قال هل انتم مطلعون فاطلع فرآه في سواء الجحيم قال تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين ان هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون في الاية مسائل المسالة الاولى اعلم انه تعالى لما ذكر في اهل الجنة انهم يتساءلون عند اجتماعهم على شربهم في الجنة واعلم ان محادثة العقلاء بعضهم مع بعض على الشرب من احسن اللذات ويتذكر الخلاص عند اجتماع اسباب الهلاك من اعظم اللذات ذكر تعالى في هذه الاية ان اهل الجنة اذا اجتمعوا على الشرب وتفاوضوا في المكالمة وان من جملة تلك الكلمات انهم يتذكرون انهم كان قد حصل لهم في الدنيا ما يوجب لهم الوقوع في عذاب الله ثم انهم تخلصوا عنه وفازوا بالسعادة الابدية والمقصود من ذكر هذه الاشياء ان اهل الجنة يتكامل سرورهم وبهجتهم اما قوله قال قائل منهم اني كان لي قرين اي قال قائل من اهل الجنة اني كان لي قرين في الدنيا يقول لي ائنك لمن المصدقين اي كان يوبخني على التصديق بالبعث والقيامة ويقول تعجبا ااذا متنا وكنا ترابا وعظاما انا لمدينون اي محاسبون ومجازون والمعنى ان ذلك القرين كان يقول هذه الكلمات على سبيل الاستنكار ثم ان ذلك الرجل الذي هو من اهل الجنة يقول لجلسائه بعد حكاية هذا الكلام للسرور بالاطلاع الى النار لمشاهدة ذلك القرين فيخاطبهم هل انتم مطلعون فاطلع ثم انه كلف اهل الاطلاع معه لانه لو كان مطلقا بلا تكليف لم يكن الى الاطلاع حاجة

فلذلك

فلذلك قال بعضهم انه ذهب الى بعض اطراف الجنة فاطلع عندها الى النار فرآه في سواء الجحيم اي في وسط الجحيم قال له موبخا تالله ان كدت لتردين اي لتهلكني بدعائك اياي الى انكار البعث والقيامة ولولا نعمة ربي بالارشاد الى الحق والعصمة عن الباطل لكنت من المحضرين في النار مثلك ثم انه تمم ذلك الكلام مع الرجل الذي كان في الدنيا قرينا له وهو الان من اهل النار عاد الى مخاطبة جلسائه الذين هم من اهل الجنة ويقول افما نحن بميتين وفيه وجهان الاول ان اهل الجنة لا يعلمون في اول دخولهم في الجنة انهم لا يموتون فاذا جيء بالموت على صورة كبش املح وذبح فعند ذلك يعلمون انهم لا يموتون فيحتمل هذا الكلام حصل قبل ذبح الموت والثاني ان الذي يتكلم رجل من اهل الجنة اذا عظم تعجبه بسعادته قد يقول ايدوم هذا لي ايبقى هذا لي وان كان على يقين من دوامه ثم عند فراغهم من هذه المباحثات يقولون ان هذا لهو الفوز العظيم واما قوله لمثل هذا فليعمل العاملون فقيل انه من بقية كلامهم وقيل انه ابتداء كلام من الله تعالى اي لطلب مثل هذه السعادات يجب ان يعمل العاملون المسالة الثانية قال بعضهم المراد من هذا القائل ومن قرينه ما ذكره الله تعالى في سورة الكهف في قوله واضرب لهم مثلا رجلين الى اخر الايات وروي ان رجلين كانا شريكين فحصل لهما ثمانية الاف دينار فقال احدهما للاخر اقاسمك فقاسمه واشترى دارا بالف دينار فاراها صاحبه وقال كيف ترى حسنها فقال ما احسنها فخرج وقال اللهم ان صاحبي هذا قد ابتاع هذه الدار بالف دينار واني اسالك دارا من دور الجنة فتصدق بالف دينار ثم ان صاحبه تزوج بامراة حسناء بالف دينار فتصدق هذا بالف دينار لاجل ان يزوجه الله من الحور العين ثم ان صاحبه اشترى بساتين بالفي دينار فتصدق هذا بالفي دينار ثم ان الله اعطاه في الجنة ما طلب فعند ذلك قال اني كان لي قرين فاطلع فرآه في سواء الجحيم المسالة الثالثة قوله ائنك لمن المصدقين ااذا متنا وكنا ترابا وعظاما انا لمدينون اختلف القراء في هذه الاستفهامات الثلاثة فقرا نافع الاولى والثانية بالاستفهام بهمزة غير ممدودة والثالثة بكسر الالف من غير استفهام ووافقه الكسائي الا انه يستفهم الثالثة بهمزتين وقرا ابن عامر الاولى والثالثة بالاستفهام بهمزتين والثانية بكسر الالف من غير استفهام ووافقهم الباقون بالاستفهام في جميعها ثم اختلفوا فابن كثير يستفهم بهمزة وبعدها ياء ساكنة خفيفة وابو عمرو مطولة وعاصم وحمزة بهمزتين واما قوله ان كدت لتردين فقرا نافع برواية ورش لتردين بالياء في الوصل والباقون بحذفها المسالة الرابعة احتج اصحابنا على ان الهدى والضلال من الله تعالى بقوله ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين وقالوا مذهب الخصم ان كل ما فعله الله تعالى من وجوه الانعام في حق المؤمن فقد فعله في حق الكافر واذا كان ذلك الانعام مشتركا فيه استحال ان يكون سببا لحصول الهداية للمؤمن ولكونه متخلصا من الكفر والردى فوجب ان يكون للمؤمن المخصوص امر زائد على تلك الانعامات التي حصل الاشتراك فيها وما ذاك الا تقوية الداعي الى الايمان وتكميل الصارف عن الكفر المسالة الخامسة احتج بعضهم بهذه الاية على ان الرجل الذي من اهل الجنة انما قال افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى فهذا يدل على ان الانسان لا يموت الا مرة واحدة ولو حصل الحياة في القبر لكان قد مات مرتين والجواب انه يعني ان الموتتين انما ادلى المراد كل ما وقع في الدنيا والله اعلم

قوله تعالى

اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم انا جعلناها فتنة للظالمين انها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلعها كانه رؤوس الشياطين فانهم لاكلون منها فمالئون منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم انهم الفوا اباءهم ضالين فهم على اثارهم يهرعون ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين ولقد ارسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الا عباد الله المخلصين اعلم انه تعالى لما قال بعد ذكر ثواب اهل الجنة ووصفها لمثل هذا فليعمل العاملون اتبعه بقوله اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يورد ذلك على كفار قومه ليصير ذلك زاجرا لهم عن الكفر وكما وصف من قبل ماكل اهل الجنة ومشاربهم وصف ايضا في هذه الاية ماكل اهل النار ومشاربهم اما قوله اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم المعنى ان الرزق المعلوم المذكور لاهل الجنة خير نزلا اي خير حاصلا ام شجرة الزقوم واصل النزل الفضل الواسع في الطعام يقال طعام كثير النزل فاستعير للحاصل من الشيء ويقال ارسل الامير الى فلان نزلا وهو الشيء الذي يهيا للنزيل اذا عرفت هذا فنقول حاصل الرزق المعلوم لاهل الجنة اللذة والسرور وحاصل شجرة الزقوم الالم والغم ومعلوم انه لا نسبة

احدهما انه الحق في الخبرية الا انه جاء هذا الكلام اما على سبيل السخرية بهم او لاجل ان المومنين لما اختاروا ما اوصلهم
الى الرزق الكريم والكافرين اختاروا ما اوصلهم الى العذاب الاليم فقيل لهم ذلك توبيخا لهم على سوء اختيارهم واما
الزقوم فقال الواحدي رحمه الله لم يذكر المفسرون للزقوم تفسيرا الا الكلبي فانه روى انه لما نزلت هذه الاية قال ابن
الزبعرى اكثر الله تعالى في بيوتكم الزقوم فان اهل اليمن يسمون التمر والزبد بالزقوم فقال ابو جهل لجاريته
زقمينا فاتته بزبد وتمر وقال تزقموا قال الواحدي ومعلوم ان الله تعالى لم يرد بالزقوم ههنا
الزبد والتمر قال ابن دريد لم يكن للزقوم اشتقاق من التزقم وهو الافراط في اكل الشيء حتى يكره ذلك
يقال بات فلان يتزقم وظاهر لفظ القران يدل على انها شجرة كريهة الطعم منتنة الرائحة شديدة الخشونة
موصوفة بصفات كلما تناولها عظم ما فيه من ... يكره اهل النار على تناولها اما قوله تعالى
انا جعلناها فتنة للظالمين ففيه اقوال الاول انها انما صارت فتنة للظالمين من حيث ان الكفار لما سمعوا هذه الاية قالوا كيف
يعقل ان تنبت الشجرة في جهنم مع ان النار تحرق الشجر والجواب عنه ان خالق النار قادر على ان يمنع النار من احراق الشجر
والله تعالى يمنع النار عن احراقهم فلم لا يجوز مثله في هذه الشجرة اذا عرف
هذا السوال والجواب فنقول كون شجرة الزقوم فتنة للكافرين معناه انهم لما سمعوا هذه الاية وقعت تلك الشبهة في قلوبهم
وصارت تلك الشبهة سببا لتماديهم في الكفر فهذا هو المراد من كونها فتنة لهم والوجه الثاني في تفسير كونها فتنة
ان المراد صيرورة هذه الشجرة فتنة لهم في النار لانهم اذا كلفوا تناولها وشق ذلك عليهم فحينئذ يصير ذلك فتنة في جهنم الوجه
الثالث ان يكون المراد من الفتنة الامتحان والاختبار فان هذا شيء بعيد عن العرف والعادة مخالف للمالوف والموقن
اذا ورد على سمع المومن فوض علمه الى الله واذا ورد على الزنديق توسل به الى الطعن في القران والنبوة ثم انه تعالى
لما ذكر هذه الشجرة وصفها بصفات الصفة الاولى قوله انها شجرة تخرج في اصل الجحيم قيل منبتها في قعر جهنم واغصانها
ترتفع الى دركاتها الصفة الثانية قوله طلعها كانه رؤس الشياطين فالطلع الحمل ماخوذ من طلع النخلة فاستعير
لما طلع من شجرة الزقوم من حملها اما استعارة لفظية او معنوية وقال ابن قتيبة سمي طلعا لطلوعه كل سنة ولذلك قيل
طلع النخل لاول ما يخرج من ثمره واما تشبيه هذا الطلع برؤس الشياطين ففيه سوال لانه قيل انا ما راينا رؤس الشياطين
فكيف يمكن تشبيه شيء بها واجابوا عنه من وجوه الاول وهو الحق ان الناس لما اعتقدوا في الملائكة كمال الفضل في
الصورة والسيرة واعتقدوا في الشياطين نهاية القبح والتشويه في الصورة والسيرة فكما حسن التشبيه بالملك عند ارادة
تقرير الكمال والفضيلة في قوله ان هذا الا ملك كريم فكذلك وجب ان يحسن التشبيه برؤس الشياطين في القبح وتشويه
الخلقة والحاصل ان هذا من باب التشبيه لا بالمحسوس بل بالمتخيل كانه قيل ان قبح الاشياء في الوهم والخيال هو رؤس الشياطين
فهذه الشجرة تشبهها في قبح المنظر وتشويه الصورة والذي يوكد هذا ان العقلاء اذا راوا شيئا شديد الاضطراب منكر الصورة
قبيح الخلقة قالوا انه شيطان واذا راوا شيئا حسن الصورة والسيرة قالوا انه ملك وقال امرؤ القيس
ايقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كانياب اغوال القول الثاني ان الشياطين حيات لها رؤس
واعراف وهي من اقبح الحيات وبها يضرب المثل في القبح والعرب اذا رات منظرا قبيحا قالت كانه شيطان الحماطة والحماطة
شجرة معينة والقول الثالث ان رؤس الشياطين نبت معروف قبيح الراس والوجه الاول هو الجواب الحق واعلم
انه تعالى لما ذكر هذه الشجرة وذكر صفتها بين ان الكفار لاكلون منها فمالئون منها البطون واعلم انه لعله يكرههم
على الاكل وفيه وجهان الاول انهم اكلوا منها لشدة الجوع فان قيل وكيف ياكلونها مع نهاية خشونتها ونتنها ومرارة
طعمها قلنا ان الواقع في الضر العظيم ربما استروح منه الى ما يقاربه في الضرر فاذا جوعهم الله الجوع الشديد
فزعوا في ازالة ذلك الجوع الى تناول هذا الشيء وان كان بالصفة التي ذكرناها الوجه الثاني ان الزبانية
يكرهونهم على الاكل من تلك الشجرة تكميلا لعذابهم ثم انه لما علم انهم اذا شبعوا فحينئذ يشتد عطشهم ويحتاجون الى الشراب
ذكر بعد هذا وصف شرابهم فقال ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم قال الزجاج الشوب اسم عام في كل ما خلط

بغيره

بغيره والحميم الماء الحار المتناهي في الحرارة والمعنى انه اذا غلبهم ذلك العطش الشديد سقوا من ذلك الحميم فحينئذ
يشوب الزقوم بالحميم نعوذ بالله منها واعلم انه وصف شرابهم في القران باشياء منها كونه غساقا ومنها
قوله وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم ومنها ما ذكره في هذه الاية فان قيل ما الفائدة في كلمة ثم في قوله ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم
قلنا فيه وجهان الاول انهم يملئون بطونهم من شجرة الزقوم وهو حار يحرق بطونهم فيعظم عطشهم ثم انهم لا يسقون الا
بعد مدة مديدة والغرض تكميل التعذيب والثاني انه تعالى ذكر الطعام بتلك البشاعة والكراهة ثم وصف الشراب
بما هو ابشع منه فكان المقصود من كلمة ثم بيان ان حال المشروب في البشاعة اعظم من حال الماكول ثم قال تعالى ثم ان مرجعهم
لالى الجحيم قال مقاتل اي بعد اكل الزقوم وشرب الحميم وهذا يدل على انهم عند شرب الحميم لم يكونوا في الجحيم وذلك
بان يكون الحميم في موضع خارج عن الجحيم فهم يوردون الحميم لاجل الشرب كما تورد الابل الى الماء ثم يردون الى الجحيم وهذا
قول مقاتل واحتج على صحته بقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن وذلك يدل على صحة
ما ذكرناه والله اعلم ثم انه تعالى لما وصف عقابهم في اكلهم وشربهم قال انهم الفوا اباءهم ضالين فهم على اثارهم يهرعون
قال الفراء الاهراع الاسراع يقال هرع واهرع اذا استحث والمعنى انهم يتبعون اباءهم اتباعا في سرعة كانهم يزعجون
الى اتباع اباءهم والمقصود من الاية انه تعالى علل استحقاقهم للوقوع في تلك الشدائد كلها بتقليد الاباء في الدين وترك
اتباع الدليل ولو لم يوجد في القران اية غير هذه الاية في ذم التقليد لكفى ثم انه تعالى ذكر لرسوله ما يوجب التسلية
له في كفر قومهم وتكذيبهم فقال ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين ولقد ارسلنا فيهم منذرين فبين حال الانبياء الرسل لتسلية
والمقصود منهم لهم قد سلف ... لرسوله عليه السلام اسوة بهم حتى يصبر كما صبروا ويستمر على التبليغ الى ان الله وان
تمردوا فليس عليه الا البلاغ ثم قال تعالى فانظر كيف كان عاقبة المنذرين وهذا وان كان في الظاهر خطابا مع الرسول
عليه السلام الا ان المقصود منه خطاب الكفار لانهم سمعوا بالاخبار ما جرى من انواع العذاب على قوم نوح وعاد وثمود
وغيرهم فان لم يعلموا ذلك فلا اقل من ظن وخوف يحمل على النظر والتامل ... عن كفرهم ثم قال تعالى الا عباد الله المخلصين وفيه وجهان
احدهما انه استثناء من قوله ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين والثاني انه استثناء من قوله فانظر كيف كان عاقبة المنذرين فانها كانت اقبح
العواقب واقطعها الا عاقبة عباد الله المخلصين فانها كانت مقرونة بالخير والراحة

قوله تعالى

ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه واهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم الباقين وتركنا عليه في الاخرين
اعلم انه تعالى لما قال من قبل ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين وقال فانظر كيف كان عاقبة المنذرين اتبعه بشرح
وقائع الانبياء عليهم السلام والقصة الاولى حكاية حال نوح عليه السلام وهي قوله ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون وفيه
مباحث الاول اللام في قوله فلنعم جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف اي فلنعم المجيبون نحن
الثاني انه تعالى ذكر ان نوحا نادى ولم يذكر ان ذلك النداء في اي الوقائع كان لاجرم حصل فيه قولان الاول وهو المشهور
عند الجمهور انه نادى الله تعالى في ان ينجيه من محنة الغرق وكرب تلك الوقائع والقول الثاني ان نوحا
عليه السلام لما اشتغل بدعوة قومه الى الدين الحق بالغوا في ايذائه وقصدوا قتله ثم انه عليه السلام نادى ربه واستنصره على
كفار قومه فاجابه الله تعالى ومنعهم من قتله وايذائه واحتج هذا القائل على ضعف القول الاول بانه عليه السلام انما دعا عليهم
لاجل ان ينجيه الله تعالى واهله فاجاب الله دعاءه فيه فكان حصول تلك النجاة كالمعلوم المتيقن في حقه وذلك
يمنع من ان يقال المطلوب من هذا النداء حصول هذه النجاة ثم انه تعالى لما حكى عن نوح انه ناداه قال فلنعم المجيبون
وهذه اللفظة تدل على ان تلك الاجابة كانت من النعم العظيمة وبيانه من وجوه الاول انه تعالى عبر عن ذاته
بصيغة الجمع فقال ولقد نادانا نوح والقادر العظيم لا يليق به الا الاحسان العظيم والثاني انه اعاد صيغة
الجمع في قوله فلنعم المجيبون وذلك ايضا يدل على تعظيم تلك النعمة لا سيما وقد وصف تلك الاجابة بانها نعمت الاجابة
والثالث ان الفاء في قوله فلنعم المجيبون تدل على ان حصول هذه الاجابة مرتب على ذلك النداء والحكم المرتب
على الوصف المناسب يقتضي كونه معللا به وهذا يدل على ان النداء بالاخلاص سبب لحصول الاجابة ثم انه تعالى

لما بين انه سبحانه نعم المجيب على سبيل الاجمال بين ان الانعام حصل في تلك الاجابة من وجوه الاول قوله تعالى ونجيناه و
اهله من الكرب العظيم وهو محمول على القولين اولى الكرب الحاصل بسبب الخوف من الغرق وعلى الثاني الكرب الحاصل من اذى قومه والثاني
قوله وجعلنا ذريته هم الباقين يفيد الحصر وذلك يدل على ان كل من سواه وسوى ذريته فقد فنوا قال ابن عباس رضي الله عنه
ذريته بنوه الثلثة سام وحام ويافث فسام ابو العرب وفارس والروم وحام ابو السودان ويافث ابو الترك
التسمية الثالثة قوله تعالى وتركنا عليه في الاخرين سلام على نوح يعني تركنا عليه هذه الكلمة فانه يسلم الله السلام
على نوح وادامه في الملائكة والثقلين يسلمون عليه بكليتهم ثم انه تعالى لما شرح بتفاصيل الانعام عليه قال انا كذلك
نجزي المحسنين والمعنى انا انما خصصنا نوحا عليه السلام بهذه التشريفات الرفيعة من جعل الدنيا مملوة من ذريته
ومن تبقية ذكره الحسن في السنة جميع العالمين لاجل انه كان محسنا ثم علل كونه محسنا بانه كان عبدا مؤمنا والمقصود
منه بيان ان اعظم الدرجات واشرف المقامات الايمان بالله والانقياد لطاعته القصة الثانية قصة ابرهيم

قوله تعالى وان من شيعته لابرهيم اذ جاء ربه بقلب سليم اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون
اينكا الهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم فتولوا عنه مدبرين فراغ
الى الهتهم فقال الا تاكلون ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين فاقبلوا اليه يزفون في الاية مسايل المسالة الاولى في
الضمير في قوله من شيعته الى ماذا يعود فيه قولان الاول وهو الاظهر انه عايد الى نوح عليه السلم اي من شيعة نوح اي من
اهل دينه وعلى فرقته ومنهاجه ابرهيم قالوا وما كان بين نوح وابرهيم الا نبيان هود وصالح وروى صاحب الكشاف انه كان
بين نوح وابرهيم الفان وستمائة واربعون سنة الثاني قال الكلبي المراد من شيعته محمد صلى الله عليه وسلم وهو اختيار الفراء اي
من شيعة محمد صلى الله عليه وسلم لابرهيم يعني انه كان على دينه ومنهاجه فهو من شيعته وان كان سابقا له والاظهر
الاول لانه تقدم ذكر نوح عليه السلم ولم يتقدم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فعود الضمير الى نوح اولى المسالة الثانية العايد في
الشيعة من المشايعة يعني وان ممن شايعه على دينه ومنهاجه حين جاء ربه بقلب سليم
اذ دل عليه ... وان صح معنى المتابعة ... المسالة الثالثة في قوله بقلب سليم وجوه الاول قال مقاتل والكلبي يعني
ابرهيم اخلص لله ... بقلب سليم من الشرك فلم يشرك بالله والثاني قال الاصوليون المراد انه عاش ومات على طهارة
القلب من كل دنس المعاصي فيدخل فيه كونه سليما عن الشرك وعن الشك وعن الغل والغش والحقد والحسد عن ابن عباس
انه كان يحب للناس ما يحبه لنفسه وسلم جميع الناس من غشه وظلمه واسلمه الله تعالى فلم يعدل به احدا
واحتج الذاهبون الى القول الاول بانه تعالى ذكر بعد هذه الكلمة انكاره على قومه الشرك بالله وهو قوله اذ قال
لابيه وقومه ماذا تعبدون واحتج الذاهبون الى القول الثاني بان اللفظ مطلق فلا فايدة في تقييده بصفة دون صفة
وتاكد هذا بقوله تعالى ولقد اتينا ابرهيم رشده من قبل وكنا به عالمين مع انه تعالى قال الله اعلم حيث يجعل رسالاته
وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فان قيل ما معنى المجي بقلبه الى ربه قلنا معناه
انه اخلص لله قلبه فكانه اتحف حضرة الله بذلك القلب وانه لما لم تثبت التربية ان الله تعالى قال لموسى يا موسى ما جئتني
الهيك يجل قلبك واعلم انه تعالى لما ذكر ان ابرهيم جاء ربه بقلب سليم ذكر انه من جملة اثار تلك السلامة انه دعا اباه
وقومه الى التوحيد فقال اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون والمقصود من هذا الكلام تهجين تلك الطريقة وتقبيحها
ثم قال ائفكا الهة دون الله تريدون قال صاحب الكشاف افكا مفعول له تقديره اتريدون الهة من دون الله
افكا وانما قدم المفعول على الفعل للعناية وقدم المفعول له على المفعول به لانه كان الاهم عنده ان يقرر عندهم
انهم على افك وباطل في شركهم ويجوز ان يكون افكا مفعولا به بمعنى اتريدون افكا ثم فسر الافك بقوله الهة من دون
الله على انها افك في انفسها ويجوز ان يكون حالا بمعنى اتريدون الهة من دون الله افكين ثم قال فما ظنكم برب العالمين
ومنه وجوه الاصحها ... اتظنون برب العالمين انه يجوز جعل هذه الجمادات مشاركة له في المعبودية
وثانيها اتظنون برب العالمين انه من جنس هذه الاجسام حتى جعلتموها مساوية له في المعبودية فنبههم بذلك

على انه ليس كمثله شي ثم قال فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم عن ابن عباس رضي الله عنه انهم كانوا
يتعاطون علم النجوم فعاملهم على مقتضى عادتهم وذلك لانه اراد ان يكايدهم في اصنامهم ليلزمهم الحجة
في انها غير معبودة وكان لهم من الغد يوم عيد يخرجون اليه فاراد ان يتخلف عنهم ليبقى خاليا في بيت
الاصنام فيقدر على كسرها وههنا سؤالات الاول ان النظر في علم النجوم غير جايز فكيف اقدم عليه
ابرهيم والثاني انه عليه السلم ما كان سقيما فلما قال اني سقيم كان كذبا واعلم ان العلماء ذكروا
في الجواب عنها وجوها كثيرة الاول انه نظر نظرة في النجوم بحدوثها في الليل والنهار وكانت تاتيه
كالحمى في بعض ساعات الليل والنهار فنظر ليعرف هل هي تلك الساعة وقال اني سقيم فجعله عذرا
في تخلفه عن العيد الذي لهم وكان صادقا فيما قال لان السقم كان ياتيه في تلك الوقت وانما تخلف لكسر اصنامهم
الوجه الثاني في الجواب ان قوم ابرهيم عليه السلم كانوا اصحاب النجوم يعظمونها ويقضون بها على الغايب
فلهذا نظر ابرهيم في النجوم اي في علم النجوم وفي معانيها الا انه نظر بعينه اليها وهو كما يقال
نظر فلان في الفقه وفي النجوم وانما اراد بذلك ان يوهمهم انه يعلم ما يعلمونه فيتعرفون منه حتى اذا قال
اني سقيم سكنوا اليه ولقائل ان يقول اني سقيم معناه ساسقم لقوله انك ميت اي ستموت الوجه الثالث
انه نظر في النجوم وهو قوله تعالى فلما جن عليه الليل راى كوكبا الى اخر الايات وكان ذلك في النظر الاول
ليعرف احوال هذه الكواكب انها قديمة او محدثة وقوله اني سقيم اي سقيم القلب غير عارف بربي وكان
ذلك قبل البلوغ الوجه الرابع قال ابن زيد كان له نجم مخصوص وكلما طلع على صفة مخصوصة مرض ابرهيم
فلهذا الاستقراء لما راه في تلك الليلة طالعا على تلك الصفة المخصوصة قال اني سقيم اي هذا السقم واقع
لا محالة الوجه الخامس ان قومه اني سقيم اي مريض القلب بسبب اطباق ذلك الجمع العظيم على الكفر
والشرك بالله تعالى لمحمد عليه السلم لعلك باخع نفسك الوجه السادس في الجواب الا انا نقول
النظر في علم النجوم والاستدلال بها حرام ولكن لانه على اعتقاد ان الله تعالى خص كل واحد من هذه
الكواكب بقوة وخاصية لاجلها يظهر منه اثر مخصوص فهذا العلم على هذا الوجه ليس بباطل واما
الكذب فغير لازم لانه ذكر قوله اني سقيم على سبيل التعريض بمعنى ان الانسان لا ينفك في اكثر احواله من
حصول حالة مكروهة اما في بدنه واما في قلبه وكل ذلك سقم الوجه السابع قال بعضهم
ذلك القول عن ابرهيم عليه السلام كذبة ورووا فيه حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما كذب
ابرهيم الا ثلث كذبات قلت لبعضهم هذا الحديث لا ينبغي ان يقبل لان نسبة الكذب الى ابرهيم
لا يجوز فقال ذلك الرجل فكيف يحكم بكذب الرواة العدول فقلت لما وقع التعارض بين نسبة
الكذب الى الراوي وبين نسبته الى الخليل عليه السلم كان من المعلوم بالضرورة ان نسبته الى الراوي
اولى ثم نقول لم لا يجوز ان يكون المراد بكونه كذبا خبرا شبيها بالكذب والوجه
الثامن ان المراد من قوله فنظر نظرة في النجوم اي نظر في نجوم كلامهم ومتفرقاتها فان النجوم
الاشيا التي تحدث فتطلع تقول العرب انها منجمة اي متفرقة ومنه نجوم الكتابة والمعنى انه لما سمع كلامهم
المعروف نظر فيها حتى يستخرج منها حيلة يقدر بها على اقامة عذر لنفسه في التخلف عنهم فلم يجد عذرا
احسن من قوله اني سقيم والمراد انه لا بد من ان اصير سقيما كما تقول لمن راته على الموت انك ميت
واعلم ان ابرهيم عليه السلم لما قال اني سقيم تولوا عنه مدبرين وتركوه وعذروه في ان لا يخرج
اليوم وكان غرضه من ذلك مراده في ان يكسر الاصنام ثم قال فراغ اليه اي مال الى الهتهم على سبيل الخفية ومنه
روغان الثعلب وقوله تعالى الا تاكلون يعني الطعام الذي كان بين ايديهم وانما قال ذلك استهزاء بها وكذلك
قوله ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين فاقبل عليهم مستخفيا كانه قال فضربهم ضربا لان راغ عليهم

في معنى ضربهم او فراغ عليهم ضربا بمعنى ضاربا و في قوله باليمين وجوه الاول معناه بالقوة والشدة لان اليمين اقوى
الجارحتين والثاني انه اتى بذلك الفعل بسبب الحلف وهو قوله تعالى وتالله لاكيدن اصنامكم ثم قال
فاقبلوا اليه يزفون قرا حمزة يزفون بضم اليا والباقون بفتحها ثم الفتح فيه قولان الاول انه من زف
يزف ومن قرا يزفون قال الزجاج يزفون يسرعون واصله من زفيف النعامة وهو من ابتدا عدوها
وقول حمزة يزفون اي يحملون غيرهم على الزفيف قال الاصمعي يقال ازففت الابل اذا حملتها على ان تزف
وهو سرعة الخطو ومقاربة المشي فالمفعول محذوف على هذه القراة كانهم حملوا دوابهم على الاسراع في المشي فان
قيل مقتضى هذه الاية ان ابرهيم عليه السلم كسرها عندما اقبلوا اليه واخذوه وقال في سورة اخرى في عرض هذه القصة
قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم وهذا يقتضي انهم في اول الامر
ما عرفوه ثم بعد ذلك [illegible] فاقبلوا اليه يزفون [illegible]

قوله تعالى

ما عرفوه [illegible] ذلك الكاسر منهم والله اعلم قال اتعبدون ما تنحتون
والله خلقكم وما تعملون قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم فارادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين وقال
اني ذاهب الى ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين فبشرناه بغلام حليم في الاية مسائل المسئلة
الاولى غلط القوم لما عابهم ابرهيم على عبادة الاصنام مع انها وكان لهم الدليل الدال على فساد المعبود
الى عبادتها بقوله تعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون ووجه الاستدلال الظاهر وهو ان الخشب
والحجر قبل النحت والاصلاح ما كان معبودا للانسان فاذا نحته وشكله على الوجه المخصوص لم يحدث فيه
الا اثار تصرفه فلو صار معبودا عند ذلك لكان معناه ان الشي الذي ما كان معبودا لما حصلت اثار
تصرفه فيه صار معبودا وفساد ذلك معلوم ببديهة العقل المسئلة الثانية احتج جمهور الاصحاب
بقوله والله خلقكم وما تعملون على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى فقالوا النحويون اتفقوا على ان لفظ ما مع ما
بعده في تقدير المصدر فقوله وما تعملون معناه وعملكم وعلى هذا التقدير صار معنى الاية والله خلقكم وخلق
عملكم فان قيل هذه الاية حجة عليكم من وجوه الاول انه تعالى قال اتعبدون ما تنحتون اضاف العبادة والنحت
اليهم اضافة الفعل الى الفاعل ولو كان ذلك واقعا بتخليق الله تعالى لكان ذلك الثاني انه تعالى انما ذكر
هذه الاية توبيخا لهم على عبادة الاصنام لانه تعالى لما بين انه خالقهم وخالق لتلك الاصنام والخالق هو المستحق
للعبادة دون المخلوق فلما تركوا عبادته سبحانه مع انه خالقهم وعبدوا الاصنام لزمهم انه سبحانه وبخهم
على هذا الخطا العظيم فقال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون ولو لم يكونوا فاعلين لافعالهم
لما جاز توبيخهم عليها سلمنا ان هذه الاية ليست حجة عليكم لكن لا نسلم انها حجة لكم فان قوله لفظ ما مع ما بعده
في تقدير المصدر قلنا هذا ممنوع وبيانه ان سيبويه والاخفش اختلفا فيه فلم يجوز سيبويه
اعجبني ما قمت اي قيامك وجوزه الاخفش وزعم ان هذا لا يجوز الا في الفعل المتعدي
وللكسائي كلام في هذا الموضع على ان بعض المفعول عند الاخفش سلمنا ان ذلك قد يكون بمعنى المصدر لكنه
ايضا قد يكون بمعنى المفعول ويدل عليه وجوه الاول ان المراد بقوله تعالى اتعبدون ما تنحتون الاصنام لا النحت
ما يحتون المنحوت لا النحت لانهم ما عبدوا النحت وانما عبدوا المنحوت فوجب ان يكون المراد بقوله وما تعملون
المعمول لا العمل حتى يكون كل واحد من هذين اللفظين على وفق الاخر الثاني انه تعالى قال فاذا هي تلقف
ما يافكون وليس المراد انها تلقف نفس الافك بل اراد العصي والحبال التي هي معلومات ذلك الافك
فكذا ههنا الثالث ان العرب تسمي محل العمل عملا يقال في الباب والخاتم هذا عمل فلان والمراد محل عمله
فثبت بهذه الوجوه الثلاثة ان لفظ ما مع ما بعده كما يجي بمعنى المصدر فقد يجي ايضا بمعنى المفعول فكان
حمله ههنا على المفعول اولى لان المقصود في هذه الاية تزييف مذهبهم في عبادة الاصنام لا بيان انهم لا يوجدون

انه لما نبههم ان الترتيب ذكره من اول السورة الى هذا الموضع من مسئلة عباد الاصنام اصل الاعمال واعلم
ان هذه السوالات قوية وقد ذكرنا نظيرها في سورة الانعام والاولى ترك الاستدلال بهذه الاية والله اعلم واعلم ان ابرهيم عليه السلم
لما اورد عليهم هذه الحجة القوية ولم يقدروا على الجواب عدلوا الى طريق الايذا فقالوا ابنوا له بنيانا واعلم ان كيفية
ذلك البنا غير مذكور في لفظ القران قال ابن عباس بنوا حايطا من حجر طوله في السما ثلثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا
وملاوه نارا وطرحوه فيها وذلك هو قوله فالقوه في الجحيم وهي النار العظيمة قال الزجاج كل نار بعضها فوق بعض
فهي جحيمة والالف واللام في الجحيم يدل على العهد والمعنى في جحيمه اي جحيم ذلك البنيان ثم قال تعالى فارادوا به
كيدا فجعلناهم الاسفلين والمعنى انه في حال المحاجة حصلت الغلبة له وعندما القوه في النار صرف الله عنه
ضرر النار فصار هو العالي عليهم واعلم انه لما انقضت هذه الواقعة قال ابرهيم عليه السلم اني ذاهب الى ربي
سيهدين ونظير هذه الاية قوله تعالى وقال اني مهاجر الى ربي وفيه مسائل المسئلة الاولى دلت هذه الاية على ان
الموضع الذي يكثر فيه الاعدا تجب مهاجرته وذلك لان ابرهيم صلوات الله عليه مع ان الله سبحانه خصه باعظم
انواع النصرة لما احس منهم بالعداوة الشديدة هاجر عن تلك الديار فلان يجب ذلك على الغير كان اولى المسئلة الثانية
في قوله اني ذاهب الى ربي قولان الاول المراد منه مفارقة تلك الديار والمعنى اني ذاهب الى موضع ديني ربي والقول
الثاني قال الكلبي ذاهب بعبادتي الى ربي فعلى القول الاول المراد بالذهاب الى الرب هو الهجرة عن تلك الديار وبه
اقتدى موسى عليه السلم حيث قال كلا ان معي ربي سيهدين وعلى القول الثاني المراد رعاية احوال القلوب
وهو ان لا ياتي بشي من الاعمال الا لله تعالى كما قال وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض وقيل القول
الاول اولى لان المقصود من هذه الاية بيان مهاجرته الى ارض الشام وايضا يبعد حمله على الهداية في الدين لانه
كان على الدين في ذلك الوقت الا ان يحمل ذلك على الثبات عليه او يحمل ذلك على الاهتدا الى الدرجات العالية
والمراتب الرفيعة في امر الدين المسئلة الثالثة قوله سيهدين يدل على ان الهداية لا تحصل الا من الله تعالى
كما يقوله اصحابنا ولا يمكن حمل هذه الهداية على [illegible] ومنع الادلة وازاحة الاعذار لان كل ذلك قد حصل
في الزمان الماضي وقوله سيهدين يدل على اختصاص تلك الهداية بالمستقبل فوجب حمل الهداية في هذه الاية
على تحصيل العلم والمعرفة في قلبه فان قيل ان ابرهيم عليه السلم جزم في هذه الاية بانه تعالى سيهديه
وان موسى عليه السلم لم يجزم به بل قال عسى ربي ان يهديني سوا السبيل فما الفرق بينهما قلنا العبد
اذا تجلى له مقامات الله لطف بعباده يوجب جزمه بحصول المقصود واذا تجلى له مقامات
كونه غنيا عن العالمين لم يجزم بشي لنفسه فلا يجزم بل لا يظهر الا الرجا والطمع المسئلة
الرابعة قوله تعالى اني ذاهب الى ربي لا يدل على اثبات المكان لله تعالى كقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب
لان كلمة الى موصولة في قوله اني ذاهب الى ربي مع انه لا يلزم ان يكون الاله موجودا في ذلك المكان فكذا
ههنا واعلم انه صلى الله عليه وسلم لما وصل الى الارض المقدسة اراد الولد فقال رب هب لي من الصالحين
يريد الولد لان لفظ الهبة غلب في الولد ولذلك كان قد جا في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا اخاه
هرون نبيا فقال تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب وقال فبشرناه بيحيى وقال علي بن ابي طالب لابن عباس
حين هناه بولده على ابن له شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب ولذلك وقعت التسمية
بهبة الله وبتسمية الوهاب والموهوب واعلم ان هذا اللفظ يشتمل على البشارة على ان الولد
غلام ذكر وانه يبلغ اوان الحلم وانه يكون حليما وان حلم اعظم من حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح فقال
ستجدني ان شا الله من الصابرين ثم استسلم لذلك وصفه الله بانه حليم وان ابرهيم عليه السلم كان موصوفا بالحلم قال
ان ابرهيم لاواه حليم ان ابرهيم لحليم اواه منيب ثم ان ولده موصوف بالحلم دل ذلك على انه تام معا في صفات
الشرف في الفضيلة واعلم ان الصلاح افضل الصفات بدليل ان الخليل عليه السلم طلب الصلاح لنفسه

قال رب هب لي من الصالحين والحسن بالصالحين وطلبه للولد كما قال رب هب لي من الصالحين وطلب سليمان بعد
كمال درجته في الدين والدنيا بقوله وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وذلك يدل على ان الصلاح
اشرف مقامات العباد **قوله تعالى** فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني ارى في المنام اني
اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين فلما اسلما وتله للجبين و
ناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم
وتركنا عليه في الاخرين سلام على ابراهيم كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا
من الصالحين وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين اعلم انه تعالى لما ذكر بشارته بغلام
حليم اتبعه بما يدل على حصول ما بشر به وبلوغه فقال فلما بلغ معه السعي ومعناه فلما ادرك وبلغ الحد الذي
يقدر فيه على السعي وقوله معه في موضع الحال والتقدير كائنا معه والفائدة في اعتبار هذا المعنى ان الاب
ارفق الناس بالولد وغيره ربما عنف به في الاستسعاء فلا يحتمل لانه لم يستحكم قوته ولم يصلب عوده كان في
ذلك الوقت ابن ثلاث عشرة سنة والمقصود من هذا الكلام انه تعالى وهبه له في اوان يتعلق به قلبه وذلك العلم
حاصل في حال الابوة ما يدل على كمال علمه وذلك لانه كان يحسن كمال العلم وفسخ الهدى على الاقتداء
بتلك البلية العظيمة ثم اشار بذلك كون الولد بالحسنى الذي به تعالى ان ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا
المسلم له اولى في تفسير هذا اللفظ وجهان الاول قال السدي كان ابراهيم حين بشر بغلام قبل ان يولد له
قال هو اذا لله ذبيح فقيل لابراهيم قد نذرت نذرا فف بنذرك فلما اصبح قال يا بني اني رايت في المنام
اني اذبحك وروي عن طريق ان ابراهيم راى ليلة التروية في منامه كان قائلا يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك
هذا فلما اصبح روى في ذلك من الصباح الى الرواح امن الله هذا الحلم ام من الشيطان فمن ثم سمي يوم التروية
فلما امسى راى مثل ذلك فعرف انه من الله تعالى فسمي يوم عرفة ثم راى مثله في الليلة الثالثة
فهم بنحره فسمي يوم النحر وهذا هو قول اهل التفسير وهو يدل على انه راى في المنام ما يوجب ان يذبح
ابنه في اليقظة وعلى هذا تقدير اللفظ اني ارى في المنام ما يوجب اني اذبحك والقول الثاني انه
راى في المنام انه يذبحه ورؤيا الانبياء عليهم السلام من باب الوحي وعلى هذا القول التقدير اني ارى في المنام
ليس الا انه وحي فان قيل انا ما ذكرتم حسن بالدليل عند الانبياء عليهم السلام ان كل ما راوه في المنام
فهو حق وحجة ام لم يثبت ذلك بالدليل فان كان الاول فلم راجع الولد في هذه الواقعة وكان من
الواجب عليه ان يشتغل بتحصيل ذلك المامور ولن لا يراجع الولد فيه وان لم يثبت فانظر ذلك ذلك فلم اقدم
الحكم على ذبح الولد بمجرد ذلك والجواب عنه والحاجة قد تعلم انه يبقى في النوم ما ليس يتحقق ولو ثبت عندنا بالدليل
ان كل ما راه في المنام حق لم يكن الى هذا التردد والنظر حاجة ولكان سلامة في نفسه ام يثبت بالدليل هذا لم
ان ما يبديه في المنام هو حق فيكون لا يمتنع على ذبح ذلك الطفل بمجرد رؤيا لم يدل الدليل على كونه حجة
والجواب انه ما ليس بعد ان يقال انه كان متعبدا بالعمل بالرؤيا مترددا فيه ثم انه عمل بالرؤيا بالنحر العيح المسلمة الثالثة
اختلفوا في ان هذا الذبيح من هو فقيل انه اسحق وقيل انه اسماعيل فالقول الاول قول عمر وعلي والعباس بن عبد المطلب
وابن مسعود وكعب الاحبار وقتادة وسعيد بن جبير ومسروق وعكرمة والزهري والسدي ومقاتل
رضي الله عنهم وقيل انه اسماعيل وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب والحسن والشعبي ومجاهد
والكلبي واحتج القائلون بانه اسماعيل بوجوه الاول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا ابن الذبيحين فقال
له اعرابي يا ابن الذبيحين فتبسم فسئل عن ذلك فقال ان عبد المطلب لما حفر بئر زمزم نذر لئن سهل الله
له امرها ليذبحن احد ولده فخرج السهم على عبد الله فمنعه اخواله وقالوا له افد ابنك بمائة من الابل ففداه
بمائة من الابل والذبيح الثاني اسمعيل الحجة الثانية نقل عن الاصمعي انه قال سالت ابا عمرو بن العلاء

عن الذبح

271

عن الذبيح فقال يا اصمعي اين عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع ابيه
والنحر بمكة والحجة الثالثة ان الله تعالى وصف اسمعيل بالصبر دون اسحق في قوله واسمعيل وادريس
وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه ايضا بصدق الوعد في قوله تعالى انه كان صادق الوعد
لانه وعد اباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به والحجة الرابعة قوله تعالى وبشرناه باسحق ومن وراء
اسحق يعقوب فنقول لو كان الذبيح اسحق لكان الامر بذبحه قبل ظهور يعقوب منه او بعد ذلك والاول
باطل لانه تعالى لما بشره باسحق وبشره معه بانه يحصل منه يعقوب فقبل ظهور يعقوب منه لم يجز الامر بذبحه
والا حصل الخلف في قوله ومن وراء اسحق يعقوب والثاني باطل لان قوله فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني اذبحك
في المنام اني اذبحك يدل على ان ذلك الابن لما قدر على السعي ووصل الى حد القدرة على الفعل امر الله تعالى
ابرهيم بذبحه وذلك ينافي وقوع هذه القصة في زمان اخر فثبت انه لا يجوز ان يكون الذبيح هو اسحق الحجة
الخامسة حكى الله تعالى عنه انه قال اني ذاهب الى ربي سيهدين ثم طلب من الله تعالى ولدا ليستانس به
في غربته فقال رب هب لي من الصالحين وهذا السؤال انما يحسن قبل ان يحصل له الولد لانه لو حصل له
ولد واحد لما طلب الولد الواحد لان طلب الحاصل محال وقوله هب لي من الصالحين لا يفيد الا طلب الولد الواحد
وكلمة من للتبعيض واقل درجات البعضية الواحد فكان قوله من الصالحين لا يفيد الا طلب الولد الواحد
فثبت ان هذا السؤال لا يحسن الا عند عدم كل الاولاد فثبت ان هذا السؤال وقع حال طلب الولد الاول واجمع
الناس على ان اسمعيل متقدم في الوجود على اسحق فثبت ان المطلوب بهذا الدعاء هو اسمعيل ثم ان الله
تعالى ذكر عقيبه قصة الذبح فوجب ان يكون الذبيح هو اسمعيل الحجة السادسة الاخبار
كثيرة في تعليق الكبش بالكعبة فكان الذبح بمكة ولو كان الذبيح اسحق لكان الذبح بالشام
واحتج من قال بانه اسحق بان اول الاية وآخرها يدل على ذلك اما اولها فانه تعالى حكى عن ابرهيم
عليه السلام قبل هذه الاية انه قال اني ذاهب الى ربي سيهدين واجمعوا على ان المراد مهاجرته الى الشام ثم قال فبشرناه
بغلام حليم فوجب ان يكون هذا الغلام الحليم قد حصل له في الشام وذلك الغلام ليس الا اسحق ثم قال بعده فلما بلغ
معه السعي هو ذلك الغلام الذي حصل في الشام فثبت ان مقدمة هذه الاية تدل على ان الذبيح هو اسحق واما مؤخرها
فهو ايضا يدل على ذلك لانه تعالى لما تمم قصة الذبيح قال بعده وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين ومعناه
انه بشره بكونه نبيا من الصالحين وذكر هذه البشارة عقيب حكاية تلك القصة يدل على انه تعالى انما
بشره بهذه النبوة لاجل انه تحمل الشدائد في قصة الذبح فثبت بما ذكرنا ان اول الاية وآخرها يدل على ان الذبيح
هو اسحق عليه السلام والحجة الثانية على صحة ذلك ما اشتهر من كتاب يعقوب عليه السلام من يعقوب اسرائيل الله
بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله فهذا جملة الكلام في هذا الباب وكان الزجاج يقول الله اعلم ايهما الذبيح
والله اعلم واعلم انه يتفرع على ما ذكرنا اختلافهم في موضع الذبح فالذين قالوا الذبيح هو اسمعيل قالوا كان الذبح
بمنى والذين قالوا انه اسحق قالوا هو بالشام وقيل ببيت المقدس والله اعلم المسئلة الرابعة اختلف الناس في ان
ابرهيم عليه السلام كان مامورا بهذا الذبح ام لا وهذه المسئلة مفرعة على مسئلة من مسائل اصول الفقه وهي انه هل يجوز نسخ الحكم
قبل حضور مدته فقال اكثر اصحابنا انه يجوز وقالت المعتزلة وكثير من فقهاء الشافعية والحنفية انه لا يجوز
فعلى القول الاول ان الله تعالى امره بالذبح ثم انه تعالى نسخ هذا التكليف قبل حضور وقته وعلى القول الثاني انه تعالى
ما امره بالذبح وانما امره بمقدمات الذبح وهذه مسئلة شريفة من مسائل باب النسخ واحتج اصحابنا على انه يجوز نسخ
الامر قبل مجيء مدة الامتثال بان الله تعالى امر ابرهيم عليه السلام بذبح الولد ثم انه تعالى نسخ هذا قبل ان يقدم عليه
وذلك يفيد المطلوب انما قلنا انه تعالى امره بذبح الولد لوجهين الاول انه عليه السلام قال لولده اني ارى في
المنام اني اذبحك فقال افعل ما تؤمر وهذا يدل على انه عليه السلام كان مامورا بالذبح والثاني انه عليه السلام لو كان مامورا

مقدمات الذبح لا نفس الذبح ثم انه اتى بمقدمات الذبح وادخلها في الوجود فحينئذ يكون قد اتى بما [illegible] به
وفي هذا الموضع لا يحتاج الى الفدا لكنه احتاج الى الفدا بدليل قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم فدل هذا على
انه ما اتى بما امر به ويدفعه انه اتى بكل مقدمات الذبح وهذا يدل على انه تعالى كان قد امره بنفس الذبح فاذا ثبت
هذا فنقول انه تعالى نسخ ذلك الحكم قبل اتيانه وذلك يدل على المقصود وقالت المعتزلة لا نسلم ان الله تعالى امره
بذبح الولد بل نقول انه تعالى امره بمقدمات الذبح ويدل عليه وجوه الاول انه ما اتى بالذبح وانما اتى بمقدمات الذبح
ثم انه تعالى اخبر عنه بانه اتى بما امر به بدليل قوله تعالى وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا وذلك يدل
على انه تعالى انما امره في المنام بمقدمات الذبح لا بنفس الذبح وتلك المقدمات عبارة عن اضجاعه ووضع السكين
على حلقه والعزم الصحيح على الاتيان بذلك الفعل ان ورد الامر الثاني الذبح عبارة عن قطع الحلقوم فلعل ابرهيم
عليه السلم قطع الحلقوم الا انه كلما قطع جزءا اعاد الله التأليف فلهذا السبب لم يحصل الموت والوجه الثالث وهو الذي
عليه يعول اهل التحقيق انه تعالى لو امر شخصا معينا بايقاع فعل معين في وقت معين فهذا يدل على ان ايقاع ذلك الفعل
في ذلك الوقت حسن فاذا نهى عنه فذلك النهي يدل على ان ايقاع ذلك الفعل في ذلك الوقت قبيح فلو حصل هذا النهي
عقيب ذلك الامر لزم احد الامرين لانه تعالى ان كان عالما بحال ذلك الفعل لزم ان يقال انه امر بالقبيح او نهى عن الحسن
وان لم يكن عالما به لزم تجهيل الله تعالى وانه محال هذا تمام الكلام في هذا الباب والجواب عن الاول انا
قد دللنا على انه تعالى لما امره بالذبح اما انه تعالى [illegible] الرؤيا فهذا يدل على انه اعترف بكون تلك الرؤيا واجب
العمل به ولا يدل على انه اتى بكل ما رآه في ذلك المنام واما قوله ثانيا لعل ابرهيم عليه السلم قطع جزءا اعاد الله
التأليف فنقول هذا باطل لان ابرهيم عليه السلم لو اتى بكل ما امر به لما احتاج الى الفدا وحيث احتاج اليه علمنا
انه لم يات بما امر به واما قوله ثالثا انه يلزم اما الامر بالقبيح واما الجهل فنقول هذا بناء على ان الله يامر بالشي لكونه
حسنا في ذاته وينهى عنه لكونه قبيحا في ذاته وذلك بناء على تحسين العقل وتقبيحه وهو باطل وايضا فهب انا
نسلم ذلك الا انا نقول لم لا يجوز ان يقال الامر بالشي تارة يحسن لكون المامور به حسنا وتارة لاجل ان ذلك الامر يفيد مصلحة
من المصالح وان لم يكن المامور به حسنا الا ترى ان السيد اذا اراد ان يروض عبده فانه يقول له اذا طلعت الشمس
فافعل الفعل الفلاني ويكون ذلك الفعل من الافعال الشاقة ويكون مقصود السيد من ذلك الامر ليس ان ياتي ذلك العبد
بذلك الفعل بل ان يوطن العبد نفسه على الانقياد والطاعة ثم ان السيد اذا علم منه انه وطن نفسه على الطاعة فقد
يزيل عنه ذلك التكليف فكذا ههنا فلما لم يكن هذا الاحتمال ممتنعا كان كلامكم ساقطا والله اعلم المسئلة
الرابعة احتج اصحابنا بهذه الاية على ان الله تعالى قد يامر بما لا يريد وقوعه والدليل عليه انه امر بالذبح وما اراده
وقوعه اما انه امر بالذبح فلما تقدم في المسئلة الاولى واما انه ما اراد وقوعه فلان عندنا ان كل ما اراد الله
وقوعه فانه يقع وحيث لم يقع هذا الذبح علمنا ان الله تعالى ما اراده وتقريره على ما عند المعتزلة فلان الله تعالى
نهى عن ذلك الذبح والنهي عن الشي يدل على ان الناهي لا يريد وقوعه فثبت ان الله تعالى امر بالذبح وثبت انه تعالى
ما اراده وذلك يدل على ان الامر قد يوجد بدون الارادة هذا تمام الكلام في ان الله تعالى امر بالذبح [illegible]
والله اعلم المسئلة الخامسة في بيان الحكمة في ورود هذا التكليف في النوم لا في اليقظة وبيانه من وجوه الاول
ان هذا التكليف كان في نهاية المشقة على الذابح وعلى المذبوح فورد اولا في النوم حتى يصير ذلك كالمنبه لورود هذا
التكليف الشاق ثم يتاكد حال النوم باحوال اليقظة فحينئذ لا يهجم هذا التكليف دفعة واحدة بل
الثاني ان الله تعالى جعل رؤيا الانبيا عليهم السلم حقا قال تعالى في حق محمد عليه السلم لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق
لتدخلن المسجد الحرام وقال عن يوسف عليه السلم اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين وقال عن ابرهيم
عليه السلم اني ارى في المنام اني اذبحك والمقصود من ذلك تقوية الدلالة على كونهم صادقين لان الحال اما حال منام و
اما حال يقظة فاذا تظاهرت الحالتان على الصدق كان ذلك ادل على كونهم محقين صادقين في كل الاحوال

والله اعلم

عليهم السلم

والله اعلم ثم نقول [illegible] منها ما يقع على وفق الرؤيا كما في قوله تعالى في حق رسولنا صلى الله
عليه وسلم لتدخلن المسجد الحرام ثم وقع ذلك الشي بعينه ومنها ما وقع على الضد كما في صورة ابرهيم عليه السلم فانه رأى الذبح
وكان الحاصل هو الفدا والنجاة ومنها ما وقع على سبيل التاويل والمناسبة كما في رؤيا يوسف عليه السلم فلهذا السبب
اطبق اهل التعبير على ان للمنامات ثلاثة انواع على هذه الوجوه الثلاثة المسئلة السادسة [illegible]
[illegible] من الصبر والتسليم [illegible] ومنهم من قال
المسئلة السابعة الحكمة في مشاورة الابن في هذا الباب ان يطلع ابنه على هذه الواقعة ليظهر له صبره في طاعة الله
فتكون قرة عين لابرهيم حيث يراه قد بلغ في الحلم الى هذا الحد العظيم وفي الصبر على اشد المكاره الى هذه الدرجة
العالية ويحصل للابن الثواب العظيم في الاخرة والثنا الحسن في الدنيا ثم انه تعالى حكى عن ولد ابرهيم انه قال
افعل ما تؤمر ومعناه افعل ما تؤمر به فحذف الجار كما حذف من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به ثم قال ستجدني
ان شاء الله من الصابرين وانما علق ذلك بمشيئة الله تعالى على سبيل التبرك والتيمن فانه لا حول عن معصية الله
الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله ثم قال سبحانه وتعالى فلما اسلما يقال سلم لامر الله واسلم
واستسلم بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعا اذا انقاد له وخضع واصلها من قولك سلم هذا لفلان اذا خلص له
ومعناه سلم من ان ينازع فيه وقولهم سلم لامر الله واسلم له منقولا منه بالهمزة وحقيقة معناها اخلص نفسه
لله وجعلها سالمة له خالصة وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه لله وعن ابن عباس فلما اسلما اسلم هذا ابنه
وهذا نفسه ثم قال تعالى وتله للجبين اي صرعه على شقه فوقع احد جبينيه على الارض وللوجه جبينان
والجبهة بينهما قال ابن الاعرابي التليل والمتلول المصروع والتل الذي يتل به اي يصرع والمعنى انه صرعه
على جبينه وقال مقاتل كبه على جبهته وهذا خطا لان الجبين غير الجبهة ثم قال تعالى وناديناه ان يا ابرهيم
وفيه مسائل الاولى ان هذا جواب فلما عند [illegible] والواو زائدة [illegible] عند المحققين
ان الجواب محذوف وتقديره فلما فعل ذلك وناداه الله ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا [illegible]
واثابه الله [illegible] واجزل له الثواب قالوا وحذف الجواب ليس بغريب في القران والفائدة فيه انه اذا كان
محذوفا كان اعظم والحجم قال المفسرون لما اضجعه للذبح نودي من الجبل يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا قال المحققون
السبب في هذا التكليف كمال طاعة ابرهيم لتكاليف الله فلما كلفه الله بهذا التكليف الشاق الشديد وظهر منه كمال
الطاعة وظهر من ولده كمال الطاعة لا جرم قال الله تعالى قد صدقت الرؤيا ثم قال تعالى انا كذلك نجزي
المحسنين ابتدا اخبار من الله تعالى وليس متصلا بما تقدم من الكلام والمعنى ان ابرهيم وولده كانا محسنين
في هذه الطاعة فكما جازيناهما [illegible] فكذلك نجزي كل المحسنين ثم قال تعالى ان هذا لهو البلاء المبين
اي الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم او المحنة البينة الصعبة التي لا محنة اصعب منها وفديناه
بذبح عظيم الذبح مصدر ذبحت والذبح بكسر الذال ما يذبح وهو المراد في هذه الاية وههنا مباحث تتعلق بالحكايات
فالاول حكى في قصة الذبح ان ابرهيم لما اراد ذبحه قال يا بني خذ الحبل والمدية وانطلق بنا الى الشعب
نحتطب فلما توسطا شعب ثبير اخبره بما امر فقال له اشدد رباطي لا اضطرب واكفف عني ثيابك لا ينتضح
عليها شي من دمي فتراه امي فتحزن واشحذ شفرتك واسرع امرارها على حلقي ليكون اهون فان الموت
شديد واقرأ على امي سلامي وان رايت ان ترد قميصي على امي فافعل فانه عسى ان يكون اسهل لها فقال ابرهيم
نعم العون انت يا بني على امر الله ثم اقبل عليه يقبله وقد ربطه وهما يبكيان ثم وضع السكين على حلقه فقال له
كبني على وجهي فانك اذا نظرت الى وجهي رحمتني وادركتك رقة تحول بينك وبين امر الله ففعل ثم وضع السكين
على قفاه فانقلب السكين ونودي يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا [illegible] فالتفت فاذا بذلك الكبش فقيل
انه الكبش الذي تقرب به هابيل الى الله فتقبله وكان في الجنة يرعى حتى فدى الله به اسمعيل فقال

احرون ارسل الله تعالى كبشا من الجنة قد رعى اربعين خريفا وقال السدي نودي ابرهيم فالتفت
فاذا هو بكبش املح انحط من الجبل فقام عند ابرهيم فاخذه وذبحه وخلا عن ابنه ثم اعتنق ابنه وقال
يا بني اليوم وهبت لي واما قوله عظيم فقيل سمي عظيما لعظمه وسمنه وقال سعيد بن جبير حق له ان يكون
عظيما وقد رعى في الجنة اربعين خريفا وقيل سمي عظيما لعظم قدره حيث تقبله الله تعالى فداء عن ولد ابرهيم
ثم قال انه من عبادنا المؤمنين الضمير في قوله انه عائد الى ابرهيم ثم قال وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين
قوله نبيا حال مقدرة اي بشرناه بوجوده اسحق مقدرة نبوته ومن يقول ان الذبيح هو اسحق يجعل ان البشارة بهذه
النبوة وذلك لان قوله نبيا حال ولا يجوز ان يكون المعنى وبشرناه باسحق حال كونه نبيا لان البشارة متعلقة
على صيرورته نبيا ان يجب ان يكون المعنى وبشرناه بان اسحق حال ما قدرناه نبيا فلما علم بكونه نبيا واذا كان
الامر كذلك كانت هذه البشارة بشارة بوجود اسحق حاصلة بعد قصة الذبح فوجب ان يكون الذبيح
غير اسحق اقصى ما في الباب ان يقال انه بعد ان يقال هذه الاية وان كانت متاخرة في الكلام عن قصة الذبيح
الا انها كانت متقدمة عليه في الوقوع والوجود الا انا نقول الاصل رعاية الترتيب وعدم التغيير في التقديم
والله اعلم ثم قال تعالى وباركنا عليه وعلى اسحق وفي تفسير هذه البركة وجوه الاول ان الله تعالى اخرج
جميع انبياء بني اسرائيل من صلب اسحق والثاني انه ابقى الثناء الحسن على ابرهيم واسحق الى قيام القيامة
لان البركة عبارة عن الدوام والثبات ثم قال ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين وفيه تنبيه على ان الظلم
في الذرية لا يعود عليهما بعيب ولا نقيصة وفيه ابطال لمفاخرة اليهود بنسبهم الى الانبياء والمؤمنون ومحسنهم ظالم الكافر والفاسق والله اعلم

قوله تعالى

ولقد مننا على موسى وهرون ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ونصرناهم فكانوا هم الغالبين و
اتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم وتركنا عليهما في الاخرين سلام على موسى وهرون
انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين اعلم ان هذا هو القصة الثالثة من القصص المذكورة
في هذه السورة واعلم ان وجوه الانعام وان كانت كثيرة الا انها محصورة في نوعين ايصال المنافع
اليه ودفع المضار عنه والله تعالى ذكر القسمين ههنا فقوله ولقد مننا على موسى وهرون اشارة
الى ايصال المنافع اليهما وقوله تعالى ونجيناهما من الكرب العظيم اشارة الى دفع المضار عنهما اما
النوع الاول وهو ايصال المنافع فلا شك ان المنافع اما منافع الدنيا واما منافع الدين اما
منافع الدنيا فالوجود والحياة والعقل والتربية والصحة وتحصيل صفات الكمال في ذات كل واحد منهما
واما منافع الدين فالعلم والطاعة واعلى هذه الدرجات النبوة الرفيعة المقرونة بالمعجزات الباهرة
القاهرة ولما ذكر الله تعالى هذه التفاصيل في سائر السور لا جرم اكتفى ههنا بهذا الرمز واما
النعم الثاني وهو دفع الضرر فهو المراد من قوله ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم وقيل انه
الغرق اغرق الله فرعون وقومه ونجى الله بني اسرائيل وقيل المراد انه تعالى نجاهم من ايذاء فرعون حيث كان
يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم واعلم انه تعالى لما ذكر انه من على موسى وهرون فصل بعد ذلك تلك المنة فاولها
قوله ونصرناهم موسى وهرون وقومهما فكانوا هم الغالبين في كل الصولات ظهرا بالحجة وفي آخر الامر بالدولة والرفعة
وثانيها قوله تعالى واتيناهما الكتاب المستبين والمراد منه التوراة وهو الكتاب المشتمل على جميع العلوم التي يحتاج
اليها في مصالح الدين والدنيا كما قال انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور وثالثها قوله تعالى وهديناهما الصراط
المستقيم اي دللناهما على طريق الحق عقلا وسمعا وايدناهما بالتوفيق والعصمة وتثبيت الدلائل الحقة
بالطريق المستقيم واحج رابعها قوله تعالى وتركنا عليهما في الاخرين وقد تقدم بيانه ان الاولى ان المراد وتركنا
عليهما في الاخرين سلام على موسى وهرون والثاني ان المراد وتركنا عليهما في الاخرين وهو

امة محمد

امة محمد الثناء الحسن والذكر الجميل وعلى هذا التفسير فقوله سلام على موسى وهرون من كلام الله تعالى
ولما ذكر تعالى هذه الاقسام الاربعة من اقسام التعظيم والتفضيل قال انا كذلك نجزي المحسنين وقد سبق تفسيره
ثم قال انهما من عبادنا المؤمنين والمقصود التنبيه على ان الفضيلة الحاصلة بسبب الايمان اشرف واعلى واكمل من كل
الفضائل ولولا ذلك لما حسن ختم فضائل موسى وهرون بكونهما من المؤمنين

قوله تعالى

وان الياس لمن المرسلين اذ قال لقومه الا تتقون اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين الله ربكم ورب ابائكم الاولين
فكذبوه فانهم لمحضرون الا عباد الله المخلصين وتركنا عليه في الاخرين سلام على ال ياسين انا كذلك نجزي المحسنين
انه من عبادنا المؤمنين اعلم ان هذا هو القصة الرابعة من القصص المذكورة في هذه السورة وفيه مسائل المسئلة
الاولى قرا ابن عامر وان الياس بغير همز على وصل الالف والباقون بالهمزة وقطع الالف قال ابو بكر بن مهران من ذكر
عنه وصل الالف فقد اخطا وكان اهل الشام ينكرونه ولا يعرفونه قال الواحدي وله وجهان احدهما انه حذف
الهمزة من الياس حذفا كما حذفها ابن كثير من قوله انها لاحدى الكبر وينشد للشاعر وبلاها في هواء الجو طالبة
والاخر انه جعل الهمزة التي يصحبها لام التعريف كقوله واليسع المسئلة الثانية في الياس قولان روي
عن ابن مسعود انه قرا وان ادريس وقال الياس هو ادريس وهذا قول عكرمة واما اكثر المفسرين
فهم متفقون على انه نبي من انبياء بني اسرائيل هو الياس بن ياسين من ولد هرون اخي موسى عليهم السلام
ثم قال تعالى اذ قال لقومه الا تتقون والتقدير واذكر يا محمد لقومك اذ قال لقومه الا تتقون اي الا
تخافون الله وقال الكلبي الا تخافون عذاب الله تعالى واعلم انه لما خوفهم اولا على سبيل الاجمال
ذكر ما هو السبب لذلك التخويف فقال اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين وفيه مسائل المسئلة الاولى
في بعل قولان احدهما انه علم لصنم كان لهم كمناة وهبل وقيل كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعا دراعا
وله اربعة اوجه فتنوا به وعظموه حتى عينوا له اربعمائة سادن وجعلوهم انبياءه وكان
الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وهم
اهل بعلبك من بلاد الشام وبه سميت مدينتهم بعلبك واعلم ان قولهم ان بعلا اسم لصنم من اصنامهم
لا باس به اما قولهم ان الشيطان كان يدخل في جوفه ويتكلم بشريعة الضلالة فهذا مشكل لانا ان جوزنا انجم
هذا كان ذلك قادحا في كثير من المعجزات لانه نقل في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم كلام الذئب معه
وكلام الجمل معه وحنين الجذع ولو جوزنا ان يدخل الشيطان في جوف جسم ويتكلم لحصل هذا الاحتمال في
هذه المعجزات فيكون ذلك قادحا في المسند الجملة والجذع وذلك يقدح في كل هذه المعجزات القول الثاني
ان البعل هو الرب بلغة اليمن يقال من بعل هذه الدار اي من ربها وسمي الزوج بعلا لهذا المعنى قال تعالى وبعولتهن
احق بردهن وقال تعالى وهذا بعلي شيخا وعلى هذا التقدير فالمعنى اتعبدون بعض البعول وتتركون عبادة الله
المسئلة الثانية المعتزلة احتجوا بهذه الاية على كون العبد خالقا لافعاله فقالوا لو لم يكن غير الله خالقا لما جاز
وصف الله تعالى بانه احسن الخالقين والكلام فيه قد تقدم في قوله فتبارك الله احسن الخالقين المسئلة الثالثة
كان الملقب بالرشيد الكاتب يقول لو قيل اتدعون بعلا وتدعون احسن الخالقين اوهم انه احسن لانه كان يحصل فيه
رعاية معنى التجنيس وجوابه ان فصاحة القرآن ليست لاجل رعاية هذه التكلفات بل لاجل قوة المعاني وجزالة
الالفاظ واعلم انه لما عابهم على عبادة غير الله صرح بالتوحيد ونفي الشركاء فقال الله ربكم ورب ابائكم الاولين وفيه
مباحث الاول انا ذكرنا في هذا الكتاب ان حدوث الاشخاص البشرية كيف يدل على وجود الصانع المختار
وكيف يدل على وحدته وبراءته عن الاضداد والانداد فلا فائدة في الاعادة البحث الثاني قرا حمزة والكسائي وحفص
عن عاصم الله ربكم ورب كلها بالنصب على البدل من قوله احسن الخالقين والباقون بالرفع على الاستئناف واختار
ابو حاتم وابو عبيد ونقل صاحب الكشاف ان حمزة اذا وصل نصب واذا وقف رفع ولما حكى الله تعالى عنه انه امر قومه

بالتوحيد ثم انهم كذبوه فانهم لمحضرون اي لمحضرون النار غدا وقد ذكرنا الكلام فيه عند قوله تعالى لكنت
من المحضرين ثم قال الا عباد الله المخلصين والمعنى ان قومه ما كذبوه بكليتهم بل كان فيهم من قبل ذلك
التوحيد ولهذا قال تعالى الا عباد الله المخلصين يعني الذين اتوا بالتوحيد الخالص فانهم لا يحضرون
ثم قال وتركنا عليه في الآخرين سلام على آل ياسين قرا نافع وابن عامر ويعقوب آل ياسين على اضافة
لفظ آل الى لفظ ياسين والباقون بكسر الالف وجزم اللام موصولة بياسين اما القراءة الاولى ففيها وجوه
الاول وهو الاقرب انا ذكرنا انه الياس بن ياسين فكان الياس آل ياسين والثاني آل ياسين آل
محمد صلى الله عليه وسلم والثالث ان ياسين اسم القرآن كانه قيل سلام على من آمن بكتاب الله الذي هو ياسين
والوجه هو الاول لانه اليق بسياق الكلام واما القراءة الثانية ففيها وجوه الاول قال الزجاج يقال
ميكال وميكائيل وميكائين فكذا هنا الياس والياسين والثالث قال الفراء هو جمع واراد به الياس
واتباعه من المؤمنين كقولهم المهلبون والاشعرون قال انا ابن سعد اكرم السعدينا ثم قال تعالى
انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وقد سبق تفسيره والله اعلم

قوله تعالى

وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين وانكم لتمرون عليهم
مصبحين وبالليل افلا تعقلون هذا هو القصة الخامسة واعلم انه تعالى لما ذكر هذه القصة ليعتبر بها
مشركو العرب فانهم يعلمون ان الذين كفروا من قوم لوط هلكوا والذين آمنوا نجوا وقد تقدم شرح هذه
القصة وقد نبههم الله تعالى بقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون وذلك لان
القوم كانوا يسافرون الى الشام والمسافر في اكثر الامر انما يمشي في الليل وفي اول النهار فلهذا السبب
عين تعالى هذين الوقتين ثم قال افلا تعقلون يعني اليس فيكم عقول تعتبرون بها

قوله تعالى

وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا انه
كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين
وارسلناه الى مائة الف او يزيدون فآمنوا فمتعناهم الى حين اعلم ان هذه هي القصة السادسة وهي آخر
القصص المذكورة في هذه السورة وانما صارت هذه القصة خاتمة للقصص لاجل انه لما لم يصبر على اذى
قومه وابق الى الفلك وقع في تلك الشدائد فيصير هذا سببا لتصبير النبي صلى الله عليه وسلم على اذى قومه اما
قوله وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون ففيه مسائل المسألة الاولى قال صاحب
الكشاف قرئ يونس بضم النون وكسرها المسألة الثانية دلت هذه الآية على ان هذه الواقعة انما
وقعت ليونس عليه السلام بعد ان صار رسولا لان قوله وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك
معناه انه كان من المرسلين حين ما ابق الى الفلك وكذلك يقال انه جاء في كثير من الروايات ان الله
ارسله ملك زمانه الى اولئك القوم ليدعوهم الى الله تعالى ثم ابق فالتقمه الحوت فعند ذلك ارسله
الله تعالى والحاصل ان قوله لمن المرسلين لا يدل على انه كان في ذلك الوقت مرسلا من عند الله ويمكن ان
يجاب بانه تعالى ذكر هذا الوصف في معرض التعظيم ولن يفيد هذه الفائدة الا اذا كان المراد منه انه
لمن المرسلين من عند الله تعالى المسألة الثالثة ان من اباق العبد وهو هربه من سيده
ثم اختلف المفسرون فقال بعضهم انه ابق من الله تعالى وهذا بعيد لان ذلك لا يقال الا فيمن يتعمد مخالفة ربه
وذلك لا يجوز على الانبياء واختلفوا انه لاجل ماذا صار مخطئا فقيل لانه امر بالخروج الى بني اسرائيل فلم يقبل
ذلك التكليف وخرج مغاضبا لربه وهو بعيد سوا امره الله تعالى بذلك يوحى او كان نبي آخر
وقيل ان ذنبه انه ترك دعاء قومه ولم يصبر عليهم وهذا ايضا بعيد لان الله تعالى لما امره بهذا
فلا يجوز ان يتركه وقيل في بعضهم ان ذنبه كان لاجل ان الله تعالى وعده انزال الاهلاك بقومه

الذين

الذين كذبوه فظن انه نازل لا محالة فلما لم يحصل هذا الظن لم يصبر على ... وكان من الواجب عليه ان يستمر
على الدعاء لجواز ان لا يهلكهم الله بالعذاب وان انزله وهذا هو الاقرب لانه اقدام على امر ظن فيه انه
لا يكون محمود العاقبة ولم يكن اولى من هذا الباب لان العمل به بالظن ثم انه انكشف ليونس من بعد انه
اخطا في ذلك الظن لاجل ان نظره انما ... يعني بقوله اذ ابق الى الفلك ما ذكرناه الوجه الثاني
ان يونس كان توعدهم بالعذاب فلما تأخر عنهم العذاب خرج كالمستتر عنهم فقصد البحر وركب السفينة
فذلك هو قوله اذ ابق الى الفلك وتمام الكلام في هذا الباب مذكور في تفسير الآية التي ذكرناها في قوله وذا النون اذ ذهب
مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه وقوله الى الفلك المشحون مفسر في سورة يونس والمشحون السفينة اذا كان فيها
الحمل الكثير يقال انها مشحونة ثم قال تعالى فساهم المساهمة المقارعة يقال استهم القوم اذا اقترعوا
المساهمة وانما اخذ من السهام التي تجال للقرعة فكان من المدحضين اي المغلوبين يقال ادحض
الله حجته فدحضت اي ازالها واصل الكلمة من الدحض الذي هو الزلق يقال دحضت رجل
البعير اذا زلقت وذكر ابن عباس رضي الله عنهما في قصة يونس عليه السلام انه كان يسكن مع قومه فلسطين فغزاهم ملك
وسبى منهم تسعة اسباط ونصفا وبقي سبطان ونصف وكان الله قد اوحى الى بني اسرائيل اذا اسركم عدوكم
واصابتكم مصيبة فادعوني استجب لكم فلما نسوا ذلك واسروا اوحى الله تعالى الى نبي من
انبيائهم ان اذهب الى ملك هؤلاء الاقوام وقل له حتى يبعث الى بني اسرائيل نبيا فاختار يونس عليه السلام
لقوته وامانته فقال يونس الله امرك بهذا قال لا ولكن امرت ان ابعث قويا امينا وانت كذلك فقال
يونس وفي بني اسرائيل من هو اقوى مني فلم لا تبعثه فالح الملك عليه فغضب يونس منه وخرج حتى اتى
بحر الروم فوجد سفينة مشحونة فحملوه فيها فلما وصلت الى لجة البحر اشرفت على الغرق فقال الملاحون
ان فيكم عاصيا والا لم يحصل في السفينة ما نراه من غير ريح ولا سبب ظاهر وقال التجار قد جربنا مثل هذا
فاذا رأيناه نقترع فمن خرج سهمه نغرقه فلان يغرق واحد خير من غرق الكل فخرج سهم يونس فقال
يا هؤلاء انا العاصي وتلفف في كساء ورمى بنفسه فابتلعته السمكة فاوحى الله تعالى الى الحوت
لا تكسر منه عظما ولا تقطع له وصلا ثم ان السمكة اخرجته الى نيل مصر ثم الى بحر فارس ثم الى
البطائح ثم دجلة فصعدت به ورمته الى ارض نصيبين بالعراء وهو كالفرخ المنتوف لا شعر ولا
لحم فانبت الله عليه شجرة من يقطين فكان يستظل بها ويأكل من ثمرها حتى تشدد ثم ان الارضة
اكلتها فحزن يونس لذلك حزنا شديدا فقال يا رب كنت استظل تحت هذه الشجرة
من الشمس والريح وامص من ثمرها وقد سقطت فقيل له يا يونس تحزن على شجرة انبتت في ساعة
واسقطت في ساعة ولا تحزن على مائة الف او يزيدون تركتهم فانطلق اليهم وانهم اعلم بحسبته
الى قومه ثم قال تعالى فالتقمه الحوت وهو مليم يقال لقمت اللقمة والتقمتها اذا ابتلعتها وقوله تعالى وهو
مليم يقال الام اذا اتى بما يلام عليه فالمليم المستحق للوم ثم قال تعالى فلولا انه كان
من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون وفي تفسير كونه من المسبحين قولان الاول المراد ما حكى الله تعالى عنه
في قوله فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين والثاني انه كان
قبل ان يلتقمه الحوت من المسبحين يعني من المصلين وكان في اكثر الاوقات مواظبا على ذكر الله وطاعته
للبث في بطن ذلك الحوت وكان يلحقه فنزل الى يوم البعث قال بعضهم اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة
كان يونس كان عبدا صالحا ذاكرا لله تعالى فلما وقع في بطن الحوت قال الله تعالى فلولا انه كان من المسبحين
للبث في بطنه وان فرعون كان عبدا طاغيا ناسيا فلما ادركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل
قال الله تعالى آلآن وقد عصيت قبل واطلقوا على انه لم لبث في بطن الحوت ولفظ العول لا يدل عليه

بالحسن المثبت الاملاء واخرج من بطنه بعد الوقت الذي التقمه وعن مقاتل بن حيان ثلثة ايام وعن عطاء سبعة ايام وعن الضحاك عشرين يوما وقيل شهرا والله ادرى باى دليل عينوا هذه المقادير وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سبح يونس في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة فقال ذاك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر فقالوا العبد الصالح الذي كان يصعد اليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم فشفعوا له فامر الحوت فقذفه في الساحل فذلك قوله فنبذناه بالعراء

[illegible]

ان

ان هذا الكلام يشتمل على نوعين احدهما اثبات البنات لله وذلك باطل لان العرب كانوا يستنكفون من البنت والشيء الذي يستنكف المخلوق منه كيف يمكن اثباته للخالق والثاني اثبات ان الملائكة اناث وهذا ايضا باطل لان طريق العلم اما الحس واما الخبر واما النظر اما الحس فمفقود هاهنا لانهم ما شاهدوا كيفية خلق الله الملائكة وهو المراد من قوله ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون واما الخبر فمفقود ايضا لان الخبر انما يفيد العلم اذا علم كونه صدقا قطعا وهؤلاء الذين يخبرون عن هذا الحكم كذابون افاكون لم يدل على صدقهم دلالة البتة وهو المراد من قوله الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون واما النظر فمفقود وبيانه من وجهين الاول ان دليل العقل يقتضي فساد هذا المذهب لانه تعالى اكمل الموجودات والاكمل لا يليق به اصطفاء البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون

[illegible]

قوله تعالى فإنكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم وما منا إلا له مقام
معلوم وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون وإن كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكنا عباد
الله المخلصين فكفروا به فسوف يعلمون فيه مسائل المسألة الأولى اعلم أنه تعالى لما ذكر الدلائل
على فساد مذاهب أهل الكفار أتبعه بما ينبه به على أن هؤلاء الكفار لا يقدرون على حمل أحد على الضلال إلا إذا كان
قد سبق حكم الله في حقه بالعذاب والوقوع في النار وذكر صاحب الكشاف في لفظ فإنكم وما تعبدون ما أنتم عليه
قولين الأول أن الضمير في عليه لله عز وجل ومعناه فإنكم ومعبوديكم ما أنتم وهم جميعا بفاتنين إلا أصحاب
النار الذين سبق في علم الله كونهم من أهل النار فإن قيل كيف يفتنونهم على الله قلنا يفتنونهم عليه بإغوائهم
من قولك فتن فلان على فلان امرأته كما تقول أفسدها عليه والوجه الثاني أن تكون الواو في قوله وما تعبدون
بمعنى مع كأنه قيل كل رجل وضيعته فكما جاز السكوت على كل رجل وضيعته فكذلك جاز أن يسكت على
فإنكم وما تعبدون لأن قوله وما تعبدون ساد مسد الخبر لأن معناه فإنكم مع ما تعبدون والمعنى فإنكم
مع آلهتكم أي فإنكم قرناؤهم وأصحابهم لا تبرحون تعبدونها ثم قال ما أنتم عليه أي على ما تعبدون بفاتنين بباعثين
وحاملين على طريق الفتنة والإضلال إلا من هو صال الجحيم مثلكم وقرئ صالُ الجحيم بضم اللام ووجهه
أن يكون جمعا وسقوط واوه لالتقاء الساكنين فإن قيل كيف يستقيم الجمع مع قوله من هو قلنا من موحد
اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه والصالون على معناه المسألة الثانية احتج أصحابنا بهذه الآية على أنه
لا تأثير لإغواء الشيطان ووسوسته وإنما المؤثر قضاء الله وتقديره لأنه صرح تعالى أنكم لا تقدرون
على ما أنتم عليه بفاتنين فصرح بأنه لا تأثير لقولهم ولا تأثير لأحوال معبودهم في وقوع الفتنة والضلال وقوله تعالى
إلا من هو صال الجحيم يعني إلا من كان كذلك في حكم الله وتقديره وذلك تصريح بأن المقتضي لوقوع هذه الحوادث حكم
الله تعالى وكان عمر بن عبد العزيز يحتج بهذه الآية في إثبات هذا المطلوب قال الجبائي المراد أنكم لا تقدرون على
[illegible] أنهم بنات الله بعد أن لا يضل إلا من معلوم الله أنه سيكفر [illegible] من قبل دعاء الشيطان
لم يمكن ليؤمن بأنه لو منع الله الشيطان من دعائه وإلا كان منع الشيطان قبيحا لأن كل من يعرج الحق ليصلح
عنده شيء من الأفعال والحوادث حاصل هذا الكلام أنه لا أثر لإغواء شياطين الإنس والجن وهذا [illegible]
الاستدلال أنه تعالى يبين أنه لا أثر لكلامهم في وقوع الفتنة ثم استثنى عنه قوله تعالى إلا من هو صال الجحيم فوجب
أن يكون المؤثر في وقوع الفتنة هو كونه محكوما عليه بأنه صال الجحيم وذلك تصريح بأن حكم الله تعالى [illegible]
والشقاوة هو الذي يؤثر في حصول الهلاك والشقاوة واعلم أن أصحابنا [illegible] هذه الحجة بالحديث المشهور
وهو أنه حج آدم موسى قال القاضي هذا الحديث تقبله علماء التوحيد لأنه يوجب أن لا يلام أحد على شيء من الذنوب (حج آدم موسى)
لأنه إن كان آدم لا يحق لموسى أن يلومه على عمل كتبه الله عليه قبل أن يخلقه فكذلك كل مذنب فإن صحت
هذه الحجة لآدم عليه السلام فلماذا أنكر موسى عليه السلام ذلك ولكن هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين ولأخذ
[illegible] لماذا لام فرعون وجنوده على الكفر كتبه الله
عليهم ومن عجيب أمرهم أنهم يكفرون القدرية وهذا الحديث يوجب أن موسى كان قدريا فيلزمهم أن يكفروه
وكيف يجوز مع قولهم وهو أعلم عليه السلام ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين أن يحتج
على موسى بأنه لا لوم عليه فيما كتب عليه وذلك يبطل أن يخلق هذا جملة كلام القاضي فيقال له هب أنك لا تقبل
ذلك الخبر فهل تنازع في هذه الآية أم لا فإن قلت إن الصحيح هو الآية تدل على أنه لا أثر للوسواس في هذا الباب
فإن الكل حصل بحكم الله تعالى والدليل العقلي عليه أن الكافر إن ضل بسبب وسوسة الشيطان
فضلال الشيطان إن كان بسبب وسوسة شيطان آخر لزم التسلسل وهو محال وإن انتهى إلى ضلال له
حصل لا بسبب وسوسة فهو المطلوب الثالث [illegible]

تحصل

تحصل صفة يدل على أن ذلك ليس منه الثالث أن الأفعال موقوفة على الدواعي وحصول الدواعي خلق الله فيكون الكل
من الله تعالى الرابع أنه تعالى لما حكم على شيء وعلم وقوعه فلو لم يقع ذلك الشيء لزم انقلاب ذلك الحكم كذبا وانقلاب
ذلك العلم جهلا وهو محال وما لزم منه المحال فهو محال [illegible] والقرآن كالبحر
المملوء من هذه الآيات [illegible] الدلائل العقلية التي ذكرناها [illegible] ثم قال تعالى وما منا إلا له مقام معلوم
فالجمهور على أنه من كلام الملائكة وصفوا أنفسهم بالمبالغة في العبودية وأنهم يصطفون للصلاة والتسبيح والغرض منه التنبيه على
فساد قول من يقول إنهم أولاد الله لأن مبالغتهم في العبودية تدل على اعترافهم بالعبودية واعلم أنه تعالى حكى عنهم
ثلاثة أنواع من صفات الملائكة فأولها قوله تعالى وما منا إلا له مقام معلوم وهذا يدل على أن لكل واحد منهم مرتبة
لا يتجاوزها ودرجة لا يتعدى عنها وتلك الدرجات إشارة إلى درجاتهم في التصرف في أجسام هذا العالم وإلى درجاتهم
في معرفة الله تعالى أما درجاتهم في التصرفات وأما قوله تعالى وإنا لنحن الصافون والمراد كونهم صافين في أداء
الطاعات ومنازل الخدمة والعبودية وأما درجاتهم في المعارف فهي قوله وإنا لنحن المسبحون والتسبيح تنزيه الله
عما لا يليق به واعلم أن قوله وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون يفيد الحصر ومعناه أنهم هم الصافون في
مواقف العبودية لا غيرهم وذلك يدل على أن طاعات البشر ومعارفهم بالنسبة إلى طاعات الملائكة وإلى معارفهم
كالعدم حتى يصح هذا الحصر وبالجملة فهذه الألفاظ الثلاثة تدل على أسرار عجيبة من صفات الملائكة ولا يمكن مع (أفضلية الملائكة)
هذا الحصر أن يقال البشر أقرب درجة من الملك فضلا عن أن يقال هو أفضل منه أم لا أما قوله وإن كانوا
ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين فالمعنى أن مشركي قريش وغيرهم كانوا يقولون
لو أن عندنا ذكرا أي كتابا من كتب الأولين الذين نزل عليهم التوراة والإنجيل لأخلصنا العبادة لله ولما كذبنا كما
كذبوا ثم جاءهم الذكر الذي هو سيد الأذكار والكتاب المهيمن على كل الكتب وهو القرآن فكفروا به ونظيره هذه
الآية قوله تعالى فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا ثم قال تعالى فسوف يعلمون أي عاقبة هذا الكفر
والتكذيب **قوله تعالى** ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون
وإن جندنا لهم الغالبون فتول عنهم حتى حين وأبصرهم فسوف يبصرون أفبعذابنا يستعجلون فإذا نزل بساحتهم
فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين اعلم أنه تعالى لما هدد الكفار بقوله تعالى فسوف يعلمون [illegible] أردفه
بما يقوي قلب الرسول فقال ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون
فبين أن وعده بنصرته قد تقدم [illegible] قوله تعالى كتب الله لأغلبن أنا ورسلي [illegible]
[illegible] النصرة والغلبة قد تكون بقوة
الحجة وقد تكون بالدولة والاستيلاء وقد تكون بالدوام والثبات فالمؤمن وإن صار مغلوبا في بعض الأوقات
بسبب ضعف أحوال الدنيا فهو الغالب فلا يلزم على هذه الآية أن يقال فقد قتل بعض الأنبياء وقد هزم
كثير من المؤمنين ثم قال تعالى لرسوله [illegible] فتول عنهم حتى حين والمراد ترك مقاتلتهم
والتشديد [illegible] ثم يحل بهم [illegible] قيل المراد إلى يوم
بدر وقيل إلى فتح مكة وقيل إلى يوم القيامة ثم قال وأبصرهم فسوف يبصرون والمعنى وأبصرهم وما
يقضي عليهم من الأسر والقتل في الدنيا والعذاب في الآخرة فسوف يبصرونك مع ما قدر لك من النصر و
التأييد في الدنيا والثواب العظيم في الآخرة والمراد من الأمر بإبصارهم على الحال المنتظرة الموعودة
الدلالة على أنها كائنة واقعة لا محالة وإن كانت بعيدة كأنها قدامك فانظر وفيه تنبيه فسوف يبصرون
للتهديد والوعيد ثم قال أفبعذابنا يستعجلون والمعنى أن الرسول عليه السلام كان يهددهم بالعذاب
وما رأوا شيئا فكانوا يستعجلون نزول ذلك العذاب على سبيل الاستهزاء فبين تعالى أن ذلك استعجال جهل

وان لكل شي من افعاله امه وقتا معينا لا يتقدم ولا يتاخر فكان تطلبهم لذلك مثل مجي ذلك الوقت جهلا منهم بان
تعالى لا يضيعه العذاب الذي يستعجلونه فاذا نزل بساحتهم اي هذا العذاب فساء صباح المنذرين وانما
وقع التعبير عن هذه المعاني لانهم كانوا يتقدمون على الغارة في وقت الصباح فجعل ذكر ذلك الوقت كنايه
عن ذلك الكل ثم اعاد قوله وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون فقيل المراد من هذه الكلمة فيما تقدم احوال
الدنيا وفي هذه الكلمة احوال القيامة وعلى هذا التقدير فلا يكون تكرارا وقيل المراد هو التكرار للمبالغة في التهديد
والتهويل ثم انه تعالى ختم السورة بخاتمة شريفة جامعة لكل المطالب العاليه وذلك لان اهم المهمات للعاقل
معرفة احوال الخلق فاولها معرفة اله العالم بمقدار الطاقة البشرية واقصى ما يمكن عرفانه من صفات الله تعالى
ثلاثة انواع احدها تنزيهه وتقديسه عن كل ما لا يليق بصفات الالهية وهو المراد بقوله رب العزة فان الربوبية
اشارة الى التربية وهي دالة على كمال الحكمة والرحمة والعزة اشارة الى كمال القدرة وبالجملة فتنزيهها في الالهية
عن الشريك والنظير وقوله رب العزة يدل على انه القادر على جميع الحوادث لان الالف واللام في العزة يفيد
الاستغراق واذا كان الكل ملكا له لم يبق لغيره شي فثبت ان قوله سبحان ربك رب العزة عما يصفون
كلمة محتويه على اقصى الدرجات واكمل النهايات في معرفة اله العالم والمهم الثاني من مهمات العاقل ان يعرف
انه كيف ينبغي ان يعامل نفسه ويعامل الخلق في هذه الحياة الدنيويه واعلم ان اكثر الخلق فانهم يكونون
ناقصين ولابد لهم من مكمل يكملهم ومرشد يرشدهم وهاد يهديهم وما ذاك الا الانبيا صلوات الله عليهم
وبديهة العقل شاهدة بانه يجب على الناقص ان يكون منقادا للكامل فنبه على هذا الحرف بقوله وسلام على المرسلين
لان هذا اللفظ يدل على انهم في الكمال اللائق بهم فاقوا غيرهم فلاجرم يجب على كل من سواهم ان ينقادوا لهم
والمهم الثالث من مهمات العاقل ان يعرف انه كيف يكون حاله بعد الموت واعلم ان معرفة هذه الحالة قبل
الموت صعبة والاعتقاد فيها على حرف واحد وهو ان اله العالم غني رحيم والغني الرحيم لا يعذب فنبه
على هذا الحرف بقوله والحمد لله رب العالمين لان استحقاق الحمد لا يحصل الا بالانعام العظيم فتنبه بهذا على كونه
منعما وظاهر كونه غنيا عن العالمين فبعد الموت كان الغالب منه هو الرحمة والفضل والكرم فكان
هذا الحرف منبها على سلامة الحال بعد الموت وظهر بما ذكرنا ان هذه الخاتمة كالعمدة المحتوية على درر
اشرف من دراري الكواكب ونسال الله تعالى حسن الخاتمة والعافية في الدنيا والاخرة والله اعلم

تفسير سورة ص مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

ص والقران ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق كم اهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا
ولات حين مناص فيه مسائل المسالة الاولى الكلام المستقصى في امثال هذه الفواتح
مذكور في اول سورة البقرة ولا باس باعادة بعض الوجوه فالاول انه مفتاح اسما الله تعالى التي اولها
صاد كقولنا صادق الوعد صانع المصنوعات صمد والثاني معناه صدق محمد في كل ما اخبر عن الله
الثالث معناه صد الكفار عن قبول هذا الدين كما قال تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله الرابع
معناه ان القران مركب من هذه الحروف وانتم قادرون عليها ولستم قادرين على معارضة القران
فدل ذلك على ان القران معجز الخامس ان يكون صاد بكسر الدال من المصاداة وهي المعارضة ومنها
الصدى وهو ما يعارض صوتك في الاماكن الخالية من الاجسام الصلبة ومعناه عارض بعملك القران فاعمل
باوامره وانته عن نواهيه السادس انه اسم السورة والتقدير هذه صاد فان قيل هنا اشكال لان
قوله والقران ذي الذكر قسم المقسم عليه السابق ان الكلمة بنفسها لا يخلو حكم بثبت
قبلها وايضا فحكم بعدها فانتفى الحكم السابق بان هذا المعنى ههنا والجواب عنه اهل الكلام

لم يكن

ان يكون صاد بمعنى صدق محمد فلو كان صاد هو المقسم عليه وقوله والقران ذي الذكر هو القسم الثاني لم يكن المقسم عليه
محذوفا والتقدير سورة ص والقران ذي الذكر انه لكلام معجز لانا بينا ان قوله صاد تنبيه على التحدي والثالث
ان يكون صاد اسما للسورة ويكون التقدير هذه صاد والقران ذي الذكر ولما كان من المشهور ان محمدا صلى الله عليه وسلم
ادعى في هذه السورة كونها معجزة كان قوله هذه صاد جاريا مجرى قوله هذه هي السورة المعجزة ونظيره قولك هذا حاتم
والله اي هذا هو المشهور بالسخا والجواب عن السوال الثاني ان الحكم المذكور قبل كلمة بل هو كونه صادقا
في دعوى الرسالة او كون القران او هذه السورة معجزة والحكم المذكور بعد كلمة بل هاهنا هو المنازعة والمشاقة في كونه
كذلك فحصل المطلوب والله اعلم المسالة الثانية قرا الحسن صاد بكسر الدال لاجل التقا الساكنين وقرا عيسى بن عمر
بفتح الدال نحو ص ويحذف حرف القسم وايصال فعله كقولهم الله لافعلن واكثر القرا على الجزم لان الاسماء العارية عن العوامل
تذكر موقوفة الاواخر المسالة الثالثة في قوله ذي الذكر وجهان الاول المراد ذي الشرف قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك
وقال تعالى لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم ومجاز هذا من قولهم لفلان ذكر في الناس كما يقولون له صيت الثاني
ذي البيان اي فيه قصص الاولين والاخرين وفيه بيان العلوم الاصلية والفرعية ومجازه ... ولقد يسرنا
القران للذكر فهل من مدكر المسالة الرابعة قالت المعتزلة القران ذو الذكر والذكر محدث بيان الاول قوله تعالى
وانه لذكر لك وهذا ذكر مبارك والقران ذي الذكر ان هو الا ذكر وقران مبين بيان الثاني ما ياتيهم من ذكر من
ربهم محدث ما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث والجواب انا نصرف دليلكم الى الحروف والاصوات فهي محدثة
اما قوله بل الذين كفروا والمراد منه الكفار من روسا قريش الذين تجروا على مثلهم في الاقدام على الحسد والتكبر
عن الانقياد للحق والعزة ههنا التعظم وما يعتقده الانسان في نفسه من الاحوال التي تمنعه من متابعة الغير كقوله
تعالى واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم والشقاق هو اظهار المخالفة على جهة المساواة للمخالف او على جهة
الفضيلة عليه وهو ماخوذ من الشق كانه يرتفع عن ان يلزمه الانقياد له بل يجعل نفسه في شق وخصمه
في شق فيريد ان يكون في شق نفسه ولا يجري عليه حكم خصمه ومثله المعاداة وهو ان يكون احدهما في عدوة
والاخر في عدوة يعني جانب الوادي وكذلك المحادة ان يكون هذا في حد غير حد الاخر ويقال انحرف فلان
عن فلان وجانب فلان فلانا اذا صار منه على حرف وفي جانب غير جانبه واعلم انه تعالى لما وصفهم
بالعزة والشقاق خوفهم فقال كم اهلكنا قبلهم من قرن يعني فنادوا والمعنى انهم نادوا عند نزول العذاب
في الدنيا ولم يذكر باي شي نادوا وفيه وجوه الاول وهو الاظهر انهم نادوا بالاستغاثة لان نداء من نزل
به العذاب ليس الا بالاستغاثة الثاني نادوا بالايمان والتوبة عند معاينة العذاب الثالث نادوا اي
رفعوا اصواتهم يقال فلان اندى صوتا من فلان اي ارفع صوتا ولات حين مناص يعني ليس الحين حين
فرار من العذاب نحو قوله فلما راوا باسنا قالوا امنا ... وقوله حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجارون
والجوار رفع الصوت بالتضرع والاستغاثة وكقوله الان وقد عصيت قبل وقوله فلم يك ينفعهم ايمانهم
لما راوا باسنا بقي ههنا ابحاث البحث الاول في تحقيق الكلام في لفظ لات زعم الخليل وسيبويه
ان لات هي لا المشبهة بليس زيدت عليها التاء كما زيدت على رب وثم للتاكيد وبسبب
هذه الزيادة حدثت لها احكام جديدة منها انها لا تدخل الا على الاحيان ومنها ان لا يبرز الا احد جزئيها
اما الاسم واما الخبر ويمتنع بروزهما جميعا وهذا مذهب انها لا النافية للجنس زيدت عليها التا
وخصت بنفي الاحيان وحين مناص منصوب بها كانك قلت ولا حين مناص لهم ويرتفع بالابتدا اي
ولا حين مناص كاين لهم البحث الثاني الجمهور يقفون على التا من قوله ولات واما الكسائي
فيقف عليها بالها كما يقف على الاسما المونثة والمصاحف كانت لفا قول ابي عبيد التا داخلة من
حين فلا وجه له واستشهاده بان التا ملتزقة بحين في مصحف عثمان فضعيف لم وتغير في المصحف اشيا

خارجة عن قياس الخط البحت لا المناص المنجا والفوت يقال ناصه ينوصه اذا فاته واستناص طلب
المناص والله اعلم **قوله تعالى** وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب
اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وانطلق الملأ منهم ان امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشيء يراد ما سمعنا
بهذا في الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق اعلم انه تعالى لما حكى عن الكفار كونهم في عزة وشقاق
اردفه بشرح كلماتهم الفاسدة فقال وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وفي تقريره شبهتان له ولسانهم بالسوا
ان محمدا مساو لنا في الخلقة الظاهرة والاخلاق الباطنة والنسب والشكل والصورة فكيف يعقل ان يختص من بيننا
بهذا المنصب العالي والدرجات الرفيعة والثاني ان الوضع فهذه الكلمة الشبيهة على كمال جهالتهم وذلك
لانه جايز ان يدعوهم الى التوحيد وتعظيم الملائكة والترغيب في الطاعة والتنفير عن المعاصي ثم ان هذا
الرجل من اقاربهم يعرفون انه كان بعيدا عن الكذب والتهمة وكل ذلك مما يوجب الاعتراف بتصديقه
ثم ان هؤلاء الاقوام لحماقتهم يتعجبون من قوله ونظيره قوله ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون بل
عجبوا ان جاءهم منذر منهم ومعناه ان محمدا كان في نسبهم وعشيرتهم وكان فقيرا دنيا لهم في
الاسباب الدنيوية فاستنكفوا من الدخول تحت طاعته ومن الانقياد لتكاليفه وعجبوا ان يختص
من بينهم برسالة الله وان يتميز عنهم بهذه الخاصية الشريفة فكان هذا التعجب
من جهالتهم قال تعالى وقال الكافرون هذا ساحر كذاب وانما لم يقل وقالوا بل قال الكافرون
اظهارا للغضب ودلالة على ان هذا القول لا يجترئ عليه الا الكفر التام فان الساحر هو الذي يوهم
الباطل بالشيطان ويعتقدونه بالعكس من ذلك والكذاب هو الذي يخبر عن الشيء على
خلاف ما هو عليه وهو يخبر عن وجود الصانع القديم الحكيم العليم وعن الحشر والنشر والنبوات التي تثبت
بديهة العقول صحتها فلما كان كذلك ثم انه تعالى حكى ثلاثة اشياء تمسكوا بها في اثبات كونه كاذبا في
ثلاثة اصلها ما يتعلق بالالهيات وثانيها ما يتعلق بالنبوات وثالثها ما يتعلق بالمعاد اما الشبهة
المتعلقة بالالهيات فهي قولهم اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب روي انه لما اسلم عمر فرح به
المؤمنون فرحا شديدا وشق ذلك على قريش فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم ومشوا الى
ابي طالب وقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء يعنون المسلمين وجئناك لتقضي
بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر ابو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن اخي هؤلاء قومك
يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال عليه السلام ماذا يسألونني فقالوا ارفضنا
وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال عليه السلام ارأيتم ان اعطيتكم ما سألتم اتعطونني انتم كلمة
واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقالوا نعم فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا اجعل
الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب اي بليغ في العجب واقول منشأ التعجب من وجهين الاول
ان القوم ما كانوا من اصحاب النظر والاستدلال بل كانت اوهامهم تابعة للمحسوسات فلما وجدوا في الشاهد
ان الفاعل الواحد لا تفي قدرته وعلمه بحفظ الخلق العظيم قاسوا الغائب على الشاهد فقالوا لا بد في حفظ
هذا العالم الكثير من آلهة كثيرة يتكفل كل واحد منهم بحفظ نوع آخر والوجه الثاني ان اسلافهم
مع كثرتهم وقوة عقولهم كانوا مطبقين على الشرك فقالوا من العجب العجيب ان يكون اولئك الاقوام على
كثرتهم وقوة عقولهم كانوا جاهلين مبطلين وهذا الانسان الواحد يكون محقا صادقا واعلم ان التعجب
لو سلمنا الطرد لكم ان الشاهد على الغائب من غير دليل وحجة لكانت شبهة الدليل على ثبوته ولما لم يقبلوا على بيانه
علمنا ان طرد حكم الشاهد على الغائب من غير دليل وحجة لكانت شبهة الدليل على ثبوته ولما لم يقبلوا على بيانه
علمنا ان طرد حكم الشاهد على الغائب فاسد قطعا واذا بطل هذا الاصل فقد بطل كلام المشبهة في الذات

وكلام

وكلام المشبهة في الافعال اما المشبهة في الذات فلانهم يقولون لما كان كل موجود في الشاهد يجب ان يكون جسما مختصا
بحيز وجهة وجب في الغائب ان يكون كذلك واما المشبهة في الافعال فهم المعتزلة الذين يقولون ان الفعل الفلاني قبيح منا فوجب
ان يكون قبيحا من الله تعالى فثبت بما ذكرنا انه ان صح كلام هؤلاء المشبهة في الذات وفي الافعال لزم القطع بصحة
كلام هؤلاء المشركين وحيث توافقنا على فسادها علمنا ان عمدة كلام المجسمة وكلام المعتزلة باطل فاسد واما الشبهة الثانية
فهي انه لو كان التقليد حقا لكانت هذه الشبهة لازمة وحيث كانت فاسدة علمنا ان التقليد باطل بقي ههنا ابحاث
الاول ان العجاب هو العجيب الا انه ابلغ من العجيب كقولهم طويل وطوال وعريض وعراض وكبير وكبار وقد يشدد
للمبالغة فيقال كبّار كقوله ومكروا مكرا كبارا الثاني قال صاحب الكشاف قرئ عجاب بالتخفيف والتشديد والتشديد
ابلغ من التخفيف كقوله تعالى ومكروا مكرا كبارا ثم قال تعالى وانطلق الملأ منهم وقد ذكرنا ان الملأ عبارة عن القوم الذين اذا
حضروا في المجلس فانه تمتلئ العيون من هيئاتهم وعظمتهم وبهائهم منهم اي من قريش انطلقوا
عن مجلس ابي طالب بعدما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض ان امشوا
واصبروا على آلهتكم وفيه مباحث الاول ان القراءة المشهورة ان امشوا وقرأ ابن ابي عبلة امشوا بغير ان
قال صاحب الكشاف ان بمعنى اي لان المنطلقين عن مجلس التقاول لا بد لهم من ان يتكلموا ويتفاوضوا
فيما جرى في المجلس المتقدم فكان انطلاقهم مشعرا بمعنى القول وعن ابن مسعود وانطلق الملأ منهم
يمشون البحث الثاني معنى ان امشوا انه قال بعضهم لبعض امشوا واصبروا فلا حيلة لكم في دفع
امر محمد ان هذا لشيء يراد وفيه احتمالات احدها ان ظهور دين محمد ليس له سبب ظاهر فيشبه ان يكون
ظهوره ليس الا ان الله يريده وما اراد الله كونه فلا دافع له وثانيها ان هذا الامر لشيء من نوائب
الدهر فلا انفكاك لنا منه وثالثها ان دينكم لشيء يراد اي يطلب ليؤخذ منكم قال القفال رحمه الله
هذه كلمة تذكر للتهديد والتخويف فكان معناها انه ليس غرض محمد من هذا القول تقرير الدين وانما
غرضه ان يستولي علينا فيحكم في اموالنا واولادنا بما يريده ثم قالوا ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة
الملة الآخرة هي ملة النصارى فقالوا ان هذا التوحيد الذي اتى به محمد ما سمعناه في دين النصارى او يكون
المراد بالملة الآخرة ملة قريش التي ادركوا آباءهم عليها ثم قالوا ان هذا الا اختلاق اي افتعال وكذب
وحاصل الكلام في هذا الوجه انهم قالوا نحن ما سمعنا عن اسلافنا القول بالتوحيد فوجب ان يكون
باطلا ولو كان القول بالتقليد حقا لكان كلام هؤلاء المشركين حقا وحيث كان ذلك باطلا علمنا ان
القول بالتقليد باطل **قوله تعالى** اانزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري
بل لما يذوقوا عذاب ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما
فليرتقوا في الاسباب جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب اعلم ان هذا هو الشبهة الثانية لاولئك
الكفار وهي الشبهة المتعلقة بالنبوات وهي قولهم ان محمدا لما كان مساويا لغيره في الذات والصفات
والخلقة الظاهرة والاخلاق الباطنة فكيف يعقل ان يختص هو من دون الكل بهذه الدرجة العالية والمنزلة الشريفة
وهو المراد من قوله اانزل عليه الذكر من بيننا فانه استفهام على سبيل الانكار وحكى الله تعالى
عن قوم صالح انهم قالوا ءالقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب اشر وحكى الله
تعالى عن قوم محمد عليه السلام ايضا انهم قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم و
تمام الكلام في تقرير هذه الشبهة انهم قالوا النبوة اشرف المراتب فوجب ان لا يحصل الا لاشرف
الناس ومحمد ليس اشرف الناس فوجب ان لا تحصل له النبوة والمقدمتان الاوليان حقيقتان
لكن التالية كاذبة ومنشأ هذا الغلط عليهم انهم ظنوا ان الشرف لا يحصل الا بالمال والاعوان
وذلك باطل فان مراتب السعادة ثلاثة اعلاها هي النفسانية واوسطها هي البدنية وادونها

ومن الخارجيه وهي المال والجاه فالقوم عكسوا القضيه فظنوا باختلالها انتفا شرفها فلما وحلوا المال والجاه
عند انفسهم ظنوا ان غيره اشرف منه فحسدوه اعتقدوا هذا القياس الفاسد الى انكارهم ثم انه تعالى اجاب عن هذه
الشبهه من وجوه الاول قوله تعالى بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب وفيه وجهان الاول انهم لم في
شك من كل ادعتها الدلايل التي لو نظروا فيها لزال هذا الشك عنهم وذلك لان كل ما ذكروه من الشبهات فهي كلمات
ضعيفه واما الدلايل التي تثبتها على صحة النبوه فهي دلايل قاطعه فلو تاملوا حق التامل في الكلام لوقفوا
على ضعف الشبهات التي تمسكوا بها في ابطال النبوه ولعرفوا صحة الدلايل الداله على نبوته لكنهم لم يعرفوا
ذلك لانهم تركوا النظر والاستدلال فاما قوله تعالى بل لما يذوقوا عذاب فمقصوده من هذا الكلام
انه تعالى يقول هولا انما تركوا النظر والاستدلال لانهم لم يذوقوا عذابي ولو ذاقوه لم يقع منهم الا الاقبال على اداء
المامورات فان قيل انها هنا شبهات ذلك انه لم يكن المراد من ذلك انهم في شك من ذلك من ان النبي عليه السلم كان
يخوفهم من عذاب الله لو اصروا على الكفر ثم انهم اصروا على الكفر ولم ينزل عليهم العذاب فصار ذلك سببا
لشكهم في صدقه وقالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجاره فقال بل هم في شك من
ذكري معناه ما ذكرناه وقوله تعالى بل لما يذوقوا عذاب معناه ان ذلك الشك انما حصل بسبب عدم نزول العذاب
والوجه من الموضوع الذي ذكره الله تعالى في الجواب عن تلك الشبهه قوله تعالى ام عندهم خزاين رحمة ربك العزيز
الوهاب وتقرير هذا الجواب ان منصب النبوه منصب عظيم ودرجه عاليه فالقادر على هبتها يجب
ان يكون عزيزا اي كامل القدره ووهابا اي عظيم الجود ولكنه الله سبحانه واذا كان هو تعالى كامل القدره
كامل الجود لم يتوقف كونه وهابا لهذه النعم على كون الموهوب منه غنيا او فقيرا ولم يختلف ذلك بسبب
ان اعداه يحبونه او يكرهونه ثم الوجه الثاني في الجواب عن هذه الشبهه قوله تعالى ام لهم ملك السموات
والارض وما بينهما فليرتقوا في الاسباب اعلم انه يجب ان يكون المراد من هذا الكلام غير المراد من قوله
ام عندهم خزاين رحمة ربك والفرق ان خزاين الله تعالى غير متناهيه كما قال وان من شي الا عندنا خزاينه ومن جمله
تلك الخزاين هو هذه السموات والارض فلما ذكر الخزاين اولا على عمومها اردفها بذكر ملك السموات والارض
وما بينهما يعني ان هذه الاشيا احد انواع خزاين الله فاذا كنتم عاجزين عن هذا القسم فبان تكونوا عاجزين عن كل
خزاين الله كان اولى ثم انه لما المكني ذكره في الدروس الكلاميه اما قوله تعالى فليرتقوا في الاسباب فالمعنى انهم
لما ادعوا انهم ملك السموات والارض فعندها يسالهم ان يرتقوا في الاسباب ويصعدوا الى المعارج
التي يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم وملكوت الله وينزلوا الوحي على من يختارون
واعلم ان حكما الاسلام استدلوا بقوله فليرتقوا في الاسباب على ان الاجرام الفلكيه وما اودع الله فيها
من القوى متوله لحوادث العالم السفلي لان الله تعالى سمى الفلكيات اسبابا وذلك يدل على ما قلناه
والله اعلم اما قوله تعالى جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب ففيه مباحث البحث الاول في تفسير هذه الالفاظ
والثاني كيفية تعلقها بما قبلها اما المقام الاول فنقول جند مبتدا وما للابهام كقولك جيت لامر ما وعندي طعام ما
ومن الاحزاب صفة الجند ومهزوم خبر المبتدا واما قوله هنالك فيجوز ان يكون صفة لجند اي جند ثابت هنالك
ويجوز ان يكون متعلقا بمهزوم ومعناه انا جند من الاحزاب مهزوم هنالك الى ذلك الموضع الذي كانوا اذكروا
هذه الكلمات الطاعنه في نبوة محمد عليه السلم واما المقام الثاني فهو انه تعالى لما قال ام لهم ملك السموات
فليرتقوا في الاسباب ذكر ههنا انهم جند من الاحزاب مهزومون ضعيفون فكيف يكونون مالكين للسموات والارض
وما بينهما قال قتاده هنالك اشاره الى يوم بدر فاخبر الله تعالى بمكه انه سيهزم جند المشركين فجا تاويلها
يوم بدر وقيل يوم الخندق والاصوب عندي حمله على يوم فتح مكه وذلك لان المعنى انهم جند سيصيرون منهزمين
في الموضع الذي ذكروا فيه هذه الكلمات وذلك الموضع هو مكه فوجب ان يكون المراد انهم سيصيرون منهزمين في مكه

وماذاك

وما ذاك الا يوم الفتح والله اعلم **قوله تعالى** كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد وثمود
وقوم لوط واصحاب الايكه اولئك الاحزاب ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب وما ينظر هولا الا صيحه واحده ما لها من فواق
اعلم انه تعالى لما ذكر في الجواب عن شبهة القوم انهم انما توانوا وتكاسلوا في النظر والاستدلال لاجل انهم لم ينزل بهم العذاب
بين تعالى في هذه الايه ان اقوام سائر الانبيا هكذا كانوا ثم بالاخره نزل ذلك العذاب والمقصود منه تخويف اوليك
الكفار الذين كانوا يكذبون الرسل في اخباره من نزول العذاب عليهم ثم ذكر تعالى سته اصناف منهم اولهم قوم نوح ولما كذبوا
نوحا اهلكهم الله بالغرق بالطوفان والثاني عاد قوم هود لما كذبوه اهلكهم الله بالريح والثالث فرعون لما كذب
موسى اهلكه الله مع قومه بالغرق والرابع ثمود قوم صالح لما كذبوه اهلكوا بالصيحه والخامس قوم لوط كذبوه
فاهلكوا بالخسف والسادس اصحاب الايكه وهم قوم شعيب كذبوه فاهلكوا بعذاب يوم الظله فلو ارادنا وصف الله
فرعون بكونه ذا الاوتاد فيه وجوه الاول ان اصل هذه الكلمه من ثبات البيت المطنب باوتاده ثم استعير لثبات
العز والملك قال الشاعر ولقد غنوا فيها بانعم عيشه في ظل ملك ثابت الاوتاد قال القاضي حمل الكلام
على هذا الوجه اولى لانه تعالى وصفه بذلك في معرض تكذيب الرسل فيجب فيما وصف به ان يكون تفخيما لامر ملكه ليكون الزجر كالرد
من قبل الله تعالى عليه من الهلاك مع قوة امره ابلغ والثاني انه كان يعذب الخشب في الهوا وكان يمد يدي المعذب
ورجليه الى تلك الخشب الاربع ويضرب على كل واحد من هذه الاعضا وتدا ويتركه معلقا في الهوا الى ان يموت و
الثالث انه كان يمد المعذب بين اربعة اوتاد في الارض ويرسل عليه العقارب والحيات والرابع قال قتاده
كانت اوتاد وارسان وملاعب يلعب بها عنده والخامس ان عساكره كانوا كثيرين وكانوا كثيري الاهبه
العظيمه عظيمي النعم وكانوا يكثرون من الاوتاد لاجل الخيام فعرف بها والسادس ذو الاوتاد ذو الجموع الكثيره
سميت الجموع اوتادا لانهم يقوون امره ويشدون مملكته كما يقوي الوتد البنا واما الايكه فهي الغيضه الملتفه
ثم قال تعالى اولئك الاحزاب اي اولئك الذين ذكرناهم من الامم هم الذين تحزبوا على انبيائهم فاهلكناهم
فكذلك نفعل بقومك لانه تعالى بين بقوله جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب ان قوم محمد عليه السلم جند من الاحزاب
من جنس الاحزاب المتقدمين فلما ذكر انه عامل الاحزاب المتقدمين بالاهلاك كان ذلك تخويفا شديدا للقوم
محمد عليه الصلوه والسلم الثاني ان معنى قوله اولئك الاحزاب مبالغه لوصفهم بالقوه كما يقال فلان هو الرجل والمعنى ان حال
اولئك الاحزاب مع كمال قوتهم لما كان عاقبتهم الهلاك والبوار فكيف حال هولا الضعفا المساكين واعلم ان ذلك
لا يعلم الا بصدق الله او اخبار من يخبر به ولست تصدق به فهو يخبر بتلك الاثار ان آثار هذه الوقايع باقيه وهو
يفيد الظن القوي بحصول ذلك على سبيل التكرير توكيدا لحصول العقاب فقال ان كل الا كذب الرسل فحق
عقاب اي كل واحد من هذه الطوايف لما كذبوا انبياهم ثم قال وما ينظر هولا الا صيحه واحده ما لها من فواق وفي تفسير هذه
الصيحه وجهان الاول انه ليس المراد عذابا يفجاهم ويحيط بهم دفعه واحده كما يقال صاح الزمان بهم اذا هلكوا قال
صاح الزمان بال برمك صيحه خروا لشدتها على الاذقان وشبه ذلك بما يقال لم يكن لهم مثل ذلك عند الغاره اذا ما فجئت
القوم فوقعت الصيحه فيهم ونظيره قوله تعالى فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا اني معكم
من المنتظرين والقول الثاني ان هذه الصيحه هي صيحة النفخه الاولى في الصور كما قال في سوره يس ما ينظرون
الا صيحه واحده تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصيه ولا الى اهلهم يرجعون والمعنى انهم وان لم يذوقوا عذاب
في الدنيا فهو معد لهم يوم القيامه فجعلهم منتظرين لها على معنى قربها منهم كالرجل الذي
ينتظر الشي فهو ماد الطرف اليه يطمع كل ساعه في حضوره ثم انه سبحانه وصف هذه الصيحه فقال ما لها من فواق
قرا حمزه والكسائي فواق بضم الفا والباقون بفتحها قال الكسائي والفرا وابو عبيده والاخفش هما لغتان من فواق
الناقه وهو ما بين حلبتي الناقه واصله من الرجوع يقال افاق من مرضه اي رجع الى الصحه فالزمان الحاصل بين الحلبتين
يعود اللبن الى الضرع فيسمى فواقا بالفتح وبالضم كقولك قصاص الشعر وقصاصه قال الواحدي الفواق والفواق اسمان

من الانابة والانابة معناها الرجوع والسكون كما انه المريض الا ان الفواق الفتح يحوبان مقام مقام المصيبة والفواق بالضم
اسم لذلك الزمان الذي يعود فيه اللبن الى الضرع ثم الواحدي في البسيط عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في هذه الدنيه
يامر الله اسرافيل فينفخ نفخة الفزع قال فيمدها ويطولها وهي التي يقول ما لها من فواق ثم قال الواحدي وهذا يحتمل معنيين
احدهما ما لها سكوت والثاني ما لها رجوع والمعنى ان تلك الصيحة لا ترجع الى السكون وتحقيق ذلك لمن يبقى على حاله واحدة
فانه لا انقطاع لها ولا تستفيق فالله اعلم **قوله تعالى** وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب اصبر
على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الايد انه اواب اعلم انا ذكرنا في تفسير قوله وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقال الكافرون
هذا ساحر كذاب ان القوم انما تعجبوا لشبهات ثلاث اولها يتعلق بالالهيات وهو قولهم اجعل الالهة الها واحدا
والثانية تتعلق بالنبوات وهو قوله أأنزل عليه الذكر من بيننا والثالث يتعلق بالمعاد وهو قوله تعالى وقالوا ربنا عجل لنا
قطنا قبل يوم الحساب وذلك لان القوم كانوا في نهاية الانكار للقول بالحشر والنشر وكانوا يستدلون بفساد القول
بالحشر والنشر على فساد نبوته والقط القسط من الشيء لانه قطعة منه من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة
الجائزة قط ولما ذكر رسول الله وعد المؤمنين بالجنة قالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا من الجنة
او عجل لنا صحيفة اعمالنا حتى ننظر فيها واعلم ان الكفار لما بالغوا في السفاهة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى قالوا انه ساحر كذاب وقالوا له على سبيل الاستهزاء عجل لنا قطنا امر الله تعالى بالصبر على سفاهتهم
فقال اصبر على ما يقولون فان قيل اي تعلق بين قوله اصبر على ما يقولون وبين قوله واذكر عبدنا داود
قلنا بيان هذا التعلق من وجوه الاول كانه قيل ان كنت قد شاهدت من هؤلاء الجهال جراءتهم
على الله وانكارهم الحشر والنشر فاذكر قصة داود حتى تعرف شدة خوفه من الله تعالى ومن يوم الحشر
فان بقدر ما يزداد احد الضدين شرفا يزداد الضد الاخر نقصا والثاني كانه قيل لمحمد عليه السلام ان يضيق صدرك
بسبب انكارهم لقولك ودينك فانهم ان خالفوك فالاكابر من الانبيا وافقوك والثالث ان الناس في قصة داود فريقان
منهم من قال انها تدل على ذنبه ومنهم من قال انها لا تدل عليه فمن قال بالاول كان وجه المناسبة فيه كانه قيل لمحمد عليه السلام
ان حزنك ليس الا لان الكفار يكذبونك واما حزن داود فكان بسبب وقوع ذلك الذنب ولا شك ان حزنه اشد
فتامل في قصة داود وما كان فيه من الحزن العظيم حتى تخف عليك ما انت فيه من الحزن ومن قال بالثاني قال الخصمان
اللذان دخلا على داود كانا من اهل الشر وانما دخلا عليه لقصد قتله فخاف منهما داود ومع ذلك فلم يتعرض لايذائهما
ولا دعا عليهما بسوء بل استغفر لهما على ما سيجيء تقرير هذه الطريقة فلا جرم امر الله تعالى محمدا عليه السلام
بان يقتدي به في حسن الخلق الحاصل من ان قريشا انما غضبوا لمحمد عليه السلام واستخفوا به
لقولهم في اثناء الكلام انه ساحر كذاب ثم انه تعالى قص على محمد كمال مملكة داود ثم بين انه مع ذلك ما سلم من
الاحزان والهموم ليعلم ان الخلاص عن الحزن لا سبيل اليه في الدنيا والسادس ان قوله تعالى اصبر على ما يقولون
واذكر عبدنا داود كلام مستقل ولم يذكر داود فقط بل ذكر عقيب قصة داود قصص سائر الانبيا
فكانه تعالى قال فاصبر على ما يقولون واعتبر بحال سائر الانبيا ليعلم ان كل واحد منهم كان مشغولا
بهم خاص وحزن خاص فيعلم حينئذ ان الدنيا لا تنفك عن الهموم والاحزان وان استحقاق
الدرجات العالية عند الله لا يحصل الا بتحمل المشاق والمتاعب في الدنيا وهذه وجوه ذكرناها
في هذا المقام وها هنا وجه اخر اقوى واحسن من كل ما تقدم وسيجيء ذكره ان شاء الله
تعالى عند الانتها الى تفسير قوله كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته واعلم انه تعالى
ذكر بعد ذلك قصص تسعة من الانبيا فذكر حال ثلاثة منهم على التفصيل وحال ستة اخرين على الاجمال
فالقصة الاولى قصة داود واعلم ان مجامع ما ذكره الله تعالى في هذه القصة ثلاثة انواع من الكلام
فالاول تفصيل ما اتى الله داود من الصفات التي توجب سعادة الاخرة والدنيا والثاني ذكر الواقعة

التي

التي وقعت له من امر الخصمين والثالث استخلاف الله اياه بعد وقوع تلك الواقعة اما النوع الاول فهو
شرح الصفات التي اتاها الله داود من الصفات الموجبة لكمال السعادة فهي عشرة الاول انه تعالى قال لمحمد
عليه السلام اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود فامر محمدا صلى الله عليه وسلم على جلالة قدره بان يقتدي في الصبر على طاعة الله
بداود وذلك تشريف عظيم واكرام تام لداود حيث امر افضل الخلق محمدا عليه السلام بان يقتدي به في مكارم الاخلاق
والثاني انه قال في حقه عبدنا داود فوصفه بكونه عبدا له وعبر عن نفسه بصيغة الجمع الدالة على
نهاية التعظيم وذلك غاية التشريف الا ترى انه سبحانه لما اراد ان يشرف محمدا عليه السلام ليلة المعراج
قال سبحان الذي اسرى بعبده فهاهنا يدل ذلك على التشريف لداود فكان ذلك دليلا على علو درجته وايضا فان
وصف الله الانبيا والاوليا بالعبودية مشعر بانهم قد حققوا معنى العبودية بسبب الاجتهاد في الطاعة والثالث
قوله ذا الايد اي ذا القوة على اداء الطاعة والاحتراز عن المعاصي وذلك لانه تعالى في مقام مدحه بالقوة
وجب ان يكون المراد القوة الموجبة للمدح والقوة التي توجب المدح العظيم ليست الا القوة على فعل القربة وترك
ما نهي عنه والايد المذكور هاهنا كالقوة المذكورة في قوله تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة وفي قوله تعالى وكتبنا له
في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة اي باجتهاد في اداء الامانة وتشدد في القيام
بالدعوة وترك اظهار الوهن والضعف والايد والقوة سواء ومنه قوله تعالى هو الذي ايدك بنصره
وقوله تعالى وايدناه بروح القدس وقال والسماء بنيناها بايد وعن قتادة اعطي قوة في العبادة وفقها
في الدين وكان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر الرابع قوله انه اواب اي انه كان رجاعا
في اموره كلها الى طاعتي والاواب فعال من اب يؤوب اذا رجع كما قال ان الينا ايابهم وفعال بنا
المبالغة كما يقال قتال وضراب فانه ابلغ من قاتل وضارب الخامس قوله تعالى انا سخرنا الجبال
معه يسبحن بالعشي والاشراق ونظير هذه الاية قوله تعالى يا جبال اوبي معه والطير وفيه مباحث
الاول في كيفية تسبيح الجبال وجوه الاول ان الله سبحانه خلق في جسم الجبل حياة وعقلا وقدرة و
نطقا وحينئذ صار الجبل مسبحا لله تعالى ونظيره قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل فان معناه انه تعالى
خلق في الجبل عقلا وفهما ثم خلق فيه رؤية الله تعالى فكذا هاهنا الوجه الثاني في الاولى ارداه القفال
في تفسيره انه يجوز ان يقال ان داود عليه السلام قد اوتي من شدة الصوت وحسنه ما كان له في الجبال دوي
حسن وما تصغي الطير اليه لحسنه فيكون دوي الجبال وتصويت الطير معه واصغاؤها اليه تسبيحا وذكر محمد بن
اسحق ان الله تعالى لم يعط احدا من خلقه مثل صوت داود حتى انه كان اذا قرا الزبور دنت
الوحوش منه حتى تؤخذ باعناقها الثالث ان الله سبحانه سخر الجبال حتى انها كانت تسير الى حيث
يريده داود وجعل ذلك التسخير تسبيحا لانه كان يدل على كمال قدرة الله وحكمته البحث الثاني قال صاحب الكشاف
يسبحن في معنى مسبحات فان قلت هل من فرق بين يسبحن ومسبحات قلت نعم فان صيغة الفعل تدل على الحدوث
والتجدد وصيغة الاسم على الدوام على ما بينه عبد القاهر النحوي في كتاب دلائل الاعجاز اذا ثبت هذا فقوله يسبحن
على حدوث التسبيح من الجبال شيئا بعد شيء وحالا بعد حال وكان السامع حاضر تلك الجبال يسمعها البحث الثالث
بالاشراق يقال شرقت الشمس اذا طلعت واشرقت اذا اضاءت فقيل هما بمعنى والاول اكثر تقول العرب شرقت
الشمس ولما تشرق البحث الرابع احتجوا على شرعية صلاة الضحى بهذه الاية عن ام هانئ قالت دخل
علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بوضوء فتوضا ثم صلى صلاة الضحى وقال يا ام هانئ هذه صلاة الاشراق
وعن طاوس عن ابن عباس قال هل تجدون ذكر صلاة الضحى في القران فقالوا لا فقرا انا سخرنا الجبال معه يسبحن
بالعشي والاشراق وقال كانت صلاة يصليها داود عليه السلام وقال ما زال في نفسي من صلاة الضحى شيء حتى طلبتها فوجدتها في قوله
تعالى يسبحن بالعشي والاشراق الصفة السادسة من صفات داود عليه السلام والطير محشورة كل له اواب

وفيه مباحث البحث الاول قوله والطير معطوف على الجبال والتقدير وسخرنا الطير محشورة قال ابن
عباس كان داود اذا سبح جاوبته الجبال واجتمعت اليه الطير فسبحت معه واجتماعها اليه هو حشرها
فيكون على هذا التقدير حاشرها هو الله تعالى فان قيل كيف يصح صدور التسبيح عن الطير مع انه لا عقل لها
قلنا لا يبعد ان يقال ان الله تعالى كان يخلق لها عقولا حتى تعرف الله فتسبحه حينئذ وكان ذلك معجزة
لداود عليه السلام البحث الثاني قال صاحب الكشاف قوله محشورة في مقابلة يسبحن الا انه لما لم يكن في الحشر مثل ما كان
في التسبيح من ارادة الدلالة على الحدوث شيئا بعد شيء فلا جرم جيء به اسما لا فعلا وذلك انه لو قيل وسخرنا الطير يحشرن
على ان الحشر يوجد من حاشرها شيئا بعد شيء ولما جاء محشورة دل على القدرة البحث الثالث والطير محشورة
الصفة السابعة من صفات داود قوله تعالى كل له اواب اي كلما رجع داود الى التسبيح فهذه الاشياء
ايضا كانت ترجع الى تسبيحاتها والفرق بين هذه الصفة وبين ما قبلها انه قد سبق علمنا ان الجبال والطير تسبح مع
تسبيح داود وبهذا اللفظ يفيد دوام تلك الموافقة ونقل القفال في قوله كل له اواب لله تعالى اي كل من داود والجبال
والطير لله اواب اي مسبح يرجع للتسبيح الصفة الثامنة قوله تعالى وشددنا ملكه اي
قويناه وقال تعالى سنشد عضدك باخيك وقيل شددنا ملكه واما الاسباب الموجبة لحصول هذا الشد
فهي اما الاسباب الدنيوية او الدينية اما الاسباب الدنيوية فهو انه روي عن سعيد بن
جبير عن ابن عباس انه كان يحرسه كل ليلة ستة وثلثون الف رجل فاذا اصبح قيل ارجعوا فقد رضي عنكم
نبي الله وكان داود اشد ملوك الارض سلطانا وعن عكرمة عن ابن عباس
ان رجلا استعدى داود على رجل انه اخذ منه بقرة فانكر المدعى عليه فقال داود للمدعي البينة فلم تكن لهما
فرأى داود في منامه ان الله يامره ان يقتل المدعى عليه فتثبت داود وقال هو منام فاتاه الوحي بعد
ذلك بان يقتله فاحضره واعلمه ان الله امره بقتله فقال المدعى عليه صدق الله اني كنت قد قتلت
ابا هذا الرجل غيلة فقتله داود فهذه الواقعة شددت ملكه واما الاسباب الدينية الموجبة
لهذا الشد فهي الصبر والتامل التام والاحتياط الكامل الصفة التاسعة قوله واتيناه الحكمة واعلم
انه تعالى ما كان موصوف الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا واعلم ان الفضائل على ثلاثة اقسام النفسانية والبدنية
والخارجية والفضائل النفسانية محصورة في قسمين العلم والعمل اما العلم فهو ان تصير النفس بالتصورات الحقيقية
والتصديقات النفسانية بمقتضى الطاقة البشرية واما العمل فهو ان يكتسب ملكة تامة بالاعمال الاصوب
بمصالح الدنيا والاخرة فهذا هو الحكمة وانما سميت الحكمة لان اشتقاق الحكمة من احكام الامور وتقويتها وتبعيدها
عن اسباب الرخاوة والضعف ولا اعتقادات الحاصلة الصحيحة لا تقبل النسخ والنقض فكانت في غاية
الاحكام واما الاعمال المطابقة لمصالح الدنيا والاخرة فانها واجبة الرعاية لا تقبل النسخ والنقض فلهذا السبب
سميناها بالحكمة وهذه الاعمال الحكم الصفة العاشرة قوله وفصل الخطاب اعلم ان
اقسام هذا العالم على ثلاثة اقسام احدها ما يكون عاريا عن الادراك والشعور وهي الجمادات والنبات
وثالثها الذي يحصل له ادراك وشعور ويحصل عنده قدرة على تعريف غيره الاحوال المعلومة عنده وهو النطق
والخطاب ثم ان الناس مختلفون في مراتب القدرة على التعبير عما في الضمير فمنهم من يتعذر عليه ايراد
الكلام المرتب المنتظم بل يكون مختلط الكلام مضطرب القول ومنهم من يقدر على الترتيب من بعض
الوجوه ومنهم من يكون في غاية الضبط للمعنى والتعبير عنها الى اقصى الغايات وكل من كانت هذه
القدرة في حقه اكمل كان اجل ومن كانت تلك القدرة في حقه اقل كانت حالته اضعف ولما بين الله
تعالى كمال حال القوة النطقية التي لداود بقوله واتيناه الحكمة اردفه ببيان كمال حاله في النطق
واللفظ والعبارة فقال وفصل الخطاب وهذا الترتيب في غاية الجلالة ومن المفسرين من فسره بان

شيئا بعد شيء والحاشر هو الله تعالى لكان خلفا لان حشرها جملة واحدة

وثانيها الذي تحصل فيه القدرة على تعريف غيره الاحوال التي عرفها في الاكثر وهي جملة الحيوانات سوى الانسان وثالثها الذي يحصل له ادراك وشعور

داود

داود اول من قال في كلامه اما بعد واقول حقا ان الذين يفسرون بامثال هذه الكلمات فقد حرموا الوقوف
على معاني كلام الله تعالى حرمانا عظيما والله اعلم وقول من قال المراد منه معرفة الامور التي بها يفصل بين
الخصوم وهو طلب البينة واليمين فبعيد ايضا لان فصل الخطاب عبارة عن كونه قادرا على التعبير عن كل ما يخطر بالبال
ويحضر في الخيال بحيث لا يختلط شيء بشيء وبحيث ينفصل كل مقام عن كل مقام وهذا معنى عام يتناول فصل
الخصومات ويتناول الدعوة الى الدين الحق ويتناول جميع الاقسام والله اعلم وههنا اخر الكلام في الصفات
العشر التي ذكرها الله تعالى في مدح داود عليه السلام **قوله تعالى** وهل اتاك نبؤا الخصم
اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق
ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها
وعزني في الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا
الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب
فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن ماب اعلم ان الله تعالى لما مدح داود واثنى عليه بالوجوه العشرة اردفه
بذكر قصة لتبين بسبب الاحوال الواقعة في هذه القصة كونه عليه السلام مستحقا للثناء والمدح والتعظيم
اما قوله تعالى هل اتاك نبؤا الخصم فهو نظير قوله تعالى هل اتيك حديث موسى وفائدة هذا الاستفهام التنبيه على جلالة
القصة المستفهم عنها لتكون داعيا الى الاصغاء لها والاعتبار بها واعلم ان الناس في هذه القصة ثلثة اقوال
احدها ذكر هذه القصة على وجه يدل على صدور الكبيرة عنه وثانيها دالة على الصغيرة وثالثها ذكرها على وجه لا يدل على
الكبيرة ولا على الصغيرة اما القول الاول فحاصل كلامهم فيها ان داود عشق امراة اوريا فاحتال بالوجوه الكثيرة حتى قتل
زوجها ثم تزوج بها فارسل الله تعالى ملكين في صورة المتخاصمين في واقعة شبيهة بواقعته وعرضا تلك الواقعة
عليه فحكم داود بحكم لزم منه اعترافه بكونه مذنبا ثم تنبه لذلك فاشتغل بالتوبة والذي اذهب
اليه ان ذلك باطل ويدل عليه وجوه الاول ان هذه الحكاية لو نسبت الى افسق الناس واشدهم
بعدا عن كل خير لاستنكف منها والرجل الحشوي الخبيث الذي يقرر تلك القصة لو نسب الى مثل هذا العمل لبالغ في تنزيه
نفسه وربما لعن من ينسبه اليها واذا كان الامر كذلك فكيف يليق بالعاقل نسبته الى المعصوم الثاني
ان حاصل القصة يرجع الى امرين الى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق والى الطمع في زوجته اما الاول فامر منكر قال عليه السلام
من سعى في دم مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه ايس من رحمة الله واما الثاني فمنكر عظيم
قال عليه السلام المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وان اوريا لم يسلم من داود لا في روحه ولا في منكوحته الثالث
ان الله تعالى وصف داود عليه السلام قبل ذكر هذه القصة بالصفات العشر المذكورة ووصفه ايضا بصفات كثيرة
بعد ذكر هذه القصة وكل هذه الصفات تنافي كونه عليه السلام موصوفا بهذا الفعل المنكر والعمل القبيح ولا باس باعادة
هذه الصفات لاجل المبالغة في البيان فنقول اما الصفة الاولى فهي انه تعالى امر محمدا عليه السلام في ان يقتدي
بداود في المصابرة مع المكابرين ولو قلنا ان داود لم يصبر على مخالفة النفس بل سعى في اراقة دم مسلم لغرض شهوته
فكيف يليق باحكم الحاكمين ان يامر محمدا افضل الرسل بان يقتدي بداود في الصبر على طاعة الله واما الصفة الثانية
فهو انه وصفه بكونه عبدا له وقد بينا ان المقصود من هذا الوصف بيان كون ذلك الموصوف كاملا في موقف
العبودية تاما في القيام باداء الطاعات والاحتراز عن المحظورات ولو قلنا ان داود اشتغل بتلك
الاعمال الباطلة فحينئذ ما كان داود كاملا في عبودية الله تعالى بل كان كاملا في طاعة الهوى والشهوة و
اما الصفة الثالثة فهي قوله ذا الايد اي ذا القوة ولا شك ان المراد منه القوة في الدين لان القوة في غير الدين
كانت موجودة في ملوك الكفار ولا معنى للقوة في الدين الا القوة الكاملة على اداء الواجبات والاجتناب عن
المحظورات واي قوة لمن لم يملك نفسه عن القتل والرغبة في زوجة المسلم الصفة الرابعة كونه اوابا

على هذا القول الباطل كالمسلم ص

كثير الرجوع الى الله تعالى فكيف يليق بهذا ان يكون قلبه مشغوفا بالقتل والفجور الصفة الخامسة قوله تعالى
انا سخرنا الجبال معه افترى انه سخرت له الجبال ليتخذه وسيلة الى القتل والفجور الصفة السادسة قوله تعالى
والطير محشورة وقيل انه كان عليه السلام محرما عليه صيد شي من الطير وكيف يعقل ان يكون الطير آمنا منه ولا ينجو منه الرجل
المسلم على روحه ومنكوحه الصفة السابعة قوله تعالى وشددنا ملكه ومحال ان يكون المراد انه تعالى شدد ملكه
باسباب الدنيا بل المراد انه شدد ملكه بما يقوى الدين واسباب سعادة الآخرة والمراد منه تشديد ملكه في الدين
والدنيا ومن لا يملك نفسه عن القتل والفجور كيف يليق به ذلك الصفة الثامنة قوله تعالى وآتيناه الحكمة وفصل
الخطاب والحكمة اسم جامع لكل ما ينبغي علما وعملا فكيف يجوز ان يقول انا آتيناه الحكمة وفصل الخطاب مع اصراره على ما يستنكف عنه
اخبث الشياطين من مزاحمة اخلص اصحابه في الروح والمنكوح فهذه الصفات المذكورة قبل شرح تلك القصة دالة على
براءة ساحته عن تلك الاكاذيب اما الصفات المذكورة بعد ذكر القصة فهي عشرة اولها قوله تعالى وان له عندنا
لزلفى وحسن مآب وذكر هذا الكلام انما يناسب لو دلت القصة المتقدمة على قوة طاعته اما لو كانت القصة
المتقدمة دالة على سعيه في القتل والفجور لم يكن قوله وان له عندنا لزلفى لائقا به الثاني قوله تعالى يا داود انا جعلناك
خليفة في الارض وهذا ايضا دال على الكذب في تلك القصة من وجوه احدها ان الملك الكبير اذا حكى عن بعض عبيده انه قصد دماء
الناس واموالهم وازواجهم فبعد فراغه عن شرح تلك القصة على الملأ من الناس يقبح منه ان يقول عقيبه ان هذا
العبد فوضت اليه خلافتي ونيابتي وذلك لان ذكر تلك القبائح والافعال المنكرة يناسب الزجر والحجر فاما
جعله نائبا وخليفة لنفسه فذلك البتة مما لا يليق وثانيها انه ثبت في اصول الفقه ان ذكر الحكم عقيب الوصف
يدل على كون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف فلما حكى الله تعالى عنه تلك الوقائع القبيحة ثم قال بعده انا جعلناك خليفة
في الارض اشعر هذا بان الموجب لتفويض هذه الخلافة هو اتيانه بتلك الافعال المنكرة ومعلوم ان هذا فاسد
اما لو ذكرنا تلك القصة على وجه يدل على براءة ساحته عن المعاصي والذنوب وعلى شدة مصابرته على طاعة الله فحينئذ
يناسب ان يذكر عقيبه انا جعلناك خليفة في الارض فثبت ان هذا الذي نختاره اولى والثالث انه سبحانه لما كان سيعقبه ما بعده دالا على
مدح داود عليه السلام وتعظيمه وجب ان تكون القصة المتقدمة ايضا دالة على ذلك فلو كانت القصة دالة على القبائح والمعايب لجرى مجرى ان يقال فلان
عظيم الدرجة عالي المرتبة في طاعة الله يقتل ويزني ويسرق وقد جعله الله خليفة له في ارضه وصوب احكامه وكان هذا
الكلام مما لا يليق بالعاقل فكذا ههنا ومن المعلوم ان ذكر العشق والسعي في القتل من اعظم ابواب العيوب والسراع دهول العالمين
بهذا التأويل فكيف في هذه الرواية ان داود عليه السلام تمنى ان يحصل له في الدين مثل ما حصل للانبياء المتقدمين من المنازل العالية
مثل ما حصل للخليل من الالقاء في النار وحصل للذبيح من الذبح وحصل ليعقوب من الشدائد الموجبة لكثرة الثواب فاوحى الله
اليه انهم انما وجدوا تلك الدرجات لانهم لما ابتلوا صبروا فعند ذلك سأل داود عليه السلام الابتلاء فاوحى الله اليه انك ستبتلى في
يوم كذا فبالغ في الاحتراز ثم وقعت الواقعة فنقول اول حكايتهم يدل على ان الله تعالى يبتليه بالبلاء الذي يزيد في
منقبته ويكمل مراتب اخلاصه فالسعي في تحصيل السعي بطريق القتل والازراء في العشق كيف يليق بهذه الحالة ويثبت ان الحكاية التي
ذكروها تناقض اولها آخرها الخامس ان داود عليه السلام قال وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا
استثنى الذين آمنوا عن البغي فلو قلنا انه كان موصوفا بالبغي لزم ان يقال انه حكم بعدم الايمان على نفسه وذلك باطل السادس
حضرت في بعض المجالس وحضر فيه بعض اكابر الملوك وكان يريد ان يتعصب لتقرير ذلك القول الفاسد والقصة
الخبيثة لسبب اقتضى ذلك فقلت له لا شك ان داود عليه السلام كان من اكابر الانبياء والرسل وقد قال الله تعالى الله اعلم
حيث يجعل رسالته ومن مدحه الله تعالى بمثل هذا المدح العظيم لم يجز لنا ان نبالغ في الطعن فيه وايضا فبتقدير
انه ما كان نبيا فلا شك انه كان مسلما وقد قال عليه السلام لا تذكروا موتاكم الا بخير ثم على تقدير انا ما التفت
الى شي من هذه الدلائل الا انا نقول ان من المعلوم بالضرورة ان بتقدير ان تكون القصة التي ذكروها حقة صحيحة فان
روايتها وذكرها لا يوجب شيئا من الثواب لان اشاعة الفاحشة ان لم توجب العقاب فلا اقل من ان لا توجب الثواب

واما بتقدير ان تكون هذه القصة باطلة فاسدة فان ذاكرها يستحق اعظم العقاب والواقعة التي هذا شأنها
ومقتضاها فان صريح العقل يوجب السكوت عنه فثبت ان الحق ما ذهبنا اليه وان شرح تلك القصة محرم محظور
فلما سمع ذلك الملك هذا الكلام سكت ولم يذكر شيئا السابع ان ذكر هذه القصة وذكر قصة يوسف عليه السلام
يقتضي اشاعة الفاحشة في الذين آمنوا وانها لو سمعت في حق ادنى الناس لذكر بقول
من سعى في ضم مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله وايضا لو فعل ذلك
لكان ظالما فكان يندرج تحت قوله الا لعنة الله على الظالمين الثامن عن سعيد بن المسيب ان علي بن ابي
طالب رضي الله عنه قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد
الفرية على الانبياء ومما يقوي هذا انهم لما قالوا ان المغيرة بن شعبة زنى وشهد ثلاثة من عدول الصحابة
بذلك واما الرابع فانه لم يقل بالقطع ثبت ذلك الفعل يعني فكيف الحال في داود عليه السلام مع انه من اكابر الانبياء
عليهم السلام التاسع روي ان بعضهم ذكر هذه القصة على ما في كتاب الله فما سعى ان يرتل عليها فان كانت
الواقعة على ما ذكر فيه ثم ان الله تعالى ما ذكرها لاجل ان يستر تلك الواقعة على داود عليه السلام فلا يجوز
للعاقل ان يسعى في هتك ذلك الستر بل القصة وانا اذكر فقال عمر سماعي هذا الكلام احب الي مما طلعت
عليه الشمس فثبت بهذه الوجوه التي ذكرناها ان القصة التي ذكروها فاسدة باطلة فان قال قائل
ان كثيرا من اكابر المحدثين والمفسرين ذكروا هذه القصة فكيف الحال فيها والجواب الحقيقي انه لما
وقع التعارض بين الدلائل القاطعة وبين خبر واحد من اخبار الآحاد كان الرجوع الى الدلائل القاطعة اولى
وايضا فالاصل براءة الذمة وايضا فلما تعارض دليل التحريم والتحليل كان جانب التحريم اولى وايضا طريقة الاحتياط
توجب ترجيح قولنا وايضا فنحن نعلم بالضرورة ان بتقدير وقوع هذه الواقعة لا يقول الله لنا يوم القيامة
لم لم تسعوا في تشهير هذه الواقعة اما بتقدير كونها باطلة فانه يرجح ان لا يجوز التهاون بها
وايضا كل المفسرين لم يتفقوا على هذا القول بل الاكثرون والمحققون منهم يردونه ويحكمون
عليه بالكذب والفساد واذا اختلفت اقوال المفسرين والمحدثين فيه تساقطت وبقي الرجوع الى الدلائل التي
ذكرناها فهذا تمام الكلام في هذه القصة اما الوجه الثاني وهو ان نحمل هذه القصة على وجه يوجب
حصول الصغيرة ولا يوجب حصول الكبيرة فنقول كيفية هذه القصة على هذا التقدير من وجوه الاول
ان هذه المرأة خطبها اوريا فاجابوه ثم خطبها داود فآثره اهلها فكان ذنبه ان خطب على خطبة
اخيه المؤمن مع كثرة نسائه الثاني قالوا انه وقع بصره عليها فمال قلبه اليها وليس له في هذا ذنب
البتة اما وقوع بصره عليها من غير قصد فذلك ليس بذنب واما حصول الميل عقيب النظر فليس
ايضا ذنبا لان هذا الميل ليس في وسعه فلا يكون مكلفا به لما اتفق ان قتل زوجها لم يتأذ
تأذيا عظيما بسبب قتله لانه طمع في ان يتزوج تلك المرأة فحصلت الزلة بسبب هذا المعنى وهو انه
لم يشق عليه قتل ذلك الرجل والثالث انه كان اهل زمان داود عليه السلام يسأل بعضهم بعضا
ان يطلق امرأته حتى يتزوجها وكانت عادتهم في هذا المعنى مألوفة معروفة روي ان الانصار كانوا
يواسون المهاجرين بهذا المعنى فاتفق ان عين داود عليه السلام وقعت على تلك المرأة فاحبها فسأله
النزول عنها فاستحيى ان يرده ففعل وهي ام سليمان فقيل له هذا وان كان جائزا في ظاهر
الشريعة الا انه لا يليق بك فان حسنات الابرار سيئات المقربين فهذه وجوه ثلاثة لو حملنا هذه القصة
على واحد منها لم يلزم في حق داود عليه السلام الا ترك الافضل والاولى واما الاحتمال الثالث فهو ان يذكر
هذه القصة على وجه لا يلزم منه اثبات الكبيرة والصغيرة لداود عليه السلام بل يوجب اثبات اعظم انواع المدح
والثناء له وهو ان يقال روي ان جماعة من الاعداء طمعوا في ان يقتلوا نبي الله داود عليه السلام

وكان له يوم يخلو فيه بنفسه ويشتغل بطاعة ربه فانتهزوا الفرصة في ذلك اليوم وتسوروا المحراب
فلما دخلوا عليه وجدوا عنده اقواما يمنعونه منه فخافوا فوضعوا كذبا فقالوا خصمان بغى بعضنا على
بعض الى اخر القصة وليس في لفظ القرآن ما يمكن ان يحتج به في الحاق الذنب بداود الا الفاظ اربعة
احدها قوله وظن داود انما فتناه وثانيها قوله فاستغفر ربه وثالثها قوله واناب ورابعها قوله
فغفرنا له ذلك ثم نقول وهذه الالفاظ لا يدل شيء منها على ما ذكروه وتقريره من وجوه الاول
انهم لما دخلوا عليه لطلب قتله بهذا الطريق وعلم داود عليه السلام دعاه الغضب الى ان يشتغل بالانتقام منهم
الا انه مال الى الصفح والتجاوز عنهم طلبا لمرضاة الله تعالى فكانت هذه الواقعة هي الفتنة لانها جارية مجرى
الابتلاء والامتحان ثم انه استغفر ربه مما هم به من الانتقام منهم وتاب عن ذلك الهم واناب فغفرنا له
ذلك القدر من الهم والعزم والثاني انه وان غلب على ظنه انهم دخلوا عليه ليقتلوه الا انه ندم على ذلك
الظن وقال لما لم تقم دلالة ولا امارة على ان الامر كذلك فبئس ما عملت حيث ظننت بهم هذا الظن الردي
فكان هذا هو المراد من قوله وظن داود انما فتناه ثم استغفر ربه واناب منه فغفر الله له ذلك
الثالث ان دخولهم عليه كان فتنة لداود عليه السلام الا انه عليه السلام استغفر لذلك الداخل العازم على قتله كما قال
في حق محمد عليه السلام واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات فداود عليه السلام استغفر لهم واناب اي
رجع الى الله تعالى في طلب مغفرة ذلك الداخل القاصد للقتل وقوله فغفرنا له ذلك اي غفرنا ذلك
الذنب لاجل احترام داود ولتعظيمه كما قال بعض المفسرين في قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تاخر ان معناه ان الله يغفر لك ولاجلك ما تقدم من ذنب امتك الرابع هب انه تاب عن زلة صدرت منه
لكن لا نسلم ان تلك الزلة وقعت بسبب المراة ولم لا يجوز ان يقال ان تلك الزلة انما حصلت لانه قضى لاحد الخصمين قبل ان يسمع
كلام الخصم الثاني فانه لما قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك فحكم عليه بكونه ظالما بمجرد دعوى الخصم فلما تبين له كون
هذا الحكم مخالفا للصواب اشتغل بالاستغفار والتوبة الا ان هذا من باب ترك الافضل والاولى فثبت بما
بينا انا اذا حملنا هذه الايات على هذا الوجه فانه لا يلزم اسناد شيء من الذنوب الى داود عليه السلام بل
يكون ذلك اسنادا لاعظم الطاعات اليه ثم نقول وحمل الاية عليه اولى لوجوه الاول ان الرسول صلى الله
المسلم المتعهد عن [illegible] استتامه بهو رجل من اكابر الانبياء والرسل والثالث اصوب والثاني ان الله تعالى
قال لمحمد عليه السلام اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود فان قوم محمد عليه السلام لما اظهروا السفاهة
حيث قالوا انه ساحر كذاب واستهزؤا به حيث قالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب قال الله تعالى لمحمد
عليه السلام اصبر يا محمد على سفاهتهم وتحمل وتحلم ولا تظهر الغضب واذكر عبدنا داود فهذا الذكر انما
يحسن اذا كان داود عليه السلام قد صبر على ايذائهم وتحمل سفاهتهم وتحلم ولم يظهر الطيش والغضب وهذا
المعنى انما يحصل اذا حملنا الاية على ما ذكرناه اما اذا حملناها على ما ذكروه صار الكلام متناقضا فاسدا
والرابع ان تلك الرواية انما تمشي اذا قلنا الخصمان كانا ملكين ولما كانا من الملائكة وما كان بينهما مخاصمة
وما بغى احدهما على الاخر كان قولهما خصمان بغى بعضنا على بعض كذبا فهذه الرواية لا تتم الا بشيئين احدهما اسناد الكذب
الى الملائكة والثاني اسناد افحش القبائح الى رجل كبير من اكابر الانبياء واما اذا حملنا الاية على ما ذكرناه استغنينا عن
اسناد الكذب الى الملائكة وعن اسناد القبيح الى الانبياء فكان قولنا اولى فهذا ما عندنا في هذه المسالة والله اعلم
باسرار كلامه ثم نرجع الى تفسير الالفاظ اما قوله وهل اتاك نبؤا الخصم فالخصم لفظ للواحد والجمع يقال
خصمته اخصمه خصما ثم سمي به للواحد والاثنين والجميع يقال هما خصم وهم خصم كما يقال هما عدل وهم عدل
والمعنى ذوا خصم وذوو خصم واريد بالخصم هاهنا الخصمان دخلا على داود عليه السلام وقوله تعالى اذ تسوروا
المحراب يقال تسورت السور تسورا اذا علوته ومعنى تسوروا المحراب اي اتوه من سوره وهو اعلاه يقال

تسور

تسور فلان الدار اذا اتاها من قبل سورها واما المحراب فالمراد منه البيت الذي كان داود يدخل فيه
ويشتغل بطاعة ربه وسمي ذلك البيت بالمحراب لاشتماله على المحراب كما يسمى الشيء باشرف اجزائه وهاهنا مسالة
من اصول الفقه وهي ان اقل الجمع اثنان عند بعض الناس وهؤلاء تمسكوا بهذه الاية وذلك لانه تعالى ذكر صيغة الجمع في هذه
الايات في اربعة مواضع احدها قوله تعالى اذ تسوروا المحراب وثانيها قوله اذ دخلوا وثالثها قوله منهم ورابعها قوله
قالوا لا تخف فهذه الالفاظ الاربعة كلها صيغ الجموع وهم كانا اثنين بدليل قوله انهم قالوا خصمان فدلت هذه الاية
على ان اقل الجمع اثنان والجواب لم لا يجوز ان يقال انه كان مع كل واحد من الخصمين جماعة كثيرين الا ان الخصم اذا اطلق انهما
نوعان في الجمع ثم قال تعالى اذ دخلوا على داود والفائدة فيه انه قد يتسوروا الجدار ولم يدخلوا عليه فلما قال
اذ دخلوا عليه دل على انهم بعد التسور دخلوا عليه قال الفراء وقد يجاء باذ مرتين ويكون معناهما كالواحد كقولك ضربتك
اذ دخلت علي اذ اجترأت علي مع انه يكون وقت الدخول ووقت الاجتراء واحدا ثم قال تعالى ففزع منهم والسبب ان داود
عليه السلام لما رآهما قد دخلوا عليه لا من الطريق المعتاد علم انهم انما دخلوا عليه للشر فلا جرم فزع منهم ثم قال الله تعالى
قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض وفيه مسائل المسالة الاولى خصمان خبر مبتدأ محذوف اي نحن خصمان المسالة
الثانية هاهنا قولان الاول انهما كانا ملكين نزلا من السماء وارادا تنبيه داود عليه السلام على قبح العمل الذي اقدم عليه والثاني
انهما كانا انسانين ودخلا عليه للشر والقتل فظنا انهما يجدانه خاليا فلما رايا عنده جماعة من الخدم اختلقا
ذلك الكذب لدفع الشر واما المنكرون لكونهما ملكين فقد احتجوا عليه بانهما لو كانا ملكين لكانا كاذبين في قولهما
خصمان فانه ليس بين الملائكة خصومة ولكانا كاذبين في قولهما بغى بعضنا على بعض ولكانا كاذبين في قولهما ان هذا
اخي له تسع وتسعون نعجة فثبت انهما لو كانا ملكين لكانا كاذبين والكذب على الملائكة غير جائز لقوله تعالى لا يسبقونه
بالقول ولقوله ويفعلون ما يؤمرون اجاب الذاهبون الى القول الاول عن هذا الكلام بان قالوا ان الملكين
انما ذكرا هذا الكلام على سبيل فرض المسالة لا على سبيل التحقيق فلم يلزم الكذب واجيب عن هذا الجواب بان
ما ذكرتم يقتضي العدول عن ظاهر اللفظ ومعلوم انه على خلاف الاصل اما اذا حملنا الكلام على ان الخصمين كانا
رجلين دخلا عليه لغرض الشر ثم وضعا هذا الحديث الباطل فحينئذ لزم اسناد الكذب الى رجلين فاسقين
وكان هذا اولى من القول الاول واما الذاهبون الى كونهما ملكين فقد احتجوا بوجوه الاول اتفاق اكثر المفسرين
عليه والثاني انه ارفع منزلة من ان يتسور عليه آحاد الرعية في حال تعبده فيجب ان يكون ذلك من الملائكة
الثالث ان قوله تعالى لا تخف كالدلالة على كونهما ملكين لان من هو من رعيته لا يكاد يقول له مثل ذلك مع رفعة منزلته
الرابع ان قولهما ولا تشطط كالدلالة على كونهما ملكين لان احدا من رعيته لا يتجاسر ان يقول له لا تظلم ولا تتجاوز
عن الحق واعلم ان ضعف هذه الدلائل ظاهر فلا حاجة الى الجواب المسالة الثالثة بغى بعضنا على بعض اي تعدى
وخرج عن الحد يقال بغى الجرح اذا افرط وجعه وانتهى الى الغاية ومنه يقال بغت المراة اذا زنت لان الزنا كبيرة
منكرة قال تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ثم قالوا فاحكم بيننا بالحق معناه احكم احكام العدل فاما تكليف
الله عليهما الى الواقعة ومنه حكمة اللجام لانها تمنع عن الجماح ومنه بناء محكم اذا كان قويا وقوله بالحق اي بالحكم الحق
وهو الذي حكم الله به ولا تشطط يقال شط الرجل اذا بعد ومنه قولهم شطت الدار اذا بعدت قال تعالى
لقد قلنا اذا شططا اي قولا بعيدا عن الحق فقوله ولا تشطط اي لا تبعد في هذا الحكم عن الحق ثم قالوا واهدنا الى
سواء الصراط وسواء الصراط هو وسطه قال تعالى فاطلع فراه في سواء الجحيم ووسط الشيء افضله واعدله قال
تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا واقول انهم عبروا عن المقصود الواحد بثلاث عبارات اولها قولهم فاحكم بالحق
وثانيها قولهم ولا تشطط وهو نهي عن الباطل وثالثها قولهم واهدنا الى سواء الصراط يعني يجب ان يكون سعيك في ايجاد
هذا الحق وفي الاحتراز عن هذا الباطل وان تردنا من الطريق الباطل الى الطريق الحق وهذا مبالغة تامة في تقرير
المطلوب واعلم انهم لما اخبروا عن وقوع الخصومة على سبيل الاجمال ارادوا بيان سبب تلك الخصومة على سبيل

التفسير والثاني انهما اخوان له تسع وتسعون نعجة ثم قال المسئلة الاولى قال صاحب الكشاف اخي بدل من هذا او خبر
لان والمراد اخوة الدين او اخوة الصداقة والالفة او اخوة الشركة والخلطة لقوله تعالى وان كثيرا من الخلطاء
وكل واحد من هذه الاخوات يوجب الامتناع من الظلم والاعتداء المسئلة الثانية قال الليث النعجة الانثى من الضان والبقر
الوحشي والشاة الجبلية والجمع النعاج والعرب جرت عادتهم بجعل النعجة والظبية كناية عن المراة المسئلة
الرابعة قرا عبد الله تسع وتسعون نعجة انثى وهذا تاكيد كقوله تعالى لا تتخذوا الهين اثنين انما هو
اله واحد ثم قال فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب قال صاحب الكشاف اكفلنيها حقيقته اجعلني اكفلها
كما اكفل ما تحت يدي وعزني في الخطاب وغلبني يقال عزه يعزه والمعنى جاءني بحجاج لم اقدر ان اورد عليه ما ارده به
وذكر دعاة في المعاذة وهي المغالبة واعلم ان الذين قالوا ان هذين الخصمين كانا من الملائكة زعموا
ان المقصود من ذكر النعاج التمثيل لان داود كان تحته تسع وتسعون امراة ولم يكن لاوريا الا امراة واحدة
فذكرت الملائكة تلك الواقعة على سبيل الرمز والتمثيل ثم قال تعالى قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وذكر
انه قال لو رام ذلك ضربنا منك هذا وهذا واشار الى [illegible] فقال يا داود انت احق ان يضرب
منك هذا وهذا وانت فعلت كيت وكيت ثم نظر داود فلم ير احدا فان قيل كيف حكم داود بقول
احد الخصمين مجرد قول خصمه قلنا ذكروا فيه وجوها الصحيح منها ان الخصم الاخر
تكلم ثم نظر داود الى الخصم الذي لم يتكلم وقال لئن صدق لقد ظلمك والحاصل ان هذا الحكم كان مشروطا
بشرط كونه صادقا والثاني قال ابن الانباري لما ادعى احد الخصمين اعترف الثاني فحكم داود عليه السلم
ولم يذكر الله ذلك الاعتراف لدلالة ظاهر الكلام عليه كما تقول امرتك بالتجارة فكسبت [illegible]
وقال تعالى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضرب فانفلق والثالث [illegible] ان الخصم الذي هذا
شانه قد ظلمك ثم قال وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض قال الليث خليط الرجل مخالطه وقال
الزجاج الخلطاء الشركاء فان قيل لم خص داود الخلطاء ببغي بعضهم على بعض مع ان غير الخلطاء يفعلون
ذلك قلنا الجواب ان المخالطة توجب كثرة المنازعة والمخاصمة وذلك انهما اذا اختلطا اطلع
كل واحد منهما على احوال الاخر فكل ما يملكه من الاشياء النفيسة اذا اطلع عليه عظمت رغبته فيه فيفضي
ذلك الى زيادة المخاصمة والمنازعة فلهذا السبب خص داود عليه السلم الخلطاء بزيادة البغي والعدوان ثم
استثنى عن هذا الحكم الذين امنوا وعملوا الصالحات لان مخالطة هؤلاء تكون لاجل الدين وطلب السعادات
الروحانية الحقيقية فلا جرم مخالطتهم لا توجب المنازعة اما الذين تكون مخالطتهم لاجل حب الدنيا لا بد
ان تصير مخالطتهم سببا لمزيد البغي والعدوان واعلم ان هذا الاستثناء يدل على ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
لا يبغي بعضهم على بعض فلو كان داود لا يكون من الذين امنوا وعملوا الصالحات ومعلوم ان ذلك
باطل فثبت ان قول من يقول المراد من واقعة النعجة نفس داود باطل ثم قال تعالى وقليل ما هم
اعلم ان الحكم بقلة اهل الخير كثير في القران قال تعالى وقليل من عبادي الشكور وقال ايضا
في هذا الموضع وقليل ما هم وحكى تعالى عن ابليس ولا تجد اكثرهم شاكرين وسبب القلة ان الداعي الى الدنيا
كثير وهي الحواس الظاهرة والباطنة وهي عشرة والشهوة والغضب والقوى الطبيعية السبع والمجموع سبع عشر
وانضم اليها جميع الجسمانيات وكلها يدعو الى الخلق بالدنيا واللذات الحسية واما الداعي الى طلب الحق والدين فليس الا
العقل واستيلاء القوى الحسية والطبيعية على الخلق اكثر من استيلاء القوة العقلية فلهذا السبب وقعت القلة في
جانب اهل الخير والكثرة في جانب اهل الشر قال صاحب الكشاف وما في قوله وقليل ما هم للابهام وفيه تعجب من قلتهم
ثم قال وان اردت ان تتحقق فائدتها وموقعها فاطرحها من قول امرئ القيس وحديث ما قصره وانظر هل بقي له معنى قط
ثم قال تعالى وظن داود انما فتناه قالوا معناه وعلم داود انما فتناه اي امتحناه والمراد السبب الذي
اوجب

اوجب حمل لفظ الظن على العلم ها هنا ان داود عليه السلم لما قضى بينهما نظر احدهما الى صاحبه فضحك ثم صعدا الى السماء
حيال وجهه فعلم داود ان الله ابتلاه بذلك فثبت ان داود علم ذلك وانما جاز حمل لفظ الظن على العلم لان العلم
الاستدلالي يشبه الظن مشابهة عظيمة والمشابهة علة لجواز المجاز واقول [illegible] الكلام ثم انما يلزم اذا قلنا
الخصمان كانا ملكين اما اذا لم نقل ذلك لم يلزمنا حمل الظن على العلم بل لقائل ان يقول انه لما غلب على ظنه
حصول الابتلاء من الله تعالى اشتغل بالاستغفار والانابة اما قوله فاستغفر ربه اي سال الغفران
من ربه ثم ها هنا وجهان ان قلنا بانه كان قد صدرت زلة منه حملنا هذا الاستغفار عليها وان لم نقل به
فلنا فيه وجوه الاول ان القوم لما دخلوا عليه قاصدين قتله وانه كان سلطانا شديد القوة عظيم القوة
ثم انه مع القدرة الشديدة على الانتقام ومع حصول الروع في قلبه عفى عنهم ولم يقل لهم شيئا فقرب الامر من
ان يدخل قلبه شيء من العجب فاستغفر ربه من تلك الحالة واناب الى الله واعترف بان اقدامه
على ذلك الخير ما كان الا بتوفيق الله فغفر الله له وتجاوز عنه بسبب طريان ذلك الخاطر الثاني
لعله هم بايذاء القوم ثم تاب انه لم يدل دليل قاطع على ان هؤلاء قصدوا الشر فعفا عنهم ثم استغفر عن
ذلك الهم الثالث لعل القوم تابوا الى الله وطلبوا منه ان يستغفر الله لهم ولاجل ان يقبل توبتهم
فاستغفر وتضرع الى الله فغفر الله ذنوبهم بسبب شفاعته ودعائه وكل هذه الوجوه محتملة
لما هو [illegible] من لفظ هذه الوجوه واذا كان اللفظ محتملا لما ذكرناه ولم يقم دليل قطعي
ولا ظني على التزام المنكرات التي يذكرونها فما الذي يحملنا على التزامها والقول بها والذي يؤكد ان
الذي ذكرناه اقرب انه تعالى ختم هذه القصة بقوله وان له عندنا لزلفى وحسن ماب ومثل
هذه الخاتمة انما تحصل في حق من صدر عنه عمل كثير في الخدمة والطاعة وتحمل انواعا من الشدائد
في الموافقة والانقياد اما اذا كان السابق هو الاقدام على الجرم والنسيان فمثل هذه الخاتمة
لا يليق به [illegible] ان ذلك كان يوم القيامة [illegible]
يا داود مجدني بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تمجدني به في الدنيا والله اعلم بقي ها هنا
مباحث الاول [illegible] فتناه على ان الالف ضمير الملكين الثاني المشهور ان الاستغفار انما كان
بسبب قصة النعجة والنعاج وقيل ايضا انما كان بسبب انه حكم لاحد الخصمين قبل ان يسمع كلام الثاني
[illegible] الثالث [illegible] خر راكعا [illegible] حصول الركوع واما السجود [illegible] بالاخبار
وكذلك البكاء الشديد في مدة اربعين يوما [illegible] بالاخبار الرابع مذهب الشافعي ان هذا الموضع
ليس فيه سجدة التلاوة [illegible] سجدة التلاوة الخامس [illegible]
ابو حنيفة جعل الاية في سجدة التلاوة على ان الركوع يقوم مقام السجود

قوله تعالى

يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان
الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب وما خلقنا السماء والارض وما بينهما
باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين
في الارض ام نجعل المتقين كالفجار كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب
اعلم انه تعالى لما تمم الكلام في شرح القصة اردفها ببيان انه تعالى فوض الى داود خلافة الارض و
هذا من اقوى الدلائل على فساد القول المشهور في تلك القصة لان من البعيد جدا ان يوصف الرجل بكونه
ساعيا في سفك دماء المسلمين راغبا في انتزاع ازواجهم منهم ثم يذكر عقيبه ان الله تعالى فوض
خلافة الارض اليه ثم نقول في تفسير كونه خليفة وجهان الاول جعلناك تخلف من تقدمك من الانبياء
في الدعاء الى الله تعالى وفي سياسة الناس لان خليفة الرجل من يخلفه وذلك انما يعقل في حق من يصح عليه

الخليفة وذكر على الله محال الثاني انا جعلناك ملكا للناس ونافذ الحكم فيهم فبهذا التاويل يسمى خليفة
ومنه يقال خلفا الله في ارضه وحاصله ان خليفة الرجل يكون نافذ الحكم في رعيته وحقيقة الخلافة
ممتنعة في حق الله تعالى فلما امتنعت الحقيقة جعلت اللفظة مفيدة اللزوم تلك الحقيقة وهو نفاذ الحكم
ثم قال تعالى فاحكم بين الناس بالحق اعلم ان الانسان خلق مدنيا بالطبع لان الانسان الواحد لا تنتظم
مصالحه الا عند وجود مدينة تامة حتى ان هذا يحرث وذاك يطحن وذاك يخبز وذاك ينسج وهذا يخيط ولهذا
وبالجملة فيكون كل واحد منهم مشغولا بمهم وينتظم من اعمال الجميع مصالح الجميع فثبت ان الانسان مدني بالطبع
وعند اجتماعهم في الموضع الواحد يحصل بينهم منازعات ومخاصمات ولا بد من انسان قادر قاهر يقطع تلك
الخصومات ويفصل تلك الحكومات وذلك هو السلطان الذي ينفذ حكمه على الكل فثبت انه لا ينتظم مصالح
الخلق الا بسلطان قاهر سائس ثم ان ذلك السلطان القاهر السائس ان كان حكمه وفق هواه ولطلب مصالح دنياه
عظم ضرره على الخلق فانه يجعل الرعية فدا لنفسه ويتوسل بهم الى مقاصد نفسه وذلك يفضي الى تخريب
العالم ووقوع الهرج والمرج في الخلق وذلك يفضي بالآخرة الى هلاك ذلك الملك اما اذا كانت احكام
ذلك الملك مطابقة للشريعة الحقة الالهية انتظمت مصالح العالم واتسعت ابواب الخيرات على احسن
الوجوه فهذا هو المراد من قوله فاحكم بين الناس بالحق يعني لا بد من حاكم بين الناس بالحق فكن انت ذلك الحاكم
ثم قال ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد
بما نسوا يوم الحساب وتفسيره ان متابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله والضلال عن سبيل الله
يوجب سو العذاب ينتج ان متابعة الهوى توجب سو العذاب اما المقام الاول وهو ان متابعة الهوى
توجب الضلال عن سبيل الله فتقريره ان الهوى يدعو الى الاستغراق في اللذات الجسمانية والاستغراق فيها
يمنع من الاشتغال بطلب السعادات الروحانية التي هي الباقيات الصالحات لانهما حالتان متضادتان فبقدر
ما يزداد احدهما ينتقص الآخر واما المقام الثاني وهو ان الضلال عن سبيل الله يوجب سو العذاب فلانه
اذا مات فقد فارق المحبوب والمعشوق ودخل ديارا ليس له باهل تلك الديار الف وليس بعينه قوة
مطالعة انوار تلك الديار فكانه فارق المحبوب ووصل الى المكروه فكان لا محالة في اعظم العنا والبلا
فثبت ان متابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله وثبت ان الضلال عن سبيل الله يوجب العذاب
ينتج ان متابعة الهوى توجب العذاب وهذا بيان في غاية الكمال ثم قال بما نسوا يوم الحساب يعني ان
السبب الاول لحصول ذلك الضلال هو نسيان يوم الحساب لانه لو كان متذكرا ليوم الحساب لما اعرض
عن اعداد الزاد ليوم المعاد ولما صار مستغرقا في طلب هذه اللذات الفاسدة روي عن بعض خلفا بني
مروان انه قال لعمر بن عبد العزيز هل سمعت ما بلغنا ان الخليفة لا يجري عليه القلم ولا تكتب عليه
معصية فقال يا امير المومنين الخلفا افضل ام الانبيا ثم تلا هذه الآية ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب
شديد بما نسوا يوم الحساب ثم قال وما خلقنا السما والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا
فويل للذين كفروا من النار ونظيره قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا وقوله تعالى ما خلق الله السموات
والارض وما بينهما الا بالحق وفيه مسائل المسألة الاولى احتج الجبائي بهذه الآية على انه تعالى لا يجوز ان
يكون خالقا لاعمال العباد قال لانها مشتملة على الكفر والفسق وكلها اباطيل فلما بين تعالى انه ما خلق السما والارض
وما بينهما باطلا دل هذا على انه تعالى لم يخلق اعمال العباد وايضا قوله تعالى وما خلقنا السما والارض وما بينهما
باطلا وعند المجبرة انه خلق الكافر لاجل ان يكفر والكفر باطل فقد خلق الباطل ثم اكد تعالى ذلك بان قال
ذلك ظن الذين كفروا اي كل من قال بهذا القول فهو كافر فهذا تصريح بان مذهب المجبرة عين الكفر
واحتج اصحابنا بان هذه الآية تدل على كونه تعالى خالقا لاعمال العباد فقالوا هذه الآية تدل على كونه تعالى

خالقا لكل ما بين السما والارض واعمال العباد حاصلة بين السما والارض فوجب ان يكون تعالى خالقا لها
المسألة الثانية هذه الآية دالة على صحة القول بالحشر والنشر والقيامة وذلك لانه تعالى خلق الخلق
في هذا العالم فاما ان يقال انه خلقهم للاضرار وهذا باطل لان ذلك لا يليق بالرحيم الكريم او لا للاضرار و
لا للانتفاع وذلك ايضا باطل لان هذه الحالة حاصلة حين كانوا معدومين فلم يبق الا ان يقال انه خلقهم
للانتفاع فنقول وذلك الانتفاع اما ان يكون في حيوة الدنيا او في حيوة اخرى والاول باطل لان منافع
الدنيا قليلة ومضارها كثيرة وتحمل الضرر الكثير لاجل المنفعة القليلة لا يليق بالحكيم ولما بطل هذا
القسم ثبت القول بوجود حياة اخرى بعد هذه الحيوة الدنيوية وذلك هو القول بالحشر والنشر
والقيامة واعلم ان هذا الدليل يمكن تقريره من وجوه كثيرة وقد لخصناها في اول سورة يس
بالاستقصا فلا سبيل الى التكرير فثبت بما ذكرنا انه سبحانه ما خلق السما والارض باطلا واذا لم يكن خلقهما باطلا
كان القول بالحشر والنشر لازما وان كل من انكر القول بالحشر والنشر كان شاكا في حكمة الله في خلق السما والارض
وهذا هو المراد من قوله ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ولما بين الله تعالى على سبيل الاجمال ان انكار الحشر
والنشر يوجب الشك في حكمة الله تعالى بين ذلك على سبيل التفصيل فقال ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات
كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار وتقريره انا نرى في الدنيا من اطاع الله تعالى واحترز عن معصيته في
الفقر والزمانة وانواع البلا ونرى الكفرة والفساق في الراحة والغبطة فلو لم يكن حشر ونشر ومعاد فحينئذ يكون
حال المطيع ادون من حال العاصي وذلك لا يليق بحكمة الحكيم الرحيم واذا كان ذلك قادحا في الحكمة ثبت ان انكار الحشر
والنشر يوجب انكار حكمة الله تعالى ثم قال تعالى كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب وفيه مسائل
المسألة الاولى قالت المعتزلة دلت الآية على انه تعالى انما انزل هذا التنزيل لاجل الخير والرحمة والهداية وهذا يفيد امرين
احدهما ان احكام الله تعالى معللة برعاية المصالح والثاني انه تعالى اراد الايمان والخير والطاعة من الكل في نظم هذه الآيات
فنقول في بيان النظم فنقول انه تعالى حكى في اول السورة عن الكفار انهم بالغوا في انكار البعث و
القيامة وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب ولما حكى الله تعالى عنهم لم يذكر الجواب بل قال اصبر على ما يقولون و
اذكر عبدنا داود ومعلوم انه لا تعلق لذكر داود عليه السلم بان القول بالقيامة حق ثم انه تعالى اطنب في شرح قصة داود ثم اتبعه
بقوله وما خلقنا السما والارض وما بينهما باطلا ومعلوم انه لا تعلق لمسألة اثبات حكمة الله بقصة داود ثم لما ذكر اثبات
حكمة الله وفرع عليه اثبات ان القول بالحشر والنشر حق ذكر بعده ان التنزيل كلام شريف فاضل كثير النفع والخير ولا
تعلق لهذا الفصل بالكلام المتقدم واذا كان كذلك كانت هذه الفصول متباينة بعضها عن بعض فكيف
يليق بهذا الموضع وصف القرآن بكونه كتابا شريفا فاضلا هذا تمام السوال والجواب ان نقول ان العقلا قالوا من
ابتلي بخصم جاهل مصر متعصب وراه قد تغاضى في التعصب ولا اصر وجب عليه ان يقطع الكلام معه في تلك المسألة
لانه كلما كان خوضه في تقريره اكثر كانت نفرته عن القبول اشد فالطريق حينئذ ان يقطع الكلام معه في تلك المسألة وان
يخوض في كلام اجنبي عن المسألة بالكلية ويطنب في ذلك الكلام الاجنبي بحيث ينسى ذلك المتعصب تلك المسألة
الاولى فاذا اشتغل خاطره بهذا الكلام الاجنبي ونسي المسألة الاولى فحينئذ يدرج في اثنا الكلام في هذا الفصل الاجنبي
مقدمة مناسبة لذلك المطلوب الاول فان ذلك المتعصب يسلم هذه المقدمة فاذا سلمها فحينئذ يتمسك بها في اثبات المطلوب
الاول وحينئذ يصير ذلك الخصم المصر المتعصب منقطعا مفحما اذا عرفت هذا فنقول ان الكفار بالغوا في انكار
الحشر والنشر والقيامة الى حيث قالوا على سبيل الاستهزا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب فقال لمحمد اقطع الكلام
معهم في هذه المسألة واشرع في كلام اجنبي بالكلية عن هذه المسألة وهو قصة داود عليه السلم فان من المعلوم انه لا تعلق
لهذه القصة بمسألة الحشر والنشر ثم انه تعالى اطنب في شرح تلك القصة ثم قال في اخر القصة يا داود انا جعلناك خليفة
في الارض فاحكم بين الناس بالحق وكل من سمع هذا قال نعم ما فعل حيث امره بالحكم بالحق ثم كانه تعالى قال وانا لا امرك

يامر فقط بلا نزاع افترقت العالمين لا يفعل الا الحق ولا يقضي بالباطل فما هنا الخصم يقول نعم لا فعل حيث لم يعص
الا الحق عند هو هذا لما قال كما سلف ان حكم الله تعالى لم يكن بالحق لا بالباطل لم يكن لم يتم تصحيح القول بالحشر نعند
والنشر لانه لو لم يحصل ذلك للزم ان يكون الكافر راجحا على المسلم في ايصال الخيرات اليه وذلك ضد الحكمة وعين الباطل
فبهذه الطريقة اللطيفة اورد الله الدليل القاطع على منكري الحشر والنشر ابتداء ثم لما امكنهم الخلاص عنه فصار
ذلك الخصم الذي يلج في انكار المعاد الحجة المتينة لهم ملجما بهذا الطريق ولما ذكر الله تعالى هذه الطريقة
الدينية في الزام في القران لا جرم وصف القران بالكمال والفضل فقال كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا
اياته وليتذكر اولو الالباب فانهم لم يتدبروا بتامل ولم يتنبهوا بهذه التوفيق الالهي لم يقف على هذه الاسرار
العجيبة المذكورة في هذا القران العظيم حيث يراه في ظاهر الحال — الرتبة دون الحقيقة
يشتمل على الكمال صفات المرتبة حمد اما حصر في تفسير هذه الايات والله التوفيق

قوله تعالى

ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد فقال اني احببت حب
الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والاعناق اعلم انه تعالى لما عطف قصة
الثانية وقوله نعم العبد فيه مباحث الاول يقول المخصوص بالمدح في نعم العبد محذوف فقيل هو سليمان وقيل
داود والاول اولى لانه اقرب المذكورين ولانه قال بعده انه اواب ولا يجوز ان يكون المراد هو داود لانه وصفه
بهذا المعنى وتقدم في الاية المتقدمة حيث قال داود ذا الايد انه اواب فلو قلنا لفظ الاواب هنا انما صفة
داود لزم التكرار ولو قلنا انه صفة لسليمان لزم كون الابن شبيها لابيه في صفات الكمال والفضيلة فكان هذا
اولى البحث الثاني انه قال اولا نعم العبد ثم قال بعده انه اواب وهذه الكلمة للتعليل فهذا يدل على انه انما كان نعم
العبد لانه كان اوابا فيلزم ان كل من كان كثير الرجوع الى الله تعالى في اكثر الاوقات وفي اكثر المهمات
كان موصوفا بانه نعم العبد وهذا هو الحق الذي لا شبهة فيه لان كمال الانسان في ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به
وراس المعارف ورئيسها معرفة الله تعالى وراس الطاعات ورئيسها الاعتراف بانه لا يتم شيء من الخيرات
الا باعانة الله تعالى ومن كان كذلك كان كثير الرجوع الى الله تعالى فكان اوابا فثبت ان كل من كان اوابا
وجب ان يكون نعم العبد اما قوله اذ عرض عليه ففيه وجوه الاول التقدير نعم العبد هو اذ كان من اعماله انه
فعل كذا الثاني انه ابتداء كلام والتقدير اذكر يا محمد اذ عرض عليه كذا وكذا والعشي هو من حين العصر
الى اخر النهار عرض الخيل عليه لينظر اليها ويقف على كيفية احوالها والصافنات الجياد هي الخيل في الجملة
ووصفت بوصفين الاول الصافنات قال صاحب الصحاح الصافن الذي يقوم على ثلاث قوائم واقام الرابعة
على طرف الحافر يقول صفن الفرس يصفن صفونا والصافن الذي يصف قدميه كما اذا صلينا خلفه
فرفع راسه من الركوع قمنا صفونا اي قمنا صافين اقدامنا واقول على كلا التقديرين فالصفون صفة دالة
على فضيلة الفرس والصفة الثانية للخيل في هذه الاية الجياد قال المبرد الجياد جمع جواد يقال للفرس اذا كان شديد الحضر
كما يقال للجواد من الناس هو السريع البذل والمقصود وصفها بالفضيلة والكمال حالتي وقوفها وحركتها اما حال
وقوفها فوصفها بالصفون واما حال حركتها فوصفها بالجودة يعني انها اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها
على احسن الاشكال واذا جرت كانت سراعا في جريها فاذا طلبت لحقت واذا طلبت لم تلحق ثم قال الله تعالى
فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي وفي تفسير هذه اللفظة وجوه الاول ان يضمن احببت معنى فعل يتعدى بعن
كانه قيل انبت حب الخير عن ذكر ربي والثاني ان احببت بمعنى لزمت والمعنى لزمت حب الخير عن ذكر ربي
اي عن كتاب ربي وهو التوراة لان ارتباط الخيل كما انه في القران ممدوح فكذلك في التوراة ممدوح و
الثالث ان الانسان قد يحب شيئا ولكنه يحب ان لا يحبه كالمريض الذي يشتهي ما يزيد في مرضه والاب الذي يحب
ولده الرديء اما من احب شيئا واحب ان يحبه كان ذلك غاية المحبة فقوله احببت حب الخير بمعنى

احببت

احببت حبي لهذا الخير ثم قال عن ذكر ربي يعني ان هذه المحبة الشديدة انما حصلت عن ذكر الله وامره لا عن الشهوة
والهوى وهذا الوجه اظهر الوجوه ثم قال حتى توارت اقول الضمير في قوله حتى توارت وفي قوله
ردوها علي يحتمل ان يكون كل واحد منهما عائدا الى الشمس لانه جرى ذكر ما له تعلق بها وهو العشي ويحتمل ان يكون
كل واحد منهما عائدا الى الصافنات ويحتمل ان يكون الاول متعلقا بالشمس والثاني بالصافنات ويحتمل ان يكون
بالعكس من ذلك فهذه احتمالات اربعة لا مزيد عليها فالاول ان يعود الضمير فيهما الى الصافنات كانه قيل حتى
توارت الصافنات بالحجاب ردوا الصافنات علي والاحتمال الثاني ان يكون الضميران معا عائدين الى
الشمس كانه قال حتى توارت الشمس بالحجاب ردوا الشمس روي انه عليه السلم لما اشتغل بالخيل فاتته
صلوة العصر فسال الله تعالى ان يرد الشمس بقوله ردوها علي اشارة الى طلب رد الشمس وهذا
الاحتمال عندي بعيد والذي يدل عليه وجوه الاول ان الصافنات مذكورة بالتصريح والشمس غير مذكورة و
عود الضمير الى المذكور اولى من عوده الى المقدر الثاني انه قال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى
توارت بالحجاب ظاهر هذا اللفظ يدل على ان سليمان عليه السلم كان يقول اني احببت حب الخير عن ذكر ربي
وكان يعيد هذه الكلمة الى ان توارت بالحجاب فان قلنا المراد حتى توارت الصافنات بالحجاب كان
معناه انه حين وقع بصره عليها حال جريها كان يقول هذه الكلمة الى ان غابت عن عينه وذلك مناسب
ولو قلنا المراد حتى توارت الشمس بالحجاب كان معناه انه كان يعيد تلك الكلمة من وقت العصر الى وقت
المغرب وهذا في غاية البعد الثالث انا لو حكمنا بعود الضمير في قوله حتى توارت الى الشمس وحملنا اللفظ على
انه ترك صلوة العصر كان هذا منافيا لقوله تعالى احببت حب الخير عن ذكر ربي لان تلك المحبة لو كانت عن ذكر الله لما نسي
الصلوة ولما ترك ذكر الله الرابع انه بتقدير انه عليه السلم بقي مشتغلا بتلك الخيل حتى غربت الشمس وفاتت صلوة
العصر فكان ذلك ذنبا عظيما وجرما قويا فالاليق عند هذه الحالة التضرع والبكاء والمبالغة في اظهار التوبة فاما
ان يقول على سبيل التهور والعظمة لاله العالم ورب العالمين مثل هذه الكلمة العارية عن كل جهات الادب عقيب ذلك
الجرم العظيم فهذا لا يصدر عن ابعد الناس عن الخير فكيف يجوز اسناده الى الرسول المطهر المكرم الخامس ان القادر
على تحريك الافلاك والكواكب هو الله تعالى فكان يجب ان يقول ردها علي ولا يقول ردوها فان قالوا انما ذكر
صيغة الجمع للتنبيه على تعظيم المخاطب فنقول قوله ردوها لفظ مشعر باعظم انواع الاهانة فكيف يليق
بهذا اللفظ رعاية التعظيم السادس ان الشمس لو رجعت بعد الغروب لكان ذلك مشاهدا لكل الدنيا اهل م
ولو كان الامر كذلك لتوفرت الدواعي على نقله واظهاره وحيث لم ينقل احد ذلك عرفنا فساده السابع
انه تعالى قال اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد ثم قال حتى توارت بالحجاب وعود الضمير الى اقرب
المذكورين هو الصافنات الجياد واما العشي فانه اجنبي فكان عود الضمير الى الصافنات اولى ف
ثبت بما ذكرنا ان حمل قوله حتى توارت بالحجاب على تواري الشمس وان حمل قوله ردوها علي على ان
المراد منه طلب ان يرد الله الشمس بعد غروبها في غاية البعد عن النظم ثم قال فطفق مسحا بالسوق
والاعناق اي فجعل سليمان عليه السلم يمسح سوقها واعناقها قال الاكثرون معناه انه مسح السيف
بسوقها واعناقها اي قطعها قالوا انه عليه السلم لما فاتته صلوة العصر بسبب اشتغاله بالنظر الى تلك
الخيل استردها وعقر سوقها واعناقها تقربا الى الله تعالى وعندي ان هذا ايضا بعيد ويدل
عليه وجوه الاول انه لو كان معنى مسح السوق والاعناق قطعها لكان معنى قوله وامسحوا برؤسكم
وارجلكم قطعها وهذا لا يقوله عاقل بل لو قيل مسح راسه بالسيف فربما فهم منه ضرب العنق اما
اذا لم يذكر لفظ السيف لم يفهم البتة من المسح العقر والنحر الثاني ان القائلين بهذا القول جمعوا
على سليمان عليه السلم انواعا من الافعال المذمومة فاولها ترك الصلوة وثانيها انه استولى عليه الاشتغال

حب الدنيا الى حيث نسي الصلوة وقال عليه السلام حب الدنيا راس كل خطيئة وثالثها انه بعد الاتيان بهذا الذنب العظيم
لم يشتغل بالتوبة والانابة البتة ورابعها انه خاطب رب العالمين بقوله ردوها علي وهذه كلمة لا يذكرها الرجل
الحصيف الا مع الخادم الخسيس وخامسها انه اتبع هذه المعاصي بعقر الخيل في سوقها واعناقها وروي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه نهى عن ذبح الحيوان الا لماكله فهذه انواع من الكبائر نسبوها الى سليمان عليه السلام مع ان لفظ القرآن
لم يدل على شيء منها وسادسها ان هذه القصص انما ذكرها الله تعالى عقيب قوله وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم
الحساب وان الكفار لما بلغوا في السفاهة الى هذا الحد قال الله تعالى لمحمد عليه السلام اصبر يا محمد على سفاهتهم واذكر
عبدنا داود وذكر قصة داود ثم ذكر عقيبها قصة سليمان وكان التقدير انه تعالى قال لمحمد عليه السلام
اصبر يا محمد على ما يقولون واذكر عبدنا سليمان وهذا الكلام انما يكون لائقا لو قلنا ان سليمان عليه السلام اتى في هذه
القصة بالاعمال الفاضلة والاخلاق الحميدة وصبر على طاعة الله واعرض عن الشهوات واللذات فاما لو كان
المقصود من قصة سليمان عليه السلام في هذا الموضع انه اقدم على الكبائر العظيمة والذنوب الجسيمة لم يكن ذكر هذه
القصة لائقا بهذا الموضع فثبت ان كتاب الله تعالى ينادي على هذه الاقوال بالفساد والغواية بل نقول
ان رباط الخيل كان مندوبا اليه في دينهم كما انه كذلك في دين محمد عليه السلام ثم ان سليمان صلى الله عليه وسلم
احتاج الى الغزو فجلس وامر باحضار الخيل وامر باجرائها وذكر اني لا احبها لاجل الدنيا ونصيب النفس وانما
احبها لامر الله وطلب تقوية دينه وهو المراد من قوله عن ذكر ربي ثم انه عليه السلام امر باعدائها وتسييرها
حتى توارت بالحجاب اي غابت عن بصره ثم امر الرائضين بان يردوا تلك الخيل اليه فلما عادت اليه
طفق يمسح سوقها واعناقها والغرض من ذلك المسح امور الاول تشريفا لها وابانة لعزتها لكونها
من اعظم الاعوان في دفع العدو الثاني انه اراد ان يظهر انه في ضبط السياسة والملك يتضع الى حيث
يباشر اكثر الامور بنفسه الثالث انه كان اعلم باحوال الخيل وامراضها وعيوبها فكان يمتحنها ويمسح سوقها
واعناقها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض فهذا التفسير الذي ذكرناه ينطبق عليه لفظ القرآن انطباقا
مطابقا موافقا ولا يلزمنا نسبة شيء من تلك المنكرات والمحظورات الى نبي من انبياء الله واقول انا
شديد التعجب من الناس كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة مع ان العقل والنقل يردها وليس لهم في اثباتها
شبهة فضلا عن حجة فان قيل فالجمهور فسروا الآية بتلك الوجوه فما قولك فيه فنقول لنا ههنا مقامان
المقام الاول ان ندعي ان لفظ الآية لا يدل على شيء من تلك الوجوه التي ذكروها وقد ظهر والحمد لله ان الامر
كما ذكرناه ظهورا لا يرتاب العاقل فيه والمقام الثاني ان يقال هب ان لفظ الآية يدل عليه الا انه كلام ذكره
الناس فلا نقول به وجوابنا ان الدلائل الكثيرة قامت على عصمة الانبياء عليهم السلام ولم يدل دليل على صحة هذه
الحكايات ورواية الآحاد لا تصلح معارضة للدلائل القوية فكيف الحكايات عن اقوام لا يبالى بهم ولا يلتفت
الى اقوالهم والله تعالى اعلم **قوله تعالى** ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب
قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي انك انت الوهاب فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب
والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الاصفاد هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب وان له عندنا
لزلفى وحسن مآب اعلم ان هذه القصة ابتداء شرح واقعة ثانية من وقائع سليمان ولاهل الحشو والرواية
فيه قول ولاهل العلم والتحقيق قول آخر اما اهل الحشو فذكروا فيه حكايات الاولى قالوا ان سليمان بلغه
خبر مدينة في البحر فخرج اليها بجنوده تحمله الريح فاخذها وقتل ملكها واخذ بنتا له اسمها جرادة من احسن الناس
وجها فاصطفاها لنفسه واسلمت فاحبها وكانت تبكي ابدا على ابيها فامر سليمان الشيطان فمثل لها صورة ابيها
فكستها مثل كسوته وكانت تذهب الى تلك الصورة بكرة وعشيا مع جواريها يسجدن له فاخبره آصف
فكسر الصورة وعاقب المراة ثم خرج وحده الى فلاة وفرش الرماد فجلس عليه تائبا الى الله تعالى

وكانت

وكانت له ام ولد يقال لها امينة اذا دخل للطهارة او لاصابة امراة وضع خاتمه عندها وكان ملكه في خاتمه فوضعه
عندها يوما واتاها الشيطان صاحب البحر على صورة سليمان فقال يا امينة خاتمي فتختم به وجلس على كرسي
سليمان فاتى الطير عليه والجن والانس وتغيرت هيئة سليمان فاتى امينة لطلب الخاتم فانكرته وطردته فعرف
ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف فاذا قال انا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه
ثم اخذ يخدم السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على هذه الحالة اربعين يوما عدد ما عبد
الوثن في بيته فانكر آصف وعظماء بني اسرائيل حكم الشيطان وسال آصف نساء سليمان فقلن ما يدع امراة منا
في دمها ولا يغتسل من جنابة وقيل بل نفذ حكمه في كل شيء الا فيهن ثم طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر
فابتلعته سمكة ووقعت السمكة في يد سليمان فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجدا لله تعالى ورجع اليه
ملكه واخذ الشيطان فجعله في صخرة والقاها في البحر والرواية الثانية ان تلك المراة لما اقدمت على عبادة
تلك الصورة افتتن سليمان وكان يسقط الخاتم من يده ولا يتماسك فيها فقال له آصف انك لمفتون بذنبك فتب
الى الله تعالى والرواية الثالثة ان سليمان قال لبعض الشياطين كيف تفتنون الناس فقال ارني خاتمك
اخبرك فلما اعطاه اياه نبذه في البحر فذهب ملكه وقعد هذا الشيطان على كرسيه ثم ذكروا الحكاية الى آخرها ادعوا في هذه
الرواية وهكذا قالوا المراد من قوله ولقد فتنا سليمان ابتلاه وقوله تعالى والقينا على كرسيه جسدا هو
جلوس ذلك الشيطان على كرسيه والرواية الرابعة انه كان قد احتجب عن الناس ثلاثة ايام فسلب
ملكه والقي على كرسيه شيطان عقوبة له واعلم ان اهل التحقيق استبعدوا هذا الكلام من وجوه الاول ان الشيطان
لو قدر على ان يتشبه بالصورة والخلقة بالانبياء فحينئذ لا يبقى اعتماد على شيء من الشرائع فلعل هؤلاء الذين رآهم الناس
في صورة محمد وعيسى وموسى عليهم السلام ما كانوا اولئك بل كانوا شياطين تشبهوا بهم في الصورة لاجل الاغواء والاضلال ومعلوم ان
ذلك يبطل الدين بالكلية الثاني ان الشيطان لو قدر على ان يعامل نبي الله سليمان بمثل هذه المعاملة لوجب ان يقدر على مثلها
مع جميع العلماء والزهاد وحينئذ يجب ان يقتلهم وان يمزق تصانيفهم وان يخرب ديارهم ولما بطل ذلك في حق آحاد
العلماء فلان يبطل مثله في حق اكابر الانبياء اولى الثالث كيف يليق بحكمة الله واحسانه ان يسلط الشيطان على ازواج سليمان
ولا شك انه قبيح الرابع لو قلنا ان سليمان اذن لتلك المراة في عبادة تلك الصورة فهذا كفر منه وان لم ياذن فيه البتة فالذنب
على تلك المراة فكيف يؤاخذ الله سليمان بفعل لم يصدر عنه فاما الوجوه التي ذكرها اهل التحقيق في هذا الباب فاشياء الاول
ان فتنة سليمان انه ولد له ابن فقالت الشياطين ان عاش صار مسلطا علينا مثل ابيه فسبيلنا ان نقتله فعلم
سليمان ذلك فكان يربيه في السحاب فبينما هو مشتغل بمهماته اذ القي ذلك الولد ميتا على كرسيه فتنبه على خطائه
في انه لم يتوكل على الله فاستغفر ربه وتاب الثاني انه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قال سليمان لاطوفن
الليلة على سبعين امراة كل واحدة تاتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله تعالى فطاف عليهن فلم تحمل الا امراة
واحدة جاءت بشق رجل والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون فذلك قوله
ولقد فتنا سليمان   بسبب مرض شديد القاه الله عليه والقينا على كرسيه منه جسدا وذلك لشدة المرض
والعرب تقول في الضعيف انه لحم على وضم وجسم بلا روح ثم اناب اي رجع الى حال الصحة فاللفظ محتمل لهذه الوجوه
ولا حاجة البتة الى حمله على تلك الوجوه الركيكة الرابع اقول لا يبعد ايضا ان يقال انه ابتلاه الله تعالى بتسليط
خوف او توقع بلاء من بعض الجهات عليه فصار بسبب قوة ذلك الخوف كالجسد الضعيف الملقى على ذلك الكرسي ثم ازال
الله عنه ذلك الخوف وعاد الى ما كان عليه من القوة وطيب القلب اما قوله تعالى قال رب اغفر لي ففيه مسائل
ان الذين حملوا الكلام المتقدم على صدور الزلة منه تمسكوا بهذه الآية فانه لولا تقدم الذنب لما طلب المغفرة ولم يمكن ان
يجاب عنه بان الانسان لا ينفك عن ترك الافضل والاولى وحينئذ يحتاج الى طلب المغفرة لان حسنات الابرار
سيئات المقربين ولانهم ابدا في مقام هضم النفس واظهار الذلة والخضوع كما قال عليه السلام واني لاستغفر الله في اليوم والليلة

فاستبعد ان يكون المراد من هذه الكلمة هذا المعنى والله اعلم ثم قال تعالى وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من
بعدي دلت هذه الايه على انه يجب تقديم مهم الدين على مهم الدنيا لان سليمان طلب المغفره اولا ثم بعده طلب المملكه
وايضا الايه تدل على ان طلب المغفره من الله تعالى سبب لانفتاح ابواب الخيرات في الدنيا لان سليمان طلب المغفره
اولا ثم توسل به الى طلب المملكه ونوح عليه السلم هكذا فعل ايضا لانه تعالى حكى عنه انه قال استغفروا ربكم انه كان
غفارا يرسل السما عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين وقال لمحمد عليه السلم وامر اهلك بالصلوه واصطبر عليها
لا نسالك رزقا نحن نرزقك ثم قال تعالى قول سليمان عليه السلم ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي يشعر بالحسد والجواب
عند القايلين بان الشيطان استولى على مملكته قالوا معنى قوله لا ينبغي لاحد من بعدي هو ان يعطيه الله ملكا
لا يقدر الشيطان على ان يقوم مقامه البته واما المنكرون لذلك فقد اجابوا عنه من وجوه الاول ان الملك
هو القدره فكان المراد اقدرني على اشيا لا يقدر عليها غيري البته ليصير اقتداري عليها معجزه تدل على
صحة نبوتي ورسالتي والدليل على صحة هذا الكلام انه تعالى قال بعده فسخرنا له الريح تجري بامره رخا
حيث اصاب فكون الريح جاريا بامره قدره عجيبه وملك عجيب ولا شك انه معجزه داله على نبوته
فكان قوله هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي هو هذا المعنى لان شرط المعجزه ان لا يقدر احد على معارضتها
فقوله لا ينبغي لاحد من بعدي لا يقدر احد على معارضتها والوجه الثاني في الجواب انه عليه السلم
لما مرض ثم عاد الى الصحه عرف ان خيرات الدنيا صايره الى الغير بارث او بسبب اخر فسال ربه ملكا
لا يمكن ان ينتقل منه الى غيره وذلك ملك الدين فقوله ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي اي ملكا لا يمكن ان ينتقل عني
الى غيري والوجه الثالث في الجواب ان الاحتراز عن طيبات الدنيا مع القدره عليها اشق من الاحتراز عنها حال
عدم القدره عليها فكانه قال يا الهي اعطني مملكه فايقه على ممالك البشر بالكليه حتى احترز عنها مع القدره
عليها ليصير ثوابي اكمل وافضل الوجه الرابع من الناس من يقول الاحتراز عن لذات الدنيا
عسر صعب لان هذه اللذات حاضره وسعادات الاخره نسيه والنقد يصعب بيعه بالنسيه فقال
سليمان اعطني يا رب مملكه تكون اعظم الممالك الممكنه للبشر حتى انا ابقى مع تلك القدره الكامله في غاية الاحتراز
عنها ليظهر للخلق ان حصول الدنيا لا يمنع من خدمة المولى الوجه الخامس ان من لم يقدر على الدنيا
يبقى ملتفت القلب اليها فيظن ان فيها سعادات عظيمه وخيرات نافعه فقال سليمان يا رب
العزه اعطني اعظم الممالك حتى يقف الناس على كمال حالها فحينيذ يظهر للعقل انه ليس فيها
فايده وحينيذ يعرض القلب عنها ولا يلتفت اليها ويشتغل بالعبوديه ساكن النفس غير مشغول
القلب بعلايق الدنيا ثم قال تعالى فسخرنا له الريح تجري بامره رخا حيث اصاب رخا اي
رخوه لينه وهي من الرخاوه والريح اذا كانت لينه لا تزعزع ولا تمتنع عليه كانت طيبه فان
قيل اليس انه تعالى قال في اية اخرى ولسليمان الريح عاصفه قلنا الجواب من
وجهين الاول انه لا منافاه بين الايتين فان المراد ان تلك الريح كانت في قوة الرياح العاصفه الا
انها لما جرت بامره كانت لذيذه طيبه فكانت رخا والوجه الثاني من الجواب ان تلك الريح
كانت لينه مره وعاصفه اخرى ولا منافاه بين الايتين وقوله تعالى حيث اصاب اي قصد واراد
وحكى الاصمعي عن العرب انهم يقولون اصاب الصواب فاخطا الجواب وعن روبه ان رجلين
من اهل اللغه قصداه ليسالاه عن هذه الكلمه فخرج اليهما فقال اين تصيبان فقالا هذا
مطلوبنا وبالجمله فالمقصود انه تعالى جعل الريح مسخره له حتى صارت تجري على وفق ارادته
ثم قال والشياطين كل بنا وغواص اي وسخرنا له الشياطين وقوله كل بنا بدل
من الشياطين ولفظ غواص عطف على بنا كل بنا وهو بدل الكل من الكل كانوا يبنون له ما يشا من الابنيه

ويغوصون

ويغوصون له فيستخرجون اللولو وقوله مقرنين يقال قرنهم في الحبال والسلاسل والتقرين للتكثير والاصفاد
الاغلال واحدها صفد والصفد العطيه ايضا قال النابغه ولم اعرض ابيت اللعن بالصفد فعلى هذا
الصفد القيد وكل من شددته شدا وثيقا فقد صفدته وكل من اعطيته عطا جزلا فقد اصفدته
وهاهنا بحث وهو ان هذه الايات داله على ان الشياطين لها قوه عظيمه وبسبب تلك القوه قدروا على
بنا الابنيه العظيمه التي لا يقدر عليها البشر وقدروا على الغوص في البحار واحتاج سليمان عليه السلام
الى تقييدهم ولقايل ان يقول ان هذه الشياطين اما ان تكون اجسادهم كثيفه او لطيفه فان كان الاول
وجب ان يراهم من كان صحيح الحاسه اذ لو جاز ان لا نراهم مع كثافة اجسادهم فليجز ان تكون بحضرتنا
جبال عاليه واصوات هايله ولا نراها ولا نسمعها وذلك دخول في السفسطه وان كان الثاني وهو ان
اجسادهم ليست كثيفه بل لطيفه رقيقه فمثل هذا يمتنع ان يكون موصوفا بالقوه الشديده وايضا لزم ان
تتفرق اجسادهم وان تتمزق بسبب الرياح القويه وان يموتوا في الحال وذلك يمنع من وصفهم بالشده والقوه
وايضا الجن والشياطين ان كانوا موصوفين بهذه القوه والشده فلم لا يقتلون العلما والزهاد في زماننا
ولم لا يخربون ديار الناس مع ان المسلمين يبالغون في اظهار لعنهم وعداوتهم وحيث لم يحس شي
من ذلك علمنا ان القول باثبات الجن والشياطين ضعيف واعلم ان اصحابنا يجوزون ان تكون
اجسامهم كثيفه مع انا لا نراها وايضا لا يبعد ان يقال اجسامهم لطيفه بمعنى عدم اللون
ولكنها صلبه بمعنى انها لا تقبل التفرق والتمزق واما الجبائي فقد سلم انها كانت كثيفة الاجسام
وزعم ان الناس كانوا يشاهدونهم في زمان سليمان ثم انه لما توفي سليمان عليه السلم امات الله اوليك
الجن والشياطين وخلق نوعا اخر من الجن والشياطين تكون اجسامهم في غاية الرقه ولا يكون لهم
شي من القوه والموجود في زماننا من الجن والشياطين ليس الا من هذا الجنس والله اعلم ثم قال تعالى
هذا عطاونا فامنن او امسك بغير حساب [illegible]
[illegible] اعطيناك [illegible]
[illegible] قال تعالى [illegible]
[illegible] وان له عندنا لزلفى [illegible]
القصه الثالثه واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه اني مسني الشيطان بنصب وعذاب
اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ووهبنا له اهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لاولي الالباب
وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب اعلم ان هذا هو
القصه الثالثه [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
ايوب عطف بيان واذ بدل اشتمال [illegible]
[illegible] بضم النون [illegible]
كالرشد والرشد والعدم والعدم والسقم والسقم [illegible]
[illegible] والعذاب [illegible]
[illegible]

راحم وذكر الله تعالى لفظين وهما النصب والعذاب المسألة الثالثة للناس في هذا الموضع قولان احدهما
ان الآلام والاسقام الحاصلة في جسمه انما حصلت بفعل الشيطان والثاني انها انما حصلت بفعل الله تعالى
والعذاب المضاف في هذه الآية الى الشيطان هو عذاب الوسوسة والقاء الخواطر الفاسدة اما القول
الاول فتقريره ما روي ان ابليس سال ربه تعالى فقال هل في عبيدك من لو سلطتني عليه لامتنع مني فقال الله
نعم عبدي ايوب فجعل ياتيه بوسوسته وهو يرى ابليس عيانا فلم يلتفت اليه فقال رب انه قد امتنع علي
فسلطني على ماله وكان يجيئه ويقول له هلك من مالك كذا وكذا فيقول الله اعطى والله اخذ ثم يحمد الله
فقال يا رب ان ايوب لا يبالي بماله فسلطني على ولده فجاء وزلزل الدار فهلك اولاده بالكلية فجاءه واخبره به
فلم يلتفت اليه فقال يا رب انه لا يبالي بماله وولده فسلطني على جسده فاذن فيه فنفخ في جلد ايوب وحدثت
اسقام عظيمة وآلام شديدة فمكث في ذلك البلاء سنين حتى صار بحيث استقذره اهل بلده فخرج الى
الصحرا وما كان يقرب منه احد فجا الشيطان الى امراته وقال ان زوجك ان استغاث بي خلصته من هذا
البلا فذكرت المراة ذلك لزوجها فحلف بالله لئن عافاه الله ليجلدها مائة جلدة وعند هذه الواقعة
دعا الله سبحانه وقال اني مسني الشيطان بنصب وعذاب فاجاب الله دعاه واوحى اليه ان اركض
برجلك فاظهر الله تعالى من تحت رجله عينا باردة طيبة فاغتسل منها فاذهب الله عنه كل داء
في ظاهره وباطنه ورد عليه اهله وماله والقول الثاني ان الشيطان لا قدرة له
البتة على ايقاع الناس في الامراض والاسقام والدليل عليه وجوه الاول انا لو جوزنا حصول
الموت والحياة والصحة والمرض من الشيطان فلعل الواحد منا انما وجد الحياة بفعل الشيطان ولعل كل
ما حصل عندنا من الخيرات والسعادات فقد حصل بفعل الشيطان وحينئذ لا يكون لنا سبيل الى ان
نعرف ان معطي الحياة والموت والصحة والسقم هو الله تعالى الثاني ان الشيطان لو قدر على ذلك فلم
لا يسعى في قتل الانبياء والاولياء ولم لا يخرب دورهم ولم لا يقتل اولادهم الثالث انه تعالى حكى عن الشيطان
انه قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فصرح بانه لا قدرة له في حق البشر
الا على القاء الوساوس والخواطر الفاسدة وذلك يبطل قول من يقول ان الشيطان هو
الذي القاه في تلك الامراض والآفات فان قال قائل لم لا يجوز ان يقال ان الفاعل لهذه الاحوال هو
الله تعالى لكن على وفق التماس الشيطان قلنا فاذا كان لا بد من الاعتراف بان خالق تلك الآلام
والاسقام هو الله تعالى فاي فائدة في جعل الشيطان واسطة في ذلك بل الحق ان المراد من قوله
اني مسني الشيطان بنصب وعذاب انه بسبب القاء الوساوس الفاسدة والخواطر الباطلة كان
يلقيه في انواع العذاب والعنا ثم القائلون بهذا القول اختلفوا في ان تلك الوساوس كيف كانت
وذكروا فيه وجوها الاول ان علته كانت شديدة الالم ثم طالت مدة تلك العلة واستقذره الناس
ونفروا عن مجاورته ولم يبق له شي من الاموال البتة وامراته كانت تخدم الناس وتحصل
قدر القوت ثم بلغت نفرة الناس عنه الى ان منعوا امراته من الدخول عليهم ومن الاشتغال
بخدمتهم والشيطان كان يذكره النعم التي كانت والآفات التي حصلت وكان يحتال في دفع تلك الوساوس
فلما قويت تلك الوساوس في قلبه خاف وتضرع الى الله وقال اني مسني الشيطان بنصب وعذاب
لانه كلما كانت تلك الخواطر اكثر كان تالم قلبه منها اشد الثاني انها لما طالت مدة المرض جاءه الشيطان
وكان يقنطه من ربه ويزين له ان يجزع فخاف من خاطر القنوط في قلبه فتضرع الى الله
وقال اني مسني الشيطان الثالث قيل ان الشيطان لما قال لامراته ان اطاعني زوجك ازلت
عنه هذه الآفات فذكرت المراة ذلك له فغلب على ظنه ان الشيطان طمع في دينه فاشتد ذلك عليه

وتضرع

وتضرع الى الله تعالى وقال اني مسني الشيطان بنصب وعذاب الرابع عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه بقي ايوب في البلا ثماني عشرة سنة حتى رفضه القريب والبعيد الا رجلان ثم قال احدهما لصاحبه لقد اذنب
ايوب ذنبا ما اتى به احد من العالمين ولولاه لما وقع في هذا البلا فذكروا ذلك لايوب فقال لا ادري ما تقولان
غير ان الله يعلم اني كنت امر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله تعالى فارجع الى بيتي فاكفر عنهما كراهية
ان يذكر الله الا في حق الخامس قيل ان امراته كانت تخدم الناس فتاخذ منهم قدر القوت وتجيء به
الى ايوب فاتفق انهم ما استخدموها البتة وطلب بعض النسا منها قطع احدى ذوابتيها على ان تعطيها قدر القوت
ففعلت ثم في اليوم الثاني فعلت مثل ذلك فلم يبق لها ذوابة وكان ايوب عليه السلام اذا اراد ان يتحرك
على فراشه تعلق بتلك الذوابة فلما لم يجد الذوابة وقعت الخواطر الموذية في قلبه واشتد غمه فعند ذلك
قال مسني الشيطان بنصب وعذاب السادس قال في بعض الايام يا رب لقد علمت ما اجتمع علي امران
الا آثرت طاعتك ولما اعطيتني المال كنت للارامل قيما ولابن السبيل معينا ولليتامى ابا فنودي من غمامة
يا ايوب ممن كان ذلك التوفيق فاخذ ايوب التراب ووضعه على راسه فقال منك يا رب ثم خاف من الخاطر الاول
فقال مسني الشيطان بنصب وعذاب وقد ذكروا اقوالا اخرى والله اعلم بحقيقة الحال وسمعت بعض
اليهود يقول ان لموسى بن عمران صلوات الله عليه كتابا مفردا في واقعة ايوب وحاصل ذلك الكتاب ان
ايوب كان رجلا كثير الطاعة لله تعالى مواظبا على العبادة مبالغا في التعظيم لامر الله والشفقة على خلق
الله ثم انه وقع في البلا الشديد والعنا العظيم فهل كان ذلك لحكمة ام لا فان كان ذلك لحكمة فمن المعلوم انه ما اتى
بجرم في الزمان السابق حتى يجعل ذلك العذاب في مقابلة ذلك الجرم وان كان ذلك لكثرة الثواب فالاله
الحكيم الرحيم قادر على ايصال كل خير ومنفعة اليه من غير توسط تلك الآلام الطويلة والاسقام الكريهة
وحينئذ يبقى في تلك الافعال وذكروا فيه دلائله وتعليله كلمات ظاهرة جلية ومن اقر على ان الله تعالى يجل
منزه عن التعليل بالمصالح والمفاسد فالحق الصريح انه لا يسال عما يفعل وهم يسالون المسالة الرابعة
لفظ الآية يدل على ان ذلك النصب والعذاب انما حصل من الشيطان ثم ذلك العذاب على القول الاول عبارة عما حصل
في بدنه من الامراض وعلى القول الثاني عبارة عن الاحوال الحاصلة في قلبه بسبب القاء الوسوسة وعلى التقديرين
فيلزم اثبات الفعل للشيطان واجاب اصحابنا بانا لا ننكر اثبات الفعل للشيطان لكنا نقول فعل العبد
مخلوق لله تعالى على التفصيل المعلوم اما قوله تعالى اركض برجلك فالمعنى انه لما شكا من الشيطان
فكانه سال ربه ان يزيل عنه تلك البلية فاجابه الله اليه بان قال له اركض برجلك والركض هو الدفع
القوي بالرجل ومنه ركضت الفرس والتقدير قلنا له اركض برجلك قيل انه ضرب برجله تلك الارض
فنبعت عين فقيل هذا مغتسل بارد وشراب اي هذا ما تغتسل به فيبرا ظاهرك وتشرب منه
فيبرا باطنك وظاهر اللفظ يدل على انه نبعت له عين واحدة من الما اغتسل فيه وشرب منه و
المفسرون قالوا نبعت له عينان فاغتسل من احدهما وشرب من الاخرى فذهب الدا من ظاهره و
باطنه باذن الله وقيل ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها ثم باليسرى فنبعت
باردة فشرب منها ثم قال تعالى ووهبنا له اهله فقيل فيهم من عاش وقيل زيد له مثلهم
وقيل غيرهم مثلهم والاولى انه هو الظاهر فلا يجوز العدول عنه من غير ضرورة ثم اختلفوا فقال
بعضهم معناه ازلنا عنهم السقم فعادوا اصحاء وقال بعضهم بل حضروا عنده بعد ان غابوا عنه فاجتمعوا
بعد ان تفرقوا وقال بعضهم بل تمكن منهم وتمكنوا منه فيما يتصل بالعشرة والخدمة اما قوله تعالى ومثلهم
معهم فالاقرب انه تعالى متعه بصحته وبماله وقواه حتى كثر نسله وصار اهله ضعف ما كان
واضعاف ذلك وقال الحسن المراد بهبة الاهل انه تعالى احياهم بعد ان هلكوا ثم قال تعالى

رحمة منا اى انما فعلنا كل هذه الافعال على سبيل الفضل والرحمة لا على اللزوم ثم قال وذكرى لاولى الالباب
يعنى سلطنا البلا عليه اولا فصبر ثم ازلنا عنه البلاء واوصلناه الى الآلاء والنعم تنبيها لاولى الالباب على
ان من صبر ظفر والمقصود منه التنبيه على ما وقع ابتداء الكلام به وهو قوله تعالى لمحمد اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا
داود وقالت المعتزلة قوله تعالى رحمة منا وذكرى لاولى الالباب يعنى انما فعلنا ما فعلنا لهذه الاغراض والمقاصد
وذلك يدل على ان افعال الله واحكامه معللة بالاغراض والمصالح والكلام فى هذا الباب قد مر غير مرة اما
قوله تعالى وخذ بيدك ضغثا فهو معطوف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من حشيش او ريحان او غير
ذلك واعلم ان هذا الكلام يدل على تقدم يمين منه وفى الخبر انه حلف على اهله ثم اختلفوا فى السبب الذى
لاجله حلف عليها ويبعد ما قيل انها رغبته فى طاعة الشيطان ويبعد ايضا ما روى انها قطعت الذوائب عن
راسها لان المضطر يباح له ذلك بل الاقرب انها خالفته فى بعض المهمات وذلك انها ذهبت فى بعض المهمات
فابطات فحلف فى مرضه ليضربنها مائة اذا برئ ولما كانت حسنة الخدمة له لا جرم حلل الله يمينه باهون شئ عليه
وعليها وهذه الرخصة باقية وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه اتى بمخدج قد خبث بامة فقال خذوا عثكالا
فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة ثم قال تعالى انا وجدناه صابرا فان قيل كيف وجده صابرا
وقد شكا اليه والجواب من وجوه الاول انه شكا من الشيطان اليه وما شكا منه الى احد والثانى
ان الالم حين كان على الجسد لم يذكر شيئا فلما عظمت الوساوس خاف على القلب والدين فتضرع الثالث
ان الشكاية الى الله لا تقدح فى الصبر ثم قال تعالى نعم العبد انه اواب ذهب اهل العلم الى ان
تشريف نعم العبد انما حصل لكونه اوابا وسمعت بعضهم قال لما نزل قوله تعالى نعم العبد فى حق سليمان
تارة وفى حق ايوب اخرى عظم الغم فى قلوب امة محمد عليه السلم وقالوا ان قوله نعم العبد تشريف عظيم فان
احتجنا الى تحمل مثل بلوى ايوب لم نقدر عليه فكيف السبيل الى تحصيله فانزل الله تعالى قوله نعم المولى ونعم النصير
والمراد انك ان لم تكن نعم العبد فانا نعم المولى وان كان منك الفضول فمنى الفضل والعدل وان كان منك
التقصير فمنى الرحمة والتيسير **قوله تعالى** واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب
اولى الايدى والابصار انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار واذكر اسمعيل و
اليسع وذا الكفل وكل من الاخيار فى الآية مسائل المسألة الاولى قرأ ابن كثير عبدنا على الواحد
وهو قراءة ابن عباس وتقول ان قوله عبدنا تشريف عظيم فوجب ان يكون هذا التشريف مخصوصا باعظم
الناس المذكورين فى هذه الآية وهو ابرهيم وقرأ الباقون عبادنا قالوا لان غير ابرهيم من الانبياء قد اجرى
عليه هذا الوصف فجاء فى عيسى ان هو الا عبد انعمنا عليه وفى ايوب نعم العبد وفى نوح انه كان
عبدا شكورا فمن قرأ عبدنا جعل ابرهيم وحده عطف بيان له ثم عطف ذريته على عبدنا وهى اسحق
ويعقوب ومن قرأ عبادنا جعل ابرهيم واسحق ويعقوب عطف بيان لعبادنا المسألة الثانية
تقدير الآية كانه قال تعالى فاصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود واذكر عبادنا ابرهيم
اى واذكر يا محمد صبر ابرهيم حين القى فى النار وصبر اسحق للذبح وصبر يعقوب حين فقد
ولده وذهب بصره ثم قال اولى الايدى والابصار واعلم ان اليد آلة لاكثر الاعمال والبصر آلة
لاقوى الادراكات فحسن التعبير عن العمل باليد وعن الادراك بالبصر اذا عرفت هذا فنقول
النفس الناطقة الانسانية لها قوتان عاملة وعالمة اما القوة العاملة فاشرف ما يصدر عنها طاعة
الله تعالى واما القوة العالمة فاشرف ما يصدر عنها معرفة الله وما سوى هذين القسمين من الاعمال والمعارف
فكالعبث والباطل فقوله اولى الايدى والابصار اشارة الى هاتين الحالتين ثم قال تعالى
انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وفيه مسائل المسألة الاولى قرأ نافع بخالصة ذكرى بغير تنوين على الاضافة

فمن نون

فمن نون كان التقدير اخلصناهم بخصلة خالصة لا شوب فيها وهى ذكرى الدار
ومن قرأ بالاضافة فالمعنى ما خلص من ذكرى الدار يعنى ان ذكرى الدار قد يكون لله وقد يكون لغير الله والمعنى
انا اخلصناهم بسبب ما خلص من هذا الذكر المسألة الثانية فى ذكرى الدار وجوه الاول المراد انهم استغرقوا فى
ذكرى الدار الآخرة وبالغوا فى هذا الذكر حتى نسوا الدنيا الثانى المراد حصول الذكر الجميل الرفيع لهم فى الدار الآخرة
الثالث المراد انه تعالى ابقى لهم الذكر الجميل فى الدنيا وقبل دعاءهم فى قوله واجعل لى لسان صدق فى الآخرين ثم قال
تعالى وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار اى المختارين من ابناء جنسهم والاخيار جمع خير او خير على التخفيف
كالاموات فى جمع ميت او ميت واحتج العلماء بهذه الآية فى اثبات عصمة الانبياء قال لانه تعالى حكم عليهم بكونهم اخيارا
على الاطلاق وهذا يعم حصول الخيرية فى جميع الافعال والصفات بدليل صحة الاستثناء منه رفع الاجمال
ثم قال واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار وهم قوم آخرون من الانبياء تحملوا الشدائد فى دين الله
وقد ذكرنا الكلام فى شرح هذه الاسماء فى سورة الانعام فلا فائدة فى الاعادة وهذا آخر الكلام
فى قصص الانبياء فى هذه السورة **قوله تعالى** هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب جنات
عدن مفتحة لهم الابواب متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف اتراب
هذا ما توعدون ليوم الحساب ان هذا لرزقنا ما له من نفاد اعلم ان قوله هذا ذكر [illegible] الله تعالى
لما شرع فى ذكر احوال الانبياء عليهم السلام لاجل ان يصبر محمدا على سفاهة قومه فلما تمم بيان هذا الطريق واراد
ان يذكر عقيبه طريقا آخر يوجب الصبر على سفاهة الجهال اراد ان يميز احد البابين عن الآخر فلا جرم قال
هذا ذكر ثم شرع فى الباب الثانى فكما ان المصنف اذا تمم كلاما قال هذا باب ثم شرع
فى باب آخر واذا فرغ الكاتب من فصل من كتابه واراد الشروع فى آخر قال هذا وقد كان كذا والدليل عليه انه
لما تمم ذكر اهل الجنة واراد ان يردفه بذكر اهل النار قال هذا وان للطاغين لشر مآب الوجه الثانى
فى التأويل ان المراد هذا شرف وذكر جميل لهؤلاء الانبياء يذكرون به ابدا والاول هو الصحيح اما قوله وان للمتقين
لحسن مآب فاعلم انه تعالى لما حكى عن كفار قريش سفاهتهم على النبى صلى الله عليه وسلم بان وصفوه بانه ساحر
كذاب وقالوا على سبيل الاستهزاء ربنا عجل لنا قطنا ثم انه تعالى امر محمدا بالصبر على تلك السفاهة وبين ان ذلك الصبر
لازم من وجهين الاول انه تعالى بين ان الانبياء المتقدمين صبروا على المكاره فانت احق بذلك [illegible] فى هذا
المعنى الثانى انه تعالى بين فى هذه الآية ان من اطاع الله فان له من الثواب كذا وكذا وكل من خالفه كان له من العقاب
كذا وكذا وكل ذلك يوجب الصبر على تكاليف الله تعالى وهذا نظم حسن وترتيب لطيف اما قوله تعالى وان للمتقين
لحسن مآب فالمراد المرجع واحتج القائلون بتقدم الارواح على الاجساد بهذه الآية وقالوا انه يشتمل على لفظ الرجوع انما يصدق
لو كانت هذه الارواح موجودة قبل الاجساد وكانت فى حضرة جلال الله ثم تعلقت بالابدان فعند انفصالها عن الابدان يسمى
ذلك انصرافا ومآبا واجيب بان هذا لو دل فانما يدل على ان الارواح كانت موجودة قبل الابدان ولا يدل على تقدم الارواح
ثم قال تعالى جنات عدن وهو بدل من لحسن مآب ثم قال مفتحة لهم الابواب وفيه مسائل المسألة الاولى
ذكروا فى ناصب هذا اللفظ وجوها الاول قال الفراء معناه مفتحة لهم ابوابها والعرب تجعل الالف واللام خلفا
من الاضافة تقول العرب مررت برجل حسن الوجه فالالف واللام فى الوجه بدل من الاضافة الثانى قال الزجاج
المعنى مفتحة لهم الابواب منها الثالث قال صاحب الكشاف الابواب بدل من الضمير فى مفتحة وهى من ابدال
كل من كل كقوله ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال المسألة الثانية قرئ جنات عدن مفتحة بالرفع
على تقدير ان يكون قوله جنات عدن مبتدأ ومفتحة خبره او كلاهما خبر مبتدأ محذوف اى هو جنات عدن هى مفتحة
لهم المسألة الثالثة اعلم انه تعالى وصف احوال اهل الجنة فى هذه الآية باشياء الاول احوال مساكنهم
فقوله جنات عدن يدل على امرين احدهما كونها جنات وبساتين والثانى كونها دائمة آمنة من الانقضاء وقوله

مفتحة لهم الأبواب وفيه وجهان الأول أن يكون المعنى أن الملائكة الموكلين بالجنان إذا رأوا صاحب الجنة فتحوا
له أبوابها وحيوه بالسلام فيدخل كذلك محفوفا بالملائكة على أعز حال وأجمل هيئة قال تعالى
حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين الثاني أن تلك الأبواب
كلما أرادوا انفتاحها انفتحت لهم وكلما أرادوا انغلاقها انغلقت لهم الثالث المراد من هذا الفتح وصف تلك
المساكن بالسعة وقرة العيون فيها وفتح هذه الأبواب اللذيذة الطيبة ثم قال تعالى متكئين فيها
وفيه مباحث الأول أنه تعالى ذكر في هذه الآية كونهم متكئين في الجنة وذكر في سائر الآيات كيفية ذلك الاتكاء
فقال في آية على الأرائك متكئون وقال في آية أخرى متكئين على رفرف خضر الثاني قوله متكئين فيها
حال قدمت على العامل فيها وهو قوله يدعون فيها والمعنى يدعون في الجنات متكئين فيها بفاكهة كثيرة و
شراب والمعنى بألوان الفاكهة وألوان الشراب والتقدير بفاكهة كثيرة وشراب كثير والسبب في هذا المعنى
أن ديار العرب حارة قليلة الفواكه والأشربة فرغبهم الله فيه ولما بين الله تعالى أمر المسكن وأمر المأكول والمشروب
ذكر عقيبه أمر المنكوح فقال وعندهم قاصرات الطرف وقد مر تفسيره في سورة الصافات وبالجملة فالمعنى كونهن
قاصرات الطرف عن غيرهم مقصورات الطرف على محبتهم وقوله أتراب أي على سن واحد ويحتمل كون الحور
أترابا ويحتمل كونهن أترابا للأزواج في السن والجمال [illegible] اعتبار هذه الصفة أنهن لما تشابهن في الصفة
والسن والحلية كان الميل إليهن على السوية وذلك يقتضي عدم الغيرة ثم قال تعالى هذا ما توعدون
ليوم الحساب يعني أن الله تعالى وعد المتقين بالثواب الموصوف بهذه الصفة ثم إنه تعالى أخبر عن دوام هذا
الثواب فقال إن هذا لرزقنا ما له من نفاد هذا وإن للطاغين لشر مآب جهنم يصلونها فبئس المهاد
هذا فليذوقوه حميم وغساق وآخر من شكله أزواج هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار قالوا
بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار وقالوا ما لنا
لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار إن ذلك لحق تخاصم أهل النار اعلم
أنه تعالى لما وصف ثواب المتقين وصف بعده عقاب الطاغين لتكون الوعيد مذكورا عقيب الوعد و
الترهيب عقيب الترغيب واعلم أنه تعالى ذكر من أحوال أهل النار أنواعا فالأول مرجعهم ومآبهم فقال تعالى
وإن للطاغين لشر مآب وهذا في مقابلة قوله وإن للمتقين لحسن مآب فبين تعالى أن حال الطاغين مناقض
لحال المتقين واختلفوا في المراد بالطاغين فأكثر المفسرين حملوه على الكفار وقال الجبائي إنه محمول
على أصحاب الكبائر سواء كانوا كفارا أو لم يكونوا كذلك واحتج الأولون بوجوه الأول أن قوله لشر مآب
يقتضي أن يكون مآبهم شرا من مآب غيرهم وذلك لا يليق إلا بالكفار الثاني أنه تعالى حكى عنهم أنهم قالوا أتخذناهم
سخريا وذلك لا يليق إلا بالكفار لأن الفاسق لا يتخذ المؤمن سخريا والثالث أنه اسم ذم والاسم المطلق محمول
على الكامل والكامل في الطغيان هو الكافر واحتج الجبائي على صحة قوله بقوله تعالى إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى
وهذا يدل على أن الوصف بالطغيان قد يحصل في صاحب الكبيرة لأن كل من جاوز عن تكاليف الله و
تعداها فقد طغى إذا عرفت هذا فنقول قال ابن عباس رضي الله عنهما إن الذين طغوا وكذبوا
رسلي لهم شر مآب أي شر مرجع ومصير ثم قال جهنم يصلونها والمعنى أنه تعالى لما حكم بأن للطاغين
لهم شر مآب فسره بجهنم يصلونها ثم قال فبئس المهاد وهو كقوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش
شبه الله تعالى ما تحتهم من النار بالمهاد الذي يفترشه النائم ثم قال تعالى هذا فليذوقوه حميم وغساق
وفيه مسائل المسألة الأولى فيه وجهان الأول أنه على التقديم والتأخير والتقدير هذا حميم وغساق فليذوقوه
الثاني أن يكون التقدير جهنم يصلونها فبئس المهاد هذا فليذوقوه ثم يبتدئ فيقول حميم وغساق أي
منه حميم ومنه غساق المسألة الثانية الغساق بالتخفيف والتشديد فيه وجوه الأول أن الغساق ما يغسق من صديد

أهل النار

أهل النار يقال غسقت العين إذا سال دمعها وقال ابن عمر هو القيح الذي يسيل منهم يجمع فيسقونه الثاني
قيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وذكر الأزهري أن الغاسق البارد ولهذا قيل لليل غاسق
لأنه أبرد من النهار الثالث الغساق المنتن حكى الزجاج لو قطرت منه قطرة في المغرب لأنتنت أهل المشرق
الرابع قال كعب الغساق عين في جهنم يسيل إليها كل ذات حمة من عقرب وحية المسألة الثالثة
قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم غساق بتشديد السين حيث كان والباقون بالتخفيف قال أبو علي الفارسي
الاختيار التخفيف لأنه إذا شدد لم يخل من أن يكون اسما أو صفة فإن كان اسما فالأسماء لم تجئ على هذا الوزن
إلا قليلا وإن كان صفة فقد أقيم مقام الموصوف والأصل خلافه ثم قال تعالى وآخر من شكله أزواج
وفيه مسائل المسألة الأولى قرأ أبو عمرو وأخر بضم الألف على جمع أخرى أي أصناف أخر من العذاب وهي قراءة
مجاهد والباقون وآخر على الواحد أي عذاب آخر أما على القراءة الأولى فقوله وأخر أي ومذوقات أخر من شكله
هذا المذوق أي من مثله في الشدة والفظاعة أزواج أي أجناس وأما القراءة الثانية فالتقدير وعذاب
آخر أو مذوق آخر وأزواج صفة لآخر لأنه يجوز أن يكون ضروبا أو صفة للثلاثة وهي حميم وغساق وآخر من
شكله قال صاحب الكشاف وقرئ من شكله بالكسر وهي لغة وأما الغنج فبالكسر لا غير والله أعلم
واعلم أنه تعالى لما وصف مسكن الطاغين ومأكولهم حكى أحوالهم مع الذين كانوا أحبابا لهم في الدنيا أولا
ثم مع الذين كانوا أعداء لهم في الدنيا ثانيا أما الأول فهو قوله تعالى هذا فوج مقتحم معكم واعلم أن هذا حكاية
كلام رؤساء أهل النار يقوله بعضهم لبعض بدليل ما حكى بعده من قول الأتباع قالوا بل أنتم لا مرحبا
بكم أنتم قدمتموه لنا وقيل إن قوله هذا فوج مقتحم معكم كلام الخزنة لرؤساء الكفرة في أتباعهم وقوله لا مرحبا بهم إنهم صالوا
النار كلام الرؤساء وقوله تعالى هذا فوج مقتحم معكم أي هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار كما كانوا قد اقتحموا معكم
في الجهل والضلال ومعنى اقتحم معكم النار أي دخل النار في صحبتكم والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها
والقحمة الشدة وقوله تعالى لا مرحبا بهم دعاء منهم على أتباعهم تقول لمن تدعو له مرحبا أي أتيت رحبا
من البلاد لا ضيقا أو رحبت بلادك رحبا ثم تدخل عليه كلمة لا في دعاء السوء وقوله بهم بيان للمدعو
عليهم إنهم صالوا النار تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم ونظير هذه الآية قوله تعالى كلما دخلت أمة لعنت أختها
قالوا أي الأتباع بل أنتم لا مرحبا بكم يريدون أن الدعاء الذي دعوتم به علينا أيها الرؤساء أنتم أحق به وعللوا
ذلك بقولهم أنتم قدمتموه لنا والضمير للعذاب أو لصليهم فإن قيل ما معنى تقديمهم العذاب لهم
قلنا الذي أوجب التقديم هو عمل السوء قال تعالى ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم
إلا أن الرؤساء لما كانوا هم السبب فيه بإغوائهم وكان العذاب جزاءهم عليه قيل أنتم قدمتموه لنا
فجعل الرؤساء هم المقدمين وجعل الجزاء هو المقدم والضمير في قوله تعالى قدمتموه كناية عن الطغيان الذي دل
عليه قوله وإن للطاغين لشر مآب وقوله تعالى فبئس القرار أي بئس المستقر والمسكن جهنم قال
الأتباع ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا أي مضاعفا ومعناه ذا ضعف ونظيره قوله تعالى
ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا وكذلك قوله تعالى إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا
ربنا آتهم ضعفين من العذاب فإن قيل كل مقدار يفرض من العذاب فإن كان بقدر الاستحقاق لم يكن مضاعفا
وإن كان زائدا عليه كان ظلما وإنه لا يجوز قلنا المراد قوله عليه السلام من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من
عمل بها إلى يوم القيامة والمعنى أنه يكون أحد القسمين عذاب الضلال والثاني عذاب الإضلال والله أعلم
وها هنا آخر شرح أحوال الكفار مع الذين كانوا أحبابا لهم في الدنيا وأما شرح أحوالهم مع الذين كانوا
أعداء لهم في الدنيا فهو قوله وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار يعني الكفار إذا نظروا
في جوانب جهنم فيقولون ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار يعنون فقراء المسلمين الذين لا يؤبه بهم

وسخريهم من الاشرار اما معنى الذين لا خير فيهم ولا جدوى او لانهم كانوا على خلاف دينهم فكانوا عندهم
اشرارا ثم قالوا اتخذناهم سخريا وفيه مسائل المسألة الاولى قرا ابو عمرو وحمزة والكسائي من الاشرار
اتخذناهم والباقون بفتحها على الاستفهام وقال ابو عبيد بالوصل نقرا لان الاستفهام قد تقدم في قوله
ما لنا لا نرى رجالا ولان المشركين لا يشكون في انهم اتخذوا المومنين في الدنيا سخريا لانه تعالى قد اخبر عنهم بذلك
في قوله فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكري فكيف يحسن ان يستفهموا عن شيء علموه اجاب الفراء عنه
بان قال هذا من الاستفهام الذي معناه التعجب والتوبيخ ومثل هذا الاستفهام جائز عن الشيء المعلوم اما
وجه قول من الحق الهمزة للاستفهام انه لا بد من المصير اليه ليعادل قوله اتخذناهم بام في قوله ام زاغت عنهم
فان قيل فما الجملة المعادلة لقوله ام زاغت على القراءة الاولى قلنا انها محذوفة والمعنى امفقودون
هم ام زاغت عنهم الابصار المسألة الثانية قرا نافع سخريا بضم السين والباقون بكسرها قيل هما بمعنى
وقيل بالكسر هو الهزء وبالضم هو التذليل والتسخير المسألة الثالثة اختلفوا في نظم الاية على قولين
بناء على القراءتين المذكورتين اما القراءة على سبيل الاخبار فالتقدير ما لنا لا نراهم حاضرين لاجل انهم لحقارتهم
تركوا او لاجل انه زاغت عنهم الابصار ووقع التعبير عن حقارتهم بقولهم اتخذناهم سخريا واما القراءة على سبيل
الاستفهام فالتقدير لاجل انا قد اتخذناهم سخريا وما كانوا كذلك فلم يدخلوا النار ام لاجل انه زاغت عنهم الابصار
واعلم ان الله تعالى لما حكى عنهم هذه المناظرة قال ان الذي حكينا عنهم لحق لا بد وان يتكلموا به ثم
بين ان ذلك الذي حكاه عنهم ما هو فقال تخاصم اهل النار وانما سمى الله تعالى تلك الكلمات تخاصما
لان قول الرؤساء لا مرحبا بهم وقول الاتباع بل انتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة

قوله تعالى

قل انما انا منذر وما من اله الا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار قل هو نبأ عظيم
انتم عنه معرضون ما كان لي من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين اعلم
ان الله تعالى لما حكى في اول السورة ان محمدا عليه السلم لما دعا الناس الى ان الاله واحد والى انه رسول حق من عند
الله والى ان القول بالقيامة حق فاولئك الكفار اظهروا السفاهة وقالوا انه ساحر كذاب واستهزؤوا بقوله
ثم انه تعالى ذكر قصص الانبياء ليصير ذلك داعيا لمحمد عليه السلم على التاسي بالانبياء عليهم السلم في الصبر
على سفاهة القوم والثاني ليصير ذلك رادعا للكفار عن الاصرار على الكفر والسفاهة وداعيا الى قبول
الايمان ولما تمم الله تعالى ذلك الطريق اردفه بطريق اخر وهو شرح نعيم اهل الثواب وشرح عقاب
اهل العقاب فلما تمم الله تعالى هذه البيانات عاد الى تقرير المطالب المذكورة في اول السورة
وهي تقرير التوحيد والنبوة والبعث فقال قل يا محمد انما انت منذر ولا بد من الاقرار بانه ما من اله الا
الله الواحد القهار فان الترتيب الصحيح ان تذكر شبهات الخصوم اولا ويجاب عنها ثم يذكر عقيبه
الدلايل الدالة على صحة المطلوب فكذا هنا اجاب الله عن شبهاتهم ونبه على فسادها ثم
ذكر عقيبه ما يدل على صحة هذه المطالب لان ازالة ما لا ينبغي مقدم على اثبات ما ينبغي وغسل اللوح
من النقوش الفاسدة مقدم على كتبة النقوش الصحيحة فيه ومن نظر في هذا الترتيب اعترف بان الكلام
من اول السورة الى اخرها قد جاء على احسن وجوه الترتيب والنظم اما قوله قل انما انا منذر يعني
ابلغ اليكم احوال عقاب من انكر التوحيد والنبوة والمعاد واحوال ثواب من اقر بها وكما بدا في
اول السورة بدلايل التوحيد حكى عنهم انهم قالوا اجعل الالهة الها واحدا فكذلك بدا هاهنا بتقرير
التوحيد فقال وما من اله الا الله الواحد القهار وفي هذه الكلمة اشارة الى الدليل الدال على كونه منزها
عن الشريك والنظير وبيانه ان الذي يجعل شريكا له في الالهية اما ان يكون موجودا قادرا على
التصرف في العالم او لا يكون كذلك بل يكون جمادا عاجزا والاول باطل لانه لو كان شريكه قادرا على الاطلاق

لكن

لكن يكون قادرا على الاطلاق فانه اذا اراد هذا ان يريد حركة شيء واراد شريكه ضد ذلك الشيء لم يكن حصول احد
المرادين اولى من الاخر فيمتنع كل واحد منهما بالاخر وحينئذ يلزم كونهما بل كان عاجزا ضعيفا
والعاجز لا يصلح للالهية وقوله الا الله الواحد القهار اشارة الى ان كونه قهارا يدل على كونه واحدا
واما الثاني وهو ان يقال ان الذي جعل شريكا له لا يقدر على شيء البتة مثل هذه الاوثان فهذا ايضا فاسد
لان صريح العقل يحكم بان عبادة الاله القادر القهار اولى من عبادة الجماد الذي لا يسمع ولا يبصر ولا يغني
عنك شيئا فقوله وما من اله الا الله الواحد القهار يدل على هذه الدلايل واعلم ان كونه سبحانه
قهارا مشعر بالترهيب والتخويف فلما ذكر ذلك اردفه بما يدل على الرجاء والترغيب فقال رب السموات
والارض وما بينهما العزيز الغفار فكونه ربا يشعر بالتربية والاحسان والكرم والجود وكونه
غفارا يشعر بان العبد لو اقدم على المعاصي والذنوب فانه برحمته يغفر ويرحم فثبت ان كونه
قهارا مشعر بالترهيب وان كونه غفارا مشعر بالترغيب وهذا الموصوف هو الذي يجب عبادته
لانه هو الذي يخشى عقابه ويرجى فضله وثوابه وقد ذكر طريقة اخرى في تفسير هذه الايات فقيل
انه تعالى ذكر من صفاته في هذا الموضع خمسة الواحد والقهار والرب والعزيز والغفار اما
كونه واحدا فهو الذي وقع الخلاف فيه بين اهل الحق وبين المشركين واستدل تعالى على كونه
واحدا بكونه قهارا وقد ذكرنا وجه هذه الدلالة الا ان كونه قهارا وان دل على اثبات الوحدانية الا انه
يوجب الخوف الشديد فاردفه تعالى بذكر هذه الصفات ثلاث دالة على الرحمة والفضل والكرم
اولها كونه ربا للسموات والارض وما بينهما وهذا انما تعرفونه بالنظر في اثار حكمة الله تعالى في خلق
السموات والارض والعناصر الاربعة والمواليد الثلاثة وذلك بحر لا ساحل له فاذا تاملت في اثار حكمته ورحمته
في خلق هذه الاشياء عرفت حينئذ تربيته للكل وذلك يفيد الرجاء العظيم وثانيها كونه عزيزا والقائل في ذلك
ان القائل يقول هب انه رب ومربي الا انه عزيز على كل المقدورات فقد اجاب عنه بانه عزيز
اي قادر على كل الممكنات وهو يغلب الكل ولا يغلبه شيء وثالثها كونه غفارا والقائل في ذلك
ان القائل يقول هب انه رب محسن ولكنه يحب المطيعين المخلصين في العبادة
فاجاب عنه بان من بقي على الكفر سبعين سنة ثم تاب فانه يزيل اسمه عن ديوان المذنبين ويستر
عليه بفضله ورحمته جميع ذنوبه واوصله الى درجات الابرار واعلم انه تعالى لما قرر ذلك
قال قل هو نبأ عظيم انتم عنه معرضون وهذا النبا العظيم يحتمل وجوها احدها يحتمل ان يكون المراد
ان القول بان الاله واحد نبا عظيم ويحتمل ان يكون المراد ان القول بالنبوة نبا عظيم ويحتمل ان
يكون المراد ان القول باثبات الحشر والنشر نبا عظيم وذلك لان هذه المطالب الثلاثة كانت
مذكورة في اول السورة واجلها انجر الكلام الى كل ما سبق ذكره ويحتمل ايضا ان يكون المراد كون القرآن
معجزا لان هذا ايضا قد تقدم ذكره في قوله كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته [illegible]
اعرضوا عنه وقال قل هو نبا عظيم انتم عنه معرضون يعني في النظر والاستدلال ويمنع عن التقليد
لان هذه المطالب مطالب شريفة عالية فان من يسير ان يكون الانسان فيها على الحق نال اعظم ابواب
السعادة ومن يسير ان يكون فيها على الباطل وقع في اعظم ابواب الشقاوة فكانت هذه
المباحث انباء عظيمة ومطالب هائلة مهيبة ووجب على العاقل ان يحتاط فيها
بالاحتياط التام ولا يكتفي بالمساهلة والمسامحات اما قوله تعالى ما كان لي من علم بالملا الاعلى
اذ يختصمون فاعلم انه تعالى لما امر المكلف بالاحتياط في هذه المسايل الاربعة وبالغ في ذلك الترغيب
من وجوه اولها ان كل واحد منها نبا عظيم والنبا العظيم يجب الاحتياط فيه الثاني ان الملا الاعلى

اختصموا واحسن ما قيل فيه انه تعالى لما قال للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك
الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون والمعنى انهم قالوا اي فائدة في خلق البشر مع انهم
يشتغلون بقضاء الشهوة وهو المراد من قوله من يفسد فيها وبامضاء الغضب وهو المراد من قوله ويسفك الدماء فقال
الله سبحانه اني اعلم ما لا تعلمون وتقدير هذا الجواب والله اعلم ان يقال ان المخلوقات بحسب القسمة العقلية
على اقسام اربعة احدها الذي حصل له العقل والحكمة ولم يحصل له النفس والشهوة وهم الملائكة فقط
وثانيها الذي حصل له النفس والشهوة ولم يحصل له العلم والحكمة وهم البهائم وثالثها الذي خلا عن القسمين
وهي الجمادات وبقي في القسمة قسم رابع وهو الذي حصل له الامران وهو الانسان والمقصود من خلق الانسان
ليس هو الجهل والتقليد والتكبر والتمرد فان كل ذلك حاصل في البهائم والسباع بل المقصود من خلقه
ظهور العلم والحكمة والطاعة فكأنه سبحانه قال اني اعلم ما لا تعلمون يعني ان هذا النوع من المخلوقات وان حصلت فيه الشهوة
الداعية الى الفساد والغضب الحامل له على سفك الدماء ولكن حصل فيه العقل الذي يدعوه الى المعرفة والمحبة
والطاعة والخدمة واذا ثبت انه تعالى انما اجاب الملائكة بهذا الجواب وجب على الانسان ان يسعى في تحصيل
هذه الصفات وان يجتهد في اكتسابها وان يحترز عن طريقة الجهل والتقليد والاصرار والكبر واذا كان كذلك
فكل من وقف على كيفية هذه الواقعة صار ذلك باعثا له الى الجد والاجتهاد في اكتساب المعارف الحقة
والاخلاق الفاضلة وزاجرا له عن اضدادها ومقابلاتها فلهذا السبب ذكر الله تعالى هذا الكلام في هذا
المقام فان قيل الملائكة لا يجوز ان يقال انهم اختصموا بسبب قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء
فان المخاصمة مع الله كفر قلنا لا شك انه جرى هناك سؤال وجواب وذلك يشابه المخاصمة والمناظرة
والمشابهة علة لجواز المجاز فلهذا السبب حسن اطلاق لفظ المخاصمة عليهم ولما امر الله تعالى محمدا ان يذكر
هذا الكلام على سبيل الرمز امره ان يقول ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين يعني انا ما عرفت هذه المخاصمة الا
بالوحي وانما اوحى الله الي هذه القصة لانذركم بها وليصير هذا الانذار حاملا لكم على الاخلاص في الطاعة و
الاحتراز عن الجهل والتقليد **قوله تعالى** اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين فاذا
سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر وكان من الكافرين
قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته
من طين قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتي الى يوم الدين قال رب فانظرني الى يوم يبعثون
قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال فالحق
والحق اقول لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين اعلم ان المقصود من ذكر هذه القصة المنع من الحسد
والكبر وذلك لان ابليس انما وقع فيما وقع فيه بسبب الحسد والكبر والكفار انما نازعوا محمدا عليه السلم بسبب الحسد
والكبر فالله تعالى ذكر هذه القصة هاهنا ليصير سماعها زاجرا لهم عن هاتين الخصلتين المذمومتين
والحاصل انه تعالى رغب المكلفين في النظر والاستدلال ومنعهم عن الاصرار والتقليد وذكر في تقرير ابحاثا
لهم اولها انه ... بحسب الاحتياط منه والثاني ان هذه القصة سؤال الملائكة عن الحكمة في خلق البشر
على ان الحكمة الاصلية من خلق آدم هو المعرفة والطاعة لا الجهل والنكتة الثالثة ان ابليس انما خاصم آدم لاجل
الحسد والكبر فنبه على العاقل ان يحترز عنهما فهذا وجه النظم في هذه الآيات واعلم ان هذه القصة
قد تقدم شرحها في سور كثيرة فلا فائدة في الاعادة الا ما لا بد منه المسألة الاولى قال اني خالق بشرا
من طين ... حالات الاولى ان هذا النظم انما يصح لو كان خلق البشر من الطين كما اذا قيل انا
متخذ سوارا فهذا انما يستقيم لو كان ... النكتة السادسة ذكر هاهنا انه خلق البشر من طين وفي سائر
الآيات ذكر انه خلقه من سائر الاشياء كقوله تعالى خلقهم انه خلقه من تراب وكقوله من صلصال من حما مسنون وكقوله

تعالى

تعالى خلق الانسان من عجل والنبات ان هذه الآية تدل على انه تعالى اخبر الملائكة بانه يخلق بشرا من طين
ثم انهم لم يقولوا شيئا وفي الآية الاخرى وهي التي قال اني جاعل في الارض خليفة بين انهم اوردوا السؤال
والجواب فبينهما تناقض والجواب عن الاول ان التقدير كانه سبحانه وصف لهم اولا ان البشر
شخص جامع للقوة البهيمية والسبعية والشيطانية والملكية ولما قال اني خالق بشرا من طين
فكانه قال ذلك الشخص الجامع المستجمع لتلك الصفات انما اخلقه من الطين والجواب عن الثاني
ان المادة البعيدة هو التراب واقرب منه الطين واقرب منه الحمأ المسنون واقرب منه الصلصال فثبت
انه لا منافاة بين الكل والجواب عن الثالث انه في الآية المذكورة في سورة البقرة بين لهم انه يخلق في الارض خليفة
وفي الآية المذكورة هاهنا بين ان ذلك الخليفة بشر مخلوق من الطين المسألة الثانية قال فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي وهذا يدل على ان خلق البشر لا يتم الا بامرين التسوية اولا ثم نفخ الروح ثانيا وهذا حق
لان الانسان مركب من جسد ونفس اما الجسد فانما يتولد من المني والمني انما يتولد من دم الطمث ومن الغذاء يتولد
من الاخلاط الاربعة وهي انما تتولد من الاركان الاربعة فلا بد في حصول هذه التسوية من رعاية مقدار مخصوص
لكل واحد منها ومن رعاية كيفية امتزاجاتها وتركيبها ومن رعاية المدة التي في مثلها يحصل ذلك المزاج الذي لاجله
يحصل الاستعداد لقبول النفس الناطقة واما النفس فاليها الاشارة بقوله ونفخت فيه من روحي ولما
اضاف الروح الى نفسه دل على انه جوهر شريف علوي قدسي وذهبت الحلولية الى ان كلمة من تدل
على التبعيض وهذا يوهم ان الروح جزء من اجزاء الله وهذا في غاية الفساد لان كل ما له جزء وكل فهو مركب
وممكن الوجود لذاته ومحدث واما كيفية نفخ الروح فاعلم ان الاقرب ان جوهر النفس عبارة عن اجرام شفافة
نورانية علوية العنصر قدسية الجوهر وهي تسري في هذا البدن سريان الضوء في الهواء وسريان النار في الفحم
فهذا القدر معلوم اما كيفية ذلك النفخ فمما لا يعلمه الا الله تعالى المسألة الثالثة ظاهر قوله فقعوا له ساجدين
يدل على انه كما تم نفخ الروح في الجسد توجه امر الله عليهم بالسجود واما ان الملائكة المأمورين بذلك السجود ملائكة الارض
او دخل فيه ملائكة السموات مثل جبريل وميكائيل والروح الاعظم المذكور في قوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا
ففيه مباحث عميقة وقال بعض الصوفية الملائكة الذين امروا بالسجود لآدم هم القوى البدنية و
الحيوانية الحسية والحركية فانها في بدن الانسان خوادم النفس الناطقة وابليس الذي لم يسجد هو القوة
الوهمية التي هي المنازعة لجوهر العقل والكلام فيه طويل واما ان كيفية سجود الملائكة
لآدم وان ذلك هل يدل على كونه افضل من الملائكة ام لا وان ابليس هل كان من الملائكة ام لا وانه هل كان كافرا
اصليا ام لا فكل ذلك تقدم في سورة البقرة المسألة الرابعة احتج من اثبت الاعضاء والجوارح لله تعالى
بقوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي في اثبات يد لله تعالى بان قالوا ظاهر الآية يدل عليه فوجب
المصير اليه والآيات الكثيرة واردة على وفق هذه الآية فوجب القطع به واعلم ان الدلائل الدالة على نفي كونه تعالى
جسما مركبا من الاجزاء والاعضاء قد سبقت الا انا نذكرها هاهنا نكتا جارية مجرى الالزامات الظاهرة فالاول
ان من قال انه مركب من الاعضاء والاجزاء فاما ان يثبت الاعضاء التي ورد ذكرها في القرآن ولا يزيد عليها واما ان يزيد
عليها فان كان الاول لزمه اثبات صورة لا يمكن ان يزاد عليها في القبح لانه يلزم اثبات وجه بحيث لا يوجد
منه الا مجرد رقعة الوجه لقوله كل شيء هالك الا وجهه ويلزمه ان يثبت في تلك الرقعة عيونا كثيرة لقوله
تجري باعيننا وان يثبت جنبا واحدا لقوله تعالى يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وان يثبت على ذلك
الجنب ايدي كثيرة لقوله تعالى مما عملت ايدينا وان يثبت له يدين لقوله لما خلقت بيدي وان يثبت على ذلك
الجنب يدا واحدة لقوله عليه السلم الحجر الاسود يمين الله في الارض وان يثبت له ساقا واحدا لقوله تعالى يوم يكشف
عن ساق فيكون الحاصل من هذه الصورة مجرد رقعة الوجه ويكون عليها عيون كثيرة وجنب واحد ويكون عليه

ابد كثيرة وسائر واحد ومعلوم ان هذا العرش اعظم الصور ولو كان هذا عند المريض احدث في شرائه
نقصا فنقول للعاقل ان رب العالمين موصوف بهذه الصفة واما القسم الثاني وهو ان يقال انه غير متصور
هل يلزم الاعضاء المذكورة في الثاني بل يتمدد وينقص على وفق الساديات فحينئذ يبطل قولهم في اجماع على
محدود العوالم ولا بد له من شكل ولا بد لذلك العقل الحجة الثالثة في ابطال قولهم انهم اذا اثبتوا
لله اعضاء لله تعالى فان اثبتوا له الرجال فهو رجل ولو اثبتوا عضو التناسل فيه [illegible]
نقص تعالى وعز وتعالى الله عن كل ما يقوله الظالمون علوا كبيرا الحجة الرابعة انه في
ذاته اما ان يكون حيا فلها لا ينقل البتة فيكون حجرا صلدا واما ان يكون [illegible]
تابعا للمشرق والمغرب وتعالى الله عنه الحجة الخامسة انه ان كان بحيث لا يمكنه ان يتحرك عن مكانه
كان كالزمن المقعد العاجز ولو كان بحيث يمكنه ان يتحرك عن مكانه كان محلا للمتغيرات تدخل تحت قوله
لا احب الآفلين الحجة السادسة انه لو كان لا ياكل ولا يشرب ولا ينام ولا يتحرك كان كالميت ولو كان
يفعل هذه الاشياء كان انسانا كثيرا محتاجا الى الاكل والشرب والوقاع وذلك باطل الحجة
السابعة انهم يقولون انه ينزل كل ليلة من العرش الى السماء الدنيا فيقول انه [illegible] هل من
مستغفر فلو كان [illegible] اذا بقي مدبر السماء الدنيا حين كان على العرش وحينئذ لا يبقى في النزول فائدة ولو
لم يبق مدبرا للعرش فعند نزوله يصير معزولا عن الهية العرش والسموات الحجة السابعة
انهم يقولون انه تعالى اعظم من العرش فان العرش نسبته لعظمته الى عظم الكرسي وعلى هذا الترتيب
حتى ينتهي الى السماء الدنيا واذا كان كذلك كانت السماء الدنيا بالنسبة الى عظمة الله كالذرة بالنسبة الى البحر
فاذا نزل فاما ان يقال ان الاله يصير صغيرا بحيث يسعه السماء الدنيا واما ان يقال ان السماء الدنيا تصير
اعظم من العرش وكل ذلك باطل الحجة الثامنة ثبت ان العالم كرة فان كانت فوق بالنسبة الى قوم
كان تحت بالنسبة الى قوم آخرين وذلك باطل وان كان فوقا بالنسبة الى الكل فحينئذ يكون جسما محيطا
بهذا العالم من كل الجوانب فيكون اله العالم على هذا القول فلكا من الافلاك الحجة التاسعة
لما كانت الارض كرة وكانت السموات كرات فكل ساعة تفرض من الساعات فانها تكون ثلث الليل في حق
اقوام معينين من سكان كرة الارض فلو نزل من العرش في ثلث الليل وجب ان يبقى ابدا نازلا عن
العرش وان لا يرجع الى العرش البتة الحجة العاشرة انا نعلم بالضرورة ان الهية الشمس والقمر
باطلة لانواع من العيوب اولها كونه مؤلفا من الاجزاء والابعاض وثانيها كونه محدودا متناهيا
وثالثها كونه موصوفا بالحركة والسكون والطلوع والغروب فاذا كان الذي المشبهة يقولون انه مؤلف من
الاعضاء كان مركبا واذا كان على العرش كان محدودا متناهيا واذا كان ينزل من العرش
ويرجع اليه كان موصوفا بالحركة والسكون فهذه الصفات الثلاثة ان كانت منافية للالهية وجب
تنزيه الاله عنها باسرها وذلك يبطل قول المشبهة وان لم تكن منافية للالهية فحينئذ لا يقدر
احد على الطعن في الهية الشمس والقمر الحجة الحادية عشرة قوله تعالى قل هو الله احد ولفظ الاحد مبالغة
في الوحدة وذلك ينافي كونه مركبا من الاجزاء والابعاض الثاني عشر قوله تعالى والله الغني
وانتم الفقراء ولو كان مركبا من الاجزاء والابعاض لكان محتاجا اليها وذلك يمنع من كونه غنيا على
الاطلاق فثبت بهذه الوجوه ان القول باثبات الاعضاء والاجزاء لله محال ولما ثبت بالدلائل
اليقينية وجوب تنزيه الله تعالى عن هذه الاعضاء فنقول ذكر العلماء في لفظ
اليد وجوها الاول ان اليد عبارة عن القدرة تقول العرب ما لي بهذا الامر يد اي قوة وطاقة قال
تعالى او يعفو الذي بيده عقدة النكاح الثاني اليد عبارة عن النعمة فيقال ايادي فلان في حق فلان ظاهرة

والمراد

والمراد النعم والمراد بالمصنا النعم الظاهرة والباطنة او نعم الدين والدنيا الثالث ان لفظ اليد قد
يرد للتاكيد كقول القائل لمن جنى باللسان هذا ما كسبت يداك وكقوله تعالى نشرا بين يدي
رحمته ولقائل ان يقول حمل اليد هاهنا على القدرة غير جائز ويدل عليه وجوه الاول ان ظاهر الآية
يقتضي اثبات اليدين فلو كانت اليد عبارة عن القدرة لزم اثبات قدرتين لله تعالى وهو باطل والثاني
ان الآية تقتضي ان كون آدم مخلوقا باليدين يوجب فضيلته وكونه مسجودا للملائكة فلو كانت اليد
عبارة عن القدرة لكان آدم مخلوقا بالقدرة لكن جميع الاشياء مخلوقة بقدرة الله تعالى فكما ان آدم مخلوق
بيدي الله فكذلك ابليس مخلوق بيد الله وعلى هذا التقدير لم يكن كون اليد عبارة عن القدرة [illegible] فضيلة آدم
بان يكون علة لكونه مسجودا لابليس اولى من ان يكون ابليس مسجودا لآدم وحينئذ يختل نظم الآية
ويبطل الثالث انه جاء في الحديث انه عليه السلام قال كلتا يديه يمين ومعلوم ان هذا الوصف
لا يليق بالقدرة واما التاويل الثاني وهو حمل اليد على النعمة فايضا باطل لوجوه الاول ان نعم الله
كثيرة كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وظاهر الآية يدل على ان اليد نعمتان على
الثاني لو كانت اليد عبارة عن النعمة لقول النعم مخلوقة لله تعالى فحينئذ لا يكون آدم مخلوقا
لله تعالى بل يكون مخلوقا لبعض المخلوقات وذلك يكون سببا لمزيد النقصان اولى بان يكون سببا
لمزيد الكمال الثالث لو كانت اليد عبارة عن النعمة لكان قوله تبارك الذي بيده الملك معناه تبارك الذي
بنعمته الملك ولكان قوله بيدك الخير معناه بنعمتك الخير ولكان قوله بل يداه مبسوطتان اي نعمتاه مبسوطتان
ومعلوم ان كل ذلك فاسد واما التاويل الثالث وهو قولهم ان لفظ اليد هاهنا ذكر للتاكيد فنقول
لفظ اليد قد يستعمل في حق من يكون هذا الفعل حاصلا له في حق من لا يكون هذا الفعل حاصلا له الا انه
يمكن [illegible] هذا ما كسبت يداك والسبب ان محل القدرة هو اليد فاطلق اسم اليد على
القدرة فعلى هذا التقدير يصير المراد من لفظ اليد القدرة وقد تقدم ابطال هذا الوجه واما الثاني فيقال له
[illegible] ان نقول هذا المجاز بهذا اللفظ متكلم والمجاز لا يثبت الا
ولا يكون [illegible] انما حصل بها العذاب [illegible] ونحن نسلم
ان قوله تعالى [illegible] قد يجوز ان يراد به التاكيد والصلة اما المذكور في هذه الآية
فقوله تعالى خلقت بيدي [illegible]
في هذا الباب والذي يخطر عندي في هذا الباب ان السلطان العظيم لا يقدر على عمل شيء بيديه
الا اذا كانت غاية عنايته مصروفة الى ذلك العمل فاذا كانت العناية الشديدة من لوازم العمل باليد
امكن جعله مجازا منه عند قيام الدلائل القاهرة فهذا ما حصلناه في هذا الباب والله اعلم
اما قوله تعالى استكبرت ام كنت من العالين فالمعنى استكبرت الآن ام لم تزل ابدا من المتكبرين
العالين فاجاب ابليس بقوله انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والمراد انه لو كان مساويا له
في الشرف لكان يقبح امره بسجدة فكيف وانا خير منه ثم بين كونه خيرا منه بان اصله من النار
والنار اشرف من الطين فيجب ان اصله خير من اصل آدم ومن كان اصله خيرا من اصله فهو خير منه فهذه
مقدمات ثلاث المقدمة الاولى ان ابليس مخلوق من النار ويدل عليه قوله تعالى خلقتني من نار وقال تعالى
والجان خلقناه من قبل من نار السموم والمقدمة الثانية ان النار افضل من الطين ويدل عليه وجوه الاول
ان الاجرام الفلكية اشرف من الاجرام العنصرية والنار اقرب العناصر من الفلك والارض ابعدها
فوجب كون النار افضل من الارض الثاني ان النار خليفة الشمس والقمر في اضاءة هذا العالم عند غيبتهما
والشمس والقمر اشرف من الارض فخليفتهما في الاضاءة افضل من الارض الثالث ان الكيفية الفاعلة اصلية

اما الحرارة او البرودة والحرارة افضل من البرودة لان الحرارة تناسب الحياة والبرودة تناسب الموت
الرابع ان النار لطيفة والارض كثيفة واللطافة اشرف من الكثافة الخامس النار مشرقة
والارض مظلمة والنور خير من الظلمة السادس النار خفيفة تشبه الروح والارض ثقيلة تشبه
الجسد والروح افضل من الجسد فالنار افضل من الارض ولذلك فان الاطباء اتفقوا على ان العنصر
الثقيل اعون على تركيب الاجساد وان العنصر الخفيف اعون على تولد الارواح السابع النار
صاعدة والارض هابطة والصاعد افضل من الهابط الثامن ان اول بروج الفلك من الحمل لانه هو
الذي يبتدأ من نقطة الاستواء الشمالي ثم ان الحمل على طبع النار واشرف اعضاء الحيوان القلب والروح
فهما على طبيعة النار واخس اعضاء الحيوان هو العظم وهو بارد يابس كالارض التاسع ان الاجسام
الارضية كلما كانت نورانية ومشابهة بالنار كانت اشرف وكلما كانت اكثر غبرة وكثافة وكدرة
ومشابهة بالارض كانت اخس مثاله الاجسام الشبيهة بالنار الذهب والياقوت والاحجار الصافية
النورانية ومثاله ايضا من النبات الابريسم وما يتخذ منه واما ان كل ما كان اكثر ارضية وغبرة فهو اخس
فالامر ظاهر العاشر ان القوة الباصرة قوة في غاية الشرف والجلالة ولا يتم عملها الا بالشعاع وهو
جسم شبيه بالنار الحادي عشر ان اشرف اجسام العالم الجسماني هو الشمس ولا شك انه شبيه
بالنار في ضوئه وطبعه واثره الثاني عشر ان النضج والهضم والحياة لا يتم الا بالحرارة ولولا قوة
الحرارة لما تم المزاج وتولد المركبات الثالث عشر ان اقوى العناصر الاربعة في الفعل
هي النار واكملها في قوة الانفعال هو الارض والفعل افضل من الانفعال فالنار افضل من الارض
اما العالمون فقد فضلوا الارض على النار بذكر ايضا وجوها الاول ان الارض امين
تصلح فاذا اودعته حبة ردها اليك شجرة مثمرة والنار خائن تفسد كل ما سلمته اليه الثاني
ان الحس البصري ادل على النار بسببها لقوله الحس اللمسي الملاك لان الارض تقوى على النار
فانها تطفئ النار واما النار فانها لا تقوى على الارض الخالصة واما المقدمة الرابعة فهي ان من
كان اصله خيرا من اصله فهو خير منه واعلم ان هذه المقدمة كاذبة جدا وذلك لان اصل الرماد النار
واصل البساتين النزهة والاشجار المثمرة هو الطين ومعلوم بالضرورة ان الاشجار المثمرة خير من
الرماد وايضا فهب ان اعتبار هذه الجهة يوجب الفضيلة الا ان هذا يمكن ان يصير معارضا بجهة اخرى
توجب الرجحان مثل ان يكون انسان نسيبا عاريا عن كل الفضائل فان نسبه يوجب رجحانه الا ان
الذي لا نسب له قد يكون كثير العلم والزهد فيكون هو افضل من ذلك النسيب بدرجات لا حد لها
فالمقدمة الكاذبة في القياس الذي ذكره ابليس هي هذه المقدمة فان قيل هب ان ابليس
اخطأ في هذا القياس لكن كيف لزم الكفر من تلك المخالفة وبيانه من وجوه الاول
ان قوله اسجدوا امر والامر لا يقتضي الوجوب بل الندب ومخالفة الندب لا توجب العصيان فضلا
عن الكفر وايضا فالذين يقولون انه للوجوب فهم لا ينكرون كونه محتملا للندب احتمالا ظاهرا ومع
قيام هذا الاحتمال الظاهر كيف يلزم العصيان فضلا عن الكفر الثاني هب انه للوجوب
الا ان ابليس ما كان من الملائكة فامر الملائكة بسجود ادم لا يدخل فيه ابليس الثالث هب انه يتناوله
الا ان تخصيص العام بالقياس جائز فكأنه خصص نفسه عن عموم ذلك الامر بالقياس الرابع هب انه
لم يسجد مع علمه بانه كان مأمورا به الا ان هذا القدر يوجب العصيان ولا يوجب الكفر فكيف لزم الكفر
والجواب هب ان صيغة الامر لا تدل على الوجوب ولكن يجوز ان ينضم اليها من القرائن ما يدل على الوجوب
وههنا حصلت تلك القرائن وهي قوله سبحانه استكبرت ام كنت من العالين فلما ابى ابليس لقياسه الفاسد

دل ذلك

دل ذلك على انه انما ذكر ذلك القياس ليتوسل به الى القدح في امر الله وتكليفه وذلك يوجب الكفر اذا عرفت
هذا فنقول ان ابليس لما ذكر هذا القياس الفاسد قال تعالى فاخرج منها فانك رجيم واعلم
انه ثبت في اصول الفقه ان ذكر الحكم عقيب الوصف المناسب يدل على كون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف وههنا
الحكم بكونه رجيما ورد عقيب ما حكى عنه انه خصص النص بالقياس فهذا يدل على ان تخصيص النص بالقياس
يوجب هذا الحكم وقوله تعالى منها اي من الجنة ومن السموات والرجيم المرجوم وفيه قولان الاول انه مجاز عن الطرد
لان الظاهر ان من طرد فقد يرمى بالحجارة وهو الرجم فلما كان الرجم من لوازم الطرد جعل الرجم كناية عن الطرد
فان قالوا الطرد هو اللعن فلو حملنا قوله رجيم على الطرد لكان قوله بعد ذلك وان عليك لعنتي تكرارا
والجواب من وجهين الاول ان نحمل الرجم على الطرد من الجنة ومن السموات ونحمل اللعن على الطرد من رحمة
الله والثاني انا نحمل الرجم على الطرد ونحمل قوله وان عليك لعنتي الى يوم الدين على ان الطرد ممتد الى اخر القيامة
فيكون هذا فائدة زائدة ولا يكون تكرارا والقول الثاني في تفسير الرجيم ان نحمله على الحقيقة وهو كون
الشياطين مرجومين بالشهب والله اعلم فان قيل كلمة الى لانتهاء الغاية فقوله الى يوم الدين يقتضي انقطاع
تلك اللعنة عند مجيء يوم الدين اجاب صاحب الكشاف بان اللعنة باقية في الدنيا فاذا جاء يوم القيامة
حصل مع اللعنة انواع من العذاب تصير اللعنة مع حضورها منسية واعلم ان ابليس لما صار ملعونا
قال فانظرني الى يوم يبعثون فقيل انما طلب الانظار الى يوم البعث لاجل ان يتخلص من الموت لانه اذا
انظر الى يوم البعث لم يمت قبل يوم البعث وعند مجيء يوم البعث لا يموت ايضا فحينئذ يتخلص من الموت
قال تعالى انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم ومعناه انك من المنظرين الى يوم يعلمه الله ولا يعلمه
احد سواه قال ابليس فبعزتك وهو قسم بعزة الله وسلطانه لاغوينهم اجمعين فههنا اضاف
الاغواء الى نفسه فهو على مذهب القدر وقال مرة اخرى رب بما اغويتني فاضاف الاغواء الى الله
على مذهب الجبر وهذا يدل على انه متحير في هذه المسئلة واما قوله الا عبادك منهم المخلصين
ففيه فوائد الفائدة الاولى ان ابليس انما ذكر هذا الاستثناء لئلا يقع في كلامه الكذب لانه لو لم يذكر
هذا الاستثناء وادعى انه يغوي الكل لكان يظهر كذبه حين يعجز عن اغواء عباد الله المخلصين
فكان ابليس قال انما ذكرت هذا الاستثناء لئلا اقع في الكذب في هذا الكلام وعند هذا يقال ان
الكذب شيء يستنكف منه ابليس فكيف يليق بالمسلم الاقدام عليه فان قيل فكيف الجمع بين هذه
الاية وبين قوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته قلنا ان ابليس
لم يقل اني لا اقصد اغواء عباد الله بل قال لاغوينهم فهو وان كان يقصد الاغواء الا انه لا يغويهم
الفائدة الثانية هذه الاية تدل على ان ابليس لا يغوي عباد الله المخلصين وقال تعالى في صفة
يوسف انه من عبادنا المخلصين ويحصل من مجموع هاتين الايتين ان ابليس ما اغوى يوسف
عليه السلام وذلك يدل على كذب الحشوية فيما نسبوا الى يوسف عليه السلام من القبائح واعلم
ان ابليس لما ذكر هذا الكلام قال الله تعالى فالحق والحق اقول لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين
وفيه مسائل المسئلة الاولى قرأ عاصم وحمزة فالحق بالرفع والحق بالنصب والباقون بالنصب فيهما اما
الرفع فتقديره فالحق قسمي واما النصب فعلى القسم اي فبالحق كقولك الله لافعلن واما قوله
والحق اقول فانتصب بقوله اقول المسئلة الثانية قوله منك اي من جنسك وهم الشياطين
وممن تبعك منهم من ذرية ادم فان قيل قوله اجمعين تأكيد لماذا قلنا يحتمل ان يؤكد به الضمير
في منهم او الكاف في منك مع من تبعك ومعناه لاملان جهنم من المتبوعين والتابعين لا اترك منهم
احدا المسئلة الثالثة احتج اصحابنا بهذه الاية في مسئلة ان الكل بقضاء الله من وجوه الاول

انه تعالى قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتي الى يوم الدين فهنا احتمالان احدهما ان الله
تعالى بانه لا يؤمن ولو علم انه لا يؤمن لانقلب خبر الله الصدق كذبا وهو محال فان صدور الايمان منه محال
مع انه امر به والثاني انه قال لاغوينهم اجمعين الا عبادك فهو علم منه انه يغويهم وسمع منه هذه
الدعوى وكان قادرا على منعه عن ذلك والقادر على المنع اذا لم يمنع كان راضيا به فان قالوا لعل في ذلك
المنع مفسدة قلنا هذا لا يعقل فاسد لان ذلك المنع يخلص ابليس عن الاضلال ويخلص بني آدم
عن الضلال وهذا عين المصلحة الثالثة انه تعالى اخبر انه يملا جهنم من الكفرة فلو لم يكفروا للزم الكذب
والجهل في حق الله تعالى الرابعة لو اراد ان لا يكفر الكافر لوجب ان يسعى الانبياء والعالمون في
ان يميت الشياطين وابليس وحيث تركه علمنا انه قاصد الخامس ان تكليف اولئك
الكفار بالايمان تكليف بان يؤمنوا بالله وبالايات التي هي دالة على انهم لا يؤمنون البتة وذلك
تكليف بالمحال والله اعلم **قوله تعالى** قل ما اسالكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين
ان هو الا ذكر للعالمين ولتعلمن نباه بعد حين اعلم انه تعالى ختم هذه السورة بهذه الخاتمة
الشريفة وذلك لانه تعالى ذكر طرقا كثيرة داله على وجوب الاحتياط في طلب الدين ثم قال
عند الختم هذا الذي ادعو الناس اليه يجب ان ينظر في حال الداعي وفي حال الدعوة ليظهر انه حق او
باطل اما الداعي فهو انا فانا لا اسالكم على هذه الدعوة اجرا ومالا ومن الظاهر ان الكذاب
لا ينقطع طمعه عن طلب المال البتة وكان من الظاهر انه صلى الله عليه وسلم كان بعيدا عن الدنيا عديم
الرغبة فيها واما كيفية الدعوة فقال وما انا من المتكلفين والمفسرون ذكروا فيه وجوها والاولى
نحمله على الكل اي المراد ان هذا الدين الذي ادعوكم اليه ليس دينا يحتاج في معرفة صحته الى التكلفات
الكثيرة بل هو دين يشهد صريح العقل بصحته فاني ادعوكم اولا الى الاقرار بوجود الله ثم ادعوكم ثانيا الى تنزيهه
وتقديسه عن كل ما لا يليق به ويقوى ذلك ليس كمثله شيء وامثاله وادعوكم ثالثا الى الاقرار بكونه موصوفا
بكمال العلم والقدرة والحكمة والرحمة ثم ادعوكم رابعا الى الاقرار بكونه منزها عن الشركاء
والاضداد ثم ادعوكم خامسا الى الامتناع عن عبادة هذه الاوثان التي هي جمادات خسيسة ولا منفعة
في عبادتها ولا مضرة في الاعراض عنها ثم ادعوكم سادسا الى تعظيم الارواح الطاهرة المقدسة
وهم الملائكة والانبياء ثم ادعوكم سابعا الى الاقرار بالبعث والقيامة ليجزي الذين اساءوا بما عملوا
ويجزي الذين احسنوا بالحسنى ثم ادعوكم ثامنا الى الاعراض عن الدنيا والاقبال على الاخرة
فهذه الاصول الثمانية هي الاصول القوية المعتبرة في دين محمد عليه السلام وبداية العقل واوائل
الافكار شاهدة بصحة هذه الاصول الثمانية فثبت اني لست من المتكلفين في الشرائع التي ادعو الخلق
اليها بل كل عقل سليم وطبع مستقيم فانه يشهد بصحتها وجلالتها وبعدها عن الباطل والفساد
وعالم ادعوكم ان هو الا ذكر للعالمين ولما قرر هذه المقامات قال ولتعلمن نباه بعد حين والمعنى
انكم ان اصررتم على الجهل والتقليد فستعلمون بعد الموت ان هذه البيانات التي ذكرتها هل ستعلمون انكم
كنتم مصيبين في هذا الاعراض او مخطئين وذكر مثل هذه الكلمة بعد تلك البيانات المتقدمة مما لا مزيد
عليه في التخويف والترهيب والله اعلم

تفسير سورة الزمر

بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب من الله
العزيز الحكيم انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين الا لله الدين الخالص والذين
اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون
ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله

الواحد

الواحد القهار في الاية مسائل المسالة الاولى ذكر الفراء والزجاج في رفع تنزيل وجهين احدهما ان يكون
قوله تنزيل الكتاب مبتدا وقوله من الله العزيز الحكيم خبرا والثاني ان يكون التقدير هذا تنزيل الكتاب
فيضمر المبتدا كقوله سورة انزلناها اي هذه سورة قال بعضهم الوجه الاول اولى لوجهين الاول ان الاضمار
خلاف الاصل فلا يصار اليه الا لضرورة ولا ضرورة ههنا الثاني انا اذا قلنا تنزيل الكتاب من الله جملة
تامة من المبتدا والخبر افادت فائدة شريفة وهي ان تنزيل الكتاب يكون من الله لا من غيره وهذا
الحصر معنى معتبر اما اذا اضمرنا المبتدا لم تحصل هذه الفائدة الثالثة انا اذا اضمرنا المبتدا صار
التقدير هذا تنزيل الكتاب وحينئذ يلزمنا مجاز آخر لان هذا اشارة الى السورة والسورة ليست
نفس التنزيل بل السورة منزلة فحينئذ نحتاج الى ان نقول المراد من المصدر المفعول وهو مجاز تحملناه
لا لضرورة المسالة الثانية ان القائلين بخلق القران احتجوا بان قالوا انه تعالى وصف القران بكونه
تنزيلا ومنزلا وهذا الوصف لا يليق الا بالمحدث المخلوق وجوابنا انا نحمل هذه اللفظة على الصيغ و
الحروف المسالة الثالثة الايات الكثيرة تدل على وصف القران بكونه تنزيلا وايات اخرى تدل على كونه
منزلا اما الاول فقوله تعالى وانه لتنزيل رب العالمين وقال تنزيل من حكيم حميد وقال حم تنزيل
من الرحمن الرحيم واما الثاني فقوله انا نحن نزلنا الذكر وقال وبالحق انزلناه وبالحق نزل فلا بد
تعلم ان كونه منزلا امر بالحقيقة من كونه تنزيلا وكونه منزلا مجازا بعلاقة لكن ليكن المراد من القران
الصفة القائمة بذات الله فهو لا يقبل الانتقال والنزول بل المراد منه الحروف والاصوات فهي
اعراض لا تقبل الانتقال والنزول بل المراد من النزول نزول الملك الذي بلغها الى الرسول عليه السلام
المسالة الرابعة اما لفظه العزيز فهو القادر الغالب فهذا اللفظ يدل على كونه تعالى قادرا
على ما لا نهاية له والحكيم هو الذي لا يفعل لداعية الحكمة لا لداعية الشهوة وهذا انما يتم اذا ثبت انه تعالى
عالم بجميع المعلومات وانه غني عن جميع الحاجات اذا ثبت هذا فنقول كونه تعالى عزيزا
حكيما يدل على هذه الصفات الثلاث العلم بجميع المعلومات والقدرة على كل الممكنات والاستغناء عن
كل الحاجات ثم كان كذلك امتنع ان يفعل القبيح وان يتكلم بالقبيح واذا كان كذلك كان كل ما يفعله
يكون حكمة وصوابا اذا ثبت هذا فنقول الانتفاع بالتنزيل يتوقف على اصلين احدهما ان نعلم ان
القران كلام الله تعالى والدليل عليه انه ثبت بالمعجز كون الرسول صادقا وثبت بالتواتر
انه كان يقول القران كلام الله فيحصل من مجموع هاتين المقدمتين ان القران كلام الله تعالى
والاصل الثاني ان الله تعالى اراد بهذه الالفاظ المعاني التي هي موضوعة لها اما بحسب اللغة او بحسب العرف
الوضعية او الشرعية لانه لو لم يردها لكان ذلك تلبيسا وذلك لا يليق بالحكيم فثبت بما ذكرنا
انه لا انتفاع بالقران الا بعد تسليم هذين الاصلين وثبت انه لا سبيل الى اثبات هذين
الاصلين الا باثبات كونه تعالى حكيما فثبت انه لا سبيل الى الانتفاع بالقران الا بعد العلم بكونه حكيما الا بالبناء على
كونه تعالى عزيزا حكيما فلهذا السبب قال تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم اما قوله
تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق ففيه سؤالات السؤال الاول لفظ التنزيل يشعر بانه تعالى
انزله عليه نجما نجما على سبيل التدريج ولفظ الانزال يشعر بانه تعالى انزله عليه دفعة واحدة فكيف
الجمع بينهما والجواب ان طريق الجمع بين التنزيل وبين الانزال من الوجه الذي ذكرتم نظرنا الجمع
لرعاية المعنى انا حكمنا حكما كليا جزما بان يوصل اليك هذا الكتاب وهذا هو الانزال ثم
اوصلناه نجما نجما اليك على وفق المصالح وهذا هو التنزيل السؤال الثاني ان المراد من
قوله انا انزلنا اليك الكتاب بالحق وهاهنا ان المراد انزلنا الكتاب اليك ملتبسا

بالحق والصدق والصواب يعني كل ما اودعناه فيه من اثبات التوحيد والنبوة والمعاد وانواع التكاليف
فهو حق وصدق يجب العمل به والمصير اليه الثاني ان يكون المراد انا انزلنا اليك الكتاب ملتبسا على دليل حق دال
على ان هذا الكتاب نازل من عند الله وذلك الدليل هو ان الفصحاء عجزوا عن معارضته ولو لم يكن معجزا
لما عجزوا عن معارضته ثم قال فاعبد الله مخلصا له الدين وفيه مسايل المسالة الاولى انه تعالى لما بين
في قوله انا انزلنا اليك الكتاب بالحق ان هذا الكتاب مشتمل على الحق والصدق والصواب اردفه ببيان بعض
ما فيه من الحق والصدق وهو ان يشتغل الانسان بعبادة الله تعالى على سبيل الاخلاص ثم المراد من قوله
فاعبد الله مخلصا واما بيانه عن عبادة ذاته فهو المراد من قوله الا لله الدين الخالص ان هو الا لله
يفيد الحصر ومعنى الحصر ان يثبت الحكم في المذكور وينتفي عن غير المذكور واعلم ان العبادة فعل ثم الاخلاص
انه عرف حقيقته الا اذا عرفنا ان العبادة ما هي وان الاخلاص ما هو وان الوجوه المنافية للاخلاص
ما هي وان المنافية للاخلاص ما هي فهذه الفصول الثلاثة لا بد من البحث عنها اما العبادة فهي
فعل او قول او ترك فعل او ترك قول يوتى به لمجرد اعتقاد ان الامر به عظيم يجب قبول قوله واما الاخلاص
فهو ان يكون الداعي له الى الاتيان بذلك الفعل او الترك مجرد هذا الانقياد والامتثال فان حصل معه داع اخر
فاما ان يكون جانب الداعي الى الطاعة راجحا على الجانب الاخر او معادلا له او مرجوحا واجمعوا على
ان المعادل والمرجوح ساقط واما اذا كان الداعي الى الطاعة راجحا على الجانب الاخر فقد
اختلفوا في انه هل يفيد ام لا وقد ذكرنا هذه المسالة مرارا ولفظ القران يدل على ان لا ثواب به
على سبيل الخلوص لان قوله فاعبد الله مخلصا صريح في انه يجب الاتيان بالعبادة على سبيل الخلوص وتاكد
هذا بقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين واما بيان الوجوه المنافية للاخلاص
فهي الوجوه الداعية الى الشرك وهي اقسام اولها ان يكون للرياء والسمعة فيه مدخل وثانيها ان يكون
مقصوده من الاتيان بالطاعة الفوز بالجنة والخلاص من النار وثالثها ان ياتي بها ويعتقد ان
لها تاثيرا في ايجاب الثواب او دفع العقاب ورابعها وهو ان يخلص تلك الطاعات عن الكبائر
حتى تصير مقبولة وهذا الوجه انما يعتبر على قول المعتزلة المسالة الثانية من الناس من قال قوله ان الق
فاعبد الله مخلصا له الدين المراد منه شهادة ان لا اله الا الله واحتجوا بما روي انه صلى الله عليه وسلم
قال عن الله سبحانه وتعالى لا اله الا الله حصني ومن دخل حصني امن من عذابي وهذا قول
من يقول لا تضر المعصية مع الايمان كما لا تنفع الطاعة مع الكفر واما الاكثرون فقالوا
الاية متناولة لكل ما كلف الله به من الاوامر والنواهي وهذا هو الاولى لان قوله فاعبد الله
عام وروي ان امراة الفرزدق لما قربت وفاتها اوصت ان يصلي الحسن البصري عليها
فلما صلى عليها ودفنت قال للفرزدق يا ابا فراس ما الذي اعددت لهذا الامر قال شهادة ان لا اله
الا الله فقال الحسن هذا العمود فاين الطنب فبين بهذا اللفظ الوجيز ان عمود الخيمة لا ينتفع
بها الا مع الطنب حتى يمكن الانتفاع بالخيمة قال القاضي فاما ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال
لمعاذ وابي الدرداء وان زنى وان سرق على رغم انف ابي الدرداء فانه يجب ان يحمل عليه بشرط التوبة والا
لم يجز قبول هذا الخبر لانه مخالف للقران ولانه يوجب ان يكون الانسان مزجورا عن الزنا والسرقة وان يكون
مغرى بفعلهما لانه مع شدة شهوته للقبيح اذا علم انه لا يضره مع تمسكه بالشهادة كان ذلك اغراء بالقبيح وذلك
ينافي حكمة الله تعالى ولا يلزم ان يقال ان القول بالتوبة يوجب ايضا الاغراء بالقبيح
لانا نقول انه لا يقطع بانه يدرك التوبة وقد يعتقد ان يفعل القبيح ثم الا انه يترك ذلك العزم
بفعل التوبة بخلاف قول من يقول ان فعل القبيح لا يضر مع التمسك بالشهادة هذا تمام كلام القاضي وسياتي له

اتا

انا فنقول ان القول بالعفو محكي عن القران فليس كذلك لان القران يدل على ما قال الله تعالى ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم كما قال ان الامير
على اكله وشربه اي حين كونه اكلا وشاربا وقال يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله
يغفر الذنوب جميعا واما قوله ان ذلك يوجب الاغراء بالقبيح فيقال له ان كان الامر كذلك وجب ان يقبح غفرانه عقلا بين
وهذا مذهب البغدادية من المعتزلة وانت لا تقول به لان مذهب البصريين ان غفرانه حسن عقلا وايضا
فيلزم عليه ان لا يحصل الغفران بالتوبة لانه اذا علم انه اذا اذنب ثم تاب غفر الله له لم يزجره ما
اقترف الذنب ولكن القاضي يقول لانه اذا عزم على ان يتوب بعده في الحال علم انه لا يعزم ذلك الذنب البتة ثم نقول
مذهبنا انا نقطع بحصول العفو عن الكبائر في الجملة الا انه تعالى لم يقطع بحصول هذا الغفران في حق كل احد بل
في حق من يشا واذا كان الامر كذلك كان الخوف حاصلا والله اعلم المسالة الثالثة قال صاحب الكشاف قري
الدين بالرفع ثم قال وحق من رفعه ان يقرا مخلصا بفتح اللام كقوله تعالى واخلصوا دينهم لله حتى يطابق
قوله الا لله الدين الخالص والخالص والمخلص واحد الا ان يصف الدين بصفة صاحبه على الاسناد المجازي
كقولهم شعر شاعر واعلم انه تعالى لما بين ان اساس العبادات ورئيسها الاخلاص في التوحيد
اردفه بذم طريقة المشركين فقال والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى
وتقدير الكلام والذين اتخذوا من دونه اولياء يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وعلى
هذا التقدير فخبر والذين محذوف وهو قوله يقولون واعلم ان الضمير في قوله ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله عايد الى الاشيا التي عبدت مع انها ليست موصوفة بالحيوة والعقل وهي الاصنام اذا عرفت هذا
فنقول الكلام الذي ذكره الكفار لايق بالعقلا اما بغير العقلا فلا يليق وبيانه من وجوه الاول ان العزير
وقوله ما نعبدهم ضمير العقلا فلا يليق بالاصنام الثاني انه لا يبعد ان يعتقد اولئك الكفار في المسيح وعزير
والملايكة ان يشفعوا لهم عند الله اما يبعد في العاقل ان يعتقد في الاصنام والجمادات انها تقربه الى الله وعلى
هذا التقدير فلهم ان عبادتهم لها تقربهم الى الله فكيف يعقل ان العاقل لا يعقل العلم من حيث انه خشب
او حجر وانما يعبدونها لاعتقادهم انها تماثيل الكواكب او تماثيل الارواح السماوية او تماثيل الملايكة او تماثيل
الانبيا والصالحين الذين مضوا ويكون مقصودهم من عبادتها توجيه تلك العبادات الى تلك الاشيا التي جعلوا
هذه التماثيل صورا لها وحاصل الكلام لعباد الاصنام انهم قالوا ان الاله الاعظم اجل من ان يعبده
البشر لكن اللايق بالبشر ان يشتغلوا بعبادة الاكابر من عباد الله مثل الكواكب ومثل الارواح السماوية
ثم انها تشتغل بعبادة الاله الاكبر فهذا هو المراد من قولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى واعلم
ان الله تعالى لما حكى مذهبهم اجاب عنها من وجوه الاول انه اقتصر في الجواب على مجرد التهديد فقال ان
الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون واعلم ان الرجل المبطل اذا ذكر مذهبا باطلا وكان مصرا عليه
فالطريق في علاجه ان يحتال بحيلة توجب زوال ذلك الاصرار عن قلبه فاذا زال الاصرار عن قلبه
فبعد ذلك يسمعه الدليل الدال على بطلانه فيكون هذا الطريق اعني الى المقصود ولهذا الاطبا يقولون لا بد
من تقديم المنضج على سقي المسهل فان تناول المنضج يصير المواد الفاسدة رخوة قابلة للزوال
فاذا سقيته المسهل بعد ذلك حصل النقا التام فكذلك ههنا اسماع التهديد والتخويف اولا يجري مجرى
سقي المنضج اولا ثم اسماع الدليل ثانيا يجري مجرى سقي المسهل ثانيا فهذا هو الفايدة في تقديم هذا التهديد
ثم قال تعالى ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار والمراد ان من اصر على الكذب والكفر بقي محروما
من الهداية والمراد بهذا الكذب وصفهم لهذه الاصنام بانها الهة ومستحقة للعبادة مع علمهم بانها جمادات
خسيسة وهم نحتوها ونصبوها والعلم الضروري حاصل بان وصف هذه الاشيا بالالهية كذب محض و

واما الكفر فيحتمل ان يكون المراد منه الكفر الراجع الى الاعتقاد والامر هنا كذلك فان وصفهم لها بالالهية
كذب واعتقادهم فيها بالالهية جهل وكفر ويحتمل ان يكون المراد كفران النعمة والسبب فيه ان العبادة نهاية
التعظيم ونهاية التعظيم لا تليق الا بمن يصدر عنه غاية الانعام وذلك المنعم هو الله سبحانه وتعالى وهذه الاوثان
لا مدخل لها في ذلك الانعام فالاشتغال بعبادة هذه الاوثان توجب كفران نعم المنعم الحق ثم قال تعالى لو اراد الله
ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار والمراد من هذا الكلام اقامة الدلائل القاهرة
على كونه منزها عن الولد وبيانه من وجوه الاول انه لو اتخذ ولدا لما رضي الا باكمل الاولاد وهو الابن
فكيف نسبتم اليه البنت الثاني انه سبحانه واحد حقيقي والواحد الحقيقي يمتنع ان يكون له ولد اما انه واحد
حقيقي فلانه لو كان مركبا لاحتاج الى كل واحد من اجزائه وجزؤه غيره فكان محتاجا الى الغير والمحتاج
الى الغير ممكن لذاته والممكن لذاته لا يكون واجب الوجود لذاته واما ان الواحد لا يكون له ولد فلان
ان الولد عبارة عن جزء من اجزاء الشيء ينفصل عنه ثم يحصل صورة مساوية لصورة الوالد وهذا انما يعقل في الشيء
الذي ينفصل عنه جزء والفرد المطلق لا يعقل ذلك فيه الثالث ان شرط الولد ان يكون مماثلا في تمام الماهية
للوالد فتكون حقيقة ذلك الشيء حقيقة نوعية محمولة على شخصين وذلك محال لان تعين كل واحد منهما
ان كان من لوازم تلك الماهية لزم ان لا يحصل من تلك الماهية الا الشخص الواحد وان لم يكن ذلك التعين
من لوازم تلك الماهية كان ذلك التعين بسبب منفصل فلا يكون الاها واجب الوجود لذاته فثبت
ان كونه الاها واجب الوجود لذاته يوجب كونه واحدا في حقيقته وكونه واحدا في حقيقته يمنع من ثبوت
الولد فثبت ان كونه واحدا يمنع من ثبوت الولد الخامس ان الولد لا يحصل الا من الزوج والزوجة والزوجان
لابد وان يكونا من جنس واحد فلو كان له ولد لما كان واحدا بل كان له صاحبة من جنسه واما ان كونه
قهارا يمنع من ثبوت الولد فلان المحتاج الى الولد هو الذي يموت فيحتاج الى ولد يقوم مقامه فالمحتاج
الى الولد هو الذي يكون مقهورا بالموت اما الذي يكون قهارا ولا يقهره غيره كان الولد في حقه محالا فثبت
ان قوله هو الله الواحد القهار الفاظ مشتملة على دلائل قاطعة في نفي الولد عن الله تعالى **قوله تعالى**
خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى الا هو
العزيز الغفار خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج يخلقكم في بطون
امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلث ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فانى تصرفون ان تكفروا فان الله
غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم
بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور اعلم ان الالفاظ المتقدمة دلت على انه تعالى منزه
عن الولد بكونه الاها واحدا وقهارا غالبا اي كامل القدرة فالان يقيم الدلالة على هذه الاصول وذكر عقيبها
ما يدل على كمال القدرة وعلى كمال الاستغناء ونبه تعالى على الالهية بالانعام ونكر عقيبها الصفات
التي باعتبارها تحصل الالهية واعلم انا بينا في مواضع من هذا الكتاب ان الدلائل التي ذكرها الله تعالى في
اثبات الالهية اما ان تكون فلكية او عنصرية اما الفلكية فاقسام احدها خلق السموات والارض وهذا
المعنى يدل على وجود الاله القادر من وجوه كثيرة شرحناها في تفسير قوله تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض
وثانيها اختلاف احوال الليل والنهار فقال المراد من تكوير الليل على النهار وتكوير النهار على الليل وذلك لان النور
والظلمة عسكران مهيبان عظيمان وفي كل يوم يغلب هذا ذاك وذاك هذا وذلك يدل على ان كل واحد
منهما مغلوب مقهور ولابد من غالب قاهر لهما يكونان تحت تدبيره وقهره وهو الله سبحانه والمراد من هذا
التكوير انه يزيد في كل واحد منهما بقدر ما ينقص عن الاخر والمراد من تكوير الليل والنهار ما ورد في الحديث
نعوذ بالله من الحور بعد الكور اي من الادبار بعد الاقبال واعلم انه تعالى عبر عن هذا المعنى بقوله يكور النهار

على الليل

على الليل وبقوله يغشي الليل النهار وبقوله يولج الليل في النهار وبقوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة
لمن اراد ان يذكر والثالث اعتبار احوال الكواكب لا سيما الشمس والقمر فان الشمس سلطان النهار والقمر سلطان
الليل واكثر مصالح هذا العالم مربوط بهما وقوله تعالى كل يجري لاجل مسمى الاجل المسمى يوم القيامة لا يزالان يجريان الى هذا
اليوم فاذا كان يوم القيامة ذهبا ونظيره قوله تعالى وجمع الشمس والقمر والمراد من هذا التسخير ان هذه الافلاك
تسير كسير المنجنون على حد واحد الى يوم القيامة وعنده يطوي السماء كطي السجل للكتب ولما ذكر الله تعالى هذه الانواع
الثلاثة من الدلائل الفلكية قال الا هو العزيز الغفار والمعنى ان خلق هذه الاجرام العظيمة وان دل على كونه عزيزا اي
كامل القدرة الا انه غفار عظيم الرحمة والفضل والاحسان فانه لما كان الاخبار عن كونه عظيم القدرة يوجب الخوف
والرهبة فكونه غفارا كثير الرحمة يوجب الرجاء والرغبة ثم انه تعالى اتبع ذكر الدلائل الفلكية بذكر الدلائل المأخوذة من هذا
العالم الاسفل فبدأ بذكر الانسان فقال خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها ودلالة تكون بدن الانسان
على الاله المختار قد سبق بيانها مرارا كثيرة فان قيل كيف جاز ان يقول خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها والزوج مخلوق
قبل خلقهم اجابوا عنه من وجوه الاول ان كلمة ثم كما جاءت لبيان كون احدى الواقعتين متاخرة عن الثانية فكذلك
تجيء لبيان تاخر احد الحكايتين عن الاخرى كقول القائل بلغني ما صنعت اليوم ثم ما صنعت امس اعجب وتقول
اعطيتك اليوم شيئا ثم الذي اعطيتك امس اكثر الثاني ان يكون العطف على خلقكم من نفس خلقت وحدها
ثم جعل منها زوجها الثالث اخرج الله تعالى ذرية ادم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حواء واعلم
انه تعالى لما ذكر الاستدلال بخلقة الانسان على وجود الصانع ذكر عقيبه الاستدلال بوجود الحيوان عليه فقال
وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وهي الابل والبقر والضأن والمعز وقد سبقت كيفية دلالة هذه الحيوانات على وجود
الصانع في سورة الانعام خلقها لكم فيها دفء الى تشربون وانزل لكم وجوه الاول ان قضاء الله تعالى وقدره وحكمه
موصوف بالنزول من السماء لانه كتب في اللوح المحفوظ كل كائن يكون الثاني ان شيئا من الحيوان لا يعيش الا بالنبات
والنبات لا يقوم الا بالماء والماء ينزل من السماء فصار التقدير كانه انزلها الثالث انه تعالى خلقها في الجنة
ثم انزلها الى الارض وقوله ثمانية ازواج اي ذكرا وانثى من الابل والبقر والضأن والمعز والزوج اسم لكل واحد
معه اخر فاذا انفرد فهو فرد ووتر قال تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى ثم قال تعالى يخلقكم في بطون
امهاتكم خلقا من بعد خلق قرأ حمزة بكسر الالف والميم والكسائي بكسر الهمزة وفتح الميم والباقون
امهاتكم بضم الالف وفتح الميم الحجة الثاني انه تعالى ذكر خلق الناس من شخص واحد وهو ادم ثم اردفه بخلق الانعام
وانما خصها بالذكر لانها اشرف الحيوانات بعد الانسان ثم ذكر عقيبه حالة مشتركة بين الانسان وبين
الانعام وهي كونها مخلوقة في بطون امهاتكم وقوله خلقا من بعد خلق المراد منه ما ذكره الله تعالى في قوله ولقد خلقنا
الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين الى اخر هذه الايات وقوله في ظلمات ثلث قيل
الظلمات الثلث البطن والرحم والمشيمة وقيل الصلب والرحم والبطن ووجه الاستدلال بهذه الحالات قد ذكرناه
في قوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء واعلم انه تعالى لما شرح هذه الدلائل ووصفها قال ذلكم الله ربكم
اي ذلكم الذي عرفتم عجائب افعاله هو الله ربكم وفي هذه الاية دلالة على كونه تعالى منزها عن الاجزاء
والاعضاء وعلى كونه منزها عن الجهة والمكان وذلك لانه تعالى عندما اراد ان يعرف عباده ذاته المخصوصة
لم يذكر الا كونه فاعلا لهذه الاشياء ولو كان جسما مركبا من الاعضاء لكان تعريفه بتلك الاجزاء والاعضاء تعريفا
للشيء باجزاء حقيقته واما تعريفه بافعاله فانه تعريف له بامر خارج عن ذاته والتعريف الاول
اكمل من الثاني فلو كان ذلك القسم ممكنا لكان الاكتفاء بهذا القسم الثاني تقصيرا ونقصانا وذلك غير جائز
فعلمنا ان الاكتفاء بهذا القسم انما حسن لان القسم الاول محال ممتنع الوجود وذلك يدل على كونه سبحانه
متعاليا عن الجسمية والاجزاء والاعضاء ثم قال له الملك وهذا يفيد الحصر اي له الملك لا لغيره ثم لما ثبت

انه لا ملك الا له وجب القول بانه لا اله الا هو لانه لو ثبت اله آخر فذلك الاله اما ان يكون له ملك او لا يكون له ملك
فان كان له ملك فحينئذ يكون كل واحد منهما مالكا قادرا ويجري بينهما التمانع كما ثبت في قوله لو كان فيهما آلهة الا الله
لفسدتا وذلك محال وان لم يكن للثاني شيء من الملك والملك فهو ناقص فلا يصلح للالهية فثبت انه لما دل الدليل
على انه لا ملك الا الله وجب ان يقال انه لا اله للعالمين ولا معبود للخلائق الا الله الاحد الحق الصمد اعلم
انه سبحانه لما بين هذه الدلائل كما قدره الله وحكمته ورحمته شنع على تزييف طريقة المشركين والضالين من وجوه
ثم قال فانى تصرفون يحتج به اصحابنا ويحتج به المعتزلة اما اصحابنا فوجه الاستدلال لهم بهذه الاية انها صريحة
في انهم لم يصرفوا بانفسهم عن هذه البيانات بل صرفهم عنها غيرهم وما ذاك الغير الا الله وايضا فدليل العقل يقوي
ذلك لان كل واحد يريد لنفسه تحصيل الحق والصواب فلما لم يحصل ذلك وانما حصل الجهل والضلال علمنا انه من غيره
لا منه واما المعتزلة فوجه الاستدلال لهم انه تعالى تعجب من هذا الانصراف ولو كان الفاعل
لذلك الصرف هو الله تعالى لم يبق لهذا التعجب معنى ثم قال ان تكفروا فان الله غني عنكم والمعنى
ان الله تعالى ما كلف المكلفين ليجتر الى نفسه منفعة او ليدفع عن نفسه مضرة وذلك لانه تعالى غني على
الاطلاق يمتنع في حقه جر المنفعة ودفع المضرة وانما قلنا انه غني لوجوه الاول انه واجب الوجود
لذاته وواجب الوجود في جميع صفاته وما كان كذلك كان غنيا على الاطلاق الثاني انه لو كان محتاجا لكانت
تلك الحاجة اما قديمة واما حادثة والاول باطل والا لزم ان يخلق في الازل لما كان محتاجا اليه وذلك محال
لان الخلق الازلي محال والثاني باطل لان الحاجة نقصان والحكيم لا يدعوه الداعي الى تحصيل النقصان
لنفسه الثالث هب انه بقي الشك في انه هل يحتاج الى الشهوة والنفرة ذا الحاجة اليهما ام لا اما من المعلوم
بالضرورة ان الاله القادر على خلق السموات والارض والشمس والقمر والنجوم والعرش والكرسي والعناصر
الاربعة والمواليد الثلاثة يمتنع ان ينتفع بصلاة زيد وصيام عمرو وان يستضر بعدم طاعة هذا وعلم
صبا ثم ذلك ثبت بما ذكرنا ان جميع العالمين لو كفروا واصروا على الجهل فان الله غني عنهم ثم قال
ولا يرضى لعباده الكفر يعني انه وان كان لا ينفعه ايمان ولا يضره كفر الا انه لا يرضى بالكفر واحتج
الجبائي بهذه الاية من وجوه الاول ان المجبرة يقولون ان الله تعالى خلق كفر العباد وانه من جهة ما خلقه
حق وصواب قال ولو كان الامر كذلك لكان قد رضي الكفر من الوجه الذي خلقه وذلك ضد الاية الثاني لو كان
الكفر بقضاء الله تعالى لوجب علينا ان نرضى به لان الرضا بقضاء الله واجب وحيث اجمعت الامة
على ان الرضى بالكفر كفر ثبت انه ليس بقضاء الله وليس ايضا برضى الله تعالى واجاب اصحابنا
عن هذا الاستدلال من وجوه الاول ان عادة القرآن جارية بتخصيص لفظ العباد بالمؤمنين قال
تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وقال عينا يشرب بها عباد الله وقال ان عبادي
ليس لك عليهم سلطان فعلى هذا التقدير قوله ولا يرضى لعباده الكفر اي ولا يرضى للمؤمنين الكفر
وذلك لا يضرنا الثاني انا نقول الكفر بارادة الله تعالى ولا نقول انه برضى الله لان الرضى
عبارة عن المدح عليه والثناء بفعله قال تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اي مدحهم واثنى عليهم الثالث
كان الشيخ الوالد عمر رحمه الله يقول الرضى عبارة عن ترك اللوم والاعتراض لا عن
الارادة والدليل عليه قول ابن دريد رضيت قسرا وعلى القسر رضى من كان ذا سخط على صرف القضاء
اثبت الرضى مع القسر وذلك يدل على ما قلناه والرابع ان الرضى ... الا بعد
ولا يرضى لعباده الكفر عام مخصص بالايات الدالة على انه تعالى يريد الكفر من الكافر كقوله
تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله والله اعلم ثم قال تعالى وان تشكروا يرضه لكم والمراد
انه لما بين انه لا يرضى الكفر بين انه يرضى الشكر وفيه مسائل المسالة الاولى اختلف القراء في يرضه

على له

على ثلاثة اوجه احدها قرأ نافع وعاصم وحمزة وابن عامر وابو عمرو بضم الها مختلسة غير مشبعة وثانيها قرأ
ابو عمرو وحمزة في بعض الروايات يرضه ساكنة الها للتخفيف وثالثها قرأ ابن عامر وابن كثير والكسائي
ونافع في بعض الروايات بضمها مشبعة قال الواحدي رحمه الله من اشبع الها حتى الحق بها واوا
لان ما قبل الها متحرك فصار بمنزلة ضربه وله فكما ان هذا مشبع عند الجميع كذلك يرضه ومنهم من
حرك الها ولم يلحق الواو لان الاصل يرضاه والالف المحذوفة للجزم ليس يلزم حذفها فكانت كالباقية
ومع بقاء الالف لا يجوز اثبات الواو فكذا هاهنا والله اعلم المسالة الثانية الشكر حالة مركبة من قول
واعتقاد وعمل اما القول فهو الاقرار بحصول النعمة واما الاعتقاد فهو اعتقاد صدور تلك النعم
ثم قال تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى قال الجبائي هذا يدل على انه تعالى لا يؤاخذ احدا على فعل غيره
فلو فعل الله كفرهم لما جاز ان يعذبهم عليه وايضا لا يجوز ان يعذب الاطفال بذنوب الآباء خلافا لما يقوله
القوم واحتج ايضا بذلك في وجوب ضرب الدية على العاقلة بهذه الاية ثم قال تعالى ثم الى ربكم مرجعكم
واعلم انا ذكرنا كثيرا ان اهم المطالب للانسان ان يعرف ان خالقه يقدر الهداية ولن يعرف ما ينفعه
وما يضره في هذه الحياة الدنيوية ولن يعرف احواله بعد الموت من قوله ثم هو ذكر الدلائل الكثيرة من العالم
الاعلى والعالم الاسفل على كمال عزته العالية وعلمه وحكمته اتبعه بان امر بالشكر ونهاه عن الكفر ثم بين
احوال المعاد بقوله ثم الى ربكم مرجعكم وفيه مسائل المسالة الاولى المشبهة تمسكوا بلفظة الى
على ان الاله في جهة وقد اجبنا عنه مرارا المسالة الثانية زعم قوم ان هذه الارواح كانت
موجودة قبل الاجساد وتمسكوا بلفظ الرجوع المذكور في هذه الاية وفي سائر الايات المسالة الثالثة
دلت الاية على اثبات الحشر والنشر ثم قال فينبئكم بما كنتم تعملون وهذا تهديد للعاصي وبشارة للمطيع
وقوله تعالى انه عليم بذات الصدور كالعلة لما سبق يعني انه انما يمكنه ان ينبئكم ويجازيكم على اعمالكم لانه عالم
بجميع المعلومات فيعلم ما في قلوبكم من الدواعي والصوارف وقال عليه السلام ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اموالكم
ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم

قوله تعالى

واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه
ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا
انك من اصحاب النار امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي
الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب اعلم انه تعالى لما بين فساد القول بالشرك وبين
ان الله تعالى هو الذي يجب ان يعبد بين في هذه الاية ان طريقة هؤلاء الكفار الذين يعبدون الاصنام متناقضة وذلك
لانهم اذا مسهم نوع من انواع الضرر لم يرجعوا في طلب دفعه الا الى الله واذا زال ذلك الضرر عنهم رجعوا الى
عبادة الاصنام ومعلوم انهم انما رجعوا الى الله تعالى عند حصول الضرر لانه هو القادر على ايصال الخير ودفع
الشر واذا عرفوا ان الامر كذلك في بعض الاحوال كان الواجب عليهم ان يعترفوا به في كل الاحوال فثبت ان طريقتهم
في هذا الباب متناقضة اما قوله تعالى واذا مس الانسان ضر فقيل المراد بالانسان اقوام معينون مثل
عتبة بن ربيعة وغيره وقيل المراد به الكافر لان الله تعالى وصفه بعد ذلك بانه يجعل لله اندادا ... تعلم واما قوله
ضر فيدخل فيه جميع المكاره سواء كان في جسمه او في ماله او في اهله وولده لان اللفظ مطلق فلا معنى للتقييد
دعا ربه اي استجار به وناداه ولم يتول في كشف الضر سواه فلذلك قال منيبا اليه اي راجعا اليه وحده
في ازالة ذلك الضر لان الانابة هي الرجوع ثم اذا خوله نعمة منه خوله اعطاه قال صاحب الكشاف وفي
حقيقته وجهان احدهما جعله خائل مال من قولهم هو خائل مال وخال مال اذا كان متعهدا له حسن
القيام به ومنه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يتخول اصحابه بالموعظة والثاني جعله يخول
من خال يخول اذا اختال وافتخر وفي معناه قول العرب ان الغني طويل الذيل مياس ثم قال تعالى

نسي ما كان يدعو اليه من قبل اي نسي ربه الذي كان يتضرع ويبتهل اليه وما بمعنى من كقوله تعالى وما خلق
الذكر والانثى وقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد وقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النسا وقيل نسي الضر الذي
كان يدعو الله الى كشفه والمراد من قوله نسي اي ترك دعاه كانه لم يتضرع الى ربه ولو اراد به النسيان الحقيقي
لما ذم عليه ويحتمل ان يكون المراد انه نسي ان لا مفزع ولا اله سواه فعاد الى اتخاذ الشركا مع الله تعالى
وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله وفيه مسائل المسألة الاولى قرا ابن كثير وابو عمرو ليضل بفتح اليا والباقون
ليضل على معنى يضل غيره المسألة الثانية المراد انه تعالى يعجب العقلا من مناقضتهم عندها تمن
الحالتين بعد الفقر معتقدين ان لا مفزع سواه عند النعم يعودون الى اتخاذ الالهة معه ومعلوم
انه تعالى اذا كان انما يفزع اليه في حال الفقر لاجل انه هو القادر على الخير والشر وهذا المعنى باق في حال الراحة
والنزاع كان في تقرير حالتهم في هذين الوقتين ما يوجب المناقضة وقلة العقل المسألة الثالثة معنى ليضل عن
سبيله انه لا يقتصر في ذلك على ان يضل نفسه بل يدعو غيره اما بفعله وقوله الى ان يشاركه في ذلك فيزيد
اثما والام في قوله ليضل لام العاقبة كقوله فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ولما ذكر
الله تعالى عنهم هذا الفعل المتناقض هددهم فقال قل تمتع بكفرك قليلا وليس المراد منه الامر بل
الزجر وان يعرفه قلة تمتعه في الدنيا ثم يكون مصيره الى النار ولما شرح الله صفات المشركين
بالصفات المذكورة اراد ان يشرح احوال المحقين الذين لا رجوع لهم الا الى الله ولا اعتماد لهم
الا على فضل الله فقال امن هو قانت انا الليل ساجدا وقائما وفيه مسائل المسألة الاولى قرا ابن كثير
ونافع وحمزة امن مخففة الميم والباقون بالتشديد اما التخفيف ففيه وجهان الاول ان الالف
الف استفهام دخل على من والجواب محذوف على تقدير امن هو قانت كمن ليس كذلك ويدل
كالذي جعل لله اندادا لكن يشعر به ذكر الضدين كانه قيل يا من هو قانت انت
من اهل الجنة واما التشديد فقال الفرا الاصل ام من فادغمت الميم في الميم وعلى هذا القول
يعلم ان في ذلك ان يقال ام من هو المسألة الثانية القانت القايم بما يجب عليه من الطاعات
ومنه قوله عليه السلام افضل الصلاة صلوة القنوت وهو القيام فيها ومنه القنوت في الصبح لانه يدعو
قايما عن ابن عمر انه قال لا اعلم القنوت الا قراة القران وطول القيام وتلا امن هو قانت
وعن ابن عباس القنوت الطاعة لقوله كل له قانتون اي مطيعون قال قتادة انا الليل
ساعات الليل اوله واوسطه واخره وفي هذه اللفظة تنبيه على فضل قيام الليل وانه ارجح
من قيام النهار ويؤكده وجوه الاول ان عبادة الليل استر عن العيون فتكون ابعد
من الريا الثاني ان الظلمة تمنع من الابصار ونوم الخلق يمنع من السماع واذا صار القلب
فارغا عن الاشتغال بالاحوال الخارجية عاد الى المطلوب الاصلي وهو معرفة الله وخدمته
والثالث ان الليل وقت النوم فتركه يكون اشق فيكون الثواب اكثر الرابع قوله ان ناشية
الليل هي اشد وطا واقوم قيلا وقوله ساجدا وقائما حالان وقدم السجود على القيام لانه ادخل
والواو للجمع بين الصفتين واعلم ان هذه الاية دالة على اسرار عجيبة فالاولى انه بدا فيها
بذكر العمل وختم فيها بذكر العلم اما العمل فكونه قانتا ساجدا قائما واما العلم فقوله هل يستوي
الذين يعلمون والذين لا يعلمون وهذا يدل على ان كمال الانسان محصور في هذين المقصودين فالعمل
البداية والعلم والمكاشفة النهاية الفائدة الثانية انه تعالى نبه على ان الانتفاع
بالعمل انما يحصل اذا كان الانسان مواظبا على العمل فان المواظبة هي عمل الرجل فاما
لما يحصل له من الطاعة وذلك يدل على ان العمل انما يفيد اذا واظب عليه ثم قال ساجدا

وقائما

وقائما اشارة الى اعمال الجوارح ثم قال يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه اشارة الى ان عند المواظبة
يحصل له اولا مقام التقي وهو قوله يحذر الاخرة ثم بعده مقام الرحمة وهو قوله ويرجو رحمة ربه ثم يحصل انواع
المكاشفات وهي المراد بقوله هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون الفائدة الثالثة انه قال في مقام الخوف
يحذر الاخرة فما اضاف الحذر الى نفسه وقال في مقام الرجا ويرجو رحمة ربه فاضاف الرجا الى نفسه وهذا يدل على ان جانب
الرجا اكمل واليق بحضرة الله تعالى المسألة الثالثة قيل المراد من قوله امن هو قانت انا الليل عثمان لانه كان يحيي الليل
في ركعة واحدة وقيل غيره والصحيح ان المراد منه كل من كان موصوفا بهذه الصفة فيدخل فيه عثمان وغيره
لما يدل عليه المسألة الرابعة اعلم ان في الكلام حذفا والتقدير امن هو قانت كغيره وانما حسن هذا الحذف
لدلالة الكلام عليه فانه تعالى ذكر قبله هذه الاية الكافر ثم ذكر بعده قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وبعده دل على ان هل يستوي
الذين يعلمون هم الذين صفتهم انهم يقنتون انا الليل سجدا وقياما والذين لا يعلمون هم الذين صفتهم انهم عند
البلا يوحدون وعند الراحة والفراغ يشركون وانما دل ذلك لانهم تعلموا ولا انما وصف الله
تعالى الكفار بانهم لا يعلمون لانهم وان اتاهم الله العلم الا انهم اعرضوا عن تحصيل العلم فلهذا السبب جعلهم الله
كانهم ليسوا الى الباب بحيث لم ينتفعوا بعقلهم وقلوبهم واسماعهم تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون تنبيه عظيم على فضيلة العلم وبالغ في تقرير هذا المعنى في تفسير قوله تعالى وعلم ادم الاسما
كلها فالصاحب الكشاف اراد بالذين يعلمون الذين سبق ذكرهم وهم القانتون وبالذين لا يعلمون الذين
لا يعملون القول كانه جعل القاسمين العلما وتنبيها على ان من لا يعمل فهو غير عالم ثم قال وفيه ازدرا عظيم
بالذين يقتنون العلم ثم لا يقنتون ويعتنون فيه ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله جهلة ثم قال تعالى
انما يتذكر اولوا الالباب يعني هذا التفاوت العظيم الحاصل بين العلما والجهال لا يعرفه ايضا الا اولوا الالباب
قيل لبعض العلما انكم تقولون العلم افضل من المال ثم نرى العلما يجتمعون عند ابواب الملوك ولا نرى الملوك مجتمعين
عند ابواب العلما فاجاب العالم بان هذا ايضا يدل على فضيلة العلم لان العلما علموا ما في المال من المنافع فطلبوه
والجهال لم يعرفوا ما في العلم من المنافع فلا جرم تركوه قوله تعالى قل يا عبادي الذين امنوا
اتقوا ربكم للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة وارض الله واسعة انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وامرت لان اكون اول المسلمين قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب
يوم عظيم قل الله اعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شيتم من دونه قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم
واهليهم يوم القيامة الا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف
الله به عباده يا عباد فاتقون اعلم انه تعالى لما بين نفي المساواة بين من يعلم ومن لا يعلم
اتبعه بان امر رسوله بان يخاطب المومنين بانواع من الكلام النوع الاول قوله يا عباد الذين امنوا اتقوا
ربكم والمراد انه تعالى امر المومنين بان ينتقوا الى الطاعات التقوى وهذا من اول الدلائل على ان الايمان
يبقى مع المعصية لانه امرهم بالتقوى لكن لا يحبطوا ايمانهم ان يفعلوا الاتقا من الكبائر ليلهم الثواب
وبالايلام عليها نخبط وهذه المسألة هذا انها بنيت على ضد ذلك اولا لانه لما امر المومنين بذلك كل
انه يبقى مومنا مع عدم التقوى فذلك يدل على ان الفسق لا يزيل الايمان واعلم انه تعالى لما امر المومنين
بالتقوى بين لهم ما في هذا الاتقا من الفوايد فقال للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة كقوله في هذه الدنيا
يحتمل ان يكون صلة لقوله للذين احسنوا ويحتمل ان يكون صلة لقوله حسنة اما على التقدير الاول فمعناه للذين
احسنوا في هذه الدنيا فلهم في الاخرة حسنة في الفوز ودخول الجنة والتعظيم في يوم حسنة والتعظيم
يعني حسنة لا يصل العقل الى كنه كمالها واما على التقدير الثاني فمعناه للذين احسنوا فلهم في هذه الدنيا حسنة
والقايلون بهذا القول قالوا هذه الحسنة هي الصحة والعافية واعلم ان هذا اولى لان حمله على الثلاثة المذكورة في

بلانه ليس لها نهاية بحرارة الصحة والكفاية ومن الناس من قال القول الاول اولى ويدل عليه وجوه
الاول ان التنكير في قوله حسنة يدل على النهاية في الجلالة والرفعة وذلك لا يليق باحوال الدنيا فانها
خسيسة ومنقطعة وانما يليق باحوال الاخرة فانها شريفة وآمنة من الانقضاء والانقراض والثاني
ان ثواب المحسن بالتوحيد والاعمال الصالحة انما يحصل في الاخرة قال تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت
واما نعم الدنيا من الصحة والامن والكفاية فحاصلة للكفار بل نصيبهم منها اكثر واتم من
حصولها للمؤمن كما قال عليه السلام الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال تعالى لجعلنا لمن يكفر
بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة الثالث ان قوله للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة يفيد الحصر يعني
ان حسنة هذه الدنيا تحصل للذين احسنوا وهذا باطل اما لو حملنا هذه الحسنة على حسنة الاخرة صح
هذا الحصر فكان حمله على حسنة الاخرة اولى ثم قال تعالى وارض الله واسعة وفيه قولان الاول
المراد انه لا عذر البتة للمقصرين في الاحسان البتة حتى انهم ان اعتلوا باوطانهم وبلادهم وانهم لا
يتمكنون فيها من التوفر على الاحسان وصرف الهمة اليه قيل لهم فان ارض الله واسعة وبلاده كثيرة
فتحولوا من هذه البلاد الى بلاد تقدرون فيها على الاشتغال بالطاعات والعبادات واقتدوا بالانبياء
والصالحين في مهاجرتهم الى غير بلادهم ليزدادوا احسانا الى احسانهم وطاعة الى طاعتهم والمقصود
منه الترغيب في الهجرة من مكة الى المدينة والصبر على مفارقة الوطن ونظيره قوله تعالى قالوا
فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها والقول
الثاني قول ابي مسلم الاصفهاني ان المراد من الارض ارض الجنة وذلك لانه تعالى امر المؤمنين بالتقوى
وهي خشية الله ثم بين ان من اتقى فله في الاخرة الحسنة وهي الخلود في الجنة ثم بين ان ارض الله
اي جنته واسعة لقوله تعالى نتبوأ من الجنة حيث نشاء وقوله تعالى وجنة عرضها السموات
والارض اعدت للمتقين والقول الاول اقرب ثم قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
وفي هذه الاية مسائل المسالة الاولى تحقيق الكلام في ماهية الصبر قد ذكرناه في
سورة البقرة والمراد ههنا بالصابرين الذين صبروا على مفارقة اوطانهم وعشائرهم وعلى تجرع الغصص
واحتمال البلايا في طاعة الله المسالة الثانية تمسك المنافع الي وعد الله بها اهل الصبر بالاجر
توهم ان العمل علة للثواب لان الاجر هو المستحق الا انه قامت الدلائل القاهرة على ان العمل ليس
علة للثواب فوجب حمل لفظ الاجر على كونه اجرا بحسب الوعد لا بحسب الاستحقاق المسالة الثالثة
انه تعالى وصف ذلك الاجر بانه بغير حساب وفيه وجوه الاول قال الجبائي المعنى انهم يعطون
ما يستحقون وزيادة من تفضله فهو بغير حساب ولو لم يعطوا الا المستحق لكان ذلك بحساب
قال القاضي هذا ليس بصحيح لانه تعالى وصف الاجر بانه بغير حساب ولو لم يعطوا الا المستحق
لما اجر عنده التفضل الثاني ان الثواب له صفات ثلاث احدها انها تكون دائمة لا آخر لها
وقوله بغير حساب معناه بغير نهاية لان كل شيء دخل تحت الحساب فهو متناه فما لا نهاية له كان
خارجا عن الحساب وثانيها انها تكون منافع كاملة في انفسها وفعل المعظم ما كان يصل الى كثير
ذلك الثواب قال عليه السلام ان في الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فكل
ما يعطيهم من انواع الثواب اجل وازيد مما تصوروه وتوقعوه وما لم يتوقع الا بالحساب
فصدق انه ليس في حسابه فقوله بغير حساب محمول على هذا المعنى والوجه الثالث ان المراد
ان ثواب اهل البلاء لا يقدر بالميزان والمكيال روى صاحب الكشاف عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ينصب الله الموازين يوم القيامة فيؤتى باهل الصلاة فيوفون اجورهم بالموازين ويؤتى باهل الصدقة

فيوفون

فيوفون اجورهم بالموازين ويؤتى باهل الحج فيوفون بالموازين ويؤتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان
ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا قال الله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل
النوع الثاني من البيانات التي امر الله رسوله ان يذكرها قوله تعالى قل اني امرت ان اعبد
الله مخلصا له الدين قال مقاتل ان كفار قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما يحملك على هذا الدين
الذي اتيتنا به الا تنظر الى ملة ابيك وجدك وسادات قومك يعبدون اللات والعزى فانزل الله
تعالى قل يا محمد اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين واعلم ان التكاليف نوعان احدهما
الامر بالاحتراز عما لا ينبغي والثاني الامر بتحصيل ما ينبغي والمرتبة الاولى مقدمة على المرتبة
الثانية بحسب الرتبة اللازمة اذا ثبت هذا فنقول انه تعالى قدم الامر بالازالة فقال
اتقوا ربكم لان التقوى هو الاحتراز عما لا ينبغي ثم ذكر عقيبه الامر بتحصيل ما ينبغي فقال قل اني
امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وهذا يشتمل على قيدين احدهما الامر بعبادة الله والثاني كون
تلك العبادة خالصة عن شوائب الشرك الجلي والخفي وانما خص الله تعالى الرسول بهذا الامر لينبه على ان
غيره بذلك احق فهو كالترغيب للغير وقوله تعالى وامرت لان اكون اول المسلمين ولا شبهة في ان اول
ان المراد اول من تمسك بالعبادات التي ارسلت بها وفي هذه الاية فوائد الفائدة الاولى
كانه يقول اني لست من الملوك الجبابرة الذين يأمرون الناس باشياء وهم لا يفعلونها بل كل ما امرتكم به فانا اول الناس
شروعا فيه واكثر مداومة عليه والفائدة الثانية انه قال اولا امرت ان اعبد الله والعبادة لها ركنان عمل القلب
وعمل الجوارح وعمل القلب اشرف من عمل الجوارح فقدم ذكر الجزء الاشرف وهو قوله مخلصا له الدين ثم ذكر عقيبه الادون
وهو عمل الجوارح وهو الاسلام لان النبي صلى الله عليه وسلم فسر الاسلام في خبر جبريل عليه السلام بالاعمال الظاهرة وهو المراد
بقوله في هذه الاية وامرت لان اكون اول المسلمين وليس لقائل ان يقول ما الفائدة في تكرير لفظ امرت لانا نقول
ذكره اولا في عمل القلب وثانيا في عمل الجارحة فلا يكون تكرارا الفائدة الثالثة في قوله امرت ان اكون اول المسلمين
التنبيه على كونه رسولا من عند الله واجب الطاعة لان اول المسلمين في شرائع الله لا يمكن ان يكون الا رسول الله
لان كل من سواه فانما يعرف تلك الشرائع والتكاليف من الرسول المبلغ ولما بين الله تعالى امره بالاخلاص في القلب
وبالاعمال المخصوصة وكان الامر يحتمل الوجوب ويحتمل الندب بين ان ذلك الامر للوجوب فقال قل اني اخاف ان عصيت
ربي عذاب يوم عظيم وفيه فوائد الفائدة الاولى ان الله تعالى امر محمدا ان يجري هذا الكلام على نفسه
والمقصود منه المبالغة في زجر الغير عن المعاصي لانه مع جلالة قدره وشرف نبوته اذا وجب ان يكون خائفا
حذرا عن المعاصي فكيف غيره وذلك لاهل الفائدة الثانية دلت الاية على ان المرتب على المعصية ليس حصول
العقاب بل الخوف من العقاب وهذا يطابق قولنا ان الله تعالى قد يعفو عن الذنب الصغيرة والكبيرة لان اللازم
عند حصول المعصية هو الخوف من العقاب لا نفس حصول العقاب الفائدة الثالثة دلت الاية على ان ظاهر الامر
للوجوب وذلك لانه قال في اول الاية اني امرت ان اعبد الله ثم قال بعده قل اني اخاف ان عصيت ربي فيكون
معنى هذا العصيان ترك الامر الذي تقدم ذكره وذلك يقتضي ان يكون تارك الامر عاصيا والعاصي يترتب عليه
الخوف من العقاب ولا معنى للوجوب الا ذلك النوع الثالث من البيانات التي امر الله رسوله ان يذكرها
قوله قل الله اعبد مخلصا له ديني فان قيل ما معنى التكرير في قوله قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين
وقوله قل الله اعبد مخلصا له ديني قلنا هذا ليس بتكرير لان الاول اخبار بانه مامور من جهة الله
انه امر بالعبادة والثاني اخبار بانه امر بان لا يعبد احدا غير الله وذلك لان قوله امرت ان اعبد الله لا يفيد
الحصر وقوله تعالى قل الله اعبد يفيد الحصر يعني الله اعبد ولا اعبد احدا سواه والدليل عليه انه لما قال

قل الله اعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه واعلم ان قوله فاعبدوا ما شئتم ليس امرا بل المراد منه الزجر
كانه يقول لما بلغ البيان في وجوب رعاية التوحيد الى الغاية القصوى فبعد ذلك انتم اعرف بانفسكم ثم بين نوعها
في هلاك العقل هلاكه اعظم منه وخسروا اهليهم ايضا لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم
وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده البتة وقال ابن عباس ان لكل رجل منزلا واهلا
وخدما في الجنة فان اطاع اعطي ذلك وان كان من اهل النار حرم فخسر نفسه واهله ومنزله وورثه غيره
من المسلمين والخاسر المغبون ولما شرح الله خسرانهم وصف ذلك الخسران بغاية الفظاعة فقال الا ذلك هو
الخسران المبين وبيان دلالة هذا اللفظ على غاية المبالغة من وجوه الاول انه تعالى لما وصفهم بالخسران اولا ثم اعاده
ثانيا بقوله الا ذلك هو الخسران المبين كان التكرير لاجل التاكيد الثاني انه تعالى ذكر في اول هذه الكلمة حرف الا وهو
للتنبيه وذكر التنبيه في هذا الموضع يدل على التعظيم كانه قيل انه بلغ في العظمة الى حيث لا تصل عقولكم فتنبهوا
لها الثالث ان كلمة هو في قوله هو الخسران تفيد الحصر كانه قيل كل خسران فانه في مقابلته يصير
لا خسرانا الرابع وصفه بكونه مبينا يدل على التهويل واقول لقد بينا ان لفظ الاية يدل على كونه خسرانا مبينا
واقول نفتقر الى بيان العرض الى بيان كونه خسرانا الى بيان كونه خسرانا مبينا اما الاول فتقريره ان الله تعالى
اعطى هذه الحياة واعطى العقل واعطى المكنة وكل ذلك راس المال اما هذه الحياة فالمقصود منها ان يكتسب فيها
الخيرات الطيبة مع الروح واما العقل فانه عبارة عن العلوم البديهية وهذه العلوم هي راس المال والنظر
والفكر معناه الا ترتيب علوم ليتوصل بذلك الترتيب الى تحصيل علوم كسبية فتلك العلوم البديهية المسماة بالعقل
راس المال وتركيبها على الوجوه المخصوصة شبيه تصرف التاجر في راس المال بالبيع والشرى وحصول العلم بالنتيجة شبيه
حصول الربح وايضا حصول القدرة على الاعمال يشبه راس المال واستعمال تلك القوة في تحصيل الاعمال الرواجح
يشبه تصرف التاجر في راس المال وحصول الخير الباقي يشبه الربح اذا ثبت هذا فنقول ان من اعطاه
الله الحياة والعقل والمكنة ثم انه لم يستفد منها علما بحق ولا عملا بخير البتة كان محروما عن الربح بالكلية
واذا مات فقد ضاع راس المال بالكلية فكان ذلك خسرانا فهذا البيان بيان كونه خسرانا واما بيان كون ذلك الخسران
مبينا فهو ان من ضيع الربح وراس المال فهو خاسر لكنه مع ذلك سلم عن الالام المضادة فهذا وان لم يحصل له مزيد نفع لم يحصل له
الالام مزيد ضرر اما هؤلاء الكفار فقد استعملوا عقولهم التي هي راس المال في استخراج وجوه الشبهات
وتقوية الجهالات والضلالات واستعملوا قواهم وقدرهم في اعمال الشرور والباطل والفاسد فهم قد جمعوا بين
امرين في غاية الرداءة اولها انهم اتعبوا ابدانهم وعقولهم في طلب تلك العقائد الباطلة والاعمال الفاسدة
وثانيها انهم عند الموت يفوت عنهم راس المال من غير فائدة وثالثها انهم لما اعتقدوا الباطل في الامور التي
كانوا يرجونه في الدنيا فتحصل من تلك الضلالات التي تفضي اسبابا للعقوبة الشديدة وللبلاء العظيم بعد الموت
وعند الوقوف على هذه المعاني تظهر انه لا يعقل خسران اشد من خسرانهم ولا حرمان اعظم من حرمانهم
نعوذ بالله منه ولما شرح الله تعالى احوال خسرانهم عبر عن كيفية خسرانهم بين انهم لم يقتصروا على
الحرمان والخسران بل ضموا اليها استحقاق العذاب العظيم والعقاب الشديد فقال لهم من فوقهم ظلل من النار
ومن تحتهم ظلل والمراد احاطة النار بهم من جميع الجوانب ونظيره في ... احاطة بان الجهل
والحرص وسائر الاخلاق الذميمة بالانسان فان قيل الظلة ما علا الانسان فكيف سمى ما تحته بالظلة والجواب
من وجوه الاول انه من باب اطلاق اسم احد الضدين على الاخر لقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها الثاني ان
الذي تحته يكون ظلة لانا بينا ان للنار دركات كما ان للجنة درجات الثالث ان الظلة التحتانية
اذا كانت مشابهة للظلة الفوقانية في الحرارة والاحراق والايذاء اطلق اسم احدهما على الاخر لاجل المماثلة والمشابهة
ماكل الحس ثم ... من النار لا يبدو ما يوهمهم اكثر مما تحتهم ونظيره هذه الاية قوله تعالى يغشاهم العذاب

من فوقهم

من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقوله تعالى لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش ثم قال تعالى ذلك
مبتدا وقوله يخوف الله به خبره وفي قوله يخوف الله به عباده قولان الاول ان ذلك العذاب
المعد للكفار هو الذي يخوف الله به عباده اي المؤمنين لانا بينا ان لفظ العباد في القران مختص باهل الايمان
وانما كان تخويفا للمؤمنين لاجل انهم اذا سمعوا ان حال الكفار ما تقدم خافوا فاخلصوا في التوحيد
والطاعة الوجه الثاني ان هذا الكلام في تقدير جواب عن سؤال لانه تعالى غني عن العالمين
منزه عن الشهوة والانتقام وداعية الايذاء فكيف يليق به ان يعذب هؤلاء المساكين الى هذا الحد العظيم
واجيب عنه بان المقصود منه تخويف الكفار والضلال عن الكفر والضلال فاذا كان المقصود منه
انما هو التخويف والتخويف لا يحصل الا بالايقاع به ولهذا فالحكمة الباقية في الوجود وجب ادخال ذلك النوع من العذاب
في الوجود تحصيلا لذلك المطلوب الذي هو التخويف الوجه الاول عندي اقرب والدليل عليه انه قال بعده
يا عباد فاتقون وقوله يا عباد الظاهر ان المراد منه المؤمنين فكانه قيل المقصود من شرح عذاب الكفار
للمؤمنين تخويف المؤمنين فيا ايها المؤمنون بالغوا في الخوف والحذر والتقوى قوله تعالى
والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وانابوا الى الله لهم البشرى فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون
احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار
لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد
اعلم انه تعالى لما ذكر وعيد عبدة الاصنام والاوثان ذكر وعد من اجتنب عبادتها واحترز
عن الشرك ليكون الوعد مقرونا بالوعيد ابدا فيحصل كمال الترغيب والترهيب وفيه مسائل المسألة الاولى قال
صاحب الكشاف الطاغوت فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت الا ان فيها قلبا بتقديم اللام على العين
وفي هذه اللفظة انواع من المبالغة احدها التسمية بالمصدر كان عين ذلك الشيء طغيان وثانيها ان البناء
بناء المبالغة فان الرحموت الرحمة الواسعة والملكوت الملك المبسوط وثالثها ما ذكرنا من تقديم اللام على العين
ومثل هذا انما يصار اليه عند المبالغة المسألة الثانية اختلفوا في ان المراد من الطاغوت ههنا
الشيطان ام الاوثان فقيل انه الشيطان فان قالوا انهم ما عبدوا الشيطان وانما عبدوا الصنم قلنا
الداعي الى عبادة الصنم لما كان هو الشيطان كان الاقدام على عبادة الصنم عبادة للشيطان وقيل المراد بالطاغوت
الصنم وسميت طواغيت على سبيل المجاز لانه لا فعل لها والطغاة هم الذين يعبدونها الا ان الله لما جعل الطغيان
عندها وصفت بهذه الصفة اطلاقا لاسم المسبب على السبب بحسب الظاهر وقيل كل ما يعبد
ويطاع من دون الله فهو طاغوت وسيأتي في السؤالات ان الاصل في عبادة الاصنام ان القوم كانوا مشبهة
واعتقدوا في الاله انه نور عظيم وفي الملائكة انها انوار مختلفة في الصغر والكبر فوضعوا تماثيل وصورا
على وفق تلك الخيالات فكانوا يعبدون تلك التماثيل على اعتقاد انهم يعبدون الله والملائكة واقول
حاصل الكلام في قوله والذين اجتنبوا الطاغوت الذين اعرضوا عن عبودية كل ما سوى الله وقوله تعالى وانابوا
الى الله اي رجعوا بالكلية الى الله ورايت في السفر الخامس من التوراة ان الله قال لموسى يا موسى احب الهك
بكل قلبك واقول ما دام يبقى في القلب التفات الى غير الله فهو ما اجاب الله بكل قلبه وانما تحصل الاجابة بكل القلب
اذا كان معرضا عن كل ما سوى الله من نيات الطاعات فكيف يعرض عنها مع انه بالحس يرى هذه الاسباب
المتشعبة الى المسببات في هذا العالم فلما ليس المراد من الاعراض عن العلل ان يعرض عنها بالعلم فان ذلك
بالعلم دخول في السفسطة بل المراد انه يعرف ان واجب الوجود لذاته واحد وان كل ما سواه فانه ممكن الوجود
لذاته وكل ما كان ممكنا لذاته فانه لا يوجد الا بتكوين الواجب ايجاده ثم انه سبحانه جعل تكوينه للاشياء على قسمين
منها ما يكون بغير واسطة وهو عالم السموات والروحانيات ومنها ما يكون بواسطة وهو عالم العناصر والعالم الاسفل

فاذا عرف الاشيا على هذا الوجه عرف ان الكل لله ومن الله وبالله والى الله وانه لا مدبر الا هو وحينئذ ينقطع نظره عن هذه الممكنات وينتهي شغول القلب بالمؤثر الاول والموجد الاول فانه ان كان يلتفت الى اسباب الروحانية والجسمانية بحيث يتادى الى هذا المطلوب ههنا الذي يحصل وان كان قد وصلها بحيث انتهى الى حصول هذا الشي بحصول هذا الطريق ينقطع نظره عن الكل ولا يبقى في قلبه التفات الى شي الا الى الموجود الاول ولهذا يقال ان كنت انعم بعض العبادات في حفظ العرض والمال فقارعني وبالسلكوت(?) انما هذا على الجد والجهد بل حسب الاعتماد على فضل الله وقدره تعلقت هذه كلها بحقيقة سمعتها ولكنك ما عرفت معناها ودلالته ثم انه الكل من الله تعالى الحكم انه سبحانه دبر الاشيا على نحو منها ما جعل حدوثه وحصوله معلقا باسباب معلومة ومنها ما يحدثه من غير واسطة هذه الاشيا اما القسم الاول فهو حوادث هذا العالم الاسفل واما القسم الثاني فهو حوادث هذا العالم الاعلى فاذا ثبت هذا فمن طلب حوادث هذا العالم الاسفل لا من الاسباب التي عينها الله تعالى لها كان هذا الشخص منازعا لله في حكمه مخالفا في تدبيره فان الله تعالى حكم بحدوث هذه الاشياء بنا على تلك الاسباب المعينة المعلومة وانت تريد تحصيلها لا من تلك الاسباب فهذا هو الكلام في تحقيق الاعراض من غير الله ثم اخبر تعالى انه ما قبل على الله تعالى بقوله تعالى والذين اجتنبوا الطاغوت اشارة الى الاعراض عن غير الله تعالى وقوله تعالى وانابوا الى الله اشارة الى الاقبال بالكلية على عبادة الله ثم انه تعالى وعد هؤلاء باشيا احدها قوله تعالى لهم البشرى واعلم ان هذه الكلمة تحتمل وجوها احدها ان هذه البشارات متى تحصل فنقول انها تحصل عند القرب من الموت وعند الوضع في القبر وعند الخروج من القبر وعند الوقوف في عرصة القيامة وعندما يصير فريق في الجنة وفريق في السعير وعند ما يدخل الموصوف في الجنة ففي كل موقف من هذه المواقف تحصل البشارة بنوع من الخير والروح والراحة والريحان وثانيها ان هذه البشارة بماذا تحصل فنقول هذه البشارة تحصل بزوال المكروهات وبحصول المرادات اما زوال المكروهات فقوله تعالى الا تخافوا ولا تحزنوا والخوف انما يكون من المستقبل والحزن انما يكون بسبب الاحوال الماضية فقوله الا تخافوا يعني لا تخافوا فيما تستقبلونه من احوال القيامة ولا تحزنوا بسبب ما فاتكم من خيرات الدنيا ولما ازال عنهم هذه المكروهات بشرهم بحصول الخيرات والسعادات فقال وابشروا بالجنة وقال ايضا في اية اخرى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم بشراكم اليوم جنات وقال ايضا فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين والملائكة المبشرون هو قوله تحمل بنفسهم(?) الملائكة اما عند الموت فقوله تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم واما بعد دخول الجنة فقوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ويكمل ذلك ان الله سبحانه كما قال تحيتهم يوم يلقونه سلام واعلم ان قوله لهم البشرى نوع من انواع التاكيد لانه يفيد الحصر تقول لهم البشرى اي لهم لا لغيرهم وهذا يفيد انه لا بشارة لاحد الا اذا اجتنب عن غير الله تعالى واقبل بالكلية على الله تعالى وثانيها ان الالف واللام في لفظ البشرى مقيلة(?) للماهية فيفيد ان هذه الماهية بتمامها لهم وما بقي منها نصيب لغيرهم والمثال ان هذه ترد بها اخبارا بالبشارة فالبشارة فعل لحصول الخبر الوارد اذا عرفت هذا فنقول كلما يسمع في الدنيا من انواع الثواب والكرامة فاذا سمعوه عند الموت او في القبر فذاك لا يكون بشارة بل يكون اخبارا فثبت ان هذه البشارة لا تحقق لها الا اذا حصل الضاد بحصول انواع اخر من السعادات تعرفوها وسمعوها في الدنيا نسال الله تعالى الفوز بها وثالثها ان المبشر بقوله لهم البشرى هو الله تعالى وهو اعظم العظما واكمل الموجودات والشرط المعتبر في حصول هذه اللذة شرط عظيم يهون الصعاب سوى الله تعالى والاقبال بالكلية على الله تعالى والسلطان العظيم اذا ذكر شرطا عظيما ثم بالغ في ان ذلك الشرط العظيم ابشر بهذه البشارة الصادرة من السلطان العظيم المرتبة على حصول ذلك الشرط العظيم يدل على ان المبشر به قد بلغ في الكمال والرفعة الى حيث يعجز الى شرحها العقول والافكار فثبت ان قوله لهم البشرى يدل على نهاية الكمال والسعادة من هذه الوجوه

والله اعلم

والله اعلم واعلم انه تعالى لما ذكر ان لهم البشرى وكان هذا كالمجمل اردفه بما يجري مجرى التفسير والشرح له فقال تعالى فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه الذين اجتنبوا وانابوا الا فيهم وهذا يدل على ان راس السعادات ومركز الخيرات ومعدن الكرامات هو الاعراض عن غير الله تعالى والاقبال بالكلية على طاعة الله والمقصود من هذا اللفظ التنبيه على ان الذين اجتنبوا وانابوا هم الموصوفون بانهم يستمعون القول فيتبعون احسنه فوضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على هذا الحرف ومنهم من قال انه تعالى لما بين ان الذين اجتنبوا وانابوا لهم البشرى وكان ذلك درجة عالية لا يصل اليها الا الاقلون وبقي السعادة عليهم بعض حرمان المكلفين وذلك لا يليق بالرحمة التامة لاجرم جعل الحكم اعم فقال كل من اختار الاحسن في كل باب كان من زمرة السعداء واعلم ان هذه الاية تدل على فوايد الفايدة الاولى وجوب النظر والاستدلال وذلك لانه تعالى بين ان الهداية والفلاح مربوطان بما اذا سمع الانسان اشياء كثيرة فانه يختار منها ما هو احسن واصوب ومن المعلوم ان تمييز الاحسن الاصوب عما سواه لا يحصل بالسماع لان السماع صار قدرا مشتركا بين الكل لان قوله الذين يستمعون القول يدل على ان السماع قدر مشترك فيه فثبت ان تمييز الاحسن عما سواه لا يتاتى بالسماع وانما يتاتى بحجة العقل وهذا يدل على ان الموجب لاستحقاق المدح والثناء متابعة حجة العقل وبناء العقل الامر على النظر والاستدلال الفايدة الثانية ان الطريق الى تصحيح المذاهب والاديان فنقول ان احدهما اقامة الحجة والبينة على صحته على سبيل التفصيل وذلك طريق يمكن تحصيله الا للخواص في كل فلعل من المسايل على التفصيل والثاني انا نقل البحث عن الدلايل وتقريرها والشبهات وتزييفها فنقول ان كل مذهب واعتقادها على قولنا فكلما حكم به اول العقل بانه افضل واكمل كان اولى بالقبول مثاله ان صريح العقل شاهد بان الاقرار بان اله العالم حي عالم قادر حكيم رحيم اولى من انكار ذلك فكان ذلك المذهب اولى ثم الاقرار بان الله لا يجري في ملكه وسلطانه الا ما كان على وفق مشيته اولى من القول بان اكثر ما يجري في سلطان الله على خلاف ارادته والاقرار بان الله فرد احد منزه عن التركيب والاعضاء اولى من القول بكونه متبعضا مؤلفا والقول بكونه متعاليا عن المكان والزمان اولى من القول باستقراره فيهما والقول بان الله رحيم كريم قد يعفو عن العقاب اولى من القول بانه لا يعفو عنه البتة فظهر هذه الابواب يدخل تحت قوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه هذا ما يتعلق باختيار الاحسن في ابواب الاعتقاد واما ما يتعلق بابواب التكاليف فهي على قسمين منها ما يكون من ابواب العبادات ومنها ما يكون من ابواب المعاملات اما العبادات فمثل قولنا الصلاة التي يذكر في تحريمها الله اكبر ويكثر التنبيه فيها مثل التكبير وتقرا فيها سورة الفاتحة ويثنى ما لم يكن في المواقف الخمسة ويقرأ فيها التشهد ويخرج عنها بقوله السلام عليكم فلا شك انها احسن من الصلاة التي لا يراعى فيها شي من هذه الاحوال فوجب على العاقل ان يختار هذه الصلاة وان يترك ما سواها وكذلك القول في جميع ابواب العبادات واما المعاملات فمثل ذلك مثل انه تعالى شرع القصاص والدية والعفو ولكنه ندب الى العفو فقال وان تعفوا اقرب للتقوى وعن ابن عباس رضي الله عنه ان المراد منه الرجل يجلس مع القوم يستمع الحديث فيه محاسن ومساوي فيحدث باحسن ما سمع ويترك ما سواه واعلم انه تعالى حكم على الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه انهم اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب وفيه دقيقة عجيبة وهي ان حصول الهداية في العقل والروح امر حادث فلا بد له من فاعل وقابل اما الفاعل فهو الله سبحانه وتعالى وهو المراد من قوله اولئك الذين هداهم الله واما القابل فهو المشار اليه بقوله واولئك هم اولوا الالباب فان الانسان ما لم يكن عاقلا كامل الفهم امتنع حصول هذه المعارف الحقيقية في قلبه فثبت انه لا بد من الفاعل لهذه الهداية وهو الله تعالى وذلك لان جوهر النفس مع ما فيها من نور العقل قابل للاعتقاد الحق وللاعتقاد الباطل واذا كان الشي قابلا للضدين كانت نسبة ذلك القابل اليهما على السوية ومتى كان الامر كذلك امتنع كون ذلك القابل سببا لرجحان احد الطرفين الا ترى ان الجسم لما كان قابلا للحركة والسكون على السوية امتنع ان يصير ذات الجسم سببا لرجحان احد الطرفين على الاخر فاذا ثبت هذا فنقول ان ذات النفس والعقل

يرجح هذا الرجحان بل يقول انه يريد تحصيل احد الطرفين بتعين ذلك الارادة سببا لذلك الرجحان بسول
نفسا باطل لان ذات النفس كما انها قابلة لتلك الارادة فكذلك قابلة لارادة منافية لتلك الارادة فيمتنع كون جوهر
النفس سببا لتلك الارادة فثبت ان حصول الهداية لا بد لها من فاعل ومن قابل اما الفاعل فيمتنع ان يكون هو
النفس بل الفاعل هو الله سبحانه واما القابل فهو جوهر النفس فثبت السبب ما قاله الذين هداهم الله
واولئك هم اولوا الالباب ثم قال تعالى افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار وفيه مسائل
المسئلة الاولى في لفظ الآية سؤال وهو انه يقال انه لا يصح في الكلام العربي ان يدخل حرف الاستفهام على الاسم وعلى
الخبر معا فلا يقال ازيد انت تضربه بل يقتصر على احدهما وها هنا قد ادخل حرف الهمزة
عليهما معا فقوله افمن حق افانت ولاجل هذا السؤال اختلف النحويون وذكروا وجوها الاول قال صاحب الكشاف
الآية جملتان والتقدير افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تخلصه افانت تنقذ من في النار الثاني قال صاحب
الكشاف اصل الكلام امن حق عليه كلمة العذاب فانت تنقذه وهي جملة شرطية دخل عليها همزة الانكار
والفاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التي في اولها للعطف على محذوف يدل عليه الخطاب تقديره انت مالكهم
امرهم فمن حق عليه العذاب فانت تنقذه والهمزة الثانية هي الاولى كررت لتوكيد معنى الانكار والاستبعاد
ووضع من في النار موضع الضمير فالآية على هذا جملة واحدة الثالث لا يبعد ان يقال ان حرف الاستفهام انما ورد ههنا
لافادة معنى الانكار ولما كان تقدير الاستبعاد هذا المعنى كاملا تاما لا جرم ذكر هذا الحرف في الشرط واعاده
في الجزاء تنبيها على المبالغة التامة في ذلك الانكار المسئلة الثانية احتج الاصحاب بهذه الآية في مسئلة
الهدى والضلال وذلك لانه تعالى قال افمن حق عليه كلمة العذاب فاذا حقت كلمة العذاب عليه امتنع
منه فعل الايمان والطاعة والا لزم انقلاب خبر الله كذبا وانقلاب علمه جهلا وهو محال والوجه الثاني
في الاستدلال به انه تعالى حكم بان حقيقة كلمة العذاب توجب الاستنكار التام من صدور الايمان
والطاعة منه ولو كان ذلك ممكنا ولم تكن حقيقة كلمة العذاب مانعة منه لم يبق لهذا الاستنكار و
الاستبعاد معنى المسئلة الثالثة احتج القاضي بهذه الآية على ان النبي عليه السلام لا يشفع لاهل الكبائر
قال لانه حق عليهم العذاب فتلك الشفاعة تكون جارية مجرى انقاذهم من النار وانه تعالى حكم عليه
بالانكار والاستبعاد فسبيله لانسلم ان اهل الكبائر قد حق عليهم العذاب وكيف يحق العذاب عليهم مع ان
الله تعالى قال ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومع قوله ان الله يغفر الذنوب
جميعا والله اعلم النوع الثاني من الاشياء التي وعدها الله هؤلاء الذين اجتنبوا وانابوا قوله لكن الذين
اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف وهذا كالمقابل لما ذكر في وصف الكفار لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم
ظلل فان قيل ما معنى قوله مبنية قلنا ان المنزل اذا بني على منزل اخر كان الفوقاني اضعف بناء
من التحتاني فقوله مبنية معناه انه وان كان فوق غيره لكنه في القوة والشدة مساو للمنزل الاسفل والحاصل
ان المنزل الفوقاني والتحتاني حصل في كل واحد منهما فضيلة ونقيصة اما الفوقاني ففضيلته العلو والارتفاع
ونقيصته الرقادة والسخافة واما التحتاني فبالضد منه اما منازل الجنة فانها تكون جامعة لكل الفضائل
فهي عالية مرتفعة وهي تكون في غاية القوة والشدة وما الحكمة في اسلم هذه الغرف المبنية بعضها فوق البعض
مثالها من الاحوال النفسانية كالعلوم الكسبية فان بعضها مبني على البعض والنتائج من العلوم التي هي
عبارة عن معرفة ذات الله تعالى وصفاته تكون في غاية القوة كالعلوم الاصلية البديهية ثم قال تجري من تحتها
الانهار وذلك معلوم ثم ختم الكلام بقوله وعد الله لا يخلف الله الميعاد قوله وعد الله مصدر مؤكد لان قوله لهم
غرف في معنى وعدهم الله ذلك وفي الآية دقيقة شريفة وهي انه تعالى في كثير من آيات الوعد صرح بان هذا وعد
الله وانه لا يخلف وعده ولم يذكر في آيات الوعيد البتة مثل هذا التأكيد والتقوية وذلك يدل على ان جانب الوعد

ارجح

304

ارجح من جانب الوعيد بخلاف ما تقوله المعتزلة فان قالوا اليس انه قال في جانب الوعيد ما يبدل القول
لدي وما انا بظلام للعبيد قلنا قوله ما يبدل القول لدي ليس صريحا بجانب الوعيد بل هو كلام عام يتناول
القسمين اعني الوعد والوعيد فثبت ان الترجيح الذي ذكرناه حق والله اعلم **قوله تعالى**
الم تر ان الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه ثم يهيج فتراه مصفرا
ثم يجعله حطاما ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب اعلم انه تعالى لما وصف الآخرة بصفات توجب الرغبة
العظيمة فيها ووصف الدنيا بصفة توجب النفرة عنها وذلك انه تعالى بين انه انزل من السماء ماء وهو المطر
وسلكه في الارض ينابيع انه تعالى بين ما اذا بعد ذلك فسلكه في الارض اي فادخله ونظمه
ينابيع في الارض عيونا ومسالك ومجاري كالعروق في الاجساد ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه من خضرة وحمرة و
وبياض وصفرة او مختلفا اصنافه من بر وشعير وسمسم ثم يهيج وذلك لانه اذا تم جفافه جاز له ان ينفصل
عن منابته وان لم تتفرق اجزاؤه فتلك الاجزاء كأنها هاجت لان تتفرق ثم يصير حطاما فتاتا ان في ذلك لذكرى
يعني ان من شاهد هذه الاحوال في النبات علم ان احوال الحيوان والانسان كذلك وانه وان طال عمره فلا بد
له من الانتهاء الى ان يصير مصفر اللون متحطم الاعضاء والاجزاء ثم تكون عاقبته الموت فاذا كان مشاهدة هذه
الاحوال في النبات تذكره حصول مثل هذه الاحوال في نفسه وفي حياته فحينئذ تعظم نفرته عن الدنيا و
طيباتها والحاصل انه تعالى في الآية المتقدمة ذكر ما يقوي الرغبة في الآخرة وذكر في هذه الآية ما يقوي النفرة
عن الدنيا فشرح صفات النبات ثم يقوي الرغبة في طاعة الله وشرح ههنا ما يقوي النفرة عن الدنيا
وانما قدم الترغيب في الآخرة على التنفير عن الدنيا لان الترغيب في الآخرة مقصود بالذات والتنفير عن الدنيا مقصود بالعرض
والمقصود بالذات مقدم على المقصود بالعرض فهذا تمام الكلام في تفسير الآية بقي ها هنا ما يتعلق بالبحث عن الالفاظ
قال صاحب الكشاف الينابيع جمع ينبوع وهو يفعول من نبع يقال نبع الماء ينبع وينبع وينبع
ثلاث لغات ذكرها الكسائي والفراء وقوله ينابيع نصب على الظرف كلمة الخافض اي فسلكه في ينابيع ثم
يهيج اي يجف والحطام ما تفتت وتكسر من النبت **قوله تعالى** افمن شرح الله صدره للاسلام
فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك في ضلال مبين الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها
مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء
ومن يضلل الله فما له من هاد افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون
كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فاذاقهم الله الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة
اكبر لو كانوا يعلمون ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربيا غير ذي عوج
لعلهم يتقون في الآية مسائل المسئلة الاولى اعلم انه تعالى لما بالغ في تقرير البيانات الدالة على وجوب
الاقبال على طاعة الله تعالى ووجوب الاعراض عن الدنيا بين بعد ذلك ان الانتفاع بهذه البيانات لا يكمل
الا اذا شرح الله الصدر ونور القلب فقال افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه واعلم
انا في سورة الانعام في تفسير قوله فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ذكرنا في تفسير شرح الصدر وفي تفسير
الهداية كلاما مطولا فها هنا نقول انه تعالى خلق جواهر النفوس مختلفة بالماهية فبعضها
خيرة نورانية شريفة مائلة الى الالهيات عظيمة الرغبة في الاتصال بالروحانيات وبعضها نذلة كدرة
خسيسة مائلة الى الجسمانيات عظيمة الرغبة في الاتصال بهذه الجسمانيات وهذا التفاوت امر حاصل في
جواهر النفوس الغريزية والاستقراء يدل على ان الامر كذلك اذا عرفت هذا فنقول المراد من شرح الصدر
هو ذلك الاستعداد الشديد الموجود في جوهر النفس واذا كان ذلك الاستعداد الشديد حاصلا كفى في
خروج تلك الحالة من القوة الى الفعل ادنى سبب كالكبريت الذي يشتعل من ادنى نار اما اذا كانت النفس

بعيدة عن قبول هذه الجلايا القدسية ومن الاحوال الروحانية بل كانت مستغرقة في طلب الجسمانيات فالحاصل
النائي عن الاحوال المناسبة للالهيات كانت قساوته كدورته وظلمانيته وكلما كانت ابعد عن الدلائل اليقينية و
البراهين الباهرة عليها اكثر كانت قسوتها وظلمتها اكمل اذا عرفت هذه القاعدة فالشرح الصدر فهو
ما ذكرناه واما النور فهو عبارة عن الهداية والمعرفة وما لم يحصل شرح الصدر اولا لم يحصل النور ثانيا
واذا كان الحاصل هو القسوة النفسانية لم يحصل الانتفاع البتة بسماع الدلائل بل ربما صار سماع الدلائل سببا
لزيادة القسوة ولشدة النفرة فهذه اصول يقينية يجب ان يكون معلوم عند الانسان حتى يمكنه الوقوف
على معاني هذه الآيات والله اعلم واما استدلال اصحابنا بهذه في مسئلة الجبر والقدر فكلام الخصوم عليه
قد تقدم مثاله والله اعلم المسئلة الثانية من محذوفة الخبر كما في قوله افمن هو قانت والتقدير
افمن شرح الله صدره للاسلام فاهتدى كمن طبع على قلبه فلم يهتد لقسوته والجواب متروك لان الكلام المذكور
دليل عليه وقوله تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله سؤال وهو ان ذكر الله سبب لحصول النور
والهداية وزيادة الاطمينان كما قال الا بذكر الله تطمئن القلوب فكيف جعله في هذه الآية سببا لحصول قسوة
القلب والجواب ان نقول ان النفس اذا كانت خبيثة الجوهر كدرة العنصر بعيدة عن مناسبة الروحانيات
شديدة الميل الى الطبائع البهيمية والاخلاق الذميمة فان سماعها لذكر الله قسوة وكدورة وتقرير هذا الكلام
بالامثلة ان الفاعل الواحد يختلف افعاله بحسب اختلاف القوابل كنور الشمس يسود وجه القصار ويبيض
ثوبه وحرارة الشمس تلين الشمع وتعقد الملح وقد نرى انسانا واحدا يذكر كلاما واحدا في مجلس واحد فهم
يستطيبه واحد ويستكرهه غيره وما ذاك الا ما ذكرناه من اختلاف جواهر النفوس ومن اختلاف
احوال النفوس ولما نزل قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين وكان عمر حاضرا وكان عمر بن
الخطاب وانسان آخر فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قوله تعالى ثم انشأناه خلقا آخر قال كل
واحد منهما فتبارك الله احسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا نزلت فازداد
عمر ايمانا على ايمانه وازداد ذلك الانسان كفرا على كفره اذا عرفت هذا لم يبعد ان يكون ذكر الله يوجب
النور والهداية والاطمينان في النفوس الطاهرة الروحانية ويوجب القسوة والبعد عن الحق في
النفوس الخبيثة الشيطانية اذا عرفت هذا فنقول ان رأس الادوية التي تفيد الصحة الروحانية
ورئيسها هو ذكر الله تعالى فاذا اتفق لبعض النفوس ان صار ذكر الله تعالى سببا لازدياد مرضها
كان مرض تلك النفس مرضا لا يرجى زواله ولا يتوقع علاجه وكانت في نهاية الشر والرداءة فلهذا
المعنى قال تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك في ضلال مبين وهذا كلام كامل محقق
ولما بين الله تعالى ذلك اردفه بما يدل على ان القرآن سبب لحصول النور والشفاء والهداية وزيادة
الاطمينان كما قال الا بذكر الله تطمئن القلوب ولما كان موصوفا بهذه الصفات ثم انه لم يحصل ذلك
الاثر بل صار سببا لمزيد القسوة دل ذلك على ان جوهر تلك النفس قد بلغ في الرداءة والخساسة الى اقصى
الغايات فنقول انه تعالى وصف القرآن بانواع من صفات الكمال الصفة الاولى قوله تعالى الله
نزل احسن الحديث وفيه مسائل المسئلة الاولى القائلون بحدوث القرآن احتجوا بهذه الآية من وجوه الاول
انه تعالى وصفه بكونه حديثا في هذه الآية وفي آيات اخر منها قوله تعالى فليأتوا بحديث مثله ومنها
قوله تعالى افبهذا الحديث انتم مدهنون والحديث لا بد وان يكون حادثا قالوا بل الحديث اقوى في
الدلالة على الحدوث من الحادث لانه يصح ان يقال هذا حديث وليس بعتيق وهذا عتيق وليس بحديث
ولا يصح ان يقال هذا عتيق وليس بحادث ثبت ان الحديث هو الذي يكون قريب العهد بالحدوث
وسمي الحديث حديثا لانه مؤلف من الحروف والكلمات وتلك الحروف والكلمات تحدث حالا بعد حال

وساعة فساعة

وساعة فساعة فهذا تمام تقرير هذا الوجه اما الوجه الثاني في بيان ان المسئلة لا القوم انهم قالوا انه تعالى
وصفه بانه نزله والمنزل يكون في محل تصرف الغير وما كان كذلك فهو محدث محادث واما الوجه
الثالث في بيان ان المسئلة لا القوم انهم قالوا قوله احسن الحديث يقتضي ان يكون من جنس سائر الاحاديث كما ان
قوله زيد افضل الاخوة يقتضي ان يكون زيد مشاركا لاولئك الاقوام في صفة الاخوة ويكون من جنسهم فثبت ان
القرآن من جنس سائر الاحاديث ولما كان سائر الاحاديث حادثة وجب ان يكون القرآن حادثا اما
الوجه الرابع في بيان ان المسئلة لا القوم انهم قالوا انه تعالى وصفه بكونه كتابا والكتاب مشتق من الكتبة وهي الاجتماع
وهذا يدل على انه مجموع جامع ومحل تصرف متصرف وذلك يدل على كونه محدثا والجواب ان نقول
نحمل هذا الدليل على الكلام المؤلف من الحروف والاصوات والالفاظ والعبارات وذلك الكلام عندنا محدث
ومخلوق والله اعلم المسئلة الثانية كون القرآن احسن الحديث اما ان يكون احسن الحديث بحسب لفظه
او بحسب معناه والاول لا يكون ذلك الحسن لاجل الفصاحة والجزالة والثاني ان يكون بحسب النظم والاسلوب
وذلك لان القرآن ليس من جنس الشعر ولا من جنس الخطب ولا من جنس الرسائل بل هو نوع يخالف الكل
مع ان كل طبع سليم يستلذه ويستطيبه القسم الثالث ان يكون كونه احسن الحديث لاجل المعنى وهذا من وجوه
الاول انه كتاب منزه عن التناقض كما قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا
كثيرا ومثل هذا الكتاب اذا خلا عن التناقض كان ذلك من المعجزات الوجه الثاني اشتماله على الغيوب
الكثيرة في الماضي والمستقبل الوجه الثالث ان العلوم الموجودة فيه كثيرة جدا فهذه العلوم ان
ننال العلوم النافعة هي ما ذكره الله تعالى في قوله والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق
بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فهذا احسن ضبط يمكن ذكره في العلوم
النافعة اما العلم بالله فهو المسمى بالايمان بالله وهذا يشتمل على خمسة اقسام معرفة الذات والصفات
والافعال والاحكام والاسماء اما معرفة الذات فهي ان تعلم وجوب وجوده وقدمه وبقاءه واما معرفة الصفات
فهي نوعان احدهما ما يجب تنزيهه عنه وهو كونه جسما وجوهرا مركبا من الاعضاء والاجزاء وكونه مختصا بحيز
وجهة ويجب ان تعلم ان الالفاظ الدالة على التنزيه اربعة ليس ولم وما ولا وهذه الاربعة مذكورة في كتاب الله
تعالى لبيان التنزيه اما كلمة ليس فقوله ليس كمثله شيء واما كلمة لم فقوله لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد
واما كلمة ما فقوله وما كان ربك نسيا ما كان لله ان يتخذ من ولد واما كلمة لا فقوله تعالى لا تاخذه سنة
ولا نوم وهو يطعم ولا يطعم وهو يجير ولا يجار عليه وقوله في سبع مواضع من القرآن لا اله الا هو
واما النوع الثاني وهو الصفات التي يجب كونه موصوفا بها فاولها العلم بالله والعلم بكونه محدثا
خالقا قال تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض وثانيها العلم بكونه قادرا قال تعالى [illegible]
بلى قادرين على ان نسوي بنانه وقال تعالى اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى وثالثها العلم بكونه تعالى
عالما قال تعالى هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة ورابعها العلم بكونه عالما بكل المعلومات قال تعالى
وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقوله تعالى الله يعلم ما تحمل كل انثى وخامسها العلم بكونه حيا قال تعالى
هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين وسادسها العلم بكونه مريدا قال تعالى فمن يرد الله ان يهديه
يشرح صدره للاسلام وسابعها كونه سميعا بصيرا قال تعالى وهو السميع البصير وقال انني معكما اسمع و
ارى وثامنها كونه متكلما قال تعالى ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت
كلمات الله وتاسعها كونه قديما قال تعالى لله الامر من قبل ومن بعد وعاشرها كونه رحيما رحمانا ملكا
قال تعالى الرحمن الرحيم الملك القدوس فهذا ما يتعلق بالصفات التي يجب اتصافه بها واما القسم الثالث
وهو الافعال فاعلم ان الافعال اما ارواح واما اجسام اما الارواح فلا سبيل الى الوقوف عليها الا القليل كما قال

تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وما فيه من الاجسام فهو اما عالم الاعلى او عالم الاسفل اما عالم الاعلى فالبحث
فيه من وجوه احدها البحث عن احوال السموات وثانيها البحث عن احوال الشمس والقمر كما قال ان ربكم
الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر
والنجوم مسخرات بامره وثالثها البحث عن احوال [illegible] قال سبحانه [illegible]
هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا ورابعها البحث عن احوال الاظلال قال سبحانه وتعالى وهو الذي مد الظل ولو شاء
لجعله ساكنا وخامسها احوال الليل والنهار قال سبحانه [illegible] وسادسها
منافع الكواكب قال سبحانه وتعالى وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر وسابعها صفات الجنة
قال تعالى وجنة عرضها كعرض السماء والارض وثامنها صفات النار قال تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم
جزء مقسوم وتاسعها صفة العرش قال تعالى يحملون العرش ومن حوله وعاشرها صفة الكرسي قال تعالى
وسع كرسيه السموات والارض وحادي عشرها صفة اللوح والقلم اما اللوح فقوله تعالى بل هو قرآن مجيد
في لوح محفوظ واما القلم فقوله تعالى ن والقلم واما شرح احوال [illegible] العالم الاسفل فمنها الارض وقد
ومنها صفات كثيرة احدها كونه مهدا [illegible] الذي جعل لكم الارض مهدا وثانيها كونه مهادا [illegible] تعالى
الم نجعل الارض مهادا وثالثها كونه كفاتا احياء وامواتا ورابعها الذلول قال تعالى الذي جعل لكم
الارض ذلولا والكلام فيه طويل وثانيها البحر قال تعالى وهو الذي سخر لكم البحر لتاكلوا منه لحما طريا
وثالثها الهواء والرياح قال تعالى وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته وقال تعالى وارسلنا الرياح
لواقح ورابعها الآثار العلوية كالرعد [illegible] قال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وقال تعالى
[illegible] ومن هذا الباب ذكر الصواعق والامطار ومكث السحاب وخامسها احوال
المعادن والنبات وانواعها واصنافها وسادسها احوال الحيوانات قال تعالى وبث فيها من كل دابة
وقال والانعام خلقها لكم وسابعها عجائب تكوين الانسان [illegible] قال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة
من طين وثامنها العجائب الحاصلة في سمعه وبصره ولسانه وعقله وفهمه وتاسعها تواريخ الانبياء والملوك
واحوال الناس من اول خلق العالم الى [illegible] وعاشرها احوال الناس عند الموت وبعد الموت
وكيفية البعث والنشأة وشرح احوال القيامة [illegible] الى عشرين نوعا من العلوم في عالم
السموات والى عشرة [illegible] في عالم العناصر والقرآن مشتمل على شرح هذه الانواع من العلوم العالية الرفيعة
واما القسم الرابع وهو شرح [illegible] الله تعالى [illegible] هذه التكاليف [illegible]
في اعمال القلوب او في اعمال الجوارح اما الاول فهو المسمى بعلم الاخلاق [illegible] الاخلاق الفاضلة
[illegible] والقرآن مشتمل على كل ما لابد منه في هذا الباب قال تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان
وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وقال خذ العفو وامر بالمعروف واعرض عن الجاهلين واما
الثاني فهو التكاليف الحاصلة في اعمال الجوارح وهو المسمى بعلم الفقه والقرآن مشتمل على [illegible] اصول هذا العلم
على اكمل الوجوه واما القسم الخامس [illegible] الله تعالى [illegible] ولله الاسماء الحسنى فادعوه
بها [illegible] واما القسم [illegible] الملائكة [illegible]
[illegible] والقرآن يشتمل على شرح صفاتهم [illegible] على التفصيل [illegible]
واما بالتفصيل [illegible] جاعل الملائكة رسلا [illegible]
[illegible] ويحمل عرش ربك فوقهم
يومئذ ثمانية [illegible] الملائكة [illegible] حول العرش [illegible] النار [illegible]
عليها ملائكة غلاظ شداد [illegible] الكرام الكاتبين [illegible] المعقبات

قال

306

[illegible] وقد [illegible] احوال الملائكة [illegible] الاشياء [illegible]
[illegible] والقرآن يشتمل على شرح احوال [illegible] آدم [illegible] فتلقى آدم من ربه
كلمات ومنها احوال صحف ابراهيم [illegible] ابراهيم ربه بكلمات [illegible] احوال التوراة والانجيل
والزبور واما القسم [illegible] المعتبرة [illegible] الرسول [illegible] الله تعالى [illegible] احوال
[illegible] من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك [illegible] القسم الخامس [illegible]
[illegible] ومنها [illegible] الاول [illegible] المؤمنين [illegible] ولنا اعمالنا ولكم
والثاني [illegible] المغفرة [illegible] غفرانك ربنا [illegible]
[illegible] الربوبية وكلما [illegible] عزة
الربوبية [illegible] العبودية [illegible] ربنا [illegible] القسم السادس
معرفة المعاد والبعث والنشأة ومعرفة [illegible] المطالب المهمة
في طلب الدين والقرآن [illegible] المطالب [illegible]
[illegible] هذه العلوم كما يشتمل القرآن [illegible] في هذا
[illegible] القرآن [illegible] الله عز وجل القرآن
[illegible] الثانية من صفات القرآن قوله تعالى كتابا متشابها
اما الكتاب [illegible] في قوله تعالى ذلك الكتاب لا ريب فيه واما كونه متشابها [illegible] الذي نزل الكتاب
[illegible] آيات محكمات هن ام الكتاب [illegible] البعض متشابها [illegible] كله
متشابها [illegible] قال ابن عباس معناه انه يشبه بعضه بعضا [illegible]
[illegible] كتابا طويلا [illegible] القرآن يخالف
ذلك [illegible] في الفصاحة [illegible] اذا كتب كتابا [illegible] بالفاظ فصيحة
[illegible] كلام في الكتاب [illegible]
والله تعالى حكى [illegible] موسى [illegible] من القرآن [illegible] في الفصاحة [illegible]
[illegible] انواع الكثيرة من العلوم
التي [illegible] عظم الله [illegible] ولذلك
[illegible] من كونه متشابها
[illegible] تعالى ولقد [illegible]
[illegible] العام [illegible]
[illegible] والجنة والنار [illegible] واللوح والقلم والملائكة [illegible] والعرش
والكرسي والوعد والوعيد [illegible] الرجاء والخوف والمقصود منه [illegible]
[illegible] الصفة الرابعة من صفات القرآن قوله [illegible]
[illegible]
[illegible] عند [illegible]
[illegible] العذاب [illegible] عند [illegible] القرآن
[illegible] المحققين من العارفين [illegible]
[illegible] عالم [illegible] في هذا الباب
[illegible] الله [illegible] والجهة

فهاهنا تقشعر جلده لان اثبات موجود لا داخل العالم ولا خارج العالم ولا متصل بالعالم ولا منفصل عن العالم
مما يعجز فهاهنا تقشعر الجلود اما اذا تامل في الدلائل الدالة على انه يجب ان يكون [illegible] كل
متحيز فهو ينفتح فهاهنا تلين جلده وقلبه الى ذكر الله وايضا اذا اراد ان يحيط عقله بمعنى الازل فيقدم في
ذهنه مقدار الف الف سنة ثم يتقدم ايضا بحسب كل لحظة من لحظات تلك المدة الف الف سنة ولا يزال العاقل
ويتقدم في الذهن فاذا بالغ في ذلك وظن انه استحضر معنى الازل قال العقل هذا ليس بشيء لان كل
ما استحضرته في عقلك فهو متناه والازل هو الوجود المتقدم على هذه المدة المتناهية فهاهنا يتحير العقل
وتقشعر الجلود فاما اذا ادرك هذا لا باعتبار [illegible] هاهنا مرجوحا والمرجوح اما واجب او ممكن فان كان
واجبا فهو واجب منزه عن الازل ولو كان ممكنا فهو محتاج الى الواجب فيكون ازليا ابديا فاذا
اعتبر العقل فهم معنى الازلية فهاهنا تلين جلوده وقلبه الى ذكر الله ثبت ان المقامين المذكورين في الاية
لا يحصل تصورها الا بسماع [illegible] الغذاء سماه الرحمة بل ذلك في تلك المراتب وبعده مراتب لا حد لها
ولا حصر في حصول الحالتين المذكورتين المسالة الثانية [illegible] ذكر الوصف [illegible] عن زياده
[illegible] القرآن دل على ان اولياء الله موصوفون بانهم عند المكاشفات والمشاهدات تارة تقشعر جلودهم
واخرى تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وليس فيه ان عقولهم تزول وان اعضاءهم تضطرب فدل هذا
على ان تلك الاحوال لو حصلت لكانت من الشيطان واعلم انا ههنا نحكي بعض كلام الشيخ ابي حامد الغزالي
اوردها في كتاب احياء علوم الدين ومعناه انا نرى كثيرا من الناس يظهر عليه الوجد الشديد التام عند
سماع الابيات المشتملة على شرح الوصل والهجر وعند سماع الايات لا يظهر عليه شيء من هذه الاحوال
ثم انه سلم هذا المعنى وذكر العذر فيه من وجوه كثيرة وانا اقول انى كلما تحررت عن هذا المعنى وانى
كلما تاملت في اسرار القرآن اقشعر جلدي ووقف شعري وحصلت في قلبي دهشة وروعة وكلما
سمعت تلك الاشعار غلب الهزل علي وما وجدت البتة في نفسي منها اثرا واظن ان المنهج القويم والصراط
المستقيم هو هذا وبيانه من وجوه الاول ان تلك الاشعار كلمات مشتملة على الهجر والوصل [illegible]
يليق بالخلق واثباته في حق الله كفر واما الاستغراق من تلك الاحوال [illegible] بجلال الله فلا يحصل الا
لاهل العلم الراسخين واما المعاني التي يشتمل عليها القرآن فهي احوال لائقة بجلال الله فمن وقف عليها
عظم الوله في قلبه فان من كان عنده شيء من الايمان وجب ان يعظم اضطرابه عند سماع ذلك وهذه
نتائج العقل لا يعلمها الا هو [illegible] والثاني [illegible] ان الكلام له
اثر [illegible] الكلام من القائل المعين له اثر [illegible] في نفس السامع [illegible] على نفاذ الكلام في
الروح والقائل في القرآن هو الله بواسطة جبريل بتبليغ الرسول المعصوم والقائل هناك شاعر
كذاب مملوء من الشهوة وداعية الفجور والثالث ان مدار القرآن على الدعوة الى الحق [illegible] تعالى وانك
لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض واما الشعر فمداره على الباطل قال تعالى
والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون فهذه الوجوه [illegible]
ظاهرة واما ما يتعلق بالوصول من الشيء [illegible] والدرو [illegible] من النفس و
العقل ما ذكرناه والله اعلم المسألة الثالثة في بيان ما في [illegible] وذكرها في صورة السؤال والجواب
السؤال الاول كيف تركيب لفظ القشعريرة الجواب قال صاحب الكشاف تركيبه من حروف القشع وهو
الاديم اليابس مضموما اليها حرف رابع وهو الراء ليكون رباعيا ودالا على معنى زائد يقال اقشعر جلده
ووقف شعره وهو مثل في شدة الخوف السؤال الثاني كيف قال تلين الى ذكر الله وما الوجه في تعديته
بحرف الى والجواب التقدير تسكن او تطمئن قلوبهم حال وصولها الى الرحمة وصولا بحسب ادراكـ

السؤال

السؤال الثالث لم قال الى ذكر الله ولم يقل الى ذكر رحمة الله والجواب ان من احب الله لاجل رحمته فهو
ما احب الله وانما احب شيئا غير الله واما من احب الله لا لشيء سواه فهذا هو المحب الحق وهو الدرجة
العالية فلهذا السبب لم يقل ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر رحمة الله بل قال الى ذكر الله وقد بين الله تعالى
هذا المعنى في قوله الا بذكر الله تطمئن القلوب وانما قال [illegible] محمد عليه السلم اذا ذكرنا ذكر [illegible] السؤال الرابع
لم قال في جانب الخوف قشعريرة الجلود فقط وفي جانب الرجاء لين الجلود والقلوب والجواب ان المكاشفة
في مقام الرجاء اكمل منها في مقام الخوف لان الخير مطلوب بالذات والشر مطلوب بالعرض ومحل المكاشفات
هو القلوب والارواح واعلم انه تعالى لما وصف القرآن بهذه الصفات قال ذلك هدى الله يهدي به
من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد فقوله ذلك اشارة الى الكتاب وهو هدى الله يهدي به من يشاء وهو الذي
شرح صدره اولا لقبول الهداية ومن يضلل الله اي من جعل قلبه قاسيا مظلما بليدا فما له من هاد ينقذه من
الضلالة فما له من هاد واستدل اصحابنا بهذه الاية [illegible] وجوابها ان [illegible] عين ما تقدم
في قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام **قوله تعالى** افمن يتقي بوجهه سوء
العذاب يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون
فاذاقهم الله الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من
كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون اعلم انه تعالى لما حكم على القاسية قلوبهم بحكم
في الدنيا وحكم في الآخرة اما حكمهم في الدنيا فهو الضلال التام كما قال ومن يضلل الله فما له من هاد واما
حكمهم في الآخرة فهو العذاب الشديد وهو المراد من قوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وتقريره ان
اشرف الاعضاء هو الوجه لانه محل الحسن والصباحة وهو ايضا صومعة الحواس وانما يتميز بعض الناس عن بعض
بسبب الوجه واثر السعادة والشقاوة لا يظهر الا في الوجه قال تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه
يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة ويقال لمقدم القوم يا وجه العرب ويقال للطريق
الدال على كنه حال الشيء انه وجه كذا فثبت بما ذكرنا ان اشرف الاعضاء هو الوجه فاذا وقع الانسان في نوع
من انواع العذاب فانه يجعل يده وقاية لوجهه وفداء له واذا عرفت هذا فنقول اذا كان القادر على الاتقاء
يجعل كل ما سوى الوجه فداء للوجه لا جرم حسن جعل الاتقاء بالوجه كناية عن العجز عن الاتقاء ونظيره قول النابغة
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب اي لا عيب فيهم الا هذا وهو ليس بعيب
فلا عيب فيهم اذا بوجه من الوجوه فكذا هاهنا لا يقدرون على الاتقاء بوجه من الوجوه الا بالوجه وهذا ليس
باتقاء فلا قدرة لهم على الاتقاء البتة ويقال ايضا ان الذي يلقى في النار يلقى مغلولة يداه الى عنقه
فلا يتهيأ له ان يتقي النار الا بوجهه اذا عرفت هذا فنقول جوابه محذوف وتقديره افمن يتقي
بوجهه سوء العذاب كمن امن من العذاب فحذف الخبر كما حذف في نظائره وسوء العذاب شدته ثم قال
تعالى وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون [illegible] ولما بين الله تعالى كيف يعاقب القاسية قلوبهم في الآخرة بين
انهم [illegible] في العذاب [illegible] كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون
يعني انهم [illegible] فاتاهم العذاب بسبب التكذيب
فاذاقهم [illegible] بالعلة على المعلول [illegible] من جهة لا يشعرون
[illegible] امنون [illegible] فاتاهم العذاب
[illegible] في الدنيا [illegible] انه اتاهم الخزي وهو
الذل والصغار والهوان [illegible] العذاب [illegible] بالهوان و
الذل ثم [illegible] الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون [illegible] عليهم العذاب [illegible] كما يعلم ذلك

فالعقاب المتخيل في نعم القيامة اكبر واعظم من ذلك العذاب ونعم والمقصود من كل ذلك التخويف والترهيب
ولما ذكر الله تعالى هذه الفوايد المتكاثرة والعجايب المتوافرة في هذه المطالب بين تعالى انه بلغت هذه البيانات
الى حد الكمال والتمام فقال ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون والمقصود ظاهر وقالت المعتزلة
دلت الاية على ان افعال الله معللة باحكام ومصالح ودلت الاية ايضا على انه تعالى يريد الايمان والمعرفة من الكل
لان قوله ولقد ضربنا للناس مشعر بالتعليل وقوله في اخر الاية لعلهم يتذكرون مشعر ايضا بالتعليل وقوله ان المقصود
من ضرب هذه الامثال ارادة حصول التذكر والعلم ولما كانت هذه البيانات النافعة والبينات الباهرة موجودة
في القرآن لا جرم وصف القرآن بالمدح والثناء فقال قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون وفيه مسائل المسئلة
الاولى احتج القائلون بخلق القرآن بهذه الاية من وجوه الاول ان قوله ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن يقتضي انه
المذكور والذي يؤتى به لغيره احتجنا بان القديم هو الذي يكون موجودا في الازل وهذا يمنع من ان يقال انه
انما اتى به لغيره وكذا الثاني انه وصفه بكونه عربيا وانما كان عربيا لان هذه الالفاظ انما صارت دالة
على هذه المعاني بوضع العرب وباصطلاحهم وما كان حصوله بسبب اوضاع العرب واصطلاحهم كان مخلوقا
محدثا الثالث انه وصفه بكونه قرآنا والقرآن عبارة عن القراءة والقراءة مصدر والمصدر هو المفعول المطلق
فكان فعلا ومفعولا والجواب انا نحمل كل هذه الوجوه على الحروف والاصوات وهي حادثة ومحدثة والله اعلم
المسئلة الثانية قال الزجاج قوله عربيا منصوب على الحال والمعنى ضربنا للناس في هذا القرآن في حال
عربيته وبيانه ويجوز ان ينتصب على المدح المسئلة الثالثة انه تعالى وصفه بصفات ثلثة اولها كونه قرآنا
والمراد كونه متلوا في المحاريب الى قيام القيامة كما قال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وثانيها كونه
عربيا والمراد انه اعجز الفصحاء والبلغاء عن معارضته كما قال قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا
القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وثالثها كونه غير ذي عوج والمراد براءته عن التناقض
كما قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا واما قوله لعلهم يتقون فالمعتزلة
تمسكوا به في تعليل احكام الله تعالى وفيه بحث لطيف وهو انه قال في الاية الاولى لعلهم يتذكرون
وقال هاهنا لعلهم يتقون والسبب فيه ان التذكر متقدم على الاتقاء لانه اذا تذكره عرفه ووقف على
فحواه واحاط بمعناه حصل الاتقاء والاحتراز والله اعلم **قوله تعالى** ضرب الله مثلا رجلا
فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون انك ميت وانهم ميتون
ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه اليس في جهنم
مثوى للكافرين اعلم انه تعالى لما بالغ في شرح وعيد الكفار اردفه بذكر مثل ما يدل على فساد مذهبهم
وقبح طريقتهم فقال ضرب الله مثلا وفي الاية مسائل المسئلة الاولى المتشاكسون المختلفون
العسرون يقال شكس يشكس شكوسا اذا عسر وهو رجل شكس اي عسر وتشاكس اذا
تعاسر قال الليث التشاكس التنازع والاختلاف قال ويقال الليل والنهار يتشاكسان اي يتضادان
اذا جاء احدهما ذهب الاخر وقوله فيه صلة شركاء كما تقول اشتركوا فيه المسئلة الثانية قرا ابن كثير
وابو عمرو سالما بالالف وكسر اللام على انه اسم الفاعل من قولك سلم فهو سالم والباقون سلما بغير الف وبفتح السين
واللام وفي بعض التفاسير بفتح السين وكسرها مع سكون اللام اما من قرا سالما فهو اسم الفاعل تقديره سلم
فهو سالم واما سلما بالفتح فهو مصدر سلم والمعنى ذا سلامة لرجل اي ذا خلوص له من
الشركة لم ينازعه فيه احد وقرئ بالرفع على الابتداء اي وهناك رجل سالم لرجل المسئلة
الثالثة تقدير الكلام اضرب لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون في رجل من المماليك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف
وتنازع كل واحد منهم يدعي انه عبده فهم يتجاذبونه في حوائجهم وهو متحير لا يدري ايهم يرضي بخدمته وعلى ايهم

الباقون وان احتاج في مهم اليه فكل واحد منهم يرده الى الاخر فهو يبقى متحيرا لا يعرف ايهم اولى بان يطلب
رضاه وايهم يعينه في حاجاته فهو بهذا السبب في عذاب دائم وتعب مقيم ورجل اخر له مخدوم واحد
يخدمه على سبيل الاخلاص وذلك المخدوم يعينه على مهماته فاي هذين العبدين احسن حالا واحمد شانا
والمراد تمثيل حال من يثبت الهة شتى فانه يكون متحيرا ضالا لا يعرف ايهم يعبد وعلى ربوبية ايهم يعتمد كما قال تعالى لو كان فيهما
الهة الا الله لفسدتا وقال ولعلا بعضهم على بعض فيبقى ذلك المشرك متحيرا فنا لا يعلم ايهم اولى بان يعبده
ويعتمد على ربوبيته ايهم يعتمد ومن يطلب رزقه ومن يلتمس رفقه فهمه شعاع وقلبه اوزاع اما من
لم يثبت الا الها واحدا فهو قائم بما كلفه عارف بما يرضاه وما يسخطه فكان حال هذا اقرب الى
الصلاح من حال الاول وهذا مثال في غاية الحسن في تقبيح الشرك وتحسين التوحيد فان قيل هذا المثال لا ينطبق
على عبادة الاصنام لانها جمادات وليس بينها منازعة ولا مشاكسة قلنا ان عبدة الاصنام مختلفون منهم من
يقول هذه الاصنام تماثيل الكواكب السبعة فهم في الحقيقة انما يعبدون الكواكب السبعة ثم ان القوم يثبتون
بين هذه الكواكب منازعة ومشاكسة الا ترى انهم يقولون زحل هو النحس الاعظم والمشتري هو السعد الاعظم
ومنهم من يقول هذه الاصنام تماثيل الارواح الفلكية والقائلون بهذا القول زعموا ان كل نوع من انواع حوادث
هذا العالم يتعلق بروح من الارواح السماوية وحينئذ يحصل بين تلك الارواح منازعة ومشاكسة وحينئذ
يكون المثل مطابقا ومنهم من يقول هذه الاصنام تماثيل الاشخاص من العلماء والزهاد الذين مضوا فهم يعبدون
هذه التماثيل ليصيروا اولئك الاشخاص من العلماء والزهاد شفعاء لهم عند الله والقائلون بهذا القول يزعم
كل طائفة منهم ان المحق هو ذلك الرجل الذي هو على دينه وان من سواه مبطل وعلى هذا التقدير ايضا
ينطبق المثال فثبت ان هذا المثال مطابق للمقصود اما قوله تعالى هل يستويان مثلا فالمعنى هل يستويان
صفة فقوله مثلا نصب على التمييز والمعنى هل يستوي صفتاهما وحالاهما وانما اقتصر في التمييز على الواحد
لبيان الجنس وقرئ مثلين ثم قال الحمد لله والمعنى انه لما بطل القول باثبات الشركاء والانداد وثبت
انه لا اله الا الواحد الاحد الحق ثبت ان الحمد له لا لغيره ثم قال بل اكثرهم لا يعلمون ان الحمد لله لا لغيره
وان المستحق للعبادة هو الله لا غيره وقيل المراد انه لما سبق ذكر هذه الدلائل الظاهرة والبينات
الباهرة قال الحمد لله على حصول هذه البيانات وظهور هذه البينات وان كان اكثر الخلق لم
يعرفوها ولم يقفوا عليها ولما تمم الله هذه البيانات قال انك ميت وانهم ميتون
والمراد ان هؤلاء الاقوام وان لم يلتفتوا الى هذه الدلائل الظاهرة بسبب استيلاء الحرص والحسد عليهم
في الدنيا فلا تبال يا محمد بهذا فانك ستموت وهم ايضا يموتون ثم تحشرون يوم القيامة وتختصمون
عند الله تعالى والعادل الحق يحكم بينهم فيوصل الى كل احد ما هو حقه وحينئذ يتميز المحق من
المبطل والصديق من الزنديق فهذا هو المقصود من الاية ونظيره قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون
اي انك وايام ولئن كنتم احياء فانتم في عداد الموتى لان كل ما هو آت ات ثم بين تعالى
نوعا اخر من قبائح افعالهم وهو انهم يكذبون ويضيفون اليه انهم يكذبون القائل المحق اما
انهم يكذبون فهو انهم اثبتوا لله ولدا وشريكا واما انهم يكذبون القائل المحق فلان
كلهم يكذبون محمدا صلى الله عليه وسلم بعد قيام الدلالة القاطعة على كونه صادقا في دعوى
النبوة ثم اردفه بالوعيد فقال اليس في جهنم مثوى للكافرين ومن الناس من تمسك بهذه
الاية في تكفير المخالف من اهل القبلة وذلك لان المخالف في المسائل كلها قطعا يكون كاذبا
في قوله ولهذا تمسكه ما هو الحق فوجب دخوله تحت هذا الوعيد والله اعلم
قوله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون لهم ما يشاؤون

عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون أليس الله بكاف
عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذي انتقام
اعلم أنه تعالى لما ذكر وعيد الكاذبين والمكذبين للصادقين ذكر عقيبه وعد الصادقين ووعد المصدقين ليكون
الوعد مقرونا بالوعيد وفيه مسائل المسألة الأولى قوله والذي جاء بالصدق وصدق به فيه قولان الأول
أن المراد شخص واحد فالذي جاء بالصدق محمد والذي صدق به هو أبو بكر رضي الله عنه وهذا القول مروي عن
علي بن أبي طالب رضي الله عنه وجماعة من المفسرين والثاني أن المراد منه كل من جاء بالصدق فالذي جاء بالصدق الأنبياء
والذي صدق به الأتباع واحتج القائلون بهذا القول بقوله تعالى أولئك هم المتقون ولولا أن المراد بقوله والذي
جاء بالصدق جماعة وإلا لم يجز أن يقال أولئك هم المتقون المسألة الثانية أن الرسالة لا تتم إلا بأركان أربعة
المرسل والمرسل والرسالة والمرسل إليه والمقصود من الرسالة إقدام المرسل إليه على القبول والتصديق فأول
شيء يأتي بالصدق هو الذي تتم به الرسالة وسمعت بعض القاصين في الروم يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم — سمعت بعض القاصين في الروم
أنه قال ادعوا أبا بكر فإنه من تتمة النبوة واعلم أنا سواء قلنا المراد بالذي صدق به شخص معين
أو قلنا المراد منه كل من كان موصوفا بهذه الصفة فإن أبا بكر داخل فيه أما على التقدير الأول فلا يصلح
إلا له [illegible] ظاهر وذلك لأن هذا يتناول أسبق الناس إلى التصديق وأجمعوا على أن الأسبق أفضل
إما أبو بكر وإما علي وحمل هذا اللفظ على أبي بكر أولى وذلك لأن عليا رضي الله عنه كان وقت البعثة
صغيرا فكان كالولد الصغير الذي يكون في البيت ومعلوم أن إقدامه على التصديق لا يفيد مزيد قوة
وشوكة أما أبو بكر فإنه كان رجلا كبيرا في السن كبيرا في المنصب فإقدامه على التصديق يفيد مزيد قوة وشوكة
في الإسلام فكان حمل هذا اللفظ على أبي بكر أولى وأما على التقدير الثاني فهو أن يكون المراد كل من كان
موصوفا بهذه الصفة وعلى هذا التقدير يكون أبو بكر داخلا فيه المسألة الثالثة قال صاحب الكشاف
قرئ وصدق به بالتخفيف أي صدق به الناس ولم يكذبهم يعني أداه إليهم كما نزل عليه من غير تحريف
وقيل وصار صادقا به أي بسببه لأن القرآن معجزة والمعجزة تصديق من الحكيم الذي لا يفعل القبيح تصيير
المدعي للرسالة صادقا فسمي تلك المعجزة تصديقا به واعلم أن الله تعالى أثبت للذي جاء بالصدق
ومصدق به أحكاما كثيرة فالحكم الأول قوله أولئك هم المتقون وتقريره أن التوحيد والشرك
ضدان وكلما كان أحد الضدين أشرف وأكمل كان الضد الثاني أخس وأرذل ولما كان التوحيد
أشرف الأشياء كان الشرك أخس الأشياء والآتي بأحد الضدين يكون تاركا للضد الثاني والآتي
بالتوحيد الذي هو أفضل الأشياء يكون تاركا للشرك الذي هو أخس الأشياء وأرذلها فلهذا المعنى وصف
المصدقين بكونهم متقين الحكم الثاني للمصدقين قوله تعالى لهم ما يشاؤن عند ربهم وذلك جزاء المحسنين
وهذا الوعد يتناول كل ما يرغب المكلف فيه فإن قيل [illegible] الكمال محبوب بالذات مرغوب
فيه لذاته فأهل الجنة يشتهونه عقلا فإذا شاهدوا الدرجات العالية التي للأنبياء والأكابر من الأولياء
عرفوا كونها خيرات عالية ودرجات كاملة والعاقل من حيث إنه عاقل [illegible] يرغب في حصول ما هو خير ويميل إليه
بالرغبة منه وإذا كان كذلك لزم أن يشتهوا حصول تلك الدرجات لأنفسهم ولو حصلت لهم لكان
حكم هذه الآية أنه إذا لم تحصل لهم ذلك كان ذلك قادحا في العفة ودخل النقص [illegible] وأجيب
عنه بأن الله تعالى يزيل الحقد والحسد عن قلوب أهل الجنة وذلك يقتضي أنهم لا يشتهون [illegible] في الآخرة
بخلاف أحوالهم في الدنيا وتمسك الناس من يتمسك بهذه الآية في أن المؤمنين يرون الله تعالى يوم
القيامة بالدلالات التي يعبدون بها أنهم يرون الله تعالى لا شك أنهم [illegible] تعالى
ومتى [illegible] أنهم صدقوا الأنبياء عليهم السلام أن ذلك الشخص يريد رؤية الله تعالى [illegible] ذلك

لقوله

لقوله تعالى لهم ما يشاؤن عند ربهم فإن قالوا ألا نسلم أن أهل الجنة يشاهدون ذلك إلا أن هذه المرتبة الرفيعة أعظم
وجوه التجلي الحجاب لا شك أنه مطلوب لكل أحد نظرا إلى هذا الاعتبار بل لعل بسبب [illegible] كون
هذا المطلوب ممتنع الوجود لعينه فإنه يترك طلبه لا لأجل عدم المقتضي للطلب بل لقيام المانع وهو كونه ممتنعا
في نفسه ثبت أن هذه المشيئة قائمة والنقص ينتفي حصول كل ما أرادوه وشاؤه فوجب حصولها واعلم
أن قوله عند ربهم لا يفيد العندية بمعنى الجهة والمكان بل بمعنى العندية بالإخلاص كما في قوله عند مليك
مقتدر واعلم أن المعتزلة تمسكوا بقوله وذلك جزاء المحسنين على أن هذا الأجر مستحق لهم على
إحسانهم في العبادة الحكم الثالث قوله تعالى ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي
كانوا يعملون وقوله لهم ما يشاؤن عند ربهم يدل على حصول الثواب على أكمل الوجوه وقوله ليكفر الله عنهم يدل
على سقوط العقاب عنهم على أكمل الوجوه فيدل المراد أنهم إذا صدقوا الأنبياء عليهم السلام فيما أتوا به فإن الله يكفر
عنهم عقاب أسوأ أعمالهم وهو الكفر السابق على ذلك الإيمان ويوصل إليهم أحسن أنواع الثواب وذلك
كأنه يجزيهم بالمحاسن من أعمالهم ولا يجزيهم بالمساوي واعلم أن مقاتلا كان شيخ المرجئة وهم — مقاتل كان شيخ المرجئة
الذين يقولون لا يضر شيء من المعاصي مع الإيمان كما لا ينفع شيء من الطاعات مع الكفر واحتج بهذه
الآية فقال إنها تدل على أن من صدق الأنبياء والرسل فإنه تعالى يكفر عنهم أسوأ الذي عملوا ولا يجوز
حمل هذا الأسوأ على الكفر السابق لأن الظاهر من الآية أن التكفير إنما حصل في حال ما وصفهم بالتقوى وهو التقوى
من الشرك وإذا كان كذلك وجب أن يكون المراد منه الكبائر التي يأتي بها بعد الإيمان فتكون هذه الآية
تنصيصا على أنه تعالى يكفر عنهم بعد إيمانهم أسوأ ما يأتون به وذلك هو الكبائر الحكم الثالث أنه جرت
العادة أن المبطلين يخوفون المحقين بالتخويفات الكثيرة فحسم الله مادة هذه الشبهة بقوله تعالى أليس
الله بكاف عبده وذكره بلفظ الاستفهام والمراد تقرير ذلك في النفوس والأمر كذلك لأنه ثبت أنه عالم
بحاجات العباد وقادر على دفعها وإبدالها بالخيرات والراحات وليس بخيلا ولا محتاجا حتى يمنعه
بخله وحاجته عن إعطاء ذلك المراد وإذا ثبت هذا كان الظاهر أنه سبحانه يدفع الآفات ويزيل
البليات ويوصل إليه كل المرادات فلهذا قال أليس الله بكاف عبده ولما ذكر الله هذه المقدمة رتب
عليها النتيجة المطلوبة فقال ويخوفونك بالذين من دونه يعني لما ثبت أن الله كاف عبده كان التخويف بغير
الله عبثا باطلا قرأ الأكثرون عبده بلفظ الواحد وهو اختيار أبي عبيد لأنه قيل له ويخوفونك
وذلك أن قريشا قالت للنبي صلى الله عليه وسلم إنا نخاف أن تخبلك آلهتنا فأنزل الله تعالى هذه الآية
وقرأ جماعة عباده بلفظ الجمع قيل المراد بالعباد الأنبياء فإن نوحا كفاه الغرق وإبراهيم النار ويونس
ما دفع عنه فهو سبحانه كافيك يا محمد كما كفى هؤلاء الرسل قبلك وقيل أمم الأنبياء قصدوهم بالسوء لقوله
تعالى وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وكفاهم الله شر من عاداهم واعلم أنه تعالى لما أطنب في شرح الوعد
والوعيد والترهيب والترغيب ختم الكلام بخاتمة هي الفصل الحق فقال ومن يضلل الله فما له من هاد
ومن يهد الله فما له من مضل يعني هذه الدلائل والبينات لا تنفع إلا إذا خص الله العبد بالهداية والتوفيق
ثم قال تعالى أليس الله بعزيز ذي انتقام وهو تهديد للكفار واعلم أن أصحابنا تمسكوا في مسألة خلق الأعمال
وإرادة الكائنات بقوله ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل والمباحث فيه من الجانبين
[illegible] المعتزلة [illegible] يوم [illegible]
[illegible] منهم [illegible] الانتقام [illegible] والله أعلم

قوله تعالى

ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن
كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون

انى عامل فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم اعلم انه تعالى لما اطنب في
وعيد المشركين وفي وعد الموحدين عاد الى اقامة الدليل على فساد مذهب عبدة الاوثان وفي هذا الترتيب
على اصلين الاصل الاول ان هولاء المشركين معترفون بوجود الاله القادر العالم الحكيم الرحيم وهو المراد من
قوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله واعلم ان من الناس من قال العلم بوجود الاله القادر
الحكيم الرحيم علم متفق عليه بين جمهور الخلائق لا نزاع بينهم فيه وكانت فطرة العقل شاهدة بصحة هذا
العلم فان من تامل في عجائب احوال السموات والارض وفي عجائب احوال النبات والحيوان خاصة في
عجائب بدن الانسان وما فيه من انواع الحكم الغريبة والمصالح العجيبة علم انه لا بد من الاعتراف بالاله القادر
الحكيم الرحيم والاصل الثاني ان هذه الاصنام لا قدرة لها على الخير والشر وهو المراد من قوله قل افرايتم ما
تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته
وثبت انه لا بد من الاقرار بوجود الاله القادر الحكيم الرحيم وثبت ان هذه الاصنام لا قدرة لها على الخير
والشر واذا كان الامر كذلك كانت عبادة الله كافية وكان الاعتماد عليه كافيا وهو المراد من قوله
قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون فاذا ثبت هذا العلم بطل التفات العاقل الى تخويف المشركين فكان
المقصود من هذه الاية التنبيه على الجواب عما ذكره الله تعالى قبل هذه الاية وهو قوله تعالى ويخوفونك
بالذين من دونه وذكر كاشفات وممسكات على التانيث ... فانه للتحقير
فان قيل لم قال كاشفات وممسكات على التانيث بعد قوله ويخوفونك بالذين من دونه قلنا
المقصود التنبيه على كمال ضعفها فان الانوثة مظنة الضعف ولانهم كانوا يصفونها بالتانيث
فيقولون اللات ومناة والعزى ولما اورد الله عليهم هذه الحجة التي لا دافع لها قال بعده على وجه
التهديد قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اي انتم تعتقدون في انفسكم انكم في غاية القوة والشدة فاجتهدوا
في انواع مكركم وكيدكم فاني عامل ايضا بقدر ما اتاني الله من القوة فسوف تعلمون ان العذاب والخزي

قوله تعالى

يصيبني او يصيبكم والمقصود منه التخويف انا انزلنا عليك الكتاب
للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انا عليكم بوكيل الله يتوفى الانفس
حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى ان في ذلك لايات
لقوم يتفكرون ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا
له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون في الاية مسائل المسئلة الاولى اعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يعظم عليه اصرارهم على الكفر كما قال فلعلك باخع نفسك على اثارهم وقال تعالى فلا تذهب نفسك عليهم
حسرات فلما اطنب الله تعالى في هذه الايات في فساد مذاهب المشركين تارة بالدلائل والبينات
وتارة بضرب الامثال وتارة بذكر الوعد والوعيد اردفه بكلام يزيل ذلك الخوف العظيم عن قلب الرسول
فقال انا انزلنا عليك هذا الكتاب الكامل الشريف لنفع الناس ولاهتدائهم به وجعلنا انزاله
مقرونا بالحق وهو المعجز الذي يدل على انه انزل من عند الله فمن اهتدى فنفعه يعود اليه ومن
ضل فضرر ضلاله يعود اليه وما انت عليهم بوكيل والمعنى انك لست ماموران تحملهم على الايمان
على سبيل القهر بل القبول وعدم القبول مفوض اليهم وذلك لتسلية الرسول في اصرارهم على
الكفر ثم بين تعالى ان الهداية والضلال لا يحصلان الا من الله تعالى وذلك لان الهداية
تشبه الحياة واليقظة والضلال يشبه الموت والنوم فكما ان الحياة واليقظة وكذلك الموت
والنوم لا يحصل الا بتخليق الله وايجاده فكذلك الهداية والضلال لا يحصلان الا من الله تعالى
ومن عرف هذه الدقيقة فقد عرف سر الله في القدر ومن عرف سر الله في القدر هانت عليه

المعايب

المعايب فيعتبر التنبيه على هذه الدقيقة سببا لزوال ذلك الحزن عن قلب الرسول عليه السلام فهذا وجه
النظم في الاية وقيل وجه النظم انه تعالى ذكر حجة اخرى في اثبات الاله العالم ليدل على انه بالعبادة
احق من هذه الاصنام المسئلة الثانية المقصود من الاية انه تعالى يتوفى الانفس
عند الموت وعند النوم الا انه يمسك الانفس التي يقضي عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى
اي الى وقت ضرب لموتها فقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها معناه انه تعالى يتوفى الانفس حين الموت
وقوله تعالى والتي لم تمت في منامها معناه انه يتوفى الانفس التي لم تمت وانما ماتت في منامها وقوله تعالى
فيمسك التي قضى عليها الموت يعني ان النفس التي يتوفاها عند الموت يمسكها ولا يردها الى البدن وقوله
تعالى ويرسل الاخرى الى اجل مسمى يعني ان النفس التي يتوفاها عند النوم يردها الى البدن عند اليقظة وتبقى
هذه الحالة الى اجل مسمى وذلك الاجل هو وقت الموت فهذا تفسير لفظ الاية وهي مطابقة للحقيقة وذلك
لان النفس الانسانية عبارة عن جوهر مشرق روحاني اذا تعلق بالبدن
حصل ضوءه في جميع الاعضاء وهو الحياة فنقول انه في وقت الموت ينقطع تعلقه عن ظاهر هذا البدن
وعن باطنه وذلك هو الموت واما في وقت النوم فانه ينقطع ضوءه عن ظاهر البدن ولا ينقطع عن باطنه فثبت ان
الموت والنوم من جنس واحد الا ان الموت انقطاع تام كامل والنوم انقطاع ناقص من بعض الوجوه
واذا ثبت هذا ظهر ان القادر الحكيم دبر تعلق جوهر النفس بالبدن على ثلاثة اوجه احدها ان يقع
ضوء النفس على جميع اجزاء البدن ظاهره وباطنه وذلك هو اليقظة وثانيها ان ينقطع ضوء النفس عن
ظاهر البدن وينقطع عن باطنه وهو النوم وثالثها ان ينقطع ضوء النفس عن البدن بالكلية وهو الموت
فثبت ان الموت والنوم يشتركان في كون كل واحد منهما توفيا للنفس ثم يمتاز كل واحد منهما عن الاخر
بخواص معينة وصفات معينة ومثل هذا التدبير العجيب لا يمكن صدوره الا عن القادر العليم الحكيم وهو
المراد من قوله ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون وحاصل الكلام ان هذا الدليل يدل على ان الواجب
على العاقل ان لا يعبد الا الها موصوفا بهذه القدرة وهذه الحكمة وان لا يعبد الاوثان التي هي جمادات
لا شعور لها ولا ادراك ثم حكى عن الكفار انهم اوردوا على هذا الكلام سؤالا فقالوا نحن لا نعبد هذه الاصنام
لاعتقاد انها الهة تنفع وتضر وانما نعبدها لاجل انها تماثيل لاشخاص كانوا عند الله من المقربين
فنحن نعبدها لاجل ان يصير اولئك الاكابر شفعاء لنا عند الله تعالى فاجاب الله تعالى عنه بان قال
ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون وتقرير الجواب ان هؤلاء الكفار
اما ان يطمعوا بتلك الشفاعة من هذه الاصنام او من اولئك الاشخاص التي هي تماثيل لها والاول باطل لان هذه
الاصنام جمادات لا تملك شيئا ولا تعقل شيئا فكيف يعقل صدور الشفاعة عنها والثاني باطل لان في يوم
القيامة لا يملك احد شيئا ولا يقدر احد على الشفاعة الا باذن الله فيكون الشفيع في الحقيقة هو الله
الذي ياذن في تلك الشفاعة فكان الاشتغال بعبادته اولى من الاشتغال بعبادة غيره وهذا هو المراد
من قوله تعالى قل لله الشفاعة جميعا ثم بين انه لا ملك لاحد غير الله بقوله له ملك السموات والارض ثم اليه
ترجعون ومنهم من تمسك في نفي الشفاعة مطلقا بقوله تعالى قل لله الشفاعة جميعا وهذا ضعيف لانا
نسلم انه سبحانه ما لم ياذن في الشفاعة لم يقدر احد على الشفاعة فان قيل قوله الله يتوفى الانفس فيه سؤال
وهو انه ههنا دل على ان المتوفي هو الله سبحانه فقط وتاكد هذا بقوله الذي خلق الموت والحياة وبقوله
ربي الذي يحيي ويميت وبقوله كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم انه تعالى قال في اية اخرى
قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم وقال في اية اخرى حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا والجواب
ان المتوفي في الحقيقة هو الله سبحانه الا انه سبحانه فوض في عالم الاسباب كل نوع من انواع الاعمال الى ملك

التدبير

من الملائكة تفوض قبض الأرواح إلى ملك الموت وهو رئيس وتحته أتباع وخدم فأضيف التوفي في آية إلى الله وهو الإضافة الحقيقية وفي الآية الثانية إلى ملك الموت لأنه هو الرئيس في هذا العمل وفي الآية الثالثة إلى سائر الملائكة لأنهم هم الأتباع لملك الموت والله أعلم

قوله تعالى وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون قل اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون اعلم أن هذا نوع آخر من أعمال القبيحة للمشركين ومعنى الكلام أنك إذا ذكرت الله وحده فقلت لا إله إلا الله وحده لا شريك له ظهرت آثار النفرة في وجوههم وقلوبهم وإذا ذكرت الأصنام والأوثان ظهرت آثار الفرح والبشارة في قلوبهم وصدورهم وذلك يدل على الجهل والحماقة لأن ذكر الله رأس السعادات وعنوان الخيرات وأما ذكر الأصنام التي هي الجمادات الخسيسة فهو رأس الجهالات والحماقات فنفرتهم عن ذكر الله وحده واستبشارهم بذكر هذه الأصنام من أقوى الدلائل على الجهل الغليظ والحمق الشديد قال صاحب الكشاف ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز إذ كل واحد منهما غاية في بابه لأن الاستبشار أن يمتلئ قلبه سرورا حتى يظهر ذلك السرور في بشرة وجهه ويتهلل والاشمئزاز أن يعظم غمه وغيظه فينقبض الروح إلى داخل القلب فيبقى في أديم الوجه أثر الغبرة والظلمة الأرضية ولما حكى عنهم هذا الأمر العجيب الذي يشهد صريح العقل بفساده أردفه بأمرين أحدهما أنه ذكر الدعاء العظيم فوصفه أولا بالقدرة التامة وهي قوله اللهم فاطر السماوات والأرض وثانيا بالعلم الكامل وهو قوله تعالى عالم الغيب والشهادة وإنما قدم ذكر القدرة على ذكر العلم لأن العلم بكونه تعالى قادرا متقدم على العلم بكونه عالما ولما ذكر هذا الدعاء قال أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون يعني أن نفرتهم عن التوحيد وفرحهم عند سماع الشرك أمر معلوم الفساد ببديهة العقل ومع ذلك فالقوم قد أصروا عليه فلا يقدر أحد على إزالتهم عن هذا الاعتقاد الفاسد والمذهب الباطل إلا أنت عن أبي سلمة قال سألت عائشة بم كان يفتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته بالليل قالت كان يقول اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي إلى صراط مستقيم واعلم أنه تعالى لما حكى عنهم ذلك المذهب الباطل ذكر في وعيدهم أشياء أولها أن هؤلاء الكفار لو ملكوا كل ما في الأرض من الأموال وملكوا مثله معه لجعلوا الكل فدية لأنفسهم من ذلك العذاب الشديد وثانيها قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون أي ظهرت لهم أنواع من العقاب لم تكن في حسابهم وكما أنه عليه السلام قال في صفة الثواب في الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فكذلك في العقاب حصل مثله وهو قوله وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وثالثها قوله تعالى وبدا لهم سيئات ما كسبوا ومعناه ظهرت لهم آثار تلك السيئات التي اكتسبوها ورابعها قوله وحاق بهم أي أحاط بهم من كل الجوانب جزاء ما كانوا به يستهزئون ثم إنه تعالى نبه بهذه الوجوه على عظم عقابهم

قوله تعالى فإذا مس الإنسان ضر دعانا ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم بل هي فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون قد قالها الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون فأصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون اعلم أن هذا حكاية طريقة أخرى من طرائقهم الفاسدة وذلك أنهم عند الوقوع في الضر الذي هو الفقر أو المرض يفزعون إلى الله تعالى ويرون أن دفع ذلك لا يكون إلا منه ثم إنه تعالى إذا خولهم النعمة وهي إما السعادة في المال أو العافية في النفس زعم أنه إنما حصل ذلك بكسبه وبسبب جهده وجده فإن كان مالا قال إنما حصل بكسبي وإن كان صحة قال إنما حصل بسبب العلاج الفلاني وهذا تناقض عظيم

لأنه كان

لأنه كان في حال العجز والحاجة أضاف الكل إلى الله وفي حال السلامة والصحة قطعه عن الله وأسنده إلى كسب نفسه وهذا تناقض فتبين بهذا أنه تعالى قبح طريقتهم فيما هم عليه عند الشدة والرخاء [illegible] بعض السور التي قبلها هذا الكلام فنقول إن عند حصولها يحصل الشكر وعند فقدانها يحصل الصبر وأما هاهنا فإنه يصف بأنه متى حيث غير عنده حال هذه النعم كما يقال فتنت الذهب بالنار إذا عرضته على النار لتعرف خلاصته ثم قال تعالى ولكن أكثرهم لا يعلمون ما معنى ما قدمنا أن هذا التخويل إنما كان اختبارا وفي الآية أبحاث السؤال الأول ما السبب في عطف هذه الآية بالفاء هاهنا وعطف مثلها في أول السورة بالواو والجواب أنه تعالى حكى عنهم في هذه الآية أنهم يشمئزون من سماع التوحيد ويستبشرون بسماع ذكر الشركاء ثم ذكر بفاء التعقيب أنهم إذا وقعوا في الضر والبلاء التجؤوا إلى الله وحده فكان الفعل الأول مناقضا للفعل الثاني فذكر فاء التعقيب ليدل به على أنهم واقعون في المناقضة الصريحة في الحال وأنه ليس بين الأول والثاني فاصلة مع أن كل واحد منهما مناقض للثاني فحسن ذكر فاء التعقيب هاهنا وأما الآية الأولى فليس المقصود منها بيان وقوعهم في المناقضة في الحال فلا جرم ذكره الله بحرف الواو لا بحرف الفاء السؤال الثاني ما معنى التخويل الجواب التخويل هو التفضل يعني عطية مخصوصة تفضل عليه بها السؤال الثالث ما المراد من قوله إنما أوتيته على علم الجواب يحتمل أن يكون المراد إنما أوتيته على علم من الله بأني مستحق لذلك ويحتمل أن يكون المراد إنما أوتيته على علم مني بأني سأعطاه ويحتمل أن يكون المراد إنما أوتيته على علم حصل عندي بوجوه الكسب فنقول لما حصل الصحة لعلمي بكيفية العلاج وإنما حصل المال لعلمي بكيفية الكسب السؤال الرابع النعمة مؤنثة والضمير في قوله أوتيته عائد إلى النعمة فكيف ذكر الضمير ثم قال بل هي فتنة بلفظ التأنيث فما السبب فيه والجواب أن التقدير حتى إذا خولناه شيئا من النعمة فلفظ النعمة مؤنث ومعناه مذكر فلا جرم جاز الأمران ثم قال تعالى قد قالها الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون الضمير في قالها راجع إلى قوله إنما أوتيته على علم لأنها كلمة أو جملة من القول والذين من قبلهم هم قارون وقومه حيث قال إنما أوتيته على علم عندي وقومه راضون به فكأنهم قالوها ويجوز أن يكون في الأمم الخالية قائلون مثلها ثم قال تعالى فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون أي ما أغنى عنهم ذلك الاعتقاد الباطل والقول الفاسد الذي كانوا يكسبون شيئا بل أصابهم سيئات ما كسبوا ولما بين في أولئك المتقدمين أنهم أصابهم سيئات ما كسبوا قال والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا أي عقاب عقائدهم الباطلة وأقوالهم الفاسدة ثم قال وما هم بمعجزين أي لا يعجزون الله في الدنيا ولا في الآخرة ثم قال تعالى أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يعني أولم يعلموا أن الله تعالى هو الذي يبسط الرزق تارة ويقبضه أخرى ويوسعه ويقتره ويضيقه والدليل عليه أنا نرى الناس مختلفين في سعة الرزق وضيقه فلا بد له من سبب وذلك السبب ليس هو عقل الرجل وجهله لأنا نرى العاقل القادر في أشد الضيق ونرى الجاهل المريض الضعيف في أعظم السعة وليس ذلك أيضا لأجل الطبائع والأنجم والأفلاك لأن في الساعة التي ولد فيها ذلك الملك الكبير والسلطان القاهر قد ولد فيها أيضا عالم من الناس وعالم من الحيوانات غير الإنسان ويولد أيضا في تلك الساعة عالم من النبات فلما شاهدنا حدوث هذه الأشياء الكثيرة في تلك الساعة الواحدة مع كونها مختلفة في السعادة والشقاوة علمنا أنه ليس المؤثر فيه هو الطالع فثبت بهذا البرهان العقلي القاطع صحة قوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقال الشاعر فلا السعد يقضي به المشتري ولا النحس يقضي علينا زحل ولكنه حكم رب السماء وقاضي القضاة تعالى وجل

قوله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم

العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون أن تقول
نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين
أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من
الكافرين اعلم أن الله تعالى لما أطنب في الوعيد أردفه بشرح كمال رحمته وفضله وإحسانه في حق العبيد
وفيه مسائل المسألة الأولى احتج أصحابنا بهذه الآية على أنه تعالى يعفو عن الكبائر فقالوا إنا بينا في هذا
الكتاب أن عرف القرآن جار بتخصيص اسم العباد بالمؤمنين قال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض
هونا وقال عينا يشرب بها عباد الله ولأن لفظ العبد مذكور في معرض التعظيم فوجب أن لا يقع إلا على المؤمنين
إذا ثبت هذا ظهر أن قوله يا عبادي مختص بالمؤمنين ولأن المؤمن هو الذي يعترف بكونه عبدا لله أما المشركون
فإنهم يسمون أنفسهم بعبد اللات وعبد العزى وعبد المسيح فثبت أن قوله يا عبادي لا يليق إلا بالمؤمنين
إذا ثبت هذا فنقول إنه قال تعالى الذين أسرفوا على أنفسهم وهذا عام في حق جميع المسرفين ثم قال تعالى
إن الله يغفر الذنوب جميعا وهذا يقتضي كونه تعالى غافرا لجميع الذنوب الصادرة عن المؤمنين وذلك هو
المقصود فإن قيل هذه الآية لو أجريناها على ظاهرها لزم القطع بكون كل الذنوب مغفورة قطعا
وأنتم لا تقولون به فما هو مدلول هذه الآية لا تقولون به والذي تقولون به لا يدل عليه هذه الآية فسقط الاستدلال
وأيضا إنه تعالى قال عقيب هذه الآية وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون
وكذلك في الآية قوله من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون ولو كان المراد ما ذكرتم لدلت الآية أنه تعالى
يغفر جميع الذنوب قطعا لما أمر عقيبه بالتوبة ولما خوفهم بنزول العذاب عليهم من حيث لا يشعرون
وأيضا قال أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله ولو كانت الذنوب كلها مغفورة فأي حاجة إلى
أن يقول يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وأيضا لو كان المراد ما يدل عليه ظاهر الآية لكان ذلك إغراء
بالمعاصي وإطلاقا في الإقدام عليها وذلك لا يليق بحكمة الله وإذا ثبت هذا وجب حمل الآية على أن المراد
منه التنبيه على أنه لا يجوز أن يظن العاصي أنه لا مخلص له من العذاب ألبتة فإن من اعتقد ذلك فهو قانط
من رحمة الله إذ لا أحد من العصاة المذنبين إلا ومتى تاب زال عقابه وصار من أهل المغفرة والرحمة
فمعنى قوله إن الله يغفر الذنوب جميعا أي بالتوبة إذا تاب وأناب والجواب قوله الآية تقتضي كون كل الذنوب
مغفورة قطعا وأنتم لا تقولون به فما تدل الآية عليه لا تقولون به ولا تذهبون إليه وذلك لأن صيغة يغفر صيغة المضارع
وهي للاستقبال وعندنا أن الله تعالى يخرج من النار من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وكل
هذا التهديد يصاحب الكبيرة مغفور له قطعا إما قبل الدخول في النار وإما بعد الدخول فيه
فثبت أن ما ذكرتم دلالة على ظاهرها لا يوجب نقض مذهبنا أما قولهم لو صارت الذنوب بأسرها مغفورة لما أمر
بالتوبة فالجواب عنه أن عندنا التوبة واجبة وخوف العقاب قائم فإنا لا نقطع بإزالة العقاب بالكلية
بل نقول لعله يعفو مطلقا ولعله يعذب بالنار مدة ثم يعفو بعد ذلك وبهذا الحرف يخرج الجواب
عن بقية الأسولة والله أعلم المسألة الثانية اعلم أن هذه الآية تدل على رجاء الرحمة من وجوه
الأول أنه سمى المذنب بالعبد والعبودية مشعرة بالحاجة والذلة والمسكنة واللائق بالكريم الرحيم إفاضة
الخير والرحمة على المسكين المحتاج الثاني أنه تعالى أضافهم إلى نفسه بياء الإضافة فقال يا عبادي
وشرف الإضافة إليه يفيد الأمن من العذاب الثالث أنه تعالى قال أسرفوا على أنفسهم ومعناه
أن ضرر تلك الذنوب ما عاد إليه بل هو عائد إليهم فيكفيهم من تلك الذنوب عود مضارها إليهم فلا حاجة
إلى إلحاق ضرر آخر بهم الرابع أنه قال لا تقنطوا من رحمة الله نهاهم عن القنوط فيكون هذا أمرا
بالرجاء والكريم إذا أمر بالرجاء فلا يليق به إلا الكرم الخامس أنه تعالى قال أولا يا عبادي وكان اللائق أن يقول

لا تقنطوا

لا تقنطوا من رحمتي لكنه ترك هذا اللفظ وقال لا تقنطوا من رحمة الله لأن قولنا الله أعظم أسماء الله وأجلها
فالرحمة المضافة إليه يجب أن تكون أعظم أنواع الرحمة والفضل السادس أنه لما قال لا تقنطوا من رحمة الله
كان ينبغي أن يقول إنه يغفر الذنوب ولكنه لم يقل ذلك بل أعاد اسم الله وقرن به لفظة إن المفيدة
لأعظم وجوه التأكيد وكل ذلك يدل على المبالغة في الوعد بالرحمة السابع أنه لو قال يغفر الذنوب
لكان المقصود حاصلا لكنه أردفه باللفظ الدال على التأكيد فقال جميعا وهذا أيضا من المؤكدات الثامن
أنه وصف نفسه بكونه غفورا ولفظ الغفور يفيد المبالغة التاسع أنه وصف نفسه بكونه رحيما
والرحمة تفيد فائدة على المغفرة فكان قوله إنه هو الغفور إشارة إلى إزالة موجبات العقاب وقوله
الرحيم إشارة إلى تحصيل موجبات الرحمة والثواب العاشر أن قوله إنه هو الغفور الرحيم يفيد الحصر ومعناه
أنه لا غفور ولا رحيم إلا هو وذلك يفيد الكمال في وصفه سبحانه بالغفران والرحمة فهذه الوجوه العشرة مجموعة
في هذه الآية وهي بأسرها دالة على كمال الرحمة والغفران ونسأل الله تعالى الفوز بها والنجاة من العقاب
بفضله ورحمته المسألة الثالثة ذكروا في سبب نزول هذه الآية قيل إنها نزلت في أهل مكة فإنهم قالوا
يزعم محمد أن من عبد الأوثان وقتل النفس لم يغفر له وقد عبدنا وقتلنا فكيف نسلم وقيل نزلت في وحشي
قاتل حمزة لما أراد أن يسلم خاف أن لا تقبل توبته فلما نزلت الآية أسلم فقيل لرسول الله صلى الله
عليه وسلم هذه له خاصة أم للمسلمين عامة فقال بل للمسلمين عامة وقيل نزلت في أناس أصابوا ذنوبا عظاما
في الجاهلية فلما جاء الإسلام أشفقوا أن لا يقبل الله توبتهم وقيل نزلت في عياش بن أبي ربيعة والوليد بن
الوليد ونفر من المسلمين أسلموا ثم فتنوا فافتتنوا فكان المسلمون يقولون فيهم لا يقبل منهم توبتهم فنزلت
هذه الآيات فكتبها عمر وبعث بها إليهم فأسلموا وهاجروا واعلم أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب
فنزول هذه الآيات في هذه الوقائع لا يمنع من عمومها والله أعلم المسألة الرابعة قرأ نافع وابن كثير
وابن عامر وعاصم يا عبادي بفتح الياء وأبو عمرو وعاصم في بعض الروايات بسكونها وكلهم يقفون عليها بإثبات
الياء لأنها ثابتة في المصحف إلا في بعض رواية أبي بكر عن عاصم أنه يقف بغير ياء وقوله قرأ أبو عمرو والكسائي
تقنطوا بكسر النون والباقون بفتحها وهما لغتان قال صاحب الكشاف وفي قراءة ابن عباس وابن مسعود
يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء ثم قال تعالى وأنيبوا إلى ربكم قال صاحب الكشاف أي توبوا إليه
وأسلموا له وأخلصوا له العمل وإنما ذكر الإنابة على إثر المغفرة لئلا يطمع طامع في حصولها بغير توبة
وللدلالة على أنها شرط فيها لازم لا تحصل بدونه وأقول هذا الكلام ضعيف جدا لأن عندنا التوبة
عن المعاصي واجبة فلم يلزم من ورود الأمر بها طعن في الوعد بالمغفرة فإن قالوا لو كان الوعد
بالمغفرة حاصلا قطعا لما احتيج إلى التوبة لأن التوبة إنما تراد لإسقاط العقاب فإذا سقط العقاب
بعفو الله عنه فلا حاجة إلى التوبة فنقول هذا ضعيف لأن مذهبنا أنه تعالى وإن كان يعفو عن الذنب
قطعا ويعفو عنه قطعا إلا أن هذا العفو والمغفرة يقع على وجهين تارة يقع ابتداء وتارة بعد أن يعذب
مدة في النار ثم يخرج من النار ويعفو عنه ففائدة التوبة إزالة هذا العقاب فسقط ما ذكره
قال صاحب الكشاف ضعيف لا فائدة فيه ثم قال تعالى واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم واعلم أنه تعالى
لما وعد بالمغفرة أمر بعد هذا الوعد بأشياء فالأول أمر بالإنابة وهو قوله تعالى وأنيبوا إلى ربكم
والثاني أمر بمتابعة الأحسن وفي المراد بهذا الأحسن وجوه الأول هذا القرآن ومعناه واتبعوا
القرآن والدليل عليه قوله تعالى الله نزل أحسن الحديث الثاني قال الحسن معناه والتزموا طاعة الله واجتنبوا
معصيته فإن الذي أنزل على ثلاثة أوجه ذكر القبيح ليجتنب عنه والأدون لئلا يرغب فيه والأحسن ليتقوى به
ويتبع الثالث المراد بالأحسن الناسخ دون المنسوخ لأن الناسخ أحسن من المنسوخ لقوله تعالى ما ننسخ من آية

من بعد ان بغتهم فانه تعالى عرضها او مثلها وقالت الله تعالى لما انزل احسن ما انزل فانه كان اعتمادنا على الناسخ
دون المنسوخ احسن لنا من اعتمادنا على المنسوخ ثم قال من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون والمراد
منه التخويف والتهديد والمعنى انه يفجأكم العذاب وانتم غافلون عنه واعلم انه تعالى لما خوفهم بالعذاب
بين تعالى انهم بتقدير نزول العذاب عليهم ماذا يقولون فحكى تعالى عنهم ثلاثة انواع من الكلمات فالاول
قوله تعالى ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين وفيه مسائل المسئلة
الاولى قوله ان تقول مفعول له اي كراهة ان تقول واما تنكير لفظ النفس ففيه وجهان الاول يجوز ان يراد نفس
متميزة من النفوس اما بلجاج في الكفر شديد او بعذاب عظيم ويجوز ان يراد التكثير
وذلك لانه ثبت في اصول الفقه ان الحكم المذكور عقيب وصف يناسبه يفيد ظن ان ذلك الحكم معلل بذلك
الوصف فقوله يا حسرتى يدل على غاية الاسف ونهاية الحزن وانه مذكور عقيب قوله تعالى على ما فرطت
في جنب الله والتفريط في طاعة الله يناسب شدة الحسرة وهذا يقتضي حصول تلك الحسرة عند حصول
هذا التفريط وذلك يفيد العموم بهذا الطريق المسئلة الثانية القائلون باثبات الاعضاء لله تعالى استدلوا
على اثبات الجنب بهذه الاية واعلم ان دلائلنا على نفي الاعضاء قد كثرت فلا نعيدها بل نبين ان ذلك ما يقول
بعد لمن يكون المراد من هذا الجنب عضوا مخصوصا لله تعالى فانه يمتنع وقوع التفريط فيه فثبت
انه لا بد من المصير الى التاويل وللمفسرين فيه عبارات قال ابن عباس يريد ضيعت من ثواب الله وقال
مقاتل ضيعت من ذكر الله وقال مجاهد في امر الله وقال الحسن في طاعة الله وقال سعيد بن جبير
في حق الله واعلم انا لما كنا من هذه العبارات لا يتضح تمام الفائدة فنقول الجنب سمي جنبا
لانه جانب من جوانب ذلك الشيء والشيء الذي يكون من لوازم الشيء ومن توابعه يكون كانه جند من جنوده
وجانب من جوانبه فلما حصلت المشابهة بين الجنب الذي هو العضو وبين ما يكون لازما للشيء وتابعا له
لا جرم حسن اطلاق لفظ الجنب على الحق والامر والطاعة قال الشاعر اما تتقين الله في جنب عاشق
له كبد حرى عليك تقطع المسئلة الثالثة قال صاحب الكشاف يا حسرتا على الالف وياحسرتا
على الجمع بين العوض والمعوض منه واما قوله تعالى وان كنت لمن الساخرين انه ما كان مكتفيا بذلك
التقصير بل كان من المستهزئين قال قتادة لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر من اهل
ومحل وان كنت النصب على الحال كانه قال فرطت وانا ساخر اي فرطت في حال سخريتي ك
النوع الثاني من الكلمات التي حكاها الله عن اهل العذاب انهم يذكرونه بعد نزول العذاب عليهم
انهم يقولون لو ان الله هداني لكنت من المتقين والنوع الثالث انهم يقولون حين يرون العذاب
لو ان لي كرة فاكون من المحسنين وحاصل الكلام ان هذا المقصر اتى بثلاثة اشياء اولها الحسرة على التفريط
في الطاعة وثانيها التعلل بفقد الهداية وثالثها تمني الرجعة ثم اجاب الله تعالى عن كلامهم بان
قال التعليل بفقد الهداية باطل لان الهداية كانت حاضرة والاعذار زائلة بسبب ما تقدم من عمله بلى قد جاءتك
اياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين وههنا مسائل المسئلة الاولى قال الزجاج بلى جواب
النفي وليس في الكلام لفظ النفي الا انه حصل فيه معنى النفي لان معنى قوله لو ان الله هداني انه ما هداني
فلا جرم حسن ذكر لفظ بلى بعده والله اعلم المسئلة الثانية قال الواحدي رحمه الله القراءة المشهورة
دانية يعمل التذكير في قوله بلى قد جاءتك اياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت لان النفس يقع على الذكر
والانثى فخوطب المذكر وروى الربيع ابن انس عن ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرا جاءتك ... قال
قال ابو عبيد ولو صح هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم كان حجة لا يجوز لاحد تركها ولكنه ليس بمسند لان الربيع
لم يدرك ام سلمة واما وجه التانيث فهو انه ذكر النفس ولفظ النفس ورد في القرآن في اكثر الامر

على المانسة كقوله سولت لي نفسي وان النفس لامارة بالسوء ويا ايتها النفس المطمئنة المسئلة الثالثة
قال القاضي هذه الايات دالة على صحة القول بالعدل من وجوه الاول انه لا يقال فلان متحسر على نفسه على وجه
الذم الا بما كان يمكنه فعله وذلك يدل على ان افعال العباد تحصل من قبلهم لا من قبل الله تعالى وثانيها ان طلب
العذر لا يصح الا في ذلك والياس لا يحصل الا اذا كان الفعل فعل العبد وثالثها انه لا يقال انه يوم الا
اليوم قبل ان ياتيه العذاب وذلك لا يكون الا مع تمكنه من ان يختارها بدل نزول العذاب ورابعها ان الكافر
لم يكن قط متمكنا من ذلك ولا بد ما امرهم تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم وذلك لانه اذا كان المختار لا اتيانا
وجاز عليهم ذلك فانهم علموا انهم لا يعرفون بالوجوب العذاب وذلك يصح الامر المتمكن من الحجة وسادسها
قولهم يا حسرتا ولا يتحسر المرء على امر مستقبل الا وكان يصح منه ان لا يفعله وسابعها قوله تعالى على ما فرطت
ومن لا يستطيع الايمان كما يقوله القوم لا يكون مفرطا بان يتوله لا يمكنه تفريط ثامنها ذمه لهم بانهم من الساخرين
وذلك لانهم الا بالحرية تحملهم فكان يصح منهم ان لا يفعلوا وتاسعها قولهم لو ان الله هداني اي مكنني
لكنت من المتقين وعلى قولهم انه لم يتعذر على التقي فكيف يصح ذلك منه وعاشرها قولهم لو ان لي كرة
فاكون من المحسنين وعلى قولهم لو رده الله كرة ابدا كرة بعد كرة وليس فيه الا قدرة الكفر لم يصح ان يكون محسنا
والحادي عشر قوله تعالى موبخا لهم بلى قد جاءتك اياتي فكذبت بها فبين تعالى ان الحجة عليهم لله
لا ان الحجة على الله ولو ان الكفر كان بالله لكان لهم ان يقولوا قد جاءتنا الايات ولكنك خلقت فينا التكذيب
بها ولم تقدرنا على التصديق بها والثاني عشر انه تعالى وصفهم بالتكذيب والاستكبار والكفر
على جهة الذم ولولا تمكنهم من هذه الاشياء اما لم يكن كذلك ثم هذا الذم والجواب عنه ان هذه المعارضة
بما ان القرآن مملوء من انه تعالى يضل ويمنع ومنه الريب والقسوة والاستدراج ولما كان هذا التفسير
مملوءا منه ما كان الى الاعادة حاجة والله اعلم

قوله تعالى

ويوم القيامة ترى الذين
كذبوا على الله وجوههم مسودة اليس في جهنم مثوى للمتكبرين وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء
ولا هم يحزنون اعلم ان هذا نوع اخر من شرح الوعيد وهو قوله تعالى ويوم القيامة
ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وفيه مسائل المسئلة الاولى ان هذا الكذب والثاني ان هذا السواد كيف هو
اما الكذب فقال الاكثرون هذا الكذب هو وصفهم له بما لا يليق به من الشريك والولد وغير ذلك ومن اخبر عن الشيء على خلاف ما هو عليه
ومنهم من قال هذا القدر لا يكون كذبا بل الشرط في كونه كذبا ان يقصد الانسان الخبر على خلاف المخبر عنه واذا عرف
هذا الاصل فنقول اقوال الناس في هذه الاية قال الكعبي ويروى الجبائي ان هذه الاية نزلت في المجبرة
ثم قال قال الكعبي على ان الامر كذلك ان هذه الاية نزلت عقيب قوله لو ان الله هداني يعني انه ما هداني
بل اضلني فلما حكى هذا عن الكفار ثم قال عقيبه ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وجب
ان يكون هذا عائدا الى ذلك الكلام المتقدم ثم روى عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
اقوام يصلون ويقرون القرآن يزعمون ان الله كتب الذنوب على العباد ثم كذبه على الله
والله مسود وجوههم واعلم ان اصحابنا قالوا اخر الاية يدل على فساد هذا التاويل لانه تعالى
قال في اخر الاية اليس في جهنم مثوى للمتكبرين وهذا يدل على ان اولئك الذين صارت وجوههم مسودة
انما هم المتكبرون والتكبر لا يليق بمن يقول انا لا اقدر على الخلق والايجاد وانا القادر عليه هو الله سبحانه
اما الذين يقولون ان الله يريد شيئا وانا اريد ضده فيحصل مرادي لا مراد الله فانا لا يليق بهذا القائل
التكبر فثبت ان هذا التاويل الذي ذكروه فاسد ومن الناس من قال ان هذا الوعيد مختص باليهود و
النصارى ومنهم من قال انه مختص بمشركي العرب وقال القاضي يجب حمل الاية على الكل من المشبهة والمجبرة
وكذلك كل من وصف الله بما لا يليق به نفيا واثباتا فاضاف اليه ما يجب تنزيهه عنه او نزهه عما يجب

ان يضاف اليهم فالكل منهم داخلون تحت هذه الاية لانهم كذبوا على الله ... المجبرة والمشبهة
الى اليهود والنصارى لا محالة واعلم ان المعتزلة بنوا هذه الاية على عمومها كما ذكره القاضي لزمه تكفير
جمهور الامة لانك لا تجد فرقة من فرق الامة الا وقد حصل بينهم اختلاف شديد في صفات الله تعالى
الا ترى انه حصل الاختلاف بين ابي علي وابي هاشم في مسائل كثيرة من صفات الله تعالى ويلزم
على هذا القول تكفير احدهما ... المذكور في الاية على ما اذا قصد الاخبار
عن الشيء مع انه يعلم انه كاذب فيه يقول ومثاله هذا كفار قريش فانهم كانوا يصفون بكون الاصنام
الهة مع انهم كانوا يعلمون بالضرورة كونها جمادات وكانوا يقولون ان الله تعالى حرم البحيرة والسائبة
والوصيلة والحام مع انهم كانوا ينكرون القول بان الله حرم كذا واباح كذا كذبا وكان قائله
عالما بانه كذب واذا كان كذلك فالحاق مثل هذا الوعيد بهذا الجاهل الكذاب الوقح الفاسق
المختل كان مناسبا اما من لم يقصد الا الحق والصدق لكنه اخطا فيبعد الحاق هذا الوعيد به
البحث الثاني الكلام في كيفية السواد الحاصل في وجوههم والاقرب انه سواد مخالف
لسائر انواع السواد وهو سواد يدل على الجهل بالله والكذب على الله واقول ان الجهل ظلمة والظلمة
تتخيل كانها سواد فسواد قلوبهم اوجب سواد وجوههم وتحت هذا الكلام اسرار عميقة من مباحث
احوال القيامة ولما ذكر الله هذا الوعيد اردفه بالوعد فقال وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم
والمراد به من اتقى كل الكبائر لانه لا يوصف بالاتقاء المطلق الا من هذا حاله فيتناول له امر كل
عجيب جدا انك علمتنا تقدم قوله تعالى لو ان الله هداني لكنت من المتقين وحصل تحت ذلك
ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة على الذين قالوا ان الله هداني فجعل
هذا القائلين لما يعلم قوله ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ثم قال
وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم وحصل تحت المراد الذين اتقوا ذلك الكذب فهذا يقتضي ان كل
من لم يتصف بذلك الكذب ان يدخل تحت الوعد المذكور بقوله وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم و
لم يكن قوله اتقوا المراد منه من اتقى كل الكبائر فاسد لان التعقيب حمل الرجل العاقل على
الكلمات المتنافية فعند هذا الجواب يقول المتقي هو الاتي بالاتقاء الذي باتيانه في صون واحد
اتى يسمى بالاتقاء فهذا الحرف يلنا الامر المطلق ... ثم ذلك الاتقاء غير مذكور بعينه
في هذه اللفظة فوجب حمله على الاتقاء عن الشيء الذي سبق ذكره وهو الكذب على الله تعالى
تنبيه ان ظاهر الاية يدل على نفي الشر عن كل المتقين وهو قوله يحشر هذا الوعد الكريم
ثم قال تعالى بمفازتهم وفيه مسايل المسالة الاولى قرا حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم
بمفازاتهم على الجمع والباقون بمفازتهم على الواحد قال الواحدي الملك عن الفراء انه قال كلا هما صواب
تقول في الكلام قد تبين امر القوم وامور القوم قال ابو علي الفارسي الافراد للمصدر ووجه
الجمع ان المصادر قد تجمع اذا اختلف اجناسها كقوله تعالى وتظنون بالله الظنونا ولاشك ان
العمل متنوع انواعا كثيرة المسالة الثانية المفازة مفعلة من الفوز وهو السعادة
فكان المعنى ان النجاة في القيامة حصلت بسبب فوزهم في الدنيا بالطاعات والخيرات فعبر عن
الفوز بالوقاية ... بالسعادة ثم فسر هذه النجاة بقوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون وهي كلمة جامعة لانه
اذا علم انه لا يمسه السوء كان فارغ البال بحسب الحال عما وقع في قلبه بسبب فوات الماضي
شيء فحينئذ يحصل نظره انه سالم عن كل الافات ونسال الله العظيم الفوز بهذه الدرجات
فيه ذكرهم المسالة الثالثة دلت الاية على ان المؤمنين لا ينالهم الخوف والرعب في القيامة

ونا كد

ونا كد هذا بقوله لا يحزنهم الفزع الاكبر

قوله تعالى

الله خالق كل شيء وهو
على كل شيء وكيل له مقاليد السموات والارض والذين كفروا بايات الله اولئك هم الخاسرون قل افغير الله
تامروني اعبد ايها الجاهلون ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن
من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين اعلم انه لما طال الكلام في شرح الوعد و
الوعيد عاد الى دلائل الالهية والتوحيد وفي الاية مسائل المسالة الاولى قد ذكرنا في سورة
الانعام ان اصحابنا تمسكوا بقوله تعالى الله خالق كل شيء على ان اعمال العباد مخلوقة لله تعالى واطنبنا
هناك في الاسولة والاجوبة فلا فائدة هاهنا في الاعادة الا ان الكعبي ذكر هاهنا كلمات فنذكرها
ونجيب عنها قال انه تعالى مدح نفسه بقوله الله خالق كل شيء وليس من المدح ان يخلق الكفر
والقبائح فلا يصح ان يحتج المخالف به وايضا فلم يكن في صدر هذه الامة خلاف في اعمال العباد بل كان
الخلاف بينهم وبين المجوس والزنادقة في خلق الامراض والسباع والهوام فاراد تعالى ان يبين انها اجمع
من خلقه وايضا فلفظة كل لا توجب العموم كقوله واوتيت من كل شيء لانه يريد كل شيء وايضا لو كانت اعمال
العباد من خلق الله لما اضافها اليهم بقوله كفارا حسدا من عند انفسهم ولما صح قوله وتخلقون افكا ومن
عند الله لما يقول عند الله ولما صح قوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا هذا جملة ما ذكره الكعبي
قال الجبائي الله خالق كل شيء سوى افعال خلقه التي صح فيها الامر والنهي واستحقوا بها الثواب والعقاب
ولو كانت افعالهم خلقا لله ما جاز ذلك فيه كما لا يجوز مثله في الوانهم وصورهم قال وقد علم ان الخلق هو التقدير
لا الايجاد فاذا اخبر الله عن عباده انهم يفعلون الفعل الفلاني فقد قدر ذلك الفعل فيصح ان يقال انه
تعالى خلقه وان لم يكن موجدا له واعلم ان الجواب عن هذه الوجوه قد ذكرناه بالاستقصاء في سورة الانعام فمن
اراد الوقوف عليه فليطالع ذلك الموضع من هذا الكتاب والله اعلم اما قوله تعالى وهو على كل شيء وكيل فالمعنى
ان الاشياء كلها موكول اليه فهو القائم بحفظها وتدبيرها من غير منازع ولا مشارك وهذا يدل
على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى لان فعل العبد لو وقع بتخليق العبد لكان ذلك الفعل غير موكول
الى الله تعالى فلم يكن الله وكيلا عليه وذلك ينافي عموم الاية ثم قال تعالى له مقاليد السموات والارض
وهو من باب الكناية لان حافظ الخزائن ومدبر امرها هو الذي بيده مقاليدها ومنه قولهم فلان القيت اليه مقاليد الملك
وفيه مسائل المسالة الاولى في تفسيره وجوه قال صاحب الكشاف ...
... عن ابن عباس ... مقاليد السموات والارض ... تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده استغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والاخر
والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير نقله صاحب الكشاف ثم قال تعالى
والذين كفروا بايات الله اولئك هم الخاسرون وفيه مسائل المسالة الاولى صريح الاية يقتضي انه لا خاسر
الا الكافر وهذا يدل على ان كل من لم يكن كافرا فانه لابد وان يحصل له حظ من رحمة الله المسالة
الثانية ... قال صاحب الكشاف ... والذين كفروا واجاب عنه بانه اتصل
بقوله تعالى وينجي الله الذين اتقوا اي ينجي الله المتقين بمفازتهم والذين كفروا هم الخاسرون واعترض
عليه بانه خالق الاشياء كلها وانه له مقاليد السموات والارض وانت فهذا ضعيف من وجهين الاول
ان وقوع الفاصل الكثير بين المعطوف والمعطوف عليه بعيد الثاني ان قوله تعالى وينجي الله الذين اتقوا
جملة فعلية وقوله والذين كفروا هم الخاسرون جملة اسمية وعطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية لا يجوز
بل الاقرب عندي ان يقال انه لما وصف الله تعالى نفسه بالصفات الالهية والجلالية وهو كونه خالقا للاشياء
كلها وكونه مالكا لمقاليد السموات والارض باسرها قال بعده والذين كفروا بهذه الايات الظاهرة
الباهرة هم الخاسرون ثم قال تعالى قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون وفيه مسائل المسالة

قرأ ابن عامر تأمرونني بنونين ساكنة الياء وكذلك هي في مصاحف الشام قال الواحدي وهو الأصل وقرأ
ابن كثير تأمروني بنون مشددة على إسكان الأولى وادغامها في الثانية وقرأ نافع تأمروني
بنون واحدة خفيفة على حذف إحدى النونين المسألة الثانية أفغير الله منصوب بأعبد و
تأمروني اعتراض ومعناه أفغير الله أعبد بأمركم وذلك حين قال له المشركون استلم بعض
آلهتنا ونؤمن بالهك ولولا [illegible] لما قوله تعالى [illegible]
في تلك الآية وصفهم بالجهل المسألة الثالثة إنما وصفهم بالجهل لأنه تقدم وصف
الإله بكونه خالقا للأشياء وبكونه مالكا لمقاليد السموات والأرض وظاهر كون هذه الأصنام جمادات
لا تضر ولا تنفع ومن أعرض عن عبادة الإله الموصوف بتلك الصفات الشريفة المقدسة واشتغل
بعبادة هذه الأجسام الخسيسة فقد بلغ في الجهل مبلغا لا مزيد عليه فلهذا السبب قال أيها
الجاهلون ولا شك أن وصفهم بهذا الأمر لائق بهذا الموضع ثم قال تعالى ولقد أوحي إليك
وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين واعلم أن الكلام التام
مع الدلائل القوية والجواب عن الشبهات في عصمة الأنبياء قد ذكرناه في سورة البقرة فلا نعيده قال
صاحب الكشاف قرئ ليحبطن عملك وليحبطن على البناء للمفعول وليحبطن بالنون
والياء أي ليحبطن الله أو الشرك وفي الآية سؤالات السؤال الأول كيف أوحي إليه وإلى
من قبله حال شركه على التعيين الجواب تقدير الآية أوحي إليك لئن أشركت ليحبطن عملك
وإلى الذين من قبلك مثله أو أوحي إليك وإلى كل واحد منهم لئن أشركت كما تقول كسانا حلة
أي كل واحد منا السؤال الثاني ما الفرق بين اللامين الجواب الأولى موطئة للقسم المحذوف
والثانية لام الجواب السؤال الثالث كيف صح هذا الكلام مع علم الله أن رسله لا يشركون ولا تحبط أعمالهم
والجواب أن قوله لئن أشركت ليحبطن عملك قضية شرطية والقضية الشرطية لا يلزم من صدقها صدق جزئيها
ألا ترى أن قولك لو كانت الخمسة زوجا لكانت منقسمة بمتساويين قضية صادقة مع أن كل واحد من جزئيها غير
صادق قال تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ولم يلزم من هذا صدق القول بأن فيهما آلهة وبأنهما
قد فسدتا السؤال الرابع ما معنى قوله ولتكونن من الخاسرين الجواب كما أن طاعة الأنبياء والرسل
أفضل من طاعات غيرهم فكذلك القبائح التي تصدر عنهم فإنها بتقدير الصدور تكون أقبح لقوله تعالى
إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات فكان المعنى أن الشرك الحاصل منه يقبح حصوله منه
يكون ما يرى في جنب حق الله أنزل أو أعظم واعلم أنه تعالى لما قدم هذه المقدمات ذكر
ما هو المقصود فقال بل الله فاعبد وكن من الشاكرين والمقصود منه رد ما أمروه به من استلام
بعض آلهتهم كأنه قال إنكم تأمرونني بأن لا أعبد إلا غير الله لأن قوله قل أفغير الله تأمروني أعبد
يفيد أنهم عينوا عليه عبادة غير الله فقال الله إنهم بئسما قالوا ولكن كن على الضد مما قالوا
فلا تعبد إلا الله وذلك لأن قوله بل الله فاعبد يفيد الحصر ثم قال وكن من الشاكرين على ما هداك إلى أنه
لا يجوز إلا عبادة الإله القادر على الإطلاق العليم الحكيم على الإطلاق وعلى ما أرشدك إلى أنه يجب الإعراض
عن كل ما سوى الله **قوله تعالى** وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا
قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ونفخ في الصور فصعق
من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون وأشرقت
الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت
كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون اعلم أنه تعالى لما حكى عن المشركين أنهم أمروا الرسول

بعبادة

بعبادة الأصنام ثم إنه تعالى أقام الدلائل على فساد قولهم وأمر الرسول بأن يعبد الله ولا يعبد شيئا
سواه بين أنهم لو عرفوا الله حق معرفته لما جعلوا هذه الأشياء الخسيسة مشاركة له في المعبودية
فقال وما قدروا الله حق قدره وفي الآية مسائل المسألة الأولى احتج نفاة القياس بهذه الآية
على أن الخلق لا يعرفون كنه حقيقة الله قالوا لأن قوله وما قدروا الله حق قدره يفيد هذا المعنى
إلا أنا ذكرنا أن هذا صفة حال الكفار فلا يلزم من وصف الكفار بأنهم ما قدروا الله حق قدره
وصف المؤمنين بذلك فسقط هذا الكلام المسألة الثانية قوله ما قدروا الله حق قدره أي ما عظموه
حق تعظيمه وهذه الآية مذكورة في سورة الأنعام وفي سورة الحج وفي هذا الموضع واعلم أنه تعالى
لما بين أنهم ما عظموه تعظيما لائقا به أردفه بما يدل على كمال عظمته ونهاية جلالته فقال والأرض جميعا
قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه قال القفال رحمه الله قوله تعالى وما قدروا الله حق
قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة كقول القائل وما قدرتني حق قدري وأنا الذي فعلت كذا
وكذا أي لما عرفت أن حالي وصفتي هذا الذي ذكرت فوجب أن لا تحط عن قدري ومنزلتي ونظيره
قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم أي كيف تكفرون بمن هذا وصفه وحال ملكه
فكذا ههنا المعنى وما قدروا الله حق قدره إذ زعموا أن له شركاء وأنه لا يقدر على إحياء الموتى
مع أن الأرض والسموات في قبضته وقدرته قال صاحب الكشاف والغرض من هذا الكلام إذا أخذته
كما هو بجملته تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهة
حقيقة أو جهة مجاز وكذلك حكي أن يهوديا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا القاسم إن
الله يمسك السموات يوم القيامة على إصبع والأرضين على إصبع والجبال على إصبع والشجر على إصبع و
الثرى على إصبع وسائر الخلق على إصبع ثم يهزهن فيقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم
تعجبا مما قال قال صاحب الكشاف وإنما ضحك أفصح العرب لأنه لم يفهم منه إلا ما يفهمه علماء البيان من
غير تصور إمساك ولا إصبع ولا هز ولكن فهمه وقع أول شيء وآخره على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة
على القدرة الباهرة وأن الأفعال العظام التي لا تكتنهها الأوهام هينة عليه قال ولا ترى بابا
في علم البيان أدق ولا ألطف ولا أوطأ من هذا الباب فيقال له هل تسلم أن الأصل في الكلام حمله
على حقيقته وأنه إنما يعدل عن الحقيقة إلى المجاز عند قيام الدلالة على أن حمله على حقيقته ممتنع
فحينئذ يجب حمله على المجاز وإن أنكر هذا الأصل فحينئذ يخرج القرآن بكليته عن أن يكون حجة
فإن لكل أحد أن يقول المقصود من الآية الفلانية كذا وكذا فأنا أحمل الآية على ذلك المقصود
ولا ألتفت إلى الظواهر مثاله من تمسك بالآيات الواردة في ثواب أهل الجنة وعقاب أهل النار
قال المقصود بيان سعادات المطيعين وشقاوة المذنبين فأنا أحمل هذه الآيات على هذا المقصود
ولا أثبت الأكل والشرب ولا سائر الأحوال الجسمانية ومن تمسك بالآيات الواردة في إثبات وجوب
الصلوة قال المقصود منه إيجاب تنوير القلب بذكر الله فأنا أكتفي بهذا القدر ولا أوجب هذه
الأعمال المخصوصة وإذا عرف الكلام في هذين المثالين فقس عليه سائر المسائل الأصولية والفروعية
وحينئذ يخرج القرآن عن أن يكون حجة في المسائل الأصولية والفروعية وذلك باطل قطعا وأما إن سلم أن
الأصل في علم القرآن أن يعتقد أن الأصل في الكلام حمله على حقيقته فإن قام دليل منفصل على أنه
يتعذر حمله على حقيقته فحينئذ يتعين صرفه إلى مجاز معين إلا أن الدليل بحسب ذلك التعيين
فههنا لفظ القبضة ولفظ اليمين حقيقة في الجارحة المخصوصة فلا يمكنك أن تصرف ظاهر

صح

الكلام عن هذا المعنى [illegible] فيه الدلالة على ان حمل هذه الالفاظ على ظواهرها ممتنع [illegible] حملها على المجازات
ثم [illegible] المعنى [illegible] جعله مجازا عن [illegible] ثم تبين انه [illegible] ان هذا المجاز اولى من غيره
[illegible] المقدمات وتركيبها [illegible] هذا العلم وهذا هو الطريق الصحيح الذي عليه يعول اهل التحقيق [illegible]
في هذا الباب [illegible] في ذكر اهل التحقيق فثبت ان الشيخ الذي [illegible] انه
الهدى الى الطريق [illegible] فلنرجع الى الطريق الحقيقي
فنقول لا شك ان لفظ القبضة واليمين مشعرة بهذه الاعضاء والجوارح الا ان الدلائل العقلية قامت على امتناع
ثبوت الاعضاء والجوارح لله تعالى فوجب حمل هذه الالفاظ على وجوه المجاز فنقول [illegible] الله تعالى [illegible]
في قبضة فلان اذا كان تحت تدبيره وتسخيره وقال تعالى الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم والمراد منه كونه
مملوكا له ويقال هذه الدار في يد فلان وفلان صاحب اليد والمراد منه كمال القدرة [illegible] الشروط
وقبض فلان كذا وصار في قبضته ولا يريد به الا خلوص ملكه واذا ثبت [illegible] حمل هذه الالفاظ
[illegible] وجب حملها على مجازاتها صونا لهذه النصوص عن التعطيل فهذا هو الكلام الحقيقي في هذا
الباب ولنا كتاب مفرد في اثبات تنزيه الله عن الجسمية والمكان سميناه تاسيس التقديس
من اراد الاطناب في هذا الباب فليرجع اليه والله اعلم المسئلة الثانية في تفسير الفاظ الاية [illegible]
والارض المراد منه الارضون السبع ويدل عليه وجوه الاول قوله جميعا فان هذا التأكيد لا يحسن ادخاله الا على الجمع
ونظيره قوله كل الطعام وقوله تعالى او الطفل الذين لم يظهروا وقوله تعالى والنخل باسقات وقوله الا ان الانسان
لفي خسر الا الذين آمنوا فان هذه الاحكام الملحقة باللفظ المفرد تدل على ان المراد منه الجمع فكذا هاهنا والثاني
انه قال بعده والسموات فوجب ان يكون المراد بالارض الارضين والثالث ان الموضع موضع تعظيم وتفخيم فهو
مقتضي المبالغة واما القبضة فهي المرة الواحدة من القبض قال تعالى فقبضت قبضة من اثر الرسول
والقبضة بالضم المقدار المقبوض بالكف ويقال ايضا اعطني قبضة من كذا يريد معنى القبضة
تسمية بالمصدر والمعنى والارضون جميعا قبضته اي ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة من قبضاته
يعني ان الارضين مع ما لها من العظم والبسطة لا يبلغن الا قبضة واحدة من قبضاته اما لو اريد
معنى القبضة فظاهر لان المعنى ان الارضين مجموعها مقدار ما يقبضه بكف واحد فان قيل
ما وجه قراءة من قرأ قبضته بالنصب قلنا جعل القبضة ظرفا [illegible] مطويات من الطي الذي هو ضد
النشر كما قال تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل [illegible] يطويه بيمينه ثم قال صاحب
الكشاف وقيل قبضته ملكه ويمينه قدرته وقيل مطويات بيمينه اي مفنيات بقسمه لانه اقسم ان يفنيها ولما
ذكر بعض الوجوه عاد الى [illegible] بانها وجوه ركيكة وان حمل هذا الكلام على محض [illegible]
اولى فالوجه في تقرير هذا الكلام [illegible] هذا الرجل [illegible] على تحسين طريقته
وتقبيح طريقة القدماء عجيب جدا فانه ان كان مذهبه جواز ترك ظاهر اللفظ والمصير الى المجاز
من غير دليل فهذا طعن في القرآن [illegible] وان كان مذهبه ان الاصل في الكلام
الحقيقة وانه لا يجوز العدول عنه الا بدليل منفصل فهذا هو الطريقة التي اطبق عليها جمهور المتقدمين
فاين الكلام الذي يزعم انه [illegible] في الدلالات [illegible] والكلمات الركيكة فان قالوا
المراد انه لما دل الدليل على انه ليس المراد من لفظ القبضة واليمين هذه الاعضاء [illegible] ان يكتفى
بهذا القدر ولا يشتغل بتعيين المراد بل نفوض علمه الى الله تعالى فنقول فهذا هو طريقة الموحدين
الذين يقولون انا نعلم انه ليس مراد الله من هذه الالفاظ هذه الاعضاء فاما تعيين المراد فانا نفوض
ذلك العلم الى الله وهذا هو طريقة السلف المعرضين عن التأويلات فثبت ان هذه التأويلات التي اتى

بما

بما هذا الرجل ليس عنده شيء [illegible] والله اعلم واعلم انه تعالى لما بين عظمته من الوجه
الذي تقدم قال سبحانه وتعالى عما يشركون يعني ان هذا القادر القاهر العظيم الذي حارت العقول و
الالباب في وصف عظمته تنزه وتقدس عن ان تجعل الاصنام شركاء له في المعبودية فان قيل السؤال على
هذا الكلام من وجوه الاول ان العرش اعظم من السموات السبع والارضين السبع ثم انه قال في صفة العرش
ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية واذا وصفهم بكونهم حاملين العرش العظيم فكيف يجوز تقرير عظمة الله بكونه
حاملا للسموات والارض والسؤال الثاني ان قوله والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات
بيمينه شرح حالة لا تحصل الا في يوم القيامة والقوم ما شاهدوا ذلك فان كان هذا الخطاب
مع المصدقين للانبياء فهم يكونون معترفين بانه لا يجوز القول بجعل الاصنام شركاء لله فلا فائدة في ايراد
هذه الحجة عليهم وان كان الخطاب مع المكذبين بالنبوة فهم ينكرون قوله والارض جميعا قبضته يوم
القيامة فكيف يمكن الاستدلال به على ابطال القول بالشرك السؤال الثالث حاصل القول في القبضة
واليمين هو القدرة الكاملة الوافية بحفظ هذه الاجسام العظيمة وكما ان حفظها وامساكها يوم القيامة
ليس الا بقدرة الله فكذلك الآن فما الفائدة في تخصيص هذه الاحوال بيوم القيامة والجواب
عن الاول ان مراتب التعظيم كثيرة فاولها تقرير عظمة الله بكونه قادرا على حفظ هذه الاجسام العظيمة
ثم بعده تقرير عظمته بكونه قادرا على امساك اولئك الملائكة الذين يحملون العرش والجواب عن السؤال الثاني
ان المقصود ان الحق سبحانه هو المتولي لابقاء السموات والارض على وجوه العمارة في هذا الوقت وهو
المتولي لتخريبها وافنائها في يوم القيامة فذلك يدل على حصول قدرة تامة على الايجاد والاعدام وايضا
[illegible] على كونه غنيا على الاطلاق فانه يدل على انه اذا حاول تخريب الارض فكأنما يقبض قبضة صغيرة يريد
افناءها وذلك يدل على كمال استغنائه والجواب عن السؤال الثالث انه انما خصص تلك الحالة بيوم القيامة
ليبين انه كما ظهر كمال قدرته في الايجاد عند عمارة الدنيا فكذلك ظهر كمال قدرته عند خراب الدنيا والله اعلم
واعلم انه تعالى لما قرر كمال عظمته بما سبق ذكره اردفه بذكر طريق آخر يدل ايضا على كمال عظمته وذلك
شرح مقدمات يوم القيامة لان نفخ الصور يكون قبل ذلك اليوم فقال ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن
في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون واختلفوا في الصعقة منهم من قال انها غير الموت
بدليل قوله تعالى في موسى عليه السلام وخر موسى صعقا انه لم يمت فهذا النفخ يورث الفزع الشديد وعلى هذا التقدير
فالمراد من نفخ الصعقة ومن نفخ الفزع واحد وهو المذكور في سورة النمل في قوله ونفخ في الصور ففزع من
في السموات ومن في الارض وعلى هذا القول فنفخ الصور ليس الا مرتين والقول الثاني ان الصعقة عبارة
عن الموت والقائلون بهذا القول قالوا انهم يموتون من الفزع وشدة الصوت وعلى هذا التقدير فالنفخة
تحصل ثلاث مرات اولها نفخة الفزع وهي المذكورة في سورة النمل والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة
القيام وهما مذكورتان في هذه السورة [illegible] الا من شاء الله فيه وجوه الاول قال ابن عباس عند
نفخة الصعق يموت من في السموات ومن في الارض الا جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ثم يميت الله
ميكائيل واسرافيل ويبقى جبريل وملك الموت ثم يميت ملك الموت ثم يميت جبريل والقول الثاني انهم
هم الشهداء لقوله تعالى بل احياء عند ربهم [illegible] عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انهم هم الشهداء
متقلدون اسيافهم حول العرش القول الثالث قال جابر [illegible] موسى عليه السلام لانه
صعق فلا يصعق ثانيا القول الرابع انهم الحور العين وسكان العرش والكرسي القول
الخامس قال قتادة الله اعلم بانهم من هم وليس في القرآن والاخبار ما يدل على انهم من هم ثم قال تعالى
ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون [illegible] لفظ القول دل على ان هذه النفخة متأخرة

من السعيد الاولى كان لفظه ثم سنبه الناجي قال الحسن روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان بينهما اربعون ولا ادري اربعون
اد سنة او الف سنة او اربعون الف سنة الثانية اخرى تندرس الكلام ثم ينفخ في الصور نفخة واحدة ثم ينفخ فيه
اخرى وانما حسن الحذف لدلالة اخرى عليها ولكونها معلومة الثالثة فاذا هم قيام بمعنى قيامهم من القبور
يحصل عقيب هذه النفخة الاخيرة في الحال من غير تراخ لان الفاء في قوله فاذا هم قيام يدل على التعقيب
الرابع قوله ينظرون فيه وجهان الاول ينظرون يقلبون ابصارهم في الجهات نظر المبهوت اذا فاجاه
خطب عظيم والثاني ينظرون ماذا يفعل بهم ويجوز ان يكون القيام بمعنى الوقوف والجمود في مكان لاجل
استيلاء الحيرة والدهشة عليهم ولما بين الله تعالى هاتين النفختين قال واشرقت الارض بنور ربها
وفيه مسائل المسألة الاولى هذه الارض المذكورة ليست هي هذه الارض التي نقعد عليها الان بدليل قوله
تعالى يوم تبدل الارض غير الارض وبدليل قوله تعالى وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة بل هي ارض اخرى
خلقها الله تعالى لمحفل القيامة المسألة الثانية قالت المجسمة ان الله تعالى نور محض فاذا حضر الله
في تلك الارض لاجل القضاء بين عباده اشرقت تلك الارض بنور الله واكدوا هذا بقوله تعالى
الله نور السموات والارض واعلم ان الجواب عن هذه الشبهة من وجوه الاول انا بينا في تفسير قوله
تعالى الله نور السموات والارض على انه لا يجوز ان يكون الله سبحانه نورا بمعنى كونه من جنس هذه
الانوار المشاهدة وبينا انه لما تعذر حمل الكلام على حقيقته وجب حمل لفظ النور ههنا على العدل فنحتاج
ههنا الى بيان ان لفظ النور يستعمل في هذا المعنى ثم الى بيان ان المراد من لفظ النور ههنا ليس الا
هذا المعنى اما بيان كونه بمعنى العدل فهو ان الناس يقولون للملك العادل اشرقت الافاق بعدلك
واضاءت الدنيا بقسطك كما يقولون اظلمت البلاد بجورك وقال عليه السلام الظلم ظلمات يوم القيامة
واما بيان ان المراد ههنا من النور العدل فقط انه قال وجيء بالنبيين والشهداء ومعلوم ان المجيء بالشهداء
ليس الا لاظهار العدل وايضا قال في اخر الاية وهم لا يظلمون فدل هذا على ان المراد من ذلك النور
ازالة ذلك الظلم فكأنه تعالى فتح هذه الاية باثبات العدل وختمها بنفي الظلم والوجه الثاني
في الجواب عن الشبهة المذكورة ان قوله تعالى واشرقت الارض بنور ربها يدل على انه يحصل هناك نور مضاف
الى الله تعالى ولا يلزم ذلك النور لم يكن صفة لذات الله تعالى لانه لا يكفي في صدق الاضافة ادنى سبب
فلما كان ذلك النور من خلق الله وشرفه بان اضافه الى نفسه كان ذلك النور نور الله كقوله بيت
الله وناقة الله وهذا الجواب اقوى من الاول لان في هذا الجواب لا نحتاج الى ترك الحقيقة والذهاب
الى المجاز والله اعلم والوجه الثالث انه [illegible] الارض [illegible] الزلزلة ورب هذه
الجارية تلك بعد لم تكن تلك الارض الا لمجامع الملائكة ويحمل هذا التفسير منع كونه نورا والله اعلم
المسألة الثالثة انه تعالى ذكر في هذه الاية من احوال ذلك اليوم اشياء اولها قوله واشرقت الارض
بنور ربها وقد سبق الكلام فيه وثانيها قوله ووضع الكتاب وفي المراد بالكتاب وجوه الاول انه اللوح
المحفوظ الذي حصل فيه شرح احوال عالم الدنيا الى وقت قيام الساعة الثاني المراد كتب الاعمال
كما قال تعالى في سورة سبحان وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا و
قال تعالى في اية اخرى مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وثالثها قوله تعالى وجيء بالنبيين
والشهداء والمراد ان يكونوا شهداء على الناس قال تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء
شهيدا وقال تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم ورابعها قوله تعالى والشهداء والمراد
ما اراد بقوله وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس واراد بالشهداء المؤمنين وقال
مقاتل يعني الحفظة ويدل عليه قوله تعالى معها سائق وشهيد وقيل المراد بالشهداء المستشهدون في سبيل الله

ولما

ولما بين الله تعالى انه يحضر في محفل القيامة جميع ما يحتاج اليه في فصل الحكومات وقطع الخصومات بين تعالى
انه يوصل الى كل احد حقه وعبر تعالى عن هذا المعنى باربع عبارات اولها قوله تعالى وقضي بينهم بالحق وثانيها
قوله وهم لا يظلمون وثالثها قوله تعالى ووفيت كل نفس ما عملت اي ثواب كل نفس جزاء ما عملت ورابعها
قوله وهو اعلم بما يفعلون يعني انه لو لم يكن عالما بكيفيات احوالهم فلعله لا يقضي بالحق اما على العلم
اما اذا كان عالما بها وبمقادير افعالهم وكيفياتها امتنع دخول الخطأ في ذلك الحكم فثبت انه تعالى عبر
عن هذا المقصود بهذه العبارات الاربع والمقصود منها المبالغة في تقرير ان كل مكلف فانه يصل الى حقه

قوله تعالى

وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاءوها فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها
الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين
قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين اعلم انه تعالى لما شرح احوال اهل القيامة
على سبيل الاجمال وقال ووفيت كل نفس ما عملت بين بعده كيفية احوال اهل العقاب ثم كيفية احوال اهل الثواب
وختم السورة اما شرح احوال اهل العقاب فهو المذكور في هذه الاية وهو قوله وسيق الذين كفروا الى جهنم
زمرا والسوق يقتضي الحث على المسير بعنف وهو الدفع والدليل عليه قوله تعالى يوم يدعون الى نار جهنم دعا اي يدفعون
دفعا نظيره قوله تعالى فذلك الذي يدع اليتيم اي يدفعه ويدل عليه ايضا قوله تعالى ونسوق المجرمين الى
جهنم وردا واما الزمر فهي الافواج المتفرقة بعضها في اثر بعض بين الله تعالى انهم يساقون الى جهنم
فاذا جاءوها فتحت ابوابها وهذا يدل على ان ابواب جهنم انما تفتح عند وصول اولئك اليها واذا ادخلوا جهنم
قال لهم خزنة جهنم الم ياتكم رسل منكم اي من جنسكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا
فان قيل لم اضيف اليوم اليهم قلنا اراد لقاء وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيامة
واستعمال لفظ اليوم والايام في اوقات الشدة مستفيض فعند هذا تقول الكفار بلى قد اتونا وتلوا علينا ولكن
حقت كلمة العذاب على الكافرين وفي هذه الاية مسائل المسألة الاولى تقدير الكلام انه حقت علينا كلمة
العذاب فكيف يمكننا الخلاص من العذاب وهذا صريح في ان السعيد لا ينقلب شقيا والشقي لا ينقلب سعيدا
وكلمات المعتزلة في دفع هذا الكلام معلومة واجوبتنا عنها ايضا معلومة المسألة الثانية دلت الاية على انه لا وجوب
قبل مجيء الشرع لان الملائكة بينوا انه ما بقي لهم علة ولا عذر بعد مجيء الانبياء عليهم ولو لم يكن مجيء الانبياء شرطا
في استحقاق العذاب لما بقي في هذا الكلام فائدة ثم ان الكلام يحتمل اذا سمعوا منهم هذا الكلام قالوا لهم ادخلوا
ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين قالت المعتزلة لو كان دخولهم في النار لاجل انه حقت
عليهم كلمة العذاب لم يبق لقوله الملائكة فبئس مثوى المتكبرين فائدة بل هذا الكلام انما يبقى مفيدا
اذا قلنا انهم انما دخلوا النار لانهم تكبروا على الانبياء ولم يقبلوا قولهم ولم يلتفتوا الى دلائلهم وذلك
يدل على صحة قولنا والله اعلم

قوله تعالى

وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى
اذا جاءوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي
صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين وترى الملائكة حافين من حول العرش
يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين اعلم انه تعالى لما شرح احوال اهل العقاب
في الاية المتقدمة شرح احوال اهل الثواب في هذه الاية فقال وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا
فان قيل السوق في اهل النار معقول لانهم لما امروا بالذهاب الى موضع العذاب لا بد وان يساقوا
اليه اما اهل الثواب فاذا امروا بالذهاب الى موضع الراحة والسعادة فاي حاجة فيه الى السوق والجواب
من وجوه الاول ان المحبة والصداقة باقية بين المتقين يوم القيامة كما قال تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض
عدو الا المتقين فاذا قيل لواحد منهم اذهب الى الجنة فيقول لا ادخلها حتى يدخل احبائي ولعله [illegible]

لهذا المعنى السبب فحينئذ يحتاجون الى ان يساقوا الى الجنة والثاني ان المؤمنين اتقوا ربهم فقد عبدوا
الله تعالى لا للجنة ولا للنار فتصير شدة استغراقهم في مشاهدة مواقف الجلال والجمال مانعا لهم عن الرغبة
في الجنة فلا جرم يحتاجون الى ان يساقوا الى الجنة والثالث قال النبي صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة
البله وعليون للابرار فلهذا السبب يساقون الى الجنة والرابع ان اهل النار واهل الجنة يساقون والفرق
الا ان المراد بسوق اهل النار طردهم اليها بالهوان والعنف كما يفعل بالاسير اذا سيق الى الحبس والمراد
بسوق اهل الجنة سوق مراكبهم لانه لا يذهب بهم الا راكبين والمراد بذلك السوق اسراعهم الى دار
الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على الملوك فشتان ما بين السوقين ثم
قال تعالى حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين واعلم
ان جملة هذا الكلام شرط واحد مركب من قيود القيد الاول مجيئهم الى الجنة والقيد الثاني قوله تعالى
وفتحت ابوابها فان قيل قال في اهل النار فتحت ابوابها بغير الواو وقال هاهنا بحرف الواو فما الفرق
قلنا الفرق ان ابواب جهنم لا تفتح الا عند دخول اهلها فيها فاما ابواب الجنة ففتحها يكون متقدما على
وصولهم اليها بدليل قوله جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلذلك جيء بالواو كانه قيل حتى اذا جاءوها وقد
فتحت ابوابها القيد الثالث وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين فبين تعالى ان خزنة
الجنة يذكرون لاهل الثواب هذه الكلمات الثلاث فاولها قوله سلام عليكم وهذا يدل على انهم يبشرونهم
بالسلامة من كل الآفات وثانيها قولهم طبتم والمعنى طبتم من دنس المعاصي وطهرتم من خبث الخطايا
وثالثها قولهم فادخلوها خالدين والفاء في فادخلوها يدل على كون ذلك الدخول معللا بالطيب والطهارة
قالت المعتزلة هذا يدل على ان احدا لا يدخلها الا اذا كان طاهرا عن كل المعاصي قلنا هذا ضعيف لانه
تعالى يبدل سيئاتهم حسنات وحينئذ يصيرون طاهرين طيبين بفضل الله تعالى فان قيل
هذا الذي تقدم ذكره هو الشرط فاين الجواب قلنا فيه وجهان الاول ان الجواب محذوف والمقصود من
الحذف يدل على انه بلغ في الكمال الى حيث لا يمكن ذكره الثاني ان الجواب هو قوله تعالى وقال لهم خزنتها
سلام عليكم والواو محذوف والصحيح هو الاول ثم اخبر الله تعالى بان الملائكة اذا خاطبوا المؤمنين بهذه الكلمات
قال المتقون عند ذلك الحمد لله الذي صدقنا وعده ونظيره في قوله الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة
واورثنا الارض والمراد بالارض ارض الجنة وانما عبر عنه بالارث لوجوه الاول ان الجنة كانت في اول
الامر لآدم عليه السلام لانه تعالى قال فكلا منها رغدا حيث شئتما فلما عادت الجنة الى اولاد آدم كان
ذلك سببا للارث الثاني ان هذا اللفظ مأخوذ من قول القائل هذا اورث كذا وهذا العمل
اورث كذا فلما كانت طاعاتهم قد افادتهم الجنة لا جرم قالوا واورثنا الجنة والمعنى ان الله تعالى اورثنا
الجنة بان وفقنا للاتيان باعمال اورثت الجنة الثالث ان الوارث يتصرف فيما يرثه كما يشاء من غير
منازع ولا مدافع فكذلك المؤمنون المتقون يتصرفون في الجنة كيف شاءوا واراد والمشابهة علة
على حسن المجاز فان قيل ما معنى قوله حيث نشاء وهل يتبوأ احدهم مكان غيره قلنا يكون لكل احد
جنة لا يحتاج معها الى جنة غيره قال حكماء الاسلام ان الجنات الجسمانية والجنات الروحانية
فالجنات الجسمانية لا تحتمل المشاركة اما الروحانية فحصولها لواحد لا يمنع من حصولها للآخرين
فلما بين الله تعالى صفة اهل الجنة قال فنعم اجر العاملين قال مقاتل ليس هذا من كلام اهل
الجنة بل من الله تعالى لما حكى ما جرى بين الملائكة وبين المتقين من صفة ثواب اهل الجنة قال بعده
فنعم اجر العاملين ثم قال تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش لما ذكر تعالى ثواب
البشر ذكر عقيبه ثواب الملائكة فقال كما ان دار ثواب المتقين المؤمنين هي الجنة كذلك دار ثواب

الملائكة جوانب العرش واطرافه فلهذا قال وترى الملائكة حافين من حول العرش اي محدقين بالعرش يقال
الذي يقال حف القوم بسيدهم يحفون حفا اذا طافوا به اذا عرفت هذا فنقول بين تعالى ان دار
ثوابهم جوانب العرش ثم قال يسبحون بحمد ربهم وهذا مشعر بان ثوابهم هو عين ذلك التحميد والتسبيح
وحينئذ يرجع حاصل الكلام الى ان اعظم درجات الثواب استغراق عقول العباد في درجات التنزيه و
منازل التقديس ثم قال وقضي بينهم بالحق والمعنى انهم على درجات مختلفة ومراتب متفاوتة فلكل واحد
منهم في درجات المعرفة والطاعة حد محدود لا يتجاوزه ولا يتخطاه وهو المراد من قوله وقضي بينهم بالحق ثم قال
وقيل الحمد لله رب العالمين اي الملائكة لما قضي بينهم بالحق قالوا الحمد لله رب العالمين على قضائه بيننا بالحق
وهاهنا دقيقة اعلى مما سبق وهي انه سبحانه لما قضى بينهم بالحق فهم ما حمدوه لاجل ذلك القضاء بل حمدوه
لصفته الواجبة وهي كونه ربا للعالمين فان من حمد المنعم لاجل ان انعامه وصل اليه فهو في الحقيقة
ما حمد المنعم وانما حمد الانعام واما من حمد المنعم لانه هو لا لانه وصل اليه النعمة فهاهنا قد وصل
الى لجة بحر التوحيد هذا اذا قلنا ان قوله وترى الملائكة حافين من حول العرش شرح احوال
الملائكة في الثواب اما اذا قلنا انه من تتمة شرح ثواب المؤمنين فنقول ان المتقين لما قالوا
الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فظهر منهم انهم في الجنة
اشتغلوا بحمد الله وبذكره بالمدح والثناء فبين تعالى انه كما ان حرفة المتقين في الجنة الاشتغال
بهذا التحميد والتمجيد فكذلك حرفة الملائكة الذين هم حافون حول العرش الاشتغال بالتحميد والتسبيح
ثم ان جوانب العرش ملاصقة لجوانب الجنة وحينئذ يظهر منه ان المؤمنين المتقين وان الملائكة المقربين
يصيرون مواظبين على الاشتغال في تحميد الله وتسبيحه وكان ذلك سببا لمزيد التذاذهم بذلك التسبيح
والتحميد ثم قال وقضي بينهم بالحق اي بين البشر بالعدل وقيل الحمد لله رب العالمين والمعنى انهم يقدمون
التسبيح والمراد منه تنزيه الله عن كل ما لا يليق بالالهية واما قوله تعالى الحمد لله رب العالمين فالمراد وصفه
بصفات الالهية فالتسبيح عبارة عن الاعتراف بتنزيهه عن كل ما لا يليق به وهو صفات الجلال وقوله تعالى
الحمد لله رب العالمين عبارة عن الاقرار بكونه موصوفا بصفات الالهية وهي صفات الاكرام ومجموعهما هو المذكور
في قوله تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام وهو الذي كانت الملائكة يذكرونه قبل خلق العالم وهو قولهم
ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وقيل الحمد لله رب العالمين وفيه لطيفة وهي انه لم يبين ان ذلك القائل
من هو والمقصود من هذا الابهام التنبيه على ان خاتمة كلام العقلاء في الثناء على حضرة ذي الجلال
والكبرياء ليس الا ان يقولوا الحمد لله رب العالمين

تفسير سورة حم المؤمن

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل
التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم
في البلاد كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل
ليدحضوا به الحق فاخذتهم فكيف كان عقاب وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار
في الآية مسائل المسألة الاولى قرأ عاصم في رواية ابي بكر وحمزة والكسائي حم بكسر الحاء والباقون
بفتح الحاء ونافع في بعض الروايات وابن عامر بين الفتح والكسر وافتحها فتحا شديدا ابن كثير وحفص
وقرئ بفتح الميم وتسكينها ووجه الفتح التحريك لالتقاء الساكنين وايثار اخف الحركات نحو اين وكيف والنصب
باضمار اقرأ ومنع الصرف اما للتأنيث والتعريف من حيث انها اسم للسورة او للتعريف وانها على زنة اعجمي
نحو قابيل وهابيل واما السكون فلانا بينا ان الاسماء المجردة تذكر موقوفة ابدا واعلم ان المسألة الثانية
الكلام المستقصى في هذه الفواتح مذكور في اول سورة البقرة والاقرب هاهنا ان يقال حم اسم السورة فقوله حم

مبتدا وقوله تنزيل الكتاب من الله خبره والتقدير ان هذه السورة المسماة بحم تنزيل الكتاب وقوله تنزيل مصدر لكن المراد منه المنزل وقوله من الله فاعلم انه لما ذكر ان حم تنزيل الكتاب وجب بيان ان المنزل من هو فقال من الله ثم بين ان الله سبحانه موصوف بصفات الجلال وسمات العظمة ليصير ذلك حاملا على التشمر عن ساق الجد عند الاستماع ومزجرا عن التهاون والتواني فيه فبين ان المنزل هو الله العزيز العليم واعلم ان الناس اختلفوا في ان اول العلم بالله ما هو فقال قوم اعظم انه العلم بكونه قادرا وبعده العلم بكونه عالما اذا عرفت هذا فنقول العزيز له تفسيران احدهما الغالب فكان معناه القادر الذي لا يساويه احد في القدرة والثاني الذي لا مثل له ولا يجوز ان يكون المراد بالعزيز ههنا القادر لان قوله تعالى الله يدل على كونه قادرا فوجب حمل العزيز على المعنى الثاني وهو الذي لا يوجد له مثل وما كان كذلك وجب ان لا يكون جسما والذي لا يكون جسما يكون منزها عن الشهوة والنفرة والذي يكون كذلك يكون منزها عن الحاجة واما العليم فهو مبالغة في العلم والمبالغة التامة انما تتحقق عند كونه تعالى عالما بكل المعلومات فحصل من العزيز العليم رجوع معناه الى ان هذا الكتاب تنزيل من القادر المطلق الغني المطلق العالم المطلق ومن كان كذلك كان رحيما جوادا وكانت افعاله حكمة وصوابا منزهة عن القبيح والباطل فكانه سبحانه انما ذكر عقيب قوله تنزيل هذه الصفات الثلاثة لكونها دالة على ان افعاله سبحانه حكمة وصواب ومتى كان الامر كذلك لزم ان يكون هذا المنزل حقا وصوابا وقيل الفائدة في ذكر العزيز العليم امران احدهما انه بقدرته وعلمه انزل القرآن على هذا الحد الذي يتضمن المصالح والاعجاز ولولا كونه عزيزا عليما لما صح ذلك والثاني انه تكفل بحفظه وبعموم التكليف فيه وظهوره الى حين انقطاع التكليف وذلك لا يتم الا بكونه عزيزا لا يغلب وبكونه عليما لا يخفى عليه شيء ثم وصف نفسه بما يجمع الوعد والوعيد والترغيب والترهيب فقال غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير فهذه ستة انواع من الصفات الصفة الاولى غافر الذنب قال الجبائي معناه انه غافر الذنب اذا استحق غفرانه اما بتوبة او طاعة اعظم منه ومراده منه ان فاعل المعصية اما ان يكون قد اتى بعدها بطاعة كان ثوابها اعظم من عقاب تلك المعصية او ما كان الامر كذلك فان كان الاول كانت المعصية صغيرة فيحبط عقابها وان كان الثاني كانت تلك المعصية كبيرة فلا يزول عقابها ومذهب اصحابنا ان الله تعالى قد يعفو عن الكبائر بدون التوبة وهذه الاية تدل على ذلك وبيانه من وجوه الاول ان غفران الكبيرة بعد التوبة وغفران الصغيرة من الامور الواجبة على العبد وجميع الانبياء والاولياء والصالحين من اوساط الناس مشتركون في فعل الواجبات فلو حملنا قوله تعالى غافر الذنب على هذا المعنى لم يبق بينه وبين اقل الناس من زمرة المطيعين فرق في معنى الموجب لهذا المدح وذلك باطل فثبت انه يجب ان يكون المراد منه كونه غافر الكبائر قبل التوبة وهو المطلوب الثاني ان الغفر عبارة عن الستر ومعنى الستر انما يعقل في الشيء الذي يكون باقيا موجودا فيستر والصغيرة تحبط بسبب كثرة ثواب فاعلها فمعنى الغفر فيها غير معقول ولا يمكن حمل قولنا غافر الذنب على الكبيرة بعد التوبة لان معنى كونه قابل التوب ليس الا ذلك فلو كان المراد بكونه غافر الذنب هذا المعنى لزم التكرار وانه باطل فثبت ان كونه غافر الذنب يفيد كونه غافرا للكبائر قبل التوبة الثالث ان قوله غافر الذنب مذكور في معرض المدح العظيم فوجب حمله على ما يفيد اعظم انواع المدح وذلك هو كونه غافرا للكبائر قبل التوبة وهو المطلوب الصفة الثانية قوله قابل التوب وفيه بحثان الاول ان لفظ التوب فيه قولان الاول انه مصدر وهو قول ابي عبيدة والثاني انه جماعة التوبة وهو قول الاخفش قال المبرد يجوز ان يكون مصدرا يقال تاب يتوب توبا وتوبة مثل قال يقول قولا وقولة ويجوز ان يكون جمعا للتوبة فيكون توبة وتوب مثل تمرة وتمر الا ان المصدر اقرب لان على هذا التقدير يكون تأويله انه يقبل هذا الفعل البحث الثاني مذهب اصحابنا ان قبول التوبة من المذنب يقع على سبيل التفضل وليس بواجب على الله واحتج اصحابنا بانه تعالى ذكر كونه قابلا للتوبة على سبيل المدح والثناء ولو كان ذلك من الواجبات لم يبق فيه من معنى التمدح الا القليل وهو القدر الذي يحصل لجميع الصالحين عند اداء الواجبات والاحتراز عن المحظورات الصفة الثالثة قوله شديد العقاب وفيه مباحث البحث الاول ان في هذه الاية سؤالا وهو ان قوله شديد العقاب يصلح ان يكون نعتا للنكرة ولا يصلح ان يكون

نعتا

نعتا للمعرفة تقول مررت برجل شديد البطش ولا تقول مررت بعبد الله شديد البطش وقوله الله اسم علم فيكون معرفة فكيف يجوز وصفه بقوله شديد العقاب مع انه لا يصلح الا ان يجعل وصفا للنكرة قالوا وهذا بخلاف قولنا غافر الذنب وقابل التوب فانه يحسن جعلهما وصفا لانه صفة الفعل فانه يغفر الذنب ويقبل التوب فيما مضى او فيما الان او فيما يستقبل فكان كقولهم الحكم العادل ورب العرش اما شديد العقاب فمشكل لانه في تقدير شديد عقابه فيكون نكرة فلا يصح جعله صفة للمعرفة هذا تقرير السؤال والجواب عنه من وجوه الاول ان هذه الصفة وان كانت نكرة الا انها لما ذكرت مع ساير الصفات التي هي معارف حسن ذكرها كما في قوله وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد والثاني قال الزجاج ان خفض شديد العقاب على البدل لان جعل النكرة بدلا من المعرفة وبالعكس امر جائز واعترضوا عليه بان جعله وحده بدلا من الصفات فيه نبوة ظاهرة الثالث انه لا نزاع في ان قوله غافر الذنب وقابل التوب يحسن جعلهما صفة فانما كان كذلك لانهما مفيدان معنى الدوام والاستمرار فكذلك قوله شديد العقاب يفيد معنى الدوام والاستمرار لان صفات الله تعالى منزهة عن الحدوث والتجدد فكونه شديد العقاب معناه كونه بحيث يشتد عقابه وهذا المعنى حاصل ابدا وغير موصوف بانه حصل بعد ان لم يكن كذلك فهذا ما قيل في هذا الباب البحث الثاني هذه الاية مشعرة بترجيح جانب الرحمة والفضل لانه تعالى لما اراد ان يصف نفسه بانه شديد العقاب ذكر قبله امرين كل واحد منهما يقتضي زوال العقاب وهو كونه غافر الذنب وقابل التوب وذكر بعده ما يدل على حصول الرحمة العظيمة وهو قوله ذي الطول فكونه شديد العقاب لما كان مسبوقا بتينك الصفتين وملحوقا بهذه الصفة دل ذلك على ان جانب الرحمة والكرم ارجح والله اعلم البحث الثالث لقائل ان يقول انه ذكر الواو في قوله غافر الذنب وقابل التوب ولم يذكرها في قوله شديد العقاب ذي الطول فما الفرق قلنا انه لو لم يذكر الواو في قوله غافر الذنب وقابل لاحتمل ان يقع في خاطر انسان انه لا معنى لكونه غافر الذنب الا كونه قابل التوب اما لما ذكر الواو زال هذا الاحتمال لان عطف الشيء على نفسه محال اما كونه شديد العقاب فمعلوم انه مغاير لكونه غافر الذنب وقابل التوب وذي الطول فاستغنى به عن ذكر الواو الصفة الرابعة قوله ذي الطول اي ذي الفضل يقال طال علينا طولا اي تفضل علينا تفضلا ومن كلامهم طال على وتطول ومنه قوله الطول نعم ومعنى تفسيره عند قوله ومن لم يستطع منكم طولا واعلم انه لما وصف نفسه بكونه شديد العقاب فلا بد ان يكون المراد كونه تعالى آتيا بالعقاب الشديد الذي يصح منه اتيانه به اذ لا يجوز وصفه تعالى بكونه آتيا بالفعل القبيح واذا ثبت هذا فنقول ذكر بعده كونه ذي الطول وهو كونه ذا الفضل فيجب ان يكون معناه كونه ذا الفضل بسبب ان يترك العقاب الذي له ان يفعله لانه ذكر كونه ذا الطول ولم يبين انه ذو الطول فيماذا فوجب صرفه الى كونه ذا الطول في الامر الذي سبق ذكره وهو فعل العقاب الحسن دفعا للاجمال وهذا يدل على انه تعالى قد يترك العقاب الذي يحسن منه تعالى فعله وذلك يدل على ان العفو عن اصحاب الكبائر جائز وهو المطلوب الصفة الخامسة التوحيد المطلق وهو قوله لا اله الا هو والمعنى انه وصف نفسه بصفات الرحمة والفضل فلو حصل معه اله آخر يشاركه ويساويه في صفة الرحمة والفضل لما كانت الحاجة الى عبوديته شديدة اما اذا كان واحدا وليس له شريك وشبيه كانت الحاجة الى الاقرار بعبوديته شديدة فكان الترغيب والترهيب الكاملين يحصل بسبب هذا التوحيد الصفة السادسة قوله اليه المصير وهذه الصفة ايضا مما تقوي الرغبة في الاقرار بعبوديته لانه بتقدير ان يكون موصوفا بصفات الفضل والكرم وكان واحدا لا شريك له الا ان القول بالحشر والنشر كان باطلا لم يكن الخوف الشديد حاصلا من عصيانه اما لما كان القول بالحشر والقيامة حاصلا كان الخوف اشد والحذر اكمل فلهذا السبب ذكر الله تعالى هذه الصفات واحتج اهل التشبيه بلفظ الى فانها تفيد انتهاء الغاية والجواب عنه مذكور في مواضع كثيرة من هذا الكتاب والله اعلم واعلم انه تعالى لما قرر ان القرآن كتاب انزله ليهتدى به في الدين ذكر احوال من يجادل لغرض ابطاله واخفاء امره فقال ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا وفيه مسائل المسألة الاولى الجدال نوعان جدال في تقرير الحق وجدال في تقرير الباطل اما الجدال في تقرير الحق فهو حرفة الانبياء عليهم السلام قال تعالى لمحمد عليه السلام

وجادلهم بالتي هي احسن وقال حكاية عن الكفار انهم قالوا لنوح عليه السلم يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا
واما الجدال في تقرير الباطل فهو مذموم وهو المراد في هذه الاية حيث قال ما يجادل في ايات الله الا الذين
كفروا وقال ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وقال ايضا وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وقال
عليه السلام ان جدالا في القران كفر فقوله ان جدالا على لفظ التنكير يدل على التمييز بين جدال وجدال واعلم
ان لفظ الجدل في السنة انما هو الجدال الباطل ولفظ الجدال عن الشيء بنوع الجدال لاجل تقريره والذب عنه قال
عليه السلم ان جدالا في القران كفر وقال ايضا لا تماروا في القران فان المراء فيه كفر المسئلة الثالثة الجدال في ايات
الله هو ان يقول مرة انه سحر ومرة انه شعر ومرة انه قول الكهنة ومرة اساطير الاولين ومرة انما يعلمه بشر
واشباه هذا مما يقولون من الشبه الباطلة فذكر تعالى انه لا يفعل هذا الا الذين كفروا واعرضوا عن الحق ثم قال تعالى كما ثم
فلا يغررك تقلبهم في البلاد اي لا ينبغي ان تغتر باني امهلتهم وتركتهم سالمين في ابدانهم واموالهم يتقلبون في البلاد
اي يتصرفون فيها للتجارات وطلب المعاش فاني وان امهلتهم فاني ساخذهم وانتقم منهم كما فعلت باشكالهم من الامم
الماضية وكانت قريش كذلك يتقلبون في بلاد الشام واليمن ولهم الاموال الكثيرة يتجرون فيها ويربحون ثم كشف
عن هذا المعنى فقال كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم فذكر من الامم المكذبين قوم نوح والاحزاب من بعدهم
اي والامم المتحزبة على الكفر كقوم عاد وثمود وغيرهم كما قال في سورة ص كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون
ذو الاوتاد وثمود وقوم لوط واصحاب ليكة اولئك الاحزاب وهمت كل امة برسولهم لياخذوه اي وعزمت كل امة
من هؤلاء الاحزاب ان ياخذوا رسولهم ليقتلوه او يحبسوه او يعذبوه وجادلوا بالباطل اي بايراد الشبهات ليدحضوا به
الحق اي ليزيلوا بسبب ايراد تلك الشبهات الحق والصدق فاخذتهم فكيف كان عقاب اي فانزلت بهم من الهلاك ما هموا بانزاله
بالرسل وارادوا ان ياخذوهم فاخذتهم انا فكيف كان عقابي اياهم اليس كان مهلكا مستاصلا مهيبا في الذكر والسماع
فانا افعل بقومك ما فعلت بهؤلاء ان اصروا على الكفر والجدال في ايات الله ثم كشف عن هذا المعنى فقال وكذلك حقت كلمة
ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار اي مثل الذي حق على الامم السالفة من العقاب حقت كلمتي ايضا على هؤلاء الذين كفروا
من قومك فهم على شرف نزول العقاب بهم قال صاحب الكشاف انهم اصحاب النار في محل الرفع بدل من قوله كلمة ربك
اي مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من اصحاب النار ومعناه كما وجب اهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستاصل كذلك
وجب اهلاكهم بعذاب النار في الاخرة او في محل النصب بحذف لام التعليل وايصال الفعل واحتج اصحابنا بهذه الاية على ان
قضاء الله بالسعادة والشقاوة لازم لا يمكن تغييره فقالوا انه تعالى اخبر انه حقت كلمة العذاب عليهم وذلك يدل على
انهم لا قدرة لهم على الايمان لانهم لو تمكنوا منه لتمكنوا من ابطال هذه الكلمة الحقة ولتمكنوا من ابطال علم الله وحكمه
ضرورة ان المتمكن من الشيء يجب كونه متمكنا من كل ما هو من لوازمه ولانهم لو امنوا لوجب عليهم ان يؤمنوا بهذه الاية فيلزم
كانوا قد امنوا بانهم لا يؤمنون ابدا وذلك تكليف بالمحال قرا نافع وابن عامر حقت كلمات على الجمع والباقون على
الواحد والله اعلم **قوله تعالى** الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به
ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم
ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم وقهم السيئات
ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم اعلم انه تعالى لما بين ان الكفار يبالغون في اظهار
العداوة مع المؤمنين بين ان اشرف طبقات المخلوقات وهم الملائكة الذين هم حملة العرش يبالغون في اظهار المحبة
والنصرة للمؤمنين كانه تعالى يقول ان كان هؤلاء الاراذل يبالغون في العداوة فلا تبال بهم ولا تلتفت اليهم ولا تقم
لهم وزنا فان حملة العرش معك والحافون من حول العرش معك وفي الاية مسائل المسئلة الاولى انه حكى عن فريق
من فرق الملائكة هذه الحكاية احدها الذين يحملون العرش وقد حكى تعالى ان حملة العرش يوم القيامة ثمانية فيحتمل ان
الذين يحملونه في هذا الوقت هم الاملاك الثمانية الذين يحملونه يوم القيامة ولا شك ان حملة العرش اشراف الملائكة واكابرهم

صاحب

صاحب الكشاف ان حملة العرش ارجلهم في الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي
صلى الله عليه وسلم لا تتفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية
من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض السفلى وقد مرق راسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير
كانه الوصع قيل انه طائر صغير وروي ان الله تعالى امر جميع الملائكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم
على سائر الملائكة وقيل خلق الله العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام
وحول العرش سبعون الف صف قيام قد وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن التهليل
ورائهم مائة الف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الاخر هذه الاثار نقلتها من
منهم ٤ الكشاف واما القسم الثاني من الملائكة الذين ذكرهم الله في هذه الاية فهو قوله تعالى ومن حوله والاظهر ان المراد ما ذكره في
قوله وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم واقول العقل يدل على ان حملة العرش والحافين حول العرش
يجب ان يكونوا افضل الملائكة وذلك لان نسبة الارواح الى الارواح كنسبة الاجساد الى الاجساد فلما كان العرش اشرف الموجودات
الجسمانية كانت الارواح المتعلقة بتدبير العرش يجب ان تكون افضل الارواح المدبرة للاجساد وايضا فيشبه ان يكون
هناك ارواح حاملة لجسم العرش ثم تتولد عن تلك الارواح القاهرة المستعلية المدبرة لجسم العرش ارواح اخر من جنسها
وهي متعلقة باطراف العرش واليهم الاشارة بقوله وترى الملائكة حافين من حول العرش وبالجملة فقد ظهر بالبراهين اليقينية
وبالمكاشفات الصادقة ان نسبة عالم الاجساد الى عالم الارواح فكل ما شاهدته بعين البصر في احوال عالم
الاجسام فيجب ان تشاهد بعين بصيرتك في احوال عالم الارواح والله اعلم المسئلة الثانية
دلت هذه الاية على انه سبحانه منزه عن ان يكون في العرش وذلك لانه تعالى قال في هذه الاية الذين يحملون العرش
وقال في اية اخرى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ولا شك ان حامل العرش يكون حاملا لكل من في العرش فلو كان اله
العالم في العرش لكان هؤلاء الملائكة حاملين لاله العالم فحينئذ يكونون حافظين لاله العالم ممسكين له والحافظ
القاهر اولى بالالهية والمحمول المحفوظ اولى بالعبودية فحينئذ يصير الاله عبدا والعبد الها وذلك فاسد فدل هذا
على ان اله العرش والاجسام متعال عن العرش والاجسام واعلم انه تعالى حكى عن حملة العرش وعن الحافين بالعرش
ثلثة اشياء اولها قوله يسبحون بحمد ربهم ونظيره قوله حكاية عن الملائكة ونحن نسبح بحمدك وقوله تعالى وترى الملائكة
حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم فالتسبيح عبارة عن تنزيه الله تعالى عما لا يجوز والتحميد الاعتراف بانه
هو المنعم على الاطلاق فالتسبيح اشارة الى الجلال والتحميد اشارة الى الاكرام فقوله يسبحون بحمد ربهم قريب من قوله
تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام والنوع الثاني مما حكى الله تعالى عن هؤلاء الملائكة قوله تعالى و
يؤمنون به فان قيل اي فائدة في قوله ويؤمنون به فان الاشتغال بالتسبيح والتحميد لا يمكن الا وقد سبق الايمان بالله
قلنا الفائدة فيه ما ذكره صاحب الكشاف وقد احسن فيه جدا فقال ان المقصود منه التنبيه على ان الله تعالى
لو كان حاضرا في العرش لكان حملة العرش والحافون بالعرش يشاهدونه ويعاينونه لما كان ايمانهم موجودا
لله موجبا للمدح والثناء لان الاقرار بوجود شيء حاضر مشاهد معاين لا يوجب المدح والثناء الا ترى ان الاقرار
بوجود الشمس وكونها مضيئة لا يوجب المدح والثناء فلما ذكر الله تعالى ايمانهم بالله على سبيل الثناء والمدح والتعظيم
علم انهم انما امنوا به بدليل انهم ما شاهدوه حاضرا حالا هناك ورحم الله صاحب الكشاف فلو لم يحصل في
كتابه الا هذه النكتة لكفاه فخرا وشرفا النوع الثالث مما حكى الله عن هؤلاء الملائكة قوله تعالى ويستغفرون
للذين امنوا واعلم انه قد ثبت ان كمال السعادة مربوط بامرين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله تعالى
ويجب ان يكون التعظيم لامر الله مقدما على الشفقة على خلق الله فقوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به
مشعر بالتعظيم لامر الله وقوله تعالى ويستغفرون للذين امنوا مشعر بالشفقة على خلق الله ثم في الاية مسائل
المسئلة الاولى احتج كثير من العلماء بهذه الاية في اثبات ان الملك افضل من البشر قالوا لان هذه الاية

تدل على أن الملائكة لما فرغوا من ذكر الله تعالى بالثناء والتقديس اشتغلوا بالاستغفار لغيرهم وهم المؤمنون
وهذا يدل على أنهم مستغنون لأنفسهم إذ لو كانوا محتاجين إليه لذكروا الاستغفار لأنفسهم على الاستغفار لغيرهم
بدليل قول نوح عليه السلام ابدأ بنفسك وأيضاً قال تعالى لمحمد عليه السلام فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين
والمؤمنات فأمر محمداً بأن يبدأ أولاً بالاستغفار لنفسه ثم بعده يذكر الاستغفار لغيره وحكى عن نوح عليه السلام
أنه قال رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات فهذا يدل على أن كل من كان محتاجاً
إلى الاستغفار فإنه يقدم الاستغفار لنفسه على الاستغفار لغيره فالملائكة لو كانوا محتاجين إلى الاستغفار
لكان يعمل بقوله تعالى لمحمد واستغفر لذنبك وإذا ثبت هذا فقد ظهر أن الملائكة أفضل من البشر والله أعلم
المسألة الثالثة احتج الكعبي بهذه الآية في بيان أن تأثير الشفاعة في حصول زيادة الثواب للمؤمنين لا في إسقاط
العقاب عن المذنبين قال وذلك أن الملائكة قالوا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك قال وليس المراد فاغفر
للذين تابوا من الكفر سواء كان مصراً على الفسق أو لم يكن كذلك لأن من هذا حاله لا يوصف بكونه متبعاً سبيل
ربه ولا يطلق ذلك فيه وأيضاً أن الملائكة يقولون وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم وهذا لا يليق بالفاسق
لأن عندنا لا يقطعون على أن الله تعالى وعدهم الجنة وإنما يجوز ذلك فثبت أن شفاعة الملائكة
لا تتناول إلا أهل الطاعة ثم وجب أن يكون شفاعة الأنبياء كذلك لأنه لا قائل بالفرق والجواب
نقول هذه الآية تدل على حصول الشفاعة من الملائكة للمذنبين فنبين هذا ثم نجيب عما ذكره الكعبي أما بيان دلالة هذه
الآية على ما قلناه فمن وجوه الأول قوله ويستغفرون للذين آمنوا والاستغفار طلب المغفرة والمغفرة لا تذكر إلا في
إسقاط العقاب أما طلب النفع الزائد فإنه لا يسمى استغفاراً الثاني قوله تعالى ويستغفرون للذين آمنوا وهذا يدل
على أنهم يستغفرون لكل أهل الإيمان فإذا دللنا على أن صاحب الكبيرة مؤمن وجب دخوله تحت هذه الشفاعة الثالث قوله تعالى
فاغفر للذين تابوا طلب المغفرة للذين تابوا ولا يجوز أن يكون المراد إسقاط عقوبة الكبيرة بعد التوبة لأن ذلك
واجب على الله عند الخصم وما كان فعله واجباً كان طلبه بالدعاء قبيحاً ولا يجوز أيضاً أن يكون المراد إسقاط عقوبة
الصغائر لأن ذلك أيضاً واجب فلا يحسن طلبه بالدعاء ولا يجوز أن يكون المراد طلب زيادة منفعة على الثواب لأن ذلك لا يسمى
مغفرة فثبت أنه لا يمكن حمل قوله فاغفر للذين تابوا إلا على إسقاط عقاب الكبيرة قبل التوبة وإذا ثبت هذا في حق الملائكة
فكذلك في حق الأنبياء لانعقاد الإجماع على أنه لا فرق أما الذي تمسك به الكعبي وهو أنهم طلبوا المغفرة للذين تابوا فنقول
يجب أن يكون المراد منه الذين تابوا عن الكفر واتبعوا سبيل الإيمان وقوله إن التائب عن الكفر المصر على الفسق لا يسمى
تائباً ولا متبعاً سبيل الله قلنا لا نسلم بل يصدق عليه أنه تائب عن الكفر ومتابع سبيل الله في الدين والشريعة وإذا ثبت
أنه تائب عن الكفر ثبت أنه تائب ألا أنه يكفي في صدق وصف كونه ضارباً وضاحكاً صدور الضرب والضحك عنه مرة
واحدة ولا يتوقف ذلك على صدور كل أنواع الضرب والضحك عنه فكذلك ههنا والله أعلم المسألة الرابعة
قال أهل التحقيق إن هذه الشفاعة الصادرة عن الملائكة في حق البشر يجري مجرى الاعتذار عن زلة سبقت وذلك
لأنهم قالوا في أول تخليق البشر أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فلما سبق منهم هذا الكلام تداركوا في آخر
الأمر بأن قالوا ربنا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم وهذا كالتنبيه على أن من آذى
غيره فالأولى أن يجبر ذلك الإيذاء بإيصال نفع إليه واعلم أن الله تعالى لما حكى عن الملائكة أنهم يستغفرون
للذين آمنوا شرح كيفية ذلك الاستغفار فحكى عنهم أنهم قالوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً وفيه مسائل
المسألة الأولى أن الدعاء في أكثر الأمر مذكور بلفظ ربنا ويدل عليه أن الملائكة عند الدعاء قالوا ربنا بدليل
هذه الآية وقال آدم عليه السلام ربنا ظلمنا أنفسنا وقال نوح عليه السلام رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم
وقال أيضاً رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً وقال أيضاً رب اغفر لي ولوالدي وقال عن إبراهيم أنه قال
رب أرني كيف تحيي الموتى وقال رب اجعل هذا بلداً آمناً وقال عن يوسف عليه السلام رب قد آتيتني من الملك وقال

عن موسى

عن موسى عليه السلام رب أرني أنظر إليك وقال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم
وقال رب بما أنعمت علي وحكى تعالى عن داود أنه استغفر ربه وخر راكعاً وأناب وعن سليمان أنه قال
رب هب لي ملكاً وعن زكريا أنه نادى ربه نداء خفياً وعن عيسى أنه قال ربنا أنزل علينا مائدة من السماء وعن محمد
عليه الصلاة والسلام أن الله تعالى قال له وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وحكى عن المؤمنين أنهم قالوا ربنا ما خلقت
هذا باطلاً وأعاد هذه اللفظة خمس مرات وحكى أيضاً عنهم أنهم قالوا غفرانك ربنا وإليك المصير إلى آخر السورة
فثبت بما ذكرنا أن أعظم أحوال الدعاء على أن ينادي العبد ربه بقوله يا رب وتمام الإشكال فيه أن يقال لفظ الله
أعظم من لفظ الرب فلم صار لفظ الرب مختصاً بوقت الدعاء والجواب كأن العبد يقول كنت في كتم العدم المحض
والنفي الصرف فأخرجتني إلى الوجود وربيتني فاجعل تربيتك لي شفيعاً إليك في أن لا تخليني طرفة عين عن تربيتك
وإحسانك وفضلك المسألة الثانية السنة في الدعاء أن يبدأ فيه بالثناء على الله تعالى ثم يذكر الدعاء عقيبه
والدليل عليه هذه الآية فإن الملائكة لما عزموا على الدعاء والاستغفار للمؤمنين بدؤوا بالثناء فقالوا ربنا وسعت كل شيء
رحمة وعلماً وأيضاً أن الخليل عليه السلام لما أراد أن يذكر الدعاء ذكر الثناء أولاً فقال الذي خلقني فهو يهدين والذي
هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين فكل
هذا ثناء على الله تعالى ثم بعده ذكر الدعاء فقال رب هب لي حكماً وألحقني بالصالحين واعلم أن العقل يدل أيضاً على
رعاية هذا الترتيب وذلك لأن ذكر الله بالثناء والتعظيم بالنسبة إلى جوهر الروح كالإكسير الأعظم بالنسبة إلى النحاس
فكما أن ذرة من الإكسير إذا وقعت على عالم من النحاس انقلب الكل ذهباً إبريزاً فكذلك إذا وقعت ذرة من إكسير
معرفة جلال الله تعالى على جوهر الروح النطقية انقلب من نحوسة النجاسة إلى صفاء القدس ونقاء عالم الطهارة
فثبت أن عند إشراق نور معرفة الله في جوهر الروح يصير الروح أقوى صفاء وأكمل إشراقاً ومتى صار كذلك كانت
قوته أقوى وتأثيره أكمل فكان حصول الشيء المطلوب بالدعاء أقرب وأكمل وهذا هو السبب في تقديم الثناء على
الدعاء المسألة الثالثة اعلم أن الملائكة وصفوا الله تعالى بثلاثة أنواع من الصفات الربوبية والرحمة
والعلم أما الربوبية فهي إشارة إلى الإيجاد والإبداع وفيه لطيفة أخرى وهي أن قولهم ربنا إشارة إلى
التربية والتربية عبارة عن إبقاء الشيء على أكمل أحواله وأحسن صفاته وهذا يدل على أن الممكنات كما أنها
محتاجة حال حدوثها إلى إحداث الحق سبحانه وإيجاده فكذلك أنها محتاجة حال بقائها إلى إبقاء الحق سبحانه
فلفظ الرب مشعر بهذه الوجوه بأن هذه الممكنات محتاجة حال بقائها إلى إبقاء الله وأما الرحمة فهي إشارة
إلى أن جانب الخير والراحة والإحسان راجح على جانب الضرر وأنه تعالى إنما خلق الخلق للرحمة والخير لا للإضرار
والشر فإن قيل قوله ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فيه سؤال لأن العلم وسع كل شيء أما الرحمة
فما وصلت إلى كل شيء لأن المضرور حال وقوعه في الضرر لا يكون ذلك رحمة وهذا السؤال أيضاً مذكور على
قوله ورحمتي وسعت كل شيء قلنا كل موجود فقد نال من رحمة الله نصيباً وذلك لأن الوجود إما واجب
وإما ممكن أما الواجب فليس إلا الله سبحانه وأما الممكن فوجوده من الله تعالى وبإيجاده وذلك رحمة
فثبت أنه لا موجود غير الله إلا وقد وصل إليه نصيب ونصاب من رحمة الله فلهذا قال ربنا وسعت كل شيء
رحمة وعلماً وفي الآية دقيقة أخرى وهي أن الملائكة قدموا ذكر الرحمة على ذكر العلم فقالوا ربنا وسعت كل
شيء رحمة وعلماً وذلك لأن مطلوبهم إيصال الرحمة وأن يتجاوز عما علمه منهم من أنواع الذنوب فالمطلوب بالذات
هو الرحمة والمطلوب بالعرض أن يتجاوز عما علمه منهم والمطلوب بالذات مقدم على المطلوب بالتبع ألا ترى أنه
لما كان إبقاء الصحة مطلوباً بالذات وإزالة المرض مطلوباً بالعرض لا جرم لما ذكر واضع الطب حد الطب قدم فيه حفظ
الصحة على إزالة المرض فقالوا الطب علم يتعرف منه أحوال بدن الإنسان من جهة ما يصح ويزول عن الصحة ليحفظ
حاصله ويسترد زائله فكذا ههنا المطلوب بالذات هو الرحمة وأما التجاوز عما علم منهم من أنواع الذنوب فهو

مطلوب بالعرض لاجل ان حصول الرحمة على سبيل الكمال لا يحصل الا بالتجاوز عن الذنوب فلهذا السبب وقع ذكر الرحمة سابقا
على ذكر العلم المسئلة الرابعة دلت هذه الاية على ان المقصود بالقصد الاول في الخلق والتكوين انما هو الرحمة
والفضل والجود والكرم ودلت الدلائل اليقينية على ان كل ما دخل في الوجود من انواع الخير والشر والسعادة و
الشقاوة فبقضاء الله وقدره والجمع بين هذين الاصلين في غاية الصعوبة فعند هذا قالت الحكماء الخير مراد مرضي
والشر مراد مكروه والخير مقضي به بالذات والشر مقضي به بالعرض وفيه غور عظيم المسئلة الخامسة
قوله وسعت كل شيء رحمة وعلما يدل على كونه سبحانه عالما بجميع المعلومات التي لا نهاية لها من الكليات والجزئيات وانما
نقلوا ذلك لم يمكن في الدعاء والتضرع فائدة لانه اذا جاز ان يخرج عن علمه بعض الاشيا فحينئذ لا يعرف هذا الداعي ان هذا
الداعي ان الحق سبحانه يعلمه ويعلم دعاه وعلى هذا التقدير فلا يبقى في الدعا فائدة البتة واعلم انه تعالى لما حكى عنهم
كيفية ثنائهم على الله تعالى حكى عنهم كيفية دعائهم فقالوا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم
واعلم ان الملائكة طلبوا بالدعا من الله اشيا كثيرة للمؤمنين فالمطلوب الاول الغفران وقوله فاغفر للذين تابوا
واتبعوا سبيلك فان قيل لا معنى للغفران الا اسقاط العذاب وعلى هذا التقدير فلا فرق بين قوله فاغفر لهم وبين
قوله وقهم عذاب الجحيم قلنا دلالة لفظ المغفرة على اسقاط عذاب الجحيم دلالة حاصلة على سبيل الرمز والاشارة فلما ذكروا
هذا الدعا على سبيل الرمز اردفوه بذكره على سبيل التصريح لاجل التاكيد والمبالغة واعلم انهم لما طلبوا من الله ازالة العقاب
عنهم اردفوه بان طلبوا من الله ايصال الثواب اليهم فقالوا ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم فان قيل انتم زعمتم
ان الشفاعة انما حصلت لاهل الكبائر وهذه الاية تبطل ذلك لانه تعالى وعد المذنبين بان يدخلهم في جنات عدن
قلنا لا نسلم انه تعالى وعدهم بذلك لانا بينا ان الدلائل الكثيرة في القران دلت على انه تعالى لا يخلد اهل لا اله الا الله محمد رسول
الله في النار فاذا اخرجهم من النار وجب ان يدخلهم الجنة فكان هذا وعدا من الله تعالى لهم بان يدخلهم في جنات
عدن اما من غير دخول النار واما بعد ان يدخلهم النار ثم قال تعالى ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم
والمعنى وادخل معهم في الجنة هؤلا الطوائف الثلثة وهم الصالحون من الابا والازواج والذريات وذلك لان الرجل اذا
حضر معه في موضع عيشه وسروره اهله وعشيرته كان ابتهاجه اكمل قال الفرا والزجاج من نصب من مكانين ان
شئت رددته على الضمير في وادخلهم وان شئت في وعدتهم والمراد بقوله ومن صلح اهل الايمان ثم قالوا انك انت
العزيز الحكيم وانما ذكر في دعائهم هذين الوصفين لانه لو لم يكن عزيزا بل كان بحيث يغلب ويمنع لما صح وقوع
المطلوب منه ولو لم يكن حكيما لما حصل هذا المطلوب على وفق الحكمة والمصلحة ثم قالوا وقهم السيئات قال
بعضهم المراد وقهم عذاب السيئات فان قيل فعلى هذا التقدير لا فرق بين قوله وقهم السيئات وبين قوله فيما تقدم
وقهم عذاب الجحيم وحينئذ يلزم التكرار الخالي عن الفائدة وانه لا يجوز قلنا التفاوت حاصل من وجهين الاول ان يكون
قوله وقهم عذاب الجحيم مخصوصا دعاء مذكورا للاصول وقوله وقهم السيئات دعاء مذكورا للفروع وهم الابا والازواج
والذريات الثاني ان يكون قوله وقهم عذاب الجحيم مقصورا على ازالة عذاب الجحيم وقوله وقهم السيئات يتناول
عذاب الجحيم وعذاب موقف القيامة وعذاب الحساب والسوال والقول الثاني في تفسير قوله وقهم السيئات
هو ان الملائكة طلبوا ازالة عذاب النار بقولهم وقهم عذاب الجحيم وطلبوا ايصال ثواب الجنة اليهم بقولهم وادخلهم جنات
عدن ثم طلبوا بعد ذلك ان يصونهم الله تعالى في الدنيا عن العقائد الفاسدة وهو المراد بقوله وقهم السيئات
ثم قال ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته يعني من تق السيئات في الدنيا فقد رحمته في يوم القيامة ثم قالوا
وذلك الفوز العظيم حيث وجدوا باعمال منقطعة نعيما لا ينقطع وبافعال حقيرة ملكا لا تصل العقول الى كنه جلالته
والله اعلم **قوله تعالى** ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى
الايمان فتكفرون قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل ذلكم بانه اذا دعي
الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير اعلم انه تعالى عاد الى شرح احوال الكافرين المجادلين

في ايات

في ايات الله وهم الذين ذكرهم الله في قوله ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا وبين انهم في القيامة يعترفون
بذنوبهم واستحقاقهم العذاب الذي نزل بهم ويسالون الرجوع الى الدنيا ليتلافوا ما فرط منهم فقال ان الذين كفروا
ينادون لمقت الله اكبر وفي الاية مسائل المسئلة الاولى في الاية حذف وفيها ايضا تقديم وتاخير اما الحذف فتقديره
لمقت الله اياكم واما التقديم والتاخير فهو ان يقال مقت الله لكم حال ما تدعون الى الايمان فتكفرون اكبر من مقتكم
انفسكم وفي تفسير مقتهم انفسهم وجوه الاول انهم اذا شاهدوا القيامة والجنة والنار مقتوا انفسهم على
اصرارهم على التكذيب بهذه الاشيا في الدنيا الثاني ان الاتباع يشتد مقتهم للروسا الذين دعوهم الى الكفر
في الدنيا والروسا يشتد مقتهم للاتباع فعبر عن مقت بعضهم بعضا بانهم مقتوا انفسهم كما انه تعالى قال
اقتلوا انفسكم والمراد قتل بعضهم بعضا الثالث قال محمد بن كعب اذا خطبهم ابليس وهم في النار بقوله
ما كان لي عليكم من سلطان الى قوله ولوموا انفسكم ففي هذه الحالة مقتوا انفسهم واعلم انه لا نزاع ان مقتهم
انفسهم انما يحصل في القيامة اما مقت الله لهم ففيه وجهان الاول انه حاصل في الاخرة والمعنى مقت الله لكم في
هذا الوقت اشد من مقتكم انفسكم في هذا الوقت الثاني وعليه الاكثرون ان التقدير لمقت الله لكم في الدنيا اذ تدعون
الى الايمان فتكفرون اكبر من مقتكم انفسكم الان بقي تفسير الالفاظ المذكورة في الاية الاول ان المعنى ينادون ويذكر
لهم هذا الكلام من حر نار جهنم الثاني المقت اشد البغض وذلك في حق الله تعالى محال فالمراد منه ابلغ الانكار
والزجر الثالث قال الفرا قوله ينادون لمقت الله معناه ينادون ان مقت الله يقال ناديت ان
زيدا قائم وناديت لزيد قائم الرابع قوله اذ تدعون الى الايمان فتكفرون اكبر من مقتكم انفسكم ثم انه تعالى
بين ان الكفار اذا خوطبوا بهذا الخطاب قالوا ربنا امتنا اثنتين الى اخر الاية والمعنى انهم لما عرفوا ان الذي
كانوا عليه في الدنيا كان فاسدا باطلا تمنوا الرجوع الى الدنيا لكي يشتغلوا عند الرجوع اليها بالاعمال الصالحة
وفي الاية مسائل المسئلة الاولى احتج اكثر العلما بهذه الاية في اثبات عذاب القبر وتقرير الدليل انهم اثبتوا
لانفسهم موتتين حيث قالوا امتنا اثنتين فاحد الموتتين مشاهد في الدنيا فلا بد من اثبات حياة اخرى في القبر
حتى يصير الموت الذي عقيبها موتا ثانيا وذلك يدل على حصول حياة في القبر فان قيل فالكثير من المفسرين
الموتة الاولى اشارة الى الحاصلة عند كون الانسان نطفة وعلقة والموتة الثانية اشارة الى ما حصل في الدنيا فلم لا يجوز
ان يكون الامر كذلك والذي يدل على ان الامر ما ذكرناه قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم الحالة
الحاصلة عند كونه نطفة وعلقة ويحقق الكلام ان الاماتة تستعمل بمعنيين احدهما ايجاد الشيء ميتا والثاني
تصيير الشيء ميتا بعد ان كان حيا كقولك وسع الخياط ثوبي يحتمل انه خاطه واسعا وبعد ان كان ضيقا
فلم لا يجوز في هذه الاية ان يكون المراد بالاماتة خلقها ميتة ولا يكون المراد تصييرها ميتة بعد ان كانت حية السوال
الثاني ان هذا كلام الكفار فلا يكون حجة السوال الثالث هذه الاية تدل على المنع من حصول الحياة
في القبر وبيانه انه لو كان الامر كذلك لحصل الحياة ثلث مرات اولها في الدنيا وثانيها في القبر والثالث في القيامة
والمذكور في الاية ليس الا حياتين فقط فيكون احدهما الحيوة في الدنيا والثانية الحيوة في القيامة والموت
الحاصل بينهما هو الموت المشاهد في الدنيا السوال الرابع انه ان دلت هذه الاية على حصول الحيوة في القبر فهاهنا ما يدل
على عدمها وذلك بالمنقول والمعقول اما المنقول فمن وجوه الاول قوله تعالى امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما
يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه فلم يذكر في هذه الاية الا الحذر عن الاخرة ولو حصل الحيوة في القبر لكان الحذر
منها حاصلا ولو كان الامر كذلك لذكره وحيث لم يذكره علمنا انه غير حاصل الثاني انه تعالى حكى في سورة الصافات
عن المؤمنين المحقين انهم يقولون بعد دخولهم في الجنة وما نحن بميتين الا موتتنا الاولى فالواجب الاستدلال
بهذه الاية اقوى من الاستدلال بالاية التي ذكرتموها لان الاية التي تمسكنا بها حكاية عن قول المؤمنين الذين دخلوا
الجنة والاية التي تمسكتم بها حكاية عن قول الكافر الذين دخلوا النار الا موتتنا الاولى واما المعقول فمن وجوه

الاول فهو ان الذي اثبتوه السبع واحدة لو اعتبرنا الكل اثنين باعتبار مجموعه او باعتبار اجزائه والاول
باطل لان الحس يدل على انه لم يحصل له مجموع والثاني باطل لانه لما اكله اسباع نشك الحجر احصلت في
معنى السباع فلو جعل تلك الاحجار احيا لحصلت احيا في معنى السباع وفي بعضها وذلك فساد هذا الاسعار والثاني
ان الذي كان لو تركناه ظاهرا بحيث يراه كل احد فانهم يرونه باقيا على موته فلو جوزنا مع هذه الحالة ان يقال
انه صار حيا لكان هذا تشكيكا في المحسوسات وانه دخول في السفسطة والجواب قوله لم لا يجوز ان يحصل الموتة
الاولى هي الموتة التي كانت حاصلة حال كونه نطفة وعلقة نقول هذا لا يجوز وبيانه ان المذكور في الاية انه
امتنا اثنتين ولفظ الاماتة مشروط بسبق حصول الحيوة اذ لو كان الموت حاصلا قبل هذه الحالة امتنع كون هذا
اماتة والا لزم تحصيل الحاصل وهو محال وهذا بخلاف قوله كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا لان المذكور في هذه
الاية انهم كانوا امواتا وليس فيها ان الله اماتهم بخلاف الاية التي نحن في تفسيرها فانها تدل على ان الله اماتهم مرتين
ونسينا ان لفظ الاماتة لا يصدق الا عند سبق الحيوة فظهر الفرق اما قوله ان هذا كلام الكفار فلا يكون
حجة قلنا لما ذكروا ذلك لم يكذبهم الله تعالى ولو كانوا كاذبين لاظهر الله تكذيبهم الا ترى انهم لما كذبوا
في قولهم والله ربنا ما كنا مشركين كذبهم الله في ذلك فقال انظر كيف كذبوا واما قوله ظاهر هذه الاية
يمنع من اثبات حيوة في القبر اذ لو حصلت هذه الحيوة لكان عدد الحيوة ثلث مرات فنقول الجواب
عنه من وجوه الاول انهم اثبتوا مقصودهم تعديد اوقات البلا والمحنة وهي اربعة الموتة الاولى والحيوة في القبر
والموتة الثانية والحيوة في القيامة فهذه هي الاربعة اوقات البلا والمحنة فاما الحيوة في الدنيا فليست من اقسام
اوقات البلا والمحنة فلهذا السبب ما ذكروها الثاني لعلهم ذكروا الحياتين وهي الحيوة في الدنيا والحياة في القيامة
اما الحياة في القبر فاهملوا ذكرها لقلة وجودها وقصر مدتها الثالث لعلهم لما صاروا احيا في القبور لم يموتوا
بل بقوا احيا اما في السعادة واما في الشقاوة واتصل بها حيوة القيامة فكانوا من جملة من استثناهم الله بالاستثناء
في قوله فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شا الله السوال الرابع لو لم يثبت الحيوة في القبر لزم ان لا يحصل الموت الا
مرة واحدة فكان اثبات الموت مرتين كذبا وهو على خلاف لفظ القران اما لو اثبتنا الحياة في القبر لزمنا اثبات الحيوة
ثلث مرات والمذكور في القران مرتين اما الجواب الثالثة فليس في اللفظ ما يدل على ثبوتها او عدمها فيتبين ان نفي حيوة القبر
يقتضي ترك ما دل اللفظ عليه واما اثبات حيوة القبر فانه يقتضي اثبات شي زائد على ما دل عليه اللفظ مع ان اللفظ
ما اشعر فيه بثبوته او بعدمه فكان اولى واما ما ذكره في المعارضة الاولى فنقول قوله
بحد الاحرم تدخل فيه الحيوة القبر سوا كانت في القبر او في القيامة واما المعارضة الثانية فجوابها انا
نرجح قولنا بالاحاديث الصحيحة الواردة في عذاب القبر واما الوجهان العقليان فهو مبني على ان الانسان
ليس عبارة عن هذا الهيكل بل هو عبارة عن جسم نوراني سار في هذا البدن كما بينا ذلك في كتبنا فلا نطول
بذكره في هذا الباب والله اعلم المسئلة الثانية اعلم انا لما اثبتنا حيوة القبر فيكون الحاصل في حق بعضهم
اربع انواع من الحيوة وثلث انواع من الموت والدليل عليه قوله تعالى في سورة البقرة الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم
وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم فهولا لهم اربع مرات في الحيوة حياة في الدنيا وحيوة في القبر
وحيوة رابعة في القيامة المسئلة الثالثة قوله اثنتين نعت لمصدر محذوف والتقدير اماتتين اثنتين حكى الله عنهم
انهم قالوا فاعترفنا بذنوبنا فانه جعل الثاني وهو فاعترفنا مسببا لقوله امتنا مرتين والاحيا مرتين سببا لهذا الاعتراف
فيتبين وجه السببية فيه لانهم كانوا منكرين للبعث فلما شاهدوا الحياة بعد الممات مرة بعد اخرى لم يبق لهم عذر في الاقرار
بالبعث فلا جرم وقع هذا الاقرار عند تلك الاحيا والاماتة فهل الى خروج من سبيل اي هل الى نوع من الخروج سريع او بطي
من سبيل قط ام الياس واقع فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب عليه الياس والقنوط واعلم
ان الجواب الصريح عنه ان يقال لا او نعم وهو تعالى لم يفعل ذلك بل ذكر كلاما يدل على انه لا سبيل لهم الى الخروج فقال

ذلكم

ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وحاصله ان الذي انتم فيه وان لا سبيل لكم الى الخروج قط انما وقع بسبب كفركم بتوحيد
الله وايمانكم بالاشراك به فالحكم لله حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد وقوله العلي الكبير دلالة على الكبريا
والعظمة وعلى ان عقابه لا يكون الا كذلك والمشبهة استدلوا بقوله العلي الكبير على العلو بمعنى الاعلى في الجهة وبقوله الكبير
على كبر الجثة والذات وكل ذلك باطل لما دللنا على انه يمتنع ان يكون جسما وان يكون في المكان فوجب حمل العلي الكبير
المراد من العلي الكبير العلو والكبر بحسب القدرة والالهية

قوله تعالى هو الذي يريكم اياته وينزل لكم
من السما رزقا وما يتذكر الا من ينيب فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون اعلم انه تعالى
لما ذكر ما يوجب التهديد الشديد في حق المشركين اردفه بذكر ما يدل على كمال قدرة الله وحكمته ليصير ذلك
دليلا على انه لا يجوز جعل هذه الاحجار المنحوتة والخشب المصورة شركا لله تعالى في المعبودية فقال هو الذي
يريكم اياته واعلم ان اهم المهمات رعاية مصالح الاديان ومصالح الابدان فهو سبحانه راعى مصالح اديان
العباد باظهار البينات والايات وراعى مصالح ابدانهم بانزال الرزق من السما فموقع الايات من الاديان كموقع
الارزاق من الابدان فالايات لحيوة الاديان والارزاق لحيوة الابدان وعند حصولهما يحصل الانعام على اكمل الجهات
وانقى الاعتبارات ثم قال وما يتذكر الا من ينيب والمعنى ان الوقوف على دلائل توحيد الله تعالى كالامر المركوز في
العقل الا ان القول بالشرك والاشتغال بعبادة غير الله يصير كالمانع من تجلي تلك الانوار فاذا اعرض
العبد عنها واناب الى الله تعالى زال الغطا والوطا فظهر النور التام ولما قرر هذا المعنى صرح بالمطلوب
وهو الاعراض عن غير الله والاقبال بالكلية على الله تعالى فقال فادعوا الله مخلصين له الدين من الشرك و
من النفاق الى غير الله ولو كره الكافرون فانه ان كثر منهم حسبه والباقون بالتهديد

قوله تعالى رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من امره على من يشا من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون لا يخفى
على الله منهم شي لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب
اعلم انه تعالى لما ذكر من صفات كبريائه واكرامه وكونه مظهرا للايات ومنزلا للارزاق ذكر في هذه الاية
ثلاثة اخرى من صفات الجلال والعظمة وهو قوله رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح قال صاحب الكشاف
ثلثها اخبار لقوله هو مرتبة على قوله الذي يريكم او اخبار مبتدا محذوف وهي مختلفة تعريفا وتنكيرا وقرئ
رفيع الدرجات بالنصب على المدح واقول لا بد من تفسير هذه الصفات الثلاثة فالصفة الاولى قوله رفيع الدرجات
واعلم ان الرفيع يحتمل ان يكون المراد منه الرافع وان يكون المراد منه المرتفع اما ان حملناه على الاول ففيه
وجوه الاول انه تعالى يرفع درجات الانبيا والاوليا في الجنة والثاني يرفع درجات الخلق في العلوم
والاخلاق الفاضلة فهو سبحانه عين لكل واحد من الملائكة درجة معينة كما قال وما منا الا له مقام معلوم وعين لكل
واحد من العلما درجة معينة فقال يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وعين لكل جسم درجة
معينة فجعل بعضها سفلية عنصرية وبعضها فلكية كوكبية وبعضها من جواهر العرش والكرسي فجعل
بعضها ارفع من بعض في الدرجة وايضا جعل لكل احد منهم درجة معينة في الخلق والخلق والرزق والاجل فقال
وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات وجعل لكل احد من السعدا والاشقيا في
الدنيا درجة معينة من موجبات السعادة وموجبات الشقاوة وفي الاخرة في ظهور اثار تلك السعادة والشقاوة
فاذا حملنا الرفيع على الرافع كان معناه ما ذكرناه واما اذا حملنا الرفيع على المرتفع فهو سبحانه ارفع الموجودات
في جميع صفات الكمال والجلال اما في اصل الموجود فهو ارفع الموجودات لانه واجب الوجود لذاته
وما سواه ممكن ومحتاج اليه واما في دوام الوجود فهو ارفع الموجودات لانه هو الازلي الذي لا بداية له
في الذات هو اول لكل ما سواه وليس له اول وهو اخر لكل ما سواه وليس له اخر واما في العلم فلانه هو العالم
بجميع الذوات والصفات والكليات والجزئيات كما قال وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو واما

في الثناء فنقول على التقريب والتفهيم لانه في وجوده ووجوبه كالاته في وجوده غني عن كل ما سواه وكل ما سواه فانه
محتاج في وجوده وفي جميع كمالات وجوده اليه واما في الوحدانية فهو الواحد الذي يمتنع ان يحصل له ضد
وند وشريك ونظير فنقول الحق سبحانه له صفتان احديهما استغناؤه في وجوده وفي جميع صفات وجوده
عن كل ما سواه والثاني افتقار كل ما سواه اليه في وجوده وفي صفات وجوده فالرفيع ان فسرناه
بالمرتفع كان معناه انه ارفع الموجودات واعلاها في جميع صفات الجلال والاكرام وان فسرناه بالرافع
كان معناه ان كل درجة وفضيلة ومنقبة حصلت لشيء سواه فانما حصلت بايجاده وتكوينه وفضله و
رحمته الصفة الثانية قوله ذو العرش ومعناه انه مالك العرش ومدبره وخالقه واحتج بعض الاغمار
من المشبهة بقوله رفيع الدرجات ذو العرش وحملوا على ان المراد بالدرجات السموات وبقوله ذو العرش انه
موجود في العرش فوق سبع سموات وفيها عصموا التشبيه على اسمه تعالى فانا قد بينا بالدلائل اليقينية العقلية
والنقلية ان كونه تعالى جسما وفي جهة محال وايضا ظاهر اللفظ لا يدل على ما قالوه لان قوله ذو العرش
لا يفيد الا اضافته الى العرش ويكفي فيه اضافته اليه بكونه مالكا له ومخرجا له من العدم الى الوجود فاي ضرورة
دعتنا الى الذهاب الى القول الباطل والمذهب الفاسد والفائدة في تخصيص العرش بالذكر هو انه اعظم الاجسام
والمقصود بيان كمال الهيبة ونفاذ القدرة وكلما كان محل التصرف والتدبير اعظم كانت دلالته على كمال القدرة
اقوى الصفة الثالثة قوله يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده وفيه مباحث البحث الاول
اختلفوا في المراد بهذا الروح والصحيح ان المراد هو الوحي وقد اطنبنا في بيان انه لم سمي الوحي بالروح في
اول سورة النحل في تفسير قوله ينزل الملائكة بالروح من امره وفي قوله ايضا او من كان ميتا فاحييناه وحاصل الكلام فيه
ان حياة الارواح بالمعارف الالهية والجلايا القدسية فاذا كان الوحي سببا لحصول هذه الارواح سمي بالروح
سبب لحصول الحياة والوحي سبب لحصول هذه الحياة الروحانية واعلم ان هذه الاية مشتملة على اسرار
عجيبة من علوم المكاشفات ولعل الانسان كان كبيرا بالله لا تصل اليه العقول والافهام فالطريق الكامل في
لو يفهم تقدير الطاقة البشرية ان نذكر ذلك الكلام على الوجه الكلي العقلي ثم نذكر بعقبه شيئا من المحسوسات
المذكورة لذلك المعنى العقلي ليصير المحسوس مثالا للمعقول فنقول انه كذلك فقوله رفيع الدرجات
اشارة الى كونه رافعا للدرجات يعني انه الى ما شرد تقديره في ايجاد الممكنات على اختلاف درجاتها
وتباين منازلها وصفاتها اولى كونه تعالى مرتفعا في صفات الجلال ونعوت العزة عن كل الموجودات
وهذا الكلام كلي عقلي برهاني ثم انه سبحانه بين هذا الكلام الكلي لمزيد تقرير وذلك لان ما سوى الله
سبحانه اما جسمانيات واما روحانيات ثم بين في هذه الاية ان كلي القسمين مسخر تحت تسخير الحق
سبحانه اما الجسمانيات فاعظمها العرش فدل على استيلائه على كلية عالم الاجسام ولما كان العرش
من جنس المحسوسات كان هذا المحسوس مؤكدا لذلك المعقول اعني قوله رفيع الدرجات واما
الروحانيات فكلها مسخرة للحق سبحانه والمولى انه بقوله يلقي الروح من امره واعلم ان اشرف الاحوال
الظاهرة في روحانيات هذا العالم ظهور آثار الوحي والوحي انما يتم باركان اربعة فاولها المرسل وهو الله
سبحانه وتعالى فلهذا اضاف القاء الوحي الى نفسه فقال يلقي والركن الثاني الارسال والوحي وهو الذي سماه
بالروح والركن الثالث ان وصول الوحي من الله الى الانبياء لا يمكن ان يكون الا بواسطة الملائكة وهو المشار اليه
في هذه الاية بقوله من امره فالروح الروحاني يتمم امره تعالى واوحي في كل سماء امرها وبالجملة فلا اطلاع للخلق و
الانس والركن الرابع الانبياء الذين يلقي الله الوحي اليهم وهو المشار اليه بقوله تعالى على من يشاء من عباده
والركن الخامس تعيين الغرض المقصود والمقصود الاصلي من القاء هذا الوحي اليهم وذلك هو ان الانبياء عليهم
السلام يصرفون الخلق من عالم الدنيا الى عالم الآخرة ويحملونهم على الاعراض عن هذه الجسمانيات والاقبال على الروحانيات

واليه

واليه الاشارة بقوله لينذر يوم التلاق فهذا ترتيب عجيب يدل على هذه الاسرار العالية من علوم المكاشفات
الالهية ويتفرع عليها ان يتبين انه ما السبب في تسمية يوم القيامة بيوم التلاق وكل الصفات التي ذكرها
الله تعالى في هذه السورة بيوم التلاق اما السبب في تسمية يوم القيامة بيوم التلاق ففيه وجوه الاول ان
الارواح كانت مباينة عن الاجساد فاذا كان ذلك اليوم يوم التلاق الثاني ان الخلائق يتلاقون فيقف
بعضهم على حال البعض الثالث ان اهل السماء ينزلون على اهل الارض فيلتقي فيه اهل السماء واهل الارض قال
تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الرابع ان كل احد يصل الى جزاء عمله في ذلك اليوم فكان
ذلك من باب التلاق ويرد ماخوذ من قولهم فلان لقي عمله الخامس يمكن ان يكون ذلك ماخوذا من قوله لمن كان
يرجو لقاء ربه ومن قوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام السادس يوم يلتقي العابدون والمعبودون
السابع يوم يلتقي فيه المرء واخوه الثامن قال ميمون بن مهران يوم يلتقي فيه الظالم والمظلوم فربما ظلم
الرجل رجلا وانفصل عنه ولو اراد ان يجده لم يقدر عليه ولم يعرفه ففي يوم القيامة يحضرون ويلتقي بعضهم بعضا
ثم ان كثير التلاقي والتنادي بالياء في الوصل والوقف وهادلوا في بابيا في الوقف وبالسكون في الوصل
واما سائر الصفات فاعلم انه تعالى ذكر عقيبه من الصفات وصف يوم القيامة في هذه الاية فيقول الصفة الاولى كونه يوم التلاق
وقد ذكرنا تفسيره الصفة الثانية قوله يوم هم بارزون وفي تفسير هذا البروز وجوه الاول انهم برزوا
عن بواطن القبور الثاني بارزون اي ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل او اكمة او بناء لان الارض بارزة قاع صفصف
وليس ايضا عليهم ثياب انما هم عراة مكشوفون كما جاء في الحديث يحشرون عراة حفاة غرلا الثالث ان يجعل كونهم
بارزين كناية عن ظهور اعمالهم وانكشاف اسرارهم كما قال تعالى يوم تبلى السرائر الرابع ان هذه النفوس
الناطقة البشرية كانها في الدنيا انغمست في ظلمات اعمال الابدان فاذا جاء يوم القيامة اعرضت عن الاشتغال بتدبير
الجسمانيات وتوجهت بالكلية الى عالم القيامة وجمع الروحانيات فكانها برزت بعد ان كانت كامنة في الجسمانيات
مستترة بها الصفة الثالثة قوله لا يخفى على الله منهم شيء فالمراد يوم لا يخفى على الله منهم شيء والمقصود
منه الوعيد فانه تعالى بين لهم انهم اذا برزوا من قبورهم واجتمعوا وتلاقوا فان الله يعلم ما فعله كل واحد
منهم فيجازي كلا بحسبه ان خيرا فخير وان شرا فشر وانهم ان لم يعلموا تفصيل ما فعلوه فان الله تعالى عالم
بذلك ونظيره قوله يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية وقال يوم تبلى السرائر وقال اذا بعثر ما في القبور
وحصل ما في الصدور وقال يومئذ تحدث اخبارها فان قيل الله تعالى لا يخفى عليه منهم شيء في جميع الايام
فما معنى تقييد هذا العلم بذلك اليوم قلنا انهم كانوا يتوهمون في الدنيا اذا استتروا بالحيطان والحجب
ان الله لا يراهم ويخفى عليه اعمالهم فهم في ذلك اليوم صائرون من البروز والانكشاف الى حال لا يتوهمون فيها
مثل ما كانوا يتوهمونه في الدنيا قال تعالى ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وقال يستخفون من
الناس ولا يستخفون من الله وهو معنى قوله وبرزوا لله الواحد القهار الصفة الرابعة قوله لمن
الملك اليوم والمعنى يوم ينادى فيه لمن الملك اليوم وهذا النداء فيه قولان فيحصل فيه قولان الاول
قال المفسرون اذا هلك كل من في السموات ومن في الارض فيقول الرب تعالى لمن الملك اليوم يعني يوم القيامة
فلا يجيبه احد فهو تعالى يجيب عن نفسه فيقول لله الواحد القهار قال اهل الاصول وهذا القول ضعيف
وبيانه من وجوه الاول انه تعالى بين ان هذا النداء انما يحصل يوم التلاق ويوم البروز ويوم تجزى كل نفس بما كسبت
والناس في ذلك الوقت احياء فبطل قولهم ان الله تعالى انما ينادي بهذا النداء حين هلك كل من في السموات
والارض والثاني ان الكلام لا بد فيه من فائدة لان الكلام اما ان يذكر حال حضور الغير او حال لا يحضر الغير
والاول باطل هاهنا لان القوم قالوا انه تعالى انما ذكر هذا الكلام عند فناء الكل والثاني ايضا باطل لان
الرجل انما يحسن تكلمه حال كونه وحده اما لانه يحفظ به شيئا كالذي يكرر على الدرس وذلك على الله محال

او اجل انه لحصل له سرورها فتزول وذلك ايضا على الله محال فلا جرم انه تعالى لعله ملكها لذكره وذلك ايضا على الله
محال فثبت ان قول من يقول ان الله تعالى ذكر هذا النداء حال هلاك جميع المخلوقات باطل لا اصل له
والقول الثاني ان في يوم التلاق اذ حضر الاولون والاخرون وبرزوا لله نادى مناد لمن الملك اليوم فيقول
كل الحاضرين في محفل القيامة لله الواحد القهار فالمؤمنون يقولونه تلذذا بهذا الكلام حيث نالوا بهذا
الذكر المنزلة الرفيعة والكفار يقولونه على الصغار والذلة على وجه التحسر والندامة على ان فاتهم هذا الذكر في الدنيا
والقائلون بهذا القول نقلوا عن ابن عباس ومنهم من قال لا يمتنع ان يكون المراد ان هذا النداء يكون بعد فناء البشر
الا انه حضر هناك ملائكة يسمعون ذلك النداء واقول ايضا على هذا القول لا يبعد ان يكون السائل والمجيب
هو الله سبحانه ولا يبعد ايضا ان يكون السائل جمعا من الملائكة والمجيب جمعا اخرين والكل ممكن وليس
على التعيين دليل فان قيل ما الفائدة في تخصيص هذا اليوم بهذا النداء قلنا الناس كانوا
مغرورين في الدنيا بالاسباب الظاهرة فكان الشيخ الامام الوالد عمر رحمه الله يقول لولا الاسباب لما ارتاب
مرتاب وفي يوم القيامة زالت الاسباب وانعزلت الارباب ولم يبق الا حكم مسبب الاسباب
فلهذا المعنى اختص هذا النداء بيوم القيامة واعلم انه وان كان ظاهر اللفظ يدل على اختصاص ذلك النداء
بذلك اليوم الا ان قوله لله الواحد القهار يفيد ان هذا النداء حاصل من جهة المعنى ابدا وذلك لان قولنا
الله اسم للواجب الوجود لذاته وهو واحد وكل ما سواه ممكن لذاته والممكن لذاته لا يوجد الا بايجاد الواجب
لذاته ومعنى الايجاد هو ترجيح جانب الوجود على جانب العدم وذلك الترجيح قهر للجانب المرجوح فثبت
ان الاله الواحد القهار ينادي ابدا بلمن الملك اليوم انما ظهر من كونه واحدا قهارا فاذا كان كونه واحدا قهارا
باقيا من الازل الى الابد لا جرم كان نداء لمن الملك باقيا من جانب المعنى من الازل الى الابد الصفة الخامسة
من صفات ذلك اليوم قوله اليوم تجزى كل نفس بما كسبت واعلم انه سبحانه لما شرح صفات القهر
في ذلك اليوم اردفه ببيان صفات العدل والفضل في ذلك اليوم فقال اليوم تجزى كل نفس بما كسبت وفيه مسائل
المسألة الاولى هذا الكلام اشتمل على ... احدها اثبات الكسب للانسان والثاني ان كسبه يوجب الجزاء
والثالث ان ذلك الجزاء انما يستوفى في ذلك اليوم فهذه الكلمة على اختصارها مشتملة على هذه الاصول الثلاثة وهي
اصول عظيمة الوقع في الدين ... الاصل الاول فهو اثبات الكسب للانسان وهو عبارة
عن كون اعضائه سليمة صالحة للفعل والترك فاما انه لو بقي على هذا الاستواء امتنع صدور الفعل والترك عنه
فاذا انضاف اليه الداعي الى الفعل او الداعي الى الترك وجب ذلك الفعل او الترك واما الثاني فهو ان ترتب
الجزاء عليه فاعلم ان الافعال على قسمين منها ما يكون الداعي اليه طلب الخيرات الجسمانية الحاصلة في عالم
الدنيا ومنها ما يكون الداعي اليه طلب الخيرات الروحانية التي تظهر كمالها في عالم الاخرة وقد ثبت
بالتجربة ان كثرة الافعال سبب لحصول الملكات الراسخة فمن اقبل على القسم الاول استحكمت
رغبته في الدنيا وفي الجسمانيات فعند الموت يحصل الفراق بينه وبين مطلوبه فيعظم البلاء عليه
ومن اقبل على القسم الثاني فعند الموت يفارق المبغوض ويتصل بالمحبوب فيعظم الالاء والنعماء فهذا هو
معنى الكسب ومعنى كون ذلك الكسب موجبا للجزاء وظهر بهذا ان كمال ذلك الجزاء لا يحصل الا يوم القيامة فهذا قانون
كلي معقول والشريعة الحقة انضاف اليها تقرير هذا القانون الكلي بتفاصيل الاعمال والافعال والله اعلم
المسألة الثانية هذه الاية اصل عظيم في علم الفقه وذلك لانا نقول لو كان شيء من انواع الضرر مشروعا
لكان اما ان يكون مشروعا لكونه جزاء على شيء من الجنايات او لا لكونه جزاء والقسمان باطلان فبطل القول
بكونه مشروعا اما بيان انه لا يجوز ان يكون مشروعا لكونه جزاء على شيء من الاعمال فلان هذا النص يقتضي تأخير
الاجزية الى القيامة فاثباته في الدنيا يقتضي مخالفة هذا النص واما بيان انه لا يجوز ان يكون مشروعا

لا لكونه

لا لكونه جزاء فلقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولقوله تعالى ما جعل عليكم في الدين من حرج ولقوله
عليه السلام لا ضرر ولا ضرار في الاسلام عدلنا عن هذه العمومات فيما اذا كان الضرر جزاء وبقي فيما عداه
الا دعت اليه ضرورة كذبح الحيوان ... على الاصل الحرمة فثبت بما ذكرنا ان الاصل في المضار وفي الالام التحريم فان
وجدنا نصا خاصا يدل على المشروعية قضينا به تقديما للخاص على العام والا بقينا على الاصل التحريم وهذا اصل كلي
مستمر في الشريعة الصفة السادسة من صفات ذلك اليوم قوله لا ظلم اليوم والمقصود انه لما قال اليوم
تجزى كل نفس بما كسبت اردفه بما يدل على انه لا يقع في ذلك اليوم الجزاء نوع من انواع الظلم قال المحققون وقوع
الظلم في الجزاء يقع على اربعة اقسام احدها ان يستحق رجل ثوابا فيمنع منه وثانيها ان يعطى بعض حقه
ولكنه لا يوصل اليه حقه بالتمام وثالثها ان يعذب من لا يستحق العذاب ورابعها ان يكون الرجل مستحقا للعذاب
فيعذب ويزاد على قدر حقه فقوله تعالى لا ظلم اليوم يفيد نفي هذه الاقسام الاربعة قال القاضي هذه الاية
تدل على بطلان قول المجبرة لان عندهم لا ظلم ... الا من الله ولانه تعالى اذا خلق فيه الكفر ثم عذبه
عليه فهذا هو عين الظلم والجواب عنه معلوم ثم قال تعالى ان الله سريع الحساب وذكر هذا الكلام في هذا الموضع لانه
حيث بين تعالى انه لا ظلم بين انه سريع الحساب وذلك يدل على انه يصل اليهم ما يستحقونه في الحال والله اعلم
قوله تعالى وانذرهم يوم الازفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من
حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء
ان الله هو السميع البصير اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة
واثارا في الارض فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ذلك بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فكفروا
فاخذهم الله انه قوي شديد العقاب اعلم ان المقصود من هذه الاية وصف يوم القيامة بانواع اخر من الصفات
الهائلة المهيبة وفي الاية مسائل المسألة الاولى ذكروا في تفسير يوم الازفة وجوها الاول ان يوم الازفة هو يوم
القيامة سمي بذلك لازوفه اي لقربه يقال ازف الامر اذا دنا وحضر كقوله في صفة يوم القيامة ازفت الازفة ليس لها من دون الله كاشفة
ويقال ازف الرحيل غير ان ركابنا لما تزل برحالنا وكأن قد والمقصود منه التنبيه على ان يوم القيامة
قريب ونظيره قوله تعالى اقتربت الساعة قال الزجاج انما قيل لها ازفة لانها قريبة وان استبعد الناس مداها
وما هو كائن فهو قريب واعلم ان الازفة نعت لمحذوف مؤنث على تقدير يوم القيامة الازفة او يوم المجازاة
الازفة قال صاحب الكشاف واسماء القيامة تجري على التانيث كالطامة والحاقة ونحوهما كانها يرجع معناها الى الداهية
والقول الثاني ان المراد بيوم الازفة وقت حصول الازفة وهي مشارفتهم دخول النار فان عند
ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها من شدة الخوف القول الثالث قال ابو مسلم يوم الازفة يوم المنية وحضور الاجل والذي
يدل عليه انه تعالى وصف يوم القيامة بانه يوم التلاق ويوم هم بارزون ثم قال بعده وانذرهم يوم الازفة فوجب
ان يكون هذا اليوم غير ذلك اليوم وايضا هذه الصفة مخصوصة في سائر الايات بيوم الموت قال تعالى فلولا اذا
بلغت الحلقوم وقال كلا اذا بلغت التراقي وايضا فوصف يوم الموت بالقرب اولى من وصف يوم القيامة بالقرب
وايضا الصفات المذكورة بعد قوله يوم الازفة لائقة بيوم حضور المنية لان الرجل عند معاينة ملائكة العذاب
يعظم خوفه فكأن قلوبهم تبلغ حناجرهم من شدة الخوف ويبقوا كاظمين ساكتين عن ذكر ما في قلوبهم من شدة
الخوف ولا يكون لهم حميم ولا شفيع يدفع عنهم ما بهم من انواع الخوف والقلق المسألة الثانية اختلفوا في ان المراد
من قوله اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين كناية عن شدة الخوف او هو محمول على ظاهره قيل المراد وصف ذلك اليوم
بشدة الخوف والفزع ... وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا وقال كلا اذا بلغت الحلقوم
... الخوف والفزع ... وانهم ... بل هو محمول على ظاهره ... القلوب ... بسبب شدة الخوف
القلوب لدى الحناجر فلا هي تخرج فيموتوا ولا ترجع الى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا ولكنها معترضة كالشجا كما قال تعالى

فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا او قوله كاظمين اي مكروبين والكاظم الساكت حال امتلائه غما وغيظا
فان قيل لم انتصب كاظمين قلنا هو حال عن اصحاب القلوب على المعنى لان المراد اذ قلوبهم لدى الحناجر حال
كونهم كاظمين ويجوز ايضا ان يكون حالا عن القلوب وانها كاظمة على غم وكرب فيها مع بلوغها الحناجر وانما جمع الكاظمة
جمع السلامة لانه وصفها بالكظم الذي هو من افعال العقلاء كما قال رايتهم لي ساجدين وقال فظلت اعناقهم
لها خاضعين ويعضده قراءة من قرا كاظمون وما يحصل المقصود من الآية تقرير امرين احدهما الخوف الشديد
وهو المراد من قوله كاظمين القلوب لدى الحناجر والثاني العجز عن الكلام وهو المراد من قوله كاظمين فان الملهوف
اذا قدر على الكلام حصل له نوع سكون اما اذا لم يقدر على الكلام وبقيت الشكوى عظم قلقه وقوي حزنه
المسألة الثالثة احتج اكثر المعتزلة في نفي الشفاعة عن المذنبين بقوله تعالى ما للظالمين من حميم
ولا شفيع يطاع قالوا نفى حصول شفيع لهم يطاع فوجب ان لا يحصل لهم هذا الشفيع اجاب اصحابنا عنه من وجوه
الاول انه تعالى نفى عنهم ان يحصل لهم شفيع يطاع وهذا لا يدل على نفي الشفيع الا ترى انك اذا قلت ما عندي كتاب
يباع فهذا يقتضي نفي الكتاب وذلك الوجه ولا يدل المعنى بها مجردا لفظ الطاعة يقتضي حصول المرتبة
فهذا يدل على انه ليس لهم يوم القيامة شفيع يطيعه الله لانه ليس في الوجود احد اعلى حالا من الله تعالى
حتى يقال ان الله يطيعه والوجه الثاني في الجواب ان المراد من الظالمين هاهنا الكفار والدليل عليه ان
هذه الآية وردت في زجر الكفار الذين يجادلون في آيات الله فوجب ان يكون مختصا بهم وعندنا انه لا شفاعة
في حق الكفار الثالث ان لفظ الظالمين اما ان يفيد الاستغراق او لا يفيد فان افاده فالمراد سلب الاستغراق
كان المراد من الظالمين مجموعهم وجملتهم ويدخل في هذا المجموع جميع الكفار وليس لهم شفيع فعندئذ لا يكون
لهذا المجموع شفيع واما ان لم يفد الاستغراق كان المراد من الظالمين بعض من كان موصوفا بهذه الصفة وعندنا
ان بعض الموصوفين بهذه الصفة ليس لهم شفيع وهم الكافرون اجاب المستدلون عن السؤال الاول فقالوا
لا يحمل كلام الله تعالى على محمل غير مفيد وكل احد يعلم انه ليس في الوجود شيء يطيعه الله لان المطيع
ادون حالا من المطاع وليس في الوجود شيء اعلى مرتبة من الله حتى يقال ان الله يطيعه واذا كان هذا المعنى
معلوما بالضرورة كان حمل الآية عليه اخراجا لها عن الفائدة فوجب حمل الطاعة على الاجابة والدليل عليه ورود
لفظ الطاعة بمعنى الاجابة قال الشاعر رب من انضجت غيظا صدره قد تمنى لي موتا لم يطعه
واما السؤال الثاني فقد اجابوا عنه بان لفظ الظالمين صيغة جمع دخل عليها حرف التعريف فيفيد
العموم انقصى ما في الباب ان هذه الآية وردت لذم الكفار الا ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب واما
السؤال الثالث فالجواب ان قوله ما للظالمين من حميم يفيد ان كل واحد من الظالمين محكوم عليه بانه ليس له حميم ولا
شفيع يطاع فهذا تمام كلام القوم في تقرير ذلك الاستدلال اجاب اصحابنا عن السؤال الاول فقالوا
ان القوم كانوا يقولون في الاصنام انها شفعاؤنا عند الله وكانوا يقولون انها تشفع لنا عند الله من غير حاجة
فيه الى اذن الله ولهذا السبب رد الله تعالى عليهم ذلك بقوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه فهذا
يدل على ان القوم اعتقدوا انه يجب على الله تعالى اجابة الاصنام في تلك الشفاعة وهذا نوع طاعة فالله
تعالى نفى تلك الطاعة بقوله ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع واجابوا عن الكلام الثاني فقالوا الاصل
في حرف التعريف ان ينصرف الى المعهود السابق فاذا دخل حرف التعريف على صيغة الجمع وكان هناك معهود
سابق انصرف اليه وقد حصل في هذه الآية معهود سابق وهو الكفار الذين يجادلون في آيات الله فوجب
ان ينصرف اليه واجابوا عن الكلام الثالث بان قالوا قوله ما للظالمين من حميم ولا شفيع يحتمل عموم السلب
ويحتمل سلب العموم اما الاول فيقتضي ان يكون المعنى ان كل واحد من الظالمين محكوم عليه بانه ليس له حميم
ولا شفيع واما الثاني فيقتضي ان يكون المعنى ان مجموع الظالمين ليس لهم حميم ولا شفيع ولا يلزم من نفي الحكم

عن المجموع نفيه عن كل واحد من افراد ذلك المجموع والذي يؤكد ما ذكرناه قوله تعالى ان الذين كفروا سواء عليهم
اانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون فقوله ان الذين كفروا لا يؤمنون ان حملناه على كل واحد لصدق ان كل واحد منهم محكوم عليه
بانه لا يؤمن لزم وقوع الخلف في كلام الله لان كثيرا ممن كفر آمن بعد ذلك اما لو حملناه على ان مجموع الذين
كفروا لا يؤمنون سواء آمن بعضهم او لم يؤمن صدق ولم يلزم الخلف فلا جرم حملنا هذه الآية على سلب العموم
لا على عموم السلب فكذا قوله ما للظالمين من حميم ولا شفيع يجب حمله على سلب العموم لا على عموم السلب وحينئذ
يسقط استدلال المعتزلة بهذه الآية فهذا غاية الكلام في هذا الباب المسألة الرابعة في بيان نظم الآية اعلم انه تعالى
ذكر في هذه الاسباب الموجبة للخوف فالاول انه سمى ذلك اليوم يوم الآزفة اي القريبة والغرض منه التنبيه على ان يوم القيامة قريب والذنب
العظيم اذا قرب زمان عقوبته كان الخوف اشد ثم انه تعالى ذكر في ذلك اليوم امرين احدهما ان الخوف يعظم حتى ان القلوب تبلغ الحناجر
عن شدة العقوبة والثاني قوله اذ القلوب لدى الحناجر والمعنى انه يبلغ ذلك الخوف الى ان تبلغ القلوب من الصدر
الى الحنجرة والتصقت بها وصار ما بها من الكرب كالغصة والثالث قوله كاظمين والمعنى انه لا يمكنهم ان ينطقوا
وان يشرحوا ما عندهم من الحزن والخوف وذلك يوجب مزيد القلق والاضطراب والرابع قوله ما للظالمين من حميم
ولا شفيع يطاع فبين الله انه ليس لهم قريب ينفعهم ولا شفيع يطاع فيهم فيقبل شفاعته والخامس قوله
يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور والمعنى انه سبحانه عالم لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات والارض
فالحاكم اذا بلغ في العلم الى هذا الحد كان خوف المذنب منه شديدا جدا واعلم ان الخائنة صفة للنظرة
والخائنة النظرة او مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والمراد استراق النظر الى ما لا يحل كما يفعل اهل الريب
والمراد بقوله وما تخفي الصدور مضمرات القلوب والحاصل ان الافعال قسمان افعال الجوارح وافعال القلوب اما
افعال الجوارح فاخفاها خائنة الاعين والله اعلم بها فكيف الحال في سائرها واما افعال القلوب فهي معلومة
لله تعالى لقوله وما تخفي الصدور فدل هذا على كونه تعالى عالما بجميع افعالهم السادس قوله والله يقضي بالحق
وهذا ايضا يوجب عظم الخوف لان الحاكم اذا كان عالما بجميع الاحوال وثبت منه انه لا يقضي الا بالحق في كل ما دق
وجل كان خوف المذنب منه في الغاية القصوى السابع ان الكفار انما عولوا في دفع العقاب عن انفسهم على شفاعة
هذه الاصنام وبين الله تعالى انه لا فائدة فيها البتة فقال والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء ثم قال
ان الله هو السميع البصير اي يسمع من الكفار ثناءهم على الاصنام ولا يسمع ثناءهم على الله ويبصر خضوعهم وسجودهم
لهذه الاصنام ولا يبصر خضوعهم وتواضعهم لله وهذه الصفات الثمانية اذا اجتمعت في حق المذنب عظم ذنبه كان
بالغا الى الحد الذي لا يعقل الزيادة عليه ثم انه تعالى لما بالغ في تخويف الكفار بعذاب الآخرة اردفه ببيان
تخويفهم باحوال الدنيا فقال اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم والمعنى ان العاقل من اعتبر
بغيره فان الذين مضوا من الكفار كانوا اشد قوة من هؤلاء الحاضرين من الكفار واقوى آثارا في الارض منهم فالمراد
حصونهم وقصورهم وعساكرهم فلما كذبوا رسلهم اهلكهم الله بعذاب الاستئصال حتى ان هؤلاء الحاضرين من
الكفار لو شاهدوا تلك الآثار لحذرهم الله تعالى من مثل ذلك بهذا القول وهو قوله وما لهم من الله من واق انه لما
نزل العذاب بهم عند ذلك لم يجدوا من يخلصهم ويخلصهم ثم بين ذلك نزل بهم لاجل انهم كفروا وكذبوا
الرسل فحذر قوم الرسول من مثله وختم الكلام بانه قوي شديد العقاب مبالغة في التحذير والتخويف
والله اعلم قرأ ابن عامر وحده كانوا هم اشد منكم بالكاف والباقون بالهاء اما وجه قراءة ابن عامر فهو الانصراف من
الغيبة الى الخطاب كقوله اياك نعبد بعد قوله الحمد لله والوجه في هذا الخطاب انه في شأن اهل مكة
فحمل الخطاب على لفظ المخاطب الحاضر لحضورهم وقوله الانه في المعنى كقوله مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم
واما قراءة الباقين على لفظ الغيبة فلاجل موافقته لما قبله من الفاظ الغيبة **قوله تعالى**
ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا

قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين الا في ضلال وقال فرعون ذروني
اقتل موسى وليدع ربه اني اخاف ان يبدل دينكم او ان يظهر في الارض الفساد وقال موسى اني
عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب واعلم انه تعالى لما سلى رسوله بذكر الكفار
الذين كذبوا الانبياء قبله بمشاهدة آثارهم سلاه ايضا بذكر قصة موسى عليه السلام وانه مع قوة معجزاته
بعثه الى فرعون وهامان وقارون فكذبوه وكابروا وقالوا ساحر كذاب واعلم ان موسى
عليه السلام لما جاءهم بتلك المعجزات الباهرة وبالنبوة وهي المراد بقوله فلما جاءهم بالحق من عندنا حكى الله
تعالى عنهم ما صدر عنهم من الجهالات فالاول انهم وصفوه بكونه ساحرا كذابا وهذا في غاية البعد
لان تلك المعجزات كانت قد بلغت في القوة والظهور الى حيث يشهد كل عاقل سليم بانه ليس من السحر البتة الثاني
انهم قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم والصحيح ان هذا القتل غير القتل الذي وقع في
وقت ولادة موسى عليه السلام لان في ذلك الوقت اخبره المنجمون بولادة عدو له يظهر عليه فامر بقتل الابناء في ذلك
الوقت واما في هذا الوقت فموسى عليه السلام قد جاءه واظهر المعجزات الظاهرة فعند هذا امر بقتل ابناء الذين
آمنوا معه لئلا ينشؤا على دين موسى فيقوى بهم وهذه العلة مختصة بالبنين دون البنات فلهذا
السبب امر باستحياء النساء ثم قال تعالى وما كيد الكافرين الا في ضلال ومعناه ان جميع ما سعوا فيه
من مكايدة موسى ومكايدة من آمن معه بطل لان ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها
النوع الثالث من قبائح افعال اولئك الكفار مع موسى عليه السلام ما حكاه الله تعالى وقال فرعون
ذروني اقتل موسى وهذا الكلام كالدلالة على انهم كانوا يمنعونه من قتله وفيه احتمالان الاول
انهم منعوه من قتله لوجوه الاول لعله كان فيهم من يعتقد بقلبه في كون موسى عليه السلام صادقا فيأتي
بوجوه الحيل في منع فرعون من قتله الثاني لعل الحسن انهم قالوا له لا تقتله فانما هو ساحر
ضعيف ولا يمكنه ان يغلب سحرك وان قتلته ادخلت الشبهة على الناس وقالوا انه كان محقا وعجزوا
عن جوابه فقتلوه الثالث لعلهم كانوا يحتالون في منعه من قتله لاجل ان يبقى فرعون مشغول القلب
بموسى فلا يتفرغ لتاديب اولئك الاقوام فان من شان الامراء ان يشغلوا قلب ملكهم بخصم خارجي
حتى يصيروا آمنين من شر ذلك الملك والاحتمال الثاني ان احدا ما منع فرعون من قتل موسى وانه
كان يريد ان يقتله الا انه كان يخاف من انه لو حاول قتله لظهرت معجزات قاهرة تمنعه عن قتله فيفتضح
الا انه لوقاحته قال ذروني اقتل موسى وغرضه منه اخفاء خوفه ثم قال وليدع ربه فانما ذكره
على سبيل الاستهزاء يعني اني اقتله فليقل لربه حتى يخلصه مني واما قوله اني اخاف ان يبدل دينكم او ان يظهر
في الارض الفساد ففيه مسائل المسئلة الاولى فتح الياء من ذروني ايضا فتح ابن كثير ونافع
وابو عمرو الياء من اني اخاف وانما قرا نافع وابو عمرو بالواو لا بحرف او بمعنى انه يجمع بين تبديل الدين
وبين اظهار الفساد والذين قرؤا بصيغة او معناه انه لا بد من وقوع احد الامرين وقرئ يظهر
بضم الياء وكسر الهاء الفساد بالنصب على التعدية وقرا حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم بفتحة او
ويظهر بفتح الياء والهاء الفساد بالرفع على اسناد الفعل الى الفساد ... اسند الفعل الى موسى في قوله يبدل
فكذلك في يظهر ليكون الكلام على نسق واحد واما وجه القراءة الثانية فهو انه اذا بدل الدين فقد ظهر
الفساد الحاصل بسبب ذلك التبديل المسئلة الثانية المقصود من هذا الكلام بيان السبب الموجب
لقتله وهو ان وجوده يوجب اما فساد الدين او فساد الدنيا اما فساد الدين فلان القوم اعتقدوا
ان الدين الصحيح هو الذي كانوا عليه فلما كان موسى ساعيا في افساده كان في اعتقادهم انه ساع
في افساد الدين الحق واما فساد الدنيا فهو انه لا بد وان يجتمع عليه قوم ويصير ذلك سببا لوقوع الخصومات

واثاره

واثارة الفتن ولما كان حب الناس لاديانهم فوق حبهم لاموالهم لا جرم بدأ فرعون بذكر الدين فقال اني اخاف
ان يبدل دينكم ثم اتبعه بذكر فساد الدنيا فقال او ان يظهر في الارض الفساد واعلم انه تعالى لما حكى
عن فرعون هذا الكلام حكى بعده ما ذكره موسى عليه السلام فحكى عنه انه قال اني عذت بربي وربكم من كل
متكبر لا يؤمن بيوم الحساب وفيه مسائل المسئلة الاولى قرا ابو عمرو وحمزة والكسائي عذت بادغام
الذال في التاء والباقون بالاظهار المسئلة الثانية المعنى انه لم يات في دفع شره الا بان استعاذ بالله
واعتمد على فضل الله فلا جرم صانه الله عن كل بلية واوصله الى كل امنية واعلم ان هذه الكلمات التي
ذكرها موسى عليه السلام تشتمل على فوائد الفائدة الاولى ان لفظة اني تدل على التاكيد فهذا يدل على ان الطريق المؤكد
المعتبر في دفع الشرور والآفات عن النفس الاعتماد على الله والتوكل على عصمة الله الفائدة الثانية انه قال
عذت بربي وربكم وكما ان عند القراءة يقول المسلم اعوذ بالله من الشيطان الرجيم والله تعالى يصون دينه
واخلاصه عن وساوس شياطين الجن كذلك عند توجه الآفات من شياطين الانس اذا قال المسلم اعوذ بالله
فالله يصونه عن كل الآفات والمخافات الفائدة الثالثة قوله بربي والمعنى كان العبد يقول ان الله
سبحانه رباني والى درجات الخيرات رقاني واعطاني نعما لا احد لها ولا حصر فلما كان لا مربي لي سوى الله
وجب ان لا يرجع العاقل في دفع كل الآفات الا الى حفظ الله تعالى الفائدة الرابعة ان قوله وربكم فيه بعث
لقوم موسى على ان يقتدوا به في الاستعاذة بالله والمعنى فيه ان الارواح الطاهرة القوية اذا تطابقت على
همة واحدة قوي ذلك التاثير جدا وهذا هو السبب الاصلي في اداء الصلوات في الجماعات الفائدة الخامسة
انه لم يذكر فرعون في هذا الدعاء لانه كان قد سبق له حق تربيته على موسى من بعض الوجوه فترك التعيين رعاية
لذلك الحق الفائدة السادسة ان فرعون وان كان اظهر ذلك الفعل الا انه لا فائدة في الدعاء على فرعون بعينه بل الاولى
الاستعاذة بالله في دفع كل من كان موصوفا بتلك الصفة حتى يدخل فيه كل من كان عدوا سواء كان مظهرا
لتلك العداوة او كان مخفيا لها الفائدة السابعة ان الموجب للاقدام على ايذاء الناس امران احدهما كون
الانسان متكبرا قاسي القلب والثاني كونه منكرا للبعث والقيامة وذلك لان المتكبر القاسي قد يحمله طبعه
على ايذاء الناس الا انه اذا كان مقرا بالبعث والحساب صار خوفه من الحساب مانعا له عن الجري على موجب تكبره فاذا لم
يحصل عنده الايمان بالبعث والقيامة كانت الطبيعة داعية له الى الايذاء والمانع وهو الخوف من السؤال والحساب
زائلا فلا جرم تحصل القسوة والايذاء الفائدة الثامنة ان فرعون لما قال ذروني اقتل موسى قال على سبيل
الاستهزاء وليدع ربه فقال موسى ان الذي ذكرته يا فرعون بطريق الاستهزاء هو الدين المتين والحق المبين
وانا ادعو ربي واطلب منه ان يدفع شرك عني وسترى ان ربي كيف يقهرك وكيف يسلطني عليك
واعلم ان من احاط عقله بهذه الفوائد علم انه لا طريق اصلح ولا اصوب في دفع كيد الاعداء وابطال مكرهم الا
الاستعاذة بالله والرجوع الى حفظ الله **قوله تعالى** وقال رجل مؤمن من آل فرعون
يكتم ايمانه اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه
وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب اعلم انه تعالى لما
حكى عن موسى عليه السلام انه ما زاد في دفع مكر فرعون وشره على الاستعاذة بالله بين ان الله تعالى قيض له انسانا
اجنبيا عن موسى عليه السلام حتى ذب عنه على احسن الوجوه وبالغ في تسكين تلك الفتنة واجتهد في ازالة ذلك الشر
يقول مصنف الكتاب رحمه الله ولقد جربت في احوال نفسي انه كلما قصدني شرير بشر ولم اتعرض له واكتفيت
بتفويض ذلك الامر الى الله فانه سبحانه يقيض اقواما ما اعرفهم البتة يبالغون في دفع ذلك الشر ثم قال
المسئلة الاولى اختلفوا في ذلك الرجل المؤمن قيل انه كان ابن عم له وكان جاريا مجرى ولي العهد
ومجرى صاحب الشرطة وقيل كان قبطيا من قوم فرعون وما كان من اقاربه وقيل انه كان من بني اسرائيل والقول الاول

الاقرب لان لفظ الآل يقع على القرابة والعشيرة قال تعالى الا آل لوط نجيناهم بسحر وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال الصديقون ثلاثة حبيب النجار مؤمن آل يس ومؤمن آل فرعون الذي قال اتقتلون رجلا ان يقول
ربي الله والثالث علي بن ابي طالب وهو افضلهم وعن جعفر بن محمد انه قال كان ابو بكر خيرا من مؤمن آل فرعون لانه
كان يكتم ايمانه وقال ابو بكر جهارا اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله فكان ذلك سرا وهذا كان جهارا المسألة الثانية
لفظة من آل فرعون يجوز ان يكون متعلقا بقوله مؤمن اي كان ذلك المؤمن شخصا من آل فرعون ويجوز ان يكون
متعلقا بقوله يكتم ايمانه والتقدير رجل مؤمن يكتم ايمانه من آل فرعون وقيل ان هذا الاحتمال غير جائز لانه لا يقال
كتمت من فلان كذا انما يقال كتمته كذا قال تعالى ولا يكتمون الله حديثا المسألة الثالثة رجل مؤمن الاكثرون
قرؤا بضم الجيم وقرئ رجل بسكون الجيم كما يقال عضد في عضد المسألة الرابعة قوله تعالى اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله
استفهام على سبيل الانكار وقد ذكر في هذا الكلام ما يدل على حسن ذلك الاستنكار وهو انه ما زاد على ان قال
ربي الله وجاء بالبينات وذلك لا يوجب القتل البتة وقوله وقد جاءكم بالبينات يحتمل وجهين الاول ان قوله ربي الله
اشارة الى التوحيد وقوله وقد جاءكم بالبينات اشارة الى تقرير النبوة باظهار المعجزة الثاني ان قوله ربي الله
اشارة الى التوحيد وقوله وقد جاءكم بالبينات اشارة الى الدلائل الدالة على التوحيد وهو قوله في سورة طه ربنا
الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وقوله في سورة الشعراء رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين الى اخر الآيات
ثم ذكر ذلك المؤمن حجة ثانية في ان الاقدام على قتله غير جائز وهي حجة مذكورة على طريقة التقسيم فقال ان كان هذا الرجل
كاذبا كان وبال كذبه عائدا عليه فاتركوه وان كان صادقا فيصيبكم بعض الذي يعدكم فثبت ان على
كلا التقديرين كان الاولى ابقاؤه حيا فان قيل السؤال على هذا الكلام من وجهين الاول ان قوله ان يك كاذبا
فعليه كذبه معناه ان ضرر كذبه مقصور عليه لانه يدعو الناس الى ذلك الدين الباطل فيغتر به جماعة منهم
ويقعون في المذهب الباطل والاعتقاد الفاسد ثم يقع بينهم وبين غيرهم الخصومات والفتن فثبت ان بتقدير
كونه كاذبا لم يكن ضرر كذبه مقصورا عليه بل كان متعديا الى الكل ولهذا السبب فان العلماء اجمعوا على ان الزنديق
الذي يدعو الناس الى زندقته يجب قتله وبالجملة انه ان كان هذا الكلام حجة له فلكل كذاب ان يتمسك
بهذه الطريقة فوجب تمكين جميع الزنادقة والمبطلين من تقرير اديانهم الباطلة والثاني ان الكفار الذين انكروا
نبوة موسى عليه السلام يجب ان لا يحسن الانكار عليهم لانه يقال لو كان ذلك المنكر كاذبا في ذلك الانكار فعليه كذبه
وان يك صادقا استحق تعظيمه فثبت ان هذا الطريق يوجب تقرير ضده وما افضى ثبوته الى عدمه
كان باطلا السؤال الثاني انه كان من الواجب ان يقال وان يك صادقا يصبكم كل الذي يعدكم
لان الذي يصيب في بعض ما يعد دون البعض هم اصحاب الكهانة والنجوم اما الرسول الصادق الذي
لا يتكلم الا بالوحي فانه يجب ان يكون صادقا في كل ما يقول فكان قوله يصبكم بعض الذي يعدكم غير لائق بهذا المقام
والجواب عن السؤال الاول ان المراد انه لا حاجة بكم في دفع شره الى قتله
بل يكفيكم ان تمنعوه عن اظهار هذه المقالة ثم تتركوا قتله فان كان كاذبا فحينئذ لا يعود ضرره الا اليه
وان كان صادقا انتفعتم به والحاصل ان المقصود من ذكر هذا التقسيم بيان انه لا حاجة الى قتله
بل يكفيكم ان تعرضوا عنه وان تمنعوه عن اظهار دينه فبهذا الطريق السؤال الاول مدفوع واما
السؤال الثاني فقوله كان الاولى ان يقال يصبكم كل الذي يعدكم والجواب عنه من وجوه الاول
ان مدار هذا الاستدلال على اظهار الانصاف وترك اللجاج لان المقصود منه ان كان كاذبا كان ضرر كذبه
مقصورا عليه وان كان صادقا فلا اقل من ان يصيبكم بعض ما يعدكم ولو كان المقصود من هذا
الكلام هو هذا القسم فيدخل فيه قوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين الوجه الثاني انه
عليه السلام كان يتوعدهم بعذاب الدنيا وبعذاب الآخرة فاذا وصل اليهم في الدنيا عذاب الدنيا فقد اصابهم بعض

الذي

الذي وعدهم به الوجه الثالث حكي عن ابي عبيدة انه قال البعض قد يرد ويراد به الكل واحتج بقول لبيد
تراك امكنة اذا لم ارضها او يعتلق بعض النفوس حمامها والجمهور على ان هذا القول خطأ قالوا واراد لبيد
ببعض النفوس نفسه والله اعلم ثم حكى تعالى عن هذا المؤمن حكاية ثالثة في ان الله لا يجوز ان يهدي موسى عليه السلام
فقال ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب وتقرير هذا الدليل ان الله تعالى هدى موسى الى الاتيان
بهذه المعجزات الباهرة ومن هداه الله الى الاتيان بالمعجزات لا يكون مسرفا كذابا فهذا يدل على ان موسى عليه السلام
ليس من الكذابين فكان قوله ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب اشارة الى علو شان موسى على طريق الرمز والتعريض
ويحتمل ايضا ان يكون المراد ان فرعون مسرف في عزمه على قتل موسى كذاب في ادعائه الالهية والله لا
يهدي من هذا شانه وصفته بل يبطله ويهدم امره

قوله تعالى يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن
ينصرنا من باس الله ان جاءنا قال فرعون ما اريكم الا ما ارى وما اهديكم الا سبيل الرشاد وقال الذي آمن يا قوم اني اخاف عليكم
مثل يوم الاحزاب مثل داب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد ويا قوم اني اخاف عليكم
يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد اعلم ان مؤمن آل فرعون
لما اقام انواع الدلائل على انه لا يجوز الاقدام على قتل موسى خوفهم في ذلك بعذاب الله فقال يا قوم لكم الملك اليوم
ظاهرين في الارض يعني قد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا امركم على انفسكم ولا تتعرضوا
لباس الله وعذابه فانه لا قبل لكم به فان جاءنا لم يمنعنا منه احد وقال ينصرنا وجاءنا لانه كان يظهر من نفسه انه منهم وان الذي ينصحهم
به هو مشارك لهم فيه ولما قال ذلك المؤمن هذا الكلام قال فرعون ما اريكم الا ما ارى اي لا اشير اليكم برأي
سوى ما ذكرته انه يجب قتله حسما لمادة الفتنة وما اهديكم بهذا الرأي الا سبيل الرشاد والصلاح
ثم حكى تعالى ان ذلك المؤمن رد هذا الكلام على فرعون وقال اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب
واعلم انه تعالى حكى عن ذلك المؤمن انه كان يكتم ايمانه كيف يليق به ان يذكر هذه الكلمات مع فرعون ولهذا
السبب حصل ههنا قولان الاول ان فرعون لما قال ذروني اقتل موسى لم يصرح ذلك المؤمن بانه على دين موسى
بل اوهم انه مع فرعون وعلى دينه الا انه زعم ان المصلحة تقتضي ترك قتل موسى لانه لم يصدر عنه الا الدعوة
الى الله والاتيان بالمعجزات القاهرة وهذا لا يوجب القتل والاقدام على قتله يوجب الوقوع في السنة الناس
باقبح الكلمات بل الاولى ان يؤخر قتله وان يمنع من اظهار دينه لانه على هذا التقدير ان كان كاذبا كان وبال
كذبه عائدا اليه وان كان صادقا حصل الانتفاع به من بعض الوجوه ثم اكد ذلك بقوله ان الله لا يهدي من
هو مسرف كذاب يعني انه ان صدق فيما يدعيه من اثبات الاله القادر الحكيم فهو لا يهدي المسرف الكذاب
فاوهم فرعون انه اراد بقوله ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب انه يريد موسى وهو انما كان يعرض
به فرعون لان المسرف الكذاب هو فرعون والقول الثاني ان مؤمن آل فرعون كان يكتم ايمانه اولا فلما قال
فرعون ذروني اقتل موسى ازال الكتمان واظهر كونه على دين موسى وشافه فرعون بالحق واعلم
انه تعالى حكى عن هذا المؤمن انواعا من الكلمات ذكرها لفرعون فالاول قوله يا قوم اني اخاف عليكم مثل
يوم الاحزاب والتقدير مثل ايام الاحزاب الا انه لما اضاف اليوم الى الاحزاب وفسرهم بقوم نوح وعاد
وثمود حسن ذلك لان كل حزب كان له يوم معين في البلاء فاقتصر من الجمع على ذكر الواحد لعدم
الالتباس ثم فسر قوله اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب بقوله مثل داب قوم نوح وعاد وثمود ودأب
هؤلاء دؤوبهم في عملهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصي ويكون ذلك دائبا دائما لا يفترون عنه ولا بد من حذف
مضاف يريد مثل جزاء دابهم والحاصل انه خوفهم بهلاك معجل في الدنيا ثم خوفهم ايضا بهلاك الآخرة وهو
قوله ومن يضلل الله فما له من هاد والمقصود التنبيه على عذاب الآخرة النوع الثاني من كلمات
ذلك المؤمن قوله تعالى وما الله يريد ظلما للعباد يعني ان تدميره اولئك الاحزاب كان عدلا لانهم استوجبوه

بسبب تكذيبهم للأنبياء وتلك العلة قائمة ههنا فوجب القول بحصول الحكم ههنا أما قوله وما الله يريد ظلما
للعباد فيدل على أنه لا يريد أن يظلم بعض العباد بعضا ويدل على أنه لا يريد ظلم أحد من العباد ولو خلق الكفر فيهم ثم عذبهم
على ذلك الكفر لكان ظالما وإذا ثبت أنه لا يريد الظلم البتة ثبت أنه غير خالق لأفعال العباد لأنه لو خلقها لأرادها ويثبت
أيضا أنه قادر على الظلم إذ لو لم يقدر عليه لما حصل المدح بترك الظلم وهذا الاستدلال قد ذكرناه مرارا في هذا الكتاب
مع الجواب فلا فائدة في الإعادة النوع الثالث من كلام مؤمن آل فرعون قوله ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد
وفيه مسائل المسألة الأولى التنادي تفاعل من النداء يقال تنادى القوم أي نادى بعضهم بعضا والأصل الياء
وحذفها حسن في الفواصل وذكرنا ذلك في يوم التلاق وأجمع المفسرون على أن يوم التنادي يوم القيامة
وفي سبب تسمية ذلك اليوم بهذا الاسم وجوه الأول أن أهل النار كما ذكر الله عنهم في سورة الأعراف ونادى أصحاب
النار ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار الثاني قال الزجاج لا يبعد أن يكون السبب فيه قوله تعالى يوم ندعوا كل
أناس بإمامهم الثالث أنه ينادي بعض الظالمين بعضا بالويل والثبور فيقولون يا ويلنا الرابع ينادون إلى المحشر
أي يدعون الخامس ينادي المؤمن هاؤم اقرءوا كتابيه والكافر يا ليتني لم أوت كتابيه السادس ينادى
باللعنة على الظالمين السابع يجاء بالموت على صورة كبش أملح ثم يذبح وينادى في أهل القيامة لا موت فيزداد
أهل الجنة فرحا على فرحهم وأهل النار حزنا على حزنهم الثامن قال أبو علي التنادي مخففا من التناد
من قولهم ند فلان إذا هرب وهو قراءة ابن عباس وفي تفسيرها قال يندون كما تند الإبل ويدل على صحة هذه القراءة
قوله تعالى يوم يفر المرء من أخيه الآية وقوله تعالى بعد هذه الآية يوم تولون مدبرين لأنهم إذا سمعوا زفير النار
ندوا هاربين فلا يأتون قطرا من الأقطار إلا وجدوا ملائكة صفوفا فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه المسألة
الثانية انتصب قوله يوم التناد لوجهين أحدهما الظرف للخوف كأنه خاف عليهم في ذلك اليوم لما يلحقهم من العذاب إن
لم يؤمنوا والآخر أن يكون التقدير إني أخاف عليكم عذاب يوم التناد وإذا كان كذلك كان انتصاب يوم انتصاب المفعول
به لا انتصاب الظرف لأن إعرابه إعراب المضاف المحذوف ثم قال يوم تولون مدبرين وقيل معنوه يوم التناد
عن قتادة منصرفين عن موقف الحساب إلى النار وعن مجاهد فارين عن النار غير معجزين ثم أكد التهديد بقوله
ما لكم من الله من عاصم ثم نبه على قوة ضلالتهم وشدة جهالتهم فقال ومن يضلل الله فما له من هاد

قوله تعالى

ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا
كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند
الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار اعلم أن مؤمن آل فرعون لما قال ومن يضلل الله
فما له من هاد ذكر لهذا مثالا وهو أن يوسف جاءهم بالبينات الباهرة فأصروا على الشك والشبهة ولم ينتفعوا
بتلك الدلائل وهذا يدل على أن من أضله الله فما له من هاد وفي الآية مسائل المسألة الأولى قيل إن يوسف
هذا هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام وقيل صاحب الكتاب أنه قيل هو يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب
أقام فيهم نبيا عشرين سنة وقيل إن فرعون موسى هو فرعون يوسف بقي حيا إلى زمانه وقيل هو
من أولاده والمقصود من الكل شيء واحد وهو أن يوسف جاء قومه بالبينات وفي المراد بها قولان الأول
أن المراد بالبينات قوله أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار والثاني أن المراد بها المعجزات وهذا أولى ثم ذكر
أنهم بقوا في نبوته شاكين مرتابين ولم ينتفعوا البتة بتلك البينات فلما مات قالوا إنه لن يبعث الله من بعده
رسولا وإنما حكموا بهذا الحكم على سبيل التشهي والتمني من غير حجة ولا برهان بل إنما ذكروا ذلك ليكون ذلك
أساسا لهم في تكذيب الأنبياء الذين يأتون بعد ذلك وليس قولهم لن يبعث الله من بعده رسولا الحكم بتصديق
رسالة يوسف وكيف وقد شكوا فيها وكفروا بها وإنما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم إلى تكذيب رسالته
ثم قال كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب أي مثل هذا الضلال يضل الله كل مسرف كذاب في عصيانه مرتاب في دينه

الذي يعني هذه الآية حجة لأهل العدل لأنه تعالى بين أنه يضلهم ثم بين أنه تعالى إنما أضلهم لكونه مسرفا مرتابا فثبت أن العبد يفعل
عن الدين فإنه تعالى لا يضلهم ثم بين تعالى أنه لأجله يبقون في ذلك الشك والإسراف فقال الذين يجادلون في آيات الله
بغير سلطان أي بغير حجة بل إثباتا على التقليد المجرد وإتيانا على الشبهات الخسيسة كبر مقتا عند الله والمقت
هو أن يبلغ المرء في القوم مبلغا عظيما فيمقته الله ويبغضه ويظهر خزيه وتعسه وفيه مسائل المسألة
الأولى دلت هذه الآية على أن الذين يجادلون بغير سلطان على أن الجدال بالحجة حسن وحق وفيه إبطال
التقليد المسألة الثانية قال الكعبي هذه الآية تدل على أن فعلهم ليس بخلق الله لأنه لو كان من فعله فما كان له
يمقت المسألة الثالثة قيل الآية تدل على أنه يجوز وصف الله تعالى بأنه قد يمقت بعض عباده إلا أن تلك الصفة
واجبة التأويل في حق الله كالغضب والحياء والتعجب والله أعلم ثم بين أن هذا المقت كما حصل عند الله فكذلك
حصل عند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وفيه مسائل المسألة الأولى قرأ ابن عامر وأبو عمرو
وقتيبة عن الكسائي قلب منونا متكبر صفة القلب والباقون بغير تنوين على إضافة القلب إلى المتكبر قال
أبو عبيد الاختيار الإضافة لوجوه الأول أن عبد الله قرأ على قلب كل متكبر وهو شاهد لهذه القراءة الثاني
أن وصف الإنسان بالتكبر والجبروت أولى من وصف القلب بهما وأما الذين نونوا فقالوا إن الكبر قد يضاف إلى
القلب في قوله إن في صدورهم إلا كبر وقال تعالى فإنه آثم قلبه وأيضا فيمكن أن يكون ذلك على حذف المضاف على
كل قلب متكبر وأيضا قال قوم الإنسان الحقيقي هو القلب وهذا البحث طويل وقد ذكرناه في تفسير قوله نزل
به الروح الأمين على قلبك فالذين أضافوا القلب من تقدير حذف والتقدير فيطبع على كل قلب كل متكبر
المسألة الثانية الكلام في الطبع والرين والقسوة والغشاوة قد سبق في هذا الكتاب مرارا مستقصى وأصحابنا
يقولون قوله كذلك يطبع الله يدل على أن الكل من الله تعالى والمعتزلة يقولون إن قوله كذلك يطبع الله على كل قلب
متكبر جبار يدل على أن هذا الطبع إنما حصل لأنه كان في نفسه متكبرا جبارا وعند هذا يصير الدليل حجة لكل واحد
من الفريقين من وجه وعليه من وجه والقول الذي يخرج عليه الوجهان ما ذهبنا إليه وهو أنه تعالى
خلق دواعي الكبر والرياسة في القلب فتصير تلك الدواعي مانعة من حصول ما يدعو إلى الطاعة ولا صارفة
يكون القول بالقضاء والقدر حقا ويكون تعليل الطبع بكونه متكبرا جبارا باقيا فهذا هو المذهب
الذي اخترناه في القضاء والقدر وهو المطابق للقرآن من أوله إلى آخره المسألة الثالثة لا يعني الفرق
بين المتكبر والجبار قال مقاتل متكبر عن قبول التوحيد جبار في غير حق وأقول كمال السعادة في أمرين
التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله فعلى قول مقاتل المتكبر كالمضاد للتعظيم لأمر الله والجبار كالمضاد للشفقة
على خلق الله والله أعلم

قوله تعالى

وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ
الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد
فرعون إلا في تباب اعلم أنه تعالى لما وصف فرعون بكونه متكبرا جبارا بين أنه بلغ في التيه والحماقة إلى أن قصد
الصعود إلى السموات وفي الآية مسائل المسألة الأولى احتج الجهال من المشبهة بهذه الآية في إثبات أن الله في السماء
وقرروا ذلك بأن قالوا إن فرعون كان من المنكرين لوجود الله وكل ما يذكره في صفات الله تعالى فذلك
إنما يذكره لأجل أنه سمع أن موسى يصف الله بذلك فهو أيضا يذكره كما سمعه فلولا أنه سمع موسى يصف الله بأنه موجود في السماء
وإلا لما طلبه في السماء الوجه الثاني أنه قال وإني لأظنه كاذبا ولم يبين أنه كاذب في ماذا والمذكور السابق متعين
لصرف الكلام إليه فكان التقدير فأطلع إلى الإله الذي يزعم موسى أنه موجود في السماء ثم قال وإني لأظنه كاذبا أي
في ادعاء موسى كذلك وإذا ثبت هذا فقد ثبت أن موسى كان يدعي أن الإله موجود في
السماء الثالث العلم بأنه لو وجد إله لكان موجودا في السماء علم بديهي متقرر في كل العقول ولذلك فإن الصبيان إذا تضرعوا
إلى الله رفعوا وجوههم وأيديهم إلى السماء وإن فرعون مع نهاية كفره لما طلب الإله فقد طلبه في السماء وهذا يدل على أن العلم

بان الاله موجود في السماء علم مفتقر في علم العدل والزنديق والملحد والموحد والعالم والجاهل فهذا حاصل استدلالات المشبهة بهذه الآية والجواب ان هؤلاء الجهال يكفيهم في كمال الخزي والضلال ان جعلوا قول فرعون حجة لهم على صحة دينهم واما موسى عليه السلام فانه لم يزد في تعريف اله العالم على ذكر صفة الخلاقية فقال في سورة طه ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وقال في سورة الشعراء ربكم ورب آبائكم الاولين رب المشرق والمغرب وما بينهما فظهر ان تعريف ذات الله بكونه في السماء دين فرعون وتعريفه بالخلاقية والموجدية دين موسى فمن قال بالاول كان على دين فرعون ومن قال بالثاني كان على دين موسى ثم نقول سلمنا ان كلام يقوله فرعون في صفة فاسد فلعله قد سمع من موسى عليه السلام ان يصفه بانه على ذلك فكان يعتقد ان الاله لو كان موجودا لكان حاصلا في السماء ثم انا ذكرنا هذا الاعتقاد من قبل نفسه لا لاجل انه كان قد سمعه من موسى عليه السلام واما قوله واني لاظنه كاذبا فقول لعله لما سمع موسى عليه السلام قال رب السموات والارض ظن انه عنى به انه رب السموات كما يقال للواحد منا رب الدار بمعنى كونه ساكنا فيه فلما غلب على ظنه ذلك حكى عنه وهذا ليس بمستبعد فان فرعون كان يبلغ في الجهل والحماقة الى حيث لا يبعد نسبة هذا الخيال اليه فان استبعد الخصم نسبة هذا الخيال اليه كان ذلك لايقا بهم لانهم لما كانوا على دين فرعون وجب عليهم تعظيمه واما قوله ان فطرة فرعون شهدت بان الاله لو كان موجودا لكان في السماء قلنا نحن لا ننكر ان فطرة اكثر الناس تخيل اليهم صحة ذلك لا سيما من بلغ في الحماقة الى درجة فرعون فثبت ان هذا الكلام ساقط والله اعلم المسئلة الثانية اختلف الناس في ان فرعون هل قصد بناء الصرح ليصعد منه الى السموات ام لا اما المفسرون فقد قطعوا بذلك وذكروا حكاية طويلة في كيفية بناء ذلك الصرح والذي عندي انه بعيد والدليل عليه ان فرعون لا يخلو اما ان يقال انه كان من المجانين او من العقلاء فان قلنا انه كان من المجانين لم يجز من الله تعالى ان يذكر حكاية كلامه في القرآن وان قلنا انه كان من العقلاء فنقول ان كل عاقل يعلم ببديهة عقله انه يتعذر في قدرة البشر وضع بناء يكون ارفع من الجبل العالي ويعلم ايضا ببديهة عقله انه لا يتفاوت في البصر حال السماء بين ان ينظر اليها من اسفل الجبال او من ان ينظر اليها من اعلى الجبال واذا كان هذان العلمان بديهيا امتنع ان يقصد العاقل وضع بناء يصعد منه الى السماء واذا كان فساد هذا معلوما بالضرورة امتنع اسناده الى فرعون والذي عندي في تفسير هذه الآية ان فرعون كان من الدهرية وغرضه من ذكر هذا الكلام ايراد شبهة في نفي الصانع وتقريره انه قال انا لا نرى شيئا نحكم عليه بانه اله العالم فلم يجز اثبات هذا الاله اما انه لا نراه فلانه لو كان موجودا لكان في السماء ونحن فلا سبيل لنا الى صعود السموات فكيف يمكننا ان نراه ثم انه لاجل المبالغة في بيان انه لا يمكن صعود السموات قال يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب والمقصود انه لما عرف كل احد ان الطريق ممتنع كان الوصول الى معرفة وجود الله بطريق الحس ممتنعا ونظيره قوله تعالى فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتأتيهم بآية وليس المراد منه ان محمدا صلى الله عليه وسلم طلب نفقا في الارض او وضع سلما الى السماء بل المعنى انه لما عرف ان هذا المعنى ممتنع فقد عرفت انك لا سبيل لك الى تحصيل ذلك المقصود فكذلك هاهنا غرض فرعون من قوله يا هامان ابن لي صرحا يعني ان الاطلاع على اله موسى لما كان لا سبيل اليه الا بهذا الطريق وكان هذا الطريق ممتنعا فحينئذ يظهر منه انه لا سبيل الى معرفة الاله الذي يثبته موسى وقول هذا ما يلخص في هذا الباب واعلم ان هذه الشبهة فاسدة لان طرق العلم ثلاثة الحس والخبر والنظر ولا يلزم من انتفاء طريق واحد وهو الحس انتفاء المطلوب وذلك لان موسى عليه السلام كان قد بين لفرعون ان الطريق في معرفة الله تعالى انما هو الحجة والدليل كما قال ربكم ورب آبائكم الاولين رب المشرق والمغرب الا ان فرعون لخبثه ومكره تغافل عن ذلك الدليل والقى الى الجهال انه لما كان لا طريق الى الاحساس بهذا الاله وجب نفيه فهذا ما عندي في هذا البحث والله اعلم المسألة الثالثة ذهب قوم الى انه تعالى خلق جواهر الافلاك وحركاتها بحيث يكون مبدأ لاسباب الحوادث في هذا العالم السفلي واحتجوا بقوله تعالى لعلي ابلغ

اسباب

الاسباب اسباب السموات ومعلوم انها ليست اسبابا للحوادث هذا العالم فالمراد بالاسباب هاهنا ما قوله في سورة ص فليرتقوا في الاسباب اما المفسرون فقد ذكروا في تفسير قوله لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات ان المراد باسباب السموات طرقها وابوابها وما يؤدي اليها وكل ما اداك الى شيء فهو سبب كالرشاء ونحوه المسألة الرابعة قالت اليهود اطبق الباحثون عن تواريخ بني اسرائيل وفرعون ان هامان ما كان موجودا البتة في زمان موسى وفرعون وانما جاء بعدهما بزمان مديد ودهر داهر فالقول بان هامان كان موجودا في زمان فرعون خطأ في التاريخ وليس لقائل ان يقول ان وجود شخص يسمى بهامان بعد زمان فرعون لا يمنع من وجود شخص آخر يسمى بهذا الاسم في زمانه قالوا لان هذا الشخص المسمى بهامان الذي كان موجودا في زمان فرعون ما كان شخصا خسيسا في حضرة فرعون بل كان كالوزير له ومثل هذا الشخص لا يكون مجهول الوصف والحلية فلو كان موجودا لعرف حاله وحيث اطبق الباحثون عن احوال فرعون وموسى ان الشخص المسمى بهامان ما كان موجودا في زمان فرعون وانما جاء بعده بادوار علم انه غلط وقع في التواريخ قالوا ونظير هذا انا نعرف في دين الاسلام ان ابا حنيفة انما جاء بعد محمد عليه السلام فلو ان قائلا ادعى ان ابا حنيفة كان موجودا في زمان محمد وزعم انه غير الاول وهذا هو الذي يسمى بابي حنيفة فان اهل التواريخ يقطعون بخطائه فكذا هاهنا والجواب ان تواريخ موسى وفرعون قد طال العهد بها واضطربت الاحوال والادوار فلم يبق على كلام اهل التواريخ اعتماد في هذا الباب فكان الاخذ بقول الله اولى بخلاف حال رسولنا مع ابي حنيفة فان هذه التواريخ قريبة غير مضطربة بل هي مضبوطة فظهر الفرق بين البابين والله اعلم فهذا جملة ما يتعلق بالمباحث المعنوية في هذه الآية ولنذكر ما يتعلق بالمباحث اللفظية قيل الصرح البناء الذي الظاهر يخفى على الناظر وان بعد اشتقاقه من صرح الشيء اذا ظهر واسباب السموات طرقها فان قيل ما فائدة هذا التكرير ولو قيل لعلي ابلغ اسباب السموات كان كافيا اجاب صاحب الكشاف عنه فقال اذا ابهم الشيء ثم اوضح كان تفخيما لشأنه فلما اراد تفخيم اسباب السموات ابهمها ثم اوضحها وقوله فاطلع الى اله موسى قرأ حفص عن عاصم فاطلع بفتح العين والباقون بالرفع قال المبرد من رفع فقد عطفه على قوله ابلغ والتقدير لعلي ابلغ الاسباب ثم اطلع الا ان حرف ثم اشد تراخيا من الفاء ومن نصب جعله جوابا والمعنى لعلي ابلغ الاسباب فمتى بلغتها اطلعت والمعنى مختلف لان الاول لعلي ابلغ ولعلي اطلع والثاني لعلي ابلغ وانا ضامن انني متى بلغت فلا بد وان اطلع ثم انه تعالى لما حكى عن فرعون هذه القصة قال بعدها وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وفيه مسائل المسألة الاولى قرأ عاصم وحمزة والكسائي وصد بضم الصاد قال ابو عبيد وبه يقرأ لاجل انه فعل سمي للمفعول به فجعل ما عطف عليه مثله والباقون وصد بفتح الصاد على انه منع الناس عن الايمان ومن صده قوله لاقطعن ايديكم وارجلكم ويقوي هذه القراءة قوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وقوله تعالى هم الذين كفروا وصدوكم المسألة الثانية قوله تعالى زين لا بد له من مزين فقال المعتزلة انه الشيطان فقيل لهم ان كان المزين لفرعون هو الشيطان فالمزين للشيطان ان كان شيطانا آخر لزم اما التسلسل في الشياطين او الدور وهو محال ولما بطل ذلك وجب انتهاء الاسباب والمسببات في ترتيب الحادثات الى واجب الوجود وانما متى حصل ترتب يدل على ان الشيء لم يكن في اصلنا ان الفاعل كونه موصوفا بانه حرونيه وحسن فانه لا يعلم عليه الا ان ذلك الاعتقاد ان كان نصوا بانه نوع العلم وان كان خطا فهو الجهل فان قالوا ذلك الجهل ليس هو ذكر الانسان لان العاقل لا يقصد تحصيل الجهل لنفسه لانه انما يقصد تحصيل الجهل لنفسه اذا عرف كونه جهلا امتنع بقاؤه جاهلا ثبت انا على ذلك الجهل ليس مجرد ذلك الا ان يكون بحول الله التحصيل عائد فهو كلم قول الاول الله والله اعلم ويقوي ما قلناه ان صاحب الكشاف نقل انه قرئ وزين له سوء عمله على البناء للفاعل والفعل عن جهل الى اله موسى ثم قال تعالى وما كيد فرعون الا في تباب التباب الخسران والهلاك ونظيره قوله تعالى فما زادوهم غير تتبيب وقوله تعالى تبت يدا ابي لهب والله اعلم

قوله تعالى وقال الذي آمن يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع و
ان الآخرة هي دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة
يرزقون فيها بغير حساب ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي
به علم وانا ادعوكم الى العزيز الغفار لا جرم انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وان مردنا الى الله
وان المسرفين هم اصحاب النار فستذكرون ما اقول لكم وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد اعلم ان هذا
من بقية كلام الذي آمن من آل فرعون وقد كان يدعوهم الى الايمان بموسى والتمسك بطريقته فاعلم
انه نادى قومه ثلاث مرات في المرة الاولى على سبيل الاجمال وفي المرتين الباقيتين على سبيل التفصيل
اما الاجمال فهو قوله يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد وليس المراد اتبعوني طريقة التقليد ثم قال
بعلم الله والهلاك هو الضلالة ومن بينا ان الدلالة للغي يوصف بانه هداه وسبيل الرشاد هو سبيل الثواب
والخيبة وما يؤدي اليه لان الرشاد نقيض الغي وفيه تصريح بان ما عليه فرعون وقومه هو سبيل الغي
واما التفصيل فهو انه بين حقارة حال الدنيا وكمال حال الآخرة اما حقارة الدنيا فهي قوله يا قوم
انما هذه الحيوة الدنيا متاع والمعنى انه يستمتع بهذه الحيوة الدنيا في ايام قليلة ثم تنقطع وتزول واما الآخرة
فهي دار القرار والبقاء والدوام وحاصل الكلام ان الآخرة باقية دائمة والدنيا فانية منقرضة والدائم
خير من المنقضي وقال بعض العارفين لو كانت الدنيا ذهبا فانيا والآخرة خزفا باقيا لكانت الآخرة خيرا
من الدنيا فكيف والدنيا خزف فان والآخرة ذهب باق واعلم ان الآخرة كما ان النعيم فيها دائم فكذلك العذاب
فيها دائم فكان الترغيب في النعيم الدائم والترهيب عن العذاب الدائم من اقوى وجوه الترغيب والترهيب ثم بين
كيف تحصل المجازاة في الآخرة واشار الى ان جانب الرحمة غالب على جانب العقاب فقال من عمل سيئة
فلا يجزى الا مثلها والمراد بالمثل ما يقابلها في الاستحقاق فان قيل كيف يصح هذا الكلام مع ان كفر ساعة
يوجب عقاب الابد قلنا لان الكافر يعتقد في كفره كونه طاعة وحقا فلهذا السبب كان الكافر على
عزم ان يبقى على ذلك الاعتقاد ابدا فلا جرم كان عقابه مؤبدا بخلاف الفاسق فانه يعتقد فيه كونه خيانة
ومعصية فيكون على عزم ان لا يبقى مصرا عليه فلا جرم قلنا ان عقاب الفاسق منقطع اما الذي يقوله المعتزلة
من ان عقابه مؤبد فهو باطل لان تلك المعصية منقطعة والعزم على الاتيان بها ليس دائما بل منقطع فمقابلته
بعقاب دائم يكون على خلاف قوله من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها واعلم ان هذه الآية اصل كبير في علوم الشريعة
فيما يتعلق باحكام الجنايات فانها تقتضي ان يكون المثل مشروعا ولا يكون الزائد على المثل مشروعا ثم نقول
ليس في الآية بيان ان تلك المماثلة معتبرة في اي الامور فلو حملناه على رعاية المماثلة في شيء معين فهو ان يصير المعين
غير مذكور في الآية صارت الآية مجملة ولو حملناه على رعاية المماثلة في جميع الامور صارت الآية عاما مخصوصا
وقد ثبت في اصول الفقه ان التعارض اذا وقع بين الاجمال وبين التخصيص كان رفع الاجمال اولى فوجب
ان يحمل هذه الآية على رعاية المماثلة في كل الوجوه الا في مواضع التخصيص واذا ثبت هذا فالاحكام الكثيرة في باب
الجنايات على النفوس وعلى الاعضاء وعلى الاموال يمكن تفريعها على هذه الآية والله اعلم ثم قال تعالى
ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب واعلم انا بينا
ان جزاء السيئة مقصور على المثل وبين ان جزاء الحسنة غير مقصور على المثل بل هو خارج عن الحساب فقال
ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ومن ذكر كلمة من في
الآية فقالوا قوله ومن عمل صالحا نكرة في معرض الشرط في جانب الاثبات فجرى مجرى قول القائل من دخل
الدار فله كذا فانه يدخل فيه كل من اتى بتلك الكلمة اذ بتلك الخطوة مرة واحدة فكذلك ههنا وجب ان يكون
كل من عمل صالحا واحدا من الصالحات فانه يدخل الجنة ويرزق فيها بغير حساب والآتي بالايمان والمواظب
على التوحيد والتقديس مدة ثمانين سنة فقد اتى باعظم الصالحات وباحسن الطاعات فوجب ان يدخل الجنة

ويا قوم

والخصم يقول انه يبقى مخلدا في النار ابد الآباد وكان ذلك على خلاف هذا النص الصريح وايضا فالمعتزلة انه تعالى
شرط فيه كونه مؤمنا وصاحب الكبيرة عندنا ليس بمؤمن فلا يدخل في هذا الوعد والجواب انا بينا في اول
سورة البقرة في تفسير قوله تعالى يؤمنون بالغيب ان صاحب الكبيرة مؤمن فسقط هذا الكلام واختلفوا في
تفسير قوله يرزقون فيها بغير حساب فمنهم من قال لما كان لا نهاية لذلك الثواب قيل انه بغير حساب وقال
آخرون لانه تعالى يعطيهم ثواب اعمالهم ويضم الى ذلك الثواب من اقسام التفضيل ما يخرج عن الحساب وقوله
بغير حساب واقع في مقابلة الا مثلها يعني ان جزاء السيئة حساب ويقدر لئلا يزيد على الاستحقاق فاما
جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وحساب بل ما شئت من الزيادة على الحق والقلة والكثرة واقول هذا
يدل على ان جانب الرحمة والفضل راجح على جانب القهر والعقاب فاذا عارضنا عمومات الوعيد بعمومات الوعد
وجب ان يكون الترجيح بجانب عمومات الوعد وذلك يهدم قواعد المعتزلة ثم اعاد ذلك المؤمن النداء في المرة
الثالثة فقال يا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار يعني انا ادعوكم الى الايمان الذي يوجب النجاة
وتدعونني الى الكفر الذي يوجب النار فان قيل لم كرر نداء قومه ولم جاء بالواو في النداء الثالث دون الثاني
قلنا اما تكرير النداء ففيه زيادة تنبيه لهم وايقاظ عن سنة الغفلة واظهار ان له بهذا المهم مزيد اهتمام وعلى
اولئك الاقوام فرط شفقة واما المجيء بالواو العاطفة فلان الثاني اقرب من ان يكون عطف بيان للاول لان الثاني
للاول والبيان عين المبين واما الثالث فانه كلام مباين للاول والثاني فحسن ايراد الواو العاطفة فيه ولما
ذكر هذا المؤمن انه يدعوهم الى النجاة وهم يدعونه الى النار فسر ذلك بانهم يدعونه الى الكفر بالله والى
الشرك به اما الكفر بالله فلان الاكثرين من قوم فرعون كانوا ينكرون وجود الاله ومنهم من كان يقر بوجود
الاله الا انه كان يثبت عبادة الاصنام وقوله تعالى واشرك به ما ليس لي به علم المراد بنفي العلم نفي المعلوم
كانه قال واشرك به ما ليس باله وما ليس باله كيف يعقل جعله شريكا للاله ولما بين انهم يدعونه الى
الكفر والشرك بين انه يدعوهم الى الايمان بالعزيز الغفار فقوله العزيز اشارة الى كونه كامل القدرة وفيه تنبيه
على ان الاله هو الذي يكون كامل القدرة اما فرعون فهو في غاية العجز فكيف يكون الها واما الاصنام فانها احجار
منحوتة فكيف يعقل القول بكونها آلهة وقوله الغفار اشارة الى انه لا يجب ان يكونوا آيسين من رحمة الله بسبب اصرارهم
على الكفر مدة مديدة فان اله العالم وان كان عزيزا لا يغلب قادرا لا يعارض لكنه غفار يغفر كفر سبعين سنة
بايمان ساعة واحدة ثم قال لا جرم والكلام في تفسير لا جرم مر في سورة هود في قوله لا جرم انهم
في الآخرة هم الاخسرون وبالجملة فههنا قال لا جرم ثابت على مذهب البصريين ان يكون
لا ردا لما دعاه اليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وان مع ما في حيزه فاعله اي حق ووجب بطلان دعوته او بمعنى
كسب من قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا اي كسب ذلك الدعاء اليه بطلان
دعوته بمعنى انه ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته ويجوز ان يقال ان لا جرم نظيره لا بد فعل من الجرم
وهو القطع كما ان بد فعل من التبديد وهو التفريق وكما ان معنى لا بد انك تفعل كذا بمعنى لا بد لك من فعله
فكذلك لا جرم ان لهم النار اي لا قطع لذلك بمعنى انهم ابدا يستحقون النار لا انقطاع لاستحقاقهم ولا قطع لبطلان دعوة
الاصنام اي لا يزال باطلا لا ينقطع ذلك فينقلب حقا وروي عن بعض العرب لا جرم انه يفعل بضم الجيم وسكون
الراء بمعنى لا بد وفعل وفعل اخوان كرشد ورشد وعدم وعدم هذا كله الفاظ صاحب الكشاف ثم قال
انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة والمراد ان الاوثان التي تدعونني الى عبادتها ليس لها دعوة في
الدنيا ولا في الآخرة وفي تفسير هذه الدعوة احتمالان الاول ان المعنى ان ما تدعونني الى عبادته ليس له دعوة الى نفسه
لانها جمادات والجماد لا يدعو احدا الى عبادة نفسه وقوله في الآخرة يعني انه تعالى اذا قلبها حيوانا في الآخرة
فانه يتبرأ من هؤلاء العابدين والاحتمال الثاني ان يكون قوله ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة معناه ليس له

استجابة دعوة في الدنيا ولا في الآخرة فسميت استجابة الدعوة بالدعوة اطلاقا لاسم احد المتضايفين على الآخر كقوله
وجزاء سيئة سيئة مثلها ثم قال وان مردنا الى الله قيل انه نفي الاصنام لانا نعلم انها ميتة ومعنى ذلك ان مردنا
الى الله العالم بكل المعلومات القادر على كل الممكنات الغني عن كل الحاجات الذي لا يبدل القول لديه وما هو بظلام
للعبيد فاي عاقل يجوز له عقله ان يشتغل بعبادة هذه الاشياء الباطلة وان يعرض عن عبادة الله الذي لا بد وان
يكون مرده اليه وان المسرفين هم اصحاب النار قال قتادة يعني المشركين وقال مجاهد السفاكين للدماء
والصحيح انهم اسرفوا في معصية الله تعالى بالكمية فبالدوام واما الكيفية فباصرار القلوب ولما بالغ مؤمن
آل فرعون في تقرير هذه البيانات ختم كلامه بخاتمة لطيفة فقال فستذكرون ما اقول لكم وهذا كلام مبهم يوجب
التخويف ويحتمل ان يكون المراد ان هذا الذكر يحصل في الدنيا وهو وقت الموت وان يكون في القيامة وقت مشاهدة
الاهوال وبالجملة فهو تحذير شديد ثم عقبه بقوله وافوض امري الى الله وهذا كلام من هدد بامر يخافه فكانهم
خوفوه بالقتل وهو ايضا خوفهم بقوله فستذكرون ما اقول لكم ثم عول في دفع تخويفهم وكيدهم ومكرهم على فضل
الله تعالى فقال وافوض امري الى الله وهو انما تعلم هذه الطريقة من موسى عليه السلام فان فرعون لما خوفه بالقتل
رجع موسى في دفع ذلك الشر الى الله حيث قال واني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب
فتح نافع وابو عمرو الياء من امري والباقون بالاسكان ثم قال ان الله بصير بالعباد اي عالم باحوالهم وبمقادير
حاجاتهم وتمسك اصحابنا بقوله تعالى وافوض امري الى الله على ان الكل من الله وقالوا ان المعتزلة الذين
قالوا الخير والشر يحصل بقدرتهم قد فوضوا امر انفسهم اليهم وما فوضوا الى الله والمعتزلة تمسكوا بهذه الآية
فقالوا ان قوله افوض اعتراف بكونه فاعلا مستقلا بالفعل والمباحث المذكورة في قوله اعوذ بالله عائدة
تماما في هذا الموضع والله اعلم وههنا آخر كلام مؤمن آل فرعون **قوله تعالى** فوقاه الله
سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا
آل فرعون اشد العذاب واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون
عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا
ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا
في ضلال   واعلم انه تعالى بين ان ذلك الرجل لما لم يقصر في تقرير الدين الحق وفي الذب عنه فالله تعالى
رد عنه كيد الكافرين وقصد القاصدين وقوله تعالى فوقاه الله سيئات ما مكروا يدل على انه لما صرح بتقرير
الحق فقد قصدوه بنوع من انواع السوء قال مقاتل لما ذكر هذه الكلمات قصدوا قتله فهرب منهم الى الجبل
فطلبوه فلم يقدروا عليه وقيل المراد بقوله فوقاه الله سيئات ما مكروا انهم قصدوا ادخاله في الكفر
وصرفه عن الاسلام فوقاه الله عن ذلك الا ان الاول اولى لان قوله بعد ذلك وحاق بآل فرعون سوء العذاب
لا يليق الا بالوجه الاول وقوله وحاق اي احاط بهم سوء العذاب اي غرقوا في البحر وقيل بل المراد منه النار
المذكورة في قوله النار يعرضون قال الزجاج النار بدل من قوله سوء العذاب قال وجائز ايضا ان تكون مرتفعة
على اضمار تفسير سوء العذاب كانه قيل ما سوء العذاب فقيل النار يعرضون قرأ حمزة وحاق بكسر الحاء
وكذلك في كل القرآن والباقون بالفتح اما قوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ففيه مسائل المسألة
الاولى احتج اصحابنا بهذه الآية على اثبات عذاب القبر قالوا الآية تقتضي عرض النار عليهم غدوا وعشيا
وليس المراد منه يوم القيامة لانه قال ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب وليس المراد
منه ايضا الدنيا لان عرض النار عليهم غدوا وعشيا ما كان حاصلا في الدنيا فثبت ان هذا العرض انما
حصل بعد الموت وقبل القيامة وذلك يدل على اثبات عذاب القبر في حق هؤلاء واذا ثبت في حقهم ثبت في حق
غيرهم لانه لا قائل بالفرق فان قيل لم لا يجوز ان يكون المراد من عرض النار عليهم غدوا وعشيا عرض النصائح عليهم

والدنيا

في الدنيا لان اهل الدين اذا ذكروا لهم الترغيب والترهيب وخوفوهم بعذاب الله فقد عرضوا عليهم النار ثم قوله في الآية
امتنع حمله على عذاب القبر بيانه من وجهين الاول ان ذلك العذاب يجب ان يكون دائما غير منقطع وقوله يعرضون عليها
غدوا وعشيا يقتضي ان لا يحصل ذلك العذاب الا في هذين الوقتين فثبت ان هذا لا يمكن حمله على عذاب القبر الثاني ان الغداة
والعشي انما يحصلان في الدنيا اما في القبر فلا وجود لهما فثبت بهذين الوجهين انه لا يمكن حمل هذه الآية على عذاب القبر والجواب
عن السؤال الاول ان في الدنيا عرض عليهم كلمات تذكرهم امر النار لا انه يعرض عليهم نفس النار فعلى قولهم يصير معنى الآية
الكلمات المذكرة لامر النار كانت تعرض عليهم وذلك يفضي الى ترك ظاهر اللفظ والعدول الى المجاز اما قوله الآية تدل على حصول
هذا العذاب في هذين الوقتين وذلك لا يجوز قلنا لم لا يجوز ان يكتفي في القبر بايصال العذاب اليه في هذين الوقتين ثم عند قيام
القيامة يلقى في النار فيدوم عذابه بعد ذلك وايضا لا يمتنع ان يكون ذكر الغدوة والعشية كناية عن الدوام كقوله ولهم رزقهم
فيها بكرة وعشيا اما قوله انه ليس في القبر والقيامة غدوة وعشية قلنا لم لا يجوز ان يقال ان عند حصول هذين الوقتين لاهل
الدنيا يعرض عليهم العذاب والله اعلم المسألة الثانية قرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم ادخلوا آل فرعون بقطع الالف
بمعنى يقال لخزنة جهنم ادخلوهم في اشد العذاب والباقون ادخلوا على معنى انه يقال لهؤلاء الكفار ادخلوا اشد العذاب
والقراءة الاولى اختيار ابي عبيد واحتج عليها بقوله تعالى يعرضون فقد اخبر انه يفعل بهم ذلك ادخلوا واما حجة القراءة الثانية
فقوله ادخلوا ابواب جهنم وههنا آخر الكلام في قصة مؤمن آل فرعون واعلم ان الكلام في تلك القصة لما انجر
الى شرح احوال النار لا جرم ذكر الله عقيبها قصة المناظرات التي تجري بين الرؤساء والاتباع من اهل النار فقال
واذ يتحاجون في النار والمعنى واذكر يا محمد لقومك اذ يتحاجون اي يخاصم بعضهم بعضا ثم شرح خصومتهم و
ذلك ان الضعفاء يقولون للرؤساء انا كنا لكم تبعا في الدنيا فالضعفاء الكفار تبعا جمع تابع كخدم جمع خادم او ذوي تبع
اي اتباع او وصفا بالمصدر فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار فهل تقدرون على ان تدفعوا ايها الرؤساء عنا نصيبا
من العذاب واعلم ان اولئك الاتباع يعلمون ان اولئك الرؤساء لا قدرة لهم على ذلك التخفيف وانما مقصودهم من هذا الكلام
المبالغة في تخجيل اولئك الرؤساء وايلام قلوبهم لانهم هم الذين سعوا في ايقاع هؤلاء الاتباع في انواع الضلالات ثم عند هذا
يقول الرؤساء انا كل فيها يعني انا كلنا واقعون في هذا العذاب فلو قدرت على ازالة العقاب عنك لدفعته عن نفسي ثم
يقولون ان الله قد حكم بين العباد يعني يوصل الى كل احد مقدار حقه من النعيم او من العذاب فعند ذلك يحصل الياس
للاتباع من المتبوعين فيرجعون الى خزنة جهنم ويقولون لهم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فان قيل
لم يقل وقال الذين في النار لخزنتها بل قال لخزنة جهنم قلنا فيه وجهان الاول ان يكون المقصود من
ذكر جهنم التهويل والتفظيع والثاني لا يبعد ان جهنم اسم للموضع الذي هو اشد المواضع بعدا وعمقا من قولهم بئر جهنام
بعيدة القعر وفيها اعظم اقسام الكفار عقوبة وخزنة ذلك الموضع يكونون اعظم درجة عند الله من غيرهم فلذا اعرض
الكفار عن غيرهم لهذا واستغاثوا بهم فلما قالت الملائكة فيقولون لهم اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات والمقصود انه قبل
ارسال الرسل كان للقوم ان يقولوا انه ما جاءنا منذر اما بعد مجيء الرسل فلم يبق عذر ولا علة كما قال تعالى وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا وهذه الآية تدل على ان الوجوب لا يتحقق الا بعد مجيء الشرع ثم ان الملائكة يقولون للكفار
ادعوا انتم فانا لا نجترئ على ذلك لا نشفع الا بشرطين احدهما كون المشفوع له مؤمنا والثاني حصول الاذن في الشفاعة
ولم يوجد واحد من هذين الشرطين فتعذر اقدامنا على هذه الشفاعة ولكن ادعوا انتم وليس قولهم فادعوا لرجاء المنفعة
ولكن للدلالة على الخيبة فان الملك المقرب اذا لم يسمع دعاؤه فكيف يسمع دعاء الكافر ثم يصرحون لهم بانه لا اثر
لذلك الدعاء فيقولون وما دعاء الكافرين الا في ضلال فان قيل الكلام على الله محال وان كان كذلك امتنع كونه تعالى
انه نادى من تعذيبهم وبسبب حرمانهم واذا كان الناس كلهم عالمين بانه لا شفيع لهم الانتقام ممتنع في حقه اذا ثبت
هذا فتقول ايها المشتاق العظيم الى الملك الجبار واضرارا يستغفر منه لله تعالى ولا الصفة للعبيد فهو اصل حال
من جميع الحيوانات فكيف يليق بالرحيم الكريم ان يبقى على ذلك الايلام ابد الآباد ودهر الداهرين من غير ان يرحم حاجتهم

[illegible]

الحق به في الكتاب لحق وجب [illegible] والله أعلم **قوله تعالى** إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا
في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ولقد آتينا موسى
الهدى وأورثنا بني إسرائيل الكتاب هدى وذكرى لأولي الألباب فاصبر إن وعد الله حق وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار
اعلم أن في كيفية النظم وجوها الأول أنه تعالى لما ذكر وقاية الله موسى صلوات الله عليه وذلك المؤمن
من مكر فرعون بين في هذه الآية أنه ينصر رسله والذين آمنوا معهم [illegible] من أهل النار
من التحاجّ وأنهم عند العرض إلى جهنم يقولون ألم تكن تأتيكم رسلكم بالبينات أتبعه تعالى بذكر أنه ينصر الرسل
وأنه ينصرهم في الدنيا وفي الآخرة [illegible] أن الكلام في إبطال الحجة إنما وقع في قوله ما يجادل
في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد وامتد الكلام في الرد على أولئك المجادلين إلى أن
المحقين أبدا كانوا مشغولين بذم كيد المبطلين وكل ذلك إنما ذكره الله تعالى تسلية للرسول وتصبيرا له
على تحمل أذى قومه ولما بلغ الكلام في تقرير هذا المطلوب إلى الغاية القصوى وعد تعالى رسوله بأن ينصره
على أعدائه فقال إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا معهم في الحياة الدنيا أما في الدنيا فهو المراد بقوله في الحياة الدنيا
وأما في الآخرة فهو المراد بقوله ويوم يقوم الأشهاد فحاصل الكلام أنه تعالى وعد بأنه ينصر الأنبياء والرسل
وينصر الذين ينصرونهم نصرة يظهر أثرها في الدنيا وفي الآخرة واعلم أن نصرة الله المحقين تحصل بوجوه
أحدها النصرة بالحجة وقد سمى الله تعالى الحجة سلطانا في غير موضع وهذه النصرة عامة للمحقين أجمع ونعم
ما سمى الله تعالى هذه النصرة سلطانا لأن السلطنة في الدنيا قد تبطل وقد تتبدل بالفقر والذلة والحاجة
أما السلطنة الحاصلة بالحجة فإنها تبقى أبد الآباد ويمتنع تطرق الخلل والفتور إليها وثانيها أنهم ينصرون
بالمدح والتعظيم فإن الظلمة وإن قهروا شخصا من المحقين إلا أنهم لا يقدرون على إسقاط مدحه عن ألسنة
الناس وثالثها أنهم منصورون بسبب أن بواطنهم ممتلئة من نور الحجة وقوة النفس فإنهم إنما ينظرون إلى
الظلمة والجهال كما ينظر ملائكة السموات إلى أخس الأشياء وإن اتفق أن المبطلين وإن كان يتفق لهم
أن يحصل لهم استيلاء على المحقين ففي الحقيقة أن ذلك لا يدوم بل يكشف للناس أن ذلك كان ظلما وقع على غير
الواجب وتنيعف الحق وخامسها أن المحق إن اتفق أن يقع في نوع من أنواع المحنة فذلك يكون
سببا لمزيد ثوابه وتعظيم درجاته وسادسها أن الظلمة والمتغلبين كما يموتون يموت آثارهم معهم ولا يبقى لهم
في الدنيا أثر ولا خبر وأما المحقون فإن آثارهم باقية على وجه الدهر والناس بهم يقتدون في أعمال
البر والخير وبمحبتهم يتبركون فهذا كله أنواع نصرة الله للمؤمنين في الدنيا وسابعها أنه تعالى
قد ينتقم للأنبياء والأولياء بعد موتهم كما نصر يحيى بن زكريا فإنه لما قتل قتل به سبعون ألفا وأما نصرته تعالى
إياهم في الآخرة فذلك بإعلاء درجاتهم في مراتب الثواب وكونهم مصاحبين لأنبياء الله كما قال فأولئك
مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا واعلم أن قوله
إنا لننصر رسلنا ويوم يقوم الأشهاد يفيد بشارة عظيمة لأن السلطان المعظم إذا أخبر بعض خواصه
بالإكرام العظيم والتشريف الكامل عند حضور الجمع العظيم من أهل المشرق والمغرب كان ذلك ألذ وأبهج
فقوله إنا لننصر رسلنا ويوم يقوم الأشهاد المقصود منه هذه الدقيقة واختلفوا في المراد بالأشهاد والظاهر
أن المراد كل من يشهد بأعمال العباد يوم القيامة من ملك ونبي ومؤمن أما الملائكة فهم الكرام الكاتبون
يشهدون بما شاهدوا وأما الأنبياء فقال تعالى فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا

وقال

وقال وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا قال المبرد
يجوز أن يكون واحد الأشهاد شاهدا كطائر وأطيار وصاحب وأصحاب ويجوز أن يكون واحد الأشهاد
شهيدا كشريف وأشراف وأيتام ويتيم ثم قال تعالى يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار
فإن قيل قوله يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم يدل على أنهم يعتذرون ولكن لا تنفعهم معذرتهم وقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون
[illegible] يدل على أنهم لا يعتذرون [illegible] قلنا قوله لا ينفع الظالمين معذرتهم لا يدل على أنهم ذكروا الأعذار بل ليس فيه إلا أنه ليس عندهم عذر مقبول نافع وهذا القدر
لا يدل على أنهم ذكروه أم لا وأيضا فيوم القيامة يوم طويل فيعتذرون في وقت ولا يعتذرون في وقت آخر
ثم قال تعالى ولهم اللعنة ولهم سوء الدار واعلم أن المقصود أنهم مع عظيم ثواب أهل الثواب وذلك لأنه تعالى بين أنه ينصرهم في يوم يجمع
فيه الأولين والآخرين [illegible] في ذلك اليوم ما ذكرنا وأحوال أعدائهم فهو أنه حصل لهم أمور
ثلاثة أحدها أنه لا ينفعهم شيء من المعاذير وثانيها أن لهم اللعنة وهي البعد عن الخير
وثالثها أن لهم سوء الدار وهو العقاب [illegible] في ذلك اليوم إذا كان الكفار
[illegible] ثم إنه تعالى خص الأنبياء والأولياء بأنواع التشريفات العظيمة
في المجمع الأعظم فها هنا تظهر سرور المؤمن [illegible] عموم الكافرين [illegible] يوم لا ينفع
الظالمين معذرتهم [illegible] ليس عندهم عذر مقبول [illegible] وهذا القدر
لا يدل على أنهم ذكروه أم لا وأيضا فيوم القيامة يوم طويل فيعتذرون في وقت ولا يعتذرون في وقت آخر ولما
بين الله تعالى أنه ينصر الأنبياء والمؤمنين في الدنيا وفي الآخرة ذكر نوعا من أنواع تلك النصرة في الدنيا فقال ولقد
آتينا موسى الهدى ويجوز أن يكون المراد تلك الدلائل الباهرة التي أوردها على فرعون وأتباعه وهلاكهم ويجوز
أن يكون المراد هو النبوة التي هي أعظم المناصب لأن الأنبياء ويجوز أن يكون المراد إنزال التوراة عليهم ثم قال
وأورثنا بني إسرائيل الكتاب هدى وذكرى لأولي الألباب يجوز أن يكون المراد منه أنه تعالى لما أنزل التوراة على موسى
بقي ذلك العلم فيهم وتوارثوه خلفا عن سلف ويجوز أن يكون المراد سائر الكتب التي أنزلها الله تعالى عليهم
وهي كتب أنبياء بني إسرائيل والزبور والإنجيل والفرق بين الهدى والذكرى أن الهدى ما يكون دليلا على الشيء وليس
من شرط أن يذكر شيئا آخر كان معلوما ثم صار منسيا وأما الذكرى فهي الذي يكون كذلك فكتب أنبياء الله مشتملة
على هذين القسمين بعضها دلائل في أنفسها وبعضها مذكرات لما ورد في الكتب الإلهية المتقدمة ولما بين أنه
تعالى ينصر رسله وينصر المؤمنين في الدنيا والآخرة وضرب المثال في ذلك بحال موسى خاطب بعد ذلك
محمدا فقال فاصبر إن وعد الله حق فالله ناصرك كما نصرهم ومنجز وعده في حقك كما كان كذلك في حقهم ثم
أمره بأن يقبل على طاعة الله فإن من كان لله كان الله له واعلم أن مجامع الطاعات محصورة في قسمين
التوبة عما لا ينبغي والاشتغال بما ينبغي والأول مقدم على الثاني بحسب الرتبة الذاتية فوجب أن يكون
مقدما عليه في الذكر أما التوبة عما لا ينبغي فهو قوله واستغفر لذنبك والطاعنون في عصمة الأنبياء عليهم
السلام يتمسكون به والمعتصمون يحملونه على التوبة عن ترك الأولى والأفضل أو على ما كان قد صدر عنهم قبل النبوة
وقيل أيضا المقصود منه محض التعبد كما في قوله ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك فإن إيتاء ذلك الشيء واجب
ثم إنه أمرنا بطلبه وكقوله رب احكم بالحق مع أنا نعلم أنه لا يحكم إلا بالحق وقيل إضافة المصدر إلى الفاعل والمفعول
فقوله واستغفر لذنبك أي لذنب أمتك في حقك وأما الاشتغال بما ينبغي فهو قوله وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار
والتسبيح عبارة عن تنزيه الله عن كل ما لا يليق والعشي والإبكار قيل صلاة العصر وصلاة الفجر وقيل الإبكار
عبارة عن أول النهار إلى النصف والعشي عبارة عن النصف إلى آخر النهار فدخل فيه كل الأوقات وقيل المراد طرفا
النهار كما قال أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل فالمراد منه الأمر بالمواظبة على ذكر الله وأن لا يفتر اللسان عنه وأن لا يغفل
القلب عنه حتى يصير الإنسان بهذا السبب داخلا في زمرة الملائكة كما قال في صفتهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون
قوله تعالى إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه
فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون وما يستوي الأعمى

وما يستوي الاعمى والبصير والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون ان الساعة لاتية لا ريب فيها ولكن اكثر الناس لا يومنون
اعلم انا بينا ان الكلام في اول هذه السورة انما ابتدأ ردا على الذين يجادلون في ايات الله واتصل البعض بالبعض وامتد على الترتيب
الذي لخصناه والنسق الذي كشفنا عنه الى هذا الموضع ثم انه تعالى نبه في هذه الاية على الداعي الذي يحمل اولئك الكفار على
فقال ان الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم انما يحملهم على هذا الجدل الباطل كبر في صدورهم وذلك الكبر هو انهم لو
حملهم على هذا الجدال الباطل هو الكبر وذلك انهم لو سلموا نبوتك لزمهم ان يكونوا تحت يدك وامرك ونهيك لان النبوة تحتها
كل ملك ورياسة وفي صدورهم كبر لا يرضون ان يكونوا تحت يدك ولا يصلون الى هذا المراد بل لا بد وان يصيروا تحت
امرك ونهيك ثم قال فاستعذ بالله اي فالتجئ اليه من كيد من يحسدك انه هو السميع بما تقول ويقولون البصير بما تعمل
ويعملون فهو يجعلك نافذ الحكم عليهم ويصونك عن مكرهم وكيدهم واعلم انه تعالى لما وصف جدالهم في ايات
الله بانه بغير سلطان ولا حجة ذكر لهذا مثالا فقال لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس والقادر على الاكبر
قادر على الاقل لا محالة وتقرير هذا الكلام ان الاستدلال بالشيء على غيره على ثلاثة اقسام احدها ان يقال لما قدر
على الاضعف وجب ان يقدر على الاقوى وهذا فاسد وثانيها ان يقال لما قدر على الشيء قدر على مثله فهذا استدلال
حق لما ثبت في الفصول ان حكم الشيء حكم مثله وثالثها ان يقال لما قدر على الاقوى الاكمل فبان يقدر على الاقل
الارذل كان اولى وهذا الاستدلال في غاية القوة والقوم ولا يرتاب فيه عاقل البتة ثم ان هولاء القوم يسلمون
ان خالق السموات والارض هو الله سبحانه ويعلمون بالضرورة ان خلق السموات والارض اكبر من خلق الناس فكان
من حقهم ان يقروا بان القادر على خلق السموات والارض يكون قادرا على اعادة الانسان الذي خلقه اولا
فهذا برهان جلي في افادة هذا المطلوب ثم ان هذا البرهان على قوته صار بحيث لا يعرفه اكثر الناس والمراد
منهم الذين ينكرون الحشر والنشر فظهر بهذا المثال ان هولاء الكفار يجادلون في ايات الله بغير سلطان ولا حجة
بل لمجرد الحسد والكبر والتعصب ثم لما بين الله تعالى ان الجدال المقرون بالكبر والحسد والجهل كيف يكون
وان الجدال المقرون بالحجة والبرهان كيف يكون نبه تعالى على الفرق بين البابين بذكر المثال فقال وما يستوي
الاعمى والبصير يعني وما يستوي المستدل والجاهل المقلد ثم قال والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء فالمراد
بالاول التفاوت بين العالم والجاهل والمراد بالثاني التفاوت بين الاتي بالاعمال الصالحة وبين الاتي بالاعمال
الفاسدة الباطلة ثم قال قليلا ما يتذكرون يعني انهم وان كانوا يعلمون ان العلم خير من الجهل وان العمل الصالح
خير من العمل الفاسد الا انه قليلا ما يتذكرون في النوع المعين من الاعتقاد انه علم او جهل وان النوع المعين
من العمل انه عمل صالح او فاسد فان الحسد يعمي قلوبهم فيعتقدون في الجهل والتقليد انه محض المعرفة وفي الحسد
والحقد والكبر انه محض الطاعة فهذا هو المراد من قوله قليلا ما يتذكرون وقرا عاصم وحمزة والكسائي تتذكرون
بالتاء على الخطاب اي قل لهم قليلا ما تتذكرون والباقون بالياء على الغيبة ولما قرر الدليل الدال على امكان وجود
القيامة اردفه بان اخبر عن وقوعها ودخولها في الوجود فقال ان الساعة لاتية لا ريب فيها ولكن اكثر
الناس لا يومنون والمراد باكثر الناس الكفار الذين ينكرون البعث والقيامة **قوله تعالى**
وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين الله الذي جعل لكم الليل
لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون ذلكم الله
ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو فانى تؤفكون كذلك يؤفك الذين كانوا بايات الله يجحدون اعلم
انه تعالى لما بين ان القول بالقيامة حق وصدق وكان من المعلوم بالضرورة ان الانسان لا ينتفع في يوم
القيامة الا بطاعة الله والتضرع اليه لا جرم كان الاشتغال بالطاعة من اهم المهمات ولما كان
اشرف انواع الطاعة الدعاء والتضرع لا جرم امر الله تعالى به في هذه الاية فقال وقال ربكم ادعوني
استجب لكم واختلف الناس في المراد بقوله ادعوني فقيل انه الامر بالدعاء وقيل انه الامر بالعبادة

بدليل

334

بدليل انه قال بعده ان الذين يستكبرون عن عبادتي ولولا ان المراد بالدعاء مطلق العبادة والا لما اردفه بقوله
ان الذين يستكبرون عن عبادتي وايضا الدعاء بمعنى العبادة كثير في القران كقوله ان يدعون من دونه
الا اناثا واجيب عنه بان الدعاء اعتراف بالعبودية والذلة والمسكنة فكانه قيل ان تارك الدعاء انما تركه لاجل
انه استكبر عن اظهار العبودية واجيب عن قوله ان الدعاء بمعنى العبادة كثير في القران فان ترك الظاهر
لا يصار اليه الا لدليل منفصل فان قيل كيف قال ادعوني استجب لكم وقد يدعو الانسان كثيرا فلا يستجاب
له اجاب الكعبي عنه بان قال الدعاء انما يصح على شرط ومن دعا كذلك استجيب له وذلك الشرط هو ان يكون المطلوب
بالدعاء مصلحة وحكمة ثم سال نفسه فقال فالله تعالى يفعل ما هو مصلحة بغير دعاء فما الفائدة في الدعاء واجاب عنه من وجهين
الاول ان فيه الفزع والانقطاع الى الله والثاني ان هذا ايضا وارد على الكل لانه ان علم انه يفعله فلا بد ان يفعله
فلا فائدة في الدعاء وان علم انه لا يفعله فانه البتة لا يفعله فلا فائدة في الدعاء فكل ما يقولونه ههنا فهو جوابنا
هنا تمام ما ذكره وعندي فيه وجه اخر وهو انه قال ادعوني استجب لكم فكل من دعا الله وفي قلبه ذرة من
الاعتماد على ماله وجاهه واقاربه واصدقائه وجده واجتهاده فهو في الحقيقة ما دعا الله الا باللسان اما
القلب فانه معول في تحصيل ذلك المطلوب على غير الله فهذا الانسان ما دعا ربه اما اذا دعا في وقت لا يبقى في
القلب التفات الى غير الله فالظاهر انه تحصل الاجابة فاذا عرفت هذا ففيه بشارة كاملة وهي ان انقطاع
القلب بالكلية عما سوى الله لا يحصل الا عند القرب من الموت فان الانسان قاطع في ذلك الوقت بانه لا ينفعه شيء
سوى فضل الله تعالى فعلى القانون الذي ذكرناه وجب ان يكون الدعاء في ذلك الوقت مقبولا عند الله ونرجو
من فضل الله واحسانه ان يوفقنا للدعاء المقرون بالاخلاص والتضرع في ذلك الوقت واعلم ان الكلام
المستقصى في الدعاء قد سبق ذكره في سورة البقرة ثم قال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم
داخرين اي صاغرين وهذا احسان عظيم من الله تعالى حيث ذكر الوعيد الشديد على ترك الدعاء فان قيل
روي انه صلى الله عليه وسلم قال حكاية عن رب العزة جل جلاله من شغله ذكري عن مسالتي اعطيته افضل ما اعطي
السائلين فهذا الخبر يقتضي ان ترك الدعاء افضل وهذه الاية تدل على ان ترك الدعاء يوجب الوعيد الشديد فكيف
الجمع بينهما قلنا لا شك ان العقل اذا كان مستغرقا في الثناء كان ذلك افضل من الدعاء لان الدعاء طلب للحظ
والاستغراق في معرفة جلال الله افضل من طلب الحظ اما اذا لم يحصل ذلك الاستغراق كان الاشتغال بالدعاء
اولى لان الدعاء يشتمل على معرفة عزة الربوبية وذلة العبودية ثم قال تعالى الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه واعلم
ان تعلقه بما قبله من وجهين الاول كانه قال تعالى اني انعمت عليك قبل طلبك بهذه النعم الجليلة العظيمة ومن انعم
قبل السؤال بهذه النعم العالية فكيف لا ينعم بالاشياء القليلة بعد السؤال الثاني انه تعالى لما امر بالدعاء فكانه
قيل الاشتغال بالدعاء لا بد وان يكون مسبوقا بحصول المعرفة فما الدليل على وجود الاله القادر فذكر تعالى هذه
الدلائل العشرة على وجوده وقدرته وحكمته واعلم انا بينا ان دلائل وجود الله وقدرته اما ان تكون فلكية واما
عنصرية اما الفلكيات فاقسام كثيرة واحدها تعاقب الليل والنهار وكان اكثر مصالح العالم مربوطا
بهما فذكرهما الله تعالى في هذا المقام وبين ان الحكمة في خلق الليل والنهار حصول الراحة بسبب النوم والسكون
والحكمة في خلق النهار ابصار الاشياء ليمكن التصرف فيها على الوجه الانفع اما السكون في الليل فهو النوم
سبب الراحة بيانه من وجهين الاول ان الحركات توجب الاعياء من حيث ان الحركة توجب السخونة والجفاف
وذلك يوجب التالم والثاني ان الاحساس بالاشياء انما يمكن بايصال الارواح الحاسة الى ظاهر الحس
ثم ان تلك الارواح تتحلل بسبب طول الافعال الحسية فتضعف الحواس والاحساسات واذا نام الانسان
عادت الارواح الحساسة في باطن البدن وركدت وقويت وتخلصت عن الاعياء وايضا الليل بارد رطب
فبرده ورطوبته يتدارك ما حصل في النهار من الحر والجفاف بسبب كثرة الحركات فهذا من المنافع المطلوبة

قوله الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا فاعلم انا بينا ان الانسان مدني بالطبع ومعناه انه
لا يحصل مصلحته تامة ولا ينتظم مهماته الا ... ياكله ويشربه ويلبسه ويسكنه ... المهمات ... يحصل الا
باعمال كثيرة وتلك الاعمال ... تفتقر الى النور ... التصرفات لا تتكامل الا بالضوء والنور ... الانسان
[illegible] ذلك النور ... كان ... للطلب
[illegible] فلهذا السبب قال تعالى الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه
والنهار لتتصرفوا فيه ... وقال جعل لكم الليل ساكنا والنهار
مبصرا ولكنه لم يقل كذلك بل قال في الليل لتسكنوا فيه وقال في النهار مبصرا فما الفائدة فيه والثاني ما الحكمة
في تقديم ذكر الليل على النهار والجواب عن الاول ان الليل والنوم في الحقيقة طبيعة عدمية فهو غير مقصود بالذات
اما اليقظة فامور وجودية وهي مقصودة بالذات ونقل عن الشيخ عبد القاهر النحوي ... لا للمجاز
ان ... الوصف بالاسم من الكمال والتمام اتم من ... الصفة الفعل عليها فثبت ما ذكرنا من الفرق
والله اعلم واما الجواب عن السؤال الثاني فلان الظلمة طبيعة عدمية والنور طبيعة وجودية والعدم في المحدثات
مقدم على الوجود ولهذا السبب قال في اول سورة الانعام وجعل الظلمات والنور ثم قال تعالى ان الله لذو
فضل على الناس ... والحكم البالغة ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون والمراد ان فضل
الله على الخلق كثير جدا ولكنهم لا يشكرونه واعلم ان ترك الشكر لوجوه منها ان يعتقد الرجل ان هذه
النعم ليست من الله تعالى مثل ان يعتقد ان هذه الافلاك واجبة الوجود لذواتها واجبة الدوران لذواتها
فحينئذ يعتقد الرجل ان هذه النعم ليست من الله ومنها ان الرجل وان اعتقد ان كل هذا العالم حصل بخلق
الله وتكوينه الا ان هذه النعم العظيمة اعني نعمة تعاقب الليل والنهار لما دامت واستمرت نسيها الانسان فاذا ابتلي
الانسان بفقدان شيء منها عرف قدرها مثل ان يتفق لبعض الناس والعياذ بالله ان يحبسه بعض الظلمة في بئر عميقة
مظلمة مدة مديدة فحينئذ يعرف ذلك الانسان قدر نعمة الهواء الصافي وقدر نعمة الضوء ورايت بعض الملوك كان يعذب
بعض خدمه بان امر اقواما حتى يمنعونه عن الاستناد الى الجدار وعن النوم فعظم وقع هذا التعذيب ومنها
ان الرجل وان كان عارفا بمواقع هذه النعم الا انه يكون حريصا على الدنيا محبا للمال والجاه فاذا فاته المال الكثير
والجاه العريض وقع في كفران هذه النعم العظيمة فلما كان اغلب الخلق هالكين في احدى هذه الاودية الثلاثة التي ذكرناها
لا جرم قال تعالى ولكن اكثر الناس لا يشكرون ونظيره قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور وقول ابليس ولا تجد اكثرهم
شاكرين ولما بين سبحانه وتعالى بتلك الدلائل المذكورة وجود الاله القادر الرحيم الحكيم قال ذلكم الله ربكم خالق كل شيء
لا اله الا هو ... صاحب الصفات ... المعلوم المتميز بالافعال الخاصة التي لا يشاركه فيها احد هو الله ربكم
خالق كل شيء لا اله الا هو اخبار مترادفة ... الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية وخلق كل شيء و
انه لا ثاني له فاني تؤفكون والمراد فاني تصرفون ولم تعدلون عن هذه الدلائل وتكذبون بها ثم قال تعالى
كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون يعني ان كل من جحد بآيات الله ولم يتاملها ولم يكن فيه همة طلب الحق
وخوف العاقبة افك كما افكوا **قوله تعالى** الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء وصوركم فاحسن
صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله
رب العالمين قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي وامرت ان اسلم لرب العالمين هو الذي
خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا
اجلا مسمى ولعلكم تعقلون اعلم انا بينا ان دلائل وجود الله وقدرته اما ان تكون من دلائل الآفاق او من دلائل الانفس اما دلائل
الآفاق فهي ما كان غير الانسان من كل هذا العالم وهي اقسام كثيرة والمذكور منها في هذه الاية اقسام منها احوال الليل والنهار وقد سبق ذكره
ومنها الارض والسماء وهو المراد من قوله الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء قال ابن عباس في قوله قرارا اي منزلا في حال
الحياة وبعد الموت والسماء بناء اي كالقبة المضروبة على الارض وقيل مسك الارض بلا عمد حتى امكن التصرف عليها والسماء

تنا

بناء اي قائما ثابتا والا لوقعت علينا واما دلائل الانفس فالمراد منها دلائل احوال بدن الانسان ودلائل احوال نفسه
على وجود الصانع القادر الحكيم والمذكور منها في هذه الاية قسمان احدهما ما هو حاصل مشاهد حال كمال حاله والثاني
ما كان حاصلا في ابتداء خلقته وتكونه اما القسم الاول فاشياء كثيرة والمذكور منها في هذه الاية انواع اولها حدوث
صورته وهو المراد بقوله وصوركم وثانيها حسن صورته وهو المراد من قوله فاحسن صوركم وثالثها انه رزقكم من
الطيبات وهو المراد من قوله ورزقكم من الطيبات وقد استقصينا في تفسير هذه الانواع في هذا الكتاب
في تفسير قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم ولما ذكر تعالى هذه الدلائل الخمسة اثنين من دلائل الآفاق وثلاثة من
دلائل الانفس قال ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين وتفسير تبارك اما الدوام والثبات واما كثرة
الخيرات ثم قال هو الحي وهذا يفيد الحصر وانه لا حي الا هو فوجب حمل ذلك على الحي الذي يمتنع ان يموت امتناعا
دائما وحينئذ لا حي الا هو وكانه اجرى الشيء الذي يكون ناقصا مجرى المعدوم واعلم ان الحي عبارة عن الدراك الفعال
والدراك اشارة الى العلم التام والفعال اشارة الى القدرة الكاملة ولما نبه على هاتين الصفتين من صفات الجلال نبه
على الصفة الثالثة وهي الوحدانية بقوله لا اله الا هو ولما وصفه بهذه الصفات امر العباد بشيئين احدهما بالدعاء والثاني
بالاخلاص فيه فقال فادعوه مخلصين له الدين ثم قال الحمد لله رب العالمين فيجوز ان يكون المراد قولوا الحمد لله رب
العالمين ويجوز ان يكون المراد انه لما كان موصوفا بصفات الجلال والعزة استحق لذاته ان يقال له الحمد لله رب العالمين
ولما ذكر صفات الجلال والعظمة ... قال قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله فاورد ذلك على المشركين
باللين ... ليصرفهم عن عبادة الاوثان وبين ان وجه النهي في ذلك ما جاءه من البينات وتلك البينات
ان اله العالم ثبت كونه موصوفا بصفات الجلال والعظمة على ما تقدم ذكره وصريح العقل يشهد بان العبادة
لا تليق الا به وان جعل الاحجار المنحوتة والخشب المصورة شركاء لله في المعبودية مستنكر في بديهة العقل ولما بين
انه نهي عن عبادة غير الله بين انه امر بعبادة الله تعالى فقال وامرت ان اسلم لرب العالمين وانما ذكر هذه الكلام
في حق نفسه لانهم كانوا يعتقدون فيه انه في غاية العقل وكمال الجوهر ومن المعلوم بالضرورة ان كل احد فانه لا يريد
لنفسه الا الافضل الاكمل فاذا ذكر ان مصلحته لا تتم الا بالاعراض عن غير الله والاقبال بالكلية على طاعة الله ظهر
به ان هذا الطريق اكمل من كل ما سواه ثم قال هو الذي خلقكم من تراب واعلم انا ذكرنا ان الدلائل على قسمين
دلائل الآفاق ودلائل الانفس اما دلائل الآفاق فكثيرة والمذكور منها في هذه الاية اربعة الليل والنهار والارض والسماء
واما دلائل الانفس فقد ذكرنا انها على قسمين احدهما الاحوال الحاضرة حال كمال الصحة وهي اقسام كثيرة
والمذكور منها ههنا ثلاثة انواع الصورة وحسن الصورة ورزق الطيبات واما القسم الثاني فهو كيفية
تكون هذا البدن من ابتداء كونه نطفة وجنينا الى آخر الشيخوخة والموت فهو المذكور في هذه الاية فقال
هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة فقيل المراد آدم وعندي لا حاجة اليه لان كل انسان فهو مخلوق من المني
ومن دم الطمث والمني مخلوق من الدم فالانسان مخلوق من الدم والدم انما يتولد من الاغذية والاغذية
اما حيوانية واما نباتية والحال في تكون ذلك الحيوان كالحال في تكون الانسان فكانت الاغذية باسرها منتهية
الى النباتية والنبات انما يكون من التراب والماء فثبت ان كل انسان متكون من التراب ثم ان ذلك
التراب يصير نطفة ثم علقة ثم بعد كونه علقة مراتب كثيرة الى ان ينفصل من بطن الام والله تعالى ترك
ذكرها ههنا لاجل انه تعالى ذكرها في سائر الآيات واعلم انه تعالى رتب عمر الانسان كونه طفلا و
ثانيها بلوغ الاشد وثالثها الشيخوخة وهذا ترتيب صحيح مطابق للعقل وذلك لان الانسان في اول عمره
يكون في التزايد والنشو والنماء وهو المسمى بالطفولية والمرتبة الثانية ان يبلغ الى كمال النشو من غير ان
يحصل فيه نوع من انواع الضعف وهذه المرتبة هي المراد من قوله ثم لتبلغوا اشدكم والمرتبة الثالثة
ان يتراجع ويظهر فيه اثر من آثار الضعف والنقص وهذه المرتبة هي المراد من قوله ثم لتكونوا شيوخا

واذا عرفت هذا التقسيم عرفت ان مراتب العمر بحسب هذا التقسيم لا تزيد على هذه الثلاثة قال صاحب الكشاف قوله لتبلغوا اشدكم تتعلق بفعل محذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذلك ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل اي من قبل الشيخوخة او من قبل هذه الاحوال اذا خرج سقطا قال ولتبلغوا اجلا مسمى معناه ونفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى وهو وقت الموت وقيل يوم القيامة ثم قال ولعلكم تعقلون ما في هذه الاحوال العجيبة من انواع العبر واقسام الدلائل **قوله تعالى** هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اعلم انه تعالى لما ذكر انتقال الاجسام من كونها ترابا الى كونه نطفة ثم الى كونه علقة ثم الى كونه طفلا ثم الى بلوغ الاشد ثم الى الشيخوخة واستدل بهذه التغيرات على وجود الاله القادر قال بعده هو الذي يحيي ويميت يعني كما ان الانتقال من صفة الى صفة اخرى من الصفات التي تقدم ذكرها يدل على الاله القادر فكذلك الانتقال من الحياة الى الموت وبالعكس يدل على الاله القادر وقوله تعالى فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون فيه وجوه الاول معناه انه انما ينقل هذه الاجسام من بعض هذه الصفات الى صفة اخرى لم يتعب في ذلك التصرف ولم يحتج الى آلة واداة فعبر عن نفاذ قدرته في الكائنات والمحدثات من غير معارض ولا مدافع بما اذا قال كن فيكون الوجه الثاني انه عبر عن الاحياء والاماتة بقوله كن فيكون كأنه قيل الانتقال من كونه ترابا الى كونه نطفة ثم الى كونه علقة انتقالات تحصل على التدريج قليلا قليلا واما صيرورته حيا فهي انما تحصل بتعلق جوهر الروح النطقية به وذلك يحدث دفعة واحدة فلهذا السبب وقع التعبير عنه بقوله كن فيكون الوجه الثالث ان من الناس من يقول ان تكون الانسان انما يحصل من المني والدم في الرحم في مدة معينة وبحسب انتقالات من حالات الى حالات فكأنه قيل انه يمتنع ان يكون كل انسان عن انسان آخر لان التسلسل محال ووقوع الحادث في الازل محال فلا بد من الاعتراف بانسان هو اول الناس فحينئذ يكون حدوث ذلك الانسان لا بواسطة المني والدم بل بايجاد الله تعالى ابتداء فعبر الله تعالى عن هذا المعنى بقوله كن فيكون والله اعلم **قوله تعالى** الم تر الى الذين يجادلون في آيات الله انى يصرفون الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعو من قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين اعلم انه تعالى عاد الى ذم الذين يجادلون في آيات الله فقال الم تر الى الذين يجادلون في آيات الله انى يصرفون وهذا ذم لهم على ان جادلوا في آيات الله ودفعوها بالتكذيب فهاهنا تعجب تعالى منهم بقوله انى يصرفون كما يقول الرجل لمن لا يرى ان يذهب تعجبا من غفلته ثم بين انهم هم الذين كذبوا بالكتاب اي بالقرآن وبما ارسلنا به رسلنا من سائر الكتب فان قيل سوف للاستقبال واذ للماضي فقوله فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم مثل قولك سوف اصوم امس قلنا المراد من قوله اذ هو اذا لان الامور المستقبلة لما كانت في اخبار الله تعالى متيقنة مقطوعا بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال هذا لفظ صاحب الكشاف ثم انه تعالى وصف كيفية عقابهم فقال اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم والمعنى انه يكون في اعناقهم الاغلال والسلاسل يسحبون بتلك السلاسل في الحميم اي في الماء المسخن بنار جهنم ثم في النار يسجرون السجر في اللغة الايقاد في التنور ومعناه انهم في النار فهي محيطة بهم ويقرب منه قوله تعالى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة ثم قيل لهم اين ما كنتم تعبدون من دون الله قالوا ضلوا عنا اي غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا ننتفع بهم ثم قالوا بل لم نكن ندعو من قبل شيئا اي تبين لنا انهم لم يكونوا شيئا وما كنا نعبد بعبادتهم شيئا كما تقول حسبت ان فلانا شيء فاذا هو ليس بشيء اذا جربته فلم تجد عنده خيرا [?] فقال انهم كذبوا وانكروا انهم عبدوا غير الله كما اخبر الله تعالى عنهم في سورة الانعام انهم قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ثم قال الله تعالى كذلك يضل الله الكافرين قال القاضي معناه انه يضلهم عن طريق الجنة اذ لا يجوز ان يقال يضلهم عن الحجج وقد هداهم في الدنيا اليها وكذلك يضل الله الكافرين

مثل

مثل ضلال [?] عنهم بحيث لو طلبوا آلهتهم او طلبتهم الآلهة لم يجد احدهما الآخر ثم قال ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون اي ذلكم الضلال بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق وهو الشرك وعبادة الاوثان ادخلوا ابواب جهنم السبعة المقسومة لكم قال الله تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين والمراد منه ما قال في الآية المتقدمة في صفة حال هؤلاء المجادلين ان في صدورهم الا كبر والله اعلم **قوله تعالى** فاصبر ان وعد الله حق فاما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالينا يرجعون ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله فاذا جاء امر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون اعلم انه تعالى لما تكلم من اول السورة الى هذا الموضع في تزييف طريقة المجادلين في آيات الله امر في هذه الآية رسوله بان يصبر على ايذائهم وايحاشهم بسبب تلك المجادلات ثم قال ان وعد الله حق ويعني به ما وعد الرسول من نصرته ومن انزال العذاب على اعدائه ثم قال فاما نرينك بعض الذي نعدهم اي ان ذلك الذي وعدناهم من انواع العذاب مثل القتل يوم بدر فذاك هو المطلوب او نتوفينك قبل انزال العذاب عليهم فالينا يرجعون يوم القيامة فننتقم منهم اشد الانتقام ونظيره قوله تعالى فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون او نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون ثم قال تعالى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك والمعنى انه قال لمحمد انت كالرسل قبلك وقد ذكرنا حال بعضهم لك ولم نذكر حال الباقين وليس فيهم احد اعطاه الله آيات ومعجزات الا وقد جادله قومه فيها وكذبوه فيها وجرى عليهم من الهم ما يقارب ما جرى عليك فصبروا وكانوا ابدا يقترحون على الانبياء اظهار المعجزات الزائدة على قدر الحاجة على سبيل العناد والتعنت ثم ان الله تعالى ان علم الصلاح في اظهاره اظهره والا لم يظهره ولم يكن ذلك قادحا في نبوتهم فكذلك الحال في اقتراح قومك عليك المعجزات الزائدة لما لم يكن اظهارها صلاحا لا جرم ما اظهرناها وهذا هو المراد من قوله وما كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله ثم قال فاذا جاء امر الله قضي بالحق وهذا وعيد ورد عقيب اقتراح الآيات وامر الله القيامة والمبطلون هم المعاندون الذين يجادلون في آيات الله ويقترحون المعجزات الزائدة على سبيل التعنت **قوله تعالى** الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ويريكم آياته فاي آيات الله تنكرون اعلم انه تعالى لما اطنب في تقرير الوعيد عاد الى ذكر ما يدل على وجود الاله الحكيم الرحيم والى ذكر ما يصلح ان يعد انعاما على العباد قال الزجاج الانعام الابل خاصة وقال القاضي هي الازواج الثمانية وفي الآية سؤالات الاول انه ادخل لام الغرض على قوله لتركبوا وعلى قوله ولتبلغوا ولم يدخل على البواقي فما الفائدة فيه الجواب قال صاحب الكشاف الركوب في الحج والغزو اما ان يكون واجبا او مندوبا وايضا ركوبها لاجل حاجة مهمة في الانتقال من بلد الى بلد لطلب علم او اقامة دين يكون اما واجبا واما مندوبا فهذان القسمان اغراض دينية فلا جرم ادخل عليها حرف التعليل واما الاكل واصابة المنافع فمن جنس المباحات فلا جرم ما ادخل عليهما حرف التعليل نظيره قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة فادخل حرف التعليل على الركوب ولم يدخله على الزينة السؤال الثاني قوله تعالى وعليها وعلى الفلك تحملون معناه عليها وعلى الفلك تحملون في البر والبحر اذا عرفت هذا فنقول لم لم يقل وفي الفلك كما قال قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين والجواب ان كلمة على للاستعلاء فالشيء الذي يوضع في الفلك كما يصح ان يقال وضع فيه يصح ان يقال وضع عليه ولما صح الوجهان كانت لفظة على اولى حتى تتم المزاوجة في قوله وعليها وعلى الفلك تحملون ولما ذكر الله تعالى هذه الدلائل الكثيرة قال ويريكم آياته فاي آيات الله تنكرون يعني ان هذه الآيات التي عددناها كلها ظاهرة باهرة فقوله فاي آيات الله تنكرون تنبيه على انه ليس في شيء من الدلائل التي تقدم ذكرها ما يمكن انكاره قال صاحب الكشاف قوله فاي آيات الله جاء على اللغة المستفيضة وقولك فاية آيات الله قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث في الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهي في اي اغرب لابهامه والله اعلم **قوله تعالى** افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف

الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا في الارض فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون فلما جاءتهم رسلهم بالبينات
فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فلما راوا باسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين
فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون اعلم انه تعالى رتب ترتيبا
لطيفا في آخر هذه السورة وذلك انه يذكر فصلا في دلايل الالهيات وكمال القدرة والرحمة والحكمة ثم يردفه
بفصل في التهديد والوعيد وهذا الفصل الذي وقع عليه ختم هذه السورة من الفصل المشتمل على الوعيد والمقصود ان
هولاء الكفار الذين يجادلون في آيات الله وحصل الكبر العظيم في صدورهم السبب في كل ذلك طلب الرياسة والتقدم على الغير
في المال والجاه فمن ترك الانقياد للحق لاجل طلب هذه الاشيا فقد باع الآخرة بالدنيا فبين تعالى ان هذه الطريقة فاسدة
لان الدنيا فانية ذاهبة واحتج عليهم بقوله تعالى افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم يعني
لو ساروا في اطراف الارض لعرفوا ان عاقبة المتكبرين المتمردين ليس الا الهلاك والبوار مع انهم كانوا اكثر عددا وعددا
ومالا وجاها من هولاء المتاخرين فلما لم يستفيدوا من تلك المكنة العظيمة والدولة القاهرة الا الخيبة والخسار
والحسرة والبوار فكيف يكون حال هولاء الفقرا المساكين اما بيان انهم كانوا اكثر من هولاء عددا فانا نعرف
في الاخبار واما انهم كانوا اشد قوة وآثارا في الارض فلانه قد بقيت حصون عظيمة مثل الاهرام الموجودة بمصر
ومثل هذه البلاد العظيمة التي بناها الملوك المتقدمون ومثل ما حكى الله عنهم من انهم كانوا ينحتون من الجبال بيوتا
ثم قال الله تعالى فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ما في قوله فما اغنى عنهم نافية او مضمنة معنى الاستفهام ومحلها
النصب وما في قوله ما كانوا يكسبون موصولة او مصدرية ومحلها الرفع يعني اي شي اغنى عنهم مكسوبهم او كسبهم
ثم بين ان اولئك الكفار لما جاءتهم رسلهم بالبينات والمعجزات فرحوا بما عندهم من العلم واعلم ان الضمير في
قوله فرحوا يحتمل ان يكون عائدا الى الكفار وان يكون عائدا الى الرسل اما اذا قلنا انه عائد الى الكفار فذلك العلم
الذي فرحوا به اي علم كان وفيه وجوه الاول ان يكون المراد الاشيا التي كانوا يسمونها بالعلم وهي الشبهات التي
حكاها الله عنهم في القرآن كقولهم ما يهلكنا الا الدهر وقولهم لو شا الله ما اشركنا ولا آباؤنا وقولهم من يحيي
العظام وهي رميم ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا وكانوا يفرحون بذلك ويدفعون به علوم
الانبيا كما قال كل حزب بما لديهم فرحون الثاني يجوز ان يكون المراد علوم الفلاسفة فانهم كانوا اذا سمعوا بوحي الله
دفعوه وصغروا علم الانبيا بالنسبة الى علومهم وعن سقراط انه سمع بمجي بعض الانبيا فقيل له لو هاجرت اليه
فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا الى من يهذبنا الثالث يجوز ان يكون المراد علمهم بامور الدنيا ومعرفتهم
تدبيرها كما قال تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ذلك مبلغهم من العلم فلما جاءتهم
الرسل بعلوم الديانات وهي معرفة الله ومعرفة المعاد وتطهير النفس عن الرذايل لم يلتفتوا اليها و
استهزؤا بها واعتقدوا انه لا علم انفع واجلب للفوايد من علمهم ففرحوا به اما اذا قلنا الضمير عايد
الى الانبيا ففيه وجهان الاول ان يجعل الفرح للرسل ومعناه ان الرسل لما راوا من قومهم جهلا كاملا
واعراضا عن الحق وعلموا سو عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واعراضهم فرحوا بما اوتوا من العلم
وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزا جهلهم واستهزائهم الثاني ان يكون المراد فرحوا بما عند الرسول
من العلم فرحا ضحكا منه واستهزا به كانه قال استهزؤا بالبينات وبما جاؤا به من علم الوحي فرحين
مرحين ويدل عليه قوله تعالى وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ثم قال تعالى فلما راوا باسنا قالوا آمنا
بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين الباس شدة العذاب ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس فان قيل
اي فرق بين قوله فلم يك ينفعهم ايمانهم وبينه لو قيل فلم ينفعهم ايمانهم قلنا هو مثل كان في نحو قوله
ما كان لله ان يتخذ من ولد وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا والمعنى فلم يصح ولم يستقم ان ينفعهم ايمانهم ثم قال
اذكروا ضابطا في الوقت الذي لا ينفع الايمان فيه فقال انه الوقت الذي يعاين فيه نزول ملائكة الرحمة

والعذاب

والعذاب فاشتغلوا بكل الوقت يصير المرء ملجا الى الايمان فذلك الايمان لا ينفع انما ينفع مع القدرة على خلافه
حتى يكون المرء مختارا اما اذا عاينوا علامات الآخرة فلا ثم قال تعالى سنة الله التي قد خلت في عباده
والمعنى ان عدم قبول الايمان حال الياس سنة الله مطردة في كل الامم ثم قال وخسر هنالك الكافرون
هنالك مكان مستعار للزمان اي وخسروا وقت رويتهم الباس والله اعلم بالصواب

تفسير سورة حم السجدة مكية وهي اربع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا
فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب
فاعمل اننا عاملون قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه وويل
للمشركين الذين لا يوتون الزكوة وهم بالآخرة هم كافرون ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون
اعلم ان في اول هذه السورة احتمالات احدها وهو الاقوى ان قوله حم اسم للسورة وهي في موضع المبتدا وتنزيل
خبره وثانيها قال الاخفش تنزيل رفع بالابتدا وكتاب خبره وثالثها قال الزجاج تنزيل رفع بالابتدا وخبره
كتاب فصلت آياته ووجهه ان قوله تنزيل نكرة تخصص بالصفة وهو قوله من الرحمن الرحيم فجاز وقوعه
مبتدا واعلم انه تعالى حكم على السورة المسماة بحم باشيا اولها كونها تنزيلا والمراد المنزل والتعبير عن المفعول
بالمصدر مجاز مشهور تقول هذا بناء الامير اي مبنيه وهذا الدرهم ضرب السلطان اي مضروبه والمراد
من كونها منزلا ان الله تعالى كتبها في اللوح المحفوظ وامر جبريل عليه السلم بان يحفظ تلك الكلمات ثم ينزل بها على محمد عليه
السلم ويبلغها اليه فلما حصل تفهيم هذه الكلمات بواسطة نزول جبريل عليه السلم سمي لذلك تنزيلا وثانيها كون
ذلك التنزيل من الرحمن الرحيم وذلك يدل على كون ذلك التنزيل نعمة عظيمة من الله تعالى لان الفعل المقرون بالصفة
لا بد وان يكون مناسبا لتلك الصفة فكونه تعالى رحمانا رحيما صفتان دالتان على كمال الرحمة فالتنزيل
المضاف الى هاتين الصفتين لا بد وان يكون دالا على اعظم وجوه النعمة والامر في نفسه كذلك لان الخلق في
هذا العالم كالمرضى والزمنى والمحتاجين والقرآن مشتمل على كل ما يحتاج اليه المرضى من الادوية وكل ما يحتاج اليه
الاصحا من الاغذية فكان اعظم النعم على اهل هذا العالم انزال القرآن عليهم وثالثها كونه كتابا وقد بينا ان هذا
الاسم مشتق من الجمع وانما سمي كتابا لانه جمع فيه علوم الاولين والآخرين ورابعها قوله فصلت آياته والمراد
انه ميزت آياته وجعلت تفاصيل في معان مختلفة فبعضها في وصف ذات الله تعالى وشرح صفات التنزيه
والتقديس وشرح كمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته وعجايب احوال خلقه السموات والكواكب وتعاقب
الليل والنهار وعجايب احوال النبات والحيوان والانسان وبعضها في التكاليف المتوجهة نحو القلوب ونحو
الجوارح وبعضها في الوعد والوعيد والثواب والعقاب ودرجات اهل الجنة ودركات اهل النار وبعضها
في المواعظ والنصايح وبعضها في تهذيب الاخلاق ورياضة النفس وبعضها في قصص الاولين وتواريخ الماضين
وبالجملة فمن انصف علم انه ليس في بدا الخلق كتاب اجتمع فيه من العلوم المختلفة والمباحث المتباينة مثل ما
في القرآن وخامسها قوله قرآنا والوجه في تسميته قرآنا قد سبق وقوله قرآنا نصب على الاختصاص والمدح
اي اريد بهذا الكتاب المفصل قرآنا من صفته كيت وكيت وقيل نصب على الحال وسادسها قوله عربيا والمعنى
ان هذا القرآن انما نزل بلغة العرب وتاكد هذا بقوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه و
سابعها قوله تعالى لقوم يعلمون والمعنى انا جعلناه عربيا لاجل انا انزلناه على قوم عرب فجعلناه بلغة العرب
ليفهموا منه المراد فان قيل قوله لقوم يعلمون متعلق بماذا قلنا يجوز ان يتعلق بقوله تنزيل او بقوله
فصلت اي تنزيل من الله لاجلهم او فصلت آياته لاجلهم والاجود ان يكون صفة مثل ما قبله وما بعده اي
قرآنا عربيا كاينا لقوم عرب لئلا يفرق بين الصلات والصفات وثامنها قوله بشيرا ونذيرا يعني

بشيرا للمطيعين بالثواب ونذيرا للمجرمين بالعقاب واتيان القرآن بشارة ونذارة الا انه اطلق اسم الفاعل
عليه للتنبيه على كونه كاملا في هذه الصفة كما يقال شعر شاعر وكلام قائل وعاشرها كونهم معرضين
عنه لا يسمعونه ولا يلتفتون اليه فهذه هي الصفات العشر التي وصف الله تعالى القرآن بها ويتفرع
عليها مسائل المسئلة الاولى القائلون بخلق القرآن احتجوا بهذه الآية من وجوه الاول انه وصف القرآن
بكونه تنزيلا ومنزلا والتنزيل يشعر بحصول التغير من حال الى حال فوجب ان يكون مخلوقا الثاني ان التنزيل
مصدر والمصدر هو المفعول المطلق باتفاق النحويين الثالث المراد من الكتاب اما الكتابة وهي المصدر الذي
هو المفعول المطلق او المكتوب والذي هو المفعول الرابع ان قوله فصلت يدل على ان متصرفا يتصرف فيه
بالتفصيل وذلك لا يليق بالقديم الخامس انه انما سمي قرآنا لانه قرن بعض اجزائه بالبعض وذلك يدل على كونه
مفعول فاعل ومجعول جاعل السادس وصفه بكونه عربيا وانما صحت هذه النسبة لاجل ان هذه الالفاظ انما
دلت على هذه المعاني بحسب وضع العرب واصطلاحاتهم وما حصل بجعل جاعل وفعل فاعل فلا بد وان يكون محدثا
مخلوقا والجواب ان كل هذه الوجوه التي ذكرتموها عائدة الى اللغات والى الحروف والكلمات وهي عندنا محدثة
مخلوقة انما الذي ندعي قدمه شيء آخر سوى هذه الالفاظ والله اعلم المسئلة الثانية ذهب اكثر المتكلمين الى انه
يجب حمل الفاظ القرآن على المعاني التي هي موضوعة لها بحسب اللغة العربية فاما حملها على معان اخر لا بهذا
الطريق فهذا باطل قطعا وذلك مثل الوجوه التي يذكرها اهل الباطن مثل انهم تارة يحملون الحروف على حساب الجمل
وتارة يحملون كل حرف على شيء آخر وللصوفية طرق كثيرة في هذا الباب ويسمونها علم المكاشفة والذي يدل
على فساد تلك الوجوه بأسرها قوله تعالى قرآنا عربيا وانما سماه عربيا لكونه دالا على هذه المعاني المخصوصة بوضع
العرب وباصطلاحاتهم وذلك يدل على ان دلالة هذه الالفاظ لم تحصل الا على تلك المعاني المخصوصة وان ما سواه
فهو باطل المسئلة الثالثة ذهب قوم الى انه حصل في القرآن من سائر اللغات كقولنا استبرق وسجيل فانهما فارسيان
وقولنا مشكاة فانها من لغة الحبشة وقولنا قسطاس فانه من لغة الروم والذي يدل على فساد هذا المذهب قوله
قرآنا عربيا وقوله وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه المسئلة الرابعة ما اثبتنا المعتزلة لفظ الايمان والكفر
والصلاة والزكاة والصوم والحج الفاظ شرعية لا لغوية والمعنى ان الشرع نقل هذه الالفاظ عن مسمياتها اللغوية
الاصلية الى مسميات اخرى وعندنا ان هذا باطل وليس للشرع تصرف في هذه الالفاظ الا من وجه واحد وهو
انه خصص هذه الاسماء بنوع واحد من انواع مسمياتها مثلا الايمان عبارة عن التصديق فخصصه الشرع
بنوع معين من التصديق والصلاة عبارة عن الدعاء فخصصه الشرع بنوع معين من الدعاء وكذا القول
في البواقي ودليلنا على صحة مذهبنا قوله تعالى قرآنا عربيا وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه المسئلة
الخامسة انما وصف القرآن بكونه عربيا في معرض المدح والتعظيم وهذا المطلوب لا يتم الا اذا ثبت
ان لغة العرب افضل اللغات فاعلم ان هذا المقصود انما يتم اذا ضبطنا اقسام فضائل اللغات بضابط
ثم بينا ان تلك الاقسام حاصلة فيها لا في غيرها فنقول ان الكلام مركب من الكلمات المفردة وهي مركبة
من الحروف والكلمة لها مادة وهي الحروف ولها صورة وهي تلك الهيئة المعينة الحاصلة عند التركيب
فبيان الفضيلة انما يحصل اما بحسب مادتها او بحسب صورتها اما التي بحسب مادتها فهي اما الحروف واعلم
ان الحروف على قسمين بعضها بينة المخارج ظاهرة المقاطع وبعضها خفية المخارج مشتبهة المقاطع وحروف
العرب باسرها ظاهرة المخارج بينة المقاطع لا يشتبه شيء منها بالآخر واما الحروف المستعملة في سائر
اللغات فليست كذلك بل قد يحصل فيها حروف يشتبه بعضها بالبعض وذلك يخل بكمال الفصاحة وايضا
الحركات المستعملة في لغة العرب حركات ثلاث ظاهرة جلية وهي النصب والرفع والجر وكل واحد من هذه الثلاثة
ممتاز عن غيره امتيازا ظاهرا جليا واما الاشمام والروم فيقل حصولها في لغة العرب وذلك ايضا

من

من جنس ما يوجب الفصاحة فاما الكلمات الحاصلة بحسب التركيب ففي انواع احدها ان الحروف على قسمين
متقاربة المخرج ومتباعدة المخرج وايضا الحروف على قسمين منها صلبة ومنها رخوة فيحصل من هذا التقسيم
اقسام اربعة الصلبة المتقاربة والرخوة المتقاربة والصلبة المتباعدة والرخوة المتباعدة فاذا توالى
في الكلمة حرفان صلبان متقاربان صعب التلفظ به لانه بسبب تقارب المخرج يصير التلفظ به جاريا مجرى ما اذا كان
الانسان مقيدا ثم يمشي وبسبب صلابة تلك الحروف تتوارد الاعمال الشاقة القوية على الموضع الواحد من المخرج
وتوالي الاعمال الشاقة يوجب الضعف والاعياء ومثل هذا التركيب في اللغة العربية قليل وايضا الجرس
ببعض الحروف الذ والطيب في السمع فكل كلمة يحصل فيها حرف من هذا الجنس كان سماعها اطيب وثانيها الوزن
فنقول الكلمة اما ان تكون ثنائية او ثلاثية او رباعية واعدلها هو الثلاثي لان الصوت انما يتولد بسبب الحركة
والحركة لابد لها من مبدأ ووسط ومنتهى فهذه ثلاث مراتب فالكلمة لابد وان يحصل فيها هذه المراتب الثلاثة حتى تكون
تامة اما الثنائية فهي ناقصة واما الرباعية فهي زائدة والغالب في كلام العرب الثلاثيات فثبت بما ذكرنا
ضبط فضائل اللغات ولما ثبت هذا يدل على ان لغة العرب موصوفة بها واما سائر اللغات فليست كذلك
المسئلة السادسة قوله تعالى لقوم يعلمون يعني انا جعلناه عربيا لاجل ان يعلموا المراد منه والقائلون
بان افعال الله معللة بالمصالح والحكم تمسكوا بهذه الآية فقالوا انها تدل على انه انما جعله عربيا لهذه الحكمة فهذا يدل
على ان تعليل احكام الله وافعاله جائز المسئلة السابعة قال قوم القرآن كله غير معلوم بل فيه ما يعلم
وفيه ما لا يعلم وقال المتكلمون لا يجوز ان يحصل فيه شيء غير معلوم والدليل عليه قوله تعالى قرآنا عربيا لقوم يعلمون
يعني انا جعلناه عربيا ليصير معلوما والقول بانه غير معلوم يقدح فيه المسئلة الثامنة قوله تعالى فاعرض
اكثرهم فهم لا يسمعون يدل على ان الهادي من هداه الله وان الضال من اضله الله وتقريره ان الصفات
السبعة المذكورة للقرآن توجب قوة الاقدام على معرفته والوقوف على معانيه لانا بينا ان كونه نازلا من عند
الاله الرحمن الرحيم يدل على اشتماله على افضل المنافع واجل المطالب وكونه قرآنا عربيا مفصلا يدل
على انه في غاية الكشف والبيان وكونه بشيرا ونذيرا يدل على ان الاحتياج الى فهم ما فيه من اهم المهمات
لان سعي الانسان في معرفة ما يوصله الى الثواب او الى العقاب من اهم المهمات فقد حصلت هذه الموجبات الثلاثة
في تاكيد الرغبة في فهم القرآن وفي شدة الميل الى الاحاطة به ثم مع ذلك فقد اعرضوا عنه ولم يلتفتوا اليه و
نبذوه وراء ظهورهم وذلك يدل على انه لا يهتدي الا من هداه الله ولا يضل الا من اضله الله واعلم
انه تعالى لما وصف القرآن بانهم اعرضوا عنه فلا يسمعون اليه بين انهم صرحوا بهذه النفرة والمباعدة وذكروا
ثلاثة اشياء احدها انهم قالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه والاكنة جمع كنان كالاغطية جمع غطاء والكنان
هو الذي يجعل فيه السهام وثالثها قولهم ومن بيننا وبينك حجاب والحجاب هو الذي يمنع من الرؤية والفائدة
في كلمة من في قوله ومن بيننا انه لو قيل وبيننا وبينك حجاب لكان المعنى ان الحجاب ابتدأ منا وابتدأ منك
فالمسافة الحاصلة بيننا وبينك مستوعبة بالحجاب وما بقي جزء منها فارغا عن هذا الحجاب فكانت هذه
اللفظة دالة على قوة هذا الحجاب هكذا ذكره صاحب الكشاف وهو في غاية الحسن واعلم انه وقع الاقتصار
على هذه الاعضاء الثلاثة وذلك لان القلب محل المعرفة وسلطان البدن والسمع والبصر هما الآلتان المعينتان لتحصيل
المعارف فلما بين ان هذه الثلاثة محجوبة كان ذلك اقصى ما يمكن في هذا الباب واعلم انه اذا تاكدت
النفرة عن الشيء صارت تلك النفرة في القلب فاذا سمع كلاما لم يفهم منه معناه كما ينبغي واذا رآه لم تصر
تلك الرؤية سببا للوقوف على دقائقه فهذه احوال هذه الثلاثة الا ان المدرك والشاعر هو النفس وشدة
نفرة النفس عن الشيء يمنعها من التدبر والوقوف على دقائق ذلك الشيء فاذا كان الامر كذلك كان قولهم قلوبنا
في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب استعارات كاملة في افادة المعنى المراد

فان قيل انه تعالى حكى هذا المعنى عن الكفار في معرض الذم وذكر ايضا ما يقرب منه في معرض الذم فقال وقالوا قلوبنا
غلف بل لعنهم الله بكفرهم ثم انه تعالى ذكر هذه الاشياء الثلاثة بعينها في معرض التقرير والاثبات في سورة
الانعام فقال وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا فكيف الجمع بينهما قلنا انه لم يقل ههنا انهم كذبوا
في ذلك انما الذي ذمهم عليه انهم قالوا اذا كنا كذلك لم يجز تكليفنا وتوجيه الامر والنهي علينا وهذا الكلام الثاني باطل
اما الاول فليس في الآية ما يدل على انهم كذبوا فيه واعلم انهم لما وصفوا انفسهم بهذه الصفات الثلاثة قالوا فاعمل
اننا عاملون والمراد فاعمل على دينك اننا عاملون على ديننا ويحتمل ان يكون المراد فاعمل في ابطال امرنا اننا عاملون في ابطال
امرك والحاصل ان عندنا ان القوم لما ذكروا في قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا
وبينك حجاب بلا تمام اتوا بالكفر والكلام الباطل في قولهم فاعمل اننا عاملون ولما حكى الله عنهم هذه الشبهة امر الله
تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ان يجيب عن هذه الشبهة بقوله قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي وبيان هذا الجواب
كانه يقول اني لا اقدر على ان احملكم على الايمان جبرا وقهرا فاني بشر مثلكم ولا امتياز بيني وبينكم الا
بمجرد ان الله عز وجل اوحى الي وما اوحى اليكم فانا ابلغ هذا الوحي اليكم ثم بعد ذلك ان شرفكم الله
بالتوفيق قبلتموه وان خذلكم بالحرمان رددتموه وذلك لا يتعلق بنبوتي ورسالتي ثم بين ان خلاصة ذلك الوحي
يرجع الى امرين العلم والعمل اما العلم فالراس والرئيس فيه معرفة التوحيد وذلك لان الحق هو ان الله واحد وهو
المراد من قوله انما الهكم اله واحد واذا كان الحق في نفس الامر ذلك وجب علينا ان نعترف به وهو المراد من قوله
فاستقيموا اليه ونظيره قوله اهدنا الصراط المستقيم وقوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وقوله تعالى
وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه وفي قوله تعالى فاستقيموا اليه وجهان الاول فاستقيموا متوجهين اليه والثاني
ان يكون قوله فاستقيموا اليه معناه فاستقيموا له لان حروف الجر يقام بعضها مقام البعض واعلم ان التكليف
له ركنان احدهما الاعتقاد والراس والرئيس فيه اعتقاد التوحيد فلما امر بذلك انتقل الى وظيفة العمل والراس
والرئيس فيه الاستغفار فلهذا السبب قال واستغفروه فان قيل المقصود من الاستغفار والتوبة ازالة
ما لا ينبغي وذلك متقدم على فعل ما ينبغي فلم عكس هذا الترتيب ههنا وقدم فعل ما ينبغي على ازالة ما لا ينبغي قلنا ليس المراد
هنا الاستغفار الاستغفار عن الكفر بل المراد ان يعمل ثم يستغفر بعده لاجل الخوف من وقوع التقصير في العمل
الذي اتى به كما قال عليه السلم وانه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة ولما
رغب الله تعالى في الخير والطاعة اردفه بالتحذير عما لا ينبغي فقال وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة
وهم بالآخرة هم كافرون وفي هذه الآية مسائل المسألة الاولى وجه النظم في هذه الآية من وجوه الاول
ان العقول والشرائع ناطقة بان خلاصة السعادات مربوطة بامرين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله
وذلك لان الموجود اما الخالق واما الخلق اما الخالق تعالى فكمال السعادة في المعاملة معه ان يعتبر
بكونه موصوفا بصفات الجلال والعظمة ثم ياتي بافعال دالة على كونه في نهاية العظمة في اعتقادنا وهذا
هو المراد من التعظيم لامر الله واما الخلق فكمال السعادة في المعاملة معهم ان يسعى في دفع الشر عنهم وفي ايصال
الخير اليهم وذلك هو المراد من الشفقة على خلق الله تعالى فثبت ان اعظم الطاعات التعظيم لامر الله وافضل
ابواب التعظيم لامر الله الاقرار بكونه واحدا واذا كان هذا التوحيد اعلى المراتب واشرفها كان ضده وهو
الشرك اخس المراتب وارذلها ولما كان افضل انواع المعاملة مع الخلق هو اظهار الشفقة عليهم كان الامتناع
من الزكوة اخس الاعمال لانه ضد الشفقة على خلق الله اذا عرفت هذا فنقول انه تعالى اثبت الويل لمن كان
موصوفا بصفات ثلاثة اولها ان يكون مشركا وهو ضد التوحيد واليه الاشارة بقوله وويل للمشركين
وثانيها كونه ممتنعا من الزكوة وهو ضد الشفقة على خلق الله واليه الاشارة بقوله الذين لا يؤتون الزكوة
وثالثها كونه منكرا للقيامة مستغرقا في طلب الدنيا ولذاتها واليه الاشارة بقوله وهم بالآخرة هم كافرون

وتمام الكلام

وتمام الكلام في انه لا زيادة على هذه المراتب الثلاثة ان للانسان ثلاثة ايام امس واليوم والغد اما معرفة
انه كيف كانت الاحوال في الامس في الازل فهو معرفة الاله الخالق لهذا العالم واما معرفة انه كيف ينبغي وقوع الاحوال
في اليوم الحاضر فهو بالاحسان الى اهل العالم بقدر الطاقة واما معرفة الاحوال في اليوم المستقبل فهو الاقرار بالبعث
والقيامة فاذا كان الانسان على ضد الحق في هذه المراتب الثلاثة كان في نهاية الجهل والضلال فلهذا حكم الله عليه بالويل
فقال وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم كافرون وهذا ترتيب في غاية الشرف والله اعلم الوجه
الثاني في تقرير كيفية النظم ان تعالى اراد بقوله لا يؤتون الزكوة اي لا يزكون انفسهم من لوث الشرك بقوله لا اله الا الله
وهو ماخوذ من قوله ونفس وما سواها الثالث قال الفراء ان قريشا كانت تطعم الحاج فحرموا ذلك على من آمن بمحمد عليه السلام
المسألة الثانية احتج اصحابنا في ان الكفار مخاطبون بفروع الاسلام بهذه الاية فقالوا انه تعالى الحق الوعيد
الشديد بناء على امرين احدهما كونه مشركا والثاني انه لا يؤتي الزكوة فوجب ان يكون لكل واحد من هذين الامرين اثر في
حصول ذلك الوعيد وذلك يدل على ان لعدم ايتاء الزكوة من المشرك اثرا في زيادة الوعيد وذلك هو المطلوب
المسألة الثالثة احتج بعضهم على ان الامتناع من ايتاء الزكوة يوجب الكفر فقال انه تعالى لما ذكر هذه الصفة ذكر قبلها
ما يوجب الكفر وهو قوله وويل للمشركين وذكر ايضا بعدها ما يوجب الكفر وهو قوله وهم بالآخرة هم كافرون فلو لم يكن
عدم ايتاء الزكوة كفرا لكان ذكره فيما بين الصفتين الموجبتين للكفر قبيحا لان الكلام انما يكون فصيحا اذا كانت
المناسبة مرعية بين اجزائه ثم اكدوا ذلك بان ابا بكر الصديق حكم بكفر مانعي الزكوة والجواب لما ثبت بالدليل
ان الايمان عبارة عن التصديق بالقلب والاقرار باللسان وهما حاصلان عند عدم ايتاء الزكوة فلم يلزم حصول الكفر بسبب
عدم ايتاء الزكوة والله اعلم ثم انه تعالى لما ذكر وعيد الكفار اردفه بوعد المؤمنين فقال ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم اجر غير ممنون اي غير مقطوع من قولك مننت الحبل اي قطعته ومنه قولهم قد منه السفر اي قطعه وقيل لا يمن عليهم
لانه تعالى لما سماه اجرا فاذا الاجر لا يوجب المنة وقيل نزلت في المرضى والزمنى والمرضى اذا عجزوا عن الطاعة كتب
لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون **قوله تعالى** قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون
له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين ثم
استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين
واوحى في كل سماء امرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم اعلم انه تعالى لما امر محمدا
في الاية الاولى بان يقول انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه اردفه بما يدل على انه لا يجوز اثبات
الشركة بينه تعالى وبين هذه الاصنام في الالهية والمعبودية وذلك بان بين كمال قدرته وحكمته في خلق السموات والارض
في مدة قليلة فمن هذا صفته كيف يجوز جعل هذه الاصنام الخسيسة شركاء له في الالهية والعبودية فهذا تقرير
النظم وفي الاية مسائل المسألة الاولى قرأ ابن كثير أئنكم لتكفرون بهمزة وبعدها همزة خفيفة ساكنة بلا مد وقرأ
نافع في رواية قالون وابو عمرو على هذا الشرح الا انهما يمدان والباقون بهمزتين بلا مد المسألة الثانية قوله تعالى
أئنكم استفهام بمعنى الانكار وذكر عنهم شيئين منكرين احدهما الكفر بالله وهو قوله لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين
وثانيهما اثبات الشركاء والانداد له ويجب ان يكون هذا الكفر المذكور اولا مغايرا لاثبات الانداد له ضرورة ان عطف احدهما
على الآخر يوجب التغاير والاظهر ان المراد من كفرهم وجوه الاول قولهم ان الله لا يقدر على حشر الموتى فلما نازعوا في
ثبوت هذه القدرة فقد كفروا بالله والثاني انهم كانوا ينازعون في صحة التكليف وفي بعثة الانبياء وكل ذلك قدح
في الصفات المعتبرة في الالهية فهو كفر بالله والثالث انهم كانوا يضيفون اليه الاولاد وذلك ايضا قدح في الالهية
فهو يوجب الكفر والحاصل انهم كفروا بهذه الاشياء واثبتوا الانداد ايضا لله لاجل علمهم بافعاله بل الاصنام واحتج
تعالى على فساد قولهم في البابين فقال كيف تكفرون بالله وكيف تجعلون هذه الاصنام الخسيسة اندادا لله
مع انه تعالى هو الذي خلق الارض في يومين وتمم بقية مصالحها في يومين آخرين وخلق السموات باسرها في يومين آخرين

فمن قدر على خلق هذه الاشيا العظيمة كيف يعقل الكفر به وانكار قدرته على الحشر والنشر وكيف يعقل انكار
قدرته على التكليف وعلى بعثة الانبيا وكيف يعقل جعل هذه الاصنام الخسيسة اندادا له في المعبودية و
الالهية فان قيل من استدل بشي على اثبات شي فذلك الشي المستدل به يجب ان يكون مسلما عند الخصم حتى يصح الاستدلال
به وكونه تعالى خالقا للارض في يومين امر لا يمكن اثباته بالعقل المحض وانما يمكن اثباته بالسمع ووحي الانبيا والكفار
كانوا منازعين في الوحي والنبوة فلا يعقل تقرير هذه المقدمة عليهم واذا امتنع تقريرها عليهم امتنع الاستدلال بها
على فساد مذاهبهم قلنا اثبات كون السموات مخلوقة بطريق العقل ممكن فاذا ثبت ذلك امكن الاستدلال به على وجود الاله
القادر القاهر العظيم وحينئذ يقال للكافر كيف يعقل التسوية بين الاله الموصوف بهذه القدرة القاهرة وبين الصنم
الذي هو جماد لا يضر ولا ينفع في المعبودية والالهية فان قيل فحينئذ لا يبقى في هذا الاستدلال لكونه تعالى خالقا للارض
في يومين اثر فنقول هذا ايضا له اثر في الباب وذلك لان التوراة مشتملة على هذا المعنى فكان ذلك في غاية الشهرة بين
اهل الكتاب وكفار مكة كانوا يعتقدون في اهل الكتاب انهم اصحاب العلوم والحقائق والظاهر انهم كانوا قد سمعوا
من اهل الكتاب هذه المعاني واعتقدوا في كونها حقة واذا كان الامر كذلك فحينئذ يحسن ان يقال لهم ان الاله
الموصوف بالقدرة على خلق هذه الاشيا العظيمة في هذه المدة الصغيرة كيف يليق بالعقل جعل الخشبة المنحوتة والحجر
المنحوت شريكا له في المعبودية والالهية فظهر بما قررنا ان هذا الاستدلال قوي حسن واما قوله تعالى ذلك رب العالمين
فذلك الموجود الذي علمت من صفته وقدرته انه خلق الارض في يومين هو رب العالمين وخالقهم ومبدعهم فكيف
اثبتم له اندادا من الخشب والحجر ثم انه تعالى لما اخبر عن كونه خالقا للارض في يومين اخبر انه اتى بثلاثة انواع
من الصنع العجيب والفعل البديع بعد ذلك فالاول قوله وجعل فيها رواسي من فوقها والمراد منها الجبال وقد تقدم
تفسير كونها رواسي في سورة النحل فان قيل ما الفايدة في قوله من فوقها ولم لم يقتصر على قوله وجعل فيها رواسي
كقوله وجعلنا فيها رواسي شامخات وجعلنا في الارض رواسي وجعلنا لها رواسي قلنا لانه تعالى لو جعل
فيها رواسي من تحتها لاوهم ذلك ان تلك الاساطين التحتانية هي التي امسكت هذه الارض الثقيلة عن النزول
ولكنه تعالى خلق هذه الجبال الثقال فوق الارض ليرى الانسان بعينه ان الارض والجبال اثقال على اثقال
وكلها مفتقرة الى ممسك وحافظ وما ذاك الحافظ المدبر الا الله سبحانه وتعالى والنوع الثاني مما اخبر
الله تعالى عنه في هذه الاية قوله وبارك فيها والبركة والخير والخيرات الحاصلة من الارض اكثر مما يحيط به الشرح
والبيان وقد ذكرنا بعضها في سورة البقرة قال ابن عباس يريد شق الانهار وخلق الجبال وخلق
الاشجار والثمار وخلق اصناف الحيوانات وكل ما يحتاج اليه من الخيرات والنوع الثالث قوله تعالى
وقدر فيها اقواتها وفيه اقوال الاول ان المعنى وقدر فيها اقوات اهلها ومعايشهم وما يصلحهم قال محمد بن كعب
قدر اقوات الابدان قبل ان يخلق الابدان والقول الثاني قال مجاهد وقدر فيها اقواتها من المطر وعلى هذا
القول فالاقوات للارض لا للسكان والمعنى ان الله تعالى قدر لكل ارض حظها من المطر والقول الثالث
ان المراد منه اقوات تنسب الى الارض لكونها متولدة في تلك الارض وحادثة فيها لان النحويين قالوا الشي قد يضاف
الى الشي لادنى سبب فالشي قد يضاف الى فاعله تارة والى محله اخرى فقوله وقدر فيها اقواتها اي قدر فيها الاقوات
التي يختص حدوثها بها وذلك لانه تعالى جعل كل بلدة معدنا لنوع اخر من الاشيا المطلوبة حتى ان اهل هذه البلدة
يحتاجون الى الاشيا المتولدة في تلك البلدة وبالعكس فصار هذا المعنى سببا لرغبة الناس في التجارات من اكتساب
الاموال ورايت من كان يقول صنعة الزراعة والحراثة اكثر الحرف والصنايع بركة لان الله تعالى وضع الارزاق
والاقوات في الارض قال وقدر فيها اقواتها واذا كانت الاقوات موضوعة في الارض كان طلبها من الارض متعينا ثم انه
سبحانه لما ذكر هذه الانواع الثلاثة من التدبير قال في اربعة ايام سوا للسائلين وههنا سؤالات السوال الاول
انه تعالى ذكر انه خلق الارض في يومين وذكر انه اصلح هذه الانواع الثلاثة في اربعة ايام وذكر انه خلق السموات في يومين

يكون

يكون المجموع ثمانية ايام لكنه ذكر في سائر الايات انه خلق السموات والارض في ستة ايام فلزم التناقض واعلم
ان العلما اجابوا عنه فقالوا المراد من قوله وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام مع اليومين الاولين وهذا كقول القائل
سرت من البصرة الى بغداد في عشرة ايام والى الكوفة في خمسة عشر يوما اي كلا المسافتين وتقول للرجل
اعطيتك الفا في شهر والوفا في شهرين فيدخل الالف في الالوف والشهر في الشهرين السوال الثاني انه لما ذكر انه
خلق الارض في يومين فلو ذكر انه خلق هذه الانواع الثلاثة الباقية في يومين اخرين كان ابعد عن الشبهة وابعد عن
الغلط فلم ترك هذا التصريح وذكر ذلك الكلام المجمل والجواب ان قوله في اربعة ايام سوا فيه فايدة على ما اذا قال
خلقت هذه الثلاثة في يومين وذلك لانه لو قال خلقت هذه الاشيا في يومين لم يفد هذا الكلام كون اليومين مستغرقين
بتلك الاعمال لانه قد يقال عملت هذا العمل في يومين مع ان اليومين ما كانا مستغرقين بذلك العمل اما لما ذكر خلق
الارض وخلق هذه الاشيا ثم قال في اربعة ايام سوا دل ذلك على ان هذه الايام الاربعة صارت مستغرقة في تلك
الاعمال من غير زيادة ولا نقصان السوال الثالث كيف القراة في قوله سوا الجواب قال صاحب الكشاف
قرئ سوا بالحركات الثلاث الجر على الوصف والنصب على استوت سوا اي استوا والرفع على هي سوا
السوال الرابع ما المراد من كون تلك الايام الاربعة سوا فنقول ان الايام قد تكون متساوية المقادير كالايام الموجودة
فيما تحت خط الاستوا وقد تكون مختلفة كالايام الموجودة في ساير المساكن فبين تعالى ان تلك الايام الاربعة كانت
متساوية غير مختلفة السوال الخامس بم تعلق قوله للسائلين الجواب فيه وجهان الاول قال الزجاج
قوله في اربعة ايام اي في تتمة اربعة ايام اذا عرفت هذا فالتقدير وقدر فيها اقواتها في تتمة اربعة ايام لاجل
السائلين اي الطالبين للاقوات المحتاجين اليها والثاني انه متعلق بمحذوف والتقدير كانه قيل هذا الحصر والبيان
لاجل من سال في كم خلقت الارض وما فيها ولما شرح الله تعالى كيفية تخليق الارض وما فيها اتبعه بكيفية تخليق
السموات فقال ثم استوى الى السما وهي دخان وفيه مباحث البحث الاول قوله تعالى ثم استوى الى السما
من قوله استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلتفت معه الى عمل اخر وهو من الاستوا الذي هو ضد
الاعوجاج ونظيره قولهم استقام اليه وامتد اليه ومنه قوله تعالى فاستقيموا اليه والمعنى ثم دعاه داعي
الحكمة الى خلق السما بعد خلق الارض وما فيها من غير صارف يصرفه عن ذلك البحث الثاني ذكر صاحب
الاثر انه كان عرش الله على الما قبل خلق السموات والارض فاحدث الله في ذلك الما سخونة فارتفع زبد ودخان
اما الزبد فبقي على وجه الما فخلق الله تعالى منه اليبوسة واحدث منه الارض واما الدخان فارتفع
وعلا فخلق الله منه السموات واعلم ان هذه القصة غير موجودة في القران فان دل عليه دليل صحيح قبل
والا فلا وهذه القصة مذكورة في اول الكتاب الذي يزعم اليهود انه التوراة وفيه انه تعالى خلق السما من اجزا
مظلمة وهذا هو المعقول لانا دللنا في المعقولات على ان الظلمة ليست كيفية وجودية بدليل انه لو جلس انسان
في ضو السراج وانسان اخر في الظلمة فان الذي جلس في الضو لا يرى مكان الجالس في الظلمة ويرى ذلك الهوا مظلما
واما الذي جلس في الظلمة فانه يرى ذلك الذي كان جالسا في الضو ويرى ذلك الهوا مضيا ولو كانت الظلمة صفة قايمة
بالهوا لما اختلفت الاحوال بحسب اختلاف احوال الناظرين فثبت ان الظلمة عبارة عن عدم النور فالله سبحانه
لما خلق الاجزا التي لا تتجزى فقبل ان خلق فيها كيفية الضو كانت مظلمة عديمة النور ثم لما ركبها وجعلها
سموات وكواكب وشمسا وقمرا واحدث صفة الضو فيها فحينئذ صارت مستنيرة فثبت ان تلك الاجزا حين
قصد الله تعالى ان يخلق منها السموات والشمس والقمر كانت مظلمة فصح تسميتها بالدخان لانه لا معنى للدخان
الا اجزا متفرقة غير متواصلة عديمة النور فهذا ما خطر بالبال في تفسير الدخان والله اعلم
بحقيقة الحال البحث الثالث قوله ثم استوى الى السما ومن كلمة ثم تقتضي ان يكون خلق السما حصل بعد خلق
الارض وقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها يقتضي ان يكون خلق الارض حصل بعد خلق السما وذلك يوجب التناقض

واختلف العلماء في هذه المسئلة والجواب المشهور ان يقال انه تعالى خلق الارض اولا ثم خلق بعده السماء ثم
بعد خلق السماء دحا الارض وبهذا الطريق يزول التناقض واعلم ان هذا الجواب عندي مشكل من وجوه
الاول انه تعالى بين انه خلق الارض في يومين ثم انه في اليوم الثالث جعل فيها رواسي من فوقها وبارك
فيها وقدر فيها اقواتها وهذه الاحوال لا يمكن ادخالها في الوجود الا بعد ان صارت الارض مدحوة
لان خلق الجبال فيها لا يمكن الا بعد ان صارت الارض منبسطة وبانه تعالى بارك فيها من خلق الاشجار
والنبات والحيوان فيها وذلك لا يمكن الا بعد صيرورتها منبسطة ثم انه تعالى قال بعد ذلك ثم استوى
الى السماء فهذا يقتضي انه تعالى خلق السماء بعد خلق الارض وبعد ان جعلها مدحوة وحينئذ يعود السؤال الذي ذكرتم
السؤال الثاني انه قد دلت الدلائل الهندسية على ان الارض كرة فهي في اول حدوثها ان كانت كرة والان
بقيت كرة ايضا فهي من حين خلقت كانت مدحوة وان قلنا انها ما كانت كرة ثم جعلت كرة فيلزم ان يقال انها كانت
مدحوة قبل ذلك ثم ازيل عنها هذه الصفة وذلك باطل السؤال الثالث ان الارض جسم في غاية العظم
والجسم الذي يكون كذلك فانه من اول دخوله في الوجود يكون مدحوة فالقول بانها كانت غير مدحوة ثم صارت
مدحوة قول باطل والذي جاء في كتب التواريخ ان الارض خلقت في موضع الكعبة بيت المقدس فهو كلام
مشكل لانه ان كان المراد انها على عظمها خلقت في ذلك الموضع فهذا قول بتداخل الاجسام الكثيفة وهو محال
فان كان المراد منه انه خلق اولا اجزاء صغيرة في ذلك الموضع ثم خلق بقية اجزائها واضيفت الى تلك الاجزاء
التي خلقت اولا فهذا ممكن الا انا نقول ان كان خلق الارض متاخرا عن خلق السماء السؤال الرابع انه لما جعل خلق
ذات الارض في يومين وخلق سائر الاشياء الموجودة في الارض في يومين اخرين وخلق السموات في يومين اخرين
كان مجموع ذلك ستة ايام فاذا حصل دحو الارض بعد ذلك فقد حصل هذا الدحو في زمان اخر بعد الايام الستة
فحينئذ يقع خلق السموات والارض في اكثر من ستة ايام وذلك باطل السؤال الخامس انه لا نزاع انه تعالى
بعد هذه الاية ثم قال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها كناية عن ايجاد السماء والارض فلو تقدم ايجاد الارض على ايجاد السماء
لكان قوله ائتيا طوعا او كرها يقتضي ايجاد الموجود وانه محال باطل فهذا تمام البحث عن هذا الجواب المشهور ثم نقل
الواحدي في البسيط عن مقاتل انه قال خلق الله السماء قبل الارض وتاول قوله ثم استوى الى السماء ثم كان قد استوى
الى السماء وهي دخان قبل ان يخلق الارض فاضمر فيه كان كما قال تعالى قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل معناه
ان يكن سرق وقال تعالى وكم من قرية اهلكناها فجاءها بأسنا والمعنى فكان جاءها هذا ما نقله الواحدي
وهو عندي ضعيف لان تقدير الكلام ثم كان قد استوى الى السماء وهذا يقتضي ان كلمة ثم تقتضي التاخر وكلمة
كان تقتضي التقدم والجمع بينهما يفيد التناقض وذلك دليل على انه لا يمكن اجراؤه على ظاهره وقد بينا ان قوله
ائتيا طوعا او كرها انما جعل بعد وجودهما واذا كان الامر كذلك امتنع حمل قوله ائتيا على الامر والتكليف فوجب حمله
على ... ثم على لفظ الاية سؤالات السؤال الاول ما المراد في قوله فقال لها وللارض ائتيا طوعا
او كرها الجواب المقصود منه اظهار كمال القدرة والتقدير ائتيا شئتما ذلك او ابيتما كما يقول الجبار
لمن تحت يده لتفعلن هذا شئت او ابيت ولتفعلنه طوعا او كرها وانتصابهما على الحال بمعنى طائعين او مكرهين
قالتا اتينا على الطوع لا على الكره وقيل انه تعالى ذكر السماء والارض ثم ذكر الطوع والكره فوجب ان ينصرف الطوع الى السماء
والكره الى الارض وتخصيص السماء بالطوع لوجوه احدها ان السماء في دوام حركتها على نهج واحد لا يختلف تشبه حيوانا
مطيعا لله عز وجل بخلاف الارض فانها مختلفة الاحوال تارة تكون في السكون واخرى في الحركات المضطربة وثانيها
ان الموجود في السماء ليس الا الطاعة قال تعالى يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون واما اهل الارض فليس
الامر في حقهم كذلك وثالثها ان السماء موصوفة بكمال الحال في جميع الامور قالوا انها افضل الالوان وهي المستنيرة واشكالها
افضل الاشكال وهي المستديرة ومكانها افضل الامكنة وهو الجزء العالي وسكانها افضل الاجرام وهي الكواكب المتلالئة

كلاف

بخلاف الارض فانها مكان الظلمة والكثافة واختلاف الاحوال وتغير الذات والصفات فلا جرم وقع التعبير عن تكوين
السماء بالطوع وعن تكوين الارض بالكره واذا كان مدار خلق الارض على الكره كان اهلها موصوفين ابدا بالوجل والكرب
والقهر والقسر السؤال الثاني ما المراد من قوله ائتيا من قولهم ائتيا الجواب المراد ائتيا الى الوجود والحصول
وهو كقوله كن فيكون وقيل المعنى ائتيا على ما ينبغي ان تاتيا عليه من الشكل والوصف اي يا ارض كوني مدحوة قرارا
ومهادا لاهلك ويا سماء كوني مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول والوقوع على وفق المراد كما يقال اتى
عمله مرضيا وجاء مقبولا ويجوز ان يكون المعنى لتأت كل واحدة منكما صاحبتها الاتيان الذي تقتضيه الحكمة
والتقدير من كون الارض قرارا للسماء وكون السماء سقفا للارض السؤال الثالث هلا قيل طائعتين على اللفظ
او طائعات على المعنى لانها سموات وارضون الجواب لما جعلن مخاطبات ومجيبات ووصفن بالطوع والكره قيل طائعين
في موضع طائعات نحو قوله ساجدين ومنهم من استدل به على كون السموات احياء والارض حية في جوف السموات انك من المدح
العظيم في صفة الكل ثم هذا استعارة اللفظ الدال على العقل والحياة حالة الا ان هذا اللفظ يبطل احكام المتكلمين
على ... ثم قال تعالى فقضاهن وقضاء الشيء انما هو اتمامه والفراغ منه والضمير في قوله فقضاهن يجوز ان يرجع الى
السماء على المعنى كما قال طائعين وقوله ايجاز نحو خلقهن ويجوز ان يكون ضميرا مبهما مفسرا بسبع سموات والفرق بين
النصبين ان احدهما على الحال والثاني على التمييز ذكر اهل الاثر انه تعالى خلق الارض في يوم الاحد والاثنين وخلق
سائر ما في الارض في يوم الثلثاء والاربعاء وخلق السموات وما فيهن في يوم الخميس والجمعة وفرغ في اخر ساعة من يوم الجمعة
فخلق فيها ادم وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة فان قيل اليوم عبارة عن النهار والليل وذلك انما يحصل بطلوع
الشمس وغروبها فقبل حدوث السموات والشمس والقمر كيف يعقل حصول اليوم قلنا معناه انه مضى من المدة ما لو حصل
هناك فلك وشمس لكان المقدار مقدرا بيوم ثم قال تعالى واوحى في كل سماء امرها قال مقاتل امر في كل سماء
بما اراد وقال قتادة خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وقال السدي خلق في كل سماء خلقها من الملائكة وما فيها من البحار
وجبال البرد وقال [illegible] في كل سماء بيت تحج اليه وتطوف به الملائكة كل واحد منها مقابل الكعبة ولو وقعت منه حصاة
لوقعت على الكعبة والاقرب ان يقال قد ثبت في علم النحو انه يكفي في حسن الاضافة ادنى سبب والله تعالى على اهل كل
سماء تكليفا خاصا فمن الملائكة من هو في القيام من اول خلق العالم الى قيام القيامة ومنهم ركوع لا ينتصبون ومنهم سجود
لا يرفعون واذا كان ذلك الامر مختصا باهل تلك السماء وكان ذلك الامر مختصا بتلك السماء فقوله تعالى واوحى في كل
سماء امرها اي خص كل سماء بالامر المضاف اليه ونظيره ان تقول ضربت اليوم زيدا
ثم ضربت عمرا بالامس وكما ان هذا باطل فكذا ها هنا ذكر ... وانما يجوز تاويل كلام الله بما لا يؤدي الى وقوع التناقض
والركاكة فيه والمختار عندي ان يقال خلق السماء مقدم على خلق الارض بقي ان يقال كيف تاويل هذه الاية فنقول
الخلق ليس عبارة عن التكوين والايجاد والدليل عليه قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب
ثم قال له كن فيكون فهذا محال لانه يلزم انه تعالى قد قال للشيء الذي وجد كن ثم انه يكون وهذا محال فثبت ان الخلق
ليس عبارة عن التكوين وانما هو عبارة عن التقدير والتقدير في حق الله تعالى هو حكمه بانه سيوجده وقضاؤه
بذلك واذا ثبت هذا فنقول قوله خلق الارض في يومين معناه انه قضى بحدوثه في يومين وقضاء الله بانه سيحدث
كذا في مدة كذا لا يقتضي حدوث ذلك الشيء في الحال فقضاء الله تعالى بحدوث الارض في يومين قد تقدم على احداث السماء
ولا يلزم منه تقدم احداث الارض على احداث السماء وحينئذ يزول السؤال فهذا ما وصلت اليه في هذا الموضع المشكل
ثم قال تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين واعلم ان ظاهر هذا الكلام يقتضي ان الله تعالى
امر السماء والارض بالاتيان فاطاعتا وامتثلتا وعند هذا حصل في هذه الاية قولان الاول ان نجري هذه الاية على
ظاهرها ونقول ان الله تعالى امرهما بالاتيان فاطاعتا قال القائلون بهذا القول ليس ذلك مستبعدا الا ترى
ان الله تعالى انطق الجبال مع داود عليه السلام فقال يا جبال اوبي معه والطير والله تعالى تجلى للجبل وقال فلما تجلى ربه للجبل

والله تعالى انطق الايدي والارجل في قوله يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون واذا كان
كذلك فكيف يستبعد ان يخلق الله في ذات السما والارض حيوة وعقلا وفهما ثم يوجه الامر والتكليف عليهما و
يتاكد هذا الاحتمال بوجوه الاول ان الاصل حمل اللفظ على ظاهره الا اذا منع منه مانع وهاهنا لا مانع فوجب
اجراوه على ظاهره الثاني انه تعالى اخبر عنهما فقال قالتا اتينا طايعين وهذا الجمع جمع من يعقل ويعلم
والثالث قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها وهذا يدل على كونها عارفة
بالله مخصوصة بتوجه تكاليف الله عليها والاشكال عليه ان المراد من قوله ائتيا طوعا او كرها الاتيان
الى الوجود والحدوث وعلى هذا التقدير فحال توجه هذا الامر عليهما كانت السموات والارض معدومة اذ لو كانت
موجودة لزم منه ايجاد الموجود وذلك لا يجوز فثبت انه حال توجه هذا الامر عليهما كانتا معدومتين واذا كانتا معدومتين
لم تكونا فاهمتين ولا عارفتين للخطاب فلم يجز توجيه الامر عليهما فان قيل روى مجاهد عن ابن عباس انه قال قال الله
تعالى للسموات اطلعي شمسك وقمرك ونجومك وقال للارض شققي انهارك واخرجي ثمارك فكان الله تعالى
اودع فيهما هذه الاشيا ثم امرهما بابرازها واظهارها فنقول فعلى هذا التقدير لا يكون المراد من قوله ائتيا طايعين
حصولهما في ذاتيهما بل يصير المراد من هذا الامر ان يظهر ما كان مودعا فيهما الا ان هذا الكلام باطل لانه تعالى قال فقضاهن
سبع سموات في يومين والفا للتعقيب وذلك يدل على ان حدوث السموات انما حصل بعد قوله ائتيا طوعا او كرها فهذا احسن ما يمكن
ذكره في هذا البحث القول الثاني ان قوله ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين ليس المراد منه توجيه الامر والتكليف
على السموات والارض بل المراد منه انه اراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما ارادهما وكانتا في ذلك كالمامور المطيع اذا ورد
عليه امر الامر المطاع ونظيره قول القايل قال الجدار للوتد لم تشقني قال الوتد اسال من يدقني فان الحجر الذي
ورائي ما خلاني ورائي واعلم ان هذا عدول عن الظاهر وانما جاز العدول عن الظاهر اذا قام ... واعلم
ان ثبات التكليف فيها مشروط بحصول الفهم منها وهذا يدل على انه تعالى اسكن هذه السموات الملايكة وانه
تعالى امرهم باشيا ونهاهم عن اشيا وليس في الاية ما يدل على انه انما خلق الملايكة مع السموات او انه تعالى خلقهم
قبل السموات ثم انه تعالى اسكنهم فيها وايضا ليس في الاية بيان الشرايع التي امر الملايكة بها ولعلها من اسرار لا يليق
بعقول البشر بل هي اعلى من وصول عقولهم وافهامهم اليها ثم قال وزينا السما الدنيا بمصابيح وهي النيرات
التي خلقها في السموات وخص كل واحد بضوء معين وسر معين وطبيعة معينة لا يعرفها الا الله ثم
قال وحفظا يعني وحفظناها حفظا يعني من الشياطين الذين يسترقون السمع فاعد لكل شيطان
نجما يرميه به ولا يخطيه فمنها ما يحرق ومنها ما يقتل ومنها ما يخبله عن ابن عباس ان اليهود
سالوا الرسول عليه السلم عن خلق السموات والارض فقال خلق الله تعالى الارض يوم الاحد والاثنين وخلق
الجبال والشجر في يوم ... وخلق يوم الخميس السما وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملايكة ثم خلق
ادم عليه السلم واسكنه الجنة ثم قالت اليهود ثم ماذا يا محمد قال ثم استوى على العرش قالوا ثم استراح فغضب
عليه السلم فنزل قوله تعالى وما مسنا من لغوب واعلم انه لما ذكر هذه التفاصيل قال ذلك تقدير العزيز العليم
والعزيز اشارة الى كمال القدرة والعليم اشارة الى كمال العلم وما احسن هذه الخاتمة لان تلك الاعمال لا يمكن الا بقدرة كاملة
وعلم محيط **قوله تعالى** فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم
الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم الا تعبدوا الا الله قالوا لو شا ربنا لانزل ملايكة فانا بما ارسلتم به كافرون فاما عاد فاستكبروا
في الارض بغير الحق وقالوا من اشد منا قوة اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وكانوا باياتنا يجحدون
فارسلنا عليهم ريحا صرصرا في ايام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الاخرة اخزى وهم لا ينصرون
واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ونجينا الذين امنوا
وكانوا يتقون اعلم ان الكلام انما ابتدا من قوله انما الهكم اله واحد واحتج عليه بقوله قل اينكم لتكفرون
بالذي

بالذي خلق الارض في يومين وما يتصل به الى ان الاله الموصوف بهذه القدرة القاهرة كيف يجوز الكفر به وكيف يجوز
جعل هذه الاجسام الخسيسة كالاوثان شركا له في الالهية ولما تمم تلك الحجة قال فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة
عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل وذلك لان وظيفة الحجة قد تمت على اكمل الوجوه فان بقوا مصرين على الجهل لم يبق حينئذ
علاج في حقهم الا انزال العذاب عليهم فلهذا السبب قال فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود يعني ان اعرضوا
عن قبول هذه الحجة القاهرة التي ذكرناها واصروا على الجهل والتقليد فقل انذرتكم والانذار هو التخويف قال
المبرد والصاعقة المبيرة المهلكة لكل شي كان وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود قال صاحب الكشاف و
هي المرة من الصعق ثم قال اذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم وفيه وجهان الاول المعنى ان الرسل المبعوثين
اليهم اتوهم من كل جانب واجتهدوا بهم وانواع الحيل فلم يروا منهم الا العتو والاعراض كما حكى الله تعالى
عن الشيطان لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم يعني لاتينهم من كل جهة ولاعملن فيهم كل حيلة ويقول الرجل استدرت
بفلان من كل جانب فلم يؤثر حيلتي فيه القول الثاني المعنى ان الرسل جاءتهم من قبلهم ومن بعدهم فان قيل
كيف يمكن وصفهم بانهم جاءتهم فلما جاءهم هود وصالح ودعوا الى الايمان بجميع الرسل وبهذا التقدير فكان جميع
الرسل قد جاءوهم ثم قال الا تعبدوا الا الله يعني ان الرسل الذين جاءوهم من بين ايديهم ومن خلفهم امروهم بالتوحيد ونفي الشرك
قال صاحب الكشاف ان في الا تعبدوا الا الله بمعنى اي او مخففة من الثقيلة اصله بانه لا تعبدوا اي بان الشان والحديث
قولنا لكم لا تعبدوا الا الله ثم حكى الله تعالى عن اولئك الكفار انهم قالوا لو شا ربنا لانزل ملايكة يعني انهم كذبوا اولئك الرسل
وقالوا الدليل على كونكم كاذبين ان الله تعالى لو شا ارسال الرسل الى البشر لجعل رسله من زمرة الملايكة لان ارسال الملايكة
الى الخلق اكثر افضا الى المقصود من البعثة والرسالة ولما ذكروا هذه الشبهة قالوا فانا بما ارسلتم به كافرون معناه
فاذا انتم بشر ولستم بملايكة فانتم لستم برسل واذا لم تكونوا من الرسل لم يلزمنا قبول قولكم وهو المراد من قولهم فانا
بما ارسلتم به كافرون واعلم انا بالغنا في الجواب عن هذه الشبهة في سورة الانعام وقوله ارسلتم به ليس باقرار منهم
بكون ذلك الا على سبيل الاستهزا وانما ذكروه حكاية لكلام الرسل او على سبيل الاستهزا كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم
لمجنون روي ان ابا جهل قال في ملا من قريش التبس علينا امر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والسحر والكهانة فكلمه
ثم اتانا ببيان عن امره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والسحر والكهانة وعلمت من ذلك علما وما يخفى علي
فاتاه فقال يا محمد انت خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله فلم تشتم الهتنا وتضللنا فان كنت
تريد الرياسة عقدنا لك اللوا فكنت رئيسنا وان تك بك الباه زوجناك عشر نسوة تختارهن من اي بنات قريش
شئت وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغني به ورسول الله ساكت فلما فرغ قال بسم الله الرحمن الرحيم
الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش
فلما احتبس عنهم قالوا لا نرى عتبة الا قد صبا فانطلقوا اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا انك قد صبات
فغضب واقسم لا يكلم محمدا ابدا ثم قال والله لقد كلمته فاجابني بشي والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة
مثل صاعقة عاد وثمود امسكت بفيه وناشدته بالرحم ولقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل
بكم العذاب واعلم انه تعالى لما بين كفر قوم عاد وثمود على الاجمال بين خاصية كل واحدة من هاتين الطايفتين
فقال فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وهذا الاستكبار فيه وجهان الاول اظهار النخوة والكبر وعدم الالتفات
الى الغير والثاني الاستعلا على الغير واستخدامهم ثم ذكر تعالى سبب ذلك الاستكبار وهو انهم قالوا من اشد منا قوة وكانوا
مخصوصين بكبر الاجسام وشدة القوة ثم انه تعالى ذكر ما يدل على انه لا يجوز لهم ان يغتروا بذلك فقال اولم يروا
ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة يعني انهم وان كانوا اقويا فالزيادة في القوة توجب كون الناقص في طاعة الكامل فهذه المعاملة
توجب عليهم كونهم منقادين لله تعالى خاضعين لاوامره ونواهيه واحتج اصحابنا بهذه الاية على اثبات القدرة لله
تعالى فقالوا القوة هاهنا هي القدرة فقوله الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة يدل على اثبات القوة لله ونقل الكعبي بقوله

ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فان قيل صيغة افعل التفضيل انما تجري بين شيئين لاحدهما الى الاخر نسبة لكن قدرة
العبد متناهية وقدرة الله لا نهاية لها والمتناهي لا نسبة له الى غير المتناهي فما معنى قوله ان الله اشد منهم قوة قلنا
هذا ورد على قانون قولنا الله اكبر ثم قال وكانوا باياتنا يجحدون والمعنى انهم كانوا يعرفون انها حق ولكنهم جحدوها كما
يجحد المودع الوديعة واعلم ان نظم الكلام ان يقال اما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وكانوا باياتنا يجحدون وقوله
اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة اعتراض وقع في البين لتقرير السبب الداعي لهم الى الاستكبار
واعلم انا ذكرنا ان مجامع الخصال الحميدة الاحسان الى الخلق والتعظيم للخالق فقوله استكبروا في الارض بغير الحق
مضادة للاحسان الى الخلق وقوله وكانوا باياتنا يجحدون مضادة للتعظيم للخالق واذا كان الامر كذلك فهم قد بلغوا في الصفات
المذمومة الموجبة للهلاك الى الغاية القصوى فلهذا المعنى سلط الله العذاب عليهم فقال فارسلنا عليهم ريحا
صرصرا وفي الصرصر قولان احدهما انها العاصفة التي تصرصر اي تصوت في هبوبها وفي علة هذه التسمية وجوه [illegible] الرياح
اشد هبوبها يسمع صوت يشبه لفظ الصرصر وهي المحكية عنه قوله تعالى فاقبلت امراته في صرة والقول الثاني
انها الباردة تحرق ببردها كما تحرق النار بحرها واصلها صر من الصر وهو البرد قال تعالى فاصابه صر وروي عن عبد الله
ان الرياح ثمان اربع منها عذاب وهي العاصف والصرصر والعاصف والعقيم واربع منها رحمة الناشرات والمبشرات
والمرسلات والذاريات وعن ابن عباس ان الله تعالى ما ارسل على عباده من الريح الا قدر خاتمي والمقصود انه مع قلته
اهلك الكل وذلك يدل على كمال قدرة الله واما قوله في ايام نحسات ففيه مسائل المسالة الاولى قرا نافع وابن كثير
وابو عمرو نحسات بسكون الحاء والباقون بكسر الحاء قال صاحب الكشاف نحس نحسا نقيض سعد سعدا
وهو نحس واما نحس فاما مخفف نحس او صفة على فعل او وصف بمصدر المسالة الثانية استدل الاحكاميون من المنجمين
بهذه الاية على ان بعض الايام قد يكون نحسا وبعضها قد يكون سعدا وقالوا هذه الاية صريحة في هذا المعنى اجاب المتكلمون
وقالوا ايام نحسات اي ذات غبار وتراب ثائر لا يكاد يبصر فيه ويتصرف وايضا قالوا معنى كون هذه الايام
نحسات ان الله اهلكهم فيها اجاب المستدل بان النحسات في وضع اللغة هي المشئومات لان النحس نقيض
السعد والغبار الكدر يقابله الصافي واجابوا عن السؤال الثاني انه تعالى اخبر عن ايقاع ذلك العذاب في تلك
الايام النحسات فوجب ان يكون كون تلك الايام نحسة مغايرا لذلك العذاب الذي وقع فيها ثم قال تعالى لنذيقهم عذاب
الخزي في الحياة الدنيا اي عذاب الهوان والذل والسبب انهم استكبروا فقابل الله تعالى ذلك الاستكبار بارسال
الخزي والهوان والذل عليهم ثم قال تعالى ولعذاب الاخرة اخزى اي اشد اهانة وخزيا وهم لا ينصرون اي انهم
يقعون في الخزي الشديد ولا يكون لهم ناصر يدفع ذلك الخزي عنهم ولما ذكر الله تعالى قصة عاد اتبعه
بقصة ثمود فقال واما ثمود فهديناهم قال صاحب الكشاف وقرئ ثمود بالرفع والنصب منونا وغير منون والرفع
افصح لوقوعه بعد حرف الابتداء وقرئ بضم الثاء فهديناهم اي دللناهم على طريق الخير والشر فاستحبوا العمى
على الهدى اي فاختاروا الدخول في الضلالة على الدخول في الرشد واعلم ان صاحب الكشاف ذكر في تفسير
الهدى في قوله تعالى هدى للمتقين ان الهدى عبارة عن الدلالة الموصلة الى البغية وهذه الاية تبطل قوله لانه يدل على ان
الهدى قد يحصل مع ان الاهتداء الى البغية لم يحصل فثبت ان قيد كونه مفضيا الى البغية غير معتبر في اسم الهدى وقد
ذكر في هذه الاية سؤالا يشعر بذلك لما انه لم يذكر جوابا شافيا في كتابه قالت المعتزلة هذه الاية دالة
على ان الله تعالى ينصب الدلائل ويزيح الاعذار والعلل الا ان الايمان يحصل من العبد لان قوله واما ثمود فهديناهم
يدل على انه تعالى نصب لهم الدلائل وقوله فاستحبوا العمى على الهدى يدل على انهم من عند انفسهم اتوا بذلك العمى
وهذا يدل على ان الكفر والايمان يحصلان من العبد والجواب بل هذه الاية من ادل الدلائل على انهما يحصلان بالله
وبيانه من وجهين الاول انه انما صدر عنهم ذلك العمى لانهم احبوا تحصيله فلم وقع في قلبهم هذه المحبة دون محبة
ضده فان حصل هذا الترجيح لا لمرجح فهو باطل وان كان المرجح من العبد عاد الطلب وان كان المرجح من الله فقد حصل

المطلوب

المطلوب الثاني انه تعالى قال فاستحبوا العمى على الهدى ومن المعلوم بالضرورة ان احدا لا يحب العمى والجهل لكونه
عمى وجهلا بل ما لم يعتقد في ذلك العمى والجهل كونه تبصرا وعلما لا يرغب فيه فاقدامه على اختيار ذلك الجهل لا بد وان يكون
مسبوقا بجهل اخر وان كان ذلك الجهل الثاني باختياره ايضا لزم التسلسل وهو محال فلا بد من انتهاء تلك الجهالات الى
جهل يحصل فيه لا باختياره وهو المطلوب ثم قال تعالى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون وصاعقة العذاب
الداهية العذاب والهون الهوان وصف به العذاب مبالغة او ابدل منه بما كانوا يكسبون يريد من شركهم
وتكذيبهم صالحا وعقرهم الناقة ذكر صاحب الكشاف هاهنا سفاهة عظيمة والاولى ان لا يلتفت اليه وان كان
قد سعى سعيا حسنا فيما يتعلق بالالفاظ الا ان المسكين كان بعيدا عن المعاني ولما ذكر الله الوعيد اردفه بالوعد
فقال ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون يعني وكانوا يتقون الاعمال التي كان ياتي بها قوم عاد وثمود فان قيل
كيف يجوز للرسول عليه السلام ان ينذر قومه مثل صاعقة عاد وثمود مع العلم بان ذلك لا يقع على امة محمد عليه السلام
وقد صرح الله تعالى بذلك في قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وجاء في الاحاديث الصحيحة ان الله تعالى
رفع عن هذه الامة هذه الانواع من الافات قلنا انهم لما عرفوا كونهم مشاركين لعاد وثمود في استحقاق
مثل العذاب جوزوا حدوث ما يكون من جنس ذلك وان كان اقل درجة منهم وهذا القدر يكفي في التخويف

قوله تعالى ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون حتى اذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم
وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء وهو
خلقكم اول مرة واليه ترجعون وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن
ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين فان يصبروا
فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا فما هم من المعتبين واعلم انه تعالى لما بين كيفية عقوبة اولئك الكفار
في الدنيا اردفه بكيفية عقوبتهم في الاخرة ليحصل منه تمام الاعتبار في الزجر والتحذير قرا نافع نحشر بالنون
اعداء بالنصب اضاف الحشر الى نفسه والتقدير يحشر الله عز وجل اعداء الله الكفار من الاولين والاخرين وحجته
انه معطوف على قوله ونجينا فيحسن ان يكون على وفق ما قبله من اللفظ ويقويه قوله يوم نحشر المتقين وحشرناهم
واما الباقون فقرءوا على فعل ما لم يسم فاعله لان قصة ثمود قد تمت وقوله ويوم يحشر ابتداء كلام اخر وايضا
الحاشرون لهم هم المامورون بقوله احشروا وهم الملائكة وايضا ان هذه القراءة موافقة لقوله فهم يوزعون
وايضا فتقدير القراءة الاولى ان الله تعالى قال ويوم نحشر اعداء الله الى النار وكان الاولى على هذا
التقدير ان يقال ويوم نحشر اعداءنا الى النار واعلم انه تعالى لما ذكر ان اعداء الله يحشرون الى النار قال
فهم يوزعون اي يحبس اولهم على اخرهم اي يوقف سوابقهم حتى يصل اليهم تواليهم والمقصود بيان انهم اذا
اجتمعوا سئلوا عن اعمالهم ثم قال حتى اذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم وفيه مسائل
المسالة الاولى التقدير حتى اذا جاءوها شهد عليهم سمعهم وابصارهم فعلى هذا التقدير تكون ما صلة وقيل
فائدتها زيادة التوكيد اي عند مجيئهم لا بد وان تحصل هذه الشهادة كقوله اثم اذا ما وقع امنتم به اي لا بد لوقت
وقوعه من ان تكونوا مؤمنين به المسالة الثانية روي ان العبد يقول يوم القيامة يا رب الست وعدتني
ان لا تظلمني فيقول الله تعالى فان لك ذلك فيقول العبد اني لا اقبل علي شاهدا الا من نفسي فيختم الله على فيه
وتنطق اعضاؤه بالاعمال التي صدرت منه فذلك قوله شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم واختلف الناس في كيفية
تلك الشهادة وفيه ثلاثة اقوال الاول انه تعالى يخلق الفهم والقدرة والنطق فيها فتشهد كما يشهد الرجل على ما يعرفه والثاني
انه تعالى يخلق في تلك الاعضاء الاصوات والحروف الدالة على تلك المعاني كما خلق الكلام في الشجرة والثالث
ان يظهر في تلك الاعضاء احوال تدل على صدور تلك الاعمال من ذلك الانسان وتلك الامارات تسمى شهادات كما يقال
تشهد هذا العالم بتغيراته على حدوثه واعلم ان هذه المسالة صعبة على المعتزلة اما القول الاول

مطلب [illegible]

فائدة

فهو يبعد على هذا بعينهم ان البنية عندهم شرط لحصول العقل والقدرة فالجسم كونه لسانا شرط لان يكون محلا للعلم والعقل فان عني الله تعالى تلك البنية والصورة خرج عن كونه لسانا وجلدا ويدا وظاهر القرآن يدل على ان خالق تلك الشهادات هي السمع والبصر والجلود ولم يقل ان الله تعالى خلق فيه هذه الاعضاء يشهد عليها كونها عالمة ناطقة فاجاب [illegible] القول الثاني [illegible] ان الله تعالى خلق هذه الاصوات والحروف في تلك الاعضاء وهذا ايضا باطل على اصول المعتزلة لان مذهبهم ان المتكلم هو الذي فعل الكلام لا الذي كان موصوفا بالكلام فانهم يقولون ان الله تعالى خلق الكلام في الشجرة وكان المتكلم بذلك الكلام هو الله تعالى لا الشجرة فهاهنا لو قلنا ان الله خلق الاصوات والحروف في هذه الاعضاء لزم ان يكون الشاهد هو الله تعالى لا تلك الاعضاء ولزم ان يكون المتكلم بذلك الكلام هو الله تعالى لا تلك الاعضاء وظاهر القرآن يدل على ان تلك الشهادة صدرت من تلك الاعضاء لا من الله تعالى لانه تعالى قال شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم وايضا انهم قالوا لتلك الاعضاء لم شهدتم علينا فقالت الاعضاء انطقنا الله الذي انطق كل شيء وكل هذه الايات دالة على ان المتكلم بتلك الكلمات هو تلك الاعضاء وان تلك الكلمات ليست كلام الله تعالى فهذا توجيه الاشكال على هذين القولين واما القول الثالث فهو تفسير هذه الشهادة بظهور امارات مخصوصة على هذه الاعضاء دالة على صدور تلك الاعمال منهم فهذا عدول عن الحقيقة الى المجاز ولم يفعل عليه فهذا منتهى الكلام في هذا البحث اما على مذهبنا فهذا الاشكال عنا زائل لان عندنا البنية ليست شرطا للحياة ولا للعلم ولا للقدرة فالله تعالى قادر على خلق العقل والقدرة والنطق في كل جزء من اجزاء هذه الاعضاء وعلى هذا التقدير فالاشكال زائل وهذه الاية يحسن التمسك بها في بيان ان البنية ليست شرطا للحياة وان الشيء من الاعضاء [illegible] بالحياة والله اعلم المسالة الثانية [illegible] للمعترض في تخصيص هذه الاعضاء الثلاثة بالذكر سببا وفايدة [illegible] ان الحواس خمس السمع والبصر والشم والذوق واللمس [illegible] ان آلة اللمس هي الجلد فالله ذكر هنا ثلثة انواع من الحواس وهي السمع والبصر واللمس واهمل ذكر نوعين وهما الذوق والشم الاول الذوق داخل في اللمس من بعض الوجوه لان ادراك الذوق انما يتأتى بان تصير جلدة اللسان والحنك ماسة لجرم الطعام فكان هذا داخلا فيه بقي حس الشم وهو حس ضعيف في الانسان وليس لله فيه تكليف ولا امر ولا نهي اذا عرفت هذا فنقول نقل عن ابن عباس انه قال المراد من شهادة الجلود شهادة الفروج قال وهذا من باب الكنايات كما قال ولا تواعدوهن سرا واراد النكاح وقال او جاء احد منكم من الغائط والمراد قضاء الحاجة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اول من يتكلم من الادمي فخذه وكفه وعلى هذا التقدير فتكون هذه الاية وعيدا شديدا في الاتيان بالزنا لان مقدمة الزنا انما تحصل بالكف ونهاية الامر فيها انما تحصل بالفخذ ثم حكى الله عنهم انهم يقولون لتلك الاعضاء لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون ومعناه ان القادر على خلقكم وانطاقكم في المرة الاولى حال ما كنتم في الدنيا ثم على خلقكم وانطاقكم في المرة الثانية وهي حال القيامة والبعث كيف يستبعد منه انطاق الجوارح والاعضاء ثم قال تعالى وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم والمعنى انكم كنتم تستترون عند الاقدام على الاعمال القبيحة لان استتاركم ما كان لاجل خوفكم من ان يشهد عليكم سمعكم وابصاركم وجلودكم وذلك لانهم كانوا منكرين للبعث والقيامة ولكن ذلك الاستتار لاجل انهم كانوا يظنون ان الله لا يعلم الاعمال التي يقدمون عليها بسبيل الخفية ولا استتار عن ابن مسعود قال كنت مستترا باستار الكعبة فدخل ثلثة نفر ثقفيان وقرشي فقال بعضهم اترون ان الله يسمع ما نقول فقال الرجلان اذا سمعنا اصواتنا سمع والا لم يسمع فذكرت ذلك للرسول عليه السلام فنزل وما كنتم تستترون ثم قال تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين وهذا نص صريح في ان من ظن بالله انه يخرج شيء من المعلومات عن علمه فانه يكون من الهالكين الخاسرين قال اهل التحقيق الظن قسمان ظن حسن بالله تعالى وظن فاسد اما الظن الحسن فهو ان يظن به الرحمة والفضل قال عليه السلام حكاية عن الله عز وجل انا عند ظن عبدي بي وقال عليه السلام لا يموتن احدكم الا

وهو

وهو حسن الظن بالله وظن قبيح فاسد وهو ان يظن به تعالى ان يعزب عن علمه بعض هذه الاحوال وقال قتادة الظن نوعان منج ومرد فالمنجي قوله اني ظننت اني ملاق حسابيه وقوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم واما الظن المردي فهو قوله وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم قال صاحب الكشاف ذلكم رفع بالابتدا وظنكم ارداكم خبران ويجوز ان يكون ظنكم بدلا من ذلكم وارداكم الخبر ثم قال فان يصبروا فالنار مثوى لهم يعني ان امسكوا عن الاستغاثة لفرج ينتظرونه لم يجدوا ذلك وتكون النار مثوى لهم اي مقاما لهم وان يستعتبوا فما هم من المعتبين قال صاحب الصحاح [illegible] اي يسترضوا فما هم من المعتبين اي [illegible] ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون [illegible] لا سبيل لهم الى ذلك

قوله تعالى وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم اسوأ الذي كانوا يعملون ذلك جزاء اعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون وقال الذين كفروا ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين

اعلم انه تعالى لما ذكر الوعيد الشديد في الدنيا والاخرة على كفر اولئك الكفار اردفه بذكر السبب الذي لاجله وقعوا في ذلك الكفر فقال وقيضنا لهم قرناء وفيه مسايل المسالة الاولى قال صاحب الصحاح يقال قيضت الرجل [illegible] المعاوضة [illegible] وهما قيضان كما يقال بيعان وقيض الله فلانا لفلان اي جاءه به واتاحه له ثم قال تعالى وقيضنا لهم قرناء المسالة الثانية احتج اصحابنا بهذه الاية على انه تعالى يريد الكفر من الكافر فقالوا انه تعالى ذكر انه قيض لهم اولئك القرناء وكان عالما بانه متى قيض لهم اولئك القرناء فانهم يزينون الباطل لهم وكل من فعل فعلا وعلم ان ذلك الفعل يفضي الى اثر لا محالة فان فاعل ذلك الفعل لا بد ان يكون مريدا لذلك الاثر فثبت انه تعالى لما قيض لهم قرناء فقد اراد منهم ذلك الكفر اجاب الجبائي عنه بانه لو اراد المعاصي لكانوا بفعلها مطيعين لان الفاعل لما اراده غيره يجب ان يكون مطيعا له ولان قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون يدل على انه لم يرد منهم الا العبادة بين انه تعالى لم يرد منهم المعاصي واما هذه الاية فنقول انه تعالى احوج كل احد الى الاخر من جنسه فيتفق احد الزوجين للاخر والغني للفقير والفقير للغني ثم ان بعضهم يزين المعاصي للبعض واعلم ان وجه الاستدلال ما ذكرناه وهو ان من فعل فعلا وعلم انه لا بد وان يفضي ذلك الفعل بعينه الى اثر فاعل ذلك الفعل لا بد ان يكون مريدا لذلك الاثر فها هنا الله تعالى قيض اولئك القرناء لهم وعلم انه متى قيض لهم اولئك القرناء لهم فانهم يقعون في الكفر والضلال وما ذكره الجبائي لا يدفع ذلك وقوله لو اراد الله منهم المعاصي لكانوا بفعلها مطيعين لله تعالى فنقول لو كان من فعل ما اراده غيره مطيعا له لوجب ان يكون الله مطيعا لعباده اذا فعل ما ارادوه ومعلوم انه باطل وايضا فهذا الالزام لفظي لانه [illegible] بالطاعة انه فعل ارادة [illegible] هذا الالزام [illegible] على نفسه [illegible] عنه فلا بد من بيانه حتى ينظر فيه انه هل يصح ام لا المسالة الثالثة اختلفوا في المراد بقوله فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم وذكر الزجاج فيه وجهين الاول زينوا لهم ما بين ايديهم من امر الاخرة انه لا بعث ولا جنة ولا نار وما خلفهم من امر الدنيا فزينوا لهم الدنيا وشهواتها وانه لا صانع [illegible] الا الطبائع والافلاك الثاني زينوا لهم اعمالهم التي يعملونها ما بين ايديهم وما خلفهم ما يعزمون ان يعملوه وعن ابن عباس [illegible] زينوا لهم ما مضى من اعمالهم الخبيثة ثم قال تعالى وحق عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين قوله في امم في محل النصب على الحال من الضمير في عليهم والتقدير حق عليهم القول حال كونهم كائنين في جملة امم من المعذبين انهم كانوا خاسرين واحتج اصحابنا ايضا بانه تعالى اخبر انه حق عليهم القول فلو لم يكونوا كفارا لانقلب هذا القول الحق باطلا وهذا العلم جهلا وهذا الخبر الصدق كذبا وكل ذلك محال ومستلزم المحال محال فثبت ان صدور الايمان عنهم وعدم صدور الكفر عنهم محال واعلم ان الكلام في اول السورة ابتدا من قوله وقالوا قلوبنا في اكنة

تما دعوا اليه المتوله فاعمال الناعما الموت فاجاب الله عن تلك الشبهه بوجوه من الاجوبه وانتقل الكلام بعضه بالبعض الى هذا الموضع
ثم انه تعالى حكى عنهم شبهة اخرى فقال وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون قال صاحب الكشاف قرى
والغوا فيه بفتح الغين وضمها يقال لغى يلغى ولغا يلغو واللغو الساقط من الكلام الذي لا طائل تحته واعلم ان القوم علموا ان القران كلام
كامل في المعنى وفي اللفظ وانه من سمعه ووقف على جزالة الفاظه واحاط عقله بمعانيه قضى عقله بانه كلام حق وانه واجب القبول
فدبروا تدبيرا في منع الناس عن استماعه فقال بعضهم لبعض لا تسمعوا لهذا القران اذا قرئ وتشاغلوا عند قراءته برفع الصوت
بالخرافات والاشعار الفاسدة والكلمات الباطلة حتى تخلطوا على القارئ وتشوشوا عليه وتغلبوه على قراءته كانت قريش
يوصي بذلك بعضهم بعضا والمراد وتعلوه عند تلاوة القرآن بالكلام الباطل لتخرجوا قراءته عن ان تصير مفهومة للناس
فبهذا الطريق تغلبون محمدا وهذا جهل منهم لانهم في الحال اقروا بانهم مشتغلون باللغو والباطل من العمل والله تعالى ينصر محمدا
بفضله ولما ذكر الله تعالى ذلك هددهم بالعذاب الشديد فقال فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا وفيه تهديد شديد
لان لفظ الذوق انما يذكر في القدر القليل الذي يؤتى به لاجل التجربة ثم انه تعالى ذكر ان ذلك الذوق عذاب شديد فاذا
كان القليل منه عذابا شديدا فكيف يكون حال الكثير منه ثم قال ولنجزينهم اسوا الذي كانوا يعملون واختلفوا
فيه فقال الاكثرون المراد جزاء اسوا اعمالهم وقال الحسن بل المراد انه لا يجازيهم على محاسن اعمالهم لانهم احبطوها بالكفر
فضاعت تلك الاعمال الحسنة عنهم ولم يبق معهم الا الاعمال القبيحة الباطلة فلا جرم لم يحصلوا الا على جزاء السيئات ثم قال
تعالى ذلك جزاء اعداء الله النار والمعنى انه تعالى لما قال ولنجزينهم اسوا الذي كانوا يعملون بين ان
ذلك الاسوا الذي جعل جزاء اعداء الله هو النار ثم قال لهم فيها دار الخلد اي لهم في جملة النار دار معينة وهي دار العذاب
المخلد لهم جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون اي جزاء بما كانوا يلغون في القراءة وانما سماه جحودا لانهم لما علموا ان القران
بالغ الى حد الاعجاز خافوا من انه لو سمعه الناس لامنوا به فاستخرجوا تلك الطريقة الفاسدة وذلك يدل على انهم علموا
كونه معجزا الا انهم جحدوا للحسد ثم اعلم انه تعالى لما بين ان الذي حملهم على الكفر الموجب للعقاب الشديد مجالسة قرناء
السوء بين ان الكفار عند الوقوع في العذاب الشديد يقولون ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس والسبب في ذكر هذين
القسمين ان الشيطان على ضربين جني وانسي قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن وقال الذي يوسوس
في صدور الناس من الجنة والناس وقيل هما ابليس وقابيل لان الكفر سنه ابليس والقتل بغير حق سنه قابيل وقرئ ارنا
بسكون الراء لثقل الكسرة كما قالوا في فخذ فخذ وقيل معناه اعطنا اللذين اضلانا وحكوا عن الخليل انك اذا قلت ارني
ثوبك بالكسر فالمعنى بصرنيه واذا قلته بالسكون فهو استعطاء معناه اعطني ثوبك ثم قال تعالى نجعلهما تحت اقدامنا
فانتقم منهما باسفل مكان في النار ليكونا من الاسفلين وقال الزجاج ليكونا في الدرك الاسفل من النار وذكر بعض
الحكماء ان المراد باللذين يضلان الشهوة والغضب واليهما الاشارة في قصة الملائكة بقوله
اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ثم قالوا ربنا ارنا اللذين اضلانا نجعلهما تحت اقدامنا يعني يا ربنا اعنا حتى نجعل
الشهوة والغضب تحت اقدام جوهر النفس القدسية والمراد بكونهما تحت اقدامها كونهما مسخرين للنفس القدسية
مطيعين لها ... قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الاخرة ولكم
فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم اعلم انه تعالى لما اطنب في الوعيد اردفه بهذا الوعد
الشريف وهذا هو الترتيب المعتبر في كل القران وقد ذكرنا مرارا ان الكمالات على اقسام النفسانية والبدنية و
الخارجية واشرفها النفسانية واوسطها البدنية وادونها الخارجية وذكرنا ان الكمالات النفسانية محصورة
في نوعين العلم اليقيني والعمل الصالح فاهل التحقيق قالوا كمال الانسان في ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل
به وراس المعارف اليقينية ومبدؤها معرفة الله واليه الاشارة بقوله ان الذين قالوا ربنا الله وراس الاعمال الصالحة
ورئيسها ان يكون الانسان مستقيما في الوسط غير مائل الى طرفي الافراط والتفريط كما قال وكذلك جعلناكم امة وسطا

وقال

وبالجملة فهذا هو الصراط المستقيم واليه الاشارة في هذه الاية بقوله ثم استقاموا وسمعت ان القارى قرا في مجلس العبادي
المذكر هذه الاية فقال العبادي القيام في القيامة بقدر الاستقامة اذا عرفت هذا فنقول قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله
ليس المراد منه القول باللسان فقط لانه لا يفيد الاستقامة ثم لما ذكر عقيب ذلك القول الاستقامة علمنا ان ذلك القول كان مقرونا بالسكينة
التامة والمعرفة الحقيقية اذا عرفت هذا فنقول قوله ثم استقاموا يحتمل ان يكون المراد منه الاستقامة في الدين والتوحيد والمعرفة وان يكون
المراد منه الاستقامة في الاعمال الصالحة اما على القول الاول ففيه عبارات قال ابو بكر الصديق ثم استقاموا ثم لم يلتفتوا الى غيره
وقال ابن عباس في بعض الروايات هذه الاية نزلت في ابي بكر وذلك ان المشركين قالوا ربنا الله والملائكة بناته
وما سقط عن دينه البتة عند فتنة وكان يقول ربنا الله وبقي مستقيما عليه ولم يتغير ... ثابت ...
مكتفيه رجوع احد وذلك لان من اثبت ان لهذا العالم الها ينبغي له مقامات فاول ان لا يتوغل في جانب النفي الى حيث ينتهي
الى التعطيل ولا يتوغل في جانب الاثبات الى حيث ينتهي الى التشبيه بل يبقى على الخط المستقيم الفاصل بين التشبيه و
التعطيل وايضا يجب ان يبقى على الخط المستقيم الفاصل بين الجبر والقدر وكذا في الرجاء والقنوط يجب ان يبقى على الخط المستقيم فهذا
معنى الاستقامة في قوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا واما على القول الثاني فحمل الاستقامة على الاتيان بالاعمال الصالحة
فنقل عن جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين ... حتى يحمل قوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا على الفرائض و
العبادات ويحمل قوله ثم استقاموا على اداء الاعمال الصالحة ثم قال تتنزل عليهم الملائكة قيل عند الموت وقيل في مواقف ثلاثة
في القبر وعند البعث الا تخافوا ان بمعنى اي او مخففة من الثقيلة واصله بانه لا تخافوا والهاء ضمير الشان
واعلم ان الغاية القصوى في رعاية المصالح دفع المضار وجلب المنافع ومعلوم ان دفع المضرة اولى بالرعاية من جلب
المنفعة والمضرة اما ان تكون حاصلة في المستقبل او كانت حاصلة في الماضي وههنا دقيقة عقلية وهي ان المستقبل يصير
على ... الحاضر ... على الماضي [illegible]
[illegible] المستقبل في كل ساعة ... والماضي في كل حالة [illegible]
[illegible] فالمضار التي يتوقع حصولها في المستقبل
اولى بالدفع من الغمات الماضية واعلم ان الخوف عبارة عن تالم القلب بسبب توقع حصول الم في المستقبل والحزن عبارة عن
تالم القلب بسبب فوات نفع كان موجودا في الماضي واذا كان كذلك فقوله لا تخافوا يفيد نفي الخوف ولا تحزنوا يفيد نفي الحزن الحاصل بسبب الم اذا ثبت
هذا فنقول انه تعالى حكى عن الملائكة انهم في ذلك الوقت يخبرونه بانه لا خوف عليكم بسبب ما تستقبلونه من احوال القيامة ثم يخبرونه
بانه لا حزن عليكم بسبب ما فاتكم من احوال الدنيا فبعد حصول هذين الامرين فقد زالت الغمات والمتاعب بالكلية ثم بعد
النزاع منه بشروه بحصول المنافع وهو قوله وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون فان قيل البشارة عبارة عن الخبر الاول
بحصول المنافع فاما اذا اخبر الرجل بحصول منفعة ثم اخبره ثانيا بحصولها كان الاخبار الثاني اخبارا ولا يكون بشارة والمؤمن
قد سمع بشارات الخير فاذا سمع هذا الخبر من الملائكة وجب ان يكون هذا اخبارا ولا يكون بشارة فما السبب في تسمية هذا الخبر
بالبشارة قلنا المؤمن يسمع ان من كان مؤمنا تقيا كان له الجنة اما انه لم يسمع البتة انه من اهل الجنة فاذا سمع هذا الكلام
من الملائكة كان هذا اخبارا بنفع عظيم مع انه هو الخبر الاول بذلك فكان ذلك بشارة واعلم ان هذا الكلام يدل
على ان المؤمن عند الموت وفي القبر وعند البعث لا يكون فازعا من الاهوال ومن الفزع الشديد بل يكون امن القلب ساكن الصدر
لان قوله الا تخافوا ولا تحزنوا يفيد نفي الخوف والحزن على الاطلاق ثم انه تعالى اخبر عن الملائكة انهم قالوا للمؤمنين نحن اولياؤكم
في الحياة الدنيا وفي الاخرة وهذا في مقابلة ما ذكره في وعيد الكفار حيث قال وقيضنا لهم قرناء ومعنى كونهم اولياء للمؤمنين ان
للملائكة تاثيرات في الارواح البشرية بالالهامات والمكاشفات اليقينية والمقامات الحقيقية كما ان للشياطين تاثيرات في الارواح
بالقاء الوساوس فيها وتخييل الاباطيل اليها وبالجملة فكون الملائكة اولياء للارواح الطيبة الطاهرة وذلك حاصل من جهات
كثيرة معلومة لارباب المكاشفات والمشاهدات فهم يقولون كما ان تلك الولاية كانت حاصلة في الدنيا فهي تكون باقية
في الاخرة فان تلك العلائق ذاتية لازمة غير قابلة للزوال بل كانها تصير بعد الموت اقوى وابقى وذلك لان جوهر النفس

من جنس الملائكة وهي كالشعلة بالنسبة الى الشمس والقطرة بالنسبة الى البحر والعلقات الجسدانية هي التي تحول بينها
وبين الملائكة كما قال عليه السلام لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى ملكوت السموات فاذا زالت العلائق
الجسمانية والتدبيرات البدنية فقد زال الغطا والوطا فيتصل الاثر بالموثر والقطرة بالبحر والشعلة بالشمس فهذا
هو المراد من قوله نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا وفي الاخرة ثم قال ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون قال ابن عباس
قوله ولكم فيها ما تدعون اي ما تتمنون كقوله لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون فان قيل فعلى هذا التفسير لا يبقى فرق
بين قوله ولكم فيها ما تشتهي انفسكم وبين قوله ولكم فيها ما تدعون قلنا الاقرب عندي ان قوله ولكم فيها ما تشتهي انفسكم
اشارة الى الجنة الجسمانية وقوله ولكم فيها ما تدعون اشارة الى الجنة الروحانية المذكورة في قوله دعويهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم
فيها سلام وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين ثم قال نزلا من غفور رحيم والنزل رزق النزيل وهو الضيف
وانتصابه على الحال والمعنى ان هذه الاشياء المذكورة جارية مجرى النزل والكريم
اذا اعطى النزل فلا تسال عما بعده من الخلع النفيسة والتشريفات العالية وهي السعادات الحاصلة عند الرويه
والتجلي والكشف التام نسال الله تعالى ان يجعلنا اهلا لها بفضله

قوله تعالى ومن احسن

قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي
بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم واما ينزغنك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم في الايه مسايل المسئلة الاولى انا ذكرنا ان الكلام من اول هذه السورة
الى هنا اخذ في الرد على الذين اعرضوا وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر وقالوا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه وانه سبحانه ذكر الاجوبة الشافية والبيانات
الكافية في دفع هذه الشبهات وازالة هذه الضلالات ثم انه سبحانه بين ان القوم وان اتوا بهذه
الكلمات الفاسدة الا انه يجب عليك المواظبة على التبليغ والدعوة فان الدعوة الى الدين الحق اكمل
الطاعات فعبر عن هذا المعنى فقال ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل
صالحا وقال انني من المسلمين فهذا وجه شريف حسن في نظم ايات هذه السورة ومنهم من
وجه النظم بان السعادات اما ان تكون تامة او فوق التام فاما التامة فهو ان يكتسب من الصفات الفاضلة
ما لاجله يصير كاملا في ذاته فاذا فرغ من هذه الدرجة اشتغل بعدها بتكميل الناقصين وهو فوق التام
اذا عرفت هذا فنقول ان قوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا اشارة الى المرتبة الاولى و
هي اكتساب الاحوال التي تفيد كمال النفس في جوهرها فاذا حصل الفراغ عن هذه المرتبة وجب
الانتقال الى المرتبة الثانية وهي الاشتغال بتكميل الناقصين وذلك انما يكون بدعوة الخلق الى
الدين الحق وهو المراد من قوله ومن احسن قولا ممن دعا الى الله فهذا ايضا وجه حسن في نظم هذه الايات
واعلم ان من اتاه الله في حكمته قوته ونظر في اقسام العلوم الحقيقية الكشفية عرف ان هذا الترتيب احسن
من كل ترتيب يمكن ذكره للعاقل المسئلة الثانية من الناس من قال المراد من قوله ومن احسن قولا ممن دعا الى الله
هو الرسول عليه السلام ومنهم من قال هم المؤذنون والحق المقطوع به ان كل من دعا الى الله بطريق من الطرق
فهو داخل فيه وللدعوة الى الله مراتب فالمرتبة الاولى دعوة الانبيا عليهم السلام ودعوتهم راجحة على
دعوة غيرهم من وجوه احدها انهم جمعوا في الدعوة بين الحجة اولا ثم الدعوة بالسيف ثانيا وقلما يتفق لغيرهم الجمع
بين هذين الطريقين وثانيها انهم هم المبتدئون بهذه الدعوة واما العلما فانهم يبنون دعوتهم على
دعوة الانبيا والشارع في احداث الامر الشريف على طريق الابتدا افضل وثالثها ان نفوسهم اقوى قوة و
ارواحهم اصفى جوهرا فكانت تاثيراتها في احيا القلوب الميتة واشراق الارواح الكدرة اكمل فكانت دعوتهم
افضل ورابعها ان النفوس على ثلاثة اقسام ناقصة وكاملة لا تقوى على تكميل الناقصين وكاملة تقوى على تكميل الناقصين

فالقسم

فالقسم الاول هو العوام والقسم الثاني هم الاوليا والقسم الثالث هم الانبيا ولهذا السبب قال عليه السلام علما امتي كانبيا بني اسرايل
واذا عرفت هذا فنقول ان نفوس الانبيا حصلت لها مزيتان الكمال في الذات والتكميل للغير فكانت قوتهم على الدعوة اقوى فكانت
درجاتهم افضل واكمل اذا عرفت هذا فنقول الانبيا عليهم السلام لهم صفتان العلم والقدرة اما العلما فهم نواب الانبيا
في العلم واما الملوك فهم نواب الانبيا في القدرة والعلم يوجب الاستيلا على الارواح والقدرة توجب الاستيلا على الاجساد فالعلما خلفا الانبيا في عالم الارواح
والملوك خلفا الانبيا في عالم الاجساد فاذا عرفت هذا ظهر ان اكمل الدرجات في الدعوة الى الله درجة العلما ثم العلما
على ثلاثة اقسام العلما بالله والعلما بصفات الله والعلما باحكام الله اما العلما بالله فهم الحكما الذين قال الله تعالى
في حقهم ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا واما العلما بصفات الله فهم اصحاب الاصول واما العلما باحكام الله
فهم الفقها ولكل واحد من هذه المقامات ثلاث درجات لا نهاية لها فلهذا السبب كانت الدعوة الى الله لها درجات لا نهاية
لها واما الملوك فهم يدعون الخلق الى دين الله بالسيف وذلك من وجهين اما بتحصيله عند عدمه مثل المحاربة مع الكفار
واما بابقايه عند وجوده وذلك مثل قولنا المرتد يقتل واما المؤذنون فهم يدخلون في هذا الباب دخولا
ضعيفا اما دخوله فيه فلانه تذكير بالصلاة فكان ذلك دعوة الى الصلاة فكان ذلك داخلا تحت الدعا الى الله و
اما كون هذه المرتبة ضعيفة فلان الظاهر من حال المؤذن انه لا يحيط بمعاني تلك الكلمات وبتقدير ان يكون محيطا
بها الا انه لا يستحضرها بها فالمعاني المقصودة منها والكلام في مراتب الدعوة الى الله تعالى المسئلة الثالثة
قوله ومن احسن قولا ممن دعا الى الله يدل على ان الدعوة الى الله احسن من كل ما سواه فنقول كل ما كان احسن
الاعمال وجب ان يكون واجبا لان كل ما لا يكون واجبا فالواجب احسن منه فثبت ان كل ما كان احسن الاعمال فهو واجب
اذا عرفت هذا فمقصود الدعوة الى الله احسن الاعمال بمقتضى هذه الايه وكل ما كان احسن الاعمال فهو واجب
ينتج ان الدعوة الى الله واجبة ينتج ان الاذان واجب واعلم ان الاكثرين من الفقها زعموا ان الاذان غير واجب
وزعموا ان الاذان غير داخل في هذه الايه والدليل القاطع عليه ان الدعوة المراد بهذه الايه يجب ان تكون احسن
من قول ولاذان ليس احسن الاقوال لان الدعوة الى دين الله بالدلايل اليقينية احسن من الاذان فثبت
ان الداخل في هذه الايه احسن الاقوال وثبت ان الاذان ليس احسن الاقوال ينتج من الشكل الثاني ان الداخل تحت
هذه الايه ليس هو الاذان المسئلة الرابعة اختلف الناس في ان الاولى ان يقول الرجل انا مسلم او الاولى ان يقول
انا مسلم ان شا الله تعالى فالقايلون بالقول الاول احتجوا على صحة قولهم بهذه الايه فان الله تعالى حكم بان من احسن قولا ممن
قال انني من المسلمين فحكم بان هذا القول احسن الاقوال ولو كان قولنا ان شا الله معتبرا في كونه احسن الاقوال
لبطل ما دل عليه ظاهر هذه الايه المسئلة الخامسة الايه تدل على ان احسن الاقوال قول من جمع بين خصال ثلاثة
اولها الدعوة الى الله وثانيها العمل الصالح وثالثها ان يكون من المسلمين اما الدعوة الى الله تعالى فقد شرحناها وهي عبارة
عن الدعوة الى الله تعالى باقامة الدلايل اليقينية والبراهين القطعية واما قوله وعمل صالحا فاعلم ان العمل
الصالح اما ان يكون عمل القلب وهو المعرفة او عمل الجوارح وهو ساير الطاعات واما قوله وقال انني من المسلمين
فهو ان يضم الى عمل القلب وعمل الجوارح الاقرار باللسان فيكون هذا الرجل موصوفا بخصال اربع احدها الاقرار
باللسان والثاني الاعمال الصالحة بالجوارح والثالث الاعتقاد الحق بالقلب والرابع الاشتغال باقامة الحجة على دين الله
ولا شك ان الموصوف بهذه الخصال الاربعة اشرف الناس وافضلهم وكمال الدرجة في هذه المراتب الاربعة ليس الا
لمحمد عليه الصلوة والسلام ثم قال تعالى ولا تستوي الحسنة ولا السيئة واعلم انا بينا ان الكلام من اول السورة ابتدأ من قوله
تعالى حكاية عنهم انهم قالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه فاظهروا من انفسهم الاصرار الشديد على اديانهم القديمة
وعدم التاثر بدلايل محمد عليه السلام ثم انه تعالى اطنب في الجواب عن ذلك بالوجوه الكثيرة وذكرها بالوعد والوعيد
ثم حكى عنهم شبهة اخرى وهي قوله وقالوا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه واجاب عنها ايضا بالوجوه الكثيرة ثم انه
تعالى بعد الاطناب في الجواب عن تلك الشبهات رغب محمدا عليه السلام في ان لا يترك الدعوة الى الله فابتدا اولا بان قال

ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلهم الثواب العظيم ثم ترقى من تلك الدرجة الى درجة اخرى وهي ان الدعوة الى الله من اعظم الدرجات فصار الكلام من اول السورة الى هذا الموضع واقعا على احسن وجوه الترتيب ثم كان سائلا سأل وقال ان الدعوة الى الله وان كانت طاعة عظيمة الا ان الصبر على سفاهة هؤلاء الكفار شديد لا طاقة لنا به فعند هذا ذكر الله ما يصلح ان يكون دافعا لهذا الاشكال فقال ولا تستوي الحسنة ولا السيئة والمراد بالحسنة دعوة الرسول الى الدين الحق والصبر على جهالة الكفار وترك الانتقام وترك الالتفات اليهم والمراد بالسيئة ما اظهروه من الجلافة في قولهم قلوبنا في اكنة وما ذكروه في قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه فكأنه قيل يا محمد فعلك حسنة وفعلهم سيئة ولا تستوي الحسنة ولا السيئة فانك اذا اتيت بهذه الحسنة تكون مستوجبا للتعظيم في الدنيا والثواب في الآخرة وهم بالضد من ذلك فلا ينبغي ان يكون اقدامهم على تلك السيئة مانعا لك من الاشتغال بهذه الحسنة ثم قال ادفع بالتي هي احسن يعني ادفع سفاهتهم وجهالتهم بالطريق الذي هو احسن الطرق فانك اذا صبرت على سوء اخلاقهم مرة بعد اخرى ولم تقابل سفاهتهم بالغضب ولا اضرارهم بالايذاء والايحاش استحيوا من تلك الاخلاق المذمومة وتركوا تلك الافعال القبيحة ثم قال فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم يعني اذا قابلت اساءتهم بالاحسان وافعالهم القبيحة بافعالك الحسنة تركوا افعالهم القبيحة وانقلبوا من العداوة الى المحبة ومن البغضة الى المودة ولما ارشد الله تعالى الى هذا الطريق النافع في الدين والدنيا عظمه فقال وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم قال الزجاج اي وما يلقى هذه الفعلة الا الذين صبروا على تحمل المكاره وتجرع الشدائد وكظم الغيظ وترك الانتقام ثم قال وما يلقاها الا ذو حظ عظيم من الفضائل النفسانية درجة عالية في القوة الروحانية فان الاشتغال بالانتقام والدفع يحصل لها بعد تأثر النفس وتأثر النفس من الواردات الخارجية انما يحصل عند ضعف النفس فاما اذا كانت النفس قوية الجوهر لم تتأثر من الواردات الخارجية واذا لم تتأثر منها لم تغضب ولم تتأذ ولم تشتغل بالانتقام فثبت ان هذه السيرة التي شرحناها لا يلقاها الا ذو حظ عظيم من قوة النفس وصفاء الجوهر وطهارة الذات ويحتمل ان يكون المراد وما يلقاها الا ذو حظ عظيم من الثواب والخير وعلى هذا الوجه فقولنا فما يلقاها الا الذين صبروا مدح لفعل الصبر وقوله وما يلقاها الا ذو حظ عظيم وعد باعظم الحظ من الثواب ولما ذكر هذا الطريق الحسن الكامل في دفع الغضب والانتقام وفي ترك المخاصمة ذكر عقيبه طريقا آخر عظيم النفع ايضا في هذا الباب فقال واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم وهذه الآية مع ما فيها من الفوائد الجليلة مفسرة في آخر سورة الاعراف على الاستقصاء قال صاحب الكشاف النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كأنه ينخسه يبعثه على ما لا ينبغي وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده اي واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر وبالجملة فالمقصود من الآية وان صرفك الشيطان عما شرح من الدفع بالتي هي احسن فاستعذ بالله من شره وامض على شأنك ولا تطعه

قوله تعالى ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون ومن آياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي احياها لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير

اعلم انه تعالى لما بين في الآية المتقدمة ان احسن الاعمال والاقوال هو الدعوة الى الله اردفه بذكر الدلائل الدالة على وجود الله وقدرته وحكمته تنبيها على ان الدعوة الى الله عبارة عن تقرير الدلائل الدالة على ذات الله وصفاته فهذه تنبيهات شريفة مستفادة من تلك الآيات فكان العلم بهذه اللطائف احسن علوم القرآن وقد عرفت ان الدلائل الدالة على هذه المطالب العالية هي العالم بجميع ما فيه من الاجزاء والابعاض فبدأ ههنا بذكر الفلكيات فبدأ بالليل والنهار وانما قدم ذكر الليل على ذكر النهار تنبيها على ان الظلمة عدم

والنور وجود والعدم سابق على الوجود فهذا كالتنبيه على حدوث هذه الاشياء واما دلالة الشمس والقمر والافلاك وسائر الكواكب على وجود الصانع فقد شرحناها مكررا في هذا الكتاب مرارا لا سيما في تفسير قوله الحمد لله رب العالمين وفي تفسير قوله الحمد لله الذي خلق السموات والارض ولما بين ان الشمس والقمر عبارات محدثات وهما دليلان على وجود الاله القادر قال لا تسجدوا للشمس ولا للقمر يعني انهما عبدان دليلان على وجود الاله والسجدة عبادة عن نهاية التعظيم فهي لا تليق الا بمن كان اشرف الموجودات فقال لا تسجدوا للشمس ولا للقمر لانهما عبدان مخلوقان واسجدوا لله القادر الحكيم والضمير في قوله خلقهن لليل والنهار والشمس والقمر لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الانثى والاناث يقال الاقلام بريتها وبريتهن او لما قال ومن آياته كن في معنى الآيات فقيل خلقهن وانما قال ان كنتم اياه تعبدون لان ناسا كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب ويزعمون انهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله فنهوا عن هذه الواسطة وامروا ان لا يسجدوا الا لله الذي خلق هذه الاشياء فان قيل اذا كان لا بد في الصلاة من قبلة معينة فلو جعلنا الشمس قبلة عند السجود كان ذلك اولى قلنا الشمس جوهر مشرق عظيم الرفعة عالي الدرجة فلو اذن الشرع في جعلها قبلة في الصلوات فعند اعتياد السجود الى جانب الشمس ربما غلب على الاوهام ان ذلك السجود للشمس لا لله فلاجل الخوف من هذا المحذور نهى الشارع الحكيم عن جعل الشمس قبلة للسجود بخلاف الحجر المعين فانه ليس فيه ما يوهم الالهية فكان المقصود من القبلة حاصلا والمحذور المذكور زائلا فكان هذا اولى واعلم ان مذهب الشافعي رحمه الله ان موضع السجدة هو قوله تعبدون لاجل ان قوله واسجدوا لله متصل به وعند ابي حنيفة هو قوله يسأمون لان الكلام انما يتم عنده ثم انه تعالى لما امر بالسجود قال بعده فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون وفيه سؤالات السؤال الاول ان الذين يسجدون للشمس والقمر يقولون نحن اقل واذل من ان يحصل لنا اهلية عبودية الله تعالى ولكنا عبيد الشمس والقمر وهما عبدان لله واذا كان قولهم هكذا كيف يليق بهم ان يقال انهم استكبروا عن السجدة لله والجواب ليس المراد من لفظ الاستكبار ما ذكرتم بل المراد فان استكبروا عن قبول قولك يا محمد في النهي عن السجدة للشمس والقمر السؤال الثاني ان المشبهة تمسكوا بقوله فالذين عند ربك في اثبات المكان والجهة لله تعالى والجواب انه يقال عند الملك من الجند كذا وكذا ولا يراد به قرب المكان فكذا ههنا ويدل عليه قوله انا عند ظن عبدي بي انا عند المنكسرة قلوبهم لاجلي في مقعد صدق عند مليك مقتدر ويقال عند الشافعي ان المسلم لا يقتل بالذمي السؤال الثالث هل تدل هذه الآية على ان الملك افضل من البشر الجواب نعم لانه انما يستدل بحال الاعلى على حال الادنى فيقال هؤلاء ان استكبروا عن طاعة فلان فالاكابر يخدمونه ويعترفون بتقدمه فثبت ان هذا النوع من الاستدلال انما يحصل بحال الاعلى على حال الادنى السؤال الرابع قال ههنا في صفة الملائكة يسبحون له بالليل والنهار وهذا يدل على انهم مواظبون على التسبيح لا ينفكون عنه لحظة واحدة واشتغالهم بهذا العمل على سبيل الدوام يمنعهم من الاشتغال بسائر الاعمال لكنهم ينزلون الى الارض كما قال نزل به الروح الامين على قلبك وقال ونبئهم عن ضيف ابراهيم وقال تعالى عليها ملائكة غلاظ شداد والجواب ان الذين ذكرهم الله تعالى ههنا بكونهم مواظبين على التسبيح اقوام معينون من الملائكة وهم الاشراف الاكابر منهم لانه تعالى وصفهم بكونهم عنده والمراد من هذه العندية كمال الشرف والمنقبة وهذا لا ينافي كون طائفة اخرى من الملائكة مشتغلين بسائر الاعمال فان قالوا هب ان الامر كذلك الا انهم لا بد وان يتنفسوا فاشتغالهم بالتنفس يمنعهم في تلك الحالة عن التسبيح كما ان التنفس سبب لصلاح حال الحيوان بالنسبة الى البشر فكذلك التسبيح سبب لصلاح حالهم ولا يبعد في العقل الحصيف ان يقال ان احوال الملائكة في صفاء جوهرها واشراق ذواتها واستغراقها في معارج معارف الله باحوال البشر فان هذا سر الحال [illegible] والله اعلم ثم قال تعالى ومن آياته انك ترى الارض خاشعة واعلم انه تعالى لما ذكر الآيات الاربعة الفلكية وهي الليل والنهار والشمس والقمر اتبعها بذكر الآية الارضية فقال ومن آياته انك ترى الارض خاشعة الخشوع التذلل والتصاغر واستعير هذا اللفظ

تحت الأرض حال خلوها عن المطر والنبات فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت أي تحركت بالنبات وربت انتفخت
لأن النبت إذا قرب أن يظهر ارتفعت له الأرض وانتفخت ثم تصدعت عن النبات ثم قال إن الذي
أحياها لمحيي الموتى يعني أن القادر على إحياء الأرض بعد موتها هو القادر على إحياء هذه الأجساد بعد موتها ثم قرر
هذا الدليل فقال إنه على كل شيء قدير وهذا هو الدليل الأصلي وتقريره أن عود التأليف والتركيب
إلى تلك الأجزاء المتفرقة ممكن لذاته وعود الحياة والعقل والقدرة إلى تلك الأجزاء بعد اجتماعها أيضا أمر ممكن لذاته
والله تعالى قادر على جميع الممكنات فوجب كونه قادرا على إعادة التأليف والتركيب والحياة والقدرة والعقل والفهم
إلى تلك الأجزاء وهذا يدل على ... والمحجة على أن حشر الأجساد ممكن لا امتناع فيه البتة

قوله تعالى

إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير
إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد
اعلم أنه تعالى لما بين أن الدعوة إلى دين الله أعظم المناصب وأشرف المراتب ثم بين أن الدعوة إلى دين الله إنما
تحصل بذكر دلائل التوحيد والعدل وصحة البعث والقيامة عاد إلى تهديد من ينازع في تلك الآيات ويحاول إلقاء
الشبهات فيها فقال إن الذين يلحدون في آياتنا يقال ألحد الحافر ولحد إذا مال عن الاستقامة فحفر في شق فالملحد
هو المنحرف ثم بحكم العرف اختص بمن ينحرف عن الحق إلى الباطل وقوله لا يخفون علينا تهديد كما إذا قال الملك المهيب
إن الذين ينازعون في ملكي أعرفهم فإنه يكون ذلك تهديدا ثم قال أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة
وهذا استفهام بمعنى التقرير والغرض التنبيه على أن الذين يلحدون في آياتنا يلقون في النار والذين يؤمنون بآياتنا
يأتون آمنين يوم القيامة ثم قال اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير وهذا أيضا تهديد ثالث ونظيره ما يقول الملك
المهيب عند الغضب الشديد إذا أخذ يعاتب عبيده ثم يقول لهم اعملوا ما شئتم فإن هذا يدل على الوعيد الشديد
ثم قال تعالى إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وهذا أيضا تهديد وفي جوابه وجهان أحدهما أنه محذوف كسائر
الأجوبة المحذوفة في القرآن على تقدير إن الذين كفروا بالذكر يجازون بكفرهم أو ما أشبه هذا والثاني
أن جوابه قوله أولئك ينادون من مكان بعيد وهو الأصوب ولما بالغ في تهديد الذين يلحدون في آيات القرآن أتبع
ببيان تعظيم القرآن فقال وإنه لكتاب عزيز والعزيز له معنيان أحدهما الغالب القاهر والثاني الذي لا يوجد نظيره
أما كون القرآن عزيزا بمعنى كونه غالبا فالأمر كذلك لأنه بقوة حجته غلب على كل ما سواه وأما كونه عزيزا بمعنى عدم
النظير فالأمر كذلك لأن الأولين والآخرين عجزوا عن معارضته ثم قال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
وفيه وجوه الأول لا يكذبه الكتب المتقدمة عليه كالتوراة والإنجيل والزبور ولا يجيء كتاب من بعده
يكذبه الثاني ما حكم القرآن بكونه حقا لا يصير باطلا وما حكم بكونه باطلا لا يصير حقا الثالث
أنه محفوظ من أن ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه أو يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه والدليل
عليه قوله وإنا له لحافظون فعلى هذا الباطل هو الزيادة والنقصان الرابع يحتمل أن يكون المراد أنه
لا يوجد في المستقبل كتاب يمكن جعله معارضا له ولم يوجد فيما تقدم كتاب يصح جعله معارضا له الخامس
قال صاحب الكشاف هذا تمثيل والمقصود أن الباطل لا يتطرق إليه ولا يجد إليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل
إليه واعلم أن أبا مسلم الأصفهاني يحتج بهذه الآية على أنه لم يوجد النسخ فيه لأن النسخ إبطال فلو دخل النسخ
فيه لكان قد أتاه الباطل من خلفه وإنه على خلاف هذه الآية ثم قال تنزيل من حكيم حميد أي حكيم
في جميع أفعاله حميد إلى الخلق بسبب كثرة نعمه ولهذا السبب جعل الحمد لله رب العالمين فاتحة
كلامه وأخبر أن خاتمة كلام أهل الجنة هو قوله الحمد لله رب العالمين

قوله تعالى

ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم ولو جعلناه قرآنا أعجميا
لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو

عليهم

عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك
لقضي بينهم وإنهم لفي شك منه مريب من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد
واعلم أنه تعالى لما هدد الملحدين في آيات الله ثم بين شرف آيات الله وعلو درجة كتاب الله رجع
إلى أمر رسوله بأن يصبر على أذى قومه وأن لا يضيق قلبه بسبب ما حكاه عنهم في أول السورة أنهم قالوا قلوبنا في
أكنة مما تدعونا إليه إلى قوله فاعمل إننا عاملون فقال ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك وفيه وجهان
الأول وهو الأقرب أن المراد ما يقول لك هؤلاء الكفار إلا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية
والمطاعن في الكتب المنزلة إن ربك لذو مغفرة للمحقين وذو عقاب أليم للمبطلين ففوض هذا الأمر
إلى الله واشتغل بما أمرت به وهو التبليغ والدعوة إلى الله تعالى الثاني أن يكون المراد ما قال الله لك إلا مثل ما قال
لسائر الرسل وهو أنه أمرك وأمر كل الأنبياء بالصبر على سفاهة الأقوام فمن حقه أن يرجوه أهل طاعته و
يخافه أهل معصيته ولقد ظهر بكلامنا في تفسير هذه السورة أن المقصود من هذه السورة هو ذكر الأجوبة عن قولهم
وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون فتارة
ينبه على فساد هذه الطريقة وتارة يذكر الوعد والوعيد لمن يؤمن بهذا القرآن ولمن يعرض عنه وامتد الكلام إلى
هذا الموضع على الترتيب الحسن والنظم الكامل ثم إنه تعالى ذكر جوابا آخر عن قولهم وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه
ولهذا ... فقال ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي وفيه مسائل المسألة الأولى
قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم أأعجمي بهمزتين على الاستفهام والباقون بهمزة واحدة ومدة على أصلهم في أمثاله
كقوله أأنذرتهم ونحوها على الاستفهام وروي عن ابن عامر بهمزة واحدة على الخبر وأما القراءة بهمزتين
فالهمزة الأولى همزة الإنكار والمراد إنكار وقالوا قرآن أعجمي ورسول عربي أو مرسل إليه عربي وأما القراءة
بغير همزة الاستفهام فالمراد الخطاب بأن القرآن أعجمي والمرسل إليه عربي المسألة الثانية نقلوا في سبب
نزول هذه الآية أن الكفار لأجل التعنت قالوا لو نزل القرآن بلغة العجم فنزلت هذه الآية وعندي أن أمثال هذه الكلمات
فيها حيف عظيم على القرآن لأنه يقتضي ورود آيات لا تعلق للبعض بالبعض وأنه يوجب أعظم أنواع الطعن
فكيف يتم مع التزام مثل هذا الطعن ادعاء كونه كتابا منتظما فضلا عن ادعاء كونه معجزا بل الحق عندي أن هذه السورة
من أولها إلى آخرها كلام واحد على ما حكى الله عنهم من قولهم قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر
وهذا الكلام أيضا متعلق به وجواب له والتقدير أنا لو أنزلنا هذا القرآن بلغة العجم لكان لهم أن يقولوا كيف
أرسلت الكلام العجمي إلى القوم العرب ويصح لهم أن يقولوا قلوبنا في أكنة من هذا الكلام وفي آذاننا وقر منه لأنا لا نفهمه
ولا نحيط بمعناه أما لما أنزلنا هذا الكتاب بلغة العرب وبألفاظهم وأنتم من أهل هذه اللغة فكيف يمكن ادعاء أن
قلوبكم في أكنة منها وفي آذانكم وقر منها فظهر أنا إذا جعلنا هذا الكلام جوابا عن تلك الكلمات بقيت السورة
من أولها إلى آخرها على أحسن وجوه النظم وأما على الوجه الذي يذكره الناس فهو عجيب جدا ثم قال تعالى قل هو للذين
آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد واعلم أن هذا متصل
بقولهم فقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه إلى آخر الآية كأنه تعالى يقول إن هذا الكلام أرسلته إليكم بلغتكم لا بلغة
أجنبية عنكم فلا يمكنكم أن تقولوا إن قلوبنا في أكنة منه بسبب جهلنا بهذه اللغة فبقي أن يقال إن كل من
آتاه الله طبعا مائلا إلى الحق وقلبا داعيا إلى الصدق وهمة تدعو إلى بذل الجهد في طلب الدين فإن هذا القرآن
يكون في حقه هدى وشفاء أما كونه هدى فلأنه دليل على الخير وأما كونه شفاء فلأنه إذا اهتدى فقد حصل الهدى وذلك الهدى شفاء له
من مرض الكفر والجهل وأما من غرق في بحر الخذلان وتاه في مفاوز الحرمان وصار مشغوفا بمتابعة الشيطان
كان هذا القرآن عليهم عمى كما قالوا ومن بيننا وبينك حجاب ثم قال أولئك ينادون من مكان بعيد بسبب ذلك الحجاب الذي
حال بينه وبين الاستماع ببيان القرآن وكل من أنصف ولم يتعسف علم أنا إذا فسرنا هذه الآية على الوجه الذي ذكرناه

صارت السورة من اولها الى آخرها كلاما واحدا منتظما مسوقا نحو غرض واحد ولكن هنا الشبه اولى
ما ذكروه قرأ الجمهور وهو عليهم عمى على المصدر وقرأ ابن عباس عمٍ على النعت قال ابو عبيد والاول
هو الوجه لقوله هدى وشفاء فكذلك عمى هو مصدر مثلهما ولو كان المذكور انه هاد وشاف لكان الكسر في عم
اجود فيكون نعتا مثلهما وقوله تعالى اولئك ينادون من مكان بعيد قال ابن عباس يريد مثل البهيمة التي
لا تفهم الا دعاء ونداء وقيل من دعي من مكان بعيد لم يسمع وان سمع لم يفهم فكذا حال هؤلاء ثم قال تعالى
ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه واعلم انه تعالى [illegible] بما قبله كانه قيل انا لما آتينا موسى الكتاب
اختلفوا فيه فقبله بعضهم ورده آخرون فكذلك آتيناك هذا الكتاب فقبله بعضهم وهم اصحابك ورده آخرون
وهم الذين يقولون قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه ثم قال تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك يعني في تأخير العذاب
عنهم الى اجل مسمى وهو يوم القيامة كما قال بل الساعة موعدهم لقضي بينهم يعني المصدق والمكذب بالعذاب
الواقع لمن كذب وانهم لفي شك منه مريب [illegible] مريب فلا يبقى لهم بعظم استيحاش عن تكذيبهم [illegible]
[illegible] من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها يعني خفف عن نفسك اعراضهم فان نفعهم
ان آمنوا يعود اليهم وان كفروا فضرر كفرهم يعود عليهم والله سبحانه يوصل الى كل احد
ما يليق بعمله من الجزاء وما ربك بظلام للعبيد

قوله تعالى

اليه يرد علم الساعة وما تخرج
من ثمرة من اكمامها وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه ويوم يناديهم اين شركائي قالوا آذناك ما منا من شهيد وضل
عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص لا يسأم الانسان من دعاء الخير وان مسه الشر فيؤس قنوط ولئن
اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده
للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه واذا
مسه الشر فذو دعاء عريض قل ارأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو في شقاق بعيد سنريهم
آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد الا انهم في مرية من لقاء ربهم
الا انه بكل شيء محيط اعلم انه تعالى لما هدد الكفار في الآية المتقدمة بقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء
فعليها ومعناه ان جزاء كل احد يصل اليه في يوم القيامة فكأن سائلا قال ومتى يكون ذلك اليوم فقال تعالى
انه لا سبيل للخلق الى معرفة ذلك اليوم ولا يعلمها الا الله فقال اليه يرد علم الساعة وهذه الكلمة تفيد الحصر
اي لا يعلم وقت الساعة بعينها الا الله وكما ان هذا العلم ليس الا عند الله فكذلك العلم بحدوث الحوادث المستقبلة
في اوقاتها المعينة ليس الا عند الله ثم ذكر من امثلة هذا الباب مثالين احدهما قوله وما تخرج من ثمرة من اكمامها والثاني
قوله وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه قال ابو عبيدة اكمامها اوعيتها وهي ما كانت فيه الثمرة واحدها
كم وكمة قرأ ابن عامر ونافع وحفص عن عاصم من ثمرات بالالف على الجمع والباقون من ثمرة بغير الف على الواحد
واعلم ان نظير هذه الآية قوله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث الى آخر الآية فان قيل اليس ان المنجمين
قد يتعرفون من طوالع السنة احوالا كثيرة من احوال العالم وكذلك قد يتعرفون من طوالع الناس اشياء من
احوالهم وههنا شيء آخر يسمى علم الرمل وهو كثير الاصابة وايضا علم التعبير بالاتفاق قد يدل على احوال المغيبات
فكيف الجمع بين هذه العلوم المشاهدة وبين هذه الآية قلنا ان اصحاب هذه العلوم لا يمكنهم القطع والجزم في شيء من المطالب
البتة وانما الغاية القصوى ادعاء ظن ضعيف والمذكور في هذه الآية ان علمها ليس الا عند الله والعلم هو الجزم
واليقين وبهذا الطريق زالت المنافاة والمعاندة والله اعلم ثم انه تعالى لما ذكر القيامة اردفه بشيء من احوال
يوم القيامة وهذا الذي ذكره هاهنا شديد التعلق ايضا بما وقع الابتداء به في اول السورة وذلك لان اول السورة
يدل على شدة نفرتهم عن استماع القرآن فانه حصلت احوال محمد عليه السلام كان يدعوهم الى التوحيد والى
البراءة عن الاصنام والاوثان بدليل انه قال في اول السورة قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد ولعله ذكر يوم القيامة

السورة

السورة وعبد الناظمين بالشركاء والانداد فقال ويوم يناديهم اين شركائي اي بحسب زعمكم واعتقادكم قالوا آذناك
قال ابن عباس اسمعناك كقوله واذنت لربها اي سمعت وقال الكلبي اعلمناك وهذا بعيد لان اهل القيامة
يعلمون الله ويعلمون انه يعلم الاشياء علما واجبا والاعلام في حقه محال ثم قالوا ما منا من شهيد وفيه وجوه
الاول ليس احد منا يشهد بان لك شريكا والمقصود انهم في ذلك اليوم يتبرءون من اثبات الشريك لله الثاني
ما منا احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم لا يبصرونها في ساعة التوبيخ الثالث ان قوله ما منا
من شهيد كلام الاصنام كأن الله يحييها ثم انها تقول ما منا احد يشهد بصحة ما اضافوا الينا من الشركة وعلى
هذا التقدير فمعنى ضلالهم عنهم انهم لا ينفعونهم فكأنهم ضلوا عنهم ثم قال وظنوا ما لهم من محيص وهذا ابتداء
كلام من الله تعالى يعني ان الكفار ظنوا انه لا محيص لهم من النار [illegible] بعد ذلك وهذا بعيد لان اهل النار
يعلمون ان عقابهم دائم ولما بين تعالى من حال هؤلاء الكفار انهم بعد ان كانوا مصرين على القول باثبات الشركاء والاضداد
لله في الدنيا تبرءوا عن تلك الشركاء في الآخرة بين ان الانسان في جميع الاوقات متبدل الاحوال متغير المنهج فان احس
بخير وقدرة انتفخ وتعظم وان احس ببلاء ومحنة ذبل كما قيل في المثل ان هذا كالقرلى ان رأى خيرا تدلى
وان رأى شرا تولى فقال لا يسأم الانسان من دعاء الخير وان مسه الشر فيؤس قنوط يعني انه في حال الاقبال ومجيء
المراد لا ينتهي قط الى درجة الا ويطلب الزيادة عليها ويطمع الفوز بما هو اعلى منها وفي حال الحرمان يصير آيسا قانطا
فالاول استغراق منه في الرجاء والثاني في اليأس [illegible] يدل على كونه متبدل الصفة متغير الحالة وقوله
يؤوس قنوط مبالغة من وجهين احدهما من طريق فعول والثاني من طريق التكرير واليأس من صفة القلب و
القنوط ان يظهر آثار اليأس في الوجه والاحوال الظاهرة ثم بين تعالى ان الذي صار آيسا قانطا لو عاودته النعمة
والدولة وهو المراد من قوله ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته فان هذا الرجل يأتي بثلاثة انواع من الاقاويل الفاسدة
والمذاهب الباطلة الموجبة للكفر والبعد عن الله والاول انه لا بد وان يقول هذا لي وفيه وجهان الاول معناه
ان هذا حقي وصل الي لاني استوجبته بما حصل عندي من انواع الفضائل واعمال البر والقربة من الله والعلم
المسكين انه لا يستحق على الله شيئا وذلك لانه ان كان ذلك الشخص عاريا عن الفضائل فهذا الكلام ظاهر الفساد
وان كان موصوفا بشيء من الفضائل والصفات الحميدة فهي باسرها انما حصلت له بفضل الله واحسانه واذا
تفضل الله بشيء على بعض عبيده امتنع ان يصير تفضله عليه سببا لان يستحق على الله شيئا
فثبت بهذا انه لا يجوز ان يقول انه انما حصلت هذه الخيرات بسبب استحقاقي والوجه الثاني ان هذا لي اي لا يزول
عني ويبقى علي وعلى اولادي والنوع الثاني من كلماتهم الفاسدة ان يقولوا انكار الساعة فانه يعني
انه يكون شديد الرغبة في الدنيا عظيم النفرة عن الآخرة فاذا آل الامر الى احوال الدنيا يقول انها لي واذا آل
الامر الى الآخرة يقول وما اظن الساعة قائمة والنوع الثالث من كلماتهم الفاسدة ان يقولوا ولئن رجعت الى ربي
ان لي عنده للحسنى يعني ان الغالب على الظن ان القول بالبعث والقيامة باطل وبتقدير ان يكون حقا فان لي عنده
للحسنى وهذه الكلمة تدل على جزمهم بوصولهم الى الثواب من وجوه الاول ان كلمة ان تفيد التأكيد الثاني
ان تقديم كلمة لي يدل على هذا التأكيد الثالث قوله عنده يدل على ان تلك الخيرات حاضرة مهياة عنده كما تقول لي عند فلان
كذا من الدنانير فانما يفيد كونها حاضرة عنده فلو قلت ان لي عند فلان كذا لا يفيد ذلك والرابع ان قوله للحسنى
يفيد الكمال والخامس الحسنى يفيد الكمال في الحسنى ولما حكى الله تعالى عنهم هذه الاقوال الثلاثة الفاسدة قال
فلننبئن الذين كفروا بما عملوا اي نظهر لهم ان الامر على ضد ما اعتقدوه وعلى عكس ما تصوروه كما قال وقدمنا الى
ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ولنذيقنهم من عذاب غليظ في مقابلة قولهم ان لي عنده للحسنى
ولما حكى الله تعالى اقوال ذلك الذي انعم عليه بعد وقوعه في الآفات حكى افعاله ايضا فقال واذا انعمنا على الانسان
اعرض عن التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله ونأى بجانبه اي ذهب بنفسه وتكبر وتعظم ثم ان مسه الشر

والعقل قبل على وقلة الدعا واخف الابتهال والتضرع وكنا يستعمل العرض لكثرة الدعا وذلك من صفات
الاجرام ويستعار له الطول ايضا كما استعير الغلاظ لشدة العذاب واعلم انه تعالى لما ذكر الوعيد العظيم على
الشرك وبين ان المشركين يرجعون عن القول بالشرك في يوم القيامة ويظهرون من انفسهم الذلة والخضوع
بسبب استيلا الخوف عليهم وبين ان الانسان جبل على التبدل فان وجد لنفسه قوة بالغ في التكبر والتعظم
وان احس بالفتور والضعف بالغ في اظهار الذلة والمسكنة ذكر عقيبه كلاما آخر يوجب على هؤلا
الكفار ان لا يبالغوا في اظهار النفرة من قبول التوحيد وان لا يفرطوا في اظهار العداوة مع الرسول
فقال قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو في شقاق بعيد وتقرير هذا الكلام
انكم كلما سمعتم هذا القرآن اعرضتم عنه وما تاملتم فيه وبالغتم في النفرة عنه حتى قلتم قلوبنا
في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ثم من المعلوم بالضرورة انه ليس العلم بكون القرآن باطلا علما بديهيا
وليس العلم بفساد القول بالتوحيد والنبوة علما بديهيا فقبل الدليل يحتمل ان يكون صحيحا وان يكون فاسدا فبتقدير ان يكون
صحيحا كان اصراركم على دفعه من اعظم موجبات العقاب فهذا الطريق يوجب عليكم ان تتركوا هذه النفرة و
ان ترجعوا الى النظر والاستدلال فان دل الدليل على صحته قبلتموه وان دل على فساده تركتموه فاما قبل الدليل
فالاصرار على الدفع والاعراض بعيد عن العقل وقوله ممن هو في شقاق بعيد موضوع موضع منكم بيانا لحالهم وصفتهم
ولما ذكر هذه الوجوه الكثيرة في تقرير التوحيد والنبوة واجاب عن شبهات المشركين وتمويهات الضالين
قال سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق قال الواحدي واحد الآفاق افق وهو الناحية
من نواحي الارض وكذلك آفاق السما نواحيها واطرافها وفي تفسير قوله سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم قولان الاول
المراد بآيات الآفاق الآيات الفلكية والكوكبية وآيات الليل والنهار وآيات الاضواء والاظلال والظلمات وآيات
عالم العناصر الاربع وآيات المواليد الثلاثة وقد اكثر الله منها في القرآن وقوله وفي انفسهم المراد منها الدلائل المأخوذة من
كيفية تكون الاجنة في ظلمات الارحام وحدوث الاعضا العجيبة والتركيبات الغريبة كما قال تعالى
وفي انفسكم افلا تبصرون يعني نريهم هذه الدلائل مرة بعد اخرى الى ان تزول الشبهات عن قلوبهم ويحصل فيها
الجزم والقطع بوجود الاله القادر العليم الحكيم المنزه عن المثل والضد فان قيل هذا الوجه ضعيف
لان قوله تعالى سنريهم يقتضي انه تعالى ما اطلعهم على تلك الآيات الى الآن وسيطلعهم عليها بعد ذلك والآيات
الموجودة في العالم الاعلى والاسفل قد كان الله اطلعهم عليها قبل ذلك فثبت انه يتعذر حمل هذا اللفظ على
هذا الوجه قلنا ان القوم وان كانوا قد رأوا هذه الاشيا الا ان العجائب التي اودعها الله في هذه الاشيا
مما لا نهاية لها فهو تعالى يطلعهم على تلك العجائب زمانا فزمانا ومثاله كل احد رأى بعينه الافلاك وشاهدها
الا ان العجائب التي ابدعها الله تعالى في تركيب هذا البدن كثيرة واكثر الناس لا يعرفونها والذي وقف
على شي منها فكلما ازداد تأملا ازداد وقوفا على تلك العجائب والغرائب فصح بهذا الطريق قوله سنريهم آياتنا في الآفاق
وفي انفسهم والقول الثاني ان المراد بآيات الآفاق فتح البلاد المحيطة بمكة وبآيات انفسهم فتح مكة والقائلون
بهذا القول رجحوه على القول الاول بان قوله سنريهم يليق بهذا الوجه ولا يليق بالاول الا انا اجبنا عنه بان
قوله سنريهم لائق بالوجه الاول كما قررناه فان قيل حمل الآية على هذا الوجه بعيد لان اقصى ما في الباب ان محمدا
عليه السلام استولى على البلاد المحيطة بمكة ثم استولى على مكة الا ان الاستيلا على بعض البلاد لا يدل على كون
المستولي محقا فانا نرى الكفار قد يحصل لهم استيلا على بلاد المسلمين وعلى ملوكهم وذلك لا يدل على كونهم
محقين ولهذا السبب قلنا ان حمل الآية على الوجه الاول اولى ثم نقول اذا اردنا تصحيح هذا الوجه
قلنا انا لا نستدل بمجرد استيلا محمد عليه السلام على تلك البلاد على كونه محقا في ادعا النبوة بل نستدل به
من حيث انه عليه السلام اخبر انه سيستولي عليها ويقهر اهلها ويصير اهلها مقهورين ثم جا الامر كما اخبر فكان هذا اخبارا

عن الغيب

عن الغيب ووقوع مخبره مطابقا لخبره فيكون هذا اخبارا صدقا عن الغيب معجزا فبهذا الطريق يستدل
بحصول هذا الاستيلا على كون هذا الدين حقا ثم قال سبحانه وتعالى اولم يكف بربك انه على كل شي شهيد قوله
بربك في موضع الرفع على انه فاعل يكفي وانه على كل شي شهيد بدل منه تقديره اولم يكفهم ان ربك على كل
شي شهيد ومعنى كونه تعالى شهيدا على الاشيا انه خلق الدلايل الدالة عليها وقد استقصينا ذلك في تفسير
قوله قل اي شي اكبر شهادة قل الله والمعنى اولم يكفهم هذه الدلايل الكثيرة التي اوضحها الله و
قررها في هذه السورة وفي كل سور القرآن الدالة على التوحيد والتنزيه والعدل والنبوة والمعاد
ثم ختم السورة بقوله الا انهم في مرية من لقاء ربهم اي ان القوم في شك عظيم وشبهة شديدة من البعث
والقيامة وقرئ في مرية بالضم ثم قال الا انه بكل شي محيط اي عالم بجميع المعلومات التي لا نهاية لها
فيعلم بواطن هؤلا الكفار وظواهرهم ويجازي كل احد على فعله بحسب ما يليق به ان خيرا فخير وان شرا فشر
فان قيل قوله الا انه بكل شي محيط يقتضي ان يكون علمه محيطا بالاشيا والاحاطة مشعرة بالنهاية
فهذا يقتضي ان يكون معلومه متناهيا قلنا ان قوله بكل شي محيط يقتضي ان يكون علمه محيطا بكل واحد من الاشيا
ولا يلزم من ذلك ان يكون كل واحد منها متناهيا ولا ان يكون مجموعها متناهيا والله اعلم
هذا اخر تفسير سورة حم السجدة من تفسير الكبير للمولى الامام الكبير السعيد فخر الملة والدين حجة الاسلام والمسلمين
الرازي سقى الله ثراه واسكنه بحبوحة جنانه
اللهم اغفر لصاحبه ولمن نظر فيه ولكاتبه
ولجميع المؤمنين والمؤمنات برحمتك يا ارحم الراحمين